شبه الجزيرة

في عهد

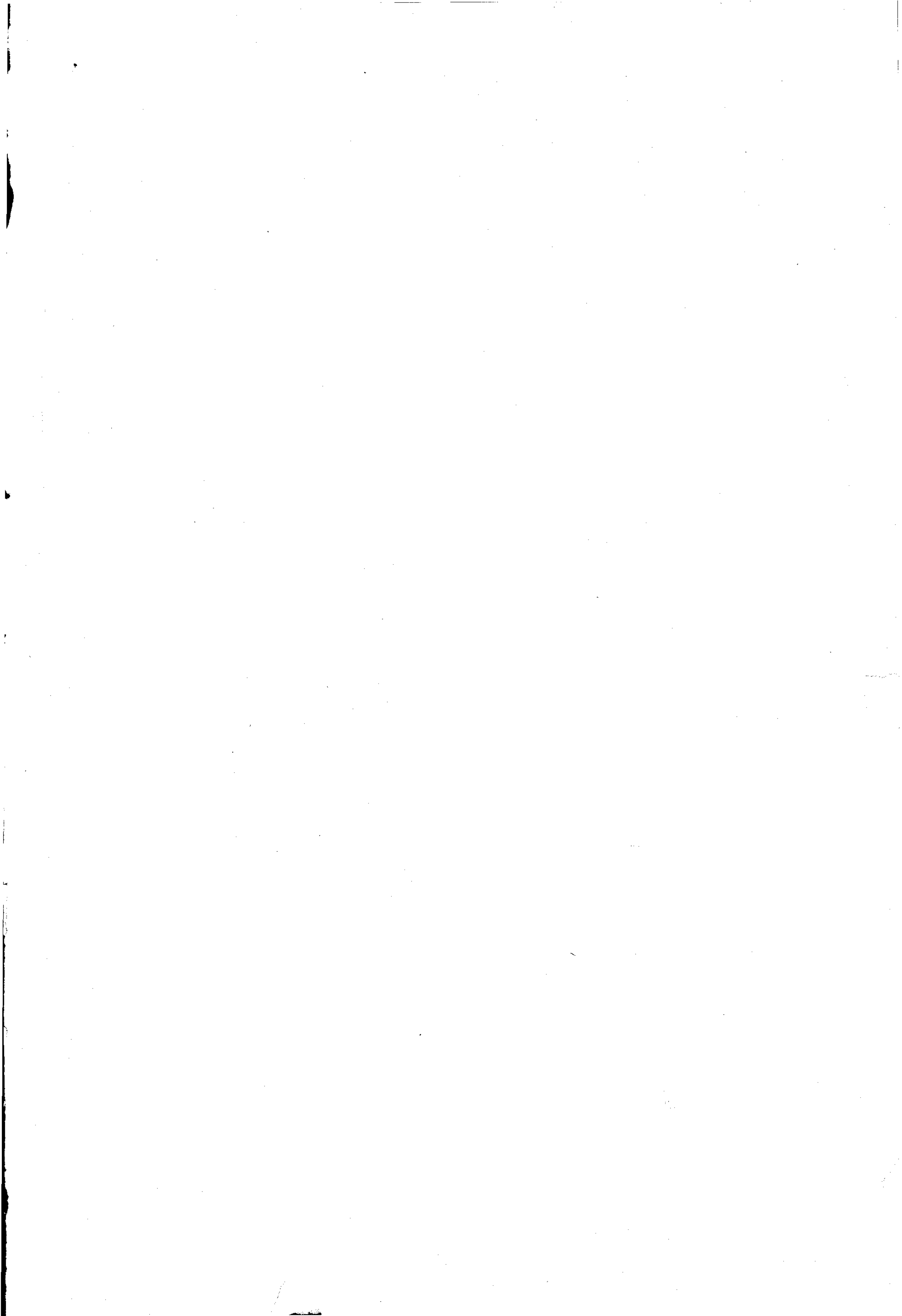
الملك عبد العزيز

تأليف

خير الدين الزركلي

الجزء الأول

الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) بيروت




بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء الكتاب

إلى قِبلة أنظار العرب والمسلمين ، ومَعْقِد آمالهم ،
عاهل الجزيرة ، وحامل لواء سؤددها :
الملك فيصل بن عبد العزيز .

إليك، يا أوْلى الناس بإهداء كتابي إليه، أُهدي ما استطعتُ
أن أدوّنه ، منزّهاً عن الهوى والإطراء ، متعمّداً فيه أن يكون
للتاريخ ؛ من سيرة أبي الدولة ورافع بنيانها ومُقيم كيانها ،
والدك العظيم :
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ، آل سعود .

خير الدين



.. وإلى روح الذي عرفتـــه وأكبرته ،

وكان دَيْناً في عُنُقي أن أكتب تاريخه ،

فكتبتـــه

إلى روح عبد العزيز ، أهدي

كتابي عن عبد العزيز

خير الدين





من عنـــاوين الكتـــاب

(وتـــأتي الفهـــارس المفصلة ، في نهـــايته)



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

قُدّر لهذا الكتاب أن يتّسم من يوم وضعه إلى البدء في طبعه بعدة سمات :

كانت الأولى ، أيام الحديث عن الاحتفال بالذكرى الخمسينية ، لمرور خمسين عاماً على استرجاع الملك عبد العزيز مدينة الرياض من يد غاصبيها . وكان اسم الكتاب يومئذ – سنة ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م – « السجل الذهبي » أو « ابن سعود ، منشىء دولة ومجدد أمة » .

وبأمر من الملك عبد العزيز نفسه ، علّق أمينهُ الثقة يوسف ياسين على كلمة « ابن سعود » بقوله : يغير هذا الاسم حيثما وجد باسم « عبد العزيز آل سعود » .

وبادرت إلى إصلاح التسمية ، فسميته « عبد العزيز آل سعود ، منشىء دولة ومجدّد أُمة » . وحالت عوائق دون إخراجه للنشر في تلك الآونة .

وتوفي الملك عبد العزيز ، تغمده الله برحمته عام ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ م ، ونسخة الكتاب المعدة للطبع ، كانت ما تزال بين أيدي رجال الديوان الملكي ، في الرياض ، أو فوق رفّ من رفوف الديوان . وكان من فضل صديق لي فيه ، أن ساعدني على استعادة النسخة ، لأجيل النظر فيها ، فأجعل الحاضر من الوقائع ماضياً ، والحديثَ عن عبد العزيز في حياته ، خبراً عنه بعد وفاته ..

وأضفت إلى الكتاب فصولاً اقتضاني سياق الحديث، وقد أصبح الرجل في ذمة التاريخ ، أن أُضيفها. وحوّلت اسمه إلى « الملك عبد العزيز في ذمة التاريخ »فكانت تسميته الثالثة .

وظللت زمناً لا يفارقني فيه الشعور بأن لعبد العزيز ، الملك الذي عرفته وأكبرته ، دَيناً في عنقي ، هو أن أنشر كتابي عنه وعن أحداث عصره ، وإن كثر الكاتبون في الموضوع وسلكوا فيه من الحقيقة والخيال كل مسلك . على أن التاريخ أرقام ووقائع ، إذا دخلها الخيال فسدت .

ويشاء الله لخير العرب ، ولخير المسلمين ، أن يتبوأ عرشَ عبد العزيز نابغةُ أبنائه وحكيم ساسة عصره — ولا أقول هذا على سبيل الإطراء — نائبُه العامّ في حياته ، ووزيرُ خارجيته ، ولسانه الناطق في محافل السياسة الدولية ، ابنه « فيصل » أعزّ الله به الإسلام والعروبة .

وأجدني يوماً بين يدي جلالته في أحد مجالسه الخاصة ، على أثر نهوضه بأعباء الملك ، في شتاء عام ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م، بمدينة جُدة . وأسمع جلالته وهو ينظر إليّ مبتسماً يقول : ما صنع الله بالحبيس ؟ وتمتمت متسائلاً : الحبيس ؟ فأسعفني قائلاً : مضى عليه ما يقارب خمسة عشر عاماً . وبرقت أسارير وجهي ، حين أدركت أنه يسأل عما صنع الله في الكتاب . وكدت أقول : لله أنت ما أبرّك بأبيك . فقلت : ينتظر أن تأمر بإخلاء سبيله . قال : حان وقته . فكان نعت الكتاب بالحبيس « السمة الرابعة » له ، لا التسمية . وبادرت من فوري أنظر فيه النظرة الأخيرة وأُحقق ، في تحرّ وتوُدة ، ما كان في حاجة إلى التحقيق وأزيد فيه وأنقص ، قبل تقديمه إلى الطبع . ومن الله وحده العون على إنجازه .

خير الدين

مقدمة « السجلّ الذهبي »

ربنا إليك أنبنا . وعليك توكلنا . إياك نعبد . ومنك العون .

تباشرت البلاد العربية السعودية يوم ٤ شوال ١٣٦٩ هـ (٢١ يوليه ١٩٥٠ م) بمرور خمسين عاماً هجرياً على حادثٍ كان له ، ولما بعده ، أعظم الأثر في تاريخ شبه الجزيرة الحديث .

ففي مثل ذلك اليوم ، من عام ١٣١٩ للهجرة (١٥ يناير ١٩٠٢) استردّ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، عاصمة آبائه « الرياض » في مغامرة تكاد تشبه « أساطير » الأولين .

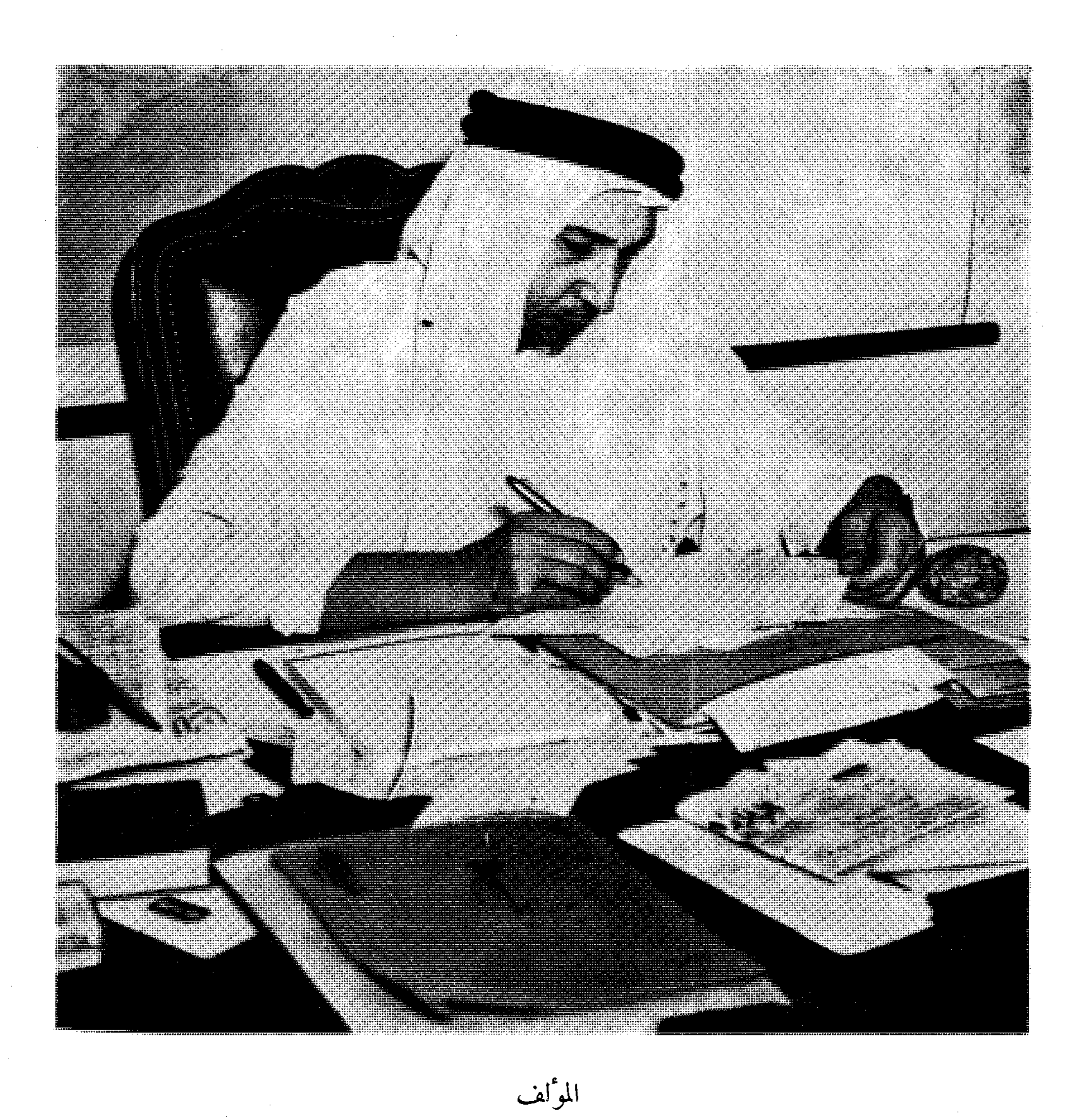
ومن ذلك التاريخ ، قبل خمسين عاماً ، وُضع الحجر الأساسي لبناء المملكة العربية السعودية ، القائمة اليوم بين البحر الأحمر والخليج العربي .

وفي سيرة الملك عبد العزيز في نصف قرن مضى ، سيرة « أُمّة » تحولت من الركود إلى النشاط ، ومن الفتنة إلى الألفة ، ومن نزعات العصبية الجاهلية والفوضى ، إلى الإيمان والنظام . ومن الفاقة إلى اليُسر ، ومن الاستغراق في السُّبات إلى الأخذ بأسباب الحياة .

والسجلّ الذهبي لهذه الخمسين عاماً ليس بكتاب دعاية ، وإنما هو « تاريخ » عماده التتبع والاستقصاء حُلّي كل فصل منه باسم الملك عبد العزيز لأنه تاريخ ما وفّق الله إليه عبد العزيز .

٥ ذي الحجة ١٣٦٩ (١٩٥٠ م)

المؤلف



المؤلف

في مكتبه بوزارة الخارجية ، بجدة : سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)

الملك عبد العزيز

كما يصفه ابنه « فيصل » [1]

ليس من اليسير أن أتحدث عن والدي « كملك » ، لأن ذلك من حق التاريخ وحده . وربما كان غيري أقدر مني على إنصاف رجل عظيم مثله ، بنى ملكاً بعصاميته ، وحفظ للعرب تراثاً مجيداً في البلاد المقدسة ، وأقام الأمن والنظام في بقاع كانت تسودها الفوضى ويهددها الخوف في طرقها وأرجائها وتتألف من مقاطعات وإمارات وقبائل شتى في مساحات واسعة .

غير أنني أستطيع أن أذكر بعض مزاياه التي هيأت له أن يبني هذا الملك ، وأن يشيد هذا الملك والسلطان ، على الرغم مما صادفه من شدائد وأهوال ، لم تثنه عن الوصول إلى غايته ، ولم تصرفه عن تحقيق أهدافه .

وأولى هذه المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان ، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه بالله أو تخلّى عن ثقته بنصر الله . ولقد أُصيب في عنفوان صباه بضياع إمارة أبيه عبد الرحمن الفيصل ، على الرياض ، وسقوطها في أيدي منافسيه آل رشيد . فرحل مع والده وأهله إلى الكويت ، ونزلوا ضيوفاً على شيخها ، وانضموا إليه في محاربته لابن رشيد . وعلى الرغم من هزيمتهم في عدة معارك فإنه ما كاد يستعيد جيش أبيه الصغير في ذلك الحين ، حتى هبّ لاستعادة بلاده ، تحدوه قوة إيمانه ، وقد صمم على الموت أو الفوز بالرياض ،

(١) نشر الحديث ، سنة ١٣٦٧هـ ، ١٩٤٨م ، في حياة عبد العزيز .

حتى أعادها وأعاد إليها مجد آبائه .

وثانية هذا المزايا التي يتسم بها جلالته ، قوة إرادته ، وشجاعته التي تبرز في أحرج المواقف وأدقّ الظروف . وأذكر على سبيل المثال أنه كان في موقعة تدعى « موقعة الحريق » فدارت الدائرة أثناء القتال، على جيشه ، وهمّ الجنود بالفرار ، فبرز في مقدمة الصفوف ممتطياً جواده ومتقلداً سيفه ، ونادى : « أيها الإخوان ! من كان يحب عبد العزيز فليتقدم ، ومن كان يؤثر الراحة والعافية فليذهب إلى أهله ، فوالله لن أبرح هذا المكان حتى أبلغ النصر أو أموت » .. فسرتِ الحماسة والحمية في نفوس الجند ، وعادوا فشدوا على أعدائهم وكان لهم الفوز .

وحدث أن قبائل العجمان بالأحساء، أرادوا أن يستقلوا بأعمالهم ويتصرفوا وحدهم في منطقتهم ، فأبى ذلك عليهم ، وزحف بجيشه فوقعت بينه وبينهم عدة معارك .

وكاد في النهاية أن يخسر المعركة . وقد أطلق أحدهم عليه في أثنائها رصاصة أصابته في حزامه المملوء بالرصاص ، حول وسطه ، فانفجرت أربع رصاصات منها ، وشقّت بطنه شقاً تدلّت منه أمعاؤه . فأسرع إلى ربطها بحزام آخر ، وعاد إلى ميدان المعركة . وكان الجند قد ضعفت عزيمتهم ، وتزعزعت شجاعتهم لـمّا أصاب قائدهم ، فوقف جلالته وقال لهم : أيها الإخوان ! لو أنني بقيت وحدي دونكم فلن أتقهقر . وقد عزمت على أن أُدفن هنا أو أبلغ النصر . فمن شاء أن يبقى معي فليعمل مشكوراً ، ومن شاء أن يعود فليرجع إلى أهله غير مأسوف عليه .. فأجابه الجند : نحن معك يا عبد العزيز حتى الشهادة . وكان الفوز لهم في النهاية . ودارت الدائرة على القبائل .

وثالثةُ هذه المزايا حكمته وأناته في معالجته لأمور دولته . وهو يتوخى حلّ المشاكل بالسلم أولاً . كما أنه متسامح مع خصومه واسع الصدر ،

لا يدّخر وسعاً في استخدام المرونة ووسائل اللين ، ولا يلجأ إلى الشدّة حتى يستنفد هذه الوسائل .

وأذكر أنه لما وقع الخلاف بينه وبين الإمام يحيى إمام اليمن السابق ، لم يتعجل الشدة ، وجعل يحاول حلّ ما وقع بينهما من خلاف باللين والحلم . حتى كدنا نحن أبناءه ورجال دولته أن نرميه بالضعف . فلم يعبأ بنا ، وسار في طريقه إلى الحدّ الذي لا ملام عنده للائم . ثم اضطر إلى السيف اضطراراً .. وعندما توسط سادة من العرب بين الملكين كان سريعاً إلى الكفّ عن القتال .

وقد تمّ بفضل سياسة الحكمة والحزم التي يسير عليها في إدارة بلاده الواسعة ، إقرار الأمن فيها على منوال غير معروف في أكثر البلاد حضارة ومدنية . فاطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية . والفضل في ذلك إلى يقظته الزائدة وأخذه المجرمين بالشدة .

وأما جلالته كأب ، فأستطيع أن أقول : إن كل فرد في شعبه يعتبره أباً له . لما عرف عنه من عنايته بأبناء رعيته وعطفه الكبير وحنانه الواسع .

إن والدي في تربيته لنا ، يجمع بين الرحمة والشدّة ، ولا يفرّق بيننا وبين أبناء شعبه . وليس للعدالة ميزانان يزن بأحدهما لأبنائه ، ويزن بالآخر لأبناء الشعب . فالكلّ سواءٌ عنده والكلّ أبناؤه . وأذكر أن أحد إخوتي الأطفال اعتدى على طفل آخر ، فما كان من جلالته إلاّ أن عاقبه ولم يشفع له أنه ابن الملك ...

وليس لشفقة والدي وحنانه على أبنائه وأحفاده حدود . بل يغمرهم بعطفه في كل آن . وهو يحب أن يراهم يومياً ، وخاصة صغارهم . فيجتمعون بعد مغرب كل يوم في قصره ، ويجلس إليهم فيلاطفهم واحداً واحداً . ويقدم إليهم الهدايا والحلوى ...

ويحب جلالته المباسطة على المائدة خلال تناول الطعام . ويمازح أبناءه وجلساءه ويحادثهم أحاديث طلية لا أثر للكلفة فيها ، ويعاملهم معاملة الصديق للصديق .

ويحب جلالته الانتفاع بالعلوم الحديثة . ويرى أن نأخذ من المدنيّة أفضل ما فيها ، ونترك مساوبها .

وجلالته متفائل اليوم بالتعاون القائم بين رؤساء الدول العربية وقادتها وشعوبها ، ويرى أن جامعة الدول العربية خير وسيلة في العصر الحديث لجمع كلمة العرب والدفاع عن حقوقهم ، وتضامنهم في كل ما يعرض من مشاكل .

أما قضية فلسطين ، فهو متفق مع ملوك العرب ورؤسائهم ، في آرائهم وأهدافهم بشأنها . ومن رأيه أن مشاكل البلاد العربية الأخرى كالجزائر وتونس ومراكش وغيرها ، ينبغي أن تحل ، وأن تنال هذه البلاد حريتها واستقلالها . غير أن معالجتها لا تكون جملة بل تكون على مراحل . والزمن كفيل بتحقيق الأماني ..

إلمامة[1]

تتجاوب اليوم أسلاك البرق بين عواصم العالم ، وعاصمة العربية السعودية ، بتهنئة عاهل الجزيرة ، الملك عبد العزيز آل سعود بعيد جلوسه .

وتعيد هذه الذكرى إلى الأذهان ، أحداث نصف قرن لم يعرف قلبُ الجزيرة مثلها منذ عصر النبوة .

إمارات تتوحد ، وأُمة تتكون ، ودولة تُبنى ، وحضارة تشاد ، وتحوّل في الأخلاق والعادات ، من فوضى إلى نظام ، ومن إسفاف إلى إصعاد .

في أقل من خمسين سنة ، استطاع رجل واحد أن ينشئ ، بين البحر الأحمر وخليج العرب ، ما عجز اثنا عشر قرناً عن إنشائه أو الإتيان بمثله .

بين أيدينا وتحت أبصارنا ، سطور من التاريخ الحديث تتحدث عن آل سعود قبل مائتي عام ، فتعرفنا أنهم ناصروا الدعوة إلى التوحيد ، أيام عاد محمد بن عبد الوهاب إلى نجد ، ونظر فإذا الناس من حوله لا زاجر لهم من دين أو نظام : أتباع أهواء ، كلّ حربٌ لكلّ . فقال : إن لم يكن الوازع لهم من سلطانهم ، فليكن الوازع من إيمانهم . إنهم في خصام ، فليؤمنوا بدعوة السلام : كلٌّ أخ لكلّ .

وانتشرت الدعوة ، تؤيدها القوة . فتكاثر جمع « المتدينة » من « الإخوان » وكان لآل سعود من السلطان في ذلك العهد ما كان .

---

(١) ألقاها المؤلف ، بالمذياع في القاهرة ، يوم ٤ صفر ١٣٦٥ هـ / ٨ يناير ١٩٤٦ م في ذكرى جلوس الملك عبد العزيز .

ولد عبد العزيز في الرياض ، عاصمة آبائه وأسرته ، فلم يكد يعي حتى سمع السمّار يتحدثون عن مُلك ذهب ، ودولة طغى عليها عدوان الجيران . لقد كان آل رشيد تغلبوا على آل سعود . بل لقد وجد عبد العزيز نفسه محمولاً في ما يشبه الخرج على بعير ، في رحلة مع أبويه وخاصتهما ، يبرحون الرياض في الآفاق نائين عن أعين آل رشيد ، يقيمون في هذه القبيلة حيناً ، وفي الربع الخالي حيناً ، ثم يُلقون عصا التسيار في الكويت ، ويترعرع عبد العزيز في عشرة آل صباح وداهيتهم « مبارك » .

وأبت على عبد العزيز نفسه إلا أن يشب . لقا خُلق عبد العزيز لغير ما خُلق له غيره من أبناء جيله . إن عليه أن يعيد ملك آبائه ، وعليه أن يقيم الملك على دائم تمر بها الأعاصير وهي شامخة .

استردّ الرياض ، وانتزع الخَرْج والحريق والحوطة والأفلاج ووادي الدواسر من بين شدقي عدوه .

ومضى يدفع غارات ابن رشيد بيد ، ويمتدّ إلى ما يفتح الله عليه بيد . وتألب الترك وآل رشيد بعد استيلائه على القصيم ، فكانت له معهم ملاحم « البكيرية »وغيرها ،وخرج منها يطارد عدوه ،حتى رآه يخرّ صريعاً بين يديه .

وعمدت سياسة الترك لضرب سلطان نجد بشريف مكة ، فأمدت هذا بالمال والرجال ، فزحف إلى أطراف نجد ، فظفر بأسيرٍ أطلقه بعد يسير . وكانت لا تزال للترك قلاع في الاحساء والقطيف ، فجعل عبد العزيز ردّه على الترك اكتساحها .

ونشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م ، فدار حديث في إحدى خيام عبد العزيز ... قال السر برسي كوكس : «أتذكُر ، يا طويل العمر ، ما قاسيت من نجدات الترك لعدوك ابن رشيد ؟ قال : « ما حان لي أن أنسى ». قال : « ألا ترى ما يراه الناس من تحفز العراق والشام والحجاز للثورة على الترك ؟ » قال : « أرى » قال : « ألا تكون رايتهم رايتك ، ولك بعد ذلك ملك العرب ، وإن شئت فخلافة الإسلام ؟ » قال : « لا » ! . قال : « ألا

تنتهزها فرصة فتنتقم ؟ » قال عبد العزيز : « لا ... لن يقول الناس ثار عبد العزيز على دولة تتسمى بدولة الخلافة في عهد محنتها »

وبعد عام أو عامين كان ساسة لندن يقولون : « فشل برسي كوكس في الرياض ونجح لورنس بمكة »

وتتابعت الحوادث فتنمر آل عائض في عسير ، وقامت للأشراف دولة في الحجاز . فتلفت عبد العزيز ، فلم يكن أمر « عسير » بالعسير . وكانت له دولة الحجاز .

خلص المُلك لعبد العزيز في نجد والأحساء والقطيف والحجاز وعسير وتهائم اليمن ، وضرب بيد من حديد على كل قوة طائشة ، فأخضع العصيّ ، وأمن الخائف ، فكان الاستقرار ، وكان الأمن الذي لم يألفه أهل هذه الأقطار .

وجاء دور الامتحان : هل ثبت المُلك ؟ ذرّ قرن الفتنة في الملك الفسيح ، ثورة عمياء في نجد يقوم بها الدويش وابن بجاد وابن حثلين ... وثورة في شمالي الحجاز يبرز بها ابن رفادة . وثورة إدريسية في الجنوب . وقال العرب وغيرهم : أتنهض بابن سعود عزيمتُه وتجاربه ؟

عبد العزيز موفق ، له من الغيب عون . ذهب الدويش وصاحباه ومن معهم مع الريح ، ولم يخرج من جموع ابن رفادة حَيّ ... واندرست دولة الأدارسة . وكان لصداقة الأخوين في صنعاء والرياض دويّ . ولو كتبت معاهدة لوزان بالقلم الذي كتبت به معاهدة الطائف ، ما نشبت حرب العالم الثانية .

هذه هي الصفحة الحمراء من سيرة ابن سعود : صفحة الفتوح والوقائع صفحة الدم ...

وللصفحة البيضاء من سيرة الإمام عبد العزيز جمالها وجلالها . عبد العزيز رجل عرف كيف يعيش .

يعيش لطاعة ربه ، ولرعيته ولأبنائه ولنفسه .

لقد عمر ما بينه وبين الله ، فلم يعرف الشيطان إلى قلبه سبيلاً . وهو يعدّ

نفسه مسؤولاً عن كل فرد من رعاياه كأنما هو من أبنائه . يحب كل ابن من بنيه كأنه ليس له سواه . ويتمتع بكل ما أحلّ الله من متع الحياة .

عبد العزيز منشىء عرف كيف يبني .

وكل حجر من بناء الدولة السعودية هو من صنع يده ، وكل نظام أخذت به الجزيرة هو من وحي عقله ، وكل خطوة تقدمت بها في مضمار الحضارة هي من ثمار تجاربه .

سلخ التركُ خمسمائة عام في بعض أطراف الجزيرة جاهدين لتحضير آحاد من البدو ، فلم يفلحوا . وفي بضع سنوات من حكم ابن سعود انقلب العدد الجم من أهل المضارب والخيام ، إلى سكان قرى ومدن .

عشرات الآلاف من السنين مرت بالجزيرة ، والحكم فيها لمن غلب — غزو ونهب — لا أمن لضعيف ولا سلامة لأعزل .

لم تعرف الطمأنينة إلاّ مرةً كانت الأولى من نوعها في عهد ظهور الإسلام . وجددها عبد العزيز فأصبح الأمن في بلاده الواسعة وصحاريه الشاسعة مضربَ المثل .

عبد العزيز يغضب ككل إنسان ، ويرضى ككل إنسان .

ولكنه إذا غضب أسرع فحاسب نفسه ، وإذا رضي عرف لماذا يرضى .

عبد العزيز حَذِر ، يألف ويؤلف ، ولكنه لا يثق ... وإذا وثق تزلزلت الجبال ، ولم تتزلزل ثقته .

للمَرح ساعته عند ابن سعود ، وللعمل ساعاته .

خمسة وأربعون عاماً من حياته، لم يختلف في يوم منها برنامجه ونظامه إلاّ لطارىء . خمسة وأربعون عاماً يتلى بين يديه في ساعة معينة كلّ يوم منها ، فصل من التفسير ، وفصل من التاريخ ، يُختم على الأكثر بالمناقشة في أهم ما اشتمل عليه .

ما رأيتُ أحداً يـُعْنى بتربية أبنائه بنفسه وتدريبهم وتخريجهم في حال طفولتهم كالملك عبد العزيز .

كرم لا يجارى : أمر عاملاً له بأن يكرم فلاناً بثلاثة آلاف ، وكتب المبلغ بالأرقام فجاءت الأصفار أربعة .. فتردد العامل وأبرق يسأل . فلما عرض الأمر على الملك قال : لا يكون قلم عبد العزيز أكرم من عبد العزيز . وصرف لفلان ثلاثو ن ألفاً .

البَيتُ السّعوديُّ، هوَ بيتُ دَعوةٍ، قبْلَ أنْ يكونَ بيتَ مُلكٍ!

فيصَل بن عَبْدِ العَزيز

المَلك عَبْد العَزيز

لمحة من سيرة أسلافه

يجب أن نعود إلى الثلث الأول من القرن الثاني عشر للهجرة ، أي قبل نحو مئتين وخمسين عاماً ، لنرى بين من حكموا « الدرْعية » في نجد ، اسم الأمير « سعود » الذي ينتسب إليه آل سعود اليوم . وهو سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المُرَيْدي [1] .

وعند مانع هذا ، وقف مؤرخ الدولة السعودية ابن بشر ، في نسب آل سعود .

وكان مانع من المُرَدة ، من سكان بلد قرب القطيف يسمى بلد الدروع ، أو الدرعية ، نسبة إلى آل درع ، حكام نواحي القطيف ، ومنهم حكام « حَجْر اليمامة » و « الجِزْعة » وعلى أنقاض « حَجْر » قامت ، فيما بعد ، مدينة الرياض .

وانتقل مانع[2] بأهله ورجاله من جوار القطيف إلى « مرتفَع » في وادي

---

(١) المريدي ، بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء ، كما في اللباب لابن الأثير ٣ : ١٣٨ في ذكره «مريدياً» آخر من رجال الحديث .

(٢) أنظر عنوان المجد ١ : ١٦ ويلاحظ قوله : «وفيها قدم ربيعة بن مانع » وهو من خطأ الطبع ، والصواب «مانع» كما يظهر في الصفحة نفسها .

حنيفة يشتمل على قريتي « المُلَيبيد » و « غَصيبة » على نحو ١٢ ميلاً من الرياض . أنزله فيه بعض أبناء عمومته من أصحاب حَجْر اليمامة . وبنى هو ومن كان معه مساكن فيه ، من اللبن والحجارة المركزة على الطين ، وسموه « الدرعية » على اسم بلدتهم الأولى . ونقل سليمان بن صالح الدخيل ، الدوسري النجدي[1] عن مثير الوجد[2] أن مانعاً استقلّ بالإمارة سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وأضاف أنه توفي نحو سنة ٨٥٨ (١٤٥٤ م) وخَلَفَه ابنه « ربيعة بن مانع » فترأس أهل الدرعية ، عقب وفاة أبيه . وتكاثر سكانها . واتسعت إمارته . فأراد ، فيما يبدو ، توسعة الدرْعية بالاستيلاء على جانب من أراضي آل يزيد ، وكانت لهم قريتا « النُعَيْمة » و « الوَصِيل » المجاورتان للدرعية ، فدفعوه ، فقاتلهم ، كما يقول ابن بشر . من دون أن يذكر سبب قتاله لهم .

وقوي ابنٌ لربيعة ، اسمه « مُوسى » فاستولى على الإمارة في أيام أبيه . وحاول أن يقتل أباه فأصابه بجراح . ونجا ربيعة بنفسه ، فخرج من الدرعية لاجئاً إلى العيينة ، وأجاره رئيسها .

واستقرّ « موسى بن ربيعة » في الحكم ، فقضى على شوكة جيرانه آل يزيد ، من بني حنيفة، وأجلاهم عن قريتيهم وألحقهما بأراضي الدرعية ، بعد أن دمر منازلهم .

وحكم بعده ابنه « إبراهيم بن موسى » ثم « مَرْخان بن إبراهيم »

وبعد وفاة مرخان ، تأمر ابنه ربيعة ، أو ابناه ربيعة ومقرن ، مشتركين وحجّا معاً سنة ١٠٣٩ (١٦٣٠ م)

وتنازع على الإمارة بعدهما ابناهما : وَطْبان بن ربيعة بن مرخان ، ومرخان بن مقرن بن مرخان ، فقتل وطبانُ مرخان سنة ١٠٦٥ (١٦٥٥ م)

---

(١) في مجلة لغة العرب البغدادية ٣ : ٢٢٨

(٢) الصفحة ٣١

وفرّ إلى بلد الزبير ، في العراق .

وحكم الدرعية ناصر بن محمد بن وَطْبان بن ربيعة بن مرخان . وقُتل سنة ١٠٨٤ (١٦٧٣ م) فتولاها محمد بن مقرن ، إلى أن توفي سنة ١١٠٦ (١٦٩٤ م)

وتأمَّر بعده إبراهيم بن وطبان ، فقتله رئيس بلد الرياض في السنة نفسها . وخلفه أخوه إدريس بن وطبان ، فقتل أيضاً سنة ١١٠٧ (١٦٩٥ م) أي بعد عام واحد من مقتل أخيه .

وتسلط على الدرعية بعده رجل يقال إنه من بني خالد ، من الأحساء ، اسمه سُلطان بن حَمَد القبْس ، واستمر حكمه إلى سنة ١١٢٠ (١٧٠٨م) وقتله بعض أهلها ، فخلفه أخ له اسمه عبدالله فلم يلبث أن قتل أيضاً بعد نحو عام .

وتولى موسى بن ربيعة بن وطبان سنة ١١٢١ (١٧٠٩ م) فاستمر إلى ١١٣٢ (١٧٢٠ م) وخلعه أهل الدرعية ، فرحل لاجئاً إلى « العُيَيْنَة » وقتل فيها سنة ١١٣٩ (١٧٢٧ م)

سعود الأول

وبعد خلع موسى ، سنة ١١٣٢ (١٧٢٠ م) تولى سُعود بن محمد بن مُقْرن إمارة الدرعية ، في السنة نفسها . وهو الذي تنتسب إليه أُسرة آل سعود . وكان من رجال الحرب في صباه : حضر معارك ، ذكر منها ابن بشر أنه في أيام أبيه محمد بن مقرن ، كان مع عبدالله بن معمَّر صاحب العُيَيْنة في غارة على «حُريملا» سنة ١٠٩٦ (١٦٨٥ م) وكانت الهزيمة على أهل حريملا . ولم يتوسع مؤرخوه في أخباره . توفي سنة ١١٣٧ (١٧٢٥ م) ومن أولاده : محمد ، ومشاري ، وثنيّان ، وفرحان .

زيد بن مَرْخان

وبعد وفاته ، قام بإمارة الدرعية زيد بن مرْخان بن وَطْبان . وهو يومئذ أكبر رجال الأسرة سناً . وفيه وهن وضعف في الرأي والتدبير . فلم يلبث أن زاحمه حفيدٌ لأحد إخوته ، اسمه مقرن (على اسم جده مقرن بن مرخان) وهو أخو سعود الأول أبي آل سعود . وتولى مقرن بن محمد بن مقرن إمارة الدرعية . واعتكف زيد في منزله لا يخرج منه إلاّ للصلاة مع الجماعة . واستزاره مقرن إلى دار الإمارة ، مظهراً أنه يريد الاستئناس برأيه . ولم يطمئنّ زيد إلى هذه الزيارة ، فشجعه عليها ابن أخيه «محمد بن سعود» وقام معه في بعض رجالهما . فلما دخلوا على مُقرن فوجئوا بشيء من الاستعداد للغدر بزيد . فوثب محمد بن سعود ومن معه على عمه مقرن ، فقتلوه . وردّوا زيداً إلى الإمارة سنة ١١٣٩ (١٧٢٦ م)

وكان قد انتشر في بلدة العُيينة [١] وباء أفنى الكثير من رجالها . وهي من أغنى بلاد نجد . وآلت رئاستها إلى محمد بن عبدالله بن معمّر ، الملقب بخُرفاش . واستضعفها زيد ورجاله ، وطمعوا بما فيها من أرزاق وأموال . فسار إليها زيد بجمع كبير . وعمد خُرفاش إلى الحيلة ، فأرسل إلى زيد يخبره بأنه لا يريد حربه ، وأنه على استعداد لإعطائه كل ما يطلب . ودعاه للقدوم إليه مسالماً ، ويكون الحديث بينهما بما له ولرجاله من رغبات . وأقبل عليه زيد في زمرة من كبار أصحابه . واستقبلهم خرفاش في قصره ، وقد أكمن فيه بعض الرماة . فانطلقت البنادق ، فقتل زيد وبعض من معه . وذلك في أواخر السنة المتقدم ذكرها ١١٣٩ هـ (١٧٢٧ م)

محمد بن سعود

ولم يكن لزيد بن مرخان من يصلح ليَخْلُفه من نسله، فعادت الإمارة

---

(١) من بلدان العارض ، على نحو ٦٥ كيلا – كيلومتراً – من الرياض .

(أو الشياخة) في الدرعية ، إلى أبناء سعود ، فتولاها محمد بن سعود بن محمد ابن مقرن قبل انقضاء العام نفسه .

وفي أيامه ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في العيينة . وهو من أهلها . إلا أن أميرها في أيامه عثمان بن حمد بن معمر ، بعد أن قبل دعوته إلى التوحيد، و« إنكار ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال »[١] عاد فتنكر له وطلب منه الرحيل من العيينة . فقصد الدرعية سنة ١١٥٨ [٢] (١٧٤٥) وأكرمه أميرها محمد بن سعود ، وعاهده على إقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الشوكاني : قام محمد بنصر العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد ، المنكرِ على المعتقدين في الأموات ، وما زال يجاهد من يخالفه . وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريباً [٣]

الإمامة

وفي عهد محمد بن سعود هذا، ابتدأ دور « الإمامة » في بيت آل سعود . وكان رؤساؤهم يُدعون بالشيوخ أو الأمراء ، وظلّ محمد كذلك أكثر من عشرين عاماً من إمارته . وإنما دعي بالإمامة بعد اصطباغ سياسته وحروبه بالصبغة الدينية الخالصة : حروبه « جهاد » وغاراته « غزوات » وانتصاراته « فتوحات » ورعاياه « المسلمون » والخروج عن طاعته « رِدة » ومرجع أحكامه الكتاب والسنّة . والمرة الأولى التي دعاه فيها ابن بِشْر بالإمام ، كانت في حوادث ١١٦٦ (١٧٥٣ م) أما ابن غنّام فدعاه بالإمارة إلى آخر

---

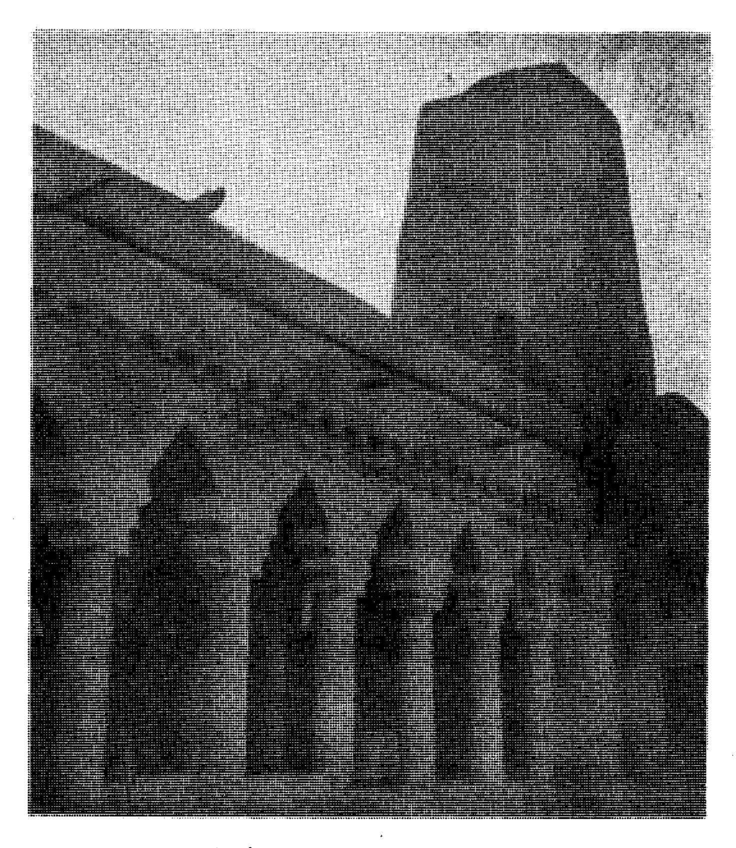
(١) ابن بشر ١ : ٨ — ١٤

(٢) في تاريخ نجد ، لابن غنام ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٨ «سنة سبع أو ثمان وخمسين ومئة ألف» وفي عنوان المجد ١ : ١٥ « سنة ثمان وخمسين الخ» فكأنه رجح الرواية الثانية .

(٣) البدر الطالع ١ : ٢٦٢

حياته ، ولقّب ابنه عبد العزيز بعده بالإمامة.ولزم لقب «الإمام » مَنْ خلفه من آل سعود إلى اليوم .

وكانت وفاة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان ، سنة ١١٧٩ (١٧٦٥ م) عن نحو ٧٠ عاماً ، ودام حكمه أربعين عاماً .



جامع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية

عبد العزيز بن محمد

وخلف محمداً في الحكم ، ولي عهده ، ابنه « الإمام عبد العزيز » وقاعدته الدرعية . وقد عم سلطانها كثيراً من بلدان نجد وبواديها . اشتهر

في أيام أبيه، وشارك في الحروب، وقاد الجيوش[١] ولما بويع بالإمامة سنة ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) تابع فتوحاته . قال خالد الفرج[٢]: «تولى قيادة الجيوش بنفسه وتم توحيد البلاد النجدية على يديه وهو في حروبه القائد المحنك والأمير الحكيم المتواضع، لا يُجهز على الجريح ولا يقتل المدبر» وقال الشوكاني : افتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف ، وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية ، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب[٣].

وفي سنة ١٢٠٢ (١٧٨٨ م) كان قد بلغ السبعين من عمره — ومولده في الدرعية سنة ١١٣٢ (١٧٢٠ م) — وكان بديناً ، فثقل جسمه وآثر الراحة والتعبد ، فأخذ البيعة بولاية العهد لابنه « سعود » وألقى على عاتقه مهام الدولة ، وهو يُمده بالرأي في صعاب الأمور .

وبينما كان عبد العزيز يصلي العصر ، في مسجد الطُّرَيْف بالدرعية ، وثب عليه « درويش » يقال إنه من شيعة العراق انتقاماً لأهل كربلاء ، وكان سعود بن عبد العزيز قد هاجمها سنة ١٢١٦ (١٨٠١ م) وهدم قبة الحسين فيها وقتل نحو ألفين من رجالها[٤] وكان الدرويش يخفي خنجراً فطعن به عبد العزيز . وقُتل الدرويش في الحال فلم يعرف شيء من سيرته قبل دخوله الدرعية[٥] وحُمل عبد العزيز إلى قصره فتوفي فيه ، سنة ١٢١٨ (١٨٠٣م)

قال خالد الفَرَج[٦] : « مات الإمام عبد العزيز ، وحدود مملكته من

---

(١) انظر تفصيل ذلك في تاريخ نجد لابن غنام . والجزء الأول من عنوان المجد لابن بشر .

(٢) في مخطوطته .

(٣) البدر الطالع ١ : ٢٦٢

(٤) أنظر عنوان المجد ١ : ١٢١ — ١٢٤ ومثير الوجد ٤١ وتاريخ بعض الحوادث ١٣٠ وقلب جزيرة العرب ٢٣١ وآل سعود ٤٨ وفي دوحة الوزراء ٢١٧ أن القتلى نحو ألف .

(٥) وفي دوحة الوزراء — ص ٢٢٧ — أن القاتل أفغاني يقال له ملا عثمان سافر إلى الدرعية واختلط بأهلها حتى اطمأنوا اليه . وانظر ما كتبه عنه ابن بشر ١ : ١٢٣

(٦) في مخطوطته

مشارف الشام في الشمال إلى مجاهل الربع الخالي في الجنوب ، ومن ساحل البحر الأحمر في الغرب إلى ضفاف الخليج في الشرق » وقال فؤاد حمزة[١] : « امتد ملكه من شواطىء الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعُمان ، ومن الخليج إلى أطراف الحجاز وعسير »

سعود الكبير

وجددت البيعة بالإمامة لسعود (ويقال له : سعود الكبير) بن عبد العزيز ، سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) عقب وفاة والده .

وفي الأسبوع الأول من هذه السنة (١٢١٨) تم لسعود الاستيلاء على مكة. وكتب للسلطان سليم خان الثالث، الرسالة الآتي نصها ، بعد البسملة :

من سعود بن عبد العزيز السعود إلى سليم .

أما بعد : فقد دخلت مكة في اليوم الرابع من محرم سنة ١٢١٨ وأمنت أهلها مع أرواحهم وأموالهم بعدما هدمتُ ما هناك من أشياء وثنية وألغيتُ الضرائب إلا ما كان منها حقاً ، وأثبتّ القاضي الذي وليته أنت طبقاً للشرع . فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والزمور إلى هذا البلد المقدس فإن ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته . الواثق بالله المعبود — سعود

أربعة جيوش لقتال آل سعود

وفي أيامه أو قبلها ، كانت الدولة العثمانية قد ضاقت ذرعاً باتساع دولة آل سعود ، في جزيرة العرب . واشتد الحنق فيها حين ترامت إليها أخبار « الإمامة » وهي صنو « الخلافة » التي كان يقوم عليها عرش آل عثمان ، فانتدبت أحد كبار قادتها ، عثمان باشا ، وعينته والياً على حلب ، سنة ١٢٢٠هـ ١٨٠٥ م ، وأرسلته بجيش إلى دمشق ، فضم جيشها إلى من معه ، وتوجه إلى

(١) قلب جزيرة العرب ٢٣١

جدّة (١) فوصل اليها سنة ١٢٢١ (١٨٠٦ م) ثم أمرت والييها بمصر والعراق سنة ١٢٢٤ (١٨٠٩ م) بأن يزحف الأول إلى المدينة عن طريق ينبع ، ويزحف الثاني من العراق لمهاجمة الدرعية ، وسيرت جيشاً رابعاً بقيادة يوسف باشا المعروف بالمعدن ، الصدر الأعظم السابق في الدولة (٢). وكان اشتعال جذوة الحرب على يد واليها بمصر ، محمد علي باشا ، فوجه جيشاً قوامه الأرناؤود والإنكشارية ممن تمرد على محمد علي ، وأراد التخلص منهم . وأعقبه بجيش آخر أرغم فيه بعض المصريين على الانخراط فيه وسماهم « متطوعين » وتعاقبت القوى ، ومحمد علي لا يزال «والياً » عثمانياً في مصر . ولهذا كان مؤرخو نجد في أكثر حديثهم عن الوقائع يسمون عساكره بالترك أو الروم (٣) .

وعلم الإمام سعود بالزحف المصري التركي على ينبع والمدينة ، فانتدب ابنه « عبدالله » لقتالهم سنة ١٢٢٦ (١٨١١ م) فمزق حملة محمد علي وكان يقودها ابنه طوسون .

وجهز سعود جيشاً كبيراً قاده بنفسه ، سنة ١٢٢٨ (١٨١٣ م) فنشبت معارك لا مجال لتفصيلها هنا ، حالفه الظفر في أكثرها . ويقول ابن بشر : « لم تهزم له راية » على أن محمد علي باشا كان في الشهر الذي توفي فيه الإمام سعود ، مستقراً بمكة وجدة (٤)

كانت بلاد سعود ممتدة من عُمان (وعامله عليها سلطان بن صقر بن راشد ، صاحب رأس الخيمة) ووادي حضرموت ، ونجران ، وعسير ، إلى شواطىء الفرات ، والبادية السورية إلى قرب دمشق ، ومن الخليج

---

(١) Histoire des wahabis المطبوع في باريس سنة ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) ص ٩٥
(٢) انظر تاريخ الجبرتي : حوادث المحرم ١٢٢٤
(٣) أنظر عنوان المجد ١ : ١٧٩ إلى ٢١٥
(٤) عنوان المجد ١ : ١٧٧

إلى البحر الأحمر[١] وتوفي سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) وهو من أعظم رجال هذا البيت شجاعة وحصافة [٢]

وبويع بعده لابنه الإمام «عبدالله بن سعود » وهو غائب يقود جيش أبيه في طريقه الى الحجاز وعسير . فلما كان على ماء يعرف بالخانوقة[٣] نُعي له أبوه ، فعهد إلى أحد رجاله بقيادة الجيش ، وعاد مسرعاً إلى الدرعية .

الكارثة

وتعددت المعارك، إلى أن كانت« الكارثة » بتقدم المهاجمين ، يقودهم ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا (والي مصر يومئذ) أو ربيبه ، وتغلبهم على الديار النجدية وسواها مما وصل إليه ملك آل سعود. ولم تنفع الإمام عبدالله شجاعته ، فاستسلم لإبراهيم باشا، مُصالحاً، على أن يكون أمره في يد سلطان آل عثمان محمود خان . وحُمل عبدالله يصحبه ثلاثة أو أربعة من أقربائه ، إلى مصر فالأستانة حيث شنقوا في ميدان « أيا صوفيا » وقطعت رؤوسهم ، سنة ١٢٣٤ (١٨١٨ م)[٤]

، ، ،

قُتِل كثير من رجالات آل سعود في الدفاع عن الدرعية قبل استسلام عبدالله . واحتلها ابراهيم في ٨ ذي القعدة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) فظل فيها بضعة

---

(١) قلب جزيرة العرب ٣٣١ وعرض الحكومة العربية السعودية ١ : ١٢٤ وتاريخ المملكة لصلاح الدين المختار ١ : ١٠٠

(٢) انظر سيرته في عنوان المجد ١ : ١٦٥ – ١٧٦ والأعلام ٣ : ١٤٢

(٣) اسمها القديم « الخنوقة » بفتح الخاء وضم النون ، من دون ألف ، كما في معجم البلدان . وفي عنوان المجد :الخانوقة ، ماء معروف في عالية نجد

(٤) تجد تفصيل هذه الأحداث في عنوان المجد ١ : ١٧٦ – ٢١٦ ومصادر حديثة أخرى منها كتاب «آل سعود» ص ٦٨ – ٧٤ ويقول الجبرتي – ٤ : ٣٠٢ – «لما وصل عبدالله بن سعود إلى اسلامبول ، طافوا به البلدة ، وقتلوه عند باب همايون ، وقتلوا أتباعه في نواح متفرقة فذهبوا مع الشهداء .. »

أشهر. ثم قيل : إنه تلقى الأمر من محمد علي باشا، من مصر بتدميرها. فهدمت بيوتها ومساجدها ، سنة ١٢٣٤ (١٨١٩ م) وعاد إبراهيم بجيشه وعتاده إلى القَصِيم فالمدينةالمنورة فمصر سنة ١٢٣٥ (١٨١٩م) وخلف وراءه ضغائن وفتناً ، مما يقع في كل دولة وشعب بعد الهزيمة. ووقعت الحرائب– كما يقول ابن بشر– في نجد ، وتواثب الناس فقتل بعضهم بعضاً في وسط الأسواق ونواحي البلدان .



من أطلال الدرعية

وكان من أغنياء الدرعية رجل من آل معمّر ، اسمه محمد بن مشاري ابن معمّر ، رحل عن الدرعية يوم نودي بهدمها ، ونزل بالعُيَيْنة بلد آل معمر . فلما رحل إبراهيم باشا عن نجد عاد محمد بن مشاري إلى الدرعية وسعى في عمارتها وطمع في إمارتها . قال خالد الفرج : وهو معمّ في آل معمر ، مُخول

في آل سعود . وكاتب أهل البلدان في ترحيل القوافل إليها ، فعاودها وميض من الحياة . ووصل إليها الأمير مشاري بن سعود الكبير ، أخو الإمام عبدالله ومعه رجال من بلدان مختلفة ،فلم يَسَعَ ابن معمر إلا مبايعته (سنة ١٢٣٥ ﻫ ١٨٢٠ م) فكان مشاري أول من حكم الدرعية من آل سعود بعد النكبة . ولكن أمره لم يطل فإن محمد بن مشاري بن معمر ، خرج من الدرعية وجمع جيشاً ودخلها بغتة فقبض على الأمير مشاري بن سعود في قصره وأرسله حبيساً إلى عشيرته في سَدُوس[1] وكان في عُنيزة (بالقصيم) عسكر من الترك ، فكتب ابن معمر إلى قائدهم « أبوش آغا » بطاعته للدوله ، وبأنه قبض على مشاري بن سعود . فأجاب القائد بإقراره في الإمارة . وأمره بإرسال مشاري اليه.



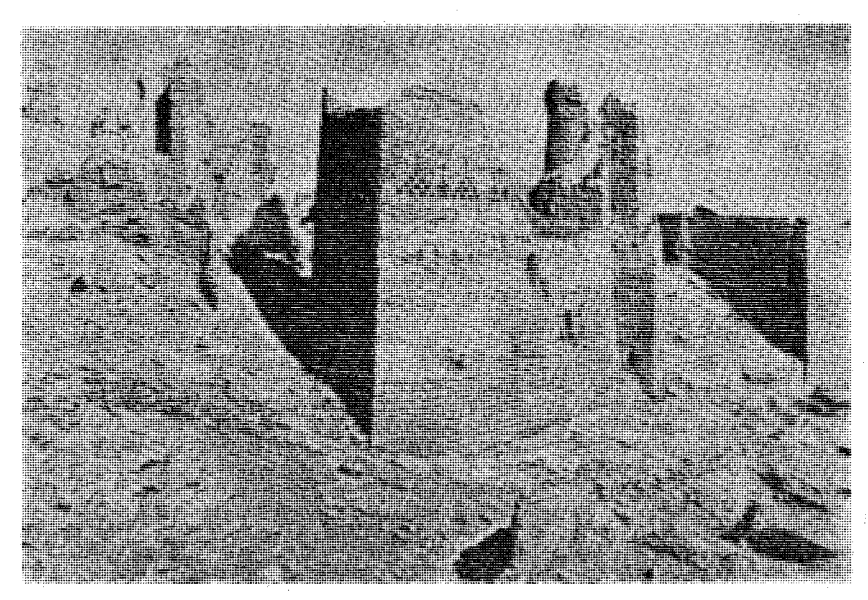
جانب آخر من أطلال الدرعية

وثار على ابن معمر ، في السنة نفسها (١٢٣٥ ﻫ) أمير آخر من آل سعود هو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، فداهم ابن معمر في قصره بالدرعية وقبض عليه،ومعه ابن له اسمه مشاري.ثم دعاهما، فجيء بهما مكبلين . فقال

(١) سدوس : بين الدرعية وحريملا .

للأب : إن أطلقت مشاري بن سعود من حبسه أطلقتك وابنك ، وإلا قتلتكما ! فكتب ابن معمر إلى عشيرته الذين في سدوس بإطلاقه ، فامتنعوا أن يطلقوه خوفاً من الترك ، لأنهم وعدوهم بتسليمه اليهم .. وأقبل عسكر من الترك فنزلوا بسدوس وتسلموه ، في آخر ربيع –١٢٣٥ – فلما تحقق لتركي ذلك ضرب عنقي ابن معمر وابنه مشاري [١]

أما مشاري بن سعود ، فمات في سجن الترك بعنيزة (في رواية ابن بشر) أو في طريقه إلى مصر ، كما يقول الجبرتي ، في السنة نفسها .



أثر العمران في خرائب الدرعية

(١) هذه رواية ابن بشر . أما خالد الفرج ، فعنده أن ابن معمر قام بإرسال الأمير مشاري إلى عنيزة وتسلمه أبوش آغا ، قبل دخول الأمير تركي الدرعية والرياض .

وبينما الأمير تركي في الرياض وصل اليها « أبوش آغا » بجموع من الترك و« الناقمين »على آل سعود، من أهل نجد. فخرج تركي من الرياض خلسة. ودخلها ناصر بن حمد بن ناصر العائذي ، بطلب من بعض أهلها [١] وهو من رؤساء الخرج . فحكمها سنة ١٢٣٦هـ ، وقُتل في أواخر ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) عقب معركة بين الترك وقبائل سبيع ، قرب الحائر ، كان ناصر فيها مع الترك .

إمامة تركي

واستنفر تركي بن عبدالله القبائل ورؤساء المدن . وقاتل من دخل في طاعة الترك . وكان شجاعاً حنكته التجارب ، فظفر ، واسترد الرياض وأدخل في طاعته أكثر البلاد النجدية . وخوطب بالإمامة .

جريمة بين آل سعود

وبعد أن استمر تركي في الحكم من سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) إلى سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣م) اغتاله ابن أخته (وهو أحد أبناء عمه)مشاري بن عبد الرحمن ابن حسن بن مشاري بن سعود . وكان ممن نقلهم ابراهيم باشا إلى مصر ، من آل سعود ، وفرّ منها سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ م) فقدم على الإمام تركي ، وفرح به فولاه على إحدى المدن ، ثم جعله من قادة جيوشه ، واكتشف الإمام تركي انه يعمل في مؤامرة عليه ، فعزله ، ولم يحسن الحذر منه . والتف حول مشاري بعض من خالطهم من الخدم والغوغاء ، فلما كان تركي خارجاً من المسجد في الرياض بعد صلاة الجمعة ، اندسّ بقربه خادم (من العبيد ، كما يقول ابن بشر) اسمه إبراهيم بن حمزة ، فأدخل « طبجة »كانت معه ، في كمّ الإمام تركي ، وهو مشغول بقراءة ورقة ، فثارت الطبنجة ووقع الإمام ميتاً (سنة ١٢٤٩هـ ، ١٨٣٣ م)[٢] وكان قتله من كبريات الجرائم ، قال فؤاد

(١) تاريخ بعض الحوادث ١٤٩ وعنوان المجد ١ : ٢٣١

(٢) عنوان المجد ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ — ٦٣

حمزة[١] : أنتجت فيما بعدُ أوخم العواقب ...

وجلس مشاري للناس في قصر الرياض ، فبايعوه ، اتقاء للفتنة . ووصل الخبر إلى فيصل بن تركي وهو في بعض نواحي القطيف . وكان قد فر من مصر سنة ١٢٤٣ ﻫ ، ولحق بأبيه تركي في الرياض. فلما علم بمقتله ، جمع من تهيأ له جمعهم من الأحساء ، وقدم بهم الرياض ، فدخلها في غفلة من مشاري ، واقتحم القصر . وبعد عراك يسير مع رجال مشاري صعد بعض اعوان فيصل الى أعلى القصر ، وفي مقدمتهم عبدالله بن علي بن رشيد رئيس بلد شمّر ، فقتلوا ستة رجال ، بينهم « مشاري »

الإمام فيصل

وبويع بالإمامة فيصل بن تركي ، في قصر الرياض ، أوائل سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤ م) وظلت بلاد نجد مضطربة . وبعد أقل من عامين أرسل محمد علي باشا والي مصر ، إلى فيصل ، يطلب منه إرسال عشرة آلاف جمل ، لمساعدة حملة ذهبت من مصر لإخضاع عسير ، فلم يفعل ، وعدّ محمد علي ذلك « عصياناً » من فيصل عليه .

وكان ممن نشأ في مصر « خالد »[٢] بن سعود بن عبد العزيز بن محمد ، فأرسله محمد علي باشا مع قوة عسكرية سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) لقتال فيصل . ونشبت بينهما معارك انتهت بالصلح بين فيصل وقائد الحملة (خورشيد باشا) في رمضان ١٢٥٥ (١٨٣٨ م) على أن يسافر فيصل إلى مصر ويقيم فيها .. ووجّهه خورشيد اليها ، حيث أمضى أربع سنوات مبعداً عن بلاده .

وتولى خالد بن سعود حكم الرياض متسمياً بالإمارة ، قريباً من عامين . ومال الى اللهو ، فنفر منه أصحابه . وثار عليه عبدالله بن ثنيّان بن إبراهيم

---

(١) قلب جزيرة العرب ٣٣٥

(٢) أخو الإمام عبدالله بن سعود ، الذي استشهد صبراً في الأستانة .

ابن ثنيان بن سعود ، فترك الرياض إلى الدمام سنة ١٢٥٧ (١٨٤١ م) ومنها إلى الكويت ، ثم إلى مكة . .

عودة فيصل

واستطاع فيصل بن تركي الانفلات من معتقله في مصر ، هارباً من الروم (كما يقول ابن بشر) سنة ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) فعاد إلى نجد ، ودخل الرياض ، وعليها عبدالله بن ثنيان . وقاومه هذا ، فحصره فيصل في قصر الرياض إلى أن ظفر به ، وحبسه ، فمات في الحبس بعد منتصف السنة نفسها .

ودانت للإمام فيصل الأحساء والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير ، ما عدا عنيزة (في القصيم) فإنه ترك لأميرها زامل السُلَيم استقلاله في شؤونها ، إلى حين .

أما خالد بن سعود ، فإنه بعد إستقراره في مكة ، شوهد سنة ١٢٦٣هـ مع شريف مكة محمد بن عبد المعين بن عون أيام محاربته للإمام فيصل بن تركي. ثم مات في جدة ، بداء الحمى ، سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨ م) على الأرجح .

وانتظم الأمر لفيصل . وهو جدّ الملك عبد العزيز ، وكان عبدالعزيز كثيراً ما يقول اذا انتخى : أنا ابن فيصل !

ويشير فلبي [١] إلى أن المقيم البريطاني في الخليج ، الكولونيل بيلي colonel Leuvis Pelly زار الرياض في أيام الإمام فيصل ، وعقد معه «اتفاقية عربية إنكليزية » ولكنه لم يذكر تاريخ توقيعها وقال : إن نصوصها لم توجد في سجلات الرياض .

وكُفَّ بصر الإمام فيصل ، في أواخر أيامه، فباشر أعمال الدولة ابنه عبدالله يعاونه ابنه الثاني محمد ، وهو – أي الإمام فيصل – المرجع الأعلى فيها ، إلى أن توفي في الرياض ، سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥ م)

وخلـّف فيصل أربعة أولاد :

---

(١) في تاريخ نجد ٢٤٨

١ — عبدالله : أكبرهم سناً . يوصف بالكرم والتقى، مع تشدّد في أمور الدين . كان أميراً في الرياض . وجعل له أبوه ولاية العهد .

٢ — وسعود: ثانيهم في السنّ . أميل إلى التسامح في أمور الدين من عبدالله . كان أميراً على الخرج والأفلاج .

٣ — ومحمد: سترد أخباره .

٤ — وعبد الرحمن : والد الملك عبد العزيز . كان أصغرهم . يقيم في الرياض إلى جانب أخيه عبدالله .

وكان عبدالله وسعود ، متنافسين من أيام أبيهما ، معروفاً ذلك عنهما .

عبدالله بن فيصل ، والخلاف ...

وبعد وفاة الإمام فيصل بن تركي ، تولى الإمامة كبير أبنائه عبدالله بن فيصل ، سنة ١٢٨٢ (١٨٦٥ م) وفي عهد هذا كان الخلاف الذي جرّ الى تحكّم آل رشيد في البلاد ، وإلى انبساط يد الترك في ما نسميه اليوم « المنطقة الشرقية » : الأحساء والقطيف .

خرج عليه أخوه سعود ، وترك الرياض ناقماً ، سنة ١٢٨٣ فقصد حاكم عسير ، محمد بن عائض مستنجداً لقتال أخيه عبدالله، فلم ينجده . ومضى إلى رئيس نجران السيد المكرمي الاسماعيلي ، فنهض لشدّ أزره . ولباه آخرون[١] وحشد جمعاً من قبائل آل مرة والعجمان . فسير إليه عبدالله قوة من الرياض يقودها أخوهما الثالث محمد بن فيصل، في السنة نفسها؛ وانهزم سعود في «المعتلى» قرب وادي الدواسر ، وأُصيب بجراحات فعولج في بادية الأحساء . وقصد البحرين ، فأكرمه آل خليفة . وتجهز عندهم وأغار على الأحساء فقاتله أهلها ، والأمير عليها من قِبَل عبدالله ، أحمد بن محمد السُديري ، فظفر سعود وحصرهم في الهفوف . وعلم أن أخاه عبدالله ، وجّه لقتاله

---

(١) أنظر «عقد الدرر» لابراهيم بن صالح بن عيسى ، طبعة وزارة المعارف السعودية الصفحة ٤٩

جيشاً يقوده محمد أيضاً. فترك الهفوف (ويقال لها الهفهوف) وتصدّى لأخيه محمد، فتلاقيا على «ماء جُودَة» في غربي الأحساء على نحو ١١٥ كيلاً (كيلو متراً) من الهفوف، في ٢٧ رمضان ١٢٨٧هـ (١٨٧٠ م) وانهزم جيش محمد، وقتل منه نحو ألفين، ووقع محمد في أسر أخيه سعود، فسجنه في القطيف، وتم له الاستيلاء على الأحساء.

وعلم عبدالله في الرياض، بما حدث في الأحساء، فارتاع، وخرج من الرياض بأهله وخاصته إلى ناحية جبل شمّر. وخيّم على ماء يدعى «البُعيثة» وبلغ منه الهلع أن يلوذ من الرمضاء بالنار، فأرسل أحد رجاله (عبدَ العزيز بن عبدالله أبا بُطَيْن) برسائل وهدايا إلى والي بغداد مدحت باشا، ومتصرف البصرة، ومحمد النقيب، يستنصرهم على أخيه سعود! ويا لها من زلة!

وأقبل سعود على الرياض (صفر ٨٨) فبويع فيها. وأخبره أهلها أن عبدالله عاد من البُعيثة (القعدة ٨٧) ثم اتجه إلى بادية قحطان.

ولم يصبر سعود عن مطاردة أخيه ومن معه من قحطان، فقابلهم على البَرّة (على نحو ١٣٠ كيلومتراً غربي الرياض) في ٧ جمادى الأولى فهزمهم. ونجا عبدالله، فنزل في «رُوَيضة العِرْض» قرب القُويعية. وبها جاءته الرسل من الأحساء يدعونه إليها ويخبرونه بأن والي بغداد التركي استعان بناصر باشا السعدون، رئيس قبيلة المنتفق، وعبدالله بن صباح حاكم الكويت، وأرسل قوة بقيادة نافذ باشا، وساعدهم بنو خالد – أنصار عبدالله – فدخلوا القطيف وأطلقوا محمداً من الأسر، واستولوا على الأحساء سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م)

ونهض عبدالله من رويضة العِرْض، إلى الأحساء، فرآها قد جُعلت «متَصرفيّة» عثمانية تابعة للبصرة، وقد سُمّيت «متصرفية نجد» ولم تبق له، ولا لأخيه سعود!

وانتقض أهل الرياض، على سعود، يتقدمهم عمه عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، فغادرها سعود إلى بَوادي العُجمان وآل مرّة.

وهاجم الأحساء ، فقاتلته عساكر الترك (العثمانيين) ومعها أخوه عبدالله ، في (الخُويرة) قرب الأحساء، في رجب ٨٨ وانهزم سعود ...

وخرج عبدالله خلسة من الأحساء ، ومعه ابنه تركي[١] وأخوه محمد بن فيصل ، فدخل الرياض ، وكان يتولاها عبدالله بن تركي[٢] بن عبدالله ، واستبشر أهلها بعبدالله بن فيصل .

واستقر عبدالله بن فيصل ، نحو أربعة أشهر . وهاجمه أخوه سعود ، بجموع من العُجمان والدّواسِر ، فقاتله عبدالله في الجِزْعة (من ضواحي الرياض) وظفر سعود ، فدخل الرياض (محرّم ١٢٩٠) وأسر عمه عبدالله بن تركي ، فمات في حبسه بعد أيام قليلة . ورحل عبدالله بن فيصل إلى جهة الكويت ، فخيّم في الصُبيحية عند بادية قحطان . ثم انتقل إلى البادية بين القصيم والأحساء ، ومعه أخوه محمد .

في الأحساء ، وكارثة في الهفوف

وكان سعود ، قد أرسل من الرياض أصغر إخوته «عبد الرحمن» إلى بغداد ، ليسعى لدى حكومتها في التخلي له عن الأحساء . وأقام عبد الرحمن قِراب عامين ، على غير جدوى . ورجع يائساً — سنة ١٢٩١ هـ ، ١٨٧٤ م — فمرّ بجموع من العُجمان وآل مرة ، في بادية الأحساء ، فحالفوه على قتال الترك في الأحساء . فجرّب القوة بعد أن أخفقت السياسة ، فهاجمها وناصره أهلها واستولى عليها ، ما عدا قلعتها . وأقام فيها عشرة أسابيع .

وبعث والي بغداد إلى رئيس المنتفق ناصر بن راشد السعدون ، يولّيه الأحساء والقطيف . وزحف هذا بفيلق من المنتفق ومن الترك . وبعد عراك

---

(١) توفي تركي بعد ذلك في حائل سنة ١٣٠٧ كما في هامش على عقد الدرر ٦٦ وفيه : وليس لعبدالله بن فيصل اليوم عقب إلا ابنة اسمها سارة .

(٢) هو جد المعروفين اليوم بآل تركي . انظر عقد الدرر ٦٨

(في آخر القعدة ٩١) دخل السعدون الهفوف، وأباحها للقتل والنهب ثلاثة أيام .

وفاة سعود بن فيصل

وعاد عبد الرحمن (منهزماً) إلى الرياض ، فوجد أخاه سعود بن فيصل مريضاً من أثر جرح كان قد أُصيب به[١] في معركة مع أحد رؤساء عتيبة «مـُصْلَت – ويلفظونها مصلَط – بن ربيعان» في السنة نفسها ، على ماءٍ يقال له طَلال[٢] وتوفي بعد وصول عبد الرحمن، في ١٨ ذي الحجة ١٢٩١ (١٨٧٥م)

عبد الرحمن

وبايع أهل الرياض «عبد الرحمن» إماماً وحاكماً . فأقام نحو عامين . وقاتله أخوه محمد بن فيصل في «ثَرْمَدا» من بلاد الوَشْم ، غربي الرياض . وكادت الشحناء تتجدد بين آل سعود . ثم تصالحا . ووصل عبدالله (أخوهما الأكبر) إلى الرياض ، قافلاً من البادية ، فنزل له عبد الرحمن عن الإمامة سنة ١٢٩٣ توقيراً له ، لكبر سنه . ولم يرض أبناء « سعود بن فيصل » بعمهم عبدالله ، فخرجوا ناقمين إلى «الخرج»

وابن رشيد !

وبرز لعبدالله منافس جديد ، ليس من أهله ولا من بلده . هو محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد . وسيأتي ذكر آل رشيد في فصول مسهبة . وكان أول من ولي الإمارة منهم عبدالله بن علي، أبو «محمد» هذا . خدم الإمام فيصل ابن تركي ، وقاتل معه ، فولاه فيصل إمارة جبل شمَّر (حائل وما حولها) سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) وكانت من الإمارات التابعة لآل سعود . وتداولها

---

(١) قلب جزيرة العرب ٣٣٨

(٢) قال ابن بليهد : طلال ، منهل ماء دارت فيه معركتان في القرن الثالث عشر ، موضعه في بلاد غطفان . ورجح أن يكون هو الوارد في معجم البلدان ٦ : ٨٧ باسم ظلال – بالظاء وتشديد اللام – وفيه : هو ماء قريب من الربذة ، عن ابن السكيت ، وقال غيره : هو واد بالشربة . انظر صحيح الأخبار ٥ :١٢ – ١٤ وعلق الأستاذ حمد الجاسر ، فيتاريخ بعض الحوادث ١٨٥ بأنه ماء في عالية نجد .

بعد عبدالله بن علي بعض أبنائه وحفدته . وآلت أخيراً إلى ابنه محمد هذا ، فتولاها سنة ١٢٨٩ ه (١٨٧٢ م) بعد أن قتل اثنين من أولاد أخ له اسمه طَلال ، كانا يحكمانها . وستأتي كلمة ثانية عنه في الحديث عن آل رشيد .

واستفاد ابن رشيد من اختلاف الأخوين عبدالله وسعود ابني فيصل ، فقوي أمره . وكانت له خفارة الحجّ العراقي ، يتقاضى عليها راتباً من ولاية بغداد والبصرة ، فتوثقت علاقته بالترك .

وكان القصيم قد استقل عن حكم آل سعود ، فأراد عبدالله بن فيصل أن يعيده إلى الطاعة ، فقاومته «بُرَيْدة» واستنجد أهلها بابن رشيد ، سنة ١٢٩٦ ه (١٨٧٩ م) فجاءها بجيش من حائل ، فانصرف عنها عبدالله .

قال الريحاني ما مجمله : كانت « بريدة » ماء لآل هَذّال من شيوخ عنزة ، واشتراها منهم راشد الدريبي العنقري التميمي أحد آل عُلَيّان[١] سنة ٩٥٨ ه وعمّرها وسكنها فاتسعت ، والرئاسة فيها لآل عليان . وتغلب عليهم في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة «آل مهنّا» من عنزة ، فعمل آل عليان على الانتصاف لأنفسهم ، وحدثت أُمور قتل فيها مهنّا بن أبي الخيل ، في عهد عبدالله بن فيصل . فكتب إليه أولاد مهنّا يشكون آل عُليّان ، فأعرض عبدالله عن شكواهم ، ومال إلى آل عليّان . فاستعان آل مهنّا بابن رشيد ، فاهتبل الفرصة وأقبل على «بُرَيْدة» يناصرهم في الظاهر ويقضي على نفوذ آل سعود بالقصيم في الباطن . ونجحت خطته .

وحاصر عبدالله بلد المجمعة (مركز سُدَير) سنة ١٢٩٩ ه (١٨٨٢ م) فاستنجدت بابن رشيد فأقبل لإنقاذها . وقبل وصوله رحل عنها عبدالله ، عائداً إلى الرياض . ودخلها ابن رشيد ، فأقام فيها أميراً من قبله وأصبحت من بلاد إمارته ، ورجع إلى حائل .

وبعد عامين ، سنة ١٣٠١ ه (١٨٨٤م) أعاد عبدالله الكرّة على المَجْمَعة ،

---

(١) أفادني الأستاذ حمد الجاسر أن آل عليان ينسبون إلى الدريبي ، وليس العكس .

فتصدى له ابن رشيد وابن مهنّا (حسن) أمير بريدة . وكانت المعركة في موضع يقال له «أمّ العصافير» فظفر ابن رشيد ، وضاع الوشم وسُدير من يد عبدالله .

وبعد لأي ، أرسل عبدالله أخاه محمداً إلى ابن رشيد ، في حائل ، يفاوضه في اقتسام «مناطق النفوذ» بينهما، في نجد . فأكرمه ابن رشيد وتخلى لعبدالله عن الوشم وسدير . وظلّ النفوذ الحقيقي فيهما، لابن رشيد .

عبدالله في السجن

ووصلت إلى الخرج أنباء من الرياض ، عن ارتباك يعانيه عبدالله ، فخفّ أبناء أخيه سعود ، المتمرّدون عليه في الخرج ، وأقبلوا على الرياض فدخلوها سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) بعد قتال . واتجهوا إلى عمهم عبدالله ، في قصره ، فقبضوا عليه وسجنوه . وتولى كبيرهم «محمد» الإمارة .

واستنجد عبدالله بابن رشيد[١] وما أحبها إلى ابن رشيد من فرصة يغتنمها ! فنهض من حائل يحمل «قميص عثمان» كما يقول أحد من كتبوا عنه .

رواية خالد الفرج

قال خالد الفرج : كان آل رشيد قانعين بإمارتهم التي أقطعهم إياها الإمام فيصل ، على جبل شمّر ، سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ودانوا بالطاعة له ، ولولده عبدالله ، إلى أن ظهر فيهم محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد ، فاغتنم الخلاف الناشب بين الإمام عبدالله الفيصل، وبعض بلدان نجد، فتظاهر بحماية أهل بُريدة ، والمَجْمَعَة ، وكانت وقعة الحمادة (في أُمّ العصافير) التي انتصر فيها ابن رشيد، وثبتت قدمه في الوشم وسُدير ، ولم يبق لعبدالله الفيصل غير الجنوب . وكان ابن رشيد يتظاهر بالولاء لعبدالله الفيصل ، ويستولي على البلاد باسمه . وظلت نجد في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، مقسمة :

---

(١) انفرد فؤاد حمزة ، بذكر استنجاد عبدالله بابن رشيد ، اعتماداً فيما يبدو ، على الضياء الشارق لابن سحمان وهو معاصر لتلك الأحداث . واكتفى الريحاني وحافظوخالد الفرج ، بالقول : إن ابن رشيد أسرع إلى مساعدة عبدالله وإنقاذه .

حائل والقَصِيم وسدير والوشم لمحمد الرشيد ، والعارض والفَرْع ووادي الدّواسر لعبدالله الفيصل ، والخَرْج لأبناء سعود بن فيصل ، إلى أن دخلت سنة ١٣٠٢ ﻫ (١٨٨٤ م)[١] فقام أولاد سعود بن فيصل ، على عمهم عبدالله الفيصل وسجنوه . وهاج محمد بن عبدالله الرشيد ، فأظهر استنكاره لعمل أولاد سعود .

نهاية عبدالله

استنفر ابن رشيد القبائل لإنقاذ عبدالله الفيصل ، من سجن أبناء أخيه . وتقدم حتى كان على مقربة من الرياض ، فخرج اليه عبد الرحمن بن فيصل – والد الملك عبد العزيز – وأخوه محمد بن فيصل ، والشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ، كبير آل الشيخ ، يفاوضونه . فأقسم لهم ابن رشيد ، أنه لا غرض له غير إخراج عبدالله من سجن أولاد سعود بن فيصل . وعاهدهم على أن تكون الولاية في بلدهم لآل سعود . فصدّقوه مرحبين أو مضطرين .

ولكنه ما لبث بعد دخوله المدينة (سنة ١٣٠٥ ﻫ ١٨٨٨ م) أن ظهر بمظهر الفاتح ، وأمّن أولاد سعود بن فيصل على دمائهم وأموالهم ، وأذن لهم بالعودة إلى منازلهم في الخرج . وأخرج عبدالله الفيصل من السجن ، وأرسله[٢] إلى حائل (عاصمة بلاد شمّر) ثم ألحق به أخاه (عبد الرحمن) وبضعة عشر آخرين من آل سعود ، بينهم عبد العزيز بن سعود بن فيصل . وولى على الرياض أحد بني خوُولته «سالم السِبْهان» أظلم رجل عرفته العارض ، كما يقول خالد الفرج .

ولم يمض على سالم أكثر من خمسة أشهر ، حتى جاءه وفد (أو استوفد وفداً) من أهل الخرج ، يتظلّم من أبناء سعود بن فيصل . فذهب يحسم الخلاف

(١) كذا في مخطوطة خالد . أما إبراهيم بن صالح ، في تاريخ الحوادث ، فيؤرخ ذلك في المحرم ١٣٠٥

(٢) الريحاني . وفي عقد الدرر ٨٨ أن ابن رشيد اصطحب معه الإمام عبدالله في عودته إلى حائل .

كما يقول الريحاني ، فقتل من كان هناك من أولاد سعود : محمداً وسعداً وعبدالله ، في أول ذي الحجة من العام نفسه . وضجّ الناس ، فرفعوا الأمر إلى ابن رشيد ، فلم يزد على أن أبدل سالماً بعامل آخر ، اسمه «فَهّاد بن رَخيص» (١)

ومرض عبدالله بن فيصل ، في حائل فأذن له ولأخيه عبد الرحمن وأُسرتيهما بالعودة إلى الرياض . ووعد عبدالله بأن تكون له الإمارة فيها . ولكن عبدالله توفي بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد ،في (٢ ربيع الثاني ١٣٠٧) نوفمبر ١٨٨٩)

قال الريحاني : حدثني جلالة الملك عبد العزيز ، قال : «لم يستقم الأمر لعبدالله ، لثلاثة أسباب : الأول ، وجود أبناء أخيه سعود بن فيصل في الخرج يحرّضون القبائل عليه . والثاني ، مناصرته لآل عُليّان أُمراء القصيم السابقين ، على أعدائهم آل مهنّا الأمراء الحاكمين ، في ذلك الحين . وكان هذا جهلاً من عبدالله ، لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزّب لبيت مغلوب ، فضعضع نفوذه في القصيم . والثالث ظهور محمد بن رشيد الطامع بحكم نجد ، فقد تحالف مع أبي الخيل من آل مهنّا ، فكان الفريقان يداً واحدة على عبدالله .

وقال حافظ : «أسند عبدالله الأمور إلى غير أهلها ، وأطلق يد موظفيه ، وبعضهم ليسوا من الأسَر المعروفة ، فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل ، من كرم الضيافة والرعاية . وقد سمعت جلالة الملك عبد العزيز ينصح أولاده بعدم الركون إلى الخدم وبعض الموظفين ، وأن يتصفحوا الشؤون العامة بأنفسهم . وكثيراً ما كان يضرب المثل بعمه عبدالله بن فيصل ، وركونه إلى خدمه الذين أساؤوا إلى الناس فانصرفت عنه القلوب وانفضّ الناس من حوله »

---

(١) غير رخيص بالتصغير وقد يأتي ذكره .

وكتب عبد الرحمن إلى ابن رشيد ، يستنجزه الوعد في إعادة الإمارة إلى آل سعود ، فكان الجواب عزل فهّاد وإرجاع ابن سِبْهان . .

ووقع بين عبد الرحمن ، وابن سِبْهان ، ما دعا الأول إلى الوثوب على الثاني ، فاعتُقل ابن سبهان ، وقُتل عدد من رجاله ، بينهم «خَلَف الشّمّري» الذي باشر قتل أبناء سعود بن فيصل في الخرْج . وجدّد أهل الرياض البيعة بالإمارة لعبد الرحمن . وكان ذلك في ١١ — ١٢ ذي الحجة ١٣٠٧

وزحف ابن رشيد من حائل ليعالج ما حدث في الرياض. فحاصرها شهراً أو يزيد . وثبتت ، فدعا أهلها إلى الصلح ، فجاءه وفد مؤلف من محمد بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ، وعبد العزيز (الفتى) بن عبد الرحمن . فاتفقوا[١] على أن تكون الإمارة لعبد الرحمن بن فيصل ، على العارض ، وأن يطلقوا عامل ابن رَشيد سالماً السِبْهان . فأطلق سالم ورحل مع ابن رشيد . وذلك في أوائل سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠) م وهي سنة الجلاء السعودي عن الرياض ، كما سيأتي .

وقعة المُلَيْداء

وعلى طبيعة أهل البادية ، في التنقل من غارة إلى الاستعداد لغارة ، ما عتم ابن رشيد أن تهيّأ للغزو ، ووجهته القصيم والرياض . واحتشد لصدّه رجالاتُ بُريدة وعُنيزة وسائر القصيم . وانضم إليهم قسم من عُتيبة ومُطير . فتلاقى الجمعان على أرض تسمى «القَرْعاء» في ٣ جمادى الآخرة ١٣٠٨ (١٨٩٠ م)

ورجحت كفة أهل القصيم . فعمد ابن رشيد إلى الخدعة ، فتظاهر بالانهزام ، وتتابعوا يتعقبونه . وفاجأتهم خيله من ورائهم ، وثبت لهم في

---

(١) خالد الفرج

مكان يدعى «المُلَيْداء» على ست ساعات من القصيم غرباً ، فتشتّت شملهم (في ١٣ جمادىالآخرة)[1] وكان قتلى القصيم في رواية الريحاني ألف رجل، وفي رواية فؤاد حمزة ثلاثة آلاف[2] ، منهم زامل بن عبدالله بن سُليم أمير عنيزة وابنه علي . وقتل من جموع ابن رشيد نحو أربعمئة . قال خالد الفرج : تركت وقعة المليداء تذكاراً في كل أُسرة من أهل القصيم ، وأقامت مناحة في كل بيت من بيوتها ، وأصبحت تاريخاً يؤرخ به إلى الآن .

بشارة بمولود

وفي غمرة ما تقدم من الأحداث ، بينما كان الإمام عبد الرحمن ، غائباً عن الرياض ، في بلدة «ضَرَمَى» تلقّى من الرياض خبر ولادة ابن له ، بين صلاتي العشاء والفجر ، من ليلة ١٩ ذي الحجة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) هو عبقريّ آل سعود بل أحد عباقرة الدهر، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل .

الهجرة

وقبل حلول الكارثة بأهل القصيم ، كان الإمام عبد الرحمن قد حشد جموعاً من العارض ، وجاءه راكان بن حِثْلَين في جمهرة من العُجمان فزحف بالجمعين نجدةً للقصيم ، في ردّ عدوان ابن رشيد . وما كاد يصل إلى الحَفْس[3] وهو خَفْس العَرَمَة ، على ١١٥ كيلو متراً من الرياض ، حتى أتاه الخبر بانتهاء المعركة .. فكرّ راجعاً إلى الرياض ، وتفرّق جنده . وأدرك أن ابن رشيد زاحف إليه ، لا محالة ، فلم يبق له إلا فراق الرياض والرحلة بأسرته وأقاربه وبعض رجاله ، إلى البادية .. فكانت الهجرة سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) وسيأتي حديثها .

(١) نزهة المشتاق – خ ، لمحمد بن عبد العزيز البسام . وتاريخ ابن عيسى ١٩٥

(٢) وفي دليل الخليج ٣ : ١٦٩٤ أن معركة موليدة – يريد المليداء – استمرت طوال شهر ، وأن عدد القتلى فيها بلغ مئة رجل (وهو خطأ) .

(٣) البلاد العربية السعودية ٧ وفي تاريخ ملوك آل سعود ٥٢ أنه وصل إلى حسي العتك . وفي تاريخ نجد لفلبي ٢٧١ وصل إلى جريفة ، شرقي الحمادة .

الملك عبد العزيز

في طفولته وصباه

في النصف الأخير من رمضان ١٣٠٨ هـ (١٨٩١ م) كانت قافلة ، عليها مظاهر النعمة والقوة ، تضرب في الصحراء . خرجت مشرّقة من الرياض ، في مَيل قليل إلى الشمال ، وعلى بعير منها فتى في الخامسة عشرة من عمره ، عليه «صُمادة» بيضاء مطرّزة ، لفّ بكساء أشبه بالخرج، وهو يسأل : في أي أرض نحن ؟ ويجاب : نحن في «الدهناء» يا «عبد العزيز» !

عبد العزيز : الملك المصنَّف باسمه هذا الكتاب . ولد في قصر الإمارة والإمامة بالرياض سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ونشأ طويل القامة ، عريض المنكبين ، بارز الصدر ، حادّ العينين ، دقيق الخصر ، ضامر البطن ، مفتول الساعدين والساقين ، رشيق الحركة . وعهد به أبوه — الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود — إلى مطوّع من أهل «الخرج» كان مقيماً في الرياض اسمه القاضي عبدالله الخرجي . فتعلم مبادىء القراءة والكتابة ، وحفظ سوراً من القرآن ، وقرأه كاملاً . ثم تلقى بعض أُصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصة له . إلا أنه لم يكن في طبعه الصبر على الدرس فلم يلبث أن انصرف عن مقاعد الأطفال إلى محاكاة «الرجال» .

ويُنقل عن لسانه : أنه أحسن استعمال البندقية وركوب الخيل كأحد

الفرسان ، وهو في سنّ الصبا . وأنه كان في السابعة ، حادّ الطبع ، دائم الحركة ، لا يستطيع الاستقرار في مكان واحد ، فترة طويلة .

أقوال في تاريخ مولده

تناقل أكثر الكاتبين عن الملك عبد العزيز في حياته ، أنه ولد سنة ١٢٩٧ ﻫ (١٨٨٠م) حتى أن المؤرّخ الأديب خالد بن محمد الفرج وضع حساباً لذلك ، بالحروف الأبجدية ، وهو :

«الامام عبد العزيز بن الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود» .

وجاء مجموع هذه الحروف ١٢٩٧ وقويت هذه الرواية بما نُقل عن لسان عبد العزيز ، من أنه كان غلاماً حينما خرج من الرياض سنة ١٣٠٨ ﻫ (١٨٩١ م) ملفوفاً في كساء أشبه بالخرج .. غير أن المتصلين بعبد العزيز من زمن طويل ، يذكرون أنه بما جُبل عليه من حيوية ، كان يكره أن يُشعر نفسه بالاقتراب من سنّ الشيخوخة أو دخولها ، فما زال يكرر أنه يوم هجرته مع أبيه من مسقط رأسه كان ابن إحدى عشرة سنة ، حتى صدّق هو نفسه . ونُقل عن لسان الأستاذ الشيخ محمد نصيف قوله : أخبرني الملك بأن ميلاده كان سنة ١٢٨٥ ﻫ (١٨٧٦ م) . والحوادث لا تؤيد هذا .

على أني بعد وفاة عبد العزيز ، رجعت إلى أديب آل سعود وعالمهم الأمير عبدالله بن عبد الرحمن ، أخي الملك ، فسألته ، فأجاب : كان رحمه الله يودّ أن يقال إن مولده سنة ١٢٩٧ ﻫ ،ولكن الصحيح أنه ولد في أواخر عام ١٢٩٣ ﻫ (١٨٧٦ م) .

ورأيت في قيود عندي أنه لما ولد كان أبوه عبد الرحمن في بلدة ضرمى ، وبُشّر بولادته ليلة ١٩ ذي الحجة ، فأضفت هذا إلى ذاك ، ورجّحت أنه الصواب .

نشأته وفتوّته

حمل عبد العزيز السيف ، ولعب به وركب الخيل وامتطى النياق. والتفّ حوله رفاق له ، فكان المتقدم عليهم في ألعابهم والزعيم فيهم . وعوّده والده أن يستيقظ قبل الفجر للصلاة ، ووجّهه إلى الرياضة ، وأدّبه بآداب آل سعود . وشهد في صباه نتاج الخصومات والمعارك بين أعمامه . وأدرك ما كان من توسّع آل رشيد ، في الاستيلاء على بلاد نجد ، وتضاؤل آل سعود ، أصحاب تلك البلاد وسادتها ، أمامهم .

حادث ؟

قال مؤلف كتاب «ابن سعود ملك البلاد العربية» بالفرنسية[١] : قَتل الملك عبد العزيز أول عدوّ له ، وهو في الحادية عشرة من عمره . وأورد الخبر بما ترجمته :

« كان الحادث أمام الرياض ، وعبد العزيز ممتلىء غضباً ، وقد بدا أمامه رجل من أهل حائل قُتل جواده — في المعركة — وألقى عن عاتقه كل ما يحمل ليخفّ في طلب النجاة . وكان ابن سعود الطفل يلوح في ضخامته كأنه في سنّ الرجال ، فلم يتردد في أن وثب منقضاً على الحائلي وضربه بسيفه ضربة واحدة بين كتفيه . ثم رآه يرفع ساعديه ويهوي كعدل الدقيق المثقوب[٢] » .

وأحاديث

قال حافظ وهبة : سمعت من بعض أصدقائي الكويتيين الذين عاصروا عبد العزيز ورافقوه في طفولته (؟) أنه كان يفوقهم نشاطاً وذكاء ، وأنه كان

---

(١) Ibn Seuod Roi de l'Arabie تأليف البروفسور أنطوان زيشكا Antoine Ziscka طبع في باريس سنة ١٩٣٤ م

(٢) هذه القصة غير معروفة في بلاط الملك عبد العزيز ، أرويها بتحفظ .

يتزعمهم دائماً في الألعاب المألوفة لمن كان في سنه ،وأنه كان دائماً يميل إلى سماع تاريخ جدّه الإمام فيصل ومغامراته،من بعض الشيوخ المسنين بالكويت[١]

وروى خالد الفرج ، ما خلاصته : أراد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين ، أن يلاطف «الفتى» عبد العزيز . فسأله : قَطَـر أحسن أم البحرين ؟ فأجابه عبد العزيز على الفور : الرياض أحسن منهما ... فقال عيسى : سيكون لهذا الغلام شأن ...

وأضاف خالد إلى هذه القصة : سمعتها من المرحوم الشيخ عيسى بنفسه ، وهو يقصها في مجلس نزهته العصرية ببستان «ريا» في البحرين ، وذلك بمناسبة تسليم جدّه سنة ١٣٤٤ هـ[٢] .

، ، ،

وحدثني محمد بن بلهيد بأخبار عن أوليّة «عبد العزيز» منها القصة الآتية ، قال : في أثناء تغرُّب الإمام عبد الرحمن الفيصل عن الرياض ، جلس عشية يوم وحوله بعض خاصته ، فجرى الحديث عن أبنائه ، فتكلم الحضور وبينهم مانع بن جمعة العجمي (من رجالات العُجمان) لم يتكلم، فقال له الإمام : ما ترى يا مانع ؟ فقال : إذا أراد الله عزّاً للمسلمين ، فهو على يد عبد العزيز . قال عبد الرحمن : وما يدريك ؟ قال : رأيت فتيان الحيّ يتهيّأون ليلعبوا «اللّحْي»[٣] وقد انقسموا فريقين ، فسمعت أكثرهم — ومنهم بعض أبنائك — يقول : من أنا معه ؟ وسمعت عبد العزيز يقول : من هو معي ؟ ...

---

(١) خمسون عاماً في جزيرة العرب ٢٧

(٢) مخطوطة خالد الفرج

(٣) اللحي : بفتح اللام وسكون الحاء ، من ألعاب فتيان نجد وصبيانها ، ينقسمون جماعتين ويقفز أحد الفريقين فيلطم شخصاً من الفريق الثاني وينهزم ، فيتبعه الملطوم . والكلمة عامية لعلها من «التلاحي» الذي هو التنازع .

يقابل ابن رشيد

قال فؤاد حمزة : سألت الملك عبد العزيز عما إذا كان تقابل مع محمد ابن رشيد ، فقال : نعم ، قابلته وعزاني في أخي فيصل[١] وقال لي : عسى أن يجعلك الله عوضاً عنه[٢] .

ويشارك في عقد المعاهدة معه

وعرفنا مما تقدم قريباً أن عبد العزيز ، كان أحد الثلاثة الذين انتدبتهم الرياض لمفاوضة ابن رشيد وعقد الصلح معه ، في أوائل سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠م) [٣] وهي مشاركته «السياسية» الأولى في مثل هذا الاجتماع الخطير .

فضل أمه

ويشير بعض من كتب عن عبد العزيز ، إلى ما كان لوالدته «سارة بنت أحمد بن محمد السُديري» من فضل في توجيهه . وكانت من أكمل النساء عقلاً وتدبيراً . ويُروى لها شعر من الملحون . توفيت في أواخر عام ١٣٢٧ هـ (١٩١٠ م) بالرياض . وهي من أهل بلدة الغاط في سُدير ، بجوار الزلفي ، كان أبوها ممن حارب إبراهيم باشا ، وولاه خُرْشيد[٤] وخالد بن سعود سنة ١٢٥٤ إمارة الأحساء فاستمر إلى أن توفي فيها سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) ويقال له أحمد الكبير .

---

(١) توفي فيصل بن عبد الرحمن في أواخر سنة ١٣٠٧ هـ ١٨٩٠ م

(٢) البلاد العربية السعودية ٧

(٣) أرخها الريحاني في « تاريخ نجد الحديث ٨٩ » سنة ١٣٠٧ وقال : كان عبد العزيز يومئذ في الحادية عشرة من عمره. قلت : ولا يعقل أن يشارك في اجتماع كهذا من كان في تلك السن .

(٤) اسم تركي معناه « الشمس »

في البادية

اتجه الإمام عبد الرحمن ، إلى البادية ، يلتمس مأوى ينأى به وبمن معه عن العدوان .

ولما صار في عرض البر ، استشعر من القبائل المخيّمة في المناطق القريبة من الرياض ، ذعرها من كبير آل رشيد إذا هي آوت كبير آل سعود . فانطلق بمن معه مُوغلاً في منازل آل مُرّة والعُجْمان بين يبْرِين والأحساء .



من قافلة في الصحراء

وعلم المتصرف العثماني في الأحساء «عاكف باشا» بقرب عبد الرحمن منها ، فأرسل إليه مندوباً[١] اجتمع به في «عين النجم» قرب المُبَرّز (على ميلين من شمالي الهفوف) فعرض عليه ولاية الرياض ، على أن يعترف بسيادة الدولة – العثمانية – ويدفع خراجاً سنوياً قد لا يزيد على ألف ريال . فاعتذر عبد الرحمن بأنه يخشى أن ينقلب عليه أنصاره .

(١) قال الريحاني : هو الدكتور زخور عازار اللبناني

عبد العزيز في سفارته الأولى

ولم تكن حياة البادية وشدائدها ، مما تحتمله سيدات الرياض وسُدير ، وقد آذاهن ما لقين في الحل والترحال،وما في اختراق الدهناء، من عناء ، فنادى عبد الرحمن ابنه عبد العزيز ، وقال : امضِ يا بُني إلى ابن خليفة (الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين) وحدّثه بما نحن فيه ، واستأذنه لنسائنا بالإقامة في جواره ، ولا ضير عليه من ابن رشيد ، ما دمنا نحن بعيدين عن البحرين .

وأُنيخت الركائب ، فامتطى عبد العزيز إحدى نياقها .. وعاد بعد أيام مستبشراً ، يحمل إذن ابن خليفة للنساء . ومضين في هوادجهن إلى العُقير حيث ركبن السفن الشراعية إلى البحرين ، ومعهن عبد العزيز وأخ له يليه في السن اسمه «محمد»

وكان على عبد العزيز ، بعد استقرار الأسرة في البحرين ، أن يعود إلى مضارب أبيه في الصحراء ، فامتطى الذلول بعد ركوب البحر ، وأقبل يطوي البيد .

وقعة حُرَيْمِلاء

أما أبوه (عبد الرحمن) فما كاد ينفرد ، بعد رحيل الأسرة ، حتى عاوده النزوع إلى مصاولة من في الرياض وما حولها من رجال آل رشيد . فجمع أنصاراً من أعراب البادية ، وصحبه إبراهيم بن مهنّا الصالح من آل «أبا الخيل» وانثنى زاحفاً — سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) — فاستولى على الدِّلَم (قاعدة الخرج) وهي على نحو ٨٠ كيلاً (كيلومتراً) من الرياض ، وطرد من كان فيها من أتباع ابن رشيد .

وكان ابن رشيد (محمد بن عبدالله) بعد خروج عبد الرحمن من الرياض ، قد ولى محمداً أخا عبد الرحمن إمارتها ، فدخلها عبد الرحمن مسالماً . ثم سار

منها إلى المحمل ، ونزل في حريملاء[١] على مرحلتين من شمالي الرياض .

ووصلت أخباره إلى ابن رشيد ، وهو في حائل ، فأسرع بجيشه . فكانت المعركة في حريملاء وانهزم جمع عبد الرحمن ، وقُتل عدد من رجاله وأنصاره ، بينهم إبراهيم بن مهنّا . ودخل ابن رشيد الرياض فهدم سورها وقصرين كانا فيها ، قديماً وحديثاً ، وأحرق نصف أشجارها المثمرة[٢] وأبقى محمد بن فيصل ، أميراً عليها ، وعاد إلى حائل . قال خالد الفرج : كانت وقعة حريملاء ، آخر معارك الجهاد ..

وقفل عبد الرحمن عائداً إلى مخيّمه في البادية ، فأدركه عبد العزيز في أطراف منازل العجمان .

للتداوي

وأحسّ عبد العزيز ، بعد لقاء أبيه ، بألم «روماتزمي» في إحدى رجليه ، فانكفأ راجعاً إلى البحرين ، يصحبه عبدالله بن جلوي ، فعولج في أقل من شهر ، وأقبل لاحقاً بوالده .

سفارته الثانية

وأرسله أبوه إلى الهفوف (مركز الأحساء) وكانت تابعة للدولة العثمانية ، ليفاوض الترك عساهم يسمحون له ولرجاله بالإقامة فيها ، أو في جوارها . فلم تُفلح سفارة عبد العزيز هذه المرة ، وأبى الترك إيواءهم .

أمير الكويت يعتذر

وضاق رحب البر في وجه عبد الرحمن . وكان بين العُجمان — في رواية

---

(١) قال سليمان الدخيل ، في لغة العرب ٣ : ٣٥١ : حريملة ، تصغير حرملة والبعض يكتبها خطأ « حريملا» . قلت : بل الأصح حريملا أو حريملاء وفي القاموس : حرمل وحرملاء ، موضعان . فتصغير حرملاء بحريملاء لا غبار عليه .

(٢) دليل الخليج ٣ : ١٦٩٥

انطوان زيشكا – جماعة من آل سعود لا يحبون عمهم عبد الرحمن . وإن صحت الرواية فهم من بقايا الفتنة التي استعرت نارها قبل بضع سنين بين كبار آل سعود . وكان بين العجمان أيضاً أنصار لابن رشيد . فأزمع عبد الرحمن الرحلة إلى الكويت. ولكن محمد بن صباح (أميرها يومئذ) لم يجرؤ على الجمع بين مناوأة ابن رشيد ومخالفة سياسة الترك ، فاعتذر. وعاد الإمام عبد الرحمن إلى البر .

، ، ،

وامتدت إقامة عبد الرحمن وابنه عبد العزيز ومن معهما ، هذه المرة حوالي سبعة أشهر في قفار تقطن بعضها قبائل من آل مُرّة ، وبعضاً قبائل كثيفة من العجمان ، ليست بعيدة عن الأحساء كل البعد ، ولكنها قفار وعثاء على أيّ حال ، وليس شظف العيش فيها بالأمر الذي يُصطنع اصطناعاً لرياضة الجسم أو تعود الخشونة ، وإنما هو الأصل الطبيعي لحياة من ينزلها ويجاور قطّانها الخُشن الطباع القساة الأنفس والقلوب .

يألف البادية

وبدأ عبد العزيز يألف البادية ويجاري أبناءها في احتمال مكاره العيش ، والصبر على الظمأ والجوع والتعب وافتراش الأرض والتحاف السماء .

لقد وجد عبد العزيز نفسه ، قبل أن ينضج شبابه ، يدخل في المفاوضات ، ويقوم بالسفارات ، ويألف خشونة العيش ، ويختبر تقلبات الزمن وطباع الناس.

يقول تويتشل [١] : قضى عبد الرحمن بعد فراره بأسرته من الرياض ، زمناً في بادىء الأمر يعيش على ما كانت تُمدّه به قبيلة العُجمان وشيخها ابن حِثْلَين[٢] من مساعدات . إلا أنه استقرّ رأيه أخيراً على أن يلقي عصا

---

(١) المملكة العربية السعودية ١١٦

(٢) في الأصل « هذلان » مكان « حثلين » وهو تحريف .

التسيار هو وأسرته في مكان آمن في واحة يبرين ، حيث كانت قبائل بني مرّة الساذجة تحكم تلك الواحة . فحطت أُسرة آل سعود رحالها في هذه البيئة الخشنة .

وفي أحد المصادر الموثوق بها [1] أن نزول الإمام عبد الرحمن وأُسرته وابنه عبد العزيز ، في بني مرّة ، كان عند «آل شُرَيْم» الرؤساء الكبار لهذه القبيلة .

ويخطىء جون فانيس [2] إذ يقول : إن عبد الرحمن وابنه أقاما عدداً من السنين بين عرب آل مرة في حدود الصحراء الكبرى في الجنوب !

وأخيراً في قَطَر

وفُرّج الكرب على يد شيخ قطر ، قاسم بن ثاني . وكان أريحياً جواداً . قال الريحاني : ولد سنة ١٢١٦ وتوفي سنة ١٣٣١ هـ ، فيكون قد عاش ١١٥ سنة قضى معظمها في إكثار النسل . وقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة وبكثير من الجواري . وكان إذا ركب ، ركب معه ستون فارساً من صلبه . واسمه في لهجة أهل قطر « جاسم » يقلبون القاف جيماً ، كما يفعل الكثيرون من أهل العراق وجواره . جمع ثروته من تجارة اللؤلؤ ، واقتنى خمسة وعشرين سفينة للغوص . وخاض حروباً مع الترك في محاولة لإخراجهم من الأحساء وحروباً مع أهل البحرين وكان تابعاً لهم ، فاستقلّ عنهم ، وكاد يستولي على بلادهم .

كتب إليه عبد الرحمن ، يصف ما هو فيه . وأجابه ابن ثاني مرحّباً . وانتقل الجمع إلى قَطَر .

---

(١) عرض حكومة المملكة العربية السعودية ١ : ٥٥

(٢) أقدم أصدقائي العرب ١٣١

وفي دليل الخليج[١] أن عبد الرحمن أقام في ضيافة شيخ الدوحة في قطر، من أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢ (صفر، إلى جمادى الأولى ١٣١٠) ولحقت به أسرته التي كانت في البحرين.

العثمانيون يجاملون عبد الرحمن

قال الريحاني[٢] : إن الإمام عبد الرحمن، بعد أن منعه محمد الصباح حاكم الكويت من دخولها، وعاد بأولاده إلى البادية، أقاموا فيها بضعة أشهر مع العُجمان — ولم يذكر مُرّة — ثم أمّوا قطر، فأقاموا فيها شهرين. وكانت الدولة العثمانيّة تودّ عقد اتفاق مع ابن سعود — عبد الرحمن — لتأمن تحركاته، فأرسل إليه متصرف الحَسَا يستدعيه، فأجاب الدعوة. وتمّ الاتفاق بينهما على أن يقيم هو وأسرته في الكويت وتدفع له الدولة ستين «ليرة» مشاهرة. وقلّما كانت تدفعها، وقَبِل ابن صباح إذ ذاك أن يتوطنوا بلاده.

وقال فؤاد حمزة[٣] : كانت الحكومة العثمانية قد عيّنت متصرفاً جديداً للأحساء اسمه حافظ باشا. فعلم بخبر عبد الرحمن وطلب حضوره إليه. فركب إلى «الهفوف» وفيها عرف أن الباشا يريد القضاء على «ابن ثاني» وقد جهز قوة كبيرة ومشى على رأسها. واصطحب معه عبد الرحمن، مكرهٌ أخوك لا بطل. ودارت الدائرة على جيش حافظ باشا. وساعده عبد الرحمن على الانسحاب بمن بقي معه، فلم يصبهم أذى حين انسحابهم، وعاد عبد الرحمن معهم إلى الأحساء. وهناك أذن الباشا للحريم والأطفال بالذهاب مع عبد العزيز إلى الكويت، وكانت لا تزال عثمانية. ورضي أميرها محمد ابن صَبَاح، بعد مدة قصيرة بدخول عبد الرحمن والرجال.

---

(١) الجزء ٣ ص ١٦٩٦

(٢) تاريخ نجد الحديث

(٣) البلاد العربية السعودية

ويقول خالد [١] ما خلاصته : بعد وقعة « حُريملا » بين الإمام عبد الرحمن وجيش محمد بن عبد الله الرشيد الداهيـة الحصيف ، تشتت جمع عبد الرحمن ، وتنقل في البادية إلى أن عينت له الحكومة العثمانية راتباً وخيرته في البلدان ، فاختار الإقامة في الكويت ، ليكون على اتصال دائم بأهل نجد ورؤسائهم وخصوصاً أهل القصيم ، لقربها من الكويت واتصالها بها اقتصادياً .

وفي دليل الخليج أن والي البصرة التركي دعا عبد الرحمن للاستقرار في الأحساء (كذا ، والصواب الكويت) وجعل له راتباً شهرياً قدره ٣٣ ليرة عثمانية ضمنها له الباب العالي ، فانتقل إليها في جمادى الثانية ١٣١٠ (١٨٩٢ م)

(١) مخطوطة خالد الفرج

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

في الكـــويت

أدرك عبد العزيز في طفولته ، بقايا عهد النعيم ، في عروس الصحراء « الرياض » وذاق ألم الجهد وعنف الحياة في شمالي الربع الخالي ، حول يَبْـرين ، وتفتحت عيناه فرأى العالم في الكويت . وقد جاءها بنساء الأسرة من البَحْـرين ، ومعه أخوه محمد وابن عمه الذي لم يكن يفارقه ، عبدالله بن جلوي ، في منتصف سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) ونزل معهن — قبل حضور أبيه — في دار أعدّها ابن صباح ، مؤلفة من ثلاث غرف لا تقاس بجانب من قصرهم في الرياض ، ولكنها إذا قيست برمال الدهناء والصَمّان ويبرين ، فهي مأوى رضيّ . قضى فيه عبد العزيز حوالي عشر سنين من عُنفوان حياته .

، ، ،

ويشاء الله أن يشهد عبد العزيز وهو لا يزال في مطلع شبابه ، حادثاً جديداً في الكويت ، فيه دم وقسوة ، من نوع ما تركه في الرياض ، إلاّ أنه أشدّ وأفظع .

ذلك أن بيت آل صبَاح كان عماده ثلاثة إخوة ، هم : محمد ، ومُبارك ، وجَرّاح . والحاكم منهم بالكويت كبيرهم « محمد »[1] وهو الذي نزل

---

(١) كانت له الهيمنة على الإمارة . بينما كان مبارك يلي شؤون البادية والحرب ،وجراح يتولى المالية .

عبد العزيز مع أبيه وأهله في ضيافته ، تبعاً لما اقتضته سياسة الدولة العثمانية في ذلك الحين . وكان عبد العزيز يرى محمداً بين وقت وآخر ويشعر منه بشيء من الميل إليه ويُعجبه فيه تأنقه واستقباله أباه – عبد الرحمن – بما يليق من التكريم عند زيارته له .

واستمر ذلك عامين وبعض الثالث ، وإذا بالأخ الأوسط « مبارك » وابنٍ له ، يثبان على كبير البيت « محمد » سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٦ م) فيقتلانه وأخاه الأصغر جراح بن صباح ، وينفرد مبارك بالحكم في الكويت[١] وسيفه وسيف ابنه يقطران من دم الجريمتين .

وكان الحادث ، حديث من في الكويت على الخصوص ، وحديث الناس في شبه الجزيرة ، مدة طويله ، وفيهم « عبد العزيز » ولعله كان أول ما وعاه كلّ الوعي من حوادث « الانقلابات » فاستفظع في بادىء الأمر قتل الأخ أخَويه ، ثم امتدّ تفكيره إلى ما وراء القتل ، إلى معنى السيادة ، والاستيلاء ، والحكم . وعرف أن الدنيا لمن غلَب ...

ويرى أكثر من كتبوا عن عبد العزيز أن « الكويت » كانت مدرسته التي تلقى فيها فنّ السياسة العملية . وأن أيام الشيخ « مبارك » المليئة بالمناورات والمحاورات ، كانت تنطبع مقدماتها ونتائجها ، في ذهن « عبد العزيز » وقد اشترك في بعضها حين آنس فيه مبارك صفات الألمعي اللبق ، فقرّبه منه ، وفسح له المجال لحضور مجالسه ، والاستماع إلى أحاديثه مع ممثلي الحكومات الإنكليزية والروسية والألمانية والتركية .

، ، ،

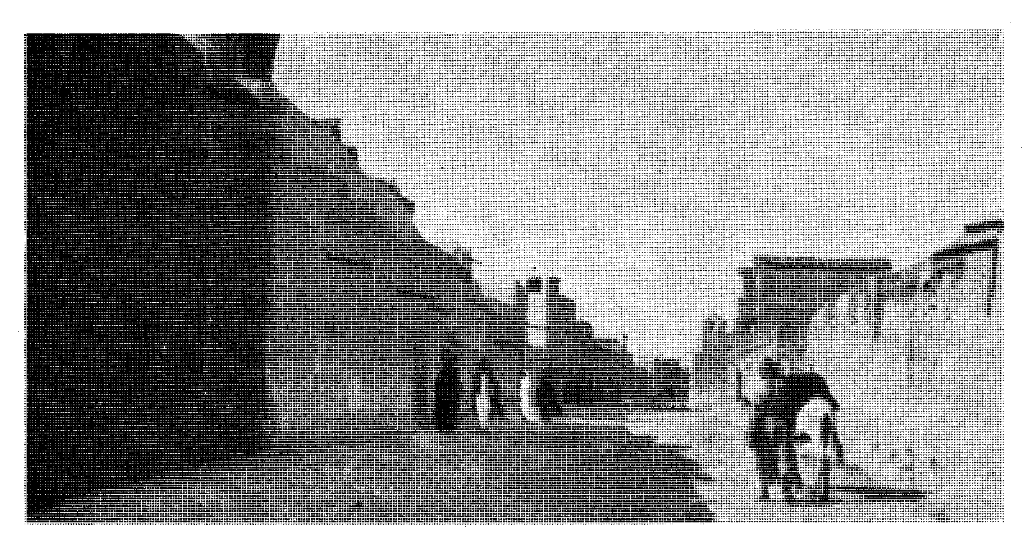
وكانت لمبارك صلة نسب بآل سعود ، فإذا ذكر « أخواله » عناهم . وذلك أن أمه هي « لؤلؤة » بنت محمد بن ثاقب بن وطبان بن مرخان . ومرخان :

---

(١) جاءه من الباب العالي في استنبول ، على أثر ذلك ، إقرار تعيينه " قائم مقام " لقضاء الكويت التابع لولاية البصرة ، سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٧ م .

جدّ آل سعود كما قدمنا .

وعلى الرغم من أن بلدة الكويت كانت صغيرة لم يمض على نشوئها في ذلك الشاطىء من الخليج، زمن طويل، فقد كان لها شأن في عهد مبارك الصباح.



شارع ومسجد ، في « الكويت » أيام شباب عبد العزيز

يقول الرحالة الإنكليزي « كنث وليمز » : إن الشيخ مباركاً كان سياسياً صعب المراس وإن الأتراك أصحاب السلطة الاسمية في بلاد العرب يومئذ ، لم يكونوا يخفون اضطرابهم من هذا الحاكم « الجبار » ويقول : كانت ألمانيا في ذلك الحين تحلم بمدّ السكة الحديدية من الأستانة إلى الخليج ، مارةً بالأناضول والعراق ، وإن المهندسين والساسة الألمان كانوا يودون أن تكون نهاية الخط الحديدي في الكويت . كما أن الروس كانوا يريدون أن يجعلوا الكويت محطة من محطات الفحم . وحاول الكونت الروسي « كابنست » أن يحصل على امتياز من « الباب العالي » لمدّ سكة حديدية ، من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج . وكانت عين السياسة البريطانية ترقب كل ذلك ، ولم يمض على احتلالها الهند طويل عهد ، والكويت باب من أبواب الهند .

وكانت الحكومة العثمانية قد بدأت تخالجها الشكوك في ولاء مبارك لها ، بعد إقرار تعيينه بقليل . وظل مبارك يلعب على كل حبل ويبتسم لكل مقبل عليه ، يصارع دهاء هذا بدهاء ذاك إلى أن ارتطم بالصخرة ، وختم عهده السياسي (الخارجي) بتوقيع معاهدة سرية مع الإنكليز ، أمضاها عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٩ م) [١] وأعلنها بعد عامين ، كما سنرى في الفصول القريبة الآتية .

، ، ،

كل هذا كان يراه « عبد العزيز » ويستخرج منه العبر على طريقته الخاصة في التحليل والتعليل ، وإن كان لا يعنيه مباشرةً كما تعنيه حوادث الشيخ مبارك نفسه مع عدوه « ابن رشيد » فقد توفي محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد ، في ٣ رجب ١٣١٥ (١/١٠/١٨٩٧م) وكان من حسن حظ الأمير الشاب عبد العزيز ، أن سميّه الرشيدي الجديد ، عبد العزيز بن متعب ، الذي خلف محمد بن عبدالله ، طمع بالكويت بعد أن سلس قياد نجد له واسلفه ، وسعى لديه من أغراه بمبارك ونثر بين يديه مالاً غير قليل . وللسياسة العُثمانية يد — ولا ريب — في تحريضه على مبارك . وفي « تاريخ نجد » للريحاني قصة ذلك المال الذي بُذل لابن رشيد ، قال الريحاني : إن يوسف آل إبراهيم ،من أعيان الكويت [٢] كان كبير تجار اللؤلؤ في أيامه وأغناهم . وهو خال أبناء محمد وجراح اللذين قتلهما مبارك . بذَلَ ثروته ووقته وجازف بحياته للانتقام من مبارك . وصحب خالداً ، (ابن محمد الصباح) إلى حائل (مقرّ آل رشيد) يستثيران نقمة عبد العزيز بن متعب ، على مبارك ، ويزينان له احتلال الكويت . فلبّاهما ..

---

(١) ألغيت هذه المعاهدة بتبادل مذكرات بين البلدين في ٤ محرم ١٣٨١ الموافق ١٩ / ٦ / ١٩٦١ م ، اعترفت فيها بريطانيا باستقلال " دولة " الكويت .

(٢) يأتي ذكره .

أرسل ابن رشيد فرساناً أغاروا على الكويت ، تمهيداً لهجومه هو بالعديد الأوفر . ونهض مبارك — وهو الداهية المحنك في مثل هذا — فبحث عن الأنصار وأقربهم إليه نزيلا الكويت الإمام عبد الرحمن وابنه عبد العزيز ، فدعاهما إلى محالفته على قتال ابن رشيد ، وكانت الفرصة التي ظلاّ ينتظرانها السنين الطوال ، وقد نفد صبرهما أو كاد . واستنجد مبارك بصديق له هو سعدون باشا (أبو عجيمي) رئيس عشائر المنتفق ، فخفّ إلى نجدته . وخرج الإمام عبد الرحمن بجيش من الكويت ، فأغار على عشائر قحطان الموالية لابن رشيد ، في روضة سُدير وعاد ظافراً . فلما اقترب من الكويت جاءه رسول من مبارك « يرجو » منه أن يتريث بعيداً عنها ، ولا يدخلها . فعجب عبد الرحمن . ثم زال عجبه حين عرف أن مباركاً ، بينما كان يبعث بكتبه وكتب الإمام عبد الرحمن إلى رؤساء أهل نجد ، يستنهضانهم للانتقاض على ابن رشيد ، كتب مبارك إلى ابن رشيد يفاوضه في الصلح .. وعاد عبد الرحمن من غزوته قبل أن يرد جواب ابن رشيد . ولو جاء الجواب بقبول الصلح ، لما وجد عبد الرحمن مأوى له في الكويت ..



(١) عبد العزيز
(٢) مبارك الصباح
(٣) محمد بن عبد الرحمن (أخو عبد العزيز)

الملك عبد العزيز

في وثبته الأولى

عاد رسول مبارك الصباح يحمل رفض ابن رشيد ما عرضه عليه من مفاوضات للصلح بينهما . وثارت ثائرة مبارك ، وقد أيقن أن الأمر جدّ ، فاستقبل الإمام عبد الرحمن ، يجدّد عهده معه على المضيّ في قتال ابن رشيد وأنصاره . والنصر من عند الله ...

وأقبلت نجدات العرب من « مُطير » و « العُجمان » وآل « مُرّة » من الجنوب ، وعشائر المنتفق مع زعيمها سعدون باشا من الشمال . وتوافد جمع من « عُنَيزة » و« بُريدة » على رأسه أمراؤهما آل سُليم وآل مُهنّا . وزحف بهم مبارك ، وهم نحو عشرة آلاف مقاتل ، فاجتاز الصمّان فالدَّهناء ، ونزل على ماء يسمى « الشّوْكي » في الجانب الغربي من الدهناء .

وفي الشوكي ، عرض عبد العزيز على مبارك خطة حربية : هي أن ينفرد بقوة يزحف بها وَحْده إلى الرياض ويدهمها ، فيضطرّ ابن رشيد أن يقاتل جيشين في مكانين مختلفين . ووافق مبارك . وانطلق عبد العزيز في مقدمة مئات من المقاتلين ، يريد الرياض .. وبقي والده مع مبارك .

تلك هي المحاولة الأولى يقوم بها عبد العزيز مستقلاً ، لاستعادة ملك آل سعود .

اجتاز عبد العزيز ما بين الشوكي والرياض في يومين . وتصدّت له حامية

الرياض ، وجلّها من رجال ابن رشيد ، يقودها عامل له اسمه عبد الرحمن ابن ضَبْعان ، فقاتلها ودخل المدينة . ولجأت الحامية إلى حصنها «المُسْمَك» فعزم عبد العزيز على حفر نَفَق إليه . وباشر ورجاله العمل .

على أن المعركة لم تنته بسلام . ولم يكن رجال ابن رشيد وحدهم المشمّرين لصدّ عبد العزيز . بل كان فيهم من أهل الرياض من خافوا انتقام ابن رشيد منهم . وأصيب عبد العزيز بجرح في يده من رصاصة ، قيل : أطلقها أحد آل الشيخ .. حتى إن « كنث وليمز » في كتابه « ابن سعود سيد نجد » يقول : إن هذه الحملة كانت قبل الأوان . ولا نعرض لمناقشة هذا الرأي ، فقد اضطرت حملة عبد العزيز للعودة إلى الكويت ، بعد أربعة أشهر من مغادرتها ، لأن جيش مبارك الصباح اشتبك في معركة حامية مع ابن رشيد في مكان يسمى « الصَّريف » في الشمال الشرقي من بُريدة على مقربة من«الطَّرْفية » في « القَصيم » يوم ١٧ ذي القعدة ١٣١٨ (٧ / ٣ / ١٩٠١م) وفاز ابن رشيد وانهزم ابن صباح إلى الكويت بمن بقي حياً من رجاله .

وقد وصل الخبر إلى عبد العزيز وهو في الرياض، لم يَتمّ له فتحها،فلم يَرَ أن يتعرض لمقاومة قوى ابن رشيد المحتشدة ، المنتشية بخمرة النصر ، وجاءه أبوه الإمام عبد الرحمن ، بعد هزيمة الصريف ، فاستقبله عبد العزيز على أبواب الرياض . واتفقا على العودة إلى الكويت بمن معهما . والرأي قبل شجاعة الشجعان .

ويقول ثقات الملك عبد العزيز إنه لم يكن يتوقع النصر لجيش ابن صباح في معركته هذه مع ابن رشيد ، قبل نشوبها ، وإنه — أي عبد العزيز الفتى المغامر — أبى ، وهم في الشوكي ، أن يخاطر بسمعته وبذوي قرباه من آل سعود ، في المشاركة بمعركة خاسرة ، ووفق إلى فكرة الانفصال عن جيش ابن صباح ، فلما قابله في الكويت قال له : إن « ولدك » سيثأر لك ....

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

بعد العـودة إلى الكـويت

تجددت صلة « عبد العزيز » بالرياض ، وعرف في الأيام التي قضاها بين جدرانها أخيراً ، الأوفياء من أهلها وغير الأوفياء . وأصبح ديدنه وهمّه بعد عودته إلى الكويت ، وضع الخطة لمعاودة الكرّة . ولكن أنّى له ذلك ؟ وأين الأنصار ، وفي كل بيت من بيوت الكويت باك على قريب له أو نسيب قتله ابن رشيد في معركة « الصَّريف » ؟

كان يحدّث والده أحياناً بما في نفسه فيصدّه . وقد يتهمه بالطيش والخبال .

ويبدو من رواية نَصّار في كتابه « الرجل » أن غزوة الرياض هذه لم تكن الأولى من محاولات عبد العزيز . فهو يذكر – ولا يسمي المصدر الذي أخذ عنه – أن عبد العزيز لما بلغ الخامسة عشرة، وهو في الكويت وزوّجه أبوه صوناً لأخلاقه من « فساد المدينة » لم يشغله الزواج عن التفكير في استرداد مجد آبائه ، فأقنع بعض الفتيان بالسير معه إلى نجد وإثارة العشائر على ابن رشيد . واستعار بعيراً هزيلاً خرج به مع أصحابه ، ونزلوا ببعض القبائل ، فلم يجدوا من يُصغي إلى الدعوة ، فيئس رفاقه وانصرفوا عنه . وعاد وحده ماشياً ، وقد ظلع بعيره ، إلى أن لقيه ركب حملوه معهم إلى الكويت . قال نصّار : « وأحبّ أن يكتم خبر إخفاقه ، لولا أن رفاقه سبقوه ، وتحدثوا بما لقوه ، فلما وصل سخر الناس به » !

فإن صحّت هذه الرواية ، فتكون المحاولة قد تكررت .

ويذكر نصّار أيضاً أن كبرى شقيقات عبد العزيز « نورة » كان لها فضل في تشجيع أخيها ، تقول له : « لا تندب حظك كالنساء . إن خابت الأولى والثانية ، فسوف تظفر في الثالثة . ابحث عن أسباب فشلك واجتنبها . لا تكثر من إقامتك عند امرأتك أو في بيت أملك ، فالرجال لم يخلقوا للراحة . »

أقول : ونورة هذه هي أخت عبد العزيز الشقيقة ، كان ينتخي بها في الحرب والهَوْل : « أنا أخو نورة » ! أنا أخو الأنور ! وعاشت عمرها وهي أقرب الناس إليه وكانت حلاّلة المشكلات الداخلية في قصره – بعد المُلك وقبله – يستشيرها في أُمور الأسرة ، ويزورها كل يوم . توفيت وبلاد المملكة تستعد للاحتفال بالذكرى الذهبية لمرور خمسين عاماً على فتح الرياض .

لقد كانت نُورة تشجّع عبد العزيز في الكويت ، وتشحذ همته ، والنار بالنار تُذكى ، كما يقال .

المَـلك عَبـد العَـزيـز

يعـود إلى الميـدان

لم تطل إقامة عبد العزيز في الكويت هذه المرة ، وقد ذاق حلاوة الظفر ومرارته في الرياض قبل شهور . فأكثر من التعريض لأبيه بعزمه على المغامرة الثانية (أو الثالثة) وهو لا يلقى إلاّ الزجر والصدّ . وعيل صبره ، فلقي أباه ساعةً على انفراد في مكان خال ، خارج المدينة ، فاستوقفه فقال : ما تريد ؟ قال : أريد الحديث . فقال : لا أريده ! فأصرّ على أبيه وألقى عباءته على الأرض وقال : — وعُروقه تنتفض — إجلس يا عبد الرحمن ..!

عبد العزيز ، مثال الأدب مع أبيه ، يخاطبه بهذه اللهجة ، وباسمه المجرّد ؟ هناك أمر لا ريب ...

جلس الإمام عبد الرحمن وأمامه الشعلة المتوقدة ، ابنه عبد العزيز ، يقول : أنت بين خطّتين ، إما أن تأمر أحد عبيدك بانتزاع رأسي من بين كتفيّ فأستريح من هذه الحياة ، وإما أن تنهض من تَوّك فلا تخرج من منزل شيخ الكويت إلا بوعد في تسهيل خروجي للقتال في بطن نجد .

، ، ،

كانت هذه الجلسة « الثائرة » بين الابن وأبيه ، بعد وساطة لم يذكرها إلى الآن أحد من مؤرخي عبد العزيز[1] هي وساطة والدته لدى والده . قال

(١) حدثني بها "الثقة" يوسف ياسين ، نقلا عن الملك عبد العزيز نفسه .

عبد العزيز : شعرت وأنا ألحّ على أمي في أن يأذن لي أبي بالحركة ، أنها كانت بين عاملين ، عامل حب الابن والإشفاق عليه من أن يزجّ نفسه في المهالك ، وعامل مرضاة « عنفوان » الفتى وفتح الباب له على مصراعيه ..

، ، ،

وافق الإمام عبد الرحمن ، متململاً ، بعد تصميم عبد العزيز . وهرع إلى مبارك الصباح يسأله تسهيل الأمر ، ولا أحبَّ لمبارك من هذا .

وفي الهزيع الأوّل من تلك الليلة كان عبد العزيز يملك أربعين ذلولاً وثلاثين بندقية ومئتي ريال ، معونة من الشيخ مبارك[1] وأسرع إلى توديع أبيه وطلب رضاه .

قال عبد الرحمن : ترى يا عبد العزيز ، ليس لي قصد في أن أقف في سبيل إقدامك . ولكن ، كما ترى ، موقفنا وحالنا يقضيان باستعمال الحكمة في إدارة أمرنا . أما وقد عزمت ، فأسأل الله لك العون والظفر .

قال راوي الحديث عن عبد العزيز[2] : وبدرت دمعة من عين الأب ، كانت أثمن ما حمله قلب الابن في سَيره إلى المعركة التي خرج من أجلها .

ومضى في أربعين راكباً من آل سعود والموالين لهم ، ونحو العشرين من أتباعهم ، فنزل في ديار « العُجمان » حيث لحق به بعض طُلاّب « الكسب » منهم . وذاع الخبر بأن ابن سعود يغزو . وأقبلت جماعات من آل « مُرّة » و « سُبيع » و « السّهول » يحدو أكثرها أو يحدوها جميعاً ، الطمع بمغانم الغزو ، وللغزو مغانمه ومخاطره !

وقارب عدد الملتفّين حول عبد العزيز ألف راكب ذلول ، وأربعمئة خيّال ، اجتاز بهم الصمّان والدّهناء . وأغار على أبيات لقحطان من أعوان ابن رشيد فغنم. وعاد إلى أطراف الأحساء — وفيها « متصرف » من الترك، وعليها العَلَم العثماني — فتموّن وقصد جماعة آخرين من قحطان في « عُشَيْرة »

---

(١) الريحاني ، في تاريخ نجد الحديث ١٠٨

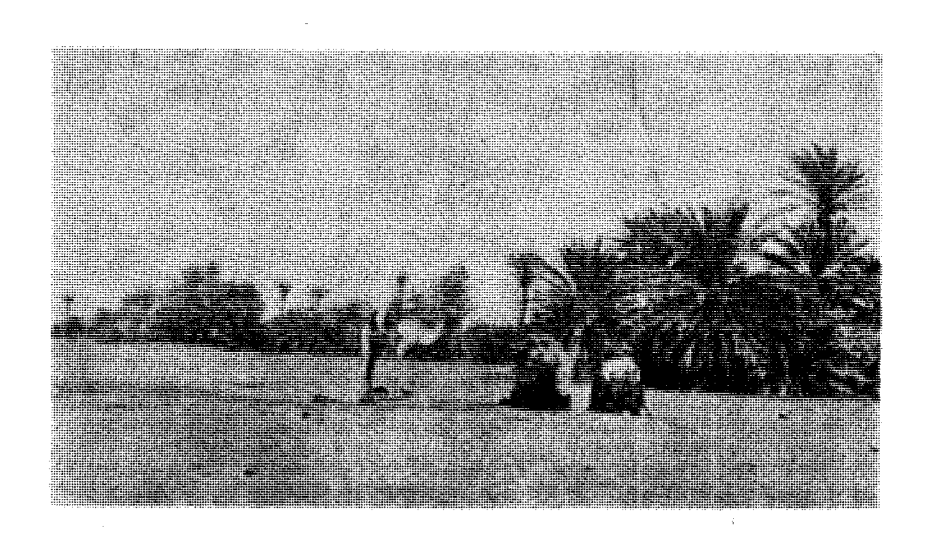
(٢) يوسف ياسين .

من جهات سُدير ، فربح . وهاجم فريقاً من « مُطير » فساق بعض مواشيهم أمامه . وتسامع البدو بخبر الغزو ، فتسارعوا . . يتبعون الظافر على عادتهم ؛ فزاد عدد الغزاة مئات . ومركز الاستقرار والتموين جنوب الأحساء وداخلها .

وقلق ابن رشيد ، ولم يكن من قبل يأبه كما كان يقول « لألاعيب » الشاب عبد العزيز ، فكتب إلى حكومة البصرة — التابعة للترك العثمانيين — يذكر استفحال أمر ابن سعود ، وأنه أصبح — أو سيكون — خطراً . واقترح طرده من نواحي الأحساء ، ففعلتْ ، ومنعته أن يتموّن هو ومن معه منها . وأقبل الشتاء ، فتفرق من كان مع عبد العزيز من البدو ، بعضهم يطلب المرعى لمواشيه ، وبعضهم لا يريد أن يتعرض لسخط « الدولة »

ويقول الريحاني : « كان ابن رشيد في الحَفَر — بين القصيم والكويت — يستنجد الأتراك في احتلال الكويت ، ويستحثهم على عدوّه الجديد عبد العزيز ، بل على آل سعود كلهم . فقطعت الدولة « معاش » كبيرهم — الإمام عبد الرحمن — وسدّت أبواب الحَسَا في وجه صغيرهم عبد العزيز ، وهَمّ ابن رشيد أن يحصر هذا الصغير في واحة قصيّة اعتصم بها عبد العزيز بمن بقي معه ، هي واحة « يَبْرِين » من أطراف الربع الخالي ، على مسافة ١٦٠ ميلاً من جنوب الأحساء و ١٧٥ ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب .

وكتب الإمام عبد الرحمن ، مشتركاً مع الشيخ مبارك ، إلى عبد العزيز يدعوانه إلى الكفّ عما هو فيه ، ويحذّرانه العواقب ، ويسألانه الرجوع إلى الكويت ..



واحة يبرين

الملك عبد العزيز

في واحة يَبْرين

تفقّد عبد العزيز رجاله في واحة يبرين ، آخر يوم من رجب ١٣١٩ (١٢/١٠/١٩٠١م) فلم ير إلاّ من صحبوه يوم مغادرته الكويت . فجمعهم حوله ، في مجلس للمداولة . وقرأ عليهم كتاب أبيه ، ثم قال :

لا أزيدكم علماً بما نحن فيه . وهذا كتاب والدي يدعونا للعودة إلى الكويت ، قرأته عليكم . ومبارك ينصحنا بالعودة . أنتم أحرار فيما تختارونه لأنفسكم . أما أنا فلن أعرّض نفسي لأكون موضع السخرية في أزقّة الكويت . ومن أراد الراحة ولقاء أهله والنوم والشبع فإلى يساري ، إلى يساري ...

، ، ،

وتواثب الأربعون ، بل الستون ، إلى يمينه . وأدركتهم عزة الأنفة فاستلّوا سيوفهم وصاحوا مقسمين على أن يصحبوه إلى النهاية .

، ، ،

والتفت عبد العزيز إلى رسول أبيه — وهو حاضر يشهد — وقال له : سلّم على الإمام وخبّره بما رأيت ، واسأله الدعاء لنا وقل له : موعدنا إن شاء الله في الرياض .

الأربعون ، أو الستون

كلمة « الأربعين » يكثر ورودها في أخبار عبد العزيز . وليس الغرض منها إلاّ ما يقارب هذا العدد ، يزيد أو ينقص .

كذلك هؤلاء الأربعون أو الستون ، يورد الأمير سعود بن هذلول[1] أسماءهم ، فيبلغون عنده واحداً وأربعين ، عدا العشرين ولم يسمّهم . ويسميهم الفتال [2] فيبلغ عددهم عنده ، مع العشرين ، تسعة وخمسين . ويختلفان في كثير من الأسماء ، فينفرد كل منهما بأشخاص لم يأتِ بها الآخر . وقد بلغ مجموع ما عندهما معاً ، سبعة (أو خمسة) وستين ، أذكرهم فيما يلي ، مرتّبين على الحروف ، وقد ميّزت من لم يذكرهم ابن هذلول ، بنجمة . وليس لديّ ما أرجّح به إحدى الروايتين ، والمصدران حديثان :

إبراهيم بن محيذِف *
إبراهيم النفيسي
ثلاب العَجَالين الدّوسَري *
جترش العرجاني *
حِزام العَجَالين الدوسري (لعله ثلاب)
حشامش العرجاني *
زايد البقشيني السبيعي *
زيد بن زيد
سالم الأفَيْجِخ *
سطّام أبا الخيل (المُطيري)
سَعْد بن بخيت *
سعد بن جيفان *
سعد بن عُبيد *
سعد بن هُدَيب *
سعد بن ناصر الفَرْحان
سعد بن بيشان الدوسري
سلطان (مملوك عبد العزيز) *
شايع بن شدّاد من آل محيميد السّهول *
صالح بن سبعان
طَلال بن عَجْرَش *
عبد العزيز بن جلوي
عبد العزيز بن عبد الله بن تركي

---

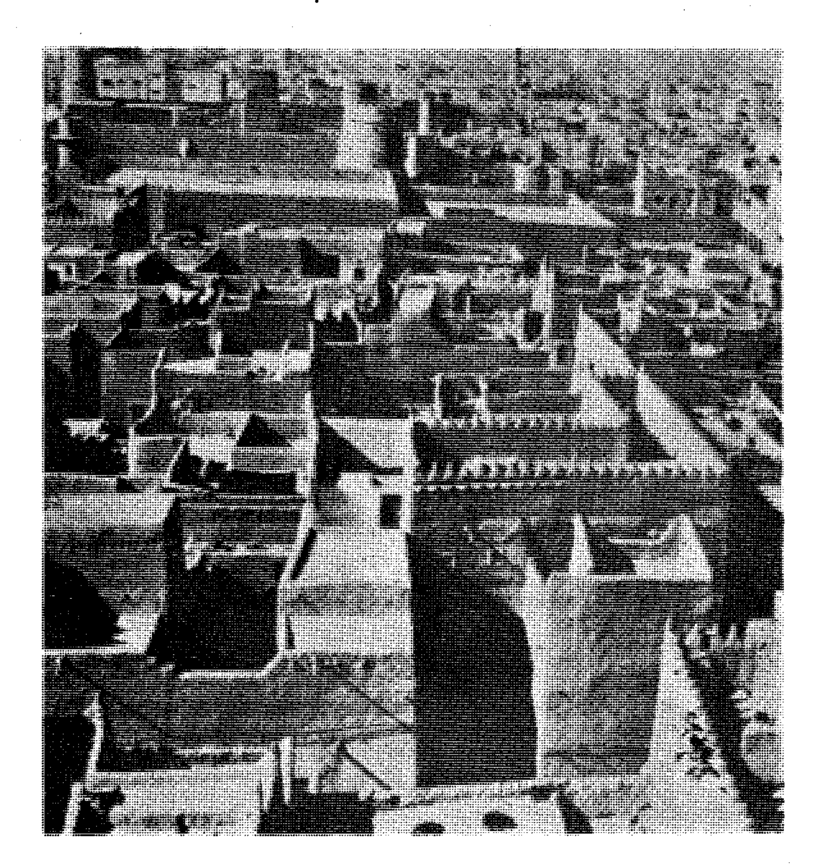
(١) أمير القصيم الآن ؛ سعود بن هذلول بن ناصر من آل ثنيان ، في كتابه « تاريخ ملوك آل سعود » الصفحة ٥٨

(٢) عبد الوهاب الفتال في كتابه « حرب الانتصار » الصفحة ١٩

عبد العزيز بن مساعد بن جلوي
عبد اللطيف المعشوق
عبدالله أبو المريتب السبيعي *
عبدالله بن جَرِيس
عبدالله الجطَيلي *
عبدالله بن جلوي
عبدالله بن خنَيْزِران
عبدالله بن شامل الدوسري *
عبدالله بن صنَيْتان
عبدالله بن عُبيد
عبدالله (بن عثمان) الهزّاني
عبدالله بن عَسْكر
عبدالله بن مرْعيد السبَيْعي *
عبيد (أخوشَغْوا) الدوسري *
عُبيد بن صالح الملقب عويبيل *
فرحان السعود
فلاج بن شنار الدوسري
فهد بن إبراهيم المشاري
فهد بن جلوي
فهد بن شعَيْل الدوسري *
فهد بن معمّر
فهد بن الوُبَيْر الشامري

فُهَيد المعشوق
فيروز العبد العزيز
ماجد بن مرعيد (السبَيْعي)
محمد بن شُعيل
محمد بن عبد الرحمن (أخوعبد العزيز)
محمد بن لَمّاع *
محمد بن هزّاع
محمدبن الوبير الشامري *
مسعود المبروك
مسلّم بن مجْفِل السُبيعي
مُطْلَق بن جفال *
مطلق بن عجيان
مطلق الغربي
مُعْضِد بن خرصان الشامري
مُناوِر العنَزي *
منصور بن حمزة آل منصور (لعله ابن محمد) *
منصور بن فريج
منصور بن محمد بن حمزة
ناصر بن سعود الفرحان
ناصر بن شامان
ناصر بن فرحان آل سعود (لعله ابن شامان) *
نافع الحربي *
يوسف بن مشْخِص

مدينة الرياض من الجو



« عن كتاب مدينة الرياض »

الملك عبد العزيز

في الرياض

يومُ الرياض الذي احتفلت المملكة العربية السعودية سنة ١٣٦٩ هـ، بمرور خمسين عاماً هجرياً عليه ، يوم عظيم — حقاً — في تاريخ جزيرة العرب لا في سيرة الملك عبد العزيز وحده .

يقول الدكتور جون فانيس (في كتابه : أقدّم أصدقائي العرب) : بدأ عبد العزيز مجازفته ، ومعه أربعون رجلاً . ويالها من مجازفة ، ويالها من مغامرة !

ويقول فؤاد حمزة (في قلب جزيرة العرب) : إن قصة حملة الرياض من أروع قصص البطولة وأعظمها شأناً وأجلها قدراً .

ويقول حافظ وهبة (في جزيرة العرب في القرن العشرين) : إن هذه القصة تشبه قصص أبطال اليونان ، وترينا عظم الأخطار التي أحاطت بابن سعود .

ويقول نصّار في كتابه (الرجل) : إن ابن سعود ، الذي تعلّم الصعود إلى مراقي العظمة ، في مدرسة الإسلام ، كما تعلمه فيها أبو بكر وعمر وعلي وخالد ومعاوية ، وغيرهم من الصحابة الكرام ، وتمرّن على الخشونة وشظف العيش والشدة في مدرسة بني مرة الساذجة ، ارتقى أول درجة من سلّم العظمة بالاستيلاء على الرياض .

ويقول كنث وليمز (في كتابه ابن سعود سيد نجد) : تمكّن ابن سعود من استرداد قلب الإمارة الوهابية (كذا) بطريقة تدل على براعة فائقة وحذق مدهش .

، ، ،

أما الطريقة التي دخل بها الملك عبد العزيز ، حصن الرياض ، ومغامرته في الاستيلاء عليه ، ومفاجأته لأميرها ، وحكاية ليلة ٥ شوال ١٣١٩ (١٩٠٢/١/١٥م) وصباح ذلك اليوم ، فقد كثر الكاتبون عنها والمسهبون في إيرادها ، ينقل بعضهم عن بعض ، ويزيد هذا وينقص ذاك . وسأحاول أن أجمع بين مختلف الروايات ، مراعياً التقيّد بما نُقل منها عن لسان عبد العزيز في أحاديثه الخاصة ، على الأكثر .

من يَبْرين إلى الرياض

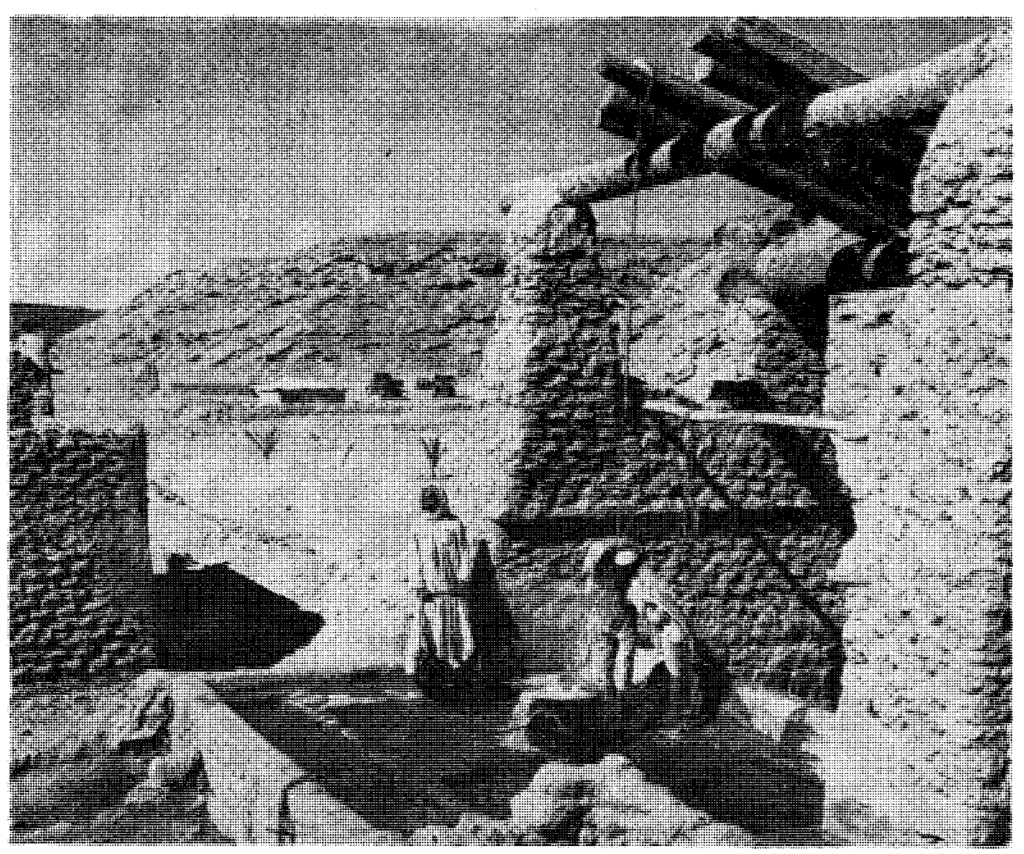
تحرّك عبد العزيز من «يبرين» أو جوارها ، على رأس رجاله (الستين) في العشرين من رمضان ١٣١٩ ووجهته الرياض ، ولا يعلم أكثر من معه أين يريد . والمسافة بين المكانين ١٧٥ ميلاً كما سبق القول . فأدركه العيد في موضع يقال له « أبو جفـَان » على طريق الأحساء ، فعيّد فيه . ورحل منه ليلة ثالث شوال ، فوصل إلى « ضِلْع الشّـعَيْب » على مسيرة ساعة ونصف للراجل من الرياض ، فحط الرحال وأنيخت الركائب وترك عندها عشرين رجلاً .

وتقدم بالأربعين ، على أقدامهم . وفيهم أخوه محمد[١] وابن عمه عبدالله ابن جاوي بن تركي[٢] فدخل « الشّـمَيسي » وهي بساتين خارج الرياض .

(١) محمد بن عبد الرحمن : أكبر أخوة الملك عبد العزيز . ولد في الرياض بعده بنحو ستة أشهر . تأتى ترجمته في الكلام على أسرة عبد العزيز .

(٢) عبدالله بن جلوى : يأتى الحديث عنه في فصل أفرد له .

وكانت الساعة الثالثة عربية — التاسعة ليلاً — فاستبقى بين نخيلها ثلاثة وثلاثين[١] ممن معه ، وجعل قيادتهم لأخيه محمد . وقال لهم : لا حول ولا قوة إلا بالله ! إذا لم يصل إليكم رسول منا غداً ، فأسرعوا بالنجاة ، واعلموا بأننا قد استُشهدنا في سبيل الله ..



السانية التي اختبأ وراءها ، في النخيل ، أصحاب عبد العزيز الثلاثة والثلاثون
— من ضواحي الرياض —

(١) في "ابن سعود سيد نجد" ومصادر أخرى : أن الذين دخلوا مع عبدالعزيز كانوا عشرة أشخاص ، إلا أن المروي عن لسانه أنهم كانوا سبعة وهم : عبد الله ، وعبد العزيز ، وفهد أبناء جلوي بن تركي ، وناصر بن سعود ، واثنان من خدامهم ، هما المعشوق وسبعان .

اقتحام سُور القصر

ومضى بالسبعة قُدُماً . وكان أوّل همّه أن يقتحم قَصْر المُسْمَك (ويقال له : المُصْمَك) وهو المعقل الذي اعتصمت به حامية ابن رشيد في العام الماضي ، وفيه يقيم أمير الرياض من قِبَل آل رشيد . واسمه « عَجْلان ابن محمد العجلان » . وكان يحيط بمدينة الرياض كلها سور هدمه ابن رشيد بعد استيلائه عليها سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) . قال خالد الفرج : إن الدرس الذي تعلمه عبد العزيز من تجربة السنة الماضية ، جعله يدرك أن الاستيلاء على بلدة الرياض لا يفيد ما دامت الحامية في الحصن (القصر) .

وكانت هناك بيوت تقارب جدار « القصر » الخارجي ، يسكن أحدها فلاّح يتّجر بالبقر ، اسمه « جُوَيْسِر » يعرفه عبد العزيز ويعرف بعض نسائه ، وقد كُنّ من خادمات آل سعود فيما مضى . فطرق بابه فصاحت امرأة من داخله : من ؟ فأجابها : أنا ابن مطرف ، أرسلني الأمير عجلان لأطلب من جويسر أن يشتري له بقرتين .. فانتهرته وقالت : أفي هذه الساعة من الليل ؟ فألحّ عليها[١] فنهض جويسر ففتح الباب ، ووضع عبد العزيز رجله في داخل الباب وأمسك بالرجل ، وقال : إذا تكلمت قتلتك في الحال . ودخل البيت . فلما رأته النسوة صاح بعضهن وقد عرفنه : عمّنا ! عمّنا عبد العزيز ! — والخادم في نجد والحجاز ينادي سيده : عمي . فأمرهن بالصمت . وتقدم من معه ، فجمعوا من في الدار ، في غرفة واحدة ، وأوصدوا بابها . وفرّ جويسر ، فاختبأ في ضلع البديعة[٢] ولم يره عبد العزيز .

اجتياز بيت

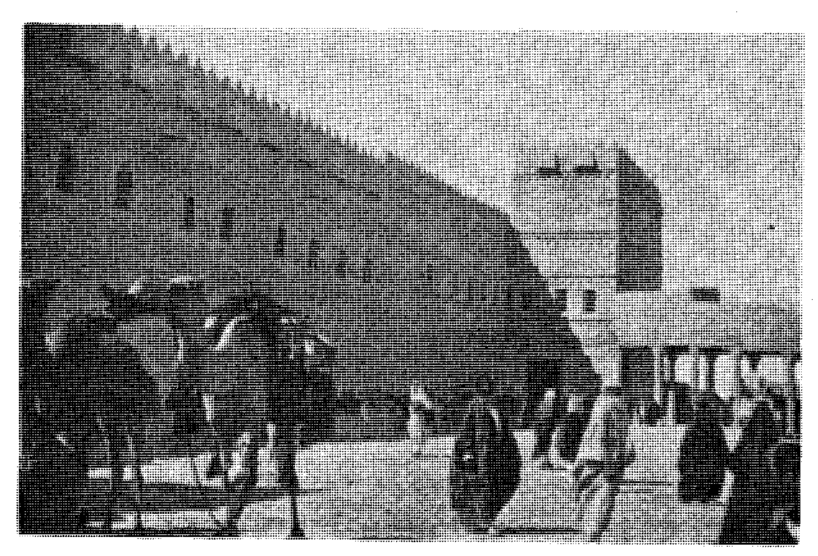
نجح عبد العزيز في اقتحامه سور « القصر » وبقي عليه أن يجتاز بيتاً آخر ،

---

(١) يقول الريحاني وحافظ : إن المرأة قالت : اذهب لا بارك الله فيك ما جئت تبغى البقر بل تبغي الفساد — أو قالت — يا فاجر !.. فأجابها لا والله يا خالة ما جئت لهذا . بل أبغى صاحب البيت وأخشى أن يقتله الأمير غداً اذا لم يلب أمره الآن .

(٢) البديعة : قصر خص في أيام الملك عبد العزيز بالضيوف الذين يفدون عليه من خارج البلاد .

ليصل إلى منزل تقيم فيه إحدى زوجات عجلان ، ويبيت عجلان عندها أحياناً ، اسمها « لُولْوَه » [١] بنت أبي حمّاد ، من أهل الرياض . فتسلق جدار البيت الذي هو فيه ، مستعيناً بجذع نخلة مقطوعة[٢] ونزل في البيت المجاور له ، فوجد رجلاً وزوجته نائمين ، فلفهما في فراشهما ، فاستيقظا ، فهددهما إن تكلما . وحُملا إلى غرفة وأغلق عليهما الباب .



إحدى واجهات القصر القديم في الرياض

في منزل لعَجْلان

لم يبق بينه وبين المنزل الذي يأمل أن يكون فيه عجلان ، حاجز . وقد تنشب المعركة . فأرسل إلى أخيه « محمد » أن يأتي بمن معه . فدخلوا متسللين .

---

(١) لولوه اسم مخفف من لؤلؤة ، وسماها خالد الفرج " موضى " خطأ . وقال الملك ولم يسمها : كان أبوها وعمها من خدامنا . وهى لا تزال في قيد الحياة إلى الآن .

(٢) انفرد كنث وليمز بالإشارة إلى وجود جذع النخلة . على أن الملك يقول : كان يركب بعضنا فوق الآخر . وهذا لا يدل على وجود الجذع ، كما أنه لا ينفيه .

وتقدم عبد العزيز برفاقه الأول ، فاقتحموا منزل « لوْلوْة » ، وطافوا بغرفه ، فوجدوا في إحداها شخصين نائمين في فراش واحد ، لم يشكّ عبد العزيز في أنهما عجلان وزوجته . فأقبل عليهما ، وقد أصلى بندقيته ، وإلى جانبه أحد رجاله يحمل شمعة ، فرفع الغطاء ، فإذا هما امرأتان . فأيقظهما فاستوتا جالستين من دون أن يعروهما خوف أو هلع . وكانت إحداهما « لوْلوْة » — زوجة عجلان . والثانية أختها امرأة أخيه .

ونظرت « لوْلوْة » إلى عبد العزيز ، فعرفته . فقالت : عبد العزيز ؟ قال : نعم !

— ماذا تبغي ؟

— زوجك !

— إن رأوك قتلوك ...

— ما عليك منيَ . أين عجلان ؟

— هنا ، في القصر . وأشارت إلى المكان الذي هو فيه .

— متى يخرج ؟

— بعد طلوع الشمس بساعة[1] وأودّ والله أن تقتل كل شمّري في هذا البلد ، إلاّ زوجي ...

وقطع الحديث بأن أمرها بالصمت ، هي ومن في البيت . وأشار إلى رجاله أن يحشروهنّ في غرفة واحدة ويوصدوا بابها .

وكان بين هذا البيت والبيت الذي قبله باب ، فأزيل ودخل بقية الأربعين .

في انتظار عجلان

عجلان بن محمد العجلان الحائلي ، من ثقات عبد العزيز ابن رشيد . وهو مولى من مولّدي حائل . يُعدّ من الشجعان . وفيه عتوّ ذاق منه المخلصون

---

(١) الريحاني وحافظ وخالد . وفي قلب الجزيرة وصقرقريش : أنها أجابت عن السؤال الأخير بأنه يخرج قبل شروق الشمس .

لآل سعود في الرياض الأمرّين . كان يبيت على الأكثر في القصر الداخلي ، ويفصل بينه وبين منزل « لوأوة » ساحة فيها مرابط لخيله . ومن عادته أن يخرج (بعد طلوع الشمس) فيستعرض الخيل ، ويأتي منزل لوأوة فيشرب القهوة ويتناول طعام الإفطار ، ثم ينصرف إلى تصريف أعمال الإمارة . وباب القصر الداخلي من الطراز القديم ، بوابة كبيرة في وسطها إلى الأسفل باب صغير يسمونه « الخوخة » وهذا الاسم معروف في بلاد الشام أيضاً . والخوخة لا تتسع لأكثر من شخص واحد يدخل أو يخرج .

يصنع القهوة

وكانت الساعة الثامنة عربية (الثانية بعد نصف الليل)[١] حين تجمع الأربعون حول عبد العزيز في منزل « لوأوة » فأكلوا شيئاً من التمر وجدوه في المنزل[٢] وقام عبد العزيز نفسه يصنع القهوة بيده[٣] له ولرجاله ، وينفخ النار . وعَمَلُ القهوة في بلاد العرب يستنفد نحو ساعة من الزمن لأنها تطبخ على الحطب وتروّق وتصفّى ، خلافاً لما هي عليه في البلاد الأخرى . وناموا بعد القهوة جميعاً . قال خالد الفرج : ناموا كأنهم في بيوتهم ، وإنّ صوتاً واحداً من إحدى أولئك النسوة كاف للقضاء عليهم . وقال : سمعت الأمير عبدالله بن جلوي – وهو أحد السبعة المختارين من الأربعين – يُعرّف الشجاعة ، قائلاً : الشجاع الذي يكون في الحرب وهو كأنه في عَرْضَة !

الصّلاة

بعد نوم ساعة واحدة أو أقلّ ، طلع الفجر ، وأذّن الصبح . فنهض

(١) تاريخ نجد . وفي كتاب المملكة العربية : كانت الساعة التاسعة والنصف أي الثالثة والنصف صباحاً .

(٢) خالد .

(٣) صقر الجزيرة .

عبد العزيز فصلّى برجاله قارئاً في ركعتيه سورتين من قصار السور بصوته الهادىء ذي النغمة الجميلة[١] حتى ليكاد السامع يعدّ حروفه ، ثم جلس يسبّح ويبتهل . والتفت إلى رفاقه بعد ذلك ، يتحدث إلى أقربهم إليه حتى طلعت الشمس يوم ٥ شوال ١٣١٩ (١٥/١/١٩٠٢م) .

تفكير وتدبير

كان حديث عبد العزيز ومن معه بعد صلاة الصبح ، فيما يجب أن يعملوا عند ظهور عجلان . وبدت لهم فكرة . فأرسلوا يسألون بعض النسوة : مَن الذي يفتح الباب للأمير حين مجيئه ؟ فقلن : فلانة . فألبسوا رجلاً منهم لباس تلك المرأة ، وقال له عبد العزيز : إذا دقّ عجلان فافتح اه ليدخل علينا .

البروز للمعركة

وصعد عبد العزيز وبعض رجاله إلى غرفة فوق التي هم فيها ، لها فتحة يُرى منها باب القصر ، وجلسوا يرتقبون .

طلعت الشمس وفتحت بوابة القصر ، فخرج بعض الخدم منطلقين إلى البيوت المجاورة ، كلّ إلى أهله[٢] وأخرج السُوّاس خيلاً ربطوها في مكان واسع معرضة للشمس .

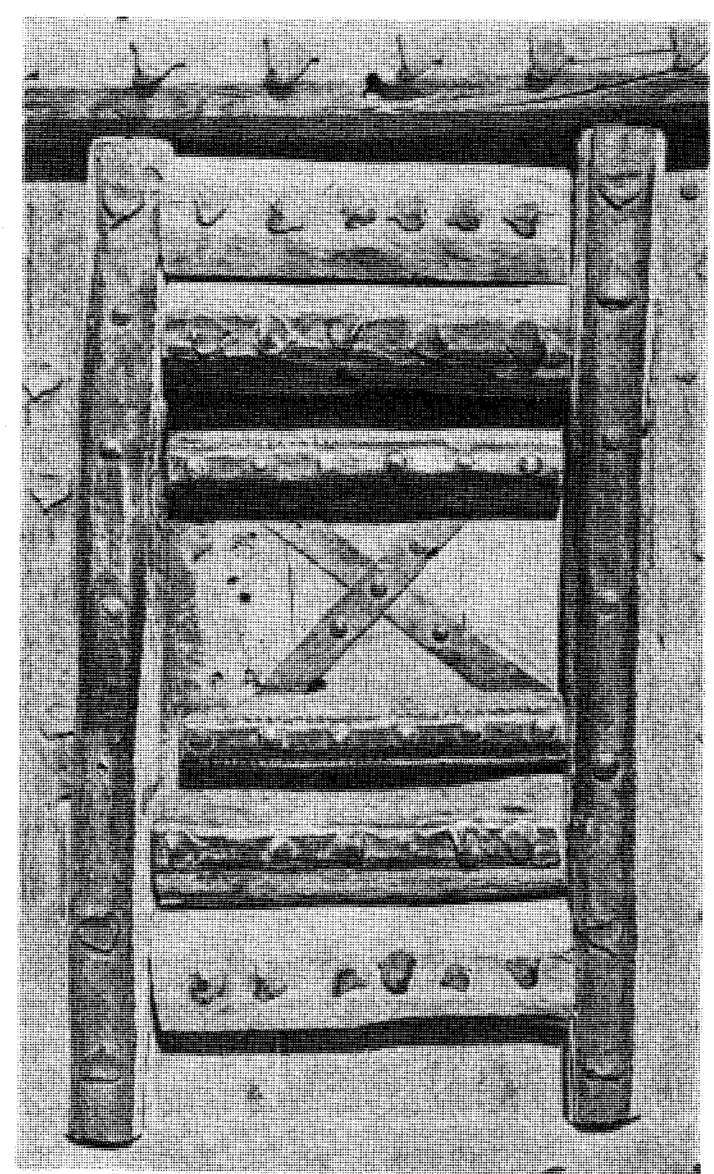
وبدا لعبد العزيز ورفاقه رأي جديد هو أن يخرجوا من مكمنهم ويقتحموا القصر فيفاجئوا الأمير فيه . فنزلوا وأخبروا أصحابهم . وانطلق عبد العزيز خارجاً من منزل لوُلوّة ، يتبعه نحو خمسة عشر رجلاً .

غير أن الأمير عجلان كان في خلال نزولهم ، قد نزل أيضاً من قصره ، وخرج من البوابة ومعه نحو عشرة رجال . وأقبل يريد البيت الذي خرجوا

---

(١) صقر الجزيرة .

(٢) هذا ترتيب وضعه الأمير عجلان لرجاله . وخدامه يبيتون الليل في قصره فإذا أصبحوا خرجوا إلى بيوتهم كما يفعل هو أيضاً ، مبالغة في الاحتراس .



باب القصر الداخلي « المُسْمَك » الذي كانت المعركة أمامه

منه .. وتوقف قليلاً في طريقه ، يستعرض الخيل على عادته .

المفاجأة

أُغلقت البوابة بعد خروج عجلان . وما كاد عبد العزيز يبتعد خطوات عن أصحابه ، متجهاً إلى القصر ، حتى رأى عجلان وهو ينظر إلى الخيل . والتفت عجلان فرآه . وقامةُ عبد العزيز لا تخفى على أحد .

كان عبد العزيز يحمل بندقية ذات رصاصة واحدة . وسلّ عجلان سيفه ، وأومأ به إليه . وصوّب عبد العزيز بندقيته وأطلقها . وأُصيب عجلان في غير مقتل ، فسقط السيف من يده ، وانفتل راجعاً يريد باب القصر ، وقد سبقه إليه بعض رجاله .

وعدا عبد العزيز وراء عجلان ، فأدركه وهو يجمز داخلاً ، فأمسك برجليه يجرّهما ، وتعلّق عجلان بيديه في الداخل . ورماه عبدالله بن جلوي بحربة أخطأته واستقرت في الباب . وأخذ جماعة عجلان يطلقون الرصاص ويلقون الحجارة من أبراج القصر ، فقتلوا اثنين من رجال عبد العزيز ، وجرحوا أربعة . وتمكن عجلان من ضرب عبد العزيز برجله على شاكلته (خاصرته) فأوجعه ، وانفلت منه واستمر داخلاً . وأراد عبد العزيز اللحاق به ، فاعترضه بعض رفاقه . وسبقه عبدالله بن جلوي ، فدخل ، والنار تنصبّ عليه ، فأطلق على عجلان رصاصة أصابت المقتل وألقته صريعاً .

المُلك لله ثم لعبد العزيز !

قُتل عجلان ، وصاح عبد العزيز برجاله يستفزّهم ، فاقتحموا القصر وفتكوا بنيف وثلاثين رجلاً ممن فيه . وتحصّن نحو عشرين رجلاً في جهة منه ، فأمّنهم عبد العزيز على أرواحهم[1] فسلّموا . ونادى المنادي : المُلك لله ! ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن !

---

(١) تاريخ نجد الحديث . والبلاد العربية السعودية . وجزيرة العرب . وصقر الجزيرة .

موجز ما تقدم : نقلاً عن لسان الملك

قال فؤاد حمزة[١] : لا أجد لساناً أبلغ في التعبير عن حوادث القصة الخالدة — في فتح الرياض — من لسان الملك نفسه . فقد تحدث عن هذه المجازفة الخطرة ، بكلام بسيط سمح ، ننقله فيمايلي :

« أخذنا أرزاقاً وسرنا وسط الربع الخالي ، ولم يدر أحد عنا أين كنا ، فجلسنا شعبان بطوله إلى عشرين رمضان . ثم سرنا إلى العارض .

« كانت رواحلنا ردية.ولم نرد « أبو جفان » الواقع على طريق الحسا إلاّ أيام العيد ، فعيدنا رمضان عليه . سرنا منه ليلة ثالث شوال حتى صرنا قرب البلد وكان ابن رشيد هدم سور البلد . والمحل الذي يقيم فيه الأمير المنصوب من قبله يقع في قصر للإمام عبدالله ، هدمه ابن رشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمسمك . وكانت لنا بيوت للعائلة أمام المسمك ، هدمها الرشيدي أيضاً ، وعملوا حول بعضها سوراً ثانياً ، وصار فيها بعض حرم للأمير وخدمه ، فإذا جاء الليل حاصروا في القلعة وعقيب طلوع الشمس يخرجون إلى حرمهم وإلى البلد .

« فنحن مشينا حتى وصلنا محلاً اسمه « ضلع الشعيب » يبعد عن البلد ساعة ونصف للرجلي . هنا تركنا رفاقنا وجيشنا[٢] ومشينا على أرجلنا الساعة السادسة ليلاً . وتركنا عشرين رجلاً عند الجيش . والأربعون مشينا لا نعلم مصيرنا ولم يكن بيننا وبين أهل البلد أي اتفاق .

« بعد أن أقبلنا على البلاد أبقيت محمداً أخي ومعه ٣٣ رجلاً من خويانا ومشينا ونحن سبعة رجال : أنا ، وعبد العزيز بن جلوي ، وفهد ، وعبدالله بن جلوي ، وناصر ابن سعود . ومعنا المَعْشوق ، وسَبْعان ، من خُدّامنا . افتكرنا ماذا نعمل .

---

(١) البلاد العربية السعودية .

(٢) الجيش ، في اصطلاح أهل نجد : الركائب والأباعر .

فوجدنا بيتاً بجانب الحصن الذي فيه حرم منصوب ابن رشيد . كان صاحب البيت يبيع البقر وهو رجل شايب اسمه جويسر ، للآن حيّ[١] . وكانت له بنات يعرفنني بسبب مجيئي الأول للرياض يوم الصريف . كان واحد اسمه ابن مطرف يخدم عند رجاجيل ابن رشيد في القصر . دقيت الباب ، فخرجت إحدى البنتين والباب مصكوك وقالت : (من أنت) قلت : (أنا ابن مطرف أرسلني الأمير عجلان يريد من أبيك أن يشتري له باكر بقرتين وأُريد أن أُقابل أباك) قالت : (ما تخسا يا ابن الملعونة هل أحد يضرب باباً على نساء في الليل إلاّ وهو يبغي الفسق؟ أخرج ، رُحْ !) قلت: (هيّن ! أنا الصبح أقول للأمير ، وهو يذبح أبوك)

« لما سمع أبوها الكلام خرج مرعوباً . فلما فتح الباب مسكته ، وقلت : (اسكت يا خبيث) . عرفني الحريم وصحن (عمنا ! عمنا !) فقلت (بس بس) مسكنا الحريم بنات جويسر ووضعناهم في الدار وقلت صكوا عليهم . أما والدهما فإنه خاف وهرب من البيت ونحن نظنه محبوساً . فهرب واختبأ في ضلع البديعة . والحريم ظلوا في الغرفة محجورين .

« ورأينا بعد ذلك أننا ما يمكن نظهر من هذا البيت إلى بيت عجلان . ووجدنا أنه يوجد بيت وراءه فيه حرمة وزوجها فقفزنا من هذا على البيت الثاني ، ووجدنا الحرمة نائمة مع زوجها . لففناهما بالفراش وهما نائمان . وأدخلناهما إلى دار وسكّرناها وتهددناهما بالذبح إن تكلما .

« أرسلنا عبد العزيز وفهد بن جلوي إلى أخي محمد ، خارج الديرة ، وجاء محمد ورفاقه ، دخلنا البيت واسترحنا قليلاً إلى أن تحققنا أن خبرنا لم يفتضح بعد . أبقيناهم (أي محمد وخوياه) في البيت ونحن الآخرين نركب بعضنا فوق البعض الآخر ، وحوّلنا على بيت عجلان ونزلنا إلى داخله ..

« وكانت معنا شمعة فطفنا في البيت قبل أن نجيء إلى محل نوم عجلان . مسكنا الخدم الذين فيه وحبسناهم في دار وصكّينا عليهم . ثم مشينا إلى محل

---

(١) كان حياً سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥ م .

نوم عجلان ، وخلينا خمسة عند الباب وواحد معه الشمعة ، وأنا دخلت وفي البندقية فشكة . فلما أقبلت وجدت عجلان نائماً مع زوجته فرفعت الغطاء وعندها تحقق لي خيبة ظني وأنه ليس بعجلان ، والحرمة زوجة عجلان وإنما هي وأختها نائمتان معاً .

« أخذت الفشكة من البندقية وأخرجتها ثم وكزت الحرمة فنهضت . فلما رأتني صرخت (من أنت ؟) فقلت : « بس أنا عبد العزيز » أما هي فكانت تعرفني وأبوها وعمها خدام لنا . وهي من أهل الرياض قالت : « ماذا تريد ؟ » قلت : « أدوّر رَجْلك يا فاجرة ! يلّي تاخذين شمّر » قالت : « أنا غير فاجرة . أنا ما أخذت شمر إلا يوم تركتني أنت . ويش جايبك ؟ » فقلت : « أنا جيت أدوّر رجلك لأقتله » قالت : « أما زوجي فلا وُدّي تقتله ، وأما ابن رشيد وشمر فودّي تقتلهم جميع ! ولكن كيف تقدر على زوجي ؟ زوجي محصّن في القصر ومعه ٨٠ رجال ويمكن لو اطلع عليك أخاف ما تقدرون تنجوا بأرواحكم وتخرجوا من البلاد »

« تكلمت عليها وسألتها عن وقت خروج زوجها من الحصن قالت : إنه ما يخرج إلاّ بعد ارتفاع الشمس بثلاثة أرماح .

« أخذناها وصكّينا عليها مع الخدم . ثم أحدثنا فتحة بيننا وبين الدار التي فيها أخي محمد ، ودخلوا علينا .

« وكان الليل عندئذ الساعة التاسعة والنصف ، والفجر يطلع على ١١ ، فلما اجتمعنا في المحل استقرينا وأكلنا من تمر معنا ، ونمنا قليلاً . ثم صلينا الصبح وجلسنا نفكر ماذا نعمل .

« قمنا وسألنا الحريم : من الذي يفتح الباب للأمير إذا جاء ؟ قالوا : فلانة . فعرفنا طولها ، فلبّسنا رجلاً منا لباس الحرمة التي تفتح الباب ، وقلنا له : استقم عند الباب ، فإذا دقّ عجلان افتح له ليدخل علينا . رتبنا هذا وصعدنا إلى فوق في غرفة فيها فتحة نشوف باب القصر .

« وبعد طلوع الشمس فتحوا باب القلعة وخرج الخدام على العادة إلى أهلهم . لأنهم كما ذكرنا أصبحوا حذرين من يوم سطوتنا الأولى . ثم فتح باب القلعة وأخرجوا خيلاً لهم وربطوها في مكان واسع .

« لما رأينا باب القلعة مفتوحاً نزلنا ، لأجل أن نركض للقلعة وندخل القصر ، بعد فتح الباب .

« بنزولنا خرج الأمير ومعه خدمه قدر ١٠ رجاجيل ، قاصداً بيته الذي نحن فيه . وبعد خروجه أقفل البواب بابه وراح لأسفل القصر ، وترك الفتحة .

« نحن عند نزولنا أبقينا أربعة بواردية ، قلنا : إذا رأيتمونا راكضين أطلقوا النار على الذين عند باب القصر . فلما ركضنا كان عجلان واقفاً عند الخيل ، فالتفت إلينا مع رفاقه . ولكن هؤلاء الرفاق ما ثبتوا بل هربوا للقصر . وحينما وصلنا إليه كان الجميع دخلوا ما عدا الأمير عجلان هو وحده . أما أنا فلم يكن معي غير بندقي وهو معه سيفه . ردّ لي السيف ، وهو يومي لي بالسيف ، ووجه السيف ما هو طيب . غطيت وجهي وهجمت بالبندق . فثارت ، وسمعت طيحة السيف في الأرض . يظهر أن البندق أصابت عجلان ولكنها لم تقض عليه . فدخل من الفتحة . ولكني مسكت رجليه فمسك بيديه من داخل ورجلاه بيدي . أما جماعته فقاموا يرموننا بالنار . ويضربوننا بالحصى

« وضربني عجلان برجله على شاكلتي (خاصرتي) ضربةً قوية ، أنا يظهر أني غَشِيت من الضربة ، فأطلقت رجليه ، فدخل ، بغيت أدخل فأبى عليّ خوياي . ثم دخل عبدالله بن جلوي والنار تنصبّ عليه ، ثم دخل العشرة الآخرون ، فتحنا الباب على مصراعيه . وجماعتنا ركضوا لإمدادنا وكنا أربعين والجماعة الذين أمامنا ٨٠ ذبحنا نصفهم . ثم سقط من الجدار أربعة وتكسروا . والباقون حاصروا في مربعة ، ثم أمّناهم فنزلوا . وأما عجلان فذبحه ابن جلوي .

« ثم جاءنا أهل البلاد فأمّناهم ،وسكنا يومنا وليلتنا.ثم شرعنا في بناء السور

« أركبنا ناصر بن سعود بالبشارة لمبارك ووالدي »

الملك عبد العزيز

وأحداث ما قبل الاستقرار

كان الملك عبد العزيز ، يتتبع بشغف واهتمام ، أخبار ما كانت عليه بادية العرب في عهد تفككها واضطرابها ، في فترات كان منها ما يطول مداه أيام ضعف الحكومات التي بسطت عليها سلطانها ، ومنها ما يقصر مداه في عهد قوة السلطان .

فزمن الردّة مثلاً ، بُعيد ظهور الإسلام ، كان فترةً قصيرة . لأنّ دولة الراشدين الفتية المتشبعة بروح الإيمان ، استطاعت الضرب على أيدي المرتدين بقوة ، فسلس لها قياد تلك البقعة من الجزيرة في وقت يسير .

وكانت للفوضى « تموّجات » في عصر بني أميّة . بدا بعضها خطيراً في حركة الخلاف بينهم وبين بني هاشم ، وبعضها في مظهر التأييد لابن الزبير ، ثم سكنت .

وما كادت تستقر في مفتتح العصر العباسي حتى ظهرت فيها ، أو في بعض أطرافها ، نزعة « القرمطية » فشغلت السلطات المجاورة زمناً غير قصير .

وانطلقت البادية من قيود النظام ، أيام اختلاله في بغداد ، في الشطر الثاني من العصر العباسي وما تلاه .

وسبحت في غمرات من الفوضى في عهد انشغال جاراتها في الشمال

بمقاومة زحف الصليبيين وردّ غاراتهم .

ولم تكن في القرنين الأول والثاني من عصر استيلاء الترك العثمانيين على مصر والحجاز واليمن والشام ، بأسعد حالاً مما قبلهما .

وتخبطت في أكثر تلك الأزمان ، على غير هدى . وتجاهلها التاريخ أو جهلها . فلم نعرف عنها غير أثر ضئيل مما كتبه المعنيّون بتاريخ شبه الجزيرة والرحالون المغامرون في بعض مجاهلها .

وعبد العزيز ، وهو من أعلم الناس بطبيعتها، يصفها — كما تحدثنا عنه الأستاذ الجامعي زيشكا — بقوله : « مَثَل هذه البادية في حياتها كمَثَل أرضها . تظلّ قاحلة جرداء ماحلة إلى أن يسقيها الغيث ، فإذا سُقيت اخضرّت وأزهرت. كذلك هي في رجالها تستمرّ عصوراً وهي مستغرقة في جهالاتها وعداواتها ، ويبرز فيها رجل يُحسن تنظيمها وتوجيهها ، فتنقلب ، والحياة ملء كل ناحية من نواحيها »

قبل دعوة ابن عبد الوهاب

ووصلت إلينا نُتَف متفرقة من أخبار بلاد ابن عبد الوهاب ، قبل قيام دعوته التي يمكن أن نجدها ، إلى جانب ما فيها من « الثورة » على البدع والضلالات ، بدء حياة جديدة في عالَم شبه الجزيرة .

ولكن ما هي هذه النتف التي وصلت إلينا عن نجد وبعض أطرافها قبل ابن عبد الوهاب بمئتين أو ثلاثمئة من الأعوام ، وفي خلال هاتيك الأعوام ؟

مشيخات وإمارات ، لم نعرف عنها أكثر من أسماء بعض رجالها . والعلمُ بهم والجهل ، سيان . وغزوات قَبَليّة وغارات وفواجع هي على الأكثر ، كما يفعل السمك الكبير بالسمك الصغير . وتجمّعات وحروب، للرعي في مساقط الغيث ، كما كان يفعل أهل الجاهلية الأولى عند العرب ، وأهل عصور الظلمات عند غيرهم .

دعوة الإصـــلاح

وقامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وناصرها آل سعود ، في أواسط القرن الثاني عشر للهجرة (أواسط الثامن عشر للميلاد) فأحدثت تلك الهزة العنيفة في عاصمة السلطنة العثمانية ، وفي جزيرة العرب نفسها . واتصل صداها بالعالم كله ، فكانت أهمّ ما تمخّضت عنه الجزيرة قبل هذا العهد بزمن طويل .

وعلى الرغم من أن أثر الدعوة « الديني والاجتماعي » رسخ في نفوس الكثيرين من سكان قلب الجزيرة ، فإن أثرها « المادي » الذي هو « الدولة » تعرّض للتصدّع في فترات متقطعة عصيبة ، بين عام تدمير الدرعية ١٢٣٤ هـ (١٨١٨م) وعام استرداد الرياض ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) فكانت « فَجَوات » انطمس فيها جانب كبير من تاريخ البادية ، كما ضاع تاريخها بجملته قبل دعوة ابن عبد الوهاب .

شيء عن البادية في هذه الفجوات

وأمامي أوراق استخلصتها من « مخطوط » كُتب في إبان الفترات الأخيرة بعد قيام الدعوة ، وتغلُّب « الخلافة » العثمانية على « الإمامة » السعودية ، لم يصنّف للتاريخ ، وإنما وضع لأنساب الخيل .. وفي تضاعيفه ، أخبار عن البادية وشيوخ قبائلها وفرسانها ، في القرن الماضي ، هي كتلك التي بقيت من أخبار ما قبل الدعوة . وقد يستعان بها ، إذا وُجدت المادة لمن يؤرخ هذه الحقبة .

فمن شيوخ القبائل وأمرائها في شبه الجزيرة ، قبل ظهور الملك عبد العزيز بنصف قرن أو أكثر أو أقل :

حِزام بن حِثْلَين (شيخ العُجمان) كان ينزل بالأحساء ،

ومحمد بن سالم (شيخ الهادي) من العُجمان . كان يُعَدّ من أنصار آل خليفة أصحاب البحرين وينجدهم في حربهم .

ومَدْوَخ بن مضيّان ، من مشايخ حرب. وقد أدرك معركة الإمام سعود وطوسن .

وخالد بن حَشْر بن وُرَيْك (شيخ العاصم) من قحطان .

وعايض بن مرعي (أمير عسير)

وفيصل السعدون (شيخ المنتفق)

ومانع بن سويط (شيخ المَرْبَط) من الحُجَيلان ، من آل سُويط ، من الظّفير .

وفيصل بن مبارك (شيخ الشِنانة) من أهل الرسّ .

وإبراهيم بن سعيد (شيخ منفوحة)

وسلطان بن ربيعان (شيخ عتيبة)

وابن خُضَير (شيخ المَعاديل) من الظفير ، وكان من أكبر شيوخ الظفير .

وفهد بن هُنيد (شيخ الدهامشة) من عنزة .

وماجد الحُمَيْدي (ابن حُمَيْد) شيخ الحَسا أيام ولاية سليمان باشا ببغداد .

وعبدالله بن جار الله (شيخ المريدسية) بناحية عنيزة ، بالقصيم .

ودَهام بن قُعَيْشيش (شيخ عربان الخَرْسا) من الفدعان .

وبَرْجِس بن مِجْلاد (شيخ العلي)[1] من عنزة

ومفضي بن عامود (شيخ شمر الجزيرة)

ومحمد بن قَرْملة (شيخ عربان قحطان)

ومَعَدّي بن قُويد (شيخ الدواسر)

وفهد بن غنيم (شيخ السرحان)

وصَحَن بن علي (شيخ آل جعفر) من شمّر ، وآخرون .

---

(١) وفي « أبطال من الصحراء » للأمير محمد بن أحمد السديري ١ : ١١٥ « برجس بن مجلاد » شيخ الدهامشة . وأورد أخباراً عنه .

ومن أخبــار فرسان القبــائل

وكان من فرسان هذا العصر الذي سبق عصر عبد العزيز ، وانطوت أخباره « عايد بن شُديّد » من الرّخمان ، من مطير . أدرك أيام عبدالله بن سعود ، وكان من رجاله . وله أخبار ، منها : أنه لما حلّ إبراهيم باشا بنجد ، بعد طوسُن ، بلغه أن عايداً يملك فرساً خضراء « عبية هنيديس »بنت الصقْلاوي حدران ، من خيل آل سعود ، فقال إبراهيم لفيصل الدويش (جدّ فيصل الذي مات في سجن الملك عبد العزيز) : قل لابن شديد يأتي بالعبية ، وأعطيه فيها تسعين لقحة (ناقة حلوباً) أو أي فرس يريدها من خيلنا وأزيده إبلاً . فأجاب عايد : لا أعطيها ولا أبيعها ودونها رقبتي ! فبقيت له .

ومنهم » رُشَيْد بن جرشان » من البقوم ، من أهل تربة .

و « فهّاد بن دغيّم » من فرسان الدّويش ، من مُطير . اشتهر بخبر كان من سَمَر البادية في تلك الحقبة ، خلاصته : أن رُشَيد ابن جرشان كان كثير الإبل ، ويقال له « فارس الزهية » وهي أصيلة يسمى رسنها « كحيلة العجوز » واتفق أن غزاة من بادية نجد ، أغاروا على مراعي البُقُوم (قبيلة ابن جرشان) واستاقوا خيلاً لهم وإبلاً ، في جملتها أباعر لابن جرشان . وكانت زوجة ابن جرشان سارحة بإبله . فلما أُخذت الإبل ، ظلت تعدو خلفها ، والقوم يقولون لها : حوّلي ! روّحي لأهلك ! وهي تقول : البِل البلّ البلّ ! (أي الإبل) ما أروّح ولا أحوّل . وكان فهّاد بن دغيم ماراً ، فرأى زوجة ابن جرشان ، وكانت جميلة ، ويقال إنه يتعشقها ، فأغار بفرسه على الغزاة فأنقذ خمسة من الخيول . وكلما أتى بفرس قال لها : هذي لعينيك يا « راعية الذود » فصاحت به ، وهي تعدو خلف الإبل : لا تتعب فرسك يا مطيري ! الإبل يلحقها راعيها .. فتركها وابتعد . ووصل خبر الغزو إلى ابن جرشان ، فأقبل على كحيلته « الزهية » ينشد بيتين (من الملحون) أولهما :

هو ودّ كم يلحق ثمانين خيال   مع مثلهم يلحق ثمانين رامي !

ويصيح : ردوا على حسنة ، راعية البِلّ وثاينها[١] وعرفه الغزاة ، فتركوا له الإبل والخيول صلحاً ، وعادوا معه فكانوا ضيوفه تلك الليلة .

ومن أسمار البادية في تلك الحقبة ، خبر « فوّاز بن رِمَال » بتخفيف الميم ، و «ابن حُترُوش » والأول شمّري من بادية حايل ، والثاني من أعيان جبل شمر . وكانت لابن رمال فرس تدعى « الشهَيْلة » ونزل على شيخ السَّرْدِيّة (من أهل الشمال).وظهر قطيع من حُمر الوحش ، فطارده أهل السردية ، وابن رمال على الشهيلة ، فلحق الحمير وعقر منها ثلاثة بالشبرية . وأعجب شيخ السردية بالشهيلة فطلبها من ابن رمال، فوعده .

ولما دخل الليل رحل بها من السردية ، ونزل على « ابن حترُوش » في جبل شمر ، فكان كل صباح يشرب القهوة عند ابن حتروش .

وجاء حيّاف (سارق) في إحدى الليالي ، فحاف الشهيلة . ولما أصبح فواز بن رمال ولم يجد فرسه تكدر ، ولم يذهب إلى ابن حتروش . فسأل عنه هذا ، فجاء وأخبره ، فقال : لِمَ لم تخبرنا من الصباح فكنا نرسل من يأتي بها ؟ فقال فواز : ما أخبُر فرساً تلحقها . فصاح ابن حتروش بولد له وأركبه إحدى أفراسه وقال : اطلب فرس جارنا . فلما كان آخر النهار ، عاد الولد ، فسألوه ، فقال : قصّرت الشهيلة ! وهي الآن في المربط الذي سرقت منه !

وعُرف المكان بمَرْبَط الفَرَس إلى الآن . وقال فواز يمدح ابن حتروش :

إن كان بالجيران جار مدلّل   فجار ابن حتروش ربي بدلال !

وكانت الفَرَس التي ذهب عليها ولد ابن حتروش تدعى « الصغيرة أمّ التّوادي » وحصلت معركة بين ابن حتروش والفضول ، وكان بين الفضول فارس يسمى «ابن صَلاّل » فتطاردوا قرب جبل. في شمر، دعي بعد ذلك « ثَنيّة ابن صَلاّل » لأن قبره فيه : لحقه ابن حتروش على الصغيرة أم التوادي، وذبحه . واشتهرت الوقعة عند شمر بذبحة ابن صَلاّل . وكانت مقبرته معروفة إلى عهد قريب .

---

(١) في اللغة : استوثنت الإبل ، نشأت أولادها معها .

ومن فرسان القبائل

وكان ممن اشتهر بالفروسية في عهد ما قبل الاستقرار الأخير :
طلال بن رمال الشمري (أخو المتقدم خبره) ويُعدّ من أهل الغزو والغارات .
وسعد بن دهمان، وفراج الكنيهر، وسالم بن عليوي، وسالم بن وَبْرة، وفهيد بن فَدْعَم، كلهم من العجمان .
وعبدالله بن بسّاط، من البُقوم .
ومجَيْحِم الضبيعي، وجَهْجاه بن عثمان بن جلعود، كلاهما من البراعسة من مُطير .
وشافي بن سيار، من الحَنافِر، من قحطان .
وغريميل الأسيمر، من الفضا، من شمّر .
وروح بن مِجْلِد، وناجي بن سخيل، كلاهما من التُّومان، من شمر .
وجهجاه بن مُسْلَط (أو مصلت) الدحّام، من الدوشان، من مطير .
وكان في أيام الشريف محمد بن عون .
وعثمان بن حزام، ومطلق بن حجي، ومخيمر بن زَقْم بن فواز. وفارس ابن جاعد، كلهم من الدوشان، من مطير .
ومفَضّي بن رشُود، وناصر بن سمدان، وضيدان بن سليمان، كلهم من القمصة، من السبعة .
وفارس الزيد الشعلان، ورميح بن فهيد بن سلطان بن معبهِل، وسحيمان ابن شعلان كلهم من الرولة .
وجديع (الذبيح) والحميدي، ومغليليث وبَدّاح، أبناء هذّال من عنزة
وحَمّاد بن دُلَيْم الصّبَيْحي، وبرغش بن حميد، كلاهما من بني خالد .
ورياح بن هنيدي، من الجدعة، من الفدعان .
وغشيم بن حشحوش، من الجواسم، من الظّفير .

وبندر السعدون ، وماجد بن حمود ، من السعدون .

وأمثال هؤلاء وأولئك ، ممن كان لهم ذكر في أحداث الجزيرة في فترة ما قبل بروز اسم « عبد العزيز » بين فتيان آل سعود ، ببضع عشرات من السنين .

، ، ،

وإنما أوردت هذه القبَسات ، لما عسى أن يصلح منها للإضافة إلى النتف الواردة في بعض ما طبع حديثاً ، عن هذه الفترة ، ككتاب ابن عيسى (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد) وكتاب ضاري بن فهيد (نبذة تاريخية عن نجد) وكتاب فهد المارك (من شيم العرب) عن بعض شمالي نجد ، و (أبطال من من الصحراء) لمحمد بن أحمد السُديري ، وما قد يبدو من تعريف بآخرين من الرجال قبل عهد الاستقرار ، أو تنويه بأحداث طال التشوّف إليها . وإن شئت فقل : إنها بعض المادة لمن يُلْهَم أن يكتب « تاريخ الجاهلية الثانية » على بُعد البون بين الجاهليتين ، أثراً ومعنى وفائدة . وكان ختام جاهليتنا الأخيرة ، ظهور عهد الجزيرة الحديث ، عهد النهضة والنفط في أيام عبدالعزيز.

في بدء الاستقرار

لآل سعود ، منذ ظهر فيهم محمد بن سعود بن محمد بن مقرن (في القرن الثاني عشر للهجرة) فضل انبعاث الجزيرة وإقامة الأسس لبنيان ملكها العتيد .

قضى محمد أربعين عاماً (١١٣٩ – ١١٧٩ هـ) أميراً في نصفها الأول ، وإماماً في نصفها الثاني . وكان عهدُه بدءَ عهد التحوّل في « قلب الجزيرة » من البداوة إلى الأخذ بشيء من أسباب الحضارة ، ومن الفوضى إلى « مقدمات » الاستقرار .

ومرّت بتلك البقاع ، فيما بين عهدي محمد بن سعود وعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، أحداث جسام . من قوة وضعف ، وتماسك وتفكك . غير أنها لم تفارقها في الحالين روح « الحياة الجديدة » التي كان الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب قد بثها فيها أيام قام محمد بن سعود يشدّ أزره وينصر دعوته .

واستفاد عبد العزيز ، من حوادث أسلافه الأقربين ، بعد أن استقرّ له الأمر ، فقابلها على نظائرها من وقائع التاريخ في الأجيال الخالية ، مما يقرأ ويسمع . واستخرج منها العبرة التي هي أثمن ما في سِيَر الناس ، فبنى عرش مملكته على أسس من النظام والقوة ، جديرة بأن تثبّت وتُرسّخ .

* * *

قال الأمريكي « بيلي ويندر »[١] في حديثعن « العوامل التي ساعدت على توطيد الملك السعودي » : إن توحيد الجزيرة العربية في عهد المملكة العربية السعودية ، نشأ عن ثلاثة عوامل رئيسية ، لكل واحد منها شأن :

العامل الأول : « عاهلها ، ذو الشخصية القوية والشجاعة الفائقة والنظر الثاقب ، الملك عبد العزيز الذي خاض المعارك وتغلّب على الصعاب لتوطيد أركان ما كسبت يداه »

والعامل الثاني : أن من الحقائق التي قلّ من يدركها ، « قيام نوع من الحكم في الجزيرة طيلة القرن الماضي – الميلادي – كانت فيه موحّدة قوية في بعض الأحيان ، ومنقسمة على نفسها ضعيفة في أحيان أخرى ، فلما استقبل أهلها القرن العشرين كانوا قد ألفوا الحكم والحكومة ، وهان عليهم قبول فكرة الوحدة التي يتطلبها العصر .

ثم قال : « وأخيراً ، وربما كان هذا من أهمّ العوامل ، يأتي إدخال الأسلحة الحديثة ووسائل النقل العصرية في حياة الجزيرة . »

وختم البحث قائلاً : « واتحاد هذه العوامل الثلاثة يجعل المرء يعتقد أن الجزيرة العربية لن تعود القهقرى إلى حالة الفوضى ، وأن للدولة السعودية من الضمانة ما يكفل استمرار سلطانها ومنعتها »

، ، ،

ويذكر ابن بليهد[٢] في حديثه عن تهافت كبريات القبائل على « احتلال » نجد ، قبل عهد عبد العزيز ، لِخِصبه وصفاء صَباه . وهو في معرض الكلام على موضع اسمه « أبو دخن » قال : وموقعه في وسط نجد ، بين النشاش وجبل ثهلان[٣] وهو في بلاد بني نُمير في الجاهلية وفي صدر الإسلام . ثم جاءت بنو لام واحتلّتها[٤] ولا أعلم مدة إقامتهم فيها . ثم جاءت عَنَزة

(١) في فصل نشرته مجلة الأبحاث ١ : ١٣ (٢) صحيح الأخبار ٥ : ٢٢٩

(٣) قال الأستاذ حمد الجاسر : يمر به السالك إلى الحجاز بعد تجاوز الدوادمي وقبل محاذاة جبل النير ، قبل منهل القاعية الذى أصبح بلدة .

(٤) يريد أنها احتلت بلاد بني نمير

فاحتلتها . ويؤيد هذا الاحتلال تملكهم بعض البقاع ، مثل « الحِناكية » لابن هذّال ، و « الحائط » لابن مجلاد ، و « عُقْلة الصقور » والصقور بطن من عنزة ، و « البحيرة » من آبار ضَرِيّة ، لابن بجير العنزي . ومواكر الطيور التي في جبال عنزة لا تزال عليها وسوم عنزة . ثم جاءت مطير ، فأخرجت عنزة ومدّت جرانها في نجد ، وقالت شاعرة مطير ، مُوَيْضَى البَرازية (من البرَزان ، من بطون مطير) أبياتاً من الملحون (وأهل نجد والخليج يسمونه النبطي) منها :

نجد حميناها من أولاد وايل والیوم عدُّونا سكن وادي الراك

أما احتميناها بحدّ السلايل والا عطينا الشاة ذولا وذولاك

ثم جاءت قحطان ، فكانت بينهم وبين مطير حروب . وأخرجتهم قحطان . وجاءت عُتَيبة فأخرجت قحطان من نجد .

ثم يقول : ومن الأمثال في سالف الأزمنة : « نَجْد لمن طالت قناته » وفي هذا العهد ، ما لأحد قناة ، بل القناة والسيف للملك عبد العزيز آل سعود ..

، ، ،

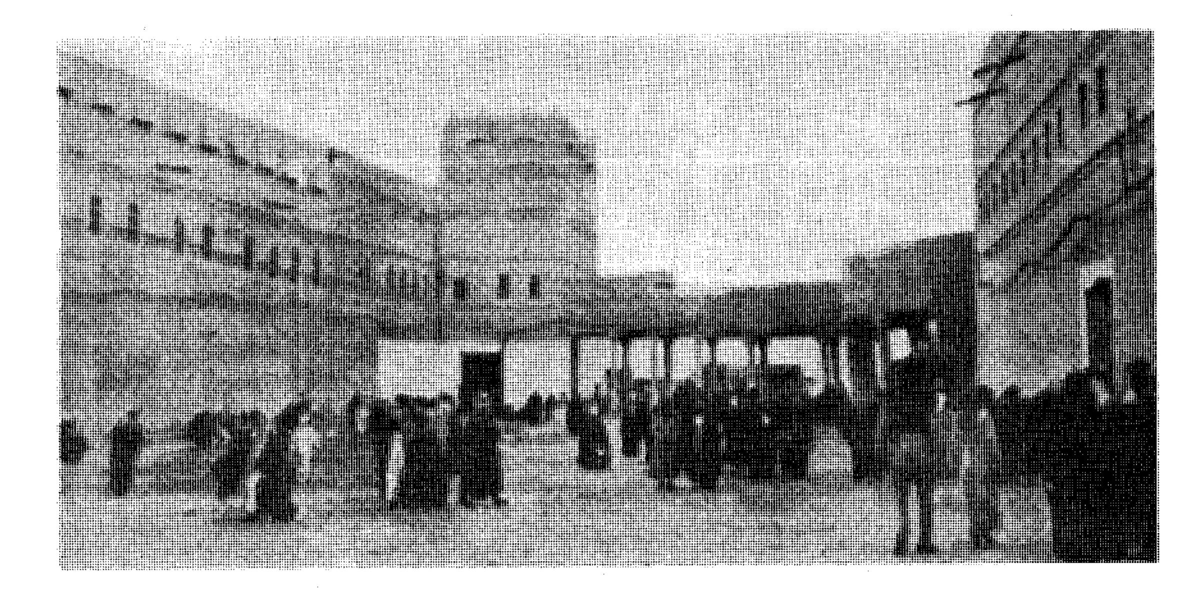
ويقول فلبي[١] : وجد ابن سعود نفسه في نهاية سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) سيد نجد ، لا يخشى شيئاً كثيراً من أيّ من عدوّيه اللدودين : شمّر والأتراك ، وأصبح في إمكانه أن يحصر كل انتباهه ، منذ ذلك الحين في تقوية مملكته ، وإصلاحها .

أما نظام الإدارة بعد توحيد أجزاء المملكة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) فيقول فيه فلبي أيضاً[٢] : كان النظام الإداري التركي الذي قام عليه النظام السعودي الجديد ، في أول الأمر ، نظاماً فاسداً عقيماً من أساسه ، فلا يمكن القول بأن أخطاءه استؤصلت على أيدي العرب ... ومع هذا ، فإن الدور الجديد الذي ستقوم به المملكة السعودية في المجالات الدولية والاقتصادية سيُفضي بها حتماً ، إلى إصلاح نظمها الإدارية ، مجاراةً لمقتضيات العصر الحديث .

---

(١) Arabia 199

(٢) تاريخ نجد ٣٨١



القصر القديم في الرياض

الملك عبد العزيز

وآل رشيد

صلة آل رشيد بآل سعود ، تبدأ من أيام الإمام تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود ، في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة[1] فقد ظهر اسم آل رشيد في تلك الحقبة ولم يكن لهم قبل ذلك شأن . فالصلة غير قديمة .

وأول من عُرف من « آل رشيد » عبدالله بن علي بن رشيد ، من آل جعفر ، من عَبْدة . وهؤلاء — بنو عبدة — فخذ من قبيلة شمّر . وشمّر من بني طيء .

، ، ،

كان عبدالله بن علي (ابن رشيد) الجعفري العبدي الشمري ، مقيماً في حائل ، والحكم فيها لفخذ آخر من عبدة يُعرف بآل علي . والأمير عليها من قِبَل آل سعود ، في عهد عبد الله ابن رشيد، أحد آل رشيد محمد بن عبد المحسن بن فايز (ابن علي) من أبناء عمومة عبدالله . وتزوج عبدالله بابنة الأمير محمد بن عبد المحسن هذا ، نحو عام ١٢٣٠ هـ .

وكانت « نجد » كلها في ذلك الحين — ومن جملتها إمارة شمر في حائل — مسرحاً لجنود « الباشبوزوق » وأمثالهم من عناصر الترك وغيرهم من العثمانيين

(١) استقام الأمر للامام تركي في الرياض ، عام ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م ، واستشهد سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م

الذين عهدت الدولة العثمانية بقيادتهم إلى واليها بمصر محمد علي باشا وأبنائه ، وتُعرف حملتهم بالحملة المصرية . وفي سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) بدأ الترك ومن معهم من المصريين ، بالانسحاب من نجد . وطمحت نفس عبدالله (ابن رشيد) إلى إمارة حائل فسعى إليها . ولكن أميرها محمد بن عبد المحسن ، قضى على حركته ، ففرّ إلى الحلة (في العراق) ثم إلى العارض ، حيث كان الأمير — الإمام — تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، يوطّد حكمه في الرياض . ونزل بها ابن رشيد ، واتصل بتركي ، وصحب ولدَهُ « فيصل ابن تركي » إلى جهات القطيف ، في غزوة قام بها ، لإخضاع بعض العصاة .

وفي غياب فيصل عن الرياض ، وثب مشاري[1] بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود على ابن عمه الإمام « تركي »وقتله أحد رجال مشاري١٢٤٩هـ(١٨٣٤ م) كما ذكرنا في فصل سابق[2] وعاد فيصل مسرعاً إلى الرياض ومعه ابن رشيد .

ولما اعتصم مشاري بقصر الإمارة في الرياض ، جازف عبدالله ابن رشيد بنفسه ، فتسلق القصر وجُرح في يده . ولحق به بعض رجال فيصل ، ففتكوا بمشاري وستة أشخاص معه . وذلك في ١١ صفر ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤م) بعد زهاء أربعين يوماً من مقتل تركي .

وتولى فيصل الإمارة والإمامة ، وانقادت له حائل مع أكثر بلاد نجد . وكان الأمير محمد بن عبد المحسن — أمير حائل — قد توفي ، وخلفه أخ له اسمه صالح بن عبد المحسن ، فعزله الإمام فيصل ، وكافأ عبدالله ابن رشيد بتعيينه أميراً على حائل (في أواخر سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م) فكان أول من

---

(١) سعود بن هذلول.وفؤاد حمزة . وخالد . واضطرب الريحاني فسماه مرة « مشاري ابن عبد الله بن حسن بن مشاري بن سعود » ومرة «مشاري بن عبد الرحمن »وصحت عندنا التسمية الثانية .

(٢) انظر الصفحة ٤٤

ولي الإمارة من آل رشيد[١] .

وليس من موضوعنا هنا الإسهاب في سيرة عبدالله، ابن رشيد، فإن خصومه القدماء (آل علي) لجأوا إلى الترك في القصيم ، وأنجدهم هؤلاء ، ففرّ عبدالله إلى واحة « جُبَة » في وسط النفود [٢] ثم استولى على قرية اسمها « قفار » من أملاك آل علي ، فأقام فيها إمارة . وجاءت قوة عسكرية من المدينة المنورة إلى جبل شمر [٣] سنة ١٢٥٤هـ(١٨٣٨م) يتقدمها القائد العثماني خورشيد باشا، فقابله عبدالله ابن رشيد في المستجدة[٤] وقدم إليه هدايا وعرض طاعته ، فأعاده خورشيد إلى إمارة حائل وفرّ أميرها ، واسمه « عيسى بن علي » إلى المدينة ، فقتل قبل أن يبلغها . واستقام أمر ابن رشيد ، فأرسل أخاً له اسمه عُبَيْد (أو عبيد الله) إلى الجوف[٥] في وادي السِرْحان ، فأخضع قبائل تلك الديار . وتوفي عبدالله عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧ م) [٦] تاركاً ثلاثة أولاد : « طلال ، ومتعب ، ومحمد » فخلفه طلال وكان عاقلاً اشتغل في إصلاح بلاده وأتمّ إلحاق وادي السرحان بإمارته (١٢٦٩ هـ) واستولى على خيبر

---

(١) في مخطوطة خالد الفرج ، أن تولية فيصل لابن رشيد ، كانت سنة ١٢٥٠هـ . وانظر قلب جزيرة العرب ٣٤١، ٣٤٢

(٢) النفود : من الأسماء المستحدثة في شبه الجزيرة وهى صحارى رملية قاحلة لا ماء فيها ولا كلأ . وتكون في بعض الأماكن تلا لا شبيهة بالجبال. من أشهرها نفود الدهناء الذي يسمى طرفه الجنوبي « الربع الخالي » وطرفه الشمالي يفصل بين بلاد شمر والجوف وهذا الطرف الشمالي يدعى قديما رملة عالج ورمال بحتر ، وحديثا النفود الكبير ، وانظر لوصف هذا النفود كتاب ليدي بلنت في رحلة إلى نجد ، وكتاب ألويس موزيل « في شمالي نجد »

(٣) هضبة في نجد يبلغ ارتفاعها حول ٢٥٠٠ قدم ، تتألف من سلسلتين من حجر «الغرانيت » معروفتين من الزمن القديم باسم جبلي « أجأوسلمى » من منازل طيء .

(٤) من قرى جبل رمان – بفتح الراء وتشديد الميم – يعرف بهذا الاسم إلى الآن .

(٥) واسمه القديم « دومة الجندل» قيل له من عهد قريب « جوف آل عمرو » ثم اختصروا فقالوا « الجوف » .

(٦) عنوان المجد . وقلب جزيرة العرب . وفي مخطوطة خالد الفرج : وفاته سنة ١٢٦٥هـ ١٨٤٩ م .

وتيماء بعد انسحاب الترك منهما . وأكمل قصر « بَرْزان » في حائل ، وكان عيسى بن علي قد شرع في بنائه . وأصيب طلال بمرض عصبيّ ولـّد له وساوس وأوهاماً فقضى منتحراً سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) [١] وخلـّف ستة أولاد لم يمت واحد منهم موتاً طبيعياً ، بل قُتلوا جميعهم ، كما سيأتي .

وبعد وفاة طلال ولي أخوه « متعب » [٢] فاستمر ثلاث سنين وقتله اثنان من أولاد أخيه طلال — هما بندر وبدر — سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) أمام قصر برزان . قال خالد الفرج : ودم متعب أول دم سال في البيت الرشيدي . وتولى الحكم بندر بن طلال . وهو ، ومن سبقه في الإمارة من آل رشيد ، لم يشذّ أحد منهم عن طاعة آل سعود .

وكان محمد بن عبدالله بن رشيد ، وهو الأخ الثالث لطلال ومتعب ، يلي خفارة الحج العراقي سنوياً ، من أيام أخويه ، ويتقاضى له ولأمراء حائل جعلاً معلوماً ومرتبات من الحكومة العثمانية لقاءَ ذلك . فلما قتل أخوه متعب ذهب إلى الرياض فشكا الأمر إلى آل سعود وكانوا قد انقسموا على أنفسهم بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) فلم يجد عندهم إلاّ النصح بالصبر . فاضطر إلى التزام السكون . وأقرّه بندر على خفارة الحج — وهم يسمونها إمارة — فاستمر نحو ثلاثة أعوام . وبينما هو عائد من الحج سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) أقبل معه أشخاص من قبائل « الظّـفـير » كان الأمير بندر قد منع دخولهم إلى حائل .

وعلم بندر باقتراب هؤلاء من حائل ، فخرج إلى ظاهرها ، يتهادى على فرسه ويرقب وصولهم . ورآه محمد ، فأسرع إليه يخبره بأنهم لجأوا إليه

---

(١) خالد الفرج . وفي قلب جزيرة العرب : مات متأثراً من جرح أصابه ، وقيل منتحراً عن نحو ٤٥ عاماً .

(٢) ضبطه حافظ ، بكسر الميم وسكون التاء وفتح العين — كأنه آلة للتعب — ولا حظت أهل نجد يلفظونه أقرب إلى هذا ، إلا أنهم يكسرون العين ، وإذا سئلوا ، أفصحوا فنطقوا به بضم الميم وكسر العين .

وجاؤوا « بوجهه » — أي محتمين به — فأبى بندر وجاهته . ويظهر أنه أغلظ له في القول . فما كان من محمد إلاّ أن قتل بندراً، وألحق به اثنين من إخوته ، هما بدر ومسلّط ، وستة من أقارب لهم يعرفون بآل جبر . وتولى محمد الحكم بعد بندر . ثم ألحق ببندر بقية إخوانه ، في خلال عامين ، وهم : نهار ، وعبدالله ، ونايف أبناء طلال .

، ، ،

وبلغت إمارة آل رشيد ذروتها من القوة في أيام « محمد » هذا . وكان داهية ، بعيد المطامع ، فتاكاً جباراً ، خدمه الحظ باختلاف آل سعود فيما بينهم ، واحترابهم على عهده . ففي الوقت الذي أتيح له فيه الوثوب إلى الإمارة سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) كان سعود بن فيصل يقاتل أخاه عبدالله في الرياض ، ورجال سعود ينهبونها .

ولما سطا أبناء سعود بن فيصل ، على عمهم عبدالله الفيصل ، وحبسوه في الرياض ، كما تقدم ، هبّ من حائل ، فأخرج عبدالله من سجنه ، وأدخل الرياض في حكمه ...

وصفا له الجوّ ، بعد رحيل عبد الرحمن من الرياض ، فامتدّ سلطانه من وادي السرحان شمالاً إلى وادي الدواسر جنوباً ، ومن تيماء وخيبر غرباً إلى قرب الخليج في الشرق . وكثيراً ما كانت سلطته تمتد[١] إلى تدمر وجبال حوران في أطراف الشام .

واستمر محمد بن فيصل (أخو عبدالله وسعود وعبد الرحمن) أميراً في الرياض ، وليس له من الإمارة إلا اسمها ، حتى وافته منيته بها سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) فأرسل ابن رشيد أحد أتباعه أميراً على العارض . وقضى على حكم آل سعود .

قال خالد الفرج[٢] : اعتمد محمد العبدالله الرشيد في تشييد إمارته على

---

(١) فؤاد حمزة .

(٢) في مخطوطته .

سياسة « فرّق تسد » واتكأ على قوة عشيرته « شمّر » وهي من كبريات القبائل المشهورة بالفروسية والشجاعة . وخالف آل سعود في اجتنابه الدعوة السلفية ، لعلمه بأن أهل نجد لا يمكن أن يقروا له بالزعامة الدينية . وألان الجانب للأجانب ، وخص الأتراك بكثير من المجاملة والمسايرة ، لأن طرفيْ طريق الحجاج الذي يقوم ابن رشيد على إيراده ، وهما العراق والحَرَمان ، في أيديهم . حتى إنه اعترف بخضوعه للسلطان عبد الحميد . وتعددت منه الرسل والهدايا إلى « الباب العالي » وحاز النياشين الرفيعة وقبل المعتمدين المندوبين من الحكومة العثمانية . فصارت تعتمد عليه ، وتعدّه من أكبر المخلصين لها ، وتراه الوسيلة الفعّالة التي قضت على آل سعود ومحت إمارتهم من الوجود ، فأغدقوا عليه العطايا وخصوه بالمساعدات والتعضيد . وكان على الإجمال رجل وقته ، إلى أن توفي سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) مريضاً بذات الجنب ، عقيماً لم يخلف ولداً .

، ، ،

قلنا إن الملك عبد العزيز وعى في صباه ، ما أصاب أباه وبيت آل سعود ، من الكوارث ، على أيدي بعض آل رشيد . ولم يكن يومئذ في سن يتمكن بها من خوض ساحات القتال ، فكان عليه أن ينتظر مقارعة جبار منهم ، هو سميّه « عبد العزيز » بن متعب بن عبدالله بن رشيد . وستأتي أخباره معه .

، ، ،

وأشرنا [١] إلى أن أبناء أخوي مبارك بن صباح وخالهم يوسف بن إبراهيم لم يفلحوا في استدراج محمد بن عبدالله بن رشيد إلى حرب مبارك ، وإنما لبّاهم خلفه عبد العزيز بن متعب الرشيد ، بعد أن آلت إليه دولة حائل ونجد وما إليهما ، وتوثقت صلته بالترك ، وهم وحدهم المحيطون به ، من الحجاز والعراق والشام ، ولهم في داخل بلاده « موظفون » في الأحساء ، اطمأنّ

(١) انظر الصفحة ٧٢

إليهم واطمأنوا إليه. واجتذبه ما أغراه به يوسف آل إبراهيم ، متجاوباً مع داعي الحاجة في بلاده إلى الاتصال بالبحر ، فوقع في الورطة التي تجنبها عمه . وكان آخرَ ما أوصاه به ألاّ يتحرّش بآل صباح وداهيتهم مبارك .

قال من كتبوا عن عبد العزيز المتعب : كان فارساً مغواراً شجاعاً إلى حدّ الهوس ، شديد الغضب ، سريعه ، يحكّم السيف قبل السياسة ، والإقدام قبل الرأي ، حقوداً ، يشدّ عقاله فوق عينيه ، وكوفيته على فمه ، حتى سُمي العبوس الملثّم . وقال خالد الفرج : حين صار الأمر إلى ابن متعب في حائل كتب إلى أمراء نجد بأخذ البيعة له : « ومن امتنع فليس له إلاّ الحافر وصنع الكافر ! » أي : الخيل، وما يأتي من الغرب من بنادق ومدافع. وشبّهه أحد قادة الترك (الفريق صدقي باشا) بالإمام عليّ بن أبي طالب ! على ما بينهما من بُعد شاسع . ولم يحسن الاستفادة من احتياج الحكومة العثمانية إليه ، وقد عزمت على مدّ السكة الحديدية وخطّ « التلغراف » من الشام إلى المدينة المنورة وكان لا بدّ لها من أمير قوي يمنع القبائل من تخريب الخط ويقف في وجه مبارك الصباح الذي كان قد بدأ ينحرف إلى الإنكليز . وقال الريحاني : حدثني أعرابي من شمّر ، قال : كان عبد العزيز المتعب جالساً للناس في الفلاة يوماً ، فأحسّ بشيء يلدغه في ظهره ، فخاف أن تكون حشرة لا تستحق الاهتمام فتجلد حتى انتهى عمله . ثم دخل خيمته ، ورفع أحدُ عبيده ثيابه ، فإذا بين كتفيه عقرب كبيرة تلدغ جلده . وصاح العبد مذعوراً وارتبك ، فتناول عبد العزيز العقرب بيده وألقاها خارج الخيمة وأمر العبد أن يذرّ على مكان اللدغ رماداً حارّاً ، ففعل . ونام الأمير بعد ذلك .

وقعة الصَّريف أو الطَّرْفيّة الأولى

نهض هذا الجبار ، لضرب ابن صَباح. وعرفت البادية أنه يتهيأ للغزو ، كما علم مبارك بأنه هو المقصود . والتقى الجيشان سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) في ساحة صحراوية بين موضعين يسميان الصريف والطرفية ، نزل بهما ابن

صباح وابن رشيد ، كلٌّ في موضع منهما . وعُرفت الواقعة بوقعة الصريف ووقعة الطرفية . وكانت الغلبة الساحقة لابن رشيد . في عراك لم يدم أكثر من ثلاث ساعات في وسط النهار . ففقد مبارك أخاً له اسمه حمود ، وابن أخ يدعى خليفة بن عبدالله الصباح ، وعدداً كبيراً من أهل الكويت . وأشيع أن مباركاً قُتل . وتتبعهم ابن متعب ، فنكل بالفلول أفظع تنكيل ، وقتل من وقع في أسره ، وهاجم الموالين لابن صباح من أهل نجد ، عشائرَ وبلداناً ، ففتك ونكب . وعلّل بعض الكتّاب هزيمة مبارك بأن أكثر جيشه كان خليطاً من البدو . وديدن هؤلاء نَهْب من استُضعف .

، ، ،

وانتقل ابن متعب إلى « الحَفَر » غربيّ الكويت . وأرسل غزاة إلى قرية « الجَهْراء » وهي على ثمانية عشر ميلاً من بلد ابن صباح . ثم كان على رأسهم ، والكويت هدفه .

ووصلت إلى ميناء الكويت ، في شعبان من السنة نفسها ، باخرة حربية ، قادمة من البصرة يُرفرف عليها العَلَم العثماني ، نزل منها إلى البر رجب النقيب (نقيب أشراف البصرة) وضابط كبير ، هو أخو والي البصرة ، فدخلا على مبارك ، وأبلغاه أن يختار واحداً من اثنين : إما أن يسافر معهما إلى الأستانة ، فيكون من أعضاء مجلس شورى الدولة ، وإما أن يختار بلداً غير الكويت ، والحكومةُ تتولى إعاشته . وإلاّ حُمل من قصره بالقوة .

وتذكر مبارك حُماته الجدد – الإنكليز – وقد أمضى معهم اتفاقه السري سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٩ م) فلاطف الوافدين ، وأمر بإنزالهما ومن معهما ، في دار الضيافة ، وأبرق إلى أبي شهر[١] يستنجد .

وسرعان ما دخل ميناء الكويت مركبٌ حربي بريطاني . أدّى التحية ، وبعث قائده من أبلغ مباركاً ولاءه . وأنزل مدافع إلى البرّ ، مع ضباط بريطانيين

(١) أبو شهر أو بو شهر أو بوشير : ميناء إيراني على الخليج . احتلته الحكومة البريطانية سنة ١٢٧٣ / ١٨٥٦

بدأوا يعلـّمون الكويتيين طريقة استعمالها .

كان هذا جواب مبارك لضيفيه . وتلقّى هذان أمراً من الأستانة ، بتجنب استثارة الإنكليز ، والعودة إلى البصرة .

وسمعتُ من يتحدث بأن الباخرة العثمانية ، لما ارادت الإقلاع تعثّرت برمال الشاطىء .. وأن بحارة الزوارق الكويتية هبوا لنجدتّها ، فساعدوا بحارتّها على دفعها إلى عرض البحر !

وزحف مبارك ، للقاء ابن متعب الرشيد في « الجهراء » والمركب الحربي البريطاني متجه إليها ، يواكب في البحر ، مباركاً ومن معه ، على مرأى من الجيشين .

وأدرك عبد العزيز بن متعب أن احتلال الكويت لا يقوم به السيف والبندق ، فتراجع عائداً إلى الحَفَر ، ينتظر نجدة بحرية عثمانية ..

، ، ،

وطال انتظاره ، وقد دخل سميه ابن سعود ، الرياض ، واستقر .وبدأ يزداد قوة في الجنوب ثم في الشمال ، كما سنبيّن ، فانقلب إلى عاصمته «حائل » ونـُصْب عينيه همّاه المؤرقان : مبارك في الكويت ، وفارس آل سعود الواثب في الرياض .



الراعيـــة

الملك عبد العزيز

يستعد ، بعد فتح الرياض

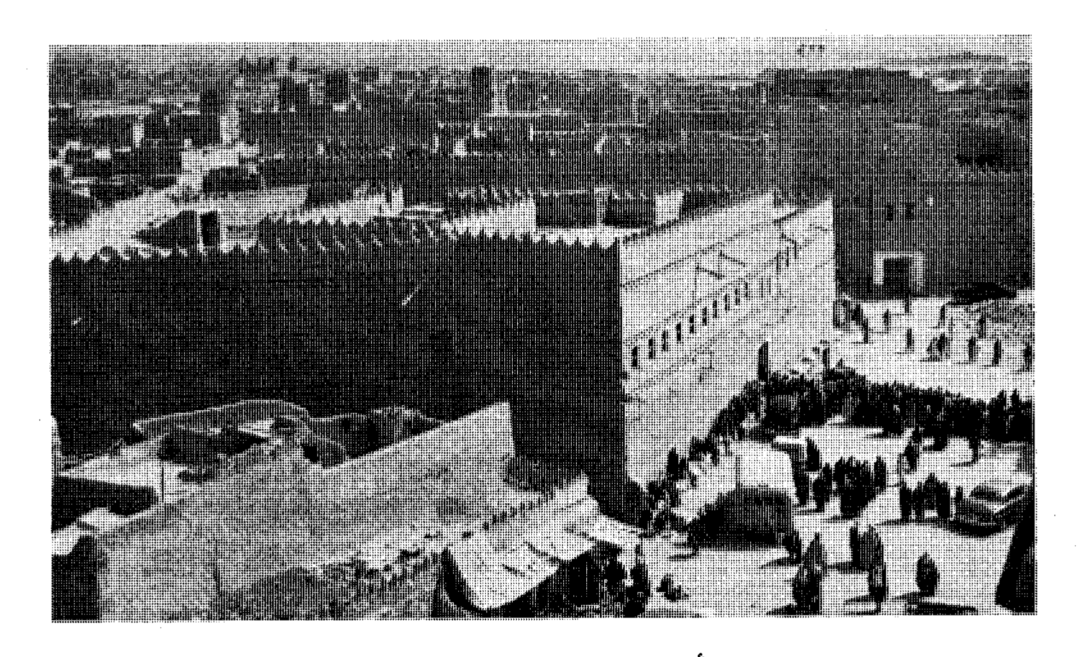
وكان أول ما بدأ به عبد العزيز بعد قضائه على عجلان وحامية ابن رشيد في الرياض ، احتياطه للطوارىء المقبلة ، حتماً . وهو يعلم أن ابن رشيد غير عجلان ، وأن قبائل شمّر غير حامية الرياض . فنظّم من كان قد بقي في المدينة من آل سعود ، تنظيماً شبه عسكري ، وأمر ببناء سور جديد لها ، وكتب إلى والده الإمام عبد الرحمن وإلى الشيخ مبارك الصباح في الكويت ، بما هو في سبيله.ورجا من أبيه الإذن لأخيه « سعد بن عبد الرحمن » بالقدوم عليه إلى الرياض، بنجدة ممن في الكويت من رجالهم وأنصارهم .

وأجابه والده ومبارك . ووصل سعد ، بالنجدة التي طلبها

قال الريحاني : كان فيما أجاب به مبارك : « ولدي العزيز . تولاك الله وعافاك وقواك وجعل النصر دائماً أخاك »

، ، ،

وبني السور في خلال خمسة أسابيع ، محيطاً بالمدينة ، وبما بقي من أطلال السور القديم الذي كان قد هدمه ابن رشيد .



الرياض ، أيام الملك عبد العزيز وقبل العمران الحديث

في الجنـــوب

رأى عبد العزيز ألاّ يستثير ، في أيامه الأولى ، نزق ابن رشيد ، في توسعه بالشمال . ففي شمالي الرياض مناطق كان أكثر أهلها موالين لآل سعود ، كالشّعَيب والمَحْمَل والوَشْم وسُدير . والاستيلاءُ عليها ، بعد أخذ الرياض ، ليس بالأمر العسر . غير أن أية غارة على إحداها ، وهي الطريق إلى حائل – عاصمة ابن رشيد – ستنبّه ابن رشيد إلى ما أمامه ، فيندفع بكل قواه للقضاء على حركة الشابّ عبد العزيز في مهدها ...

وعبد العزيز يعلم أن الرياض وحدها لا تحميه ، فلا بدّ له من التوسع وكسب الأنصار . فاتجه إلى الجنوب حيث يجمع الهَدَفين ، يضم بلاداً إلى الرياض ، ولا يتحرّش بابن رشيد .

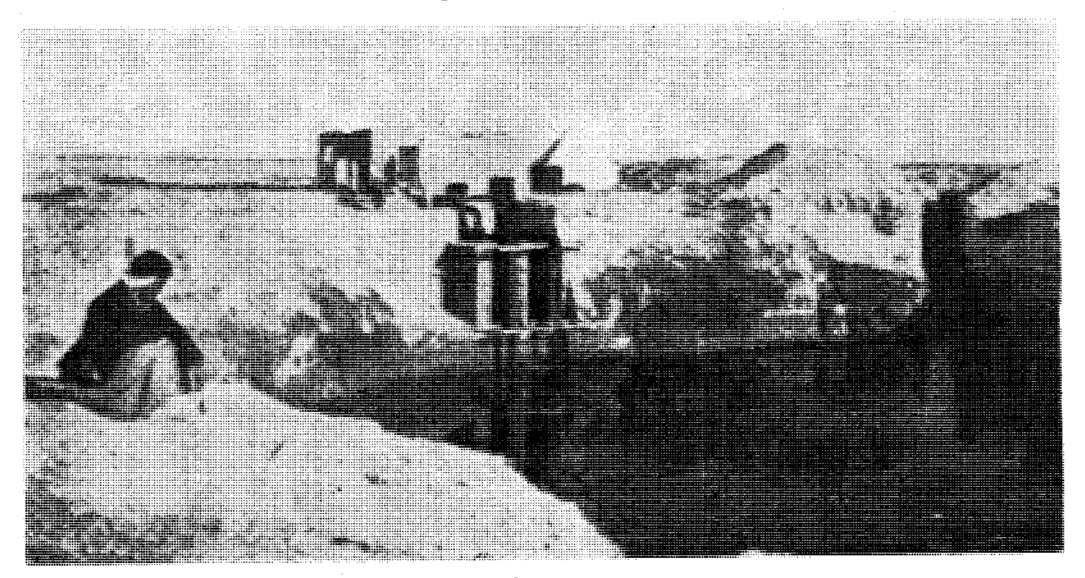
ويقول كاتب أمريكي(١) : « بدأ تقدّم ابن سعود من يوم فتحه الرياض ، وكانت حكمته المقترنة بالشجاعة تجعله يدرك الوقت الذي يجب أن يتقدم فيه ، فلم يتعجله قبل أوانه . »

استولى على « الخرج » وهي على ٨٠ كيلومتراً من الرياض جنوباً . وفيها الماء والكلأ . وكانت من معاقل آل سعود فيما تقدم من الزمن القريب . وأخذ

(١) Background of Arabia and the *M*iddle *E*ast by Roy Lebkicher P. 46

الحَريق والحَوْطة والأفلاج . وبلغ « وادي الدّوَاسِر » على حدود (الربع الخالي) .

ووصلت أخباره إلى ابن رشيد ، يوم كان مشغولاً في محاولة احتلال « الكويت » فلم يأبه لها أول الأمر . وكان يرى الكويت أصلاً والرياض فرعاً ، فإذا قضي على الأصل المموِّن سقط الفرع المموَّن .



من مناظر « الخَرْج » القديمة

يتحرش بابن رشيد

توطد سلطان عبد العزيز ، فيما بين الرياض والربع الخالي جنوباً ، في أقل من ستة أشهر . واتجه إلى الشمال في أوائل سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) فغزا قبائل من قحطان تابعة لابن رشيد ، على منهل يسمى « حلَبان » وأعاد عليها الكرة. ومرض في الثالثة وهو على ماء « الحِسْي » شمالي الرياض . فأرسل أخاه محمداً يغزو فخذاً من عتيبة ، على مقربة من « الشَّعْراء » وهي تبعد نحو ٣٠٠ ميل عن الرياض ، أي مسيرة خمسة عشر يوماً للإبل ، من غربها [١].

وأدرك ابن رشيد ، وهو نازل على الحفَر ، استفحال أمر عبد العزيز . وأخباره تُنقل إليه بين يوم وآخر . وليس في بوادي جزيرة العرب جرائد تحمل الأنباء ، ولكن كل عابر سبيل يروي ما يسمع وما يرى . والأماكن الموالية لابن رشيد ، تتوالى رسلها إليه بوصف حركات عبد العزيز وغاراته عليها أو على ما يجاورها. فلم يسعه إزاء هذا ، وقد رأى ما رأى في الكويت ، إلاّ أن يلوي وجهه عنها ، ولو إلى حين . فانصرف إلى عاصمته « حائل » يجدّد قواه ، وأقبل تتبعه جموع من شمّر ، ثم من القصيم وسُدير والوَشْم ، في ربيع الأول من عام ١٣٢٠ هـ ، زاحفاً على الرياض .

(١) فؤاد ، وحافظ .

وكان عبد العزيز يتوقع ذلك . فلما علم به ، كتب إلى أبيه يستدعيه من الكويت . وأقبل أبوه ومعه من انضوى إليه من الأنصار . ولم يفته أن يغزو في طريقه قبائل من « الظفير » و « شمّر » من أتباع ابن رشيد . واستقبله ابنه « عبد العزيز » على مسيرة ثلاثة أيام من الرياض؛ فدخلها في يوم مشهود بعد غيابه عنها إحدى عشرة سنة .

المـلك عَبـد العـزيـز

أول بيعــة له بالإمارة

لآل سعود فيما بينهم سنّة لا يكادون ينحرفون عنها . هي أن صغيرهم يتأخر لمن هو أكبر منه إذا حضر ، بالغاً ما بلغ شأن الأوّل . كان ذلك في عهد أسلافهم ، ولا يزال إلى اليوم بين الأبناء والحفداء .

افتتح عبد العزيز الرياض واستولى على ما حولها ، ولا سيما بلاد الجنوب . وانتظمت له إمارة ، قلق لها عرش « خلافة » الأستانة . وأقوى رجل في شبه الجزيرة يومئذ ، ابن متعب .

ولقي عبد الرحمن من ولده ، ما يلقى الأب من ابنه البارّ : متخففاً بين يديه ، منطوياً على نفسه ، يجيب بالطاعة والسمع . لأبيه الصدارة وله حيث انتهى به المجلس ، إن لم يكن بعد الخدم . ولم يكن أبوه — وهو الشيخ الوقور العاقل المحنّك — بأقلّ براً بابنه منه .

يقول « روي لبكيتشر »[1] : إن ما كان بين الأب والابن ، من علاقة دامت نحو ثلاثين سنة — إلى أن توفي عبد الرحمن — قلّ أن نجد ما يماثله في سيَر الأسر الحاكمة . فقد كانت علاقة إكبار وإعزاز متبادلين ، وتشاور مفيد في جميع الشؤون الخطيرة ، تدعمها رغبة خالصة من الأب بالاعتراف

---

(١) في الصفحة ٤٧ من كتابه : Background of Arabia and the *M*iddle *E*ast

بزعامة الابن ، ورغبة مثلها من الابن بوضع الأب في أسمى مراقي الإجلال عند كل مناسبة عامة .

ويحدثنا الريحاني بما سماه « خلافاً نادر المثال » فيقول ما مؤداه : أرسل عبد العزيز من القصر إلى الوالد في بيته يقول : الإمارة لكم ، وأنا جندي في خدمتكم . وأجابه الوالد : إذا كان قصدك من استدعائي إلى الرياض أن أتولى الإمارة ، فهذا لن يكون . وليس أمامي إلا أن أخرج منها إذا أصررت . وتدخّل العلماء في الأمر ، فقالوا لعبد العزيز : على الابن أن يطيع أباه . وقالوا لعبد الرحمن : أنت ، بصفتك والداً لعبد العزيز ، رئيس له ، ثم لأهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الإمارة له . وقال عبد العزيز : إني أقبلها على شرط أن يكون والدي مشرفاً على أعمالي دائماً ، يرشدني إلى ما فيه خير البلاد ويردعني عما يراه مضراً بمصالحها .

وربما قيل : إن عبد العزيز تعمّد عرض الإمارة على أبيه ، ليفوز لنفسه ببيعة يشترك بها أبوه والعلماء . وهو ما قد يفعله كل إنسان في مثل موقفه . إلاّ أن عبد العزيز ، السليم السريرة ، الصادق القول ، الصريح الرأي ، الذي قلّما عُرف عنه موقف مراوغة حتى مع أعدائه ، لا يُستبعد أن يكون إقدامه على النزول لأبيه عما امتلك بحدّ سيفه، وبمجازفته بحياته ، وبركوبه المشاقّ ؛ عن طيب نفس وعن رغبة في الإيثار والتقديم لوالده . وهو يعلم ، إن كان يعمل للإمارة — مجرّدةً — أنها صائرة إليه لا محالة ، في حياة أبيه أو بعده . وقد رأى الوالد الحكيم أن ابنه بصونها أجدر ، وعلى حياطتها وتنميتها أقدر ، فقدّمه . وحفظ الولد كرامة أبيه فجعل شرطه على نفسه دوام الطاعة ، وجعل لأبيه حق الإشراف والردع !

وفي اجتماع عامّ ، حضره علماء الرياض وكبراؤها ، في باحة « المسجد الكبير » بالرياض ، بعد صلاة الجمعة ، أعلن الإمام عبد الرحمن نزوله عما له من حقوق في الإمارة ، لكبير أبنائه عبد العزيز . وأهدى إليه « سيف سعود الكبير » نَصْلُه دمشقي ، وقبضته محلاة بالذهب ، وقرابه مطعّم بالفضة .

وبذلك تمت البيعة الأولى لعبد العزيز، في سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م)

، ، ،

وتخلى الوالد لولده عن قصر آل سعود، لسكناه. واختار عبد الرحمن منزل عجلان، فانتقل إليه.

هل اتصلت روسيا القيصرية بعبد العزيز ؟

هذا الخبر، كان من جملة ما احتفظ به الإنكليز، ضمن علاقاتهم ببلاد الخليج، وما أذنوا بنشره إلاّ سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠م)

قال مصنف تلك العلاقات ج. ج. اوريمر[١] ما مؤداه: بينما كان عبد العزيز ابن سعود، في الكويت، أوائل آذار ١٩٠٣ (في ذي الحجة ١٣٢٠) وصل إلى الكويت القنصل الروسي العامّ في بُوشَهْر، على الطرّاد الروسي « بويارين » وأكد بعض المصادر أن لقاءً حصل بين القنصل وعبد العزيز، عرض فيه الروسي أن يُمد عبد العزيز بالمال والسلاح. وكانت البصرة على علم بأن حكومة روسيا مهتمة اهتماماً خاصاً للصراع القائم بين ابن سعود وآل رشيد. اهـ

أما الملاقاة، فأمر محتمل الوقوع، ولا يجهل أحد أن روسيا السوفيتية، بعد نيف وعشرين عاماً من المقابلة، كانت أُولى الدول اعترافاً بالمملكة العربية السعودية. وأما عرض السلاح والمال عليه، أيام حروبه مع ابن رشيد، فلم يُعرف أن عبد العزيز تلقّى شيئاً منها في ذلك الحين ولا بعده.

---

(١) توفي لوريمر سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م. وكان من كبار الموظفين البريطانيين في الهند وعهد إليه المكتب البريطاني الذي كان يدعى « قسم الخدمات المدنية بحكومة الهند » بجمع ما لديه عن علاقات بريطانيا ببلاد الخليج، فصنف كتاب « دول الخليج » وطبعت منه نسخ قليلة، عليها طابع السرية، وما أذن الإنكليز بنشره للناس الا بعد مرور خمسين عاما على حوادثه.

ولكن « لوريمر » بعد أن ذكر حكاية هذه المقابلة [١] وأنها كانتَ في أوائل مارس ١٩٠٣ عاد[٢] فقال : إن ابن سعود حين بدأ حركته من الكويت في مايو ١٩٠٢ لاستعادة عاصمة أسلافه ، كتب إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج لتوثيق العلاقة بينه وبين بريطانيا . وذكر أنه « قد رفض أثناء وجوده في الكويت عروضاً بالمساعدة من جانب مسؤول روسي كبير »

فهذا يدلّ على أن اجتماعه بالروسي ، كان قبل أن يخرج من الكويت لاسترداد الرياض ، وعبد العزيز لم يكن سنة ١٩٠٣ في الكويت . ومثل هذا التباين يُضعف الثقة في كتاب تصدره الحكومة البريطانية .. [٣]

---

(١) دول الخليج ١٧٠٣

(٢) دول الخليج ١٧١٩

(٣) وفي الكتاب أغلاط تاريخية متعددة تدل على أن «الاستخبارات» البريطانية، كانت في تلك الفينة ، تعتمد في أخبار « قلب الجزيرة » على الشائعات من دون تثبت ، وفات « لوريمر » أن يتنبه إلى مثل هذا ، فيصلحه .

الملك عبد العزيز

وسميّه ابن متعب الرشيد

أخذ عبد العزيز آل سعود ، يتنسّم أخبار سميّه عبد العزيز بن متعب ابن رشيد ، في حركة زحفه من حائل ، ماراً بجبلي « أجأ وسلمى »[1] فالقصيم ، إلى أن أوغل في أراضي نجد ، وعسكر على ماء « رَغْبة » من قرى « المحمل » في الشمال الغربي من الرياض . وأقام قرابة شهرين ، ثم انتقل من رغبة إلى « الحِسْي » فمكث نحو أسبوعين . وبدا له على ما يظهر أن يمهل غزو الرياض ، ولا يمكن أن يكون فكّر في إهماله ، فعاد أدراجه إلى « حَفَر العَتْك »[2] بقرب الخَفْس[3] شرقاً .

ويعلّل بعض مؤرخينا عودة ابن رشيد إلى « الحَفَر » بعد إقامته نحو ٧٥ يوماً قرب الرياض بتعليلين : الأول ما يراه الريحاني ، وهو أنه عجز عن الهجوم على الرياض . والثاني ما يراه خالد الفرج ، وهو أنه : رأى تطويق الرياض بالحصر الاقتصادي ، وقطع ما بينها وبين الأحساء والكويت من

---

(١) أجأ وسلمى : جبلا طيء المعروفان في الادب القديم . توسع صاحب « قلب جزيرة العرب » في الكلام عليهما ، تحت عنوان « جبل شمر » بما يحسن الرجوع اليه .

(٢) ويلفظها أهل نجد بإدغام التاء وإخراج الكاف من مخرج يقرب من الشين فيجعلونها « العتش »

(٣) خفس العرمة ، شرقي سدير .

المواصلات .

ونحن لا نرى في التعليلين ما يصح الوقوف عنده . ذلك لأن ابن رشيد وهو زاحف بقوة كبيرة — لم يذكروا عددها التقريبي — لا يعقل أن يرى في نفسه العجز عن مهاجمة الرياض ، بعد أن أصبح على مقربة منها ، فيقفل راجعاً من دون غارة ، أو محاولة على الأقل ، وهو الشجاع الذي ذكروا أن شجاعته بلغت حدّ الهوَس . وأما أنه أراد الحصر الاقتصادي ، فهذا لا يحتاج إلى جيشه كله ، بل تكفي فيه قوة يسيرة تتنقل في بلاد أكثرها داخل في حكمه ، فتحول بين اتصال الأحساء والكويت بنجد . فلا بد إذن من سبب غير هذين أو يضافان إليه . على أن فؤاداً وحافظاً لم يشيرا في كتابيهما إلى عودة ابن رشيد هذه ، بل انتقلا مما قبلها إلى ما بعدها . وعلى فرض صحتها ، فقد يكون سببها المباشر أن ابن رشيد كان يأمل استمالة بعض العُجمان وآل مُرّة إليه ، ليهاجموا الرياض من شرقها الجنوبي ، بينما يهاجمها هو من الشمال ، فيضمن لنفسه الظفر . غير أن ابن سعود كان قد أرسل أخاه محمداً وابن عمه عبدالله بن جلوي — كما يذكر الريحاني — إلى النواحي الجنوبية ، لاستنجاد الدواسر وآل مُرّة ، فمال هؤلاء إلى عبد العزيز بن سعود وخابت رسل ابن رشيد ، فتحول هذا إلى الحَفَر ليستكمل عدده ويتهيأ لغزوة أنجح ، ويتمكن في الوقت نفسه من منع وصول الإمداد من الكويت إلى الرياض .

وكان الوقت عند عبد العزيز ، من ذهب ، والحركة دليل الحياة ، فلا مجال للتردد في الاستفادة من عودة ابن رشيد إلى الحَفَر ، بالاستيلاء على بعض الجهات التي كان يشملها حكمه .

حمل الركبان «إشاعات» عن خلاف بين عبد العزيز آل سعود، وأبيه . تلك الإشاعات مصدرها عبد العزيز،ابن سعود نفسه . ولكن ابن رشيد بنى عليها العلالي والقصور .

قالوا : إن عبد العزيز رحل عن الرياض هارباً من ملاقاة خصمه ابن

رشيد[١]

وقالوا عكس ذلك : إن الإمام عبد الرحمن راغب في المسالمة وقد خرج ابنه عبد العزيز مغاضباً له[٢] لأنه لا يرى رأيه .

وقالوا ما أرويه عن الملك عبد العزيز ، وهو : أن عبد الرحمن قرر أخذ الأمان لأهل الرياض من ابن رشيد . وكان لهذا « جاسوس » يأتي الدرعية ويتلقف الأخبار ..

وحقق الإشاعات أن عبد العزيز آل سعود ترك الرياض فعلاً . فلم يكن من ابن رشيد إلاّ أن ترك « حَفَر العَتْك » وأقبل يدلف إلى الرياض . ونزل في « بَنْبان » على ٢٥ كيلومتراً منها . وهناك علم أن عبد العزيز السعود حصّن المدينة قبل أن يغادرها[٣] وأنه رحل إلى « الدِلّـَم » [٤]في الجنوب، فتابع السير إليه .

وقد يكون عبد العزيز تعمّد استدراج خصمه إلى معقله في الجنوب ، حيث القوة والأنصار ، وحيث الظهر محميّ بصحراء الأفلاج والرّبع الخالي ؛ وخطّ الانسحاب مأمون .

وكان عبد العزيز السعود قد أبقى في الرياض ، مع والده ، حوالى ألف مسلّح للدفاع عنها ، إذا هاجمها ابن رشيد . أو لتستطيع الثبات بينما ينجدها هو من الجنوب . وخرج بجيش قليل العدد ، فقصد الخرج ومنه إلى الحوطة . وأهل هذه من تميم على اتصال بابن رشيد . فجمع ابن سعود رؤساءهم وأثار فيهم نخوة الجوار والاستجارة ، وذكّرهم بماضي أسلافه معهم . فلم يصغوا

---

(١) رواية الريحاني في تاريخ نجد . وفؤاد حمزة في البلاد العربية .

(٢) رواية خالد الفرج .

(٣) هذه رواية الريحاني . أما خالد فيرى أن ابن رشيد ترك عبد الرحمن المسالم في الرياض وطلب الشاب العنيد .

(٤) الدلم : مركز «الخرج» في جنوبي الرياض .

إليه ، فهدّدهم[١] بأنه سيبدأ بهم قبل ابن رشيد ، فلم يعبأوا بتهديده . قال خالد الفرج : « ولكن الأصفر الرنان في الليل ، فعل فعله السحري ، فقد فرّقه بينهم ، ففرّق ما بينهم ! وأصبحوا ، وهم يعاهدونه على المسير تحت لوائه. وانضوى إليه منهم نحو ٨٠٠ مقاتل. قال: وال ٨٠٠ من أهل الحوطة يعادلون ٨,٠٠٠ من غيرهم .

، ، ،

بلغ جمع عبد العزيز آل سعود نحو ١٥٠٠ مقاتل ، أكثرهم من أهل الحوطة (حوطة تميم) وقد جمعهم بنفسه ، ومن أهل الحَرِيق « الهزازنة » من عنزة ، جاءه بهم أخوه سعد . وتواردت عليه أخبار ابن رشيد فعلم أنه تجنب الرياض بعد قيامه من بنبان، وأنه زحف بنحو أربعة آلاف ،ومعه نحو ٤٠٠٠ ذلول و ٤٠٠ فارس ومضى جنوباً ، فنزل في « نَعجان » على مسيرة ساعتين من الدلم .

ونهض عبد العزيز بمن معه ، فسرى ليلاً إلى « الدلم » ودخل بيت شيخها قبل انبثاق الفجر ، فصلى ونام مستجماً مطمئناً . قال خالد : كانقد أعياه التعب والكلل والسهر بعد أن قضى عدّة ليال بلا نوم . فما كان منه إلاّ أن أغلق باب القصر وعمد إلى « وَدَك »[٢] ممزوج بملح ، فدهن به جسده . وغرق في نوم عميق ، من صلاة الفجر إلى أذان الظهر ، فاستعاد نشاطه. وأمر بذبح ناقتين فأطعم جنده .

وأخذ بعض رجال ابن رشيد يتجولون في ناحية القرية ، على مرأى من رجال ابن سعود ، ولا يعلم أولئك شيئاً عن هؤلاء .

، ، ،

أمضى عبد العزيز بقية نهاره — ورجاله متفرقون في القرية — يتلقف مختلف الأنباء عن عدوّه الذي أصبح تحت سمعه وبصره . وأهم ما عرف عنه

---

(١) من مخطوطة خالد الفرج .

(٢) الودك : دهن الشحم .

أنه في صباح كل يوم يخرج هو وبعض رجاله ، يتنقلون في البساتين .

وفي ظهيرة اليوم التالي بدأت المعركة بين عبد العزيز ابن سعود وسميه ابن رشيد ، وجهاً لوجه ، بين النخيل ، بقرب الدلم . فقد فوجىء ابن رشيد بابن سعود يهاجمه . وتلاحقت النجدات من الدلم لنصرة ابن سعود ، ومن أطراف «نعجان» لمعونة ابن رشيد . واستمر القتال بضع ساعات. وتحاجز الفريقان عند ابتداء الليل .

معركة السَّلَمية

وفي صباح اليوم الثالث كانت جموع ابن رشيد تبتعد عن ابن سعود، متجهة إلى «السَّلَميّة» وهي تبعد مسيرة ست ساعات عن الدلم شمالاً بميل نحو الشرق . وكانت حركة الجيش السعودي بطيئة في اللحاق به على الفور ، لأن ابن سعود لم يكن في جموعه أكثر من أربعين فرساً ، فقصد خصمه متمهلاً . وتلاحق به أنصار جدد ، فناهز عدد من معه الألفين . وكانت المعركة في « السلمية » في ربيع الأول من سنة ١٣٢٠ (حزيران ١٩٠٢ م) وانهزم ابن رشيد ، فتحوّل عائداً إلى الشمال ، واستقرّ في « حَفَر الباطن » وعاد عبد العزيز ابن سعود إلى الرياض .



جمهرة من رجال الملك عبد العزيز

ينجد الكويت ويخادعه ابن رشيد

أقام عبد العزيز في الرياض بضعة أسابيع ، غزا في خلالها مُطيراً (في الصمان) وقبائل من عتيبة في عُرَيق رَغْبة (بين الوشم وجبل طُويق) وكانوا من أنصار ابن رشيد .

ووصل إليه نجّاب[1] من الشيخ مبارك الصباح ، يحمل رسالة يخاطبه فيها كعادته : بيا ولدي . ويخبره بأن ابن متعب الرشيد ضيّق الحصار على الكويت . ويسأله النجدة ..

ونهض عبد العزيز بجموع من العارض ، فاستنفر بَوادي الأحساء وما حولها . وبلغ الكويت في نحو عشرة آلاف مقاتل أكثرهم من العجمان وآل مُرة وبني خالد وبني هاجِر والعوازم والمَناصير وسُبيع والسُهول . وكان ابن صباح قد جهز نحو أربعة آلاف ، وجعل قيادتها لابنه « جابر بن مبارك » فزحف الجيشان يريدان « الحَفَر » مركز قوة ابن رشيد ، ليلقياه في معقله .

ولابن رشيد عيون على ابن سعود . والبادية كلها عيون لكليهما ولغيرهما عليهما .. وما كان ابن سعود في سيره ، هذه المرة ، متخفياً أو ساتراً وجهته وغايته . فلما صح عند ابن رشيد أن عبد العزيز في طريقه إليه ، من الكويت ،

(١) النجاب : راكب النجيبة ، وهي القوية الخفيفة السريعة من الإبل ، كما في التاج . وتعرف اليوم بالذلول .

خفّ ببعض جموعه ، من الحفر ، يريد « الرياض » وأشاع بين الناس — حتى بين جمهرة جيشه — أنه ماض إلى عاصمته « حائل » للتزوّد بالقوى استعداداً لضرب عبد العزيز ومبارك معاً ...

في جَوّ لَبَن

وانتقلت « الإشاعة » المموّهة ، إلى سمع عبد العزيز وجابر بن مبارك ، وهما في طريقهما إلى « الحَفَر » فتوقفا عن التقدم وتوقف جيشاهما ، ولم يشكّ أحد في صدق الخبر . ورأى عبد العزيز أنه غير بعيد عن الصَمّان فبيّت[1] من فيه من قبائل « مُطير » وكانت قد آذته في تكرر نصرتها لابن رشيد عليه ، فقضى على شوكتها . ويقول الريحاني : ذُبحت عن بكرة أبيها وسيقت مواشيها غنائم . وزاد خالد الفرج : أن هذه الوقعة كانت في مكان يسمى « جَوّلَبَن » في الصمان .

أما ابن رشيد ، فبلغ الرياض ولم يجد فيها ما كان يأمل . فقد دافع الإمام عبد الرحمن بأهلها عنها ، أصدق دفاع . وظهر الفشل في جمع ابن رشيد بعد معركة على أبوابها خارج السور ، فاضطر إلى الابتعاد عنها بضعة كيلومترات ثم إلى توجيه قوته وجهة أخرى .

وما كاد عبد العزيز ابن سعود يقارب الكويت ، بعد ضربه مُطيراً ، حتى علم بخديعة ابن رشيد ، وأن رحلته كانت إلى الرياض ، لا إلى حائل ، فقلق . وكان على ماء يقال له « الطِوال » فأسرع إلى الكويت . فجاءه بشير الرياض بنجاتها من غارة ابن رشيد ، ورحيله عنها .

حول وقعة «جَوّ لبن»

وأمامي ، حول وقعة جوّ لبن ، خلاف بين المصادر السعودية والمصادر

---

(١) في اللغة : بيت العدو ، هجم عليه ليلا .

الكويتية ، لا بدّ من عرضه على القارىء :

كانت المعركة سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) وقالت المصادر السعودية : إن الحافز لعبد العزيز على القيام من الرياض وجمعه هذا الحشد الضخم ، إنما كان استغاثة ابن صباح به ودعوته إياه لردّ عدوان ابن رشيد ، عدوّ آل سعود الأول ، عن الكويت ، وقد اقترب منها(١) .



الشيخ مبارك الصَّبَاح

(١) خالد الفرج في مخطوطته ، والريحاني في تاريخ نجد الحديث ١١٩

وقالت مصادر الكويت : إن مباركاً اتصلت به مكاتبة تدور بين ابن رشيد وسلطان الدويش – أبي فيصل – زعيم مطير ، تدلّ على ميل هذا لابن رشيد . ورأى مبارك أن يبادر الدويش بغارة تكون نكالاً له ولأمثاله ، فجهّز جيشاً بقيادة ابنه الأكبر جابر ، ومعه (كذا) عبد العزيز ابن سعود ، وكان قد حضر من الرياض لبعض شؤونه (؟)فصبّح الدويش في جولبن ، وأنزل به الشدائد . وقد غنم الكويتيون أموالاً عظيمة تقدر منها الإبل وحدها بخمسة آلاف بعير ، وكان حظ عبد العزيز منها نحو خمسمائة [1] .

، ، ،

ومن ينظر كيف يُكتب التاريخ ، وشهودُ الوقائع ما زال بعضهم أحياء ، يأخذه العجب .

---

(١) تاريخ الكويت ٢ : ٩٤

يناوش ابن رشيد

حرب البادية أشبه بما نسميه حرب « العصابات » غارات من هنا وهناك لا ضابط لها غير القيادة التي تنحصر على الأكثر في شخص كبير القوم ، لا أحمال ثقيلة تعوق الجيش أو سراياه عن التنقل السريع ، ولا خطط ثابتة تفشل الحركة بفشلها وتنجح بنجاحها . يكرّون ويفرّون ويلتفّون ويفاجئون ، متفرقين ومتجمعين . وكثيراً ما انجلت الخواتيم عن هزيمة المنتصر أو انتصار المنكسر. وما دام « الزعيم » حياً فحركته حية . وهم يسمونه باسمه مجرداً من كل لقب.وقد يصبح كالرمز أو الشعار يناضلون عنه ويعتزون إليه ما بقي على رأسهم . فإن زال تفرقوا يلتمسون قائماً آخر يقاتلون معه . وربما كان خصمه وخصمهم بالأمس .

، ، ،

عاد عبد العزيز من الكويت ، وقد أحضر معه أسرته ، وكانت لا تزال في « المهجر » القديم . وقيل له حين دخل الرياض: إن عبد العزيز المتعب (ابن رشيد) قد مشى إلى الوشم[1] يتعقب « ابن سُويلم » وابن سويلم — واسمه مساعد — كان قد أرسله الإمام عبد الرحمن من الرياض ، فاستولى على

(١) من إمارات العارض، مركزها بلدة «شقراء» ومن بلدانها ثرمدا،وحريملا ، ومراد ، والأشيقر . وأكثر سكان الوشم والأشيقر من تميم .

« المحمل » و « الشُعيب » و « شقرا » (غربي الرياض) وقتل في « ثرمدا » أميراً من قبل ابن رشيد يدعى « الصويّغ » وأسر أمير البلدة مشاري العنقري وأرسله إلى الرياض . فلما أخفق ابن رشيد في هجومه على الرياض ، تحوّل إلى تعقّب ابن سويلم ، فتحصّن هذا في « شقراء » وحاصره ابن رشيد .

ولم يسترح عبد العزيز آل سعود في الرياض غير يوم واحد . وهبّ يلاحق ابن رشيد على أبواب « شقراء » فعلم وهو في حُرَيملا ، ، قبل أن يبلغ شقراء ، أن ابن رشيد رحل عنها إلى « الغاط » [1]من بلدان « سُدير » في الغرب الشمالي من الرياض ، ثم منها إلى القَصيم ، وكانت من البلاد التابعة له . فتابع عبد العزيز سيره إلى شقراء . وولى « أحمد السُديري » إمارتها . ثم نظّم بعض شؤون الوشم وسُدير ، وقفل إلى الرياض يترقب أخبار ابن رشيد.

وخرج ابن رشيد من القصيم يريد غزو من في «سُدير » من قبائل عتيبة وقحطان التابعة لابن سعود ، فحاصر « التّوَيم » من قرى سُدير . ووصل الخبر إلى عبد العزيز فأسرع من الرياض . وبادر أهل الوشم مع أحمد السديري إلى إنجاد التويم ، فأخفق ابن رشيد ورحل مشرّقاً ، قبل وصول عبد العزيز .

وقرّ رأي عبد العزيز على مهاجمة ابن رشيد في القصيم . فأقام في « جَلاجِل »[2] عشرين يوماً يُعد العدة ، فعلم أن ابن رشيد خرج إلى جهة « الزلْفي » من بلاد سُدير ، فتقدم هو إلى « المَجْمَعَة » في شمالي سدير ولم يلتقيا .

وانتهى الأمر بينهما ، في هذه « الجولة » بعودة ابن سعود إلى الرياض ورحيل ابن رشيد إلى أطراف العراق ليستنفر من هناك من شمّر ، وليتصل بالترك حكام العراق العثمانيين ، مستمداً عونهم . وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)

(١) هذا هو المشهور في نجد الآن . وصوابه « لغاط » كغراب . نبهني اليه الأستاذ حمد الجاسر . كما هو في القاموس . وفي التاج : زاد الليث : من منازل بني تميم .

(٢) بفتح الجيم الأولى ، وتضم كما التاج .

يستولي على القَصِيم

القَصِيم : بلاد عامرة غربي الدَّهْناء ، في الشمال الغربي من سدير والرياض . أشهرها بُريدة وعُنيزة . وحولها وبينهما أكثر من خمسين قرية كبيرة وصغيرة . كانت السيادة فيها خالصة لابن رشيد بعد أن استقر الجنوب ، من سُدير إلى وادي الدواسر ، لابن سعود .

وقعة ابن جرّاد

وكان عبد العزيز ابن رشيد ، قد اتخذ القصيم مركزاً له وحصناً في غاراته على الجنوب . وأرسل في أوائل ذي الحجة ١٣٢١ (أواخر ١٩٠٤ م) قبل عودته من القصيم إلى حائل ، سرية من نحو ٣٠٠ مقاتل ، بقيادة « حسين بن جرّاد » من رجالات شمر ، للمرابطة في إقليم السرّ جنوبيّ القصيم . واتصل خبرهم بابن سعود ، فنهض إليهم من الرياض ، وصاولهم يوم ١٨ ذي الحجة في قرية تدعى « الفَيْضَة » فقتلَ « ابن جراد » وأكثر من معه . وانحاز إليه جانب من قبائل « حرب » النازلة بين السرّ والقصيم ، وكانت كلها تدين بالطاعة لابن رشيد . وعاد إلى الرياض ، يستعدّ مسرعاً لمهاجمة « القصيم » قبل عودة ابن رشيد إليه .

قام عبد العزيز من الرياض ، وسبقته الأخبار أو الإشاعات المنطلقة من سرادقه ، بأنه « يريد أن ينحدر إلى الكويت » ووجهته في الحقيقة القصيم .

ولما وصل إلى ماء « الشُرَيْحِية » في وسط « النفود » علم من كان معه من أهل البادية أنه يريد ابن رشيد ، فتسلّل أكثرهم . واستمر عبد العزيز برجاله يتابع السُّرى . وضلّ دليله في النفود إلى أن طلع الصباح ، فاهتدوا إلى قصر يسمى « الحَميدية » من قصور عنيزة ، يبعد عنها مسيرة أربع ساعات. ولاحت لهم طلائع عرفوا أنها لسرية كان ابن رشيد قد أرسلها إلى عنيزة ، بقيادة ماجد الحُمود بن رشيد ، قيل : كان عددها نحو ٤٠٠ مقاتل .

ونزل عبد العزيز بقصر الحميدية . ثم تقدم عند الغروب إلى نخل من نخيل عُنيزة ، فعسكر هناك . وكانت في المدينة سرية رشيدية أخرى ، بقيادة فهَيْد السبِهان . أما ماجد الحُمود فكان نازلاً قرب « المريبِط » وهو باب من أبواب المدينة .

وكان في جيش عبد العزيز بعض آل سُليم (أمراء عُنيزة قبل أيام ابن رشيد) ومعهم جمع من أهل القصيم ، سكنوا « شقراء » وناصروا آل سعود . فأمرهم عبد العزيز بالتقدم إلى « عُنيزة » فقاومهم رجال ابن رشيد . وقُتل فهيد السبهان . وعزّز عبد العزيز مهاجمي عنيزة بمئتين من رجاله ، يقودهم عبدالله بن جلوي ، فأعلن أهلها التسليم إلى آل سُليم .

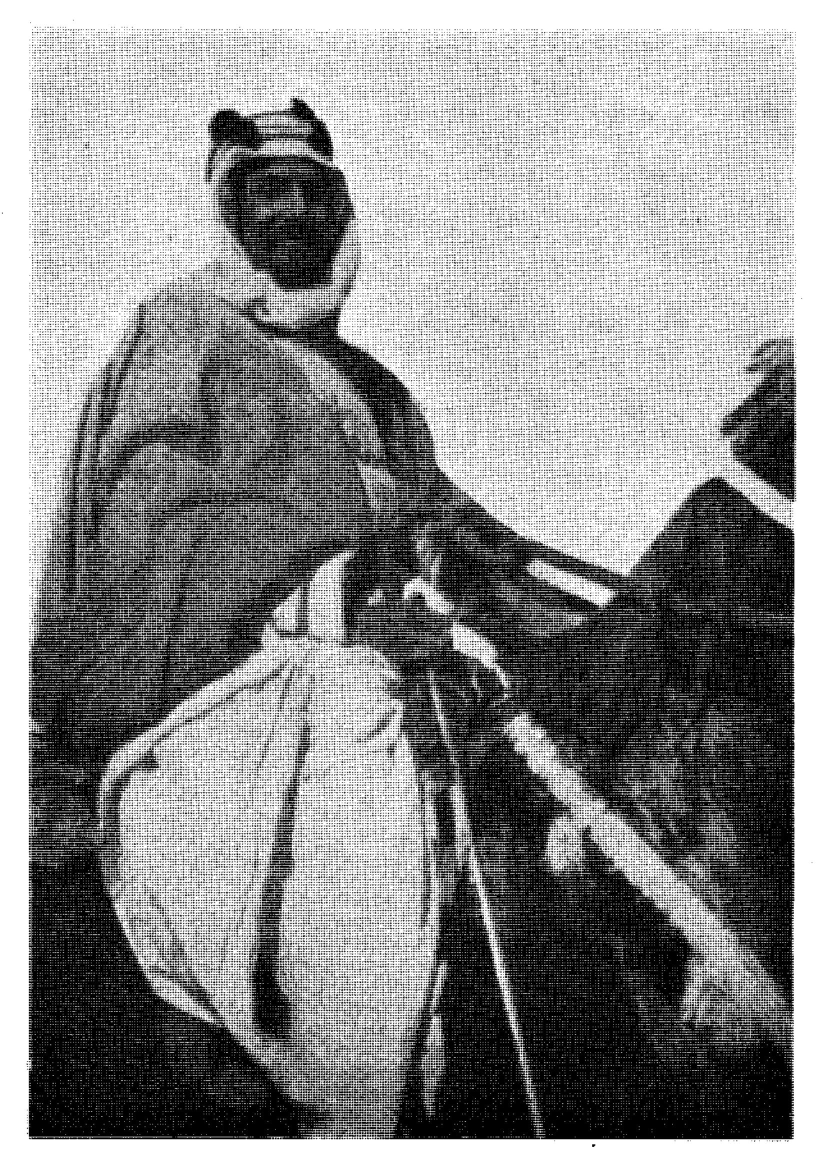
حَفَدة سعود بن فيصل

وفي فجر اليوم التالي ، ركب عبد العزيز ، على رأس كوكبة من الفرسان ، وقصد الجهة التي كان فيها ماجد الحُمود . وشعر ماجد بضعفه ، فأبرز في مقدمته نفراً ، من آل سعود كانوا في حائل . وهو يطمع في أن يمتنع عبد العزيز عن القتال إذا رآهم ، مخافة أن يصابوا . غير أن عبد العزيز حين عرفهم أمر بعقر خيلهم . واشتدت المعركة . وعُقرت خيولهم ونجوا من الموت[1] وقتل

---

(١) وهم تسعة أشخاص ، منهم سعود بن عبد العزيز بن سعود ، وسعود بن محمد بن سعود ، وفيصل بن سعد بن سعود ، وسيأتي ذكرهم فيما بعد ، باسم « حفدة سعود بن فيصل »

أكثر رجال ماجد ، وفيهم أخ له اسمه« عُبيد »قيل ذبحه عبد العزيز بيده. وفرّ ماجد، فلم يعرف عنه خبر إلاّ في حائل .



الملك عبد العزيز : سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)

ودخل عبد العزيز مدينة « عُنيزة » في ٥ محرم سنة ١٣٢٢ (١٣ / ٣ / ١٩٠٤ م) وأقام فيها بضعة أيام . وهاجم « بُريدة » فخرج أهلها مسلّمين . غير أن أميرها من قبل ابن رشيد ، وحاميتها ، تحصنوا في قصرها ، وثبتوا شهرين وأياماً . ثم سلموا في منتصف ربيع الأول ١٣٢٢ واستولى عبد العزيز على المدينة .

وتتابع تسليم البلاد له ولرجاله وسراياه ، في القصيم . وتم له بذلك تملك بلاد نجد كلها ، ما عدا جبل شمّر .



حقول الأرز ، في الهفوف ، قبل النهضة الزراعية الحديثة

يقاتل « الدولة » وابن رشيد

كانت سياسة الدولة العثمانية القضاء على إمارة آل سعود . بدأت بذلك من عهد أسلاف الملك عبد العزيز . ووقائعُ بعض ولاتها ممن كانوا في مصر والحجاز والعراق ، مع أهل نجد ، معروفة .

وأشرنا إلى أن أقوى الأسباب التي حفزتها إلى الدؤوب وراء تلك الخطة ، أن السعوديين لا يقولون بخلافة آل عثمان . وأن أهل نجد من عهد قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية ، جاهروا بإمامة القائمين بالأمر فيهم من آل سعود .

يضاف إلى هذا ، أو يقدّم عليه ، امتناع الديار النجدية عن الخضوع لسلطان العثمانيين ، واستمساكها في أيام الحُكم السعودي ، على الخصوص ، باستقلالها ، ودفاعها عنه بالسلاح .

ولما قام آل رشيد ، موالين للعثمانيين وقائلين بخلافتهم ، اتخذهم العثمانيون سنداً لهم في شبه الجزيرة ، بل أداة نقمة يسلّطونها يوماً على مبارك الصباح ويوماً على غيره .

وفتر ما بين حكومة آل عثمان وعبد العزيز بن متعب الرشيد ، حين أصرّ هذا على طلب العون لاحتلال الكويت . وكانت العثمانية أميل إلى أخذ مبارك بالحسنى بعد أن علمت بلياذه بالحماية البريطانية ، لتبتعد عن الاصطدام

بالبريطانيين ، وجهاً لوجه ، وتترقب الفرص لإعادة آل صباح إلى طاعتها .

وبرز اسم آل سعود في الجزيرة — مرةً ثانية — في شخص عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل. ووصل عبدالعزيز المتعب ابن رشيد، إلى أطراف العراق يستنصر الترك العثمانيين على « الناهض » الجديد ، من « أعدائهم القدماء » آل سعود ، فلقي اهتماماً من ولاة « الدولة » وكبار موظفيها في بلاد الرافدين. وأذن «الباب العالي »— كما كان يُسمّى— بإمداد ابن رشيدبالسلاح والمال والرجال، ما دام الغرض (المشترك) محو آل سعود من الوجود .

وزحف ابن رشيد تتبعه قبائل شمّر كلها — شمّر نجد ، وشمّر العراق — وأحد عشر طابوراً منجنود الدولة العثمانية ، من أتراك أناضوليين ، وأرناؤوط ألبانيين ، وعراقيين وشاميين ، وآخرين من مختلف العناصر الخاضعة للدولة يومئذ ، فضلاً عمّن يتبع مثل ذلك الجيش الجرار من القبائل الطامعة بالسلب والنهب .

وكان عبد العزيز وهو يستصفي القصيم ، قد استبطأ سيّد شمّر ، ابن رشيد ، وعجب من سكوته عنه بعد مصرع عدد من صفوة رجاله : كابن جراد في « فَيْضَة السرّ » و « فُهيد السبهان» في عُنيزة و « عُبيد الحمود » من كبارآل رشيد . ولكنه لما علم، وهو لا يزال في القصيم (في بُريدة) بخبر هذا الزحف الضخم زال عجبه ، وزحف للقاء ابن رشيد ومن معه .

وقعة البكيرية

وتلاقى الجيشان في سهل « البُكَيْرِيّة » غربيّ القصيم ، وكان ابن سعود جعل جيشه قسمين :

الأول — أهل العارض (الرياض وما حولها) وتولى قيادتهم مباشرة ، وخصهم لمقاتلة شمّر وابن رشيد .

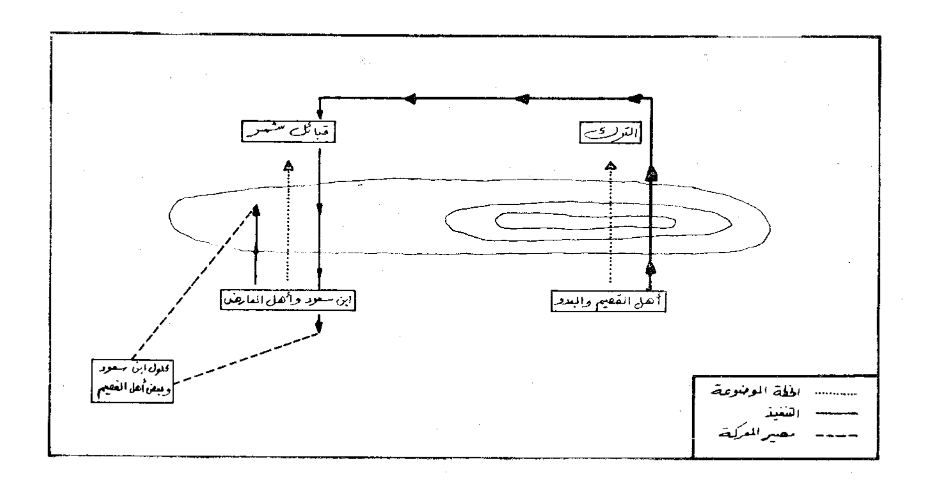
والثاني — أهل القصيم ومن لحق بالجيش من قبائل مُطير وغيرها . يقودهم ابن عمّه عبدالله بن جاوي ، وخصهم لمقاتلة جيش الترك (العثمانيين) النظامي .

ونشبت المعركة ليلة أول ربيع الثاني ١٣٢٢ (١٥ / ٦ / ١٩٠٤ م) فالتحم أهل العارض بقبائل شمّر ، حسب الخطة المرسومة . وتقدم أهل القصيم يريدون الجهة التي فيها الجيش النظامي (العثماني) حيث تطلق المدافع بكثرة . وكان بينهم وبين هذا الجيش تلّ عال — أو على حدّ تعبيرهم : دِعْص من الرمل — فضلّلهم الظلام . وسلكوا طريقاً مقوّساً جعلهم يتركون الترك عن يسارهم ويجدون أنفسهم وراء خيام شمّر .

وتلاصقت شمّر والترك العثمانيون ، يقاتلون ابن سعود وأهل العارض .

، ، ،

وبينما عبد العزيز ابن سعود ومن معه ، يهاجمون قبائل شمر ، مطمئنين إلى أن الجيش النظامي التركي ، قد شُغل بأهل القصيم ، إذا هم يفاجأون بنيران الترك تنصبّ عليهم ، وبالجيش النظامي تقابلهم جموعه مع شمر ..



واستمرت المعركة في حالك الليل ، بضع ساعات . فقتل من أهل الرياض وحدها ٦٦٠ رجلاً ، ومن أهل جوارها نحو ٣٠٠ وأصيب عبد العزيز ابن سعود بشظايا قنبلة ، في يده اليسرى . وفتك عبد العزيز ورجاله بنحو ألف

جندي نظامي ، بينهم أربعة من كبار الضباط ؛ وحوالى ٣٠٠ شمّري ، بينهم اثنان من آل رشيد (هما ماجد الحمود — وقد تقدم ذكره قريباً — وعبد العزيز بن جَبْر) ورجحت كفة ابن رشيد ، وتفرقت جمهرة ابن سعود . فانسلّ هذا من الميدان في نحو عشرين فارساً ..

، ، ،

وطلع الفجر وابن سعود بعيد عن البكيرية — في جنوبيها — يبحث عن مكان يجمع فيه فلول جيشه ، ويأوي إليه بمن معه . وإذا بأصوات بنادق تطلق في الهواء . فتبيّن الخبر . فظهر له جمع من أهل القصيم ، من رجاله الذين كان عليهم أن يقابلوا الجيش النظامي ويقاتلوه ، قد أقبلوا بأهازيجهم البدوية ، ومعهم وزير ماليته الخاص يومئذ « شلهوب »[١] وكان عبد العزيز قد جعله معهم قبل المعركة .

وسرعان ما حدثوا عبد العزيز بأنهم أرادوا مع جموع أهل القصيم ، أن يصعدوا التلّ لمهاجمة الجيش النظامي ، وضلّوا الطريق ، فوجدوا أنفسهم خلف شمر ، فضربوها ، وغنموا أرزاق باديتها ، وأقبلوا على مخيمه — مخيم عبد العزيز ابن سعود — فوجدوا فيه زهاء ٣٠٠ جندي من الجيش النظامي ، ففتكوا بهم . ولما لم يجدوا عبد العزيز (ابن سعود) حملوا ما غنموه من الأسلحة الخفيفة ، وعادوا إلى بلادهم (بُريدة ، وعُنيزة) ظافرين[٢]

---

(١) اسمه ، محمد بن صالح شلهوب . عاش قريباً من مئة عام هجرى . وتوفي في ذي الحجة ١٣٧٨ — (١٩٥٩م) في بيروت . ونقل جثمانه إلى الرياض . وفي عقد الدرر ، طبعة وزارة المعارف ، هامش الصفحة٣٧ كلمة عن أبيه وأسرته ، يحسن الرجوع اليها .

(٢) جمعنا في تفصيل معركة « البكيرية » بين روايتي الريحاني وخالد الفرج . على أن خالداً يذكر أن هجوم أهل القصيم على ابن رشيد من الخلف قد حول نصره إلى «هزيمة شنيعة » وأن المعركة أسفرت عن وقوف أهل القصيم وحدهم في الميدان . ولم يذكر عودتهم إلى بلادهم . وذكرها الريحاني .

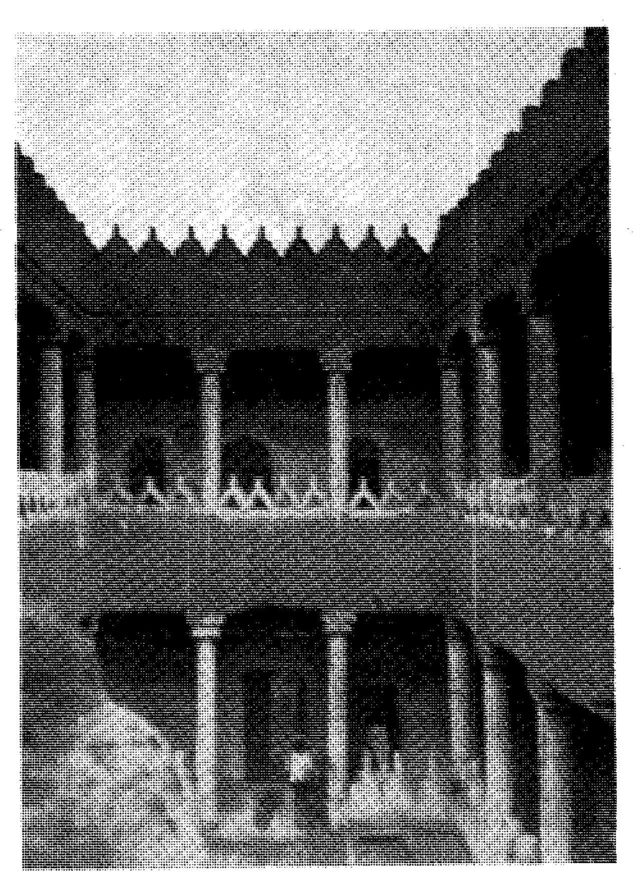
وبعد حديث شلهوب ورفاقه ، وصل آخرون يحملون كتباً من القصيم إلى ابن سعود ، يعاهده أهلها على القتال[1] معه ، ويطلبون عودته إليهم ..

واطمأنّ عبد العزيز ، بعد سماعه حديث « شلهوب » ومن شهد المعركة « الخلفية » معه ، إلى أن الهزيمة لم تكن عامّة في جيشه ، فقفل عائداً إلى « عنيزة » في الشمال ، يلمّ شمله . وأقبلت عليه النجدات من بوادي عتيبة ومطير وسواهما . وسمعتُ متحدثاً من أهل نجد ، يقول : لما بلغ أهلَ نجد خبر المعركة « تحاموا » ، أي أظهر كل منهم حميّته وتسارعوا لنصرة عبد العزيز .

واجتمع عند عبدالعزيز السعود ، في أقل من أسبوع ، ما يناهز عشرة آلاف مقاتل .

---

(١) هذه رواية خالد الفرج . أما الريحاني فيقول : « أشكل الأمر على عبد العزيز ، فأحب أن يمتحن أهل بريدة وعنيزة ليتأكد إذا كانت لهم رغبة حقيقية في محاربة ابن رشيد ، فأرسل اليهم يقول : « اثبتوا في مكانكم وإني مستفزع أهل نجد ، وراجع اليكم . فكتبوا إليه – وكان أهل عنيزة أشد لهجة – يقولون : « اذا أنت رحلت فلا يستقيم أمر بعدك ، وإذا رجعت الينا فنحن نعاهدك في السراء والضراء ، على أن نقدم أنفسنا وأموالنا وأولادنا بين يديك ، أي والله ! نحمي أوطاننا أو نموت جميعاً .. »



في الرياض : القصر الذي كان الملك عبد العزيز
ينزل فيه كبار ضيوفه

يهدّده القائد التركي .... ويجيب

قبل أن يجفّ الدم المهراق في البكيرية ، ورد على عبد العزيز ، وهو في بلد عنيزة ، كتاب من «أمير ألاي» الجيش التركي (العثماني) وقد وصل بعد المعركة لمساعدة عبد العزيز بن متعب الرشيد ، هذا نصه الحرفي :[1]

« جناب المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل

بعد السلام والسؤال عن خاطركم ، نفيد جنابكم أن جلالة الخليفة الأعظم بلغه اضطراب الفتنة في بلاد نجد ، وأن يداً أجنبية محركة لها . فلهذا السبب بعثني إليكم حقناً للدماء ولمنع تداخل الأجنبي في بلاد المسلمين .

فأنا أنذرك إذا لم تأتنا وتبين الأسباب التي حملتك على إضرام هذه الفتنة بدون مراجعة أي ولاية من ولايات الدولة ، واقتصارك على مراجعة صاحب الكويت ، وأخذ المدد منه . وأنت تعلم علم اليقين أنه خارج عن طاعة الدولة ناكث لعهد الخليفة الأعظم وخائن له في بلاده ، وما كان ينبغي منك الالتئام معه .

وإن قلت إن مجيئي هذا هو فقط لمساعدة ابن رشيد ، فلا تظن هذا الظن ،

---

(١) من مخطوطة تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق : تأليف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام ، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ ، تقريباً . ونص الرسالتين منقول عن جريدة اللواء في غرة رجب ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) أطلعني على ذلك الأخ الاستاذ حمد الجاسر صاحب مجلة «العرب »

بل اصرفه عن فكرك . ولو فعلتَ كما فعل ابن رشيد وطلبت من الدولة نجدة تقمع بها شرار الفتنة لكانت الدولة أرسلت عساكر لمعاونتك حتى ترى الصالح وتؤيده . وسواء أنت وابن رشيد .

وأنا الآن ليس لي وظيفة غير الإصلاح وتقرير ما فيه صلاح البلاد وأمان العباد ، طبقاً للحديث الشريف — كذا —: « إذا تقاتلت فئتان(؟) من المسلمين فأصلحوا بين أخويكم فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله . »[١]

فها أنا مقيم بأطرافكم إما أن تقدموا إليّ وإما أن تستقدموني وتعرضوا عليّ ما عندكم لأنظر فيه مع أمراء عساكري ، وأسير في الحكم طبق إرادة مولانا الخليفة .

فإياكم والمخالفة ، فتكونوا ممن عصى الله ورسوله . واعلم أني لم أبرح عن خطة العدل والإنصاف ، فإن كنت محسناً فالدولة تزيدك إحساناً ، وإن كنت مسيئاً ، فتدخل في مراحم الدولة العثمانية .

وأعطيك مدة عشرة أيام تشاور بها القريب والبعيد ، وتختار لنفسك مايصلح لها ، وقد قال الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا رسوله — كذا — وأولي الأمر منكم »[٢] فمتولي أمركم الذي تجب له الإطاعة بنص الآية الشريفة هو خليفة الله ورسوله سلطان آل عثمان . فأنصحك نصيحة مسلم لمسلم أن تسرع إلى الطاعة وأحذرك العصيان ، والله على ما نقول وكيل .

تحريره في عاشر ربيع آخر ١٣٢٢

كاتبه :

ميرألاي حسن شكري

---

(١) ليس هذا بحديث ، وإنما هو محرف عن الآية الكريمة : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » .

(٢) تحريف للآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » .

وعبد العزيز يجيب

وأجابه الملك عبد العزيز ، من عُنيزة (في القصيم) بما نصه ، حرفياً :

جناب المحترم الأميرألاي حسن شكري

فهمنا خطابكم إلى آخره . وأما قولك إن أمير المؤمنين بلغه خبر أمر هذه الفتنة في البلاد العربية وما هان عليه إلاّ إصلاحها ، فسبحان الله ! هل تخفى عليه حقيقة الأحوال ؟

إنه هو المضرم لها ، وهي غاية مقاصده .

وما الحامل لمبارك الصباح على التحيّز إلى دولة أجنبية إلاّ سوء أفعال محسن باشا والي البصرة ؟ فهو الذي نفّره وأضرم هذه الفتنة . ولذلك لم تبق لي ثقة بوالٍ أو مبعوث تركي . وإنني مختار لنفسي ما اختاره مبارك آل صباح . والأحسن رجوعك من هذا المكان .

وأما قولك إن الخليفة المعظم بعثاك لتنظر الخلاف الواقع بيني وبين ابن الرشيد ، فليس إلاّ لأنكم تريدون غدر إمارتي . ولو كان الأمر كما زعمتَ لكنتَ نظرت في بادىء الأمر لمن تكون بلاد نجد ، ولمن كان الأمر عليها من قديم ، ومتى كان ابن الرشيد أميراً فيها ، وكيف دخل هذه الإمارة ؟ وأحواله لا تخفى عليكم ، وليس له حق في المنازعة . وكان يمكنكم التدخّل منذ أربع سنوات في بادىء الأمر ، قبل استفحاله ، وقبل أن يداخلنا الشك في سوء أفعالكم . وأما الآن ، فلا نقبل لكم نصيحة ، ولا نعترف لكم بسيادة ، والأحسن أنك ترجع من هذا المكان إذا كنت لا تودّ سفك الدماء . فإن تعدّيت مكانك هذا ، مقبلاً إلينا ، فلا شك أننا نعاملك معاملة المعتدين علينا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . ﴾

فإن كنت حراً منصفاً فلا يخفاك أن سبب عدم إطاعتي هو عدم ثقتي بكم . انظر إلى ولاية البصرة كيف فرطت في الكويت ، وإلى والي اليمن كيف سلوكه في اليمن فإنه أضرم فيها الفتنة . وانظر إلى الحجاز وأهله التعساء،

وما يلاقونه هم وحُجّاج بيت الله الحرام من السلب والنهب ، في نفس البلاد ، من الحكام . فأيّ نصيحة تبديها لي يا حضرة الأمير ، مع ما أراه من سوء المقاصد وخبث نيات العمال !

وأمنية عموم المسلمين ، هي أن الله يهيء لهم من يحمي ضيعتهم ويعلي شأنهم . وأظن أنك لا تجهل جميع الأحوال التي عرضت عليك . وخلاصة القول إن كل العمال الذين رأينا ، إنهم خائنون منافقون . فلا طاعة لكم علينا ، بل نراكم كسائر الدول الأجنبية .

عبد العزيز ابن سعود

يهزم « الدولة » وابن رشيد

زحف عبد العزيز ثانيةً لقتال ابن رشيد وعساكر الدولة في « البكيرية » وكان ابن رشيد قد ترك فيها موَن الجيش وذخائره ، وقصد قرية تدعى « الخَبْراء » يريد الاستيلاء عليها ، وفيها حامية من جند عبد العزيز ابن سعود ، فامتنعت عليه . وعلم ابن رشيد وهو محاصر لها بعودة ابن سعود ، فخشي على ذخائره في البكيرية ، فأرسل ألفاً وخمسمئة فارس بقيادة « سلطان ابن حمُود » من آل رشيد ، لحمايتها . ووصل عبد العزيز ، فالتقى نحو ٦٥٠ من فرسانه بحملة سلطان الحمود ، عند انبثاق الفجر ، فقاتلوها وظفروا ، وانهزم سلطان . ودخل عبد العزيز البكيرية وقتل أكثر من فيها من حامية ابن رشيد .

ورحل ابن رشيد عن « الخبراء » فنزل في « الشِنَانة » على نحو عشرة كيلومترات من جنوبي « الرسّ » [1] وتقدم عبد العزيز إلى « الرسّ » فدخلها وجعلها مركزاً لمناوشة ابن رشيد .

، ، ،

أقام ابن سعود وابن رشيد ، متقابلين ، تفصل بينهما تلك المسافة غير

(١) « الرس » بلدة قديمة ، في أعلى القصيم ، على ضفة وادي الرمة الجنوبية ، كما في صحيح الأخبار ١ : ١١٥

البعيدة ، ورجالهما يتهاجمون كل يوم ويتطاردون ، مدة ثلاثة أشهر . من منتصف ربيع الثاني إلى منتصف رجب ١٣٢٢ (١٩٠٤ م) ويقول الريحاني : إن ابن سعود أرسل فهداً الرشودي (من أعيان بُريدة) إلى ابن رشيد ، يدعوه للصلح ، وضحك هذا وقال : من يبغي حكم نجد لا يتضجر ! وهل يصالح من في يده قوة الدولة ؟ لا يغرّكم ابن سعود يا أهل القصيم لا يغرّكم شابّ طائش يبغي الدراهم .. لا صلح قبل أن أضرب بُريدة وعُنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدى الدهر !

، ، ،

وملّ جيشا ابن سعود وابن رشيد طول الإقامة في تلك الديار ، وقد حلّ فصل الربيع . فانصرف عنهما أهل البوادي ، يرعون مواشيهم . ولم يبقَ عند عبد العزيز أكثر من ألف مقاتل — تقريباً — من أهل الحواضر ورؤساء القبائل . أما ابن رشيد فأزمع الرحلة بمن بقي معه ، بعد أن فرض على قبائل شَمّر أن تقدم لعساكر الدولة ما يكفي من « الركائب » لتصحبها في انتقالها . وبينما هو على أهبة الرحيل ، أغارت على معسكره خيل من عسكر ابن سعود ، فقاومها . ودامت المعركة من صلاة الفجر حتى غروب الشمس . وابتعد ابن رشيد ، في خلال المعركة قليلاً عن « الشنَانة » وطارده عبد العزيز . فلما دخل الليل كفّ عنه وعاد بخيله إلى « الرَسّ » يستعدّ لإعادة الكرّة في صباح اليوم التالي . وعهد إلى أخيه محمد بن عبد الرحمن بمراقبة ابن رشيد وتعقبه إذا ارتحل .

وجاء محمد بن عبد الرحمن ، يؤكد لأخيه عبد العزيز — وهو في بدء تناول العشاء — أن ابن رشيد مقيم . وأردف ذلك بقوله : « وقد نَصَب الخيام » فما كاد يكمل هذه الكلمة ، حتى وثب عبد العزيز إلى فرسه ، وهو يقول : هي خدعة نعرفها . لقد رحل ابن متعب ورب الكعبة ..[1]

(١) هذه رواية خالد الفرج . وأيدها لي بعض ثقات الملك عبد العزيز . أما الريحاني فيقول : « جاءه وهو جالس إلى العشاء أحد الكشافة يقول : رحل ابن رشيد »

وما كاد يشرف على الخيام حتى وجدها خالية ....

، ، ،

مضى ابن رشيد بحموله وأثقاله إلى جهة قصر يعرف بقصر « ابن عُقَيّـِل » من توابع الرسّ على عشرين ميلاً منها . سكانه من عتيبة . وفيه حامية من رجال عبد العزيز ابن سعود . وخيّم على مقربة منه . ثم أراد دخوله ، فقوبل برصاص الحامية ، فرماه بقذائف المدافع ، فلم تصنع شيئاً .

وبات عبد العزيز في الرسّ تلك الليلة ، يتوقع أن يحمل إليه الصباح ، أخبار « اتجاه » ابن رشيد . وبعد الظهر قال لرجاله : انهزم ابن رشيد ! فقوموا بنا للعرضة [١]

أخبرني من سمع الملك عبد العزيز يروي القصة : أن ابن رشيد لما ارتحل بجموعه ، أرسل ابن سعود خيالة يتعقبونهم ويكشفون له خبرهم ، وقال لقائد الكشف : إن اتجهوا نحو حائل — ومعنى ذلك أنهم ذهبت ريحهم ولم تبق لهم حيلة للحرب — فابعث إليّ رسولاً على فرسك ، وإن جعلوا وجهتهم إلى القصيم — وهذا يعني أن لهم خطة جديدة — فليكن رسولك على حصانك ، ولا تخبر الرسول بشيء . ولما كان ظهر اليوم التالي ، أقبل رسول القائد ، يقول: إن العدوّ مكسور ومخذول . ونظر عبد العزيز إلى الرسول ، فإذا هو راكب حصان القائد ، فعرف خطة ابن رشيد ، وأن وجهته القصيم . وكتم ذلك في نفسه .

وخرج للعرضة في ظاهر الرسّ.وتبعه جمهور كبير من رجاله،بسيوفهم وبنادقهم ومسدساتهم . فلما اكتمل جمعهم ، أخبرهم بأن ابن رشيد قصد

---

(١) العرضة صورة مصغرة من الزحف إلى المعركة ، بل هي تمثيل لمعركة المشاة ، ينقصها العدو . يصطف بها المقاتلون ويهزجون ويتحمسون وينتخون ويلعبون بالسيوف ، يشترك فيها الملك والأمراء .

القصيم ، وطريقه على قصر ابن عُقيّل (وهو على نحو ٤ ساعات من الرسّ ، للماشي) وأمرهم بالزحف إلى قصر ابن عُقيّل . فقال بعضهم : ألا نأتي بالخيل والماء والزاد ؟ فقال عبد العزيز : لا ، لنمش الآن . أنا واحد منكم ومثلكم . أنتم مشاة وأنا أمشي . أنتم حفاة وهذا نعلي وهذا ذلولي . ووضع نعله في الخرج ، وألقى بحبل الذلول على غاربه . ثم مشى أمامهم حافياً . فمشوا وراءه متحمّسين [١]

ووصلوا إلى القصر بعد منتصف الليل . فلاحت لهم خيام ابن رشيد ، وأرادوا الهجوم عليها فمنعهم عبد العزيز ، وقد رأى في أكثرهم أثر التعب والجوع ، بعد سيرهم على الأقدام نيفاً وعشرين كيلومتراً ، فدخلوا القصر (وكان صاحبه من المخلصين لعبد العزيز) وأقفل عبد العزيز أبوابه ، ووضع المفاتيح تحت رأسه . وعند الصباح يحمد القوم السرى !

وأدرك ابن رشيد ، أن خطة عبد العزيز هي أن يتعقبه وينهكه بالمفاجآت ، فرأى أن ينحدر إلى مكان أوسع من منطقة القصر . وقام بجموعه المقدّر عددها بخمسة عشر ألفاً من عرب وترك ، تتقدمه إبله ومدافعه وذخائره ، في تلك الليلة نفسها ، وعيون عبد العزيز ابن سعود تراقبه . ومضى ،ووجهته وادي الرُّمَة [٢]

---

(١) قصة هذا الزحف معروفة عند خاصة الملك عبد العزيز ، وكان يشير إليها في بعض أحاديثه . وانفرد الريحاني بالإشارة إليها .

(٢) أطول الأودية في قلب الجزيرة . يبدأ قريباً من المدينة ، ويخترق القصيم من غربه الجنوبي إلى شماله الشرقي . وفي التاج : الرمة – وقد تخفف ميمه – قاع عظيم بنجد ، تنصب فيه مياه أودية ، وفي المثل : يقول الرمة كل شيء يحسيني ، إلا الجريب فإنه يرويني

قال : والجريب واد ينصب فيه أيضاً . وقال « نصر » : الرمة بتخفيف الميم ، أكبر واد بنجد يجيء من الغور والحجاز ، أعلاه لأهل المدينة وبني سليم ، ووسطه لبني كلاب وغطفان ، وأسفله لبني أسد وعبس ، ثم ينقطع في رمل العيون ،ولا يكثر سيله حتى يمده الجريب وهو واد =

أما عبد العزيز ، وليس معه أكثر من ألف مقاتل ، سلاحهم السيف والبندق ، فجمع ما في القصر من خيل . وخرج بها تتبعه المشاة ، يترسّم خطى ابن رشيد ، ويتحين الفرصة للمفاجأة .

وأناخ ابن رشيد ، في وادي الرمة ، ونصب المدافع استعداداً للطوارىء ، وبنى بيوت الحرب [١]

وتقدمت كوكبة من فرسان عبد العزيز ، تناوش جيش ابن رشيد . فاصطدمت بقوة من رجاله . واستمر القراع من الضحى إلى منتصف النهار ، وتقهقر الفرسان السعوديون .

وقعـة الشنـانة

وبينما عبد العزيز يُشرف بمنظاره على الحركة من بعيد ، دنا منه اثنان من رجاله ،أحدهما « محمد أبو شيبة » رئيس بلدة الحوطة(حوطة بني تميم) والثاني ابن له ، فقال أبو شيبة : ماذا تنتظر هنا ؟ لماذا لا نمشي ونهاجمهم ؟ فأشار إليه عبد العزيز أن يتريث ولا يعجل .. فما كان من أبي شيبة إلاّ أن علّق بندقيته برقبته ، واستلّ سيفه ومشى ، وهو يقول لولده : هذا عبد العزيز يدوّر الدنيا (أي يعمل للكسب) ونحن نبي الجنة(أي نبغيها) وتابعا سيرهما راجلين ، فاخترقا مرامي الرصاص ، والمعركة دائرة ، وأدركا بيوت حرب ابن رشيد ، فقطعا أطنابها بسيفيهما .

هذه رواية أهل نجد ، أخبرني بها بعض ثقاتهم . وانفرد خالد الفرج بالإشارة إليها ، إلاّ أنه أوردها بما موجزه أن أبا شيبة — ولم يذكر اسمه —

=لكلاب . قلت: والمعروف أن الرمة بالتخفيف لا غير ،وأنه ينحدر من حرار خيبر الشرقية ويمده وادي الجريب المعروف الآن باسم « الجرير » وينتهي في الرمال الواقعة شرقي بريدة حيث تحجز سيوله عن الاستمرار في مجراه القديم . أفادنيه الأستاذ حمد الجاسر .

(١) بيوت الحرب : شبه خيام من الشعر ، تنصبها القبيلة ، إشارة إلى أنها على استعداد للقتال .

قال رافعاً صوته : يا عبد العزيز ، إن كان لك طمع في الدنيا وملاذّها فنحن ما أتينا هنا إلا لحماية نسائنا من جنود الترك .. فانتهره عبد العزيز وقال : اسكت .. فقال أبو شيبة : ما أنا بساكت ! لقد سئمنا المطاولات ، وها أنا وابني هاجمان ، ومن أراد فليتبعنا ، واستلّ سيفه وخرج يعدو ، وابنه وراءه ، حتى بلغا بيوت حرب ابن رشيد الخ .

أما الريحاني فأورد خبر المعركة هكذا : « تهاجم الفريقان وتقارعا حتى منتصف النهار وكانت الغلبة إذ ذاك لابن رشيد ، ولكن ابن سعود عندما رأى جناحه الأيمن متقهقراً هجم بقومه هجمة الاستبسال ، وهدم بيوت الحرب .

وما شاهد السعوديون « البيوت » تسقط حتى هجموا ، وفي مقدمتهم عبد العزيز ، فكانت معركة طاحنة اشتدّ فيها الضغط على عساكر الترك ، فتفرّقوا مولّين ، وتبعهم ابن رشيد ورجاله ، تاركين وراءهم ما حملوه من عُدّة وعتاد ، وأموال وأرزاق ، وإبل وماشية ، وفرش وثياب . اشتغل رجال عبد العزيز عشرة أيام في جمعها واقتسامها . وبينها صناديق من الذهب ، نقلت إلى « عُنيزة » مقرّ عبد العزيز في ذلك الحين ، فوزعها على رجاله كسائر الغنائم . وكانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط — كما يروي الريحاني — تتراوح بين مئة ومئة وخمسين ليرة عثمانية ، وبين عشرة وعشرين بعيراً .

، ، ،

تعرف هذه الواقعة بوقعة « الشِنَانة » وكانت يوم ١٨ رجب ١٣٢٢ (٢٩ سبتمبر ١٩٠٤)

قال خالد الفرج : وهي المعركة التي وطّدت قدم ابن سعود في نجد ، وقضت على النفوذ التركي ، وانهارت بها الصخرة الأولى من صرح آل رشيد .

وقال الريحاني : وقعة الشِنانة ، والأحرى أن تدعى بوقعة وادي الرمة ،

هي القسم الثاني من مذبحة « البكيرية » التي قضت على عساكر الدولة ، وأغنت أهل نجد .

وقال فؤاد حمزة : كُسرت قوات ابن رشيد والدولة ، في معركة الشنانة ، وغنم أهل نجد غنائم عظيمة جداً .

وقال كنث وليمز : كانت هزيمة الأتراك في سبتمبر ١٩٠٤ شنيعة حقاً ، فاستسلم بعضهم للوهابيين (كذا) ، ولجأ آخرون إلى قبائل شمّر ، وذهب كثيرون ضحايا الجوع والعطش .

وقال الريحاني في فصل آخر : تشتت ما تبقى من جنود الدولة بعد هذه الوقعة ، فكانت حالتهم محزنة ، فقد فرّ بعضهم مع ابن رشيد ، وهام الآخرون في الفيافي كالسائمة ، ومنهم من لجأ إلى ابن سعود ، فآواهم وكساهم وأعطاهم الأمان .



في مفاوضات مع الدولة

كتب الشيخ مبارك الصباح إلى عبد العزيز ، يخبره بأن الحكومة العثمانية (الدولة) راغبة في مفاوضة أبيه الإمام عبد الرحمن ، في « الزُبَير » بالعراق ، وأن والي البصرة سيكون هناك .

وأجاب عبد العزيز ، بالموافقة .

وسافر الإمام عبد الرحمن إلى الكويت . فصحبه الشيخ مبارك إلى « الزبير » واجتمعا بالوالي . فاقترح هذا أن يكون القصيم مقاطعة مستقلة ، تحجز بين ابن رشيد وابن سعود ، ويكون فيها للدولة مركز عسكري ومستشارون . ووعده عبد الرحمن بعرض ذلك على أهل نجد . وعاد . فأباه أهل نجد [1] .

ووصل إلى قرب القصيم المشير أحمد فيضي باشا ، قادماً من بغداد . ومعه ثلاثة « طوابير » من الجند وخمسة مدافع والفريق صدقي باشا ، قادماً من المدينة بطابورين . وكانا قد اجتمعا بابن رشيد واقترح هذا أخذ « القصيم » بالقوة ، فخالفاه ، فانصرف إلى « الكهفة » من قرى حائل .

وتقدم أحمد فيضي بعسكره يريد النزول في « بريدة » فمنعه أهلها من

---

(١) انظر تاريخ نجد الحديث للريحاني ١٣٣ والبلاد العربية و Arabia ١٨٩ لفلبي وفي دليل الخليج ٧ : ١٧ ما يختلف في روايته عما هنا ، استنتاجاً أو اكتفاء ببعض المصادر .

دخولها . وكتبوا إلى عبد العزيز ، وكان في « العـَمار » على نحو ٢٥ ميلاً من بريدة إلى الجنوب ، يخبرونه ، ويستشيرونه في مهاجمة « فيضي »

وتلقى عبد العزيز رسولهم بينما كان عنده رسول آخر من فيضي باشا نفسه ، يقول : إننا لم نأت لتحقيق مقاصد ابن رشيد ، وإنما جئنا للسلم . ويرغب في أن يقابل والده عبد الرحمن في عـُنيـْزة . فأجابه عبد العزيز بالقبول . وأجاب أهل بريدة بأن يتمهلوا إلى ما بعد المفاوضة . وكتب إلى أبيه ، وكان في « شقرا » — قاعدة الوشم — يخبره ويرجو ركوبه إلى عنيزة .

واجتمع الإمام عبد الرحمن بفيضي باشا ، في عنيزة . فكان البحث في الصلح بين ابن سعود وابن رشيد . واقترح فيضي أن يكون للدولة مركزان عسكريان موقتان، أحدهما في بريدة والثاني في عنيزة ؛ إلى أن يتم الصلح [١]

وبينما المفاوضات تجري ، وعبد العزيز على اتصال بأبيه في كل خطوة منها ، تلقى فيضي باشا برقية من الأستانة تأمره بالسفر في الحال إلى « صنعاء » لمعالجة « ثورة » الإمام يحيى حميد الدين . فعهد إلى « صدقي باشا » بإتمام المفاوضات ، وودّع عبد الرحمن معتذراً ، ورحل . وكان ذلك سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م)

وصمت صدقي باشا . وجاراه عبد الرحمن في صمته .

ثم انتقل الباشا بعسكره إلى «الشـّيحيـَّة » بين بـُريدة وحائل . وأقام لا يحرّك ساكناً !

١ — انظر الحاشية السابقة .

يقضي على « سميّه » ابن رشيد

أقام عبد العزيز بن متعب الرشيد ، بعد معركة « الشنانة » في قرية تسمى « الكَهْفَة » من قرى حائل ، يلمّ شعثه ، ويكاتب الترك ، ويرقب ما يصنع ابن سعود .

قال خالد الفرج : كان ابن رشيد قد آلى على نفسه ألاّ يداني النساء ، ولا يدخل حائلاً – عاصمته – إلاّ بعد أن ينتقم من ابن سعود ! فظلّ طيلة حكمه لا يعرف شيئاً من ملاذّ الحكم ، وقضى أيامه في البادية متنقّلاً ، وإذا أتى حائلاً خيّم في ظاهرها . وكلما ازداد ضعفاً ازداد قسوة !

ورأى ابن رشيد ، من مبارك الصباح ، ميلاً إلى الصلح ، فانعقد بينهما . وعلم بانقطاع المفاوضات بين الإمام عبد الرحمن وفيضي باشا ثم صدقي باشا . وبلغه أن ابن سعود (عبد العزيز) توجه إلى « قطر » لمساعدة حاكمها الشيخ قاسم بن ثاني ، على قمع ثورة داخلية نشبت في بلاده ، فاهتبل فرصة غيابه ، وأسرع إلى القصيم فكانت بينه و بين حامية ابن سعود وأنصاره فيها ، مناوشات ومعارك .

وعاد ابن سعود من قَطَر ، ماراً بالأحساء ، فواصل سيره إلى الرياض ، وأخبار ابن رشيد في « القصيم » تتعاقب عليه .

وفي المحرم من عام ١٣٢٤ (١٩٠٦ م) زحف إلى القصيم لصدّ ابن رشيد عنها .

وكان الجيشان هذه المرة ، متقاربين في عددهما ، لا يزيد أحدهما على ألفي مقاتل . غير أن خيالة ابن رشيد أكثر .

ونزل ابن رشيد في « روضة مهنّا » [١] بالقرب من بريدة . وهو ورجاله تعبون من غارة عادوا منها .

واقترب ابن سعود من خيام ابن رشيد وقد ابتدأ الليل وكانت ليلة ١٨ صفر ١٣٢٤ (١٤/٤/١٩٠٦م) فترجل ومن معه ، وتركوا ركائبهم للرعاة ؛ ومشوا متخففين ، وقد نام ابن رشيد ، وأوى رجاله إلى الخيام .

وتختلف رواية المتحدثين عن هذه الوقعة، بين قائل : إن كشافة ابن رشيد رأت ابن سعود قبل وصوله فنبهت ابن رشيد فاستعدّ للقتال ، وقائل : ان ابن رشيد لما جاءه الخبر شكّ في صحته أو لم يبالِ به ، وقائل : إن ابن سعود فاجأ ابن رشيد في تلك الليلة ، وكان السحاب مخيماً ، على أثر أمطار هطلت في النهار .

واشتبك رجال عبد العزيز ابن سعود برجال عبد العزيز ابن رشيد ، يعتركون في الظلام ، ضرباً بالسيوف ، وطعناً بالخناجر ، ورمياً بالبنادق والمسدسات ، ولكماً بالأيدي ، ودفعاً بالأقدام .

مِن هان[٢] يالفرَيْخ !

وكان يحمل راية ابن رشيد رجل يسمى « الفُرَيخ » فأبعده رجال ابن

(١) سماها داود السعدي في رحلته من الأحساء إلى الرياض فمكة ، سنة ١٢٨٨ هـ « روضة مهنا الصالح » وقال : من قرى « بريدة » فيها بساتين ومياه .. وانظر لغة العرب ٣ : ١٢٤ و « تاريخ الأحساء » المسمى تحفة المستفيد ٢٠٦

ومهنا الذي نسبت اليه الروضة ، هو « مهنا الصالح آل حسين أبا الخيل » من عنزة ، ولاة الإمام فيصل بن تركي إمارة بريدة سنة ١٢٨٠ هـ ، وقتل سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م)

(٢) يقول أهل حائل : « من هان » بتفخيم الهاء ، أي من هنا . وأهل نجد يقولون =

سعود عن مكانه في المعركة ، ورفعوا رايتهم مكان راية ابن رشيد .



عبد العزيز بن متعب ، ابن رَشيد
(الصورة : عن تاريخ ملوك آل سعود)

وظن ابن رشيد أن « الفريخ » ما زال حيث كان ، فأقبل على مكانه ، وهو لا يميز بين الرايتين ، من شدة العجاج وظلمة الليل . وجعل يصيح به : « من هان يالفريخ ! من هان يافريخ » ! فعرف السعوديون الصوت ،

= « من هنا » بسكون الهاء وقد يدغمونها بالنون فتجيء « من نا » وهي في مصر بكسر الهاء ، وفي سورية بضم الهاء «هون» وفي لبنان بفتح الهاء وسكون الواو «هاون» و«هون» أو بفتح الهاء وسكون النون « هن » .

فتصايحوا: ابن رشيد!. ابن رشيد !. وكان بارزاً على ظهر جواده ، فانصبت عليه طلقات البنادق ، فخرّ صريعاً وفيه بضع وعشرون رصاصة [١]

، ، ،

كان مقتل عبد العزيز بن متعب ابن رشيد ، وهو في الخمسين من عمره . وتُدعى هذه الوقعة بذبحة ابن رشيد[٢]

(١) منظومة خالد الفرج . وتاريخ نجد الحديث . وفي قلب جزيرة العرب أن مقتل عبد العزيز ابن رشيد ، كان في « الطرفية » شمالي بريدة ، على مسيرة أربع ساعات ونصف منها . قلت : رجح يوسف ياسين ، فيما يرويه عن الملك عبد العزيز ، أن الواقعة كانت في «روضة مهنا » وانظر تاريخ ملوك آل سعود ، ص ٧٨ ، ٧٩ وتاريخ الأحساء ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٢) الريحاني .

يطرد الفاروقي ويشكره السلطان

لم ترض حكومة آل عثمان عن صمت قائد جيشها ، المقيم في « القصيم » صدقي باشا[1] وجموده أمام ابن سعود ، بعد مقتل عبد العزيز ابن رشيد . فأوعزت إلى « سامي باشا الفاروقي » بالسفر ، وكان في المدينة المنورة ، ليحل محله . وسامي باشا قائد عربي الأصل ، مستترك عرفته سورية بعد ذلك في حملته على بني معروف ، قاسياً عنيفاً .

ومرّ سامي باشا بقرية « سَمِيرا » من قرى حائل ، فاجتمع بمتعب بن عبد العزيز ابن رشيد — وقد خلف أباه في إمارة حائل — وكان الحديث بينهما عن « القصيم » كما كان بين فيضي باشا والإمام عبد الرحمن . غير أن سامي باشا سلك طريقاً آخر ، فطلب موافقة متعب على أن يكون القصيم تابعاً للدولة العثمانية ، ولم يكن لمتعب في القصيم ناقة ولا جمل ، فوافق ..

ووصل سامي باشا إلى « الشِيحِيّة » [2] فرحل صدقي . وأرسل سامي إلى ابن سعود برغبته في مقابلته ، فاجتمعا في « البكيرية » قال الريحاني : ولكن المذاكرة كانت مناكرة ، فقد اصطدمت في الجلسة الأولى الإرادتان ،

---

(١) انظر الصفحة ١٦٨

(٢) الشيحية : قرية غربي بريدة وشمالي البكيرية ؛ بين البكيرية والمليداء .

والتهبت النزعتان ، التركية والعربية ، ولم يكن الفاروقي ليّن العريكة ، ولا لبس للحالة لبوسها. قال لابن سعود : إن أهل القصيم يريدون أن تكون السياسة في بلادهم للدولة . فأجابه ابن سعود : ليس لأهل القصيم رأي فهم من أتباعي . وتكلم بعض أهل القصيم فقالوا انهم لا يرضون عن ابن سعود بديلاً . فأجابهم سامي : إنكم تجهلون الصالح لكم : ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم . جئنا نعلمكم الإخلاص والطاعة للدولة ، ولا معلم اليوم غير السيف .. فأجابه ابن سعود : يؤسفني أن توكل الدولة أمورها إلى مثلك . ما كان العرب يا سامي ليطيعوا صاغرين . لا والله . ولولا أنك ضيف عندنا ما تركناك تقوم من مكانك ... وافترق المتفاوضان .

وفي مساء ذلك اليوم أرسل ابن سعود إلى سامي باشا ينذره بالقتال في الفجر . وعاد رسول ابن سعود ومعه ثلاثة ضباط يسترضونه ، ويقولون : إن الباشا وعسكره ضيوف عليكم واحسبوهم في معيتكم .

، ، ،

وقام ابن سعود إلى « عُنَيْزة » فصام بها رمضان ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وعلم قبيل العيد ، أن الفاروقي عازم على الانتقال بجيشه إلى حائل ، لينضمّ إليه ابن رشيد (متعب) ويقوما معاً بمهاجمة القصيم . فأسرع في تجهيز حملة وتوجه إلى البكيرية . وأرسل إلى الفاروقي يخيّره بين أمرين : إما أن يرحل بجيشه ، في خلال خمسة أيام ، إلى السرّ (ليبعده عن الاتصال بابن رشيد) وإما أن يتولى هو – ابن سعود – ترحيل الجيش ، فيرسل العراقيين منه (الذين جاؤوا مع فيضي باشا) إلى العراق ، والشاميين (الذين جاؤوا مع صدقي باشا) إلى المدينة . وإذا رفض أحد الأمرين ، فالحرب بينهما .

ورضي الباشا – مرغماً – بالأمر الثاني ، فضمن ابن سعود سلامة الفريقين ورحل سامي باشا مع فريق المدينة آمناً . ورحل فريق العراق على ركائب ابن سعود آمنين شاكرين .

وبعد شهرين ، كما يقول الريحاني ، أرسل السلطان عبد الحميد يشكر « الأمير الخطير والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود » على معاملته عساكر الدولة ، تلك المعاملة الشريفة . ويسأله أن يرسل وفداً من رجاله إلى الآستانة . فأرسل ثلاثة[١] نزلوا ضيوفاً على « الحضرة الشاهانية » ومُنحوا ألقاب (الباشوية) والنياشين ..

(١) برئاسة صالح بن عدل . وقد سئل : كيف قابلت السلطان ؟ فقال : فتحت لي أبواب كثيرة ودخلت ، فإذا بشخص واقف . فأشرت بيدي كما علموني أن أفعل ، وخرجت .. وسئل : ما أحسن ما لقيت في استامبول ؟ فقال : يوم تلقيت الأمر بالخروج منها ..



جمهرة من رجال عبد العزيز ، أكثرهم من « الإخوان»

الملك عبد العزيز

طُرَف عن جيشه قبل التنظيم الحديث

نشر كاتب في « أم القرى » سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) عشرين مقالة متسلسلة تحت عنوان « كيف قطعت نجد الطور الرهيب » نقتبس منها الطُّرف الآتية :

، ، ،

١ — الاستعداد الحربي : كانت الدعوة للجندية وتهيئة الجيش للقتال ، قبل التنظيم الحديث ، عمادها أن كل فرد في نجد محارب بطبيعته ، يحمل السلاح منذ نشأته ، ويتمرن عليه . فإذا دُعي ، تقلد بندقيته وركب ناقته ومضى إلى المعركة . وكل نجدي من سنّ الثالثة عشرة إلى السبعين ، صالح للقتال وعلى استعداد له . وإذا أراد الملك دعوة الجيش أو قسم منه ، كتب إلى بعض الجهات أو كلها ، وأمر بتعيين أمير لكل فريق منهم . ثم يصدر تعليماته إلى « الأمراء » وقد تكون سرّيّة كتعيين مكان الاجتماع ، فينفذّونها .

قلت : ويقرب هذا مما كان عليه سلَف الملك عبد العزيز ، في رواية ابن زيني دحلان المكي . وكان من كبار المناوئين للدعوة الإصلاحية في نجد . قال في رسالة له سماها « الدرر السنية في الردّ على الوهابية »

طبعت سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) : كان الأمير محمد بن سعود وأولاده إذا أراد أحدهم أن يغزو بلدة من البلدان، كتب لكل قبيلة يريد مسيرها معه، كتاباً بقدر « الخنصر » يطلب منهم الحضور، فيأتون ومعهم جميع ما يحتاجون إليه من زاد وغيره ، ولا يكلفونه شيئاً . وإذا « انتهبوا » شيئاً يأخذون أربعة أخماسه ويعطونه الخُمس . ويسيرون معه أينما سار ، أُلوفاً مؤلفة لا يحصيهم إلاّ الله تعالى . ولا يستطيعون مخالفته في نقير ولا قطمير »

، ، ،

٢ — فرق الجند : ولم يكن في نجد ثكنات عسكرية ، لأن بلاد نجد كلها — على تلك الطريقة — تؤلف ثكنة ، تضم الرجال جميعاً . وهم أقسام ، لكل قسم منهم طراز خاص . ويمكن حصر الأقسام (تقريباً) بما يأتي : ١ — أهل العارض ، وهم اليوم سكان الرياض . وإن كان المقصود بادية العارض فهم قبيلتا سبيع والسهول . ٢ — أهل حواضر المدن . ٣ — أهل الهِجَر . ٤ — البدو .

، ، ،

٣ — المساعدات المالية : وكانت لكل من أهل الأقسام الأربعة مساعدات مالية ، هي أربعة أنواع : « الشَّرْهَة » وهي المنحة التي يأمر بها الملك من خزينته الخاصة لمن يفد عليه . وتكون على الغالب مصحوبة بعباءة أو بكسوة يختلف نوعها باختلاف حال الوافد ومنزلته . و « القاعدة » وهي مرتّب سنوي لكل فرد من الأفراد المسجلة أسماؤهم في ديوان الحرب أو غيره . و « البَرْوَة » وهي تحويل بمال أو غيره كمقدار من الأرز والسكّر والتمر والقهوة والشاهي . فإن كان مالاً قبضه حامل التحويل من إحدى الجهات التابعة لبيت المال ، وإن كان غير ذلك تسلّمه من الجهة المختصة . والبروة تصرف مرة واحدة ما لم يأمر

الملك بتكرارها . ويجمعونها على براوي (وفي اللغة تبرّيت لمعروفه أي تعرضت) و « المعاونة » وهي أشبه بالشرهة ، إلّا أنها تعطى إجابة لطلب المستعين ، وتكون على الأكثر لغرض معيّن كزواج أو شراء فرس أو عمارة بيت أو وفاء دين الخ . وكانت لمجموع هذه المساعدات شعبة خاصة في ديوان الملك .

، ، ،

٤ — سَبْر العدوّ : يُستخدم في سبر العدوّ على الأغلب « البدو » فيرسل بعضهم إلى منازل العدوّ ، وقد تكون على بعد عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً ، فيقصدونها ويتحسسون أحوالها ، ويعاينون مواقعها ، ثم ينتهزون فرصة انفراد بعض الأباعر فيسوقونها أمامهم « نهباً » ويعودون غانمين ، بالمال والأخبار .

، ، ،

٥ — الخُبَر (بضم الخاء وفتح الباء) : قلنا إن الملك كان يعيّن لكل جماعة ، عند دعوتها للتوجه إلى القتال ، أميراً . وهذا الأمير قد يكون قائداً لخمسين أو مئة أو مئتين . ولحفظ النظام فيهم ، يقسّمون إلى جماعات صغيرة يسمونها « الخبر » — جمع خبرة — وهي تؤلف من عشرة إلى اثني عشر شخصاً ، ويُختار لها رئيس يسمونه « أمير الخبرة » وتكون لكل خبرة خيمة صغيرة يسمونها « شراعاً » أو خيمة كبيرة. وأُمراء الخُبَر مرتبطون بأمراء الجماعات الكبيرة .

، ، ،

٦ — منازل الجند : وكان لمنازل الجند ، في أسفار الملك ، ترتيب خاصّ يأمر به . أما في حال الحرب ، فلا يجعل أحداً من الجند وراء مخيّمه الخاصّ . بل يكون ترتيبهم على يمينه وشماله . وتكون منازل جماعاتهم متقاربة . ولا ينزل بعضهم خلف بعض ، بل يجعلهم صفاً واحداً ،

حذراً من مباغتة العدوّ لهم ليلاً ، فإن بوغتوا خرجوا إلى القتال مصطفّين متراصّين .

، ، ،

٧ — نظام السير : يستعلم الملك قبل السير عن الطرق التي أمامه والمياه والمراعي فيها . وقد يرسل من يأتونه بخبرها ، وينتظر فلا يتقدم حتى يعودوا إليه . ولا يعلن موعد السير إلاّ ساعة ابتدائه . وأول من يركب صاحب « راية الملك » ويعيّن الناس أماكنهم ، على يمين صاحب الراية وشماله . فإذا مشوا أو تفرقوا أو خاضوا المعركة ، فالراية محورهم .

، ، ،

٨ — أنواع القتال : يقولون في شبه الجزيرة : صبّحنا بني فلان ، أو راوحناهم ، أو هَجَدناهم الخ . ويعنون بالتصبيح مهاجمة العدوّ عند طلوع الفجر ، ويكون ذلك على الأغلب بأن يسري المهاجم (بكسر الجيم) ليله كله ، وخصمه لا يعلم به ، فيفاجئه قبل الصباح . وكثيراً ما يصيح المهاجمون في بدء المعركة : « صَبّحناكم لا صبّحتكم العافية » ! ويمدّون كلمة العافية في مقطعها الأول . و « الرّوْحَة » أو « التّراوح » — كما يقولون — هي المعركة التي تنشب من بعد الزّوال إلى غروب الشمس . و « الهَجَاد » — بفتحتين — أو « المِهْجَاد » الهجوم بعد غروب الشمس إلى طلوع الفجر . وهو من أشد أنواع القتال خطراً ، لأنه كثيراً ما يختلط فيه الحابل بالنابل فلا يميّز بين العدوّ والصديق . ويسمون وقائع الضحى من النهار « الغارة » أو « اللّقْوة » — من التلاقي والأصل فيها اللقية — ولا يُقدِم عليها إلاّ المعتدّ بقوّته ، يهاجم عدوه في وضح النهار غير هيّاب . وأكثر ما كان يعمد إليه عبد العزيز في حروبه الأولى « الهجاد » لقلّة ما كان

عنده من الجند ، بالنسبة إلى خصومه . وكان يحالفه الظفر فيه على الأكثر ، كما حالفه في ردّ « المهاجيد » التي عليه ، فهابه خصومه هاجداً ومهجودا .

، ، ،

يعطوننا في الحرب ونعطيهم في السلم

أشار الريحاني ، في رحلته الأولى سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) ، إلى تجمّع أهل نجد للقتال ، تحت راية عبد العزيز ، فقال :

يصدر الأمر من الرياض ، فيحمله النجّابون إلى أقاصي البلاد ، ليجتمع على أحد الآبار أو في أحد الشعاب ، في اليوم المضروب ، أُلوف من أهل نجد ، باديةً وحضراً ، وقد جاء كلّ على راحلته ، مسلحاً ببندقيته ، وممنطقاً بذخيرته ، وحاملاً بعض التمر والماء . فهم أثناء الغزو أو الحرب لا يبغون من سلطانهم شيئاً . قال السلطان عبد العزيز : هم يعطوننا ولا يأخذون منا ، ونحن في أيام السلم نعطيهم ولا نأخذ منهم .



إحدى ضواحي الرياض

بستان الناصرية ، حيث كان الملك عبد العزيز ، بعد الاستقرار ،
يتريّض ويجلس مساء كل يوم إلى أن يصلي المغرب

الملك عبد العزيز

إمارته وقبائله إبّان نهضته

لم يكن في هذه الفترة على الخصوص ، من استقرار في شبه الجزيرة ، لما نسميه « الحدود » بين إماراتها ومشيخاتها المتعددة القائمة في خضمّ تلك البوادي . فالحدود فيها عرضة للتقلّص والامتداد ، تبعاً لاتساع نفوذ « الشيخ » أو « الأمير » في حالي قوته على من يجاوره أو ضعفه أمامه . بل لم يكن لكلمة « الحدود » من معنى إلّا فيما لصق بالعمران العالمي أو كان على طريق مواصلاته .

وإمارة « نجد » في إبّان نهضة عبد العزيز حوالي سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) قبل أن يستصفي إمارة حائل ويضمها مع الأحساء إليه ، وقبل أن تتكامل له الوحدة في إطار « المملكة العربية السعودية » كانت توصف بأنها : من جهة الغرب ، ديار قبيلة حرب الممتدة بين المدينة وأعلى القصيم . ومن جهة الشمال ، قُصَيْباء الواقعة بين حائل والقصيم . ومن جهة الشرق ، الأحساء . ومن جهة الجنوب ، شمالي حضرموت . ولم تلبث أن ضمت إليها بلاد الأحساء والقطيف فتغيرت معالم حدودها من هذا الجانب (الشرقي) وأخذت بعد ذلك تتسع شمالاً وغرباً .

ولما كان أكثر سكان هذه البقاع ، هم القبائل المنتشرة في صحاريّها . ولا غنى لهؤلاء عن الرحلة إلى واحة أو قرية أو مدينة ، يقصدها الأقربون

منهم إليها فيمتارون منها ويكتسون ، ويبيعون في سوقها مواشيهم وما تُنتج ، نشأت العلاقة بين القبيلة والبلدة ، وانساقت الأولى إلى نصرة الثانية في ملاحمها معتديةً أو مُعتدى عليها .

، ، ،

ونشر في بعض الصحف، ببغداد[١] شيء عن ارتباط القبائل بالأمراء البارزين يومئذ ، جاء فيه :

عبد العزيز ابن سعود : مقرّهُ الرياض . وتتبعه قبائل سُبيع والسهول ، والدواسر وغيرها من بادية جنوبي نجد .

ابن رشيد : مقرّه حائل . وتتبعه قبائل شمّر ، وبادية شمالي نجد وجبل شمّر إلى الشام .

شريف مكّة : مقرّه مكة . وتتبعه قبائل حَرْب ، وعُتيْبة ، وهُذيْل ، وبقية عشائر الحجاز وتهامة .

عُجيمي (أو عَجَمي) السّعدون : مقرّه المنتفق . ويتبعه بعض الظفير وقسم من العمارة والبدور . وعشائر السعدون ، وعشائر بني حسين ، وعشائر بني مالك .

ابن صباح : مقرّه الكويت . ويتبعه أهاليها ، وقبائل عُرَيْب دار .

إلاّ أنّ كاتباً آخر ، هو سليمان الدخيل القصيمي النجدي ، سبق فتحدث عن قبائل عبد العزيز السعود، [٢] فقال : إنها قحطان ، وسبيع ، والسهول، والدواسر. ولم يشر إلى أهل العارض وحوطة تميم .

، ، ،

(١) في ربيع الآخر ١٣٣٢ (١٩١٤ م)

(٢) نشر مقاله في مجلة لغة العرب : محرم ١٣٣٢ نهاية تشرين الثاني ١٩١٣

وكان يتبع زحوف عبد العزيز ، في بعض الوقائع ، كثير من بنيَ خالد ومن بني هاجر وبني مرّة ومطير والعجمان ، والمناصير ، وجماعات من عتيبة .

، ، ،

ويجب ألاّ ننسى أن قوة « الرجل » في شبه الجزيرة ، لم تكن تقاس بعدد من يتبعه من القبائل ، كثرةً أو قلة . ومعظمها ولا سيما أقحاح البدو منها ، هم طلاب كسب ورزق ، يتبعون الغانم ليغنموا ، وإذا استضعفوه أكلوه . وإنما قوة الرجل ، بعد أن تكتمل صفات الرجولة فيه ، بأن تكون له عصبية من عشيرته ، وقد تكون من بنيه وبني أبيه ، وتتسامع الأحياء بظفره في بعض غاراته ، أو ردّ غارات الآخرين ، فتتيمن القبائل بوجهه ، وتلتف حوله ، وتقاتل تحت رايته ، فيُرهب ويعظم خطره .

مما يتحدث به عبد العزيز

كان عبد العزير معجباً بأخبار محمد ابن رشيد ، أمير حائل الذي امتدت سيادته على نجد كلها ، والذي رآه عبد العزيز في صباه ، وهاجر في أيامه مع والده من الرياض ، خوفاً منه .

وكان يُكثر من إيراد القصة الآتية إعجاباً بسياسته مع أهل البادية :

وفد شيخ من مشايخ البدو الكبار ، على محمد ابن رشيد فأكرمه وأعطاه شيئاً قليلاً . وفي نفس الوقت ، وفد عليه شيخ من مشايخ البدو الصغار ، كان يقطع الطريق مع رجال قبيلته ، في شمالي نجد ، فأكرمه وكساه وأعطاه منحة كبيرة..

وسُئل محمد ابن رشيد عن هذا التصرّف الغريب ، فقال : أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ؛ فهو يحسّ بما عليه من المسؤولية ، ويحافظ على مركزه وماله ، بالولاء لنا ؛ فهو في حاجة إلينا ؛ وأما الآخر ، فمثل العصفور ينتقل من شجرة إلى أخرى ، يتعبك صيده ؛ فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه . وما نكفّ به شره ، لا يساوي شيئاً ، إذا قورن بما نبذله لتأديبه وعقوبته .

« جزيرة العرب في القرن العشرين »

المَلك عَبد العَزيز

وإدارة نجد في بدء عهده

كتب سليمان الدخيل[1] سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) عن إدارة نجد ، في ذلك العهد ، ما محصّله :

« لا شبه بين ما نعرفه اليوم من أمر الولايات ، وبين ما يجري في إمارة آل سعود . فقد نرى للولاية الواحدة — في التشكيلات العثمانية — عدة نواح . والنواحي مربوطة بالأقضية . والأقضية بالمتصرفيات . وهذه بالولاية . فيكون لكلّ عال حقّ الإشراف على من دونه . أما في هذه الإمارة — إمارة آل سعود — فكل جزء من أجزائها ، كبيراً كان أو صغيراً ، مربوط بقاعدة الإمارة رأساً . فيراجع كل رئيس قرية أو مدينة ، عاصمةَ الإمارة لإصلاح شؤونه عند الأمير الكبير .

« هذا من جهة المصالح المعروفة بالمدنية أو الملكية . أما ما يتعلّق بالغزو — أو الفتوح — فمتى أراد الحاكم أن يغزو استنفر قومه ، فنفر معه الكبير والصغير . اللهم إلّا ذاك الهرم العاجز ، أو ذاك الصغير الضعيف ، أو من كان يُعنى بالفلاحة والزراعة . وإذا كان في البيت الواحد أخوَان يذهب أحدهما ويبقى الثاني . وكذلك قل عن ابني العمّ أو ابني الخال ، فإن أحدهما ينفر للقتال والآخر يبقى عوناً لأهل البيت .

---

(١) في « لغة العرب » ببغداد .

« والأمير في إبان الحرب لا يقوم بشيء من المؤن أو الذخائر الحربية . لأن كل من يخرج للغزاة مكلف بأعباء نفسه ، من اتخاذ الأسلحة اللازمة ، والمتاع ، وكل ما يضمن له القتال مدة من الزمن . فإذا طالت المدة ، فالحاكم يجدّد له الخيل والركاب والأسلحة إذا تلف منها شيء . وهو يُمدهم بالأطعمة وبكل ما يحتاجون إليه من نفقات اليوم ، أو مما لا بدّ منه . واعتماداً على هذا المبدأ ، تراهم يستعدون للقتال أو الغزو ، في هنيهة من الزمن ، كاملي العدة ، شاكي السّلاح ، مهيئي الكراع .

« أما عشائر البادية ، فهي على هذا المثال من امتثال أوامر الأمير . فإنه يكتب إلى شيوخها كتاباً ، ويعيّن لها موضعاً تجتمع فيه ، في يوم يضربه لهم . فإذا حانت الساعة وجدهم في انتظاره في الموطن المعيّن .

« وهذا ما يجري في هذه الإمارة ــ سنة ١٣٣١ هـ ــ من الاستعداد للحرب والغزو . وهو ما كان يجري في سابق العصور الخالية ، فلم تغيره الأيام ولا كرور الأعوام . لأنهم وجدوا هذه الطريقة من أحسن الطرائق في تلك الأصقاع وأوفقها لحال الأقوام الموجودين فيها ، كيفما اعتُبرت تلك الحال ، وعلى أي وجه كان .

يعالج فِتَناً ويداوي ضغائن

صفا مُلك القصيم لعبد العزيز آل سعود ، بعد خروج الترك منه ومقتل عبد العزيز ابن رشيد ، واعتراف متعب ابن رشيد لابن سعود به . وتعاهد السعودي والرشيدي على أن تنحصر إمارة متعب في حائل وجبل شمّر . وأطلق متعب من كانوا في أسره بحائل من بقايا آل سعود . وتهيأ عبد العزيز لمعالجة فتن ومداواة ضغائن عكّرت ذلك الصفو ، كان أهمها :

١ — أن متعب ابن رشيد ، لم يلبث أن قتله بعض أبناء عمومته وتولى سلطان بن حمود العُبَيد (بالتصغير) وهو من آل رشيد ، إمارة حائل . ولم يتقيّد هذا بصلح متعب ، بل كاتب أهل بُريدة يستثيرهم على عبد العزيز ابن سعود ، وأبلغ أمير القَصيم أنه « يردّ عليه البَرا » أي أن الصلح بينهما أصبح منقوضاً ..

٢ — خرج أمير بُريدة محمد أبو الخيل (من آل مهنّا) عن طاعة عبد العزيز . ووالى سلطان بن حمود الرشيد . وجاء سلطان إلى جوار بُريدة ، يتحرش بعبد العزيز ، ويناصره أبو الخيل .

٣ — تمرّد على عبد العزيز اثنان من زعماء « الإخوان » وقادتهم ، هما : فيصل بن سلطان الدويش ، ونايف بن هذّال . وتحالفا مع سلطان

الحمود ومحمد أبي الخيل ، عليه .

٤ ـ تكرر من الشيخ مبارك الصباح ، بعد صلحه مع آل رشيد ، ما يؤكد انحرافه عن عبد العزيز . وهو ما زال يكتب له « يا ولدي » ويجيبه عبد العزيز بيا والدي ! .

٥ ـ نشبت فتنة بين الهزازنة (آل هزّان ـ بكسر الهاء ـ من عنزة) وكانت لهم إمارة الحريق (في وادي الفرْع) فقتل بعضهم بعضاً ، وعصَوْا عبدَ العزيز .

٦ ـ خرج عليه حَفَدَة عمه سعود بن فيصل . وامتنعوا في « الخرج » وأُخرجوا منه ، فلجأوا إلى « الحريق » وتحالفوا مع الهزازنة وانضمّت اليهم الحَوْطة .

٧ ـ كان قد أرسل قافلة لتمتار من الأحساء ، والأحساء يومئذ تحت السلطة التركية (العثمانية) فرُدّت القافلة ومُنعت من الامتيار ، بقصد التضييق على جيش عبد العزيز ، وإجاعته .

٨ ـ وأخيراً ، وهذه خاتمة المزعجات : أرسل عبد العزيز أخاه سعداً ، وهو في السابعة عشرة من عمره ، إلى عُتيبة ، يستنفر رجالها لبعض أموره ، فنزل سعد بأطراف « القُويعية » في العِرض ، وكانت لعتيبة هيمنة على بعض تلك الجهات ؛ فأخذت سعداً إلى شريف مكة (الحسين بن علي) وكان هذا نازلاً بالقويعية ، فاصطحبه معه واتجه شمالاً إلى « الشّعراء » ومنها شرقاً إلى ماء قريب من « الوَشْم » وقيل لعبد العزيز : أخوك أسير !

، ، ،

تعاقبت هذه الأحداث بين سنتي ١٣٢٥ و ١٣٣٠ هـ (١٩٠٧ ـ ١٩١٢ م) ولسان حال عبد العزيز : كلما داويتُ جرحاً سال جرح ..

وكان العلاج :

١ — نفض يده من « مُطير » وهم من جمرات العرب ، بعد خروج كبيرهم فيصل بن سلطان الدّويش عليه . واستنصر بقحطان وعُتيبة نجد ، فنصروه . وبدأ بضرب الدويش ومطير ، فأغار عليهم في جهة من « سُدير » ثم في أطراف « المَجْمَعة » فقتل عدداً منهم . وجُرح الدويش ففرّ إلى ابن رشيد (سلطان الحمود) وكان مخيماً قرب بُريدة . واستسلم كبار مطير لعبد العزيز ، فأمّنهم ولم يأمنهم ..

وقعة « الطُّرْفيّة » الثانية

٢ — أغار عبد العزيز ، على خيام سلطان الحمود (ابن رشيد) على مقربة من قصر بريدة ، فكانت بينهما مناوشات ، كبا في إحداها جواد عبد العزيز ، فوقع عنه ، وكُسر عظم في كتفه الأيسر ، وأُغمي عليه . ولكن رجاله ثبتوا . وتصدى لهم فيصل الدويش وقد شفي من جرحه ، فهزمه رجال عبد العزيز ، وطاردوه إلى « الطرفية » في شمالي بريدة فوجدوا فيها أهله فذبحوا أكثر رجالهم ، واستولوا على البلد . ووصل عبد العزيز على الأثر . فعسكر في « الطرفية » ولم ينم ليلته تلك ، من آلام كتفه . وكان يتوقع هجوم ابن رشيد وأمير بريدة عليه ، في الطرفية ، فصحّ حدسه ، وأغارا منتصف الليل (ليلة ٥ شعبان ١٣٢٥ — ١٩٠٧ م) . ودامت المعركة إلى الفجر . وكان يديرها عبد العزيز ويده المصابة معلّقة في عنقه . وتمّ له الظفر . ويقال : كان قتلى « الطرفية » الثانية ٣٠ من السعوديين ونحو ٣٠٠ من رجال ابن رشيد . .

٣ — ثم كانت بينهما وقعة « الأشْعَلي » في النفود ، فجر خامس ربيع الأول ١٣٢٧ (١٩٠٨ م) فكُسر سلطان الحمود كسرة لم تقم له بعدها قائمة . وعاد إلى عاصمته « حائل » حيث قتله « أخواه » سعود وفيصل ابنا

حمود ، من آل عبيد ، من الرشيد ، لخلاف بينهم .

٤ ــ كان عبد العزيز يعلم أن أكثر أهل بريدة ليسوا على وفاق مع أميرهم محمد أبي الخيل . ولكنهم يخشونه . وعنده قوة من رجال ابن رشيد . فطاولهم عبد العزيز مدة ــ ذهب في خلالها إلى الرياض وعاد ــ وبريدة مضروب عليها الحصار . ثم اتصل به بعض أهلها ، ووعدوه بأن يفتحوا له باب السور وقت صلاة العشاء . وفتحوه ، فدخل عبد العزيز . وقاومه رجال أبي الخيل ، فقُتل عشرة منهم وخمسة من رجال عبد العزيز . وجاءه رؤساء البلد ، في الفجر ، يلتمسون العفو . فعفا عنهم . واستسلم المقاتلون ، إلّا أبا الخيل ، فإنه اعتصم في مكان ، يوماً وليلة ، وطلب الأمان . فأمنه عبد العزيز وجعل له أن يذهب حيث يشاء . فرحل إلى العراق ، في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م)

وقعة هَدِيّة

٥ ــ وابتُلي الشيخ مبارك الصباح ، في الكويت ، بنقمة « الاتحاديين »[١] بعد خلع السلطان عبد الحميد . فحرضوا عليه سعدون باشا السعدون[٢] حاكم لواء المنتفق وأمير عشائره . وكان بين مبارك والسعدون جفاء ، فجهّز السعدون حملة لضرب مبارك . واستغاث هذا بعبد العزيز ابن سعود ــ ولده العزيز ــ فمشى عبد العزيز إلى الكويت ، لينجده . وزحف جابر بن مبارك الصباح بقوة للقاء السعدون . غير أن عبد العزيز رأى قوة ابن صباح غير كافية ، فاقترح على مبارك أن يتوسط له بالصلح مع السعدون . فاتّهمه مبارك بالجبن . وأراد عبد العزيز تطبيق أساليبه في الحرب مع السعدون ــ خدعةً ومباغتة وكراً وفراً ــ فأهمل جابر بن مبارك رأيه . وتلاقى الجيشان . فصبر رجال

---

(١) حزب الاتحاد والترقي ، كان مظهراً لجمعية « جون ترك » السرية ، في الدولة العثمانية .

(٢) ترجمته في الأعلام ٣ : ١٤٠

السّعدون ، وظفروا . وانهزم رجال ابن صباح تاركين ما معهم من خيل وإبل وأمتعة ، غنيمة باردة ، أو « هدية » لجيش السعدون ، فسميت « وقعة هدية » ويقال لها أيضاً « وقعة الطوال » لحدوثها على أرض تُدعى «جُرَيْبِعات الطوال » [١] وكانت في ربيع الأول ١٣٢٨ (١٩١٠ م)

قال مؤرخ الكويت[٢] : إن مباركاً ، ذلك الشجاع المتسرع الذي يتأثر حتى من الوهم ، أصرّ على مهاجمة السعدون . ولكن الكويتيين سلموه أموالهم كتسليم الهدية من دون حرب تستحق الذكر ولم يزهق فيها كثير من الأرواح .

وأراد عبد العزيز أن يذهب إلى نجد ويأتي بجيش يقاتل السعدون ، فتعلّق به مبارك — بحق الأبوة — يستبقيه عنده . فصبر على مضض . وشعر مبارك بتململه .

ثم حدث أن جماعة من « مُطير » أصحاب الدويش ، اعتدت على آخرين من قحطان وسبيع ، وجاء المعتدون إلى أطراف الكويت ، وعبد العزيز فيها ، فأراد الخروج لتأديبهم ، فغضب مبارك وذكر خلاف عبد العزيز مع ابنه جابر ، في وقعة هدية ، وقال له مُحنَقاً : أظنك تريد أهلك ؟ فأجاب : نعم . ورحل وهو ساخط . وانقطع ما بينه وبين مبارك ، إلى حين ...

٥ — لم يكن بين عبد العزيز والشريف حسين باشا (الملك حسين) حتى ذلك الحين ، خير ولا شرّ . لكل منهما شأنه ووجهته . غير أن حكومة الاتحاديين العثمانية ، لما أدركت — على ما يظهر — ضعف آل رشيد ، أرادت أن تقيم في وجه عبد العزيز جبهة في نجد تحول دون توسعه . فأوعزت إلى شريف مكة — وقد عيّن ووصل من الآستانة قبل وقت قريب — أن ينشيء

---

(١) التحفة النبهانية ١٠ : ١٣٣

(٢) عبد العزيز الرشيد ، في تاريخ الكويت ٢ : ٩٨

علاقات مع البادية شرقيّ الحجاز ، ويستميل إليه بعض القبائل ، لتستعين بها على حفظ التوازن في شبه الجزيرة . ووافق ذلك هوى في نفس الشريف حسين الطموح المعتد بنفسه وبقوة الآستانة .فسعى للبروز ، يقوى بالدولة على القبائل ، ويقوى أمام الدولة بالقبائل . وقام برحلة إلى بادية عُتيبة — في أطراف نجد الغربية — تتبعه قوة ودبدبة سنة ١٣٣٠ ه (١٩١٢ م) فقيل له : إن سعداً أخا عبد العزيز هنا . فطلبه فجيء به إليه . فاستبقاه ، ليساوم عبد العزيز عليه . وتقدم ، وهو معه ، إلى أن بلغ هجرة « نفي » في أواسط نجد . واضطرب عبد العزيز حين قيل له إن سعداً في الأسر ... وكان بعد عودته من الكويت بدأ بالاستعداد لأمور أخرى ، فترك كل شيء إلاّ سعداً . وعلم أن زامِلاً السبهان — وكيل إمارة الرشيد بحائل — يستعد لمناصرة الشريف ، فأضمرها في نفسه . وزحف بجيشه إلى ضَرَمى (ويسمونها اضْرُمَا) غربيّ الرياض ، ووجهته الشريف حسين وعتيبة . فإذا بالشريف يكتب إليه : إذا تابعت سيرك إلينا ، تركنا لك المعسكر والخيام ، وعدنا بأخيك سعد إلى مكة فيبقى عندنا إلى أن تطلب الصلح .. وكان هذا ما يخشاه عبد العزيز . فكتب إلى شيوخ « عتيبة » ينذرهم : إن تركوا الشريف يرحل إلى الحجاز ، ومعه سعد ، فالحرب بينه وبينهم لا هوادة فيها ، والنصر من عند الله . وعرض هؤلاء كتاب عبد العزيز على الشريف حسين ، وقالوا : إما أن تقيم فنحارب ابن سعود جميعاً ، وإما أن تطلق أخاه . فلا طاقة لنا بحربه منفردين . وأرسل الشريف حسين مندوباً من قبله(هو الشريف خالد، ابن لؤيّ أمير الخُرْمة) إلى عبد العزيز ، يقول له : إن الشريف ليست له نية سيئة ، ولكنه يبغي تبييض وجهه مع الدولة . يريد منك ورقة تنفعه عندهم ولا تضرك . يريد أن تعترف ولو اسمياً بسيادة الدولة ، في نجد أو القصيم ، وأن تَعِد بدفع شيء من المال سنوياً . فأمر عبد العزيز كاتبه أن يكتب تعهداً للدولة « بأن بلاد نجد تدفع لها ستة آلاف مجيدي كل سنة » وسماها « قصاصة ورق » . وحملها ابن لؤي إلى الشريف حسين . ولم يظهر لها أثر بعد ذلك . أما « سعد »

فعاد يحمل هدايا من الشريف حسين لا يزال بعضها محفوظاً .

٦ — وانصرف عبد العزيز إلى معالجة فتنة داخلية ، قِوامها ثلاثة عناصر :

الأول ، حَفَدَة عمّه سعود بن فيصل[1] وكانوا بعد أن خلصهم عبد العزيز من أسر ابن رشيد ، نزلوا بالخرج ، وأرادوا الانفراد بالسيادة فيه ، وطمعوا بأكثر منه . فأخرجهم أمير تلك الناحية (فَهْد بن معمَّر) فرحلوا إلى جهات الحَوْطة والحريق في جنوبي الرياض ، ناقمين .

والثاني آل هِزّان (من عنزة) ويُسمون « الهَزَازنة » كانت لهم إمارة في « الحَرِيق » واختلفوا فيما بينهم فقتل بعضهم بعضاً ، وأبوا الانقياد إلى حكم الشرع ، فحاصرهم عبد العزيز في قصر « الحريق » أواخر سنة ١٣٢٧ ﻫ (١٩١٠ م) فسلموا . فاعتقل كبارهم في الرياض ، ثم أطلقهم بشفاعة قاسم ابن ثاني أمير قَطَر ، فعادوا إلى ديارهم ، وفي أنفسهم التحفز . فلما جاء حَفَدة سعود بن فيصل إلى جهاتهم ، تلاقت الأهداف . فالأولون (الهزازنة) معتزّون بأنهم من « عنزة » وعنزة من أصول آل سعود فيما يقال ، فلهم أن يطمحوا إلى الرئاسة . والآخرون (حفدة سعود) أعرق في الإمارة وأعلق ، لولا أن عبد العزيز بن عبد الرحمن غير عبدالله بن فيصل[2] .

وقعة الحريق

والعنصر الثالث ، أهل « الحَوْطة » وهم معروفون بالشجاعة والقَسْوة والجفوة . ناصروا حَفَدة سعود بن فيصل ، فقويت بهم شوكتهم . وزحف عبد العزيز إليهم في « الحَرِيق » لتأديبهم جميعاً ، ومعه ١٢٠٠ مقاتل ، فدخلها سنة ١٣٢٨ ﻫ (١٩١٠ م) وعُرفت المعركة بوقعة الحريق .

---

(١) انظر الصفحة ٤٦

(٢) انظر الصفحة ٤٧

وفرّ حَفَـدَة سعود إلّا واحداً منهم (سعود بن عبد العزيز بن سعود ابن فيصل) قبض عليه.وعفا عنه عبد العزيز ، فأصبح من رجاله في الرياض ، وعرف بسعود العرافة . وفرّ بعض الهزازنة ، فأمر عبد العزيز بقتل من يقع في اليد منهم ، إلا واحداً — أيضاً — هو « راشد الهزاني » عفا عنه وجعله في رجاله . ومرّ بالحوطة ، فخرج أهلها يعرضون طاعتهم ، فصفح عنهم ودخل البلد ظافراً .

، ، ،

وما كاد يعود إلى الرياض ، حتى جاءه من أنبأه بأن الترك ، في الأحساء ، على استعداد للسماح لقوافله بالامتيار منها ...

وانجلت الغياهب ...

المَلك عَبد العَزيز

يصارح الترك في سياسة العرب

في سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) كتب إليه والي البصرة (العثماني) سليمان شفيق كمالي باشا ، يسأله عن رأيه في أمراء العرب وشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية . فأجابه :

« إنكم لم تحسنوا إلى العرب ، ولا عاملتموهم في الأقل بالعدل . وأنا أعلم أن استشارتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع ، لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي . وهاكم رأيي ، ولكم أن تؤوّلوه كما تشاؤون :

« إنكم المسؤولون عما في العرب من شقاق . فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك .

« قد فاتكم أن الراعي مسؤول عن رعيته . وفاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلاّ بالعدل والإحسان . وفاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ؛ ولا يبالون إذا خسروا كل ما لديهم ، وسلمت كرامتهم .

« أردتم أن تحكموا العرب ، فتقضوا أربكم منهم . فلم تتوفقوا إلى شيء من هذا أو ذاك . لم تنفعوهم ولا نفعتم أنفسكم .

« وفي كل حال ، أنتم اليوم في حاجة إلى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في أموركم الجوهرية .

« أما ما يختص منها بالعرب ، فإليكم رأيي فيه :

« إني أرى أن تدعوا رؤساء العرب كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، إلى مؤتمر يعقد في بلد ، لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية ؛ لتكون لهم حرية المذاكرة . والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف ، ثم تقرير أحد أمرين : إما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد ، وإما أن تقسموها إلى ولايات تحددون حدودها ، وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفوأً من كل الوجوه ، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عامّ مشترك من المصالح والمؤسسات .

« وينبغي أن تكون هذه الولايات مستقلة ، استقلالاً إدارياً ، وتكونوا أنتم المشرفين عليها .

« فإذا تمّ ذلك ، فعلى كل أمير عربي ، أو رئيس ولاية ، أن يتعهد بأن يعضد زملاءه ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخلّ بما هو متّفق عليه بيننا وبينكم .

« هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب، وتكون فيها الضربة القاضية على أعدائكم » [١]

، ، ،

هل يكون له موفدون إلى البرلمان العثماني ؟

وقبل ذلك بنحو عام واحد ، كان سليمان الدخيل (وهو أخو إحدى زوجات عبد العزيز) في زيارته ، بالرياض ، فجري بينهما حديث ، قال سليمان :

مثلت بين يديه ، بعد ما قضيت سنين في الهند ، وشرحت له أحوال الدستور في الأمم الراقية — وكان الحديث عن الدستور العثماني — فانشرح

(١) تاريخ نجد الحديث .

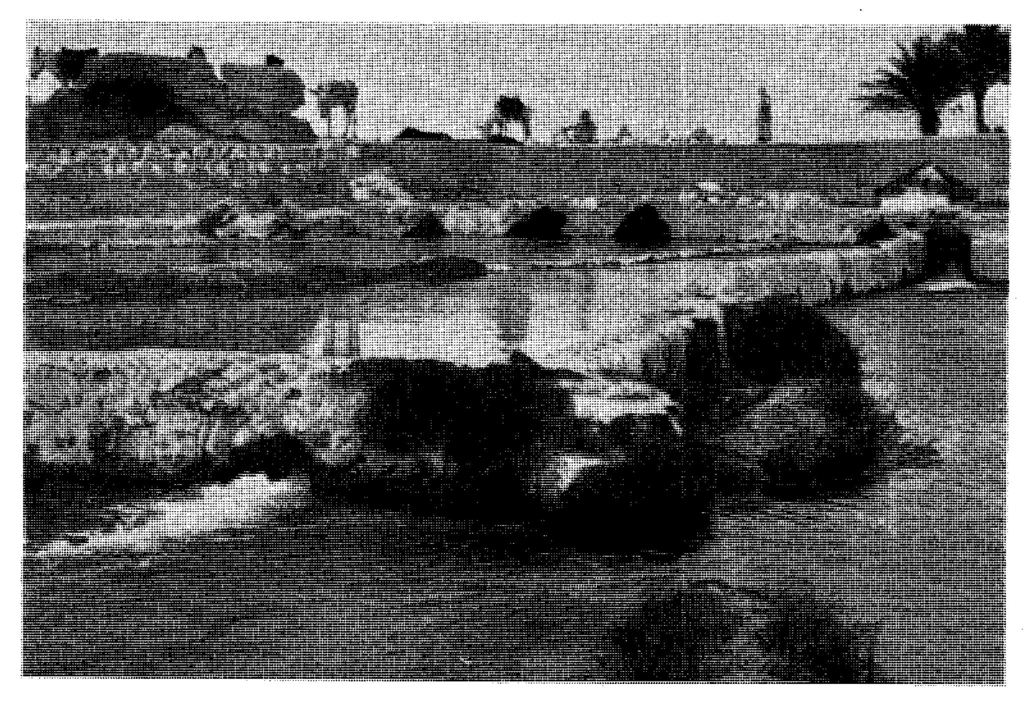
له صدره ، وأفادني بأنه يكون أول موئيد له ، وأعظم مساعد للحكومة العثمانية في ما تريده ، وأنه كان يودّ إيفاد مبعوثين إليها من قبله (للمشاركة في مجلس المبعوثين) ولكن ناظر الداخلية (طلعت بك) ردّ طلبه ووعده بالنظر فيه في انتخابات السنة التالية[١] .

ومرت بعد ذلك أعوام ، قبل أن تنهار الامبراطورية العثمانية ، لم يعاود فيها عبد العزيز طلب قبول مبعوثيه .

---

(١) مجلة الزهور ، البغدادية ، سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

من منـاظر الأحساء



عين « أم سَبْعة » في الهفوف

المـلك عبد العـزيـز

يستولي على خزائن النفط : الأحساء والقطيف

الأحساء ؛ وأهلها يقولون الحسا[1] بقاعٌ ، أكثرها رمليّ ، على الساحل الغربي من الخليج . تمتدّ من الكويت إلى قَطر وعُمان وصحراء الجافورة . ويحدها من الغرب الصَّمّان . وتكثر فيها المياه ، من آبار وعيون وجداول ، تتكون منها بحيرات صغيرة[2] .

وكانت « الأحساء » في الزمن القديم تسمى « أحساء » بني سعد ثم عرفت بأحساء « القرامطة » لأن أول من عمر مدينتها وحصنها وجعلها « قصبة هَجَر » أبو طاهر القِرْمِطِيّ (سليمان بن الحسن) الطاغية المتوفى سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٤ م) فكانت قاعدة القرامِطة في القرن الرابع للهجرة وبها منازلهم[3] .

وكان يقدر سكان حواضرها إلى عهد قريب ، بمئة ألف ، وباديتها بمئتي ألف (وقد تضاعف عددهم الآن) وترتفع درجة الحرارة فيها صيفاً إلى ٤٦ درجة ، وتنخفض شتاءً إلى ٥ درجات[4]

---

(١) وهو صواب ، قال علي بن مقرب العيوني :

يا حبذا وادي الحساء فإنه   لو ساءني ، واد إلي محبب

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين

(٣) الزبيدي ، في تاج العروس : مادة « حسي » .

(٤) قلب جزيرة العرب ٧٨

وفي شماليها واحة « القَطِيف »[١] التي يحدها من الجنوب « الظهران » وفي القطيف أكثر من أربعين قرية ، معظم سكانها من الشيعة الجعفرية بينهم قليل من أهل السنة [٢] وقد نما عددهم من أربعين ألفاً ، قبل نصف قرن إلى نحو مئة وثلاثين ألفاً اليوم .

وكان الأتراك العثمانيون يسمون الأحساء والقطيف « لواء نجد » ويلحقون بهما « نجداً » اسمياً [٣] أما استيلاؤهم الأخير عليهما ، فحديث العهد بدأ سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) أيام اختلاف أبناء الإمام فيصل جدّ الملك عبد العزيز . وكان يتولى إدارتهما « متصرّف » تابع لولاية البصرة لا تزيد قوة من معه ، في المقاطعتين ، على ١٥٠٠ جندي . وقد آل أمرهما سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) وما قبلها ، إلى الفوضى ، بانزواء المتصرف ومن معه من حامية وموظفين ، وراء الأسوار والمعاقل ، تاركين الطرق للبدو يعيثون فيها .

استبدّ العُجمان[٤] بالأحساء ، وبنو هاجر وبنو خالد بالقطيف ، وبنو مُرّة والمناصير وبعض بني هاجر بطرق القوافل . فاختلّ الأمن وتقطعت السبل وأصبح المرء لا يأمن على نفسه في بيته [٥] .

ولما استردّ عبد العزيز معظم بلاد أسلافه ، في شبه الجزيرة ، ولم يبقَ في أيدي الترك سواهما ، كان من الطبيعي أن يفكّر في الاستيلاء عليهما

---

(١) في « جزيرة العرب في القرن العشرين » : هي Giparro القديمة ، مر بها الرحالة ابن بطوطة سنة ٦٣٢ هـ ، وضبطها بالتصغير . أما القاموس وياقوت فضبطاها بغير تصغير ، كما يلفظها أهلها الآن .

(٢) في قلب جزيرة العرب : كلهم قرامطة . وهو خطأ .

(٣) مذكرات خالد الفرج .

(٤) العجمان من « يام » من همدان . وكانوا في العهد الأخير يعدون من بدو « النقرة » وهي تابعة للأحساء . وكان زعيم العجمان في بدء حركة الملك عبد العزيز « ضيدان بن حثلين » من الشجعان الدهاة .

(٥) خالد الفرج .

أيضاً . أضف إلى هذا أن الحكومة العثمانية لم تفتأ إلى ذلك الحين ، تقيم في وجهه العقبات ، وتؤيّد خصومه ، أو تسوق بعض مجاوريه — كالحسين في الحجاز والسعدون في المنتفق — إلى خصومته . والمتصرف المقيم في الأحساء يعمل دائباً على إغراء البدو بعداوته .

وكان ختام ما بينه وبين الترك ، حديث والي بغداد جمال باشا (السفاح) فقد قال لمندوب ابن سعود — أحمد بن ثنيان[1] — : « إن ابن سعود لا يعرف مقامه ، وقد غره أن صفح عنه المشير فيضي باشا . فإن كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة ، فإن في إمكاني أن أخترق نجداً من الشمال إلى الجنوب بطابورين »

وأجابه عبد العزيز في كتاب : « قلتم إنكم تستطيعون بطابورين أن تخترقوا بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب ، ونحن نقول : سنَقْصُر لكم الطريق قريباً إن شاء الله .. »

، ، ،

كتب عبد العزيز هذا . وزحف ، حتى بلغ ماء « الخَفْس » (خفس العَرَمَة) شرقي الرياض ، فنزل عليه . وكان لا بدّ له من إبعاد « العُجمان » عن طريقه . وهم قحطانيون يمانيون ، يوصفون بالمكر والتحوّل السريع في ولائهم ، كانوا يوالون عبد العزيز ، كرهاً لقبائل مطير ، أعدائهم الخارجين عن طاعته يومئذ ، وهم سيحولون ولا ريب بينه وبين الهجوم على الأحساء لأنهم يعدّونها من « أملاكهم » ويتصرفون بها تصرفاً عجيباً : يسلب أحدهم شيئاً من أهلها ، دابّة أو غيرها ، ويدخل السوق فيبيع ما سلبه ، على مرأى من صاحبه ، وليس في البلد أو الحكومة (العثمانية) من يقول له : من أين لك هذا ؟[2] وكيف يكون لهم ذلك أو بعضه إذا استولى عبد العزيز على

---

(١) تاريخ نجد الحديث .

(٢) مذكرات خالد الفرج .

البلد ، ومدّ الأمْنُ رواقه ؟ . فكان أول ما بدأ به ، بعد نزوله بالخفس ، أن غزا بني مُرّة في الجنوب – وكانوا من منافسيهم – وتظاهر بالعزم على غزو مطير – أعدائهم في الشمال – وأرسل يدعو العجمان إلى موافاته في مكان سمّاه لهم ، لمشاركته في الحملة على « مطير » وعلم بأنهم توجهوا ، فخلا له الجوّ ، فأسرع إلى الأحساء ..

نزل على ماء أو موضع يقال له « السيفة » بكسر السين[1] يبعد ميلاً واحداً عن « الهفوف » مركز الأحساء . وفي الهزيع الأول من الليل (الساعة الثالثة عربية – التاسعة زوالية) من يوم ٥ جمادى الأولى ١٣٣١ (١٩١٣ م) تقدم بنحو ستمائة من رجاله إليها ، وقال لهم : سنهاجم الكوت[2] فلا تجيبوا من يكلمكم حتى تدخلوه . ومتى دخلتم فحاربوا من يحاربكم . ولا تدخلوا البيوت ! ولا تقتربوا من النساء !

وسار – وهم وراءه – مشياً على الأقدام . يحمل بعضهم حِبالاً وجذوعاً من النخل . فلما وصلوا إلى السور – وارتفاعه ٣٤ قدماً – قسّمهم ثلاث فرق : تسير الأولى إلى الباب الجنوبي ، فتقبض على الحرس وتتسلّم الباب . وتسير الثانية إلى القصر[3] لعلّ المتصرف فيه فتأسره . وتتفرّق الثالثة في أبراج السور .

وربطت الجذوع بالحبال على شكل سلّم ، تسلّقه عشرة منهم . فسألهم الحرس : من أنتم ؟ فلم يجيبوا . وصعد آخرون . وكثروا في داخل السور .

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ١٩

(٢) الكوت القلعة . وفي « جزيرة العرب » هي كلمة برتغالية كثر استعمالها بعد دخول البرتغاليين الخليج . وكان كوت الهفوف مقراً للحامية التركية ، وفيه نحو ١٥٠٠ بيت . وهو محاط بسور عليه أبراج عديدة .

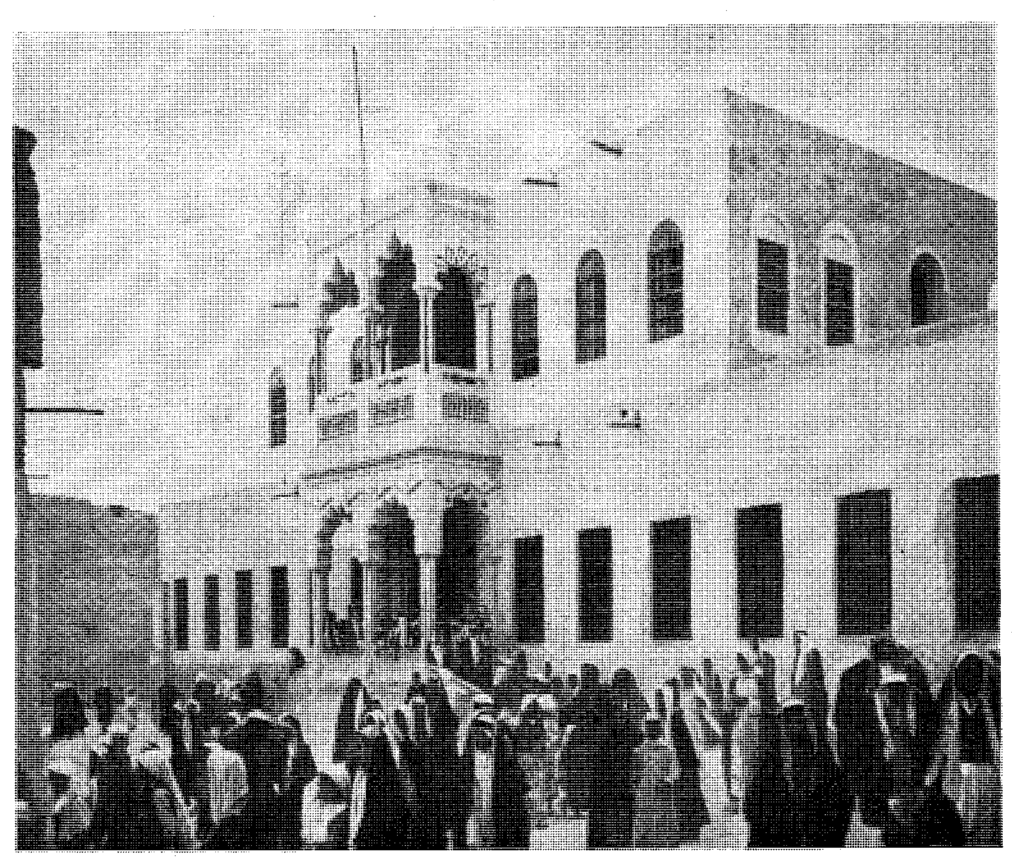
(٣) يسمى « قصر إبراهيم » ويرى خالد الفرج أن النسبة إلى ابراهيم بن عفيصان . ولا يفهم من هذا أن ابن عفيصان بانيه ، فإن البناء أضخم من ذلك . ولعل ابن عفيصان جدده ، فنسب إليه .

وحدثت ضجة . وأطلقت البنادق . وهبّ العساكر من رقادهم ، فنادى منادٍ من أعلى السور : المُلك لله ، ثم لعبد العزيز ! من أراد العافية يلزم مكانه !

، ، ،

وأقبل الناس على عبد العزيز ، مرحّبين . ولجأ الجند إلى الحصون . فلما

مدرسة في الهفوف



من مباني الأحساء الحكومية

بزغ الفجر ، شرعوا يطلقون البنادق والمدافع على غير هدى . فأرسل إليهم عبد العزيز أن يسلّموا فيؤمّنهم ويرحّلهم إلى بلادهم . وقبل القائد والمتصرّف الأمان . وسلّمت الحامية ، وكانت ١٢٠٠ جندي . فأذن لهم عبد العزيز بحمل سلاحهم — ما عدا الذخائر والمدافع — وقال : لا ننزع من الجندي العثماني سلاحه !.. وأمر بالركائب فرحّلهم وعيالهم إلى « العُقَير » وأرسل معهم أحمد بن ثنيّان يخفرهم ويؤمّن طريقهم[١] .

، ، ،

وبعد احتلال الهفوف ، أرسل سرية إلى « القطيف » فبادر أهلها إلى التسليم . وفرّ من فيها من الجند ، على السفن .

، ، ،

هذه رواية ما بين أيدينا من مصادر تاريخ نجد في العصر الحديث ، وما أيده لنا شهود الوقائع ، وما زال بعضهم أحياء .

أما الصحف « العثمانية » الصادرة في ذلك العهد ، فننقل عن إحداها على سبيل الاستطراد ، قولها [٢] :

« هجم عبد العزيز السعود في نحو منتصف أيار على مدينة الأحساء ، واستولى عليها بعد مقاومة قليلة قتل فيها نحو ٢٥ جندياً . ثم أرسل بعض رجاله إلى القطيف، فاستولى عليها أيضاً » .

ثم تقول الجريدة : « نشرنا هذه الأخبار آسفين على أن العلم العثماني قد طوي من الخليج ، ولم يبق للدولة العثمانية مقدار شبر من الأرض على ضفافه . ولا حول ولا قوة إلا بالله » !

---

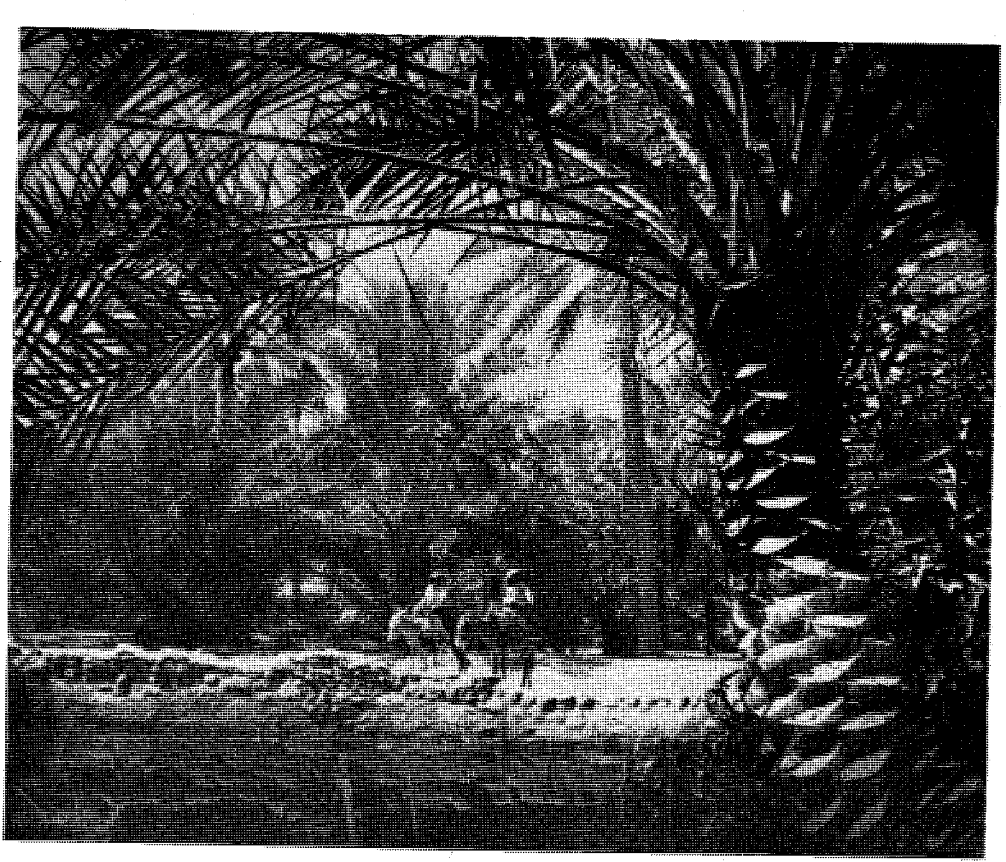
(١) تاريخ نجد الحديث . وفلبي في « تاريخ نجد » .

(٢) مجلة « لغة العرب » تموز – يوليو – ١٩١٣ الموافق شعبان ١٣٣١ نقلا عن « جريدة « الدستور » البغدادية

وتقول الجريدة أيضاً ما مؤدّاه : « إن العساكر العثمانية الموجودة في الأحساء والقطيف ، تبلغ نحو أربعمائة جندي — كذا — منهم ٩٠ في القطيف والباقي في مدينة الأحساء وضواحيها . وقد اجتمعت هذه القوة الآن في مركب « جانسكات » الراسي في ميناء البحرين ، منتظرة المدد من البصرة . وأصبحت حالة الجنود سيئة للغاية ، لقلة الماء واشتداد الحرّ ، وضيق الباخرة التي تحملهم . وقد قدم البصرة أغلب موظفي الحكومة الملكيين في الأحساء والقطيف »

، ، ،

وهكذا استرد عبد العزيز « لواء نجد » واستولى على كنوز « الذهب الأسود »



من مناظر « الهفوف » أيضاً

يبرّر احتلاله « الأحساء »

بعد انتهاء عبد العزيز من استصفاء « الأحساء » سعى إليه كاتب من العراق[1] في ذي القعدة ١٣٣١ هـ (أكتوبر ١٩١٣ م) فأفضى إليه بحديث قال فيه[2] :

« إن الدولة العلية حفظها الله ، غصبت آبائي هذا اللواء — الأحساء — بدون أمر مشروع ، بحجة دعوة عبدالله السعود شقيق والدي . ومن بعد أن أخذته ، لم تحسن صنعاً .

« وكان والدي يومئذ وليّ العهد بعد أخيه على إمارة نجد ، التي يدخل فيها هذا اللواء ، وما يتبعه ، وعُمان وسواحله .

« ولما اشتدّ الخصام بين سعود وعبدالله آل سعود على الإمارة ، أرسل الأخير مندوباً إلى بغداد ، لمفاوضة واليها في مسألته مع أشقائه . وبقي ينتظر من الدولة إسعافه ونجدته ، لإخماد نار الفتنة المتأججة . غير أن الدولة وجدت أن قد آن زمن الاحتلال ، فوضعت يدها من ذلك الوقت على الأحساء ،

(١) إبراهيم عبد العزيز الدامغ ، المحرر بجريدة « الدستور » العراقية .
(٢) نقلت الحديث مجلة لغة العرب ٣ : ٢٧٣

وأبعدت أمراءها عنها . مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته . وليت الدولة احتلت ما يداني الأحساء من البلاد كعُمان وغيرها التي تركتها هملاً ومكنت الدول الأجنبية من أن تقذف فيها نار الفتن لتحصل على ما تنويه .

« ومنذ ذاك الوقت أخذ سكان هذا اللواء بالسقوط والهويّ ، اتغلّب قطّاع الطرق عليه ، لكثرتهم هناك . وكان الأهلون يرفعون ظلامتهم إلى مقام الولاية ويذكرون له عجز أصحاب الأمر في ذلك الموطن ، فما كان يُسمع صدى لأصواتهم المتكررة ، فراجعوني مراراً ، فضربت عنهم صفحاً إذعاناً لدولتي ، وإن كان يسوؤني نظري إياهم في تلك الحالة . لأن مجتمع الإنسان كالجسد إذا أُصيب عضو منه بآفة انتقل الألم إلى الجسد كله .

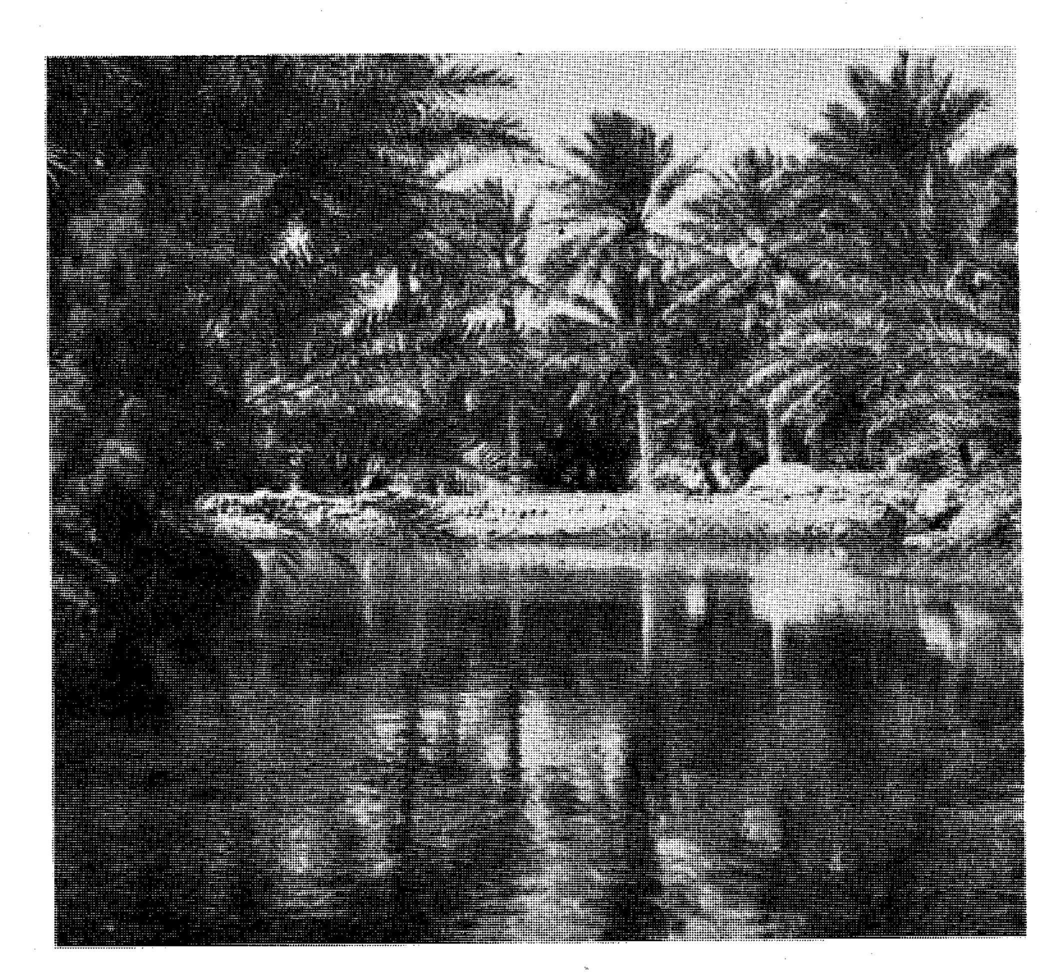
« ثم جاءتني محاضر (مضابط) فيها تواقيع كثيرة من العلماء والوجوه ، قائلين : إن لم تسعفنا نضطر إلى ما لا تحمد عقباه . وفي تلك المطاوي سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها في الخليج وسواحله ، فاستندت حينئذ إلى ما لي من الحقوق الشرعية في هذا القطر ، بمنزلة أساس . فبادرت إلى تلبية طلب الأهالي ، ليكونوا في حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيهم ، وإبعاد الأجانب عن ديارهم .

« فهذه هي الأمور التي ساقتني إلى ما أتيت . فقدمت الأهمّ على المهمّ ، وسرحت موظفي الإمارة ، محافظاً على حياتهم بدون أن ينالهم أذى .

« وعليه إذا أنعم النظر رجال الدولة المخلصون في هذه المسائل ، وفكروا في مآلها أحسن التفكير ، وأعطوا لكل ذي حقٍّ حقّه ، ولاحظوا الأمن الضارب أطنابه في البلاد ، وتثبتوا ما انتشر من مرافق العمران بين العباد ، حبّذوا عملي هذا . ولا سيما إذا علموا أني قطعت دابر الأشقياء والمفسدين وحقنت دماء الأهلين ، وبسطت أروقة الراحة بين العالمين »

، ، ،

من ينابيع الأحساء



عين الخدود [1]

(١) اسمها القديم « خدد » على وزن صرد وعمر . وهي ، كما في القاموس : عين في هجر . وفي تاريخ الأحساء ، لابن عبد القادر : قدر الخبراء أنها تخرج في الدقيقة ثلاثين الف جالون . ولها خمسة فروع .

من أقوال الصحف في هذه الفترة

تناقلت الصحف العثمانية ، بعد احتلال عبد العزيز الأحساء ، أنباء عن الهدوء والاستقرار في قلب الجزيرة ، فكان مما قالته ، في أواخر سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) :

١) رفع عبد العزيز الراية العثمانية في جميع ديار نجد ، إعلاماً بانضمامه إلى دولة آل عثمان

٢) ائتلف ابن سعود وشريف مكة ، وأصبحت طرق الحج آمنة .

٣) تعاهد الشعلان ، أمراء الرولة ، مع الأمير عبد العزيز ابن سعود ، وأصبحوا يداً واحدة وحلفاً على من يعاديهم .

يتلقى الشكر والنيشان العثماني الأول

رضي العثمانيون بالأمر الواقع ، بعد أن احتلّ عبد العزيز الأحساء والقطيف ، وأرسلوا يفاوضونه على « الولاء » وكان رسولهم السيد طالب النقيب . ومعه — على ما قيل — أحد « ياورية » السلطان محمد رشاد ، يحمل هدية من أنور باشا .

وكان عبد العزيز في « الصبيحية » على مقربة من الكويت . فقابل طالباً ومن معه . فطلبوا أن يكون للدولة معتمدون في القطيف والأحساء ، فأبى عبد العزيز ذلك . وطلب أن تكون العلاقات « ولائية » فقط وأن تساعده الدولة ، لقاء هذا الولاء ، بالأسلحة والذخيرة والمال [1]

وكان لابدّ لهم من عرض هذا ، على الحكومة ؛ فاستمهلوه إلى أن يراجعوا « الباب العالي » فأمهلهم. وانصرفوا .

، ، ،

ثم لم يلبث أن أقبل السيد طالب ، يقول : إن والي البصرة تلقى برقية من عاصمة آل عثمان تتضمن الموافقة على ما تقرّر في اجتماع « الصُبيْحيّة » مع

---

(١) تاريخ نجد الحديث .

الشكر لابن سعود، وتسميته — أو الاعتراف به — «والياً» لنجد، و«متصرفاً» للأحساء، وإهدائه النيشان العثماني الأول ورتبة الوزارة [١]

وكان ذلك في أواخر سنة ١٣٣٢ هـ (أوائل ١٩١٤ م) وبدأوا يلقبونه بصاحب الدولة [٢]

---

(١) قلب جزيرة العرب . وتاريخ نجد .
(٢) ابن سعود سيد نجد .

في الحرب العامة الأولى

نشبت الحرب سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) وسُلطان عبد العزيز ابن سعود، منبسط في قرابة ثلث مليون كيلومتر مربع ، يمتد من جنوبي الكويت إلى شمالي قطر على الخليج ، ومن قطر جنوباً إلى وادي الدواسر ، وغرباً إلى أطراف الحجاز . ومن وادي الدواسر في الجنوب إلى جبل شمّر في الشمال . أكبر رقعة يملكها أمير في الجزيرة . وهو دائب على محاربة عدوّ واحد ، في الشمال الغربي (ابن رشيد) ويجامل عدوّاً يلبس لباس الصديق ، في الغرب (الشريف حسين) ويوالي صديقاً يعمل عمل العدوّ ، في الشمال (مبارك بن الصباح) .

وانشقّ العالم الأوربي ، يتبعه معظم العالـَمَين الآسيوي والإفريقي ، إلى فريقين : دُوَل التحالف إنكلترة وفرنسة ومن والاهما . ودول الاتفاق ألمانيا وتركيا العثمانية ومن شد أزرهما .

وخشي عبد العزيز أن يصل لهب الصراع العالمي إلى شبه الجزيرة ، وفيها من هو مع هؤلاء ومن هو مع أولئك ، فتحترق بنار غيرها . وأمّل أن يفلح سعيه في تكوين رأي يشترك فيه أمراء الجزيرة في سياستهم الداخلية ، يأمنون به شر اصطدام بعضهم ببعض ، أو يتفاهمون على فريق يناصرونه من الفريقين.

فكتب إلى جيرانه الثلاثة المتقدم ذكرهم (ابن رشيد ، والشريف حسين ،

ومبارك) يقول : « أرى ، وقد وقعت الحرب، أن نجتمع للمذاكرة . عسى أن نتفق على ما ينقذ العرب من أهوالها ، أو نتحالف مع دولة من الدول ، لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » .

فكان جواب ابن رشيد : « إني مع الدولة ، أحارب من حاربت وأصالح من صالحت » .

وأرسل الشريف حسين ابنه (عبدالله) فاجتمع على الحدود — بين الحجاز ونجد — بمندوب أرسله عبد العزيز، فقال له عبدالله : « عسى لم ينس ابن سعود ما تعهّد به لوالدي يوم أطلق أخاه سعداً » فهزّ المندوب السعودي رأسه ، وافترقا .

وأما مبارك فكتب إلى عبد العزيز يدعوه لمفاوضة حاكم الهند البريطاني .

، ، ،

لم تفلح الدعوة . ولكن تفتّحت لها أنظار من يعرفون قيمتها . فبادر الإنكليز إلى إرسال من يذكّر عبد العزيز — قبل توقيعه المعاهدة معهم — بأنهم جيرانه الأقربون في الخليج والخط البحري الممتد منه إلى الهند . وأرسل العثمانيون ، ومن ورائهم برلين ، وفدين أحدهما برئاسة طالب النقيب جاء من البصرة وقابل عبد العزيز في القصيم ثم عاد إلى البصرة بعد أن احتلها الإنكليز . والثاني من المدينة . ومن أعضائه محمود شكري الألوسي ، يحملون هدية من الدولة لعبد العزيز عشرة آلاف ليرة ذهبية ، فوعدهم بألاّ يمنع تجار نجد من المساعدة على تموين الجيش العثماني بالأرزاق .

واحتفظ عبد العزيز بحياده ، حتى بعد المعاهدة مع البريطانيين . فكان موقفه نقياً : لم يتعرّض للشريف حسين في الحجاز ، قبل الثورة ولا بعدها ، ولا للقوّة العثمانية في عسير واليمن . بل ترك رسلها وأموالها تغدو وتروح بين اليمن والشام عن طريق بلاده[١] وهو مع ذلك محتفظ بمودّة البريطانيين

(١) قلب جزيرة العرب .

ومعاهديهم[١] ومات مبارك فصفا الجو بينه وبين خلفه جابر بن مبارك . وظل على عدائه لابن رشيد . وتذبذب بعض شيوخ شمّر ، فكتب إليه أحدهم (ماجد بن عجيل) يطلب الصلح معه « وأن يتوسّط بإصلاح ما بينهم وبين الانكليز » فأجابه[٢] : « إني أنذركم يا أهل شمّر . فإذا كنتم مخلصين لنا ، تعالوا أقيموا في كبدي وأما إذا كنتم تفاوضون الإنكليز وتساعدون الترك ، فأنا عدوّكم والله ، وقاهركم إن شاء الله » .

، ، ،

وبعد قيام الشريف حسين بثورته على الترك ، متفقاً مع البريطانيين ، كان السر برسي كوكس (المقيم البريطاني في الخليج) يتحدث يوماً مع عبد العزيز ، فذكر الخلافة وانتقالها إلى العرب . وسأل عبد العزيز عن رأيه في أن تكون له ؟ فأجاب : الشريف حسين أجدر بها ..

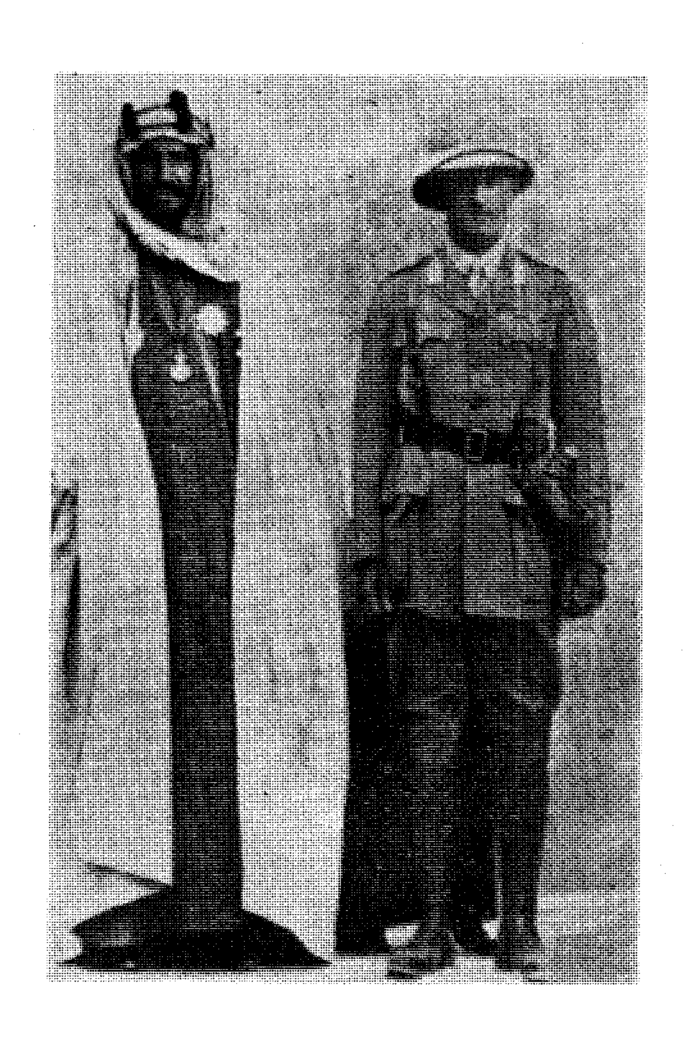
ووصل إلى الرياض سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، الكولونيل هاملتن R. E, A. Hamilton[٣] ومعه المستر جون فلبي H. St: John Philly والكولونيل أوين Cunliffe Owen وأشار هاملتن إلى قوة الشريف وتوغّله في شبه الجزيرة ، فقال عبد العزيز[٤] : إن الحسين قد استطاع التوغل في شبه جزيرة العرب ، مستعيناً بالأجانب .. والأمير العربي الذي يعتمد على المساعدات الأجنبية ، يبني زعامته على الرمال ، وسرعان ما تكتسحها أية حركة قومية شديدة . كالنهر يجرف في فيضانه كل ما يقف في سبيله ، حتى المساكن التي شيدت على ضفتيه ..

---

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين.

(٢) و (٣) تاريخ نجد الحديث .

(٤) ابن سعود سيد نجد .



الملك عبد العزيز . والسر بيرسي كوكس
سنة ١٣٣٤ هـ — ١٩١٥ م

الملك عبد العزيز

والثورة على الترك

لما اشتدّ الضغط على الحلفاء في الجبهة الغربية ، أيام الحرب العامة الأولى ، في السنة الثانية من نشوبها ، وأرادوا إثارة العرب على الترك ، أوعزت الحكومة البريطانية إلى مندوبيها الرسميين — وغير الرسميين — أن يتصلوا بزعماء العرب ، في مختلف أقطارهم . فكانت معاهدتهم مع محمد بن علي الإدريسي في عسير ، سنة ١٣٣٣ ھ (١٩١٥ م) فانتقض على من في بلاده من الترك . وكانت محادثاتهم الأولى مع الشريف حسين بن علي في الحجاز وقد تردّد في بادىء الأمر . وكانت محاولاتهم لاستثارة عبد العزيز آل سعود في الرياض ، وعنده من معتمديهم الكابتن شكسبير .

عرض عليه شكسبير « وعوداً » من حكومة بريطانيا . واستمهله عبد العزيز لاستشارة والده وزعماء رجاله . فأمهله شكسبير ، وأقام ينتظر جوابه .

وكتب عبد العزيز إلى ابن رشيد (وكان على عدائه المعروف معه) وإلى مبارك الصباح صاحب الكويت ، وإلى الشريف حسين (شريف مكة) يقول لهم : إن الإنكليز يتعهدون لي إذا نحن قاتلنا الترك وأجليناهم عن بلاد العرب ، أن يتركوها لنا .

وقبل أن تجيء أجوبتهم ، شعر شكسبير بأن تأجيل الجواب لم يكن الغرض

منه ما ذكره له عبد العزيز . فراجعه مرة ثانية ، وقال له : بلغني أنك كتبت إلى أمراء العرب تستشيرهم . وثق أنهم ما فيهم غير عدوّ لك . فأكّد له أن غرضه التأني قبل الشروع . واستمهله ..

وجاء جواب ابن رشيد: « إن أنور باشا قد أرسل إليّ عشرة آلاف بندقية . وبعد أن أكسرها عليك وعلى رجالك أفكر في الصلح معك والقيام على الترك »

وأجابه ابن صباح : « إن في ميناء الكويت باخرة بريطانية فاحضر وقابل ربانها وأنا معك على ما تتفقان عليه » .

وأجابه الشريف حسين : « سأرتقب الفرصة لعمل ما أراه » .

فلما اطلع على أجوبتهم دعا إليه شكسبير ، وقال له : أنت تعلم أنكم بعيدون عنّا ، وأن في العرب من يتّهمني بالدعوة إلى مذهب خامس . فقيامي معكم وجعل رايتي المنقوش عليها « لا إله إلا الله » إلى جانب رايتكم ، أمر غير نافع لي ولا لكم . والرأي عندي أن تكتبوا إلى الشريف حسين فإن اتفق معكم فأنا أعدكم بأنني لا أعرقل له سعياً ما دام في حرب مع الترك .

وحاول شكسبير أن يقنعه بالقيام . فذهب سعيه سدى . فكتب إلى حكومته فكانت الثورة على يد الشريف .

الملك عبد العزيز

في وقعة جراب

أمعن عبد العزيز ، في كلمة ابن رشيد : عشرة آلاف بندقية أكسرها عليك (أو على رأسك) وجاءه ما اكتشف به سرّ إغلاظ ابن رشيد في جوابه له . فقد كتب سليمان شفيق كمالي باشا [١] والي البصرة العثماني إلى أمير حائل ، ابن رشيد ، يطلب مقابلته في مكان يدعى سِفوان[٢] على مقربة من البصرة . وقابله ، فتسلم منه السلاح ومقادير من الذخائر ، وشيئاً من المال معونةً له من « الدولة » على قتال عدوهما المشترك عبد العزيز ابن سعود .

ووصلت إليه أنباء من حائل بأن ابن رشيد يتأهب للزحف على الرياض . فما كان من عبد العزيز إلا أن نهض . وتلاقيا على ماء « جُراب » [٣] في

---

(١) قال فلبي في كتابه « النجود العربية » : سليمان شفيق ، والد الجميلات الثلاث اللواتي انتخبت إحداهن ملكة للجمال في تركيا ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، وهو الذي حل مدة طويلة بعد انتهاء الحرب ، ضيفاً أو أسيراً لدى الملك عبد العزيز في جدة والطائف . انظر كتاب « عبدالله فلبي » لخيري حماد .

(٢) في خريطة قلب جزيرة العرب ، وفي الأطالس العربية « صفوان » بالصاد ، خطأ . انظر مستدركات الزبيدي : مادة سفى .

(٣) قال ابن بليهد : جراب – بضم الجيم – منهل معروف في شمالي جبل مجزل ، كانت عنده معارك عظيمة في القرن الثاني عشر والقرن الرابع عشر – للهجرة – وهو يحمل هذا الاسم إلى الآن . قلت : ويرى الأستاذ حمد الجاسر أن « جراباً » هذا ، هو « إراب » الوارد ذكره في كتاب « بلاد العرب » للأصفهاني ، ص ٢٦٥ واقرأ الفقرة الثالثة من هامش تلك الصفحة .

بادية القصيم. والقوتان متكافئتان تقريباً . قال الريحاني : كان مع ابن رشيد ٦٠٠ مقاتل من الحَضَر ونحو ألف فارس . ومع عبد العزيز نحو ألف من الحضر و ٣٠٠ خيال . وكانت الوقعة في ٧ ربيع الأول ١٣٣٣ﻫ (٢٤ / ١ / ١٩١٥ م)

واحتدم القتال . وفي كلا الجيشين ، جيش عبد العزيز وجيش ابن رشيد، حَشْد من أهْل البادية طُلاّب الرزق . ومع عبد العزيز خيالة من العُجمان ومُطير .

ولم يلبث العُجمان أن تراجعوا خيانةً – كما يقول الريحاني وخالد[1] – فأغار أعراب الجيش الرشيدي على جناح السعوديين الأيسر فأزاحوه، واندفعوا إلى الخيام ينهبونها . وأغار أعراب مُطير على مخيّم ابن رشيد فجرّدوه مما فيه وساقوا ما وراءه من الإبل غنيمة باردة . وشُغل الزعيمان السعودي والرشيدي بمطاردة الناهبين ، واختلّ نظام المعركة ، وتفرّق الجمعان : لا غالب ولا مغلوب ، كما كان يقول الملك عبد العزيز ، وفاز من معهما من الأعراب بالغنائم والأسلاب .

وقتل في هذه الموقعة الكابتن البريطاني شكسبير ؛ وسيأتي خبره .

---

(١) قال خالد الفرج ما خلاصته : لما استرد عبد العزيز الأحساء ، ولى إمارتها « عبدالله ابن جلوي » وكانت مسرحاً للعجمان ، ينهبون دواب أهاليها في النخيل ، ويبيعونها في سوقها ، وحكومتها التركية عاجزة عن ردعهم ، فكبح ابن جلوي جماحهم ، فحقدوا . فلما كانت وقعة « جراب » غدروا بعبد العزيز ، فكانوا سبب الهزيمة .

المَـلك عَبـْد العَـزيـز

والشيخ مبارك الصباح

مبارك : ابن صباح بن جابر بن عبدالله بن صباح ، ينتمي إلى عنزة ، من أسد . أمه : لؤلؤة بنت محمد من بني مرخان ، جدّ سعود ، الذي ينتسب إليه آل سعود .

أخباره مع عبد العزيز ، مليئة بالمفارقات والمتناقضات .

عَرف مبارك ، وهو داهية العرب في عصره ، وفي الخامسة والخمسين من عمره ، عبدَ العزيز ، وهو فتى في عنفوان صباه ، لم يتجاوز من العمر السابعة عشرة ، فدعاه : « يا ولدي » ثم لم يزل يعامله على أنه « يافع » وكأحد أولاده ، طوال حياته .

شبّ عبد العزيز ، واشتهر ، وساد ... ومبارك يخاطبه بولدي ! ولا يحمل له شيئاً من إخلاص الوالد للولد . يُؤذيه ويعرضه للأخطار ، ويسيء إليه حاضراً وغائباً ، وعبد العزيز الوفيّ الحييّ يقابله بالحلم وينجده في الملمات ويقبل معاذيره في الزلات ، ويكتب إليه بيا والدي ...

تحدّث أبناء جيلهما بأخبارهما أيام حياتهما. وكان من أنصار مبارك مَن لا يعدم وسيلة للدفاع عن مواقفه مع عبد العزيز ، أو لتبرير فعلاته[1] .

---

(١) انظر تاريخ الكويت ٢ : ١٢٣ – ١٣١ لعبد العزيز الرشيد . بالتصغير .

وأُورد بعض أخبارهما ، بإيجاز ، ويأتي تفصيل شيء منها :

١ — أول مرة فيما أعلم ، ذُكر بها اسم مبارك في التاريخ الحديث ، قبل أن يتولى الإمارة ، هي يوم قاد جمعاً من الكويت إلى القَطِيف على الجانب الغربي من الخليج[1] مع ضابط تركي (عثماني) فانتزع القطيف من آل سعود ، وكانوا في شغل شاغل بشقاقهم فيما بينهم ، عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) (قبل أن يولد عبد العزيز بخمس سنوات) وسلمها إلى مدحت باشا والي بغداد فظلت (القطيف) كالأحساء ، في أيدي العثمانيين . ثم كانت مقرّاً للمؤامرات والدسائس على عبد العزيز ، إلى أن هيىء له استردادهما عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م)

٢ — تقدم أن مباركاً استعان بعبد العزيز وأبيه على قتال ابن رشيد . وخرجا لتحطيم عشيرة موالية له . فكتب إلى ابن رشيد يفاوضه في الصلح . وعادا ، فلم يأذن بدخولهما الكويت إلاّ بعد خيبته في المفاوضة ! ولو تم الصلح ، لكانا كبشي الفداء ...

٣ — وتقدم أن ابن رشيد حاصر الكويت سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) واستنجد مبارك بعبد العزيز ، وهو في الرياض ، فأقبل ينجده بجمع كبير . ولما استعد عبد العزيز لمعركة مع ابن رشيد في القصيم ، استنجد مباركاً فأرسل إليه مئتي رجل !

٤ — وأراد مبارك أن يُفهم عبد العزيز أنه يستطيع الاتفاق مع ابن رشيد عليه ، إن هو خرج عن رأيه ، فكتب إلى ابن رشيد : « إني متكدر من أعمال ابن سعود ، وقد جرت الأمور في نجد على غير ما أشتهي ... أما الآن فأنا وإياكم عليه ، والكويت وحائل شقيقان ، ومصلحة البلدين واحدة ،

---

(١) أطلعني الأستاذ ساطع الحصري ، في معهد الدراسات العربية بالقاهرة ، على خريطة طبعت سنة ١٦٨٠ م . وفيها اسم الخليج « بحر القطيف »

ولكم مني ما تشاؤون من المساعدة » .

وأرسل الكتاب في غلاف إلى عبد العزيز ، فقيل : إنه خطأ من كاتب مبارك (واسمه المُلاّ عبدالله العتيقي) وما هو إلا عمد وعبث من ابن صباح .. عُرف عنه مثله .

٥ — صالح مبارك عدوّه ابن رشيد . وكتب إلى عبد العزيز أن يعيد غنائم سمّاها « منهوبات ابن رشيد » ويهدّده إذا لم يفعل . ثم علم بمقتل ابن رشيد ، فأراد تلافي ما فرط منه ، فتجاهل الخبر ، وكتب إلى عبد العزيز : « أنا أبوك وعونك . لم أصالح ابن رشيد إلاّ لأقهر الترك . وإني مستعدّ لإمدادك بالمال والرجال » .

ولكن عبد العزيز قال للنجّاب حامل الكتاب : أخبرني الوالد الشيخ مبارك أنه أوصاك بكتمان مقتل ابن رشيد ؟ فأجاب النجاب : ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عندما بلغه الخبر ... فضحك عبد العزيز ومن حوله .

٦ — ألحّ مبارك على عبد العزيز مستغيثاً خائفاً من السعدون[١] فجاءه عبد العزيز منجداً ، فأراد مبارك توجيهه كما يوجه أحد قواده . ولعبد العزيز طريقته في الحرب ، فخالفه ، فغضب مبارك ، وقال : أظنك تبغي أهلك ؟ فأجابه عبد العزيز : نعم ... ورحل عنه ..

٧ — بلغ الحكومة العثمانية في جمادى الآخرة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) أن عبد العزيز عازم على أن يغزو عربان الشمال . فاستفهم يوسف باشا وكيل والي بغداد ، من مبارك الصباح عن حقيقة ما أُشيع ، فأجابه : إن عبد العزيز ابن سعود كان عازماً على غزو « ولدي » سعدون ، فمنعته عنه وعن جميع عربان الحكومة العلية . وقد « انصاع » لما أردت ...[٢]

---

(١) اقرأ الفقرة ٤ من « عود إلى معالجة الفتن » قبل بضعة فصول .

(٢) تاريخ الكويت ٢ : ١١٢

٨ — بينما عبد العزيز في الأحساء يقاتل بعض العُصاة ، جاءه كتاب من مبارك مع ذلولين ، يقول : أرسلت إليك ذلوليّ اللذين كنت أركبهما للغزو ، وقد عجزت الآن عن الركوب . وهما يطلبان منك أن تأخذ بثأري . فأجابه عبد العزيز ، معتذراً بما هو فيه . فلم يعذره ، وكتب إليه : أنا أصيح وأناديك ، وأنت ولدي تصمّ أذنك ؟ أتهجرني يوم شدّتي ؟ .. فركب عبد العزيز ، لينتقم له من السعدون وابن سويط[1] وأعلمه أنه سينزل الحَفَر . واختلف ابن سويط مع السعدون في خلال ذلك ، فكتب مبارك إلى ابن سويط يخبره بزحف عبد العزيز عليه ، ويحذّره منه ..

٩ — أرسلت الحكومة العثمانية وفداً لمفاوضة عبد العزيز ، فكتب إليه مبارك ملحّاً في أن يكون الاجتماع في الكويت . ولم يرَ عبد العزيز ذلك ، فقابلهم في مكان آخر . واتفق معهم على كتمان ما دار بينهم . فلما عاد الوفد بغير نتيجة ظاهرة ، قال مبارك في مجلس حافل : ابن سعود سفيه ! (أي غرّ) عيّار ! (مكّار) ولا يملك قياده أحد غيري !.. وقال لوالي البصرة : إنه سفيه لا يعقل ما يقول !.. وعاتبه عبد العزيز بعد ذلك ، فقال : إني أتظاهر أمام الأتراك بالبعد عنك والجفاء ، لأدرك لك الغاية التي تنشدها ..

وقعة كنزان

١٠ — استنجد مبارك بعبد العزيز ، على « العُجمان » وكانوا بعد فرارهم يوم «جراب» وغدرهم بعبد العزيز[2] شنوا غارات على بعض البوادي ، ومنها بادية « عُرَيْبدار » التابعة للكويت ، فقام شيخ الكويت يطلب من عبد العزيز تأديبهم واسترجاع ما نهبوه . وألحّ ، على عادته ، وعبد العزيز في شواغل أخرى ، والوقت صيف لا ماء فيه لورود الجيش ولا عشب .

---

(١) حمود بن سويط : رئيس عشيرة الظفير . كما في لغة العرب ٢ : ٥٨٥

(٢) انظر «وقعة جراب» قبل خمس صفحات .

ولكنه اضطر .. فأقبل في عدد قليل ، معتمداً على قوّة الحَضَر من أهل الأحساء وعلى ما سوف يصل إليه من إمداد تعهد به مبارك . وخيّم العجمان في موضع قريب من الأحساء يدعى « كَنْزان » وبه سميت الوقعة . وهو جبل حوله بعض موارد من المياه، وبقربه سلاسل أكمات اسمها « البُرَق » (١) وهاجمهم عبد العزيز ، ليلاً فخدعوه بأن تركوا خيامهم وأوقدوا النار في بعضها ، إيهاماً بأنها مسكونة ، وكمنوا في المرتفعات وبين النخيل. وما كاد جنده يدخل الخيام ، حتى أخذهم الرصاص من كل جانب . وأصيب عبد العزيز بجرح في جنبه ، وقتل شقيقه « سعد بن عبد الرحمن » وكان ذلك سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) . وعاد بمن بقي معه من الفلول ، منهزماً ، إلى الهفوف ، وحاصره العجمان . وصبر على إزعاجهم له إلى نهاية الصيف . وجاءه مدد من الرياض ، ووالده عبد الرحمن فيها ، بقيادة أخيه محمد ؛ ومن الكويت نحو ٢٠٠ كويتي يقودهم « سالم الصباح » الابن الثاني لمبارك . وكرّ عبد العزيز ، فتشتّت العجمان متجهين إلى الشمال ، ومرّوا بماء اسمه « مُرَيْخ » في النُّقرة ، قرب جزيرة العَمَاير ، وعليه خيام للعوازم وبني خالد ، فاقتتلوا معهم ، وضربهم هؤلاء . وأرسل عبد العزيز من يلاحق العجمان ، فلجأ بعضهم إلى « سالم الصباح » وهو في حملة عبد العزيز ، فحماهم من عبد العزيز وألجأهم بأمر من مبارك . ودخلوا الكويت يبيعون في سوقها ، ما نهبوه من أهل الأحساء (٢)

واشتدّ هذا على عبد العزيز ، فشدّ ليقاتل الفريقين معاً : العُجمان

---

(١) كذا في مخطوطة خالد .

(٢) كان من حق حادثة العجمان هذه ، أن يفرد لها فصل خاص في الكتاب ، إلا أن وقوعها بعد أعوام من عهد الفتن ، وقبيل وفاة الشيخ مبارك ، اقتضى إيرادها في هذا الفصل . وفي مخطوطة خالد الفرج التي اعتمدت عليها في معظم الحديث عنها ، أن العجمان « أخلدوا بعد ذلك إلى السكينة ودينوا مع من دين – أي تدينوا مع من تدين – من القبائل واتخذوا هجرهم العديدة في وادي المياه ، وصاروا من أركان ثورة الإخوان ، فيما بعد . »

وآل صَبَاح . ولكنه ما عتم أن جاءه من أخبره بوفاة مبارك[١] فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ...

، ، ،

كان مبارك وعبد العزيز ، حظيظين : مات مبارك قبل أن يكتوي بحرب عبد العزيز . وخلت صفحة عبد العزيز من قول مَن يحصي عليه الزلات : قاتَلَ من آواه في صباه ، وكان يدعوه أباه ..

، ، ،

قال حافظ وهبة[٢] وهو ممن رأى مباركاً وعرفه :

كان الشيخ مبارك طويل القامة ، أسمر البشرة ، قويّ الذاكرة ، صلب الإرادة ، مستبداً ، طموحاً إلى نشر سلطانه ونفوذه على البلاد المجاورة ، ولكن الظروف لم تساعده.وقد اشتهر بالتقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة فكان يساعد آل سعود لإضعاف نفوذ آل رشيد،ويعمد أحياناً إلى تقوية صلاته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود . وكان لا يعفّ عما في أيدي الناس ، يتوسّل بأوهى الأسباب لفرض الضرائب على رعاياه وابتزاز أموالهم . ولكنه كان بجانب ذلك غيوراً على مصالح أهل الكويت ، مدافعاً عنهم أينما حلّوا . وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والدين ، فكان يجاهر بالمعصية حتّى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضجون منه .

، ، ،

وقال عبد العزيز الرُّشَيْد[٣] وكان من رجال آل صباح :

كان مبارك من الدهاء بحيث يرسل نظره إلى البعيد كما يرسله إلى القريب ،

---

(١) توفي الشيخ مبارك في ٢٠ محرم ١٣٣٤ (١٩١٥ م)

(٢) في جزيرة العرب ٨٥

(٣) في تاريخ الكويت ٢ : ١٢٣

ويحسب لصديقه أعظم مما يحسب لعدوّه . وكان يعلم أن ابن سعود إذا تمّ له ما يريده في نجد ، فسيشرع في توسيع نفوذه وسلطانه واستئصال شأفة من يقف في وجهه ، ولو كان مباركاً ، صديقه الحميم . كان يُعلم هذا منه ، لأن طبيعة الملك تقتضيه . وأطماع الملوك الكبار لا تخرج عن دائرته . ومبارك يعلم أن صاحبه واحد من أولئك ، لا فراسة وحدساً ، بل عشرةً واختباراً . غير أنه لم يبح بشيء مما كان يخالج ضميره إذ ذاك ، لأنه كان في حاجة كبيرة إليه وإلى تألفه . إلاّ أنه جعله نصب عينيه ، وأخذ يراقب حركاته عن كثب . ومضى ردَح من الزمن ، وظاهر الإخاء ضارب أطنابه بينهما ، فابن سعود لا يلقبه إلاّ بأبيه الكبير ، ومبارك لا ينعته إلاّ بابنه البارّ . ولكن في أخريات الأيام تجهم وجه الإخاء ، وتكدر صفو السلم ، وأخذت الألسنة تقذف حممها ، وتُخرج من الضمائر ما تكنّه وتخفيه ، حتى كاد الأمر يفضي إلى حرب بين الاثنين ، لولا معاجلة المنية مباركاً . مات مبارك فكانت بموته حياة ابن سعود ، واختفى الأول فكان اختفاؤه ظهوراً للثاني » .

نماذج من كتابات مبارك لعبد العزيز

أتيح لي أن أقف على رسائل قديمة [١] كانت مما بعث به أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح ، إلى الملك عبد العزيز أيام ابتداء ظهوره بمظهر القوة . وفي هذه الرسائل ما يصحّ اتخاذه نموذجاً للتفكير والتوجيه السياسيين ، في ذلك العهد .

ومع أن أكثرها — بكل أسف — خلو من التأريخ ، فمن الممكن الاستدلال على تاريخها التقريبي من ذكر بعض الأشخاص الواردة أسماؤهم فيها والوقائع المتحدّث عنها .

وهذا ما اخترت إثباته منها ، محتفظاً بأسلوبه ولغته :

[١]

« ولدنا العزيز دمت بخير وسرور

« الله يسلمك . أنا عرّفتك عنيد (عن يد) ولدنا عبدالله الجلوي عن مطراش (رسول) عبد اللطيف المنديل لك ، ومطالبهم . لا تقبل منها شيء يتنازلون عما هم طالبين . إلزم تعريفك الأوّلي لهم : ألفين ليرة سنوياً وأنك عثماني ، تحت أمرهم . ولا بد ، مثلما عرفتك ، أن يجيك من يخصم المادة معك على ما في الخاطر إن شاء الله . والعلاقات تصير في القطيف . هذا من بعد ما يجيبهم ابن منديل أو يعرّفهم قبل ما يجيبهم .

« وأما الذي (الذين) واجهوك في العُقير ، لهم رغبة فيك . لكن لهم حاجة عند الترك . الآن ما يتبينون ، لأجل قضيان حاجتهم . ونحن أيضاً ما نرغب فيهم . الذي (الذين) الآن يراسلونك أهون منهم واجد (جداً) إذا رأينا الأمور تسلك معهم بحالة ما تمس ، ما نذخر . ونخلي ذولاك (أولئك)

---

(١) في محفوظات الشعبة السياسية ، في الرياض .

مكراب الآن . وأُمورك إن شاء الله جميلة . الله يثبتكم ، ولا يغير عليكم ، ويذهب كل من ينوي لكم في عداوة .

« هم إن شاء الله مشغولين ومشدهين .

« أنا هالأيام وصلت البصرة . الوالي سير علينا وعزمنا عنده ، وصار بحث من طرفك . طالب (النقيب) قال : مبارك ما جاعد يعطينا رأيه في مسألة ابن سعود . قلت له ، وأنا أسند على الوالي : أعطيتكم رأيي ، وكلما تسألوني أجاوبكم . احفظوا شرف الدولة ، واحفظوا ابن سعود لا يروح من يدكم . هذا النظر كاف .

« والأخ الشيخ خزعل جاوبهم قال : هذا هو الرأي وهو النظر ، مثلما يقول مبارك ، إذا حفظتوا شرف الدولة وحفظتوا ابن سعود صار ابن سعود لكم ، ما يصير إلى غيركم . وابن سعود أنفع لكم من الأحساء والقطيف .

« آخر : الله يسلمك ، ما هم مستقيمين على قرار ، لأن الله آمر عليهم بالنقص . وأما الملاقاة مع الذي يخصم الأمر معك ، هذاي (هؤلاء) صاير عليهم أمر من استنبول . وأنت ، الله يسلمك ، مثلما أنا ذاكر لك : إلزم تعريفك الأوّلي ، عثماني ومنهم . ومعطين ألفين ليرة سنوياً » .

[٢]

« ولدنا دمت بخير وسرور

« كرنل كاكس[١] باليوز بوشهر[٢] حظر لطرفنا . والمقصد يتراجع معنا من طرفكم على موجب إشاراتنا له كل هذه المدة ، بالأخص هالأيام . ومن بعد مذاكرتنا وياه من طرفك ، بيّن لي خطك المؤرخ ٢٠ شوال أنك طالب مواجهته . سأل مني : ايش مطالبه ؟ ايش نظرك ؟ قلت له : مطالبه

---

(١) الكولونيل پرسي كوكس .

(٢) المعتمد البريطاني في بوشهر .

مثل حالتي ويا كم . قال : أنا أراجع الدولة من بعدما أواجهه ، وأنا أيضاً رايح إلى الدولة . إن شاء الله يحصل له استقلال مثلك . قلت له : هذا هو المطلب .

« فأنت ، الله يسلمك ، أمورك إن شاء الله ميسرة . هذا الذي حنا (نحن) نريد . وهذي أكبر النعم . وأنت لا تثقل . حين ما ياصلك (يصلك) الخط (الكتاب) إن شاء الله تمشي . والقرار صار المواجهة في العجير (العُقَير) فإذا تعيّدت إن شاء الله يوم ١١ ذي الحجة تمشي . يعني بعد العيد بيوم . والكرنل ، يبي (يبغي) يحضر بالبحرين يوم ١٥ ذي الحجة ، وينتظر الخبر منك .

« وأنت ، الله يسلمك ، كل من دخل تحت نظرهم اعتزّ واستراح ، مثلما تشوف حنا ، وراعي البحرين ، وعُمان . رفيقهم عامر وعزيز . وهذي إن شاء الله من حسن توفيقك . وإلاّ ، يا ولدي عبد العزيز ، او يطلبون منا واردات الأحساء والقطيف هذه السنة وغير هذه السنة قسم من وارداتهم ، كان (كنا) نعطيهم لأجل عز الرأس والراحة . فالآن لله الحمد ، من حسن توفيقك ، احصلت إن شاء الله . خلنا نستريح من هالذاهبين اللي (الذين) دائماً حنّا في فكر من طرفهم ، ومن الشريف وغيره . فأوصيك وأكد عليك ، يوم الله ييسّر ، إقبل بما يقطع نظر الكرنل . تراني جاسّهم وعارف غايتهم زين ، ولا تبين عباراتي هذي في البوصلة .

« تراهم رجال كل أمورهم ما يبيّنوها . وغايتهم هذي بينوها لي أنه يحصل استقلال . فأنت لا تبين لهم إلاّ أنك تطالب منهم استقلال ، وأنك محب لطرفهم دون غيرهم من الدول : فإن عطيتوني استقلال على موجب محبتي لصداقتكم وقربكم ، فأنا راغب فيكم دون غيركم وأمشي بكلما يرضيكم وإن تعذرتوني فاعذروني » .

[٣]

« ولدنا العزيز دمت بخير وسرور

« اطلعنا على البوصلة الذي داخل خطكم (كتابكم) الذي مع خادمكم خادم الجميع فارس المري . حسب تعريفي لك سابق ، أنك بعد العيد تطلع ، وأخوك سالم أيضاً يطلع .

« بعدها عرّفناك مع خادمك عباس الفلاجي في تأخير الطلعة . والسبب لذلك مخابرتنا مع الكرنل (الكولونيل) وطالت مخابرتنا وإياه . أولها من قديم ، من مدة ثلاث أربع سنين ، نشير لهم ونشور عليهم ، ولا أخذنا منهم جواب . ومن بعد دخولك الأحساء رأينا أن يصير لنا ميدان بالكلام معهم ، وشافوا طول إقامتي هالسنة بالبصرة ، واختصاري (انفرادي) مع الوالي دفعات . وهم ، الله يسلمك ، تعرف ما يغباهم (ما يخفى عليهم) شيء . واعين . وسألوا مني ، وبينت لهم أن الترك يسلك أمرهم مع عبد العزيز ، وسُلوك عبد العزيز معهم ، حتى أنا أشور به عليه ، لأنكم مبعدين عنه ، وأنتم الآن جاعدين (قاعدون) تنطرحون إلى الترك ، والترك الآن في حالة الضعف ، كلها من قوة سياستكم ، وذلك لأجل تكملون امتياز خليج فارس إلى الكويت ، تأخذونها منهم بحسن رضاهم . فالاشارات الذي (التي) أنا رأيتها منهم ، يسلكون مع عبد العزيز ويصفطون له الأحساء والقطيف ، ويحسنون له كل ملحقات ممالكهم الذي من أب وجدّ إلى مسكت (مسقط) وهذا شيء يخل عليكم وأهل عُمان جميعهم راغبين في ابن سعود ، وأنا الذي مانعه . من أمركم كتبت له وبينت لكم جوابه لي . فالآن الرغبة فيكم عن غيركم . أحب أن ابن سعود معكم ، يدخل مدخلي . وكل هذه المدة معهم على هذا البحث .

« بعد جانا الكرنل ، وطال الحكي بيننا وبينه ، بين لي خطك له المؤرخ ٢٥ شوال وقال لي : اشلون يصير مدخله ويانا ؟ قلت له : مدخله مدخلي ،

استقلال . قال لي : نقبل بهذا . وقال : أنا قبل ممشاي أكتب إلى الدولة وأزين لهم . وعند وصولي لندن إن شاء الله يصير ذلك .

« وكتبت لك أنا خط ، والكرنل كتب لك خط ، وذكرنا لك إن شاء الله بعد العيد بيوم تتوجه إلى العجير . يصير وصولك إلى العجير إن شاء الله يوم ١٦ - ١٧ ذي الحجة . والكرنل ياصل البحرين يوم ١٥ ذي الحجة، ينتظر الخبر منك . فإذا جاه الخبر منك ، يتوجه إلى العجير ، وينزل يواجهك .

« والمكاتيب أرسلناها مع خادمك مطرف العاظي ورجّالهم ماضي السبيعي ، على ذلولين ، من أطيب اركابنا . وعجلناهم . وانحروا (قصدوا) الرياض .

« وأنت الله يسلمك ، من ألزم اللزوم عليك مواجهة الكرنل . لأن هذي المسألة حنّا نشريها في كل حاصل الأحساء والقطيف . واليوم الله يسّرها من حسن طالعك .

« فالآن أنا أكد عليك بالعجلة لمواجهة الكرنل . وأنت إذا واجهته إن شاء الله ، مطلبك عليه فقط الاستقلال . وأبي (أبغي) أدخل معكم مدخل امبارك ، وأنا مُلزَم إن شاء الله أتبع رضاكم وأمتثل أمركم في كل الأحوال، وأقلط (أُدخل) امبارك على نفسي ، بعدم الاختلاف ، وإلاّ أنا اليوم مستقلّ ، وأنا راضي مع الترك الآن ، ومعطيني الاستقلال ، ويحبون أني أحافظ على جميع ملحقات ممالكنا ، ومع هذا أنا أحب طرفكم عن غيركم ، بحسب عدالتكم وحميتكم ومرحمتكم ، فإذا تبعدوني عنكم أصير مجبور أوافق الترك .

« فأنت الآن ، الله يسلمك ، توجهت إلى القصيم ، توجهك هذا إلى القصيم ، زين من وجوه : يعرفون الناس أنك في غاية الراحة والسرور ، وهيبة للبدو ، وإلاّ خدامك أهل القصيم إن شاء الله محافظين على كل ما يرضيك . فقط يصير تأخير ١ / ٤ أيام عن موعد مواجهتك مع الكرنل .

« وخادم الجميع فارس المري ، وصلنا يوم السبت المغرب ، فلأجل

هالموجب مشّيناه مع خويه لك يوم الأحد ، ينحرك (يقصدك) إن شاء الله، في القصيم . فأنت الله يسلمك ، لا تتأخر . من ألزم اللوازم مواجهة الكرنل .

« قنصل (القنصل) الذي عندنا ، قبطان (كابتن) شكسبير ، يتوجه مع الكرنل . واليوم أخبرناه أنك توجهت إلى القصيم ، لأجل يودي خبر إلى الكرنل في بوشهر » .

[٤]

« ملحاق خير وسرور

« المكاتيب الذي داخل الخط الذي مع خادمك مهنا ، وصلت . خط الولاية وخط طالب (النقيب) مضمونهم زين . والشروط الذي منطيهم (معطيهم) موافقة . ونحن معرفينك أننا نأخر تقديمهم حتى ما (إلى أن) يجينا فارس المري . المقصد يصلنا مكتوب الاستثناء فالحال (في الحال) .

« الأوراق الممهورة وصلت ، وإن شاء الله نشوف الشيء الذي يصير منه فائدة وعزّ لك نعمله . ونحن مرامنا نعرّفك أننا تأخرنا بتقديمهم حتى ما يجينا فارس المري ، مع مكتوب الاستثناء . ملاحظين هالأمر مع الكرنل . ولله الحمد يسّره الله . إن شاء الله تعالى أمورك ميسّرة .

« السيد طالب عزمه يعيّد عندنا بالكويت ، وأنت إن شاء الله لا تتأخر ، تواجه الكرنل .

« وأنا ، الله يسلمك ، أبين لك عن عاداتهم : ما يبينون رغبتهم ولا منافعهم ، ولا الذي يبون (يبغون) يجرونه ، إلاّ من بعدما يجري . ورجال أهل سدّ غميج (عميق) وأهل سيرة زينة ، وكلمتهم واحدة ، إذا أعطوا جواب يصدقون . ورفيقهم يزيدونه ما ينقصونه . وإلاّ الذاهبين ، ما في قربهم خير . وخويّهم يضرونه ، وفي خطر ، مثلما هم أذهبوا أنفسهم يذهبون الذي يجاريهم .

« وأنا ، الله يسلمك ، ذاكر لك أن حنّا (نحن) نبي (نبغي) المخابرة تطول ، لأجل يبقون في أمل ، وحنّا نشوف لنا شوفات ونفتكر . لأن الأمور فيها شيء يوجب العجلة وشيء يبي التأجيل . وأنا ما أستحسن عشرة أنفار بالقطيف وخمسة بالعجير ، إلاّ إذا ما لقينا لنا درب ، تكون الأشياء شيء أهون من شيء . وهذا إن شاء الله ، بعد ما تصير وأمرك إن شاء الله راشد .

« أنت ما أخذت ممالكهم ، أخذت ممالكك . ولا عبثت عليهم مثل أهل العراق وعجمي ، ماكلين (آكلين) ميريات ممالكهم . وأنت أيضاً مكانك صعب عليهم ، ولا إن شاء الله نحاذر منهم . وأنا دائماً جوابي معهم هكذا : صعب عليهم الممشى ، لاكن نحبّ الهون ، فإذا يصير شيء ما يخلّ ولا يمسهم ، فرضا فيها ، لأجل تبقى الصداقة ، والطوارف (الزوّار) يروحون ويجون آمنين . والخطوط الآن أخرناها . وقاعدين نفتكر مع الصاحب (المندوب السياسي) الذي عندنا ، نتراجع حنّا وياه .

« وأنت إن شاء الله إذا واجهت الكرنل ، تعجل لي طارش (رسول) بالكلام الذي يصير بينك وبينه . لو كان (ولو أن) الصاحب الذي عندنا يجي يخبرنا ، ولكن طارشك أوفق .

الملك عبد العزيز

والكويت بعد مبارك

خلف مباركاً في حكم الكويت سنة ١٣٣٤ هـ (أواخر ١٩١٥ م) ابنُه جابر بن مبارك . وكانت لهذا صلة ودّ بعبد العزيز ، أيام كان عبد العزيز مع أبيه ، في الكويت . واشترك جابر وعبد العزيز في حملة على مطير ، في أيام مبارك ، فأبادا من لقياه منهم في الصمّان . وكانا معاً في وقعة « هديّة » سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) وقد تقدّم ذكرها .

الصفاء في عهد جابر

ولما تُوفي مبارك ، كتب عبد العزيز إلى جابر يعزّيه . وزاره في الكويت ، وهو في طريقه إلى البصرة (١٩١٥ م) وتوقف عن مطاردة العجمان ، وطردهم جابر من بلاده [١] وتوفي جابر سنة ١٣٣٥ هـ (أوائل ١٩١٧ م) وليس ما بين نجد والكويت ما يعكّر الصفو .

والخصام في عهد سالم

توفي جابر ، وخلفه أخوه سالم بن مبارك . وصلة هذا بعبد العزيز بدأت

---

(١) بعد اتفاق بين عبد العزيز وجابر ، توسط فيه الممثل البريطاني پرسي كوكس .

تسوء في أواخر أيام مبارك ، في معركة العجمان المتقدم ذكرها[1] وازدادت سوءاً ، حين عمد سالم إلى التجار النجديين فطردهم من الكويت ، بعد عام من ولايته الإمارة . وأراد أن يقيم مركزاً تجارياً في « بُلْبُول » قرب الخليج ، بين الكويت والجبيل ، قبل الاتفاق على الحدود بين نجد والكويت ، فكتب إليه عبد العزيز بأن هذا المكان هو من أراضي القطيف التابعة لنجد ، فلم يرجع عن عزمه . فكتب عبد العزيز بذلك إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت ، فأقنعه هذا بالعدول ، فعدل .

وقعة الحَمَض

وعلى مسافة من بلبول ، مكان يدعى « قَرْيَة » من أملاك « مُطَير » أنشأوا فيه « هجرة » [2] فأرسل سالم قوة لإخراجهم سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩ م) فأنجدهم شيخ مُطير ، وجبّارها ، فيصل الدويش ، وهو على مسيرة أربع ساعات منهم ، ونزل على ماء يسمى « الحَمَض » فأغار على قوّة سالم وردّها . وكانت وراءها أباعر لأهل الكويت ، فساقها الدويش . ووصل الخبر إلى عبد العزيز ، في الرياض . فأغضبه أخذ الأباعر ، وكتب إلى سالم أنه لم يُستأذن في غارة الدويش ، ويَعِده بردّ « الغنائم » ويؤكّد له أن « قَرْية » هي كبلبول ، من أراضي نجد .. ولم يُرضِ هذا سالماً، فاستنجد بابن رشيد ..

وقعة الجَهْراء

وأرسل ابن رشيد قوّة من شمّر ، انضمت إلى قوة من الكويت ، للهجوم على « قَرْية » ولكن قائدي الجماعتين اختلفا في من يتولى منهما القيادة ، ونزلا في مكان يدعى « الجهراء » [3]

---

(١) انظر الصفحة ٢٢٧

(٢) يقال : إنها أول هجرة أنشئت في شبه الجزيرة .

(٣) كذا يسميها علماء نجد ، بالمد ، وفي مجلة لغة العرب ٤ : ٣٠٢ « الجهرة » وزان

وكان عبد العزيز يومئذ في الأحساء ، فوصلته الأخبار ، فأرسل إلى الدويش يأمره بإنجاد أهل « قرية » فأقبل هذا ، فعلم أن القوم في الجهراء ، فمشى إليها .

وعلم سالم بن مبارك باختلاف القائدين ، فأقبل بقوة أخرى من الكويت ، إلى الجهراء ، وتولى القيادة .



الشيخ سالم بن مبارك آل صباح

ونشبت الملحمة في ٢٦ محرم ١٣٣٩ (١١ / ١٠ / ١٩٢٠) فكان القتلى من جيش الدويش نحو ٥٠٠ ومن رجال الكويت ٣٠٠ ولكن سالماً تقهقر ،

= حربة . وفي تاريخ نجد الحديث : بلدة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي، على ١٥ ميلا من الكويت .

واحتمى بقصر له قريب من الجهراء .

إمارة أحمد الجابر

وتوفي سالم في الكويت (جمادى الآخرة ١٣٣٩ / فبراير ١٩٢١) فخلفه ابن أخيه ، أحمد بن جابر بن مبارك .

ومن عجيب المصادفات أن أحمد هذا ، كان يوم وفاة عمه ، في « حَفَر العَتْك » ضيفاً على عبد العزيز ، يفاوضه بالنيابة عن سالم ، في وضع أسس للاتفاق . فلما وصل نعي سالم وانتقال الإمارة إلى أحمد ، أخذ عبد العزيز ما كان أمامه من أوراق المفاوضات ، فمزقها ، وقال لأحمد : لا حاجة إلى ورق بيننا الآن ، أنت مفوّض عني فيما تراه .. وفارقه أحمد مغتبطاً .

وفي أيام أحمد ظهر النفط في بلاده ، وانتعشت حركتها العمرانية ، ووضعت في العُقَير اتفاقية الحدود بين نجد والكويت[1] سنة ١٣٤١ (١٩٢٢م) بإقامة « المنطقة المحايدة » . وتزاور هو وعبد العزيز ، وعاد الصفو بين البلدين إلى ما يجدر بالأخوين .

ثلاث اتفاقيات

وفي ٤ ربيع الثاني ١٣٦١ (٢٠ / ٤ / ١٩٤٢ م) عقدت في جدة ، بين المملكة العربية السعودية ومشيخة الكويت ، الاتفاقيات الآتية[2] :

١) اتفاقية صداقة وحسن جوار
٢) اتفاقية تجارية
٣) اتفاقية تسليم المجرمين

أمضاها مندوب العربية السعودية ، يوسف ياسين ، ومندوب الحكومة

---

(١) تجد نصها في مجموعة المعاهدات ١ : ٨

(٢) نشرت نصوصها في جريدة « أم القرى » في المملكة ، وفي كتاب « الكويت » المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٦

البريطانية ف . هـ . و . استونهيور بيرد ، نيابة عن مشيخة الكويت .

وصدّقها وأبرمها نيابة عن الحكومة العربية السعودية ، في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٦٢ (١ / ٥ / ١٩٤٣ م) وزير الخارجية « فيصل » .

المنطقة المحايدة

وآخر ما عُقد بين الحكومتين ، الاتفاق على تحديد « المنطقة المحايدة » بين بلاديهما ، سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) . وتبلغ مساحة هذه المنطقة حوالي ألفي ميل مربع . وطول ساحلها على الخليج حوالي ٥٥ ميلاً . تقتسم الحكومتان السعودية والكويتية حصيلة ما يستخرج من نفطها ، مناصفة .

حديث

وفي عام ١٣٥٤ (١٩٣٥ م) سُئل أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر الصَبَاح عما إذا كان هناك خلاف بينه وبين الملك عبد العزيز ، فأدلى ببيان صحفي[١] قال فيه :

« إن علاقتنا على أحسن ما يرام ، من الاتفاق والوئام . وعدا ذلك فقد يظن البعض أن علاقتي الشخصية مع الملك عبد العزيز إن هي إلاّ مجرّد صداقة بحكم الجوار ، وما تجمعنا به اللغة والدين . ولكن لا ، فإننا لسنا بأصدقاء فحسب ، بل قل إنا شقيقان بحق ، يفتدي أحدنا أخاه بنفسه . وقد تشاركنا في السرّاء والضراء وعشنا معاً ردحاً من الزمن أكلنا وشربنا سوياً،وحاربنا جنباً إلى جنب مراراً عدة . ويرجع عهد صداقتنا الأخوية هذه إلى خمسة وثلاثين عاماً مضت ، قضى منها جلالته بيننا أكثر من نصفها وكنا وما نزال خير مثل للصداقة الأخوية ، من حيث المحبة والألفة وثبات الصداقة التي

---

(١) نشر في كوكب الشرق بالقاهرة ، في ٢٠ شعبان ١٣٥٤ (١٦ / ١١ / ١٩٣٥ م)

لا تؤثر فيها حادثات الدهر ، فكيف بالصغائر التي يقوم بها ذوو الأغراض الذين يحاولون الصيد في الماء العكر . ولا يأخذنك العجب فأنا والملك عبد العزيز يصارح بعضنا بعضاً بكل ما يحدث ، أو يكون من شأنه التأثير على صداقتنا ، متبعين بذلك الآية الحكيمة القائلة : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »

« وعلى هذا المنوال ، وباتباع أوامر الله عزّ وجلّ ، بقيت صداقتنا الأخوية ومحبتنا قوية ، وكأنها ابنة يومها ، متغلبة على كل ما يرمي إلى أن يفصم عُراها . وإني أعدّ صداقتي للملك عبد العزيز إحدى نعم الله التي أحمده عليها كثيراً ..



الشيخ أحمد الجابر الصباح

موقفه بين العرب والترك

قلت في فصل سابق : إن الملك عبد العزيز لزم الحياد في الحرب العامة الأولى، فلم يتعرّض للشريف حسين في قيامه على الترك العثمانيين ، ولم يتعرّض للعثمانيين فيما ظلّ موالياً لهم من بلاد العرب .

وليس معنى هذا أن الفريقين لم يحاول أحدهما استنصاره على الآخر ، واستثارته بشتى الوسائل والمناسبات ، للخروج من حيدته وخوض الغمار إلى جانبه .

أمامنا ، على سبيل المثال ، ثلاثة كتب : أحدها من الشريف فيصل بن الحسين مؤرخ في ١٢ محرم ١٣٣٥ (١٠ نوفمبر ١٩١٦ م) يشكو فيه من استمرار التجارة بين القصيم والمدينة المنورة . والثاني من الشريف حسين مؤرّخ في ٤ جمادى الآخرة١٣٣٥ (آخر مارس ١٩١٧) يعرّض في آخره بطلب نجدة يقودها تركي بن عبد العزيز إلى حائل ، لقتال ابن رشيد . والثالث من الفريق فخري باشا القائد التركي في المدينة المنورة(مؤرّخ في ١٧ أيلول ١٣٣٤ – بالتاريخ الرومي – وهو يوافق شوال ١٣٣٦ للهجرة ، وتموز ١٩١٨ م) يتعرض فيه معاونته بالأسلحة والعتاد لحرب من سمّاه « العاصي حسين » وفتح طريق مكة لحجّاج المسلمين .

وفيما يلي نصوص الكتب المذكورة ، كما هي في أصولها المحفوظة :

١ – كتاب الشريف فيصل

جناب المكرم الأعز الأحشم الأخ الأعز الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل دام بقاه

بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته . نعرفكم من خصوصنا حنا (نحن) والاتراك ، على محاربنا السابقة ، والقصيم يأتي منه مسابل (تجار) للمدينة المنوّرة . وحنّا حاصرنا المدينة من الشرق وباقي النواحي . فالمطلوب تنبهو على أهل القصيم وكافت (كافة) دياركم عن مسابلت (مسابلة وهي المتاجرة) المدينة وإن جا (جاء) منهم أحد بعد ذاالك (ذلك) فلا يلوم إلاّ نفسه . حبينا إخباركم بذاالك لنخرج بمعذرة . هذا ما لزم والله يرعاكم وإيانا .

١٢ محرم ٣٥   بن شريف مكة وملك العرب
فيصل بن حسين

٢ – كتاب الشريف الملك حسين

سلالة الأماجد الشهم الهمام الأمير الخطير عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . في أهنا وقت قدم علينا الشيخ مساعد مصحوباً بكتبكم الكريمة والذلولين والفرس المرسلين برفقه . وتلقينا الجميع بالابتهاج والمسرة مما علم من دوام صحتكم واستقرار رفاهكم أسبل الله على الجميع سوابغ نعمه . وإن سألتم عنّا فإنا نحمد الله بنعمة وعافية والعيال (الأبناء) تعلم لكم أخبارهم الأخيرة من الصحيفة التي تطبع في البلاد نسأله لنا وإياك التوفيق لكل ما يكسبنا رضاه ويقرّبنا من رحمته .

أشار لنا مساعد معتمدكم المومى إليه بقدومكم إلى بريدة ومنزل تركي ومحمد بن عبد الرحمن حفظهم الله ووفقهم لما فيه صلاح البلاد والعباد وجعلها

مساعي مشكورة وأعمال مبرورة .

والسلاح مطلوبكم لولا الحاجة لبعثناه برفقه.وهو والم (مهيّأ) على ما يردنا منكم من زمل (ركائب) .

ورأينا أن نبيّن لكم ما يجلب إلى أصحابنا ويساق من شقرا وعنيزة من طعام وما هو في معنى ذلك بصورة علنية وسرية . وبأدنى تأمل من شهامتكم يظهر لكم ذلك ولا يكون أبلغ من هذا إعانة لأصحابنا .

وبخصوص ابن رشيد فهو قاومنا وما أدري لو تكاون (تحارب) هو وطارفة (شرذمة) من جند ولدك زيد (ابن الحسين) ولكن يذكرون لنا أن بعد (بعد ذلك) ردد جيشه ونزل في ماء سمىره غربي حائل ، وجيشه ما يتعدا (يتجاوز) الخمس . جاته (جاءته) ركايب ، وكنّه (وكأنه) هوّن (ترك) ولا نظن إلا أنه مونس (أحسّ) ببيرق تركي بن عبد العزيز الله يحفظه . والأمور بيد الله سبحانه وتعالى يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد . والله يحفظك ويرعاك . ولما ذكر تحرر ٤ جمادى الثانية ١٣٣٥

شريف مكة وأميرها
وملك البلاد العربية
حسين

٣ — كتاب فخري باشا

بسم الله وحده

عن المدينة المنورة
١٧ أيلول ٣٤

حضرة صاحب السعادة والي نجد وقائدها الأمير عبد العزيز باشا بن السعود المحترم أدام الله إقباله

إن الكتاب الذي أرسلناه طيّ هذا تأخر لأننا ما وجدنا نجاباً أميناً . (الكتاب المذكور إخبار بوفاة السلطان محمد رشاد وجلوس وحيد الدين) .

قد استبشرنا بأن المطاوعين (المطاوعة) الساكنين في وادي خورما (الحرمة) أخذلوا (خذلوا) عونة (أعوان) العاصي حسين . وبأن حضرتكم لأجل فتح طريق مكة للإسلام وأداء فريضة الحج قد وصلتم إلى بريدة فأبارك لكم عن صميم الفؤاد باسم الإسلامية تجاه هذه الحركة الجليلة الواقعة على العاصي حسين .

أبين لجنابكم أنكم إذا قبلتم معاونتنا بالأسلحة والجبخانة والمدافع والرشاشات والمصارف (النفقات) اللازمة فإننا حاضرون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قائد الحملة السفرية الحجازية

فريق : فخري

، ، ،

وفي كتاب « حاضر العالم الإسلامي » (١) للأمير شكيب أرسلان :

« لما اشتعلت الحرب العامة، راسلت الدولة الأمير ابن سعود ، في خوض غمراتها إلى جانبها . فلم يُجب طلبها . لا كرهاً بها ، بل خوفاً على بلاده من الإنكليز . لا سيما بعد أن رأى تقدمهم في العراق . على أنه من الجهة الثانية لم يأت عملاً تقدر أن تعاتبه الدولة عليه ، بالرغم من مساعي الإنكليز لديه في ذلك . فكانت خطته في هذه الحرب التزام الحياد التام » .

---

(١) الجزء الثاني ، حاشية الصفحة ١٠٣ الطبعة الأولى .

يزيل إمارة آل عائض

آل عائض ، أسرة تنتسب إلى مؤسس إمارتها « عائض بن مَرْعي » من أهل رَيْدة . من آل يزيد ، من بني مُغَيْد ، من قبيلة عَسير . كان مركز إمارتهم في بلدة « أبْهَا » وهي على تل منبسط ، في وسط عسير .

وكان عائض في مبدأ أمره من أصحاب الإبل، واشتهر بالشجاعة . ولما وصلت الحملة المصرية إلى عسير ، سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٤ م) ، استبسل في صدّها . وكانت الإمارة فيها ، لعمّه عليّ بن مُجَثّل[1] فجعل له الإمارة من بعده . وتوفي ابن مجثل في شوال من السنة نفسها .

قال النعمي[2] : كان عائض من أنبل رجال عسير زكاء وشجاعة ، وبايعه العسيريون بالإمارة في شهر شوال ١٢٤٩ أي على أثر وفاة ابن مجثل .

واستمرّ عائض في حكم عسير ، إلى أن توفي سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧م)[3] وخلفه ابنه محمد ، في حداثة سنه . قال فؤاد حمزة : بلغت قوة آل

---

(١) خالد الفرج . وقال الريحاني وحافظ : «كان عائض راعياً» ..ولا يتفق هذا مع إمارة عمه وتوليه الإمارة بعده

(٢) في تاريخ عسير ١٨٦

(٣) أنظر كتاب « في ربوع عسير » لمحمد عمر رفيع ، ص ٢٢١ – ٢٣٦ وكتاب « في بلاد عسير » لفؤاد حمزة : أبناء « عائض » وفروعه ١٠١ – ١٠٣

عائض أوجها أيام « محمد » هذا . فوسّع حكمه على سائر عسير السَّراة وقسم من الحجاز (غامد وزهران) وقسم كبير من تهامتي عسير واليمن . وقال الريحاني : بسط محمد « الفاتح » سيادة آل عائض ، في ما دون السراة من البلدان ، فوصل شرقاً إلى بيشة ، وشمالاً إلى حدود الحجاز ، وجنوباً بغرب إلى المخا ، في تهامة . وقال محمد رفيع[١] ما مؤداه : ختمت حياة محمد بن عائض ، بمأساة. فقد أراد الاستيلاء على الحُديدة ، وتصدى له الترك ، فأصيب بهزيمة تلتها هزائم . وحوصر في حصن « رَيْدة » إلى أن ضمن له أحد قواد الجيش العثماني (أحمد مختار باشا) سلامته وسلامة أهله . وخرج من الحصن ، فقبض عليه القائد العام (محمد رديف باشا) مع ٣٥ من رجاله ، وقتلهم جميعاً في شهر صفر ١٢٨٩ ﻫ (١٨٧٢ م)

وفي قلب جزيرة العرب [٢] تفصيل آخر لخبر مقتله ، خلاصته : أن الشريف محمد بن عون توسط بين ابن عائض والدولة ، على أن يُسلّم هذا بلاده ، وأن تحفظ له الدولة أمواله وخيوله وحصونه ، وتعيّن له ولأسرته ولبعض الرؤساء مرتبات ومشاهرات . فوصل الفرمان بالأمان ، بينما كانت الجيوش العثمانية بقيادة مختار باشا محاصرة أبها ، فاستسلم محمد إلى مختار باشا . وأرسله مختار إلى رديف باشا . ولم يعبأ هذا بالفرمان ، وأعدم ابن عائض ..

وبعد مقتل محمد ، فرّ آل عائض جميعاً من أبها وأطرافها في عسير السّراة . وظلّوا بعيدين عنها إلى أن كانت فتنة محمد علي الإدريسي[٣] عام ١٣٢٩ ﻫ (١٩١١ م) وعيّنت الدولة العثمانية سليمان شفيق كمالي باشا متصرفاً في أبها ، فعاد آل عائض إليها ، فقرّبهم منه ، وعيّن أحدهم « حسن ابن علي بن محمد بن عائض » معاوناً له .

ولما أعلنت الحرب العامة الأولى ، ظل حسن ابن عائض ، على ولائه

---

(١) في ربوع عسير ٢٣٧ — ٢٤٥

(٢) الصفحة ٣٥٥

(٣) أنظر ما سيأتي تحت عنوان « الملك عبد العزيز يقضي على دولة الأدارسة »

للدولة . وتعاون مع محيي الدين باشا (متصرف عسير وقائد فرقتها) على مقاومة الإدريسي[١]

وانتهت الحرب بجلاء الترك عن بلاد العرب ، فاستقل حسن ببلاده . وكان مستبداً ظالماً نفرت منه القبائل ، خصوصاً « قحطان » و « زهران » كما يقول الريحاني . وقال فؤاد : استقل بعد جلاء الترك ، وشرع في إدارة بلاده على شكل أحفظ الناس . وفي صقر الجزيرة : انصرف عن إدارة الحكومة إلى إشباع شهواته من متع الحياة ولذات الدنيا . وفي مخطوطة خالد الفرج : حصلت بينه وبين رعاياه خلافات أدت إلى لجوئهم لعبد العزيز ، شاكين من ظلم « حسن » وعسفه .

وكانت لأسلاف الملك عبد العزيز سيادة في هذه المقاطعة من عسير[٢] وأهلها شوافع ، ومنهم في الشمال الشرقي حنابلة سلفيون[٣] فكتب عبد العزيز إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ، ينصحهم بالمسالمة ويدعوهم للرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم ، من العمل بكتاب الله وسنة رسوله . وبعث إليهم ستة من علماء نجد[٤] لإصلاح ذات البين[٥] .

ورفض الأمير حسن وساطة عبد العزيز . ورد الوفد رداً قبيحاً[٦] ، فجهز عليه عبد العزيز قوة — نحو ألفي مقاتل — يقودها ابن عمه عبد العزيز ابن مساعد بن جلوي سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢١ م) فقاومهم ابن عائض في مكان يدعى « حَجَلَة »[٧] بين أبها وخميس مشيط . وظفر ابن مساعد ،

---

(١) قلب جزيرة العرب .

(٢) تاريخ نجد الحديث . وقلب جزيرة العرب .

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين .

(٤) تاريخ نجد الحديث .

(٥) و (٦) خالد الفرج . وفي تاريخ نجد : « قال حسن : إذا كان ابن سعود يدخل في شؤون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل ونستولي عليها »

(٧) حجلة ، بفتحتين ، ويقال بكسر الحاء وسكون الجيم ، وفيهم من يقول « حجل » بكسر فسكون .

فدخل أبها . ثم استسلم حسن ابن عائض وابن عمّ له اسمه «محمد» فأرسلهما ابن مساعد إلى الرياض ، فقوبلا بالعفو والأمان . وأقاما شهراً في ضيافة عبد العزيز . وورد على عبد العزيز كتاب من الإدريسي — وكان موالياً له — يخبره بأن بعض آل عائض الفارّين ، قد دخلوا حدوده (في عسير)واعتقلهم . فأجابه عبد العزيز بالشكر وطلب منه إخلاء سبيلهم ، فأطلقوا .

قال عبد العزيز لابن عائض[١] : ما تخلينا عنكم قط يا آل عائض ، وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكّل بكم أرسل الشريف يستنجد عمي الإمام عبدالله ، فأجابه : ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه ؟

وعرض عبد العزيز على حسن ابن عائض أن يعود إلى إمارته في أبها ، مشترطاً أن يكون معه كما كان أسلافه مع آل سعود . فاعتذر قائلاً : « عادينا الناس ، ونخشى إذا عدنا إلى الإمارة أن يقوموا علينا . ولكنّا نكون معاونين لمن تولونه الإمارة أيدكم الله . ولا تقصّروا علينا من جهة الدنيا .. فقبل عذره وأعاده وابن عمه إلى بلادهما بعد أن منحهما ٦٥ ألف ريال (٦٥٠٠ جنيه ذهباً) وخصّهما وأهلهما بمشاهرات مالية[٢]

أقام حسن إلى جانب عامل الملك عبد العزيز في أبها ، واسمه « شُويش الضُويحي » من مطير[٣] ثم كتب إلى الملك عبد العزيز يشكوه ، فعزله عبد العزيز وأمّر مكانه « عبدالله بن سويلم » [٤]فلم تمض مدة حتى طلب عزله . وأجابه عبد العزيز إلى طلبه فأرسل عوضاً عنه « فهداً العُقَيلي » .

وكان حسن يتعمد الشكاية من العمّال (الولاة) ويعمل على استبدالهم

---

(١) تاريخ نجد .

(٢) تاريخ نجد .

(٣) و (٤) صقر الجزيرة .

ليستعيد نفوذه أمام قومه ، وهو يتحفز للانتقاض . وتمّ له ما أراد .

، ، ،

اتصل حسن ابن عائض بالشريف حسين – في مكة – سراً . فبعث إليه الشريف بمال وعتاد . ونفخ الشيطان في خيشومه ، فوثب على أمير أبها « فهد العقيلي » واعتقله . ووصلت الأخبار إلى الرياض ؛ فجهّز عبد العزيز حملة كبيرة قيل : هي عشرة آلاف مقاتل . وولى قيادتها ثاني أنجاله « الأمير فيصل » فزحف بالحملة في أواخر سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) وقاتله ابن عائض ، فظفر « فيصل » بعد معارك حامية . ودخل أبها في صفر ١٣٤١ (١٩٢٢ م) واعتصم ابن عائض ببلدته « حَرَمَلَة » وهي حصينة في جبل صعب المرتقى . فحاصرها فيصل إلى أن فتحها عنوةً وفرّ ابن عائض وبعض قومه ، فعفا فيصل عمن بقي فيها منهم ومن غيرهم .

ومضى ابن عائض إلى القنفدة [1] مستنجداً بالشريف (الملك) حسين. وأمدّه هذا بجيش يقوده الشريف عبدالله بن حمزة الفِعْر .

وعلم فيصل بن عبد العزيز بأخبار هذه الحملة قبل وصولها ، فأرسل إليها سرية تناوشها وتنسحب ، استدراجاً لها . فأخذ رجال الحملة الغرور ، وتقدموا متوغلين في عقبات عسير . حتى أصبحوا على بضع مراحل من « أبها » وهناك وقعوا في الكمين ، فمُزّقوا شرّ مُمزق . ونجا الفِعْر وابن عائض بأعجوبة [2] .

واستتب الأمر للأمير فيصل بعد هذه الواقعة . فولّى « سعد بن عُفَيْصان » الإمارة في « أبها » وأبقى فيها حامية (نحو ٥٠٠ مقاتل) وعاد إلى الرياض ، فبلغها في ٢١ جمادى الأولى ١٣٤١ (أوائل ١٩٢٣ م)

، ، ،

---

(١) الشائع ورودها بالذال المعجمة وحققها الشيخ حمد الجاسر بالدال المهملة .

(٢) مذكرات خالد الفرج . وتاريخ نجد الحديث .

غير أن ابن عائض لم يعتم أن عاد مع الفِعر ، في جموع من أهل تهامة ، يريدون أبها . وقاتلهم ابن عفيصان ، فانهزموا . وتوفي ابن عفيصان على الأثر (سنة ١٣٤٢ هـ) فولي الإمارة بعده «عبد العزيز بن إبراهيم»[1] فتمكّن من القضاء على آخر أمل ومعقل لآل عائض ، فاستسلموا . فوجّههم إلى الرياض وفيهم حسن ومحمد ، فلم يجدوا من عبد العزيز غير الرعاية . وظلّ بعضهم في الرياض ، مكرمين ، ككثير من أمثالهم .



جانب من سوق «أبها» القديمة

(١) من أسرة آل فضل، من بني «لام». اشتهر في إمارته بالمدينة ، بعد توحيد الحجاز ونجد.

الملك عبد العزيز

يزيل إمارة آل رشيد

شغل الملك عبد العزيز عن آل رشيد ، بأحداث أتينا على ذكر بعضها ، ويرد الكلام على بقيتها في فصول أخرى . كان منها نشوب الحرب العامة والتزامه الحياد . ولآل رشيد صلة بالترك ، والترك مع أحد طرفي القتال ، فترك الرشيديين وترْكهم ، إلاّ مناوشات في بعض الفرص ، كان يريد بها أن يعلم آل رشيد أنه ما زال لهم بالمرصاد . ومنها ظهور مناوىء جديد لعبد العزيز ، لم يسلف إليه ما يستثير حفيظة أو يفضي إلى عدوان ، ذلك هو الشريف حسين « باشا » أمير مكة المكرمة ، قبل أن يصبح ملكاً للحجاز ، وقبل أن يدعوه بعض رعاياه أمير المؤمنين . فكان اختطاف سعد بن عبد الرحمن ، وكانت وقعة « تربة » وعالج عبد العزيز أمور مبارك الصباح والعجمان الخ .

وهو إلى جانب ذلك كله ، قرير العين بأن كثيراً من قبائل « شمّر » رجال آل رشيد ، أقبلوا على التحوّل عن بداوتهم ، وراقت في أعينهم سكنى « الهِجَر » فشاركوا في بنائها ودخلوا في زمرة « الإخوان » عن طواعية واختيار .

وقد كانت وقعة جراب سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) بين السعوديين والرشيديين ، كبداية « هدنة » غير مقصودة ، استمرت خمس سنوات ،

قتل في خلالها سعود بن عبد العزيز بن متعب الرشيد غيلة في بلاده سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) وانتقم له عبيده ، ففتكوا بقاتله عبدالله بن طلال بن نائف بن طلال ، في الحال[1] ونادوا بإمارة عبدالله بن متعب بن عبد العزيز (ابن أخي القتيل) وفرّ محمد بن طلال (شقيق القاتل) إلى الجوف . وأراد عبد الله بن متعب تثبيت إمارته بمصالحة الملك عبد العزيز ، فكتب إليه . وأجيب بشروط : منها أن تكون إمارة آل رشيد في جبل شمّر داخلية صرفة ، وتكون شؤونها الخارجية في يد الملك عبد العزيز . فرفض ابن متعب شرط ابن سعود .

وتفرّغ عبد العزيز ابن سعود للقضاء على هذه الإمارة التي لقي منها ما لقي . فأرسل من شنّ الغارات على حائل وأطرافها . ثم وجّه أخاه محمد بن عبد الرحمن وابنه سعوداً ، في حوالي ستة آلاف مقاتل ، حاصروا حائلاً في أواخر سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) وطال حصارها ، فعاد محمد بن عبد عبد الرحمن إلى الرياض ، وظلّ سعود .

وفي أثناء الحصار ، رجع محمد بن طلال من الجوف . وخاف عبدالله ابن متعب شرّه فخرج من حائل ، مستسلماً للأمير سعود ، فعاد به سعود إلى الرياض[2] .

وبقي « مسند » الإمارة في حائل شاغراً بعد ذهاب عبدالله بن متعب ، فشغله محمد بن طلال . وكان هذا من أشجع رجال البيت الرشيدي ، ومن أرشدهم . لولا أنه ولي الأمر ، وقد دبّ الانحلال في عناصر الإمارة .

---

(١) قال مؤرخو هذا الحادث : إن سعود بن عبد العزيز المتعب ، أمير حائل، خرج في نزهة ومعه عبدالله بن طلال ، وجلسا يتسليان برمي « النيشان » - الهدف - وعلى حين غرة أطلق ابن طلال بندقيته على سعود فأسال دماغه . وعمد إلى فرسه فركبها ، ليدرك « مسند » الإمارة قبل الفوات . فرماه عبيد سعود ، فألحقوه بضحيته .

(٢) في الجزء الثاني من « صقر الجزيرة » وفي تاريخ نجد الحديث ، تفصيل استسلام ابن متعب . وفي مذكرات خالد الفرج أنه توفي بعد ذلك في الرياض سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) .

وانتهز محمد بن طلال فرصة ابتعاد سعود بن عبد العزيز عن أبواب حائل ، وعودته بابن متعب إلى الرياض ، فنهض يلمّ شعثه . وعبّأ جيشاً غزا به القبائل الموالية لابن سعود . فوجّه إليه عبد العزيز قوة بقيادة فيصل ابن سلطان الدويش ، تشاغله ، وأقبل هو يقود جمعاً كبيراً ، فاعتصم ابن طلال في قرية تسمى « النّـيصيـّة » على بضعة كيلومترات من حائل . وضربه عبد العزيز ،في أول المحرم ١٣٤٠ ﻫ (١٩٢١ م) فتقهقر إلى جبل « أجأ » ثم إلى « حائل » وعبد العزيز يباشر القتال بنفسه ، حتى ضيّق عليه المسالك ، وأحكم حصار حائل ، فجاعت . وتحدث أهلها بالتسليم ، ولكنهم خافوا نقمة ابن طلال . وكثر الوسطاء بينهما بالصلح ، وعبد العزيز يأبى إلاّ أن تزول إمارة آل رشيد . وانتهى الأمر بأن رضي ابن طلال بشروط الملك عبد العزيز :

١ – يسلّم ابن طلال نفسه ، ومعه آل رشيد جميعاً .

٢ – يعيشون في ظل عبد العزيز آل سعود ، بعيدين عن حائل ، معزّزين مكرّمين .

٣ – يعفو عبد العزيز عن كل من اشترك مع ابن طلال ، في حربه ، من رجال حكومته وأتباعه ورعيته ومن والاه ، عفواً شاملاً .

، ، ،

وسلّم محمد بن طلال وأعيان قومه ، أنفسهم في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (آخر اكتوبر ١٩٢١ م) تنفيذاً للبند الأول .

ودخل عبد العزيز – على الأثر – مدينة « حائل » في آخر صفر ١٣٤٠ ﻫ (أول نوفمبر ١٩٢١ م) بعد أن حاصرها خمسة وخمسين يوماً ذاقت في خلالها مرارة الضّنك والجوع .

، ، ،

قال مؤرخو هذه الواقعة : لما رأى الملك عبد العزيز ما صار إليه أهل حائل من الجوع ، أسعفهم بما في معسكره من طعام ولباس ، وبذل لهم الأعطيات ، مما لم يُسمع مثله عن أحد من الفاتحين قبله .

، ، ،

وأقام عبد العزيز في حائل شهر صفر وبعض ربيع الأول ، ينظّم شؤونها . واستشار أهلها فيمن يولّيه إمارتهم ، فطلبوا أن يكون من أبنائه أو أقربائه ، فأجاب : لا آمن أن أولي عليكم أحداً منّا ، فالجراح لم تندمل ، وأنتم أهل فتنة .

وولى عليهم إبراهيم السبهان من بني عمّ آل رشيد ووزرائهم . ثم عاد إلى الرياض ومعه أسرة آل رشيد ، فأنزلها خير المنازل ، ورتب لها المخصصات الشهرية ، وصاهرها .

وكان ذلك آخر العهد بأقوى إمارة في شبه الجزيرة شغلت ابن سعود ثلاثين عاماً ، طريداً ، فمغامراً ، فندّاً ، ففاتحاً .

، ، ،

استطراد عن آل رشيد

في « قلب جزيرة العرب » تفصيل لما حلّ بآل رشيد فيما بينهم إلى أن زالت إمارتهم ، يحسن على سبيل الاستطراد إيراد خلاصته : كان عبد العزيز ابن متعب الرشيد (المقتول سنة ١٣٢٤ هـ) قد خلّف أربعة أولاد ، هم : متعب ، ومشعل ، ومحمد ، وسعود . فتولى « متعب » إمارة حائل وجبل شمّر إلى أن قتله سلطان وسعود وفيصل أبناء حمود من آل عُبَيد ، من الرّشيد . وقتلوا معه أخاه مشعلاً . وتولى « سلطان » الإمارة ، فقتل محمداً الأخ الثالث لمتعب ؛ ثم وثب على « سلطان » أخواه سعود وفيصل ، فقتلاه . وتولى سعود بن حُمُود الإمارة ، فلم تستقر أمورها ، فجيء بسعود — الابن

الرابع لعبد العزيز بن متعب — وكان صغيراً في نحو العاشرة[1] فنصب أميراً وناب عنه في إدارة الحكم خاله حمود السبهان .

ومات حمود السبهان مسموماً بيد مجهولة،فتولى الأحكام بعده زامل السبهان[2] وحدثت مجزرة دموية بحائل قتل فيها أكثر أفراد آل عبيد . وفي أيام زامل السبهان خرج الجوف ووادي السرحان من حكم آل رشيد . ووثب على زامل قريب له اسمه سعود بن سبهان فقتله سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) .

وارتفع شأن سعود بن سبهان في حائل حتى فكر في اغتيال الأمير الشرعي سعود بن عبد العزيز الرشيد ليستولي على الإمارة .. فانكشفت مؤامرته ، ففرّ إلى جهة الزبير ، فمات سنة ١٣٣٩ وعهد الأمير سعود الرشيد بإدارة الأحكام إلى عُقَاب بن عِجْل . وقام عبدالله بن طلال بن نايف من آل رشيد،على الأمير سعود — وهو من أبناء عمه — فقتله سنة ١٣٤٠ فوثب عَبِيد الأمير سعود ، على عبدالله بن طلال فقتلوه في الحال . وكان لمتعب بن عبد العزيز الرشيد ابن اسمه « عبدالله » فاتفق أهل حائل على توليته . فلما ولي قبض على محمد بن طلال شقيق عبدالله الطلال قاتل الأمير سعود ، وسجنه .. واختلف عبدالله بن متعب مع السلطاق عبد العزيز ، ابن سعود ، فقاتله ؛ واستسلم عبدالله ، فاقتيد إلى الرياض ، فأقام فيها طليقاً مكرماً. وبعد استسلامه أُخرج محمد بن طلال من السجن ، وولي الإمارة ؛ فنكّل بالموالين لابن سعود ، فأرسل اليه عبد العزيز ، فيصل بن سلطان الدويش

(١) في كتاب مرآة الحرمين ٢ : ٢٠٨ ذكر للأمير سعود هذا . وفيه صورته مع أخواله .

(٢) في تاريخ نجد ، لفلبي ، أن زاملا هذا من أجل تقوية سيطرته على أمور الدولة ، تزوج أم الأمير سعود بن عبد العزيز بن متعب ، فكان زوجها الرابع . وقد كانت سابقاً على التوالي زوجة محمد بن رشيد العظيم ، ثم عبد العزيز بن متعب بن رشيد ، ثم سلطان بن حمود ، الذي قتل ابن زوجها الثاني متعب بن عبد العزيز وتولى مكانه . قال فلبي : ان احتجاب النساء في الجزيرة العربية لم يحل قط دون ان يكن ذوات دور هام في « شطرنج » الدولة .

ـوكان لا يزال على الطاعة ـ فقاتله في« الجـثـامية » وحاصره في « حائل »
ووصل عبد العزيز السعود ، فاستسلم إليه محمد بن طلال في ٢٩ صفر ١٣٤١ (١٩٢١ م) وضمّت حائل[١] وديار شمر إلى حكم عبد العزيز ابن سعود .

وانتهى حكم آل رشيد ، وقد دامت إمارتهم قرابة ٩١ عاماً .

---

(١) تبعد حائل عن الرياض ٥٧٠ كيلومتراً إلى شماليها الغربي .

يحارب البداوة

للبداوة خطرها في شبه الجزيرة . فهي تشغل الحيّز الأوسع ، فيما بين الخليج العربي والبحر الأحمر ، وما بين خليج عدن وما يقابله في الشمال . وتقوم « حواضر » البادية في واحات متفرقة – كبيرة أو صغيرة – يكاد بعضها لا يَبين إلاّ كالجزر غير الآهلة بالسكان ، في عرض البحر ، إذا استثنينا مساحات معينة منها .

وفي الناس كثيرون يجهلون ما في قلب الجزيرة من عمران أو حضارة (بمعناهما اللغوي) فإذا عنّ لهم ذكر تلك الرقعة الفسيحة من شبه الجزيرة ، قالوا : صحراء . وإذا ذُكر لهم سكانها تمثّلوا البداوة عامّة فيهم . وذلك خطأ . ففي قلب الجزيرة وما يتصل به ، قرى متعددة ، وسكان مقيمون . بيوتهم من الحَجَر والمدر ، يعيشون من خير الزرع والضرع ، وفيهم صناعات يدوية ابتدائية . عرَفهم التاريخ ، وظهر فيهم مؤلفون وأدباء وشعراء في عصور مختلفة . وما دعوة محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي إلاّ مظهر من مظاهر قهر البادية ، ومحاربة وثنيّاتها ، فضلاً عن الإصلاح الديني والخلقي في الحواضر من مدن وقرى .

وليس في اليد « إحصاء » لأهل البوادي ، سكان بيوت الشعر المتنقلين ، الدائبين سعياً وراء العشب ، في تلك البقعة أو البقاع ، لنتمكن من المقارنة

بين عددهم وعدد الحَضَر فيها . ولكن يمكن القول إن هناك٦٠ في المئة من البدو ، يقابلهم ٤٠ في المئة من الحضر .

والبدو ليسوا على مستوى واحد من الخُلق والطبع . ففيهم الذين تكثر مجاورتهم للحواضر فيكسبون منها بعض المرونة ، ومنهم الجفاة القساة العريقون في البداوة . وقد لقي عبد العزيز من هؤلاء الأمرّين ، في صباه ، وفي عهد حروبه ، وبعد استقراره .

جاورهم أيام نزول أبيه في جنوبي قَطَر ، فعرف الخلَف في آل مرة ، وغِلَظ القلوب في العجمان ، لا عقيدة يومئذٍ ولا ذمام . ورأى بعد ذلك بادية مُطَير ، يوماً له ويوماً عليه ، وعُتيبة وراء الغالب ، تفوز بأسلاب المغلوب . فكان رأيه في « البدو » على العموم ، مزيجاً ، فيه الارتياع من تغلّب « الضراوة » في فريق منهم ، وفيه الإشفاق عليهم من حياة كلها مكاره ، وفيه الشكّ في إمكان استصلاحهم لخيرهم وخير غيرهم .

ولكن عبد العزيز لم يكن يعرف اليأس ، فجعل همّه إخراج البادية مما هي فيه ، إن لم تكن كلها ، فجلّها ، أو أقلّها . فعمد إلى ثلاث وسائل :

الأولى : السيف . لقد شنّها حرباً عواناً على البادية . وسيرته من سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) إلى سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) مليئة بغاراته على البدو ، لكسر شوكتهم وإخضاع عصاتهم .

والثانية : الإكثار من « المطاوعة » في القبائل . وأهم ما يقوم به المُطَوَّع : الإرشاد إلى « الطاعات » وهو كالخطيب في القرية ، يصلي بأهلها ، ويعلّم أبناءها ، ويفتي كبارها ، ويعقد لها في الزواج ، ويقسّم مواريثها ، ويتوسط في حلّ مشكلاتها . وللمطوّع في قبائل « البدو » الرحالة وفي القبائل المستقرة ، بل في القرى والمدن أيضاً ، سلطة الزجر عن المعاصي . تساعده السلطة التنفيذية التي هي شيخ القبيلة أو رئيس القرية أو حكومة المدينة .

والثالثة : وهي من مفاخر عبد العزيز البارزة : « الهِجَر » جمع هِجْرة وهي في عرفهم الانتقال من البداوة إلى الحضارة . فحيثما وُجد الماء في قلب الجزيرة ، كان على أقرب قبيلة بدوية منه ، أن تهجر بيوت الشعر ، وأن تبني إلى جوار الماء ، وتقتني الماشية وتزرع وتحصد ، وتستقرّ . ولها من بيت المال المساعدة على البناء وعلى الزراعة . ومصيرها أن « تتحضّر » .

، ، ،

بهذه الوسائل حارب عبد العزيز البداوة . بالقوة تنشر الأمن وتزجر المتمرّد ؛ وبالمطاوعة يعلّمونهم أصول دينهم ويصقلون طباعهم ويوجهونهم إلى الخير ؛ وبالهِجَر يستعيضون بها عن انتجاع الكلأ والصراع في سبيله ، وعن السلب والنهب .



من « بادية الحجاز » في العهد السابق ، كما صوّره ديجوري

والهِجَر المنشأة في عهده

لكي يدرك القارىء ما كان للهِجَر في بدء إنشائها من الأثر في نظر البلاد المجاورة لنجد ، نقتبس كلمة من مقال نشر سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ، عن هجرة « الأرْطاوية » أو الأرْطَوِية » نسبة إلى شجر « الأرطى » وهو كثير بقرب تلك « الهجرة » يشبه الغَضا . قال كاتب المقال[١] :

« منذ بضعة أشهر ، باعت إحدى عشائر نجد خيلها وجمالها وما عندها من العُروض والأموال ، في سوق الكويت وغيره . وهبطت وادي «الأرطاوية» فبنت فيه الدور والأبهاء . وشرعت تعنى بأمرين لا غير ، هما الزراعة والعِلم . وقد أهمل أفرادها كل شيء سواهما . وهم لا يأذنون لواحد منهم أن يشتغل بغير الزراعة والعلم . وإذا احتاجوا إلى شيء ليس في بلادهم ، أرسلوا من يجلبه من المدن المجاورة لهم .

« واسم العشيرة التي أخذت بالتحضر ، وتخطيط المدينة لنفسها ، العُريمات – بالتصغير – وكان شيخها يسمى قُويعد العُريمة . والعريمات قسم من قبيلة حرب وهي قحطانية الأصل . نزلوا بوادي « الأرطوية » وبنوا فيه منازل

(١) سليمان الدخيل ، في مجلة لغة العرب ، ببغداد ٢ جمادى الآخرة ١٣٣١ اقتبسته بتصرف ، للإيجاز .

واسعة ، وحفروا آباراً غزيرة الماء يتراوح عمقها بين المترين والثلاثة .

« ويحدّ الأرطاوية – على وصف أهل البادية هناك – من جهة الشمال الزُّلفي والمَجْمعة ، وفي قبلتها طُويق ، وفي شرقيها الدهناء . أما غربيها فيحدها فيه الضُّوَيحي ، وهو نفود رمال يقال لها نفود مجزَّل . وفي جهة الجنوب شِعْبا العُرْمة . وإذا سرت وجعلت الضويحي عن يمينك تنزل فيضة السبلة[1] وهي روضة تفيض فيها أودية كثيرة.ويزرع أهل الزلفي فيها زروعاً أوان انحدار المطر . وأما « طُويق » فجبل عريض الأطراف ، يبعد عن الزلفي ١٤ ساعة من شماليه . وسمي بهذا الاسم لأنه يطوق اليمامة .

، ، ،

وفي « قلب جزيرة العرب »[2] : « أنشئت الهجرة الأولى على آبار الأرطاوية الواقعة على الطريق بين الزلفي والكويت عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وسكنها سعد بن مُثَيب (من حرب) ثم أعطيت لفيصل الدويش وجماعته (من مطير) وأصبحت خلال بضع سنوات مدينة عامرة ، فيها من السكان ما يزيد على عشرين ألفاً .

« وتلا إنشاء هجرة الأرطاوية قيام حركة عامة بين البدو ، لترك حياتهم البدوية والسكنى في قرى جديدة كانوا ينشئونها بمعونة بيت مال المسلمين . تُحفر البئر ، ويُبنى المسجد الذي هو مجتمع القرية ومدرستها ، وتُبنى البيوت بسرعة .

« وكانت هِجْرة البدو الأولى ، من بداوتهم إلى دار الهجرة ، هجرة دينية محضة . فباعوا الإبل وأهملوا أمرها . وشرعوا في دراسة الدين ، فغُصت بهم المساجد . فأصدر العلماء فتوى شرعية بضرورة العمل للكسب من التجارة

---

(١) المكان الذي نشبت فيه بعد ذلك معركة « السبلة » المشهورة بين الملك عبد العزيز وفيصل الدويش .

(٢) لفؤاد حمزة

والزراعة . فأقبل أهل الهجَر عليهما . وقد دعوا انفسهم « الإخوان » دلالة على رفع الفروق من بينهم ، وصيرورتهم إخوانا في الله ، بعد أن كانوا بالأمس أعداء ألدّاء .

ثم ذكر أن الريحاني أورد « لائحة » بالهجر ، وعدد الذين يلبون دعوة الجهاد منها ، فكانت ٧٢ هجرة لمختلف القبائل النجدية .

وعقّب على ذلك قائلا : إلا أن هذا العدد أقلّ بكثير من عدد الهجر الحقيقي . فقد جاء في كشف الهجر التي حضر مندوبوها اجتماع الجمعية العمومية في الرياض ، عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) اسم ١٢٢ هجرة .

والهجر ، من حيث الحرب والسياسة — كما يقول فؤاد — معسكرات في أنحاء البادية . والإخوان جند هذه المعسكرات ، يسيرون بأمر القائد الأعظم عبد العزيز ابن سعود في أيّ وقت شاء

ولا خلاف بين الريحاني وفؤاد في عدد الهجر ، فكلاهما ذكر العدد الذي بلغته في وقت تأليف كتابه . وقد أصبح عددها سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠م) مئة وثنتين وخمسين ١٥٢ هجرة ، كما في مخطوطة خالد الفرج وغيرها .

وفيما يلي اسماؤها مرتبة على الحروف . وإلى جانبها أسماء القبائل التي عمرت تلك الهجَر واستقرّ فيها جماعات منها :

الهجر

الهجرة	القبيلة	الهجرة	القبيلة
أُبَيْرِق	(آل مُرّة)	أم رَبيعة	(العُجْمان)
الأجْفَر	(شمّر)	أم القُلْبان	(شمر)
الأثْلَة	(مُطَير)	البِدْع	(سُبَيع)
الأرْطاوي	(مطير)	البِدْع	(حَرْب)
الأرْطاوية	(مطير)	البُدوع	(بنو مرة)
أمّ حَزْم	(=)	البَرّة	(العجمان)

البـُرُود (حرب)
البـُصَيـْري (حرب)
البـَعايث (حرب)
البـُقَيعا (=)
بُقَيـْعة (=)
البـَلاّزيـّة (عنزة)
بـُوجَلال (عتيبة)
أبـُو مُغَيـْر (حرب)
بيضا نَثيل (عنزة)
التـَّيـّم (شمر)
ثاج (العوازم)
ثادِق (حرب)
الثامرية (مطير)
جُبـّة (شمر)
الجِرْذاوية (حرب)
الجُعَلة (مطير)
الجُفَيـْر (قحطان)
جَلـْمُودة (بنو خالد)
الجِسْو (مطير)
الجِسْي (سبيع)
الجِسْي (العوازم)
الحَصَاة السُفلى (قحطان)
الحَصَاة العُليا (=)
الحُفَيـْر (شمر)
الحُفَيـّرة (عتيبة)

حُلـَيـْفة العُليا (حرب)
حُلـَيـْفة السُفلى (حرب)
حُمَيـّان (عتيبة)
الحِنـّاة (العوازم)
حَنـِيذ (العجمان)
حُنـَيـْظِل (حرب)
الحَيـْد (عتيبة)
خُرَيـْفِط (هتيم)
الحشبي (حرب)
الحَضَر - الأخضر (سبيع)
خُصَيـّبة (حرب)
دابان (مطير)
الداث (حرب)
الداهِنة (عتيبة)
دُخْنـَة (حرب)
الدِفي (بنو خالد)
الدُلـَيـْما (العجمان).
الدُلـَيـْمية (حرب)
الذيبِية (=)
الروض (هتيم)
الرّوْضَة (عتيبة)
الرُوَيـْضة (=)
الرُوَيـْضة (سبيع)
الرَّيـْن (قحطان)
الرين السفلى (=)

الرين العليا (قحطان)
الزُّغَيِّن (العجمان)
ساجِر (عتيبة)
الساقِية (حرب)
السِكك (بنو مرة)
سَنَام (عتيبة)
شُبَيْرِمة (عتيبة)
الشُبَيْكية (حرب)
الشّعَيْبي (شمر)
الشّعَيْبية الأولى (عنزة)
الشّعَيْبية الثانية (=)
الشفَلّحِية (مطير)
الشُقَيِّق (شمر)
الشَّمْلي (عنزة)
صَبْحا (قحطان)
الصَحّاف (العجمان)
الصَرّار (العُجمان)
الصّفْرا (شمّر)
صَلاصِل (بنو هاجِر)
الصُّمْعُورية (حرب)
الصُّنَيْنَا (شمر)
الصهوة (=)
الصَّوْح (عُتَيبة)
الضُّبَيْعَة (سُبَيع)
ضَرِيّة (مُطَير)

الظَّفير ـ هِجرة (شمّر)
طَيّبِسْم : (قحطان)[1]
عُنَيّق (العوازم)
عَرْجة (عتيبة)
عَرْوى (=)
عُرَيْعِرة (العجمان)
عُسَيْلة (عتيبة)
العُظَيْم (شمر)
العُقْلة (شمر)
عُقْلة الصقور (حرب)
العَمار (مطير)
العَمايِر (هتيم)
العُوَيْنة (عُوينة كِنْهِر) (وقديماً كِنْهِل) : (العجمان)
عَيْنْ دار (بنو هاجِر)
غسْل (حرب)
الغُطْغُط (عتيبة)
غَنْوة (العجمان)
الفُرُوثي (مطير)
الفَوّارة (حرب)
فودة (هاجِر)
الفَيْضة (حرب)
الفيضة (شمر)
الفيضة (عنزة)

(١) طيب الاسم

قُبَه (حرب)
القرادي (العجمان)
القَرارة (حرب)
القَرارة (عتيبة)
القُرين (حرب)
القرين (عتيبة)
قرية السفلى (مطير)
قرية العليا (=)
القُصَيْر (شمر)
قَطَن (حرب)
قَطْنان (العجمان)
كَبْشان (عتيبة)
الكَهْفَة (حرب)
لَبَن (قحطان)
اللُبَيْب (عتيبة)
اللّصَافة (مطير)
مُبَايِض (مطير)
المحلاّني (حرب)
المُرَيْر (هُتَيم)
مسْكة (مطير)
المُشَاش (سُبَيع)
مُشَيْرِفة (الدّواسر)
المُصَعّ (شمر)
مصدّة (عتيبة)
المُطَيْوي (مطير)
المكحول (شمر)
مُلَيْح (مطير)
المُنَيْصِف (قحطان)
تِبَاك (آل مرة)
النَبَوان (هتيم)
النّحيتيّة (حرب)
النُّعَيّ (شمر)
نِفي (عتيبة)
النِمْرية (حرب)
الهُلَيْسية (العجمان)
الهَيَاتم (قحطان)
الوُسَيْطي (الدّواسر)
وُضَاخ (مطير)
الوَقْبا (شمر)
الوَنّان (العجمان)
يَبْرين - هجرة (آل مرة)
يَكْرِب (بنو هاجر)

الملك عبد العزيز

والفروسية في عهده

من تتبّع أخبار الجزيرة في الأعوام الخمسين الماضية — بعد دخول الرياض — وما قبلها بخمسين سنة أُخرى ، مما لا يزال في شبه الجزيرة من يرويه بالنقل أو السماع ، عرف كثيراً عن « الفروسية » التي اكتظت كتب الأدب العربي بأخبار نظائرها في العصر الجاهلي ، وأيام الفتوح على الخصوص ، وغُصّت كتب الإفرنج بأقاصيصها ، في عصورهم الوسطى ، وما بعدها بقليل ، حين اختلطوا بالعرب في الحروب الصليبية ، وأخذوا عنهم أنواعاً من الكرّ والفرّ والمسايفة والمراجحة ، وأعجبوا بما كانوا يتخلقون به من خلال الوفاء والفداء والأمانة[1] .

وعاشت الفروسية في شبه جزيرة العرب ، على الرغم من ظهور المسدّس والطبنجة والبندقية والمدفع . وظلّ السيف ، وأحياناً مع الرمح ، عُدّة الفارس العربيّ في كثير من الحروب التي خاضها عبد العزيز ، كما كان قبلها .

وما غارات القبائل بعضها على بعض ، غازيةً ، أو طالبة ثأر ، أو باغية حِمَى ، أو ناصرة مستنصر ، إلّا مظهر من مظاهر الفروسية القديمة : نزال

---

(١) قال باحث في مجلة العربي ٦٩ : ١١٤ « أخذت اسبانيا كما أخذ جنوب فرنسا ، عن العرب من أيام الحروب الصليبية نظام الفروسية **Chevalerie**

ونضال ، وهجوم ووجوم ، قائد الجماعة في مقدمتها أو في قلبها ، تلتفّ حوله وتعتصم به في الروع .

وقد مرّ بنا في الصفحات الماضية ، ذكر أعلام في الفروسية سابقين لعبد العزيز ، بقليل أو كثير ، وفيهم معاصرون له سارت الركبان بأخبارهم ، أمثال عبد العزيز بن متعب الرشيد ، ومحمد بن طلال ، وابن جراد ، وفُهيد السبهان ، وعُقاب بن عجْل ، وابن سويط ، ونايف بن حشْلَين ، وجاسر بن لامي وسواهم ، ممن قاتلهم عبد العزيز أو تصدوا لقتاله أو سالموه أو كانوا من أنصاره . أضف إليهم فرساناً آخرين لم يكونوا من هؤلاء ولا أولئك ، من سكان أطراف الشمال أو بادية الشام كفهد بن هذال[1] وجدعان ابن مهيد (عقيد الفدعان وفارسهم) ومِزْوَد بن قُعَيْشيش (رئيس ضنا ماجد ، من الفدْعان (وكان يلقّب بالنمر) والنوري بن شعلان، وعودة أبي تايه الخ . وفرساناً من بادية العراق كشعلان أبي الجون وكثيرين .

على أن مسرح الفروسية الصحيحة في هذه الحقبة من الزمن كان في قلب الجزيرة ، حيث نشبت معارك عبد العزيز وظهرت بسالته .

وقد برز من فرسان «نجد» وما حولها في تلك السنين ، قبيل ظهور عبد العزيز ، وفي ابتداء غاراته ، وفي خلال بعضها ، أمثال :

محمد بن هندي بن حُميد . من المقطة ، رئيس عتيبة . كان يقول : الشجاعة أن تمشي إلى عدوك ، كأنك تمشي إلى صديقك[2] .

ونايف بن هَذّال بن بُصَيِّص : من سادة مطير .

ومناحي الهَيْضَل رئيس الدّعاجِين . وتركي بن ربيعان رئيس الثبتة (ذوي ثُبَيْت) وهما من عتيبة .

وجُفْران الفُغْم رئيس الفغمة ، من مطير علْوَى .

---

(١) شيخ مشايخ عنزة . توفي سنة ١٣٤٦ ﻫ (١٩٢٧ م)

(٢) انظر ما رأيت وما سمعت ١٤٧

وطامي العريفة : كان فارساً رماءً من قبيلة بُرَيْه – تصغير إبراهيم – من مطير .

وهايس بن عَشوان : من بريه أيضاً .

وصقر الغانم : من بادية الكويت.

ومانع بن فرَيْخان : من بني سالم ، من حرب .

وفاجر الذُوَيبي ، رئيس قبيلة مَسْروح : من حرب أيضاً .

وذيب بن هَدْلان ، من رؤساء الحَنافر : من قحطان[1] .

وفيصل بن حَشْر . من آل روق من قحطان : توفي حوالى سنة١٣٥٨ هـ وكان من مشاهير الرماة بنجد .

وقُنيفِذ بن لِبْدَة ، رئيس آل سعد : من قحطان، من مشاهير الفرسان .

وسالم بن رميحَين (بفتح الحاء) من العجمان .

وناصر بن عقيل، من الدعاجين : من عتيبة . قتلته قحطان، نحو سنة ١٣٣٠هـ.

وتريحيب بن شَرِي (بفتح فكسر) بن بصيّص . قيل : كان أفرس رجل عرفه الناس في زمانه . قتل سنة ١٣١٧ هـ (١٩٠٠ م) ولم يعش أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، وبلغ شهرة واسعة . وهو من بُرَيه ، من مُطير .

وسند بن حُفَيظ (بالتصغير) رئيس الشقرة من الدواسر . وكان من أرمى أهل نجد .

ومحمد بن حشيفان ، رئيس آل روق ، من قحطان : كان إذا أراد القتال لبس جوخة حمراء وفي يده سيف ، ومعه رمح . فإذا أدرك أعداءه جالدهم بالسيف ، وإذا بعدوا عنه رمى بالرمح . قتله مَزْيد بن مُغَيْرق من العصمة من عتيبة وكان فارساً رماء .

---

(١) انظر أبطال من الصحراء .

وفَيْحان بن زِريبان ، رئيس الرخمان ، من مطير :شجاع ، شاعر[١]
وأخوه عبد المحسن بنزريبان منفرسان مطير :قتل في صدام مع عبد العزيز في ربيع الأول ١٣٢٥ ﻫ (١٩٠٧ م) وقتل معه اثنان من فحول مطير أيضاً ، هما حسين بن مطلق الدويش المعروف بابن الجبعا ، ومطلق بن عمر ابن شوفان . وذلك في وقعة جُرح بها فيصل بن سلطان الدويش في تمرده على عبد العزيز .

وضَيْدان العارضي : من أرمى أهل زمانه بالبندقية .

ووَطْبان الدَويش ، وعَمّاش الدويش : كلاهما من مطير

وعبدالله الفِرْم ، وصنيتان الفرم : من رؤساء بني علي ، من مسروح من حرب . كانا يناصران مطيراً على عتيبة .

وحزام المَهْري: من رؤساء عتيبة وكبار فرسانها ، من الدغالبة .

وناحي الضرة : من فرسان الدّغالبة ، من عتيبة . قَتله تريحيب بن شَرِي قبل يوم من مصرعه .

وطامي القريفة : فارس رمّاء بالبندقية ، من مطير .

وشبيب بن حجنة : من الفرسان الرماة من النفعة، من عتيبة .

ومتعب بن جبرين: من أفرس أهل زمانه.من مطير ، من بني عبدالله . وهو أخو تريحيب لأمّه .

وفاجر السَلاّت . رئيس القساسمة، من ذوي عطية ، من آل روق: قاتل تريحيب بن شري في خبر طريف ، حكاه ابن بليهد . وهو:أن جمعاً من برقاء والروقة ، من عتيبة؛تقدموا لقتال مطير ، فكانت بينهم امرأة على هودج

---

(١) انظر «أخبار ما يلتقط من أشعار النبط» لخالد الفرج : الجزء الأول،أشعار عبدالله ابن سبيل ، وكانت بينه وبين فيحان مساجلات .

صغير ، فقال لها فاجر السلات : ما شأنك أيتها المرأة ؟ فقالت : أنا موتورة .. قَتل تريحيب بن شري أخاي أمس ، وجئت أطلب ثأره . قال : تقتلينه أنت ؟ فقالت : لا ، ولكن تقتله أنت إن شاء الله . فلما كانت المعركة ترقبه فاجر السلات وكان من الرماة المشهورين ، ورآه فرماه فأصاب رجله وجواده ، فسقطا معاً ، وأجهز عليه ابن تُنَيْبِيك رئيس المراشدة . وذلك في موضع يقال له « غَدِير الحَوَر » في شرقي الغُزَيز .

وشمروخ بن حويّان العُريدي . من الروقة ، من عتيبة . كان من الرماة المشهورين بنجد . من أخباره : أن غزاة يرأسهم ابن بصيّص المطيري ، أخذوا إبل محمد بن هندي بن حميد ، على ماء يقال له « الدَّمّي » في واد غربيّ السرّ ، في شماله . وما كادوا يبتعدون بها حتى قابلهم غزو من الروقة يرأسه شمروخ ، فقاتلهم، فكسرت رجله اليمنى ، فوضعها في قَلَص[1] وجعل عروتيه في رقبته . وكان معه أربعون رصاصة ، فرماهم بعشرين منها فذبح خمساً من الرِكاب وثلاثة رجال وتخلوا عن الإبل ، ومعه عشرون رصاصة لم يطلقها .

وشبيب بن دوّاس العلباني ، من المقطة ، من عتيبة : كان من أفرس أهل زمانه . له أخبار . وكانت نخوته : « خيّال البلها ، شبيب ! » قتلته سُبَيع .

ونايف بن قُطَيم بن ضَمْنَة . من رؤساء بني عبدالله من مطير . كان من الرماة المشهورين .

وهليّل بن غلاّب المَرْشدي . فاتك مقدام . كان رئيس المراشدة ، من الشَيابين (آل شيبان) وهو الذي قتل جُوَيد بن زيد السُميري ، بثأر ابن

---

(١) قال راوي الخبر ابن بليهد ، في صحيح الأخبار ٥ : ٢٤٣ و ٢٨٦ القلص ، كالدلو ، من دون عراقي ، له ضفيرتان معمولتان من سيور الأدم ، تستعمله الغزاة : إذا أصيبت رجل أحدهم يضعها فيه . ويستعمل في إخراج الماء من البئر . ويوضع فيه بعض الطعام كالتمر وغيره .

عمّ له ، في خبر أورده ابن بليهد في الجزء الخامس من كتابه .

وزايد بن حريميس ، من فرسان الروقة .

وهذّال بن فهيد الشيباني . من رؤساء عتيبة وفرسانها .

... إلى ما هنالك من شجعان تميم في الحوطة ، وقروم « العارض » وغيرهما من بلاد نجد مما يطول ذكره .

، ، ،

ويمكن القول إن ظهور عبد العزيز قضى على آخر ما عرفته الجزيرة من هذا النوع الفحل من الفروسية ، لسببين : الأول أن مواهب خصومه الحربية وعبقرياتهم ، كانت تتضاءل وتتوارى شيئاً فشيئاً أمام غاراته وكرّاته ، وهو لا ريب أثبتهم جناناً وأحكمهم تدبيراً ، فكانوا يتساقطون بين يديه واحداً فواحداً ، فمن سلم انضوى إلى لوائه ، ومن قتل انطوى خبره . والسبب الثاني ما تمّ على يديه من تنظيم شبه الجزيرة ، وإقامة دعائم الأمن فيها ، ونَشْر روح الدين بين أبنائها ، وتآخي من كانوا بالأمس تُفرّقهم العداوات وتحفزهم إلى الشرّ غرائز الجاهلية الأولى . فلما انتظم شمل المُلك وحُرّم الغزو القَبَلِيّ ، دخل السيف والبندق في خدمة الدولة ، وعادت الفروسية جندية .

، ، ،

وفضلاً عن تفوّق عبد العزيز في فروسيته مدة العشرين عاماً التي لم يعرف فيها طعم الراحة ، والتي قضى أكثرها في حرب ، أو استعداد لحرب ، فإنه تفرّد في أقرانه بمزايا أهمّها أساليب المفاجآت تصبيحاً أو هجاداً ، أو من حيث لا ينتظر عدوه الهجوم .

امتاز بتضليل العدو قبيل الالتحام به ، إذا كان هذا في كثرة من العَدَد والعُدَد . فإذا أراد الزحف إلى جهة ، مشى إلى غيرها ، ثم تحوّل إلى وجهته ،

وقد تكون هذه مضادّة للأولى ، فيوهم من معه — ليعلم البعيد عنه — أنه زاحف لغزو قبيلة في الجنوب ويمضي جنوباً ، فإذا أوغل في الصحراء انفتل إلى الشرق أو الغرب أو الشمال .

ويعتمد كثيراً على « الاستخبارات » قبل الملاقاة ، فقلما أغار على أرض يجهلها أو ليس له عين فيها يبعث إليه بأخبارها . ويتفنّن في وسائل استقاء الأخبار وكتمان ما يتصل به منها حتى عن خاصته — أحياناً — فقد يقول لرسوله المفاوض في الصلح مثلاً : إذا رأيت القوم على استعداد وحذر فأرسل إليّ راكباً على فرس ، وإن كان العكس فأركبه جواداً ، فيأتيه النبأ وحامله يجهله . وقد تقدم ذكر حادث له من هذا النوع .

ويكثر من الاحتياط إذا همّ بالزحف ، ويفترض في خصمه من القوّة أضعاف ما هو فيه . بل إنه ليقدر أحياناً أن قبائل أو حواضر مجاورة لعدوّه ، أو هي على تصاف معه ، ستتألب مع الخصم عليه ، فيستعدّ لقتاله وقتالها جميعاً . وهذا هو السرّ في أنه كثيراً ما محا أثر الجموع المقاتلة له ، كما حدث لابن رفادة .

وقد يفاجىء خصمه بقليل من رجاله ، ثم يعيد الكرة مناوشاً ومستدرجاً ودافعاً إلى أن يضعفه أو يختبر مكامن الضعف فيه ، فيكرّ عليه الكرّة الساحقة .

ورزق ساعداً قوياً لا يكلّ ، زاده المران قوة . فقد تدوم المعركة ساعات متواليات ، ويده فيها تتحرّك كأنما هي آلة ميكانيكية تلقي رأس هذا وتشطر جسم ذاك وتبقر بطن ذلك . وهو بطول قامته ، ماشياً أو راكباً ، هدف بارز للرماة . وهذا سرّ ما في جسده من ثقوب وخدوش هي إصابات من رصاص أو طعنات من حراب .

والعرب ولا سيما البدو يتفاءلون بالقائد المظفّر ، ويلتفّون حوله ، فإذا علموا أنه ماض في غزاة تقاطروا من كل جانب للسير معه طمعاً بالربح .

وعلى ذكر التفاؤل أقول : ليس للتشاؤم أثر في قلب الجزيرة اليوم . وقد نهى عنه الإسلام . وهو في مذهب « السلف » حرام . فمن بدا له ما يستبشر به ، أو ترتاح إليه نفسه تفاءل ، والتفاؤل محمود ، وإلاّ فلا تشاؤم ولا تطيّر ..

ولما عُرف عبد العزيز ، من بدء حركاته ، بمحالفة النصر له ، كان إذا تحرّك ركابه سارع إليه طُلاّب « الرزق » من كل حدب وصوب . وأهل البادية في ذلك الحين لا رزق لهم إلّا ما تطوله يد أحدهم من غُنم في غارة موفّقة . وقد كانت غنائم عبد العزيز توزّع وتقسّم للراجل ، وللراكب ، كما كان الأمر في عصر الفتوح ، يوم عرف الناس الإسلام . وإذا قرأنا أو سمعنا أنه اجتمع تحت رايته عشرة آلاف مقاتل يوم خفّ لنصرة مبارك الصباح سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) واثنا عشر ألفاً في وقعة البُكيرية ، ولم يكن له يومئذ مُلك ولا سلطان ، أدركنا ثقة « البدو » وتفاؤلهم بظفره وأن الرزق أمامهم ما دام عبد العزيز في مقدمتهم .

ويتحدّث الملك عبد العزيز في المناسبات عن وقائعه . ولكنّه قلّما يذكر منها إلّا مواقف الخَطَر والروع ، ولا يأنف من أن يقول انهزمنا أو هربنا أو خفنا .. فالحرب سجال كما يعرفها ، وخدعة كما يصفها ، والأمور بخواتيمها .

، ، ،

قال يوماً في أحد مجالسه الخاصة : لست أشجع الناس . ولكن إذا كانت المعركة ذات بال ، وسيعقبها أمر فاصل ، وعزيزة المسلمين[1] في خطر ، فإني آتي من الأعمال بما لا يأتيه غيري في المعركة .

---

(١) يقول أهل نجد : نحن نحمي عزيزتنا ، وندافع عن عزيزة بلادنا . ويعنون بالعزيزة أعز ما لديهم عليهم .

ويُروى عنه : لو كانت الحروب العربية كالحروب التي نسمع عنها في البلاد الأجنبية : ملوكها وقادتها يرتبون خطة الحرب ، وهم جلوس في منازلهم ، والناس ينفذون أوامرهم ، لهانت الحرب . ولكني في حروبي على خلاف ذلك : لقد كنت في أكثر المعارك ، في طليعة القوة المهاجمة . وبهذا كنت أرى استبسال من معي في القتال غير بسالتهم لو كنت وراءهم ...



عبد العزيز ، في « عَرْضة » مع بعض رجاله

الملك عبد العزيز

والإنكليز

أصبح عبد العزيز بعد استيلائه على الأحساء والقطيف ، من جيران الإنكليز الأقربين .

برز من قلب الجزيرة . وامتدّ سلطانه إلى الشاطىء الغربي من الخليج . والخليج طريقهم إلى الهند ، ولهم فيه « معتمدون » و « أحلاف » وفيه ميناء « أبي شِهْر » وغيره .

وجاور الكويت من برّها الجنوبي . وغربُها مفتوح أمامه . وصاحب الكويت « حليف » لهم .

بل جاور الكويت وقطر والبحرين معاً ، وما كان بعيداً عن مسقط وعُمان قبل أن يجف حبر الاتفاق بين الحكومتين البريطانية والعثمانية ، في رمضان ١٣٣١ هـ (أغسطس ١٩١٣) وقد نزلت فيه الثانية (العثمانية) عن حقوقها في موانىء تلك البلاد كلها — مما تملك وما لا تملك ! — وباتت « الخفارة » في موانىء الخليج من حق الإنكليز وحدهم . فلا بدّ لهؤلاء إذاً من معالجة جارهم الجديد .

وهناك عامل آخر لا يمكن إغفاله . فعبد العزيز جار للعراق أيضاً ، والعراق — يومئذ — من بلاد الدولة العثمانية . وعبد العزيز عدوّ لابن رشيد ،

وابن رشيد حليف للدولة العثمانية . وعبد العزيز ليس بأول سعودي عادته الدولة العثمانية وقاومت توسعه ، فالعداء متوارث بينهما . وقد تضاءل النفوذ البريطاني في أروقة وزارة الخارجية العثمانية ، وبدأ النفوذ الألماني ينبسط . فسياسة الإنكليز على وشك الاصطدام بسياسة آل عثمان . وأهداف « الجار » الجديد المنبثقة من وضعه السياسي والجغرافي والتاريخي ، تلتقي بأهداف وزارة الخارجية البريطانية ، من قريب أو بعيد . ولا تتعارض — على الأقلّ — مع سياستها . فعليها أن تمد يدها إليه لتتخذه « حليفاً » بمعنى ما كانت تحالف به غيره .. أو صديقاً ..

، ، ،

أرسلوا وكيلهم السياسي في البحرين ، فقابل عبد العزيز في العُقَير) أواخر ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) وكان الحديث عن مصالح الفريقين وخطر امتداد النفوذ الألماني من العراق إلى الخليج ، والرغبة في وضع خطة التعاون معه على « أساس » متين .

ولم ير عبد العزيز بأساً في اجتماع آخر ، أو اجتماعات أخرى كان منها حضور الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الكولونيل هاملتن، أواخر سنة ١٣٣٢ هـ (أوائل ١٩١٤ م) إلى « مَلَح » بين الكويت وبادية قحطان . وأحاله عبد العزيز على مبارك الصباح ..

عرض فرنسي وآخر بريطاني

وفي خلال المحادثات بين عبد العزيز والحكومة البريطانية ، قبيل نشوب الحرب العامة الأولى ، وصل إلى الرياض ، في (مارس ١٩١٤) مندوب فرنسي . واجتمع بعبد العزيز ، فعرض عليه مساعدة مالية سنوية كبيرة تقدّمها إليه الحكومة الفرنسية ، على أن يؤمّن لها حرية التجارة بالأسلحة في العُقَير أو القَطِيف .

ونشرت صحف ذلك العهد ، نبأ زيارة المندوب . وعلّقت إحداها[١] بقولها : « وعلمتْ بهذا دولة إنكلترة ، فعرضت عليه :

١ — خمسين ألف ليرة سنوياً .

٢ — تسليمه ما يحتاج إليه جيشه من الأسلحة .

وقالت الصحيفة : ولم يجب « الأمير » عبد العزيز إلى الآن بشيء ، ريثما يستشير مجلسه[٢] ولعلّه يميل إلى ما عرضته إنكلترة ، لما له معها من العلاقات السياسية . وقد نزل هذه الأيام في أنحاء الأحساء ونزلت أعرابه بجوار الكويت .

اجتماع في العُقَيْر

وعُقد في « العُقير » أول اجتماع بين عبد العزيز وممثلي الحكومة البريطانية في الخليج ، في شهر ربيع الثاني ١٣٣٢ (مارس ١٩١٤) و قالت الصحف يومئذ : إنه اتفق معهم على أمور ، منها :

— يعترف عبد العزيز ببقاء جزيرة البحرين ، كما كانت في ذلك الحين ، تحت السلطة البريطانية .

— ويحافظ على رعايا الإنكليز وتجارتهم في الخليج ، محافظة الإنكليز على الشؤون المتعلقة به .

— يقوم الإنكليز بالمحافظة على الخليج ومنع التعدي على عبد العزيز .

— يعاد النظر ، في فرصة أخرى ، في مسألة ادخال الأسلحة ومسألة مسقط .

---

(١) لغة العرب ٣ : ٤٤٨ في ربيع الأول ١٣٣٢ مارس ١٩١٤

(٢) تقدم في فصل « الثورة على الترك » ما يشبه هذا ، وأن الذي عرض ذلك على عبد العزيز الكابتن شكسبير .

وليس بين يديّ ، مما استطعت الوقوف عليه ، من الوثائق ، أو الكتب المصنفة في سيرة عبد العزيز ، خبر ما ، عن هذا الاجتماع .وليس معنى ذلك هو الشك في وقوعه في العُقير وفي العام الآنف ذكره ، وإنما الشكّ في « نص » ما تقرر فيه .

، ، ،

وبعد اشتعال الحرب العامة ١٣٣٢ (١٩١٤) كتب مبارك إلى عبد العزيز يدعوه لمقابلة حاكم الهند اللورد هاردنج (Lord Harding) للمفاوضة في في البصرة ، فلم يرتح عبد العزيز إلى وساطه مبارك .

شكسبير ومقتله

وكان وكيل البحرين السياسي قد عرّف عبد العزيز بالكابتن «شكسبير » وهو يقوم بعمل القنصل البريطاني في الكويت . فجاء شكسبير W. H. C. Shakespear يزوره أو كما يقول فلبي [١] : أُرسل الكابتن شكسبير من عمله في الكويت ، سريعاً إلى ابن سعود « ليمثل بريطانيا في بلاطه »

وأخذ يحرضه على حرب الدولة العثمانية . وعبد العزيز حريص على الوقوف موقف الحياد ، ما استطاع

ورأى الكابتن شكسبير ، الملكَ عبد العزيز ، يتهيأ للقيام من الرياض [٢] لمعركة مع ابن رشيد [٣] فعرض عليه شكسبير أن يكون في جملة فرسان الحملة . وكره عبد العزيز ان يكون في رجاله ضابط أجنبي يتوسط الجموع

---

(١) Arabia 233

(٢) يفهم من فلبي والريحاني ، أن شكسبير كان في الرياض عندما قام عبد العزيز ليقاتل ابن رشيد . أما خالد الفرج ، ففي مخطوطته أن الإنكليز لما احتلوا البصرة أرسلوا شكسبير لمفاوضة عبد العزيز ، فالتقى به في الطريق وهو ذاهب إلى جراب .

(٣) هي معركة يوم « جراب » المتقدم ذكرها . انظر الصفحة ٢٢٢

وهو بألبسته العسكرية وقبعته الرمادية . فأجابه برقته المعروفة : خيرٌ لضيوفنا أن يريحوا أنفسهم من متاعبنا ..

ولكن شكسبير ألحف في الرجاء . وعرّض له عبد العزيز بمخاطر الحروب البدوية ؛ فازداد إصراراً على خوضها .

ويقول لويل توماس [(١)] نقلا عن فلبي : إن مهمة شكسبير كانت استمالة عبد العزيز ، وابن رشيد معاً ، إلى الوقوف في وجه الترك .

غير أن شكسبير ، فيما يبدو ، لما تبين له أن ابن رشد شديد التعلق بالترك ، حصر جهده في عبد العزيز . ولما عرف أن الترك ، وهم أحلاف الألمان ، يرسلون السلاح الى ابن رشد ، اعتبر معركة عبد العزيز مقاومةً لتسرب النفوذ التركي بل الألماني إلى بلاد العرب ، سواء أكان هذا من قصد عبد العزيز أم لم يكن . وأراد بحضوره العراك أن يجمع بين إرضاء عبد العزيز ، ومقاومة عميل الترك ، ويفوز بفخار الموقفين . ولكنه لسوء الحظ لم يتمتع بحلمه الجميل طويلاً . فقد كانت قبعته هدفاً للرماة الشمّريين في بدء الجولة ، على ماء « جراب » وانصب عليه الرصاص ، ولم يكتفوا بهذا فأجهزوا عليهبسيوفهم .

قال « لويل توماس » : إن الذي أرسل الكابتن شكسبير ، هو السير پرسي كوكس .. وإني أميل إلى الإعتقاد بأنه لولا وفاة شكسبير في أول غزوة ، لما كان قُدّر للكولونيل لورانس أن يفوز بالشهرة العالمية التي أحرزها ، ولمّا استطاع أن يدخل دمشق دخول الفاتح الظافر على رأس جيش من الحجاز .

كان توماس يتوقع نجاح شكسبير في مهمته ، لو عاش .

وفي مخبآت الأوراق القديمة ، في الرياض ، رسالة بالعربية من « السر پرسي كاكس — كذا — باليوز وقنصل جنرال الدولة البهية القيصرية

---

(١) في كتابه « لورنس في بلاد العرب »

الإنكليزية في خليج « فارس » الى (سعادة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود) في ربيع الثاني ١٣٣٣ الموافق (مارس ١٩١٥) يقول فيها : « إن قبطان شكسبير ، كان مأموراً قادراً شجاعاً . وفقدانه خسارة حقيقية لنا . ونحن نعلم أن وفاته هي موجب الأسف الحقيقي لسعادتكم كذلك » .

ثم يقول، والنص حرفي : « فلا يخفى علينا أن سعادتكم بذلتم كمال الجهد من البداية ، تنصحون له حتى يفارقكم قبل مجيئه بالمصادمة مع ابن رشيد من حيث أنه كتب إلينا قبلا بذلك المضمون . ولكن هو قال بأنه كان مخالفاً لإحساساته أن يفارقكم فقط من حيث أن يقع محاربة وأنه سيبقى مع جنودكم بصفة ناظر ، فكان هذا هو سوء حظه بأنه كان فقط شاهداً وصدمه الرصاص وانتهت حياته .

ثم يسأل عن كيفية مقتله وعن أمتعته . .

بِرْسي كُوكْس ، وفِلْبي

وكان اللقاء الأول بين عبد العزيز وپرسي كوكس وفلبي، في العُقير أواخر سنة ١٣٣٤ (١٩١٥م) وصفة پرسي كوكس يومئذ: كبير الضباط السياسيين في الحملة البريطانية في العراق ، كما عرّفه كنث وليمز . وذلك قبل أن يصبح الممثل البريطاني في الخليج كما عرّفه الريحاني . ووصل معه في هذه الزيارة للخليج ، المستر « فِلْبي » الذي كان في ذلك الحين من كبار موظفي كوكس الإداريين في الحملة البريطانية . وكانت رحلة فلبي هذه ، أول مرة دخل بها أراضي شبه الجزيرة العربية . وابتدأت بها مغامراته التي صرف فيها من عمره أكثر من أربعين عاماً ، كما يقول في بعض كتبه .

– معـاهدة دارين –

وفي جزيرة دارين ، المُواجِهة للقَطيف ، عُقدت بين عبد العزيز وبرسي كوكس « معاهدة دارين » ويقال لها أيضاً « معاهدة القَطِيف »[١] في صفر ١٣٣٤ (أواخر ١٩١٥ م) وهي على غرار المعاهدات التي كان الإنكليز يعقدونها مع إمارات الخليج . نعتها فؤاد حمزة (في قلب جزيرة العرب) بأنها « معاهدة جائرة سقطت قيمتها قبل إلغائها بسنوات عديدة » وقال حافظ وهبة (في جزيرة العرب) : « تجلّى في هذه المعاهدة قِصَر نظر مستشاري ابن سعود بما يجري في العالم والاستفادة من الفرص » وقال خالد الفرج في مخطوطته : « .. وهي على ما فيها من قيود تحدّ من استقلال عبد العزيز ، فإنها كانت بحسب الظروف شرّاً لا بدّ منه . فالإنكليز لم يكونوا ليعترفوا باحتلال الأحساء والقَطيف والجُبيل وسائر الساحل بدونها ، ولقد كان موقفه ، بعد وقعة جراب وحروبِ العُجمان ، لا يساعده على التصلب والعناد . »

ولم ينفرد كتّابنا بنقد تلك المعاهدة . ففي البريطانيين من كان يصفها بالعُقْم . قالت م . ف سيتون وليمز[٢] إنها تُعتبر من بعض النواحي آخر معاهدة وُضعت على غرار تلك المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع دول الخليج . ولكن « لم تكن لسوء الحظ ناجحة نجاحاً كبيراً من وجهة النظر البريطانية ، لأنها لم تتمخض عن اتخاذ ابن سعود خطوات فعالة ضد الأتراك . »

فتــور

وقامت في مكة ثورة الشريف حسين ، تاسع شعبان ١٣٣٤ (١٢ / ٦ /

---

(١) تجد نصها في ذيل كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين »

(٢) في كتابها « بريطانيا والدول العربية » ترجمه عن الإنكليزية أحمد عبد الرحيم مصطفى ، وطبعت الترجمة في القاهرة سنة ١٩٥٢ (الصفحة ١٨٥ – ١٨٦)

١٩١٦ م) على أساس ما أشبعه به السر آرثور مكماهون ، من وعود و عهود[١] فانصرفت إليه أنظار العرب والترك والإنكليز والألمان ، وحُشرت لتأييد ثورته ولحشد الناس حولها ، قُوى الاستخبارات البريطانية ، وما تنشره وتبثّه من دعايات . وفتر ، على الأثر ، ما بين عبد العزيز وأصدقائه الإنكليز من اتصال وودّ .. ورياء متبادل .. وبدأ بعض تجار نجد يتنقلون بأحمالهم من المؤن والأرزاق ، بين بلادهم ومعسكرات الترك أو وسطائهم ، وعبد العزيز متغافل عنها ، غير غافل ، لا يُبيح ذلك « رسمياً » ولا يمنعه « عملياً » وشعوره يتضاعف بأن كفة الحسين أخذت ترجح في الميزان ، حتى كأن لم يبق سواه في الميدان . أو كما يقول أحد كتاب العرب السياسيين[٢] : لم يكن سلطان نجد راضياً في قرارة نفسه عن البريطانيين — في هذه الفترة — لاعتبارهم أمير مكة أبرز الناطقين باسم العرب .

غضبة واسترضاء

وبدت نزوة من الشريف ، استثارت غضب عبد العزيز وألجأته إلى طلب الاجتماع بالسر برسي كوكس ، فتقابلا في العقَير ، كما تقدم قريباً ، واسترضاه كوكس ، ودعاه إلى المشاركة في مؤتمر بالكويت حضره بعض زعماء العرب في ٢٣ محرم ١٣٣٥ (٢٠ / ١١ / ١٩١٦) وانتهزها عبد العزيز فرصةً لتعزية شيخ الكويت الجديد ، جابر بن مبارك ، بوفاة أبيه . قال فلبي[٣] : وقُدّمت في المؤتمر أوسمة بريطانية لعبد العزيز ولجابر الصباح . وقال حافظ[٤] : في ١٩ / ١١ / ١٩١٦ وصل عبد العزيز إلى الكويت ،

---

(١) أنظر كتاب « مؤتمر فلسطين العربي البريطاني المنعقد في مدينة لندن » ترجمة الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، المطبوع بمصر سنة ١٩٤٠ ، الصفحة ٨٩ — ١٠٣ و ٣٣٥ — ٣٥٢

(٢) السياسة الدولية في الشرق العربي ٤ : ١٧٧

(٣) في « تاريخ نجد » .

(٤) في « جزيرة العرب في القرن العشرين » .

على السفينة H. M. Jumo ليعزي جابراً بوفاة والده مبارك . وفي اليوم التالي عُقد اجتماع خطير ، حضره ابن سعود وجابر بن مبارك وخزعل — صاحب المُحَمَّرة — وبرسي كوكس ، وكثير من رؤساء العشائر الموالين للبريطانيين .

زيارة البصرة

وفي هذا المؤتمر ، أو قبله في اجتماع العقير[١] أجاب عبد العزيز دعوة وجّهها إليه برسي كوكس ، لزيارة البصرة ، والنزول بها ضيفاً عليه وعلى القائد العامّ . قال فلبي : وكانت هذه أول مرة سافر بها عبد العزيز إلى بلد أجنبي . وقد تأثر عند رؤيته العدد الوافر من المُعَدّات الحربية الحديثة ، وربما استخفّ بالقوم حين رأى أن أعظم مُضيفيه مكانةً بينهم ، كان « مجرّد امرأة » تُدعى « جرترود بِل » ..[٢]

خمسة آلاف جنيه

وقال فلبي : كانت النتيجة العملية لهذه الاتصالات، بين عبد العزيز وبرسي كوكس ، الاتفاق على أن يُصرف لعبد العزيز مبلغ خمسة آلاف جنيه ، في كل شهر ، على سبيل « المساعدة » وإمداده في الحال بأربعة رشاشات وثلاثة آلاف بندقية ومقدار كاف من الذخيرة. وقال كاتب آخر من معاصريه[٣]: خوّلت حكومة الهند — البريطانية في ذلك الحين — معتمدَها في الكويت ، بأن يدفع له خمسة آلاف جنيه استرليني في الشهر ، ليحفظ الأمن في بلاده ، منعاً لعرقلة المواصلات البريطانية في الخليج .

---

(١) قال الريحاني ، في « تاريخ نجد الحديث » : وفي طريق عبد العزيز إلى البصرة ، عرج على الكويت فعزى آل صباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك .

(٢) أنظر ترجمتها في الأعلام ٢ : ١٠٧

(٣) صاحب كتاب « السياسة الدولية في الشرق العربي » ٤ : ١٨٢

المساعدة

وفي سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م)، أيام حملة «الإخوان» على تُرَبَة والخُرْمة، وتمزيقهم جيش عبدالله بن الحسين، ورد على الكولونيل ويلسن في بغداد أمر بقطع المعونة الشهرية عن عبد العزيز[١].

ويذكر فلبي أيضاً أن عبد العزيز قال له في إحدى المناسبات: إنني أعرف أنّ عليّ أن أحافظ دائماً على الصداقة الطويلة القائمة بيني وبين بريطانيا، ولكن يبدو لي أن ثمة جماعة من بني قومك لا يعرفونني ولا يحبونني، وهم الذين يخلقون لي المتاعب[٢]

ويعود فلبي بعد ذلك فيقول: إن المعونة لم تنقطع[٣] واستمرت إلى أن قطعت بريطانيا إعانتها عن الدول العربية ابتداء من ٢٣ شعبان ١٣٤٢ هـ (٣١ / ٣ / ١٩٢٤ م)[٤]

– معاهدة المُحَمّرة –

وفي رمضان ١٣٤٠ (١٩٢٢ م) عُقد مؤتمر في بلدة المحمّرة (من شواطىء الخليج، يسميها الإيرانيون الآن: خرّمشاه) حضره مندوبون عن حكومة السلطان عبد العزيز ومندوبون عن حكومة العراق ومندوبون بريطانيون، للنظر في قضايا الحدود والعشائر بين نجد والعراق.

وَزَوّد عبد العزيز مندوبيه بتعليمات أورد الريحاني[٥] خلاصة عنها، من المفيد اقتباسها، وهي:

---

(١) كتاب «عبدالله فلبي» لخيري حماد، ص ٧٩
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨
(٣) أيضاً، ص ٨٢
(٤) مقدمة تاريخ العرب الحديث، لعبد الكريم غرايبه ١ : ٤٢٠
(٥) ملوك العرب ٢ : ٥٥

أولاً : عندما سقطت دولة آل سعود ، انقسمت إلى قسمين كان أحدهما بيد الترك ، والآخر بيد ابن رشيد . ثم ظهر السلطان الحالي،الذي أحيا تلك الدولة واستعاد ملك آبائه وأجداده . فاستولى على نجد ، وأخذ القصيم من ابن رشيد،وهزم الترك (العثمانيين) وأخرجهم من الأحساء والقطيف . وهو لا يزال يطالب بما تبقى من أملاك أجداده وعشائرهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً .

ثانياً : إن عشيرة الظّفير التي تقطن اليوم الشامية « بالعراق » كانت في الماضي من رعايا آل سعود . أما العمارات والرّولة ، فهما فخذان من أفخاذ عنزة ، وكانوا يسكنون نجداً خصوصاً القصيم ، ومشايخهم بنو الهذّال وبنو الشّعْلان هم من رعايا آل سُعود ، ومن بني عمومتهم .

ثالثاً : إن الإنكليز عندما احتلوا العراق ، احترموا فيه حدوده السابقة التي كانت تحترمها الحكومة العثمانية . كالحدود الشرقية بين حكومة إيران والعراق مثلاً ، والجنوبية بين العراق والكويت . وقد اعترفوا أيضاً بالأحوال الجارية والقواعد المرعية بين الترك قبلهم وحكام العرب المجاورين لهم وفي مقدمتهم إمارة بيت الرشيد . وبما أن سلطان نجد الحالي استولى على إمارة الرشيد . وأدخل في ملكه وحوزته جميع ما كان لتلك الإمارة المتفرقة من بادية وحضر ، فله الحق بمن تشرّد أو تسرّب منهم ، أي العمارات والظفير ، إلى العراق .

كما أورد تعليمات أُخرى ، على طريقة السؤال والجواب ، كان پرسي كوكس ، بعد سبعة أشهر يحتفظ بنسخة منها ، بنصها العربي ، وكلف الريحاني أن يترجمها له إلى الإنكليزية في بدء انعقاد « مؤتمر العُقير » الآتي ذكره . وهذا نص ما نقل منها [١] :

---

(١) تاريخ نجد الحديث ٢٨٠

« إذا ألحّ المندوب الإنكليزي في أمر من الأمور، اسأله : إذا كان يتكلم بلسان حكومته أو بلسان حكومة العراق . فإذا كان بلسان حكومة العراق ، فالجواب هو أننا لا نتساهل بحقوقنا . وإذا كان بلسان الحكومة البريطانية ، فجاوب : إكراماً لحكومة بريطانيا . هذا إذا كان من الأمور الثانوية . أما إذا كان من الأمور الجوهرية ، فالجواب هو أننا لا نسلّم إلاّ مكرهين . والحكومة البريطانية تفهم أن عاقبة الإكراه وخيمة » .

« إذا سألوك عن العمارات، قل : إنها من عنزة ، وعنزة كلها من أبناء عم ابن سعود ومن رعاياه »

، ، ،

وأمضى مندوبو عبد العزيز والعراق ، في هذا المؤتمر اتفاقاً سُمي « معاهدة المحمّرة »[١] لم يوافق عليه عبد العزيز ، حين قُدّم إليه ، ولكنه أقره بعد بضعة أشهر ، عند توقيعه على « بروتوكولي العُقير » كما سيأتي .

---

(١) نصها في « مجموعة المعاهدات » المطبوعة بمكة .

المـلك عبد العزيز

في « الإجِبْشِن ميل » سنة ١٩١٦ م

لما زار الملك عبد العزيز ، البصرة ، في صفر ١٣٣٥ (٢٧ / ١١ / ١٩١٦م) نشرت جريدة « الإجِبْشِن ميل » الإنكليزية ، فصلاً عنه ، جاء فيه :

لا يكاد ابن سعود يبلغ الأربعين من عمره الآن . على أن هيئته تدل على أكثر من ذلك . وإن تركيبه الجسماني بديع ، وطوله يزيد على ست أقدام ، وهو يحمل في نفسه مظهر الذين تعودوا زعامة الناس . وعلى ضخامة بنيته التي لا توجد في الشيخ البدوي العادي فإن فيه المزايا التي يمتاز بها العربي الأصيل ، وهي استقامة جانب طلعته ، ولحامة خيشومه ، وظهور شفتيه ، وطول ذقنه الرقيقة المكسوة بلحية الكوسج . إن يديه نحيفتان وأصابعه لطيفة وهي خواصّ تكاد تكون عامّة بين القبائل العربية الصريحة . وإن حركاته الرزينة ، وابتساماته البطيئة اللطيفة ، ونظراته العميقة المفكرة ، لا تنطبق على صورة النشاط عند الغربيين ، وإن زادت في وقاره ومنظره الساحر .

وهو فارس صبور ، قلّما يوجد له بين الذين نشأوا على ظهور الإبل نظير ، وقائد للقُوى غير المنظمة ، مشهود له بالإقدام .

يحاول إيجاد حكومة متحدة متناسقة ثابتة من أقوام بدوية. ويعمل لتحويل النظام البدوي المنحلّ ، إلى إدارة مركزية . وقد ألبس محالفات العرب الرحّل

لباساً من السلطة . وهو على تقلبه — كذا — عامل سياسي يـُعتدّ به . ولآل السعود في أحراج النخيل بالرياض ، وفي الواحات بالمقاطعات الشمالية والشرقية في « القصيم » و « الأحساء » مصادر ثروة أوسع مما لآل رشيد ، وأقوام حضرية أكبر ، لذلك يستند مُلكهم على أساس أمتن . ا هـ

— مؤتمر العـُقـَيْر —

تكرّر ذكر العـُقير . وأهلها كسائر أهل الخليج يقلبون القاف جيماً ، فيقولون « العـُجير » وهي ميناء في الجنوب الغربي من القطيف . على نحو ٧٠ كيلومتراً من الأحساء[١] .

وكان انعقاد هذا المؤتمر فيها، في ربيع الثاني ١٣٤١ (أواخر ١١ / ١٢ / ١٩٢٢ م) بين عبد العزيز ، ومعه من المستشارين عبد اللطيف باشا المنديل وكيله في البصرة ، والدكتور عبدالله بن سعيد الدملوجي ، وآخرون . وحضر بعض اجتماعاته الأستاذ أمين الريحاني وقام أحياناً بعمل الترجمان[٢] ومن الجانب الثاني وفد بريطاني برئاسة پرْسي كـُوكـْس ، ووفد عراقي برئاسة صبيح نـَشـْأتْ .

قال فؤاد[٣] : كان ابن سعود في الفترة التي انقضت بين عقد معاهدة المـُحمـّرة في مايو ١٩٢٢ وعقد « بروتوكولي » العـُقـَير في ديسمبر ١٩٢٢ ، قد توسّع في حدوده الشماليةوالغربية الموالية لبلاد شمـّر ، وضم واحتي تـَيـْماء وخـَيـْبـَر (في يوليو ١٩٢٢) والجـَوف ووادي السرحان (في نفس ذلك الشهر) إلى بلاده ، وذلك أنه بعد وفاة نواف الشعلان قنع والده الشيخ

---

(١) في القاموس والتاج ، مادة عقر : « والعقير ، كزبير ، بلد بهجر ، على شاطىء البحر »

(٢) قال في تاريخ نجد الحديث ٢٨١ مما يؤسف له أن لا يكون للمندوب السامي ولا للسلطان عبد العزيز ترجمان يحسن الترجمة ، فإنكليزية الدكتور عبدالله مثل عربية الميجر ركسون ، لا تصلح الأمم — كذا .

(٣) قلب جزيرة العرب ٣٨٥

نوري[١] بالإقامة في دمشق ، وترك في الجوف حفيده « سلطان » . وكان موقف ابن شعلان بعد سقوط حائل ، مذبذباً ، غير أن أهالي سكاكا — وهي أهمّ قرى واحات الجوف — أعلنوا ميلهم لابن سعود ، ورغبتهم في الانضمام إلى بلاده . وتألفت لذلك الغرض هيأة برئاسة حمد بن مويشر ، ثارت على سلطة سلطان الشعلان ، فرحل سلطان من الجوف إلى قُرَيّات المِلْح تاركاً وراءه عبداً له . وجاءت قوة من « الإخوان » إلى وادي السرحان فاشتبكت مع قوات سلطان ، بقرب قريات الملْح . وكانت هذه القوة طليعة لقوات الإخوان الكبيرة التي استولت على الجوف وسكاكا وما جاورهما .

وأرسل الأمير عبدالله (ابن الحسين) قوة لاحتلال بلدة « كاف » أكبر قرى « قريات الملح » في أعالي وادي السرحان ، بمرافقة الحكومة البريطانية . ولكنه اضطرّ إلى استرجاعها بعد بضعة أشهر ، وترك القرية لابن سعود ، على أثر مؤتمر العُقير (الذي نحن في صدده) .

ونشأت عن اجتماعات المؤتمر أُمور ، أهمّها :

أ — الاعتراف بعبد العزيز سلطاناً على نجد وملحقاتها (كما جاء في صدر المعاهدة) .

ب — قبول مبدأ تخطيط خط للحدود على الأرض ، بين بلاد عربية كانت ولا تزال منذ الخليقة بلاداً واحدة .

ج — تثبيت القبائل التابعة لكل فريق ، حسبما ورد في معاهدة المحمّرة ، مع منح الدهامشة (من عنزة) حق الانضمام إلى الجانب الذي يريدونه .

د — تعيين خط الحدود بين نجد والعراق ، ونجد والكويت .

هـ — تأسيس منطقتين محايدتين بين نجد والعراق ، ونجد والكويت ؛

---

(٢) نوري بن هزاع الشعلان ، المتوفى سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) كان عندما يسري برجاله غازياً ، يصيح في الظلام الهادىء ، بصوته الجهوري : راعيها النوري ، راعيها النوري !

ومنع إنشاء الأبنية والمخافر على أطراف الحدود .

و – تثبيت تابعية قريات الملح ووادي السرحان لنجد [١] .

وفي ختام المؤتمر ، رأى عبد العزيز أن ما تقرر فيه قد عوّض ما كان يراه من نقص في « معاهدة المُحمّرة » وكانت لا تزال غير موقع عليها منه ، فأمضاها . وجُعلت مقررات العُقير خاتمة لها ، فصيغت في « ملحقين » متممين للمعاهدة ، سُمّيا « بروتوكولي العُقير »[٢] اشتملا على ما تقدمت الإشارة إليه ، مع إقرار ما لنجد من الحقوق في العشائر والحدود المتاخمة للعراق . قال الريحاني[٣] : وفي مؤتمر العُقير تسدّد الحساب بين بريطانيا وابن سعود .

– اتفاقيتا بَحْرَة وحَدّة –

وبينما الملك عبد العزيز في معسكره ، بالرّغامة ، على أبواب جدة (سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) يحاصرها ويرتقب الفرصة لدخولها ، جاءه الجنرال كلبرت كلايتون (مندوباً من الحكومة البريطانية ، ومخوّلاً أن ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع) ومعه السيد توفيق السويدي باسم حكومة العراق .

وعقد كلايتون مع عبد العزيز اتفاقيتين :

إحداهما عرفت باتفاقية « بَحْرة » صُفّيت فيها مشكلات القبائل في الحدود النجدية العراقية[٤] .

---

(١) قلب جزيرة العرب ٣٨٥
(٢) تجد نصهما في « مجموعة المعاهدات » التي أصدرت منها وزارة الخارجية بمكة ثلاثة أجزاء .
(٣) تاريخ نجد الحديث ٣١١
(٤) ونصها وملحقاتها ، في مجموعة المعاهدات ١ : ١٠

والثانية سميت اتفاقية « حَدّة »[١] زيد فيها تعيين الحدود بين نجد وشرقيّ الأردن[٢] .

كُتيّب يُرجع إليه

وأُحب هنا أن أُشير إلى كتيّب صدر في مكة ، باسم « الكتاب الأخضر النجدي – مؤتمر الكويت » وعلى الصفحة الأولى منه : « نُشر بأمر سلطان نجد » ولم يذكر فيه تاريخ نشره ، ولكن تواريخ ما تضمّنه تدل على أنه طبع حوالي نهاية إبريل ١٩٢٤ (أوائل شوال ١٣٤٢) أو بعد ذلك بقليل . والكتاب يتحدث عن « مؤتمر » عقد في الكويت ، من ١٧ / ١٢ / ١٩٢٣ – إلى ٩ / ٤ / ١٩٢٤م، تولى الدعوة إليه وتنظيمه الكولونيل نُوكْس (رئيس خليج فارس) وحضره مندوبون عن حكومات نجد والعراق وشرقيّ الأردن ، وانتهى بغير نتيجة ، فكأنه لم يكن .

وما أريد أن يفوتني التنويه بما جاء في الكتاب الأخضر النجدي هذا ، من أحاديث ومراسلات حول نوع « الخلاف » يومئذ ، بين نجد وجارَيْه الأقرَبَيْن ،وأسماء بعض العشائر ، وعرض شيء من الأحداث .

---

(١) يصر بعض الكتاب على تسميتها « حداء » وقد وردت بهذا اللفظ « حداء » في شعر قديم إلا أنها كانت في عصر الفيروز ابادي – القرن الثامن للهجرة – وما زالت إلى الآن تسمى « حدة » وقد يكفي هذا الزمن الطويل لقبول التسمية « الجديدة » إن لم يزد فيها نص أقدم عن هذا .

(٢) ونصها في مجموعة المعاهدات ١ : ١٤

في صحيفة بريطانية

كتب سيسل روبرتس ، في جريدة « وستمنستر غازيت » سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، ما ترجمته[١] :

شاء القدر أن يملأ السلطان عبد العزيز بن سعود فراغاً كبيراً في التاريخ العربي ، فأضحى السيد المطلق في بلاد العرب ، وملكه مبسوط على مساحة تربو على مساحات انكلترة وفرنسة وألمانية مجتمعة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا السلطان العربي يبسط سلطانه على بلاد لا صلة بينها وبين نصراني أو أوربي . وهو سليل أُسرة عريقة في الزعامة ، وقد استطاع أن يتغلب على جميع خصومه حتى أضحى وحده سيد بلاد العرب .

وحكومتنا تعترف له بالاستقلال التام . وسياسته هي « بلاد العرب للعرب » ولا يسمح ليهودي أو يوناني أو هندي أو أرمني أن يمسّ ماليته أو تجارته[٢] .

وهذا الاستقلال الحازم يسير إلى جانب الصداقة مع بريطانيا العظمى . ولولا ذلك لوُجدنا في مأزق حرج في العراق . ذلك لأننا كنا نشمل الملك

---

(١) الزهراء : جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م)

(٢) كان اليونان والهنود والأرمن ، ولا يزالون ، كغيرهم من الأوربيين ، مباحاً لهم التعامل التجاري مع البلاد العربية السعودية ، ومنهم من يقيم في جدة من أيام الأشراف .

حسيناً وأبناءه بحمايتنا . ولقد كدنا نتورط بسقوطهم ، لو لم نستطع أن نعتمد على حنكة سلطان نجد الذي أبدى كثيراً من الدهاء والكياسة،في مفاوضاته مع السر جلبرت كلايتن بصفته ممثلاً للعراق وشرقي الأردن .

وابن السعود مَهيب الجانب في العالم الإسلامي . فهو رجل تجب مراقبته .. وقد غنم ملكاً باذخاً بسيفه . ويلوح فوق ذلك، أنه يستطيع أن يحميه بأساليب السياسة .

معاهدة جُدّة ، تمحو معاهدة دارين

وانقضت اثنتا عشرة سنة ، كانت فيها الدولة السعودية تضيق ذرعاً بضغط معاهدة دارين (القطيف) الموقعة سنة ١٩١٥ على الرغم من تجاهل عبد العزيز لها في كثير من المواقف . واعترف المفاوضون البريطانيون — بعد انتهاء حرب الحجاز — بأن تلك المعاهدة « لم تعد تصلح للعلاقات بين الملك عبد العزيز والحكومة البريطانية ، نظراً للمقام الذي يتمتع به ، هو وحكومته »

ودارت مفاوضات تمهيدية سنة ١٩٢٧ في « وادي العقيق » بقرب المدينة المنورة ، لوضع أُسس عملية لمعاهدة جديدة . ثم وصلت إلى جدة بعثة برئاسة الجنرال كلايتون ، انتهى البحث معها إلى وضع « معاهدة جدّة »وأمضاها بتفويض من الملك عبد العزيز ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، نجله ونائبه العام في الحجاز ، الأمير (فيصل بن عبد العزيز) آل سعود ؛ وبتفويض من ملك بريطانيا جلبرت فلكنجهام (كلايتن) في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥ (٢٠ / ٥ / ١٩٢٧ م) . وتبودلت قرارات إبرامها في تاريخ توقيعها . وأصدر الملك عبد العزيز مرسوماً بتصديقها في ٢١ ربيع الأول ١٣٤٦ الموافق ١٧ سبتمبر ١٩٢٧ [١]

وبهذه المعاهدة أُقيمت العلاقات بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، على أُسس سليمة ، من الصداقة وحسن التفاهم ومعاملة الندّ للندّ .

وقد احتفظت فيها المملكة العربية السعودية بحق مطالبتها بالعَقَبة ومَعَان باعتبارهما تابعتين للحجاز ، وأصبحت اتفاقية دارين أو « القطيف » لغواً .

مطالبة علنية

ولما شُغل الملك عبد العزيز بفتنة الدويش وغيرها ، سنة ١٣٤٧ ه

(١) نص المعاهدة ، وما تبودل من الرسائل لإبرامها ، وإيضاح بعض فقراتها ؛ في مجموعة المعاهدات طبعة مكة سنة ١٣٥٠ ه . الصفحة ٣٦ — ٤٨ .

(١٩٢٨ — ١٩٢٩ م) واضطرّ إلى السلاح ، أراد ابتياعه من الإنكليز . وأحيل طلبه إلى مؤتمر في الهند عقد سنة (١٩٢٩ م) فقرر المؤتمر السماح له بمشترى أسلحة وذخائر « لقمع ثورة نشبت في جزء من ممتلكاته المتاخمة للعراق والكويت » وبلغت قيمتها ٢٠٩٥٨ جنيهاً .

ثم طلعت ثلاث صحف لندنية في يوم واحد (٣١ يناير ١٩٣٥) تقول : إن الملك عبد العزيز مَدِين لبريطانيا بهذا المبلغ ، وإن إدارة الخزينة البريطانية أبدت أسفها لأن المبلغ لم يُتخذ أيّ احتياط لتأمين سداده .. وبادر مسرعاً إلى تأدية المبلغ ، اتقاءً للتشهير العلني من أصدقائه .

تعديل وتمديد

وأُعيد النظر في معاهدة جدة — بعد زهاء عشر سنين من عقدها — فتبادلت الحكومتان مذكرتين ، في اجتماع عقد في مكتب وزارة الخارجية السعودية بجدة يوم ١٧ رجب ١٣٥٥ (٣ أكتوبر ١٩٣٦) وفي المذكرتين ما يأتي :

١ — تمديد المعاهدة سبع سنوات شمسية جديدة .

٢ — تعديل المادة الرابعة المتعلّقة بمخلّفات الحُجّاج التابعين للحكومة البريطانية ، بأن تبيع الحكومة العربية السعودية مخلفات أولئك الحجاج أو بعضها ، بناءً على طلب الحكومة البريطانية ، وتسلم قيمتها للمفوضية البريطانية بجدة .

٣ — عُدّلت المادة العاشرة ، فجُعلت اللغة العربية مساوية للغة الإنكليزية في النص والتفسير .

٤ — جَدّدت الحكومة العربية السعودية الاحتفاظ بحقها في منطقتي العقبة ومعان . وأحاطت الحكومة البريطانية علماً بذلك التحفظ . وتمسكت الحكومة البريطانية بموقفها فيهما .

٥ ــ نزلت الحكومة البريطانية عن حق عتق الأرقاء الذين كانوا يلجأون إلى القنصل البريطاني في جدة . وكفّ عن استعمال ذلك من تاريخ تبادل هاتين المذكرتين .

٦ ــ إذا أرادت الحكومة العربية السعودية شراء أسلحة من البلاد البريطانية فإنها تشتري ذلك حسب الأنظمة الخاصة بإصدار الأسلحة ، المعمول بها في بريطانيا يوم التصدير .

، ، ،

وفي ٤ شوال ١٣٦٢ هـ (٣ / ١٠ / ١٩٤٣ م) تبادل وزير الخارجية بالنيابة (يوسف ياسين) والوزير البريطاني المفوض (استانلي روبرت جوردن) كتابين جاء فيهما النصّ التالي :

« تُعتبر معاهدة جُدّة المعقودة بين ملك المملكة العربية السعودية ــ ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ــ وبين ملك بريطانيا وايرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وامبراطور الهند ، بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٣٤٥ الموافق) ٢٠ مايو ١٩٢٧ نافذة المفعول من تاريخ ٤ شوال ١٣٦٢ الموافق (٣ أكتوبر ١٩٤٣) سبع سنوات شمسية على التوالي . وإذا لم يعلن أحدُ الفريقين الساميين المتعاقدين الفريقَ الآخر قبل انتهاء أيّ سابع من السنوات الشمسية المقبلة بستة أشهر ، رغبتَه في تعديلها ، أو إلغائِها ، فإنها تتجدّد بطبيعتها سبع سنوات شمسية أخرى . وهكذا .

الملك ، وتشرشل

ومرّ معظم أعوام الحرب العامة الثانية . والمِحَن والنكبات منصبّة على الإنكليز . وابتسامات الشماتة بهم بادية على وجوه أكثر الناس ، إلا وجه عبد العزيز .

وسنحت له الفرصة يوماً ليبثّ الرئيسَ الأميركي روزفلت ، ما في نفسه

من تمرّد الصهيونية في الشرق الأوسط . وحرص على أن يلتقي بتشرشل ، فاجتمع به في الفيوم . وسيأتي حديث اللقاءين ، في فصلي « مقابلته للرئيس الأميركي » و « بين البحيرات والفيوم » .

وكان اجتماعه بتشرشل ، في ٥ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٨ / ٢ / ١٩٤٥م) ودارَ بينهما حديث لم يطل أكثر من ساعة واحدة على انفراد ، واستمر ساعات بحضور حاشيتيهما .

كلمة تشرشل في عبد العزيز

وهذا بعض ما تناقلته الصحف ، من بيان المستر تشرشل (رئيس مجلس الوزراء البريطاني) أمام أعضاء مجلس العموم ، في ٢٦ / ٢ / ١٩٤٥ :

« كنت شديد الرغبة في أن أجتمع بالملك عبد العزيز . وقد تشرفت بدعوته إياي ، لتناول الغداء على مائدة جلالته ، في فندق الأوبرج ، بالفيوم . حيث أعربت له عن شكر الحكومة البريطانية على ودّه الصميمي لبلادنا ولقضايانا المشتركة . ذلك الرجل الذي لمع أكثر ما لمع في أحلك الأيام وأشد ساعات الأخطار الساحقة » .

، ، ،

وانقضت على المعاهدة السنوات السبع الثانية ، في ٣ / ١٠ / ١٩٥٠ (٢٠ ذي الحجة ١٣٦٩) من دون حاجة إلى تبادل الكتب أو المذكرات ، وكلا الفريقين مطمئن إلى حسن علاقاته السياسية والوديّة بالآخر ...

صداقته

كان الملك عبد العزيز ، يحبّ أن « يرتكز » على « الصداقة » في كثير من علاقاته مع الآخرين ، وخصوصاً البريطانيين .

وكان مع علمه بأن « الصداقة » كلمة جوفاء لا معنى لها في عرف أهل

المادة ، يحرص على أن يطبعها بطابع مادي ، وأن يبني عليها غير القليل من « الثقة » في التعامل ، وحل المشكلات .

وكان يطمئنّ بفطرته وطبعه ، وبحكم تربيته وبتأثير بيئته ، إلى من يمنحهم صداقته . ويتوقع منهم أن يعاملوه بالمثل . ويجزع إذا صدمته « الحقيقة » فيما يراه الأكثرون ، ولا سيما محترفي السياسة ، من وضع « الصداقة » في إطار مزخرف ، كتحفة أو حُلْية للزينة ، لا كأداة صالحة للاستعمال !

كان عبد العزيز ، يحيط ما بينه وبين الإنكليز من « صداقة » أو ما يسميه « الصداقة » بهالة من الرعاية والصون . كان يدخل السرور عليه ، ويبعث الغبطة إلى نفسه ، أن يشعر — مع الحيطة والحذر — بأن الإنكليز أصدقاؤه .. وكان إلى جانب هذا — وهو الذي كاد الخوف لا يعرف سبيلاً إلى قلبه — يخافهم ، ويبتعد عن الطرق التي تؤدي إلى الاصطدام بهم .

أمثلة ذلك ، في حياة عبد العزيز السياسية ، كثيرة جداً . ناهيك بما يشير إليه توتشل الأميركي[١] وما يذكر أنه نقله عن رسالة « للشيخ حافظ وهبة » في الحديث عمّا قبل ثورة رشيد عالي في العراق (سنة ١٩٤١ م) وفي خلالها ، من أن عبد العزيز في أثناء الحرب العالمية الثانية ، حينما انهارت فرنسا وانحازت إيطاليا إلى جانب ألمانيا ، أعلن بصراحة ، مع التزامه الحياد ، أنه صديق لبريطانيا . ولما قامت ثورة الكيلاني ، ولم يكن عبد العزيز راضياً عنها ، جاءه إلى الرياض وفد برئاسة ناجي السويدي يطلب مساعدة الثورة ، فأجابه بأنه ، « صديق لبريطانيا ، وأنه ورث هذه الصداقة عن جده فيصل بن تركي »

ولما تحدّث الناس أخيراً عن خلافه مع الإنكليز ، من أجل البريمي — وسيأتي حديثها — لم يدرك أحد ما كان لذلك الخلاف من ألم الوقع وقسوة المرارة في نفس عبد العزيز .. ومن مأمنه يُؤتى الحَذِر ..

---

(١) المملكة العربية السعودية ١٣٢ — ١٣٥

الملك عبد العزيز

في نظر كاتب نمسوي

تحدث الدكتور « فون وايزل » النمسوي مندوب شركة « أولشتاين » الألمانية الكبرى ، وقد زار جدة في أواخر سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) عن سياحته في جزيرة العرب[١] فقال في وصف عبد العزيز :

« حسبي أن أقول إني معجب به . فقد خُيِّل إليَّ وأنا أحادثه أني أمام بسمرك منشىء الوحدة الألمانية . ولا أظنكم تخالون أني أُبالغ في القول .

« وإذا عرفتم أن ابن سعود نجح في تأليف « امبراطورية » تفوق مساحتها مجموع مساحات ألمانيا وفرنسا وإيطاليا معاً ، بعد أن كان زعيماً بسيطاً لا يقود في بادىء الأمر سوى خمسة عشر رجلاً ، تمكن بمساعدتهم من استرداد الرياض عاصمة أجداده ، لم يداخلكم الشكّ في أن هذا الرجل الذي يعمل هذا ، يُحق له أن يسمى « نابغة » .

« وقد اتضح لي أن ابن سعود يشبه الساسة الإنكليز كثيراً ، في سياسته وخططه . فهو مثلهم لا يضيع الوقت بإعداد النظريات ورسمها ، ولكنه يصبر متحيناً الفرصة إلى أن تسنح فينتهزها . وهو بذلك على عكس خصمه القديم الملك حسين . ولذلك قهره وتغلب عليه .

« وفي ابن سعود ميزة أخرى ، هي أنه كريم وصادق . وحادثته مرتين في شؤون مختلفة ، كان بعضها دقيقاً جداً ، فلم ألحظ قط أنه يلبس الباطل

---

(١) أم القرى ١٩٢٧/٣/٤ (٣٤٠ هـ) عن الصحف المصرية .

ثوب الحق . نعم ، كان سياسياً أحياناً في أجوبته ، فلا يقول كل ما يعرفه ، ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة .

« والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع ، فإني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة قالوا لي : « إذا قال لك ابن سعود شيئاً ، فثق أنه يقول لك الحقيقة التي لا تشوبها شائبة .

الملك عبد العزيز

والشريف (الملك) حُسَين

ليس في تاريخ عبد العزيز حادث واحد يدلّ على أنه ابتدأ إنساناً بشرّ أو عِداء . قاتل كثيراً ، وفي غريزته كُره القتال . وعادى كثيراً ، وفي فطرته حبّ المصافاة . وفتك بكثيرين ، وأمْقَتُ ما يمقته سفك الدم ! ولسان حاله في كل ذلك : ولكن متى أُحْمَل على الشرّ أركب ..

حروبه مع آل رشيد ، لردّ عدوانهم عن عرشه وعرش أسلافه . وحروبه مع الترك العثمانيين ، لاحتلالهم بعض بلاده وموالاتهم آل رشيد عليه . وحروبه مع إمارات شبه الجزيرة وقبائلها ، لأسباب لم يكن هو البادىء بها .

كذلك خصومته للشريف حسين بن علي ، قبل أن يثور على الترك ، وبعد الثورة والمُلك ، لم يكن عبد العزيز من جُناتها .

عُيّن الشريف حسين أميراً بمكة المكرّمة ، من قِبَل الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وعبد العزيز في القصيم ، منهمك في تصفية ما تركه عصيان « محمد أبي الخيل »[١] من مشاغل في « بريدة » ، ومرتقب نشوب عراك بينه وبين صاحب « حائل » بعد صلح قضى عليه مصرع « سُعود ابن عُبَيْد » من آل رشيد .

---

(١) انظر الصفحة ٩٢

ولم يكن تعيين الشريف « حسين باشا » أو أيّ شخص آخر لإمارة مكة ، مما يثير اهتمام عبد العزيز . وقد تعوّد الناس أن يروا تكرّر العزل والتولية في المناصب الحكومية ، وفي هذا المنصب أيضاً ، على الرغم من أنه كان محصوراً في بيوت ترجع إلى نسب واحد . دع ما هنالك من قفار شاسعة تفصل بين مكة والرياض ، والعصر يومئذ عصر « البعير » لا السيارة ولا الطيارة .

على أن الشريف « الجديد » كان في خلقه من الطموح والاعتداد بالنفس ، وحب البروز ومقارعة الأنداد ، ما لم يكن لسلفه الأقرب ، ولا لكثير ممن حملوا لقب « شريف مكة وأميرها » فتناقلت البادية بعض أخباره ، ووصل شيء منها إلى جاره « الأبعد » عبد العزيز ، فانطوت نفس هذا على إكبار له .

وكان أكبر هَمّ « الحسين » مدة « شرافته » أن يتقدم على منافسيه في الحكم بمكة ، من ولاة الدولة وقوّادها . ولإدراك هذه الغاية ، عمل على الإكثار من الأنصار في بادية الحجاز ، وتطوّع لخدمة الدولة في « تأديب » بعض عُصاتها أو إدخالهم في طاعتها ، ونشط كل النشاط في محاولة بسط الأمن بين الحَرَمين – مكة والمدينة – إلاّ أنه أخفق في هذا ، وأدرك بعض النجاح في غيره .

وانتُدب سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م)[١] للتوجه في حملة إلى « عُتيبة » وهي مجموعة قبائل ، أكثرها من هوازن ، تمتدّ منازلها من أطراف الطائف شرقاً في الحجاز ، إلى أراضي الوَشْم في نجد ، وبادية القصيم في الشرق الشمالي . فقصدها ، ونزل في مكان يسمى « القُوَيْعِيّة » من ديارها . وباديتها تُعدّ من نجد .

---

(١) دون الريحاني هذا الخبر ، في حوادث ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) . وهو غير معقول ، لأنه ذكر في مكان آخر أن ابن سعود بعد أن خلص أخاه سعداً انصرف إلى معالجة فتنة الهزازنة وحفدة سعود بن فيصل . ومن الثابت أن هؤلاء – الحفدة – لجأ بعضهم ، بعد ذلك ، إلى الشريف حسين ؛ وكانوا معه في حركته إلى بلاد عسير سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) .

وكان عبد العزيز يتأهب لمعركة مع حفدة عمه سعود بن فيصل[١] وأرسل شقيقه « سعد بن عبد الرحمن » يستنفر عتيبة (النجدية) ، فلما وصل إلى أطراف « القويعية » أخذه بعض « العتُبْان » إلى الشريف حسين ، كما تقدم . وانتهى الأمر بعودة « سعد » ومعه هدايا من الشريف ..

وظلّ عبد العزيز والحسين يتبادلان الرسائل والهدايا . وعبد العزيز يكتب للشريف بأحبّ الألقاب إليه « سيدنا الشريف حسين باشا » ويختمها بإمضاء « خادم الدولة والملة والوطن أمير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز السعود » والشريف حسين يحسب التواضع ضِعةَ والمُجاملة مُعاملة ..

وانصرف عبد العزيز إلى تصفية الحساب مع حَفَدَة سعود الفيصل ، ثم مع الهزازنة[٢] فلم يتعفف الشريف حسين عن النفخ في ضرام الفتنتين فحرض عتيبة (الحجازية) على مناصرة الحَفَدَة ، وأمدّ الهزازنة بقوة سيّرها إلى « الحريق » . واستسلم حفدة سعود ، لعبد العزيز ، إلاّ بعضاً منهم ، تسلّلوا إلى مكة ، فأكرمهم الشريف وقرّبهم[٣] وكذلك الهزازنة انفلت بعضهم من يد عبد العزيز ولجأوا إلى مكة ففازوا برعاية الشريف .

، ، ،

ولم يُنكِر عبد العزيز على الحسين إيواء من جاءه من الفئتين . بل لعله عدّ ذلك مكرمة له ، لولا أنْ صحّ عنده إمداد الشريف لهما بالعون أيام فتنتهما . وقد تلطف عبد العزيز في عتابه ، وأرسل إليه هدية من الخيل مع كتاب يقول : إننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم « معاهدة » فكانت هذه الكلمة

---

(١) تقدم ذكرهم في الصفحة ٩٥ وسيأتي شيء عنهم في هذا الفصل .

(٢) انظر الصفحة ٩٥

(٣) واصطحبهم الشريف حسين معه بعد ذلك هم وأتباعهم – ويبلغون ٨٠ رجلا – فاشتركوا في قتال الأدارسة وفك حصار « أبها » سنة ١٢٢٩ هـ (١٩١١ م) كما في الرحلة اليمانية للبركاتي .

كافية لإثارة « غضب » الحسين ، فردّ الخيل ومن جاء بها ردّاً غير جميل .

وغَلَب على عبد العزيز ، خُلُق التسامح ، فتناسى ما فعله الحسين ؛ واستمر معه « خادم الدولة والملة والوطن » إلى أن كانت الحرب العامة الأولى سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ثم ثورة الحسين في ٩ شعبان ١٣٣٤ (١٩١٦ م)

وكان والي مكة التركي « غالب باشا » قد كتب إلى عبد العزيز ، قبيل ثورة الحسين ، يذكر ارتيابه في إخلاص الشريف « للدولة » ويعده إن هو جاء إلى الحجاز أن يسلّمه « الحَرَم » ويساعده . فأجابه عبد العزيز بأنه والحسين يد واحدة ..

وسأل السر پرسي كوكس (الممثل البريطاني في خليج فارس) عبد العزيز ، وهما في جزيرة دارين (بقرب القطيف) بعد ثورة الحسين ، عن رأيه في الخلافة ؟ فأجاب بأنه لا يستسيغها لنفسه . وأشار عليه بالشريف حسين .

ومع أن عبد العزيز لزم « الحياد » جهد طاقته ، مدة الحرب العامة ، فإنه أذن لمن شاء من قبائل عتيبة وحرب بمساعدة الشريف في ثورته .

صرّتان من الذهب

ووصل في عام الثورة الأول (١٩١٦ م) رسول من الحسين إلى عبد العزيز ، يحمل صرتين ، سلمهما إليه ، وقال : هذا من جلالة الملك ..

ومع الصرتين رسالة مؤرخة في ٢٥ شوال ١٣٣٤ (يوافق ٢٥ أغسطس ١٩١٦) هذا نصها [١] :

الأجلّ الأمجد الأمير الخطير عبد العزيز السعود

بعد السلام ورحمة الله وبركاته . مرسل إليكم مع حامله عبدالله بن حميضان ، صرّتين باطنهما ألف وخمسمائة جنيه (ذهب) تستلموها منه .

---

(١) عن الأصل المحفوظ في الشعبة السياسية ، بالرياض .

ولما ذكر تحرر في ٢٥ شوال ١٣٣٤ شريف مكة وأميرها

(الختم) الحسين بن علي

وتحت الرسالة سطور منحنية ، هذا نصها :

« ثم إن بعض من يقع منهم من الجنايات ما يوجب بُعدهم عن أقطارنا سيما عتيبة ، يردون قراياكم وأنتم تَعْلمونهم وهذا مما يوجب علينا الخلاف ، فالرجاء كما تكرر ذلك منا غير مرة ، القبض عليهم وتعريفهم بأن ذلك منا . ولا تتعذر بعدم العلم فإنك تعلمهم قبل لا نعلم بهم » .

وصرّة ثالثة

وبعد أقل من ثلاثة أشهر ،وردت رسالة أخرى(جوابية) تاريخها ١٨ محرم ١٣٣٥ (يوافق نوفمبر ١٩١٦) موقعة هكذا : ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرها . ثم الختم « الحسين بن علي » ومعها الملحق الآتي نصه(١) :

« المطلوب من أني تركي ثباته على حسن الظن . فأنا إن شاء الله أصدق له من نفسه ، والمولى على ذلك رقيب . والله إن هذه هي الظاهرة والباطنة . وإن لم تكن كذلك فنبرأ من الله ورسوله . ولا والله القصد من هذا إلاّ راحة خاطرك واشتغالك بالنوايب الحقيقية ، وتفرغك لها . هذه هي البلغة والقصد وحسبي على ذلك عالم الغيب والشهادة . ومرسل إليك مع حامله صرّة جعلناها للاستعانة على النوايب تفيدنا بوصولها . والصرّة داخلها ألف جنيه ولا مواخذة فإن الحالة معلومة وما بغيتو من بندق وحتى ولو مدفاع عرفونا ويجيك مطلوبك بتيسير الله »

، ، ،

وبين الرسالتين ، وردت على عبد العزيز رسالة من الأمير عبدالله بن

---

(٢) الأصل في الشعبة أيضاً .

الحسين ، تاريخها ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٤ (يوافق ٢٨ سبتمبر ١٩١٦) يقول فيها ، بعد البسملة :

« من عبدالله ابن أمير مكة وشريفها الحسين بن علي ، إلى حضرة الشهم الأوحد والهمام الأمجد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله . ثم يقول : « أرجو الباري أن الأخ الإمام وكافة من يعزّ عليه بحال الصحة الخ » وفي ختامها ما نصه[1] :

« وأملي أن حضرة الأخ الإمام يناله الأجر في الاشتراك بهذا الجهاد الديني الذي لم يسبق له مثيل في سني الإسلام الأخيرة ، فإن دعاوى المجانبة والتوحش ، قد أزالها الباري بفضله وإنني ضامن لحضرة الأخ الإمام كل مطاليبه فيما ينوبه . وعلى ذلك وجهي وعهد الله . ومني السلام على حضرة الوالد الموقر والإخوة والأنجال الكرام ، في ٢٨ ق ٣٣٤ » الختم « قال إني عبدالله » وفي أعلى الكتاب بخط الأمير عبدالله : « كتابي هذا من يد خالد بن جامع ورجاجيلنا راقي وصيدح »

، ، ،

وبين يديّ صورة رسالة من عبد العزيز[2] مؤرخة في ١٥ ذي الحجة ١٣٣٤ (يوافق ١٤ أكتوبر ١٩١٦) جواباً لعبد الله ، على بعض رسائله ، ومنها دعوته إياه ، للمشاركة في « الجهاد » قال عبد العزيز ، بعد البسملة :

لا حق خير إن شاء الله

« أخي سلمك الله . ذكرتم حضرتكم في كتاب ابن ثِعْلي وفي آخر

---

(١) الأصل في الشعبة أيضاً . وقد لا يخلو من الفائدة أن أشير هنا إلى رسالة أخرى رأيتها في الشعبة السياسية ، في الرياض ، ليست من الحسين إلى عبد العزيز ، ولكنها من الحسين — صادرة عن الديوان الهاشمي بمكة — إلى ابنه الأمير عبدالله ، مؤرخة في ٣٠ رجب ١٣٣٦ (وهو يوافق ١١ ابريل ١٩١٨) يقول فيها : « وقد حررنا لصاحبك ابن سعود في هذه المرة تقريباً ألتماتوم » !

(٢) من محفوظات الشعبة السياسية .

كتابكم المبشّر بصحتكم ، عن انتصاركم الذي هو غاية مرامنا ، بل هو إن شاء الله عزّ للإسلام وكافة العرب . أما كتابكم الأول فتَتَعَرْف أخي أنه ما يَحْرِص على الزين ويبحث عن مداخل الشرّ إلا « رجّال » يدوّر الزين ويحب الاتفاق مع صفاء القلوب . وأما المغمّص الذي يطالع في مصالح نفسه فهو الغاشّ . وأنا والله العظيم ما ذكرت لكم جميع ما ذكرت إلاّ لأجل الاتفاق وقلع الشبه . وبحول الله ، العامل عمل الخير ، يظهر عليه ، والعامل ضده يطيح به .

وأما ما ذكر حضرتكم في الكتاب الآخر من حثكم على الجهاد ، فتعرف أخي أن كل إنسان فيه حمية دين وعربية ، أنه يجتهد في جهاد الأتراك وحلفاهم لأن اليوم والله ، ما أخبر عدوّ للإسلام والعرب غيرهم . وأنا مثل ما ذكرت لحضرتكم عن الجهاد أنه متعين علينا ولا شك . أنا قد عرّفت حضرة سيدنا وسيد الجميع (كذا) والآن أعرض لحضرتكم سبب عدم المباشرة لذلك :

« ما يخفى حضرتكم الحمد لله ، اليوم اتسع ما اعطانا الله ، وهو بالاسم لنا ، وبالحقيقة نحن وهو لكم . ممالكنا وعربانا الحمد لله كثير ، وشرّهم بينهم كثير أيضاً . كل جهة فيها عدوّ . والله العظيم إن أخيكم ، على كثر ما أعطانا الله ، مجدّ ومجتهد في جهاد رعيته لدورة الراحة والطمأنينة لهم . وكيف البعد عنهم وتركهم ينهب بعضهم البعض ، ولا يصلحون إلاّ بقوّة تكون حاضرة عندهم ، لتأديب المخالف ودورة راحتهم . وأيضاً لا بد من قوة تقابل ابن رشيد بأطراف القصيم . وبعد ذلك ، حنّا ممشانا نبي (نبغي) يصير نفعنا وضرنا واحد ، وإذا ما حصل حكية تفرح الصديق وتضر العدو إن شاء الله . وذلك ما يحصل إلاّ بقوة واستعداد .

« ولا هو خافيكم حال أخيكم وداخله وخارجه . ولا تحسب جوابي هذا دورة عذر أو طمع ، لا ورب البيت والذي بعث محمد بالحق ، إنما هو عجز ! وهو الحقيقة . أما إذا ترون مساعدة لنا سواء من سيادتكم أو من

المعلومين ، نضبط بها داخليتنا ونتهقوا (نتقوّى) بها على الجهاد مع حضرتكم، فذلك هو المطلوب .

« فإن كان الأمر يشق عليكم ، فبحول الله نبذل جدنا واجتهادنا فيما يذهب عدوّ الجميع ابن رشيد وغيره ، ويكون مساعدة لحضرتكم . وأنا اليوم خشيت يلحقني شك أنني مراقب لغيركم . لا والله ، بل إن عداوة ضدكم لي ، أزود . عاجل وآجل . أيضاً جميع الدبش (الرواحل والمواشي) الذي للترك بطرفنا أخذناه ، ونبهنا على جميع أهل نجد بقطع العلائق عن أطراف الشام والمدينة ، ونبهنا على حرب يقطعون الأرفاق (المرافقين) حتى ولو يجيهم أحد من أهل نجد ياخذونه . ولا بد إن شاء الله يبلغكم ذلك من غير كتابي هذا . فأما معاهدة حضرتكم لأخيكم فلا والله عندي بها شك . وأنا بعد ، معاهدكم بالله اللي يأمن به الخائف ، أني معكم بالقلب والحيل والقوة ، ما أذخـَر عنكم جميع ما أقدر ، ولا اعذركم لا على القريب ولا على البعيد ، إلاّ أمر يخل عليّ في ديني أو مصلحة أراها أراجع بها حضرتكم . والله شاهد وكفيل . حرر في ١٥ ذي الحجة ١٣٣٤

ومن عبد العزيز إلى الحسين

وكتب عبد العزيز ، إلى الحسين ، بما نصه [١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

« لجناب الأجل الأمجد ذو المكارم العلية والشيم المرضية ، سليل السلالة الطاهرة الهاشمية ، حضرة سمو الفخامة والسيادة ، أمير مكة المكرّمة وشريفها، سيدنا ووالدنا المكرم الشريف حسين بن علي المفخم حرسه رب البرية وبلغه أمانيه الخيرية .

---

(١) عن الأصل المحفوظ في الشعبة السياسية بالرياض

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . أعرض احتراماتي لأعتابكم الهاشمية . ورد إلينا بالشرف محرركم السامي المؤرخ ، جمادى الثانية ١٣٣٥ هـ وبما عرّف حضرتكم ، كان لدى ابنكم معلوم . بخصوص قدوم خادمكم مساعد بن سويلم عليكم ، وما أبديتموه بحق ابنكم ومملوك فضلكم ، فذلك من حسن ألطافكم العزيزة وشيمكم الهاشمية النبيلة . وابنكم كثير ممنون متشكر من حضرتكم . ولكم مزيد الفضل والشكر ، سابق ولاحق . فالله تعالى لا يعدمنا بقاكم ولا يحرمنا رضاكم .

« وأما ما عرّفتم من جهة ابن رشيد ، ومنزله ورجوعه عن مقاصده ، فهو حسب المسموع كما عرّف حضرتكم ، أما أخبار ابنكم ، فمعلوم جنابكم أنني ما كلفت نفسي وتجاوزت الخساير الذي لا تخفى حضرتكم ، بجمع جنودنا والمقابلة لهذا الرجل ابن رشيد وحزبه الذين أخربوا شرفهم وحميتهم العربية ، ببيع دينهم ومذهبهم ، مع هذه الدولة الملعونة ، إلاّ لقصد أن لا يتجاوزوا على شيء من آمالهم الفاسدة . والحمد لله كانت الأمور على المطلوب.

« من مدة وابنكم يراوز الفرصة فيهم ، ولم يحصل لنا ذلك ، لأنهم التجأوا إلى جبل سلمى ، باديتهم وحاضرتهم . وهالأيام ذكر لنا : ابن رشيد نازل السَبْعان ، قرية من قرى حايل . كأنها متوسعة عن الجبل نصف ساعة . وعَدَيْنا عليهم ، قصدنا مراوزة ابن رشيد . فلما وردنا الجفر ، ماء من مياه الجبل ، عرضوا لنا العجمان مقدمين قدامهم سبور ، ورأونا ، وهجّوا ، زَبَنوا ابن رشيد . وشدّ ابن رشيد والعجمان ، ونزلوا رَمّان وأجأ . والآن نراوز الفرصة بهم نرجو من الله التوفيق والمعونة ، لأن المواقع المذكورة جبال وعرة ، ولا نتمكن منهم إلاّ أن يَظْهرون بالسعة ، وإن ما ظَهَروا ، فهم محجورين وذاهبين إن شاء الله .

« القصد بذلك يثبت عند حضرتكم معلوم ، أننا إن شاء الله لم نزل ملاحظين للمصالح العايدة للجميع ، وأننا إن شاء الله لكم ومنكم في كافة الأحوال .

وقريب إن شاء الله تأتيكم منا البشاير بما يسر خاطركم . هذا ما لزم بيانه
والباري يحفظكم محروسين والسلام ١٧ رجب ١٣٣٥ [١]

ماذا يريد الحسين ؟

وساورتْ عبد العزيز الظنون في موقفه معَ الحسين ، فاستشار أباه الإمام عبد الرحمن وبعض كبراء نجد ، وأخبرهم بصُرَر الذهب التي وردت عليه من الحسين[٢] وقال سأكتب إليه ، فإن تكن له نية وراء المساعدة لنا تنبهنا إليها . وكتب إليه ما خلاصته[٣] :

« يا حضرة والدي ، إننا وإياك في هذه الحرب ، وثمرتها لنا ولك . فقد مشت عرباننا وعشائرنا ، عملاً بأوامرنا ، إلى مساعدتكم . ولكني أبغي أكثر من ذلك . وإني مستعد أن أرسل إليك أحد إخوتي أو أولادي ليحارب مع أولادكم . وفي ذلك الفوز الأكبر إن شاء الله ... قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي . فلا بدّ إذن من التفاهم والتأمينات . وذلك بأن تحدّد الحدود بيننا وبينكم ، فتزول الشكوك وتتضاعف من أهل نجد المساعدات .

جواب الحسين

وأجاب الحسين على رسالة عبد العزيز ، بكلمات نابية ، معناها : ماذا عراك يا ابن سعود ؟ ألا تعلم لأي أمر قمنا ؟

، ، ،

(١) يوافق ١٠ مايو ١٩١٧

(٢) في تاريخ نجد الحديث ، ص ٢١١ الطبعة الأولى ، أن رسول الحسين كان يجيء بالمال إلى عبد العزيز ، ويقول : « من جلالة الملك » ولا يزيد . ولم يكتب إليه الحسين كلمة بشأنها .. أقول : ليصحح في تاريخ نجد أن الحسين كتب إليه ، مع الصرر ، رسائل أوردنا نص اثنتين منها هنا .

(٣) هذه الخلاصة ، عن تاريخ نجد الحديث ٢١٢

كان الملك حسين يعتمد على ما سماه « البنود الخمسة » أو « مقررات النهضة » وهي المواد التي كان يقول إن معاهداته مع البريطانيين تشتمل عليها . وكان نجله الشريف فيصل — ملك سورية ثم العراق بعد ذلك — أول من أذاعها في حديث له نشرته جريدة المفيد بدمشق في ١٥ / ٢ / ١٩٢٠ ويمكن الرجوع إلى نصها الكامل في كتاب « ما رأيت وما سمعت » المطبوع بمصر سنة ١٩٢٣ م ثم في كتاب « ملوك العرب » المطبوع ببيروت سنة ١٩٢٨ غير أن الريحاني ، في ملوك العرب ، أهمل تصريحاً سياسياً للأمير فيصل بن الحسين ، له قيمته الكبيرة في الموضوع . فقد قال الأمير فيصل (كما في جريدة المفيد ، وما رأيت وما سمعت) : ما نصه :

« إن المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة — يعني أباه الحسين — ما رأيتها . وقد طلبت منه مراراً أن يجعلها سلاحاً لي إذا كانت موجودة . ولا أعلم سبب تأخيره إرسالها لي واكتفاء جلالته بإرسال صورة « اتفاقية » يقول إنها نسخة من تلك المعاهدة — وبعد أن ذكر نصها ، قال : — ولكني مع الأسف حينما كنت في لوندرة قدمت هذه الصورة إلى رئاسة الوزارة ، فأنكرت وجودها كل الإنكار وقالت : بأنه لا يوجد عهد ، ولا كتاب كعهد ، ينطق بمثل هذا التصريح .

واطلع الملك حسين ، وهو لا يزال في عرشه بمكة ، على حديث ابنه فيصل ، ولم يحرّك ساكناً .

، ، ،

وفهم عبد العزيز ، من جواب الحسين ، أنه أصبح لا يشك في أنه « ملك العرب » وأن نجداً ، من بلاده ، وصاحب نجد من « رعاياه » وذلك ما كان عبد العزيز يأبى أن يصدق فيه ظنون نفسه ، عندما كان يتسلم صُرَر الحسين . فأسرع إلى مكاشفة الحكومة البريطانية ، وهي المتعاقدة معه ، والمعترفة به في نجد ، اعترافها بالحسين في الحجاز ، فأبلغها عزمه على أن يحدّد حدود بلاده

بنفسه . وأجابه الوكيل البريطاني في البصرة السر پرسي كوكس ، في خلال حديث دار بينهما في العُقَير : إن أية حركة على الشريف اليوم ، هي علينا ومساعدة لأعدائنا وأعدائك . وألحّ البريطاني في أن يَعِده عبد العزيز وعداً قاطعاً بأن يتجنّب كل ما يؤدي إلى القتال مع الشريف ، فوعده بذلك على شرطين : الأول أن لا يتدخل الشريف في شؤون نجد ، وإن فعل فالحكومة البريطانية تلتزم الحياد . والثاني كفّ الملك حسين عن أن يتكلم باسم « العرب » أو يدعو نفسه « ملك العرب » فتعهد الوكيل البريطاني بذلك .

، ، ،

وتلقى عبد العزيز اعتذاراً من الملك حسين ، فعاد إلى مواصلته بكتبه وهداياه . ولكن كُتُب الشريف ظلت تنطوي على شيء من الجفاء مع كثير من اللين .

وبعد الحرب العامة

وانتهت الحرب العامة سنة ١٣٣٧ ﻫ (١٩١٨ م) واستسلمت الحامية العثمانية في المدينة المنورة للأمير عبدالله (ابن الملك حسين) فكتب عبدالله إلى عبد العزيز في ١٣ ربيع الثاني ١٣٣٧ (أوائل ١٩١٩ م) يخبره بذلك ، ويقول : ولا يخفى على مداركم أنه لم يبق ، والحالة هذه ، شاغل ما ، يشغل حكومة صاحب الجلالة أدامه الله وأيده ، عن الالتفات لإصلاح داخليتها وشؤونها ، والتنكيل بمن يسعى للإفساد والتخريب من العشائر التابعة لها » .

وأجابه عبد العزيز ، مهنئاً ومكرراً اقتراحه السابق ، في الفصل بأمر العشائر المشتركة بينهما ، وأن كل ما يرمي إليه هو استقرار السلام .

، ، ،

وجاءه من عبد الله (في ٣ جمادى الآخرة ١٣٣٧) أنه عائد إلى الوطن

بعد أسبوع .ويقترح عليه إرسال أحد رجاله أو أنجاله لحسم الخلاف.ثم يقول : وكيف يمكن أن يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة والخرمة والبادية ؟

تُرَبَة والخُرْمة

تربة والخرمة قريتان ، أو واحتان ، بين الحجاز ونجد . كان يسكن الأولى نحو ثلاثة آلاف نفس ، أكثرهم من عرب البُقُوم[1] ، وفيها عدد من الأشراف يملكون كثيراً من أرضها . وهي باب الطائف من جهة نجد ، في جنوبي حضن.وكان يسكن الثانية نحو خمسة آلاف،بعضهم من عرب سُبيع ، وبقيتهم من العَبِيد المعتوقين،وبين سكانها نحو ٣٠٠ من الأشراف.ترتفع عن سطح البحر ٣٥٠٠ قدم . وهي من طرق التجارة بين الحجاز ونجد . وأميرها الشريف خالد بن منصور بن لؤي (المعروف بخالد بن لؤي) .

كان الحسين يرى القريتين من قرى « الحجاز » ، وابن سعود يراهما من نجد .

وحجة الحسين قربهما من الحجاز ، وأن البادية تفصل بينهما وبين نجد ، وأن أكثر أصحاب المزارع فيهما من الأشراف ـــ قبيلته وأبناء عمومته الأبعدين ـــ والرئاسة فيهما للأشراف .

وحجة عبد العزيز أنه يفصل بينهما وبين الحجاز « جَبَل حَضَن » وتبعد تربة عنه مسافة ٧٥ ميلاً إلى الجنوب ، والخُرْمة ٥٠ ميلاً إلى الشرق . وقد جرى العرف من العصر الجاهلي ، على أن نجداً تبتدىء من جبل « حَضَن »

---

(١) في القاموس : والبقم – بضم فسكون – والبقم – بضمتين – بطن من العرب . وزاد صاحب التاج ٨ : ٢٠٤ : «ويقال لهم أيضاً البقوم ، الواحد باقم واسمه عامر بن حوالة بن الهنو بن الأزد» وهم الآن من سكان حضن وأطرافه ، حتى تربة والخرمة ، كما في قبائل العرب لكحالة ١ : ٨٩

وفي المثل: «من رأى حَضَناً فقد أنجد» أي دخل نجداً [١] ولعبد العزيز حجة أخرى، هي أن أهل القريتين جميعاً، وفي جملتهم الأشراف، حنابلة المذهب من عهد أسلافه، وما زالوا على ولائهم لآل سعود.

وبدأت مقدمات الخلاف من أيام رحلة الشريف حسين سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) حين دخل نجداً، وأراد في طريقه إلى «عُتيبة» إرهاب أهل القريتين وبسط سلطانه عليهما. وعُتيبة كانت تبدأ منازلها في الشرق مما بين القريتين وحولهما. وكان عبد العزيز كلما طلب البحث في تعيين الحدود، يعني هذه المنطقة الصغيرة، كما كان الحسين وابنه عبدالله كلما ذكرا «تأديب» العصاة في الشرق أرادا بادية «تربة» و«الخرمة» والممتنعين عن الخضوع لحكومة الحجاز العثمانية من أهلها. ولم يكن خالد بن لُؤيّ — أمير الخرمة — بالمرضيّ عنه من الشريف حسين، لحنبليّته أو «وهّابيّته» كما يقولون. وقد انتهز الحسين فرصة ظهوره بمظهر القوة في خلال الحرب العامة، فحبس خالداً، أوائل سنة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) بعد مكاتبات أدت إلى العنف بين ابنه عبد الله وخالد، منها: الرسالة الآتي نصها، مؤرخة في ١٠ ذي الحجة ١٣٣٥ (٢٨ / ٩ / ١٩١٧ م)

«بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد سيّد الأولين والآخرين، الشافع المشفع الأمين، الذي من اتبعه ووقره وأحبه اهتدى، ومن خالف سنته ونال من حقه، شقي وهوى.

أما بعد فهذا كتاب من عبد الله ابن القائم بأمر الله الحسين بن علي أمير مكة وشريفها، وملك العرب كافة، إلى المكرم السيد خالد بن منصور بن لؤي، يفيده بوصول كتابه وفهم خطابه الذي يذكر فيه أن أحوال البلاد

---

(٢) وفي النهاية لابن الأثير: الحضنيات — بفتح الحاء والضاد — غنم حمر وسود منسوبة إلى «حضن» بالتحريك وهو جبل بأعالي نجد..

وفي معجم ما استعجم للبكري حضن: جبل في ديار — أو بلاد — بني عامر، من أقبل منه فقد أنجد ومن خلفه فقد أتهم.

والرعايا على ما نحب . ولعمري إنها ليست على ما نحب ، بل فهمنا من الكتاب الوارد منك يا خالد أنها على ما يكرهه الله ورسوله ويكرهه عباده الصالحون .

تذكر أنك وجدت البلاد والرعايا منك جازمين ومديّنة ، وأنك نهيتهم عن زود الدين الذي ما منه إلاّ مضرة فلا حول ولا قوة إلا بالله . ما هنا دين غير دين خير البرية الذي لا نبيّ بعده ، ومن هو الذي يقدر على التزييد والتنقيص في دين الله الطاهر المطهر إلاّ كلّ خارج مارق . وعن القاضي الذي تذكر أن الرعايا أبت المخاصمة عنده ، وأنهم يبغون عوائدهم التي من عهد محمد بن عون . فمحمد بن عون هو الذي أفسد على الأشرار المبتدعة دينهم وأقصاهم من الأرض وإن الحسين بن عون سيفسد إن شاء الله تعالى كل بدعة ، ويقمع كل مبتدع .

أما طلبك عن كتابتي لك ، والذي أراه وأنصحكم به : هو رجوعكم إلى الحق ، واعتصامكم بحاكمكم وابن عمكم ، قبل أن تعودوا إلى ما كنتم عليه قبل رجوعه من بلاد الأتراك . وإن لم تسمعوا نصحي ، وتتبعوا قولي ، فأخشى عليكم أن تكونوا مظهراً للآية الكريمة « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مُتْرَفيها ففسقوا فيها فحُقّ عليها القول فدمرناها تدميراً . »

وأما ما قد ذكرت ، من أن نفسك طابت من الخدمة ، وأنك ما تقدر تبديها على سيدنا حتى تلزم فخري وربعه ، فما ذلك على الله بعزيز . لكن إن أخرت خدمتك إلى لزمة فخري ، فصرت كالذي يسعى لحتفه بظلفه . والسلام على من اتبع الهدى ١٠ الحجة ١٣٣٥ ، الختم (قال إني عبدالله)

، ، ،

ثم إن الشريف حسيناً ، أطلق خالداً وأرسله ليساعد ابنه « عبد الله » في حصاره للحامية التركية بالمدينة . وأهين خالد ، فعرّض للأمير بالانسلاخ عنه ، فحنق عبد الله ولطمه على وجهه ، فانصرف خالد إلى الرياض يشكو ظلامته

إلى عبد العزيز ويطلب معونته وعاد . فأرسل الشريف عبد الله نحو عشر حملات على الخُرمة ، بعضها بقيادة الشريف حمود بن زيد ، وبعض بقيادة شاكر بن زيد . وأحسن خالد الدفاع ، فأخفقت الحملات . وكان ذلك في أواخر السنة نفسها ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م)

وقعة تُربَة

أما الملك عبد العزيز فجاءه من أخبره بأن الشريف عبدالله لم يتوجه إلى وطنه كما ذكر له في كتابه (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٧) وإنما جعل وجهته « تربة والخرمة » لضربهما . وأنه مرّ بعُشَيرة ، واجتاز جَبَل « حَضَن » ونزل به في مكان يسمى « البُدَيّع » .

فكتب إلى عبد الله في ١٠ شعبان ١٣٣٧ (١٩١٨ م) كتاباً مطولاً قال فيه : « قد تحقق عندي خلاف ما أخبرتني به ، من أنك عائد إلى مكة . والظاهر أنك مهاجم « تربة والخرمة » ثم يقول : « إن أهل نجد لا يقعدون عن نصرة إخوانهم ، وعاقبة البغي وخيمة . وخير لك أن تعود إلى عُشيرة ، وأنا أرسل إليك أحد أولادي أو إخوتي للمفاوضة وحسم الخلاف » الخ .

وأجابه عبد الله بكتاب مطوّل أيضاً (في ٢٣ شعبان) يقول فيه : « وصلني خط الجناب الموقر ولم أجد فيه ما استغربته واستعذبته — ثم يقول — كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة ، وعثا في الأرض فساداً يستحق التأديب شرعاً .

«واعلم أن نيتنا نحوك ونحو أهل نجد، نية خير وسلام . — ويقول — تأمرني بالرجوع إلى ديرتي ، ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم ؟ وهل تذكر أن رجلاً من قريش ثم من بني عبد مناف ، ثم من بني هاشم ، جدّه الرسول وعلي ابن أبي طالب ، يُقَعْقَعُ له بالشِنَان ويروّع بمثل هذه

---

(١) انظر في بلاد عسير ٣٥ — ٣٨

الأقاويل ؟ أخبرتك بأني متوجه إلى الوطن ، لتأديب العصاة . وجاءت كتبك ملؤها المودة ، فما حملك الآن على تغيير لهجتك ؟ أمن أجل أنّا نؤدّب رعايانا ونصلح ما فسد في قبائلنا ؟ إن كنت تنوي الخير للمسلمين ، كما زعمت ، فاردد الذين أمرت ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور (يعني الهجر ...) وأخل أنت مكانك الذي وصلت إليه ، وارجع إلى ديرتك ولك عليّ ألاّ أمسّ أحداً من أهل نجد بسوء الخ .

الإمضاء :

القائد العام للجيوش الشرقية الهاشمية ، الأمير

(الختم : قال إني عبد الله)

، ، ،

وزحف عبد الله على الأثر بأكبر جيش تمكنت حكومة الشريف حسين من جمعه تحت لوائها[1] وكان مجهزّاً بالمُعدّات الحديثة مما وُجد في مستودعات الجيش العثماني بالمدينة المنورة . ويقوده ضباط نظاميون . فاحتلّ « تربة » يوم ٢٤ شعبان ، احتلالاً عسكرياً ، وصفه الأمير عبد الله في كتاب أرسله إلى أهل « رنية » وهي واحة أخرى قريبة من تربة ، قائلاً : « ما خفي عليكم ما حلّ بتربة من ذبح الرجال وتدمير الأموال ... الخ »

، ، ،

على أن الملك عبد العزيز كان قد احتاط للأمر ، بأن أوعز إلى سُلطان ابن بِجَاد كبير هجرة « الغُطْغُط » أن يذهب في سرية من « الإخوان » من متحضرة عُتيبة ، إلى جهة الخُرمة . وكتب إلى خالد ابن لؤيّ بمسيرهم لمعونته على الدفاع . وأمر الجميع أن يراقبوا حركة الأمير عبد الله ، فإن عاد إلى مكة تركوه وشأنه ، وإن أقبل على « تربة » فليفضّوا الجواب الذي سيأتي

---

(١) في قلب جزيرة العرب ، وفي تاريخ نجد الحديث : كان مؤلفاً من سبعة آلاف ، منهم ألفان من الجند النظامي والباقي من البدو .

منه ويقرأوه ، ويروا فيه رأيهم .

ولما احتلّ عبد الله « تربة » خرج بعض أهلها إلى خيام ابن بِجَاد في اليوم نفسه ، وهم على مسيرة ساعات منها ، مستصرخين ، وعاد رسول عبد العزيز بجواب عبد الله ، الآنف ذكره ، فقرأوه واتفقوا على مباغتة الجيش الشريفي في تلك الليلة .

، ، ،

تقدم خالد في أهل « الخُرمة » ومن جاءهم من تُرَبَة ، متجهاً إلى مخيّم الأمير عبد الله . وكانوا قد علموا من حامل الكتاب شيئاً عن المعسكر . واتجه ابن بجاد برجاله إلى العسكر النظامي ، حيث المدافع والرشاشات . وذهب الخيّالة — من الجماعتين — إلى ما وراء حرس الأمير ، يقطعون عليهم خط الرجعة .

وبينما الأمير عبد الله وجيشه ثملون بخمرة الفوز ، في تربة ، صباح ذلك اليوم ، وقد ناموا ناعمين هادئين ، إذا بجلجلة المُغيرين في منتصف الليل تثيرهم ، والأسياف تلمع في حلك الظلام، ومدافع الشريف تطلق على غير هدى . وكان للشريف شاكر بن زيد (من أبناء عم الأمير عبدالله) فضل إنقاذه — فيما قيل لي — فقد أردفه خلفه على جواده ، وطار به يَنْشدان النجاة[1].وسُمع الأمير عبد الله بن الحسين بعد ذلك يقول في عَمّان: ما زال يرنّ في سمعي صوت المغيرين ليلة تربة : الجنّة ، الجنة ، الجنة ... وما كنت أُريد ذلك الزحف على الشرق لولا أن جلالة والدي أمرني ، وأصرّ حتى

(١) الشريف شاكر بن زيد ، من شجعان الهاشميين . كان الملك حسين بن علي يعتمد عليه كثيراً . ولما قدم الأمير عبدالله بن الحسين إلى عمان ، سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) كان شاكر معه . وقلده منصب رئاسة العشائر إلى أن ألغيت . وقاد بعض الحملات العسكرية من شرقي الأردن إلى الجوف وغيرها . وتوفي في عمان ، ثاني رمضان ١٣٥٣ (١٠ ديسمبر ١٩٣٤) قال لورانس : كان شاكر رجل الطائف الفحل منذ حداثة سنه ، رفيق الصبا لأولاد الحسين . وهو أخو الشريف حمود بن زيد .

كاد يتهمني بعصيانه ..

، ، ،

مُزّق جيش الأمير عبد الله ، ليلة ٢٥ شعبان ١٣٣٧ (١٩١٩ م) على مقربة من تربة . وقَتل بعضه بعضاً (في البُدَيّع) ولم ينج منه إلاّ القليل . واستولى خالد وابن بجاد ومن معهما ، على معدّات الجيش الهاشمي وذخائره ، وكان أكثرها لم يزل في صناديقه .

وبعد أسبوع وصل الملك عبد العزيز ، بجيش جرّار ، ولم يعلم بالمعركة إلاّ بعد يومين أو ثلاثة أيام من وقوعها . فلما رأى جثث القتلى كالتلال ، ترقرق الدمع في عينيه ، وبكاهم .

الاكتفاء بما كان

ويروي بعض من كان مع الملك عبد العزيز في تلك الأيام ، أنه استعرض في أحد مجالسه الخاصة ، موقفه مع الحسين . وكان في قادة جيشه من يرى متابعة الزحف إلى مكة ، وقد ذهب جيشها شَذَرَ مَذَر . إلاّ أن عبد العزيز احتاط للعواقب ، وقرر الاكتفاء بهذه الجولة العنيفة مع الهاشميين ، والأوبة بالغنائم والذخائر إلى نجد ، خصوصاً بعد ورود برقية عليه من الحكومة البريطانية في ٥ رمضان ١٣٣٧ (٤ يونيه ١٩١٩) أشارت إليها عدة مصادر[١] تُحذّره من التوغّل في الحجاز ، وتعتبره محارباً لها إن فعل . فاكتفى بما كان في تربة .

الحسين يستثير أهل نجد

عاد عبد العزيز إلى الرياض ، وألقى ستاراً على ما مضى . وسعى لافتتاح عهد جديد مع الشريف حسين ، أقرب إلى الصفاء . ولكن الحسين بادأ أهل

(١) منها « تاريخ العرب الحديث » ٤٢٢

نجد بوضع العراقيل في سبيل دخولهم الحجاز ، حتى زمن الحج . وتكرر ذلك سنة بعد أخرى . ولم تنجح الوسائل لتحويله عن هذه الطريقة في إظهار النقمة .

وضجّ أهل نجد ، وقد عُطل فيهم ركن من أركان الإسلام ، يريدون الحج ، وتدخلت الحكومة البريطانية ، وقد عرفنا موقفها بعد وقعة تربة . فحاول معتمدها إقناع الحسين بالسماح للنجديين بالحج ، وكانت إجابات الحسين غير صريحة .

إنذار واقتراح

وكتب عبد العزيز إلى الميجر « دكسن » معتمد بريطانيا في البحرين ، في ربيع الثاني ١٣٣٩ (ديسمبر ١٩٢٠) — الكتاب الآتي نصّه[١] :

« جاءنا في هذه الأيام خبر بأن الشريف علي ، نزل في الطائف ولم يزل يغوّر العربان على طوارفنا القاطنين في حوالي « تربة » فيسلب الآمن ، رغماً عن المهادنة التي انعقدت فيما بيننا لإيقاف الحركات العدائية . وهذا آخر إنذاري لأنه حصل خلل ونقص في شرفنا عند الناس ، وعند رعايانا ، وفي داخليتنا . وحسماً للمسائل التي بيننا نرى أن نقترح ثلاث صور : إما تحديد الحدود كما كان في السابق ، والإدارة فيها بذاتها ، أو اختيار أهليها لمن يستميلون إليه من الطرفين ، وإن ما أمكن، إطلاق بعضهم على بعض. فلا يحملون الملام عليّ ولا يوجهون العتاب . »

في أطراف نجد

وأمد الملك حسين أُمراء « حائل » من آل رشيد ، في شماليّ نجد ، بالمال والسلاح . وانتهى أمرهم بذهاب دولتهم واستيلاء عبد العزيز على

---

(١) من الملف المحفوظ في الشعبة السياسية بالرياض .

عاصمتهم حائل ، وما يليها في الشمال إلى وادي السرحان سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٠ م) كما تقدم .

وأرسل الملك حسين قوة عسكرية مجهزة بالمدافع والرشاشات ، لمساعدة أُمراء آل عائض ، في الجنوب ، وقد زحف عليهم الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، كما سبق القول ، وكانت النتيجة أن زالت إمارة العائضيين ، وأصبحت عاصمتهم « أبها » وما حولها .. من البلاد الملحقة بنجد سنة ١٣٤١ هـ (أواخر ١٩٢٢ م)

واستمرت الغارات بين قبائل نجد الشمالية وقبائل بادية العراق ، وقد عجزت إدارة العراق الموقتة يومئذ عن كفّ قبائلها . فاكتفى الملك عبد العزيز بالنصح لقبائله ألاّ تكون البادئة أو المعتدية . ولم يتغير الوضع في السنين الأولى من تولي الملك فيصل بن الحسين عرش العراق ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) على الرغم من انعقاد موتمر العُقَير ، وتعيين الحدود النجدية العراقية سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٢ م)

واتفق المستر تشرشل (وزير الخارجية البريطانية) مع الأمير عبد الله بن الحسين ، على تسميته أميراً لشرقيّ الأردنّ سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) وأراد الأمير أو أراد البريطانيون سلخ « الجوف » وإلحاقه بالإمارة الأردنية فاضطربت الحدود .

موتمر الكويت

ووردت على عبد العزيز ، وكان لقبه في ذلك الحين عظمة سلطان نجد ، دعوة من الكولونيل نوكس Col Knox الوكيل البريطاني في الخليج ، للاشتراك في موتمر بالكويت ، دعيت إليه حكومات الحجاز والعراق وشرقيّ الأردن . الغرض منه تصفية ما بين نجد والعراق من شوون القبائل المشتركة ، وتعيين الحدود بين نجد وشرقيّ الأردن ، والنظر في ما بين الحجاز ونجد .

وقبل عبد العزيز الاشتراك فيه ، على مضض ، مشترطاً أن تكون المفاوضات فيه فردية ، يبحث بها مندوبوه مع مندوبي كل حكومة ، بما

يتعلّق ببلادهم خاصة .

ووافقت حكومتا العراق والأردن على هذا الشرط . أما الحجاز فإن الملك حسيناً أبى الاشتراك قائلاً : إنه لا يفاوض ابن سعود ما دام يحتل بلدة من بلاد الحجاز ..

واجتمع مندوبو نجد والعراق والأردن ، فكاد الاتفاق يتمّ على عقد معاهدة بين نجد والعراق ، غير أن المندوب العراقي اشترط ألاّ تكون نافذة ما لم يتمّ الاتفاق مع الحجاز . ولم يرض المندوب السعودي بهذا الشرط . وطلب المندوب الأردني تخلي حكومة نجد عن الجوف وسكاكة وتوابعها في الشمال ، لتلحق بشرقي الأردن ، وعن تربة والخرمة وخيبر لتلحق بالحجاز . فخرج عن شرط عبد العزيز في أن يتكلم مندوب كل حكومة عن بلاده خاصة . وانفرط عقد المؤتمر سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) على غير جدوى . وقد تقدم ذكره في الحديث عن « كُتيّب يُرجع إليه » (١)

وكان عبد العزيز يرقب سير المفاوضات في « الأحساء » فعاد إلى الرياض .

الحسين يتحرّش بعبد العزيز

ونشط الحسين ، فنشر أحاديث في المقطم (بالقاهرة) في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٤٢ (٢٧ يناير ١٩٢٤) وفي بعض الصحف السورية والعراقية . تعريضاً بسلطان نجد ، وتجريحاً لموقفه من القضية العربية والاتحاد العربي .

وفيصل يجيب

ووصلت الصحف إلى الأحساء ، وقد تخلف بها الأمير فيصل بن عبد العزيز ، بعد سفر والده إلى الرياض ، فكتب إلى جريدة « الأهرام » تحت عنوان « للحقيقة والتاريخ » مُظهراً أسفه لتجرؤ « بعض المسؤولين » على

---

(١) انظر الصفحة ٢٩٥

الاختلاق، ثم يقول ما نصه[١] :

« لقد سعى سلطان نجد ، في الحرب العالمية وبعدها ، لبناء الوحدة ، فأرسل الكتب العديدة والرسل ، إلى ابن رشيد ، وملك الحجاز ، وأميري عسير والكويت . ولكن ملك الحجاز قابل الدعوة بالاستهزاء ، بل سعى لنقض بنيانها ، بما كان يبثه من الفتن والدسائس في عسير وغيرها . وكتبه المرسلة منه إلى آل عايض وآل الرشيد محفوظة لدينا .

« وماذا يقولون في الكتب التي أرسلها سلطان نجد مع مساعد بن سويلم إلى ملك الحجاز وأولاده ؟ تلك الكتب التي نُشِرت في الصحف في حينها ، والتي نَشرت جريدة المقطم قسماً منها ؛ ألا تنطق تلك الكتب بما تنطوي عليه جوانح سلطان نجد وميله الشريف إلى التصافي مع جيرانه والاتحاد معهم ؟

« هل علموا أن ملك الحجاز ، لم يسمح لأولاده بإجابة سلطان نجد ، وتخطى حدود اللباقة بأن جعل جوابه إلى آل سعود كافةً ، لا إلى الجالس على عرش نجد ؟

« هل هذه الأعمال مما يقرب زمن الاتحاد العربي ؟ وهل بمثل هذه السياسة تُجتذب قلوب أمراء العرب ؟

« يصرّح ملك الحجاز ، بأنه خاطب سلطان نجد ، في أنه مستعد للتنازل عن عرشه وتسليم زمام الأمر إلى من يستطيع أن يقود العرب إلى طريق النجاة والسلامة . وهذا أمر لا أساس له بالمرة ، بل الواقع يخالفه تمام المخالفة . نعم إن ملك الحجاز قد يصرح أمام بعض الجماهير ، بمثل هذه التصريحات للتمويه على البسطاء .

« إن ملك الحجاز يحاول أن يتولى الزعامة ، غير المقيّدة ، في جزيرة العرب كلها ، وأن يستذلّ أمراء العرب ، ويقتطع بلادهم ، ويتدخّل في شؤونهم الداخلية . وهذا ما لا يمكن أن يوافقه عليه أحد .

---

(١) الأهرام ١٨ مارس ١٩٢٤ م (١٣٤٢ هـ)

« وإن مكاتبات ملك الحجار إلى أهل القصيم ، وحثّه إياهم على نقض ولائهم لسلطانهم ، لدليل بَيِّن على ما يخفيه وينويه لسلطان نجد وبلاده .

« إن تحت يدنا من الكتب والرسائل التي وجدت في (تُرَبَة) و (الحُرمة) و (عَسِير) ما يفيد أن ملك الحجاز ، وولده عبد الله ، لا يسعيان إلاّ لشهواتهما ومصالحهما ، ولو أدى ذلك إلى هدم بناء العرب . وإننا نمسك عن نشرها الآن ، وإن سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها . وهنالك يعلم العالم الإسلامي والعربي تلك الجنايات والدسائس التي يقوم بها هؤلاء القوم الذين اتخذوا الصياح وقلب الحقائق ديدناً لهم .

« وسيعلمون أيّ الفريقين جنى على أمته العربية ووحدتها ، وأيهم سبّب هذا الانقسام ، وألقى النفرة بين الأمراء ، وأشعل نيران الفتن والحروب بينهم .

« نعم ، سيعلمون أن سلطان نجد لم يكن في جميع مواقفه ، إلاّ مدافعاً عن نفسه وبلاده وشرفه ، وأنه كان ، ولا يزال ، راغباً من صميم فؤاده في إنشاء « الوحدة العربية » على أساس يجعل للعرب قوّة ومكانة تليق بتاريخهم المجيد .

الأحساء : ٢٠ رجب ١٣٤٢ (٢٦ فبراير ١٩٢٤)

فيصل بن عبد العزيز آل سعود

الحسين والخلافة

وسافر الملك حسين إلى عَمّان (عاصمة شرقيّ الأردنّ) سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) بعد أن أصبحت خلافة آل عثمان في « تركيا » نسياً منسياً . فجاءه رجل من مشايخ يافا « بفلسطين » يحمل مضبطة بمبايعته بالخلافة . وأُقيمت الحفلات ، وبايعه من كان في عَمّان من زوّاره فيها . وعاد إلى مكة ، وقد أضاف إلى ألقابه لقب « الخليفة » .

، ، ،

منـــع النجديين من الحـــج

لأشراف الحجاز ، قبل الملك حسين ، سوابق في منع النجديين من الحجّ ، تعرّض لذكرها مؤرخهم في أواخر القرن الماضي أحمد بن زيني دحلان[1] فقال : إنهم كرروا إظهار الرغبة بتأدية الفريضة ، أيام الأشراف مسعود بن سعيد « المتوفى سنة ١١٦٥ » ومساعد بن سعيد (١١٨٤) وأحمد ابن سعيد (١١٩٥) وسرور بن مساعد (١٢٠٢) وغالب بن مساعد (١٢٣١) وكانوا كلما استأذنوا للحج مُنعوا أو سُجن رسلهم . حتى كانت سنة ١٢٠٢ ﻫ (١٧٨٨ م) ، وقد تولى غالب بن مساعد ، فلم يكتف بمنعهم ، بل « تهددهم بالركوب عليهم » وأعقب القول بالفعل ، فكانت له معهم ست وخمسون وقعة ، من سنة ١٢٠٥ إلى ١٢٢٠ ﻫ ، دخلوا في أثنائها مكة ، بالأمان لأهلها ، سنة ١٢١٨ قال دحلان : « وفعل غالب كل ما أمكنه حتى عجز ، فعقد الصلح مع أحد علمائهم سنة ١٢٢١ ﻫ (١٨٠٦ م) ودخلوا مكة .

الحجّ بالقـــوة

وتكرّر هذا في عهد عبد العزيز ، فقد مضت خمسة أعوام ، وأهل نجد منقطعون عن تأدية الفريضة . واجتمع أعيانهم تحت رئاسة الإمام عبد الرحمن (والد الملك عبد العزيز) في الرياض وحضر عبد العزيز ، إثر عودته من الأحساء ، بعد إخفاق المؤتمر في الكويت .

فقال بعض متكلميهم : لا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا ، على ترك ركن من أركان الإسلام ، مع قدرتنا عليه ، نريد أن نحج يا عبد العزيز ، فإن منعنا الشريف دخلنا مكة بالقوة ..

وكان مما أجاب به عبد العزيز : ما ادّخرت جهداً لحلّ ما بيننا وبين

---

(١) في كتابيه « خلاصة الكلام » ٢٦١ و«الدرر السنية» ٤٣ ، ٤٤

الحجاز بالّتي هي أحسن ، ولكنّ الحسين كلما دنوت منه تباعد .
فكان هذا إيذاناً من الملك عبد العزيز ، بالحركة .

الزحف إلى الحجاز

مشى من « تربة » نحو ثلاثة آلاف مقاتل من مختلف القبائل ، يتقدّمهم سُلطان بن بِجاد والشريف خالد ابن لُؤيّ (بَطَلا تربة) فاجتازوا جبل « حَضَن » وأناخوا بالحَوِيّة (مطار الطائف اليوم) في أول صفر ١٣٤٣ (١٩٢٤ م)

رؤساء الزحف

أما رؤساء الزحف : فكان أهل تُرَبَة والخُرْمة ، بقيادة خالد بن منصور ابن لُؤيّ . وقد عُين للنظر في المصالح العامة للبلاد الّتي فتحها الإخوان .

وأهل الغُطْغُط ، برئاسة سلطان بن بِجاد بن حميد ، القائد العامّ للحملة
وأهل الأرْطاوية ، بقيادة فِعْدان بن درويش .
وأهل حَلَبان ، وأميرهم هذال بن فهيد .
وأهل الروضة ، وأميرهم ماجد بن فهيد .
وأهل الرين ، وأميراهم حزام بن عمر وهذال بن سعيدان ،
وأهل رنية ، وأميرهم فيحان بن صامل .
وأهل ساجر ، وأميرهم عقاب بن مُحَيّا .
وأهل صبحا ، وأميرهم حزام الحميداني .
وأهل عروى، ورئيسهم جهجاه بن بِجاد بن حُميد .
وأهل عسيلة ، ورئيسهم نافل بن طويق .
وأهل عرجة، وأميرهم ذَعّار بن زُمَيع .
وأهل النصف ، وأميرهم معيض بن عبود .
وأهل العمار ، وأميرهم عبد المحسن بن حسين .

وأهل الردينية ، وأميرهم عبد الله بن صَمْعَر[١]

في الطائف

وخرج الجيش النظامي الهاشمي ، من الطائف ، لصد « الإخوان » يتولى قيادته صبري باشا العزّاوي[٢] وكيل حربية الملك حسين . فدارت معركة حامية في الحوية ، انتهت بتراجع الهاشميين واعتصامهم ببعض المرتفعات في الطائف ، يطلقون منها نيران مدافعهم ، وهم في شبه حصار .

ووصل بعد يومين الأمير علي ، كبير أبناء الحسين ، في نجدة من مكة . وعسكر في الهدة[٣] غربي الطائف بميل إلى الشمال . وهرعت إليه فلول الجيش النظامي وجماعات من كبار موظفي الطائف وأعيانها .

وبعد مناوشات بين السعوديين وجيش الأمير علي ، اقتحم السعوديون مدينة الطائف ، يوم ٧ صفر ، وانطلق الأعراب يقتلون وينهبون ، على عادتهم في ذلك العهد ، وبئست العادة .

الكُتب في المعركة

وأخبرني أحد شهود المعركة أن بعض المهاجمين للطائف دخلوا منزلاً ، فيه مكتبة ، فأخذوا كتب الحديث والتفسير كلها ، وتركوا كتب النحو والأدب والفقه ..

---

(١) مخطوطة خالد الفرج . ثم الرحلة الملكية ٢٦ ، ٢٧

(٢) من قبيلة الأعزة ، بقرب بغداد . كان مع الجيش التركي في المدينة ، فلما استسلمت حاميتها بعد هدنة الحرب العامة ، خدم الجيش العربي ، إلى أن عينه الحسين وكيلا لحربيته . وبعد هذه الوقعة عاد إلى بغداد . وتوفي بها في الأسبوع الأخير من سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م)

(٣) في كتاب ما رأيت وما سمعت ص ٣٩ وصف للهدة وقبائلها . وهي « هدة هذيل » وليست هدة بني جابر الواقعة في مر الظهران ، بينه وبين عسفان ولها ذكر في السيرة النبوية . أفادنيه الأستاذ حمد الجاسر .

في الهَدَة

وتتابعت النجدات للأمير علي ، من مكة وأطرافها ، جنداً وقبائل ، إلى أن كانت المعركة الفاصلة مساء ٢٦ / ٢٧ صفر ، فاستولى السعوديون على معسكر الأمير علي ، في الهَدَة واستباحوه ، وتفرّق الهاشميون ومن معهم .

خلع الحسين وتولية علي

توقف الزحف في الطائف والهَدَة . وأرسل ابن بجاد وابن لؤيّ إلى الملك عبد العزيز – وهو لا يزال في الرياض – يخبرانه ، وينتظران إذنه بمواصلة السير إلى مكة . ولم يكن من وسيلة لتبادل الرسائل مع الرياض غير الركائب .

وعاد عليّ إلى أبيه بمكة ، يقلّبان وجوه الرأي . ثم نزل عليّ إلى جدة فأبرق أعيانها إلى الحسين (في ٤ ربيع الأول ١٣٤٣) يطلبون نزوله عن عرش الحجاز ، لابنه علي . ولا أشكّ في أن هذا كان مما اتفق عليه الأب والابن في مكة . وبعد مداولات ومحاورات هاتفية أعلن الحسين اعتزاله العرش ، في عشية ذلك اليوم .

وفي صباح ٥ ربيع الأول ، نودي بالأمير علي – في جدة – ملكاً على الحجاز .

حوادث

يوم ٦ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) – عاد « الملك » علي إلى مكة ووالده فيها .

يوم ١٠ ربيع الأول – وصل الحسين إلى جدة وأبى أن يقابل أحداً .

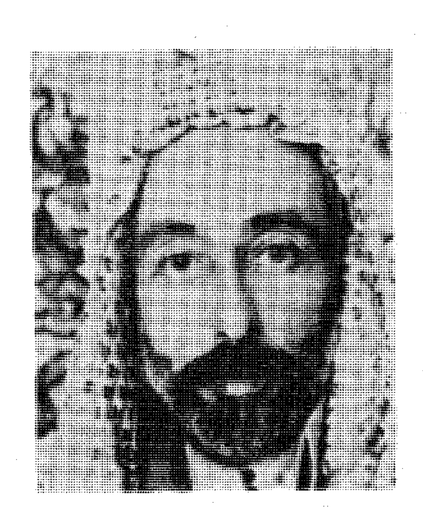
يوم ١٥ ربيع الأول – أخلى الملك علي مكة ، وانتقل ليلة ١٦ إلى ظاهر جدة[١]

---

(١) في مخطوطة خالد الفرج : أقام الأمير علي في مكة أسبوعاً ، ولم يبق لديه من الجنود سوى ٥٠٠ جندي . ووصلت إليه الأخبار ، بأن « الإخوان » وصلوا إلى « الزيمة » في طريقهم إلى مكة ، فانسحب إلى جدة . ودخل في خلال ذلك بعض البدو إلى مكة ونهبوا ما استطاعوا من بيوت الحسين وأبنائه . وبعد يومين من خروج الشريف علي ، دخل الاخوان .

يوم ١٦ ربيع الأول — نزل الحسين وحرمه وخدمه إلى البحر . وودّعه بعض موظّفيه السابقين . ولم يخرج ابنه علي لوداعه . وأبحر على سفينة له تسمى « الرقمتين » ووجهته العقَبة .

الملك حسين بن علي

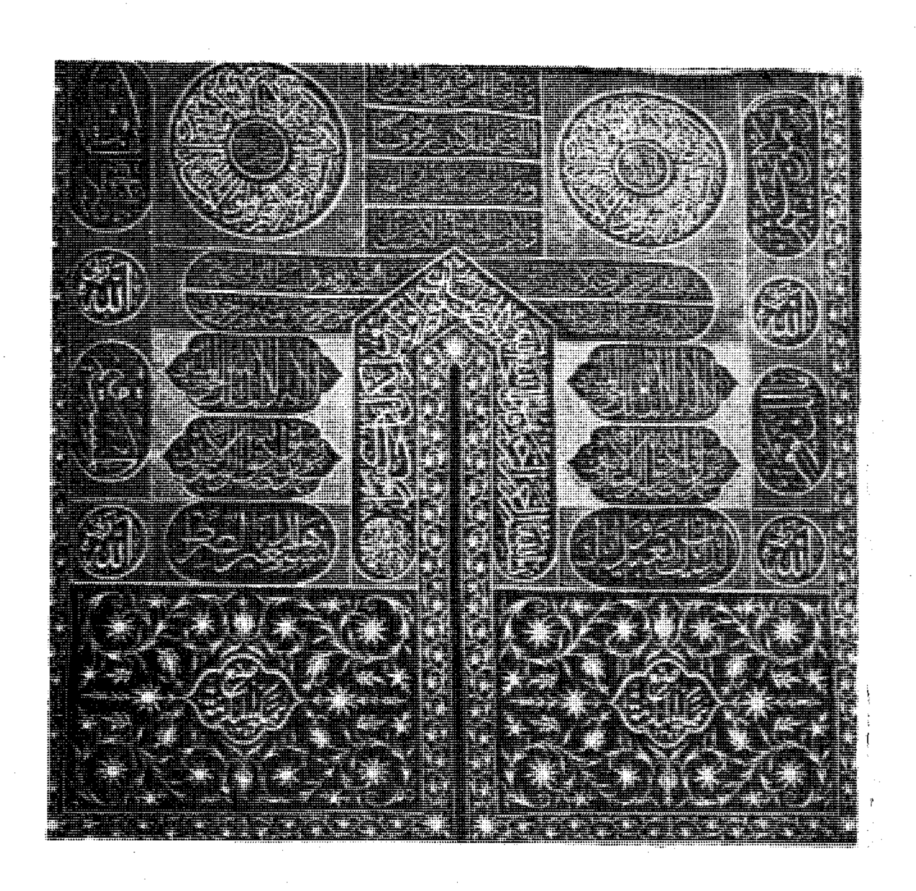


الملك علي بن الحسين

وظلت قصور الحسين وأبنائه في مكة ، قِراب يومين ، بين خروج علي (في ١٥ ربيع الأول) ودخول السعوديين (في ١٧ منه) عُرضةً لعبَث البدو والغوغاء . لخلوّها من سلطة تصون الأمن .

السعوديون يدخلون مكة بغير سلاح

أفتى علماء الرياض بأنه لا يجوز دخول « الحرَم » بنية القتال . وأذن عبد العزيز بحصار مكة إن قاومت . ودخلها خالد ابن لؤي وسلطان بن بجاد بجيشهما ، وكلهم بملابس الإحرام ، ينادون بالأمان . وطافوا حول « البيت » وسعوا . ثم تسلموا زمام الأمور ، يوم ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ (١٩٢٤ م) وتولى خالد إمارتها .



ستار باب الكعبة

بين الرياض ومكـــة

ما كان لعبد العزيز ، المتحفّز لانتهاز الفرص قبل فواتها ، أن يستقر في الرياض ، ورجاله وجنده في مكة عرضة لتقلبات السياسة ومفاجآت الأحداث، فأزمع السير .

دخل على أبيه الإمام عبد الرحمن في الرياض ، فقبّل يديه ، وتزوّد بدعائه ورضاه . واحتشد من في الرياض لوداعه ، فكان مما قال لهم :

« إني مسافر إلى مكة ، لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم عنها .

« إني مسافر إلى مهبط الوحي ، لبسط أحكام الشريعة . ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع .

« سأجتمع بوفود العالم الإسلامي هناك . وأتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن شهوات السياسة ، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله » .

، ، ،

وكان سفره من الرياض ، على الذلول ، لا سيارة ولا طيارة ، يوم ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٣ (١١ نوفمبر ١٩٢٤) وخلْفه ، ومِنْ حَوْله ، جمع كبير قيل لي : إن حاشيته وحدها كانت زهاء ثلاثمئة هَجّان .

كبار من كان في الركب

سَمّى يوسف ياسين ، في الرحلة الملكية[1] كبار من كان في الركب ، وهو منهم . وأورد المعلّق على الرحلة نبذاً في التعريف ببعضهم ، فتَحصّل لنا عنهم ما يأتي :

١ – الأمير محمد بن عبد الرحمن[2]

٢ – الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (شهد معظم الغزوات مع أخيه الملك عبد العزيز)

٣ – الأمير محمد بن عبد العزيز (حصل على يديه دخول المدينة المنورة ، وتسلمها في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٤٤)

٤ – الأمير خالد بن عبد العزيز (وليّ عهد المملكة العربية السعودية الآن ، والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء)

٥ – ناصر بن سعود بن إبراهيم بن عبد الله بن فرحان بن سعود (توفي سنة ١٣٥٨ هـ)

٦ – مساعد بن سويلم

٧ – مشاري بن سعود بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (توفي سنة ١٣٤٦ هـ)

٨ – الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، قاضي جيش الإمام عبد العزيز ، وإمامه في الصلاة (تولى فيما بعد رئاسة قضاة المملكة سنة ١٣٤٦ إلى أن توفي ١٣٧٨ هـ)

٩ – الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، آل الشيخ (توفي سنة ١٣٦٦ هـ)

---

(١) نشرت تباعاً في جريدة أم القرى سنة ١٣٤٣ هـ ، ثم قامت وزارة المعارف السعودية بإعادة نشرها . وتولى الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ ، التعليق على بعض ما ورد فيها ، فجاءت في ٩٦ صفحة عدا المقدمات .

(٢) انظر ترجمته في الأعلام ٧ : ٧١

١٠ — محمد بن عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ (كان يلقب بالصحابي لورعه)

١١ — الشيخ عبد الله العُجَيْري . تأتي كلمة عنه في هذا الفصل .

١٢ — الشيخ حَمَد الخطيب (حمد بن محمد أبي عوف ، من أهل مدينة حائل . تولى القضاء بمكة وتوفي فيها سنة ١٣٤٤ هـ)

١٣ — الشيخ عبد الرحمن النفيسة ، ويلقب بالخطيب

١٤ — أخوه حسين النفيسة (له ديوان نظم مطبوع في الهند)

١٥ — عبد الرحمن بن مشاري بن سويلم

١٦ و ١٧ — فهد وسلطان ، من آل رشيد

١٨ — إبراهيم السَّبْهان (من آل سِبهان)

١٩ — محمد بن عبد الكريم السبهان

٢٠ — فهد العبد الله السبهان

٢١ — عبد الله الدملوجي (الدكتور)

٢٢ — حمزة غوث ، من أهل المدينة (ثم كان سفيراً للمملكة في إيران)

٢٣ — الدكتور محمود حمدي حَمّودة (ستأتي كلمة عنه في خاتمة الحديث عن الأعمال الصحية في المملكة)

٢٤ — محمد النحاس ، من رجال المالية والوطنية بسورية

٢٥ — بَشِير الأمين ، من رجال المال

٢٦ — جمال الغزي

٢٧ — عبد الله بن سعد السُّدَيْري

٢٨ — عبد العزيز آل إبراهيم (وهو عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن إبراهيم . تولى بعد ذلك إمارة الطائف ، في السنة نفسها ١٣٤٣ هـ ثم نقل إلى إمارة المدينة المنورة . ونقل منها سنة ١٣٥٥ إلى مجلس

الوكلاء فكان من أعضائه . وسافر إلى مصر للعلاج،فتوفي بها سنة ١٣٦٥ هـ)

٢٩ ـ محمد بن حُوبان (من كتّاب الديوان)

٣٠ ـ عمر بن ربيعان (أمير لواء هجرة الداهنة) على رأس جندها . وهو الآن أمير نفي .

٣١ ـ عبد الله بن زاحم ، قاضي هجرة الداهنة : وهو عبد الله بن عبد الوهاب ابن زاحم ، من أهل القصب (إحدى قرى الوشم) ينتسب إلى قبيلة البقوم المعروفة في تربة وحضن ، تفقه في أُشَيْقِر والرياض ، وعُين قاضياً في الداهِنة ، ثم نقل بعد سنوات إلى قضاء الرياض ، فرئاسة قضاة المدينة . وتوفي وهو في هذا المنصب سنة ١٣٧٤ هـ ، ودفن في البقيع .

٣٢ ـ الزغَيْبي ، أمير لواء هجرة دُخْنَة ، ومعه عدد من جنده .

٣٣ ـ زَبْن بن جُدَيْع ، أمير لواء هجرة الدُلَيْمية ، على رأس ثلة من جندها .

٣٤ ـ سعيد الذِكْري ، أمير لواء هجرة مِسْكة ، ومعه بعض جنده .

٣٥ ـ محمد بن معدل ، أمير لواء هجرة البدع ، ومعه بعض جنده .

٣٦ ـ تُركي الظِيط ، أمير لواء هجرة نِفْي ، وبعض جنده .

٣٧ ـ هندي الذُوَيْبي ، أمير لواء هجرة الشُبَيْكية ، وجمع من جنده .

٣٨ ـ عجب بن حُفَيّظ ، أمير لواء شريفة ، وفريق من جنده .

، ، ،

ومضى عبد العزيز يطوي البيد ، في سير وئيد ، علّله بعض من كان معه في تلك الرحلة ، بأن من عادته الحذَر ، وأشدّ ما يخشاه الانتكاس ، فجعل التأني في السير وسيلة لمعرفة ما قد يطرأ في الحجاز من مفاجآت ، وهو مقدم على انتزاع « دولة » كانت لها جذور وأصول ، ولها بالعالم الخارجي

صلات ، وحولها أعين تتطلع مليئة بالأطماع .

ولم يكن في مفاوز القفار هاتف ولا برق سِلْكي أو لاسلكي . وكان المذياع ما يزال بعيداً عن متناول أهل المشرق العربي ، فليس ثمة من وسيلة ، للاتصال بالعالم، قريبه وبعيده،إلاّ البريد تحمله سفن البر (الهـجّانة) وكان بريد عبد العزيز يُدركه أينما كان .

– هذا بريد من البصرة يا طويل العمر ! وهذا من مكة . وهذا من مصر . ومن الشام .

ويأمر بفتح البريد ، حال وصوله إليه . فيُفضّ ويقرأ عليه إذا كان راكباً ، أو يتصفحه إن كان وروده في بعض ساعات الجلوس . أما في الليل فيُضاء أحد « الأتاريك » [١] ويحمله خادم وهو على بعيره ، إلى جانب من يقرأ . و « الشيوخ » على راحلته يصغي .

وفي ساعة من ساعات الهزيع الثالث من الليل ، كان عبد العزيز يقول : وين العُجَيْري ؟ ويتكرّر اسمه في أطراف الموكب ، فتقترب راحلة العُجَيري من ذلول عبد العزيز : مَسّاك الله بالخير ! وينطلق في حديثه ...

العُجَيْري ، عبد الله بن أحمد : راوية محاضر ، نجدي من أهل الحوطة ، حوطة تميم ، كان يحفظ الكثير من كتب الحديث والأدب والشعر ، ويرويها في المناسبات . وكان شاعراً إلاّ أنه مقلّ . رافق عبد العزيز في رحلته هذه ثلاثاً وعشرين ليلة . يحاضره ومن حوله ، وكلهم على الإبل ، كل ليلة ساعةً أو ساعتين . لم يُعد في ليلة ما ذكر قبلها [٢] .

---

(١) الأتاريك جمع أتريك . وهو فانوس كان كثير الاستعمال في المملكة ، قبل امتداد الكهرباء . معرب عن كلمة Electric

(٢) ولد العجيري سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) في الحوطة، وتوفي بها سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م)

الدول الأجنبية

وتلقّى القائدان ابن لؤيّ وابن بِجَاد ، في مكة ، رسالة من معتمدي الدول الأجنبيّة بجدّة ، يشيرون فيها إلى أن لحكوماتهم رعايا في مكة ، ويرجون معاملتهم بالحسنى . فأجاب القائدان بأن أهل مكة كلهم في أمان واطمئنان ، ومن جملتهم رعايا الدول الأجنبية . وسألا في نهاية رسالتهما عن موقف تلك الحكومات إزاء الحرب القائمة ؟ فتسلّما منهم كتاباً بتاريخ ٦ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٤ نوفمبر ١٩٢٤ م) موقعاً عليه من معتمدي وقناصل الحكومات البريطانية والإيطالية والفرنسية والهولندية والإيرانية ، هذا نصه :

« إلى خالد بن لؤي ، وسلطان بن بجاد »

« وصلنا كتابكما . ولا يخفى عليكما أن حكوماتنا التزمت الحياد التام في الحرب القائمة بين نجد والحجاز . فنحن محايدون ، ولا يمكننا التدخل بأي وجه كان في هذا الخصام . وقد أحطنا علماً بتصريحكما أن ليس لكما نظر في رعايانا . نؤيد مضمون كتابنا الأول المختص بهم . »

سجدة الشكر

أخبرني أحد الثقات ، قال : كنا في حاشية السلطان « الملك » عبد العزيز ، في رحلته الأولى من الرياض إلى مكة ، بعد أن دخلها ابن بجاد وابن لؤي . وكان يبدو على الملك شيء من القلق . وجاء بريد مكة ونحن على آبار المصلوم (المصلوق) مساء ٢٣ ربيع الثاني ١٣٤٣ فأمر بفتحه في الحال — على عادته — وعُرض عليه . فلما وقع نظره على رسالة فيه وقرأها ، خرّ ساجداً ورفع رأسه يشكر الله . ثم قال : قد لزموا الحياد ... فعرفنا أن سبب قلقه ترقبه ما سيكون موقف بعض الحكومات الأجنبية ، فلما اطلع على جواب معتمدي الدول بجدة ، وفي مقدمتهم المعتمد البريطاني ، لسلطان وخالد ، بالتزام حكوماتهم الحياد في الحرب القائمة ، زال ما كان يساوره ..

اطمأن عبد العزيز إلى أن ما اعترض سبيله يوم تُرَبَة ، لن يكشر له عن نابه في أم القرى . وبتعبير أوضح : أدرك أن الحكومة البريطانية التي أنذرته وطلبت إليه التوقف أيام مَزّق رجاله جيش عبد الله بن الحسين سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م) قد عادت فوقفت موقفاً آخر هو الحياد ، بعد دخول جنده مكة وتأهبه للزحف إلى جدة . وأمر بالنهوض إلى الركائب والإغذاذ في السير .

في قَرْن المنازل

وبدت حركة في الركب ، غير مألوفة .. تَبَاشَر من يحيط بعبد العزيز ، وسواهم ، باجتياز الريعان (وكان القدماء يسمونها المناقب) وقد قاربوا قَرْن المَنازل وهو المسمّى في أيامنا هذه بالسيل .

وفي حديث ابن عباس : وَقّت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأهل المدينة ذا الحُلَيفة ، ولأهل الشام الجُحْفة ، ولأهل اليمن يَلَمْلَم ، ولأهل نجد قَرْن المَنازِل .

إنه ميقات من أراد الحجّ من أهل نجد .

ما كاد الركب يبلغه ، حتى ثنى عبد العزيز زمام سيره ، وعلا صَخَب الإبل في إناختها . وانحدر القوم إلى الماء يغتسلون .

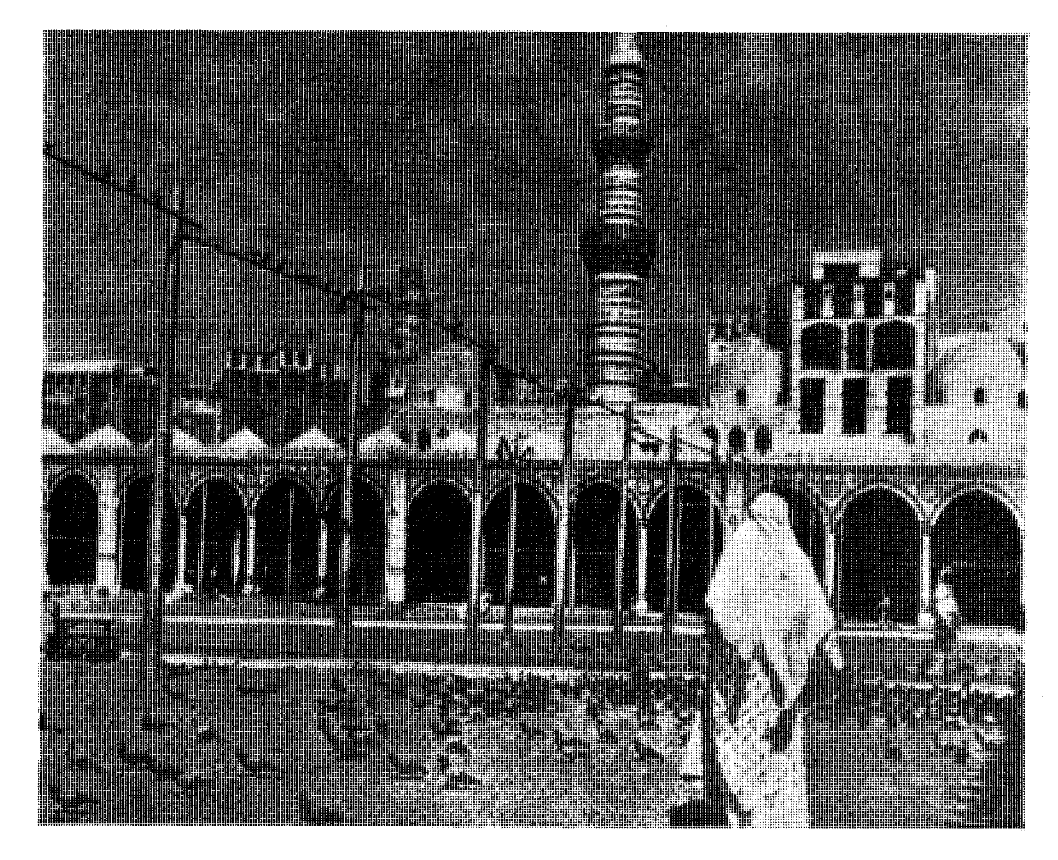
، ، ،

وبعد قليل من الراحة وتناول الطعام ، كان عبد العزيز ومن معه قد استبدلوا بملابسهم ، الحُرُمَ [1] البيضاء . واستأنفوا السير ، إلى أن دخلوا مكة ، مُحرمين معتمرين ، يوم ٨ جمادى الأولى ١٣٤٣ (٥ ديسمبر ١٩٢٤) فكان اتجاههم الأول إلى بيت الله الحرام ، فطافوا حول الكعبة ؛ ثم إلى ما بين الصّفا والمَرْوة ، فسعوا .

وتهافت الناس عليهم ، يرحّب بعبد العزيز مَن كان يعرف « سيرة » عبد العزيز ، ويأمل الخير على يديه من لم يكن يعرف ما ستصير البلاد إليه .

---

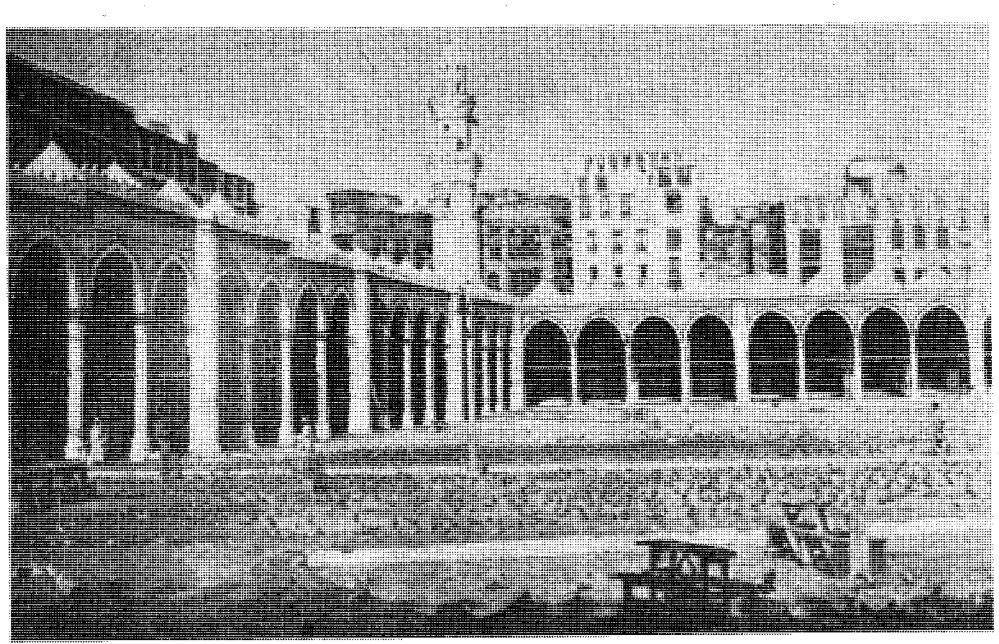
(١) الحرم ، بضمتين ، جمع حريم ، كأمير . وهو « ثوب المحرم » وفي التاج : تسميه العامة الإحرام والحرام .



جانب من الحرم المكي

يدخل جـدة ويستصفي الحجـاز

لم ير عبد العزيز ، بعد استقراره في مكة وتنظيم بعض شؤونها ، فائدة من وساطات للصلح قام بها عليّ بن الحسين[1] وانتهت بقيام طائرة من جدة بإلقاء منشورات على أهل مكة في غرة جمادى الآخرة ١٣٤٣ (٢٧ ديسمبر ١٩٢٤) لا تبشّر بخير .



ركن من الحرم ، بمكة

(١) في تاريخ نجد الحديث ٢٤٦ – ٣٥٤ تفصيل لهذه الوساطات .

الزحف الى جدة

وأذن عبد العزيز بالزحف إلى جدة ، يوم السبت ٧ جمادى الآخرة ١٣٤٣ (٣ يناير ١٩٢٥) فابتدأت المناوشات ، ثم الحصار .

وأحاط عليّ أطراف جدة بالمتاريس والأسلاك الشائكة . وتوالت عليه النجدات والمؤن والذخائر ، قادمة من العقبة في البحر ، حيث كان والده الحسين يبذل ما ادّخر من المال ، لشراء العتاد وتجهيز المحاربين . وابنه الأمير عبد الله يجمع « المتطوعة » ويسوقهم « لإنقاذ بيت الله الحرام » والسنابيك تغدو وتروح بين جدة والعقبة .

وظهرت في جيش ابن الحسين طيارات ومصفحات ، كانت تقوم ببعض الغارات ، على الرغم من قلة البنزين ونفاده في أكثر الأحيان .

وتولى عبد العزيز قيادة جيشه . فرابط أولاً في « الوزيرية » ثم في « الرغامة » على مقربة من جدة ، وأخبارها تصل إليه باستمرار . والمناوشات تشتدّ وتهدأ . وأبى على من معه من قادة « الإخوان » كالدويش وابن بجاد ، اقتحام جدة عنوةً ، مخافة أن يصاب أحد الأجانب. ومن يدري ما يعقب ذلك ؟

ووجّه السرايا من قبائل سبيع والسهول ومطير وغيرها ، إلى شمالي جدة وجنوبيها ، فاحتلت اللِّيث والقنفدة في الجنوب ، وضبطت رابغاً وينبع النخل والعلا في الشمال . وفُتح الطريق بين مكة وهذه الجهات .

إحصاآت تقديرية

وقعت لي أوراق عن تقدير عدد الجيشين السعودي والهاشمي ، أيام حصار جدة ، رأيت فيها ما قد يفيد في معرفة قبائل المتحاربين أو بلدانهم ، فاستخلصت منها ما يأتي :

السعوديون : بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ مقاتل ، معظمهم من الغُطْغُط وبعض مُطَير (من قبائل نجد) وغامِد وزَهْران (من عشائر الحجاز) وعشرات من الجند النظامي (من متطوعة مكة) بعضهم متمرن على إطلاق

المدافع . وأكثر جند السعوديين هجانة ، وتليهم الخيالة .

والهاشميون : منهم (في جدة) نحو ٥٠٠ مقاتل ، هم خليط من العتبان والعقيلات والحوازم من حرب ، وعبيد الأشراف ، ومن أهل بيشه. و ٦٠٠ فلسطيني ، من نابلس والخليل والقدس ويافا والرملة . ونحو ١٥٠ مصرياً ، و ٢٥٠ يمانياً ، و ٨٠ سورياً ولبنانياً ، و ٢٠ من أصل تركي يعملون في رهط الاستحكام ، ونحو ٥٠ من شرقي الأردن . وفي « المدينة » نحو ٢٠٠ من البادية و ٣٤٠ فلسطينيين ومن شرقي الأردن . ونحو ٢٥٠ يمانيين وتكارنة . و في « ينبع » حوالي ٣٠٠ عـُتَيبي وعـُقَيـْلي بقيادة الشريف شاكر ، ونحو ٥٠ من اليمانيين والسوريين ، وفي « الوجه » نحو ٣٥٠ من العتبان وبيشة ، منهم ١٠٠ هجان ، ونحو ٤٠ يمانياً وسورياً .

ويُلاحَظ أن الجيش السعودي الذي بلغ عدده ستة آلاف مقاتل ، تناقص في خلال الحصار ، لأن طبيعة أهل البادية قلة الصبر ، وعبد العزيز يريد منهم طول الصبر ، انتظاراً لاستسلام من في جدة . والجيش الهاشمي متفرق في جهات متعددة ، ومجموع عدده التقريبي ٣١٨٠ ولكنه مُعَان ببعض الآليات .

، ، ،

وفي خلال ما كان من الأحداث ، علم من في العقبة ومعان ، بأن عبد العزيز ينوي إرسال حملة من « حائل » — وقد أُمرت بالزحف فعلاً — لمهاجمة « العَقَبَة » حيث كان يقيم (الحسين) ويُمد ابنه علياً في جدّة بالعون .

ومثل هذا كان كافياً لإثارة قلق الإنكليز على تلك البقعة التي ظلت فيما بعد مثار خلاف بين الحكومتين السعودية والأردنية .

وتحدث ضابط بريطاني مع أمير الأردن ، عبد الله بن الحسين ، بوجوب إبعاد إبيه .

وامتنع الحسين ، واشتدّ . فقال له ابنه : « يا وليّ النعم ، سياسة العنف والشدّة لا تفيد تجاه القوة . »[١] وأذعن الحسين ، فغادرها في أواخر ذي القعدة ١٣٤٣ (١٩٢٥ م) إلى قبرس ..

واقترب موسم الحجّ فخشي عبد العزيز تعطيله على المسلمين ، في الخارج . فأذاع بياناً أعلن فيه استتباب الأمن في الطرق الموصلة إلى مكة من موانئ رابغ والليث والقنفذة . وجاء بضعة آلاف ، حجّوا وعادوا إلى بلادهم سالمين ، كما حجّ كثيرون من أهل نجد والتهائم وغيرها .

أما المدينة المنورة ، فلم يكن حرص عبد العزيز على دخولها بسلام ، أقلّ من حرصه على ما يُصنع في جدة . أرسل إليها من يدعوها إلى التسليم ، وامتنعت حاميتها ، فحوصرت . ولما حان تسليمها كان على جيش عبد العزيز في ظاهرها ، فيصل بن سلطان الدويش ، وقد عُرف من قبل هذا اليوم بالسطوة والبطش ، فخافه أهلها . وكتبوا إلى عبد العزيز يطلبون أحد أنجاله لتسليم المدينة إليه ، فأجاب طلبهم . واستسلمت حاميتهم الهاشمية إلى الأمير محمد بن عبد العزيز ، فدخلها في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) بعد أن أعلن الأمان للضباط والجنود والأهالي ، والعفو العام .

الأمير محمد بن عبد العزيز

، ، ،

(١) في مجلة هدى الإسلام ، الصادرة في عمان ، ربيع ١٣٨٥ الصفحة ٥٨ نص الحديث بين الابن ووالده .

وكانت قذائف « المدفعية » السعودية حول جدة ، كثيراً ما تسقط في داخلها — خطأ أو عمداً — فأصيب بيت الوكالة البريطانية ، وبيت الوكالة الروسية ومخيّم الهلال الأحمر ، وبيت القنصلية الإفرنسية .

واشتدّ الذعر في جدة . فرحل كثيرون من أهلها ، إلى سَواكن ومُصَوَّع وعَدَن . وذهب بعضهم في السنابيك إلى الليث ، في طريقهم إلى مكة . وقد أعلن عبد العزيز الأمان لمن يدخلها من رجال الشريف ، مستأمناً .

وقلّ المال في خزانة جُدّة ، وللجيش النظامي نفقات محتومة البذل . وعمّ الارتباك قصر الملك علي ، وحكومته وجنده وبلده .

فيصل ينجد أباه

بعد قيام عبد العزيز من الرياض ، ظل ابنه فيصل فيها قرابة عام . ودعاه والده من أسوار جدة ، فلبى الأمر مسرعاً ، على رأس قوة معظمها من أهل العارض . وبرح الرياض في ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ ﻫ ، ودخل مكة محرماً بالعمرة ، ولم يلبث أن كان بين يدي أبيه في حصار جدة .

التسليم

ولم ينقض على وصول « فيصل » أكثر من خمسة وعشرين يوماً ، حتى انتهى الأمر .

كلف الملك عليّ المعتمد البريطاني بجدة ، أن يتوسط لطلب « الصلح » .

وكتبت الشروط وأمضاها عبد العزيز وعليّ ، في أول جمادى الآخرة ١٣٤٤ (١٧ ديسمبر ١٩٢٥) وأهمّ ما فيها :

— يغادر الملك علي الحجاز قبل مساء الثلاثاء ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤ وله أن يأخذ معه جميع أمتعته الشخصية ، وفي ذلك سيارته وخيوله .

– يتعهد الملك علي وحكومته بأن لا يخرجوا شيئاً من الأسلحة والمدافع والطيارات وسائر ما عندهم من المهمات الحربية ، أو يتصرفوا بها . وكذلك ما تملكه حكومته من بواخر ولنشات وسنابيك ، وأن يسلموا ذلك في الحال إلى « السلطان » عبد العزيز .

– يضمن « السلطان » عبد العزيز سلامة الموظفين الملكيين والحربيين والأهالي والقبائل عموماً ، ويمنحهم العفو العام . ويتعهد بترحيل الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم . ويوزع على الموجود منهم بجدة خمسة آلاف جنيه[١] .

، ، ،

وسافر الملك عليّ ، على البارجة « كورن فلاورد » الإنكليزية ، إلى العراق . واستسلمت جدّة مرحّبة بالعاهل السعودي . فدخلها يوم ٧ جمادى الآخرة . وأُسدل الستار على ما كان يسمى العرش الهاشمي في الحجاز .. وتلك لأيام نداولها بين الناس .

(١) تجد نص الاتفاقية في ملحق تاريخ نجد الحديث .

بـــلاغ عـــام

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله تعالى



السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد فإني أحمد الله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأهنئكم وأهنىء نفسي بما منّ الله به علينا وعليكم ، من هذا الفتح الذي أزال الله به الشرّ ، وحقن دماء المسلمين ، وحفظ أموالهم . وأرجو من الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ، وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبعي هداه .

إخواني : تفهمون أني بذلت جهدي ، وما تحت يدي ، في تخليص الحجاز ، لراحة أهله وأمن الوافدين إليه : إطاعة لأمر الله ، قال جلّ من قائل : ﴿وإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثابَةً للنّاسِ وَأمْناً ، واتّخِذوا مِنْ مقام إبراهيم مصلّىً ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طَهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والرُّكّع السّجُود﴾وقال تعالى : ﴿وَمَن يرد فيه بإلحاد بظلم نُذِقْه من عذاب أليم﴾ .

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس ، أن ساد السكون والأمن في الحجاز ، من أقصاه إلى أقصاه ، بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها مُرّ الحياة وأتعابها .

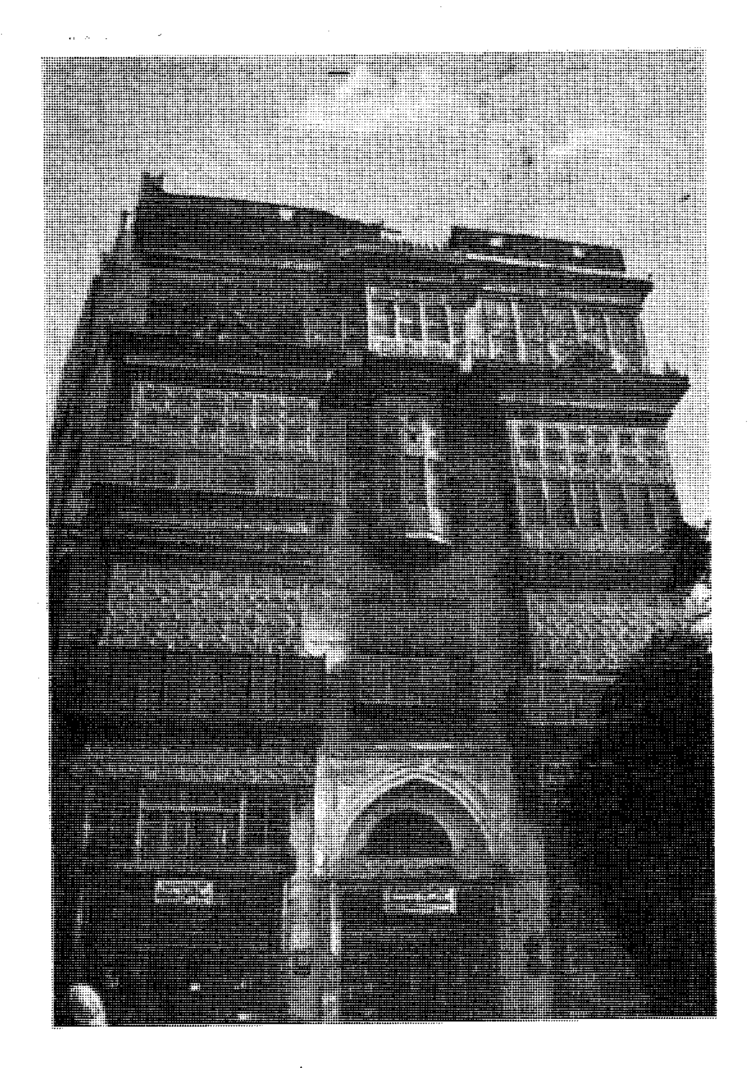
ولمّا منّ الله بما منّ ، من هذا الفتح السِّلْميّ الذي كنا ننتظره ونتوخاه ، أعلنت العفو العامّ عن جميع الجرائم السياسية ، في البلاد . وأما الجرائم الأخرى ، فقد أحلْتُ أمرها للقضاء الشرعي ، لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو .

وإني أبشركم — بحول الله وقوته — أنّ بلد الله الحرام في إقبال وخير ، وأمن وراحة . وأنني إن شاء الله تعالى ، سأبذل جهدي فيما يؤمّن البلاد المقدّسة ، ويجلب الراحة والاطمئنان لها .

لقد مضى يوم القول ، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل . فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، واتّباع مرضاته ، والحثّ على طاعته . فإنه من تمسك بالله كفاه ، ومن عاداه — والعياذ بالله — باءَ بالخيبة والخسران . إنّ لكم علينا حقوقاً ، ولنا عليكم حقوقاً . فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر ، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلاّ بحق الشريعة . وحَقُّنا عليكم المُناصحة ، والمسلم مرآة أخيه . فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه . فإن كان في الدين ، فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله ، للجميع على السواء .

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون . لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة . وإني أحذّر الجميع ، من نزغات الشياطين ، والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار . فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً . وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره . هذا ما يتعلق بأمر اليوم الحاضر ، وأما مستقبل البلد ، فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون جميعاً فيه ، مع أهل الحجاز ، لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها . وإني أسأل الله أن يعيننا جميعاً ، ويوفقنا لما فيه الخير والسداد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تحريراً بجدة في ٨ جمادى الثانية ١٣٤٤ — عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل السعود



من مباني « جدة » القديمة

الملك عبد العزيز

ودستور بلاده

كان عبد العزيز ، كلما سُئل عن دستور بلاده أجاب : دستورنا القرآن . وهو يعني تقيُّده هو ومملكته بأحكام الشرع الإسلامي المستمدة من معاني القرآن ، وما لم يكن فيه فمن حديث رسوله وعمله ، وما لم يكن فيهما فمن قضاء أصحابه وسيرتهم ، وما لم يكن فمن نهج أهل العدل والعقل والسيرة الحسنة من سلف الأمة . وما لم يكن ففي النظم ما قد يقوم مقام التشريع .

التعليمات الأساسية

أما التعريف بالدولة وشكلها وترتيباتها الإدارية وما إلى ذلك ، فأول نظام وضع لها ، كانت مادّته من إملاء عبد العزيز بمكة ، في ١٦ صفر ١٣٤٥ (٢٧ آب ١٩٢٦) وتولت صياغته جماعة كانت تعرف بالجمعية العمومية . ونشر في الجريدة الرسمية ، يوم ٢١ صفر (٣١ آب) ، باسم « التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية » وذلك قبل أن يكون لقب الملك « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » بثلاثة أشهر ، وقبل توحيد أجزاء المملكة وتسميتها بالعربية السعودية ، بنحو ستة أعوام .

وأهمّ ما في هذه « التعليمات » :

١ — المملكة .. مرتبطة بعضها ببعض ، ارتباطاً لا يقبل التجزئة ولا

الانفصال بوجه من الوجوه .

٢ — الدولة .. دولة ملكية ، شورية ، إسلامية ، مستقلة في داخليتها وخارجيتها .

٣ — عاصمة الدولة مكة . ولغتها الرسمية اللغة العربية .

٤ — إدارة المملكة : بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل . وهو مقيد بأحكام الشرع .

٥ — جميع أحكام المملكة، تكون منطبقة على كتاب الله،وسنة رسوله ، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح .

٦ — يعين من قبل الملك ، نائب عام .

وهناك بقيّة لهذه « التعليمات » خُصّت بالتنظيم الإداري ، فعُدّل بعضها ، فيما بعد ، وأهمل بعض ، جرياً مع الأحداث والتجارب .

الملك مرجع السلطات

وُضعت في مكة « التعليمات الأساسية » الشبيهة من بعض الوجوه بما نسميه « الدستور » ووُضعت للبلاد نظم قامت مقام « القوانين » وتألفت وزارتَان ، ثم ثالثة : وفي أواخر عهده رابعة وخامسة .

ولكن الحقيقة التي يجب أن تُذكر في هذا المجال، هي أن الملك عبد العزيز ، كان كلّ شيء في الدولة . ليس لأحد من إخوته أو أبنائه أو وزرائه أو أُمرائه في الأقاليم ، فمن دونهم ، أن يتصرف في أمر أو يبتّ في شأن ، داخليّ أو خارجيّ ، قبل عرضه عليه برقياً أو هاتفياً أو مواجهة أو كتابة ، فإن أقرّه وإلاّ ذهب مع الريح .

تشكيلات بلاطـه

كان بلاط الملك عبد العزيز ، في الرياض ، يشتمل على ما يأتي :

١ — المجلس الخاصّ : وكان يسمّى أعضاؤه بالجماعة ، أو « الرَّبْع » ينعقد مرتين في اليوم ، قبل الظهر وبعد العصر ، برئاسته . وفي مقدمة من كان يحضره أخوه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، ووليّ عهده ثم حاملو لقب وزير الدولة ، والمستشارون . وينضم إليهم من يكون في الرياض من وزرائه وسفرائه ووزرائه المفوضين .

٢ — الشعبة السياسية : اختصاصها في الشؤون الخارجية .

٣ — الديوان الملكي : اختصاصه في الشؤون الداخلية .

٤ — شعبة الشفرة والبرقيات .

٥ — شعبة البادية : اختصاصها داخلية نجد .

٦ — شعبة المحاسبات والأعطيات .

٧ — شعبة الوفود والضيافة : اختصاصها السهر على راحة الوفود والإشراف على القصور الملكية المخصّصة لضيوف الملك . وهي ثلاثة قسام : مَضيفُ الوفود الممتازة ، ومَضيف الحَضَر ، ومضيف البدو .

٨ — الخاصة الملكية : اختصاصها ما يتعلق بشؤون القصر الملكي .

٩ — شعبة أهل الجهاد : اختصاصها النظر في شؤون الجند غير النظامي .

١٠ – شعبة الخزينة الخاصة .

١١ – شعبة المخازن الخاصة (المستودعات)

١٢ – شعبةِ الحاشية .

١٣ – شعبة الخيل : اختصاصها الإشراف على خيول الملك .

١٤ – شعبة الجيش (الإبل) : اختصاصها النظر في إبل «الخاصة الملكية» .

١٥ – شعبة السيارات .

١٦ – شعبة الإذاعة (بعد وصول الراديو إلى بلاد العرب) : اختصاصها تلقف الأخبار من إذاعات الراديو ، ليلاً ونهاراً ، وإعداد أهمّ ما فيها لتلاوته بين يدي الملك . وهي قسمان : العربي ، لالتقاط ما تذيعه المحطات المختلفة باللغة العربية .. والأجنبي ، لأخذ المهمّ من الإذاعات غير العربية ، وترجمته .

١٧ – الحَرَس الملكي .

١٨ – الشعبة الصحية : اختصاصها طبابة القصر الملكي .

الملك عبد العزيز

ونائبه العام

كان أول ما عُني به الملك عبد العزيز ، بعد استصفائه الحجاز والدخول في طور الاستقرار ، تنظيم الدولة وتوزيع التبعات (المسؤوليات) فأسند



فيصل بن عبد العزيز : في الثالثة والعشرين

إلى ثاني أنجاله « الأمير فيصل » رئاسة الحكومة بمكة ، وأقامه « نائباً عامّاً » عنه في الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) ثم أضاف إليه رئاسة مجلس الشورى سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) فوزارة الخارجية ، في رجب ١٣٤٩ (أواخر ١٩٣٠ م) وهي أول وزارة أُحدثت في الحكومة العربية السعودية بصفة رسمية .

وأُضيفت إليه رئاسة « مجلس الوكلاء » فكان يخاطَب بلقب النائب العامّ حين يكون والده الملك عبد العزيز في نجد . ورئيس الوكلاء حين يكون الملك في الحجاز . ووزير الخارجية في كل ما يتعلق بهذه الوزارة في داخلها ، وفي الشؤون الخارجية كافة .

ورُبطت بالنيابة العامّة « أو رئاسة مجلس الوكلاء » شؤون الحجاز الداخلية ، وعسير ، والقضاء ، والشورى ، والمعارف ، والبريد والبرق ، والمحاجر الصحية ، والبلديات ، والأوقاف ، والأمن العام ، والصحة العامة . أما وزارة الخارجية ، فكان ارتباطها به شخصياً ، بصفته وزيرها . وقد أفردت لها فصلاً خاصاً ، في الحديث الآتي عن الوزارات .

ديوان النيابة العامة

وكان للنيابة العامة « ديوانها » . يجمع بين أعمالها الكثيرة ، وأعمال مجلس الوكلاء . ولا صلة له بأعمال مجلس الشورى أو وزارة الخارجية ، إلاّ فيما يكون من المعاملات بينه وبين الدواوين الأخرى .

وكان ديوان النيابة مؤلفاً من (ا) المكتب الخاص ، لتلقي مكاتبات النائب العام السرية والخاصة ، والإجابة عنها . (ب) مكتب النيابة ، لتلقي المعاملات والأوراق الرسمية وعرضها عليه ، واستيفاء ما يتعلق بها . (ج) مكتب اللجنة الدائمة لمجلس الوكلاء . (د) شعبة الحاشية والضيافة . (هـ) شعبة اللوازم الخاصة . (و) شعبة الخيل . (ز) شعبة البادية . (ح) شعبة الجيش — الإبل — (ط) شعبة السيارات .

وكان مقرّ ديوان النيابة العامة الدائم ، في مكة .

الملك عبد العزيز

وزاراته ووزراؤه

أول عهد المملكة العربية السعودية بالوزارات ، بمعناها المعروف ، يرجع إلى ما بعد دخول مكة وتسلّم جدة والمدينة سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) حين بدأ التفكير في تنظيم الدولة ووضع التشكيلات لها ، على القواعد والأساليب الحديثة ؛ وكانت تسمى بالمملكة الحجازية النجدية وملحقاتها .

أما قبل ذلك ، ما بين استرداد الرياض ودخول جدة ، فكان« ديوان» الشيوخ — وهو اللقب الذي كان يطلقه أهل نجد على عبد العزيز — بما فيه من شُعَب وإدارات . هو وحده المتولي أعمال ما سمي فيما بعد بالوزارات ومرجعه المباشر رأس الدولة الأعلى (الملك) وكان لقب الملك إلى ما بعد فتح الحجاز « عظمة السلطان » .

، ، ،

وكلمة « وزير » ليست بغريبة عن عامّة أهل نجد ، ولا هي فيهم حديثة عهد . وإنما يختلف « مفهومها » أو معناها هناك عن مفهومها في العالم الخارجي. بل هي — في تعبير أدقّ — تؤدي عند العامة وكثير من الخاصة معنى كلمة « السكرتير » أو الأمين . فلكلّ أمير ، حتى اليوم ، في الديار النجدية ، وزير. وقد يكون لبعض أتباع الأمراء وزراء،وهم الذين يتولّون حساباتهم ومكاتباتهم وقضاء مصالحهم . ولا يمكن أن تكون الكلمة مما حملته صحف

الأخبار إلى تلك الديار ، وإنما هي أثر من آثار تلاوتهم كتاب الله ﴿واجعل لي وزيراً — الآية﴾ .

وعلى هذا القياس ، يمكن القول : بأن أكثر من واحد ، ممن كانوا يعملون في « ديوان عظمة السلطان » أو الشيوخ ، كان ثمة من يلقبهم بالوزارة ولكن بمعناها الذي عرفوه لا بالمعنى الذي عرفه « التشكيل » الدولي .

، ، ،

وفيما سنتحدث عنه من « وزارات » الملك ، المنشأة بعد انقضاء النصف الأول من الخمسين عاماً ، يجب ألا نُغفل القول بأن وزاراته ، من خارجية ومالية وحربية وغيرها ، إنما تستمد سلطاتها مباشرة منه . ويتصل كل منها به شخصياً ، من دون وساطة رئيس لمجلس الوزراء كما هو المتبع في الممالك الأخرى ذات الوزارات .

وكان في مملكته، إلى عهد قريب، في سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) ثلاث وزارات فقط ، ثم أضيفت إليها وزارتان أخريان في أيامه . وسنتحدث عن كلّ منها في مكانها .

الملك عبد العزيز

في كتاب « فرقة الإخوان »

نختزل هذا الفصل من كتاب « فرقة الإخوان الإسلامية بنجد ، أو وهابية اليوم »[1] بتصرف اقتضاه الإيجاز :

منذ استتب الأمر للإمام عبد العزيز ، صرف كل عنايته لإيجاد وحدة متينة ورابطة قوية ، بين القبائل المختلفة التي ساد فيها الجهل وعمت الفوضى . وكان يعتقد أن لا سبيل للجامعة القوية ، غير التمسك بالشريعة الغراء ، وإقامة حدود الله .

ولكي ينقذ البداوة من ظلمة الجهل، عمد إلى نشر العلم، فاستعان بعلاّمة نجد ابن عبد اللطيف ، على تأليف كتب أساسها المذهب الحنبلي ، بأسلوب يقبله عقل البدوي . ووزعها على القبائل . وشرع يعلمهم بواسطة خطباء ومرشدين من تلاميذ الشيخ ، فنمت فيهم العاطفة الدينية ، وتألفت منهم كتلة واحدة هي فرقة « الإخوان » المعروفة اليوم[2] .

أما العامل الأقوى في نجاح هذه الدعوة ، بتلك المدة القصيرة ، فهو شعور القبائل بالفَرق بين ما كانت عليه من الفوضى ، وما صارت إليه من النظام

(١) لمحمد مغيربي فتيح المدني .

(٢) أي في عهد تأليفه الكتاب ، وهو عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)

الذي سلك الإمام في سبيل توطيده ، سبل الوعد والوعيد . ولم يكن يحجم عن إرسال الحملات التأديبية في بعض الأحيان ، لإعادة العصاة منهم إلى الحق .

ولم يقتصر الأمر على التأثيرات المعنوية ؛ بل تجاوزها إلى تأثيرات مادية جمة . فالبدوي الذي كان في أقصى حالات الهمجية ، لا يمسّ الماء جسمه مرة في الستة أشهر ، أو في السنة . أصبح شديد العناية بالنظافة والطهارة ، اتباعاً للسنّة النبوية . والبدوي الذي اعتاد أن يعيش على السلب والنهب ، نراه اليوم لا يفارق شفتيه دعاء « اللهم أغننا بحلالك عن حرامك » حتى إنه إذا وَجد في القفر ، حيث لا يراه أحد ، قطعة من النقود أو سواها ، سار بها توّاً إلى الحاكم ؛ مدفوعاً بشعور داخلي يجبره على ذلك . والبدوي الذي كان إذا اقترف جُرماً لم يلبّ طلب الحاكم إلاّ بالقوّة المسلحة ، نراه اليوم يجيب طائعاً أيّ طلب ، فيعترف بما اقترف من دون حاجة إلى شهود . بل إذا أغوى الشيطان أحدهم ، فارتكب جرماً ، ندم واستغفر ، وقدّم نفسه إلى الحاكم مُقرّاً بما فعل .

منذ أربع سنوات ١٣٣٧ ﻫ (١٩١٨ م) كنت في نجد ، وشاهدت في الأرْطاوية رجلاً من عشيرة مُطير ، في نحو الخمسين من عمره : حضر إلى الحاكم ، وقصّ عليه أنه التقى في البادية برجل من عشيرة الغضاورة ، ولم ير على رأسه العمامة الخاصة بالإخوان . فعلم أنه ما زال في الجهالة ، فأخرج له من جيبه كتاب « العقائد » ودعاه أن يذهب معه إلى القرية ليتعلم أمور الديانة . فأجابه الغضاوري جواباً خشناً ، وامتنع عن الذهاب . فصوّب بندقيته إلى صدره ، فقال الغضاوري (وهو من عُنيزة) : سأذهب إلى القرية وأجدّد إسلامي . ولكنه (أي المطيري) استرسل في حدّته ، فانطلقت الرصاصة ، فقتلت الرجل . وكتم الحادث نحو شهر ، وجاء الآن يطلب تنفيذ حكم الشرع فيه ، ليخلص من غضب الله .

فإذا تعمقنا في بحث ما صارت إليه أخلاق « المتدينة » وعاداتهم ، نرى

أن أطوار البداوة التي نعهدها ، قد تبدّلت بتأثير الدين ، وحلّت محلها العادات والأخلاق الإسلامية ؛ واستولى على قلوبهم الحذَر والخوف الشديد من غضب الله . كما حلّ في قلوبهم الشوق إلى رحمته ، والهيام بجنته . وإن الإنسان ليشعر بحبه لهم ، حين يسمع التهليل والتكبير وتلاوة القرآن ، في جميع أنحاء القرية[١] ويراهم يبكون وينتحبون عند سماع الوعظ في الجوامع ، بعد صلاة الصبح ، أو صلاة العشاء .

---

(١) يعني القرى التي استحدثت في نجد وسميت بالهجر . وقد تكلمنا عن الهجر في فصلي « الملك عبد العزيز يحارب البداوة » و « الملك عبد العزيز والهجر المنشأة في عهده » .



مدينة « جدة » من الطائرة ، قبل إزالة السور . سنة ١٩٤٦ م

الملك عبد العزيز

ووزارة خارجيته[1]

نشأت وزارة الخارجية العربية السعودية نشوءاً تدريجياً متناسباً مع تطوّر العلاقات بالدول الأجنبية . ولكنها لم تتخذ شكلاً واضحاً معيّناً ، في انفصالها وارتباطها وتشكيلاتها ، إلاّ بعد أن تمّ للملك عبد العزيز استخلاص الحجاز وفتح جدة ، سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) أما قبل ذلك التاريخ ، أي حينما كان اتصال الملك ، في شؤونه السياسية والدولية ، بالعالم الخارجي ، لا يخرج فيه عن طريق « الخليج » فإنه لم يكن للوزارة وجود مستقلّ أو منظّم ، ولو اسمياً . وكان الملك نفسه هو الذي يراسل الحكومات ويتلقى أجوبتها ، وهو الذي يُشرف على جميع الشؤون الخارجية لبلاده .

ومع أنه ، كان يقوم بهذه المهمة منفرداً ، فقد كان إلى جانبه في كثير من الأوقات رجال اختلطوا بالعالم الخارجي ، وكان لهم شيء من الخبرة والمران في ممارسة هذا الشأن .

وممن كان يُعوّل الملك عليهم ، في مراسلاته ، وينتدبهم للمُهمّات في الخارج ، الأمير « أحمد بن ثنيّان » من آل سعود . ولد ونشأ في استامبول ،

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا الفصل ، على « تقرير » وضعته وزارة الخارجية سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) . وكتاب « البلاد العربية السعودية » وبعض مذكراتي الخاصة .

وتعلم في مدارسها ، فوجد فيه عبد العزيز اليد التي تساعده على إدارة أعماله الخارجية .

وقام ابن ثنيان بسفارات عديدة كلفه الملك القيام بها . منها سفارته في المفاوضات التي دارت في القطيف أواخر ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) وأسفرت عن توقيع معاهدة القطيف ، المسمّاة أيضاً « معاهدة دارين » بين عبد العزيز والحكومة البريطانية . وظلّت مرعيّة إلى أن ألغيت رسمياً ، حين عُقدت معاهدة جدّة عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) بعد اثني عشر عاماً . ومنها رحلته مع الأمير فيصل ، النجل الثاني للملك عبد العزيز عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) إلى أوربا . ثم رحلته إلى الكويت وبغداد . ومنها سفارته عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) إلى مؤتمر المحمَّرة الذي حصل فيه التوقيع على « معاهدة المحمرة » بين نجد والعراق .

وكانت هذه المعاهدة ، قد وضعت لتحديد الحدود بين البلادين . إلاّ أن عبد العزيز رفض إبرامها ولم يوافق عليها ، لأن مندوبه (ابن ثنيان) قد تجاوز صلاحيته ، في إمضائها قبل أن يعرضها عليه . ورأى أن ابن ثنيان ترك للعراق قبائل ما كان له أن يتخلى عنها . هي : العمارات والظفير والمنتفق . وكانت قديماً من رعايا عبد الله بن سعود الكبير وضمها ابن رشيد إليه .

وكانت تلك الرحلة آخر الأعمال السياسية التي قام بها أحمد بن ثنيان في خدمة الملك[1] .

وكان قد وصل إلى الرياض ، في ابتداء الحرب العامة الأولى ، الدكتور عبد الله الدملوجي ، من العراق . وجعله الملك من مقربيه . واتخذه مع ابن ثنيان كمستشار في الشؤون الخارجية . ولكن الدملوجي لم يشترك في مفاوضات معاهدة القطيف ، ولم يساهم في الأعمال الخارجية ، بصورة فعلية ، إلاّ بعد

---

(١) واعتزل السياسة بعدها . وأقام بالأحساء . وما لبث أن توفي بالرياض سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)

تنحي ابن ثنيان عنها . فاشترك سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) ، في مفاوضات العُقَير ، وقام بتوقيع الوثائق لبروتوكولي « العقير » الخاصّين بتصحيح الحدود بين نجد والعراق ، بتاريخ ١٢ ربيع الثاني ١٣٤١ (٢ / ١٢ / ١٩٢٢ م) كما وقّع في اليوم الثاني ، في بندر العُقير نفسه ، الاتفاق الخاص بتعيين الحدود بين نجد والكويت .

واشترك ، بعد ذلك ، في « مؤتمر الكويت » مع أشخاص آخرين .

وانتقل إلى الحجاز ، في جملة من كان مع الملك ، فتولى بعد سقوط جدة ، أعمال الخارجية رسمياً سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) وأُطلق عليه اسم « مدير الشؤون الخارجية » ورافق سمو الأمير فيصل ، في رحلته الثانية ، إلى أوربا عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) واشترك في مفاوضات « حَدّة » في ذلك العام والذي بعده .

وانتدب لتمثيل الحكومة في « مؤتمر حيفا » للبحث في مصير سكة حديد الحجاز ، مطلع عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) ثم انفصل من خدمة الملك .

وفي أوائل ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) ، اتصل كل من حمزة غوث وحافظ وهبة ، بالملك عبد العزيز ، وأصبحا من مستشاريه في الشؤون الخارجية . وحضرا « مؤتمر الكويت » في اجتماعيه الأول والثاني . ودخلا إلى الحجاز ، في ركاب الملك .

وفي أوائل ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) قدم من سورية يوسف ياسين ، والتحق بخدمة الملك قبل مسيره إلى مكة . وشهد معه وقعة « السبلة » واشترك هو وحافظ وهبة في مفاوضات بَحْرة وحَدّة ، عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ، وفي مفاوضات جُدّة ١٣٤٥ و ١٣٤٦ هـ . وظل حافظ مستشاراً للملك وعلى صلة بالخارجية[1] .

---

(١) ومثل الحكومة في مؤتمر البريد الدولي بلندن ، عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) ، وعين وزيراً مفوضاً لدى البلاط الإنكليزي سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) . وعندما رفعت درجة التمثيل السياسي بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة ، أصبح سفيراً للمملكة في لندن . توفي سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)

وعمل يوسف ياسين في ديوان الملك، بمكة، بينما كان يدير جريدة « أُم القرى » إلى أن تأسست « الشعبة السياسية » في الديوان الملكي ، فتولى رئاستها .

وظلّت « مديرية » الشؤون الخارجية في جدة تعمل ، وقد تقلب على رئاستها أشخاص عديدون — بالوكالة وبالأصالة — إلى أن صدر في رجب ١٣٤٩ (أواخر ١٩٣٠ م) أمر ملكي بتحويلها إلى وزارة ، وبتعيين الأمير فيصل (النجل الثاني للملك عبد العزيز) وزيراً لها — وعمره يومئذ ، خمسة وعشرون عاماً — وهي أول وزارة أُحدثت في حكومة المملكة العربية السعودية بصفة رسمية .

وكان قد لحق بخدمة الملك ، للترجمة ، فؤاد حمزة ، سنة ١٩٢٦ م ، وتقدم عنده ، فجعله وكيلاً لوزارة الخارجية وقائماً بأعمالها إلى أوائل سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)[١] فتولى يوسف ياسين أعمال الوزارة فترات متقطعة . وصدر مرسوم ملكي سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) بتعيينه وزير دولة ، ونائباً لوزير الخارجية ، إضافة إلى رئاسته للشعبة السياسية في الديوان الملكي[٢] وقمت بأعمال الخارجية ، بالتداول معه ، بضع سنوات[٣] .

---

(١) وعين وزيراً مفوضاً لدى الجمهورية الفرنسية بباريس ، ثم لدى الجمهورية التركية بأنقرة . ثم عاد مستشاراً للملك في الرياض ، ومنح لقب سفير فوزير دولة . وتوفي في بيروت سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) . انظر ترجمته في الأعلام ٥ : ٣٦٧

(٢) واستمر قائماً بهذه الأعمال إلى أن وافته المنية في بلدة الدمام ، سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م)

(٣) ابتدأ عملي في حكومة الملك عبد العزيز ، مستشاراً للوكالة (المفوضية) السعودية بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) بإرادة ملكية صدرت عن الرياض ، في ٢٢ شوال ١٩٥٢ برقم ٢٨ / ٢ / ٥٠ وتفضل سمو وزير الخارجية بإبلاغي نصها في ٥ ذي القعدة ١٣٥٢ . وانتدبت مرات لإدارة أعمال وزارة الخارجية بجدة ، تحت إشراف وزيرها الأمير فيصل (جلالة الملك اليوم) ولما أنشئت جامعة الدول العربية — في القاهرة — وقعت ميثاقها مع يوسف ياسين ، وانقطعت للعمل في الخارجية وحضور اجتماعات الجامعة ، برتبة وزير مفوض . ثم رأى الملك عبد العزيز أن يجعل العملين في الخارجية والجامعة ، بالتداول بيني وبين يوسف ، فصدر مرسوم ملكي (رقم ٥ / ٤ / ٢ / ١٠٨٤٩ وتاريخ ٢١ / ٦ / ١٣٦٦ = ابريل ١٩٤٧) هذا نصه : « ١ — عند غياب يوسف ياسين عن جدة ، يقوم خير الدين الزركلي بأعمال وزارة الخارجية برتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى « ٢ — عندما يعود خير الدين الزركلي إلى مصر ، يقوم بكل الأعمال التي يقوم بها=

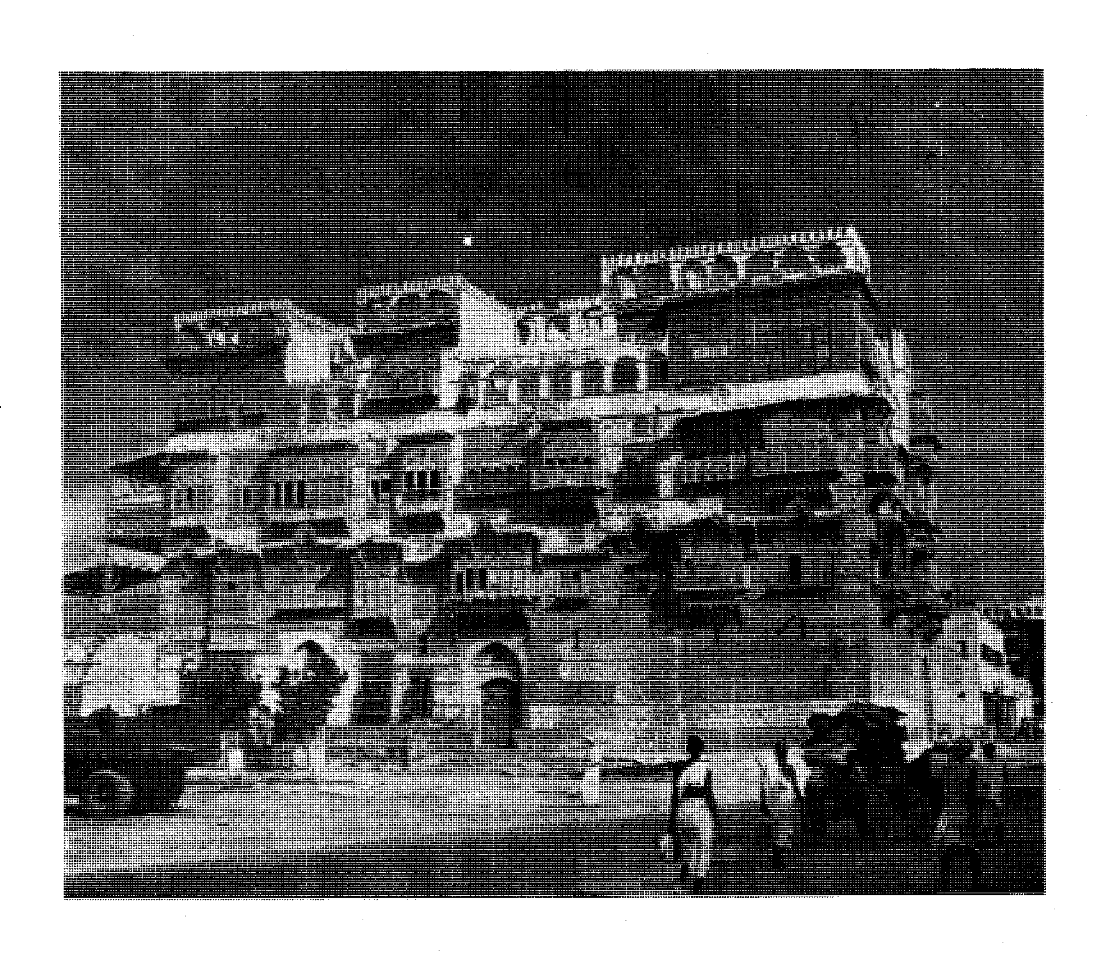
ولا يفوتني القول في ختام الفصل : إن وزارة الخارجية ، في هذه الأدوار كلها ، لم تكن تبرم أمراً أو تحلّ مبرماً ، إلاّ بعد الرجوع مباشرة إلى عبد العزيز ، في الدقائق والجلائل ، بالبرق والهاتف والبريد ، تستهدي بهديه ولا تنحرف قيد شعرة عن أوامره وتوجيهاته .

وبينما كان وزيرها (الأمير فيصل بن عبدالعزيز) منصرفاً على الأكثر إلى تصريف أعماله الضخمة ، في نيابة الملك العامة — في الحجاز — كان يقال بحقّ ليست وزارة الخارجية في جدة إلاّ « مكتباً » للشعبة السياسية في الديوان الملكي بالرياض .

، ، ،

كان ذلك ، حتى عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) واستمرت وزارة الخارجية في عهدة (الأمير) فيصل بن عبد العزيز ، إلى ما بعد وفاة والده عبد العزيز . واحتفظ بها أيام ولايته العهد ورئاسته مجلس الوزراء . وما زالت تحت نظره حتى بعد توليه عرش أبيه . وهي الوزارة الفريدة التي استبقاها جلالته مرتبطة برعايته إلى يوم صدور هذا الكتاب .

=يوسف ياسين ، فيما يتعلق بجامعة الدول العربية » ولما قرر مجلس الجامعة العربية ، في ٢٩ مارس ١٩٥٠ تكليف الدول الأعضاء تعيين مندوبين دائمين لها لدى الجامعة ، صدر أمر ملكي بتعييني « مندوباً دائماً لدى جامعة الدول العربية » وتسلمت العمل في شوال ١٣٧٠ هـ (يوليه ١٩٥١ م) وسميت على الأثر وزيراً مفوضاً في اليونان ، فأقمت في أثينا نحو أسبوعين قدمت في خلالها أوراق اعتمادي ، وعدت إلى القاهرة ، فتابعت العمل لدى الجامعة ، إلى أن عينت سفيراً في المغرب في ذي الحجة ١٣٧٦ (١٩٥٧ م)



أول بناء ، شغلت « وزارة الخارجية » طابقيه الأول والثاني ، استئجاراً ، بجدة

الملك عبد العزيز

في كتاب « جورج أنطونيوس »

أصدر جورج أنطونيوس كتابه The Arab Awakening باللغة الإنكليزية عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م)[١] وأورد فيه فصولاً عن الملك « عبد العزيز » وتطوّر الجزيرة في عهده ، نختزل منها الفقرات الآتية :

« بدّل ابن سعود شكل الحياة في غرب الجزيرة تبديلاً أساسياً ، في نواحيها الخاصة والعامة ، بما أوجده من نظام للحكم ، وما ذهب إليه من فهم للواجبات المدنية ، فقضى على العادات الشائعة من قرون ، كما أنه جعل للشرع الإسلامي والتقاليد العربية المقام الأول في تسيير أمور الدولة ، وفي القواعد الموضوعة لتصرفات الفرد والجماعة . وقد يكون هذا « التطور » أعمق ، أو عسى أن تثبت الأيام أنه أنفع تطوّر حدث في الجزيرة منذ الدعوة إلى الإسلام .

« واجهت ابن سعود في الحجاز مشكلات متعدّدة معقدة ، فعالجها بذلك المزيج من الجرأة والحكمة ، الذي هو عنصر جذّاب من عناصر شخصيته. ولم تكن هذه المشكلات داخلية فحسب بل تضمنت مسائل ذات قيمة دولية أيضاً .

« ولم يكن نجاح ابن سعود المدهش في إدارة مملكته ، ليقلّ عن نجاحه في

---

(١) وترجمه إلى العربية السيد علي حيدر الركابي وسماه « يقظة العرب » ثم أعاد الترجمة ، بالاسم نفسه ، الدكتوران : ناصر الدين الأسد وإحسان عباس . وطبع في بيروت .

الحرب والسياسة . فإن مهمة توطيد الأمن ونشر العدالة ووضع أسس التقدم ، كانت شاقّة في تلك المسافة الواسعة من البلاد التي فتحها، والتي تعود أهلها الرحّل منذ قرون أن يتَحدّوا كل سلطة لشيوخهم وألاّ يتقيّدوا بشيء سوى « قانون » القبيلة .

« لقد بطلت عادة الغزو بالفعل ، ولم تعد القبائل تعرف معنى الإتاوة . والحكومة سائرة في جباية الضرائب بلا معارضة . وأصبح من النادر اليوم أن يتعرض أحد لمسافر أو أن يُسرق حاج أو يُستثمر . وعمّ احترام النظم الأريافَ والبوادي فتساوت في ذلك مع المدن . ولا نبالغ إذا قلنا إن المملكة العربية السعودية قد بلغت ، في حفظ الأمن العامّ ، درجة قد تفوق كافة دول العالم ولا يُستثنى من ذلك أعرقها في الحضارة .

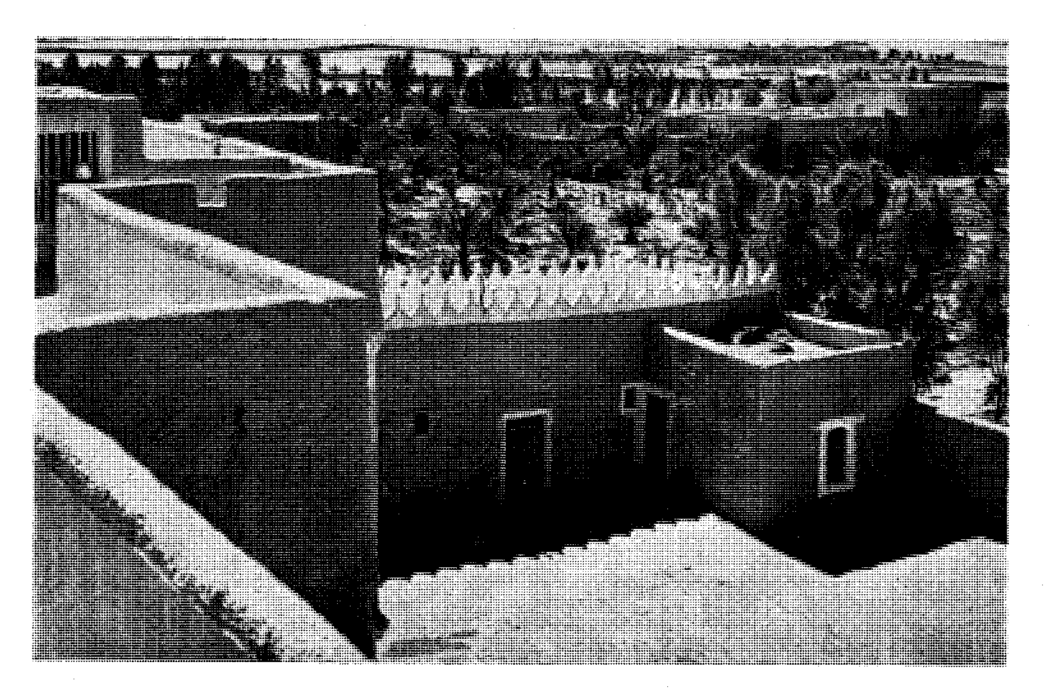
« وأفاد ابن سعود من النظام الجديد أن جعله أساساً لمشروعه الرامي إلى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي الذي اختمر في ذهنه من زمن بعيد ، وهو يرتكز على نقطة واحدة هي استقرار العرب الرحّل على الأرض . وكان قد بدأ بتطبيق فكرة الهِجَر في نجد عام ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) وسار المشروع بعد ذلك خطوات سريعة .

« وابن سعود الذي يفهم نفسية البدوي فهماً عميقاً ، كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف أهمها صرف العرب الرحّل عن حياة التنقّل ، ودفعهم إلى حياة الاستقرار في مراكز ثابتة ، بما يرافق هذا التحوّل من انبعاث ميول جديدة — في أنفسهم — وتبعات جديدة ، وقيم جديدة ؛ فقد اخترقت نظرته الحادّة البذرة التي كوّنتها العصور في داخل النفس البدوية ، ونفذت منها إلى ما هو أعمق ، أي إلى غرائزها البشرية ، فخرج من ذلك وهو قانع بأن الأعرابي إذا ما أصبح صاحب مسكن ومرتبطاً بالأرض، نبذ تلك البذرة المكتسبة وأطاع غريزته الدافعة إلى الاستيطان . وإذا نظرنا إلى فكرة ابن سعود من هذه الناحية ، ألفيناها تجربة في البعث الروحي يجب أن تحتل

مكانها بين الأعمال الباهرة التي يأتي بها الخيال السياسي المبدع . وإذا أمكن تعميمها في باقي الجزيرة ، كما عـُمـّمـَت في نجد ، وعلى مقياس أصغر في الحجاز ، بدلت خُلق البدو وعاداتهم تبديلاً واسعاً يؤدي إلى تغيير وجه الجزيرة .

« إن هذا التطور الذي قطع حتى اليوم شوطاً بعيداً ، سيتم بسرعة أكبر (إن شاء الله) بانتشار وسائل النقل والمواصلات الحديثة في الجزيرة وبنموّ مواردها المهملة .

« لقد كان الجـَمـَل واسطة النقل للجميع ، عندما دخل ابن سعود الحجاز . ومن ذلك الحين تغلغلت السيارة في كل مكان تقريباً . وتعمل الحكومة الآن على جعل طرق القوافل القديمة صالحة لاستعمال السيارات . وأصبح في إمكان المسافر أن يسير بسيارته ، براحة ، من البحر الأحمر إلى الخليج ، ومن جدة إلى المدينة فبغداد . وقد أمر ابن سعود بإجراء بحث منظم عن المياه ، في جوف الأرض ، أدى إلى فتح عدد من الآبار الأرتوازية ؛ كما كشف التنقيب عن وجود منابع غزيرة للنفط ، وقليل من الذهب ، وأنواع مختلفة من المعدن الخام . ومع أن اكتشاف النفط والمعادن الأخرى لا يمكن أن يؤدي إلى شيء أكثر من زيادة الموارد ؛ فإن ينابيع الماء الجديدة ، والأخذ بوسائل الانتقال السريعة ، سيعجل في إنجاز الانقلاب الذي تسير نحوه الجزيرة . وذلك في أمرين خطيرين هما : استقرار القبائل على الأرض ، وازدياد الاختلاط بين الأجزاء المختلفة والمتفرقة من الأسرة العربية ؛ ويشعّ من جوانب كل واحد منها الأمل في أن يقوم بعث الجزيرة العربية على أساس الاستقرار .



دار الضيافة ، في الرياض (من الجوّ)

الملك عبد العزيز

ووزارة ماليته

لم تكن للمالية في بدء نشوء الدولة « تشكيلات » بالمعنى المعروف . واستمرت على ذلك ، إلى أن بدأ عهد التنظيم . وقد تنقلت في مراحل « التجارب » الآتية :

١ — أُنشئت في كل بلدة من بلدان المملكة « إدارة » لجباية الزكوات ، مستقلة عن غيرها ، مرجعها حاكم البلدة الإداري . والملك عبد العزيز مرجع الجميع .

٢ — أمر بوضع « ترتيب » لربط الإدارات المالية الصغيرة المتفرقة في الحجاز بإدارة واحدة مسؤولة أمامه ، فأنشئت في ١٧ ربيع الثاني ١٣٤٦ ﻫ (١٩٢٧ م) مؤسسة بمكة سُمّيت « مديرية المالية العامة » وتولاها عبدالله السليمان الحَمْدان بلقب « مدير المالية العام » .

٣ — جُعلت المديرية « وكالة » في جمادى الآخرة ١٣٤٨ (١٩٢٩ م) وأصبح لقب المدير العامّ « وكيل المالية العامّ » وربطت به مالية « الأحساء » وكانت منفردة . وجيء بخبير هولندي اسمه « فان لي » بلقب « المستشار المالي » فقام بشيء من التنظيم ، ولم تطل إقامته .

، ، ،

وبعد التجارب أو المراحل السابقة ، رأى الملك عبد العزيز أن تكون للشؤون المالية « وزارة » واسعة النطاق ، ذات نظام خاص . فأُنشئت « وزارة المالية » سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) وصدر « نظام المالية » في ١٠٣ مواد[١] وأصبح عبد الله السليمان الحَمْدان وزيراً مسؤولاً (وهو أول من عُرف بمعالي الوزير في المملكة) وعُيِّن أخوه حَمَد السليمان الحمدان وكيلاً له ، يتولى الأعمال باسمه وبالنيابة عنه .



الشيخ عبد الله السليمان

وربطت بالوزارة إدارات « التموين » و « الحَجّ » و « الزراعة » و « الأشغال العامّة » و « السيارات » وما يجري مجراها . فجاءت بالخبراء الماليين والجمركيين والزراعيين والمهندسين ، من سورية ولبنان ومصر والعراق.

(١) نشرت في جريدة أم القرى سنة ١٣٥١ هـ

ولما اكتُشف منجم الذهب ، ثم آبار البترول ، تولى وزير المالية عقد الاتفاق مع الشركات ؛ وأنشأ في الوزارة إدارة خاصة تقوم بهذه الشؤون ، سميت « إدارة المعادن » .

وما زالت وزارة المالية تتسع ، باتساع أعمالها ، إلى أن أصبحت « تشكيلاتها » وفروعها عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) كما يأتي :

أولاً — مكتب الوزير .

ثانياً — المكتب الخاص .

ثالثاً — مديرية الإدارة العامة المركزية : قوامها مديرية المالية العامة ، والمفتشية العامة ، وديوان المحاسبة العامة ، وديوان الواردات العامة ، وديوان الموظفين والتقاعد ، وديوان التحرير ، وديوان المشتريات العامة ، وديوان المستودعات ، وديوان الحسابات الجارية ، وديوان الجمارك ، وديوان الخبراء الماليين ، واللجنة المالية ، وأمانة المحفوظات ، ومكتب المشتريات بجدة .

رابعاً — فروع للوزارة : مالية مكة ، ومالية جدة ، ومالية رابغ ، ومالية ينبع ، ومالية أملج ، ومالية الوجه ، ومالية ضُبا ، ومالية الجَوْف ، ومالية القريّات ، ومالية تبوك ، ومالية العُلا ، ومالية المَدينة ، ومالية بُريدة ، ومالية حائل ، ومالية الرياض ، ومالية قَرْيَة ، ومالية الأحساء ، ومالية الطائف ، ومالية الظّفير ، ومالية بِيشة ، ومالية أبها ، ومالية ظَهْران عَسير ، ومالية نَجْران ، ومالية جِيزان وتوابعها ، ومالية القُنفذَة ، ومالية البرْك ، ومالية الليث ، ومديرية الكُنداسات وتوابعها ، ومديرية السيارات الحكومية والوقود والمراكز التابعة لها ، ومديرية المطبعة الحكومية ، ومعمل حفر الزنك والطوابع ، ومديرية القصر العالي بمكة ، ومديرية القصر العالي بجدة ، ومديرية القصر الزاهر ، ومديرية الخيام بمكة والرياض ، ومديرية الترحيلات ، ومديرية البساتين ، ومديرية كهرباء الحرم الشريف ، ومستودع الأرزاق ، ومستودع الأدوات ، وإدارة عين حُنَين ، ومركز

المـُوَيـْه ، ومركز الدّوادمي .

خامساً – الإدارات التابعة لوزارة المالية : مديرية الحج العامة والدعاية له، وفروعها بجدة والمدينة . مديرية الزراعة العامة ، وفروعها بجدة والمدينة والطائف والرياض والقـَصيم والخـَرْج . مكتب المعادن والشركات ، وفرعه بالدّمّام . مكتب المشاريع العُمرانية ومصلحة الطرق . مكتب مراقبة النقد . الوكالة التجارية بالكويت . مصلحة الخرج والمكاين . أمانات الجمارك . وهي تمثّل أمانةجمارك الحجاز وفروعها التي هي جمرك جدة، وجمرك المطار بجدة،وجمارك الرويس بجدة،والمنطقة الشمالية بجدة،والمنطقة الجنوبيةبجدة، وجمارك ينبع وأملج والوجه وضبا والخُرَيبة والصورة ورابغ والمدينة ومكة والطائف والليث والقنفدة والبرك والحجرة والرياض وحائل . كما تمثّل أمانة جمارك الشمال وفروعها : جمارك تبوك وحـَقـْل والجوف والمغيرة وعلفان والقريات والحماد والحـَديثة والعُلا .ثم أمانة جمارك الحدود وفروعها وهي : جمارك قرية، والحـَفـَر ولـِينة وأُمّ رضمة ولوقة والدويد . وتليها أمانة جمارك الأحساء وفروعها : جمارك الأحساء والمبرّز والمطار والعـُقير والخـُبـَر ومطار الظهران والدمّام والقطيف والجبيل ورأس مشعاب وداريـن ورأس تنورة . ثم أمانة جمارك الجنوب وفروعها : جمارك جيزان وفـَرَسان والعارضة والخوبة والجابري وعيبان والموسّم والطـِوال والقـَحـَمة وظهران عسير ، ونجران والموفقة – ويلفظها أهلها بالجيم : الموفـّجة – وعلب ونهوقة .

، ، ،

هذا مجموع التشكيلات التي كانت تتألف منها وزارة المالية في سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) ولم يتجاوز عدد موظفيها ومستخدميها في ذلك الحين ٤٦٥٣ شخصاً .

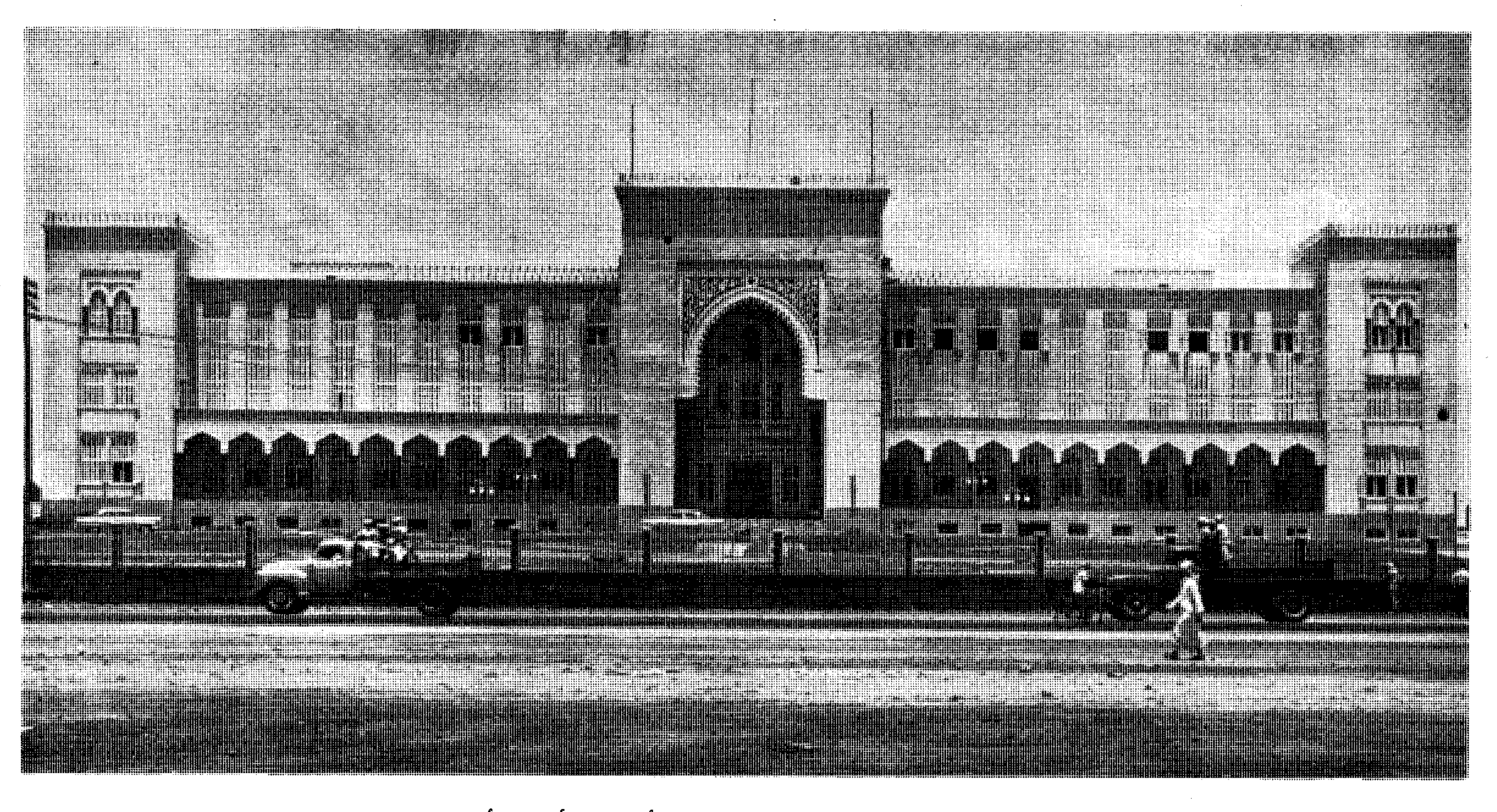
، ، ،

ومن الجدير بالذكر ، أن عبد الله السليمان ، استقال من وزارة المالية (بعد وفاة الملك عبد العزيز) سنة ١٣٧٤ هـ ، وتولاها محمد سرور الصبان حتى سنة ١٣٧٨ وقام بأعمالها عبد الله بن عدوان ، باسم وزير دولة للشؤون المالية ، حتى سنة ١٣٨٠ ثم تولاها الأمير طلال بن عبد العزيز ، فالأمير نواف ابن عبد العزيز حتى سنة ١٣٨١



الأمير مساعد بن عبد الرحمن

وتولاها ، ولا يزال ، الأمير مساعد بن عبد الرحمن (أخو الملك عبد العزيز) باسم « وزير المالية والاقتصاد الوطني »



مبنى « وزارة الخارجية » الحديث في جدة . بوشر إنشاؤه ، في أواخر أيام الملك عبد العزيز

الملك عبد العزيز

والتمثيل السياسي

لم يَعْرف بلد من البلدان التي تألفت منها مملكة عبد العزيز ، التمثيل السياسي الأجنبي قبل عهده . وكل ما كان من قبل ، بضع قنصليات في الحجاز لشؤون الحج ومآرب أخرى ! يضاف إليها عدد غير محدود من « أشخاص » مبعثرين في طول البلاد وعرضها ، أجانب ، يحملون ألقاباً مختلفة ، وهم على كل حال « غير مسؤولين » وليست لأحد منهم صفة « التمثيل » الرسمية المتعارف عليها دولياً .

قالت الرحالة الإنكليزية « إيزابيل بيرتون » في كتابها « أسفار في بلاد العرب ومصر والهند » وقد نشرته بالإنكليزية سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) بعد رحلة قامت بها في الشرق ، وأقامت في جدّة ثمانية أيام : « في جدّة ثلاث قنصليات ، هي البريطانيةوالفرنسية والهولندية . ولكل مسلم شرقي تحت الشمس ، من يمثّل جنسه . والقنصل البريطاني يدير أعماله في دار للقنصلية ، نصفها للأعمال الرسمية والنصف الآخر للشؤون التجارية . وتتألف الجالية البريطانية من أربعة أشخاص كلهم ذكور .. »

ولم تقف عند هذا في كلامها على « الأجانب » في جدة ، بل جاءت بعده بما يدل على أن القنصليات — على قلّتها — والجاليات التابعة لها ، كانت في وضع من القلق ، لا تغبط عليه .. فقد أتت على وصف « مذبحة » قالت

إنها وقعت في جدة سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨ م) — « قام الناس فيها — كما تقول — بهجوم على الجاليات الأجنبية ، وذبحوا معظمها . ونكلوا بالقنصلية الفرنسية خاصة .. »

وفي وصف هذه « المذبحة » يقول المستشرق الإيطالي السنيور نللينو[١] ما ترجمته : « نشأت الفتنة — في جدّة — على أثر خلاف بين الوكالة البريطانية والسلطات المحلية ، بشأن إحدى البواخر ، فثار المسلمون . ويظهر أن الحضارمة كانوا في المقدمة . وفي ١٥ يونيو استفحلت الثورة وهُدم منزلا القنصليتين البريطانية والافرنسية ، وقتل نائب القنصل البريطاني « پَيْج » Page والقنصل الفرنسي إيڤيار Eveillard وزوجته . كما قتل نحو عشرين شخصاً أكثرهم من الأروام (اليونانيين) وأُصيب ٢٦ شخصاً ، بينهم بنت قنصل فرنسا ، وترجمان القنصلية الفرنسية إيميرا Emerat بجراح بالغة ، فأنقذتهم الباخرة الإنكليزية سيكلوپس(Cyclops)وكانت في الميناء. وعلى أثر هذا الحادث أقبلت بارجة حربية بريطانية ، فضربت جدة في ٢٥ يوليو . ثم تألفت محكمة كان أعضاؤها من الأتراك والافرنسيين والإنكليز ، تولت محاكمة المتهمين وعاقبت من كان له ضلع في الثورة منهم .

وهناك حادث آخر من هذا النوع ، أشار إليه « فلبي »[٢] بقوله : « في سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٥ م) هاجم بعض البدو ، جماعة من القناصل على بعد بضعة يردات من أسوار جدة . فقُتل القنصل الروسي ، ونائب قنصل هندي »

ثم يقول : « إن معظم هذا الاضطراب يمكن أن يعود المرء فيه إلى

---

(١) Carlo Alfonso Nallino في كتابه « مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة» المجلد الأول المسمى (العربية السعودية سنة ١٩٣٨) L'Arabia S'audiana الصفحة ١٥٨ وقد ذكر في مصادره التي نقل عنها هذا الحادث « خلاصة الكلام » لأحمد زيني دحلان ٣٢١ — ٣٢٣

(٢) في كتابه Arabia الصفحة ٢١٣

الشريف ، مباشرة ، لأنّ الأتراك لم يكونوا يومئذ من القوة بحيث يستطيعون كبح جماحه . » اه

، ، ،

وكان أول ما بدأ به عهد الملك عبد العزيز ، بعد دخوله الحجاز ، تنظيم العلاقات الدولية بين بلاده وبلاد الأمم الأخرى ، تنظيماً صحيحاً أُقيم على قواعد « المعاملة بالمثل » والصداقة المتبادلة ، وفاقاً للنصوص المعمول بها بين تلك الأمم نفسها . وانقضى العهد الذي كان يتدخّل فيه « غير المسؤولين » فيما يعنيهم وما لا يعنيهم ، وحلّ محلّه قيام سفراء ووزراء مفوضين وقناصل ؛ مرجع كل منهم وزارة الخارجية ، أو الجهة المختصة المخولة ذلك في حكومة عبد العزيز . لا تفريق بين ممثّل دولة وممثل أُخرى ، إلا بما يقتضيه نظام « الديبلوماسية » المتّبع في كل بلاط وكل دولة .

الدول الممثلة في بلاده

وفيما يلي ، جدول بتواريخ إنشاء العلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية والدول الأخرى ، مبدوأة بالأقدم فمن تلاه ، إلى سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) :

الاسم	تاريخ إنشاء العلاقات
حكومة السوفييت	سنة ١٣٤٤ هـ (١٦ فبراير ١٩٢٦)
الحكومة البريطانية	سنة ١٣٤٤ هـ (أول مارس ١٩٢٦)
« الهولندية	« «
« الفرنسية	« «
« التركية	« «
« السويسرية	« ١٣٤٥ هـ (١٨ يناير ١٩٢٧)

الحكومة الألمانية		سنة	١٣٤٧ هـ	(١٩٢٨ م)
«	الإيرانية	«	١٣٤٨ هـ	(١٩٢٩ م)
«	البولونية	«	«	«
«	الأميركية	«	١٣٤٩ هـ	(٤ مايو ١٩٣١)
«	العراقية	«	«	
«	اليمانية	«	١٣٥٠ هـ	(١٩٣١ م)
«	الإيطالية	«	«	(١٩٣٢ م)
«	الأفغانية	«		«
«	الأردنية	«	١٣٥٢ هـ	(١٩٣٣ م)
«	الحبشية	«	١٣٥٣ هـ	(١٩٣٤ م)
«	المصرية	«	١٣٥٥ هـ	(١٩٣٦ م)
«	السورية	«	١٣٦٠ هـ	(١٩٤١ م)
«	اللبنانية	«	١٣٦٣ هـ	(١٩٤٤ م)
«	الشيلية	«	١٣٦٤ هـ	(١٩٤٥ م)
«	الأرجنتينية	«	١٣٦٥ هـ	(١٩٤٦ م)
«	الهندية	«	١٣٦٦ هـ	(١٩٤٧ م)
«	الباكستانية	«	«	«
«	الأندونسية	«	١٣٦٧ هـ	(١٩٤٨ م)
«	الموقتة لعموم فلسطين	«	«	«
«	الإسبانية	«	«	«

أنواع التمثيـــل الأجنـــبي في بلاده

مقر الممثلين السياسيين جميعاً ، في مدينة جدّة . وفيما يلي أنواع التمثيل السياسي والقنصلي الأجنبي في المملكة العربية السعودية ، عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) :

١ — السفارة البريطانية ،

٢ — السفارة الأميركية ويتبعها مكتب قنصلية في الظهران ،

٣ — المفوضية الأفغانية ،

٤ — المفوضية اللبنانية ،

٥ — المفوضية المصرية ،

٦ — المفوضية الباكستانية ، وقد عهدت إليها حكومة بورما برعاية مصالح حجاجها ،

٧ — المفوضية الأرجنتينية ،

٨ — المفوضية الأردنية الهاشمية ،

٩ — المفوضية الأثيوبية (الحبشية) ،

١٠ — المفوضية الفرنسية ،

١١ — المفوضية الإيرانية ،

١٢ — المفوضية الإيطالية ،

١٣ — المفوضية السورية ،

١٤ — المفوضية التركية ،

١٥ — المفوضية الأندونسية ،

١٦ — المفوضية العراقية ،

١٧ — المفوضية الإسبانية ،

١٨ ــ القنصلية الصينية ،

١٩ ــ القنصلية البلجيكية ،

٢٠ ــ القنصلية الهندية ،

٢١ ــ المعتمدية الكندية .



فؤاد حمزة

الملك عبد العزيز

وتمثيل حكومته في الخارج

وأقام الملك عبد العزيز ، لدى الحكومات العربية والأجنبية في الخارج، إلى سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) المؤسسات السياسية والقنصلية الآتية :

١ — في لندن (بريطانيا) سفارة . مقرها في « ٣٠ بلجريف سكوير — لندن » . وعنوانها البرقي « نجدية — لندن » .

٢ — في واشنطن (أميركا) سفارة ، يتبعها مكتب لأعمال هيئة الأمم المتحدة . مقرّها في ٢٨٠٠ وودلاند درايف — واشنطن » . وعنوانها البرقي « نجدية — واشنطن »

٣ — في باريس (فرنسا) مفوضية . مقرها في « ١٨ شارع الفرد ديهونك — باريس ١٦ » . عنوانها البرقي « نجدية — باريس »

٤ — في القاهرة (مصر) مفوضية وقنصلية ، يتبعها مكتب في السويس . مقر المفوضية في « ٢ ميدان الرماحة ، بالجيزة — مصر » . عنوانها البرقي « نجدية — القاهرة »

٥ — في دمشق (سورية) مفوضية . مقرها في « شارع أبو رمانة — دمشق » . عنوانها البرقي « المعتمد — دمشق »

٦ — في بيروت (لبنان) مفوضية . مقرها في « محلة الصنائع ، شارع فردان — بيروت » . عنوانها البرقي « المعتمد ، بيروت »

٧ — في بغداد (العراق) مفوضية ، مقرها في « ٨/٣ شارع صفي الدين الحلي ، بمحلّة الوزيرية ، بغداد » . عنوانها البرقي « نجدية ، بغداد »

٨ — في أنقره (تركيا) مفوضية ، مقرّها في « ١٤ شارع الغازي مصطفى كمال ، أنقرة » . عنوانها البرقي « نجدية ، أنقرة »

٩ — في طهران (إيران) مفوضية ، مقرها في « ١٥٢ شارع حقوقي ، المتفرع من شارع شميران — طهران » . عنوانها البرقي « نجدية — طهران »

١٠ — في كراتشي (الباكستان) مفوضية ، مقرّها في « ديب جند أوجهارود بندر رود اكستنشن تالبور هاوس ، كراتشي » . عنوانها البرقي « نجدية ، كراتشي »

١١ — في كابل (أفغانستان) مفوضية ، مقرها في « شارع دار الفنون — كابل » . عنوانها البرقي « نجدية ، كابل »

١٢ — في بومباي (هندستان) قنصلية ، مقرّها في « عمارة الفردوس ، شقة ١٨ بالدور الرابع ٥٦ شارع ماربن درايف،بومباي ».عنوانها البرقي : « نجدية ، بومباي »

١٣ — في عمّان (المملكة الأردنية) مفوضية ، مقرّها في « جبل عمان الجديد ٢٢٠ ، عمان » . عنوانها البرقي « نجدية — عمان »

١٤ — في البصرة (العراق) قنصلية ، مقرها في « ٥٧ شارع الساحل ، البصرة » . عنوانها البرقي « نجدية — البصرة »

١٥ — روما (إيطاليا) مفوضية عنوانها البرقي « نجدية — روما »

١٦ — في جاكرتا (أندونيسيا) مفوضية. عنوانها البرقي « نجدية — جاكرتا »

، ، ،

ويلاحظ أن عناوين بعض الممثليات قد تبدّلت ، أيام طبع هذا الكتاب ، وأكثر المفوضيات ، أو كلها ، أصبحت سفارات ؛ وإنما أوردتها ، كما كانت في عهد عبد العزيز .

معاهدات حكومته مع الدول الأجنبية

وفيما يلي ، كشف بالمعاهدات الثنائية التي عقدتها حكومة الملك عبد العزيز مع الدول الأجنبية ، مرتبة بحسب تواريخ توقيعها . وقد تضمنت « مجموعة المعاهدات » المطبوعة بمكة سنة ١٣٦٣ هـ ، نصوص أكثرها :

التاريخ	المكان	الحكومة المتعاقد معها	الموضوع
٤ رجب ١٣٣٢ — ١٥ مايو ١٩١٤		الدولة العثمانية	تأسيس علاقات ودية
١٨ صفر ١٣٣٤ — ١٩١٥/١٢/٢٦	القطيف	الحكومة البريطانية	تأسيس علاقات ودية
٧ رمضان ١٣٤٠ — ٥ مايو ١٩٢٢	المحمرة	الحكومة العراقية	تعيين القبائل التابعة لكل فريق الانتقال للعشائر .
٤١/٤/١٢ — ٢٢/١٢/٢	العقير	الحكومة العراقية	تحديد الحدود وورود الآبار وعدم مناطق الحدود
٤١/٤/١٢ — »	»	الحكومة العراقية	السماح لبعض العشائر باختيار التابعية وتعيين الرسوم
» — »	»	حكومة الكويت	تحديد الحدود بين نجد والكويت
٤١/٧/٢٤ — ٢٣/٣/١٣	»	حكومة العراق	ملحق لبروتوكول العقير نمره (١)
٤٤/٤/١٤ — ٢٥/١١/١	بحرة	حكومة العراق	الغزو ومحاكم المنهوبات والحدود

التاريخ	المكان	الحكومة المتعاقد معها	الموضوع
٤٤/٤/١٥ — ٢٥/١١/٢	جدة	حكومة شرقي الأردن	الحدود والغزو والمنهوبات
٤٤/٦/١ — ٢٥/١٢/١٧	جدة	الملك علي بن الحسين	تسليم جدة
توجد اتفاقيتان ملغاتان الأولى مع فرنسا باسم سورية ، والثانية مع الإدريسي قبل ضم عسير إلى المملكة .			
٤٥/٦/١١ — ٢٦/١٢/١٨	مكة وجدة	والخرطوم السودان وبريطانيا	سلك الكابلو بين جدة وبور سودان
» — »	» »	حكومة السودان وشركة الإيسترن	تشغيل خط الكابلو بين جدة وبور سودان
٤٥/١١/١٨ — ٢٠ مايو ٢٧	جدة	الحكومة البريطانية	تأسيس العلاقات وإلغاء معاهدة القطيف
٤٧/١١/١٦ — ٢٩/٤/٢٦	القاهرة	الحكومة الألمانية	إنشاء علاقات وتجارة
٤٨/٢/٢٧ — ٢٩/٩/٣	مكة	» التركية	إنشاء علاقات وصداقة
٤٨/٣/١٨ — ٢ يور ١٣٠٨	طهران	» الإيرانية	إنشاء علاقات وصداقة
٤٩/١١/٢٠ — ٣١/٤/٧	مكة	» العراقية	صداقة ، وحسن جوار ، وتحكيم
٤٩/١١/٢١ — ٣١/٤/٨	»	» »	تسليم مجرمين
٥٠/٨/٥ — ٣١/١٢/١٧	صنعاء	» اليمنية	صداقة ، وحسن ، جوار
٥٠/٦/٢٩ — ٣١/١١/١٠	جدة	» الفرنسية	صداقة وحسن تفاهم
» »	»	» »	صداقة وحسن جوار (بالنيابة عن سورية ولبنان)

التاريخ	المكان	الحكومة المتعاقد معها	الموضوع
٣/١٠/٥٠ — ١٠/٢/٣٢	جدة	إيطاليا	معاهدة صداقة
« «	«	«	معاهدة تجارة
٢٩/١٢/٥٠ — ٦/٥/٣٢	«	أفغانستان	معاهدة صداقة
٥/٤/٥٢ — ٢٧/٧/٣٣	«	شرقي الأردن	معاهدة صداقه وحسن جوار
٩/٧/٥٢ — ٧/١١/٣٣	«	الولايات المتحدة الأميركية	اتفاقية موقتة للتمثيل السياسي والقنصلي والصيانة القضائية والتجارة والملاحة
٦/٢/٥٣ — ٢٢/٥/٣٤	«	اليمن	معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية
« «	«	«	عهد التحكيم
٣/١١/٥٣ — ٢/٢/٣٥	«	العراق	الاتفاقية الموقتة لطريق الحج البري
١٣/١/٥٤ — ١٧/٤/٣٥	«	شركة الإيسترن والكابلو	إعادة النظر في اتفاقية لتشغيل الكابلو البحري الممتد من جدة إلى بور سودان
١/٨/٥٤ — ١٦/١١/٣٥	«	إمارة البحرين	المذكرات المتبادلة لتجارة الترانزيت
٢١/١٠/٥٤ — ١٦/١/٣٦	ظَهْران	اليمن	ملحق أول لتحديد الحدود
« «	«	«	« ثان « «
« «	«	«	اتفاق عام لحل القضايا بين رعاياالمملكتين
١٠/١/٥٥ — ٢/٤/٣٦	بغداد	العراق	معاهدة أخوّة عربية وتحالف (١)

(١) انضم إليها اليمن في ٢٧ / ٢ / ٥٦ (٢٩ / ٤ / ٣٧ م)

التاريخ	المكان	الحكومة المتعاقد معها	الموضوع
٥٥/٢/١٦ ـ ٣٦/٥/٧	القاهرة	مصر	معاهدة صداقة
٥٥/٧/١٧ ـ ٣٦/١٠/٣	جدة	بريطانيا	تمديد معاهدة جدة في ٤٥/١١/١٨ ٢٠مايو ١٩٢٧
٥٥/٩/٢ ـ ٣٦/١١/١٦	الرياض	العراق	اتفاقية إقامة وجوازات سفر ومرور
٥٥/٩/٤ ـ ٣٦/١١/١٨	القاهرة	مصر	مذكرات متبادلة عن الكسوة والصدقات والجنسية
٥٧/٣/١٩ ـ ٣٨/٥/١٩	بغداد	العراق	إدارة المنطقة المحايدة
٥٩/١/٢٦ ـ ٤٠/٣/٧	الكويت	الكويت	معاهدة صداقة وحسن جوار وتسليم المجرمين ومسابلة
٥٩/٢/٢٦ ـ ٤٠/٤/٤	روضة التنهات	العراق	بلاغان رسميان عن اتفاق حل قضايا العشائر
٥٩/٦/٢٣ ـ ٤٠/٧/٢٩	جدة	مصر	مذكرات متبادلة عن المشاريع العمرانية
٦١/١٢/٢١ ـ ٤٢/١٢/٣١	بغداد	العراق	تعليمات عراقية بجعل طريق الزبير ـ
« «	«		المملكة السعودية ، من الطرق النظامية المسموح بها للخروج من العراق
٦١/٤/٤ ـ ٤٢/٤/٢٠	جدة	الكويت	معاهدة صداقة وحسن جوار
« «	«	«	اتفاقية تسليم مجرمين
٦٢/١/٢٢ ـ ٤٣/١/٣٠		اليمن	تنظيم تملك العقار بين البلادين

التاريخ	المكان	الحكومة المتعاقدة معها	الموضوع
٦٢/٩/٤ ـ ٤٣/١٠/٣	جدة	بريطانيا	تجديد معاهدة جدة أوتوماتيكياً كل سبع سنوات شمسية
٦٣/١/١٤ ـ ٤٤/١/٩	«	«	مذكرات متبادلة لبيع مخلفات الحجاج من رعايا الحكومة البريطانية
٥٤/٨/٢٧ ـ ٤٥/٨/٦	«	أميركا	تشييد مطار عسكري بمدينة الظهران
٦٥/١/٢٩ ـ ٤٦/١/٢	«	«	تعديل اتفاقية مطار الظهران
٦٥/٧/٩ ـ ٤٦/٦/٨	«	شركة الإسترن	تمديد المادة ١٤ من اتفاقية الكابلو
٦٥/١٢/٢٢ ـ ٤٦/١١/١٥	«	الصين	معاهدة صداقة
٦٦/١١/٢٠ ـ ٤٧/١٠/٦	الموسّم	اليمن	اتفاق وادي حرض
٦٧/١١/٨ ـ ٤٨/٩/١١	بغداد	العراق	مذكرات متبادلة بتحديد دية القتلى بين عشائر الطرفين
٦٧/١١/٤ ـ ٤٨/١٠/٧	العبر	بريطانيا	اتفاق العبر لتسوية المشاكل مع حضرموت
٦٨/٨/٣ ـ ٤٩/٥/٣١	القاهرة	مصر	اتفاق تجاري
٦٨/٦/١٧ ـ ٤٩/٤/١٥	جدة	أميركا	تجديد الطيران المدني سنة كاملة
٦٨/٧/٢٧ ـ ٤٩/٦/٢٣	«	«	تنظيم استعمال الطائرات العسكرية الأميركية لمطار الظهران
٦٩/٤/١٠ ـ ٥٠/١/٢٩	«	سورية	اتفاق قرض ٦ ملايين و ٠٠ دولار
« «	«	«	اتفاق تجاري

التاريخ	المكان	الحكومة المتعاقد معها	الموضوع
١٣/٩/٧٠ — ١٨/٦/٥١	جدة	أميركا	اتفاقية مطار الظهران (الأخيرة) [١]
٢٥/٢/٧١ — ٢٥/١١/٥١	»	الباكستان	معاهدة صداقة

(١) نشرت في أم القرى ٨ شوال ١٣٧٠ (١٣ يونيه ١٩٥١)

والاتفاقات الدولية

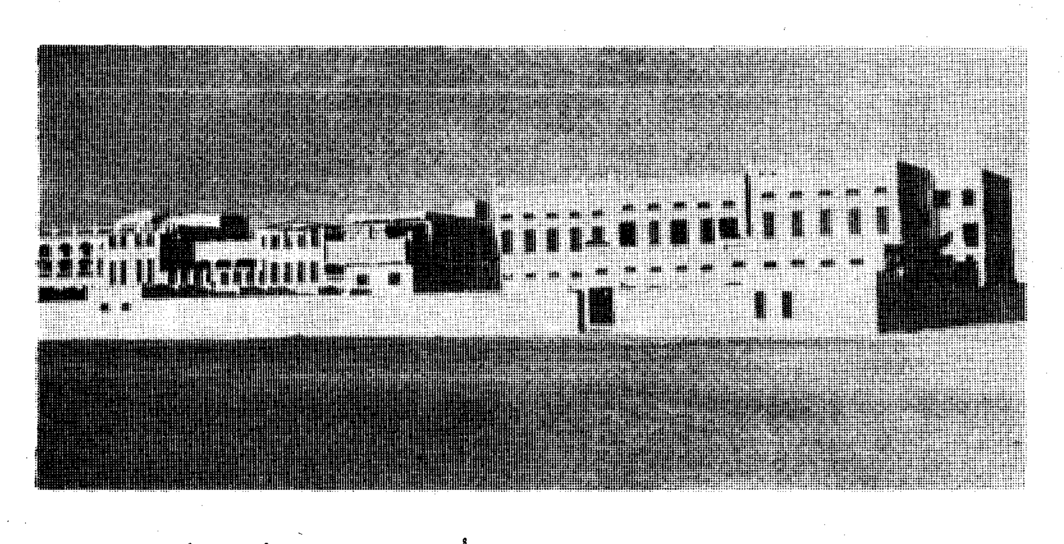
وفيما يلي كشف بالاتفاقات الدولية التي انضمت إليها حكومته، حتى تاريخ ١٣٦٩/٣/٢٦ هـ (١٩٥٠ م)

تاريخ الانضمام	المكان	تاريخ انعقاد الاتفاقية أو المؤتمر	الموضوع
	باريس	١٩٢٦ م	الاتفاقية الصحية الدولية ، الموافقة مع التحفظ
	القاهرة	٣١/١/٣١ م	مؤتمر الجراد الثالث
٥٠/٧/٣٠ — ٣١/١٢/١٠	باريس	٢٨/٨/٢٧	معاهدة تحريم الحرب
٥٠/٩/١٣ — ٣٢/١/٢١	روما	٩٠٧/١٢/٩	معاهدة روما الصحية
.. ..	جنيف	٣٢/٢/٢	مؤتمر نزع السلاح
٥٣/٥/١ ٣٤/٨/١٢	القاهرة	٣٤/٣/٢٠	معاهدات البريد
.. ..	القاهرة	٣٦/٤/٤	مؤتمر الجراد الدولي الرابع
٥٥/٥/١ — ٣٦/٧/٢٠	جنيف	٣١/٧/١٣	اتفاقية تحديد الاتجار بالمواد المخدرة
٦٢/٣/٣ — ٤٣/٣/٩	«	١٢/١/٢٣	الاتفاقية الدولية بشأن مادة الأفيون

تاريخ الانضمام	المكان	تاريخ انعقاد الاتفاقية أو المؤتمر	الموضوع
٤٣/٢/١٧	لاهاي	١٢/١/٢٣	اتفاقية الأفيون الدولية
٤٣/٧/٣١ ـ ٦٢/٧/٢٩	واشنطن	٤١/٣/١١	لائحة الإعارة والتأجير
٤٥/٩/٣٠ ـ ٦٤/١٠/١٣	سان فرنسسكو	٤٥/٦/٢٦	ميثاق الأمم المتحدة
٤٥/٤/١٢ ـ ٦٤/٤/٢٩	القاهرة	٤٥/٣/٢٢	ميثاق جامعة الدول العربية
٤٦/٣/٢٦ ـ ٦٥/٤/٢٤	لندن	٤٥/١١/١٦	دستور هيئة التعليم والمدارس والثقافة للأمم المتحدة
٦٦/٥/٢٣	نيويورك	سنة ٩٤٧ م	البروتوكول المعدل لاتفاقيات المواد المخدرة المعقود في لاهاي ١٩١٢ م وجنيف ١٩٢٥ و ١٩٣١ و ١٩٣٦ وبانكون ١٩٣١
٦٦/٦/١١	»	٤٧/٧/٢٢	القرار النهائي لمؤتمر الصحة الدولي ودستور منظمة الصحة العالمية واتفاق بين الحكومات لإنشاء لجنة انتقالية وبروتوكول خاص بمكتب الصحة الدولي.
٦٧/٧/٢١	جنيف	٢٩/٧/٢٧	تطبيق المبادىء الأساسية في اتفاقية جنيف المعقودة في ٢٩/٧/٢٧
٤٧/٦/١٤ ـ ٦٦/٧/٢٤	لندن	٤٦/٧/٢٧	اتفاقية معالجة احتكار الاختراعات الألمانية
٤٨/٦/٢٠ ـ ٦٧/٨/١٣	لندن	٤٧/٨/١٧	بروتوكول ملحق بالاتفاقية الدولية باحتكار المخترعات الألمانية

تاريخ الانضمام	المكان	تاريخ انعقاد الاتفاقية أو المؤتمر	الموضوع
٦٧/٨/١٦ – ٤٨/٧/٢٣	اتلانتيك ستي	٤٧/١٠/٢	اتفاقية مؤتمر اتحاد المخابرات الدولي وملاحقها وبروتوكولاتها الختامية ونظام المواصلات اللاسلكية وملاحقه
٦٧/١١/٠٠ – ٤٨/٩/٩			الانضمام إلى منظمة الأغذية والزراعة بهيئة الأمم المتحدة
٦٧/١١/١٠ – ٤٨/٩/١٣	نيويورك		بروتوكول إخضاع عقاقير معينة لا تشملها اتفاقية عام ١٩٣١
٦٧/١١/٣٠ – ٤٨/١٠/٣	اتلانتيك ستي		الأنظمة التلغرافية والأنظمة التلفونية وأنظمة المواصلات اللاسلكية والأنظمة الإضافيـــة للمواصلات اللاسلكية
٦٨/٣/٢ – ٤٩/١/١	»	٤٧/١٠/٢	اتفاقية مؤتمر أتلانتك ستي وملاحقها الختامية
٦٨/٨/٢٥ – ٤٩/٧/٢١	واشنطن	٤٩/٣/٢٣	اتفاقية القمح الدولية
٦٩/٣/٢٦ – ٥٠/١/١٥	»	٤٨/١٢/٩	اتفاقية منع جريمة إبادة الجنس البشري .

قصر النُّزْلة



أول ما بنى الملك عبد العزيز في جدة قصر « النُّزْلَة » : الجناح الأيسر للأعمال
الرسمية والشؤون العامة ، والأيمن للحريم والخدمات الخاصة

الملك عبد العزيز

ذَوْقه في الأسماء ، وحبه للمناقشة

كان له ذوق في الأسماء . اتصل بخدمته خالد القرقني ، من مجاهدي طرابلس الغرب . أصله من « قَرْقَنَة » أمام سَفاقِس ، في تونس .

واستثقل الملك لفظ « القرقني » فدعاه بأبي الوليد ، فكان يقال له « خالد أبو الوليد » إلى أن رُزق غلاماً ، فسماه الوليد .

والتاء المربوطة

وكان لا يَجري على لسانه السكون في أواخر الأسماء المنتهية بالتاء المربوطة ، كمدحتْ وحكمت وطلعت ، فيجعلها هاء ساكنة : مِدْحَهْ وحكمه الخ ..

هل نحن عجم ؟

قال حافظ وهبة : أملى عليّ السلطان عبد العزيز ، أول عهدي بالعمل معه ، مذكرة عن غزوات بعض عشائر العراق ، لعشائر نجد . وبعد الانتهاء من الإملاء ، طلبت أن يمهلني كي أضع المذكرة في قالب عربي . فاستشاط غيظاً . وصاح في وجهي : وهل نحن عجم ؟..

قال حافظ : وأوردت ما يلطف من حدته ، حتى ابتسم ، وأمكن إصلاح لغة المذكرة .

ترجم يا عزام !

وروى حافظ وهبة أيضاً ، أنه لما كان آخر ملوك مصر ، في زيارة الملك عبد العزيز سنة ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥م) في رضوى، قرب ينبع، تعذر على الضيف أن يفهم كل حديث الملك عبد العزيز ، لسرعته في الكلام واستعماله ألفاظاً من اللهجة النجدية . وشعر عبد العزيز بهذا فكان كلما تحدث ، قال لعبد الرحمن عزام : ترجم يا عزام !

حبه للمناقشة

كان يكره أن يجامله مجالسوه ، من خاصته ؛ بالموافقة على كل ما يقول . ويقرِّب من يناقشه ويجادله . وعرفوا فيه هذه الخلة ، فبالغ بعضهم فيها .

رواية مشاهد

روى صاحب كتاب « الملك العادل » القصة الآتية خلاصتها ، قال : حضرت مجلس الملك ذات ليلة ، مع « الرَّبع » وبينهم خالد الحكيم[1] أحد وجهاء سورية المشتغلين بالقضية العربية . فجرى حديث ، أبدى الملك فيه رأياً ، وخالفه خالد ، فاشتد الجدل إلى أن قال الملك : إذاً أنا لا أفهم ! .. فقال خالد : جلالتكم تفهمون ، ولكنني أنا أيضاً أفهم .. فقام الملك من فوره ، وولانا ظهره ومضى إلى مقر « العائلة » . قال راوي الخبر : وانتقدت في نفسي إجابة خالد . وظننت أن الملك سيقصيه عن القصر . ولكن خالداً كان في الليلة التالية ، في مكانه من الحاشية ، والملك يحادثه كعادته . وكأنما الملك شعر بما في نفسي ، فقال في نهاية الجلسة : الحمد لله يا عبد الحميد[2] إننا قمنا اليوم في تفاهم مع خالد ، ونحن يوماً نختلف ويوماً نتفق ، والأيام كفيلة بإظهار المخطىء من المصيب ..

---

(١) كان حديثه ممتعاً ، قال له عبد الرحمن السبيعي وهو من ظرفاء الوجهاء : ما أنت خالد الحكيم ، أنت خالد الحكي !

(٢) عبد الحميد الخطيب ، مؤلف كتاب « الملك العادل » ويأتي ذكره .

الملك عبد العزيز

والأعمال « الصحية » في بلاده

العناية بالصحة العامة ، في الجزيرة ، وفي الحجاز على الخصوص ، من أبرز ما عرف عن الملك عبد العزيز .

لم يكن قبل عهده ، في هذه البلاد ، وما يتخللها ويحيط بها من قفار ، أكثر من « بضع » منشآت ، يمكن اعتبار أكثرها من « المظاهر » التي لا أثر لها في الواقع ، انحصرت في مكة والمدينة وجدة وينبع ، لخدمة الحُجّاج .

ويمكن أن يوصف عبد العزيز بأنه من أشدّ الناس شعوراً بالواجب ، في مثل هذا الشأن .

شغلته أحداث الجزيرة في عهد القضاء على نزعات الفوضى فيها ، وتثبيت دعائم الأمن والطمأنينة في أرجائها الواسعة ، رَدَحاً من الزمن ، لم ينس في خلاله منح الناحية الصحية في الصحراء ، كما في الحواضر ، جانباً من عنايته . فاستقدم أطباء معروفين ، من البلاد المجاورة ، غرسوا بين يديه نواة « التنظيم الصحي » . وأخذ سكان البادية ينصرفون واحداً بعد آخر ، عن التعويل في تداويهم على حشائش وأعشاب قد لا يحسنون التفريق بين الضارّ منها والنافع . ولم يكن بالأمر السهل تعويدهم « الثقة » بالطبيب « الحضري » أو إطاعة أمره . وهم لا عهد لهم برؤية هذا « النوع » من البشر ، يحمل المبضع وميزان الحرارة

وسمّاعة القلبّ ويحقن في الجلد وفي العضل ، وينقل الدم من السليم إلى السقيم ، ويقيس الضغط ويصوّر بالأشعة ..

ودخل عبد العزيز مكة وأقبلت مئات الألوف من سائر أنحاء المعمور ، لحجّ بيت الله . وأدرك عظم التبعة أمام ربّه ، في رعاية شعبه ، فدعا بأهل الاختصاص بالطب والجراحة والجراثيم ، من الأقطار الدانية والنائية . وقامت حركة « الإنشاء » في الإدارة والبناء ، جهد الطاقة أو فوق الجهد ، على ما سيأتي تفصيله .

بدء التنظيم الصحي

أمر بإنشاء « مصلحة الصحة العامة » على النظام الحديث ، سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) وجعل مقرّها بمكة (العاصمة) وفروعها بجدة والمدينة المنورة والرياض والأحساء ثم في منطقة عسير ، وأخيراً في منطقة خط الأنابيب . كما أُنشئت إدارة خاصة لمنطقة مكة المكرمة ، وإدارة خاصة للكرنتينات (المحاجر الصحية) في جدة .

وظلت إدارة الصحة العامة (قبل أن تصبح وزارة) تتألف من مدير عام — هو مرجع الشؤون الصحية ومديريها في جميع مناطق الدولة — ومعاون له ومفتش عام ، ورئيس للصيادلة يساعده صيدليان قانونيان ومساعدو صيادلة وبضعة موظفين يضاف إلى هذا « ديوان » يشتمل على رئيس وسكرتير ومترجم وكتّاب الخ ، وترتبط بالإدارة العامة شعب المحاسبة والسجلّ والاحصاء والمستودعات .

وقسمت البلاد إلى « مناطق صحية » كان منها سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) :

١ — منطقة صحة «مكة» : لها ، مع مديرها وموظفيها ، « هيأة فنية » يتبعها مستشفيات أجياد ، والطائف ، ومنى . ومستوصفان أحدهما في المعابدة والثاني في منى .

٢ ـ منطقة صحة « جدة » : يتبعها « مستشفى جدة » ومستوصفان في ينبع والوجه . ومراكز صحية في رابغ وضُبا وأملج والليث .

٣ ـ منطقة صحة « المدينة » المنورة : يتبعها مستشفى باب السلام ، ومستوصف باب السلام ، ومستشفى في ضاحيتها لقبول المرضى فقط وللعَزْل ، ومحجر « العريض » بقربها . كما يتبعها مستشفى حائل ، ومستوصفات الجوف والقريات والعلا وتبوك . ويضاف إليها في أيام الحج « مركز المسيجيد » .

٤ ـ منطقة صحة «الرياض»: يرتبط بها مركز للأشعة ، تداوياً وكشفاً وتصويراً ، ومؤسسة للجراثيم والكيمياء . ويتبعها « مستشفى الملك » في ظاهر الرياض ، ومستوصفات « بريدة » و « المجمعة » و « الخرج » و « شقراء » و « عنيزة » .

وأقيمت مراكز طبية تابعة لصحة منطقة الرياض ، في كل من « الدوادمي » و « مراة » و « قرية » .

وجعلت في الرياض إدارة مستقلة عن إدارتها الصحية ، مرتبطة بالإدارة العامة مباشرة ، هي : « إدارة صحة القصر العالي » وينحصر اختصاص هذه الإدارة بالعمل في القصور الملكية : قصر الملك ، وقصر وليّ العهد ، وقصور الأمراء .

٥ ـ منطقة صحة « الأحساء »: أُقيم فيها « مستشفى » صغير، لقبول المرضى . وتتبعها مستوصفات ومراكز طبية في « القطيف » و « الدمام » و « رأس مشعاب » و « الجبيل » و « رأس تنورة » .

٦ ـ منطقة صحّة « أبها » : تتبعها مستوصفات في « جازان » و « القنفدة » ومراكز صحية في كل من « بيشة » و « تربة » و « الخرمة » و « الحجرة » و « ظهران اليمن » و « رجال ألمع » و « محائل » و « خميس مشيط » و « بارق » .

الطبابة السيارة

وأُنشئت إدارة خاصة ، قوامها عشرة أطباء متنقلين (سيارين) يقومون بجولات في الجهات التي تحتاج إلى إسعافات طبية ، في البادية ، ومنازل البدو الرحّل . ومن عملهم التلقيح بالأمصال المختلفة وإجراء العمليات المستعجلة . وهذه الإدارة مزودة بالخيام والسيارات والأدوية اللازمة .

إدارة المحاجر الصحية

وتتبع إدارة المحاجر الصحية (الكرنتينات) ومركزها الرئيسي في جدة ، مراكز صحية ساحلية في موانىء « ينبع » و « رابغ » و « الوجه » و « ضبا » و « أملج » و « القنفدة » و « جازان » و « الليث » و « فرسان » و « تول » و « القحمة » و « خريبة » و « الحقل » على شاطىء البحر الأحمر ، ومحاجر في « رأس تنورة » و « رأس مشعاب » و « الدمام » على ساحل الخليج العربي .

وأُصلحت جزيرة « أبي سعد » بقرب جدة ، وجُهزت بآلات تقطير ومكينة كهرباء فأصبحت مستعدة لقبول الحجاج .

وبينما كان العمل جارياً في تجديد أبنية « المطارات » بجدة والرياض والمدينة والظهران ، أخذت إدارة الصحة بإعداد ما يتفق مع سير تلك المطارات واتساع نطاقها ، من التصميمات لمحاجر أصبحت لا غنى عنها بعد إقبال الحجاج على ركوب الهواء .

وتقول إدارة الصحة العامة في تقرير رسمي (سنة ١٣٦٩ هـ) إن البواخر والطائرات ، تُراقَب طبياً قبل السماح اركابها من حجاج وغيرهم بالنزول في جدة . ويجري تلقيح من لا يحمل وثائق التلقيح الدولية . وفي حالة وجود مصابين بأحد الأمراض السارية ، أو مشتبه بإصابتهم ، ينقل جميع الركاب إلى « الجزيرة » محجوزين تحت الملاحظة . وإن مراكز طبية أُنشئت في « الجوف » و « القريات » لمراقبة الواردين من الشمال ، وفي « قرية » للواردين من الشرق ، وفي « ظهران اليمن » لمراقبة حجاج اليمن ، وكذلك

في جازان وفاقاً للأنظمة الصحية المحلية المستمدة من الأنظمة الدولية في هذا الشأن .

الأدوية ومكافحة البعوض والذباب

تقوم المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحيّة ، بتوزيع « الأدوية » على المحتاجين إليها ، مجّاناً .

وفي جميع المناطق الصحيّة فِرَق مختصة بمكافحة البعوض والذباب ، باستمرار . وكانت التجربة الأولى لمادة اﻟ « دي دي تي » سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) في مكة وجدة والمدينة ومنى . وأتت بنتائج طيبة اقتضت التوسع في استعماله بكل المناطق .

أعمال واختصاصات

١ — جُعل من عمل إدارة الصحة العامة ، أن تتلقى في خلال موسم الحج ، بلاغات من الجهات المختصة — التابعة لها — عن كل إصابة بأحد الأمراض السارية ، وتوعز بما يجب من « عزل » وتطهير ومراقبة وتلقيح .

٢ — تقوم المخابر الكيماوية الجرثومية بكل ما يطلب منها من تحاليل لمرضى المستشفيات ،وللمراجعين من العيادات ،وللمرسَلين من البعثات الطبية التي ترافق الحجاج .

٣ — تقوم القابلات والممرضات ، بالتوليد الطبيعي في داخل المستشفيات وخارجها ، ويساعدن الأطباء المختصين بالأمراض النسائية ، وأمثال ذلك .

صحة الحجاج

وجُعلت للحجاج ، في كل موسم ، ترتيبات خاصة بين مكة وعرفات ، حيث تقام « مراكز » في « المنحنى » و « محجر الكبش » و « المجزرة »

و « الأخشبين » و « وادي النار » و « بين الأخشبين » و « مزدلفة » و « بُرَك عرفات » و « البازان » و « تقاطع الإسفلت » و « مسجد نمرة » . وأُقيمت في كل مركز مما تقدّم ، مظلّة مبنية بالإسمنت ، لاستراحة الحجاج ، مزوّدة بما يكفي من الماء .

وخُصّت عرفات بمستشفى سيّار ، يقيم فيه المرضى الذين تقتضي حالهم الصحية الإقامة ، ويجري فيه الإسعاف كما يجري في جميع المراكز الصحية . وتطوف سيارات الصحة متعاونة مع سيارات جمعية « الإسعاف الخيري » للنقل إلى مستشفى مكة أو منى أو عرفات .

وتقوم سيارات الصحة ، يوم الوقوف بعرفة ، بنقل الحجاج الذين تمكّنهم حالهم الصحية من الانتقال من مستشفى مكة إلى مستشفى عرفات ، ليشهدوا الحج في ذلك اليوم وتعيدهم إلى مكة .

وتقام مستوصفات في « بحرة » و « رابغ » و « المسيجيد » لخدمة المسافرين بين جدة ومكة والمدينة .

إحصاآت ومقارنات صحية

وضعت إدارة الصحة العامة سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) الإحصاآت التالية :

العيادات الخارجية	الداخلون المستشفى	أيام الإقامة بالمستشفى	الوصفات	الوفيات	اللقاح	السنة(م)
٥٣٩٤١	١١٥٢	٢١٥٤٣	٨٠٩١١	١٦٤٣٥	٢٥٦٤٠	٩٢٦
٨٥٩٧٤	٣٦٩٥	٤٦٦٦٠	١٢٨٩٦١	١٣٧٩٧	٣٢٩٥٠	٢٧
٩٩٥١٢	٤٠٥١	٥٧٠٢٦	١٢١٦١٦	١٢٦٨٦	٤٣٧٢٥	٢٨
٩٠٥٦٤	٤١٠٩	٥٨٨٣٩	١١١٧٠٥	٩٠٥٥	٣٤٦٥٥	٢٩
١١٨٤٤٢	٤٠٤٧	٤٧٠٨٥	٨٣٩٤٩	٨٧٦٩	٨٧٦٤٥	٣٠

٣١	٩٦٥٦٨	٣٤٠٠	١٣٣٣١٥	٣٤٣٩٧	٢٢٣٨	١٣٠٧٥٥
٣٢	٩٥٨٣٤	٤٢٤٩	٦٢٧٤٨	٢٩٢٢٥	٢٢٣٩	٨١٢٨٣
٣٣	٩٣٤٢٨	٤٢٧٥	٧٠٣٧٣	٣٥١١٨	٢٢٥٩	٩٧٦٦٠
٣٤	١٠٢٣١٧	٥٣٣٤	٩٢٧٦٣	٣٦٠٣٩	٢٢١٠	١٢٤٢٧٠
٣٥	١٥٤٢٩٨	٥٣٧٧	١٢٣٧٩٦	٤٣٠٥٧	٢٥٨٥	١٢٨٤٣٤
٣٦	١٩٩٤٠٠	٥٣٧٧	١١٢٤٥٠	٣٩١٣٢	٢٦٩٧	٩٧١٣٢
٣٧	٢٨٧٤٥٠	٣٦٩٣	٩٥٨٠٤	٣٩٩٤٥	٢٤٤٥	٩٣٣٦٠
٣٨	٥٧٧٩٤٨	٤٣٩٢	٨٤٤٤٥	٥٧٥٢٥	٢٥٥٨	١٠٩٨٩٢
٣٩	٨٠٠٠٨٩	٣٧٤٢	٦٨٩٦٧	٣٨٧٤٢	٢٤٨٦	٧٤٠٦٠
٤٠	٩٤٥٩٠٠	٤٧٥٠	٥٣٣٩٣٠	٤٩٧٦٠	٢٩٥١	١٤٦٧٠٦
٤١	٨٤٦٥٣٢	٤٧٠٤	١٠٩١٨٣	٤٥٨٤٥	٢٣٢٣	١٦٥٩٩٤
٤٢	٦٤٧٠٨٣	٥٠٦١	٣٤٥٠٢١	٥٨٧٨٢	٢٥٥٢	١٥٨٦١٥
٤٣	٩٣٩٠٠٧	٦٤٣٠	١٨٧٤٣٢	٧٧٧٦٤	٣٨٠٩	١٣٩١١٤
٤٤	٦٠٤٥٧٨	٤٨٨٢	٢٢٢١٥٢	١٥٢٣١٦	٥٤٣٧	٢٦٢٣٠٤
٤٥	١٠٠٥٤٩٦	٤٩٠٦	٤٣٩٤٧٢	١٥٤٢٦١	٤١٤٢	٢٥٦٣٦٥
٤٦	١٣٤٥٣٦٧	٤٥٢٧	٣٥٤٠٤٢	١٤١٤٤٢	٥٥٤٥	٢٤٧٣٥٠
٤٧	١٠٢٣٢٣٨	٦٢٥٨	٧١٦١٥٤	١٠٢٤٣٥	٥٤٩٦	٥٤٣٢٠٨
٤٨	٨٧٠٠٢٤	٧١٢٣	٨٠٦٢٣١	١١٤٦٢١	٦٦٨٢	٦١٥٤٥١

ولما ظهرت الهيضة « الكوليرا » في مصر عام ١٩٤٧ لُقّح ضد الكوليرا ٢,٥٠٠,٠٠٠ شخص تقريباً .

معلومات وإحصاآت

كان في المملكة العربية السعودية أواخر سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) أحد

عشر مستشفى و ٢٥ مستوصفاً و ٣٤ مركزاً صحياً ، عدا المستشفيات والمستوصفات الأهلية والخاصة .

وكان يعمل في مختلف الدوائر الصحية الحكومية ١٤٤ طبيباً و ٨ صيادلة قانونيين ، و ٤٩ مساعد صيدلي ، و ٧٠ ممرضة فنية وقابلة ، و ٩٦ ممرضاً متمرناً ، و ١٠٩ ممرضين عاديين ، و ٢٦ ممرضاً سياراً ، و ٣٣ مساعد مخبر .

جولات في بعض المستشفيات الحكومية

مستشفى أجياد ، بمكة : كان في عهد الحكومة العثمانية داراً « للمدفعية » وحُوّل إلى مستشفى عسكري ، ثم أهلي . وتسلّمته السلطات الصحية السعودية ، وأكثر غرفه وصالاته مهمل خرب . وكذلك نوافذه وأبوابه ، وبعض سقوفه مهدّم وبعض « عنابره » مربط للدواب .

وأمر الملك عبد العزيز بإصلاحه ، فأصلح . وزيدت فيه أبنية . فكان سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) يستوعب ١٣٥ مريضاً ، وفيه ٦ صالات كبيرة و ٦ قاعات متوسطة و ٤ قاعات خصوصية . وقاعة للعمليات الجراحية تتبعها بضع غرف وقاعة للعمليات النسائية وغرفها ، ومؤسسة للجراثيم والكيمياء ، ومؤسسة للأشعة والتداوي بالكهرباء والفحص والتصوير ، وعيادات خارجية للأمراض الباطنية والجلدية والزهرية وأمراض الأذن والأسنان والحنجرة ، والأمراض النسائية . وفيه صيدلية تصرف الأدوية لمن في المستشفى ولمراجعي العيادات . وغرف للمرضى تبرع أهل الخير بإنشائها .

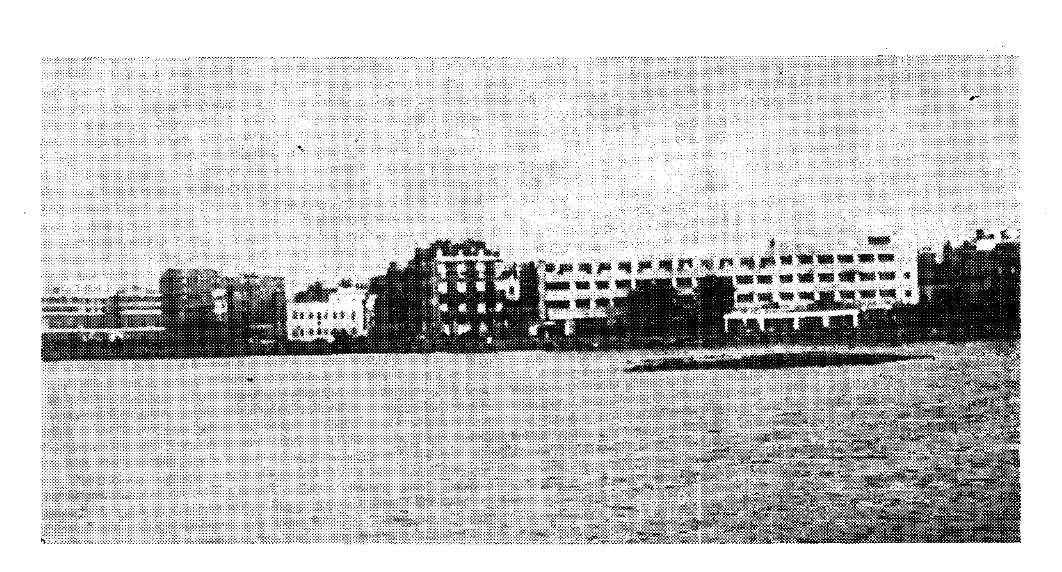
مستشفى الطائف : بُني حديثاً ، في عهد الملك عبد العزيز . يشتمل على ٥ قاعات كبيرة ، و ١٣ غرفة ، منها غرفتان للعيادات ، وغرفة للمعمل الجراثيمي وغرفتان للعمليات الجراحية . وإلى جانبه مستوصف للعيادات الخارجية والصيدلية .

مستشفى جدة : كان هناك بناء خشبي يسمى « مستشفى » وأُزيل في

العهد السعودي ، وأقيم مكانه بناء بالحديد والإسمنت يتسع لمئة مريض ويتألف من دورين فيهما قاعات المرضى والعيادات .

مستشفى الرياض : بني في ظاهر الرياض سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) وسمي « مستشفى الملك » كان يتسع لمئة وخمسين سريراً . وفيه قاعات للمرضى وعيادات ، وقاعة للعمليات الجراحية . وإلى جانبه موسسة للأشعة . ثم تعددت المستشفيات في الرياض وغيرها .

ويجدر بي قبل اختتام البحث أن أنوّه بجهود أول طبيب خدم الملك عبد العزيز والبلاد السعودية ، وكان له في توسيع النطاق الصحي ، أيام خلوّ الصندوق المالي ، أثر بارز باق ، أعني الدكتور محمود حمدي حمودة . اتصل بالملك عبد العزيز في نجد ، قبل دخول الحجاز . ثم تولى في مكة رياسة الصحة العامة ، واستمر إلى أن توفي بها في رمضان ١٣٦١ (سبتمبر ١٩٤٢ م) وهو دمشقي الأصل والمولد ، كان مدير الصحة في بلدية دمشق قبل أن يرحل إلى نجد .



جدة ، على شاطىء البحر

خفر السواحل والبلديات في أيامه

١ — خفر السواحل

أُنشئت في مطلع العهد السعودي بالحجاز ، مصلحة سُمّيت « دائرة المرافئ » انحصر عملها في نطاق محدود ، كإصدار رخص للغواصين والحوّاتين (صيادي السمك) وللسنابيك (القوارب) السفرية ، واستقبال البواخر القادمة إلى الميناء والمسافرة منه ، وإجراء معاملاتها ، واستيفاء الرسوم المقررة عليها .

وفي سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) أُحدثت مديرية عامة باسم « مديرية مصلحة خفر السواحل » مركزها الرئيسي بجدة . وربطت بها « دائرة المرافئ » والدوريات البرية والبحرية . وعُين لها مدير عام . وصدر في تعيين اختصاصاتها نظام مؤلف من ٨٣ مادة . وأهم أعمالها : (١) المحافظة على سواحل المملكة ، وضبط المهربات بحراً وبراً . (ب) ندب جنود من مفرزتها البحرية للصعود إلى البواخر حين ورودها ، للمحافظة على النظام فيها ومراقبة إنزال البضائع منها ومنع وقوع التهريب . (ج) — منع السفن والزوارق المخصصة لتنزيل البضائع من الاقتراب من البواخر ، قبل تصريح المحجر الصحي . (د) — مراقبة صيد الأسماك والمحار . (هـ) — مراقبة البواخر والسفن الشراعية عند رسوّها بالميناء وعند سفرها ، وتطبيق أوراقها على محمولها حين السفر ،

واستيفاء الرسوم المقررة عليها بمقتضى تعرفتها . (و) — مراقبة العلامات البحرية الثابتة والعائمة في داخل الثغور وخارجها والمنائر ، والمبادرة في الحال إلى إصلاح ما قد يخرب منها .

واشتملت تشكيلات هذه المديرية عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) على إدارات للموانئ الساحلية ، وهي : تُوَل ، ورابغ ، وينبع ، وأملج ، والوجه ، وضبا ، والخريبة ، وحقل (شمالاً) والليث ، والقنفدة ، والبِرْك ، والقحمة وجازان ، وجزيرة فرسان (جنوباً) .

واستقدمت « المديرية » خبيرين للميناء والدوريات ، وعملت على بعث أربعة من خريجي مدرسة تحضير البعثات بمكة إلى الخارج ، للتخصص في دراسة الشؤون المتعلقة بأعمالها الفنية ، فكانت البعثة الأولى من هذا النوع .

وربطت بمصلحة خفر السواحل ، مراكز للدوريات في ميناء القنفذة ، ووادي هارون التابع للقنفدة ، وخور الزواحر ، وميناء الليث ، والرياضة التابعة لليث ، والحمرة ، والقريات ، والميناء اليماني الجديد ، والبرج ، والكنداسة ، والنقطة الشمالية ، وسقالة التعدين ، والرُّوَيس البحري ، والرويس الشمالي ، والقحاز ، وأبحر ، وتُوَل ، ورابغ ، ومستورة ، والرايس ، والنخلة ، وميناء ينبع ، والشرم التابع لينبع ، والقواق ، وميناء أملج ، والدقم التابع لأملج ، وميناء الوجه ، وميناء ضبا ، والمويلح التابع لضبا ، والصورة التابعة لضبا ، ومقنأ ، وحقل .

٢ — البلديات وأمانة العاصمة

وكان مما اتجهت العناية إليه ، حين تنظيم الإدارة الحكومية السعودية ، إنشاء « بلديات » في كل من مكة وجدة والمدينة والرياض وجازان والظهران والأحساء والقنفدة والليث والعلا وضبا وأملج والطائف ورابغ وينبع .

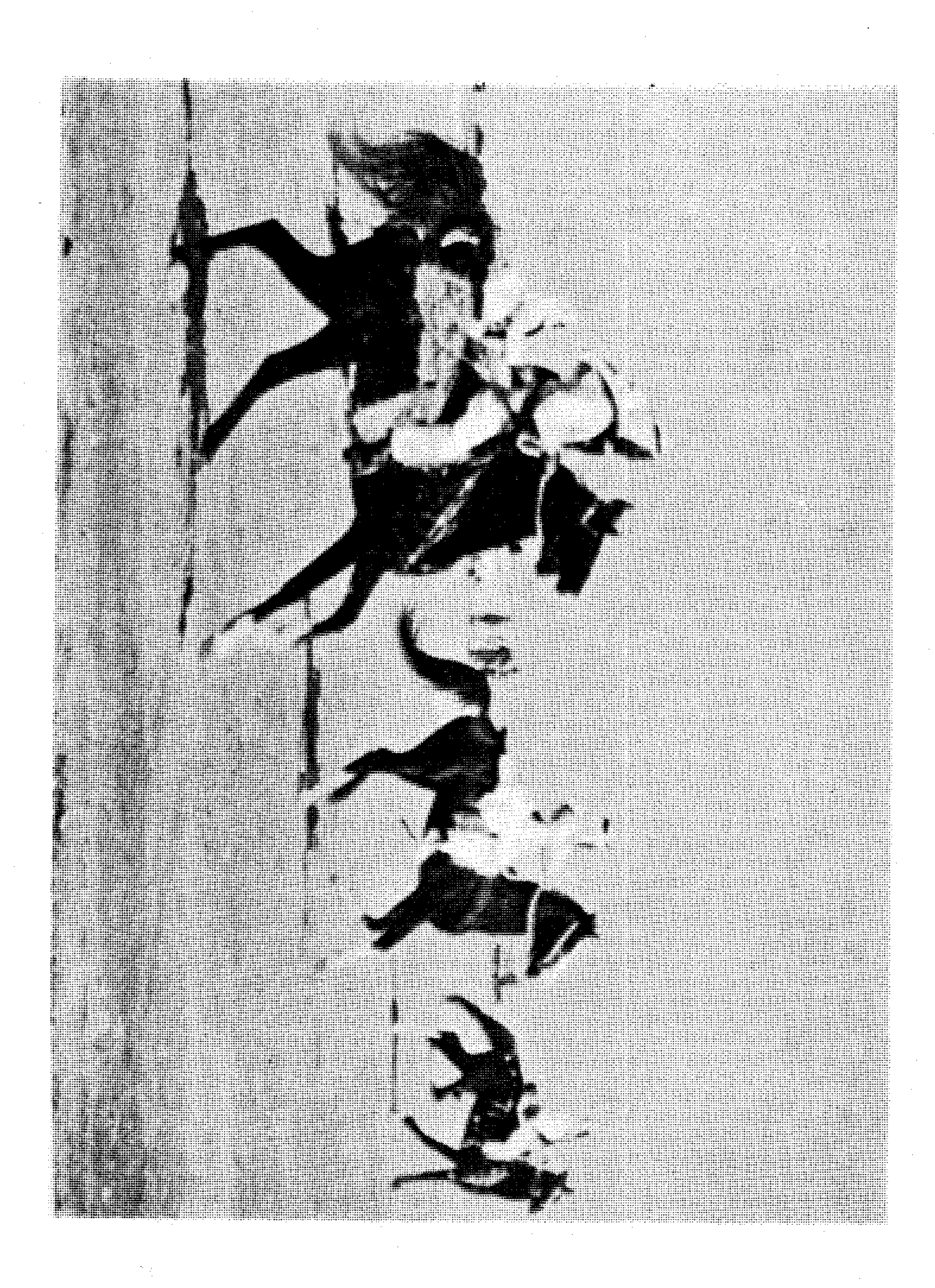
وجُعلت لهذه البلديات صفتان مزدوجتان : الأولى أهليّة ، وهي تتمثل في المجالس البلدية ، التي يجري اختيارها بطريق الانتخابات . والثانية حكومية

تتمثل في نظامها الإداري والمالي وطرق جباية الضرائب — وأغلبها غير مباشرة — وتعيين رؤسائها وكبار موظفيها .

ومراجع البلديات في سائر الأنحاء ، حكامها الإداريون . إلا مكة ، فمرجعها النيابة العامة . ولها اختصاصات انفردت بها عن مثيلاتها .

أُنشئت بلدية مكة في بداية عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) وسُنّ لها نظام خاص . وفي عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) ، زيدت سلطاتها ومسؤولياتها ، وسميت « أمانة العاصمة » ثم عدّل نظامها سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) . وكانت موازنة مصروفاتها سنة ١٣٤٥ هـ، مبلغ ١٥٨٨٠٠ ريال سعودي . وما زالت تتسع إلى أن بلغت ، سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) أربعة ملايين وأربعة وثلاثين ألف ريال ٤٠٣٤٠٠٠ وأصبحت مسؤولة عن تنظيم العاصمة — مكة — وضواحيها فجمعت بين أعمال البلديات ومصالح التنظيم .

وأهم ما هي مسؤولة عنه تنظيم البلدة وتنظيفها وتنويرها ، ومراقبة الإنشاآت ، وتوسيع الطرق ، وإنشاء المظلات ، وهدم المحلاّت الخربة أو المشرفة على السقوط ، وإحصاء العقارات وترقيمها ، ومراقبة أسعار الحاجات ومنع احتكارها ، ومراقبة الموازين والمكاييل والمقاييس، ووضع الإشارة (الدمغة) عليها سنوياً ، ومراقبة نظافة الأفران والمطاحن والأواني التي يستعملها أرباب الحرف لصنع المأكولات والمشروبات ، ومصادرة المأكولات والمشروبات غير الصالحة ، وتنظيم الذبائح ومراقبة نظافتها ، والإشراف على انتخاب رؤساء الحرف والصناعات ومراقبة أعمالهم ، والإشراف على شؤون المقابر والمغاسل وتعميرها وتنظيفها ، وأعمال الرفق بالحيوان ، وتعيين الجزاء على من يخالف نظامه . ونزع الملكيات لتوسيع الشوارع بعد اتخاذ الإجراآت النظامية . ولكل من « البلديات » الأخرى ، ميزانيتها واختصاصاتها ، إلاّ أنها دون ما كان لبلدية مكة (أمانة العاصمة) من توسّع فيما لها وما عليها .



الملك عبد العزيز

وتعميمه الهاتف اللاسلكي

وكان في مقدمة ما وَجَّه إليه الملك عبد العزيز جهده ، مما لم يكن له أثر قبله ، ربط المناطق الصحراوية بعضها ببعض ، ثم ربط المملكة كلها ، بشبكة لاسلكية أفادته كثيراً في حروبه ، وكانت معواناً لحكومته على حفظ الأمن قبل كل شيء . فأمر بإنشاء أربع مدارس ، لتعليم أعمال الهاتف اللاسلكي ، بمكة وجدة والمدينة والرياض . واستحضر لها مدرسين متخصصين . ثم أرسل بعض خريجي تلك المدارس إلى بريطانيا ، فأتموا دراستهم فيها . وتوالى إرسال البعثات اللاسلكية إلى مصر وغيرها. وما لبث أن أصبح مدرسو اللاسلكي والهاتف ، في المملكة ، سعوديين كلهم . وأعمال المراكز اللاسلكية كلها في أيدي السعوديين .

وكان في المملكة ،على عهد عبد العزيز ، ما يزيد على ستين مركزاً لاسلكياً ثابتاً . منها ثلاثة مراكز قوية جداً في جدة والرياض والظهران ، تتصل بأبعد المراكز في العالم ؛ وما يزيد على مئة آخذة لاسلكية مختلفة الأحجام، منها الثابت ومنها المتحرك على السيارات .

وتبدأ أسماء المراكز اللاسلكية بحرفي H .Z.

وجُلب عدد كبير من آلات الهاتف والمراكز (السنترالات) وُزعت

في البلاد . فعمّت مكة والمدينة وجدة والطائف وينبع والرياض والهفوف والظهران والخُبر والدمّام والقطيف ورأس تنورة وغيرها . وأُفردت الظهران والخُبر والدمام والقطيف ورأس تنورة بشبكة هاتفية خاصة .

واستُحضر نيف وعشرون مركزاً هاتفياً لاسلكياً ، على موجة قصيرة ، ربطت بها جدة بالرياض والدمام وسائر المراكز البعيدة .

وكانت آلات اللاسلكي لا تفارق ديوان الملك ، في إقامته ، وفي أسفاره ، حتى رحلاته للصيد والقنص ، وعلى مقربة من ردهة جلوسه في قصر الزعفران ، أيام زيارته لمصر .

وقد عرف القارىء ما كان يقوله بدو الجزيرة وغلاة « الإخوان » في اللاسلكي والهاتف ، وما عاناه عبد العزيز في سبيل إفهامهم أنهما من المبتدعات النافعة . وأن ليس للشيطان يد فيهما .

نهاية الجزء الأول

طبع سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م

مطابع دار القلم ، في بيروت

شبه الجزيرة

في عهد

الملك عبد العزيز

تأليف

خير الدين الزركلي

الجزء الثاني

الطبعة الأولى ١٣٩٠ ﻫ (١٩٧٠ م) بيروت

الملك عبد العزيز

والقضاء قبل عهد الاستقرار

انقضى أكثر من الثلث الأول من حياة الملك عبد العزيز ، والقضاءُ في بلاده ماض على ما كان عليه في العهود السابقة : في كل مدينة قاض وأمير . يستعرض الأول ما بين المختصمين ، ويحكم . فإن رضيا بالحكم نفذ من دون عناء . وإن أبياه أو أباه أحدهما ، رُفع إلى الأمير فتولى إنفاذه . محكمةُ القاضي بيته أو المسجد أو أيّ مكان وُجد فيه . وربما كان مجتازاً الطريق ، فاستوقفه الشاكي ، فنظر في أمره . لا محاكم ذات درجات ، ولا محامون ، ولا مرافعات .

وقد يحدث ، لأمر ما ، ما يقع كثيراً في بعض بلاد العالم الأخرى ، من تداخل السلطتين القضائية والتنفيذية ، فيُرفع الأمر إلى الإمام .

هذا في المدن . وأما العشائر ، فكان السائد في كثير منها ، أيام ابتداء عبد العزيز الحكم ، هو حُكْم « العارفة » والعارفة عندهم كالقاضي في الحواضر . وأصل الكلمة « العارف » وزيدت التاء للمبالغة ، كالراوية والرحالة . وأحكامه مزيج من الشرع والعرف والعادات . وهذه الأحكام ، على الرغم من ابتدائيتها ، تشبه في بعض الأحيان طريقة الحكم في أرقى المحاكم البريطانية ، حيث لا قانون مسطور للعمل بمقتضاه ، وإنما هناك مجموعات للأحكام الصادرة . وإذا أراد القاضي إصدار حكم ، كان عليه

أن يأتي ببعض الأمثلة من مجموعة الأحكام ، كسوابق قانونية ، يقيس عليها حكمه .

ومثله ، أو شبيه به « العارفة » عند البدو . فإنه كثيراً ما يُطلب منه أن يدعم حُكمه بأحكام من نوعه سبقه بها غيره .

إلّا أن العارفة في قبائل نجد ، انطوت صفحته ، بعد أن أغنى عنه « المَطاوعة » وهم على شيء من العلم بفقه الدين .

أما الإمام (الأمير أو السلطان) فترفع إليه القضايا الخطيرة ، من البادية والحاضرة ، على السواء . وهو في نفس الوقت ، يسمع كل شكاية ، عظمت أو هانت ، من دون أية وساطة . ويحيل بعضها إلى الشرع (ويُقصد به القاضي) ويفصل هو بما يحسُن له أن يفصل فيه .

ومن سهولة القضاء في بلاد عبد العزيز ، قبل الاستقرار ، وبعده أيضاً ، وحدة المذهب في الأحكام . فليس هناك إلّا مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكتبه وكتب فقهاء المذهب .

كتب سليمان الدخيل[١] : أن مذهب الإمام أحمد ، هو المذهب الذي عليه أهل نجد كلهم ، مع بعض المسائل التي أوردها لهم شيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن القيّم .

، ، ،

ومن المستطرف الإتيان ببعض أحكام الملك عبد العزيز الدالّة على اقترابه الفطريّ من روح التشريع .

ترجم صاحب كتاب « الملك ابن سعود » فصولاً عن كتاب « سيّد الجزيرة » لأرمسترنج ، وردت فيها نبذ من أحكام عبد العزيز ، قبل عهد الاستقرار ، قال في التمهيد لذكرها :

---

(١) لغة العرب ٣ : ٣٥٨ سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

حيثما جلس عبد العزيز فهو القاضي الأول والقاضي الأخير لمنازعات قومه أفراداً وجماعات . وإن له لخبرة واسعة بشؤون القبائل وبما يسبّب بين بعضها والبعض الآخر المنافرات والمنافسات والمنازعات . وهل يُنتظر من رجل مثل عبد العزيز ، طوّف في الصحراء عشرين سنة ، وداست قدمه كل بقعة من بقاعها ، ألّا يعرف هذه البئر وهذا المرعى وهذا الطريق ، وألّا يعرف إلى جانب طبيعة الأرض طبائع أهلها ؟

سار عبد العزيز ، منذ حكم الرياض ، وخطته أن يكون لكل شخص الحق في أن يتقدم إليه بملتمسه أو شكواه . والويل كل الويل لمن يحجب عنه سائلاً أو مظلوماً .

وهو يلتزم في أحكامه التي يصدرها ، كتاب الله ، وسنّة رسوله . وعقوباته التي يقضي بها هي العقوبات التي كان يطبقها محمد عليه الصلاة والسلام . وهذه العقوبات تنتهي بالقتل ، وتتدرج من الغرامة إلى الجلد ، تطبيقاً للحدود ، إلى قطع اليد .

فإذا تقدم له صاحب شكوى أرسل يحضر المشكوّ منه . ويسمع الاتّهام ثم الردّ ، دون وساطة من محام يحاول أن يبطل الحق ويُحق الباطل . ويتقدم الشهود فيسمعهم على عجل ، فإذا استبان له الأمر أصدر حكمه الذي لا استئناف فيه ولا نقض .

قال أرمسترونج : ومن أمثلة أحكامه :

أقبل جماعة ، يقودون رجلاً اتّهموه بقتل قريب لهم في مشاجرة بينهم . ويطلبون الدية أو القصاص .

ورأى عبد العزيز أن القتل لم يكن عمداً .

والمتهم مدقع . فأدى عنه الدية من ماله ، وأطلقه على ألّا يعود لمثلها ..

٭ ٭ ٭

وقال : كانت القضايا تعرض على (الأمير) عبد العزيز حيثما كان ، في الرياض أو في القرى أو في البادية . ولا يتردّد في أن يفصل فيها بنفسه ، غير متوار خلف الإجراآت الحكومية المعقّدة التي تبطىء في ردّ الحقوق ، وكثيراً ما تضيع الحقوق ببطئها .

قلت : كان هذا من عمل عبد العزيز ، في البادية . أما في المدن والقرى الكبيرة ، قبل عهد الاستقرار ، وفي ابتدائه ، فكان يحيل أكثر القضايا إلى القاضي ، ثم تكون له الكلمة الأخيرة فيها ، إذا اعترض أحد المتداعيين.

، ، ،

ومن أخبار الملك في هذا سنة ١٣٣٨ ﻫ (١٩٢٠ م) ، أن قاضي الرياض ، حكم على « امرأة » بالرجوع إلى بيت زوجها ؛ فلجأت إلى أحد أقاربه ، فحماها .

ورفع الزوج الأمر إلى عبد العزيز ، فأمر بإبلاغ من احتمت ببيته أن يلزمها الرجوع إلى زوجها ، تنفيذاً لأمر الشرع ، وقال : إذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية ، فإني سأدخل البيت بنفسي لتنفيذ حكم الشرع . وإذا لم نحترم نحن أحكام الشرع فكيف نكلف الناس أن يعملوا بها ؟ يجب أن نكون قدوة حسنة للناس في كل شيء .

قلت : روى هذه القصة حافظ وهبة في « جزيرة العرب » وظاهرها يدل على أن المرأة لجأت إلى أحد أقارب زوجها . وسمعت من يرويها بأن الزوجة لجأت بطريق « الدخالة » إلى بيت من بيوت آل سعود ، فغضب الملك وقال ما قال ، مهدّداً بأن يدخل البيت الذي لجأت إليه ويخرجها بنفسه .

أطلقوه واكسوه

أخبرني الشيخ محمد بن مانع ، يوم كان مديراً للمعارف بمكة ، أن المحكمة الشرعية العليا رفعت إلى الملك عبد العزيز حكماً أصدرته بإعدام

جندي قتل زوجته وجندياً آخر . وأن تنفيذ الحكم معلق على موافقة الملك .

وتأمل عبد العزيز في القضية ، فظهر له أن الزوجة كانت قد غابت عن بيتها أياماً ، وبحث عنها زوجها فوجدها عند أحد الجنود ، فأطلق عليهما الرصاص فقتلهما .

وسألته المحكمة ، فأقرّ بالقتل . ولم يحسن الدفاع عن نفسه ، فحكمت بإعدامه .

ولم يكد عبد العزيز يتبين القضية حتى ألقى ورقة الحكم من يده ، وصاح بحاملها : كيف يكون هذا ؟ أطلقوه واكسوه وأكرموه ! ودعا رئيس المحكمة إليه .

فقال له : ألم تقرأ الحديث الذي فيه إنني أغيركم ، والله أغير مني ؟؟

، ، ،

قلت : هذا الحديث في صحيحي البخاري ومسلم ، ويعرف بحديث سعد . وهذا نصه ، كما رواه مسلم :

قال سعد بن عبادة : يا رسول الله . لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسّه حتى آتي بأربعة شهداء ؟ قال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال : كلاّ والذي بعثك بالحقّ .. إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك .. قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا إلى ما يقول سيدكم . إنه لغيور ، وأنا أغير منه ، والله أغير مني .. »[١]

قال الشيخ ابن مانع ، بعد رواية الواقعة : ورأيت القاضي بعد ذلك ، فسألته : ما فعل الله بالقاتل ؟ فقال : عفا عنه الملك . فأجبته : كلاّ إن الملك لم يعف عنه ، ولكنه أعلم منكم .. وقد حماه من جهلكم .

بين المقطة والشيابين

ويدخل هذا الحكم ، فيما من حقه أن يذكر في عهد الاستقرار :

---

(١) صحيح مسلم : كتاب « اللعان »

حكى ابن بليهد [١] : أن المقطة والشيابين ، من قبائل عتيبة ، اقتتلوا على ورود منهل ، يسمى « البديّعة » في عالية نجد الجنوبية ، وقتل من الفريقين ناس كثيرون . قال : وكان ذلك بعد سنة ١٣٥٠ هـ فخفرهم[٢] الملك عبد العزيز تأديباً لهم . وكل قبيلة دفعت دية القتلى للقبيلة الثانية ..

وفي بدء الاستقرار

أمضى مصطفى أبو الهدى ، ردحاً من الزمن في قلب الجزيرة ، وأملى حديثاً عن مشاهداته[٣] نقتبس منه ، مع شيء من الإصلاح والتصرف :

١) الشرع يدعوك :

إذا اختلف اثنان في المملكة العربية السعودية ، وبالأخصّ في نجد ، على شيء ما ، وقال أحدهما للآخر : الشرع يدعوك . اضطُرّ الثاني إلى الذهاب فوراً إلى مجلس القضاء ، حيث يشرح كل منهما طلبه ، ويقدم حجته . فيفصل القاضي بينهما ، بإصدار قرار لا استئناف فيه و لا اعتراض عليه . ويخرج المتخاصمان كل إلى سبيله ، ويأخذ كل صاحب حق حقه .

فإذا أصرّ المحكوم عليه، على عدم الدفع . أو عدم تنفيذ قرار القاضي ، ذهب المدعي إلى القاضي مرة ثانية وأخبره بامتناع غريمه . فيكتب هذا رقعة صغيرة إلى حاكم المدينة بالأمر ، فيرسل مع المدعي جندياً يكلف المحكوم عليه أن يدفع ، فيذعن ، وإلّا فالسجن ..

٢) السجون :

أما السجون في نجد ، فهي أبنية لا تنفذ إليها الشمس ، مقسمة إلى حجرات

---

(١) في صحيح الأخبار ٤ : ١٠٤

(٢) خفرهم : في إصطلاح أهل نجد : صادر خيار أموالهم .

(٣) جريدة الجامعة الإسلامية ، بالقدس ١٦ / ٢ / ١٩٣٤ (١٣٥٣ هـ)

صغيرة يُربط فيها السجين بالأغلال ، ولا يتناول من الطعام إلا القليل[١] وكل نجدي يفضل الموت والقتل بحدّ السيف على أن يزور السجن . ويقوم على حراسته أُناس غلاظ شداد . ولكن ندر أن يُزجّ في السجن إلا الثائرون والذين لا يطيعون أمر الملك . ولن تجد أحداً يتأخر عن تنفيذ أوامر القاضي مهما تكن صفته. بل إنك لو وجّهت كلمة « الشرع يدعوك » إلى أكبر كبير في المملكة لتبعك إلى مجلس القضاء ، صاغراً .

٣) أحكام الشرع :

وأحكام القاضي يستمدها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية . فالسارق تقطع يده ، والذي يثير الفتنة يحكم عليه بالموت ، بعد قطع يديه ورجليه من خلاف . وقد كان للتشدد في تنفيذ أحكام الشرع أثره الحميد في صيانة الأمن العامّ . فأنت الآن قادر على أن تحمل القناطير من الذهب وتسير بها من جدة إلى الحسا ، من دون أن تحتاج إلى حارس ، ودون أن يعترضك أحد . وقد تقع عينك على الأموال ملقاة في الطريق ، فلا تمد يدك لتناولها بل تدعو « الشرطي » يحفظها عنده ، حتى يأتي صاحبها . فإذا تناولتها كنت مسؤولاً .

والعجب أن البدو ، على ما عرفوا به من غلظة وشدة ، يخافون أحكام الشرع وسطوة القانون أكثر من الحضريين ...

٤) قضاة البدو والحضر :

والقضاة على كلّ حال يعيّنهم الملك . وهم مقيدون بأحكام الشرع ومنهم فريق كبير تلقوا دروسهم في الرياض نفسها .

أما في الحجاز ، فإن القضاء يختلف بعض الاختلاف . ففيه محاكم صلح ومحاكم شرعية . وقضاة الصلح من العلماء أيضاً . والملك يعيّن الجميع. وفي الرياض (العاصمة) قاضيان الأول للحَضَر ، أي لسكان المدينة

---

(١) أنشئت في بضع السنين الأخيرة سجون حديثة ، في مختلف أنحاء المملكة .

والثاني للبدو الذين يأتون إليها للبيع والشراء أو عند الاستعداد للقتال . وكذلك الأمر في مكة والمدينة وجدة والمدن الكبرى .

٥) رواتب القضاة :

أما الرواتب فيتناولها القضاة من أموال الزكاة (قواعد ، وأطعمة) .

ولا تأخذ الحكومة رسوماً على الدعاوى التي يقدمها السكان للقضاء .

٦) الملك قاض :

وإذا كان الملك في الرياض ، فإنه يزور شقيقته الكبرى مرتين في اليوم . وكثيراً ما ينتظره أصحاب الشكاوى أو الملتمسون ، في الطريق؛ فلا يردّ طالباً ويحول الشكاوى إلى مراجعها للفصل فيها .

وقد يجد امرأة في الطريق تشير إليه ، فيتجه نحوها ، ويسمع شكواها . فإن كانت مظلومة أنصفها ، أو سائلة أرضاها ، أو طالبة طلباً مشروعاً أمر بتنفيذه في الحال . ا هـ

المَلك عَبْد العَزيز

والقضاء بعد الاستقرار

كانت البلاد العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز ، بعد الاستقرار وتوحيد أجزاء المملكة ، ووضع النُّظُم الإدارية ، تنقسم من حيث نظامها القضائي إلى قسمين :

الأول ، قسم تغمره البساطة في جميع مظاهره . وإن لجأ أفراد منه إلى القضاء ، فإنما يريدون الاحتكام إلى الشريعة لتقول كلمتها فيخضع لها المحكوم عليه في استسلام ورضاء من دون لَدَد أو مجادلة . وليس في هذا القسم غير قاض واحد للقبيلة أو المنطقة الصغيرة ، له كلمته الفاصلة .

والثاني ، قسم وُضعت له أصول للمحاكمات ، وقواعد للمرافعات ، توضح طرائق تقديم الدعوى ، وتحديد الجلسات وجلب الخصوم وتحديد الاختصاص المكاني أو الموضوعي للمحاكم ، وحقوق المتداعين في طلب التأجيل والإمهال ، وحقوق القضاة تجاه القضايا والمتقاضين ، وكيفية الاعتراض على الحُكم واستئنافه ، وطريقة التسجيل للأحكام وتسليم الصكوك الشرعية ، إلى أمثال ذلك ، مما وُضعت له أنظمة وتعليمات هدفها حفظ الحقوق وصيانة العدالة .

رئاسة القضاة

وأكبر منصب قضائي في الدولة « رئاسة القضاة » ومقرها في مكة .

وتتألف الرئاسة من الأشخاص والهيآت الآتية :

١ — رئيس القضاة : وهو المرجع الأعلى للدوائر المرتبطة به ، والمختص بالنظر والتحقيق فيما يُرفع على تلك الدوائر من شكاوى . وهو مرجع الإفتاء فيما يتعلق بالمصالح الحكومية وفي الاستفتاآت المقدمة من الأشخاص . ويقوم برئاسة هيأة التدقيقات الشرعية والاشتراك معها في أعمالها .

٢ — معاون رئيس القضاة : يساعد الرئيس في أعماله واختصاصاته ، وينوب عنه عند غيابه . ويشترك مع هيأة رئاسة القضاة فيما يناط بها .

٣ — هيأة التدقيقات الشرعية : تتألف من رئيس القضاة ومعاونه وأعضاء رئاسة القضاة . وتقوم بتدقيق الأحكام الشرعية الواردة للرئاسة استئنافاً ، أو لإعادة النظر . وتدقق أحكام الجنح والحدود والتعزيرات وأحكام القطع والقتل والتصديق على شهادات الوكلاء ، وتصدر القرارات في الشكاوى من الصكوك الصادرة عن كتّاب العدل . وتقرر ما عليه الشرع فيما قد يقع من خلاف بين قاض وآخر . ومن اختصاصها محاكمة قضاة المحاكم الشرعية ، والنظر في الشكاوى من موظفي الدوائر المرتبطة برئاسة القضاة .

٤ — ديوان رئاسة القضاة : وهو يحتوي على أقسام للتحرير ، والقضايا ، والمحاسبة ، والمستودع .

وقد بلغ ما دقّقته رئاسة القضاة من القرارات الشرعية والأحكام ، سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) ٣٦٧٠ قراراً وحكماً ، وأصدرت من المعاملات الرسمية في تلك السنة نحو ٨٠٠٠ معاملة .

الدوائر المرتبطة برئاسة القضاة

١ — دائرة تفتيش المحاكم : وفيها أربعة مفتشين شرعيين : (أ) المفتش العام ، ومركزه مكة ، واختصاصه تفتيش المحاكم في مقاطعة الحجاز والجهة

الشمالية . (ب) المفتش الثاني ، واختصاصه مساعدة المفتش العامّ .
(ج) مفتش محاكم الأحساء والظهران . (د) مفتش محاكم الجنوب ، ومركزه الرئيسي جازان ، واختصاصه تفتيش المحاكم في مقاطعتي جازان وأبها (عسير)

٢ — كتّاب العدل : كل بلدة فيها محكمة ، تكون بها دائرة لكتّاب العدل . ولكل دائرة منها تشكيلاتها . وذلك بمكة ، وجدة ، والمدينة ، والطائف والقطيف ، والخبر ، والأحساء ، والظهران ، والجبيل ، ورأس تنورة وأبها ، وجازان ، والظفير ، والقنفدة . وكل بلد فيه قاض ، يكون به من يتولى كتابة العدل . واختصاص كتّاب العدل ضبط الإقرارات على اختلاف أنواعها ، والوكالات ، ومبايعات العقارات ، وغيرها . وكذلك الرهون والوصايات والكفالات ، تقوم بتسجيلها لديها وإصدار الصكوك فيها .

٣ — بيوت المال : وفي المملكة دوائر لبيوت المال ، في مكة وجدة والمدينة وجازان وأبها والطائف والظهران والظفير وصامطة . وكل بلدة فيها قاض ، يوجد بها من يتولى أعمال بيت المال . واختصاص بيوت المال هو قيد الوفيات من الأهالي والمجاورين والحجاج وغيرهم ، وضبط تركاتهم وتقسيمها وتسليمها حسب الوجه الشرعي بعد صدور حكم « مكتسب للقطعية » من رئاسة القضاة ، وحفظ أموال الغائبين الذين لا وكلاء لهم ، والقاصرين الذين لا أوصياء لهم ، إلى غير هذا مما جاء النص عليه في التعليمات الموضوعة لهم .

٤ — هيآت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : اختصاصها الأمر بالمعروف وفق الشرع ، والنهي عن المنكرات التي حرّمها الشرع ، أو قال بكراهيتها . ولهذه الهيآت تعليمات موضوعة لها تسير على مقتضاها .

٥ — المرشدون . وهم متفرقون في بوادي المملكة والقرى والمساجد . وعددهم يزيد على ٦٠٠ مرشد . يقومون بإرشاد الناس إلى ما فيه صلاح

دينهم ، من العقائد السلفية وأحكام الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج ، وغير ذلك من شرائع الإسلام .

أنواع المحاكم وتقسيماتها

والمحاكم في المملكة على أربعة أنواع :

١ — المحاكم الكبرى . وهي في كل من مكة ، والمدينة ، والرياض . وتشتمل المحكمة على أربعة قضاة اختصاصهم النظر في قضايا العقارات ، على اختلاف أنواعها ، والديون من ٣٠٠ ريال فأكثر ، وقضايا الزوجيات والفسوخات ودعاوى الطلاق ، والحدود الشرعية ، ودعاوى القصاص ، وجميع القضايا الحقوقية والإقرارات بالعتق والوقف وغير ذلك .

وهناك محاكم شرعية ، في كلّ منها قاضيان ، كمحكمة جدة ومحكمة الطائف ومحكمة الظفير . وهي تقوم بأعمال المحاكم الكبرى تماماً .

٢ — المحاكم المستعجلة : تنظر في القضايا الجنائية والتعزيرات والحدود التي لا قطع فيها ولا قتل ، وفي القضايا الحقوقية التي تكون في ٣٠٠ ريال فما دونها . وهي موجودة في مكة والمدينة والطائف .

٣ — المحاكم الشرعية في الملحقات : تنظر في القضايا الخاصة بالمحاكم الكبرى والمستعجلة .

٤ — وفي بعض الأماكن القريبة من المدن ، قضاة للنظر في القضايا الجزئية البسيطة التي لا تستدعي ما يقضي بتشكيل محكمة مستقلة . وفي بعض المقاطعات يقوم رئيس المحكمة بالوساطة بين رئاسة القضاة وقضاة المقاطعة .

المحاكم في الحجاز

في مكة ثلاث محاكم . وفي المدينة محكمتان . وفي الطائف محكمتان . وفي جدة محكمة . تليها محاكم في الظفير ، وقلوة ، وبيشة ، والخرمة ، وتربة ،

ورنية ، والمويه ، وعفيف ، ورابغ ، وينبع ، وأملج ، والوجه ، وضبا ، والعلا ، وتبوك ، وحقل ، والقريات ، والجوف ، وخيبر ، والمهد ، ومدركة .

المحاكم في نجد

وفي نجد محاكم : في الرياض ، والخرج ، والدلم ، والحوطة ، والحلوة ، والأفلاج (كما ينطقونها) والحريق ، والسليّل ، ووادي الدواسر ، وضرمى ، وحريملا ، وحائل ، وبريدة ، وعنيزة ، والبكيرية ، والزلفي ، والرسّ ، والمذنب ، وشقرا ، والمجمعة ، وباطن سدير ، والشعيب ، والمحمل ، والحائط والحويط ، والقوارة والداهنة ، وعسيلة ، وسنام ، والرين . والأرطاوي ، والقويعية ، والدوادمي ، ومراة ، ودخنة ، وقبة ، والشبيكية ، والفوارة ، والأرطاوية ، وساجر ، وعروة ، ونفي .

المحاكم في عسير

وفي بلاد عسير محاكم : في أبها ، ومحائل ، ورجال ألمع ، وبني شهر ، وبارق قنا ، والبحر ، وظهران الحرجة ، وتثليث ، والمشرف ، والمجاردة ، وبالاسمر ، والأحمر ، والسراة ، وخميس مشيط ، ونجران .

وفي تهامة عسير

في جازان ، وصبيا ، وأبي عريش ، وصامطة ، وبني مالك ، والقحمة . وفيفا ، والمسارحة ، والعارضة ، والدرب ، وبيش ، والليث ، والقنفدة ، والعرضية ، والبرك .

وفي الأحساء

في الهفوف ، والمبرز ، والخبر ، والظهران ، والدمام ، والقطيف ، ورأس تنورة ، والجبيل ، وقرية ، والحفر .

القضايا الجزئية

والبلدان التي فيها قضاة للقضايا الجزئية هي :

بحرة ، والمضيق ، وبدر ،والحرث ، والحوية ، والشقيق ، والريث ، وبني حريص ، وهروب ، وبالغازي ، والحقو ، وفرسان .

إحصاء

نَظَرت محاكم الحجاز سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) في ٦٢٠٥ من القضايا .

، ، ،

من محاضرة قاض مصري

ألقى الحاج محمود علاّم (وكيل نيابة الاستئناف بمصر) محاضرة في « نادي القضاة » بالقاهرة ، يوم ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٨ (١٩٤٠ م) عن « القضاء في الحجاز » قال فيها :

نوع النظام القضائي في الحجاز : ظلّ النظام القضائي في الأراضي الحجازية منذ القدم ، خاضعاً للشرع الإسلامي الحنيف ، ولم يتبع في أنظمته إلاّ ما كان مستمداً من الشرع أو مطابقاً له ، حتى إن الدولة العثمانية التي كانت الأراضي الحجازية تابعة لها ، لمّا أدخلت نظام المحاكم الحديث إلى جانب المحاكم الشرعية في بلادها ، استثنت بلاد الحجاز المقدسة ، من تطبيق نظام المحاكم الحديثة ، وظل العمل سائراً على المنهاج الشرعي . وكان القضاة يصدرون أحكامهم ، طبقاً لأحكام أحد المذاهب الفقهية الأربعة « المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية » .

ولما دخل الملك عبد العزيز آل سعود ، الحجاز ، ترك المحاكم على حالها حتى سنة ١٣٤٥ هـ . وفيها أصدر أمراً بتوحيد النظام القضائي ، وجعله على أساس الفقه الحنبلي ، لأنه رأى أن المصلحة تقضي بجعل الأساليب الفقهية

واحدة ، دفعاً لمضارّ تضارب الأحكام وتعدد المراجع . كما أصدر أمراً آخر ، عين بموجبه المراجع الفقهية المعتمدة ، وحتّم على قضاة المحاكم ألاّ يخرجوا في أحكامهم عنها . وبذلك صار من السهل على المتقاضين والقضاة معرفة الحدود الفقهية التي يجب عليهم أن يقفوا عندها .

والمراجع المعتمدة في الوقت الحاضر هي ستة كتب ، وبيانها :

١ — الإقناع للشيخ موسى الحجاوي .
٢ — كشف القناع عن متن الإقناع لمنصور البهوتي الحنبلي .
٣ — منتهى الإرادات للفتوحي .
٤ — شرح منتهى الإرادات للشيخ منصور البهوتي .
٥ — المغني للشيخ عبد الله بن أحمد بن قدامة .
٦ — الشرح الكبير للشيخ عبد الرحمن بن أبي عمر بن قدامة .

وقد كان نظام المحاكمات ، في القبائل والعشائر ، عرفياً يرجع إلى إدارة حاكم الجهة . وقد استُعملت معهم شدة متناهية في أوائل الحكم السعودي حتى استتب الأمن في الحضر والبادية ، وحلت أحكام الشريعة في البادية محلّ الأحكام العرفية . ولذلك يمكن القول إن النظام القضائي الآن في البلاد العربية السعودية صار واحداً في الحاضرة وفي البادية وفي جميع درجات المحاكم ، أساسه الشرع الشريف ، وعمدته الفقه الحنبلي ، وهو مذهب الحكومة العربية السعودية .

درجات المحاكم في الحجاز : تنقسم المحاكم في الحجاز إلى ثلاث درجات . الأولى « المحاكم المستعجلة » والثانية « المحاكم الكبرى » والثالثة « هيئة المراقبة القضائية » . وأما من حيث شكل المحاكم ، فإنها تتألف من قاض منفرد في المحاكم المستعجلة ، ومن قاض ونائبين أو نائب في المحاكم الكبرى ، ومن خمسة في هيأة المراقبة .

وقد يصدر القضاة أو نواب القضاة ، في المحاكم الكبرى ، إعلانات على الانفراد إذا كانت الدعاوى دون حد معين . وأما إذا تجاوزته ، سواء في قضايا الحدود أو في الحقوق ، فإن المحكمة تصدر قرارها مجتمعة وتؤخذ الأحكام بالأكثرية .

وتختصّ المحاكم المستعجلة بالنظر في القضايا التي لا يتجاوز المطلوب فيها ثلاثين جنيهاً ، وفي قضايا الجُنح والجنايات التي لا تصل إلى حد القطع أو القتل .

وتختص المحاكم الكبرى بالنظر في القضايا التي لاتدخل ضمن اختصاص المحاكم المستعجلة . ولا بد من صدور قرار من جميع القضاة في كل قضية تستوجب القطع أو القتل .

أما هيأة المراقبة القضائية ، فإنها تقوم مقام المحاكم الاستئنافية من حيث تمييز الإعلانات وتدقيقها . وتأييد هذه للأحكام يكسب الأحكام درجتها القطعية . أما الأحكام التي تنقضها الهيأة ، فتعاد إلى المحاكم التي أصدرتها لإعادة النظر فيها .

ورئيس هيأة المراقبة القضائية ، له وظيفة أخرى علاوة على رئاسته للهيأة ، هي الإشراف على سائر المحاكم والقضاة في البلاد . وهو بحكم منصبه صلة الوصل بين رئاسة الحكومة والمحاكم .

أشهر محاكم الحجاز : يوجد في مكة محكمتان مستعجلتان ، الأولى خاصة بشؤون الحاضرة وقضاياها ، والثانية بشؤون البادية وقضاياها . ويرأس كلاًّ من هاتين المحكمتين قاض واحد . كما توجد بها المحكمة الكبرى وهي تتألف من الرئيس ونائبين . ومركز هذه المحكمة في الجهة الشمالية الشرقية من الحرم المكي ، في مواجهة ما بين الركن العراقي البحري من الكعبة الشريفة ، والركن الشامي الغربي منها ، بين بابي الحرم المعروفين بباب المحكمة وباب زيادة . ومباني هذه المحكمة فوق حيطان الحرم ومشرفة عليه . ويستطيع من يكون

في المحكمة أن يصلي جميع الأوقات جماعةً خلف إمام الحرَم أُسوة بباقي المباني المحيطة بالحرم المكي والمشرفة عليه . وعلمت أن أعمال المحكمة المذكورة ، توقف دائماً في أوقات الصلاة ، وتعود إلى حالها بعد أدائها . ومقرّ هيأة المراقبة القضائية التي يرأسها قاضي القضاة ، في مكة المكرمة .

وفي المدينة المنورة محكمة مستعجلة واحدة ، يرأسها قاض ، والمحكمة الكبرى يرأسها قاض ويجلس معه نائب قاض .

أما جدة ، فكان فيها محكمة مستعجلة ومحكمة كبرى . وعلمت أنهما أُدمجتا أخيراً وصارتا محكمة واحدة ، يجلس فيها قاض منفرد في الأعمال المستعجلة ، وقاض معه نائب قاض ، عند نظر القضايا الكبرى . وفي كل إمارة من الإمارات الأخرى يوجد بجانب الأمير قاض . وفي كل محكمة من الكتّاب والمحضرين ما تستدعيه حالة العمل . ويوجد بكل محكمة رئيس كتاب.

مفتش المحاكم : وأنشئت أخيراً وظيفة مفتش للمحاكم . لإجراء التفتيش على أعمالها وسير القضايا فيها . وعُين لها مفتش يقوم بإجراء دورات تفتيشية من وقت إلى آخر ويضع التقارير عن سير الأعمال وتنظيم الشؤون الإدارية.

بيت المال : يوجد إلى جانب المحاكم الكبرى ، موظف رسمي اسمه « مأمور بيت المال » ومهمته الحجز على التركات إذا لم يكن للميت وارث أو كان في الورثة قاصر أو غائب لا وكيل له . ومأمور بيت المال يقوم بتصفية التركة ، وحصرها ، وبيع المخلفات ، وتقسيمها بالوجه الشرعي . ويقوم أيضاً بالدفاع عن مصالح القصّر ، والترخيص بدفن الموتى ، بعد الحصول على تصريح من الإدارة الصحية . وعلمت أنه ليس لمأمور بيت المال دخل في تعيين الأوصياء أو القوّم أو وكلاء الغائبين ، لأن ذلك من اختصاص القاضي الشرعي .

كتّاب العدل : أُنشئت وظائف كتاب العدل سنة ١٣٤٧ هـ . وهي من الأعمال المتممة للشؤون القضائية والمسهّلة . وقد وضع لهذا الغرض نظام

مفصَّل عينت فيه الأعمال التي يباشرها كتاب العدل ؛ وأهمها التوكيلات القضائية ، وتسجيل الإقرارات والهبات والوصايا ، وتسجيل العقود ، وإجراء معاملات البيع والشراء والرهونات والبيع الوفائي ، وغير ذلك مما هو في معنى الإشهاد . وقد استثني من أعمال كتاب العدل مسائل إنشاء الأوقاف التي جعلت من اختصاص المحاكم الشرعية . ويوجد كاتب عدل في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة .

وفي الملحقات ، يقوم رؤساء كتاب المحاكم أو القضاة أنفسهم بوظائف كتاب العدل حينما يطلب منهم ذلك .

المجلس التجاري : تألف أوائل سنة ١٣٤٥ هـ مجلس تجاري بجدة ، للنظر في القضايا الناشئة بين التجار ، أو في شؤون تجارية . وقد وضع للمجلس نظام مفصّل مستمدّ من العرف التجاري والمعاملات البحرية . ويتألف المجلس في الوقت الحاضر من رئيس وخمسة أعضاء منتخبين ، من ذوي الخبرة في الشؤون التجارية . وينضم إليهم عضو شرعي . ويختص هذا المجلس بالنظر في جميع أنواع القضايا التجارية البرية والبحرية .

كيفية رفع الدعوى : يتقدم المدعي إلى قلم كتاب المحكمة ، بعريضة دعواه مكتوبة على صورتين ، فتقيد بحسب تاريخ ورقم ورودها . وبعد التأشير عليها باللازم ، تبلغ إلى المدعى عليه بواسطة المحضرين ، ويحدد ميعاد للنظر في الدعوى أمام القاضي منفرداً أو أمام المحكمة بكامل هيأتها .

ومتى صدر الحكم ، يصبح نهائياً واجب التنفيذ ، إن كان مبنياً على الإقرار . وإن لم يُبن على الإقرار ، سأل القاضي المحكوم عليه عما إذا كان قانعاً بالحكم أو لا . فإن اقتنع به أصبح مبرماً وإن لم يقتنع ، سلمت المحكمة إلى المحكوم عليه صورة من الحكم ومن محضر ضبط القضية ، ومُنح مهلة عشرة أيام لتقديم لائحة اعتراضه عليه . وهذه اللائحة ترفع بواسطة المحكمة التي أصدرت الحكم إلى هيأة المراقبة القضائية ، لتحقيق الحكم وتمييزه .

وإذا ترك المدعي دعواه بدون مسوغ شرعي ، شطبتها المحكمة من قائمة القضايا ، ولا يمكنها سماعها إلاّ بإقامتها مرة ثانية . وعلى المدعي أن يقدم دعواه بنفسه ، إلاّ إذا كان غائباً أو مريضاً أو قاصراً أو امرأة ، ففي هذه الأحوال يجوز أن تقدم بواسطة وكلاء مفوضين تفويضاً رسمياً بذلك بموجب وكالة أو وصاية .

ويصدر الحكم غيابياً إذا امتنع المدعى عليه من شهود المحاكمة أو إيفاد وكيل عنه لسماعها ، بلا مسوغ . ولا بد من تمييز الحكم الغيابي .

ويجب أن تقترن الأحكام الصادرة بالقطع أو القتل ، بتصديق ولي الأمر ، حتى يصح تنفيذها .

كيفية تنفيذ أحكام المحاكم : تنفيذ الأحكام المدنية لا يكون إلاّ بناءً على طلب الخصوم ، بأن يسحب الخصم الحكم ويسلمه للمحضرين ورجال الشرطة لتنفيذه . ويصح القبض على المحكوم عليه وحبسه ، إذا قصر في تنفيذ الحكم ولم يقم بالسداد مع قدرته عليه . كما يصح الحجز على منقولات المدين وعقاراته ، وبيع ما يفي بالسداد منها . أما المحكوم عليه المعسر الذي لا يوجد عنده ما يصح الحجز عليه أو يفي بالسداد ، فيصح له إثبات عسره ، بدعوى جديدة يحكم فيها بالإفراج عنه إن كان محبوساً أو معافاته من الحبس وانتظار الميسرة .

أما أحكام الجلد ، أو الحبس أو قطع الأيدي أو القتل ، فتنفيذها منوط بالسلطة التنفيذية ، ومنهم رجال الشرطة وإدارة السجون .

وبين المنفذين لأحكام القتل (الاعدام) سيّافة من العبيد الطوال العمالقة ذوي العيون البراقة المدفونة في شبه كهوف من العظام المحيطة بها .

وعلمت أنه يُشترط في السيّاف المنفذ ، أن يجهز على رقبة المحكوم بإعدامه من ضربة سيف واحدة . وإن أهمل جوزي جزاء صارماً .

كما أني علمت أن أحكام القطع أو القتل ، تنفذ علانية ؛ ليراها الناس

حتى يكون لها التأثير المطلوب من الردع والزجر .

وسمعت أن الأيدي والرؤوس التي تقطع ، تعلّق في الطرق العامة ، حتى يتمكن من رؤيتها والاتعاظ بها من لم يستطع حضور التنفيذ .

المحاماة : كان مجال المحاماة في الحجاز ضيقاً جداً ولا يسمح إلاّ لوكلاء الدعاوى ، بأن يوكلوا عن المريض أو العاجز أو الشيخ الذي أقعدته شيخوخته عن مباشرة عمله ، أو الغائب أو أن يكون أحد المتقاضين سيدة . وعلمت أنه رؤي أخيراً السماح بقبول المحامين في المخاصمات ، على شرط أن يكون مأذوناً لهم بذلك من قبل الجهات المختصة .

سلطة المحاكم الحجازية ، وقوة قوانينها ، وأحكامها في بلادها : ولا يوجد في الأراضي الحجازية امتيازات أجنبية ، من أي نوع كانت . وكلّ الأجانب في الحجاز خاضعون لسلطة المحاكم الحجازية وأحكامها ، ولقوانين الحجاز وأحكامه . وفي الحجاز قنصليات وسفارات سياسية تمثل الدول الأجنبية ، ومركز التمثيل السياسي لجميع الدول جدة . وليس لممثلي الدول الحق في التدخل في أيّ عمل يمس قوانين الحجاز ، وسلطة المحاكم فيه . ولرجال الشرطة الحجازية حقّ تفتيش أي أجنبي ، والقبض عليه . وللمحاكم الحجازية حق محاكمته ، طبقاً للأصول والقواعد المرعية التي تحاكم بها رعاياها . والطريقة الوحِدة غير المباشرة لتدخل ممثلي الدول في الحوادث التي تحصل من رعاياهم ، هي طريقة الاتصال بقائمقام جدة ممثل الحكومة الحجازية بها وحاكمها أو الاتصال بوزارة الخارجية بالطرق الدبلوماسية.

الأمن في الحجاز : لا يختلف اثنان ممن زاروا الحجاز بعد الحكم السعودي، في أن الأمن به مستتب في كل مكان . ولا يجرؤ أحد من أعراب البادية أو سكان الحضر على اقتراف أيّ جريمة ، خصوصاً السرقات ، اللهمّ إلاّ من كتب الله عليه الشقاء . والسرّ في ذلك ، شدة الأحكام . ويقال : إن لشدّة الأحكام السعودية في أراضي الحجاز رواية ، وهي أن الملك

عبد العزيز ، لما دخل الحجاز جمع رؤساء القبائل والعشائر وأمنهم على أنفسهم وطمأنهم على مرتباتهم وعوائدهم ؛ واشترط عليهم شرطاً واحداً ، وهو أن يكونوا قادرين على حفظ الأمن في حدود أراضي قبائلهم ، ومناطق نفوذهم . وناشدهم الذمة في أن يتنحى الضعيف منهم عن وظيفته ، ليعين مكانه أحد رجاله . فأظهر الجميع استعدادهم لحفظ الأمن ، وقدرتهم على رجال عشائرهم ، فجعلهم مسؤولين عن كل صغيرة وكبيرة تحدث في ديارهم واعتبرهم ضامنين ومتضامنين مع جميع أفراد قبائلهم وعشائرهم ، نساءً ورجالاً وأطفالاً ، عن كل حادث يحصل في أراضيهم ، سواء بينهم وبين بعضهم ، أو حوادث لأجانب من التجار أو الحجاج أو غيرهم . وختم الجميع تعهدهم له بقولهم : « ولعنة الله على الخائن » .

وبعد ذلك ، صارت الحكومة السعودية تعتبر أن ما يحصل في حدود أية عشيرة أو قبيلة يدلّ على خيانة للعهد ، وما جزاء الخائن إلاّ الإبادة أو الإعدام . ويقوم الجيش بإبادة القبائل أو العشائر العاصية . ولم يحصل ذلك إلاّ مع قبيلة أو اثنتين . وبعدهما استتب الأمن في جميع أنحاء الحجاز . وأذكر أنني شاهدت برهاناً على هذا أني تمتعت في مسافة ألف ومئتي كيلومتر قطعتها مع صديق واحد ، في سيارة فورد مفتوحة من نوع التاكسي ، سافرت بنا في الصحارى والقفار والوديان منفردين ، وليس معنا غير سائق السيارة الجاوي الجنسية ثالثنا . وذلك في المسافة بين جُدّة والمدينة المنورة ، وبالعكس؛ وبين جدة ومكة وبالعكس ، وبين مكة وعرفات . وأُؤكد أني ما شعرت بخوف ولا بتعب وكأنني في نزهة فوق « كبري » الزمالك .

أمثلة من تصرفات الأمراء وأحكامهم : زرت أثناء إقامتي في المدينة المنورة أمير المدينة – أي حاكمها – وكان وقتئذ الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ، وهو رجل وقور ضخم الجسم مهيب الطلعة ، له لحية بيضاء طويلة ، ويرتدي ثوباً أبيض ومشلحاً (عباءة) ويتوج رأسه بكوفية وعقال . وهو نجدي .

شيخ في منظره ، فتى في نشاطه ، قويّ في إرادته وأحكامه . وقد قدّمني إليه ناظر التكية المصرية بالمدينة المنورة ، ولما علم أني قاض ، قصّ عليّ القصة الآتية :

قال إنه كان في أوائل الفتح السعودي ، حاكماً في الطائف ، وعلم في يوم أن البدو اختطفوا اثنين من حُجاج الهند ، وقتلوهما وأخذوا أمتعتهما ؛ فأمر بإحضار كبار القبيلة التي حصل في حدودها الحادث ، وحدّد لهم مدة ثلاثة أيام لإحضار المسروقات والإرشاد عن جثث القتلى . وأقسم أنه إذا انقضى الأجل المضروب دون نفاذ المطلوب ، ليبيدنّ القبيلة بأكملها رجالاً ونساءً وأطفالاً ، بالسيف والمدفع . وقبل مضيّ الميعاد أحضر رجال القبيلة المسروقات ، وأرشدوا إلى جثث القتلى التي وجدوها مطمورة في غار في الجبل . وبعد التحقق من شخصية الجثث والمسروقات ، استعرف أهل القتيلين عليهما . وطلب الأمير من رؤساء القبيلة أن يرشدوه إلى القاتلين ، فأرشدوا إلى اثنين اعترفا بالجريمة ، فأمر بقطع رقبتيهما . وانتهت القضية تبليغاً وتحقيقاً وحكماً وتنفيذاً في أسبوع واحد . وقال محدّثي مفتخراً : إن الملك عندما علم بالحادثة وما تم فيها ، كتب إليه يشكره وينوّه بما أولاه الله من نعمة العدل والإنصاف في الأحكام ، والبراعة والقدرة في كشف الحقائق ؛ وتمنى أن يرى كثيراً بين رجاله وعماله في البلاد من هذا النوع . وكان الأمير في لهجة حديثه مهدداً لكل من تسوّل له نفسه اقتراف أية جريمة كانت .

قضية أخرى حكم فيها أمير المدينة ، حكماً عرفياً : وحدثني أحد تجار المدينة المنورة أن حاجّين مصريين ، من الصعيد ، قدما إلى المدينة للزيارة ، وسرق من أحدهما « كمر » من الجلد ، مما يُستعمل كحزام في الوسط ، وبه جيوب . وكان بالكمر ثمانية جنيهات إنجليزية من الذهب ، فأخبر زميله بالسرقة ، فأظهر الدهشة والاستغراب . وذهب الاثنان إلى « بوليس » المدينة ، وبحث هذا وحقق وفتش بغير جدوى ، لأن الفاعل مجهول والمجني

عليه لم يتهم أحداً . وعُرض الأمر على أمير المدينة ، ليتصرف في الأوراق ، إما بالحفظ أو بالحكم العرفي بنفسه في الدعوى ، أو إحالتها إلى الشرع . فأمر بإحضار المجنيّ عليه وصاحبه ، وناقشهما . وتبيّن له من مناقشة الإثنين أن حالة زميل المجني عليه غير عادية ، فأمر بفرشه — أي إرقاده على وجهه فوق الأرض وجلده على ظهره — وللأمير جنود لهم طريقة جبارة في إلقاء الناس على وجوههم ، بمجرد أقل إشارة من الأمير ، بوضع أرجلهم بين أرجل المطلوب فرشهم ، ودفعهم بأيديهم من الخلف ، فيقعون على وجوههم فوق الأرض ، في أقل من لمح البصر ، ثم يناولونه من خيرات الجلد ما يأمر به الأمير . ولم يحتمل زميل المجني عليه الضرب ، فصرخ طالباً العفو : واعترف بالسرقة ، وأظهر استعداده لإحضار المسروقات ، فدهش المجني عليه وصار يدافع عن زميله ويكذّب اعترافه ، ويقول : إن سبب اعترافه هو شدة الضرب ، إلاّ أن دهشته زالت لما رأى أن زميله هو السارق الحقيقي لكمره وجنيهاته الثمانية ، وأنه أحضر الكمر وبه المبلغ المسروق . وما إن استلم المجني عليه المسروقات حتى تخلى عن زميله الخائن . ورأى أمير المدينة أن المتهم أجنبي من المصاروة (المصريين) وأن ليس له في الحجاز عشيرة أو قبيلة يوثر فيها حكم الشرع بقطع اليد : لذلك لم يحله إلى المحكمة وحكم عليه حكماً عرفياً حضورياً نهائياً بالتشهير ، وسلمه إلى جنديين مرّا به في أسواق المدينة وميادينها وشوارعها ومعهما منادٍ يقول : « يا ناس . اسمعوا وانظروا وتدبروا ، هذا رجل خائن ، سرق زميله فاحذروه ! .. » وكان كل من يسمع ذلك ويراه ، يوبخه خصوصاً الحجاج المصريين الذين كان لهم هذا اللص وصمة عار . ووقف الجنديان والمنادي بالمجرم المذكور أمام أبواب الحرم النبوي ، في أوقات الصلاة الخمس . وبعد أن تم التشهير أمر الأمير بإخراجه من المدينة طرداً ، ماشياً على الأقدام ، وحرمه ركوب شيء . وذلك بعد أن أخذت صورته الفوتوغرافية ، وبلغت لجميع مراكز الشرطة في المملكة ، لمراقبته وتحذير الناس منه . وأطلق فلم يُعرف أين ذهب . وكان

حديث الناس طول موسم الحج .

مركز القضاة الأدبي في الحجاز : لاحظت أن القضاة في الحجاز ، مهيبو الجانب ، موفورو الكرامة ؛ وأن لرئيسهم قاضي القضاة منزلة كبيرة عند الملك . وقد رأيته في احتفال أقامته بلدية مكة ، لاستقبال الملك عبد العزيز ، يوم الجمعة ٣ ذي الحجة ١٣٤٨ (٢ مايو ١٩٣٠) بعد صلاة المغرب ، قد دخل على الملك ، فأجلسه إلى جانبه ، بعد أن قبله قاضي القضاة في جبينه وطرف أنفه . والتقبيل في هذه الأمكنة من الوجه علامة « الاحترام » عند النجديين . ولا شك في أن احترام القضاة عند الملوك ، يرمز إلى حرمة العدل وتشجيع القضاة على حسن القيام بواجباتهم . وقد ذكرني ذلك بما اطلعت عليه من تاريخ القضاة في مصر ، أن فراعنة مصر في عهودهم كانو يحلّفون القضاة يميناً بألاّ يطيعوهم فيما يخالف العدل والقانون والإنصاف ، ويجعلونهم بذلك بعيدين عما تستدعيه سياسة الدولة من عواصف وتقلبات سياسية أو إدارية . وذلك لكي يطمئن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، لأن الملجأ الحصين لحمايتهم من غوائل الاستبداد هو القضاء . ا هـ

الملك عبد العزيز

وأنظمة الدولة في عهده

بدأ وضع النظم للدولة في عهد الملك عبد العزيز بعد دخوله الحجاز ، سنة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٦ م) تبعاً لمقتضيات الحاجة ، وتنظيماً للأعمال .

وفيما يلي أسماء أهمّ تلك « الأنظمة » وتواريخ موافقة الملك عليها ، أو نشرها في جريدة « أم القرى » الشبيهة بالرسمية :

١ ــ نظام إدارة الحج ــ صدر في ١٣٤٥/٣/٢٠ (١٩٢٦ م)

٢ ــ نظام مصلحة الصحة العامة والإسعاف ــ صدر في ١٣٤٥/٧/١٤ (يناير ١٩٢٧)

٣ ــ نظام مجلس المعارف ــ ١٣٤٦/١/٢٧ (يوليه ١٩٢٧)

٤ ــ نظام تشكيلات المحاكم الشرعية ــ ١٣٤٦/٢/٤ (أغسطس ١٩٢٧)

٥ ــ نظام كتّاب العدل ــ ١٣٤٦/٢/٢٦ (أغسطس ١٩٢٧)

٦ ــ نظام تسجيل المتوفين من الحجاج وضبط مخلفاتهم ــ ١٣٤٦/٤/٢٨ ﻫ (أكتوبر ١٩٢٧)

٧ ــ نظام التطعيم ضد الجدري ــ ٤٩/٢/٧ (يوليه ١٩٣٠)

٨ ــ نظام استخدام المأمورين الصحيين ــ ١٣٤٩/٨/١٨ (يناير ١٩٣١)

٩ ــ نظام سير المحاكمات الشرعية ــ ١٣٥٠/٢/٢٩ (يوليه ١٩٣١)

١٠ ــ شروط تملك الأجانب ــ ١٣٥٠/٣/١٢ (يوليه ١٩٣١)

١١ – نظام منع الاتّجار بالمواد المخدّرة – ١٣٥٣/٤/٩ (يوليه ١٩٣٤)
١٢ – نظام الاحتياطات الصحية من الأمراض المُعدية – ١٣٥٣/٦/٤ (سبتمبر ١٩٣٤)
١٣ – نظام تملك العقار في الحجاز – ١٣٥٣/٦/٢٩ (أكتوبر ١٩٣٤)
١٤ – نظام جمعية الإسعاف الخيري – ١٣٥٤/٣/٢ (يونيه ١٩٣٥)
١٥ – نظام المستشفيات – ١٣٥٤/٧/٣٠ (أكتوبر ١٩٣٥)
١٦ – نظام ممارسة الطب – ١٣٥٤/٧/٣٠ (أكتوبر ١٩٣٥)
١٧ – نظام تعاطي الصيدلة ١٣٥٤/٧/٣٠ (أكتوبر ١٩٣٥)
١٨ – نظام المرافعات الشرعية – ١٣٥٥/٢/١١ (مايو ١٩٣٦)
١٩ – نظام الحوالات (البريدية) – ١٣٥٦/١/١٢ (مارس ١٩٣٧)
٢٠ – نظام الطرود العادية والمؤمن عليها والمحول عليها – ١٣٥٦/١/١٧ (مارس ١٩٣٧)
٢١ – نظام التلفونات – ١٣٥٦/١/١٧ (مارس ١٩٣٧)
٢٢ – نظام البريد الخاص بالمراسلات العادية والمستعجلة – ١٣٥٦/١/١٧ (مارس ١٩٣٧)
٢٣ – نظام الخطابات والعلب المؤمن عليها والمحول عليها ١٣٥٦/٢/٥ (ابريل ٣٧)
٢٤ – نظام البرق ١٣٥٦/٩/١٢ (نوفمبر ١٩٣٧)
٢٥ – « العقاقير والمستحضرات الطبية ٥٧/١/١ (مارس ٣٨)
٢٦ – « تركيز المسؤوليات في القضاء الشرعي ٥٧/١/٤ (مارس ٣٨)
٢٧ – « أمانة العاصمة والبلديات ٥٧/٧/٢٠ (سبتمبر ٣٨)
٢٨ – « جوازات السفر ٥٨/٢/١٠ (ابريل ٣٩)
٢٩ – « الطرق والمباني ٦٠/٦/١٠ (يوليه ٤١)
٣٠ – « الموظفين العام ٦٤/٣/٦ (فبراير ٤٥)
٣١ – « التقاعد ٦٤/٣/١٦ (فبراير ٤٥)

٣٢ — نظام الغرفة التجارية والصناعية بجدة ٦٥/٢/١٥ (يناير ٤٦)
٣٣ — « موظفي دار البعثات السعودية ٦٥/٣/٢١ (فبراير ٤٦)
٣٤ — « المواد القابلة للالتهاب ٦٥/٨/٢٧/ (يوليه ٤٦)
٣٥ — « العمل والعمّال ٦٦/١١/٢٥ (اكتوبر ٤٧)
٣٦ — « توحيد الطوابع ٦٩/١/٦ (اكتوبر ٤٩)

، ، ،

ويجدر بالذكر أن الملك عبد العزيز ، لما دخل الحجاز كانت المعاملات فيه على الأكثر تتبع أحكام القانون العثماني . وكان لا بد من انقضاء زمن على انتظام الدولة الجديدة لتستطيع وضع أحكام تحلّ محلّ الأحكام المعمول بها . فأذن باستمرار أحكام ذلك القانون . واستمرت إلى أن أمكن وضع غيرها وقامت النظم الحديثة مقامها .

، ، ،

وليس ما ذكرنا من الأنظمة ، هو كل ما صدر لتسيير الأعمال وتيسيرها . فان هناك مئات من « التعليمات » و« الإرادات الملكية » سُجّلت واتّخذت أنظمة أو « سوابق » ما زال العمل بها — أو بمعظمها — جارياً إلى اليوم . ومنها ما كان جواباً على سؤال ، أو أمراً صادراً في حادث معيّن . نذكر من ذلك على سبيل المثال :

١ — المراجع الشرعية لكتّاب العدل — ٤٧/٨/٨ (يناير ١٩٢٩)
٢ — الموظفون والمحاماة — ٤٨/٢/١ (يوليه ٢٩)
٣ — حجز أموال المدينين وبيعها — ٤٨/٣/٢٣ (أغسطس ٢٩)
٤ — ما يستدعي اجتماع أعضاء المحكمة — ٤٩/٣/٢٠ (أغسطس ٣٠)
٥ — وضع اليد على الأراضي الحكومية ٤٩/٨/٢٨ (يناير ٣١)
٦ — المشاغبون والمزورون — ٤٩/١٢/٥ (ابريل ٣١)

٧ – المرضى في السجون ٥٠/٣/١٢ (يوليه ٣١)
٨ – علاقة البلديات بالصحة العامة – ٥١/٦/٢٩ (اكتوبر ٣٢)
٩ – منع المدعى عليه من السفر – ٥١/٧/٢٠ (نوفمبر ٣٢)
١٠ – مبيعات البوادي العقارية – ٥١/١٠/٢٠ (فبراير ٣٣)
١١ – الطعن في صكوك كتّاب العدل – ٥٢/٢/٢٧ (يونيه ٣٣)
١٢ – ميراث الأجانب في العقار – ٥٢/٤/٧ (يوليه ٣٣)
١٣ – الدعوى على الأمراء المفصولين – ٥٢/٨/١٢ (نوفمبر ٣٣)
١٤ – إجارة الوقف لمدة طويلة – ٥٢/٨/١٢ (نوفمبر ٣٣)
١٥ – قضايا الاختلاس – ٥٢/٩/٢٧ (يناير ٣٤)
١٦ – القضايا الزوجية في البادية – ٥٣/٤/١ (يوليه ٣٤)
١٧ – تحديد الديّة – ٥٣/٥/١٥ (أغسطس ٣٤)
١٨ – معاملات الجنود الشخصية – ٥٣/١٠/٢٧ (فبراير ٣٥)
١٩ – برقيات موظفي اللاسلكي لعائلاتهم – ٥٤/٤/٢٧ (أغسطس ٣٥)
٢٠ – تحديد كلمات البرقيات الرسمية – ٥٤/١١/٦ (فبراير ٣٦)
٢١ – بيع العقار الموقوف – ٥٦/٧/٦ (أغسطس ٣٧)
٢٢ – كيفية زيارة الأطباء للمرضى – ٥٧/٢/٤ (أبريل ٣٨)
٢٣ – اعتبار دفتر الإقامة وثيقة رسمية – ٥٧/٣/١١ (مايو ٣٨)
٢٤ – تعليمات صحية للبيوت التي يسكنها الحجاج – ٥٧/٤/١١ (يونيه ٣٨)

وقد أصدرت مطبعة « أمّ القرى » كتاباً في ثلاثة أجزاء ، باسم « مجموعة النظم » خصّ الجزء الأول منه ، القضاء الشرعي من سنة ١٣٤٥ إلى ١٣٥٧ هـ (١٩٢٧ – ١٩٣٨ م) والثاني بقسم الصحة العامة والإسعاف والمحاجر الصحية ، في الأعوام نفسها . والقسم الثالث بقسم البرق والبريد والتليفونات من سنة ١٣٤٥ إلى ١٣٥٨ هـ (١٩٢٧ – ١٩٣٩) يمكن الرجوع إليه للتوسّع فيما أجملناه .

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

والأمن في عهده

من تحصيل الحاصل أن نقول : إن الأمن في بلاد المملكة العربية السعودية ، كان ولا يزال مضرب المثل . فهو قول يردد في كل مناسبة ويرد على كل لسان .

وما من إنسان دخل تلك البلاد ، حاجّاً أو معتمراً أو سائحاً أو زائراً إلا عاد منها يحدث ـ إذا سئل عن الأمن ـ بالأعاجيب .

فمن قصة رجل سقطت حقيبته بين مكة والمدينة ، ولم يلبث أن قرأ في أمّ القرى « خبر العثور بها » إلى قصة آخر عاد فوجد ما أضاعه حيث سقط لم تمسسه يد ، إلى أخبار من أمثال هذه ، هي أشبه بنسج الخيال ، ولكنها حقائق .

بل ما لنا ولهذا ، ونحن أمام الواقع المشاهد : ألا يُغلق أصحاب المتاجر بيوت تجارتهم ، في كل بلد من بلاد العالم ، إذا أرادوا التغيب عنها ؟ وتلك أسواق مكة وجدّة والمدينة والطائف والرياض وبُريدة وعُنيزة وعشرات المدن الأخرى ، ومئات القرى ، يضع التاجر عصاً أو كرسياً أو قطعة صغيرة من القماش ، على المكان البارز من دكانه ، ويمضي ، ، ثم يعود وكأنه لم يغب . وهؤلاء الصيارف في تلك الأسواق ، وأمامهم أكداس الأريلة ـ جمع ريال ـ ينصرف أحدهم بعد أن يجلّل « ثروته » بمنديل شفاف ، فيغيب ما يغيب وهو آمن .

أقسم متحدث في أيام عبد العزيز أن في بادية الجزيرة ، من الأمن ، ما ليس في قصور الملوك . وهو صادق .

، ، ،

كيف أتيح الأمن لبوادي شبه الجزيرة وحواضرها ؟

هذا سؤال يدور على ألسنة الكثيرين . ومعظمهم يعنيهم من الأمن ألاّ يتعرّض للحاجّ والسائح من يسرق مالهما في الحاضرة أو يتعرض لنهبهما في البادية .

وقبل الإجابة عن السؤال ، لا بدّ من كلمة صغيرة دقيقة في لبّ الموضوع :

بين السرقة في القرية أو المدينة ، والنهب في الصحراء أو الخلاء ؛ فرق نفسي (سيكولوجي) جدير بالدرس .

السارق : على الأكثر يشعر بصَغار في نفسه ، ويحس بأنه يخون من يسرقه وأن النظام بالمرصاد له . ويدرك أن أقرب الناس إليه ، لو علموا بأنه يسرق لاحتقروه ، ظاهراً أو باطناً . فهو ذليل صغير حقير ، قد يردعه العقاب ويقسره بسهولة .

أما ابن الصحراء ، فعلى نقيض ذلك . كان يَعُدّ النهب وقطع السبيل والسطو على مال غيره ، قوة ؛ ويُسميه كسباً حلالاً يعتز أمام قبيلته به ويشهد له رفاقه بالشجاعة ويعلو صوته وصيته ..

وما دخل الفساد كلمة في « العربية » ككلمة « الغزو » كان يرادفها الفتح ، وبسط السلطان ، وضم الأضعف إلى الأقوى ، واستئصال الشر . وعادت في بادية الجزيرة بعد ذلك يرادفها النهب والسلب ، وتحفز إلى فعلها اللصوصية والأطماع ونعرة الجاهلية .

يبرح البدوي قبيلته ، ويتبعه أشباه له ، فيغيرون على راع لقبيلة أُخرى ويسوقون أمامهم ما يظفرون به من أبل أو ماشية . وتهبّ القبيلة المعتدَى عليها ،

فإن أدركت المعتدين نشبت المعركة ،وأنقذت «حلالها» أو فرّ المعتدون وخلوا « الحلال ». وإن أسعفهم الحظ ، وانتهوا إلى ديارهم ببضعة بُعْران ، سمتهم القبيلة « غزاة » وتغنى شعراؤها ببسالتهم ، وربما توقعت غارة القبيلة الأخرى – المغزوّة – طلباً للثأر . وهكذا دواليك .

فأبناء الحواضر إذن ، يسمون السرقة باسمها ، ويعرفون وهم يرتكبونها أن الشرع يرتقبهم . وأبناء البادية يسمون اللصوصية « غزواً » ولا يدرك الغازي أنه « لص » فهو أشد خطراً على المجتمع ، ولا بد مع إنزال العقاب به من معالجة «نفسيته » وإلاّ كانت العقوبة فردية لم يتأثر بها أمثاله .

أَمن البادية

أدرك عبد العزيز – وهو ابن البادية في صباه – ما ابتليت به البادية . وعرف أن أرواح الناس ، من حضر وبدو ، ووطنيين وأجانب ، ستظل عرضة في الصحراء للاعتداء .

ولآل سعود ، في القديم والحديث ، مواقف مذكورة في تطهير البادية من شرور « الغزو » أو « اللصوصية » المشروعة في عرف البادية ، والفاشية بين قبائلها .

وهناك مشكلة أخرى أشدّ تعقداً من الأولى :

ليس للرُّحَّل من البدو ، مورد رزق . فالشيوخ منهم – أعني الرؤساء والكبراء – يمتلكون من الماشية والأنعام ما يحملهم على ارتياد منابت العشب أو يضطرهم إليه ، لترعى ماشيتهم وليأكلوا من لحومها ، ويشربوا من ألبانها ، ويكتسوا بوبرها وصوفها . ومن عدم المرعى هلكت ماشيته ، وجاع وعاش عالة على غيره . وقد يسطو مستضعفون ، فيكون لهم بعض الأنعام ،

فينتقلون إلى مصاف أشباه الأغنياء . فاللصوصية التي كانوا يسمونها « الغزو » لا تنحصر بين قبيلة وأخرى ، بل تشمل القوافل والعابرين من أصحاب التجارات والمصالح . وهي مورد الرزق الوحيد للأعرابي المملق وقوام حياته وحياة أهله وبنيه وبناته .

فماذا صنع عبد العزيز ؟

١ — عمد إلى « تحضير » أوفر عدد ممكن من البدو ،عن طريق الهِجَر . وقد سبقت لنا كلمة مسهبة عنها .

٢ — وفّر لسكان الهِجَر آلات الفلاحة والزراعة ، وسهل عليهم اقتناءَها .

٣ — استكثر من الآبار الأرتوازية فيها ، لاستيعاب البدو المجاورين لها ، وانقطاعهم للزراعة .

٤ — أسعفهم بالضروري من القوت عند إصابة الغلة في أرضهم ببعض الآفات .

٥ — جعل لقبائل البادية « سجلاً » في ديوانه ، وسهّل لكل منها سبل الاتصال به وبأمراء المقاطعات .

٦ — بث « المطاوعة » في أفراد القبائل ، يعلّمونها « الطاعة » لله ، في اتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه .

٧ — أحكم رابطة القبيلة بشيوخها ، واعتبر أفرادها جميعاً جنداً له ، وزعماءها مسؤولين عن رعاية الأفراد . وخص الشيوخ بمنح موسمية أو شهرية ثابتة ، من أرز — ويسمونه العيش — وبرّ أو دقيق ، وسكّر ، وبنّ ، وغير ذلك مما يكفي لسدّ رمق القبيلة في حال قحط المرعى .

٨ — الإسلام يحرّم ما يسمونه « الغزو » فلا غزو من هذا النوع ، بعد اليوم .

٩ — جعل القبيلة كلها متضامنة متكافلة في « المسؤولية » عن وقوع أية جريمة فيها ، أو في جوارها . فإذا ظهر الجُرم كان عليها إظهار المجرم . وإن

اختفى المجرم عوقبت كلها ...

هذا بعض ما عمد إليه عبد العزيز ، لبسط الأمن في بوادي الجزيرة .

وكان للحزم وللزجر فعلهما ، بعد أن تحدثت القبائل بنبأ إحداها وقد امتنعت عن إبراز مجرم منها أو تسليمه إلى الشرع ، فصبّحها رجال عبد العزيز ، والناس هجود ، فمزُقت .. وضرب المثل بتصبيح ابن سعود وهجاده .

قال ابن بليهد[1] في الحديث عن جبل يدعى « الرقاشي » : هو بين أربع قبائل متعادية : عتُيبة وفيهم من بقايا بني عمرو بن كلاب ، وسُبيع وهم من بني عامر ، وقحطان ، والدواسر — وجميع تلك القبائل كانوا يتقاتلون ، قبل هذا الأمان الذي تم على يد عبد العزيز .

وكانت النتيجة ما نراه : يسير الأعزل المنفرد ، راكباً أو راجلاً ، يحمل الذهب والفضة والقراطيس المالية ، فيطوف شبه الجزيرة ، سهُولها وحزونها ، وعامرها وغامرها ، فلا يعترضه من أهلها معترض ولا يخاف صولة طامع أو وثبة لصّ .

قبل عهد عبد العزيز

يقول روم لندو Rom Landau في كتابه « الإسلام اليوم » Islam Today كانت جزيرة العرب قبل عهد الملك عبد العزيز (أيام حكم العثمانيين وتسلط آل رشيد) ممزقة الشمل بسبب الثارات بين القبائل ، وكان السلب والنهب من « المهن » المعترف بها ، ولم تكن طرق القوافل أو قطعان الماشية من غنم وجمال ، في مأمن من التعدّي .[2]

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ٤٤

(٢) مجلة الأبحاث ١ ، ٣

في أيام عبــد العــزيز

وفي كتاب « سيد الجزيرة » [١] خبر أنقله بنصه :

«.. جاء ذات يوم إلى القصر في الرياض ، بضعة رجال من بني مـُرّة أشدّ القبائل بداوة ، يطلبون عيشاً وكسوة ، فكان لهم ما ابتغوه . ثم ارتحلوا ، فمروا في طريقهم ببعض الأباعر ، ترعى ، فساقوها أمامهم . فشكاهم أصحابها إلى « السلطان » عبد العزيز ابن سعود ، فبعث السلطان بنجّاب يحمل الخبر إلى أمير الأحساء ، فما وصل إليه الخبر حتى تحركت أسباب العدل تبحث عن اللصوص . وما هي إلاّ أربع وعشرون ساعة حتى جيء بهم وبالأباعر المسروقة. ومثلوا أمام عبد الله بن جلوي ، وكان سؤال وكان جواب ، ثم أمر بهم إلى الساحة ..

« وساحة الإعدام شيء هائل فظيع ، يـُركعون فيه المذنب على ركبتيه ، ويكزه السياف وكزة سريعة يتحرك معها رأسه إلى الأمام ، فيتقلص عصب الرقبة فيضربها السياف إذ ذاك ضربة واحدة ، يطيح معها الرأس على الأرض .

ثم قال : وفي ذلك اليوم ، لمع سيف السياف ثماني لمعات ، في ساحة « الهفوف » فوقعت على الأرض ثماني رؤوس من بني مرّة . وانتشر الحديث عن هذا العدل السريع ، فأصبحت القوافل تسير ثمانمئة ميل شرقاً وثمانمئة ميل جنوباً وشمالاً ، في مـُلك عبد العزيز ، ولا يتعرض لها أحد بخير ولا شرّ ..»

، ، ،

وجاء دور « الحواضر »وهي أسلس قياداً،ولكنها أوسع حيلة وأقوى مكراً.

قال كاتب أدرك ما كان عليه الحجاز ، وأحسن المقارنة بما صار إليه :

أهم العوامل في سياسة الأمن التي تتمتع بها هذه البلاد تتلخص بما يأتي :

-١- تتبّع الملك لأخبار الجرائم الكبيرة شخصياً، وتعقبّه لها ، وحثّه

---

(١) الصفحة ١١٢

جهات الاختصاص على رفع نتائج الحوادث وتطوراتها إليه ، أولاً فأولاً ، وإصدار أوامره بشأنها . وشفع كل ذلك بالحزم والدّقة حتى تنكشف الجناية ،

–٢– من العوامل في قطع دابر الإجرام ، التوفيق إلى الكشف عن المجرمين بسرعة . ويحسن هنا التنويه برجال تخصصوا في فنّ « القيافة » أو « تتبع الأثر » ذلك الفنّ التقليدي الذي امتاز به رجال من العرب منذ العهود القديمة ، وقد اشتهرت به في الوقت الحالي قبائل معروفة . منها قبيلة « آل مرّة » التي تستخدم الجهات المشرفة على الأمن رجالاً منها . وعمل هؤلاء هو تتبّع قَدَمي المجرم ، حتى يهتدوا إلى الجهة التي اختفى فيها .

–٣ – سرعة البتّ في إحالة المجرم إلى القضاء حتى إذا حُكم عليه بما يتفق مع أحكام الشريعة ، أنفذ الحكم بلا تردد ولا إمهال » اهـ .

، ، ،

وكتب الصحفي المصري محمود أبو الفتح ، في جريدة الأهرام[1] بعد أن كان في زيارة للحجاز ، اشتركنا بها ، سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) :

« كان بعض الأعراب يذبحون الحاجّ وإن كان فقيراً ، لاستلاب ما معه . كانوا يذبحون الحاج في رابعة النهار . لم يسلم من أذاهم أحد . ولم يجدوا من يردعهم ، فعاثوا فساداً . حتى كان المسلم يخرج وهو لا يدري أيعود إلى وطنه أم يقتله السفاحون هناك ؟

وجاء ابن سعود فضرب أمثلة قاسية . كان يأمرُ بالسارق فتقطع يمناه وبالقاتل فيُحز رأسه في السوق العامة . وكان يغير على البدو الباغين . وقيل : إنه في إغارة منها أفنى قبيلة بأسرها . تلك أمثلة قاسية ، ولكنها كانت درساً نافعاً . فقد قطع ابن سعود عشرات من رؤوس اللصوص والقتلة ، وأنقذ بذلك رؤوس الألوف من حجاج بيت الله الحرام .

والآن تسير الفتاة من طرف الجزيرة إلى طرفها الآخر ، تحمل الذهب

---

(١) ١٦ / ١١ / ١٩٣٠

فلا يتطلع إليها أحد . بل يرى الناس قطعة الذهب أو الفضة ، ملقاة على الأرض ، تسقط من بعض المارة . فلا يقربونها وإنما يبلغون عنها الشرطة . وهكذا حتى أصبحت لا تضيع ذرة متاع لإنسان في الحجاز .

حدثني المعتمد البريطاني في جدة عن حالة الحجاز الآن فقال : إنها إن دامت سنوات بلغت البلاد درجة عظيمة من الرقيّ . وذكر لي قصة عن الأمن والأمانة ، قال : كانت قافلة تسير بجمال على كل منها كيسان من البنّ وكيس مملوء ريالات فضية ، فتاه جمل منها وظل تائهاً ثلاثة أيام. ولما وُجِدَ ، وُجدت الأكياس لم ينقص منها ريال واحد ولم يمسّ البن بسوء .

الأمن في الحجاز لا مثيل له في بلد من بلاد العالم الآن . لا مثيل له في أيّ قطر من أقطار الدنيا بدون استثناء .

هذا الملك الواسع ، هذا النظام المحكم ، هذه الحكومة الراقية . هذه النهضة المباركة . هذا كله أقامه رجل واحد . رجل كان منذ سنوات طريداً من دياره ، مشرّداً مع أهله . رجل لم يخرج من جزيرة العرب طول حياته . لم يعرف الغرب ويحتك به وبمدنيته . لم ينتسب لجامعة . ولم يدرس السياسة في مدرسة . ولا تعلم الحرب في كلية . ومع ذلك كان من دهاة الساسة . دائماً بعيد النظر ، ثاقب الفكر ، راجح العقل ، صحيح الرأي . وكان جندياً باسلاً وخططياً ماهراً . أقام في بلاده حكومة غربية النظام . أدخل إليها مستحدثات العلم . لم تروعه معارضة بعض المتعنتين من أتباعه وعلمائه الذين قاموا عليه . ذلك الرجل هو عبد العزيز آل سعود . اهـ »

إدارة الأمن العام

وتقوم بالسهر على أمن الحواضر ، وقد تشترك في أمن البوادي « إدارة الأمن العام » وفيما يلي نبذة عنها وعن تشكيلاتها أيام الملك عبد العزيز :

تأسست في أواسط سنة ١٣٤٤ هـ (أواخر ١٩٢٥ م) بمكة ـ العاصمة ـ وكانت تسمى في أول عهدها « مديرية الشرطة العامة » مؤلفة من إدارات

وأقسام ومراكز موزعة في أنحاء المملكة . ومرجعها جميعاً « مدير الأمن العام » وترتكز على قوى المشاة ، وجنود المرور ، والخيالة والآليات كالسيارات والدراجات النارية ، وشرطة حماية الأخلاق . وتشعبت إلى مكاتب وشُعَب للإدارة والتفتيش والمحاسبة والسفر ومراقبة الأجانب ، والمرور ، والتجنيد المركزي . وجُعل فيها مجلس تأديبي . وخُصت العاصمة (مكة) بمديرية للشرطة ، مرتبطة بمدير الأمن العامّ ، تحمل أكبر عبء من أعباء الأمن في أيام الحج . وبثّت المخافر في أحيائها [1] حسب اقتضاء الحاجة ، وأقيمت للحرم المكي شرطة خاصة ، لملاحظة قدسيته واستتباب الهدوء والطمأنينة فيه .

في المقاطعات والمدن الأخرى

وكانت للشرطة إدارات وتشكيلات — عام ١٣٦٩ هـ — في المقاطعات والمدن الآتية أسماؤها : الرياض ، المدينة المنورة ، جدة ، مقاطعة الظهران ، الأحساء ، المقاطعة الشمالية بتبوك ، الطائف ، ينبع ، ضُبا ، أملج ، الوجه ، العلا ، رابغ ، الليث ، المهد ، الظفير ، جيزان ، النماص ، أبها ، القنفدة ، القريات . ومديرو الشرطة في هذه الجهات ، مرتبطون بحكامها الإداريين من الوجهة الإدارية التنفيذية ، وارتباطهم بمديرية الأمن العامّ من الوجهة النظامية .

مصلحة للمطافىء

وأنشأت الإدارة أول « مصلحة » للمطافىء والإنقاذ ، في مكة والرياض والمدينة المنورة وجدة والطائف .

مدرسة للشرطة

وأنشأت إدارة الأمن العامّ مدرسة للشرطة ، في مكة ، عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) تخرج بها حتى سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) ٨٢ ضابطاً ومساعداً .

---

(١) أحياء مكة هي : المعابدة ، وشعب عامر ، والسليمانية ، والنقا ، وسوق الليل ، والقشاشية ، والشامية ، والقرارة ، وأجياد ، والمسفلة ، والشبيكة ، والباب ، وجرول .

وكان الطلبة فيها يتقاضون رواتب شهرية ، لتشجيعهم على الاستمرار في الدراسة .

، ، ،

ونعود ، قبل أن نختم هذا الفصل ، إلى ما كنا في صدده ، من الحديث عن « الأمن » في شبه الجزيرة ، بصفة عامة . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الضرب على أيدي العابثين بالأمن ، سنّة قديمة في بيت آل سعود . وهذا أحد معارضيهم في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهو الشيخ عثمان بن سند البصري الفيلكاوي ، المؤرخ العراقي ، ينقل عنه خالد الفرج — في مذكراته — كلمة أوردها في « تاريخه » قبل مئة وخمسين عاماً ؛ يقول فيها :

« ومن محاسن الوهابية — كذا — أنهم أماتوا البدع ومحوها . ومن محاسنهم أنهم أمنوا البلاد التي ملكوها ، وصار كل ما كان تحت حكمهم ، من هذه البراري والقفار ، يسلكها الرجل وحده ، على حمار ، بلا خفر ؛ خصوصاً بين الحرمين الشريفين . ومنعوا غزو الأعراب بعضهم لبعض ؛ وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم ، من حضرموت إلى الشام ، كأنهم إخوان ، أولاد رجل واحد . وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والناهب والسارق ، إلى أن عدم هذا الشرّ في زمان ابن سعود ، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش إلى الإنسانية . وتجد في بعض الأراضي المخصبة : هذا بيت عنزيّ ، وبجنبه بيت عتيبي ، وبقربه بيت حربي . وكلهم يرتعون كأنهم إخوان . ورأيت لهم عقيدة منظومة يحفظها حتى رعاة غنمهم ، منها :

وما الدين إلاّ أن تقام شعائر وتأمن سبل بيننا وشعاب

ثم يقول ابن سند : فكأنهم جعلوا تأمين الطرقات ركناً من أركان الدين . ويُفهم عقلاً من سياستهم أنه إذا فقد القاتل والسارق والناهب فأي سبب يمنع عموم الناس من الاشتغال بالزراعة أو بالتجارة أو اقتناء المواشي ، في البادية المخصبة ، للتكسب من ألبانها وأصوافها وجلودها ؟ وإذا اشتغلوا

بالكسب الحلال فلا ينهبون ولا يسرقون ولا يقتلون ؛ فكأن المسألة أشبه بالدورية ، أي أنه متى وجد الأمان ارتفع السارق والقاتل لاشتغالهم بمعاشهم الحلال ، ومتى اشتغلوا بالمعاش الحلال وجد الأمان » .

هذا كلام ابن سند البصري – وهو المولود سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) والمتوفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) – ولد بنجد ، وسكن البصرة وتوفي ببغداد . كان قويّ الصلة بحكومة بغداد (العثمانية) وله كتاب في سيرة أحد ولاتها . ولا يضيرنا أن يقول في تضاعيف حديثه عن الأمن في بلاد آل سعود إن محو البدع وتأمين السبل كانا « دسيستين » خدعوا بهما العوام (كذا . .) فالمهمّ ما رآه ولا يهمنا ما ارتآه .

حرس الملك

كان الملك عبد العزيز إذا ركب سيارته ، وقف على جانبيها اثنان من رجاله ، يحمل كل منهما بندقية . ومع سائق السيارة بندقية خاصة به .

وإذا مشى راجلاً (قبل حادث المطاف[1]) اكتفى بأن يسير خلفه حارس واحد ، مسلح ببندقية ومسدس وخنجر وجنبية ، يتبعه حيثما سار .ويلازمه واقفاً خلفه في الولائم والمجالس ، حين يتغدى أو يتعشى أو يجلس في مجلس عام ، خارج قصره . ولا يصلي حارسه مع الجماعة ، حين يكون في المسجد ؛ وإنما يستمر واقفاً يراقب كل حركة حوله .

وهذه العادة جرى فيها عبد العزيز ،على سنن أسلافه ، منذ أن فاجأ « درويش » في مسجد الدرعية ، الإمام عبد العزيز بن محمد ، وطعنه بخنجر وهو يصلي (سنة ١٢١٨ هـ/ ١٨٠٣ م) [2]

---

(١) سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥ م .
وسمح بعد هذا الحادث بزيادة عدد الحرس .

(٢) انظر الصفحة ٣٧

الملك عبد العزيز

وابن جلوي[1]

في سياق الحديث عن الأمن في بلاد عبد العزيز ، تتوارد على الخاطر أسماء رجال كان لسطواتهم أثر مباشر ، في توطيد هذا الأمن . في مقدمتهم ابن جلوي . وهو جدير بكلمة عنه وعن سيرته .

عبد الله بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود . من أبناء عمومة الملك عبد العزيز . كان رفيقه الأول وعضده الأيمن وأخاه الروحي ، في أكثر أيام الشدائد : ابتداءً من طفولته . وهو أكبر من عبد العزيز ، ببضع سنوات . وقد تقدم أن عبد العزيز أصيب بعارض في إحدى رجليه ، حوالي سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) قبل دخول الكويت ، وكان مع أبيه في البادية ، فأرسله أبوه للتداوي في البحرين ، وصحبه ابن جلوي .

وعرفنا أيضاً أن ابن جلوي كان في مقدمة من صحبوا عبد العزيز ، في مغامرته لفتح الرياض . وأنه هو الذي أجهز على عجلان (أمير الرياض من قِبَل ابن رشيد) بعد أن رماه عبد العزيز برصاصة لم تصب منه مقتلاً ، فكان سيف ابن جلوي هو القاضي عليه .

شارك ابن جلوي عبد العزيز في كل وقائعه الأولى ، إلى أن كانت

---

(١) يلفظونها « اجلوي » بسكون الجيم وكسر اللام والواو . والصواب فيها « جلوي » بفتح الجيم واللام ، نسبة إلى « الجلاء »

سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وفيها قامت حركة العصيان في بُريدة ودخلها عبد العزيز فاتحاً ، للمرة الثالثة ، كما تقدم في فصل معالجة الفتن . وولى ابن جلوي إمارة القصيم . فكانت له فيها أخبار دلّت على حزم ، لولا كثير من الشدة .

وكانت لعبد العزيز مغامرته الثانية ، بعد مغامرة الرياض ، في استيلائه على الأحساء ، ومعه عبد الله بن جلوي . غادر بُريدة ليخوض المعركة بين يديه . واستسلمت حامية الترك ، ودخلها عبد العزيز . وظلّت في ابتداء عهدها الجديد ، تضجّ من نزوات القبائل القريبة منها كالعُجمان وآل مرّة ومطير ، وتغلي في داخلها عصبيات ونزعات ، ومفاسدُ خلّفها الحكم العثماني ، وكانت فيه مضرب المثل في اختلال الأمن وفساد النظام .

أضف إلى هذا أن كثيراً من فلول الجيش التركي ، لجأوا إلى ميناء البحرين وقطر ، قبل انعقاد الاتفاق بين عبد العزيز ورسول الدولة طالب النقيب ، في « الصُّبَيْحيّة » . وفي وجود « الفلول » قريبين من الأحساء ، واستطاعة « الدولة » إمدادهم بالقوى ، من البصرة أو عن طريقها ، تهديد قائم ، يحسب له مثل عبد العزيز كل حساب .

فكان لا بدّ من أن يتولى الإمارة في هذه البقعة وجوارها رجل كابن جلوي ، يثق به عبد العزيز ثقته بنفسه .

ولاّه عبد العزيز إمارة الأحساء والعشائر القريبة منها ، في جمادى الأولى ١٣٣١ (١٩١٣ م) وأقام في مكانه بالقصيم عبدَ الرحمن بن سُوَيلم ، وكان قبل ذلك بقليل قائد حملة احتلت القطيف .

وانطلقت يد ابن جلوي الذي أصبح « أُسطورة » في حياته ، كما يقول أحد من عرفوه[١] فضرب على أنوف أهل الشغب ، وأنام الرأفة وأيقظ العقاب ، يُهيأ النطع قبل صدور أحكامه ، وتقوم الشبهة عنده مقام اليقين .

---

(١) فلبي ، في تاريخ نجد ٣١٣

قالوا[١] : كان أول ما فعله ، لمّا وليها ، أن طرد الاغنياء من مجلسه ، مخافة أن يضطر إلى محاباة بعضهم .

وقالوا[٢] : يجلس في كرسيّ القضاء وحده ، فلا تجلس معه الرحمة ولا المحاباة . يُرعب اسمه الناس ويروع المجرمين ، وتخوّف الأمّهات به أطفالها .

جاءه رجل يشكو ولداً ضربه وشتمه . قال : ما اسمه ؟ فقال الرجل : لا أدري . فأمر بجمع أولاد الحيّ الذي ضُرب فيه . فتأمل فيهم الشاكي ، وقال هذا . وهمس أحد الحضور في أذنه: هو ابن الأمير .. وجمجم الرجل يريد الاعتذار والعدول عن شكواه ، فزجره الأمير : وسأل الولد ، فأقرّ بذنبه . فأمر العبيد أن يبسطوه أمامه وأن يُعطى الشاكي عسيباً من سعف النخل . فتردد العبيد وأحجم الرجل . فأخذ الأمير العسيب وأهوى على ابنه بالضرب وهو يقول : يجب أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الناس .

وكانت لغلاة « الإخوان » أيام اشتداد شوكتهم ، سطوة في أكثر الحواضر : هذا شاربه طويل ، فليقصّه من رآه . وهذا في يده لفافة يدخنّها ، فليُقرع بالعصا أو يجلد . وهذا لم يدخل المسجد ، والمؤذّن يؤذّن ، فليُجرّ إلى الصلاة مع الجماعة ولو كان على غير وضوء !

من رأى منكم منكراً فليغيره ! — الحديث . وكان هذا قبل أن تكون للناس حكومات تقوم بتغيير المنكر . ولو ترك الأمر للأفراد لعمّت الفوضى .

وتعددت الشكاوى إلى الملك عبد العزيز ، من فعلاتهم . وبين الشاكين بعض آل سعود وكبار آل الشيخ ، وكان يجيب : نيتهم حسنة وسوابقهم طيبة ، نحتملهم ونبذل لهم النصح ، ولا بدّ أن يعتدل أمرهم . كان هذا شأنهم في كثير من البلدان حاشا الأحساء ..

---

(١) مجلة الفتح
(٢) ملوك العرب

كان ابن جلوي لا تلين لهم قناته ، قال حافظ (في جزيرة العرب) :
كثيراً ما سمعته يقرّع رؤساء بني خالد وآل مرّة والعُجمان ، على شدتهم وغلوّهم . وكان لا يتسامح مع أحد منهم إذا امتدت يده إلى أحسائي . وجزاء من تجرّأ العقوبة الصارمة .

وكانوا ، وهم معروفون بكبر العمائم ، إذا دخلوا الأحساء للميرة ، نزعوا عمائمهم ، وعاملوا الناس بهدوء وسكون ، مخافة أن ينالهم سخط جبّار آل سعود : عبد الله بن جلوي .

أخباره كثيرة . استمرّ في إمارته إلى أن توفي سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)

الملك عبد العزيز

ورؤساء الفتنة في نجد

قال الملك عبد العزيز بعد القضاء على فتنة فيصل الدويش وأنصاره ، الآتي خبرها : سنحيي حياة جديدة بعد اليوم ..

والدّويش هذا : فيصل ابن سلطان بن فيصل ، من « الدّوشان » من « عِلْوة » أصحاب الرئاسة في « مُطَير » .

ومطير ، قبائل متعددة قحطانية وعدنانية ، تحالفت وتناسبت ، وجمعتها عصبية واحدة . تمتدّ منازلها من الصمّان (غربي الأحساء) إلى سهول الدِبْدِبة (الدّوّ) فالقصيم ، فشرقي المدينة المنورة وما حولها .



فيصل الدويش

« عن صورة يدوية »

وهم أول من أجاب دعوة عبد العزيز لإنشاء الهجر ، فاختطّوا «الأرطاوية» — أو الأرْطَوية — في جنوب القصيم ، فكانت أول ما بُني من الهِجَر.

وفيصل الدويش يُنْبَز بابن الشقحاء ! وهي أمه من آل حِثلَيْن ، من العُجمان . كانت زوجة راكان بن حثلين ، وقبض عليه الأتراك وحبسوه في الآستانة ، فتزوجها (في غيابه) سلطان الدويش ، فأولدها فيصلاً . وهذه « الزيجة » كانت شائعة ومألوفة عند البدو ، لا يأنفون منها ، قبل انتشار الدين فيهم[١] .

وتولى فيصل زعامة مطير بعد أبيه ، فكان مع بداوته وشراسة خُلقه ، داهية مدبراً ختالاً ، معتزاً بعدده الضخم[٢]

، ، ،

خضع لعبد العزيز خضوع الرغبة والرهبة . وخرج عليه . ثم أطاعه . وسكن « الأرطاوية » وتأمّر على من كان فيها من « الإخوان » وقد تحولت خشونة البداوة فيهم ، إلى خشونة في مقاومة كل إصلاح يظنه جهلتهم ابتداعاً ، فيرونه مروقاً من الدين . واستبدلوا بالعقال العمامة . وفيهم من كفّر لابسي العقال .

، ، ،

قال خالد الفرج : إذا راجعنا تاريخ نجد وجدنا قبائل مطير دائماً في صفوف أعداء آل سعود . وهم أول من تلقى طوسون باشا في الحجاز ، ونقل حملته إلى القصيم . وانضموا إلى حملة إبراهيم باشا ، على الدرعية . وقاتلوا في صفوفه . وكانوا يد « عَبّوش آغا » ومن تلاه من القوّاد ، في

---

(١) مخطوطة خالد الفرج .

(٢) في لغة العرب ، عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) : فيصل الدويش هو الذي يقلق اليوم ابن سعود ، ويكاد يعرض حكمه في ربوع نجد للبوار .

القضاء على البيت السعودي ومحاربة أهل نجد . وهم الذين هلّلوا لمقدم خورشيد باشا ، وجاؤوا معه إلى الخَرْج محاربين . وكانوا أخيراً في صفوف ابن رشيد ، إلى أن ضربهم ابن سعود في وقعة جَوّ لَبَن ، فكسر شوكتهم . وبعد لأيٍ أسلس قيادهم على مَضَض ، رهبةً من سيف عبد العزيز ، ورغبةً في كرمه .

وقال حافظ وهبة : كان فيصل الدويش حينما يَقْدم الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلّحاً . يعتبره الملك صديقاً قديماً وقائداً من عظام قوّاده . وإذا جلس لا يجلس إلاّ في جوار الملك . يترفّع عن إلقاء السلام على أيّ مخلوق يضمه القصر ، ما عدا العلماء . وإذا استأذن في الرجوع إلى الأرْطَوِية ، قدّم للملك قائمة تبتدىء من حبال الآبار ، ونعاله ، إلى السلاح ، والجواري ، وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته ، والطِيب والعود .. فلا يدخل القائمة أيُّ تعديل .

وبرز اسم الدويش في معارك[1] منها معركة « الجهراء »[2] وحصار « حائل » وحصار المدينة المنورة ؛ وغزواته لعشائر من نجد ، خرجت على عبد العزيز ولجأت إلى أطراف العراق ، فقضى عليها الدويش . ورافق اسمَه الرعب . فكان يرى في نفسه ندّاً لابن سعود . وامتدّ طموحه إلى عرش ابن سعود . وعرف عبدُ العزيز مكامن القوة فيه والضعف ، فاحتمله على عنجهيته وأطماعه .

، ، ،

وهناك « العُجمان » وهم يمانيون ، تقدمت لنا كلمه عنهم . قدموا من

---

(١) خالد الفرج ، في مخطوطته .

(٢) الجهراء بلدة قديمة قرب الخليج ، على ضفة الجون الغربي ، على مسافة ١٨ ميلا من الكويت . أخذها فيصل الدويش عنوة ، بعد معركة بينه وبين الشيخ سالم بن مبارك الصباح ، أوائل سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) في خبر تقدم ذكره في الحديث عن الكويت بعد مبارك .

بادية نجران ، قبيل أواسط القرن الثالث عشر للهجرة . وكثرت تعدياتهم في أيام الإمام فيصل — جدّ عبد العزيز — فضربهم قرب الكويت في سنتي ١٢٧٧ و ١٢٧٨ (١٨٦٠ و ١٨٦١ م)

واستقام عُودهم ، في عهد احتلال الترك للأحساء ، واستقروا في بادية « النَّقْرَة » والنقرة تابعة لحاكم الأحساء .

وخلا لهم الجوُّ ، ما بين الأحساء والكويت . وتكاثروا واشتدوا .

ولما كانت وقعة « جراب » سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م) خانوا عبد العزيز ، والمعركة دائرة ، كما قدّمنا .

وقاتلهم عبد العزيز من أجل مواشٍ نهبوها من أهل الكويت ، فجرحوه ، وقتلوا أخاه سعداً ، ثم كرّ عليهم ومزّقهم ، فأطاعوه .

ولما أقبل الناس على إنشاء « الهِجَر » وسُكناها ، دخلوا في زمرة « الإخوان » وأعانهم عبد العزيز على بناء هِجَرهم ، في وادي المياه ، ببادية الأحساء ، وأهمّها هجرة « الصَّرّار » حيث يقيم رئيسهم ضِيدان ابن حِثْلَين .

وهم لا يقلّون إعراقاً في البداوة عن « مُطَير » . ويُعدّون من أشدّ القبائل عصبيةً فيما بينهم . وسيرتهم بعد أن سكنوا « الهجر » كسيرة مُطير : تزمّت في الدين ، على غير علم ، وتكفير للناس فيما خالفوهم فيه . حتى كانوا ممّن يكفّر من بقي على البداوة .

ولم تكن لرئيسهم (ضِيدان بن حثلين) سابقة بارزة في خدمة عبد العزيز ، بل إنه على نقيض ذلك ، حين وقعت حرب الحجاز ، ودعي العجمان للاشتراك في مناوبة القبائل الغازية ، ركب ضيدان على رأس جمع من قومه ، يَؤمون الحجاز على مهل وتؤدة ، يرعون ماشيتهم ، ويقيمون على المياه ، حتى قضوا في طريقهم أكثر من ثلاثة أشهر ، ولم يصلوا . فجاءهم رسول من عبد العزيز ، من مكة ، يأمرهم بالأوبة إلى ديارهم ، استغناءً عنهم وعن

مناصريهم . فعادوا وفي أنفسهم ما في نفس كبيرهم ابن حثلين ،من ألم وحنق ، اشتعلت بهما نار الضغينة الكامنة ،يوم حرمهم عبد العزيز من انتهاب أهل الأحساء،وتجدّدت ذكرى غدرهم بعبد العزيز يوم « جراب »

، ، ،

وتلي مطيراً والعجمان ، بداوةً وجفوةً ، قبائل« عتيبة » من أكبر قبائل العرب. أكثرها من « هَوازِن » تتكون من جذمين كبيرين ، هما « برقاء » والنسبة إليها برقاوي ، و « الرُوَقَة » واحدها رَوْقي . وكان من برقاء ، أشجعُ فرسان العرب ، أيام ظهور عبد العزيز ، محمد بن هندى ابن حُمَيْد (١) . تغلّب على آل ربيعان (روساء الروقة) وانفرد بزعامة عتيبة . ومات مترديًا من فوق ناقته سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥) وخلفه ابنه نايف ولم يكن في السياسة والشجاعة كأبيه .

من رجالات العجمان
خنيفر بن حويلة

(١) انظر ما رأيت وما سمعت ١٤٧

قال خالد الفرج : قاوم نايف دعوة الرجوع إلى الدين فنافسه في الزعامة ابن عمه سلطان بن بِجاد بن حُمَيد . وساعده عليه عبد العزيز ، ففرّ ابن هندي (الابن) إلى بادية العراق . وتولى سلطان بن بجاد زعامة عتيبة . وكان ساذجاً متعصباً متهوراً ، تعوزه الحكمة والمهارة .



بدوي من عتيبة

وقال فؤاد حمزة : ليس في القبائل من يفوق عتيبة في القوة ، أو يزيدها في العَدد ، إلاّ قبيلة عَنَزة . ولا يكاد ينازعها أحد السلطة في القسم المتوسط من المملكة . منازلها من سفوح جبال الحجاز الشرقية ، إلى الحِرارِ التي بين

درب الحج ونجد ، من الشمال والشرق ، وديرة قحطان والبُقُوم والشّلاوَى وسُبيع ، في الجنوب . وهناك قسم قليل من عتيبة في الحجاز غربيّ السلسلة الجبلية في أطراف الطائف وفي أطراف مكة والمضيق والسيل .



بدوية من عتيبة

وبعد أن ذكر بطونها وأفخاذها ، قال : ومن عتيبة قوم متحضرون سكنوا بعض الديار النجدية ، في العِرض وسُدير ووادي حَنيفة وقصر ابن عقيّل والبُكيرية والمِذْنَب .

وكان عبد العزيز يستنفرهم في الملمات ويلحق بجيشه كثيرون منهم .

إلا أنهم يتفرقون عنه حين ينقطع أملهم في الكسب . وتلك طبيعة البدو جميعاً . وانحاز كثير منهم إلى شريف مكة ، سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) . وناصروا حَفَدَة سعود بن فيصل في ثورتهم على عبد العزيز .

وانتهى أمر عتيبة بالطاعة ، والإقبال على هَجْر البداوة ، فابتنوا « هِجَراً » أكبرها « الغُطْغُط » على مقربة من الرياض ، حيث أقام زعيمهم سلطان بن بِجاد .

ولم تكن عُتيبة في « هِجَرها » أقلّ تزمّتاً من مُطير والعُجمان . وشارك شيخها (ابن بجاد) في وقعة « تُرَبَة » فكان له فيها موقف مذكور . ثم كان مع عبد العزيز ، في حصار حائل والاستيلاء عليها . واشترك بعد ذلك مع خالد ابن لؤيّ ، في قيادة الجيش الذي دخل « الطائف » سنة ١٣٤٣ هـ . وقد غلبت على جماعة ابن بجاد ، في ذلك اليوم ، غريزة البداوة الأولى ، فقتلوا ونهبوا وروّعوا ، حتى زجرهم شيخهم . وكان للحادث وقعهُ الأليم في نفس عبد العزيز بعد وصوله إلى الحجاز ، فأمر بتقدير الخسائر والتعويض على المنكوبين . وأنّب ابن بِجاد على ما فعل رجاله ، فحقد ...

، ، ،

أولئك كانوا رؤوس الفتنة في نجد : فَيْصَل الدَّوِيش شيخ مطير في الشمال ، وضيدان بن حِثْلَين شيخ العُجمان في الشرق ، وسُلطان بن بِجاد شيخ عُتيبة في الجنوب .

وسيأتي نبأهم .

الملك عبد العزيز

ومؤامرة الأرْطاوِيّة

انتهت حرب الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وقفل سكّان الهِجَر وغيرها، عائدين إلى أوطانهم. وأوشك عهد الاستقرار في الدولة الناشئة أن يبدأ، لولا أن نار الدّوِيش وصاحبيه لم تهدأ.

كان فيصل الدويش يطمع بأن تكون له – على الأقلّ – إمارة المدينة، وقد حاصرها قبل تسليمها لمحمد بن عبد العزيز. إلاّ أنه عاد وهو لا يزال شيخ «الأرطاوية»[1].

ومَنّى ابن بجاد نفسه بولاية الطائف. وكان رجاله قد فعلوا فيها الأفاعيل. وعلى الرغم من أن عبد العزيز اكتفى بتأنيبه، فإنه انقلب وهو كظيم.

وما نَسِي ابن حثلين حرمانه وحرمان عشيرته من مغانم الحجاز، وقد ردّه عبد العزيز، عقاباً على تمهّله.

، ، ،

زار الدويش هجرة الغُطْغُط وأميرها ابن بجاد. فبدأت «المؤامرة»

(١) انظر بحثاً عن «الأرطاوية» في مجلة لغة العرب ٢ : ٤٨١ – ٤٨٨، وزد عليه أن آبار الأرطاوية، واقعة على طريق القوافل – في ذلك العهد – بين الكويت والقصيم، كما في تاريخ نجد، لفلبي ٣٠٥ أما الآن، سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م)، فالأرطاوية إمارة عامرة بالمضارب، ولآل الدويش فيها تقدم ووجاهة.

على عبد العزيز . ووافق ابن بجاد على عقد اجتماع (سرّي) يحضره ثالثهما ابن حثلين وبعض زعماء مطير والعُجمان وعُتيبة في « الأرطاوية » .

وعقد الاجتماع سنة ١٣٤٤ ﻫ (١٩٢٦ م) وأظهر فيه الثلاثة نقمتهم على عبد العزيز . لا لحرمانهم وإهمالهم ، بل لسلوكه مع « المسلمين » مسلكاً جديداً — زعموه — يخالف سيرته الأولى ، ولا يتفق مع سيرة أسلافه .

أنكروا على عبد العزيز استخدامه آلات « السحر » السيارات والطيارات واللاسلكي . والسحر حرام ..

وأنكروا عليه أموراً أحصوها ، يُوغرون بها صدور السذّج من أتباعهم : عبد العزيز يأخذ مكوساً على ما يدخل بلاده من البضائع ، وليس في الشرع « جمارك » وقد أرسل ولده سعوداً إلى مصر « بلد الشرك » وأرسل ولده الثاني فيصلاً إلى لندن .. وهو لم يُجبر الشيعة في الأحساء والقَطِيف على الدخول في « دين » أهل السنة والجماعة . وقد توقف عن الجهاد . وأباح دخول المحمل بالسلاح والتمسّح به . وأذن لعشائر العراق وشرقي الأردن بالرعي في مراعي « المسلمين » .. إنه يعقد المعاهدات مع الإفرنج ، ويجالسهم! ويعمل بالقانون .. وقد ترك الشرع ... أغلق باب الاستيراد من الكويت أو عن طريقها وجعله عن طريق الأحساء والجُبَيْل[1] فلماذا يقاطع الكويت إن كان أهلها مسلمين ؟ ولماذا لا يحاربهم ان كانوا غير ذلك ؟

وانتهى اجتماع « الأرطاوية » بوجوب الدعوة إلى ما سموه محاربة الكفر

---

(١) كان الكويت يمون نجداً بالضروري والكمالي إلى سنة ١٣٤٠ ﻫ (١٩٢٢ م) . ولم يكن يرد إلى نجد عن طريق موانئ العقير والقطيف والجبيل إلا الشيء القليل ، ولما انتشرت هجر الإخوان لم يتيسر إنشاء دوائر لإستيفاء الرسوم على ما يرد من البضائع ، فطلب عبد العزيز من حكومة الكويت أن توافق على إقامة نقطة في حدودها لهذه الغاية ، فأبت لظنها أن ذلك يمس استقلالها ، فاضطر إلى منع المتاجرة مع الكويت وتحويلها إلى موانئ نجد، فعمرت تلك الموانئ خصوصاً ميناء الجبيل . على أنه بعد القضاء على ثورة الدويش أنشئت الدوائر في الحفر وقرية ، وحصل الاتفاق التجاري بين نجد والكويت ، وعادت المياه إلى مجاريها — مذكرات خالد الفرج .

والشرك . وتعاهد المجتمعون على أن يكونوا يداً واحدة فيما هم مُقدمون عليه . وتفرقوا يبثّون دعوتهم ويتأهبون .

، ، ،

لم يَخْفَ على عبد العزيز ما قالوا وما فعلوا . ولكنه تجاهل الحركة . ومدّ لهم الحبل . وبثّ في جماعاتهم من يُفنّد ضلالاتهم . وكان أكره ما على عبد العزيز سفك الدم . يتجنّبه ويستعدّ له مُكرهاً ، فإذا لم يكن منه بد ، خاض المعركة ، واستساغ شربه ..

ودعا عبد العزيز ، زعماء « الإخوان » سكان الهِجَر إلى مؤتمر عُقد في الرياض يوم ٢٥ رجب ١٣٤٥ (أوائل ١٩٢٧ م) وحضروه جميعاً ، ما عدا سلطان بن بجاد . وشرح عبد العزيز موقفه ، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة والمحافظ عليها ، وأنه هو الذي يعهدونه من قبل ، لم يتغير كما يتوهم بعض الناس ، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين .

وانتهى المؤتمر بفتوى أصدرها علماء نجد[1] خلاصتها أن مسألة البرق (التلغراف) لم يجدوا فيها كلاماً لأحد من أهل العلم فتوقفوا فيها ، وأن « القوانين » إن كان منها شيء بالحجاز ، فيزال فوراً ، ولا يحكم إلا بالشرع ، وأن المحمل يُمنع من دخول المسجد الحرام ، ولا يمكّن أحد من التمسّح به أو تقبيله ، وأن يُلزم الشيعة البيعة على الإسلام ، ويمنعوا من إقامة البدع ، وأن المكوس من المحرّمات الظاهرة فإن تركها — الإمام — فهو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شقّ عصا الطاعة والخروج عن طاعته من أجلها ، وأنّ أمر الجهاد محوّل إلى نظر الإمام .

، ، ،

وانقطع الثلاثة عن زيارة الرياض ، فحاول استجلابهم فما ازدادوا إلاّ جفوة .

(١) تجد نصها في « جزيرة العرب في القرن العشرين »

من زعماء مطير



محمد البدر الدويش



ضيدان السور

يفاوض ، والدويش يقاتل

أقامت حكومة العراق مخفراً على ماء بُصَيّة[1] وأرسلت عدداً من العمال مع حامية من الجند للإقامة على الحدود . ورأت حكومة الملك عبد العزيز في ذلك مخالفة للمادة الثالثة من بروتوكول العُقَير القائلة : تتعهد الحكومتان — العربية السعودية والعراقية — كلّ من قبلها ، ألاّ تستخدم الآبار الموجودة على أطراف الحدود ، لأي غرض حربيّ ، كوضع قلاع عليها ، وألاّ تعبّىء جنداً في أطرافها .

ولم تكد تبدأ المفاوضة ، بالطريقة الودية المتبعة ، بين الحكومتين ، حتى كان فيصل الدويش قد وجدها فرصة سانحة ، فأرسل ابن عمه « نايف بن مَزْيَد » في جماعة من « الإخوان » سنة ١٣٤٥ ﻫ (١٩٢٧ م) ، فهاجموا المَخْفَر ، وقتلوا من فيه من الجند والعمال . وأعلن الدويش عزمه على « الجهاد » وهو يرمي إلى أهداف ثلاثة ، أو أكثر : أولها إظهار ابن سعود أمام « الإخوان » بمظهر المتساهل في حقوق بلاده ، أو الضعيف عن إدراكها

(١) قالت مجلة لغة العرب البغدادية ٥ : ٥٠٩ البصية — كذا — أرض واقعة في أنحاء ناصرية المنتفق ، وهي من العراق على حدود نجد ، وفيها مورد ماء ، بنت فيها حكومة العراق مخفراً ، فهاجمه جماعة من أعراب مطير في مساء ٥ تشرين الثاني ١٩٢٧ وذبحوا خمسة من رجال الشرطة و ١٢ عاملا عراقياً ، وقامت طائرات إنكليزية من الشعيبة لتأديب أولئك القساة فكلفتهم خسائر .

بالقوة . والثاني إرضاء روح « الغَزْو » التي كانت لا تزال كامنة في « الإخوان » على الرغم من سُكناهم « الهِجَر » ، واستعاضتهم عن العقال بالعمامة . والثالث ، ولا يستبعد أن يكون فيصل الدويش الداهية قد جعله نُصْب عينيه ، إحراج موقف عبد العزيز مع العراق والإنكليز ، بينما هو يُبرز قوته ، ويكثّف جمعه بطلاّب الكسب والنهب ، باسم الدفاع عن حوزة المسلمين ...

ولا شك في أن الدويش أصاب بعض النجاح لنفسه في هذه الوثبة ، غير مبال بما قد تجرّه من المضارّ على البلاد التي هو من أقطاب الزعامة فيها . وقد أكثر الناس من الحديث عنه ، وتناقلت صحف الأخبار أنباءه ، وسارع عبد العزيز إلى حكومة العراق والمندوب السامي البريطاني في بغداد ، يخبرهما بتمرّد الدويش عليه ، ويحذرهما من تهوّره ، ويُشعرهما بتأهب القوات السعودية لتأديبه . واتسع المجال لأصحاب فكرة « المخافر » من ساسة العراق وغيرهم ، فجهزوا مخفر « بصية » بالعدد ، وعززوه بمخافر أخرى لاتقاء هجوم « الإخوان » ودفع العدوان .

وربما قال من لا يعرف عبد العزيز : إن الحركة كانت « جسّ نبض » للعراق ، فإن سكت حكامه على ضرب المخفر ، لم يتكرر إقدامهم على بناء سواه أو تجديده ، وإن برزت القُوّة أعلن براءته من الدويش ! ولكن ليس هذا من خُلُق عبد العزيز فيما علمنا من سيرته . ولو أراده لأغضى عن فعلة الدويش وانتظر ما سيكون لها من صدى أو ردّ فعل في دوائر بغداد ، ولـَمّا كان هو البادىء المسرع في الإشعار والتحذير . بل لماذا لا يقال العكس ؟ وهو أن الجهة العراقية ، وهي تابعة يومئذ لتوجيه السياسة البريطانية ، ومن مصلحة بريطانيا إزعاج عبد العزيز (قبيل عقد المعاهدة معه في جدة) كانت في إقدامها على بناء المخفر — خلافاً لبروتوكول العُقير — تريد اختبار الموقف الذي ستقفه الحكومة السعودية إن هي عززت مناعة حدودها . وجاءت حركة

الدويش الطائشة وتبرّؤ عبد العزيز منها ، فاستفادت بغداد على غير ما يودّ عبد العزيز وأضافت إلى المخفر مخافر .

، ، ،

أراد عبد العزيز أن يوجّه قوته لضرب الدويش وأعوانه . إلاّ أنه كان ثمة ما يدعو إلى الترّيث والتفكير :

١ — لم يعلن الدويش العصيان . وهو في نظر « الإخوان » متطوّع للجهاد ، في إزالة ما أحدثته السلطات المجاورة بغير حق .

٢ — الدويش وأحلافه « الإخوان » من أقوى العناصر في جيش عبد العزيز ، فهل يقاتلهم من أجل فعلة كان أكثر المشتركين فيها مندفعين بحسن نيـّة ؟

٣ — كان العراق كثيراً ما فتح أبوابه لعصاة عشائر نجد وآواهم وسمّى بعضهم « لاجئين سياسيين » فماذا يكون الموقف لو ضرب « الإخوان » ولجأوا إلى بادية العراق ؟

٤ — ستكون المعركة بالقرب من حدود العراق والكويت ، فهل يمكن أن تظل « مَحلّيّة » أم يتدخل أحد الجارين ويستفحل الخطب ؟

كل هذا دار في خلد عبد العزيز . وعلى الرغم من أنه كان حريصاً على معاقبة من هاجموا المخفر ، من دون إذنه ، فقد ساءه أن تلاحقهم الطائرات الإنكليزية من العراق ، وتتجاوز الحدود ، ثم تلقي قنابلها على هِجْرة « اللّصَافة » فتدمّر مسجدها وبيوتاً أخرى ، والمادة السادسة من اتفاقية « بحرة » تقول : « لا يجوز لقوات العراق ونجد أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين إلاّ برضى الحكومتين »

وأرسلت الحكومة البريطانية السير جلبرت كليتّن ، لمفاوضة الملك

عبد العزيز في جُدّة ، فاجتمعا . وعرف منه عبد العزيز إصرار الحكومتين البريطانية والعراقية على بناء مخافر على الحدود ، فتوقفت المفاوضة .

، ، ،

وعاد عبد العزيز إلى الرياض ، وليس أمامه إلاّ أن يطرح موضوع المخافر وموقف الدويش والإخوان ، على الرأي العامّ . فدعا إلى عقد « الجمعية العمومية » وأقبلت الوفود .

الملك عبد العزيز

يخطب في الجمعية العمومية

اشترك في مؤتمر « الجمعية » ٣٤٧ من العلماء والزعماء ورؤساء الحواضر والبوادي[١] عدا من انضم إليهم من كبار رجالهم ، حتى قُدّر عدد الجميع بثمانمائة . وتخلّف رؤوس الفتنة عن حضوره ، إلا أن الدويش كان أكثر من غيره مرونةً ، فأناب عنه ابنه « عُزَيّز » — تصغير عبد العزيز — واعتذر بكبر سنه وعجزه ، وأنه نزل عن الرئاسة لابنه .

وافتُتح المؤتمر في جمادى الأولى ١٣٤٧ (١٩٢٨ م) بخطبة ضافية ارتجلها[٢] الملك عبد العزيز ، قال فيها :

« أيها الإخوان . تعلمون عظم المنة التي منّ الله بها علينا بدين الإسلام إذ جمعنا به بعد الفرقة ،وأعزّنا به بعد الذلّة . واذكروا قوله تعالى : ﴿وقل اعملوا فَسَيَرَى اللهُ عملكم﴾..الآية .. إن شفقتي عليكم وعلى ما منّ الله به علينا ، وخوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم..﴾ كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان ، لتذكروا أولاً : ما أنعم الله به علينا ، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه

---

(١) أوردت جريدة أم القرى في العدد ٢٠٨ أسماءهم وأسماء الجهات التي يمثلونها أو يتكلمون باسمها .

(٢) وأصلحت وعرضت عليه قبل نشرها .

النعمة ، وثانياً : لأمر بدا في نفسي وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحدٍ شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه ، أو بمنعه



حقاً من حقوقه ، فأردت أن أعرف ذلك منكم ، لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك ، وأكون قد أديت ما عليّ من واجب ، وثالثاً : لأسألكم عما في خواطركم وما لديكم من الآراء مما ترونه يُصلحكم في أمر دينكم ودنياكم .

«أيها الإخوان . إن القوة لله جميعاً . وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فِرَقاً وأحزاباً ، يقتل بعضكم بعضاً ، وينهب بعضكم بعضاً ، وجميع مَن ولاّه الله أمركم من عربي أو أجنبي ، كانوا يدسّون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم ، لذهاب أمركم . ويوم خرجتُ كنتُ محل الضعف ، وليس لي من عضد وساعد إلاّ الله وحده ، ولا أملك من القوة إلاّ أربعين رجلاً تعلمونهم ، ولا أريد أن أقصّ عليكم ما منّ الله به عليّ من فتوح ، ولا بما فعلتُ من أعمال معكم ، كانت لخيركم ، لأن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم ، وأنتم تعلمونه جميعاً وكما قيل : السيرة تبيّن السريرة .

«إنني لم أجمعكم اليوم في هذا المكان خوفاً أو رهباً من أحد منكم ، فقد كنت وحدي من قبلُ وليس لي مساعد إلاّ الله ، فما باليت الجموع ، والله هو الذي نصرني وإنما جمعتكم كما قلت لكم خوفاً من ربي ، ومخافةً من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار . جمعتكم هنا في هذا المكان ، لأمر واحد ، ولا أجيز لأحد أن يتكلم هنا في غيره ، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي ، فيجب أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع . أما الأشياء الخارجة عن هذا ، فسأعيّن لكم اجتماعات خاصة وعامة للنظر فيها .

«أريد منكم أن تنظروا — أولاً — فيمن يتولى أمركم غيري... وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم ، فاختاروا واحداً منهم تتفقون عليه ، وأنا أقرّه وأساعده . وكونوا على يقين بأنني لم أقل هذا القول استخباراً ، لأنني ولله الحمد لا أرى لأحد منكم منّة عليّ في مقامي هذا ، بل المنة لله وحده ، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بالقوّة .

«ولا يحملني على هذا القول إلاّ أمران ، الأول : محبة راحتي في ديني ودنياي ، والثاني : أني أعوذ بالله من أن أتولى قوماً وهم لي كارهون . فإن

أجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي ، ولكم أمان الله ، فمن يتكلم في هذا فهو آمن ، ولا أعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً . فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله ، وإن كنتم لا تزالون مصرّين على ما كلمتموني به على أثر دعوتي لكم ، فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع في اتباع ما تُجمعون عليه مما يؤيد شرع الله . »

وارتفع صياح الحضور : لا نريد بك بديلاً ، لن نرضى بغيرك . واستمرّ في الخطابة ، فقال :

«إذا لم يحصل ذلك منكم، فابحثوا في شخصي وأعمالي ، فمن كان له عليّ — أنا عبد العزيز — شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبيّنه . ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه ، إنه حر في كل نقد يبينه ولا مسؤولية عليه . وإني لا أبيح لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئاً من النقد في صدره ، وكل من كان عنده شيء فليبيّنه ، ولكم عليّ أن كل نقد تذكرونه أسمعه ، فما كان واقعاً أقررت به ، وبيّنت سببه ، وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه ، وما كان غيرَ بيّن وهو عندكم من قبيل الظنون ، فلكم عليّ عهد الله وميثاقه أنني أبيّنه ولا أكتم عليكم منه شيئاً . وأما الذي تظنونه مما لم يقع ، فأنا أنفيه لكم . وأحكّم في كل ما تقدم شرع الله ، فما أثبته أثبتّه ، وما نفاه نفيته .

« أنتم ، أيها الإخوان ، أبدوا ما بدا لكم ، وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد وليّ أمركم أو من نقد موظفيه ، المسؤول عنهم . وأنتم ، أيها العلماء ، اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العَرْض وستُسألون عما سئلتم عنه اليوم ، وعما ائتمنكم عليه المسلمون ، فأبدوا الحق في كل ما تُسألون عنه ، لا تبالوا بكبير ولا صغير ، وبيّنوا ما أوجب الله للرعية على الراعي ، وما أوجب للراعي على الرعية في أمر الدين والدنيا ، وما تجب فيه طاعة وليّ الأمر ، وما تجب فيه معصيته . وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من

الأمور التي تُسألون عنها . ولكل من تكلم بالحق عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه وأكون مسروراً منه ، وأني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء . والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه ، أيها العلماء ، فإني أعمل فيه عمل السلف الصالح ، إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ، أو قول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة .

« إياكم ، أيها العلماء ، أن تكتموا شيئاً من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي . فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة .

« أظهروا الحق وبيّنوه وتكلموا بما عندكم ... »

، ، ،

ويذكر من حضر الاجتماع ودوّن ما دار فيه : أن العلماء أجابوا بأنهم يبرأون إلى الله من كتمان ما يظهر لهم من الحق ، وأعلنوا أنهم ما نصحوه إلاّ انتصح ، ولو رأوا في عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه ، وهم ما رأوا منه إلاّ الحرص على إقامة شعائر الدين ، واتباع ما أمر به الله ورسوله .

، ، ،

ونهض أحد الحضور فقال : إننا لا نعرف ما يُنتقد إلا « الأتيال » — يريد اللاسلكي — فيقال إنه « سحر » ولا يخفى حكم السحر والسّحَرة في الإسلام، والثاني« القُصور » — يعني المخافر — التي تبنيها حكومة العراق على الحدود ، وهذا ضرر على أرواحنا وأوطاننا .

فأجابه عبد العزيز : ليقل العلماء رأي الإسلام في « الأتيال » .

فأفتى العلماء بأنهم لم يجدوا في القرآن أو السنة أو قول أحد العلماء ولا من أخبار العارفين ، دليلاً على تحريم الأتيال ، وأن من يقول بالتحريم يفتري على الله الكذب ونبرأ إلى الله منه ...

وأجاب عبد العزيز نفسه عن « المخافر » قائلاً :

« إن القوم يدّعون أنكم أنتم الذين بدأتموهم بالعدوان . وذلك بقتل السريّة العراقية في « بُصَيّة » ، ثم غزوات الدويش التي تبعتها . في حين أني أنا عبد العزيز – ما قمت بذلك . وأنتم يا أهل نجد ما حميتم ذمة والي أمركم ، وأنهم يزعمون أن هذه القصور (المخافر) ما بُنيت إلاّ مخافة الخطر منكم . »

وتصايح « الإخوان » : نبرأ إلى الله من الدويش ... قاطعناه هو ومن معه .. وإنا على استعداد لمهاجمته ومجازاته .. يا عبد العزيز إننا نبايعك على السمع والطاعة ، وأنْ نقاتل من تشاء عن يمينك وشمالك .. ولو دفعتنا إلى البحر خضناه .. إننا نبايعك على مقاتلة من ينازلك ومعاداة من عاداك ، ونقوم معك ما أقمتَ فينا الشريعة .

الملك عبد العزيز

يعفو ، والدويش ينتقض

جدّد العلماء والزعماء البيعة لعبد العزيز في مؤتمر الجمعية العمومية سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) على السمع والطاعة ومحاربة الباغي إلى أن يفيء إلى الرشد . وتم له ما أراد من جمع الكلمة وتقوية العزائم ، استعداداً للإيقاع برؤوس الفتنة و « تأديب » الغلاة من « الإخوان » . وكان « عُزيّز » ابن فيصل الدويش من جملة المبايعين المعاهدين ، بصفته رئيس عشائر « مُطير » ولكنه لم يلبث أن نكص . وأعظم ما أسفر عنه الاجتماع ، إبطال ما كان يدعيه الغلاة من حق إعلان الجهاد بغير إذن «الإمام» وأصبح المخالف له حلال الدم والمال [١]

أما القائمون بالحركة ، فتجاهلوا المؤتمر والمؤتمرين . وأذاعوا في « الهِجَر » أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي يهدمها عبد العزيز ، وأن عبد العزيز طالبُ مُلك ، ومُوالٍ للكفّار ، وشريك لهم في جميع الأعمال .

وترك « ابن بِجَاد » قريته « الغُطْغُط » لقربها من الرياض ، ولحق

---

(١) اعتمدت في أكثر ما ذكرته عن ثورة الدويش ، على مذكرات خالد الفرج ، لمعاصرته الحوادث ، وقربه من أماكن حدوثها . وقد أسهب في تفصيلها إسهاباً مفيداً وأضفت إليه ما لم يذكره أو يستكمله ، مما جاء في «صقر الجزيرة » و « جزيرة العرب في القرن العشرين » وما أخذته عمن حضروا الوقائع من الثقات .

بالدويش ، فكانت « الأرطاوية » مأوى عـُتيبة ومـُطـَير . وقام « ابن حِـثْـلَـين » يشنّ الغارات على عرب العراق في بادية الكويت والزبير .

وأطمعهم بعبد العزيز تريّثه في التصدّي لهم . وما كان تريّثه إلا اضطراراً . على أنه لم تكن تعوزه القوة ، وكان الزحف متوقفاً على كلمة منه ، وإنما كان ينظر إلى ما وراء الزحف ..

كان أشد ما يخشاه أن يفلت العصاة أو زعماؤهم ، من بين يديه ، قبل أن يقضي عليهم قضاءً لا قيام لهم بعده . وخـُطـّته أن يحصرهم في داخل حدوده . ولا سبيل إلى حصرهم ما لم يطمئنّ إلى أن بـَوَادي الحكومات المجاورة وحواضرها ستـُغلـَق أمامهم ، فلا يجد أحد منهم منفذاً للنجاة . واطمئنانه هذا لا يكون إلاّ إذا تعهـّد له المنتدبون – يومئذ – على العراق وشرقي الأردن بتسليمه من قد يلجأ إليهما من العصاة أو منعهم من الالتجاء إلى أراضيهما . ولأمر ما ، كان الإنكليز يودّون التملّص من التعهد له بذلك[١]

، ، ،

وضجّ العراق من اختلال الأمن في أطرافه ، واستمرار التعدي على قبائله ، حتى توهم بعض الناس أن عبد العزيز راض عما يسميه الدويش وأعوانه « جهاداً » وكان لعبد العزيز عذره في أن يصرّ على أخذ التعهـّد ، قبل أن يتحرّك جيشه لضرب العصاة ، أو لكفّ عدوانهم عن الجوار .

وانتهت مفاوضة الإنكليز ، بجعل « المادة المعلّقة » في معاهدة « بـَحـْرة » على ما يرتضيه الجانب السعودي . وتسلـّم الملك عبد العزيز تعهـّد الحكومة

(١) في معاهدة المحمرة نص على « أن يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى من عشائرها على العشائر التابعة للحكومة الأخرى . وان تتذاكر الحكومتان – إذا حالت الظروف دون قيام إحداهما بالتأديب اللائق – في إمكان اتخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائدة بينهما »

البريطانية – أخيراً – بطرد العصاة من أراضي العراق والكويت وشرقي الأردن .

وجاءت أخبار « القَصِيم » تحمل إلى عبد العزيز أن ابن بِجَاد التقى بجماعة من تجار القصيم ، فقتلهم عن بكرة أبيهم ، واستباح أموالهم ، وأنه أرسل سرية كبيرة مع فرحان بن مشهور – من الرولة – للغارة في الشمال ، فصادف هذا سرية صغيرة من رجال ابن جلوي فتغلّب عليها وفتك ببعض رجالها . وتقول تلك الأخبار إن ابن بجاد ، نادى ببغي من لم ينضمّ إلى الحركة من أهل نجد ..

وذاع ذلك في الرياض ، فثارت ثائرة الناس . وأذن عبد العزيز بالزحف ، فتجمعت حَضَر نجد وبوادي حرب وقحطان وسُبيع من « الإخوان » وقسم من عُتيبة . وخرج بهم عبد العزيز في ٢٢ رمضان ١٣٤٧ (أواخر ١٩٢٩ م) وقد تجمّع أكثر العصاة على ماء في روضة يقال لها « السَّبَلَة » بقرب « الزِّلْفي » فحطّ أمامهم : ليس بين المعسكرين إلاّ ربوة صغيرة . وأرسل يدعوهم إلى النزول على حكم الشرع .

وطلب الدويش الأمان « للمقابلة » وجاء متجسّساً يتملّق الملك ومن معه ، ويعرض التسليم ، وأنه ليس على رأي ابن بِجاد .

وفي المساء ، أظهر أنه سيبيت عندهم ، فقال له الملك :

قم فنم عند قومك ، وموعدكم غداً بعد شروق الشمس . فإن كنت صادقاً ، فتنحّ عن الجماعة [١].

---

(١) قال حافظ وهبة رواية عن بعض « الإخوان » الذين كانوا من العصاة : إن الدويش لما رجع إلى أصحابه سألوه عما رأى فقال : رأيت حضرياً ترتعد فرائصه من الخوف ، ليس حوله غير طبابيخ – طباخين – لا يعرفون إلا النوم على الدواشق – المراتب – عندهم حلا ل كثير – ماشية – وأموال عظيمة ، ابشروا يا الإخوان بالكسب والغنيمة !

معركة السَّبَلَة

ونشبت المعركة في صباح اليوم التالي ١٩ شوال ١٣٤٧ (١٩٢٩ م) فاستمرت إلى منتصف النهار. وكان محمد بن عبد الرحمن (أخو الملك) وعبد المحسن الفِرْم (شيخ قبائل حرب) يقودان الفرسان، فضربا العصاة من خلف، واستقبلتهم جموع الحَضَر، فحلّت بهم الهزيمة. وفرّ ابن بجاد بجمع من عتيبة متجهاً إلى «الغُطْغُط» وجُرح الدويش في خاصرته، فكاد يسقط عن جواده لولا أن أدركه أحد رجاله وانهزم به إلى الأرطاوية.

وأمر الملك منادياً ينادي برفع السلاح، والكفّ عن ملاحقة الفلول.

وعُرفت هذه الوقعة بوقعة «السبلة» ولا يزال مكانها معروفاً، وآهلاً بالسكان، في ناحية الزّلفي، إلى الآن. أما «الغُطْغُط» فيقول فلبي في تاريخ نجد: إن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن دمّرها تدميراً تاماً تشهد به خرائبها.

العفو عن الدّويش

ورحل الملك إلى جوار «الأرطاوية» فجيء بالدويش محمولاً على «نعش» تحف به نساؤه يبكين، وأطفاله يندبون، وأنزل بين يديه، فالتفت اليه قائلاً:

– هذا فعلك بيدك.

فأجاب الدويش: يا الامام! إن عاقبت فبذنوبنا، وإن عفوت فأنت أهل العفو..

فقال: قد عفوت...

سجن ابن بِجاد

وبعد ثلاثة أيام جاء ابن بجاد، مستسلماً في «شقرا» وقد نزل بها عبد العزيز. فأمر بسجنه في الرياض (ونقل بعد ذلك إلى الأحساء).

التنكيل ببعض العصاة

وأرسل عبد العزيز أخاه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، للتنكيل ببعض العصاة . وأمر ابن جلوي (أمير الأحساء) بتأديب العجمان .

إلى المدينة المنورة

واقترب موعد الحج فركب السيارات من « بريدة » في ٢٣ ذي القعدة ١٣٤٧ (١٩٢٩ م) قاصداً المدينة .

مقتل ابن حِثْلَين

لم يشترك ضيدان بن حثلين – زعيم العُجمان – في معركة « السبلة » وكان في « الصَّرَّار » على مقربة من الأحساء ، فدعاه ابن جلوي لمقابلته ، فامتنع ، فوجّه إليه حملة بقيادة ابنه « فهد بن عبد الله بن جلوي » فتقابلا في « العوينة » على مسافة أربع ساعات من الصرّار . وقتل ضيدان ، وقتل فهد في ١٩ ذي القعدة ١٣٤٧ (١٩٢٩ م)

الفلول تتجمع

وخشي العُجمان بطش أبي فهد (ابن جلوي) ، فنزحوا إلى الشمال ، ونزلوا « الوفراء » على مسيرة يومين من الكويت ، وقد أمّروا عليهم نائف ابن حثلين (ابن عم ضيدان) ويلقب بأبي الكلاب . ولحق بهم من لم يشهد الوقعة ، من بدو العجمان . والتفّ حولهم طلاّب الكسب ، من مُطير ، بزعامة جاسر بن لامي ، وأحد أبناء الفُغْم . وجماعة من عتيبة وعنزة وغيرهما . وانضم إليهم ابن مشهور (من الرّولة) وكان نازلاً بالجهرا . وجاءتهم فلول معركة السبلة ، فناهز عددهم أربعة آلاف مقاتل ، وضاقت بهم « الوفراء » وشحّ ماؤها ، فأزمعوا مهاجمة « الجُبَيْل » لجعلها مركزاً لحركاتهم وتموينهم ، فقصدوها .

العوازم عقبة

اعترضتهم عقبة في طريقهم إلى « الجبيل » هي قبيلة « العَوَازم »[١] وكانت ممن ثبت على الولاء لعبد العزيز . وهي كَهُتَيم ، أو من هتيم . فبعث إليهم أبو الكلاب يدعوهم إلى السير معه أو اعتزال المعركة — لا معه ولا عليه — فأجابوه : نحن على طاعة وليّ الأمر ، ولن نتعرّض لكم ما لم نؤمر بذلك .

وواصل العجمان ومن تبعهم السير إلى « نطاع » على مقربة من الصـّرّار ، فجاءهم من أخبرهم بأن العوازم رحلوا من محلتهم متجهين إلى ماء « رضى »

---

(١) قال خالد الفرج : قبائل العرب اليوم تنقسم إلى قسمين ، الأول « الأعارب » وهم مجموع القبائل التي تنتمي بأنسابها إلى قحطان أو مضر . وكلها من حيث الحسب والنسب والمنزلة متساوية متكافئة ، كعتيبة ومطير وعنزة وسبيع — من القبائل النزارية — والدواسر والعجمان ومرة وشمر — من القبائل اليمانية والقحطانية — وهذه القبائل كلها تتناسب وتتصاهر ولا تمتاز إحداها عن الأخرى . والثاني « هتيم » أو الهتمان وهم المجهولو النسب ، رغماً عن عراقتهم في استيطان جزيرة العرب ، ومنهم من لا يشك في عروبته . وأشهر هؤلاء الرشايدة أو ذوو رشيد ، ولعلهم من قبائل الحجاز في القديم ، فان كلمة ذوي لا تستعمل في نجد . وهم من أحلاف مطير ، ولكن مطيراً تعتبرهم من خدامها . والعوازم ، وهم قبيلة كبيرة لا يقل مجموعها عن عشرة آلاف ، ينتسبون إلى جدهم الأعلى « عطا » وإليه يعتزون « أولاد عطا » ! ومساكنهم في نقرة بني خالد ، وعلى خط السيف ما بين الجبيل والكويت . وينقسمون إلى عدة بطون أهمها البريكات والهدالين والملاعبة والذويبات والصوابر والمساعد والمساحمة ورئيسهم حبيب بن جامع — توفي سنة ١٣٥٠ هـ — وبعد أن « دينوا » صارت هجرتهم في ثاج ، وبها آثار مدينة قديمة من مدن البحرين البائدة ، والحسي والحناة وعنيق — بالتصغير — وهذه كانت مياهاً لهم وموارد فاستوطنوها ، وقسم منهم سكن الكويت من قديم الزمان فتحضروا ، ولهم محلة خاصة اسمها فريق العوازم ، كما أن لهم قرية خاصة بقرب الكويت اسمها الدمنة . وصناعتهم صيد الأسماك . وهم على العموم بين البداوة والحضارة ولا يكادون يتجاوزون مواضعهم . وهم أهل ثروة ولهم اعتناء بتربية الأغنام ، وإليهم ينسب السمن العداني الفاخر ، ومن أخلاقهم عدم الاعتداء على سواهم ، فلا يغيرون على أحد ، ولكن الويل لمن يعتدي عليهم . والبدو الآخرون يشبهونهم بالحية لا تعتدي ولكنها تعطب من يتعرض لها ، وهذه الصفة تنطبق عليهم . وقد ذاق بطشهم العجمان سنة ١٣٣٣ هـ والجبلان من مطير . اهـ

على مسيرة ليلة من « نطاع » . فاتفق العجمان على مبادرتهم قبل أن يتكاملوا على الماء .

وقعة رضى

ترك العجمان أثقالهم في نِطَاع ، وخفّوا إلى ماء « رضى » فاصطدموا بالعوازم . وثبت لهم هؤلاء فقتل من المهاجمين نحو مئتين ، وجرح كثيرون ، وولّت جموعهم عائدة إلى نطاع ومنها إلى الوَفْراء .

وكانت وقعة رضى يوم ١٧ محرم ١٣٤٨ (يونيه ١٩٢٩ م) وبها زال ما كان للعُصاة من هيبة ورهبة في بعض القبائل ، ويا ذُلّ من تسطو عليه هتيم !

انتقاض الدويش

اندمل جرح الدويش في الأرطاوية . وجاءته أخبار « الإخوان » في تجمّعهم بالوفراء . فتناسى عهده للملك عبد العزيز ، وخرج من الأرطاوية قبل وقعة رضى – في ١٢ محرم ١٣٤٨ (١٩٢٩ م) يتبعه جمع من مُطير . فاجتاز الدّهْناء والصّمّان . وعلم في « اللّصافة » بوقعة رضى ، فركب رأسه واستمر حتى بلغ الوفراء . واشتدّ به ساعد أبي الكلاب ومن معه فولّوه رئاستهم .

وتسامعت مُطير وغيرها بانتقاض الدويش ، وتزعّمه الحركة ، فأقبل كل من يرمق الشرّ بعين . وكان في جملة من جاءه نائف بن محمد بن هندي ، عاد من بغداد بعد التجائه إليها فراراً من عقاب عبد العزيز .

ورسم الدويش لمن معه خطة جديدة ، هي شنّ الغارات في نجد ، وقطع سبلها ، واستنفار القبائل لنصرته . وبدأ هو بالإغارة على سُبيع والسّهول في « القاعية » وراء الدهناء ، فكانت له موقعة فيها في ربيع الأول ١٣٤٨ (١٩٢٩ م) فذبح بعض أهلها . وقصد « البريهات » وهم بطن من مطير ،

منازلهم على « حَفَر » الباطِن امتنعوا عن موالاته ، ولم يوالوا ابن سعود ، فأجبرهم الدويش على السير معه ، وإلاّ استباحهم ...

مقتل عُزيّز

واختار الدويش من كبار الدوشان وسائر رجال الحرب ، من مطير والعجمان ، سبعمئة وتسعة رجال [1] ووجّههم مع ابنه عزيّز (عبد العزيز) وكان شبيهاً بأبيه في دهائه وجلَده . وأمرهم بالإغارة على قبائل الشمال ، واستنفار من يتبعهم من شَمّر وغيرها . وعاد هو إلى الوفراء .

ومضى عزيّز إلى أن نزل بالحزول (شماليّ حائل) فغزا جمعاً من الظّفِير وشَمّر ، وانتهب ما لديهم . وكان مالاً كثيراً اقتسمه من معه . وأراد العودة إلى الوفراء ، والطريق المسلوك اليها هو : الحزول ، لينة ، الجهراء ، الوفراء . ولكنه قدّر أن ابن مساعَد (عبد العزيز بن مساعد ، أمير حائل) ربما يكمن له على ماء لينة ، فتجنّبها وسلك طريقاً آخر ، من الحزول إلى « أم رضمة » فالجهراء فالوفراء

وكان من المصادفات أن ابن مساعد قَدّر أيضاً أن ابن الدويش سيتجنب لينة ، فكمن له في « أمّ رضمة » وتقابلا فذُبح « عزيّز » وأكثر من معه ، وفيهم ١٥ رجلاً من الدوشان (بيت الدويش)

وكانت وقعة « أم رضمة » هذه ،يوم ٥ ربيع الثاني ١٣٤٨ (سبتمبر ١٩٢٩)

العوازم يهاجمون الدويش

جنّ جنون الدويش حين علم بمقتل ابنه عزيّز . واعترته حال عصبية مخيفة . فكان لا يفكّر إلاّ في الثأر له .

وأرسل عبد الله بن جلوي (أمير الأحساء) سَرِية صغيرة إلى العوازم ،

---

(١) كما في بلاغ رسمي أصدره قلم المطبوعات بمكة ، في ٢١ ربيع الثاني ١٣٤٨

صحبتهم لمهاجمة الدويش . وكانت بين الفريقين معركة « النّـقـايـر » على بعد يوم من الوفراء . وانهزم العُـجمان أمام العوازم . وثبت الدويش ، وقد أُخذت رايته هدية للأمير سعود بن عبد العزيز ، وقد وصل إلى الأحساء زائراً . وانتهت المعركة بهدنة طلبها الدويش من العوازم .

فتنة الدُّهَـيْـنَـة

صدر في مكة بلاغ رسمي ، في ٢١ ربيع الثاني ١٣٤٨ (١٩٢٩/٩/٢٧ م) جاء فيه أن جمعاً من عـُتيبة ومن بني عبد الله ، من مطير ، معهم عـُبَـيْـد ابن فيصل بن حـُميد ومحمد الحضري[1] وبعض أعراب البادية ، توغلوا في نجد ، وقطعوا السبل ، واعتدوا على المارة ، فهب لقتالهم أهل الهـِجَـر ، من عتيبة وحرب وقحطان ، كل هجرة تطارد من كان قريباً منها .

وهؤلاء الذين أشار إليهم البلاغ ، كانوا بقيادة فارس يـُدعى « مـُقـْعـِد الدُّهَـينة » من النفعة ، من عـُتيبة . وقد اعتدوا على عمال للزكاة أرسلهم نائب الملك من الحجاز ، برئاسة علي بن سـِرحان ، لجباية الزكوات من قبيلة عتيبة . فأخذ الدهينة ما جمعوه ، وقتل كاتباً لهم من بيت النفيسي ، وأثار الفوضى في عالية نجد ، وفي طريق الحجاز ، وأحرق عدداً من السيارات القادمة من الحجاز .

نـَكـَال عـُتيبة

وانتدب عبد العزيز أحدَ أشدّاء رجاله « شـُوَيْـش بن رُوَيحي المـُطيري » المعروف برئيس الرعاة لإبل عبد العزيز : فقام بغارة على عتيبة في منهل يدعى « رُكـَيـّة سِعْـدِية » في طَـرَف عـِرْض القـُويعية ، فخفرهم (أي صادر نفائس أموالهم) وقضى على شوكتهم .

---

(١) كان ابن حميد والحضري ممن لجأ إلى العراق وأقاما في بغداد ، ثم عادا للمشاركة في الفتنة .

جيوش لقتال العصاة

وأرسل الملك قوة ممن في الرياض ، يقودها ابن أخيه « خالد بن محمد » وقوة ممن في الحجاز ، جهزها نائبه العام فيصل ، وبعث خالد ابن لؤيّ على رأس « أهل الوديان » فاجتمعت القوى ، وكانت بينها وبين العصاة وقائع .

مَصِير الدهينة

وانتهى أمر الدهنية بالفرار إلى العراق ، حيث أقام سنوات طويلة ، وعاد إلى بلاده كسائر المنسيين .

من رجال الدويش



يُظن الأوسط « نايف بن حثلين » والأيسر « ابن لامي »
وأخطأ من ظن الأيمن « فيصل الدويش »

الملك عبد العزيز

في اجتماع الشَّعْراء

تابع فيصل الدويش في ثورته الثانية ، خطته الجديدة : مفاجآت في قلب الجزيرة وشرقها وغربها ، للإقلاق ونشر الفوضى والرعب . وتفرقت قبائل « عُتيبة » شيَعاً بين نجد والحجاز ، حتى كاد التنقل بينهما ، وبين نجد والخليج يتعذّر .

واتجه الملك عبد العزيز إلى تقوية الحاميات في الأحساء والقطيف وحائل ، وقاية لها من شرر الفتنة أن يعلق بها . ودعا بعضَ ذوي الرأي والزعامة إلى اجتماع في قرية « الشَّعْراء »[1] فاجتمعوا في أول جمادى الأولى ١٣٤٨ (اكتوبر ١٩٢٩)

وكان في جملة ما قاله لهم :

« لم تردع المفسدين موعظة ، ولم يحجزهم إسلام ، ولم يمنعهم عهد ، ولم يفد فيهم عطاء ولم يؤلف قلوبهم معروف .

« خرجوا عن الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وظاهروا المارقين ، فخفروا

---

(١) بين الرياض ومكة ، تبعد عن الرياض ٢١٦ ميلا ، وعن مكة ٣٩٠ قال ابن بليهد : الشعراء ، بلدة في عالية نجد ، شرقي جبل ثهلان ، بها مزارع ونخيل ، وتنتابها الأعراب من كل ناحية . قلت : والشائع في اسمها الآن الشعرى ، بالألف المقصورة ، ويخطىء من يسميها « الشعرة »

ذمة المسلمين . وأفسدوا في الأرض ، وقطعوا السابلة ، وأخافوا الآمن ، وقتلوا البريء » .

ثم قال :

« لا نريد أن نشهد في بلادنا بعد اليوم — بحول الله وقوته — مثل هذا الحادث ، ولا مثل هذه النزعات الشيطانية .

« لينصرف كل واحد منكم إلى جماعته ، يستشيرهم فيما يرون . وموعدنا غداً في هذا المكان لتعلنوا آراءكم .

مقررات الشّعراء

وفي اليوم التالي ، عاد الاجتماع إلى الانعقاد ، برئاسة عبد العزيز .

وبعد مناقشة دامت أربع ساعات ، اتفقوا على ما يأتي :

١ — كل من اشترك في الفتنة وبقي حياً يؤخذ ماله وجميع ما لديه من جيش (إبل) وخيل وسلاح وتُحكّم الشريعة في رقبته .

٢ — كل من كان متّهماً بممالأة أهل الفساد ، ولم يجاهد مع المسلمين ، تؤخذ منه شوكة الحرب (الذّلول ، والفَرَس والبُنْدق) .

٣ — كل ما يؤخذ من الأشرار المفسدين ، يمنح للمجاهدين الصادقين ، ليتقوّوا به .

٤ — يُرسل إلى الهِجَر التي فيها أُناس من أهل الفساد ، أمير معه قوة ، لينظر في أمر المفسدين بما تقضي به الشريعة والمصلحة العامة .

٥ — كل هجرة غلب الفساد على أهلها يُطردون منها ، ويفرّقون بين القبائل ، ولا يُسمح لفريق منهم بالاجتماع في مكان واحد .

٦ — تُرسل السرايا لإنفاذ هذه المقررات في خلال عشرة أيام .

٧ — بعد إنفاذ هذه المُقرّرات ، تنحدر جميع الرايات في الحال إلى أطراف الحدود ، حيث يقيم الأشقياء من العُجمان والدّويش .

وثمة فقرة تقول : « قد تم القضاء على جميع الذين قاموا بالعصيان ، من عُتيبة وبني عبد الله من مُطير ، ولم يبق أحد منهم عنده فضلُ قوة يستطيع بها أن يأتي أيّ عمل منكر » .

الحَشْد في الشَّوْكي (١)

وكان الملك عبد العزيز قبل مغادرته الرياض إلى «الشَّعراء» قد أمر بالكتابة إلى أمراء المُدن والهِجَر وغيرهم ، بحشد قواهم ، ومضاعفة العدد عما جرت به العادة . وأن يكون تجمّعهم على ماء « الشوكي » .

وبعد اجتماع « الشعراء » عاد إلى الرياض ، فعهد إلى كبير أنجاله الأمير سعود ، بإدارة أمورها مدة غيابه . واستكمل عُدّة الحرب ، وقد صمّم على أن يقود الجيش بنفسه . وتقدم بسيارته إلى الشوكي ، يتبعه رتل من السيارات يحمل إخوته وبعض أنجاله وأبناء عمومته ، وكبار العلماء ، ورجال الحاشية ، فنزلها يوم ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٤٨ (١٩٢٩/١٢/١)

وكانت الجموع قد احتشدت في الشوكي . وهم من أهل « العارض » و « الحوطة » و « المحْمَل » و « الشعيْب » و « سُدير » و « الوَشْم » و « بُريْدة » و « عُنَيْزَة » وهِجَر « حَرْب » و « قَحْطان » و « السُّهول » و « سُبيع » و « العوازم » و « بني خالد » ومن ظلّ على ولائه من هِجَر « عُتَيْبَة » و « مُطير » ولكل أمير هجرة وقرية، راية. فكان في الشوكي ١١٨ راية .

---

(١) الشوكي : واد صغير بالقرب من الدهناء تجتمع فيه مياه الأمطار في شمالي الرياض ، يبعد عنها ١٩٥ كيلومتراً . وهو المكان الذي كان عبد العزيز قد فارق فيه جموع مبارك الصباح قبيل وقعة الصريف سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) ومشى إلى الرياض فاستولى عليها أول مرة . قال خالد الفرج : ومن غريب المصادفات أن يمشي من الشوكي أيضا سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) أي بعد ثلاثين سنة ، ليخوض آخر معركة في تشييد صرح المملكة ؛ وهي آخر المعارك التي قادها بنفسه .

صمّم على أن يقود الجيش بنفسه



عبد العزيز في بعض جموعه

عن كتاب « عبد العزيز » لزيدان

الدّويش يهدّد بالالتجاء ...

بادر الدويش حين علم بزحف عبد العزيز ، إلى إرسال وفد برئاسة « الحُمَيْدي بن مفلوح » يحمل كتاباً بطلب « العفو » والأمان ، ويناشد « الإمام » ألاّ يضطره إلى دخول بلاد الكفر ...

وأجابه الملك ، يوم وصوله إلى الشّوكي ، بأن لا مفرّ له من سلطانه حيث كان . وأنه لم يراجعه إلاّ بعد أن سُدّت في وجهه المسالك . وأما « الأمان » فيمكن تأمينه على حياته ، هو وبعض من معه ، على شرط أن يأتوا مستسلمين خاضعين لحكم الشرع ..

وأمر الملك بالتقدّم . فمشت الجموع من الشّوكي ، لتقطع الدّهناء إلى الدِبْدِبَة (الدَوّ) حيث تقيم جمهرة العصاة .

كتابان من الدويش

ونزل عبد العزيز بالشُّمَامَة في (الصَّمّان) وإذا بوفد آخر من الدويش يحمل كتابين . يقول في الأول ما معناه : « وصل كتابك وفهمنا ما اشتمل عليه ، غير أن النفس ما زالت قلقة من جانبك . والمأمول منك يا أبا تركي غير ما ذكرت . ويصلك هذا مع سلطان بن مُهَيْلِب يتحدث بلساننا . ونودّ أن يكون تأمينك لنا خالياً مما اشترطت الخ ..

وهذا نصه الحرفي :

« من فيصل بن صلطان الدويش إلى جناب الإمام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام . بعد ذلك خطك وصل وما عرّفت كان معلوم من جميع الأمور . ولكن حنّا اليا (إلى) ها الحين ما طاب خاطرنا منك والظن فيك يا بو تركي غير ما ذكرت لنا.وهذا واصلك صلطان بن مهيلب. ونبيك ان شاء الله تُؤْمنا أمان ما فيه تفتيش . وباقي الجواب من رأسه أبلغ . هذا ما لزم

تعريفه مع إبلاغ السلام العيال والمشايخ . ومن هنانا الإخوان يسلمون والسلام . ٤ رجب ١٤٣٨ »

ومع الكتاب « ملحق » بخط الدويش ، يقول فيه ما معناه :

« تقول في كتابك إن الطريق أصبحت مقفلة أمامنا ولم تبق لنا حيلة فاضطررنا إلى الرجوع إليك . والحقيقة أن الأمر نقيض ذلك . ولولا أنك غال علينا ، ونحن نرغب في مرافقتنا لك ، لأدركنا كل أمر نبغيه . فالكلّ يتجاذبوننا وأيّ طريق أردنا سلوكه لم يعارضنا فيه أحد . وليكن معلوماً لديك ، ولا يداخلك الشك ، في أنني لولا بغضي للكفّار وكرهي أن أدخل في ولايتهم ما بعثت لك أحداً . واعلم بأني صادق في ذلك وأنت تعرفني لست بمكّار ولا مخاتل . وإني دخيل على الله أن لا تلجئني إلى الكفر . الخ ... » ثم يضيف إليه حاشية أخرى ، ونصها : « لأن يهْدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم » .

وهذا نصه الحرفي : « بقي بالخاطر سلمك الله . تذكر في خطك أن الدروب مسددة علينا وأنه ما بقي لنا حيلة وأنا مضطرين اليك . حنّا سلمك الله بخلاف ذلك بحول الله وقوته ولولا غلاك ورفقتك كان كل أمر نبيه مدركينه . وكل يجذبنا وأي طريق نبيه نضربه ما لنا معارض . ولكن مثل ما قلت لك غلاك ورفقتك ولا ودّنا بمداخل الكفر . ويكون عندك معلوم ويتقرر في عقلك ولا تشكك أني لولا بغضي للكفار ولا ودي أدخل حدر ولايتهم كان ما كزّيت لك جميع مركوب ولكن ما ودي في ذلك . وادرأني في ذلك صادق ومعنى خطك اللي جاني منك فيّ وفي اركايبي . وأنت تخْبُرني ما ني راعي مكر ولا تلواسات . اليوم أدخل على الله لا تحدنا على الكفر . وحسبنا الله ونعم الوكيل والله خير كافي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . »

والكتاب الثاني بتاريخ ٦ رجب ١٣٤٨ (كانون الأول ١٩٢٩) يقول فيه ما معناه :

« لو أن لنا رغبة في حِجى غير حجى الإسلام فكل باب — والله — مفتوح أمامنا ، كما انفتح لناس غيرنا من قومك خاصة[١] ولكن يا عبد العزيز اتق الله في المسلمين ولا تردهم إلى الكفر بعد ما ذاقوا طعم الإسلام . وحنان الله ثم حنانك فيّ يا أبا تركي في أن تدفن ما فات بيننا وبين أهل نجد من الدماء والأموال . ومنكم الزيادة ولا زيادة عندنا .. الخ »

وهذا نص ما أخذناه من كتابه : « والله لو حنا مشتهين حجى غير حجى الاسلام ان كل باب مفتح لنا مثل ما انفتح لناس غيرنا من قومك خاصة . ولكن يا عبد العزيز اتق الله في المسلمين ولا تردهم للكفر بعد ما ذاقوا طعم الإسلام وحناني من الله ثم منك يا بو تركي انك تدفن ما فات بيننا وبين أهل نجد من الدماء والأموال ترى ما عندنا زايد ، الزايدة عندكم ... الخ » .

لاجواب ...

أدرك عبد العزيز أن الدويش يراوغ ، ولا يجيب على ما دُعي إليه من النزول على حكم الشرع . وأنه عمد في كتابيه وملحق أولهما إلى التهديد الضمني باللجوء إلى إحدى الجهات المجاورة ، فأهمل إجابته ، وحجز الوفد ، في ضيافته ..

أعوان الدويش ينسلون من حوله

كان الدويش نازلاً على « الظّرابين » في « الدبدبة » مطمئناً إلى أن عبد العزيز بعيد عنه ، في نجد . وزاد في اطمئنانه أن الحميدي بن مفلوح رسوله إلى الملك عبد العزيز قد عاد يخبره بأنه فارق عبد العزيز وهو نازل على الشوكي ، وبينها وبين الدبدبة رمال الدّهناء وصحراء الصمّان ..

وجاءه من يروي له أن عبد العزيز أصبح على مقربة من « اللّصافة »

---

(١) يشير إلى حفدة سعود بن فيصل وقد تقدم ذكرهم .

يتبعه زحف جرّار ، فكذّب الخبر ، وقال : أراضي نجد ممحلة ولا يمشي عبد العزيز إلاّ حيث يكون الكلأ والماء . .

وكان الخبر صحيحاً ، والملك عبد العزيز – على الرغم من المحل وجفاف الآبار والمراعي – قد صمّم على سحق الدويش ، فاجتاز تلك القفار ، وأُسعف من السماء بماء ، فوصل إلى « الشُمامة » في الصمّان ، بقرب الدّصافة ، وفيها تلقى كتب الدويش الأخيرة كما أسلفنا . وما زال الدويش ينتظر جوابها وأوبة حامليها ..

وفشا الخبر ، بعد ذلك في جموع الدويش ، عن اقتراب عبد العزيز ، فأخذت تتسلّل منفضّة من حوله : لا قِبل لنا بابن سعود وقد أقبل في مئة وخمسين راية ..

الفِرْم يغزوه

وبات الدويش في قلّة من جمعه . فاستضعفه أشياخ من بادية العراق ، كانوا موتورين منه ، كابن طُوالة وابن سُوَيْط ، فاتفقوا مع عبد المحسن الفرم (من شيوخ حرب ، ويقال له محسن) وغزوه يوم ٢٨ رجب ١٣٤٨ (١٩٢٩/١٢/٣٠) فنهبوا ما طالته أيديهم ، ودخلوا خيمة الدويش نفسه فحملوا ما فيها وأحرقوها . وعلموا بعد هذا أن عبد العزيز في طريقه من الثمامة إلى « الباطن » فأرسل إليه الفِرْم أوراقاً ومسوّدات وجدوها في خيمة الدويش كانت حجة جديدة عليه .

رسالتان

وكان في جملة الأوراق ، مسودتا رسالتين ، إحداهما بعث بها الدويش إلى الملك فيصل بن الحسين ، ملك العراق . والثانية إلى الكابتن كلوب (في العراق) هذا نصّ أُولاهما بحروفه :

«من فيصل بن سلطان الدويش إلى جناب المكرم المحترم فيصل الشريف

صلطان العرب سلمه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغ السلام والتحية والاحترام وبعد ذلك ألفوا علينا رجاجيلنا اللي جو منك في قرعة مديرس شمال الحفر ومن طرف العربان أسفلهم العجمان في مهزول وفوقيهم حنّا إلى ابرق الحباري وإلى عذيبة والرحيل ومن طرف حنّا في هالحدود ونجد فيها فرصة لحرب بن سعود ولكن حنا أوذونا سرقان الضفير رعية الحكومة ، بالسرق . واليوم بارك الله فيك تدري أننا ما نقدر نضرّهم بسبب الحكومة وحنّا نبيك تكفينا عن الحكومة ورعاياها ولأجل نتفرغ لنجد وحربها وهم يسوقوننا في طيارات وتنابيل ويقولون ارجعوا لابن سعود والا اشملوا مع الحَجْرة . حدود ابن سعود الأرض ردية ولا ندرى وش مرامهم في ذلك . وانت سنعنا إما خذ لنا أمان الحكومة وإلا سنعنا على سنع بيّن . »

وهذا نصّ الثانية :

« من فيصل بن صلطان الدويش إلى جناب عالي الجناب كبت قلاب . بعد التحية والاحترام سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تعلم ويتقرر في فكرك ويكون عندك معلوم أنا أهل صدق ناخذه ونعطيه ولا نعرف الغدر والخيانة وتعلم مماشينا مع ابن سعود في السابق وأنه ما وصل هالمواصيل إلاّ بسببنا . ولما رأينا غدره وخيانته فينا خاصة، وبالناس عامة : فارقناه . واليوم أحبينا اننا نصير رعية لكم وموامير لكم ونصير حدر يديكم وجند لكم ولا نعصي أمركم وباقي الجواب من راس الطارش أبلغ . هذا ما لزم تعريف جنابكم الشريف ودمتم . حرر في ١٣ رجب ١٣٤٨ من عندنا علي ابن عشوان وجاسر بن لامي وفيصل بن شبلان وابن جربوع وعلي بو شويربات وصنيتان المريخي وابن حنايا يبلغون السلام » .

الدويش بين العراق والكويت

وكان بعض من فارق الدّويش ، قبل غزو « الفـرم » له ، قد لجأوا إلى

حدود العراق . وعلم الملك عبد العزيز بأمرهم ، فكتب إلى المندوب السامي في العراق – في ٢٤ رجب ١٣٤٨ (١٩٢٩/١٢/٢٧ م) – يحتجّ على إيوائهم ، ويطلب طردهم .

وأدرك الدويش أن عبد العزيز جادّ في مطاردته ، وأن كتبه الأخيرة إليه لم تفعل في نفسه ما كان يأمل . فحمل أهله وسار بمن بقي معه ، متجهاً إلى بادية العراق .

وفي ٥ شعبان ، كان الملك عبد العزيز قد عسكر في « شعيب الباطن » على سبعة كيلومترات من حدود العراق . وفي المساء دخلت المعسكر سيارة ، تحرسها سيارتان مدرعتان ، نزل منها الكابتن كلوب (المفتش الإداري للبادية الجنوبية العراقية) وعَلِمَ منه الملك عبد العزيز أن الحكومة البريطانية لم تأذن بضرب الدويش ، لأن معه نساء وأطفالاً . وقد طورد في الأراضي العراقية ، وطلب أن يكون من رعايا العراق ، فرُدّ طلبه . قال كلوب : وجاءني هو وابن حثلين ، فأنذرتهما بالضرب إن لم يخرجا من حدود العراق في خلال يومين . وقد رحل الدويش عن طريق الجهرا إلى أراضي الكويت . ولا يمكنني أن أتعقبه فيها لأني موظف عراقي .

يطلب طردهم ، أو يطاردهم

وبعد حديث الكابتن كلوب ، أبرق الملك عبد العزيز ، في اليوم نفسه ، – ٥ شعبان – إلى المندوب السامي في العراق ، يذكّره بأن حكومته تعهدت بطرد العصاة من أراضي العراق والكويت وشرقي الأردن . ثم يقول : « وها هم في الكويت ، فإما أن تطردوهم وإما أن تسمحوا لنا بمطاردتهم أينما ذهبوا »

، ، ،

أخبرني يوسف ياسين – وكان في تلك الحملة – أن الجيش الذي زحف

به الملك عبد العزيز ، من الشوكي ، كان أضعاف ما يحتاج إليه لإخضاع الدويش . ولكنه قدّر ما قد يحدث إذا لجأ الدويش إلى بعض الحدود المجاورة واضطر إلى مطاردته فيها ..

، ، ،

وفي اليوم الثاني — ٦ شعبان — ورد جواب المندوب السامي البريطاني في العراق ، بأن حكومته عاملة على إخراج العصاة من حدود الكويت .

ولم يكن مثل هذا الجواب ليرضي عبد العزيز ، فأمر بالسير إلى « المُسنّاة » ومنها إلى « جَوّ الحوار » في طريقه إلى « بنية عَيْفان » .



فيصل الدويش ، في البارجة البريطانية

ولحقت به برقية من رئيس المعتمدين في الخليج ، وصلت يوم ٨ شعبان ، يطلب فيها مقابلته . فأرسل يخبره بخطة سيره وموعد وصوله إلى « بنية عيفان » وتابع السير . ووصل إليها في ١٠ شعبان ، فوجد فيها كتاباً يحتوي على برقية من المندوب السامي ببغداد، يخبره بأن فيصل بن سلطان الدويش ونايف ابن حِثْلَين (المعروف بأبي الكلاب) وجاسر بن لامي معتقلون في بارجة بريطانية . وكانوا قد استسلموا بالجَهْرا ، يوم ٨ شعبان .

وأجابه الملك عبد العزيز مبرقاً في ١١ شعبان ، يطلب تسليمهم إليه ، تنفيذاً لتعهد الحكومة البريطانية .

الفلول تتناثر

تناثرت فلول الدويش . ومرّ جمع منها بقرب « بنية عيفان » يوم وصول عبد العزيز إليها . وظهر أنهم قبيلة « الصِقهان » من بطون العجمان ، بنسائها وأطفالها ومواشيها ، فوثب الأمير محمد بن عبد العزيز — وكان في الثامنة عشرة من عمره — فتضرع إلى أبيه أن يأذن له في قتالهم . وقاد رتلاً من السيارات المسلّحة فأباد ، مقاتلتهم ، وعاد بالغنائم والنساء والأطفال .

واقتنصت سيارات عبد العزيز ، في موقف آخر ، جماعة « ابن عَشْوان » من شيوخ مطير ، فقضت عليهم وعليه .

في خَبَاري وَضْحَا

وفي ١٧ شعبان وصل كتاب إلى الملك ، من رئيس المعتمدين البريطانيين في الخليج ، بأن حكومته كلفته أن يترأس بعثة لمفاوضته بشأن « اللاجئين » وهو يستأذن في الحضور مع بعثته بالطيارات .

وأجابه الملك بأن مندوبه في الكويت — حافظ وهبة — سيرافقهم .

وفي ٢٠ شعبان (يناير ١٩٣٠) كان الملك في مخيّمه بخباري[1] وضحا حيث استقبل بعد الظهر وفداً بريطانياً وصل على ست طائرات ، مؤلفاً من الكولونيل بيسكو (رئيس المعتمدين في الخليج) والكولونيل ديكسون (المعتمد البريطاني في الكويت) والكوموندور برنت (معاون قائد الطيران البريطاني في العراق) .

ودارت المفاوضات ، وبين يدي عبد العزيز : يوسف ياسين وحافظ وهبة ، فاستمرت إلى ٢٧ شعبان . وكانت النتيجة أن تقرر :

١ — تسليم فيصل الدويش وجاسر بن لامي ونايف بن حثلين ، إلى الملك عبد العزيز ، بشرط أن يُبقي على حياتهم .

---

(١) خباري وضحا : قرب الكويت .

٢ ــ أن تطارد الدبابات والطيارات البريطانية جماعات العُجمان ومُطير اللاجئة إلى حدود العراق حتى تضطرهم إلى دخول نجد .

٣ ــ يتعهّد الملك عبد العزيز بتسليم ما نهبه الدّويش وجماعاته من أهل الكويت والعراق ، وقد استولى عليه .

ورحل الوفد .

التسليم ومصير العصاة

وفي صباح ٢٨ شعبان (١٩٣٠/١/٣٠) أقبل « ديكسون » على إحدى الطائرات مصحوباً بقائد البارجة ، ومعهما الدويش وصاحباه . فشكر الملك المندوبين ، وقال : هذا برهان عمليّ على صداقة الدولة الإنكليزية تُشكر عليه . وأمر بإرسال الدويش وابن لامي وابن حثلين ، إلى أحد الخيام بعد أن عنّفهم ورآهم يبكون كالأطفال .

وبعد ثلاثة أيام ، في ٢ رمضان ١٣٤٨ (١٩٣٠ م) نُقل الثلاثة إلى سجن الرياض . ثم حُملوا إلى سجن « الأحساء » حيث كان رابعهم سلطان ابن بِجاد . ومات الدويش في سجنه سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ، أما ابن بجاد وابن لامي وابن حثلين (أبو الكلاب) فماتوا سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

وتقاطر بقايا العُجمان ومُطير ، مطرودين من ملاجئهم ، فتجمّعوا على حدود نجد ، بنسائهم وأطفالهم ومواشيهم وإبلهم . وتلقتهم سرية من جند الملك عبد العزيز يتقدمها عبد الرحمن الطبيشي (ناظر الخاصة الملكية) فسيقوا إلى بعض الخيام ، وأدخل كبارهم على الملك فشملهم بعفوه ، وأمر بتوزيعهم على « الهِجَر » .

ويقال : إن فتنة الإخوان ، هذه كلفت خزانة المملكة العربية السعودية أربعين ألفاً من الجنيهات ، قبل أن يفوح « عبير » البترول !

وساد الأمن شبهَ الجزيرة . واستقرّ المُلك لعبد العزيز ..



الملك عبد العزيز

الملك عبد العزيز

مقابلته للملك « فيصل بن الحسين » في « لوبن »

خصّ هذا الكتابَ أحد من رافقوا الملك عبد العزيز في أكثر رحلاته[1] بتفصيل دقيق لاجتماع لوبن « Lupin » التاريخي عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) بين الملكين عبد العزيز وفيصل ابن الحسين . وكثير منه لم يسبق نشره وقد أصبح من « وثائق » التاريخ ، قال :

في أثناء تعقّب الدويش ، خرجنا مع جلالة الملك إلى أن بلغنا مكاناً يسمى « خرجة » يبعد عن حدود العراق خمسة كيلومترات ، وأمام ذلك « نقطة » من شرطة البادية العراقية في الخيام تدعى « نقطة العبيد » ، كان القائد كلوب قائد البادية العراقية ، قد جعلها مقره .

الملك فيصل بن الحسين

(١) الشيخ يوسف ياسين ، رحمه الله .

وكان رئيس الوزارة العراقية إذ ذاك ناجي السويدي . فلما علم بوجود الملك عبد العزيز ، على مقربة من الحدود ، عمل على اجتماعه بالملك فيصل ، في مكان من المنطقة المحايدة ، بين العراق والمملكة العربية السعودية ، يسمّى « الرّخَيْمِيّة » وتولى المراسلة في ذلك المندوب السامي البريطاني في العراق السر « همفرز » ثم بدأ الاتصال برقياً بين عبد العزيز وفيصل ، مباشرة ، لتعيين موعد الاجتماع ومكانه . وكان الملك عبد العزيز ، في خلال ذلك ، قد تحوّل من « خرجة » إلى « خَبَاري وَضْحَا » بسبب التجاء الدويش إلى أراضي الكويت ، والتجاء ابن مشهور إلى أراضي العراق . ولم يعد هناك عدوّ يطارده عبد العزيز في المنطقة فرأى النزول على خباري وضحا ، لوفرة مياهها وتوسط موقعها بين العراق والكويت والمملكة السعودية .

وقلّت المياه في « خباري وضحا »[١] فاضطر إلى انتجاع أماكن أخرى كانت بعيدة عن حدود العراق مما جعل الاجتماع في المنطقة المحايدة متعذراً . فورد اقتراح من الحكومة البريطانية بأن يكون الاجتماع على الطرادة البريطانية « لوپن » في مكان من الخليج .

واشترط الملك عبد العزيز للاجتماع شرطين : الأول أن يكون البحث بينه وبين الملك فيصل قاصراً على تصفية الجوّ ، والمودّة والصداقة . وأن لا يكون بينهما حديث في موضوع الشؤون المعلّقة بين العراق والمملكة السعودية ، لما فيها من التعقّد ، واتقاءً لحدوث خلاف في خلال البحث ، الأفضل تَجَنّبه فيما يكون بين الملكين من حديث . والشرط الثاني أنه لا يمكن أن يحضر مجلساً تعزف فيه الموسيقى ، أو يشرب فيه الدخان .

وقد أُبلغ السفير البريطاني هذين الشرطين بكتاب خاص من الملك عبد العزيز . كما أُبلغهما مندوبون عن حكومة العراق اجتمعوا بمندوبين عن الحكومة السعودية ، في الكويت ، يوم ١١ رمضان ١٣٤٨ هـ (آذار ١٩٣٠)

(١) الخباري في إصطلاح أهل نجد : جمع خبرة – بفتح فسكون – وهي قاع في الأرض يحفظ ما يتسرب إليه من الأودية والشعاب ، من ماء المطر .

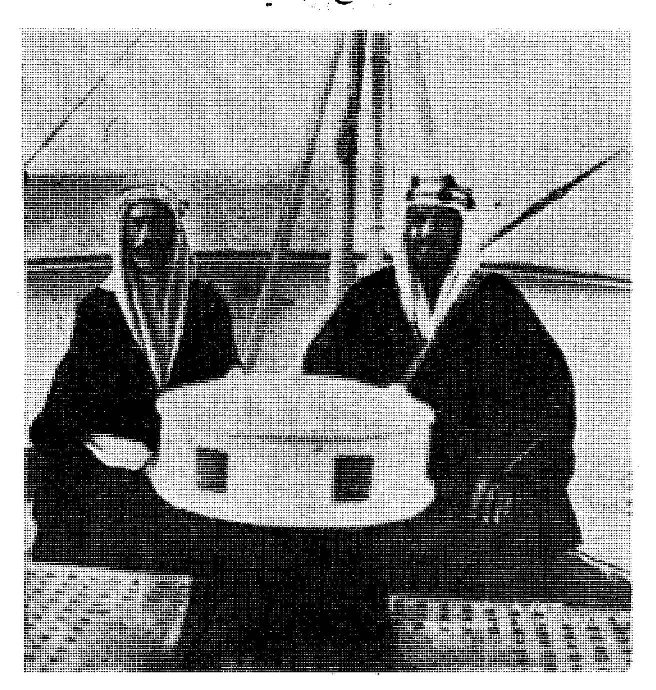


الاجتماع في الباخرة « لوپن »

ويظهر أن حكومة العراق ، والمندوب السامي ، لم يخبرا الملك فيصلاً بهذين الشرطين — أو الملاحظتين — فلما اجتمع الملكان في « لوپن » وبعد المجاملات بدأ الملك فيصل بالحديث عن الأمور المعلّقة . وأشار إلى نقاط الخلاف التي منها بناء حصون عراقية على الحدود ، ومعاهدة تسليم المجرمين ، وأمور أخرى تتعلق بمنهوبات لعربان العراق عند أهل نجد . والملك عبد العزيز مُصغٍ إلى أن أنجز فيصل ما عنده ، فقال ما مؤداه أنه سبق أن أشير إلى أنّ هذه المسائل لا يتناولها حديثهما ، وأُبلغت الحكومة العراقية ذلك كما أُبلغه المندوب السامي . وكان المندوب السامي ورئيس الوزارة العراقية حاضرين في المجلس ، فذكر السر همفرز أنه وصله هذا الخبر وأسف لأنه لم يخبر الملك فيصلاً به. وذكر ناجي السويدي أنه وصل إليه الخبر أيضاً ولكنه رأى أن المصلحة تقضي بالاجتماع ،وأنه لا مانع من البحث . فالتفت الملك فيصل إلى رئيس وزرائه يؤنّبه . واستعمل الملك عبد العزيز

لباقته في الموضوع ، فقال : إن الأمر متروك لجلالة الملك فيصل إن شاء البحث بُحث وإن شاء تُرك لمندوبي الحكومتين . فاقترح فيصل أن يحال البحث إلى مندوبي الدولتين للتداول فيه . فانسحب مندوبو الحكومتين إلى جانب من جوانب الباخرة . ووضعوا « مشروع معاهدة صداقة وحسن جوار » كما وضعوا مشروعاً لمعاهدة « تسليم المجرمين » ولكنّ الاتفاق لم يتمّ نهائياً على المعاهدتين ، بسبب الاختلاف على تعريف المجرم السياسي ، ورغبة الجانب العراقي في عدم تسليم « ابن مشهور » في حين أن الحكومة البريطانية كانت متعهدة بتسليم جميع العُصاة الذين كانت تطاردهم القوات السعودية .

اجتماع الملكين



عبد العزيز وفيصل بن الحسين على الباخرة « لوپن »

وتناول البحث بين الملكين ، بصورة خاصة ، استعراض ما كان بين آل سعود والحسين وأولاده ، وقد أوضح الملك عبد العزيز للملك فيصل أنه لم يسبق أن ابتدأ الشريف حسيناً ولا أحداً من أنجاله بعداوة أو خصومة ، ولكن الحسين لما عينه الترك شريفاً على مكة كان أول ما بدأ به ، فورَ وصوله إليها أن أخذ قوة من الحجاز وسار بها إلى نجد وأغرى جماعة من عتيبة بالاحتيال على أخيه « سعد بن عبد الرحمن » ثم احتجزه وهو في أواسط نجد . وذكر أنه كان مضطراً في ذلك الوقت للقيام بواجبه ، فمشى للدفاع عن نفسه ، وأن الأمر انتهى بسلام وأعيد سعد . فكان هذا أول بادرة للخصومة لم يتقدمها أي استفزاز ، وظل الملك حسين لا يخفي بوادر نفسه إلى أن كان يوم « تُرَبَة » وأعقبه دخول الحجاز . وهنا لم يتردّد الملك فيصل في توجيه بعض اللوم إلى أبيه ، وقال : إن المحرض الأول له كان خالد ابن لُؤَيّ فقد قابلهم في جدة أول وصولهم إلى الحجاز من استانبول ، وقال لهم إذا أردتم تأسيس ملك الحجاز فلا يمكن تثبيت هذا الملك ، وسلطان عبد العزيز بن سعود في نجد .

ثم جرت محادثات عامة للقيام بمساع مشتركة لتحرير سورية ، والسير بالاتفاق والتفاهم إلى ما فيه مصلحة الوحدة العربية . وتبودل في ذلك كتابان رسميان ، حدثت بعد توقيعهما أزمة « شكلية » ما لبثت أن حُلَّت . وذلك أن الملك فيصلاً جعل فاتحة كتابه للملك عبد العزيز : « أخي الملك عبد العزيز » متجاهلاً لقبه الرسمي — يومئذ — وهو « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » وروجع الملك فيصل في ذلك ، فلم يتحوّل عن رأيه. وكاد الملك عبد العزيز أن يردّ إليه كتابه . فتدخّل السر همفرز في الأمر ، وتعهد للملك عبد العزيز بأن تصله برقية من الملك فيصل باللقب الرسمي ، فقبل الكتاب . وتلقى على أثر ذلك برقية من الملك فيصل ، من البصرة ، بالعنوان الرسمي « ملك الحجاز . ونجد وملحقاتها » .

تعليقـــات

ويمكن أن يضاف إلى مقدمات البحث ، أن الملك عبد العزيز ، لما عرضت عليه فكرة الاجتماع ، أمر وكيله في الكويت ٢٠ شعبان ١٣٤٨ (١٩٣٠/١/٢٢) بإبلاغ الممثل السياسي البريطاني فيها ، أنه يرحب كل الترحيب بالاجتماع بالملك فيصل في إحدى المنطقتين الحياديتين بين نجد والكويت والعراق [١]

، ، ،

وفي مذكرات خالد الفرج (المخطوطة) وكتاب «صقر الجزيرة» تفصيل آخر للموضوع ، تتم الفائدة بإيجازه هنا ، تعليقاً على ما تقدم :

كان الاجتماع في الطرادة لوپن على مقربة من مصب شط العرب يوم ٢٣ رمضان ١٣٤٨ (١٩٣٠/٣/٢٢) وقد وصل الملك عبد العزيز إلى « الجبيل » يوم ١٩ رمضان بعد أن اجتاز ٢٦٦ كيلو متراً على السيارة من مقرّ عسكره . وركب ومن معه الزوارق البخارية من الجبيل يوم ٢١ رمضان إلى « رأس تنورة » حيث كانت تنتظره الباخرة البريطانية « پاتريك ستيوارت » لتقله إلى الطرادة « لوپن » وفي طريقه إلى « لوپن » أمر بأن تتوقف الباخرة – پاتريك ستيوارت – في البحرين ، فتوقفت إلى أن زودها وكلاؤه آل القصيبي بما تحتاج إليه من فرش وأثاث ومأكل ومشرب وتابعت سيرها إلى « لوپن » حيث كان المندوب السامي في العراق السر همفرز ، ينتظر قدوم الملكين . ووصل الملك عبد العزيز أولاً ، ثم الملك فيصل (على الباخرة نرجس) ورُفع العلمان السعودي والعراقي . وسعى كلّ من الملكين للقاء صاحبه ، فتصافحا وتعانقا ، وقدّم الملك فيصل رجال معيته إلى الملك عبد العزيز ، وهم : ناجي السويدي رئيس الوزراء ، ورستم حيدر رئيس الديوان ، والكولونيل كورنوالس مستشار وزارة الداخلية ، وتحسين قدري

---

(١) برقية صدرت عن بغداد يوم ٢٤ / ١ / ١٩٣٠ ونشرتها الصحف في اليوم التالي

مرافق الملك،وعبد الله المسفر المضايفي . وقدم الملك عبد العزيز رجال معيته إلى الملك فيصل وهم : عبد العزيز القصيبي ، وفؤاد حمزة ، و مدحت شيخ الأرض ، ويوسف ياسين ، وحافظ وهبة . وبعد التعارف دخل الجميع حجرة الجلوس ، فابتدأ الملك فيصل شاكراً للحكومة البريطانية ومندوبها السامي سعيهم لحصول هذا الاجتماع الذي سيكون فيه التآخي بين العرب .



الملكان في وضع آخر

ثم تكلم الملك عبد العزيز فقال : إن الحكومة البريطانية وفخامة المندوب السامي يُشكرون على هذا السعي ولكن الواجب على العرب وأمرائهم أن يواصلوا ، فيما بينهم ، السعي للاتحاد والاتفاق . وأفاض في هذا الموضوع مبيّناً التقصير الذي كان من العرب نحو أنفسهم . وتكلم السر همفرز ، معرباً عن سروره وسرور الحكومة البريطانية بعقد هذا الاجتماع الذي ينتظر الجميع من ورائه الخير الكثير للبلاد العربية .

وبعد أن شربوا القهوة اختلى الملكان ، ليبثّ كلّ منهما أخاه ما في نفسه ، ويكون التصافي المنشود . فلبثا برهة ثم استدعيا السويدي وكورنوالس ورستم حيدر وفُؤاد حمزة ويوسف ياسين وحافظ وهبة .

وقد تناول الملكان الغَداء على مائدة السر همفرز . وفي المساء أُعدت مأدبة فاخرة في باخرة الملك عبد العزيز . ولما أقبل فيصل استقبله عبد العزيز على سلّم الباخرة.وحضر الوليمة السر همفرز وحاشيته وحاشيتا الملكين.وفي اليوم التالي أجاب عبد العزيز دعوة فيصل إلى طعام الغداء على الباخرة « نرجس »

وفي ٢٥ رمضان ١٣٤٨ أقلعت الباخرة « پاتريك ستيوارت » بالملك عبد العزيز ، ميممةً الجنوب .

، ، ،

وكان المقرر أن ينزل عبد العزيز من ميناء البحرين في الزوارق البخارية إلى « العُقَير » ولكنه رأى — على الرغم من بعض المعارضات الدبلوماسية ، في رواية خالد الفرج — أن يزور الشيخ عيسى آل خليفة (أمير البحرين) ويسلّم عليه . وكان يجلّه كثيراً . فتلقاه عيسى في « المَنَامَة » والدموع تترقرق في عينيه . وقد قال الشيخ عيسى بعد ذلك : لا أبالي الآن متى متّ بعد أن رأيت عبد العزيز في هذه الحال .

وبعد المقابلة القصيرة ، توجه عبد العزيز ومن معه ، على الزوارق البخارية ، إلى العُقير فالأحساء .

وأقام في الأحساء إلى ٥ شوال . وغادرها على السيارات إلى الرياض فدخلها في ٨ شوال ١٣٤٨ (١٩٣٠/٢/١٠)

الملك عبد العزيز

في مجالسه العامة والخاصة

كانت للملك عبد العزيز أوقات مخصصة لمجلسه العامّ ، يدخله كل قادم عليه . ويمتلىء كثير من المقاعد بمن يحضر من إخوته وأبنائه ومستشاريه وخاصته يجلس آل سعود عن يمينه أو يساره، في صف واحد، وفي نظام ثابت محكم ، بحسب أعمارهم ، الأكبر فمن يليه ، ويوسع أي واحد منهم المكان لمن هو أسن منه ، ولو بأيام . يفعلون ذلك بحركة سريعة « أوتوماتيكية » ومن لم يكن منهم ، جلس في صف آخر إلى جانب الملك . عن يمينه أو عن يساره . ويظلّ عن يمين الملك فراغ لبضعة أشخاص قد يحضرون أو يحضر بعضهم ، من ضيف كبير أو ذي شخصية مرموقة ، إذا دخل مسلّماً على الملك وقف له ، ووقف الجميع ، ومدّ يده لمصافحته وأشار إليه بالمكان الذي ينبغي أن يجلس فيه ، إلى جانبه ، أو قريباً منه ، أو بين الجماعة الذين هم المستشارون والخاصّة ، فمن يليهم .

وكل داخل على مجلس الملك ، ممن لا يريد التكليف عليه بالقيام ، والسلام باليد ، أو تقبيل يده ، يقف في مدخل المجلس ويرفع صوته قليلاً بتحية الملك : صَبّحَك الله (أو مسّاك) بالخير ويجلس حيثما يجد فراغاً في المكان . وإذا كان الملك مشغولاً بحديث مع أحد القريبين منه أو بقراءة ورقة أو بإملاء كلمة أو بشاغل ما ، دخل القادم بهدوء إلى حيث ينتهي به

المجلس ، أو إلى مكانه المعتاد جلوسه فيه ، ويجلس مترقباً انتهاء الملك من عمله فيقف ، رافعاً صوته بالتحية . وقد يجيب الملك بهزّ رأسه أو تحريك شفتيه أو بلفظ « بالخير » وإذا أراد أحد الجالسين الانصراف ، انسلّ بحركة خفيفة ، لا سلام معها ولا كلام ...

وإذا تكلّم الملك في مجلسه العامّ ، أنصت الجميع بطبيعة الحال . فإذا سكت أو انتهى من حديثه ، فلكلّ شخص من الجالسين ، كبيراً كان أو صغيراً ، أميراً أو موظفاً أو زائراً ، أن يتكلم موجهاً خطابه إلى الملك ، ولا يقاطعه أحد مهما تكن مكانته إلاّ من كان من المعبّرين عادةً عن رأي الملك ، أو من معارض له يريد مناقشته . والمبدأ العامّ هو حرية القول لمن شاء الكلام ، عندما يصغي الملك أو يصمت .

وأكثر ما تكون مجالس الملك العامة ، قبل الظهر ، وبعد صلاة العصر . وهناك مجلس يومي آخر ، هو بين الخاصّ والعامّ ، يبدأ بعد صلاة العشاء وينتهي بانقضاء سهرة الملك ، قلّما يحضره أحد من الأمراء السعوديين . ويقتصر في الغالب على كبار الموظفين وبعض الأعيان ، والضيوف غير الأجانب .

يفتتح هذا المجلس بالدرس . ولا أسميه « الدرس الديني » لأن ما يتلى فيه كان مختلف الأنواع ، بين تفسير للقرآن ، سمعت فيه فصولاً من « تفسير القرطبي » وبين نظرة في كتب التاريخ ، سمعت فيها صفحات من « البداية والنهاية » لابن كثير ، وبين إلمامة بالأدب والأخبار ، حضرت منها شيئاً من « الآداب الشرعية » لابن مفلح. وقد قرئت له هذه الكتب الثلاثة، وغير القليل من أمثالها ، من بدايتها إلى نهايتها ، في زمن امتدّ من بدء إمارته إلى ختام حياته . وكانت الطريقة في هذا « الدرس اليومي » أن يجلس القارىء وهو موظف رسمي ، من رجال العلم بهذا الشأن ، في أقصى مقعد من يسار الملك ، وأمامه مصباح كهربائي ، يدير زرّه فيضيء . ويفتح كتاباً فيقرأ منه فصلاً بعد الفصل الذي قرأه في الدرس السابق . ثم يغلقه ، ويقرأ فصلاً

آخر من كتاب آخر . والعادة أن يبدأ بتفسير القرآن ، ويثنّي بالتاريخ . ولا تزيد المدة عن نصف ساعة . ويُختَم الدرس بإغلاق الكتاب وإطفاء المصباح ، وانسحاب القارىء بهدوء . وليس من عمل القارىء أن يشرح أو يزيد شيئاً على تلاوة « المتن » وفي أكثر الأيام تَعْلَق في ذهن الملك « آية » يستشكل تفسيرها ، أو حديث نبوي أو موعظة أو « حادثة » من التاريخ تستحق التعليق عليها ، فيتساءل ، أو يتحدث بما يخطر بباله في الموضوع . ويتناول أهل المعرفة (وسواهم) من الجالسين،الآية أو الخبر — تاريخياً أو أدبياً ، وربما كان بيتاً من الشعر — بتعليقاتهم .

وكثيراً مايدور الحديث حول خبر جديد ، مما يلتقطه موظفو الاستماع إلى مختلف الإذاعات . وهؤلاء يدخل أحدهم مجلس الملك العامّ أو شبه الخاص ، ويتلو ما تجمع لديه ولدى زملائه من أخبار ، وهو واقف ، بصوت يسمعه كل من في المجلس . فإن كان في ملتقطاته « جديد » دارَ الحديث حوله . وقد يتكرّر الدرس مرتين في اليوم ، والإذاعة مرتين أو أكثر .

وسألت عالم آل سعود اليوم ، الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (أخا الملك عبد العزيز) عن مبدأ عادة « الدرس »هذه،والتعليق عليه ، فقال : إنها قديمة تناقلناها عن أسلافنا .

وكان عبد العزيز ، في أعوامه الأخيرة ، إذا انقضى الدرس ، أخرج الجلوس عن صمتهم بخبر سمعه ، وترك لهم مجال التعليق . وقد يناقشهم ويناقشونه ، حتى إذا سكنت حدة النقاش ، هدأت أعصاب الملك ، وغفا اغفاآت خفيفة ، بينما يتهامس جلساؤه ، كل متجاورَيْن فيما بينهما . وإذا صمت الجميع وساد السكون، فتح الملك عينيه وقال : ما يخالف! (أي : لا بأس) امضوا في أحاديثكم كما كنتم . وكأنه بهذا يأنس بسماع الحديث ويظل بين النائم واليقظان . ثم ينظر في الساعة ، فإذا حان موعد انفضاض المجلس ، قال : هاتوا الحصان ! ويعني بالحصان الكرسيّ الذي

أهداه إليه الرئيس الأميركي روزفلت، حينما التقيا في البحيرات المرة، عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م). ويسرع بعض الخدم بتقديم الكرسي ذي الدرّاجات الأربع، فينهض الملك متثاقلاً من مجلسه ويعتلي الكرسي، فيدفعه الخدم إلى جهة «الحريم»

أما مجالسه الخاصة فكان جلّها للعمل. بحضور أخيه الأمير عبد الله وولي عهده وبعض مستشاريه ورئيسي الديوان والشعبة السياسية، ومساعد رئيس الشعبة، ويسمي الجميع «الرَّبْع» يجلسون متربعين بين يديه، كالحلقة، وهو على كرسيه، ينحني عليهم ويمتد عنقه فوقهم. ويبدأ رئيس ديوانه يتلو ما عنده من برقيات. ويملي عليه الملك أجوبتها. وكثيراً ما ينظر في وجوه «الربع» عند إملاء الأجوبة، فإن كان لأحدهم رأي طرح للبحث. ثم يأتي دور مساعد رئيس الشعبة السياسية فيتلو خلاصات للرسائل والعرائض الواردة، ويجيب الملك على كل منها بإيجاز يصوغه الكتّاب فيما بعد، وقد يعاد عرض المهمّ منها عليه، قبل إنفاذه. وهناك ما يأتي من سفاراته في البلاد الأجنبية، كالتقارير السياسية وأمثالها، فإنه إلى أن ضعف بصره في العامين الأخيرين قبل وفاته، كان يقرأها بنفسه، ويملي الإجابة على بعضها كما يملي التعليمات والأوامر، بالنصّ، لا يأذن لأحد من كتّابه بزيادة فيه أو نقصان. ولكنه يرعى بسمعه وببصره أية ملحوظة يبديها أحد الجلوس لديه، في الموضوع.

الملك عبد العزيز

في حديثه

ليس من المبالغة ولا من الثناء ، أن أذكر أن عبد العزيز كان عجباً في سرعة الخاطر إذا تحدث ، وفي قوة الحجة إذا أراد الإقناع .



الملك عبد العزيز

(عن صورة برونزية)

ما كان يَسأل عنه سائل ، أمام من يعرفه إلاّ أجابه العارف به : ليتك تراه وتسمعه ..

لقيت كبيراً أميركياً يتهيّأ للقيام بعمل رسمي في البلاد السعودية . ورأيت أمامه بضعة كتب أشار إليها وقال لي : كل هذه الكتب عن الملك « ابن سعود » سأقرأها قبل أن أذهب إليه . ومضى بعد حين إلى الرياض . وتعددت مقابلاته للملك ، ثم عاد فمرّ بالقاهرة — وكنت يومئذ فيها — فسألته عن الملك والكتب ، فقال : ما قرأته شيء ، وابن سعود شيء آخر . إنه أعمق من كل ما وُصف به ..

وقال لي صديق ، كان وزيراً للخارجية في سورية : أعجب ما رأيت في الملك عبد العزيز أنني لم أكد أبدأ الحديث معه ، حتى استوقفني وأجاب على ما قلت وعلى ما كنت مزمعاً أن أقول ..

وعاد شكري القوتلي من أول زيارة قابل بها الملك عبد العزيز ، فكان مما وصف به « ذاكرة » الملك وحضور ذهنه ، أنه يَعُدّ وجهات النظر في الموضوع وهو يتكلم ، فيقول مثلاً : أمامنا طريقتان أو ثلاث بل أربع .. قال القوتلي : واسترسل مرّة فقال : ستّ بل سبع ، بل ثمان .. وأوردها جميعاً ، واحدة فأخرى .. يعدّها على أصابعه .

ولعلّ القارىء لم ينس كلمة الرئيس روزفلت ، وقد أذاعها البرق بعد مقابلته للملك عبد العزيز : « لقد فهمت من الملك ابن سعود في عشر دقائق عن قضية فلسطين ما تعذّر عليّ فهمه في عشر سنين .. »

، ، ،

وسرّ القوّة في حجة عبد العزيز أن عقله كان يسبق لسانه ، وأنه ينسى العاطفة أمام « المنطق » ولا يقول إلا ما يعتقد .

الملك عبد العزيز

في خطبه

لم يكن يهيء الخطبة كما يفعل أكثر الناس ، وفيهم من يكتبها ويحفظها . ويكاد سامعه لا يعرف أنه يخطب إلاّ من ارتفاع صوته هادراً ، ومن ابتدائه — حين يريد الاسترسال والتوسع — بحمد الله ثم بالصلاة على نبيّه كما كان يصنع الخلفاء الراشدون ومن جرى على سننهم .

يتحدّث حين يخطب ، منطلقاً على سجيته ، غير متأنق ولا متكلّف . فيفيض في الشطر الأول من خطبته — أو من حديثه — بما تمليه عليه ذاكرته من عظات يستمدّها ، أو يستمدّ معاني أكثرها من الحديث النبوي ومن آيات كتاب الله . ويأتي بالشواهد ، وقد يتمثّل بالبيت من الشعر أو بالشطر ، يَرِد في كلامه عرضاً ، لا على أنه قول يُنشَد ولكن على أنه كلام محكم يُورَد .

ويتناول الموضوع . فإن كان عادياً ، كافتتاح مجلس أو شروع في تنفيذ مشروع ، أو تحدث إلى فريق من الناس ، تكلم هادئاً متمهلاً تتخلل قوله ابتسامة خفيفة تجتذب إليه قلوب سامعيه ، وإن لم تكن الابتسامة فليس هناك عبوس ولا تجهّم ، ولا يُلمح على وجهه في أيّ حال ما يعلو وجوه معظم الخطباء من تحديق ، في قريب أو بعيد ، ومن اصطناع للجدّ . لا أثر للنكتة في خطابته ولا توقّف لمعرفة رأي السامع فيما يقول .

أما إذا كان الموضوع لأمر جلل ، كمواقفه في اجتماعات شيوخ نجد ، وقد استمر في بعضها ساعتين أو أكثر ، فكان هناك « الخطيب » حقاً ، المتجهّم المزمجر ، لا يتلكأ ولا يتلعثم ولا يتمتم ولا يجمجم . انطلاق في فسيح من مجال القول . شواهد حيّة من أحداث عرفها السامعون أو أدركوا من عرفها ، وحججٌ وبراهين .. هناك كان يتكلم « الإمام » وليس فيمن حوله من يدعوه بأكثر من عبد العزيز . وقد يتجمّل بعضهم فيقول : يا طويل العمر ! إصغاء إلى كل حرف ينطق به . لا هتاف ولا تصفيق ، ولا صياح ولا زعيق ..

لم تنحصر مواقفه « الخطابية » هذه في نجد ، بل رآها بعض أبناء الأقطار الأخرى من بلاده . وكثيراً ما كان يتحوّل إلى « الخطابة » بمعناها الصحيح ، وهو في إحدى خطبه « العاديّة » إذا استفزّه في خلالها أو قبيل شروعه فيها ، قول أو حدث يستثيره . وإذا كان في الخطباء من يدركه العثار حين يستثار فالملك عبد العزيز كان أبين ما تراه حين يجدّ الجدّ ويُقتدح الزند .

قال « كنث وليمز » : مواهب ابن سعود الخطابية عظيمة ، بل هي من عوامل احتفاظه بعرشه . يُظهر مقدرة عجيبة في أحاديثه العامة والخاصة ، وهو إذا تكلم تدفق كالسيل . يُحبّ التحليل وردّ الشيء إلى أصله ، شديد الولع بتشريح المواضيع تشريحاً يدلّ على ذكاء وفطنة ولباقة . يخاطب البدويّ بلهجة البدويّ ، والحَضَري بلهجة الحضري ، وما استمع إليه أجنبي إلاّ خرج مفتوناً بحديثه .

، ، ،

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أنه كانت له أيضاً خطب وتصريحات ، رسمية أو شبه رسمية ، كان يملي « الفكرة » فيها ، على بعض كتّابه ، فتصاغ الصياغة الأنيقة ، ولا يلقيها هو ، وإنما يتلوها بالنيابة عنه أحد مستشاريه أو وزرائه . ولا يكون عبد العزيز هو المتكلم إلا إذا تحدث ، أو ارتجل واستثير .

بلاده في بعض كتب الأجانب

أورد الدكتور « دوجي » Duguet في كتابه « حج مكة » أسماء من دخلوا مكة والمدينة من الأوربيين ، وكتبوا عنهما ، وهم :

١ — لودو فيكو بارتيما ، سنة ١٥٠٣م : أول أوروبي دخل مكة وقد سافر من دمشق مع قافلة ، فعرفه أحد المماليك ، قائلاً انه رآه في البندقية (فينيسيا) وفي جنوا ، فاعترف بذلك وقال انه كان قد اعتنق الإسلام . وقُبل ذلك منه ، فنجا ، وسافر عن طريق جدة وعدن . وقُبض عليه في هذه ، فساعدته على النجاة زوجة السلطان (؟) إذ نصحته بأن يتظاهر بالجنون ، ويفرّ على إحدى البواخر إلى الهند .

٢ — قَنصان لبلان ، سنة (١٨٦٨م) رحل أيضاً من دمشق بصفة تاجر ، مع إحدى القوافل . ولكنه اهتم ، بنوع خاص للناحية التجارية للحج .

٣ — يوهان ڤيلد : (ألماني) أسره الهنغاريون ثم الترك ، ودخل في خدمة أحد الإيرانيين ، فصحبه في رحلة إلى مكة سنة (١٦٠٧م) ، مع قافلة مصرية عن طريق السويس ، فجبال العقبة ، فينبع . وأقام ٢٠ يوماً في مكة .

٤ — جوزيف پت ، سنة (١٨٦٠م) : أول إنكليزي زار مكة . بينما

كان مسافراً في البحر الأبيض المتوسط ، أسره بعض القرصان الجزائريين في أحد الشواطىء الإسبانية . وبيع في الجزائر ، وأجبر على الإسلام ، فأسلم . وذهب مع مالكه إلى الحج وعاد إلى القاهرة براً ، في أربعين يوماً لم ير فيها عرقاً أخضر .

٥ – باديا اي ليبليش ، سنة (١٨٠٧) : أول من كتب وصفاً كاملاً لمكة . كان صديقاً لسلطان مراكش . ودخل مكة ، وعاد يريد المدينة عن طريق جدة ، مع قافلة زعم أن « الوهابيين » اعترضوها وسلبوها كل ما معها .

٦ – بوركهارت ، سنة (١٨١٤ – ١٨١٥م) : رحل مع عبد إفريقي واتهم بالجاسوسية للبريطانيين ، فقبض عليه ، فادّعى الإسلام . وامتحن في القرآن ، فأجاد القراءة وأُطلق ؛ فحجّ وسافر إلى المدينة ، فمكث ثلاثة شهور . وفي أثناء إقامته كانت حملة محمد علي باشا تتقدم في زحفها .

٧ – جيوڤاني فيناتي ، الملقب بالحاج محمد : سنة ١٨١٤ م . كان جندياً ألبانياً في مصر ، وذهب مع حملة محمد علي إلى الحجاز ، فدخل مكة في موسم الحج . وعاد إلى مصر مع الحماة .

٨ – ليون روش ، الملقب بالحاج عمر : سنة ١٨٤١ – ١٨٤٢ إفرنسي المولد ، مسلم النشأة. كان ضابطاً في الجزائر . وشارك في إحتلالها. وأرسل في بعثة إلى مكة ، يحمل رسالة إلى علمائها من عرب الجزائر ، باستعدادهم لوقف الحرب بينهم وبين الافرنسيين على شرط احترام عقائدهم وعاداتهم . وقابل محمد علي باشا في أثناء مروره بمصر . وكان ذهابه إلى الحجاز قبل الحج ببضعة أيام ، مع قافلة مصرية ، فزار المدينة أولاً ، ثم مكة . وقابل الشريف . وذهب إلى عرفات . ورآه اثنان من أهل الجزائر ، يعرفانه غير مسلم ، فأمر الشريف باعتقاله إنقاذاً له من الجمهور . وحُمل على جمل إلى جدة ، حيث أبحر بعد سبع ساعات.

٩ – جورج أوغسطس والين (وليّ الدين) سنة (١٨٤٥م) : فنلندي

خرج من القاهرة إلى البلاد العربية ، بصفته طبيباً . وتزيا بالزيّ الإسلامي ، يصحبه دليل ، فلقي ركباً من الحج الإيراني والعراقي فصحبهم إلى المدينة ومكـة .

١٠ — سـ ريشار بورتون (الشيخ حاج عبدالله) سنة (١٨٥٣م) : ضابط إنكليزي مستشرق . كان في جيش الهند . وهو وبوركهارت : أشهر الرحالين الذين دخلوا مكة . رحل من السويس على زورق شراعي حمولته ٥٠ طناً ، فأمضى ١٢ يوماً لاجتياز ٦٠٠ ميل بين السويس وينبع . وذهب منها مع ركب إلى المدينة ، حيث مكث خمسة أسابيع وصل في أثنائها الحج الشامي . ثم ذهب مع إحدى قوافل الحج إلى مكة وعرفات ومنى فمكة . وبعد ثلاثة أشهر عاد إلى السويس .

١١ — فريهر ڤون مالزن ، سنة (١٨٦٠م) : اجتمع بالسر ريشار في القاهرة ، وأخبره هذا برحلته ، فقام هو بمثلها متنكراً .

١٢ — هيرمان بيكنيل ، سنة (١٨٦٢م) : هو الإنكليزي الوحيد الذي دخل مكة ، بملابسه الأوروبية ، بفضل اشتهاره بأنه من كبار المسلمين . رحل من القاهرة مع الحج المصري ، وحج ؛ وعاد بعد الحج فوراً .

١٣ — جون فراير كان : رحل سنة (١٨٧٧م) ، مدعياً أنه اعتنق الإسلام حديثاً ، وعرف أمره فهوجم وضرب وفر ، فاختبأ ثلاثة أسابيع . ثم ذهب إلى المدينة ، ووصفها بأنها أجمل مدن العالم .

١٤ — هيور كرونيه (هولندي) ، سنة (١٨٨٥م) : أقام ستة أشهر في مكة ، فتلقى العلوم الدينية بصفته قد أسلم ، أو مرشحاً لدخول الإسلام (كذا)

١٥ — جيرڤي كورتيلّومان : جزائري كان في مكة سنة (١٨٩٤م) ، مع عربي سبق أن جيرڤي أنقذه من السجن . ولم يحضر الحج .

١٦ — ويفل : سنة (١٩٢٨م) : ضابط بريطاني . ذهب من دمشق إلى

المدينة ، وكتب رحلة عن الحج إلى مكة .

١٧ — ايلضون رويتر : سنة (١٩٢٥م) : إنكليزي اعتنق الإسلام . وصنف كتاباً عن البلاد العربية المقدسة طبع بالإنكليزية سنة (١٩٢٩م)

١٨ — دينيه : سنة (١٩٢٩م) . إفرنسي . رحل إلى مكة والمدينة في أواخر حياته . وكان قد أقام ٤٥ عاماً في الجزائر . واعتنق الإسلام .

الملك عبد العزيز

والأدارسة في عسير

سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) نزل بصَبْيا[١] فقيه من متصوفة المغرب اسمه « أحمد بن إدريس » يَرْفع نسبه إلى الإمام إدريس بن عبدالله المَحْض من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب . وهو من أهل فاس . ولد في إحدى قراها « ميسور » سنة ١١٧٢هـ (١٧٥٨م) وجاور بمكة نحو ٣٠ عاماً . والتفّ حوله مريدون تلقوا طريقته « الأحمدية »[٢] وهي على نمط الشاذلية . وانتقل إلى « صبيا » سنة ١٢٤٦هـ . فكثر أتباعه وعلت له شهرة . وتوفي بها سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) »[٣] .

وخلفه ابنه (محمد بن أحمد) فاستفاد من مقام أبيه في نفوس العامة ،

---

(١) صبيا : بلدة صغيرة في المخلاف السليماني، على ٣٢كيلومتراً من شرقي « جازان » ونحو ٢١٠ كيلو مترات من جنوبي « أبها » و٧٦٤ كيلومتراً من جنوبي جدة . تتألف من قريتين « صبيا الجديدة » وكانت مقر الأدارسة ،«وصبيا القديمة » ويقال لها « الخواجية » نسبة إلى الأشراف الخواجيين أصحابها في السابق . وحوالي سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، كانت نفوس القريتين قرابة ٦٥٠٠ نفس ، الذكور منهم نحو ٣٢٠٠ وأهلها خليط من الحضارم وبعض القبائل . أكثرهم شوافع . وفيهم قليل من الزيدية . عملهم الزراعة وتربية المواشي والتجارة – «منمذكرة أبي الوليد » الآتية ، في ختام هذا البحث .

(٢) ويقال لها « الإدريسية » كما في الرحلة اليمانية للبركاتي .

(٣) الأعلام للمؤلف . وفي ملوك العرب – الجزء الأول – إسهاب في سيرته وطريقته .

واستمال بعض العشائر ، وألبس طريقته التقشفية ، ثوباً سياسياً ، فكان له نفوذ وشبه إمارة. وتزوّج بسو دانية ولدت له ابناً دعاه عليّاً . وتزوج عليّ بهندية[١] ولدت له « محمد بن علي » سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) فكان هذا داهية البيت ، وكبير رجاله .

رحل محمد بن علي في صِباه ، من صَبْيَا إلى مصر ، فتعلم في الأزهر حيث أقام ست سنوات (١٣١٤ – ١٣٢٠هـ) ثم في الكفرة بالمغرب . وانتقل إلى « أرجو » من قرى دنقلة بالسودان فتزوج فيها[٢] .

وعاد إلى صَبْيا فتولى « طريقة » جده وإمارة أبيه، فيها و في أطرافها . وزاد عليهما تلقيب نفسه بالمَهْدي المنتظَر . وأتى بالعجائب ..

قال الشريف شَرَف البركاتي في « الرحلة اليمانية » ما مؤداه : كان عند الإدريسي « صندوق الكهرباء » المحرّك للأعصاب ، عند المَس ّ . وفي إحدى الليالي أخرج من داره الحبل– السِّلك – المتصل بالصندوق ، إلى مكان احتشد فيه جمع كبير من الأعراب ، وأمر بعض أعوانه أن يغري أحد رؤساء القبائل بأن يمسك قبضة نحاسية كانت في طرف الحبل ، فلما أمسكها اختلجت أعصابه ، فأمسك به شخص آخر ليخلّصه ، فسرى إليه التيار الكهربائي ، فأخذ الحاضرين العَجَب ، وصاحوا مستجيرين بمدد الإدريسي ! فبطلت حركة الصندوق في الداخل، وخرج الإدريسي ،فتهافتوا عليهيتبركون به ... وأشاع مريدوه أن سيفه يقطع رأس عدوه من مسافة أميال ، وأن رصاص الأعداء لا يؤثر في قومه وأعو انه . وانبثّت تلك الخرافات في أنحاء اليمن وتِهامة ، وتحدث الناس بها في مصر .

، ، ،

(١) ملوك العرب .

(٢) قال الريحاني : تزوج في بلاد السود ، بلاد أبيه وجدته ، لأنه لم يكن في دمه وهيأته ما يوفقه إلى غير ذلك .

وناوأ الأدريسيُّ ، الترك (العثمانيين) وكان لهم السلطان في أكثر البلدان والمرافق المحيطة به ، فأرسلوا إليه وفداً ، برئاسة شيخ اسمه توفيق الأرناؤوطي ، من رجال الطريقة الإدريسية (طريقة جده) يتعرف دخيلته . ووراء الوفد جيش أقام في جازان .

وتمكن من إقناع الوفد ، بإخلاصه للدولة ، وأنه لا يريد إلاّ الإصلاح . وطلب أن يزوره قائد الجيش (واسمه سعيد باشا) فجاءه من جازان . وأظهر له الإدريسي عزمه على مدّ أسلاك برقية تربط بلاده بالبلاد المجاورة لها ، وإنشاء سكة حديدية . وأعجب به سعيد باشا ، فتفاهما على أمور لا بدّ فيها من إشراك أكبر موظف عثماني في تلك البلاد « سُليمان شفيق كَمالي باشا » متصرف لواء عسير . وكانت إقامته في « أبها » فكتب إليه الإدريسي ، مشتركاً مع سعيد باشا ، يدعوانه لزيارة صَبْيا . وأقبل سليمان شفيق باشا ، فاتفق معه على أن تستعيض الدولة عن الضرائب ، بالزكاة الشرعية من المحصولات الزراعية والمواشي وأن يتولى هو جمع الزكاة من « بلاد عسير » على أن يكون له الثلث منها . وتعهد بتأليف جيش من الوطنيين لحفظ الأمن وحراسة سكة الحديد وأسلاك البرق (التلغراف) وكتب سليمان باشا إلى قبائل تهامة وعسير يأمرها بتسهيل ما نيط به . ورحل المتصرف والقائد والوفد ، فانصرف إلى أتباعه يحدثهم بما صار إليه شأنه : ها هم عظماء الدولة يسعون إليه ، ويسترضونه ، ويُطلقون يده في القبائل يجنّدها ويجمع زكواتها .

عسير

وعلى ذكر « عسير » يقول كحّالة ، في « جغرافية شبه جزيرة العرب » إنها تقع في الجهة الغربية من شبه الجزيرة ، بين الحجاز واليمن ، وتنقسم أرضها إلى منطقتين : منطقة سهلية تمتد على ساحل البحر الأحمر وتدعى تِهَامة عَسِير ، ومنطقة جبلية تدعى عَسِير السَّراة ومجموع سكانها يناهز مليوناً ونصف مليون نسمة . وكان « لواء عسير » في العهد العثماني إلى

سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) ، يحدّه من جهة الجبل جنوباً « صَعْدة » وشمالاً « زَهْران » ويحده من جهة تهامة جنوباً «وادي أبي عَرِيش» وشمالاً «وادي دوقة » بالقرب من الليث ، ومن الشرق قبائل قحطان القاطنة شرقي صَعْدة ، ومن الشمال الشرقي وادي « بِيشَة » ومن الغرب ، البحر الأحمر ، كما في الرحلة اليمانية للبركاتي .

ويقول فؤاد حمزة في « رحلة إلى بلاد عسير » : إن إطلاق اسم عسير على تلك البلاد جغرافياً هو اصطلاح حديث العهد ، لم يمض عليه أكثر من مئة وخمسين عاماً . أما إذا أُريد به اسم القبيلة أو حِلف من القبائل ، فهو غاية في القدم . والأصل في الاصطلاح الجغرافي ، هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التي تسكنها فيقال بلاد عسير أو « ديرة عسير » وفي أيام الحكومة العثمانية جُعلت بلاد عسير « متصرفية » باسم متصرفية عسير . وقد توسعوا في إطلاق لفظ عسير على بلاد لا يوجد فيها عسيري واحد . ولكن حينما قويت شوكة القبيلة ، وامتدت سيطرتها إلى بلاد القبائل المجاورة لها ، غطى اسمها على اسم تلك القبائل ، وأصبحت تعرف باسمها . وقبيلة عسير المعاصرة حِلف من القبائل ذات الأصول المختلفة ، وهي ترفع أنسابها إلى « أسْلَم » من الأزد سكان السَّراة .

، ، ،

ونعود إلى ما كنا فيه ، فإن القائد « سعيد باشا » شغل بحرب الإمام يحيى في صنعاء. كما شُغلت الدولة باضطراباتها الداخلية بعد الدستور. فبسط الإدريسي سيطرته على تهامة ، من شمالي الحُديدة ، إلى جنوبي القُنفدة وبعض جبال السَّراة . واشترى أسلحة من معامل إيطاليا ، حملتها بواخرها إليه في جازان ، وأخذ رهائن من أبناء العشائر التي يخشى انتقاضها ، فجعلهم عنده ، كما كان يفعل الإمام يحيى . وقطع صلته بالعثمانيين ، وكانوا قد لقّبوه بقائم مقام صَبْيا وأبي عَرِيش ، وأرسل نحو عشرة آلاف من رجاله ، أدخلوا في طاعته ما بين صَبْيا وأبْها ، في الشمال سنة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وعجز

المتصرف (سليمان شفيق باشا) عن مقاومة رجال الإدريسي ، في أبْها ، فحصروه بين جدرانها عشرة أشهر أكل فيها عسكره الهرر والكلاب .



منظر في عسير

انتداب الشريف حسين

وانتدبت حكومة الآستانة أمير مكة « الشريف حسين باشا » — الحسين

ابن علي – لرفع الحصار عن أبْها . فخرج من مكة في جموع من رجاله ، بينهم ضيوفه « الحَفَدَة » من آل سعود ، وهم وأتباعهم نحو ثمانين شخصاً كما سبق القول . وأقبل جيش نظامي من الآستانة ، يُفهم من رحلة البركاتي أنه ستة عشر طابوراً ، يقوده « نَشْأت باشا » فقابله الشريف حسين في منتصف الطريق ونشبت معارك بينهم وبين رجال الإدريسي على مقربة من أبْها، فرحل الإدريسيون عنها. وخرج سليمان شفيق باشا (المتصرف) يستقبل حملات الإنقاذ . وعاد الشريف حسين بمن معه إلى الطائف فمكة .

الإدريسي بين إيطاليا والإنكليز

واعتصم الإدريسي بجبل « فيفاء » مدة قصيرة . ثم عاد إلى « صبيا » واسترد جازان وأبا عريش . وكانت الحرب قد اشتعلت بين الحكومة العثمانية وإيطاليا سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م)[١] ودخل الأسطول الإيطالي مياه البحر الأحمر فاتصل محمد بن علي (الإدريسي) برجاله ، فأمدُّوه بشيء من الذخيرة . قال فؤاد حمزة : إن علاقات السيد محمد ، مع إيطاليا ، وقفت عند هذا الحدّ . واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية ، فعقد معها معاهدة « صداقة » سنة (١٩١٥م) ، بعد إعلان الحرب العامة . وجُدّدت المعاهدة سنة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) واعترفت بريطانيا بسيادته على تهامة ، من اللُّحَيَّة جنوباً إلى القُنْفُذة شمالاً . وتعهدت بحمايته من أي تعدّ خارجي . وتعهد هو بألاّ ينشيء علاقات سياسية أو تجارية مع أية حكومة أخرى إلاّ بموافقتها . وكانت لا تزال للترك العثمانيين سلطة في جنوبي إمارته ، فأمدّه الإنكليز بسلاح تابَعَ فيه غاراته عليهم حتى أخرجهم من بعض الشواطيء ، ووصل إلى « اللحية » وبعد الحرب العامة الأولى ، نزل له الإنكليز عن الحديدة ، وكانوا قد احتلوها في أثناء الحرب ، فضمها إلى إمارته .

---

(١) أعلنت الحرب بينهما في ٥ شوال ١٣٢٩ هـ الموافق (٢٩ / ٩ / ١٩١١ م)

التجاوُه إلى عبد العزيز

ووجد نفسه بين ناري جارَيْه الشريف حسين (في الشمال) والإمام يحيى (في الجنوب) ، الأول يعدّ بلاده جزءاً من الحجاز ، والثاني يعدّ تهامة من اليمن ويعمل على ضمها إليه ، أو على الأقلّ « الحُدَيْدة » التي هي ميناء صنعاء الطبيعي . فتعاقد مع الملك عبد العزيز (سلطان نجد يومئذ) على تأمين مصالح الجانبين . واستمر منيع الجانب مرهوباً إلى أن توفي سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م)

بعد وفاة محمد بن علي

واضطرب ملك الأدارسة بعد وفاة محمد بن علي . وقد خلفه أحد أبنائه « علي بن محمد » وكان ضعيفاً ، فعاجله الإمام يحيى فانتزع منه الحُدَيدة ، وتوغّل في الساحل شمالاً حتى وصل إلى « مَيْدي » فقام أهل البلاد على عليّ فخلعوه ، وبايعوا عمّه « الحسن بن علي » ولجأ عليّ إلى الملك عبد العزيز في أثناء دخوله الحجاز ، فأقام بمكة .

وأراد « الحسن » أن يقلّد أخاه محمداً – كما يقول فؤاد ، في قلب جزيرة العرب – ففاوض الإيطاليين (جيرانه في الشاطئ الغربيّ من البحر الأحمر) في « مُصَوَّع » . وفاوض البريطانيين في عدن ، ومنح إحدى شركاتهم امتيازاً باستخراج النفط من جزائر « فَرَسان » – بفتح الأول والثاني – بشروط مجحفة بالبلاد والأهالي . وفاوض الإمام يحيى ، وهو يأمل وقفه عن التقدم في تهامة ، فلم يفز بطائل . وأرسل ابن عمه « مرغني الإدريسي » إلى مكة ، فعقد باسم الحسن معاهدة مع حكومة الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) وضع بمقتضاها ما بقي من ملك بني إدريس ، تحت حماية عبد العزيز آل سعود . واحتفظ الملك عبد العزيز بالشؤون الخارجية ، تاركاً للحسن إدارة بلاده ، يساعده في أعماله « مندوب سعودي»، اسمه صالح بن

عبد الواحد . وعمد عبد العزيز إلى إلغاء امتياز النفط في فرَسان ، لما فيه من غُبن .

وعجزت حكومة الحسن المحلية عن الاستمرار في ضبط الأمن والإدارة والجباية . وتوجه صالح بن عبد الواحد ، في مهمة ، إلى قبيلة « رِجال ألْمَع » وهي من الشوافع ، فدُسَّت إلى صحف الخارج أخبار تقول : إن المسَارحة وبني شُبَيل وبني حَمَّد ، من قبائل الإمارة الإدريسية ، ثارت على صالح ابن عبد الواحد ، فرحل ..

ووصل من الرياض خلَف له ، يدعى عبد الله ابن ختلان سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨ م) ، ولم تطل مدّته ، فحلّ محلّه حَمَد الشُوَيْعِر ، ثم فَهْد بن زُعَيْر (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) وحالُ الإمارة من سيء إلى أسوأ .

في عهدة الملك عبد العزيز

وأبرق الحسن إلى الملك عبد العزيز ، في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) يقول : كتبكم برفقة « العَبْدَلي » وصلت وتذاكرنا مع وفدكم فتقرر بموافقتنا ورضانا إسناد إدارة بلادنا وماليتنا إلى عهدة جلالتكم .

وأجابه عبد العزيز إلى جيزان ، بما نصه :

لقد علم أخوكم بما كان من وضعكم ثقتكم بالله ثم به ، واعتمادكم عليه . فهذا الأمل فيكم وفي أخوتكم . ولن تروا منا بحول الله وقوته إلاّ ما يسرّ خاطركم . أما من جهتنا ، فثقوا بالله أننا إن شاء الله لن نعمل في بلادكم إلاّ ما يُصلح أحوالكم ويَحصل منه لكم ثلاثة أمور : أولها راحتكم واطمئنان خاطركم وحفظ إدارتكم لكم ، وثانيها راحة رعاياكم ، وثالثها المحافظة على شرفكم وشرف ولايتكم من أي اعتداء يقع عليهما .

ثم أمر الملك عبد العزيز ، بتأليف مجلس شورى للمقاطعة الإدريسية ، من أهلها ، لا تكون قراراته نافذة ما لم يوافق عليها السيد الحَسَن . واختصاص هذا المجلس « النظر في مصالح البلاد ، وتأمين الأمن الداخلي ، وترقية التجارة

والزراعة والتعليم » ولا رأي له في السياسة الخارجية . ويظل الحسن « رئيساً للحكومة الإدريسية » تصدر الأوامر باسمه « بالنيابة عن جلالة الملك » وعين الملك أميراً من قبله « يترأس مجلس الشورى ويدير شؤون المقاطعة » وناظراً للمالية « لتنظيم الجباية والإنفاق » ، وأصبحت المقاطعة جزءاً من بلاد عبد العزيز .

ذيول

على أن الوساوس لم تترك الحسن هانئاً في بلاده . فقد كان على جانب آخر من شبه الجزيرة ، أو خارجها ، من يسوق « ابن رَفَادة » إلى حتفه — وسيأتي ذكره قريباً — وأراد محركو ابن رفادة ، ومحرّضوه ، أن توافق حركته في الشمال حركة ثانية في الجنوب ، فانتدبوا أحدهم للسفر من مصر ، بعد إنشاء حزب فيها سموه « حزب الأحرار الحجازي » سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وذهب مندوب « الحزب » إلى مُصَوَّع ، ومنها دخل اليمن ، فاتصل بالحسن سراً . وزين له ولبعض أقاربه ، القيام على عبد العزيز . ومنّاهم بجحافل « ابن رفادة » وأن الشمال سيشتعل .

وكان من المعقول أن يحنّ الحسن إلى زمن تفرده بالحكم والسلطان ، وقد نسي عجزه عن القيام بأعبائهما ، فمال إلى المدسوس له ، بسمعه ، وبقلبه ، وتجهّم للأمير السعودي « فهد بن زُعَير » ، ورُفع إلى الملك عبد العزيز أن الحَسن وفهداً على غير وفاق ، فأرسل على السيارات « بعثة للإصلاح بينهما » قوامها حَمَد السُّليمان الحَمْدان (وكيل وزارة المالية) وخالد أبو الوليد القرقني (من المستشارين الملكيين) وآخرون . وأصحبهم بعدد من الجُند . وأركب البحر فريقاً من المقاتلة ، احتياطاً للطوارئ . ووجّههم على « سنبوك » إلى جيزان .

وبينما « البعثة » في طريقها إلى صَبْيا ، وثب الحسن الإدريسي على فهد (نائب عبد العزيز) والموظفين السعوديين فيها ، فاعتقلهم قبل أن يتمكنوا

من الدفاع عن أنفسهم .

ووصل الخبر إلى الملك عبد العزيز في الرياض ، فأبرق إلى رئيسيْ البعثة (حمد السليمان ، وخالد أبي الوليد) أن يتوقفا ومن معهما ، في القنفدة . وأمر بتجهيز جيش للزحف إلى صَبْيا .

موقف ونهاية

غير أن البرقية وصلت إلى القنفدة ، بعد قيام البعثة منها . وقد واصلت سفرها ، ولم تعلم بخبر « الانقلاب » إلاّ عند اقترابها من جيزان ، فأدركت خطر الموقف ، واتصلت بمن معها من مقاتلة البحر ، فكانت سفينتهم ـ لحسن الحظ ـ قريبة من الشاطئ ، فأنذرتهم . وتقدّم المقاتلة إلى جيزان ، فبلغوها بعد منتصف الليل . ونزلوا من سفينتهم وليس أمامهم وأمام البعثة بعدهم إلا الأسر أو القتال . فاستبسلوا في مهاجمة جيزان ، وقاتلهم أهلها ، وهم على علم بقيام « أميرهم » الإدريسي . وطلع الصباح فوصلت البعثة وجنودها القلائل ، والمعركة ناشبة ، فخاضوها . وخُيّل لأهل جيزان أن وراء المُغيرين من البر والبحر ، ما وراءهم ، فاستسلموا . واستولت البعثة على البلدة .

وفي ١٨ شعبان ١٣٥١ هـ (١٩٣٢/١١/١٧ م) ، أو حوالى هذا اليوم ، أرست مدرّعة إيطالية ، في مرفأ « المَضايا » على ٣٢ كيلومتراً من جيزان ، في الساحل ، ونزل منها مندوب إيطالي ، ومعه عدد من الجند ، فتوجّهوا إلى الحسن الإدريسي ، وكان نازلاً في قرية الزخمة ، جنوبيّ أبي عريش ، واجتمع به المندوب . ثم عاد ومعه مستشار الإدريسي الخاصّ « محمد الشنقيطي » لاستكمال المفاوضة مع الإيطاليين في « مُصَوّع » والبحث في دخول الإدريسي وبلاده تحت حمايتهم ، فيما قيل ، وجلْب الذخيرة لهم ، وجَعْل مرفأ « المضايا » مركزاً لهذه المواصلات . ووجدت بعد ذلك وثائق مخابرة مع العرشي عامل اليمن ، من أجل إرسال موَن إلى الإدريسي ، على أن يدخل تحت حماية

اليمن (١) .

وتواردت النجدات السعودية من أبها ، ومن البحر . وثبت الإدريسي مدةً إلى أن شعر بالضعف ، فترك « صَبْيَا » ورحل بأقاربه وأهله وخاصته ، فدخل اليمن وحط رحاله في صنعاء .

وكان ابتداء انقلابه في ٥ رجب سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢/١١/٤ م) وانتهت المعارك في أواخر شوّال سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٣/٢/٢٤ م)

، ، ،

وبعد الحرب اليمانية السعودية (أوائل ١٣٥٣ هـ / مايو ١٩٣٤ م) وسيأتي ذكرها ، كان « تسليم الأدارسة » شرطاً من شروط الصلح مع الإمام يحيى ، وأرسلهم الإمام إلى الملك عبد العزيز ، وتسلّمهم الأمير فيصل في « تهامة » . ورأيت السيد الحَسَن وآخرين منهم ، عقيب ذلك في مكة ضيوفاً عند الملك عبد العزيز ، وقد ظننتهم — لأول وهلة — من رُسل النجاشي أو أتباعه .

وزالت إمارة الأدارسة من صفحة الوجود .

تقرير ، عن بلاد عسير

ولعلّ من المفيد ، بعد إيراد ما تقدّم ، أن ألحق به أهم ما جاء في بحث — أو تقرير — عن بلاد عسير ، وضعه أبو الوليد خالد القرقني ، أحد مستشاري الملك عبد العزيز ، على أثر عودته من « عسير » في المهمة المتقدم خبرها ، قريباً ، سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ — ٣٣ م) وما زال نص التقرير من المحفوظات المخطوطة ، في أضابير الديوان الملكي بالرياض ، قال :

طُول مقاطعة عَسِير ، من القَحْمة إلى الموسّم ، على طريق الساحل ٢٥٩ كيلومتراً . وعرضها من الساحل إلى الجبال يتراوح في محلات مختلفة ما

---

(١) من تقرير رسمي أرسلته البعثة الى الملك عبد العزيز .

بين الخمسين والمئة كيلومتراً . وإذا أخذنا الحساب الوسطي من ذلك،واعتبرنا العرض ٧٠ ك. م. على وجه التقريب في كل المقاطعة ، والطول ٢٥٩ ك. م. تكون مساحتها السطحية ١٨١٣٠ ك. م. مربعاً وهي تقريباً معادلة لثلثي مساحة البلجيك .

وأول مركز للمقاطعة ، من الجهة الشمالية « القحمة » وفيها مرفأ « الوَشْم » . والقحمة مركز قبيلة « المنجحة » إحدى القبائل المشهورة . وهي على الساحل كما ذكرنا ، ومركز الحكومة فيها . وليس في القحمة بناية ، بل أهاليها بدو ، ويمتدون شرقاً إلى الجبال . والحَضَر منهم يسكنون الساحل ، في أكواخ من الحَصَف وشجر المَرْخ . وإلى مرفأ القحمة ترد الأموال من البحر . ومنه توزع على الأطراف ، وإلى قبيلة « رِجال ألْمَع » أحد المراكز التجارية المهمة في المقاطعة ، كما سنشير إليه .

ومرافئ المقاطعة ، على طول الساحل ، من القحمة إلى الموسّم كثيرة ، والحكومة لم تسمح إلاّ لمرافىء القحمة وجازان أن تكونبها مراكز تصدّر وتورّد الأموال ، منها وإليها . أما بقية المرافئ المشهورة فهي : الشُقَيق،قَوْز الجَعَافرة ، المَضَايا ، تَعْشُر ، الموسّم ، القرنيّة ، العربة .

والموسّم : هي بلدة « الشرجة » القديمة المشهورة في التاريخ. وقد اندرست تماماً ، ولم يبق منها إلاّ أطلال بالية . وإذ نتكلم على الساحل فنذكر استطراداً ما وقفنا عليه في الكتب الجغرافية بأنه يوجد من الليث إلى كمران ، على خط موازٍ للساحل ، وعند جزائر فَرَسان الكبرى والصغرى ، وما بينهما ستارة من « الشبّ » وبين هذه الستارة البحرية والساحل مضيقان « مضيق الليث » ، و « مضيق كمران » يمكن المرور منهما . والسفائن الكبيرة لا تستطيع الدنو من الساحل إلاّ إذا دخلت من أحد هذين المضيقين . ويقول الخبراء العسكريون إن الحكومة التي تملك هذا الساحل ، إذا أقفلت هذين المضيقين بالوسائل الفنية الحديثة ، يمكنها أن تحافظ على سواحلها بسهولة ، وتجعل سفن العدو في خطر

لا يمكن اجتنابه . ويذكرون كذلك أن مهاجمة القسم الجبلي من عسير ، من جانب تِـهامة ، لا يستطيعها إلاّ من استولى على ذُرى الجبال التي لا يصل اليها الإنسان إلاّ من منافذ معينة يستحيل العبور منها إذا أُحكمت . ومقاطعة عسير كثيرة الخيرات . ومركز الحكومة في بلدة جازان ، على ساحل البحر . وجازان ـــ وأهلها يقولون جيزان[1] ـــ ، تحتوي على ١٦٣ بيت حَجَر و ٣٥٠ بيت خشب و ١١ مسجداً وقلعتين و ٤٧ دكاناً . وفيها بئر مالحة . وليس فيها ماء صالح للشرب ، ويشرب أهلها من آبار يقال لها « الحفائر » تبعد عن البلدة خمسة كيلومترات . وتبعد جازان عن جُدة ٧٣٢ ك. م ، كما يأتي :

كيلومتر

٢٢٠ من جُدة إلى اللّـيث .

١٦٥ اللّيث ـــ القُنْفُدة .

١٢٣ القنفدة ـــ البِرْك .

٣٧ البِرْك ـــ القَحْمة .

٥٧ القحمة ـــ الشُقيق (ويلفظونها بكسر الشين) .

١٣٠ الشقيق ـــ جِيزان (أو جازان) .

ومن جدة إلى جازان بحراً ٤١٩ ميلاً بحرياً .

ومن جازان إلى المحلات الآتية :

كيلومتر

٣٢ من جازان إلى صَبْيا .

٤٩ من جازان إلى الحُسينيّة .

٣٥ من جازان إلى قُوز الجَعَافرة .

---

(١) ورد اسمها في القاموس « جازان » في مادة جزن ، و « جيزان » في مادة جيز . المؤلف.

كيلو متر	
٣٦	من جازان إلى أبي عَرِيش .
٥٢	من جازان إلى سُوق الأحَد (قلب أراضي المسَارِحة) .
٦٢	من جازان إلى أبي حَجَر .
٩٦	من جازان إلى بني الحُرَّث (بضم الحاء وتشديد الراء وفتحها) .
٣٢	من جازان إلى المَضَايا .
٧٢	من جازان إلى المُوَسَّم (بضم الميم وفتح الواو وتشديد السين وفتحها) .
٨٣	من جازان إلى مَيْدي (في اليمن) .
٣٢٨	من جازان إلى الحُدَيْدَة (في اليمن) .
٦٥٩	من جازان إلى صَنْعاء (في اليمن) .

قلنا إن طول مقاطعة عسير ٢٥٩ ك. م ، وهي كما يأتي :

كيلومتر	
٥٧	من القَحْمة إلى الشُقَيق .
١٣٠	من الشقيق إلى جازان .
٧٢	من جازان إلى المُوَسَّم (وهو آخرها على الساحل) .

وفي تهامة أودية خصبة جداً إذا سالت — وهي على الأكثر تسيل — يزرع فيها أنواع الحبوب . والمزرعة الواحدة تأتي بمحصولين اثنين من بذرة واحدة . وتزرع في السنة الواحدة ثلاث مرات .

ويمكن إقامةسُدود في بعض الوديان ذات الأحجار الغرانيتية ، وحبس المياه فيها إلى زمن الجفاف والقيظ ، وتقسيمها على الأراضي البور في كل مواسم السنة . فإذا حصل ذلك تكون البلاد حينئذ من أخصب بلاد العالم . وأعظم ما يُستحصل من الزراعة الذرة ، وهي على نوعين : نوع أحمر يسمى « الزِعْر » — بكسر فسكون — ونوع أبيض يسمى « الفهري » أو « البَجِيدة » ، بفتح

الباء وكسر الجيم ، ثم « الدُخن » والساسم (السمسم) و « الدِجْر » ، بكسر الدال وسكون الجيم ، وهو نوع من اللوبياء . وتصدر من ذلك كميات وافرة إلى الحجاز وبور سودان ومصوع وعدن وحضرموت . أما البُر والشعير فلا يزرعان إلاّ في الجبال ، وزراعتهم فيها قليلة .

وتصدر المقاطعة كذلك – ولكن بكميات قليلة – النيل (وشجرته تبقى خمس سنوات في الأرض تُحصد وتُنتِج مثل البَرسيم) والقُطْن والمرد (وهو صمغ شجر القتاد) والصمغ العربي والخُوص وحِبال الليف الأبيض المسمى بالسَلَب – بفتحتين – وخشب شجر الدوم (وهو يستعمل في المباني) وثمره المسمى « المِلْج » – بكسر فسكون – تطلبه أسمرة ومصوَّع بكثرة . وشجر الدوم يوجد بكثرة ، من القحمة إلى صبيا ، على طول مئتي كيلو متر تقريباً . وهو من ثروة البلاد . وتصدر كذلك كميات كبيرة من الجلود . وترتفع الذرة في حقولها إلى أربعة أمتار وزيادة ، ويبلغ قطر قصبتها سبعة أو ثمانية سنتيمترات . كما يبلغ طول ساق القُطن والفلفل والباذنجان ارتفاع الأشجار . وفي قسم الجبال يزرع البن والقات . ويوجد شجر الموز والكرم . كما يوجد عندهم العَسَل بكثرة . أما أشجارها الطبيعية ، فهي تحتوي على أشجار ونباتات خاصة بالأقاليم المختلفة ، منها السِدر والأراك والدَّوْم والعَرْفَج والمَرّخ – بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة – وغيرها . وكلما اقتربت من سفوح الجبال ، تجد التمر الهندي ، وشجر الكادي وشجراً يشبه الصنوبر . ويظهر لك بعد ذلك شجر العَرْعَر وأشجار الموز والليمون وأشجار مختلفة كثيرة . ويوجد شجر « الشورى » في بعض المناطق على مسافات كبيرة على طول شاطىء البحر . وهذا الشجر ينبت في وسط البحر ويستقي من مائه . وحطبه يصلح للوقود . وعلى العموم فإن المقاطعة ذات خيرات .

وبعد أن بيّنا خصب الأودية إذا سالت ، بما يجلب إليها من الطمي الذي بسببه تقوى الأرض ، نذكر أسماء المهمّ من تلك الأودية ويبلغ عدد المشهور منها تسعة عشر ، نبتدىء في ذكرها من الشمال إلى الجنوب ، على الترتيب ،

وهي تسيل من الشرق من جبال السّراة ، والجبال التي تحتها ؛ وتصب غرباً في البحر الأحمر :

١ – وادي اللّتين (بفتح فكسر) أو عِمْق (بكسر فسكون) ٢ – وادي ولد أسلم . ٣ – وادي عرمرم . ٤ – وادي الريم . ٥ – وادي عِتْوَد (بكسر فسكون ففتح) . ٦ – وادي بَيْض (بفتح فسكون) . ٧ – وادي شحرة . ٨ – وادي بَيْش . ٩ وادي وساع . ١٠ – وادي نَخْلان (بفتح فسكون) . ١١ – وادي صَبْيا . ١٢ – وادي ضَمَد (بفتحتين) . ١٣ – وادي جيزان . ١٤ – وادي الأملح . ١٥ – وادي مَقَاب (بفتحتين) . ١٦ – وادي الحُمْس (بضم فسكون) ١٧ – وادي خُلَب (بضم ففتح) . ١٨ – وادي لِيَة . ١٩ – وادي تَعْشَر (بفتح فسكون ففتح) .

وهذه الأودية تسيل وقت الأمطار . وعند انقطاعها ينقطع ماؤها ، إلاّ وادي بيش ، فماؤه جار دائماً بلا انقطاع . ويستفيد الأهالي من فيضان هذه الأودية ويزرعون عليها ، ما عدا وادي بيش ، فإن الأراضي التي حواليه أعلى من مجراه ، ولا يستفاد منه بكثرة .

وفي بعض الكتب التاريخية أسماء أودية كانت توجد فيها الأسود ، منها عِتْوَد ولِية وتَعْشَر ، ويقولون أسود عتود الخ . ويقال أيضاً : إن « بِيشَة » المشهورة بالأسْد في السابق قد تأتيها الأسود من تهامة ، من هذه الأودية عن طريق السَّراة .

والحيوانات الأهلية في المنطقة كثيرة . وأكثرها الغنم والمعزى ثم البقر والإبل . والخيل قليلة فيها جداً ، وقد يستعملون الحمير لركوبهم بدلاً منها ، ويحملون أثقالهم عليها وعلى الثيران . أما حيواناتها الوحشية فتوجد الظباء بكثرة لأن غالب الأهالي لا يصطادونها ، وكذلك الأرانب والثعالب والذئاب . وفي جهة الجبال توجد النمور والضباع والقِرَدة . أما الأسود فقد انقرضت

منها . ومن الطيور يوجد الكروان والحُبارى (وحبارى تِهامة كبيرة جداً يكاد يكون كبرها مرةً ونصفاً عن سائر الحبارى) والقُمْريّ والحَجَل ودجاج الماء ، وطيور كثيرة من التي تعيش في الماء وفي البرّ . وفيها من الحشرات السامة العقارب والثعابين والأفاعي . ولديهم نوع من الأفاعي يسمى « الحُوّة » – بضم الحاء وفتح الواو المشددة – تجمز من الأرض وترتفع في الهواء فإذا أصابت الإنسان في وثبتها أودت به إلى الهلاك ، وإذا هي أخطأته كانت هي من الهالكين فتموت من حينها ، من شدة سقوطها على الأرض . وبلدة جازان كثيرة العقارب في أثناء القيظ بصورة غير معهودة .

وفي جازان معدن ملح حَجَري غنيّ جداً ، من أحسن الأنواع . وهو كائن في وسط الجبل الذي به مركز الحكومة . وفي قرب « المضَايا » على بعد ٨ ك.م تقريباً من جنوبها مملحة أخرى ، على شاطىء البحر في أراضي المسَارحة ، تُسمى « خَشْرة » – بفتح الأول وسكون الثاني – وأخرى في جنوب الأخيرة ، غير بعيدة عنها ، في أراضي بني شُبَيْل ، قريبة من وادي خُلَب ، تسمى « الحِمْري » – بكسر الحاء وسكون الميم وكسر الراء – والاثنان أقل أهمية بكثير من مملحة جازان . ومعدن ملح جازان يمكن تصديره للخارج ، عدا بيعه في المقاطعة . لأنه من أجود أنواع الملح الحجري .

وآبار تِهامة كافية لشرب الأهالي وسقاية الحيوانات ، لكن ماؤها على الأكثر غير جيد . ويتراوح عمقها بين ثمانية أمتار في جهة البحر وثمانية عشر في جهة الجبال .

وفي المقاطعة « حَرّات » قليلة : واحدة في شرقي البِرْك ، والثانية بين ذُهْبان والقَحْمة ، وأخرى صغيرة في درب بني شُعْبَة – بضم فسكون ففتح – متصلة بجبل ضلاع المشهور .

وكان يطلق على مقاطعة عسير في السابق اسم « المِخْلاف السُلَيْماني »

وهي الآن تنقسم إلى مخلافين كبيرين : الأول المخلاف الشامي أو السليماني ، وهو الأهم . والثاني المِخلاف اليَماني . وكل أهالي المقاطعة عرب قحطانيون ، وقليل منهم عدنانيون. والمذاهب عندهم اثنان : الشافعي والزيدي . وأكثر القبائل شافعيون . وبلدة أبي عَرِيش المشهورة ، هي النقطة المتوسطة بين المخلافين . ويقال : إن ٣٠ في المئة من رجال عسير مسلّحون . أما أهالي أبي عريش ورجال ألمع فيقال : إن نصف رجالهم يحملون السلاح .

يتألف **المخلاف الشامي أو السليماني** من المحلات الآتي ذكرها ، مبتدأة من الشمال إلى الجنوب :

١ — المِنْجَحَة (بكسر فسكون ففتح) أهلها قحطانيون شافعيون . مركزها « القَحْمَة » على الساحل . وتمتد أراضيها إلى جهة الجبال . وهي في شمال بني شُعبة والشقيق ، إلى رجال ألمع شرقاً . وتحدّ أراضي البِرْك شمالاً . ولها أراض في السهل وفي الجبال . وأكثر أهاليها بدو . وهم أهل زراعة وأغنام وإبل وبقر. ويشتغلون بالتجارة لوجود مرفأ الوَشْم في بلادهم . والقَحْمة المركز الذي ترد إليه وتصدر عنه الأموال . وأهل رِجَال ألْمَع يوردون أموالهم من مرفأ القحمة ولهم مركز مهمّ للتجارة في مقاطعة عسير . عدد نفوسهم نحو ١٢ ألفاً سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م)

٢ — المَخْلُوطة ، أهلها قحطانيون شوافع . وهم قبائل بدوية مختلطة ، في الجنوب الشرقي من المنجحة . يتبعون المنجحة في كل أحوالهم ويشبهونها في معيشتها وحياتها . عدد نفوسهم نحو ٣٣٠٠

٣ — ولد أسْلَم (بفتح فسكون ففتح) عدنانيون شوافع . وهم شرقيّ المنجحة يسكنون الجبال . عدد نفوسهم نحو ٦٠٠٠

٤ — قبيلة اللتين عدنانيون شوافع. وهي في جنوب المنجحة، وشرقيها . مجاورة لولد أسلم ومختلطة بها . وناسها أهل زراعة وأغنام ، يسكنون الجبال . عدد نفوسها نحو ٤٠٠٠

٥ ـ قَنّاز البحر ، قحطانيون شوافع . محلهم في الشمال الشرقي من المـنْجحة . وهم أهل تجارة وزراعة ومواش كثيرة . يمدهم البـرْك من جهة الغرب . وفي شرقيها بنو ثَـوْعة (بفتح الثاء وسكون الواو)ورجال ألمع .وترد إليهم الأموال من مرافىء القحمة والبرك . نفوسهم نحو ١٠ آلاف

٦ ـ آل خنارش ، قحطانيون شوافع ، محلهم ما بين قناز البحر والمنجحة من الجهة الشمالية . ولهم أراض في السهل والجبال . ويشتغلون بالزراعة وتربية المواشي وأكثرهم بدو وإبلهم كثيرة . عدد نفوسهم نحو ٣٣٠٠

٧ ـ رجال ألْمع ، مختلطون قحطانيون وعدنانيون . ومذهبهم شافعي . وهي ما بين البحر وأبها . يحدّها من الشمال بحر بن سكينة وبنو ثوعة ، ومن الشرق ربيعة اليمن ، ومن الغرب المنجحة وبنو هلال . وهي من أكبر قبائل المقاطعة . أراضيهم كلها جبال . يشتغلون بالزراعة وتربية المواشي . ويزرعون البنّ في جبالهم وهم أهل تجارة ومركزهم التجاري في قرية « رِجَال »و«البَـتِيلة» ومركز الحكومة في « الشِعْبَيْن » وقد ربطت هذه القبيلة في التقسيمات الأخيرة بعسير السّراة . عدد نفوسهم نحو ٤٠ ألفاً

٨ ـ بني شُعْبة ، (بضم فسكون) والشقيق ووادي عِتْوِد ، وسمرة ، قحطانيون . شوافع . محلهم من الجنوب الغربي لرجال ألمع وشمالي بيْش . وهم أهل زراعة ومواش . عددهم نحو ١٠ آلاف .

٩ ـ بَيْش ومُسْلية (بضم الميم وسكون السين) قحطانيون وعدنانيون . وفيهم كثير من الأشراف . وهم شوافع وزيود .وبَيْش ، محل قديم في التاريخ . ووادي بَيْش أحسن وأروى أرض وأخصبها في كل المقاطعة . ويقال لواديه « بيش أبو العيش » ويحكى عنه أنه يسيل إلى حد أربعين مرة في السنة . وساكنوه أهل زراعة ومواش . عددهم نحو ٦٥٠٠

١٠ ـ السادة ، ويقال لهم « سادة الخَبْت » من بلدة الدّهْناء .

عدنانيون.فيهم شوافع وأكثرهم زيود.محلهم في الشمال الغربي من « المَلْحا » – بفتح فسكون – وهم أصحاب مواش وإبل كثيرة وزراعة . عددهم نحو ٥٥٠٠

١١ – المِخْلاف (بكسر فسكون) وهو يحتوي على « المَلْحا »وتوابعها و « الجارة » و « الجَمَالة » – بفتحتين – و « العِشَّة » – بكسر العين – و « السَلامتين » – مثنى سلامة بالتخفيف – و « المحلّة » و « العدايا » قحطانيون زيديو المذهب ، وهم غربي الملحا وشمالي صبيا . أهل زراعة ومواش . عددهم نحو ١٠ آلاف

١٢ – الجَعَافرة ، عدنانيون فيهم الشافعي والزيدي . محلهم في الشمال الغربي من صبيا ، ويتصلون بساحل البحر . واشتغالهم بالزراعة والمواشي . عدد نفوسهم نحو ألفين . وهم أهل « قَوْز الجَعافرة » وقَوْز الجعافرة الآن هو ساحل عثر – ويقال له عثر بفتحتين وعثّر بالتشديد – وبلدة عَثَّر كانت معروفة في التاريخ . وهي على ساحل البحر ، وقد اندرست آثارها وعفت أطلالها تماماً . قال البشاري المقدسي إنه دخلها حوالي سنة ٣٧٥ ه (٩٨٥م) وقال : إن فيها سوقاً حسناً وجامعاً . وذكر وضارة حمامها ، وقال إنها تبعد عن صنعاء مسيرة عشرة أيام وهي فرضة اليمن ، وإن دنانيرها المسمّاة « العَثَرية » التي كان يتعامل بها في أكثر الجزيرة العربية في ذلك التاريخ وفيما بعد ،تنقص درهماً عن دنانير مكة المسماة بالمزبّقة . وذكر كذلك شهرتها بقِفَاعها (والقَفْعة والقُفّة واحد) وهذا معقول لكثرة شجر الدوم في تلك الجهات التي تصنع منه هذه القِفَاع حتى الآن . وبالقرب من قوز الجَعافرة على شاطىء البحر خرابات عَثّر – تبعد ٣٥ك.م عن جازان – لا تزال قائمة تدل على بلدة عظيمة . وفي ساحاتها قطع من الآجر عليها نقوش ناتئة كانت توضع على واجهات الأبنية .

١٣ – صَبْيا : أهلها خليط من الحضارم وبعض القبائل . أكثرهم

من الأشراف . وفيها كثير من الشوافع وقليل من الزيود .

١٤ — الحُسَيْني ، والحسينية ، والنجوع . عدنانيون زيدية غالبهم أشراف . محلهم شرقي صبيا . يحدّون ضَمَد والشقيري من جهة الشمال وهم أهل مواش وزراعة . عددهم نحو ٣٥٠٠

١٥ — ضَمَد (بفتحتين) أهلها قحطانيون زيدية وفيهم أشراف يقال لهم الأشراف الحوازمة . محلهم غربي الشقيري وجنوب الحسيني . وفي الشمال الغربي من أبي عَرِيش . وهم أهل زراعة ومواش . وكانت دار هجرة لطلاب العلم مقصودة من الآفاق ، وقد أنجبت فحولاً من العلماء . عدد نفوسها نحو ٦٥٠٠

١٦ — الشَّقيري (بفتح الشين)والجَهْو (بفتح فسكون)ومحبوبة . أخلاط من القبائل ،فيهم الزيود والشوافع . محلهم ما بين ضَمَد والحِمَى (بكسر ففتح) وهم أهل مواش وزراعة . عددهم نحو ألفين .

١٧ — عَبْس (بفتح فسكون) عدنانيون زيدية ، محلهم في جنوب شرقي ضَمَد . أكثرهم سود . والبيض منهم لا يتجاوزون العشرين . عددهم نحو سبعمئة .

١٨ — وادي جيزان : خليط من القبائل . شوافع . ويحتوي على زهاء ٣٠ قرية . موقعه من جنوب صبيا إلى أبي عريش . وهم أهل زراعة ومواش . أما بلدة جيزان فتحتوي على خليط من الأهالي عددهم نحو ٦٥٠٠

١٩ — أبُو عَرِيش : خليط من القبائل . فيهم الشوافع والزيود والأكثر زيدية . وفيهم غير قليل من الأشراف . وهي — بلدة أبي عريش — أكبر مركز ، وبلدة في المقاطعة[١] مشهورة في القطر اليماني كله . ولها في العصور الماضية شهرة كبيرة أيام حكومة الشريف حُمُود في المِخلاف السليماني . وموقع أبي عريش متوسط ، يبعد عن البحر ست ساعات ، وعن جيزان

(١) كان ذلك ، زمن كتابة التقرير .

وصبيا كذلك . أهلها يشتغلون بالتجارة والزراعة وتربية المواشي . عدد نفوس أبي عريش وتوابعها نحو ١٥ ألفاً .

أهل الجبال في المِخْلاف الشامي :

٢٠ – أهل الرَّيْث :خليط من القبائل . فيهم الشوافع والزيود . محلهم شرقي الحَقْو (الآتي ذكرها) ويحدّون آل وائلة والجهرة (الجهوة؟) من بلاد عسير من جهة الجنوب . واسم جبلهم « القَهْر » – بفتح فسكون – وزراعتهم قليلة لكن أغنامهم وإبلهم كثيرة . عددهم نحو ٣٥٠٠

٢١ – العُزَّى (بضم فشدة مفتوحة) والمَغْفوري (بفتح أوله) عدنانيون . شوافع وزيود . محلهم في جنوب الريث والحقو . وهم أهل زراعة ومواش . عددهم نحو أربعمئة .

٢٢ – الحَقْو (بفتح فسكون) خليط من القبائل . شوافع . والحقو ، كائن في شرقي بيش . يحدّه من الجنوب الشرقي أهل الريث ، ومن الشمال النُّجوع . وهم يزرعون في سفوح الجبال وفي الجبال . ولهم مواش كثيرة . عددهم نحو ٣٥٠٠

٢٣ – الصّهَاليل (بفتح الصاد) قحطانيون . شوافع . محلهم شمالي هَرُوب (الآتي) وجنوب الحَقْو . تحدّهم الحُسَيْنية من الغرب . وهم أهل زراعة ومواش . يزرعون في سفوح الجبال وفي الجبال . عددهم نحو ٥٠٠٠

٢٤ – أهل هَرُوب (بفتح فضم) قحطانيون . شوافع . وهم مثل الصّهاليل في كل أحوالهم . ومحلهم جنوب الصهاليل . عددهم نحو ٥٠٠٠

١٥ – الحُسَّاب (بضم أوله وتشديد ثانيه) وبنو أحمد : خليط من القبائل . شوافع وزيود . يحدّهم الصّهاليل وأهل هَرُوب من الشمال الغربي ، ومن الجنوب بنو الغازي . وهم أهل زراعة قليلة . عدد نفوسهم نحو ٣٥٠٠

٢٦ ــ بنو الغازي : قحطانيون . شوافع . محلهم في قاعة جبل فَيْفا ولهم سوق مشهورة يقال لها « خَمِيس عيبان » وهم أهل زراعة ومواش . عددهم نحو ١٢٥٠٠

٢٧ ــ بنو مالك : قحطانيون . زيدية . يحدّون بني الغازي من جهة الشرق . ومن جهة الغرب يحدّهم جبل « فَيْفا » مواشيهم قليلة وزراعتهم قوية وبالأخص البُنّ وعندهم العسل بكثرة . عددهم نحو ١٢٥٠٠

٢٨ ــ آل تِليد (بكسر أوله) قحطانيون . زيود وشوافع . محلهم في الشمال الشرقي من بني مالك ويتصلون بجبل السَّراة بالقحطانيين من جماعة ابن دُلَيْم وأكثرهم بدو وجمّال . عددهم ١٢٥٠٠ تقريباً

٢٩ ــ فَيْفا (بفتح الأول وسكون الثاني) جبل مشهور في كل المقاطعة بمناعته . أهله قحطانيون . زيود . يحدّه بنو الغازي من الغرب . ومن الشرق بنو جَمَاعة التابعون لليمن وبنو مالك . وهذا الجبل غني بزراعة البنّ والبُرّ والشعير وفيه العسل بكثرة . ولا طريق للدواب فيه ومن أراد الصعود إلى قمته فلا بدّ له من أن يسير ماشياً على قدميه مقدار ست ساعات إلى أن يبلغ أعلاه . وهواء « فيفا » عليل ،ومناخه لطيف ، وماؤه سلسبيل . أما حيواناته فقليلة ، لعدم وجود المرعى في أراضيه . وجبل فيفا يُرى من جيزان في الصباح ومن أبي عريش في كل وقت . عدد سكانه نحو ٦٥٠٠

وفي كل الجبال التي تقدم ذكرها يُزرع البنّ والموز والبُر والشعير . وهذه الأماكن كلها في جبل واحد منفصل عن جبل السّراة ، ومُوازٍ له ، تتخلله فتوق وأودية وشعاب ، ويبتدىء بجبل أهل الريث المسمى بالقَهْر وينتهي بجبل فيفا في قاعة أراضي بني الغازي .

وأسماء الأماكن في هذا الجبل ، قد تبدلت ، كما تبدل اسم الجبل نفسه . والذي وقفنا عليه من أسماء محلاّت هذا الجبل ، هي « القَهْر » لأهل الريث ، و « مُنْجد » ــ بضم الميم وسكون النون ــ للحُسّاب وبني أحمد ،

ومِصْيَدة — بسكون الصاد وفتح الياء — لبني الغازي ،و « الحَشِر » بفتح الحاء وكسر الشين — و « أبو خَمر » — بفتح الخاء — و « فَيْفا » و« طَلال » لبني مالك و « شهرا ن » في أعلى السّراة لبني تليد .

هذه أسماء الأماكن المهمة من المِخلاف الشامي ، من دون أن نبحث عن القرى التابعة لكلّ منها ، وهي تتجاوز المئين . وكلها مأهولة بالخلق والقبيلة تلو القبيلة ، والقرية تلو القرية . وكل قبيلة منقسمة على عشرات من الأفخاذ . ولكلّ منها وحدة منفردة ترجع أخيراً إلى أصلها الأول .

والمِخْلاف الشامي أو السُلَيماني ،أهم وأغنى وأكثر عدداً من المِخْلاف اليماني .

المِخْلاف اليَماني :

١ — المَسَارحة : قبيلة قحطانية . كلها شوافع . تبتدىء أراضيها من أبي عريش شمالاً ، وتصل إلى وادي « خُلَب » — بضم الخاء وفتح اللام — جنوباً عند حدود قبيلة بني شُبيل — بضم الشين — وتتجه شرقاً إلى الجبال وغرباً إلى ساحل البحر . فيكون الساحل ، من مَضايا إلى قرب الموسّم ، مأهولاً بها . وهي أكبر القبائل في هذه المقاطعة . وفي قبيلة المَسارحة هذه ، بل في كل قبائل المقاطعة ، توجد عادة الختَان الشنيعة ، وهي من بقية عادات الجاهلية المنفورة التي تقشعر منها الأبدان . وذلك أنهم يتركون الطفل إلى ما بعد بلوغه ، بغير ختان . فإذا بلغ ما يقارب العشرين ، وأرادوا ختانه ، يجمعون رجال القبيلة ويقف بينهم الذي يريدون ختانه ، ماسكاً بسيف في يديه فوق رأسه ، وهو ينتخي ويعتزي ، باسم أسرته وقبيلته ، والخاتن يسلخ جلده بموسى ماضية ، من فوق سُرته إلى ما تحت أنثييه ، نازعاً ما على ذلك المحل من الجلد ، والمسكين واقف في تلك الحال لا يظهر أثراً للتأفف والانزعاج . ومن العار الذي لا يُمحى أثره وَيَصِم الرجل وأسرته ، أن يبدي الغلام ما يدلّ على التأثر والتألم . وبعد هذه العملية القبيحة ، يبقى صاحبها

مستلقياً حتى يتم برؤه ، وهو في حالة عذاب وشقاء مدة ستين يوماً . وتارات يكون هذا الختان سبباً في موت كثير منهم . والمَسارحة أهل زراعة ومواش وإبل كثيرة . وهي تنقسم إلى قبائل وأفخاذ متعددة . ويتجاوز عدد مشايخها المئين ، لأنهم ينقسمون إلى قبائل صغيرة ويجعلون لكل منها شيخاً . أما القبائل المهمة التي ترجع إليها تلك القبائل الصغيرة كلها ، فهي خمس ، وهـذه أسماؤها :

١ ــ الشُّرْفة (بضم فسكون) محلهم من وادي جيزان إلى « الخَبْراية » ــ بفتح الخاء وسكون الباء ــ وهو جبل للمسارحة يحدّ العَبادلة شرقاً . عدد نفوسهم نحو ١٦٥٠٠

٢ ــ الرُّوحة (بضم الراء) محلهم من السَّلْم (بفتح السين وسكون اللام) شمالاً في قرب أبي عريش إلى سوق الأحد ، جنوباً . وهم يحدون الحَكَاميـَة من جهة الغرب . عدد نفوسهم نحو ١٠ آلاف

٣ ــ الفُقْهة (بضم فسكون) محلهم يبتدىء من سوق الأحد شمالاً (وهو قلب أراضي المَسارحة) إلى وادي خُلَب (بضم الخاء) جنوباً حيث تبتدىء قبيلة بني شُبَيل . ونصف وادي خلب تابع لهم . والنصف الآخر تابع لبني شبيل . عدد نفوسهم نحو ٦٥٠٠

٤ ــ الحَكَامية (بفتحتين مخففا) محلهم في المَضَايا . ويتصلون ببني شُبيل جنوباً على الساحل. كانوا حكام تهامة ، تدين لهم صبيا وبيش والمقاطعة التي يعبـَّر عنها بساحل « آل مجيد » إلى الكدراء جنوباً ، وهي في تهامة اليمن . عدد نفوسهم نحو ١٣٥٠٠

٥ ــ أهل السَّلَم (بفتحتين) والخبراية : محلهم الخبراية ، وهو جبل في شرقي الحبت ، يحدّهم من الشرق جبل « شذى » والعبادلة ، وغرباً « الروحة » وجنوباً بنو الحرّث وشمالاً جبل « العارضة » لسفيان . وإبلهم أكثر من سائر المسارحة . عدد نفوسهم نحو ١٣٥٠٠

وهذه قبائل المسارحة :

١ — بنو شُبَيْل : قحطانيون . شوافع . محلهم من « صامطة » غرباً إلى البحر ، وشرقاً إلى جبال بني الحرّث ، وشمالاً المسارحة . ونصف وادي خلب لهم ونصفه للمسارحة. وهم أهل زراعة ومواش ، والإبل عندهم كثيرة. عدد نفوسهم ١٢ ألفاً .

٢ — وَعْلان (بفتح فسكون) والقُفُل (بضم الأول والثاني) قحطانيون زيدية . فيهم أشراف . محلهم في الجنوب الشرقي من بني شبيل ويحدّهم حَرَض (بفتحتين) وبنو الحرّث وبنو مروان التابعون لليمن من جهة الشرق . ومن وعلان تمرّ الطريق من الحدود السعودية — في ذلك الحين — إلى حدود تهامة اليمن . وهم أهل زراعة ومواش .عدد وعلان نحو ألف ، والقفل مثلهم.

٣ — بنو حُمّد (بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة) قحطانيون شوافع محلهم في جنوب صامطة ويحدون بني مروان التابعين لليمن ، من الجنوب . وصامطة تبعد عنهم ٢٠ — ٣٠ كم ، وهم أهل زراعة ومواش ؛ ويُعدون من الشجعان بين القبائل . نفوسهم نحو خمسة آلاف .

٤ — بنو مَرْوان : قحطانيون . شوافع . محلهم على الموسم في الساحل . والقسم الكبير منهم تابع لليمن . وميدي في جنوبهم ، تبعد عنهم نحو ٢٥ — ٣٠ كم وعن صامطة كذلك . وهم أصحاب زراعة ومواش . نفوسهم حوالي ٣٥٠٠

أهل الجبال في المِخْلاف السُليماني

١ — بنو الحُرّث : (بضم الحاء وفتح الراء المشددة) قحطانيون . شوافع . محلهم شرقي بني شبيل . أكثرهم بدو . يسكنون في سفوح الجبال . ونصف بني الحرث تابعون لليمن والنصف الآخر تابع للحكومة السعودية . وهم أهل زراعة ومواش ، وإبلهم كثيرة ، والمشهور عنهم الشجاعة . عدد نفوسهم نحو ٦٥٠٠

٢ — العبادلة (بفتحتين وكسر الدال) قحطانيون : شوافع ، محلهم في جبل شرقي الحبراية التابعة للمسارحة . ومن الشرق الجبال التابعة لليمن . وثلثا العبادلة من الرعايا السعوديين والثلث الآخر تابع لليمن . وهذا الثلث يقال له « آل عطيف » وقد كان انضمامهم إلى اليمن عند محاربة علي الإدريسي لعمه الحسن . والعبادلة أهل زراعة ومواش . نفوسهم نحو ٣٥٠٠ (١)

٣ — بنو حريص والجوابر وسفيان وقيس وبنو ودعان (بفتح الواو وسكون الدال) ويقال لكل هذه القبائل الصغيرة بنو حريص . خليط من القبائل ، زيدية وشوافع . وهم يحدّون العبادلة وبني الغازي وجميعهم يسكنون الجبال. وهم أهل زراعة ومواش . عددهم التقريبي : الجوابر وبنو حريص ٢٠٠٠ وبنو سفيان ١٠٠٠ وقيس وودعان ٢٠٠٠ وذلك عدا سكان القرى التابعة لهم وهي كثيرة .

إضافات عامة

الإدريسي — كان قيام السيد محمد الإدريسي ، في ظروف مساعدة له . وذلك عند حرب إيطاليا للحكومة العثمانية في طرابلس الغرب . فاتفقت معه حكومة إيطاليا ، وأمدته بالسلاح والفلوس فتمكن من الانتصار على العثمانيين في جيزان « بالحفاير » وغنم أسلحة وعتاداً . ثم قلبت له إيطاليا ظهر المجنّ . وفي الحرب العامة — الأولى — اتفق مع انكلترة .

أماكنُ تقدمَ ذكرها : جازان (أو جيزان) أبو عريش . صبيا . صامطة . الموسَّم . المضايا . وعلان . كعوب (عند بني الحرّث) السنيد (في الصهاليل — ولم تذكر في ما تقدم) الحقو . بنو مالك . القحمة (بفتح فسكون) فيفا . سوق الأحد (في قلب المسارحة) العارضة . سوق عيبان . مُسْلية (فيها قصر قديم خراب) .

---

(١) تقدم أن ثورة الإدريسي بدأت في ٥ رجب ١٣٥١ وانتهت في أواخر شوال ١٣٥١ وزاد القرقني في تقريره هنا أن العبادلة كانوا أول من قدم الطاعة ، في ١٧ ذي الحجة ١٣٥١

مراكز : صامطة والوسم ووعلان وكعوب (كعوب الحوبة) في الحدود الجنوبية والشرقية على حدود اليمن . الحفاير . بئر المعبوج .

البضائع : تستورد بلاد عسير الأرز والكاز والدقيق والسكر والشاهي والتنباك والقشر والقهوة والدقدقة والصابون والأناناس والكبريت والنشا والحُمَّر (التمر الهندي) والحلبة والفول والزعفران والبصل والتمر والسمن والأقمشة والخشب والحديد والحلويات والدخان وغيرها ، من الهند ، عن طريق عدن وبور سودان ومصوع وجبوتي واليمن ... اهـ



من بدو عسير

الملك عبد العزيز

وفتنة ابن رَفَادَة [1]

آل رفادة : شيوخ قبيلة « بَلِي » [2] من « قضاعة » اليمانية ، من سكان شماليّ الحجاز . منازلهم في أطراف « الوجه » البلدة المعروفة على الشاطىء الشرقي من البحر الأحمر .

وصاحب الفتنة : حامد بن سالم بن رَفَادة . ويقال له الأعور . كانت له رئاسة تلك القبيلة « بلي » وكانت إقامته في الوجه . وشَغَب على الحكومة السعودية ، بعد فتح الحجاز ؛ فوجّهت إليه قوة ، ففرّ إلى مصر سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) وتردّد إلى « عمّان » واستُثير للقيام بحركة عصيانية في شمالي الحجاز ، صادفت هوى في نفسه . والتفّ حوله أفراد . وأُعين بمال وسلاح ليس هنا مجال الحديث عن مصدرهما [3] وقيل له : ازحف إلى بلادك فاتحاً .. وسترى الثورة على ابن سعود تتجاوب أصداؤها في عسير — حيث كان الأدارسة — وفي قبائل الحجاز وغيرها ..

---

(١) مصادر هذا الفصل هي : جريدة أم القرى وكتاب صقر الجزيرة ومذكرات خالد الفرج وبعض الصحف المصرية . وانظر ترجمة ابن رفادة في الأعلام م ٢ : ١٦٥

(٢) بفتح الباء وكسر اللام ، وهم ينطقونها بكسرهما .

(٣) قرأت قبيل اعادة النظر في هذا الكتاب فصلا مسهبا في الموضوع ، في كتاب « الإمام العادل » الجزء الأول ، الصفحة ٢٠٢ يمكن الرجوع إليه .

وتوجه من مصر عن طريق السويس في أواخر سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) وتلاحق به بضع مئات سلكوا طريقه .

وكانت محطته الأولى في مكان يسمى « النصب » بين السويس والطور . ثم انتقل إلى « الخضر » فدرب الزلفة . ومضى في الطريق الساحلي بين البحر والجبال ، حتى وصل إلى « طابة » آخر نقطة في الحدود المصرية . وأبرز لجنود المخفر المصريين « وثائق مرور » رسمية استُخرجت له ولرفاقه في السويس . وتابع سيره في أوائل ١٣٥١هـ فمرّ بقرب « العـَقـَبة » ودخلها منفرداً مع أحد أنصاره « محمد بن عبد الرحيم أبو طُقيقة » ثم رحل بجماعته إلى « الشريح » على مسيرة أربع ساعات من العقبة . وأقام في الشريح . ووصل إليه فيها أشخاص آخرون وأسلحة . عن طريق شرقي الأردن . وبلغ جمعه نحو أربعمئة مقاتل .

وهوّلت « الدعايات » في وصف زحفه ، ونشرت الصحف « بلاغات » قيل لمحرريها : إنها صادرة عن مقر « الزعيم » ابن رفادة . ذكر فيها أنه احتل « الحريبة » وحاصر « المويلح » و « ضبا » من أطراف الحجاز الشمالية ، وأسر ضباطاً وجنوداً سعوديين من رجال خفر السواحل ، وأنه سيّر قوة إلى « الوجه » وأُخرى إلى « ينبع » وأنه قتل وفعل . في حين أنه كان لا يزال في « الشريح » ينتظر المدد من الشمال وثورة القبائل في الجنوب .

واهتمت السلطات البريطانية للأمر ، فأذاعت في عمّان — كما أذاعت حكومة عمان — إنذاراً لمن يحاول اجتياز الحدود ، بسلاح أو تموين للثوّار .

وبادرت القبائل في الحجاز ، وفي شماليّه خاصة ، إلى إعلان براءتها من ابن رفادة ، واستعدادها للعمل في قمع الفتنة . فكتب إبراهيم بن سليمان ابن رفادة — رئيس قبائل بلي[1] — يتطوّع لضربه — وكتب شيوخ « حرب » و « جهينة » ينعتون « الأعور » بشرّ النعوت ، ويرجون الإذن لهم بتولي

---

(١) تولى رئاستهم بعد فرار حامد ابن رفادة من الوجه سنة ١٣٤٧ هـ . وهو من أبناء عمومته .

القضاء عليه . وكتب شيوخ « الروقة » من عتيبة — في برّ الطائف — يستأذنون ملحّين في السير لإخماد جذوته ، وجاء في كتابهم [١] : « حنّا — نحن — حاربنا الترك وابن رشيد والشريف ، ما صارت فوايهم — روائحهم — مثل فوايه ابن رفادة ، فارة منطلقة من جحرها .. وفهمنا أن هذا دسايس يسووّنها أهل الشرّ مع ما بلغنا من أفعال ها الـ ... عبد الله ومراسيله للعربان الشماليين ، وغير ذلك من الأمور الذي ما تخفى عليك الخ »

، ، ،

أما الملك عبد العزيز فكان ، على عادته في كل حركة تتصل بخارج الحدود ، يجهّز من القُوى ما يكفي لها ولغيرها .. ويحاول ما أمكن ، حصرها في نطاق بلاده . فأمر أهل « الهِجَر » الشمالية (شَمّر وعنزة) أن يتقدموا شمالاً ، وأرسل قوة في البحر إلى « ضُبا » وسرية من حائل للمرابطة بقرب الحدود ، وأعدّ جيشاً احتياطياً للطوارىء .

ولما اكتمل تنظيم الإحاطة بالثوّار ، أوعز إلى رجال من بلي (قبيلة الثائر) أن يكتبوا إليه باستعدادهم لمؤازرته ، فاتصلوا به وكاتبوه ، فقام من « الشريح » مقبلاً عليهم ، ودخل أراضي « حقْل » ثم « البدع » — بكسر الباء — و « الخريبة » ونزل في « تِريْم » وأذاع دعاته — أو حُداته إلى العمل — في الخارج أنه احتل البلدان الشمالية وأسر أمراءها .

ولم يكد يستقر في « تريم » حتى علم بزحف القوى السعودية متراصّة تطلبه . فنكص إلى الوراء ، ونزل بسفح جبل « شار » ولاحقه الجيش السعودي بالسيارات المسلّحة والخيول .

وفي ظهر يوم السبت ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١ (١٩٣٢م) نشبت المعركة في سفح « شار » على مقربة من « ضبا » وانجلت عن مقتل ابن رفادة (حامد

(١) ونصه الكامل في كتاب « قلب جزيرة العرب »

بن سالم) وابنيه فالح وحماد ، و ٣٥٠ رجلاً من أعوانه عُرف منهم محمد ابن عبد الرحيم أبو طُقَيقة ، وسليمان بن أحمد أبو طقيقة ، ومسعود الدباغ ، وأحد الأشراف .

وحُمل رأس ابن رفادة إلى ضُبا ، فلعب به الأطفال ، ثم علّق في سوقها .

وسُدت الطرق في وجه من فروا من المعركة ، فقتلوا جميعاً . قال صاحب « صقر الجزيرة » : « لم ينج فرد واحد ممن فروا ، ولا ممن كانوا مع ابن رفادة ؛ بل قتل هو وكل من معه في الأراضي الحجازية ؛ وأخمدت أنفاس هذه الفتنة ولم يبق لها نصير بعد هذا المصير .. »

يُوحـِّد أجزاء المملكة

في ١٢ جمادى الأولى ١٣٥١ (١٩٣٢/٨/١٠م) اجتمع لفيف من كبار الوطنيين ، في الطائف ، واتفقوا على أن يرفعوا إلى الملك عبد العزيز « قراراً » وضعوه ، هذا نصه :

« الحمد لله وحده . إنه لما كان في هذا اليوم الثاني عشر من شهر جمادى الأولى من عام الواحد والخمسين والثلاثمائة والألف من هجرة صاحب الرسالة ﷺ ، اجتمع الموقّعون أدناه للبحث والمذاكرة في أمر ،فيه عزّ ومنعة وشرف وألفة ، ووَضْع قرار يرفعونه إلى سدّة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، نصره الله وأيد ملكه .

ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خص هذه البلاد بين شقيقاتها الأقطار العربية ، فكانت أشرف صقعاً وأوسع رقعة ، وأعز نفراً ، وأظهر استقلالاً وسؤدداً ، وأقدر على مواجهة الملمات والكوارث ، وأسبق إلى الغايات والمصالح . ووهب أهلها مزايا لم تكن لسواهم فجاؤا عنصراً عربياً ، واحداً في أصله ، واحداً في عاداته وتقاليده ، واحداً في دينه وإسلامه ، واحداً في تاريخه وعنعناته . ففي البلاد بأجمعها ما يوحدّها ويجعلها وحدة عنصرية كاملة ويجعل أهلها أمة واحدة ، لا فرق بين من أتْهم منهم ومن أنْجَد ، ومن أحجز ومن أيمن .

(م٣٦)



« فلما كانت حال البلاد وأهلها كما مرّ ، وكان لها هذا المقام الممتاز بين سائر الأصقاع والأمصار التي يقطنها العرب ، وكانت أوضاعها الحكومية الراهنة لا تتلاءم مع طبيعة الوحدة التي هي وأهلوها عليها ، وكان اسمها الحاضر وهو « المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها » لا يعبّر عن الوحدة

العنصرية والحكوميةوالشعبيةالواجب إظهارهافيها، ولايدلّ إلاّعلى مُسَميات لأصقاع جغرافية لبعض أقطار العرب ، تقصّر عن الإشادة بالحقيقة الواقعة المشار إليها آنفاً ، ولا يرمز إلى الأمانيّ التي تختلج في صدور أبناء هذه الأمة ، للاتحاد والائتلاف بين جميع الناطقين بالضاد ، على اختلاف أقطارهم وتباعد أمصارهم .

« ولما كانت الأوضاع الشكلية المشار إليها ، لا تدلّ على الروابط العميمة الكائنة بين أفراد السكان، ولا على التضامن الموجود بينهم، على ما فيه عزّ البلاد وتعاليها – كما ظهر ذلك جلياً في التضامن في حوادث ابن رفادة الأخيرة – ولا على الارتباط الحقيقي بين شِقّيْ المملكة المهيبين تحت ظلّ جلالة الجالس على العرش .

« فإن المجتمعين ، يرفعون بكمال الخضوع ، إلى سدّة صاحب الجلالة أمنيتهم الأكيدة ، في أن يتكرم بإصدار الإرادة السنية ، بالموافقة على تبديل اسم المملكة الحالي إلى اسم يكون أكثر انطباقاً على الحقيقة ، وأوضح إشارة إلى الأماني المقبلة ، وأبين في الإشادة بذكر من كان السبب في هذا الاتحاد ، والأصل في جمع الكلمة وحصول الوحدة ، وهو شخص جلالة الملك المفدّى ، وذلك بتحويل اسم « المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها » إلى اسم « المملكة العربية السعودية » الذي يدلّ على البلاد التي يقطنها العرب ، ممن وفق الله جلالة الملك « عبد العزيز آل سعود » إلى توحيد شملهم وضم شعثهم .

« هذا ولما كان الاستقرار والديمومة والثبات من الشروط الأساسية التي تستهدفها الأمم في حياتها السياسية والاجتماعية والتي لا أمل بمواجهة صروف الحدثان وكوارث الدهر إلا بها ، والتي لا تقوم لبلاد ولا لأمّة بدونها قائمة ، كما هو مشاهد في تاريخ الأمم والحكومات والدول التي أهملت مثل هذا الأمر الخطير ، وما آلت إليه من سوء المنقلب والمصير .

« فإن المجتمعين يتقدمون إلى سدة صاحب الجلالة ، الجالس على العرش ، أطال الله بقاءه وأمدّ في حياته ، باستعطاف آخر ، مؤداه : أن يتفضل جلالته بإصدار الأمر الكريم بالموافقة على سَنّ نظام خاصّ بالحكم وتوارث العرش ، لكي يعلم الجميع من صديق وعدوّ ، قريب وبعيد ، أن هذا الملك موطّد الأركان ثابت الدعائم لا تزعزعه العواصف ولا تثني عُوده الأيام . وجلالته أطال الله عمره أول من يقدر أهمية هذا الأمر الخطير وفوائده العميمة في داخل البلاد وخارجها ، وتقوية مركزها الأدبي والمادي . والله تعالى نسأل أن يوفق جلالة الملك المفدّى إلى ما فيه الخير والصلاح .

برقيات

ورُفعت إلى الملك برقيات من جهات مختلفة في معنى القرار الآنف ذكره ، تؤيد فكرة توحيد أجزاء المملكة ، وتسميتها باسم لا « إقليمية » فيه ، ولا تفريق بين قطر وآخر . وكان ذلك ما يجول في نفس عبد العزيز ، فصدر الأمر الملكي بنظام « توحيد المملكة » :

نظام توحيد المملكة

بعد الاعتماد على الله ، وبناء على ما رُفع من البرقيات من كافة رعايانا في المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها . ونزولاً على رغبة الرأي العامّ في بلادنا وحباً في توحيد أجزاء المملكة العربية ، أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى — يُحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها إلى اسم « المملكة العربية السعودية » ويُصبح لقبنا بعد الآن « ملك المملكة العربيـة السعودية » .

المادة الثانية — يجري مفعول هذا التحويل اعتباراً من تاريخ إعلانه .

المادة الثالثة — لا يكون لهذا التحويل أيّ أثر على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات الدولية التي تبقى على قيمتها ومفعولها . وكذلك لا يكون له تأثير على المقاولات والعقود الإفرادية بل تظل نافذة .

المادة الرابعة — سائر النظامات والتعليمات والأوامر السابقة ، والصادرة من قِبَلنا ، تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل .

المادة الخامسة — تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة ، في الحجاز ونجد وملحقاتها على حالها الحاضرة موقتاً إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد .

المادة السادسة — على مجلس وكلائنا الحالي ، الشروع حالاً في وضع نظام أساسي للملكة ، ونظام لتوارث العرش ، ونظام لتشكيلات الحكومة . وعرضها علينا لاستصدار أوامرنا فيها .

المادة السابعة — لرئيس مجلس وكلائنا أن يضم إلى أعضاء مجلس الوكلاء أيّ فرد أو أفراد ، من ذوي الرأي ، حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والاستعانة بمعلوماتهم .

المادة الثامنة — إننا نختار يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ الموافق لليوم الأول من الميزان ، يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية ، ونسأل الله التوفيق .

صدر في قصرنا بالرياض في اليوم السابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥١

التوقيع
عبد العزيز

بأمر جلالة الملك
نائب جلالته
فيصل

أقول : ويوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ يوافق الخميس ٢٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٢ وذلك لأن أول جمادى الأولى ، هو يوم الجمعة في ٢ سبتمبر .

الملك عبد العزيز

وصيته لمن يلي الملك بعده

من صفات عبد العزيز ، أنه كان يعمل ليومه وغده ، ويقيم الدعائم لملكه في حاضره ومستقبله . وهو لهذا كان لا يفتأ يهيىء كبار أبنائه ، للسير على منهاجه ، في الإدارة والإصلاح وسياسة الداخل والخارج .

ولاية العهد

وأمر بوضع نظام لتوارث العرش من بعده ، فانعقد مجلسا الوكلاء والشورى وأبرما قراراً في ١٦ محرم ١٣٥٢ (١٩٣٣/٥/١١م) بمبايعة كبير أبنائه — الأمير سعود — ولياً للعهد .

الوصية لمن يلي الملك :

وأبرق إلى وليّ العهد ، على الأثر ، برقية (رقم ٢٧٥ تاريخ ١٨ محرم ١٣٥٢) جاء فيها ما نصه الحرفي :

« تفهم أننا نحن والناس جميعاً ، ما نعزّ أحداً ولا نذلّ أحداً ، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ، ومن التجأ إليه نجا ، ومن اغترّ بغيره (عياذاً بالله) وقع وهلك . موقفك اليوم غير موقفك بالأمس ، ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور :

أولاً — نية صالحة ، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون ديدنك

إعلاء كلمة التوحيد ، ونصر دين الله . وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه ، في أوقات فراغك . تعبّد إلى الله في الرخاء ، تجده في الشدّة ، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر ، وصدق في العزيمة . ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلاّ الصدق ، وإلاّ العمل الخفي الذي بين المرء وربه .

ثانياً — عليك أن تجدّ وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم ، بالنصح ، سراً وعلانية ، والعدل في المحب والمبغض ، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل ، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً . وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم .

ثالثاً — عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة ، وفي أمر أسرتك خاصة . اجعل كبيرهم والداً ، ومتوسطهم أخاً ، وصغيرهم ولداً . وهن نفسك لرضاهم ، وامحُ زلتهم ، وأقل عثرتهم ، وانصح لهم ، واقض لوازمهم بقدر إمكانك . فإذا فهمت وصيتي هذه ، ولازمت الصدق والإخلاص في العمل ، فأبشر بالخير .

« أوصيك بعلماء المسلمين خيراً . احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم . واحرص على تعليم العلم ، لأن الناس ليسوا بشيء إلاّ بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة . احفظ الله يحفظك .

« هذه مقدمة نصيحتي إليك ، والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذا .

الملك عبد العزيز

والشُّورى

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾

كان ذلك دستور الملك عبد العزيز ، في جلائل ما يعرض له من أمور سياستيْه الداخلية والخارجية .

يعنّ له الأمر ، أو يرفع إليه ، فيجيل فيه فكرته ، وينتهي إلى حلّ له ، في نفسه ، يرضاه .

ويجتمع مستشاروه ، ويسميهم الرَّبْع — بفتح الراء وسكون الباء — فيطرحه عليهم ، ويدرسونه ويقلّبون وجوهه ، وهو محتفظ برأيه . فإذا اتجهوا إلى البتّ فيه بما يتفق مع ما وصل إليه هو ، أخذ بقولهم ، وأمضاه . وإلاّ ناقشهم . وأفضلُهم عنده من يعترض ويناقش . ثم يعمل بما يستقر عليه الرأي .

، ، ،

أما « الدولة » فلا بدّ من سنّ الأنظمة لها ، وهي في إبان تكونها ، ولا بد من أهل الخبرة والعلم لسنّ تلك الأنظمة .

أول عمل « انتخابي » في حياة عبد العزيز

أمر عبد العزيز ، بعد دخول مكة ، سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) بدعوة

جمهرة من العلماء والأعيان ، من أهلها ، فاجتمعوا . فقال يخاطبهم :

« إن دياراً كدياركم ، تحتاج إلى اهتمام زائد في إدارة شؤونها . وعندنا مثل يعرفه الناس جميعاً ، وهو أن أهل مكة أدرى بشعابها . فأنتم أعلم ببلدكم من البعيدين عنكم ، وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم .

« أريد منكم أن تعينوا وقتاً ، تجتمع فيه نخبة من العلماء والأعيان والتجار وينتخب كل صنف من هؤلاء عدداً معيناً ، كما ترتضون وتقررون . وذلك بأوراق تمضونها من المجتمعين ، بأنهم ارتضوا أولئك النفر لإدارة مصالحهم العامة ، والنظر في شؤونهم . ثم يستلم هؤلاء الأشخاص زمام الأمر ، فيعيّنون لأنفسهم أوقاتاً يجتمعون فيها ، ويقررون ما فيه المصلحة للبلد . وجميع شكايات الناس ومطالبهم يجب أن يكون مرجعها هؤلاء النخبة من الناس . ويكونون أيضاً الواسطة بين الأهلين وبيني . فهم عيون لي وآذان للناس . يسمعون شكاويهم وينظرون فيها ، ثم يراجعونني .

« إنني أريد ممن سيجتمعون لانتخاب الأشخاص المطلوبين ، أن يتحروا المصلحة العامة ويقدموها على كل شيء ، فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة ، ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة ؛ ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى .

« تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة . ولكن كثيراً من تلك المجالس وهمية ، أكثر منها حقيقية . تُشكَّل ليقال إن هناك مجالس وهيآت ، ويكون العمل في يد شخص واحد . وينسب العمل إلى العموم . أما أنا فلا أريد من هذا المجلس الذي أدعوكم لانتخابه أشكالاً وأوهاماً ، وإنما أريد شكلاً حقيقياً يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة .

« لا أريد أوهاماً ، وإنما أريد حقائق . أريد رجالاً يعملون . فإذا اجتمع

أولئك المنتخَبون (بفتح الخاء) وأشكل عليّ أمر من الأمور ، رجعت إليهم في حلّه وعملت بمشورتهم . وتكون ذمتي سالمة من المسؤوليات . وأريد منهم أن يعملوا بما يجدون فيه المصلحة . وليس لأحد ، من الذين هم أطرافي سلطة عليهم ولا على غيرهم .

« أريد الصراحة في القول . لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم : رجل كذّاب يكذب عليّ عن عمد ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملّق . فهؤلاء أبغض الناس عندي .

« وأرجو بعد هذا المجلس ، أن تجتمعوا بالسرعة الممكنة ، بعد أن تنظموا قائمة بأسماء الذين سيجتمعون ، من كل صنف من الأصناف الثلاثة ، لأقابلها على القائمة التي عندي ، فأتحقق من أن جميع أهل الرأي اشتركوا في انتخاب المطلوبين .

مجلس الشورى في أطواره واختصاصاته

عقد بعد ذلك اجتماع آخر أسفر عن انتخاب اثني عشر شخصاً ، تألف منهم مجلس سُمي « المجلس الأهلي » وصدر بيان ملكي عُهد إليه فيه بالنظر في نظام المحاكم الشرعية ، وتدقيق مسائل الأوقاف ، ووضع نظام للأمن الداخلي ، وسنّ لوائح للبلدية ، ولصحة العاصمة ، ونشر التعليم الديني فيها ، وتعميم القراءة والكتابة وتنظيم التجارة ، ووسائل البرق والبريد .

وفي بداية عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) صدرت تعليمات سُميت « التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية » تألف بمقتضاها مجلس اعتبر الأول تمهيداً له ، وسمّي « مجلس الشورى » قوامه ثمانية أعضاء ، يرأسهم النائب العامّ (الأمير فيصل) أو معاونه أو أحد مستشاريه . ووُسّع اختصاص هذا المجلس ، بحيث تَعرض عليه الحكومة الأعمال الآتية :

١ – ميزانيات دوائر الحكومة والبلدية وميزانية عين زبيدة .

٢ – الرخص للشروع في عمل مشاريع اقتصادية وعمرانية .
٣ – الامتيازات والمشاريع المالية والاقتصادية .
٤ – نزع الملكية للمنافع العمومية .
٥ – سنّ القوانين والأنظمة .
٦ – الزيادات التي تضاف إلى ميزانيات الدوائر في بحر السنة .
٧ – النفقات العارضة التي تعرض لدوائر الحكومة في بحر السنة إذا زاد المطلوب عن مئة جنيه .
٨ – قرار استخدام الموظفين الأجانب .
٩ – العقود مع الشركات والتجار لمشترى أو مبيع لوازم الحكومة ، إذا زاد المبلغ عن مئتي جنيه .

، ، ،

وفي عام ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) صدر مرسوم بنظام أساسيّ جديد للمجلس ، أهمّ ما فيه : يؤلف مجلس الشورى من العدد الذي تصدر الإرادة السنية بتحديده ، و « يعيّن لرئيس المجلس الذي هو النائب العامّ ، نائب دائم عنه من قبل الملك » وينتخب نائب ثان من المجلس ليقوم مقام النائب الأول في حال غيابه »

وفي سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) أُضيف إلى اختصاصات المجلس أمر « العناية بشؤون الحجّ والحجاج » و « تمييز الصكوك الصادرة من المحكمة التجارية » .

وفي سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) بعد صدور نظام عامّ جديد للموظفين ، عهد إلى المجلس بالنظر في « شؤون لجنة التأديب الخاصة وأعمالها ، وتمييز مقررات المجالس التأديبية في المملكة » .

وارتفع عدد الأعضاء ، تبعاً لكثرة ما حُمّل من أعباء . فكان قوامه سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) نائبين للرئيس ، أولاً وثانياً ، وثلاثة عشر عضواً ؛ وسكرتيراً ، وسكرتيراً مساعداً .

ومع أن مهمة المجلس تشريعية أو استشارية ، أو هي مزيج منهما ، فقد منحه الملك عبد العزيز الصلاحيتين الآتيتين ، أيضاً :

١ — على المجلس أن يلفت نظر الحكومة إلى أي خطأ يقع في تطبيق القوانين والأنظمة المعروضة .

٢ — إذا عرضت الحكومة مشروعاً على المجلس ، فرفضه أو عدل فيه تعديلاً لم توافق الحكومة عليه ، فللنائب العامّ أن يعيد المشروع إلى المجلس مع ملاحظات كافية ، لإقناعه بصواب رأي الحكومة وضرورة تغيير قراره . فإن رفضه المجلس ثانياً ، أو أصرّ على تعديله السابق ، يكون القول الفصل في الأمر للملك . وللمجلس أن يراجع الملك بواسطة رئيسه ، لأجل التصديق على مشروع قرره المجلس ومضى عليه شهران قبل صدور إرادة الملك بالموافقة عليه .

الأمير فيصل يفتتح المجلس

ولنعرف مدى « سلطات » مجلس الشورى ، وتبعاته ، نأتي فيما يلي بخطبة رئيسه (الأمير فيصل) في حفلة افتتاحه سنة١٣٦٩ هـ (١٩٥٠م) قال بعد حمد الله وطلب التوفيق منه :

« في مثل هذا اليوم من كل عام ، نلتقي أولاً لشكر الله عز وجل على ما أنعم به علينا من نعم كثيرة ؛ ثم لافتتاح عهد جديد في حياة البلاد والأمة . ولا شكّ في أن هذا العهد ، عهدُ مسؤوليات وواجبات ، يشترك فيها الراعي والرعية ، والمسؤول وغير المسؤول . ولكن هذا الاشتراك في المسؤوليات يختلف باختلاف إمكانيات المسؤولين وغير المسؤولين . وغنيّ عن البيان أن حكومة جلالة الملك ، والمجلس ، والشعب ؛ مرتبطون بأوثق الروابط من الناحية الأخوية والدينية والوطنية وكل العناصر المهمة . وعلى كلٍّ مسؤوليته ، ولكلٍّ اقتداره .



فيصـــــل

« فمسؤولية المجلس هي القيام بما عليه من توجيهات ، وإقرار ما يلزم لتقدم البلاد والأمة ، ومراقبة ما ينفّذ وما لا ينفذ ، وملاحظة ما تقصّر عنه القوانين أو الأوامر أو القرارات .

« ومسؤوليات الحكومة هي القيام بما عليها من إنفاذ ما يتقرر ، والسعي بالإصلاح من شتى نواحيه ، واتخاذ أنجع الطرق لتأمين المقاصد التي من أجلها سنت القوانين وأصدرت الأوامر .

« و واجب الرعيّة ، هو مساعدة الجهات المنوط بها أمر التنفيذ ، لتسهيل مهمات السير بحسب الأوامر والتوجيهات التي توجه إليهم ، والتقليل بقدر الإمكان من إشغال الجهة المسؤولة بما لا طائل تحته .

« إذا تضافرت الجهود فلا شكّ في أن الأمة والبلاد بحول الله تعالى ، ثم بحسن توجيه صاحب الجلالة الملك ؛ واجتهاد العاملين . كلّ في حقله ، وإخلاصهم ، ستبلغ الغاية المنشودة بحول الله . فحكومة جلالته لا تزال تستهدف ما يكون فيه خير البلاد سواء في الحقل الداخلي أو الخارجي .

« أما سياسة الحكومة في الداخل ، فنشر العلم ، وتوسعة المدن ، وتأمين المرافق الصحية بقدر الإمكان ، والسهر عل صحة الشعب والوافدين ، وتنفيذ وإقرار المشاريع النافعة للبلاد والأمة . ولا شك في أن الطفرة محال . ولكن المهم في كل الأشياء ، هو أن يسلك الإنسان الطريق القويم ، باخلاص وجدّ ومثابرة .

« في السنوات الماضية حصل بعض التقدم ، وإن كان ليس كل ما أريد . ولكن على كل حال هو أحسن من لا شيء .

« من الناحية الصحية ، توسعت إدارة الصحة العامة في ميزاتها وفي ترتيباتها .

« ومن الناحية العلمية توسعت إدارة المعارف العامة في فتح المدارس وإيجاد الفصول النافعة فيها . وأقرت بموافقة الحكومة وتشجيع جلالته فتح

كليتين في هذا العام ، هما كلية الشريعة وكلية اللغة العربية . وفعلاً فُتحت كلية الشريعة وبدأت الدراسة فيها من هذا الشهر ، كما تأسست مدرسة للصناعات بجدة .

« ومن الناحية العمرانية أُنشئت بعض الطرق ، وأُكمل إصلاح بعض آخر . واتخذت الأسباب للشروع في إصلاح طريق الطائف والطريق الموصل بين المدينة والمطار ؛ وإصلاح طريق جدة — المدينة ، وتوسيع الطرق بين مكة وجدة ، أو إيجاد خط آخر ، مع الخط الموجود حالياً . وربما تُفتح في بحر السنة بعض الطرق الداخلية في العاصمة لتخفيف الضغط وتسهيل حركة المرور. واتخذت الأسباب لبناء بعض السدود في الطائف لحفظ المياه ، ويؤمل أن يبدأ العمل بها في بحر هذه السنة .

« ومن ناحية المواصلات ، قامت إدارة البرق والبريد العامة باستحضار ما يلزم لإنشاء خطوط تلفونية جديدة ، تربط مكة — جدة — الطائف . والأمل أن يتم إنشاء هذه الخطوط في هذه السنة . وأظن أن مدير البرق والبريد العامّ سيحقق ذلك (وكان حاضراً فقال : إن شاء الله !)

« هذا ما يتعلق بالحقل الداخلي .

« أما ما يتعلق بالحقل الخارجي ، فإن سياسة الحكومة هي توطيد وتثبيت العلاقات الأخوية والودية مع البلاد العربية . وقبل أسبوع أو أسبوعين ، كانت الجامعة العربية منعقدة ، واتخذت قرارات مهمة . وأهم ما حدث فيها هو اقتراح الضمان الجماعي الذي تقدمت به الحكومة المصرية على لسان وفدها .

« ولاقى هذا الاقتراح الترحيب والقبول من جميع الوفود العربية . وقد وافقت حكومة جلالة الملك مبدئياً عليه . وهو يُنظر بواسطة لجنة مختصة لدراسة تفاصيله التي توصله إلى طور التنفيذ .

« وحكومة جلالته ، تسعى لتوطيد العلاقات الودية مع الحكومات الأجنبية ، وبالأخص الإسلامية والشرقية . ولا تضمر لأحد سوءاً ولا ترضى بأن يضمر

لها أحد سوءاً . وعلى كلٍّ ، فحكومة جلالة الملك سائرة على سياسة تعتقد أنها حكيمة ؛ وهي : توطيد الروابط الودية مع كل حكومة وشعب يسعى لكسب صداقتها . يحدوها في كل ذلك الإخلاص وليس للحكومة غرض أو مطمع سوى محافظة هذه البلاد على استقلالها واستقرارها وشدّ أزر بعضها بعضاً .

« وعلى كلّ فكلنا مسؤولون وكلنا محاسَبون .

« أسأل الله سبحانه وتعالى أن يو فقنا جميعاً لأداء ما يجب علينا ، لخدمة هذه الأمة والبلاد ، في ظل صاحب الجلالة ، مسترشدين بإرشاداته الحكيمة والله الموفق الملهم للصواب .. » .

إنتاج المجلس في ربع قرن

أنجز مجلس الشورى منذ إنشائه حتى عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) بضع مئات من الأنظمة والتعليمات والمقررات ، أذكر منها ما يأتي :

١ ــ مجموعة أنظمة القضاء الشرعي (مطبوعة) .

٢ ــ مجموعة أنظمة الصحة العامة (مطبوعة) .

٣ ــ مجموعة أنظمة البرق والبريد والتلفون (مطبوعة) .

٤ ــ الأنظمة المتعلقة بالوزرات والإدارات الرئيسية العامة . وهي كثيرة.

وقد تألفت لجنة لترتيبها وطبعها في مجموعات . وأهمها : نظام صيد الأسماك. نظام سلاح الصيد . نظام تسلسل شركات السيارات . نظام هيأة التحقيق والتفتيش . مناهج الدراسة بالمدارس الأميرية . وظائف مأمورية العربان بجدة . تعديل نظام تصاديق الصكوك والإعلامات . نظام أزياء الموظفين في الداخل والخارج . نظام هيأة مراقبة الحجاج بجدة . تعديل تعليمات هيأة الأدلاّء بالمدينة . نظام العقارات . نظام دائرة الأوقاف بالمدينة . تعليمات مديرية الحرم النبوي . تعليمات هيأة العَين الزرقاء . نظام جمعية الطيران العربية . نظام هيأة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . نظام شروط استخدام الموظفين الصحيين . النظام الداخلي لنقابة السيارات . تعديل نظام هيأة التحقيق

والتفتيش . تعديل قانون التابعية . تعليمات توحيد رسوم القنطارية . تعليمات تنظيم موازنات الدولة . نظام المجلس التجاري . نظام هيأة الحجّ . نظام المأمورين العام . نظام وكالة المالية العامة الأخير . نظام جوازات السفر . نظام دلاّلي الحلقات . نظام تحكير الأراضي . نظام صندوق وكلاء المطوفين بجدة . نظام معرفة الأهلين من الأجانب . إحصاء وتعداد النفوس بالحجاز . نظام الصيد البحري والغوص . نظام وزارة المالية الأساسي . نظام وزارة المالية الداخلي . نظام إدارة السيارات والورشة الأميرية . نظام سائقي السيارات . نظام الشرطة العامّ . نظام إدارات السجون . نظام دوائر النفوس . نظام الموظفين الذين لهم مساس بالفن . نظام توريد النباتات والأشجار والثمار من الخارج . نظام الأبنية والإنشاآت . نظام الصرافين . نظام المجالس الإدارية . نظام مديرية خفر السواحل . التعليمات التي تسير عليها محاسبات النقابات . تعليمات الأربطة والحلاوي . تعليمات هيأة عين زبيدة . موادّ بشأن الحبس الاحتياطي . تعليمات مفتشي الماليات وصلاحيتهم . تعليمات عمومية لتسهيل سير المعاملات الرسمية . تعليمات بشأن الأملاك التي تؤول بالإرث إلى أجنبي . تعليمات أمين المطوفين ومعاونه في ينبع ، والمباشرين ورئيسهم . تعليمات طائفة الحياطين ومشيختهم . تعليمات تدريب القابلات . تعليمات بائعي الأقمشة بالقطاعي . نظام الدلاّلين . تعليمات فرع لجنة الصدقات بالمدينة ، وكيفية مراقبة المؤسسات . نظام الهوية والإقامة . تعليمات وضع يد المالية على الدّور الغائب أهلها . نظام جمعية الإسعاف الخيري الوطني . نظام تذاكر المرور . إلحاق موادّ بنظام المجلس التجاري . نظام الفقهاء . تعليمات محترفي مسلك الطوافة ، بالمسجد الحرام . نظام المطوفين العامّ . نظام حرفة التطريز . نظام منع بيع وحمل السلاح في المملكة العربية السعودية . مشروع الشواطىء . نظام تحديد صلاحية مجلس المعارف ومديرية المعارف . نظام مفتشي المعارف . نظام قسم التخصص بالمعهد السعودي والمنهج الدراسي . المنهج التحضيري للمدارس الأميرية والأهلية . نظام البعثات الخارجية . نظام المدارس الأهلية . نظام الجنسية السعودية .

نظام الانتخابات . نظام إدارة شؤون الحجّ العليا . نظام الشركة العربية للسيارات. نظام الإقامة . نظام المصاريف السفرية . نظام دار الأيتام . نظام مشروع القرش . النظام الأساسي للمملكة . نظام المجلس الحسبي . نظام البلديات الحديث. نظام مطبعة أم القرى . نظام العلامات الفارقة . نظام المطابع والمطبوعات . تعليمات الرفق بالحيوان . نظام الأمراء والمجالس الإدارية . نظام الكفالات . نظام المؤسسات الخيرية . نظام الموادّ القابلة للالتهاب . تعديل نظام الشركة العربية للسيارات . نظام جباية أموال الدولة . تعليمات بشأن إصدار الجوازات السفرية السياسية . نظام الشركات وتأسيسها . نظام العمل والعمال . تعليمات لجنة تنظيم أراضي الطائف . نظام الموظفين العام . نظام ديوان التفتيش . نظام التقاعد . نظام المشتريات . نظام منع تصدير الذهب والفضة إلى خارج المملكة . نظام الملاحة الجوية في المملكة . ترشيح التعليم وهيآته . تعليمات رسوم المطارات. نظام استخدام الموظفين الصحيين الأجانب والسعوديين . النظام الداخلي لوزارة الدفاع المعدّل . نظام العقوبات العسكرية المعدل . نظام الدروس الخصوصية . ملحق نظام المزايدات والمناقصات لمبيعات الحكومة . نظام الدراجات النارية . نظام الدراجات العادية . تعليمات بشأن وضع جواز خاص لموظفي الدولة ، بين السياسي والعادي . تعليمات ترحيل العاطلين الأجانب إلى بلادهم . تعليمات تشغيل المساجين . تعليمات الحجاج القادمين على الطائرات . تعليمات مكافحة الغلاء . تعليمات الموظفين الذين لهم خدمات سابقة والتحقوا بخدمة الدوائر ذات الصناديق المستقلة . تعليمات مصنع السجاد والكليم ، بالمدينة المنورة . نظام النظر في القضايا الصلحية والمسائل الجزئية والشفوية. نظام الرقابة على النقد وشروط تصديره. نظام هيأة تمييز قضايا المطوفين المختصة بالحجاج. نظام نقابة السيارات الخصوصية . تعليمات تأجير العقار . قانون مزاولة مهنة الصيدلة الموصى به من قبل الجامعة العربية . نظام دفن الموتى ومعاينتهم المقترح من مديرية الصحة العامة . المنهج الدراسي للمدرسة الصناعية المزمع افتتاحها بالعاصمة . نظام هيآت الإشراف على مدارس الملحقات . تعليمات نقل مكينات الإضاءة

العامة ومكينات الثلج والطحين ونشر الأخشاب من داخل العمران . نظام الطوابع الحديث . التعليمات الداخلية للقابلات والممرضات . مشروع نظام مديرية الأمن العام الحديث . التعليمات المتخذة لتنظيم حركة التفريغ والتنجيل والنقل بميناء جدة .

، ، ،

ومن هذه النظم والتعليمات ، ما وضعه أهل الاختصاص في مختلف الوزارات والدوائر الحكومية ، ولم يكن لمجلس الشورى غير إقراره أو إدخال تعديل يسير في أسلوب إنشائه .

الملك عبد العزيز

موفّق ...

التوفيق ، قوة من عالم الغيب ، يؤمن بها من تتبّع أمثال سيرة عبد العزيز .

خطط الحرب فنّ ، والتغلب أو بسط السيطرة فنّ ، والسياسة والإدارة وما إليهما من شؤون المجتمع ، كل منها فنّ له قواعده ومدارسه . ومن المدارس التجارب والمِران وطول الممارسة . أما « التوفيق »فأمر فوق ذلك كله . لا قاعدة له ولا مدرسة ولا سابقة ينسج على منوالها .

وفي الناس من يُسعَف بالحظ ، مرة أو مرات ؛ فيقال : قد وُفّق . ولكنه لا يسمى « موفقاً » ما دام يتأرجح أحياناً بين التوفيق ونقيضه . أما الموفق – حقاً – فذلك الذي تجري الأحداث ، أو تكاد تجري ، متتابعة متجانسة ، على وفق غرضه وعلى مدى مصلحته .

لنستعرض بعض أيام « عبد العزيز » الأولى ، وما بعدها ؛ وليس الغرض الإحصاء والاستقصاء :

قضى عبد العزيز أكثر مدةالطفولة في الرياض.في أُسرة لها سؤدد ومجد، ولكنها مهيضة الجناح ، تغلّب عليها متسلط قاهر . وكان الظن أن ينشأ عبد العزيز ويعيش ، كما يعيش أبناء النبلاء في حواضر البادية ؛ لم يذق طعم الحكم فيتطلع إليه ، ولم يعرف لذة الغَلَب فيطلبه .

ويقذفه القدر – وإن شئت فقل التوفيق – إلى أشد بقعة في صحراء

شبه الجزيرة خشونة ووعورة ، فيتنقل فيها مع أبيه وآخرين من إخوانه وذويه . وتصهره شمسها ويحتمل شظفها وقسوتها .

ويستقرّ بعد لأي عام ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) في بلد اضطربت فيه أهواء وأطماع ، داخلية وخارجية . فيرى ابن صباح (في الكويت) يقتل أخويه ليستأثر بالسلطان ، فيعرف عبد العزيز ما للدم من أثر في الحياة . ويرى رجالات من الترك والروس والألمان والإنكليز ، يقتتلون وهم يبتسمون ، ويتسابقون أمام ابن صباح وهم واقفون. فيكون ذلك فاتحة ما يتلقنه من دروس السياسة العملية الدولية .

ويختصم ابن صباح (صاحب الكويت) وابن رشيد (عدوّ آل سعود) سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م) ، لأمر لا صلة له بما بين آل سعود وآل رشيد ، فتنشب الحرب بين الرجلين . ويبرز عبد العزيز ، شخصاً ثالثاً في الميدان ؛ فتزول من نفسه مهابة المارد ابن رشيد ، ويسوقه « التوفيق » إلى أن ينفرد بعدوّ أُسرته ، ويسحقه .

وينتقض على عبد العزيز بعض أبناء عمومته في « الخرج » وتشتد شوكتهم بأنصار التفّوا حولهم ، فيزحف إليهم سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) وقد تحصنوا في السّليمية[١] ويأمر بالخيام لحصارهم ، فتنصب ، لشهر أو أكثر . ولكنه « موفّق » ومهيأ لأن يعمل في الشهر أكثر من حصار جمع من الناس . فيرى خيلاً برزت ، بعيدة عن الحصن ، فينتدب أخاه « سعداً » لمطاردتها بعشرات من فرسانه ، وتتبادل الطليعتان إطلاق الرصاص ، ويتقارب مرماهما ، وعبد العزيز على أبواب الخيام يرقب بمنظاره كرّات أخيه سعد .

وتيامن سعد ، فخرج عليه كمين كان مستتراً وراء رابية ، فتراجع . ورآه عبد العزيز قد لوى عنان جواده ... فثار ؛ وطلب فرسه يريد دفع العدوّ عن أخيه . ولكنه – وهو يركب – نشبت رجله في ثوبه ، فشُغل عن

(١) ويقال: إن المعركة كانت في « الحريق » .

توجيه الفرس ، فأغارت إلى غير الوجهة التي كان يريدها ؛ فإذا هو أمام حصن القوم .. وتلاحق به فرسانه فأهل الإبل ، فالمشاة ، وقد ظنوا أنه متعمد مهاجمة الحصن . فما هي إلاّ ساعات حتى دخلوه ، واحتلوا ما وراءه من قرى وخيام ، وفرّ من نجا من العصاة ، وانتهت المعركة في يوم واحد . وقال الناس : ظفر عبد العزيز بخطأ فرسه ، وكان « الخطأ » ضرباً من التوفيق ..

، ، ،

وعمل عبد العزيز على مصافاة « الشريف حسين » في الحجاز . وحاول أن يجعل منه أباً ثانياً له . وأنكر هذا على عبد العزيز امتداد سلطانه في حائل وعسير ، بعد اطمئنانه في نجد . وبلغت قوة الشريف ذروتها بعد انقضاء الحرب العامة الأولى ، فاجتمع له جيش نظامي مجهز بالمدافع والأسلاك والذخائر ، وعهد بقيادته إلى ثاني أبنائه (عبدالله بن الحسين) وقيل له : ألا تكتسح نجداً ؟ فقال : نجد ، ومن فيها بين يديّ ..

وذهبت مجاملات عبد العزيز للحسين ، سُدى . وحل الوعيد محل الوعود. وأنّى لعبد العزيز أن يفكّر في اقتحام الحجاز ، ودون ذلك ما دونه ؟!

ويجيء دور التوفيق ، فترتفع يد عبدالله بن الحسين ، في « تربة »ويصفع شيخها الوقور خالد ابن لؤيّ . وخالد هذا من الأشراف أيضاً ، وفي نفسه إباء . فينقلب على عبدالله وعلى أبيه الحسين . ويذهب إلى نجد ، مستنجداً . ويزحف عبدالله بن الحسين لمحوه . وتَحدْث وقعة « تربة » سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) وقد تقاطر رجال عبد العزيز لنصرة خالد ، فيظفر ؛ ويصبح سيفاً من سيوف عبد العزيز . ثم يقول الناس ، يوم خرج الحسين من مكة : رب لطمة ذهبت بعرش ...

، ، ،

ومشى الملك عبد العزيز من الرياض ، لفتح بقية الحجاز ، وليس في

خزائنه سوى ثلاثين ألف ربية .

وأصبح يوماً ، وهو مخيّم في محلة « الشهداء » بظاهر مكة ، وقد نفد ما ادّخر من موَن وأقوات ، ولاح في جموعه شبح الجوع أو كاد .

وكان المتوقّع أن تستسلم جدة كما فعلت مكة ، ولكن لم يكن من الثغر ما كان من العاصمة .

وضاقت صدور الرجال ، حين قلّ المال ، فنظر عبد العزيز إلى من حوله ، يقول : المؤن متوفرة في نجد ، غير أن الجمال مشيها وئيد .. من شاء منكم الرحيل فليرحل . أما أنا فمقيم . والفرج من عند الله .

وقبل أن يمسي ذلك اليوم ، وصلت قافلة يتقدمها إسماعيل بن مبيريك ، أمير رابغ . وكان الشريف حسين قد قتل أخاً له غيلة ؛ فلما علم بمقدم عبد العزيز ، جاءه بالطاعة وبعشرين بعيراً تحمل التمر والسمن والبُرّ . وكان ذلك من التوفيق .

، ، ،

وبينما عبد العزيز يحاصر جدة ، جاءه من أخبره بأن الشريف علياً (ابن الحسين) قد جهز طائرة بمدفع رشاش ، واحتفل أهل جدة بتجربتها ، وليس في معسكر عبد العزيز يومئذ ، ما يعصم من غارات الجوّ . لا مدافع مضادّة للطائرات ولا مخابىء . فقال : يكفينا الله شرّها !

وحلقت الطائرة فوق الخيام . ومن في الخيام ينظرون . وحامت حول أكبر سرادق في المخيم ، حيث يجلس عبد العزيز وخاصته . وكان الوقت قبيل الظهر ، ومن في الطائرة يرى من في الأرض بالعين المجردة . وكان مع قائدها شاب أعرفه ، روَى لي من تمنّى له النجاح في مطار جدة قبل قيام الطائرة ، أنه رآه يحمل قنبلتين من اللواتي تقذف باليد ؛ وسمعه يقول : سألقيهما على رأس عبد العزيز ..

ولم يكن بين الطائرة ورأس ابن سعود أكثر من مئات الأمتار ، وقد

أحكم القائد جَعْل السرادق هدفاً له ، وهُيِيء الرشاش وإحدى القنبلتين . ولكن التوفيق يَقِظ ، فإذا بالقنبلة تنفجر في الطائرة ، وإذا بالنار تشتعل في الجوّ ، وتهوي الطائرة ، ثم تصبح ومن فيها كومة من الرماد أمام خيمة عبد العزيز ..

، ، ،

وكان عبد العزيز في جدال عنيف ، مع بعض زعماء القبائل ، ممن طال عليهم المقام في حصار جدة . وآخر ما عندهم من الرأي أحد أمرين : إما أن يأذن لهم في دخول جدة عنوة ، أو يرحلوا عنها إلى نجد . وأجابهم عبد العزيز لن أدخل جدة في قتال وسأبقى على أبوابها . ولكم أن تقيموا أو ترحلوا .

وفيما هم يتهيأون للرحيل ، وردت رسالة الملك علي بالتسليم ، وأجابه عبد العزيز بالموافقة . وانتهى أمر الهاشميين في الحجاز .

، ، ،

وبعدُ أفليس ما تفتّح لعبد العزيز ابن سعود ، من مكنون الأرض ، ذهباً ونفطاً ، من التوفيق ؟

أليس هذا الأمن الذي عم شبه الجزيرة من التوفيق ؟

عبد العزيز « موفق » لا ريب . وما التوفيق إلاّ منحة من منح الله ...

عــرش

جُدّد فرش « الصالون » في القصر الملكي بجدة ، وأقبل عبد العزيز فجلس على المقعد الخاص به . وهو كرسي ضخم عليه طراحة منفصلة . وأظهر سروره من حسن صنعه . وكان فلبي حاضراً ، فشارك في استحسان الكرسي وقال : « عرش » !

غير أن الملك تحرك قليلا إلى الأمام ، فتحركت « الطراحة » تحته ، فاستنكر ذلك ، ونهض مسرعاً إلى مقعد آخر ، وهو يقول مبتسماً : لا ! لا أحب العرش المتقلقل ..

ووفــاء

وطلب ، على الأثر ، مقعده القديم ، فجاءه به الخدم . وجلس عليه مطمئناً . ورأيته يُمرّ يده على متكأ المقعد ويقول : حملتني سنوات ، فلا تفارقني .. وأمر بأن يبقى المقعد في القصر ، حتى بعد إصلاح الجديد .

نجــوى

وولدت لكبير من خاصته، بنت، فسأله : ما سمّيتها ؟ قال : نجوى ! فقال الملك : صدق الله العظيم : « إن النجوى من الشيطان » !

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

في حديث عنه للمستشرق جرمانوس

عبد الكريم جرمانوس المجري ، الأستاذ في جامعة بودابست ، حجّ مرّات بعد إسلامه . وعرف عبد العزيز ، فتحدّث عنه بما يشبه أن يكون شعراً [(١)] قال :

تمثّل الصحراء لمن يحسّ فيها حرارة الشمس ، وصفاء السماء ، وابتعاد غاية الأفق ، وخشونة الأديم في صفحتها الرملية التي تسجل خطوات العابر عليها تسجيلاً رشيقاً — تمثل هذه الصحراء مظاهر الرجولة التي تبدو عليها طراوة اللين ، وإنما تستقر في أطوائها صراحة الحياة ... وهذه الصحراء كما تمثل الرجولة الكاملة احتوت صفحتها على من يمثل الرجولة العربية من بني الإنسان ... فالملك عبد العزيز ابن سعود يمثل هذه الرجولة النادرة لأنه خلق ملكه من العدم ، مستنداً إلى سيفه الذي حركه دين الله ... أجل ، ابن سعود حقيق بأن ينفخ في من يتأمل وثبته ، أنفاساً مضمخة بالإعجاب الكثير . خرج من نجد حيث الشرق بإشراقه ، واستقر في الحجاز حيث الحياة بمعانيها النبيلة السامية ، وصدر عن (الخيمة) التي تذوب أحاسيس الأوروبي في سحرها النافذ ، ومضى يستقبل بعيداً عنها مُلكاً أقامه إلى جانب البيت الحرام ...

---

(١) نشر في « صوت الحجاز » ١١ صفر ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)

إنّ له عقلية الرجل الذي لا يريد أن يصبر على المقام في أطواء حياة ضيقة الصدر ، فهو حين مضى من الشرق إلى الغرب – على مألوف التوقيعات الجغرافية – فإنما مضى كذلك بعقله من الشرق إلى الغرب ، لا في أكناف هذه الجغرافيات وحدها ، بل في ظل معنويات المدنية الحديثة ، مع شديد حرصه على أن يظل الطابع الشرقي أصيلاً ، وفي مقدمة الصفوف .

ولقد هدته العقلية الممتازة إلى أن يخرج رويداً رويداً من أضواء الشموع إلى أنوار الكهرباء ، ومن امتطاء الجمال إلى الدخول في بواطن السيارات . وإنه ليقف بذلك على قدمين ، إحداهما ثابتة في الصحراء حيث القوة الأصيلة في غرائز العرب ، وحيث الصراحة البالغة في طبائعهم ، وحيث البساطة والتجرد وملابسة الحياة بالوجه المكشوف . بينما تثبت قدمه الثانية على مخترعات العصر الحديث التي استغلها أروع استغلال ، للدفاع عن الحرمين إذا شاءت نَهامة العادين أن تسعى إليهما بسوء .. ثم استغلها إلى جانب ذلك ، لرعاية الأمن العامّ في الحجاز ، رعاية هي بلا ريب حديث الذين عرفوا الحجاز منذ ما اختلفوا إليه وألموا بما كان يعتور صفاءه ، من جسام الأحداث .

أُتيح لي أن أرقب هذا الملك العظيم وأبدأ رصد خصائصه في تلك اللحظات التي اختلفت فيها إليه ، كما أُتيح لي أن اقرأ عنه شيئاً كثيراً من فصول كتبها المقرّظون لهذه الخصائص ، كما كتبها القادحون فيها . فخرجت من هذا كله وأنا عميق الإيمان ، بأني منه حيال رجل ناهض الفكر ، سديد التقدير لما يطوف حوله . نعم فهو رجل متقدم في فكره ، لا ينسى أن جذوره ثابتة في بلاد العرب ، ولا ينسى أنه لا يمكن أن يتقدم الشعب إلا من تلقاء نفسه دون إنكار منه لهذه الصفات والكيفيات الشعبية التي تربط الناس بأرضهم ، كما تربط الجذور الشجر بالأرض ، تأخذ منها القوت والماء .

ابن سعود ، بطل بما تسعه هذه الكلمة القصيرة من معان ، فقد جرح أربع عشرة مرة ، في حياته التي قضاها دون خشية من أحد ، إلا من الله

العلي القدير . وهذه الجروح تؤكد لنا حقيقة البطولة في قلبه الذي قُدّ في الشدائد من صخرة .. وهو بعيد عن تلك ، ليّن هين سهل ، تحمل دخائله ما تحمله القلوب التي تدري كل شيء في الحياة .

ولقد أحصيت ، وأنا أتأمله بأناة ودقة ، جملة ما يشعّ من عينيه من ظواهر الصفات التي تفصح عنها بعض العيون ؛ فإذا أنا من هاتين العينين ، حيال بريق تخرج منه الجرأة النادرة ، النافذة الآسرة ، ولكنّ الجرأة والإرادة تحوطهما أضواء كثيرة للدلالة على ما فيه من خصائص الطيبة والمحبة .

ولقد استروحت في أحاديثه ، العواطف التي تصدر عن أب يحيط ابنه بجليل سجاياه ، حتى يتأثرها ويحتذيها . وكانت هذه الأحاديث دلالة قوية على أني أجلس إلى رجل غربي التفكير ، مع ما هو مفطور عليه من إغراق في رعاية الجانب الديني وتسويده على مشاعره جميعاً .

وهكذا مستني ، وأنا أصافحه ، تلك الرهبة التي تمس العارف بأقدار الأبطال حينما تكون يده ملء يد البطل .

نعم . الملك ابن سعود هداني ، وأنا أصافحه ، إلى أنني أضع يدي في يد بطل من أكبر أبطال العالم في الجيل الحديث .



الإبل في مواردها الحديثة

الملك عبد العزيز

في رحلة بين المدينة والرياض

ليس لهذا الفصل صلة مباشرة بالملك عبد العزيز ، إلا من ناحية واحدة ، هي أن ما اشتمل عليه مقتبس من « رحلة » كتبها طبيبه الخاص[1] وعرضها عليه وعلى بعض خاصته ، لتحقيق أسماء المواضع الواردة فيها ، من مدن وقرى وأودية وجبال ومياه .. وقد نشرت في ستة أعداد من « أم القرى » وعلّق عليها محرر الجريدة تعليقات مفيدة ، منها ما اعتمد فيه على ياقوت — في معجم البلدان — ومنها ما هو من تتبعاته . واقتصرت منها على ذكر المواضع وأهمّ التعليقات ، للجمع بين الفائدة الجغرافية والإيجاز .

قال كاتب الرحلة : قام ركب الملك عبد العزيز من المدينة المنورة في ٤ رجب ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) فمرّ بالأماكن التالية :

الحَرّة : وهي حَرّة سُليم . فأرض « الريع » والريع الفج بين الجبلين . فأرض « المنجور » وبئر « الصُويدرة » ومنها إلى « الشُقْرة » — وكانت تعد من أرض سليم . وشعيب « التّناضِب » ويحرفه المعاصرون فيقولون « شعيب التناظم » — قال ياقوت : هو شعبة من شعب الدوداء ، والدوداء واد يدفع في عقيق المدينة. وشعيب التناضب ، كما في معجم ياقوت : بالقرب من « تنهاة » قالت صفية بنت خالد المازني :

---

(١) الدكتور مدحت شيخ الأرض .

لأبصر وهناً نار « تنهاة » أوقدت
بروض القطا ، والهضب هضب التّناضب

ومنه إلى مشاش التناظم (التناضب) والمشاش في لغة نجد اليوم : الماء القليل .

ومنه إلى أرض « الملاح » فأرض « اللعباء » فوادي « المغارى » ثم «خَشْم» و « الكهيان » و « وادي بقر » و « ضلع أظلم » ـ قال ياقوت : هو جبل في أرض سُليم ـ و « ضلع صنع » قال ياقوت : جبل في ديار بني سليم . و « ضلع الضاين » و « ضلع عزلانات » و « ضلع شدخ » .

ومنه إلى « ماء الهرمة » قال ياقوت : بئر هرمة في حزم بني عُوال ، وهو ـ أي الحزم ـ جبل لغطفان بأكناف الحجاز لمن أمّ المدينة .

ومنه إلى « وادي اللعباء » قال ياقوت : في حزم بني عُوال ـ أيضاً ـ فوادي « الزبالى » فوادي « الحسو » وهو واد فسيح فيه ماء عذب ، يحدّه شمالاً ماء « بلغة » وجنوباً ماء « ثرب » وغرباً ماء «المروة» و« ضلع الحمر » ـ قال المعلّق : خطأ ، والصواب حبرّ ، بكسرتين وتشديد الراء ، جبلان في ديار بني سليم ـ وشرقاً « ضلع طلال » .

ومن وادي « الحِسْو » إلى « شَعيب طَلال » وهو مجرى سيل عظيم .

ومنه إلى « وادي الجرير » ـ قال المعلّق : هو وادي الجريب ، يسمونه اليوم الجرير ، وقال ياقوت : يصب في بطن الرُّمة من أرض نجد .

ومنه إلى « ضلع المُضَيَّع » قال ياقوت : جبل بنجد ، على شط وادي الجريب ، من ديار ربيعة بن الأضبط بن كلاب .

ومنه إلى « نبع عواضة » فقاعة « صفو » فوادي « المياه » .

وفي « وادي المياه » ينابيع ، قال كاتب الرحلة : وقفت بنا السيارات على أحدها ، ويسمى « نبع أبرقية » وهو أجمل مكان رأيناه في هذه الرحلة . وقال المعلّق : هو أبرِقة الحِمَى ، ويسميه النجديون اليوم أبرقية ، قال ياقوت : وأبرقة الحمى ، وهو حمى ضَرِيّة كان حمى كليب بن وائل .

ومنه إلى « وادي القاعة » وفي جانبه الأيمن « جبل النير » قال ياقوت : جبل بأعلى نجد .

ومنه إلى « بلد الشَّعْراء» وهي قديمة العمران .

ومنها إلى « الدّوادمي » و « صحراء الدوادمي » — قال المعلّق : من الأسماء الحديثة — ومنها إلى « شعيب الدميثيات » و « علو الخفيفية » فبلدة « مراة » وهي قديمة محاطة بسور ، مساحتها أكبر من الشعراء والدوادمي ، يحدها شمالاً « ضلع كُميت » وجنوباً « ضلع المنصة » وغرباً « ضلع الصادرة » وشرقاً «النفود » وهي جبال الرمل ، و « ضلع المشيرف » ويُزرع في «مراة» النارنج والكبّاذ (الترنج) بكثرة ، وماؤها من المطر ، وفيها خزان ماء قديم ، قيل : أنشىء في أيام فتوحات خالد بن الوليد .

ومن مَراة ، إلى بلدة « البَرّة » . قال المعلّق : العليا والسفلى ، قريتان باليمامة ، والمقصود هنا العليا ، كما في ياقوت . وتبعد عن مراة ٤١ كيلو متراً .

ومنها إلى رأس « وادي حنيفة » — قال ياقوت : واد يشق العارض إلى منفوحة — وفي وادي حنيفة بلدة « العُيَيْنة » قديمة عظيمة .

ومنها إلى بلدة خاوية تدعى « الجبيلة » — قال المعلق : القرية التي قتل فيها مسيلمة الكذاب — ومنها إلى « الشميسي » وهي ضاحية « الرياض » في طريق القادم من وادي حنيفة .

ومجموع المسافة ، بين المدينة والرياض ٨٧٩ كيلومتراً ، قطعها الركب الملكي بالسيارات في خلال ٣٣ ساعة و ٤٠ دقيقة .

وبين جدة والرياض

ويناسب الحديثَ المتقدم ، عمّا بين المدينة والرياض ، وصف لطريق آخر بين جدة والرياض ، كتبه ابن بليهد . وقد سلكه وتوسع في ذكر الأمكنة التي مرّ بها ، مُورداً أسماءها وأسماء ما تشعب عنها ، وما قيل فيها من شعر قديم ، أو ملحون ، وبعض أخبارها .

جاء حديث هذه الرحلة في ٣٣ صفحة[١] اجتزأت منها بأسماء أهمّ ما مرّ به من المواضع والمناخات والقرى ، وأهملت ما حاذاها من جانبيها . ومن شاء الإطالة ، وفيها فوائد ، أمكنه الرجوع إليه .

، ، ،

جُدّة .الرغامة . أمّ السَلَم . بحرة . حَدّة (واسمها القديم حدّاء) وادي فاطمة (مَرّ الظهران) . الشميسي (الحديبية) . الرُّصَيّفة (ولم يذكر دخوله مكة) . الشهداء (وادي فَخّ) . ذو طُوى . الحَجُون . وادي المَعابدة . (وعلى يمينك بعده : المنحنى ، والمحصّب ، ومنى ، ومحسر ، والمزدلفة) — (ثم على يسارك جبل النور : حِراء) . وادي المغمّس . وادي الشرائع (والاسم حديث ، قيل : إنه مكان حُنَيْن) وادي سَبُوحة . وادي الزّيمة . وادي نخله (اليمانية) . وادي السَّيْل (وهو وادي قَرْن ، ميقات أهل نجد . ويقال له : قَرْن المَنازل) . عُشَيرة . وادي العقيق . رُكْبة (قال ياقوت : أرفع موضع في نجد) العَرْف (إذا جزته فعلى يمينك حَضَن ومن رأى حضناً فقد أنجد) وادي قِطان . منهل المُوَيْه أبرق الجَلْبة . وادي الدّفينة . (ثم منه على اليسار : الذنائب المشهورة بالمعركة بين بكر وتغلب فيها) . وادي الخَضارة (كثير الشجر) وادي الثِعْل .

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ١٣٧ — ١٧٠

المـشَـفّ . عفيف . القاعية . وادي الرشا . الدّوادمي . وادي الضال . التسرير . ثنية القرنة . خـُف . الخفيفية (منهلان) . نفود السرّ . مراة [١]. البرّة . العـُوَينِد (وفيه قصر ومزارع) . وادي الحَيْسية (واسمه القديم وادي الأحَيْسي) وعلى جانب منه ثنية غـُرور ، مرّ بها خالد بن الوليد عند ذهابه لقتال مسيلمة . العُيَينة (كانت مقرّ آل معمّر ، وخربت (ثم عمرت) وادي الجـُبيلة (وفي شرقيها عَقْرباء) وبعد الجبيلة الرياض.

بين مكة والرياض

مسافات تقريبية سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م)

عن رسالة أصدرتها مطبعة أم القرى ، بمكة ، سنة ١٣٤٧هـ ، مشوّشة ، أصلحت منها ما أمكن إصلاحه :

كيلو متر	مـن	إلى
٢٥	مكة	الشرايع
١٧	الشرايع	الزيمة
٣٣	الزيمة	السيل
٣٠	السيل	عـُشَـيرة
٦٠	عشيرة	رُكْبة عند العـَرْف
٣٧	ركبة عند العرف	الحـَلـَمة
٧٤	الحلمة	المـُوَيـه
٣٨	المويه	الجـَلـَبـَة

(٢) يؤكد ابن بليهد أن مراة هذه لم تكن بلد امرىء القيس الكندي خلافاً لما يذهب إليه بعض المعاصرين أو سواهم . ويرجح أنها كانت بلد امرىء القيس التميمي .

كيلو متر	مـــن	إلى
٨	الجلبة	الدّفِينَة
١٢٠	الدفينة	عَفِيف
٥٠	عفيف	أبْقَار
٨٠	أبقار	القاعيّة
٦٧	القاعية	الشّعْرا
٦٣	الشعرا	الدّوادمي
٤٤	الدوادمي	شعْب الضال
٥٠	شعب الضال	مَقْطَع الصّفراء
١٨	مقطع الصفرا	الخُفَيْفية
٣٠	الخفيفية	آخر النّفود
١٢	آخر النفود	المُغْر
٦٠	المغر	مَرَاة
٦٠	مراة	العُوَيْنِد
١٦	العوينِد	الحِسْيان
٤١	الحسيان	العُيينة
٦	العيينة	الجُبَيلة
٦١	الجبيلة	الرياض

١١٠٠ المجموع

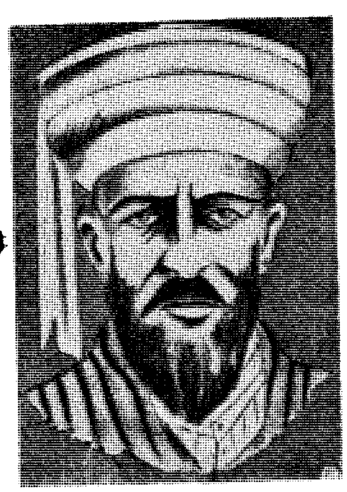
وبين أبها والرياض

ومسافات أخرى ، بين أبها والرياض ، أوردها تويتشل :

كيلومتر	مـــن	إلى
٢٨٣	أبها	جيزان
٣١٧	أبها	نجران
٨٥٠	جدة	جيزان
٣٨٦	جدة	المدينة (قبل الطريق الجديد)
٩٦٧	مكة	الرياض
٥٢٤	الرياض	الجبيل
٣,٣٢٧ المجموع		

صورة الإمام يحيى

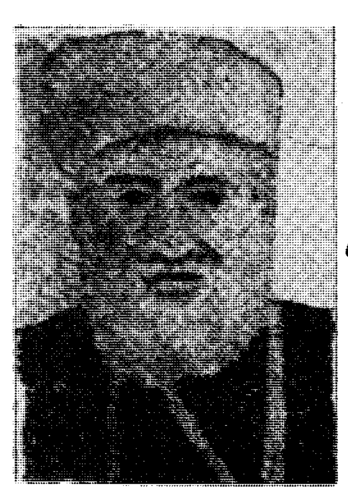
لم أجد للإمام يحيى صورة متفقاً عليها. وبين الأيدي الآن ثلاثة رسوم :



(٢)



(١)



(٣)

١ — رسم يدويّ ، وضعه أمين الريحاني بعد مقابلته ليحيى [١]

٢ — زخرفة للأول [٢]

٣ — صورة شمسية أكد لي بعض رجال الإمام يحيى أنها أقرب إليه مما سواها [٣]

---

(١) ملوك العرب ، أمام الصفحة ٧٧

(٢) ملوك المسلمين ، أمام الصفحة ١٦٦

(٣) صورة شمسية ، أكد لي بعض رجال الإمام يحيى أنها أقرب إليه مما عداها .

المَلك عَبد العَزيز

والإمام يحيى حميد الدين

في قيام الحركتين النجدية واليمانية ، وفي أهداف الزعيمين العربيين عبد العزيز ابن سعود ويحيى حميد الدين ، تشابه عجيب .

كلاهما قام في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة (أواخر القرن التاسع عشر للميلاد) أحدهما في الجنوب – الإمام يحيى – يعمل على استرداد ملك سلف لأسلافه ، فيصارع الزحوف التركية العثمانية ، ويتغلّب عليها فتمد إليه يد الودّ . وتجيء الحرب العامة الأولى فيأبى أن يعالنها العداء . وبانتهاء الحرب ، ينتهي ما كان لها من سلطان في بعض بلاده ، ويستقلّ أشرف استقلال وأنقاه . والثاني في شرقيّ شبه الجزيرة – عبد العزيز آل سعود – تفتحت عيناه على ملك سلف لأسلافه ، اقتسمه الترك العثمانيون وبعض المتغلّبة من أتباع آبائه . واجتمع المتسلط العثماني والمتغلب العربي على حربه ، فكان يضرب هذا وذاك ، واستمرّ قرابة عشرين عاماً ، يكاد يكون وساده سرج فرسه أو ظهر ذلوله ، فأجلي الترك عما كان في أيديهم من بلاده ، وسحق إمارة المتغلب من أبناء جنسه . واشتعلت الحرب العامة ، فهادن الفريقين . وقضي بعد انقضائها على كل عقبة أمام وحدة بلاده واستقلالها . ثم انصرف إلى إصلاح ملكه وإسعاده ، مستقلاً عزيز الجانب .

، ، ،

ظلّ الملكان الإمامان ، كلّ يعمل في نطاق قطره ، تفصل بينهما إمارتان صغيرتان قامت فيهما فتن وأحداث انتهت بانضمام رقعتيهما إلى الجار السعودي

عبد العزيز ، وهما إمارة « آل عائض » وإمارة « آل إدريس » وقد لجأ آخر من ولي إمرة الثانية ، الحسن بن علي الإدريسي ، في جمع من أقاربه وخاصته ، إلى الجار اليماني يحيى. وتولى عبد العزيز الإنفاق عليهم في دار أخيه ، وشملهم هذا برعايته .

وحدث ما لم يكن في الحسبان . فقد كانت إقامة الأدارسة هؤلاء، في صنعاء ، سبباً لثلم حصن الولاء بين الأخَوين .

، ، ،

استقصيت في زيارتي الثانية للحجاز شعبان ١٣٤٨ (يناير ١٩٣٠م) سبب الخلاف بين الملكين ، وكتبت في « مفكـّرتي » يومئذ :

استفزّ الإمامَ يحيى ، أول الأمر ، إعلانُ الملك عبد العزيز حمايته لبلاد الأدارسة في القسم الجنوبي من تهامة عسير . وكان يحيى يطمع في الاستيلاء على هذا القسم ، رغماً عن إرادة أهله ، وكلهم شوافع . وداخَلَه الخوف من مادة في معاهدة مكة مع الأدارسة سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) [١] تشير إلى معاهدة عبد العزيز ومحمد علي الإدريسي سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) ، وأنها قد تُتخذ سبباً فيما بعد ، للمطالبة بكل تهامة ، ومنها الحُديدة . يضاف إلى هذا أن يحيى كان لا يزال يطالب بتعويضات عن قتلى من اليمانيين ، كانوا قادمين للحجّ سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) وظنهم « الإخوان » رجالُ عبد العزيز ، نجدة قادمة لنصرة الشريف حسين ، فقتلوهم ..

، ، ،

على أن الإمام يحيى قد حاول سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) ضم بلاد عسير ، ومن ورائها نجران ، إلى مملكة اليمن ، واصطدم بالتعاقد بين السيد محمد بن علي الإدريسي[٢] وعبد العزيز آل سعود ، فلم تُفلح المحاولة . وهاجمَ يحيى الأدارسة ، أيام ولاية خامسهم علي بن محمد[٣] سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٣م)

---

(١) نص المعاهدة في مجموعة المعاهدات ١ — ٢٥

(٢) و (٣) انظر الصفحة ٥٣٥

فانتزع منه مدينة الحُديدة وضمها إلى اليمن . ولما لجأ إليه آخر الأدارسة ، الحسن بن علي ، سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) فارّاً من رجال عبد العزيز ، زَيّن الحسن للإمام يحيى إمكان « العمل » في بلاد عسير .

قبل المعركة

وبين أوراقي رسالة (شبه رسمية) تاريخها ٦ جمادى الأولى ١٣٥٢ (٢٨ آب ١٩٣٣) بعث بها إليّ الشيخ يوسف ياسين ، من الرياض ، وكنت يومئذ في القدس ، يقول فيها ما نصه :

« طرأ بعض التبدّل على الموقف مع الإمام يحيى ، وهو نسخة ثانية مع نقص في بعض المزايا ، عن الملك حسين. مضى علينا عدة سنوات والهُمام (يقصد الملك عبد العزيز) يجامله مجاملته للحسين قبل الوقائع الأخيرة معه . ولكن الحسين كان يفسر المجاملات بالضعف. ومجاملات الملك ليحيى هي في القول والفعل ، حتى إن بعض إخواننا كان ينتقدها في حينها - ولكن هذه عادة صاحبنا : يستمرّ في المجاملات إلى أن يُمتشق الحسام . ويعدّ مجاملاته المتقدمة شافعةً له في إقدامه على ما يُقدم عليه .

« حصلت حوادث الإدريسي ، وكانت ليحيى فيها اليد الخفية الطُّولى ، فعفا الملك عنه ، مع قدرته على أن يأخذه من المكان الذي أوى إليه . ولكنه لم يشأ أن يفتح هذه الثلمة ، وواتاه[1] على ما طلب ، ثم أرسل إليه وفده . ولئلا يظن الإمام يحيى أن القصد من إرسال الوفد ، في أثناء وجود القوة ، هو الضغط عليه ، سرّح الملك الجند ، لجعل المفاوضة مشبعة بروح الودّ والصفاء . وكانت معاملة يحيى لرجال الوفد ، غير كريمة . فأبقاهم عشرة أيام ، لا حديث ولا كلام ، محجورين في بيت لا يخرجون . ثم سمح لهم بزيارته ساعة . وأهملهم بعد ذلك شهراً كاملاً . ثم أرسل إليهم من يفاوضهم

---

(١) في التاج : و اتاه على الأمر : طاوعه .

بمطالب لم يطلب مثلها الحلفاء من ألمانيا يوم ڤرساي .. وكان بين أعضاء الوفد خالد أبو الوليد ، فرفضوا تلك المطالب . ولم يكن من يحيى بعد ذلك إلاّ أن حجز الوفد عن السفر ، ومنعهم من مخابرة جلالة الملك بالبرقيات بعد أن كانوا يخابرونه .

« ولمّا انقطعت أخبارهم ، كان الجواب صدور الأمر بإعلان « الجهاد » في شمالي نجد وفي جهاته الوسطى ، لأن هذه القوى لم تشترك في القتال السابق . وصدر الأمر للباقين بأن يكونوا على استعداد للطوارىء .

« وبعد مدة قصيرة ، علمنا أن الوفد غادر صنعاء يحمل مطالب دون الأولى بقليل . وعلى عادة الملك ، بسط للإمام يحيى الجواب ، وحذره من عاقبة التصلب ، وأنذره بأن الأعداء لهذه البلاد بالمرصاد ، يرتقبون الفرص . فإن نفع التحذير والإنذار واستوت الأمور فذلك المطلوب ، وإلاّ فلا حول ولا قوة إلا بالله ..

« والحقيقة أن الملك لا مطمع له في اليمن ، لأن إدارة اليمن كثيرة المتاعب . ولكن إذا حمله يحيى على ذلك ، فلا خيار في الأمر . وكان هذا شأن الحسين معنا : سعينا معه كل السعي ، لنكون يداً واحدة . وعرضنا عليه مشروع معاهدة دفاع ، أو معاهدة دفاع وهجوم إن شاء . وكان جوابه أن يهاجمنا أولاً ثم يعقد المعاهدة معنا . وأيّ هجوم كان هجومه ؟ دسائس وفتناً لم تنفعه ولم تُقل عثاره .

١٣٥٢/٥/٦ (يوافق ١٩٣٣/٨/٢٨)　　　　« يوسف ياسين »

جيش الإمام يحيى يدخل الحدود

وتقدم جند من جيش الإمام يحيى سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) إلى جبال جازان ، حيث كانت تقوم فيما سبق إمارة الأدارسة ، وتجاوزها إلى «نجران» في شرقيّ البحر الأحمر . وعلم عبد العزيز بالأمر ، فاستعظمه . وكاتب يحيى ،

فاتفقا على عقد مؤتمر في «أبها» حضره مندوبون عن كلّ منهما، للاتفاق على «الحدود» ولكنهم انصرفوا على غير اتفاق، بعد أن ذهب مسعاهم (في شهري شوال وذي القعدة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م) سُدَى.

عبد العزيز ينذر

ووجّه عبد العزيز، إنذاراً ليحيى، في وجوب سحب القوات اليمانية التي وصل بعضها إلى نجران وفيفا. وكان منها ما دخل حدود «بني مالك» و «العبادل» ومضت مدة الإنذار، وهي أسبوعان، ولم يكن له أثر.

الزحف السعودي

وتقدم الزحف السعودي في ذي الحجة ١٣٥٢هـ (أبريل ١٩٣٤) مشطوراً إلى فريقين: أحدهما بقيادة الأمير سعود، كبير أنجال الملك عبد العزيز، إلى الشمال؛ ووجهته الجبال. فكانت وقعة «حرض» على يد حمد الشويعر، أمير تهامة عسير. وتوغل سعود في جبال السراة، وبين صعدة ونجران، واقترب من غمدان. والثاني بقيادة الأمير فيصل، نائب الملك وثاني أنجاله، كان طريقه في الجنوب، على الشاطىء، فاستولى على «ميدي» ثم «الحُديدة» و «بيت الفقيه» و «الزيدية» و «القضيعة». وأخضع الزرانيق وغيرهم من قبائل الجنوب، في خلال ٢٠ يوماً، وبدّد كل مقاومة اعترضته في سيره. ولما دخل الحديدة، فوجىء بجنود ينحدرون إليها، من باخرة إيطالية؛ فعالج الموقف، بحكمة الحازم البصير، فتوقفوا. وظهرت في عرض البحر قطع من الأسطولين البريطاني والفرنسي. واتخذ الجميع موقف المترقب في خارج الميناء وزالت مخاوف «فيصل» من أن يشوه ظفره، احتلال أجنبي أو تدخل..

، ، ،

وانهار جيش الإمام يحيى حميد الدين، في أقل من شهر واحد، فأبرق

إلى مصر ، يستنجد بالجالس على عرشها يومئذ ، الملك أحمد فؤاد . وكان هذا معواناً لكل إنسان على عبد العزيز ، لا سيما بعد وقعة « المحمل » في منى — عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) — وقد تقدم ذكرها . ولم يكن في استطاعة الملك فؤاد ، أن ينجد الإمام يحيى ، فاعتذر .

وأُسقط في يد الإمام يحيى ، فلجأ إلى عبد العزيز .

الصلـــح

وبينما الوسطاء من أعيان العرب[١] يسعون للصلح ، وقد نزلوا ضيوفاً على الملك عبد العزيز ، في مدينة الطائف ، إذا بالبرق الذي كان الإمام يحيى يسميه « طار الهواء » يحمل برقية منه إلى عبد العزيز ، مؤدّاها : كفى) ! ... بلاد « يام » تحت حكمكم . أمرنا بسحب جندنا من نجران . عندكم عبدالله ابن الوزير ، تفضلوا عافاكم الله ، بطلبه لعقد معاهدة أخوية . سحبنا هذه البرقية عن طريق أسمرة ، لاختلاط « طار الهواء » لدينا ، ويجري العمل على إصلاحه . ننتظر جوابكم بواسطة أسمرة .

وأجابه الملك عبد العزيز : سندعو ابن الوزير. والمهمّ أن يتم انسحاب الجند من نجران ، وإطلاق رهائن أهل الجبال ، وتسليم الأدارسة إلينا .

وتلقى عبد العزيز إجابة يحيى ، في رابع محرم ١٣٥٣ (١٩٣٤/٤/٢٠) بقبوله الشروط الثلاثة ، وبأنه تمّ الجلاء عن نجران ، وأنه أمر بتسريح « رهائن الجبال » ويتم تسليم الأدارسة في الحال .. وكرر طلبه وقف الزحف .

أمر عبد العزيز ، بوقف الزحف في ١١ محرم ١٣٥٣ (١٩٣٤/٤/٢٧م)

وأمر بدعوة عبد الله ابن الوزير [٢] إليه ، فوصل إلى الطائف يوم ١٤ محرم . وأطلعه الملك عبد العزيز على برقيات إمامه . ثم أملى عليه ، وعلى من

---

(١) كان المجلس الأعلى لفلسطين ، قد ألف وفداً للوساطة بين الملكين ، قوامه : الأمير شكيب أرسلان ، والحاج أمين الحسيني ،والسيد هاشم الأتاسي،ومحمد علي باشا علوبة .

(٢) سيأتي خبر قيامه على الإمام يحيى ، في فصل خاص به .

حضر من المستشارين السعوديين ، فقرات أشبه بالموادّ ، تُبنى عليها « معاهدة » للصلح . وسأل عن الوسطاء فعلم أنه قريبون منه ، فدخلوا . وأطلعهم على ما كان . وتولى المستشارون السعوديون وابن الوزير ومن كان معه صياغة تلك « المواد » فكانت منها معاهدة « الطائف » وجرى توقيعها في جدة ؛ بعد أن اطّلع الإمام يحيى على نصها ، في ٦ صفر ١٣٥٣ (١٩٣٤/٥/٢١) وهي :

معاهدة الطائف

تتألف المعاهدة من ٢٣ مادّة ، وعهد تحكيم ، وثلاث رسائل متبادلة . وهذا موجز الموادّ [١] .

١ — تنتهي الحرب القائمة بين المملكتين . ويتعهد الفريقان (الملك عبد العزيز ، والإمام يحيى) بأن يحلاّ بروح الودّ ، المنازعات التي قد تقع بينهما .

٢ — يعترف كل منهما باستقلال الآخر ، استقلالاً تاماً مطلقاً . ويتنازل الإمام يحيى عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية ، من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض ، أو في نجران ، أو بلاد يام ؛ كما أن الملك عبد العزيز يتنازل عن أي حق يدعيه من حماية واحتلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن ، من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو غيرها .

٣ — يتفق الفريقان على الطريقة التي تكون بها المراجعات ، بما فيه حفظ مصالح الطرفين ؛ على ألاّ يكون ما يمنحه أحد الفريقين للآخر أقلّ مما يمنحه لفريق ثالث .

٤ — يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسَّم على ساحل البحر الأحمر ، إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية . ثم يرجع شمالاً

(١) نص « المعاهدة » الكامل ، في مجموعة المعاهدات ، ص١٥٨ وانظر « تاريخ اليمن » للواسعي ، الطبعة الثانية ، ص٣٨٣ — ٤٠٠

إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جُماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال . ثم ينحرف إلى جهة الشرق ، إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة واثلة ، وبين حدود يام . ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة . ثم ينحرف إلى جهة الشرق ، حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدا يام من همدان بن زيد الوائلي وغيره ، وبين يام . فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية .

وكل ما هو عن يسار الخط المذكور ، فهو من المملكة العربية السعودية . فما هو في جهة اليمين المذكورة ، هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرّث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل مشيح وجميع البلاد وجبال بني جُماعة وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصعة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم واثلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد ، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢هـ ، كل ذلك وهو في جهة اليمين ، فهو من المملكة اليمانية .

وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو : الموسّم ووعلان وأكثر الحُرّث والحوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة ، وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من واثلة وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق ، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة . وكل ما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما

كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢هـ ، كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور ، فهو من المملكة العربية السعودية .

وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة ، فهو بناء على ما كان من تحكيم الإمام يحيى للملك عبد العزيز ، في يام ، والحكم من الملك عبد العزيز بأنّ جميعها تتبع المملكة العربية السعودية. وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران ، هم من وائلة ، ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر ، فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلة من التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد .

ثم يمتد هذا الخط ، من نهاية الحدود المذكورة آنفاً ، بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن ، فللمملكة اليمانية كل الأطراف ، والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات .

وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات .

وكل ما ذكر في هذه المادة ، من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب ، فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة . وكثيراً ما يميل لتدخلٍ ما إلى كل من المملكتين .

أما تعيين وتثبيت الخط المذكور ، وتمييز القبائل وتحديد ديارها ، فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل .

٥ ــ يتعهد الفريقان بعدم إحداث أيّ بناء محصن في مسافة ٥ كيلومترات في كل جانب من جانبي الحدود ، في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود .

٦ — يتعهد كل من الفريقين بأن يسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر ، مع صون الأهلين والجند من كل ضرر .

٧ — يتعهد الفريقان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى ، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين .

٨ — يتعهدان بالامتناع عن اللجوء إلى القوة لحلّ المشكلات بينهما . وفي حالة عدم إمكان التوفيق لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من خلاف ، يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذي توضح شروطه في ملحق مرفق بهذه المعاهدة ، وله قوتها .

٩ — يتعهدان بمنع استعمال بلادهما قاعدة لأيّ عمل عدواني أو شروع فيه أو استعداد له ، ضد بلاد الفريق الآخر .

١٠ — يتعهدان بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته . وإن تمكن من اجتياز خط الحدود ، ينزع سلاحه ، ويسلم إلى حكومة بلاده الفارّ منها .

١١ — يتعهدان بمنع موظفيهما من التدخل مع رعايا الفريق الآخر .

١٢ — يعترفان بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق .

١٣ — يتعهد كل منهما بإعلان العفو الشامل عن سائر الأعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده .

١٤ — يتعهد كل منهما بردّ وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم ، إليهم أو إلى ورثتهم .

١٥ — يتعهد كل منهما بعدم المداخلة مع فريق ثالث أو الاتفاق معه بأمر يخل بمصلحة الفريق الآخر .

١٦ — يعلنان أنهما لا يريدان بأحد شراً وأنهما يعملان جهدهما لترقية

شؤون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون ، غير قاصدين بهذا أية عداوة لأية أمة .

١٧ — في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين ، يتحتم على الآخر أن يقف على الحياد التام سراً وعلناً ، ويعاونه المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة ، ويشرع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق الآخر ، ومنع الضرر عنها ، والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

١٨ — في حالة حصول فتن واعتداآت داخلية في بلاد أحد الفريقين يتعهد كل منهما (أ) باتخاذ التدابير لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه (ب) منع اللاجئين إلى بلاده ، وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها (ج) منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين ، وعدم تشجيعهم أو تموينهم (د) منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين .

١٩ — يعلن الفريقان رغبتهما في عمل الممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما ، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما ، وإجراء مفاوضات تفصيلية لعقد اتفاق جمركي .

٢٠ — يعلن كل منهما استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه في الخارج إن وجدوا ، بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك .

٢١ — يلغى ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠ .

٢٢ — تظل هذه المعاهدة سارية المفعول مدة ٢٠ سنة قمرية . ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر الأولى التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها .

٢٣ — تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف .

عهد التحكيم :

ويلي المعاهدة « عهد تحكيم » بالتاريخ نفسه (٦ صفر ١٣٥٣) في خمس موادّ ، خلاصته :

أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع ينشأ بينهما ، أو بين حكومتيهما وبلاديهما ، متى عجزت المراجعات الودية عن حله . (ثم تذكر هيئة التحكيم) ويكون الحُكم ملزماً للفريقين

الرسائل المتبادلة

١ — كتاب من المفاوض السعودي (خالد بن عبد العزيز) إلى المفاوض اليمني (عبدالله بن الوزير) في التاريخ نفسه ، بأنه لا يمكن اعتبار المعاهدة وإنفاذ مقتضاها إلاّ بعد « تسليم الأدارسة وإخلاء جبالنا في تهامة وإطلاق رهائن أهلها حالاً » .

وجواب من اليمني إلى السعودي ، في اليوم نفسه ، بالموافقة على ذلك .

٢ — تم تبادل رسالتين بين المفاوضين ، في التاريخ نفسه ، الأولى من اليمني عن طريقة تسليم الإدريسيين الحسن وعبد العزيز بن محمد ، للأمير فيصل في تهامة ، وأنه بالنظر لغياب الثالث عبد الوهاب الإدريسي ، في بلاد العبادل ، فيتعهد باتخاذ الوسائل لاستدعائه وتسليمه ، وإن لم يطع الأمر فتتعاون الحكومتان على القبض عليه وتسليمه . ومن كانت له علاقة بحركة الأدارسة ، من الأشراف أو غيرهم ، إذا أرادوا اللحاق بالأول فلهم الأمان ، من قبل حكومة الملك عبد العزيز ، وإن أبوا فيُخرجون من بلاد الإمام يحيى. وإن عادوا إليها يطردون وينذرون ثم يسلمون إلى حكومة عبد العزيز . ورسالة السعودي بالموافقة .

٣ — تم تبادل رسالتين بينهما بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكتين في البلادين .

، ، ،

وإنما أطلت في تلخيص هذه المعاهدة ، لاستمرار الحاجة إلى الرجوع إليها فيما يتعلق بالحدود خاصة .

لمن يؤرخ الحوادث

أشرت قبل صفحات إلى أن وفداً من أعيان العرب ، نزلوا ضيوفاً على الملك عبد العزيز ، للوساطة في الصلح بينه وبين الإمام يحيى. ولما ألقى إمام اليمن السلاح ، وعقدت المعاهدة ، وعاد أعضاء الوفد إلى بلادهم ، طاب لبعضهم التحدث إلى الصحف بأن الوفد كاد يكون كل شيء في الإصلاح بين الملكين ، وعلى يديه انعقد السلام في جنوبي شبه الجزيرة .

وجاءني على الأثر ، كتاب من ثقة عبد العزيز ، مؤرخ في ١٣٥٣/٣/٢١ (١٩٣٤/٧/٥) من الطائف ، يقول فيه :

« قرىء بين يدي جلالة الملك ، ما حمله البريد الأخير من تصريحات علوبة باشا . وقد أسرف في كلامه عن مساعي الوفد . أما الحقيقة فهي أن المعاهدة وموادّها لم يطلع عليها أحد غير المفاوضين والملك . ولم يعلم بها أو يطلع عليها أحد ، لا الوفد الإسلامي ولا سواه ، حتى الكثير من أفراد الأسرة المالكة . وكل مساعي الوفد كانت منحصرة في إظهار الأماني ، بارك الله فيه . »

، ، ،

وأكد هذا ، تصريح أفضى به كبير المفتين بفلسطين الحاج أمين الحسيني ، أحد أعضاء الوفد ، بعد رجوعه إلى بلده ، وقد أقيم له حفل في مدينة حيفا – ردّها الله إلى أهلها – في سبتمبر ١٩٣٤ وقال أحد الخطباء : إن الفضل للسيد الحسيني وللوفد ، في عقد الصلح بين المملكتين ، فأجابه الحاج أمين بكلمة نشرتها الصحف يومئذ ، قال فيها :

« ليس لنا في ذلك الصلح أيّ فضل . وإنما الفضل لله تعالى ، ثم لكلّ

من الملك عبد العزيز ، والإمام يحيى اللذين آثرا الأخوّة الإسلامية والمصلحة العامة العربية ، وبادرا إلى حقن الدماء وعقد الصلح بينهما » .

عبد العزيز وفلبي

أما ما يقصّه فلبي ، في بعض كتبه ، من أن الملك عبد العزيز فرض على الإمام يحيى غرامة كبيرة ، وأن الحرب كادت تعود جذعة بينهما ، بسبب رفض الإمام الموافقة عليها ، وأن برقية منه وردت لابن الوزير في اليوم الثاني بالموافقة ، فتمّ الصلح الخ ... فلا أعلم مبلغها من الصحة . ولكنني أعلم أن فلبي لم يكن من أوائل الذين عرفوا ببرقية يحيى إلى عبد العزيز بالتسليم . وأعلم أيضاً أن عبد العزيز لما دعا إليه ابن الوزير وأطلعه على البرقيات وأملى عليه النقاط الأولية التي بنيت عليها المعاهدة ، كان فلبي في خارج المكان المعقود فيه الاجتماع . وأنه لما سمع أن الملك قرر الانسحاب من أكثر المواقع التي احتلها ولداه سعود وفيصل ، وقف يبكي على باب الصيوان ، فدعاه الملك إليه وسأله : لم تبكي ؟ فقال : على جهود أضعتها وأموال بذلتها حتى صار اليمن في قبضة يدك ، ثم تتخلى عن كل ذلك . فقال الملك : يا مهبول أين الرجال الذين أحكم بهم اليمن ؟ اليمن لا يحكمه إلاّ راعيه ...

، ، ،

وعلى ذكر الغرامة : أخبرني يوسف ياسين ، فيما كان يتحدث به عن الملك عبد العزيز ، قال : بينما كنا نعمل في كتابة المعاهدة مع اليمن ، لاحت لي فرصة سألت بها الملك : ألا يمكن فرض غرامة على يحيى ؟ فضحك ، وقال : لو قامت القيامة ، لم يخرج من يده دانق ...

الملك عبد العزيز

في مقال للكاتب الفرنسي المسلم ناصر الدين « دينيه »

في مجلة المنهل ، فصل تُرجم عن الفرنسية ، جاء في مقدمته أن ناصر الدين دينيه ، شخصية بارزة في العالم الأوربي ، ورسام فني كبير ، هداه الله إلى الإسلام ، فحجّ ووضع كتاباً سماه « الحجّ إلى بيت الله الحرام » سنة ١٣٤٨ هـ قال فيه :

« دخلنا مكة المكرمة ، وإذا بها مرتدية حللاً جميلة من الأعلام الخضراء ، احتفالاً بوصول الملك ابن سعود . وأقام جلالته في تلك الأيام مأدبة عشاء فاخرة دُعي إليها ما ينيف على ٥٠٠ شخص ، وكنت من الذين شرّفهم بدعوته .

« ذهبت إلى المأدبة في سيارة أقلتني إلى القصر الملكي ، في ضاحية مكة على طريق منى . وقدّمني بعض الحرس إلى جلالته ، وكان جالساً في ركن الأريكة التي كانت تحيط بالمكان من جهاته الأربع . فسلمت عليه بإشارة خفيفة ردّها عليّ بحركة كلها لطف وبشاشة ، دلت على نبله وكرمه . وجلست أتأمل فيه .

« هوذا الملك أمامي . قد ارتدى ملابس بسيطة لا تميزه عن سواه : ولكن هذا اللباس البسيط يبدو على هذه الشخصية العظيمة ، كأنه لا نظير له . « والحقّ أني كنت متأثراً بهذه العظمة الإسلامية ، وتلك الهيبة

وذاك الوقار . إن ملامحه لتدلّ بوضوح على ما يحمله من حلم ورزانة وشجاعة واعتزاز بالله ثم بالنفس .

« يشعر الشاخص إلى ابن سعود بعظمته من أول نظرة يلقيها إليه . ومن المحال أن يكتشف الناظر اليه بسرعة ، سرّ تلك العظمة . فليس في ملابسه ، ولا في حركاته ، أو كلامه أقل كبرياء ، ولا أيّ تكلف يوجب ذلك . إذن فعظمته حقيقية طبيعية .

« ولا شك في أن هذه البساطة الفطرية التي يكاد ينفرد بها ، هي التي ألبسته تلك الحلة القشيبة من الجلال والوقار . والحقيقة أني لم أر رجلاً قبله وهبه الله هذه الصفات الممتازة . ولم ينجل لي السرّ في ذلك إلاّ عندما ألقيت نظرة سريعة على صفحات العظماء المتقدمين ، وأخذت أتصور الخلفاء الأربعة الراشدين ، وأتأمل فيما جمعوه من البساطة والعظمة اللتين جعلتهم أعظم رجال الإسلام .

« وبعد صلاة المغرب وتناول العَشاء ، عدنا إلى أماكننا ، لسماع الخطبة التي سيلقيها هذا المسلم العظيم .

« وما هي إلاّ هنيهة ، حتى بدا جلالته ، ولم يغير شيئاً من هيئته الأولى . فها هو جالس في مكانه ، وقد انحنى قليلاً نحو الحاضرين . وابتدأ خطابه بإلقاء طبيعي سهل ، كان خالياً من تلك الإشارات التمثيلية الثقيلة ، سالماً من تلك الحركات المتكلفة الركيكة ، وتلك الأصوات المزعجة . فالرزانة والرجولة الكاملة والاعتداد بالنفس كلها كانت تتفجر في خطبته . وعجيب أن لا يفارق حالته العادية وهدوءه المعتاد ، حتى في الوقت الذي يبحث فيه أخطر المسائل وأهمها . ولم نر منه إشارة سوى ضمّ سبابتيه حينما يتكلم عن الاتحاد ، وتفريقهما حينما يتكلم عن التفرّق . ورغم هذا كله ، فقد كنا نحسّ بأن وراء هذا الهدوء وهذه البساطة وهذه الرزانة ، حزماً وعزماً ونبلاً وبطولة فذّة يختصّ بها . اهـ

إلى موظفي البرق والبريد

واتصل به أن برقية شكوى ، تأخر وصولها اليه ، أو وصلت مقتضبة ، خوفاً من نفوذ المشكوِّ منه ، فعاقب المسؤول ، وأصدر الإرادة الملكية الآتية (١) :

« كل شكاية تُرفع لنا عن طريق البرق أو البريد ، من أي شخص كان ، يجب أن ترسل لنا بنصها . ولا يجوز تأخيرها ولا إخبار المشتكى منه ، سواء أكان أميراً أو وزيراً أو أدنى أو أكبر من ذلك » .

اللّهم اشهد !

وكتب حاجٌّ سنة ١٣٧٢ هـ : بينما كنت داخلاً من الباب المجيدي ، في الحرم النبوي (بالمدينة) لزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، لفتت نظري لوحة إعلانات معلقة على جدار المسجد ، وفيها « الإعلان » الآتي نصه :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود ، إلى شعب الجزيرة العربية :

« على كل فرد من رعيتنا يُحسّ أن ظلماً وقع عليه ، أن يتقدم إلينا بالشكوى . وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها ، بطريق البرق أو البريد المجّاني على نفقتنا ..

« وعلى كل موظف بالبريد أو البرق ، أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ، ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي ..

« وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه ، مهما تكن قيمتها ، أو حاول التأثير عليه ، ليخفف من لهجتها ، أننا سنوقع عليه العقاب الشديد .

« لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم ، ولا أريد أن يُحمّلني الله وزر ظلم أحد ، أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم .

« ألا قد بلغت .. اللهم فاشهد ! »

---

(١) نشرتها الصحف السعودية في ٢٦/١٩/١٣٧١هـ (١٩٥٢م)

ديمقراطيته

قال الكاتب المصري إمام أبو شنب [١] : شاهدت بعيني رأسي أعرابياً قزماً يدخل على الملك عبد العزيز ، ويريد تقبيله في جبينه . فلما لم يستطع ، لقصره وطول الملك ، أمسك برأس جلالته ، وقربه اليه ، قائلاً : كيف أنت يا عبد العزيز ؟

من تربيته لأطفاله

رأيت صغيراً من أبنائه طُلبت منه حاجة ، فقال : لا ! وسمعه أخ أكبر قليلاً منه ، فقال : لو سمعك أبوك أيش كان يعمل ؟ واستوضحتُ ، فقال لي الأكبر : أبي لا يحب الإجابة بقولة لا ، ويزجرنا عنها . قلت : فما يجب أن يقال ؟ قال : نشوف !

لا ينسى معلمه

نقلت الصحف السورية ، في ٢٠ ذي العقدة ١٣٥٤ ﻫ (١٩٣٦/٢/١٣) من أخبار بغداد أن الملك عبد العزيز ، لما وصل إلى الكويت زائراً ، سمع أن معلماً له كان يقرأ عليه القرآن في أيام الطفولة ، موجود بها ، فاستدعاه ولاطفه ومنحه ثلاثة آلاف روبية .

تسجيل محادثاته

من رسالة خاصة كتبها لي الشيخ يوسف ياسين [١] من جدة :

... أكتب لك هذا ، والمفوض الإنكليزي سيصل إلى باب القصر ، بعد دقائق معدودة لمقابلة جلالة الملك ، وأريد تحضير خلاصة للحديث الذي سيجري فاعذرني إذا لم أُطل .

---

(١) كتابه « في بيت الله الحرام » ٦٣

(٢) سنة ١٣٥٦ﻫ (١٩٣٧م)

بشـــاشتـــه

قلما كان عبد العزيز يتحدث ، إلاّ والبشاشة على وجهه . يكره العُبوس، ويأبى أن يتّسم بسمات الجبّارين . ويحب النكتة ، ويضحك لها إذا جاءت في وقتها ، ويرويها .

لا يخصّ بها حاشيته وخاصته ، بل كثيراً ما يتخلل مفاوضاته مع رجال السياسة ، مثَل يضربه لنكتة فيه ، أو بيت شعر يتمثل به، فيتحول المجلس من تجهم وغموض وفتور ، إلى حركة وصراحة وبشاشة ..

لاتجعل عدوّك في قلبك

سمعته مرة في مجلس « ديبلوماسي » والحديث عن حلف أوربي يضمّ دولة لا تتفق أهدافها مع الآخرين ، يَرْوي أن حية فرّت من عدّو لها ، فلقيت إنساناً فتضرعت إليه أن تختبىء في جوفه . فرقّ لها ، فدخلت في أمعائه . فلما مرّ عدوّها وأمنت ، خيرت الإنسان في الميتة التي يفضلها : أتعضه فيتألم ويموت ، أم تنفث فيه سمها ، فيفقد الحياة ؟.. فذكّرها بإحسانه إليها وإيوائه لها ، فقالت : أنسيت عداءنا القديم من عهد آدم ؟.. فقال : هذا جزاء من يجعل عدوّه في قلبه !

ثلاثة لاتناقشهم

وسمعته يوماً يتنادر على بعض الأطباء،فيقول : ثلاثة لا تناقشهم : الغريب والمهَرِم ، والطبيب ! فالأول يحدّثك بالعجائب ، فإذا عارضته قال : رأيت ذلك في بعض أسفاري والثاني يأتيك بما لا يرضاه العقل ، ويقول : كان هذا في أيام صباي . والثالث يسمي لك أمراضاً ليست فيك ، ويقول : قرأت هذا في المدرسة !

الوطنية والنفط

بعد انقضاء المعركة الأولى ، بين العرب وإسرائيل ، في فلسطين سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) أوفد رئيسُ الجمهورية السورية (شكري القوتلي) إلى الملك عبد العزيز ، مندوباً عنه ، هو أمين سره محسن البرازي . فقابل الملك في الرياض وأخبره أن شكري بك يرى للحدّ من مساعدة الأميركيين لإسرائيل ، أن يُقطع البترول عن أميركا .. فانتفض عبد العزيز ، وقال : يا لله ! البترول منحة من الله ! كانت أمي حين تدعو لي تقول : اللهم ملكه ما فوق الأرض وما تحتها ! وهل تحتها إلا البترول ؟ قل لشكري : لا تعلّم عبد العزيز الوطنية ! نضالنا في القضية ، ونحن أغنياء ، خير لها من نضالنا ونحن فقراء .. [١]

شيخ الأرض

الدكتور « مدحت شيخ الأرض » كان طبيبه الخاص . وهو من الوزن الخفيف ، وطوله دون المتوسط . عرَفه الملك باسمه الأول « مدحت » وكان يناديه « مِدْحَهْ » بالهاء الساكنة . وأول مرة سمع بها اسمه الكامل « مدحت شيخ الأرض » ضحك ، وقال له : من جعلك شيخ « الأرض »؟ نحن ما زلنا نقاتل من ثلاثين سنة لشياخة قطعة صغيرة منها !

اعطوا « محمد » قريته

كان الملك عبد العزيز يضحك كلما ذكر القصة الآتية :

محمد بن مهنّا المِسْفِر أمير بُرَيدة ، لجأ إلى الشريف حسين بن علي ، فارّاً من وجه ابن سعود . ولما قابل الشريف أخبره بضياع إمارته على بُريدة . فأعاده الشريف إلى عبد العزيز ، ومعه كتاب منه إليه ، يقول : أعطوا محمد قريته ...

---

(١) سمعت هذا الحديث من الأستاذ ظافر القاسمي نقيب المحامين في دمشق

الملك عبد العزيز

في حادث المطاف

كان من عادة الملك حين يحجّ ، أن يقوم من « منى » قبيل طلوع الشمس من أول أيام عيد الأضحى ، فيأتي مكة ، فيطوف طواف الإفاضة ، ويصلي صلاة العيد ؛ وسائر الحجيج في منى ، بعيداً عن ازدحام الألوف ومئات الألوف من الناس ؛ ويعود إليهم في الضحى .

وأقبل في صباح العاشر من ذي الحجة ١٣٥٣ هـ (مارس ١٩٣٥ م) ، فباشر الطواف مع الطائفين من أهل مكة ، وخلْفه ابنه الأمير سعود ، وبعض رجالهما .

وأكمل الشوط الرابع . وابتدأ الخامس ، بعد استلام الحجر الأسود . فلما كان عند باب الكعبة ، برز رجل من فجوة في شمالي حِجْر إسماعيل ، وقد سلّ خنجراً ، وصاح صيحات منكرة ، فيها تهديد ووعيد وسبّاب . وقفز منقضّاً على الملك ، من ورائه . وما كان من سعود إلاّ أن ألقى نفسه على أبيه ، يقيه الطعنة ، ودفع المجرم بيده . وانطلقت في رأس المجرم رصاصة أردته قتيلاً . وعلت صيحة « كامن » آخر كان في فجوة ثانية من فجوات الحِجْر ، وانقضّ بخنجره يريد الملك ؛ فمسّ الخنجر أسفل الكتف اليُسرى من ظهر سعود ، وجرحه . ووثب ثالث ، مقبلاً من ناحية الركن اليماني ، فلمح صاحبيه مضرجين بدمهما ، فانطلق يبغي الفرار . وكان مقتل الأول برمية

عجيبة من بندقية حارس الملك الخاص — واسمه عبد الله البرقاوي — فقد خشي أن يطلقها مصوبة فتصيب مع المجرم غيره ، فوثب ناكساً بندقيته ، وأبهامه على الزند ، وصبّ الرمية صبّاً . وقُتل الثاني برصاصة من حارس الأمير سعود — واسمه خير الله — أما الثالث ، فلم ينج من رصاص الجند ، ولكن ظلّ فيه رمق من الحياة فاستطاع المحققون أن يعرفوا منه اسمه وهو « علي » والثلاثة من غالية اليمن .

مرّ الحادث بسرعة ، وقد فتك أحد الأشقياء بشرطي يدعى أحمد بن موسى العَسيري ، وجرحوا آخر . وتوقف الملك عبد العزيز عن الطواف قليلاً ، يُجيل نظره في الحَرَم . فلما رأى أن الثلاثة لا رابع لهم ، أمر بإغلاق أبواب الحرم ، وعاد إلى إتمام طوافه ، كأن لم يكن هناك شيء . وخرج بعد الشوط السابع مسرعاً إلى « منى » قبل انتشار الخبر في الحجيج .

، ، ،

وكان الحج اليماني كبيراً ذلك العام ، يقارب عشرة آلاف حاج ، بينهم عبد الله ابن الوزير من سادة اليمن ودهاة رجاله [١] .

وانصرف همّ الملك ، على الأثر إلى كفّ الحجاج ، من أهل نجد على الخصوص — وكانوا يزيدون على مئة ألف — عن مسّ أحد من اليمانيين بسوء ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وكنت في « منَى » حين أقبل الملك من مكة ، وقد علق بساقه رشاش من حصى أرض الحرم عند إطلاق الرصاص . فدخل مضربه الكبير وأجلس على مقربة منه عبد الله ابن الوزير . وتوافد الناس ، وقد فشا فيهم خبر الحادث يهنئون الملك بالنجاة وبالعيد معاً . وانصرفت بعد ذلك إلى مخيّم الأمير سعود ، فرأيت عنده طبيب الملك الخاص ، يغسل جرحه ويجدّد تضميده .

---

(١) وهو الذي أحكم المؤامرة بعد ذلك على مليكه الإمام يحيى وسيأتي خبره .

الأمن العامّ « مَهْدي المُصْلِح » [1] حقيقة المجرمين
كانت إقامتهم فيه ، بعد جهد عنيف استمر ثلاثة أيام .

٣م :
حزام الحاضري : نقيب في الجيش اليمني المتوكلي يحمل
خه أول شوّال ١٣٥٣ وهو صادر من مأمور الجوازات
ه من عامل صنعاء .
ي حزام الحاضري : مهنته مزارع . وجوازه كالأول
شقيق الأول .
بخوت الحاضري اليماني : جندي في الجيش المتوكلي .
ارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين .

، ، ،

من الإمام يحيى ، يستنكر بها الحادث ويستفظعه ،

وتهامس الناس فيمن تَعلْق به التهمة ، في تدبير هذه المؤامرة بصنعاء ، فاتجهت إلى « سيف الإسلام أحمد » كبير أبناء الإمام يحيى . وسيأتي خبر إبعاده عن « الإمامة » في ثورة عبد الله ابن الوزير ، وما فعل عبد العزيز لإعادته ، وتوليته عرش أبيه ..

صدى الحادث

وكان للحادث صداه البعيد في خارج البلاد ، ردّدته صحف العالم ، وعلّلت وعلّقت ، شأنها فيما هو أقلّ منه أثراً وخطراً .

---

(١) توفي في مصر الجديدة من ضواحي القاهرة ، في العشرة الأول من جمادى الآخرة ١٣٧٢ (فبراير ١٩٥٣م) وهو مؤسس « دار الأيتام والعجزة » بمكة . عراقي الأصل . كان يسمى « مهدي بك » والملك عبد العزيز أول من دعاه بالمصلح ، فظل لقباً له ولأبنائه .

وكان من حجاج ذلك العام ، مراسل لجريدة البلاغ القاهرية ، فكتب في ١٩ مارس ١٩٣٥ [١] :

« أعجب ما في حادث التعرض للملك ابن سعود في مكة ، أنه ابتـدأ وانقضى في دقائق ، فلم تصادر حرية أحد ، حتى من اليمانيين الذين يقدر عدد الموجود منهم بمكة يومئذ بعشرة آلاف شخص ، ولم يُروّع أحد بالقبض عليه ، للتحقيق أو الشهادة ، كما تفعل البلاد الأخرى في حوادث لا تكاد تكون لها قيمة ، بالنسبة إلى هذا الحادث ؛ ولم يمض أكثر من ثلاثة أيام حتى كانت الحكومة قد اكتشفت هوية المجرمين ، وضبطت أوراقهم وأمتعتهم . ولم يُزجّ في السجن غير شخص واحد ، علمت الحكومة أن له علاقة بالمؤامرة فأطلقت رجال البوليس يبحثون عنه ولا يشعر بهم أحد . وما زالت وراءه إلى أن ثقفته في جُدة فاعتقل ، وجيء به إلى مكة ، حيث اعترف ببعض ما عرف. وما برح يدلي بما عنده .

« ويخدع نفسه من يزعم أن الحادث لم يكن خطيراً جللاً ، أو من يظن طبيعة الناس الذين يشغلهم مثل هذا الحادث زمناً طويلاً ، قد تبدلت وعادت حدتها سكينة ، وانقلب اضطرابها وفضولها ، طمأنينة وهدوءاً . فالأمر جدّ خطير ، والناس هم الناس ولا سيما في موسم كموسمهم هذا ، وقد قضوا بعض مناسك حجهم وعبادتهم ، وفرغوا للقيام بجلسة الراحة في منى ، وأصبح مجال القول ذا سعة لكل قائل .

« ولكن السرّ في الأمر ، يعود إلى مرجع واحد ، لا يتعداه . هو ضبط الملك أعصابه ، وظهوره بمظهر لا أظن غيره كان يستطيعه ، في ساعة الحادث وفي يومه وإلى الآن » .

إلى أن يقول :

« وسقط الشقيّان الأولان قتيلين ، وخفّ الثالث بجرحه يريد الفرار ،

---

(١) البلاغ ٢٥ ذي الحجة ١٣٥٣

وخنجره في يده ؛ فقبض عليه ومات قبل أن يصل إلى المخفر .

« وكان الملك ، ومن معه ، قد طافوا بالكعبة ثلاثة أشواط ؛ فعاد الملك وهم من ورائه ، فأتموا الأشواط السبعة ، ودم الهلكى والجثتان تحت أقدامهم. وهمس هامس في أذن الملك ، بأن فلاناً — من الحجاج — قد يكون مدبّر الفتنة . وأخبره آخر بأن رجال نجد متفرقون في مكة ومنى ومزدلفة ، وإلى جانبهم وبينهم حجاج اليمن من زيدية وشافعية ؛ فلم يكن منه إلا أن زجر من سمى له الشخص الأول ، وقال : لا أريد أن تحدثوني بمثل هذا . وأرسل الرسل قبل أن يبرح المسجد يبلّغون الناس إرادته في أنّ من اعتدى على يمني فهو خصمه ، وعقاب القاتل القتل .

« وبرح مكان الحادث فركب سيارته تتبعه حاشيته بسياراتها إلى قصره الملكي ، في منى .

« وجلس يستقبل المهنئين استقبالاً عاماً ، وفي مقدمتهم عبد الله ابن الوزير ، معتمد الإمام يحيى في مفاوضات الصلح الأخيرة بالطائف ، والملك أمان الله ، ملك الأفغان السابق ، وبعض كبراء الحجاج وزعماء نجد وأعيان الحجاز ؛ فكان الملك يقابل كل قادم بالبشاشة المعهودة فيه ، ولسانه لا يفتر يحذّر رؤساء النجديين من أن يعتدي أحد رجالهم على أحد من أهل اليمن .

« ولا أنسى منظراً شهدته أول ما دخلت على جلالته ، في جملة المهنئين ؛ إذ لمحت أحد ثقاته يتقدم منه فيقبّل يده وقد طفرت دمعة من عينه ، فيزجره الملك بعنف ، ويقول له بصوت أقرب إلى الهمس : كن رجلاً !

وفي جريدة الأهرام

أما مراسل الأهرام ، من مكة في ٢١ مارس ١٩٣٥ ، فشرح الحادث بما يستفاد منه [١] :

---

(١) الأهرام ١ / ٤ / ٩٣٥

١ – أن الجناية لا يمكن أن يقتصر النظر فيها على الأشخاص القائمين بها .

٢ – أن الجريمة مدبرة قبل مغادرة مقترفيها بلادهم .

٣ – أن الجناة اعتزلوا إخوانهم الزيدية ، وقدموا مع الشوافع ولم يشتركوا في الحج والإحرام ، بل ظلوا في ثيابهم لم يتجردوا منها ، ونزلوا في بيت واحد .

٤ – ثم يقول : لم أرَ زيدياً ينزل في دار بمكة ، وكل من رأيت منهم ، ينامون في كهوف الجبال ومغاورها ، منتشرين على طريق مكة إلى عرفات ، أو يتمددون إذا جنّ الليل في جوانب الشوارع والأزقة بمكة ، إلى أن يصبح الصباح فينطلقون في الحـَرم .

٥ – ويقول : وأكثر الناس لا يوجهون التهمة بتدبير المؤامرة إلى الإمام يحيى ولكنهم يسكتون عند ذكر سيف الإسلام أحمد ، وليّ عهد اليمن . وقد بلغني من ثقة كثير الاجتماع بابن الوزير ، أن هذا سمع بإشاعة اتهام سيف الإسلام ، فلم يدفعها بغير الإطراق وإظهار الأسف .

بعض خصائصه وعاداته

كان موظفو « الديوان الملكي » يقولون إنهم قد يضبطون ساعاتهم على تنقلات الملك وأعماله اليومية المعتادة . كخروجه من قصره الداخلي ، وعودته إليه . وجلوسه للنظر في الأعمال ، وقيامه للنزهة ، وابتدائه السهرة ، وغير ذلك ، فهو من أشدّ الناس ، بل أشدهم ، محافظة على برنامج عمله ، حتى في أسفاره وأيامَ كانت مطاياه ظهور الخيل والإبل .

اعتاد أن يستيقظ قبل الفجر بنحو ساعة ، فيقرأ سوراً من القرآن الكريم ، ويتعبّد ويتهجد ، وكثيراً ما يُسمع له نشيج . ويستمر إلى أن يؤذن الفجر ، فيصلّي الصبح مع «الجماعة» ويسبّح ، ويقرأ ورد الصباح ، ويدخل فيضطجع إلى أن تشرق الشمس . وينهض فيغتسل ويلبس ثيابه ويفطر . ثم يخرج إلى المجلس الخاصّ فتُعرض عليه مهامّ الحكومة في فترة غير طويلة ، يأذن بعدها بالمقابلات الخاصّة لكبار الزوار . ثم ينتقل إلى المجلس العامّ ، حيث يدخل كل من يريد مقابلته . ويمكث نحو ساعة ، فإذا اقترب وقت الظهر ، نهض للغداء ، ومنه إلى القصر فيستريح قليلاً . ثم يصلي الظهر مع الجماعة ، ويعود إلى مجلسه الخاصّ ، فيُعرض عليه ما تجدّد من الشؤون العامة ، إلى صلاة العصر . ويجلس بعدها لإخوانه وأولاده وأقاربه وكبار الموظفين . ثم

يخرج بسيارته إلى ظاهر المدينة للرياضة ، ويعود بعد صلاة المغرب .

وبعد العشاء يجلس في مجلس شبه عامّ . وهناك يحضر « القارىء » فيتلو فصولاً من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب ، كما تقدم . وبعد قليل، يدخل قارىء الإذاعة العربية ، فيتلو ما التقط من محطات الإذاعة الشرقية من متنوع الأخبار . ويأتي بعده قارىء الإذاعات الأجنبية ، وقد ترجم أهمّ ما أذيع . ويتكرر دخول قرّاء الإذاعات في الضحى ، وبعد العصر ، والهزيع الأول من الليل .

وفي نحو الساعة الرابعة عربية (العاشرة زوالية) مساءً ينفضّ المجلس بنهوض الملك عائداً إلى داخل القصر ، بعد أن يتلطف بكلمات يختمها بتحية الجميع : السلام عليكم .

ولا يفوتني أن أشير إلى أن أفراداً قلائل من الخاصة، في مقدمتهم عبدالله السليمان ، لم يكونوا يُحجَبون عن الدخول عليه في أوقات راحته وتهجُّده قبل الفجر ، وبعد صلاة الصبح ، يعرضون ما يعنّ لهم من أنباء أو مقترحات أو « هَمَسات » وهو يصغي ، ويستوعب ما يقال ؛ وربما كان بين النائم واليقظان .

عادات وصفات

وفي كتاب « الملك ابن السعود » تحت هذا العنوان ، ما خلاصته عن حاله في بدء عهده : إذا كان عبد العزيز في غزوة ، فخيمته البسيطة التي لا تختلف — كثيراً — عن خيام جنده ، هي بيته . وكل فراشه فيها قطعة من الصوف تفرش على الرمل .

وإذا نام فرفيقه في نومه سيفه . أيسر حركة توقظه ، بل تحمله على أن يتصرف كأنما هو في أتم يقظته .

وقد عَوَّدته حياة الكرّ والفرّ أن يستيقظ من نومه فجأة ، ليثب على جواده المربوط عند باب خيمته ، ثم ينطلق كالريح إلى حيث يريد .

والويل لمن تحدثه نفسه أن يدخل خيمته وهو نائم ، من دون تنبيه سابق ، فإنه لا يجده نائماً ، بل يجد سيفه ينفذ إلى أحشائه أو يحتزّ عنقه .

وهو في أشد الساعات برداً ، يكره إيقاد النار بجواره للتدفئة .

وإذا تحدث ، فهو يتحدث بسرعة عظيمة . ومن لم يكن نجدياً لا يكاد يفهم ما يقول إلاّ بمشقة .

وقد تراه في ساعات العمل ، بينما يحدث هذا يلتفت إلى ذاك ويقول له كلاماً ثم يعود إلى الأول ، فيستمر في الحديث معه من النقطة التي ترك الكلام عندها .

وذاكرته قوية . فهو لا ينسى شخصاً ولا ينسى قولاً ، مهما يطل عليه الزمن .

وهو مع سرعة حديثه ، محدّث بارع ، مرتّب الأفكار ، حاضر البديهة سريع الخاطر .

وأمره الشفوي هو بمثابة « المرسوم » المسطور .

يؤرخون بوقائعه

١ ــ سَنَة الأشْعَلي

قال ابن بليهد [١] في حديثه عن« الأشعلي »: وهو أكثبة رمال مرتكمة ، قرب « نواضر » التي بين القَصِيم وحائل ، في شماليّ نجد . دارت فيها معركة بين الملك عبد العزيز ، وسعود بن رشيد وهُزم ابن رشيد . وكانت المعركة ليلاً ، في ٥ ربيع الأول ١٣٢٧ (١٩٠٩/٣/٢٩) ولم يزل أهل نجد يؤرخون بها ، يقولون : حدث كذا سنة الأشعلي ، وحدث كذا بعدها أو قبلها ، كعادة العرب في كبار الأحداث .

---

(١) صحيح الأخبار ٥ : ١٧٣

٢ — سَنة المَشْقوق

وقال أيضاً [١] ما مؤدّاه : أغار الملك عبد العزيز سنة ١٣٣٠ (١٩١٢م) على إبل للحُفاة ، وهم بطن من الرُوقة من عتيبة ، في موضع يسمى « مشقوق الخَلْف » فساق الإبل (نكالاً لهم) فأصبح تاريخ هذه السنة عند الرُوَقة « سنة المشقوق » وإذا سألتهم : أيّ مشقوق ؟ قالوا : الذي أخذ به ابن سعود الحُفاة .

٣ — ذَبْحة ابن رَشِيد

وظلت البادية زمناً ، تؤرخ بذبحة ابن رشيد (عبد العزيز بن متعب) وكان مقتله في معركة مع ابن سعود سنة ١٣٢٤ (١٩٠٦م) وقد تقدم خبرها [٢] .

٤ — يوم ابن رفادة

ومثل ذلك : يوم « ابن رفادة » أباد فيه عبد العزيز جَمْع حامد بن سالم ابن رفادة ، في سفح جبل « شار » على مقربة من « ضُبا » في ٢٦ ربيع الأول ١٣٥١ (١٩٣٢م) [٣]

٥ — يوم السبَلَة

ومثله يوم « السبلة » في ناحية الزِّلفي . قضى فيه عبد العزيز على جموع الغلاة من « الإخوان » في ١٩ شوال ١٣٤٧ (١٩٢٩) [٤]

٭ ٭ ٭

أرخ قلب الجزيرة بهذه الوقائع وأمثالها . وذلك شأن البادية والأفذاذ من فرسانها . ليس في جزيرة العرب وحدها ، ولا في أيام عبد العزيز وحده ، بل في مختلف الأقطار والعصور .

---

(١) صحيح الأخبار ٤ : ٢٦٩

(٢) انظر الصفحة ١٦٩ — ١٧٢

(٣) انظر ٥٥٧

(٤) انظر ٤٨٨

مائدته

يجلس على مائدة الملك عشرات من الناس ، غداءً وعشاءً ، كل يوم . وإن كان عنده ضيف ، جعله أقربهم إليه ، على يمينه . ويصطفّ الأمراء بحسب أعمارهم ، على يساره ، يقابلهم إلى يمينه وزراؤه ومستشاروه وكبار الدولة . ثم يجلس من يليهم على الجانبين من دون ترتيب .

ولا تقييد في وقت دخول الآخرين ، فقد يجيء أحد الكتّاب أو صغار الموظفين العسكريين أو الملكيين ، أو بعض رؤساء البدو ، في منتصف الطعام ، أو أواخره ، فيجلس حيث ينتهي به المجلس . وإن كان من الحاشية الملكية ، دخل متسلّلاً ، ولاحظ إن كان بين الجالسين من أقرانه ، مكان خال ، وإلاّ جلس في الأواخر . ولا يتخلّى أحد لآخر عن مكانه في خلال الطعام .

وإذا شبع أحد الآكلين ، انسحب . وقد ينصرف نصفهم أو أكثرهم ، والملك يتحدث مع من حوله أو مع أحد البعيدين عنه ، ويتمهل إلى أن يشعر بأن الجالسين اكتفوا ، فينهض .

وإذا قام الملك ، قام معه جميع الآكلين ، حتى الذين جاؤا متأخرين .

ويتّجه إلى غسل يديه بالطست والإبريق والصابون . وكذلك يفعل من شاء منهم ، والطسوت تتعدد إذا كثر الطاعمون .

ثم يأخذ زجاجة ، فيها عطر الورد ، فيتطيب . ويتهافت عليه مَن حوله ، فيمسّ كل منهم مِرْودَ الطيب . وتدور القهوة ، وينصرف من أراد ، ولا استئذان في الانصراف .

طعـــامه

كان قليل الطعام ، بالنسبة إلى كبر جسمه .

يأكل ثلاث مرات في اليوم ، وتكاد أنواع الطعام التي أعتادها ألاّ تتغير .

ففطور الصباح ، ويسمونه« الرِيُـوق » يتألف من الخبز والعسل واللبن الرائب. والغداء وموعده الضحى ، يكون من الأرزّ واللحم مطبوخين معاً ، وإلى جانبهما نوع من الخضار . وقد يكتفي باللحم ، مشوياً أو مقلياً . ومثله العشاء ، وهو يكون قبيل الساعة العاشرة عربية ، الرابعة بعد الظهر زوالية ، ويزاد فيه شيء من الحلوى .

امرأة على مائدته

لم يجلس على مائدة الملك عبد العزيز ، مع الرجال ، طول حياته ، فيما نعلم ، إلاّ امرأة واحدة ، هي الأميرة « أليس » قرينة حاكم كندا ، الإيرل أوف أثلون . وكانت مع زوجها في ضيافة الملك ، في الرياض ، يوم ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٦ (١٩٣٨) جلست في مأدبة عشاء أقيمت لهما ، وعليها أزهى الثياب العربية وعلى وجهها شبه قناع .

قلت ليوسف ياسين : أكانت هذه المرة الأولى؟

فقال : نعم ، والأخيرة..



الأميرة « أليس » البريطانية

وعن يمينها زوجها الإيرل أوف أثلون (خال الملك جورج) وعن يسارها ابن أخيه وحافظ وهبة سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٨ م

شرابه المفضل

وكان يكثر من شرب حليب النياق .

والماء المفضل عنده ، ماء بئر « الجُعُرّانة » يُحمل إليه شرابه منها يومياً ، حين يكون في مكة أو قريباً منها . أما حين يكون في الرياض ، فإن « ماء الجعرانة » من هدايا خاصته إليه ، معبأً في ثلاجات .

وهذه البئر ، تاريخية ، من قبل عصر النبوة ، على ١٨ كيلو متراً من مكة.

قهـوته

ويكرر الملك عبد العزيز شرب « قَطَرات » أو نقط من القهوة العربية المصفاة المصنوعة من قليل من البنّ والزعفران ، وكثير من « الهيل » .

وكان يسترعي انتباه ضيوفه الجُدُد، سماعهم في مجالسه العامة ، كلمة لها دويٌّ ، بين الفينة والفينة ، فإنه حين يريد القهوة ، يقول بصوت خافت : اقْهَوَة ! ويردد الخويّا والزُكُرْت الجالسون في أقصى المجلس : اقْهَوّ .. وتتعالى الأصوات بها حتى خارج المجلس ، فيسمع السُقاة ، ويأتي بها ثلاثة منهم أو خمسة ، حسب قلة الجالسين أو كثرتهم ، وبأيديهم اليُمنى أباريق القهوة ، وباليُسرى مالا يقلّ عن ستة فناجين يحملها كل منهم ، بعضها فوق بعض .

ويتقدم أحد السُقاة فيصبّ للملك . ويبدأ الثاني والثالث معاً ، عن يمين الملك ويساره ، بحركة سريعة يُسمع فيها رنين الفناجين ، فيسقون من في المجلس . ومن لم يُرد أن يشرب أشار إلى الساقي بكلمة « بَسّ » فيتجاوزه . ويعودون فيجمعون الفناجين . ومن ترك بقية في فنجانه ، كبّها الساقي على الأرض المفروشة بالسجّاد العجمي . ومن أراد الزيادة ردّ الفنجان إلى الساقي ، فيصب له ثانية وثالثة ورابعة إلى أن يرتوي . ومن أكتفى ،هَزّ الفنجان عند

تسليمه إلى الساقي ، أو ردّه إليه مقلوباً ، أو غطّاه ببعض أصابعه ، أو قال له : بس !

حدثني أحد السفراء أنه في زيارته الأولى للملك عبد العزيز ، أديرت القهوة ، وكان لا يستسيغها إلاّ بالسكر . فشربها حياءً كما يشرب الدواء . ورد الفنجان إلى الساقي ، فملىء وأعيد إليه ، فشربه مكرها . وتكرر ذلك فقال للساقي: أرجوك .. بزيادة...(وهو تعبير في بلاد الشام ، يراد به كفى) فظنه يطلب الزيادة ، فأتحفه بها .. وحار في أمره ، فتنبه له أحد الحضور . وأخرجه من المأزق ..

وعلى ذكر « الهيل » وهو العنصر الغالب على القهوة في جزيرة العرب ، ويقال له : الهال ، و « حَبّ الهان » فإن اسمه الفصيح « القاقُلّة » كما هو في القاموس ، وكما هو معروف في بلاد المغرب . وأول مرة سمعت بهذا اللفظ من أهل المغرب ؛ ولا يعرفون الهيل ولا الهال . إلاّ أنهم يحرفونه ، فيقولون « القَعْقُلّة » ويتفاصح بعضهم فيقول : « قاع القلة » لظنه أنه سُمي بذلك تشبيهاً له بالنتوء البارز في أسفل القلة .

وهذه القهوة ، هي شراب الملك في أكثر الأوقات . وقلّما يطلب أو يشرب « الشاي » المعروف في بلاد العرب بالشاهي .

الملك عبد العزيز

والتعليم في عهده

كانت في مكة « العاصمة » أيام الملك عبد العزيز ، إدارة حكومية تسمى « إدارة المعارف العامة » مرتبطة بالنائب العام . أُنشئت سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) وقصر اختصاصها على ما يتعلق بالتربية والتعليم . يُصرّف أعمالها مدير عام ومعاون مدير . وإلى جانبهما ١ — « مكتب » قوامه شعبة المحاسبة ، وشعبة البعثات وشعبة الملفات والمستودعات. ٢ — « مجلس معارف » . ٣ — « هيأة إدارية » يرأسها المدير العامّ . ٤ — « مكتب تفتيش » يرأسه المفتش الأول .

ووزعت الأعمال بين المكتب والمجلس والهيأة ومكتب التفتيش ، على أساس الاختصاص .

، ، ،

وكان التعليم في المملكة قائماً على أربعة أسس ، هي :

الأول — المدارس النظامية في المدن والقرى الكبيرة .

والثاني — المطاوعة والمرشدون ، في « الهِجَر » والقبائل .

والثالث — البعثات إلى الخارج .

والرابع — التعليم الأهلي .

المدارس النظامية

فأما « المدارس النظامية » فهي : قروية ، وابتدائية ، وثانوية . وفيما يلي عدد ما كان منها ، في أوائل سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) :

البلدة أو المقاطعة	قروية	ابتدائية	ثانوية
في مكة	٥	٨	٣
» جدة	٣	٢	١
» المدينة	٦	٥	٢
» الأحساء	٥	١٢	١
» عنيزة	٠	٠	١
» الطائف	٤	٣	٢
» شمالي الحجاز	٩	٨	٠
» نجد	٠	٤١	٠
» تهامة الجبال	٨	٢	٠
» عسير	٦	٤	٠
» تهامة الساحل	٣	٢	٠
المجموع	٤٩	٨٧	١٠

المدرسون	في القروية	في الابتدائية	في المدارس الثانوية
في مكة	٥	١٠٠	٤١
» جدة	٤	١٦	٤
» المدينة	١٣	٣٥	١٢
» الطائف	٤	٣٠	٤
» عنيزة	٠	٠	٢
» الأحساء	١٠	٤٦	٤
في شمالي الحجاز	٨	٤١	٠

في تهامة الساحل	١٤	١٤	٠
» نجد	٠	١٨٠	٠
» تهامة الجبال	٦	١٣	٠
» عسير	٥	٢٣	٠
المجموع	٦٩	٤٩٨	٦٧

الطلاب

	في القروية	في الابتدائية	في الثانوية
في مكة	١١٢	٢٤٢٢	٣٦٤
» المدينة	٣١٠	٦١٧	١٠٠
» الطائف	٨٦	٧٦٨	٢٧
» جدة	٨٨	٣٧٣	١٥
» الأحساء	٢٧٦	١٢٤٦	٣٢
» عنيزة	٠	٠	٤٤
» شمالي الحجاز	١٧٥	١٣٩٦	٠
» نجد	٠	٤٩٩٤	٠
» تهامة الجبال	٧٣٠	٦٢٨	٠
» عسير	١٤٥	٥٦٢	٠
» تهامة الساحل	٢٦٣	٢٥٦	٠
المجموع	٢١٨٥	١٣٢٦٢	٥٨٢

إجمال ما تقدم سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م)

عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٤٦	٦٣٤	١٦٠٢٩

ونما العدد الإجمالي سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ، نمواً بطيئاً ، فبلغ :

عدد المدارس	المدرسون	الطلاب
١٩٦	٩٤٣	٢٣٨٣٥

وكان في سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) ، آخر أيام الملك عبد العزيز :
٣٢٦ مدرسة . و١٦٥٢ مدرساً . و٤٣٧٣٤ طالباً .

، ، ،

عقبة

أول عقبة واجهتها مديرية المعارف العامة ، في بدء تكوّنها في الحجاز ، أيام الملك عبد العزيز ، خلوّ المدارس الابتدائية والأولية ، كلها أو معظمها ، من المعلمين « المتعلمين » فعالجت ذلك سنة ١٣٤٥ (١٩٢٧م) بإنشاء مدرسة سمتها « المعهد العلمي السعودي » مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات. مهمتها إعداد المدرسين للابتدائي والأوليّ . وملأ خريجو هذا المعهد بعض الفراغ .

المطاوعة

وأما « المطاوعة » فهم في الهِجَر والقبائل ، يختارون على الغالب من متعلمي الهجر والمدن القريبة من القبائل . وأول ما عليهم أن يعلّموه : القرآن الكريم ، وأركان الإسلام ، والعبادات ، ومبادىء من المعاملات ، والقراءة والكتابة ، ثم بعض « المعلومات » العامة التي يسترشد بها الطالب في دينه ودنياه، أو على الأقل تُخرجه من الأمية المطلقة .

ولا يقتصر عمل المطوّع أو المرشد ، في القبيلة ،على « التعليم » بل ربما كان هذا أقل ما يقوم به . فهو واعظ القبيلة وخطيب مسجدها وإمامها في صلواتها وكاتب رسائلها والمصلح بين المختلفين من أعضاء أسرها ، والمتولي لعقود الزواج فيها.وقد يكون مرجعها الديني في كل شيء،كما سلف القول فيه. وله في غير الأمور الدينية والتعليم ، رأي مسموع في شؤونها العامة والخاصة .

ولم يتيسر لي الحصول على « إحصاء » لعدد المطاوعة في صحارى المملكة وعدد من يتلقى « العلم » عنهم . وفي حسباني أن عدد الفريقين كبير ، على

خلاف ما رأينا في المدن حيث يتولى القضاة أعمالاً أوسع من أعمال المطاوعة، وحيث تقف النفقات «الرسمية» عند حدود معينة لا يستطيع القائمون على «إدارة المعارف» تجاوزها. وقد عرفنا من بيان الدوائر المرتبطة برئاسة القضاة – في بحث سابق – أن في جملتها «المرشدين» وعددهم يزيد على ٦٠٠ وهم قسم من «المطاوعة» الذين تجري عليهم الأعطيات وتوزع عليهم الكساوى من الخاصة الملكية في الرياض، ولا ارتباط لهم بتشكيلات الحكومة الرسمية.

البعثات

وإلى جانب إنشاء «المعهد العلمي السعودي» في مكة، سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) كان إرسال أول بعثة من خريجي المدارس، في أوائل العام الهجري نفسه. وبدأ العاملون في العهد الجديد، يدركون قيمة تعليم أبنائهم في الخارج، وكان إرسال «البعثات» الذي تعاقب بعد ذلك، أنجع عمل للمعارف في المملكة. ويمكن اعتباره «حجر الأساس» في بناء الدولة العلمي الحديث.

كانت هذه البعثة مؤلفة من أربعة عشر طالباً، أكملوا دراستهم «الثانوية» في مكة وغيرها. وأُرسلوا إلى مصر في هذا العام (١٣٤٦هـ) ولم يلبثوا بعد تخرّجهم أن عادوا إلى بلادهم ما بين عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) و ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) يحملون «شهاداتهم» من المعاهد والكليّات الآتية:

٥ من كلية دار العلوم.
٢ من تخصص القضاء الشرعي.
٢ من كلية الحقوق.
١ من كلية الطب.
١ من مدرسة المعلمين الأولية.
١ من مدرسة التجارة المتوسطة.
١ من كلية اللغة العربية.
١ من مدرسة تحسين الخطوط.

عقبة ثانية

وعقبة ثانية اصطدمنا بها في مصر ، حين توالى وصول الطلاب السعوديين إليها ، يحسبون أن ما يحملون من شهادات « ثانوية » يفتح لهم أبواب المعاهد العليا . ولكنها أغلقت أمامهم . فكان النقاش مع وزارة المعارف المصرية . وحجتها أن « الثانوية » السعودية لم تكن فيها « لغة » أجنبية ، ولا تدرس فيها علوم الطبيعة والكيمياء . وكان طلاب البعثة الأولى (بعثة الأربعة عشر) قد تلافوا أمرهم بدراسات خاصة قاموا بها قبل دخولهم المعاهد العالية . واهتمت مكة فحلت العقدة بإنشاء مدرسة فيها لـ « تحضير البعثات » يشتمل برنامجها على لغة أجنبية (الإنكليزية) وعلوم الطبيعة باسم « سنن الكائنات » .

تحضير البعثات

وكانت « مدرسة تحضير البعثات » هذه من أجدى المعاهد السعودية نفعاً ، في ذلك العهد . أُنشئت حوالي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ووضع لها منهج خاصّ ، استُمد من منهج الدراسة المصرية . بحيث تكفي شهادتها لدخول حامليها في المعاهد العليا وكليات الجامعة ، في مصر وغيرها . وزوّدت بمعمل لخواصّ الموادّ وسنن الكائنات (الكيميا والطبيعة) وببعض وسائل الإيضاح العلمية الحديثة . مدة الدراسة فيها أربع سنوات للقسم العامّ ، وخمس سنوات للقسم الخاصّ . وضماناً لثقة الكليات وما على مستواها ، في الخارج ، ولا سيما مصر ، انتُدب للتعليم فيها مدرسون مصريون أكفاء .

وتوقف إيفاد البعثات الدراسية إلى الخارج ، فترة طويلة ، بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية . وكان قد أُرسل عدد من الطلاب اضطرت الحكومة إلى إرجاعهم في ابتداء الحرب .

وعادت البعثات إلى نشاطها ، سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) فاتسع نطاقها تدريجياً ، وأُحسن تنظيمها . ولا تزال مستمرة إلى اليوم حكومياً وأهلياً .

خريجو البعثات في ثلاث سنوات

وقد تخرج من البعثات فيما بين سنة ١٣٦٥ و ١٣٦٨ه (١٩٤٦–١٩٤٩م) ٤٣ طالباً ، من المعاهد المصرية الآتية :

٧ من كلية التجارة ، و٤ من كلية الزراعة ، و٣ من كلية دار العلوم ، و١٢ من كلية الشريعة ، و٤ من كلية الآداب ، و٢ من كلية الحربية ، و٣ من كلية الحقوق ، و٢ من كلية العلوم ، و٢ من المعهد العالي للهندسة ، و١ من كلية اللغة العربية ، و١ من مدرسة تحسين الخطوط ، و١ تمرن في مصلحة المساحة ، و١ من القضاء الشرعي .

سنة ١٣٦٩ه

ووقفت على إحصاء لمن كان في المدارس العالية بمصر وغيرها ، سنة ١٣٦٩ه (١٩٥٠م) وهم ١٩٢ طالباً موفداً على حساب الحكومة السعودية ، وُزعوا على المعاهد الآتية :

٢١ كلية الشريعة بمصر .
٣ » اللغة العربية بمصر .
١ » أُصول الدين بمصر .
٣ القسم العام بمصر
٢٧ كلية الطب بمصر .
٧ » الطب بالإسكندرية .
٣ » العلوم بالقاهرة .
٢ » الهندسة بالقاهرة .
٨ » الزراعة بالقاهرة .
٥ » الحقوق بالقاهرة .
٣ » الحقوق بالإسكندرية .

١ » الآداب بالإسكندرية .
٦ » الآداب بالقاهرة .
١٧ » التجارة بالقاهرة .
١ » التجارة بالإسكندرية .
٣ » الصيدلة بالقاهرة .
٩ » دار العلوم بالقاهرة .
٣ المعهد العالي للهندسة بالقاهرة .
٥ كلية البوليس بالقاهرة .
٩ الكلية الحربية بالقاهرة .
٢ كلية التجارة المتوسطة بالقاهرة .
١٤ معهد مصر للطيران ، القاهرة .
١١ كلية فكتوريا ، بالإسكندرية .
٢ للتخصص في الكيميا والجيولوجيا، بأميركا .
١٠ للتخصص في علوم الاقتصاد والمحاسبة وإدارة الشركات ، بأميركا .
١ للتخصص في الأنواء والأرصاد الجوية بأميركا .
٣ للتخصص في علم اللاسلكي والمخابرات .
١٠ مصلحة التلفونات ، بالقاهرة .
٢ مصلحة المساحة ، بالقاهرة .

١٩٢ المجموع .

ويضاف إلى عدد « البعثات » ٤٢ طالباً ثانوياً و ٣٣ طالباً ابتدائياً بمصر وعدد غير قليل من الطلاب ، في درجات مختلفة ، كانوا يتلقون العلوم في خارج بلاد المملكة ، على حسابهم أو حساب آبائهم وأقربائهم ، أو المتبرعين بنفقاتهم .

، ، ،

التعليم الأهلي

وللتعليم « الأهلي » في المملكة فضل كبير في نهضتها الحديثة . فإن القائمين بالأعمال الحكومية، في الدولة ، كان معظمهم من خريجي المدارس الأهلية التي أُنشئت قبل عهد الملك عبد العزيز وفي عهده .

وليس بين يديّ إحصاء حديث لهذه المدارس في المملكة . فلنرجع إلى ما جاء في كتاب « البلاد العربية السعودية » الصادر سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) وفيه ذكر المدارس الأهلية في الحجاز فقط ، وهي الآتية أسماؤها :

١ — مدرستا « الفلاح » بمكة وجدة .

٢ — الفخرية .

٣ — الصولتية .

٤ — الفائزين .

٥ — الماحي .

٦ — الترقي العلمية .

٧ — مدرسة العلوم الدينية الجاويّة .

٨ — مدرسة أندونيسيا .

٩ — مدرسة دار الحديث .

وكل هذه المدارس في مكة[١] وكذلك نحو عشرين كتّاباً .

١٠ — مدرسة العلوم الشرعية .

١١ — الأيتام .

١٢ — النجاح .

١٣ — التربية والتعليم .

---

(١) وفي جريدة البلاد السعودية — ١٣٧١/١/٢٠ — ذكر لمدرسة عاشرة في مكة أيضاً هي « المدرسة الرحمانية » أنشئت عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)

١٤ — الخيرية .
١٥ — دار الحديث .
١٦ — التهذيب والتعليم .
١٧ — القراآت والتجويد .

وهذه كلها في المدينة المنورة . وكذلك ثمانية كتاتيب .

وكتب الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفضل[1] أن مدرسة « الفلاح » بجدة حلت محل مدرسة كانت تدعى « النجاح » أسست سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) وكان منهاج التدريس فيها ، على طريقة « السؤال والجواب » وكانت نفقاتها من تبرعات طُلابها وأهل الخير . ثم ساعدتها الحكومة (العثمانية) وجُعل التدريس فيها بالتركية . وتضعضع أمرها ، فأُغلقت سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) وقام محمد علي زينل[2] بتأسيس مدرسة « الفلاح » فحلت محل «النجاح » .

وكان عدد الطلاب في هذه المجموعة من المدارس الأهلية سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ٥٢٧٧ طالباً . منهم في مدرستي الفلاح بمكة وجدة ١٣٠٦ تلاميذ ، وفي الصولتية ٥٧٥ وفي الجاوية ٥٠٠ وفي الفخرية ٣٧١ وفي العلوم الشرعية ٣٩٤ ثم في بقية المدارس والكتاتيب ٢١٣١ تلميذاً . وغني عن الذكر أن العدد قد زاد كثيراً ، بعد ذلك ، تبعاً لتقدم الحركة الفكرية واليقظة العامّة في البلاد .

بعثـة داخليـة

وبعد فتح « المعهد السعودي » في مكة ، أراد الملك عبد العزيز أن يكون نفعه شاملاً . فأمر باختيار خمسين شاباً من أهل نجد ، لدخوله . وبعد قدومهم إلى مكة في ذي الحجة ١٣٤٨ (١٩٢٩م) اقتُصر على اثني عشر منهم ، فهيُأت

---

(١) في مجلة المنهل ٢٦ : ٣٦٥

(٢) توفي سنة ١٣٨٩ ﻫ (١٩٦٩م) ، وكان من كبار المحسنين في مثل هذا السبيل .

لهم وسائل المطعم والمسكن والملبس وغيرها . وأُلحقوا بالمعهد ، حتى أكملوا دراستهم فيه ، فكان من بينهم القاضي ومدير المدرسة والمدرّس ، كغيرهم من خريجي المعهد . وابتُعث بعضهم إلى مصر ، فأكملوا دراستهم فيها .

، ، ،

مدرسة لأبناء العشائر

واستفدت من كتاب « بلاد ينبع » الصادر حديثاً [١] وهو مُمتع في موضوعه ، كسائر كتب مصنفه ، أنه كان في ينبع سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) مدرستان نظاميتان ، وثلاثة كتاتيب أهلية لتعليم مبادىء القراءة والكتابة ، لم تسبق الإشارة إليها فيما تقدم : الأولى أُنشئت في العهد التركي ، واستمرت إلى العهد السعودي ، فاتسعت. والثانية خُصص بها « أبناء البادية » وقد عرفت من خبرها ، أن أحد العلماء — ولم يشأ أن يُذكر اسمه — كان في ينبع سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) ورأى كثرة البدو ، في أطرافها ، من جُهينة وحرب وغيرهما . فكتب إلى الملك عبد العزيز ، في أمر أبنائهم ، فلم يلبث عبد العزيز أن أبرق إلى أمير ينبع ، بما معناه : أقيموا مدرسة خاصة بأبناء العشائر ، تتسع موقتاً لمئة طالب . وما انتهى عام ١٣٥٣هـ ، حتّى كانت المدرسة ، وفيها نحو مئة تلميذ من أبناء العشائر القريبة من ينبع .

قلت : لم يكتف عبد العزيز ، بالهِجَر ، لتحضير البدو ، فزاد «المدارس» وهذه أولاها ، فيما أعلم ، أو إحداها .

، ، ،

ورأيت في كتاب « ماذا في الحجاز » — لأحمد محمد جمال — نبذة عن بعض المدارس الأهلية ، جاء فيها أن المدرسة الصولتية افتتحت عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) بمكة . وسنوات الدراسة فيها أربع تحضيرية ، وأربع ثانوية واثنتان عاليتان ؛ والمدرسة الفخرية ، بمكة افتتحت سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م)

---

(١) من تأليف الأستاذ حمد الجاسر . ولم يذكر تاريخ طبعه . الصفحة ١٢٩

واقتصرت أخيراً على ثلاث سنوات تحضيرية ، وواحدة ابتدائية ؛ ومدرسة العلوم الدينية بمكة ، افتتحت سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) في العهد السعودي . ومراحلها أربع : تحضيرية ، وابتدائية ، وثانوية ، وعالية . وهي تسير على مناهج التعليم في المدارس الحكومية .

، ، ،

ومما يحسن ذكره أن مدرستي « الفلاح » بمكة وجدة ، كان منهما إيفاد أول بعثة إلى الخارج في العهد السعودي . وقد ذهب أعضاء تلك البعثة إلى « الهند » للتوسع في علوم الشريعة والعربية في معاهدها العلمية ، وعادوا فتولى أكثرهم التعليم في المدارس الحجازية .

مدارس خاصة ومدرسون

ولم أذكر في عداد المدارس الرسمية أو الأهلية مدارس « خاصة » أنشأ أُولاها الملك عبد العزيز ، في قصره بالرياض ، لتعليم صغار الأمراء من أبنائه وحفدته وأبناء أخوته ومن يليهم من الأسرة السعودية ، وسميت « مدرسة الأمراء » ومثلها مدرسة للأيتام كانت تابعة لإدارة القصر الملكي ، في بناية خاصة بالرياض .

ولما عاد الملك عبد العزيز من رحلته الثانية إلى مصر ، أراد أهل الرياض إقامة حفلة كبيرة له وجمعوا مبلغاً من المال للحفلة . وعلم بالأمر ، فقال : بل يُصرف المال على ما فيه مصلحة للبلد . فاتفقوا على إنشاء مدرسة في البطحاء سميت « المدرسة التذكارية » وبُدّل اسمها بعد ذلك .

وأنشأ الأمير فيصل بن عبد العزيز (في عهد والده) بالطائف « المدرسة النموذجية » لأولاد الأمراء وغيرهم . ثم نُقلت إلى جدة أخيراً ، وضمت إلى وزارة المعارف ، وأُطلق عليها اسم « مدارس الثغر النموذجية »

واستقدم الأمراء عبدالله بن عبد الرحمن ، ومساعد بن عبد الرحمن ،

وسعود بن عبد العزيز ، وفيصل بن عبد العزيز ، وآخرون ، مدرسين خاصين لأولادهم .

من حركة البعثات

واطلعت على تقرير حكومي عن الطلبة السعوديين في الولايات المتحدة عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) خلاصته :

١ – يَدْرس في الجامعات الأميركية ١٩ طالباً . بينهم ثلاثة يدرسون الأشعة والراديوم .

٢ – تخرّج في هذه السنة بالمعاهد الأميركية ، ثلاثة طلاب ، أحدهم نال شهادة أستاذ في العلوم ، واثنان مُنحا شهادة « بكالوريس » في الآداب الإنكليزية .

في نجد والمنطقة الشرقية

أما بلاد نجد ، فعكفت على الدراسات القرآنية والحديثية والفقهية ، أول الأمر . ولم تعرف فيها المدارس النظامية الحديثة إلاّ بعد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) فافتُتحت في بعض مدنها مدارس تدرّج التعليم فيها ببطء ، لقلة المدرسين أولاً ولضعف الرغبة يومئذ في الإقبال على طرائق التدريس الحديثة . ولكنها ، وثبت بعد ذلك ، فما دخلت سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) حتى كان في نجد ٨٤ مدرسة زاد طلابها على ثمانية آلاف .

، ، ،

وبعد ، فهذا ما أمكن الحصول عليه ، من مادة « سير العلم والتعليم » في النهضة الحديثة . وهو، وإن لم يكن كلّ ما يراد لنهضة البلاد،فإنه على ما يظهر جلّ ما بلغته الاستطاعة في ذلك الحين .

ميزانية المعارف

كان أعلى رقم للمعارف ، في آخر ميزانية وضعت للملكة ، أيام عبد

العزيز ، سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) هو عشرون مليوناً من الريالات السعودية ، تقارب أربعة ملايين دولار ونصف المليون ، من نقدنا اليوم .

إضافات ليست في الميزانية

ومن المعلوم أن التعليم في المملكة ، مجاني في جميع مراحله ، تدريساً وكتباً ودفاتر وأقلاماً الخ . ولكن من المجهول أن الحكومة تُنفق أيضاً على نحو ٣٠٪ من التلاميذ طعاماً ومأوى وملبساً وما إلى ذلك ، قياساً على طلبة البعثات في الخارج . ويكثر هذا النوع على الخصوص في المدن والقرى المجاورة للبادية ، حيث يُؤتى بالطلاب من خيام قبائلهم ومن مراعي إبلهم ومن مراتع رمالهم .. وكثيرٌ منهم يفرّون، حنيناً إلى ما كانوا فيه ، فيعادون إلى المدرسة بوسائل منها القسر ..

وفي آباء هذا الصنف ، من المقودين إلى التعلم بالترغيب والترهيب ، من لا يقل تَعَنْيةً عن الأبناء . وقد كانت الحكومة — وما أظنها لا تزال — تدفع لبعض الآباء « تعويضاً » عن عمل البنين في رعي الماشية أو سوى ذلك ، حال غيابهم عن مضاربهم لتعليمهم .

وأعرف أيضاً أنها كانت تصرف مثل هذا التعويض لآباء بعض المُبتعَثين إلى الخارج من الطلبة المرغوب بتيسير انتجاعهم للعلم .

هذه « النفقات » الإضافية ، مما لا يدخل في حساب التعليم ، لم تكن ميزانية المعارف تحتملها أو تؤديها . وإنما كانت هناك « أبواب » للصرف في مخصصات الإمارات والبادية ، يُنفق منها ما لا يُعرف مجموعه ليضاف إلى ما خصص للمعارف في ميزانية الدولة ، اعتماداً وصرفاً .

ويقرب من هذا ، أن مئات من الطلاب في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ؛ ظهر للحكومة أن مقدرتهم المالية ، لا تساعدهم على الاستمرار في الدراسة ، فخصتهم بمشاهرات تتراوح بين ١٥٠ و ٢٤٥ ريالاً ، للطالب .

وكان للمدارس الأهلية حظها من العون المادي أيضاً ، و هي أجدر

المؤسسات بالعون ، فبلغ ما تتلقاه مدرستا « الفلاح » سنوياً ، عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) ٢٧٣٦٨ ريالا ؛ وخُصصت مدرسة « الصحراء » الخيرية في المسيجيد بخمسة آلاف ريال سنوياً ، ومدرسة « النجاح » الليلية ، في جدة ، بثلاثة آلاف وثلاثمئة ريال . وقس على هذا بقية المدارس والمعاهد ، مما لا يدخل في نطاق « مديرية » المعارف ، ولا في ميزانيتها ..

، ، ،

من تولوا إدارة المعارف

تولى إدارة المعارف في عهد الملك عبد العزيز ، قبل أن تصبح وزارة ، الآتية أسماؤهم :

١ — صالح شَطَا . وفي أيامه فتحت الإدارة أبوابها ، في غرة رمضان ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)

٢ — محمد كامل القَصّاب . أقام قليلاً واستقال [1] .

٣ — ماجد الكردي . صاحب « المكتبة الماجدية » في مكة . وسيأتي ذكرها في الكلام على المكتبات . وتولى بعد المعارف إدارة الأوقاف بضع سنوات من سنة ١٣٤٩

٤ — حافظ وهبة . ولم تطل مدته ، فأُرسل إلى لندن ، وزيراً مفوضاً لدى الحكومة البريطانية ، فسفيراً . وأحيل إلى التقاعد سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وتوفي في روما سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) [2]

٥ — محمد أمين فودة . تولى المعارف من سنة ١٣٤٧ إلى نحو ١٣٥٢ ثم كان رئيس المحكمة الكبرى في مكة . وهو من كبار رجال القضاء .

٦ — طاهر الدباغ . صاحب الفكرة في إنشاء « مدرسة تحضير البعثات » التي كانت بداية إنشاء المدارس الثانوية في أنحاء المملكة ، وبداية الابتعاث

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام ٧ : ٢٣٥

(٢) تاريخ نجد لفلبي ٣٨٣ وانظر ترجمته في الإعلام بمن ليس في الأعلام — خ .

المنظم المتواصل إلى كليات مصر وغيرها من البلدان العربية والأجنبية[١] وفُصل. وسافر إلى القاهرة، فأقام فيها إلى أن توفي سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م)

٧ — محمد بن عبد العزيز بن مانع. عين مديراً عاماً للمعارف، إلى جانب رئاسته لهيأة تمييز القضاء الشرعي. وطلب حاكم «قَطَر» انتدابه للعمل لديه سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) فأقام في قطرَ إلى أن مرض. وسافر إلى بيروت مستشفياً، فتوفي بها سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وله تآليف في التوحيد وغيره[٢]

الوزارة

اتسعت أعمال «مديرية المعارف» بعد وفاة الملك عبد العزيز، فجُعلت «وزارة» مقرها كسائر الوزارات في الرياض. وكان أول من تولاها الأمير فهد بن عبد العزيز، حتى أول رجب ١٣٨٠ (ديسمبر ١٩٦٠) وفي عهده أُنشئت «جامعة الرياض» وتولى الوزارة بعده الشيخ عبد العزيز بن عبدالله ابن حسن آل الشيخ، حتى شوال ١٣٨١هـ (مارس ١٩٦٢) فتولاها وزيرها الحالي الشيخ حسن بن عبدالله بن حسن آل الشيخ. ووسع نطاق جامعة الرياض، فضمت كليات «العلوم» و«الصيدلة» و«الآداب» و«التجارة» و«الزراعة» وأُنشئت كلية «الهندسة» مستقلةً، ثم أضيفت إلى الجامعة. وأُسست «جامعة الملك عبد العزيز الأهلية» في جدة. وفيها الآن كلية واحدة، هي كلية «الاقتصاد والتجارة» كما أُسست «الجامعةالإسلامية» في المدينة المنورة، يَفِد إليها طلبة العلم من جميع الأقطارالإسلامية.

---

(١) الندوة ١٨ رجب ١٣٧٨ (٢٨ يناير ١٩٥٩)

(٢) ترجمته في الإعلام بمن ليس في الأعلام — خ.

المَــلك عَبْــد العَــزيــز

كنيتــه وألقــابه

كان أحبّ الكُنى لعبد العزيز ، أن يقال له : أبو تركي (وهو ابنه البكر) يدعوه به رجال القبائل . وقد يُسمّون بعض أبنائه الآخرين ، أيضاً . وكلهم حبيب إليه ، أثير عنده .

أما توجيه الخطاب إليه بطويل العمر ، فهذا يشاركه فيه أكثر الناس في المملكة ، عندما يتحدث أحدهم إلى الآخر . وكان أحبّ إليه من دعوته بعظمة السلطان أو جلالة الملك .

وتعريفه في الكتابة عنه أو الحديث ، بابن سعود أو ابن السعود ، لم يكن مما يرتاح إليه . مع أنه أشهر ما عرف به من كناه وألقابه ، في الشرق والغرب .

وإذا قيل في حاشية عبد العزيز وبين رجاله القريبين منه أو البعيدين عنه : حضر « الشيوخ » أو فعل الشيوخ ، كان هو المَعْنيّ بذلك ، حتى في أيام أبيه . لأن لأبيه لقباً آخر يعرف به هو « الإمام » . ولقب الشيوخ شائع في جزيرة العرب ، لكل ذي سلطان أو رياسة . يطلق عليه في ديرته وما يتبعها تمييزاً له عن غيره من شيوخ القبيلة أو رؤسائها . وقلما يجري لفظ « الشيوخ » هذا في مملكة عبد العزيز ، على ألسنة غير النجديين منهم . ومن نطق به من أهل الحجاز أو نزلاء بلاده ، إلا القبائل ، فهو مقلد يتشبه بهم أو يجاريهم .

وهناك اللقب الشرعي الخاصّ ، لقب « الإمامة » . آل إليه بعد وفاة

أبيه . وكان أسلافه من عهد محمد بن سعود المتوفى سنة ١١٧٩هـ (١٧٦٥م) يقرن اسم كل منهم بالإمام ، كما هو معروف . وللإمامة في أعناق المسلمين حقوق ، في الطاعة والأحكام ، ليس هنا مجال بسطها . وكان لقب «الإمام» منذ دعي به عبد العزيز ، أحبّ ألقابه إليه .

، ، ،

ذلك ما كان يدعى به ، من كناه وألقابه غير الرسمية .

أما الرسمية ، مما خاطبتْه به الحكومات وبعثاتها ، في مكاتباتها وعلى لسان ممثليها ووفودها وما ورد في صحفها ، وما كان يقترن به اسمه في المعاهدات الدولية وما يشبهها من عقود ورسائل ليست من الكتب الخاصة أو الشخصية ، فأول ما عُرف به من الألقاب أيام اشتغاله بتوحيد العصبيات المختلفة في ديار نجد ، واسترداد ما سلب الترك العثمانيون منها ، والقضاء على الفتن فيها ، ومعاركه مع ابن رَشيد وغيره ، هو : « أمير نجد ورئيس عشائرها »

وانفرد الترك بالكتابة إليه : « والي نجد وقائدها عبد العزيز باشا »

ولما عُقد مؤتمر الرياض سنة ١٣٣٩هـ (١٩٢١م) وحضره علماء البلاد ورؤساؤها ، تقرر أن يكون لقبه « السلطان » وكذلك لقب من يخلفه بعده . واعترفت الحكومة البريطانية له ، ولمن يخلفه من ذريته بهذا اللقب ، في ٢٧ ذي الحجة ١٣٣٩هـ (١٩٢١/٨/٢٢) فجعلت تنعته بصاحب العظمة سلطان نجـد .

ولما ضُمت إمارة آل عائض (في تهامة عسير) وإمارة حائل في الشمال إلى سلطنة نجد سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) سُمّيت بلاده « سلطنة نجد وملحقاتها » وجُعل لقبه « عظمة سلطان نجد وملحقاتها »

وبعد دخوله جُدّة سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) اجتمع أعيانها وأعيان مكة وبايعوه « ملكاً » على الحجاز ، فأصبح لقبه « جلالة ملك الحجاز وسلطان

نجد وملحقاتها » وأُبلغ ممثلو الدول الأجنبية ذلك فاعترفت به .

وفي ٢٥ رجب ١٣٤٥هـ (١٩٢٧/١/١٩) بايعه أهل نجد ، في الرياض ، ملكاً لنجد ، فأصبح اللقب « جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها »

وفي ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١ صدر المرسوم الملكي في الرياض ، بتوحيد أجزاء المملكة الحجازية والمملكة النجدية وملحقاتها ، وتسميتها جميعاً « المملكة العربية السعودية » ابتداء من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٢) فأصبح لقبه الرسمي من هذا اليوم : « صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية » .

، ، ،

بهذا دعي عبد العزيز بين رجاله وفي خاصته ، ثم في مختلف أوضاعه السياسية وعلاقاته الخارجية رسمياً .

اعتزاؤه ، ونَخَوات العرب

النّخوة في اللغة : الفخر والازدهار والاستنكاف . انتخى فلان : افتخر. وقد جرت مجرى «الاعتزاء» الذي هو الشعار في الحروب والادّعاء والانتساب[١]

وكلاهما على الأكثر : اعتزاز بالنفس ، واستفزاز لها في الحرب ، أو عند الغضب في السلم ، وفي حالي الانتفاض أو الفخر .

، ، ،

وكان أكثر اعتزاء عبد العزيز : « أنا ابن فَيْصل » ! وهو جدّه الأدنى ، و« أنا ابن مُقْرِن ! » جدّه الأعلى . و « أنا أخو نُورة ! » كبرى شقيقاته[٢] ويكني عنها في حالات الغضب الشديد ، فيقول : « أنا أخو الأنور المعَزّي! » (أي عبد العزيز)

ويشارك عشيرته وأهل العارض ، في قولهم : «أهل العوجا !. إخوان من طاع الله ! » والعوجا ، من أسماء العارض ، ينتخون بها من زمن طويل .

(١) الزبيدي : في التاج .

(٢) توفيت بالرياض ، في شوال ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م)

ولكل مدينة أو قبيلة في نجد ، نخوة تُعرف بها :

فنخوة « الإخوان » وأهل الهِجَر : « خَيّال التوحيد ! أهل التوحيد ! » « صبي التوحيد ! أخو من طاع الله ! » ويتنادون عند لقاء العدوّ : « هبت هبوب الجنة ! وين أنت يا باغيها ؟ » يا ويل عُدْوان الشريعة منا !

ونخوة آل رَوْق ، من قحطان : مِبْعِد مساريح البكار ! انا ابن روق[1]

ونخوة أهل القَصيم : أولاد علي !

وأهل الحَوْطة ، من بني تميم : أولاد حمّاد !

وأهل الخَرْج : العثامنة !

وأهل شَقرا : أولاد زيد !

والدواسر : أولاد زايد !

وآل مرة : أولاد بِشْر !

والعَوازم : أولاد عطا !

وهتَيْم : أولاد الزول !

والعُجمان : أولاد المرزوقي !

والحنافر (من آل دهيم من قحطان) : خيّال الرحمان ! أنا ابن درّاج !

وآل عاطف (منهم أيضاً) : خيّال سَمْحات الوجيه ! أنا ابن عاطف ! ويعنون بسمحات الوجيه : الإبل .

ولبطون شمّر نخوات كثيرة ، منها : « سناعيس سناعيس ! » جمع سنعوس ، و « أهل لبدة ! » و « صبيان الخزنة ! » .

و « خيّال الشعِبْتَيْن بعيري ! » نخوة آل البعير ، من قبيلة أسلم ، من شمّر .

وتعتزي المقطة (من عُتيبة) بقولها : « خيّال الرحمن كريزي ! » .

---

(٣) صحيح الأخبار ٢ : ٢٣٢ ، واعتمدت في ذكر بعض القبائل ، على قلب جزيزة العرب ، وفي بعض النخوات ، على مقالات نشرها يوسف ياسين في أم القرى ، من دون توقيع ، سنة ١٣٤٩هـ ومنها ما كان مما سمعته .. وفيها ما هو عن تاريخ نجد الحديث ١٩٩

الملك عبد العزيز
وحكومات العراق

عاصر الملك عبد العزيز ثلاثة « أدوار » من تاريخ العراق الحديث . أولها العهد العثماني ، وكان همّ الولاة فيه ما عرفناه من سيرة الدولة العثمانية مع آل سعود . وثانيها عهد الاحتلال البريطاني ، يبدأ من جمادى الأولى ١٣٣٥ ﻫ (١٩١٧ م) وهمّ البريطانيين في ذلك الحين ، كسب معركتهم مع الألمان ، فجاملوا الحسين على حساب ابن سعود ، وامدّوا ابن سعود على أمل اتصاله ببادية الشام ، بعد أن يقضي على أعدائه آل رشيد . ولكن ابن سعود عكف على إصلاح بلاده وتنظيمها ، والاستمرار في توزيع القبائل على « الهِجَر » والمساهمة في الإنفاق على بنائها. واكتفى بادىء الأمر بعهد من مشايخ « شمّر » على الطاعة له والولاء سنة ١٣٣٦ ﻫ (١٩١٨م) ثم تنكّر له أمراؤهم فناوشهم ، وأعرض عنهم — إلى حين — وشغل الإنكليز بثورة العراق ، وقد أطلقت رصاصتها الأولى في الرّمَيْثة أواخر شوال ١٣٣٨ ﻫ (١٩٢٠/٥/٣٠م) واستمرت ستة أشهر ، تألفت على أثرها حكومة وطنية « موقتة » في بغداد . ثم ولي الملك فيصل بن الحسين العرش في ٢٨ ذي الحجة ١٣٣٩ (١٩٢١/٨/٢٣) وبه يبدأ الدور الثالث من أيام عبد العزيز في العراق .

، ، ،

وكان من الطبيعي بعد تولية فيصل بن الحسين ، أن يلاحظ عبد العزيز

موقف بلاده الجغرافي بل السياسي ؛ وقد أصبحت مطوّقة من أطرافها الثلاثة — الحجاز وشرقي الأردنّ والعراق — بحكومات الملك حسين وابنيه عبدالله وفيصل . وهو على يقين من أن أباهما الحسين لن ينسى يوم « تربة » وفي نفس عبدالله شيء منها غير قليل . وظهر لعبد العزيز تضامن الثلاثة بعد ذلك في مؤتمر الكويت سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) وهو أمر منتظر .

على أن المشكلة الكبرى بين نجد والعراق — أولاً وآخراً — كانت مشكلة القبائل على الحدود ، خصوصاً بعد أن ثَلّ عبد العزيز عرش ابن رشيد ، واستولى على عاصمته « حائل » سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) ، فإن جماعات كثيرة من قبائل « شَمَّر » المغلوبة يومئذ فرّت إلى بادية العراق ، وجعلت دأبها شنّ الغارات على قبائل نجد . وكان بين قبائل العراق من يدين بالطاعة لعبد العزيز — في ذلك الحين — كقبائل « الظّفير » ومشايخ من غيرها .

وانتقل بعض هؤلاء إلى نجد ، فأخذوا يشنّون الغارات على قبائل العراق . وقلقت السلطات البريطانية هناك ، لأنها كانت لا تزال تحمل تبعة الدفاع عن العراق بحكم ما سمته عصبة الأمم في جنيف بالانتداب على البلاد المنسلخة عن تركيا العثمانية ، وفي جملتها العراق . فعرض السر پرسي كوكس ، وكان لقبه المندوب السامي البريطاني في العراق ، عروضاً للتفاهم تُرسم بها خطوط الحدود ، على أساس « حقوق الريّ » وتكون قبائل المنتفِق والظفير وبعض عَنَزة عراقية ، وقبائل شَمّر نجدية . وعقد مؤتمر المحمَّرة ، في رمضان ١٣٤٠هـ (مايو ١٩٢٢م) فوُضعت فيه بنود لم يوافق عليها الملك عبد العزيز ، أول الأمر . وتلاه مؤتمر « العقُير » في ربيع الثاني ١٣٤١هـ (ديسمبر ١٩٢٢م) فأثمر « پروتوكولين » أهم ما فيهما وضع علامات على الحدود بين العراق ونجد ، وتعيين منطقة محايدة ، ومنع إنشاء قلاع (أبنية أو مخافر) على الحدود من قِبَل الفريقين ، ووافق على ما تقرر في المحمَّرة .

وشغل عبد العزيز في معالجة رأس « المثلّث » فإن الحسين رحمه الله ، كان قد جاهر أهل نجد بالعداء ، وأعان على عبد العزيز أقارب له خرجوا

عليه ، وشرع يعلن أنه لن يكفّ عن عبد العزيز ما لم يعد إليه ما أخذه من بلاد الحجاز (تربة والخرمة وما حولهما) ويردّ إمارة آل رشيد في حائل ، وإمارة آل عائض في عسير ، ويَرْجع هو أميراً لعشائر نجد ... وامتدّ الأخذ والرد ،إلى أن صُفّي الحساب في الحجاز ورحل الحسين إلى قبرص ، وابنه علي إلى بغداد سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)

، ، ،

وكانت العلامات التي وضعت بعد اجتماع « العقير » على حدود نجد والعراق ، قد ضاعت معالمها في خلال هذه الفترة . واشتدّ نزاع القبائل على آبار المياه . وعادت الحدود مسرحاً لتبادل الغارات . وعقد البريطانيون اتفاقية مع الملك عبد العزيز سُمّيت « اتفاقية بحرة » [1]بين نجد والعراق في ربيع الثاني ١٣٤٤هـ (نوفمبر ١٩٢٥م)

وتعجّل بعض الموظفين العراقيين ، فبنوا ثلاثة « مخافر » على الحدود – في بُصَيّة والسَلْمان والشبَكة – خلافاً لما في أحد بروتوكولي العُقير ، كما تقدم[2] وسعت حكومة الملك عبد العزيز لدى حكومة العراق ، طالبة إزالتها ، محتجة على إقامتها . وقبل أن تصل إلى نتيجة حاسمة ، أغار فيصل الدويش[3] على « مخفر بُصَية » أحد المخافر العراقية الثلاثة ، وقتل من فيه سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) واضطربت الحدود ، فتدخل البريطانيون وأرسلوا إلى جدة وفداً لحل المشكل ، بدأ بمفاوضاته في ٦ ذي القعدة ١٣٤٦هـ (١٩٢٨/٥/٢٨م) ولم يُفلح .

وتفاقم أمر « الدويش » إلى أن اضطُر الملك عبد العزيز للسير إليه بنفسه ، كما قدمنا ، وقضى على فتنته سنة ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م)

، ، ،

---

(١) انظر مجموعة المعاهدات المطبوعة بمكة سنة ١٣٦٣هـ

(٢) و (٣) انظر الصفحة ٤٧٥ .

وقبل أن يعود عبد العزيز من منطقة الحدود ، اجتمع الملكان عبد العزيز وفيصل الأول في الخليج ، كما تقدم أيضاً . وأسفر التصافي بينهما عن قيام حكومتيهما ، فيما بعد ، بوضع معاهدة « صداقة وحسن جوار » أُمضيت في مكة ، يوم ٢٠ ذي العقدة ١٣٤٩هـ (١٩٣١/٤/٧م) وأُلحق بها « پروتوكول تحكيم » في التاريخ نفسه ؛ ومعاهدة « تسليم المجرمين » في اليوم التالي [١]

ثم معاهدة « أخوة عربية وتحالف »[٢] بين المملكتين أُمضيت في بغداد ١٠ محرم ١٣٥٥ (١٩٣٦/٤/٢م)

ومعاهدة « حلف بين المملكة العربية السعودية والعراق واليمن »[٣] عُقدت في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧/٨/٢٦م)

واتفاق خاصّ بإدارة « المنطقة المحايدة »[٤] وُضع في بغداد ١٩ ربيع الأول ١٣٥٧ (١٩٣٨/٥/١٩م) وأُبرم في أول صفر ١٣٥٩ (١٩٤٠/٣/١٠م)

و « حلّ قضايا عشائر الحدود »[٥] اتُّفق عليه في رَوْضة التّنْهاة ٢٨ صفر ١٣٥٩ (١٩٤٠/٤/٦م)

و « مكافحة التهريب في المنطقة المحايدة »[٦] تبودلت فيها مذكرات الموافقة عليها بين خارجيتي الحكومتين في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٥٨ (١٩٣٩/٨/٣م) و ٢٨ صفر ١٣٥٩ (١٩٤٠/٣/٩م)

واستقرّ الأمر بين الجارتين الشقيقتين ، توحدهما العروبة ، وتُعقد على تآخيهما الآمال .

---

(١) النصوص في مجموعة المعاهدات ٦٩ — ٨٠

(٢) مجموعة المعاهدات ٢٤٢

(٣) مجموعة المعاهدات ٢٧٠

(٤) مجموعة المعاهدات ٣١٠ — ٣١٣

(٥) مجموعة المعاهدات ٣٠٥

(٦) مجموعة المعاهدات ٣٠٧

عهـــد

وزار الحجاز، للحج، وفدٌ من « الكشافة العراقية » سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٥م) وكان من جملة ما قال لهم الملك عبد العزيز[١]

« أعاهد الله وأعاهدكم على أمور ثلاثة :

أولاً ، الإخلاص لله والدين الحنيف ، واتباع سنّة السلف الصالح ، سنّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه الطاهرين .

ثانياً ، الإخلاص للعروبة .

ثالثاً ، أنّ لحمي ودمي وعواطفي وأولادي وجيشي وجميع ما أملك ، هو لنصرة العراق وفي سبيل العراق .

إلى أن قال ـ وإني اعتقد أن الاعتداء على بلادي هو اعتداء على العراق ، وإذا وُجّه اعتداء إلى العراق فهو موجّه إلى بلادي !

---

(١) المقطم ٩ صفر ١٣٦٩هـ (١٨ مارس ١٩٤٠م)

سيوف عبد العزيز

كانت للملك عبد العزيز ، عناية بالسيوف ، وخبرة في أجناسها ، ومعرفة بتواريخها . وقد أمر بالمحافظة على السيوف القديمة التي اشتهرت في الأسرة السعودية ، واهتم لجمع ما تفرّق منها في حوادث الفتن الأهلية وغيرها .

وكان يرى السيوف الفارسية أفضل من الهندية ، ويفضل الهندية على اليمانية[١] .

ويحب السيوف الفارسية القديمة ، ولا سيما الجنس المسمى « خريسان » — ولعله من صناعة خراسان — و الجنس المسمى « دابان » وقد انعدمت صناعتهما من مئات السنين[٢] والموجود منها الآن نادر جداً .

وأكثر السيوف القديمة الموجودة في الأسرة السعودية ، من الصنف الثاني (دابان) ومنه السيوف الآتية : « رقبان » وكان من أحب سيوفه إليه ، و « صُويلح » و « ثُويني » و « ياقوت » .

---

(١) فلبي ، في « اليوبيل الفضي » ١٦٦

(٢) فؤاد حمزة ، في البلاد العربية السعودية

الملك عبد العزيز

في حديث له مع مراسل «الأهرام»

بعد التوقيع على معاهدة الحلف بين المملكة العربية السعودية والعراق واليمن ، في بغداد ، يوم ١٠ محرم ١٣٥٥ (١٩٣٦/٤/٢) أفضى الملك عبد العزيز بحديث لمراسل الأهرام ، نشرته تحت عناوين بارزة[١] جاء فيه :

تفضل جلالته بالرد على سؤالي ، عن أثر المعاهدة في نفسه ، قائلاً : إنني وشعبي مغتبطان جداً بما وفقنا الله إليه من عقد هذه المعاهدة التي أصبحت هي ومعاهدة الطائف أساساً قوياً يرتكز عليه العرب في تكاتفهم وتعاضدهم واتحاد كلمتهم .

وأعرب عن أمله الكبير في أن تُحسن الأمة العربية الاستفادة من هاتين المعاهدتين ، في توحيد جهودها ومساعنها نحو بلوغ هدفها الأعلى .

واستطرد إلى ذكر الحكومات العربية الأخرى ، المستقلة والتي تسير في سبيل الاستقلال ، فأشار إلى أمله في أن تنضم هذه الحكومات إلى الحلف .

قال ناقل الحديث : وفهمت من خلال ما تحدث به جلالته ، أنه يعني بالحكومات العربية المستقلة والساعية إلى الاستقلال ، حكومات مصر وشرقيّ الأردنّ وفلسطين وسورية .

---

(١) في ١٩٣٦/٤/١١

وسألته عن موقف العرب من الأزمة الدولية الحاضرة ؟ فقال إنه يرجو أن تتغلب الحكمة والتؤدة ، على التسرع ومجاراة الأهواء ، وأن تُحلّ الأزمة الحالية لمصلحة السلم العامّ .

أما العرب فنصيحته لهم ، هي أن يتذرعوا بضبط النفس وهدوء الأعصاب خلال الأزمة ، وأن يكون رائدهم التفكير في المصلحة المشتركة ، لا الاندفاع وراء الخيالات والأوهام والمناقشات العقيمة في أمور لا مصلحة لهم فيها .

وأكد أنه قويّ الأمل جدّاً في مستقبل الأمة العربية التي بدأت تسير خطوات واسعة نحو غايتها السامية ووحدتها الكبرى .

وكان ختام الحديث أن سألت جلالته عن الدعايات السيئة التي يقوم بعض أصحاب الأغراض بإذاعتها في الهند وغيرها ، عن شركة التعدين العربية ، فقال : إن الحكومة السعودية أذاعت منذ أربع سنوات منشوراً عاماً دعت به المسلمين جميعاً إلى الأخذ بيد الحجاز ، والتفكير في مساعدته على نهضته الحديثة ، والاشتراك في استثمار ثرواته ، فتقاعس المسلمون عن ذلك ، ولم يتقدم أحد منهم للتعاون مع الحكومة السعودية على القيام بإنشاء المشاريع الحيوية النافعة ، فلم تجد الحكومة بُدّاً من إعطاء امتياز ، باستثمار المعادن ، حفظت في شروطه مصالح البلاد ، كما يتبين من نصوص الامتياز التي تناقلتها الصحف .

المَلك عَبْد العَزيز

ومصر (الملكية) قبل الجمهورية

صرفتُ ثمانية عشر عاماً ، من سنة ١٣٥٣ — ١٣٧١ هـ (١٩٣٤ — ١٩٥٢ م) منقطعاً إلى تمثيل الملك عبد العزيز ، وقضاء مصالحه الإدارية والسياسية ، والخاصة والعامة ، في بلاد وادي النيل . وما كَتَب لي يوماً بشأن مصر ، ولا سمعته يتحدّث في سرّ أو علن عن مصر ، إلاّ بما فيه الحرص والحضّ على حسن العلاقة ، وتوطيد الحب والصداقة ، بينه وبين المصريين حكومة وشعباً .

تسلّمت عملي ، مستشاراً ، في « الوكالة العربية السعودية » بالقاهرة ، سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ، والدولتان — السعودية والمصرية — على غير وفاق ، لا تمثيل دبلوماسي ولا اعتراف . وحديث « المحمل » على كل لسان . وقبله خبر « المؤتمر » وقبلهما « من يحكم الحجاز » ؟

حُكم الحجاز

بعد أن استقرّ الملك عبد العزيز ، في مكة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وأقام يحاصر جدة ، وفيها الشريف (الملك) علي بن الحسين ، ومن معه ؛ بعث بكتاب في ١١ ربيع الثاني ١٣٤٤ (آخر اكتوبر ١٩٢٥) إلى ملوك المسلمين ، والجمعيات ، والمنظمات الإسلامية ؛ يدعوهم فيه إلى إرسال

مندوبين عنهم ، للنظر في مستقبل الحجاز .

وانقضى حصار جدة ، باستسلام الشريف علي ، ومغادرته لها ، في ٢٤ جمادى الأولى ١٣٤٤ (٢١ ديسمبر ١٩٢٥) ومضى شهران على توجيه الدعوة ، ولم يتلقّ عبد العزيز جواباً عليها من أحد : إلا جمعية الخلافة في الهند .

ولم يكن من المعقول ، أن يظل مستقبل الحجاز ، معلقاً إلى أجل غير معلوم . بل إن الفكرة من أصلها ، في اختيار « الحاكم » للحجاز ، على يد « مؤتمر » كهذا ، كانت ولا شك غير مدروسة ولا عملية .

، ، ،

وعقد أعيان مكة وجدة والمدينة ، اجتماعات درسوا فيها الوضع وطلبوا من « السلطان » عبد العزيز ، أن يجعل الكلمة لأهل البلاد ، في أمر من « يحكمها » فوافق . وأصدر بياناً يقول فيه : « كانت عزيمتي منذ باشرت العمل في هذه الديار ، أن أنزل على حكم العالم الإسلامي ، وأهلُ الحجاز ركن منه ، في مستقبل هذه الديار المقدسة . وقد أذعت الدعوة غير مرة ، لعقد مؤتمر إسلامي يقرّر مصير الحجاز . وأرسلت إلى الحكومات والشعوب الإسلامية ، كتاباً في ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٤ (١٩٢٥/٩/٢٩ م) نُشر نصه في صحف العالم ؛ ومضى عليه ما يزيد على الشهرين ، ولم أتلق على دعوتي جواباً من أحد ، ما عدا جمعية الخلافة في الهند. وجاء أهل الحجاز يطلبون منحهم حريتهم التي وعدتهم بها ، في تقرير مصيرهم ؛ فلم يسعني إلا أن أمنحهم هذه الحرية ، ليقرروا في شأن بلادِهم مايشتهون ، بعدما ظهر من العالم الإسلامي هذا الإعراض عن مثل هذه القضية الهامة »

، ، ،

وكانت « البيعة » على الأثر ، من أهل الحجاز للملك عبد العزيز . وقَبِل

بيعتهم في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤ (١٩٢٦/١/٨ م) وأصبح لقبه « ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها » .

المؤتمر

وتجددت فكرة عقد « مؤتمر » للنظر في إصلاح الحجاز ؛ فكتب عبد العزيز إلى الحكومات والشعوب الإسلامية ، يدعوها إلى « مؤتمر »يعقد بمكة في ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤ (١٩٢٦/٦/٣ م) ولبّى الدعوة من لباها ، ورفضها ملك مصر ؛ فكان هذا أول مظهر للخلاف بينه وبين عبد العزيز ، ولم يأت المؤتمر بنتيجة .

المحمل

وكان من خبر « المحمل » بعد ذلك بقليل ، ما لا يزال يذكره الكثيرون إلى الآن .

في موسم حج تلك السنة ، في اليوم الأول من عيد الأضحى ١٠ ذي الحجة ١٣٤٤ (٢٢ يونيه ١٩٢٦) وحُجّاج العالم الإسلامي من جميع الممالك والأقطار ، مجتمعون في مخيّماتهم ببلدة « مِنَى » تلفّت عربان نجد ، وكانوا أكثر الحجاج عدداً في ذلك العام ، فرأوا أمامهم « المحمل » القادم مع الحج المصري ، على جمل يتهادى بين الجموع ، تحيط به موسيقاه وعساكره ودبدباته . وتصايحوا : الصَّنَم . الصنم !.. وتهافتوا يرشقونه بالحجارة ، وهم بملابس الإحرام . ولم يكن من أمير الحج المصري « محمود عزمي باشا » إلاّ أن أمر بنصب المدافع والرشاشات وإطلاق نيرانها على الجموع ..

وأخبرني ثقات من حجاج ذلك العام أن عبد العزيز لما علم بالخبر ، وهو على رأس الحجيج ، نهض من سرادقه ، وأسرع يعدو ، إلى أن توسط ما بين العربان ونار الجند ، وبسط ذراعيه يصيح : أنا عبد العزيز ! أنا عبد العزيز ! وكان من حسن حظ العرب والإسلام ، أنه لم تتناوله رصاصة طائشة أو متعمّدة . وهدأ إطلاق النار ، وتدخّل الجند السعودي ، وانكف

الناس . وأمر بحجز المحمل عن الأنظار .

وفي « تاريخ ملوك آل سعود »[١] أن قتلى الحجاج من « الإخوان » في هذا الحادث ، كانوا خمسة وعشرين شهيداً ، وقتل من رواحلهم أربعون بعيراً وناقة . وأن الملك عبد العزيز أمر ، على الأثر ، أن يتولى ابنه « فيصل » إحاطة الجنود المصريين ، بجنود سعوديين ، يحرسونهم من أن يتعرّض لهم أحد ، حتى تتم مناسك الحج . ثم يقول : « وبعدما انقضى الحج أرسل معهم الأميرَ مشاري بن سعود بن جلوي ، وثلة من الجند السعوديين ، تحرسهم إلى جدة . وسافروا منها إلى مصر آمنين » .

وأشار حافظ وهبة[٢] إلى الحادث ، في كلامه على توتر العلاقات بين الحجاز وملك مصر في ذلك العهد ، فقال : « وزادها سوءاً ما وقع في منى ، بين الإخوان النجديين والمحمل المصري . فالإخوان النجديون يظنون أن المحمل صنم يعبده المصريون ، فرجموه بالحجارة ، إذ لم يكونوا حاملين السلاح في منى ؛ فقابلهم أمير الحج المصري بإطلاق المدافع والرشاشات ، ولولا تدخل الملك عبد العزيز بنفسه ، ما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه » .

وتحدث بِنْوا ميشان[٣] عن حادث المحمل ، بكثير من الخيال الأنيق ، وقال ما خلاصته : كان الحجاج المصريون يجلبون معهم « المحمل » رمزاً إلى الهودج الذي كان ينقل الملكة المصرية « شجرة الدر » أول ملكة أجنبية اعتنقت الإسلام قبل ٦٠٠ سنة[٤] ثم قال : وأشار أحد « الإخوان » إلى المحمل وصاح : صنم يعبده المصريون ، ويقرعون له الطبول .. وأخذوا يرشقونه بالحجارة . واستولى الخوف على الضابط المصري « أمير الحج » فأمر رجاله بإطلاق النار . وأدى ذلك إلى سقوط مئة جريح و ٢٥ قتيلاً

---

(١) للأمير سعود بن هذلول ، ص ١٨٤ ، وانظر مذكرات حسن الحكيم ١ : ٣٨٢

(٢) في « خمسون عاماً في جزيرة العرب » ١٤٤

(٣) في كتابه « عبد العزيز آل سعود » ٢٠٢–٢٠٤

(٤) بل قبل ٧٢٥ سنة . لأنها حجت حوالي سنة ٦٥٠ﻫ

بينهم عدد من النساء . وقفز ابن سعود ، فشقّ لنفسه طريقاً بين الجموع ، وفصل بقسوة بين المصريين والإخوان ، ومشى بخطوات واسعة إلى حيث كانت تتخبط جثث الضحايا ؛ وعرف النجديون ملكهم ، فانسحبوا إلى سفوح التلال الخ .

وقال داكوبرت فون ميكوش ، المؤرخ الألماني[١] بعد أن ذكر إطلاق النار على حجاج نجد العزّل : ووصلت نجدة مسلحة (؟) من الإخوان ، وكادت أن تنشب معركة دامية ، لو لم يعلم ابن سعود بالحادث ، ويسرع على صهوة جواده (؟) يشق الطريق بين الجموع المتراصّة ، بضربات من عصا غليظة في يده يُهوي بها فوق الرؤوس ، حتى استطاع بمساعدة حرسه الخاص أن يفصل بين المتقاتلين ، وقام الليل الذي سدل ستاره بعد قليل ، بنصيبه في تهدئة الخواطر الثائرة ....

، ، ،

على أن حجاج نجد في هذه السنة ، لم يكونوا بأول من هاج لرؤية المحمل ، فابن زيني دحلان يقول : « لما وصل المحمل المصري ، سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م أمر سعود بإحراقه »[٢] ونقل الحبر رفعت باشا[٣] فقال : « أمر بإحراقه بعد أن أنذر أميره في العام السابق أن لا يسترجع معه هذه الأعواد — يعني المحمل — لأنها بدعة محدثة »

وليس هنا مكان الحديث عن « المحمل » وتاريخ ابتداعه . ويكفي القول إنه لم يكن في عهد النبوة ولا الصحابة ولا الدولتين الأموية والعباسية .

استمرار القطيعة

ووصل الخبر إلى فؤاد الأول (ملك مصر يومئذ) وزيد عليه أن المحمل سيُمنع دخوله بعد الآن إلى الحجاز ، فازداد حنقاً على عبد العزيز . وكان

---

(١) ترجمة الدكتور أمين رويحة ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩

(٢) خلاصة الكلام ٢٩٤ ووقع فيه تاريخ الحادث سنة ١٢٣١ من خطأ الطبع .

(٣) في مرآة الحرمين ٢ : ٣٠٨

من المعتاد أن ترسل مصر، مع المحمل، كسوة للكعبة، ومبلغاً من المال من ريع أوقاف الحرمين في الديار المصرية، وبعض الهدايا؛ فأمر الملك فؤاد بالانقطاع عن إرسال شيء من ذلك كله.

وعلى الرغم من أن الملك عبد العزيز، أرسل كبير أبنائه «سعود بن عبد العزيز» سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٦ م) إلى مصر، لمعالجة عينيه وتصفية الجو مع القصر الملكي فيها، فإن الجفوة استمرت.

ماذا قررت حكومة مصر ؟

أصدرت إدارة المطبوعات في القاهرة، يوم الخميس ١٠ ذي القعدة ١٣٤٥ (١٩٢٧ م) بلاغاً رسمياً بأنه:

١) وصل إلى علم الحكومة المصرية أن حكومة الحجاز تشترط لحج هذا العام شروطاً معينة.

٢) كلفت الحكومة المصرية قنصلها في جدة أن يتصل بجلالة الملك عبد العزيز شخصياً، لمعرفة الحقيقة.

٣) أبرق إليها القنصل المصري بجدة أن الملك عبد العزيز يشترط للحج: (أ) تجريد الحامية المصرية التي تصحب المحمل من سلاحها. (ب) منع عرض المحمل بالحرم الشريف.

٤) عُرض ذلك على مجلس الوزراء في القاهرة، في ١٠ ذي القعدة ١٣٤٥ (١٢ مايو ١٩٢٧) فقرر ما نصه[1]:

«العدول عن إرسال المحمل في هذا العام، وإعلان الحجّاج المصريين بأنهم بسفرهم قد يستهدفون لبعض المخاطر، وأنهم إذا رأوا، مع ذلك السفر في هذه الظروف، فإن ذلك يكون تحت مسؤوليتهم»

---

(١) جريدة الأهرام ١٣ مايو ١٩٢٧

لا محمل ولا حج رسمي

ومن هذا التاريخ انقطعت الحكومة المصرية عن إرسال المحمل ، وعن السماح — إلى حين — لحجاج مصر (رسمياً) بتأدية الفريضة .

وبعد عامين ونصف

وفي شعبان ١٣٤٨ (يناير ١٩٣٠) رفع الكاتب المصري ، محمود أبو الفتح ، صوته في نقد حكومته ، فكان مما كتب[١] :

« حكومة مصر أصرت على ألاّ تكون لها علاقة رسمية بالحجاز . ومع هذا عينت قنصلاً لها في الحجاز . وأرادت أن تتعامل معه حكومة الحجاز ، وهي في الوقت نفسه تتجاهل وجود معتمد الحجاز في مصر !

« أرسلت حكومة مصر ، بعثة طبية إلى الحجاز ، فلما وصلت إلى ميناء جدة ، أبرز أعضاؤها جوازات سفرهم وليس عليها تأشيرة من وكالة الحجاز في مصر ، لأن حكومة مصر لم تعترف بالوكالة الحجازية ولا بحكومتها ..

« وأقامت البعثة في باخرتها ليلتين ، حتى رُفع الأمر إلى الملك عبد العزيز ، وكان جوابه : « المصريون إخواننا ، فلا تعملوا ما يكدر خواطرهم » ودخلت البعثة .

« وكسوة الكعبة ؛ تقول حكومة الحجاز : ليس من الدين في شيء أن تُنقل الكسوة إلى الحرم الشريف ، على أنغام الموسيقى . وليس من هيبة الدين ولا من جلاله ، أن تُدقّ الطبول والمزامير ، والناس يقيمون الشعائر . هاتوا الكسوة ، أتقبلها على الرأس والعين ، وأغطي بها الكعبة ... ولكن حكومة مصر ، ذهبت تهدد بمنع الكسوة وقطع الأرزاق التي كانت ترسل إلى الحجاز والتي هي إيرادات أوقاف لا يحق مطلقاً عدم إنفاقها في غير الوجوه التي حُبست عليها .

« ومن الذي خسر بهذا ؟

« ليس هو ابن السعود . فقد أنشأ في الحال مصنعاً للكسوة ، وجلب له

(١) عن الأهرام ١٩٣٠/١/٢٢ باختصار .

عمالاً من الهند ، على رأسهم هندي من المسلمين الوطنيين . إنما الذي خسر ، هو مصر .. خسرت شرف كسوة الكعبة ، وخسرت دعاية مئات الألوف من الحجاج . وأقفلت باب الرزق على من كان يصنع الكسوة من عمالها ...

عبد العزيز يدعو الى تحكيم الشرع

ودعا عبد العزيز ، إلى تحكيم الشرع ، في حديث أفضى به إلى صحفي مصري[1] سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ، جاء فيه قوله :

« لا خلاف بيني وبين مصر . وأمر المحمل متروك إلى الدين ، وإلى حكام الشرع .. في مصر علماء ، علينا أن نستفتيهم وأنا معهم فيما يأتون به من الكتاب والسنة . أبلغ مصر عني أن حكومتي على استعداد لكل تساهل تطلبه الحكومة المصرية يتفق مع الشرع »

آخر أيام الملك فؤاد

وظل البلدان متقاطعين (رسمياً) إلى آخر أيام فؤاد . ودخل عليه رئيس ديوانه « علي ماهر » وهو يحتضر ، فقال : ألا تجعل في صحيفة عملك الدخول في مفاوضة مع بلاد الحرمين الشريفين ؟ فأشار : لا بأس .

معاهدة الصداقة

ومات فؤاد سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) وانقشعت غمامة الجفاء ، وعقدت معاهدة « الصداقة » بين البلدين في ٧ مايو ، من السنة نفسها ، وعُمل بها ابتداءً من ٨ نوفمبر ١٩٣٦ م .

شرط مرفوض

وفي فترة ما بين عقد المعاهدة وابتداء العمل بها ، زار مصطفى النحاس رئيس الوزارة المصرية التي خلفت وزارة علي ماهر ، دار « المفوّضيّة »

---

(١) المقطم ١٩٣٥/٣/٢٣

السعودية بالقاهرة ، وكانت قبل المعاهدة « وكالة » غير معترف بها رسمياً .
وطلب تذييل المعاهدة بملحق ، عن المندوبين الذين سيصحبون « الكسوة » التي سيُكتفى بها عن المحمل . وجعل في ذلك ما معناه : « حسن معاملتهم في ضيافتهم للحكومة السعودية » .

وأبرقت المفوضية بهذا إلى الملك عبد العزيز ، فتلقت منه « ثورة » من غضب : متى كان يُشترط علينا أن نحسن معاملة أضيافنا ؟ هذا شرط لا نقبله ، ولا نسجّله ، ولو أدّى الأمر إلى إلغاء المعاهدة ... وتراجع النحاس . وبقي المحمل يحتفي به إخواننا المصريون في داخل مصر ، ولا يتعدى مدينة السويس . أما « الكسوة » فتوضع في صناديق ، ويرافقها وفد مصر إلى مكة .

عودة إلى ما يجب أن يكون

وعاد ما بين البلدين الشقيقين ، إلى ما تقتضيه طبيعة الإخاء ، وزاد ما بين عاهلي السعودية ووادي النيل ، من اتصال ، زيارة ملك مصر لرضوى ، وزيارة عبد العزيز لمصر .

ومن المرويّ عن عبد العزيز ، حديث[1] أشار فيه إلى اعتداء دول « المحور » على مصر ، في الحرب العامة الثانية ، وقال :

« كنا نسمع أخبار التعدي على مصر ، وكأنه اعتداء على الحرَم ، أو كأنه على أعيننا .. »

في اجتماعات الجامعة

وانعقدت جامعة الدول العربية ، فلم تختلف سياسة الدولتين في أمر من أمورها ، منذ إنشائها إلى آخر حياة عبد العزيز .

من أمثلة التعاون

انعقد مجلس الجامعة العربية ، في أواخر ذي القعدة ١٣٧٠ (أغسطس

(١) نقله مندوب جريدة « البلاغ » المصرية في ١١ محرم ١٣٦٠هـ (٧ فبراير ١٩٤٢)

١٩٥١) وانبثقت عنه ، كالمعتاد ، اللجنة السياسية . وأبرق إلى الملك عبد العزيز مندوبوه في هذا الاجتماع ، بأهمّ ما تداولته اللجنة من أبحاث ، طالبين « تعليماته » فيما يكون موقفهم منها .

وأستجيز لنفسي هنا ، أن أنقل نصّ البرقية التي وردت منه «سريّةً ، بالجفر »

من « الحَوِيّة » (قرب الطائف) :

في ١٣٧٠/١١/٢٨ (٣١ أغسطس ١٩٥١)

ج : اطلعنا على برقياتكم . ونوافق على ما يأتي :

أولاً — بشأن الصلح مع اليابان : أصدرنا التعليمات إلى مندوبنا أسعد (الفقيه) بحضور المؤتمر وأن يؤيد ، تضامناً مع دول الجامعة العربية ، الملاحظات التي أبدتها مصر .

ثانياً — أما ما يتعلّق بالمؤتمر الذي دعت إليه لجنة التوفيق ، فنحن ما دعينا إليه ولا نريد الاشتراك فيه .

ثالثاً — بخصوص قناة السويس ، والمشكل الذي بين البريطانيين والحكومة المصرية . نحن مع مصر ، ونؤيدها في حقوقها .

عبد العزيز

وساطة لحل القضية المصرية

وانقطع ما بين حكومة « الوفد » في مصر ، والحكومة البريطانية ، من محادثات في أوائل سنة (١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) فتقدم عبد العزيز للوساطة ، وعرض مقترحات لحلّ القضية المصرية ، نشرت لأول مرة في الصحف المصرية بعد ستة أشهر من عرضها[١] هذا نصها :

أولاً — تعتبر المعاهدة المعقودة بين مصر وبريطانيا سنة ١٩٣٦ ملغاة .

---

(١) انظر جريدة المصري ١٩٥٢/٦/٢٣

ثانياً — تجلو القوات البريطانية عن قناة السويس إلى أماكن خارج القطر المصري في مدة لا تزيد عن سنة .

ثالثاً — يحل الجيش المصري محل القوات البريطانية في قناة السويس .

رابعاً — يسلّح الجيش المصري بالمعدات الحربية ، ويساعَد في التدريب عليها حتى يصبح قادراً على الدفاع بنفسه .

خامساً — تُعقد معاهدة صداقة جديدة ، بين مصر وبريطانيا ، لتنسيق العلاقات الودية بين الفريقين .

سادساً — ينظّم أمر الدفاع ، باتفاق يُبنى على التعاون الصادق بين الفرقاء ، يوضح فيه شكل ذلك التعاون في حالتي السلم والحرب .

سابعاً — وأما السودان ، فيترك الخيار لأهله ، يُستفتون فيه استفتاءً حرّاً خالصاً من كل شائبة .

الرياض في ٥ ربيع الثاني ١٣٧١

، ، ،

ذلك هو الملك عبد العزيز ، في ما كان بينه وبين حكام مصر الأولين . وقد لقي الله ، وليس في علاقاته بمصر ، وحبه لشعبها ، ما يكدّر صفاءه أو يشوب تلك العلاقات بشائبة .



حاجّة مصرية

الملك عبد العزيز

وتباشير الأدب في عهده

ينتعش الأدب بانتعاش الأمة ؛ ويكثر الإقبال عليه ، في أزمنة استقرارها ، ويزدهر في أيام رخائها .

وكان ما مرّ بالديار الحجازية والأصقاع النجدية ، من خُمود الشعلة الفكرية في الأولى ؛ والاضطراب المستحكم في الثانية ؛ قبيل زوال الحكم العثماني ، كافياً لخنق روح الأدب فيهما لولا وَمَضات منه كانت تشع بين آن وآخر في كلا طرفي الجزيرة . وبينما الحياة الجديدة تدب في نجد ، أيام ابتدأ عبد العزيز يتوجه إلى التنظيم ، ويمهد للاستقرار ، كانت بوادر من يقظة « الأدب » تبدو في الحجاز بعد القيام على الترك . وأخذ العالم يسمع أصواتاً « خافتة » من القطرين ، ليست هي الأدب المعهود فيهما ، ولكنها من تباشير الأدب المأمول .

واتحد البلدان على يد عبد العزيز ، فارتفعت طبقة تلك الأصوات قليلاً . وكانت ما تزال إلى سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) ، في دور الانتقال من الانتعاش إلى بدء الازدهار .

أدب الحجاز

سارع أدباء الحجاز إلى تدوين ما أثمرته نهضتهم الناشئة ، فكان محمد سرور

الصبان أول من فتح هذا الباب فيهم . فجمع كتيباً مفيداً في ٨٨ صفحة ، سماه « أدب الحجاز »[١] وحلاّه بمختارات من نظم عبد الوهاب آشي ، ومحمد حسن عواد ، ومحمد عمر عرب ، ومحمد سعيد العامودي ، وآخرين . وختمه بترجمة لنفسه أورد بها نماذج من نظمه ونثره .

وصدر بعده كتاب « وحي الصحراء »[٢]تأليف محمد سعيد عبد المقصود[٣] وعبد الله عمر بَلْخير ، في ٤٠٨ صفحات . اشتمل على تراجم ومختارات ، نظماً ونثراً ، لاثنين وعشرين من الأدباء وشُداة الأدب ؛ تقدم ذكر بعضهم في كتاب الصبان . منهم : أحمد إبراهيم الغزاوي (شاعر الملك) وأحمد السباعي ، (مؤرخ مكة)وأحمد العربي ، وأمين بن عقيل ، وأحمد قنديل ، وحسين سِراج ، وعبد القدوس الأنصاري (صاحب مجلة المنهل) وعبد الحق النقشبندي ،وعلي حافظ ،وعمر الصيرفي ،وعزيز ضياء الدين،وعبد السلام عمر ، وعبد الحميد عنبر ، وشاعر المدينة عُبَيد المدني ، وأخوه أمين المدني ، ومحمد حسن فَقِي ، ومحمد حسن كتبي ،وحسين خزندار .

وكان من هذه الطبقة الصحفي المخضرم « الطيّب الساسي » ولم يكن له شعر يروى أو تأليف يذكر[٤]

وظهرت طبقة من الكتاب ، عُرفت بآثارها ، كأحمد عبد الغفور العطار ، صاحب « صقر الجزيرة » وعبد الله عُرَيْف ، رئيس تحرير « البلاد السعودية » أرقى صحيفة صدرت يومئذ في الحجاز ، وحسين محمد نصيف[٥] مصنف « ماضي الحجاز وحاضره » وأحمد علي أسد الله ، صاحب كتاب « آل سعود » . وبدأ نبوغ الشاعر طاهر الزمخشري ، والشعراء والكتّاب :

---

(١) طبع بمصر سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)
(٢) طبع بمصر أواخر ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م)
(٣) توفي بمكة سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م)
(٤) توفي سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م)
(٥) توفي سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م)

ضياء الدين رجب ، وحسن عبد الله القرشي ، وعبد السلام هاشم حافظ ، وعثمان حافظ ، ومحمد السنوسي ، وأحمد عبد الجبار ، ومحمد عمر توفيق وحسين عرب ، والشاعر « المحروم » وأحمد عبيد ، مُصْدر أول مجلة مصورة في المملكة ، ومحمد هاشم رشيد ، وعلي فَدْعَق ، وإبراهيم العلاّف الشاعر ، وعبد الغني قستي ، وعبد الله عبد الجبار ، ومحمد هاشم رشيد المدني ، ومحمود عارف ، وسعيد عَوَض باوزير ، ومحمد عمر رَفِيع ، ومحمد طاهر الكردي (مؤلف كتاب الخط العربي) وعبد السلام الساسي ، وعبد العزيز الرفاعي ، ومدني بن حِمْد . وفيهم من عُرف بعد أيام عبد العزيز

من شعر الحجاز

وأختار على سبيل المثال ، من شعر أهل الحجاز ، في السنين العشرين الأخيرة قول « أحمد بن إبراهيم الغزاوي » :

خمدت جذوة الشباب وأمسى ... ما أعانيه من زماني ثقيلا
وتثقفت بالتجاريب حتى ... راودتني الحياة أن أستقيلا !
لم أجد في الوجود إلاّ جدالاً ... ورأيت الضعيف فيه ذليلا

وقوله :

عليّ لعِزّة الأسلاف دَين ... ولي بسلافها الصافي ولوع
أكاد أضيء ، حين يجيش صدري ... بذكراها ، وتحتجب الشموع

وقول « محمد حسن عواد » :

إليك ، فما الغايات إلا عزائم ... تُسلّ ، وما الآمال إلاّ تقدم
وما صفحات المجد إلاّ خلائق ... مجسمة ، فيها شعور مجسّم
وما القلب إلاّ ما تحمل همة ... تطول بها كفّ ، ويشدو بها فم



أحمد بن إبراهيم الغزاوي يلقي قصيدة

وقول « أحمد قنديل » متغزلاً :

ما كنت أحسب يا حبيبي — أن قلبك صار صلدا
أو أن لي بيني وبينك — في حياة الحب حدا
أو أن شخصك غير شخصي — في الهوى قرباً وبعدا
حسبي ، فقد أُلهمت أنّ — لنا بدنيا الحب خلدا

وقول « عبد الوهاب آشي » :

عذيريَ إن عدنا وعاد طلابنا — كما أوّم الظمآنَ في الآل كاذبه
فما أنا إلاّ من تتابع سُهده — ومن كثرت في النائبات نوادبه
ولكن إذا ما الله لم يهب امرءاً — نجاحاً فما تغنيه عنه مواهبه

وقول« محمد سعيد العامودي » يخاطب دمشق في ثورتها على الاستعمار :

كيف السبيل إلى تحامي فتنة — هم يا دمشق بسهمها رشقوكِ
المعجَبون بعصرهم قد أرهقوا — والوارثون العدلَ قد خانوكِ
إن هبّ في أرض الجزيرة معشر — فالسابقون إلى الأمام ذووك
أو ثار من بين الأعارب ثائر — فالثائرون الأولون بنوك

وقول « عُبيد المدني » يخاطب الملك عبد العزيز :

وملأت بالإكبار كل نفوسهم — وعمرت بالإخلاص كل فؤاد
والعرشُ ما ترسو قواعده على — أسس الجوانح لا على الأعواد

أدب نجد

وجاء أدب « نجد » مختلفاً عن نظيره في الحجاز . شأنه في ذلك كشأنه أيام « السموّ » في الأعصر الأولى . وروحه في الزمنين أقرب إلى روح الصحراء : قوة تخالطها قَسْوة ، وبهجة تمازجها جفوة . ينظر الشاعر فلا يرى من حواله على الأكثر إلاّ التلاع والقفار . ويستوحي شعوره ، فيأتيه بفطرة الأجيال المتعاقبة ، من دفاع عن النفس ، وحبّ للغلبة ، وحماسة

وفخر . أضف إلى هذا روح التديّن في « نهضة » نجد الحديثة ، وقد ظهر أثرها فيما تحت نظرنا من أقوال شعراء العارض والقصيم وجيرانهم .

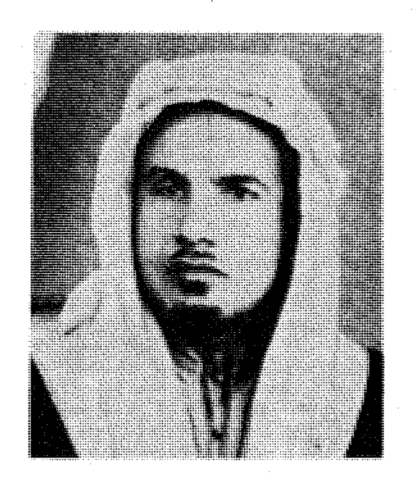
على أن الأدب في نجد لم يكن ، في أيامنا هذه ، موضع العناية أو الانصراف إليه . فأهل « الهِجَر » وأمهات المدن مقبلون على الكتاب والسنة يتدارسونهما ، وأهل البادية يتلقفون مبادىء الدين من « مطاوعتهم » ليبتعدوا عما كان عليه آباؤهم الأقربون. وتأليفُ الكتب اليوم في تلك الديار وقفٌ على تحقيق مسائل في العبادات والمعاملات للتيسير على القضاة، ولردّ الناس إلى خالص « التوحيد ».

ومع هذا ففي شعر من ظلّ يقول الشعر في نجد ، جزالة وفحولة قل أن يكون مثلهما في شعر الحجاز ، وفي الثاني من الرقة ما قلّ أن يكون في الأوّل . وقد نجد في شعراء نجد — وحديثنا عن المعاصرين في هذه الحقبة من أيام عبد العزيز خاصة — من يأتي بالرقيق تكلفاً . ومثله من يأتي بمعاني البداوة في مكة أو المدينة .

ترددت أسماء بضعة شعراء من قالة القريض ، وبعضهم يجيد معه الملحون. ونُظّام هذا كثيرون لا يدخلون في بحثي هنا . فممن عرفوا بالإكثار من النظم في أوليتهم سليمان بن سحمان ، أصله من بلدة السقي من بلاد أبها ، من عسير . وكانت له شهرة أيام عبد العزيز الأولى . وله « ديوان » سمعت أنه طبع في الهند وفي الرياض ، ولم أره . ومحمد بن عبد الله بن عثيمين ، من حوطة بني تميم . ومحمد بن عبد الله بن بليهد ، مصنف « صحيح الأخبار ، عما في بلاد العرب من الآثار » رأيته بمكة، يقرأ فصولاً من كتابه، أيام عبد العزيز ، على حفيده النابه الأمير عبد الله الفيصل، المعروف بالشاعر المحروم.

وممن اشتهر في تلك الحقبة بنجد، تميم بن عبد الرحمن من آل فهيد . وعبد الكريم بن عبد العزيز بن جهيمان ، من القرائن .

وأعجبت بمنظومة لخالد الفرج النجدي الدوسري ، في سيرة عبد العزيز ، سمّاها « أحسن القصص » وحلاّها بذكر الحوادث ، منثورة إلى جانب النظم. وطبعت بمصر. وهو صاحب المخطوط الذي اعتمدت على كثير من فصوله.


الشيخ حمد الجاسر

ولمع اسم عالم بالأدب والبلدان (حمد الجاسر) من إقليم السرّ ، في جنوبي القصيم . سمعت أن له شعراً . ولقد كتب فأجاد . وأصدر مجلة « اليمامة » أول صحيفة عُرفت في الرياض . ويصدر الآن مجلة « العرب » وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والقاهرة .

وبدأنا نقرأ، في أعوام عبد العزيز الأخيرة ، فصولاً لعبد الله بن محمد ابن خَمِيس ، من مواليد وادي حنيفة ؛ وطلائع من شعر سعد البواردي ، وعبد الله بن إدريس النجدي السديري .

من شعر نجد

وكما أوردت أمثلة من شعر الحجازيين ، آتي بأمثلة مما قرأت لشعراء نجد في السنين العشرين الأخيرة ، قبل سنة ١٣٦٩ هـ :

يقول « محمد بن عبد الله بن عثيمين » من أهل حوطة بني تميم ، في مطلع قصيدة :

مَعاهدي وليالي العمر مقمرةٌ	قضيتُ فيها لباناتي وأوطاري
مَجرّ أذيال غضّات الصباخُرُدٍ	حُورِ المدامع م ِ الأدناس أطهار
للسمع ملهىً ، وللعين الطّموح هوى	فهنّ لذة أسماع وأبصار
إذا هززن القدود الناعمات ترى	أغصان بان تثنت تحت أقمار

وهذا أقرب إلى ترقق أهل الحجاز . ويعود إلى سجيته فيقول :

ولما أبوا إلاّ الشقاق رميتَهم بأرعن جـوّاسٍ خلالَ المحارمِ
فأضحوا وهم ما بين ثاوٍ مجندل(١) وآخر مصفود بسمر الأداهم

ويقول « محمد بن عبد الله بن بليهد » من أهل « ذات غسل » إحدى قرى الوشم ، من قبيلة بني خالد :

يـُدني ديار الأعادي وهي قاصية والقوم منه ، وإن شطوا ، على حذر
رست بعزمته أركان مملكة بنى قواعدها بالبيض والسمر
والأعوجيات مرخاة أعنتها تستنّ في فلوات السهل والوعر

ويقول « تميم بن عبد الرحمن ، من آل فهيد » :

نجدية في سراة العرب محتدها بطيّب الذكر قد فازت وبالنسب

و « صالح بن عبد العزيز بن عثيمين » من أهل بريدة ، في القصيم :

سل الخيل عن فعل النهياك بمأقط(٢) تجد عضبه قد أبهم الجون بالشقر
لقاصده سهل الجناب ، وللعدى تجرع كاسات أمر من الصبر

و « عبد الكريم بن جهيمان» :

لقد أشرقت شمس الخميس ضحى على خميس بجند الأعوجيين يزخر
يليحون بالبتار في خطراتهم ويمشون مشي الأورق الفحل يهدر

ويقول « حسين بن علي بن سرحان » الشاعر النجدي الجامع بين ديباجتي ابن قلب الجزيرة وابن نعومة غربها . نجدي ، من قبيلة الروسان ، من عتيبة ، نشأ وتعلم في مكة ، وإقامته فيها :

ما أدرك العالِم من مطلب مثل الذي يدركه الجاهل

---

(١) ليس في أمهات المعاجم « جندله » بمعنى صرعه . وانفردت بذكره المعاجم الحديثة كالمنجد والرائد . والأصوب أن يقول « مجدل » بتشديد الدال .

(٢) النهيك الذي ينهك أعداءه والمأقط كمنزل موضع القتال أو المضيق فيه .

سيان عند القدر ، الفاسقُ ال أعمى هوًى والمرشد الفاضل
قد يُدرك النائم آماله ، ويُحرم المستيقظ الآمل !

ولبعض العلماء بالدين من أهل كلا القطرين – الحجاز ونجد – اشتغال في الأدب. وفيهم من علا كعبه فيه ، عن طريق التوسع في اللغة وعلوم البيان، يحسن استقصاء آثارهم في كتاب يُفرد لهم .

، ، ،

وظهر ، بعد كتابة هذا الفصل ، شعراء وكتاب ، في مختلف أقاليم المملكة ، جديرون بالتنويه بهم ، غير أن الكتاب وُضع لأحداث الجزيرة في « عهد » عبد العزيز ، فوقفت عنده .

ولم يكن بين يديّ ، يوم كتبت هذا الفصل سنة ١٣٧٠ ﻫ (١٩٥١ م) وأعدت النظر فيه بعد ذلك ، من مصدر يرشدني إلى جناحي المملكة : شرقيها وجنوبيها ، فقصرت بحثي على غربي الجزيرة وقلبها .

وأمامي الآن كتابان : أحدهما في أدب الجناح الشرقي ، هو « شعراء هَجَر » والثاني « شعراء الجنوب » والأول مما جمعه وكابد الجهد في تحصيل مادته ، محمد بن عبد الله بن مبارك الأحسائي . وقد نسّقه وزاد فيه وقام بطبعه عبد الفتاح بن محمد الحلو . وفيه التنويه بطائفة من شعراء الأحساء ، في أيام عبد العزيز ، كأحمد بن محمد من آل ماجد ، وعبد اللطيف بن إبراهيم من آل مبارك ، وابنه عبد العزيز ، وعبد الله بن علي من آل عبد القادر ، وعبد العزيز ابن صالح العلجي ، وعبد الله بن عبد اللطيف من آل عمير . والكتاب الثاني : « **شعراء الجنوب** » اشتمل على قصائد ومقطعات ، لشعراء من بلدة جيزان ونواحيها ، هم : علي بن محمد السنوسي ، ومحمد بن علي السنوسي ، ومحمد ابن أحمد بن عيسى العقيلي (صاحب التآليف في تاريخ بلاده) وأحمد بن عبد الفتاح الحازمي .

وفي أدب الأحساء ، بلاد النفط والحياة الجديدة، أسلوب يغلب فيه

الرصف . أما الجنوب ففيه من الطبع ما يجاري أدب الفطرة ، ومن التطبع ما يظهر عليه أثر التقليد .

، ، ،

بقي عليّ أن أتساءل : لماذا جعلت الشعر « ميزان » الأدب في أقاليم البلاد الأربعة ، ولم آت إلى جانب النماذج المنظومة بنماذج منثورة ؟

وأجيب : الشعر أدل على « لون »العصر ، من النثر . وما دمنا في معرض الحديث عن « الأدب » في زمن معيّن ، هو عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، فإن ما ظهر في أيامه من تصانيف ، وما كُتب من أبحاث في العلم والسياسة وغيرهما ، قد يكون « معياراً » للفكر ، في حقبته التي عاشها ، ولا أراه يصلح لأن يكون « معياراً » للأدب . وإن قصيدة من شعر الأبيوردي ، مثلاً ، لأدلّ على « الأدب » في زمانه من جميع كتبه وكتب معاصريه .

المَـلك عَبـد العــزيــز

والعلاقة « الدبلوماسية » بين بلاده وأميركا

كانت زيارة المستر تشارلس ر. كراين ، من أهل نيويورك ، للملك عبد العزيز آل سعود ، سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) ، الحلقة الأولى من حلَقَ الاتصال بين بلاد كراين وبلاد عبد العزيز .

وغلب شميم « البترول » بنجد ، على شميم عراره ، فتنادى أبناء « العمّ سام » هارعين إلى ينابيعه يفجّرونها .

وأدركت حكومة الولايات المتحدة الأميركية تكاثر مصالحها في هذا الجزء من بلاد العالم العربي . ولا بدّ لتلك المصالح من ركائز « دبلوماسية » فكان إنشاء العلاقات السياسية .

بدأت حكومة واشنطن بإرسال قنصلها في الاسكندرية ، المستر ليلاند ، إلى جدة ، في ١٠ ذي القعدة ١٣٥٥ (٢٣ يناير ١٩٣٧) وقد مرّ بي في القاهرة قبل إبحاره إلى الحجاز . وعلمت منه أن الغرض من رحلته التمهيد لإنشاء علاقات بين الحكومتين في المستقبل ،وأنه غير مكلّف الآن أن يدخل مع حكومة الملك عبد العزيز في أي بحث يتناول العلاقات . وسيقابل رجال شركة التعدين ويطّلع على سير أعمالهم ومدى علاقتهم بالحكومة .

وبعد نحو ثلاثة أعوام ، وصل إلى جدة في ٢٧ ذي الحجة ١٣٥٨ (٦ فبراير ١٩٤٠) المستر « برت فيش » أول وزير مفوض للولايات المتحدة

في المملكة العربية السعودية ، يحمل رسالة من الرئيس روزفلت إلى الملك عبد العزيز ، بتوكيد العلاقات الودية بين الجمهورية والمملكة . قدمها روبرت فيش إلى الملك عند تقديم أوراق اعتماده .

وجاء بعد فيش ، المستر « الكسندر كيرك » وكان وزيراً مفوّضاً لبلاده ، في مصر ، فأضيفت إليه المفوضية في المملكة السعودية . ووصل (سنة ١٩٤٢ م) ، من القاهرة : هو والمستر تويتشل وكاتب هذه السطور ، في طائرة واحدة وكان الملك عبد العزيز « يقنص » في وادي الرمة ، فهبطت الطائرة على مقربة من مخيمه . وقمنا مع الملك ، في اليوم الثاني إلى الرياض ، بالسيارات . في رحلة صحراوية ، كان دليل الركب في ظلمائها محمد بن عبد الله ، ابن بليهد .

، ، ،

وتولى المفوضية الأميركية ، بعد كيرك ، الكولونيل « وليم . ا . إدي » الذي كان يحسن التكلم بالعربية ، وأظنه من مواليد صيدا ، في لبنان . وكان الملك يرتاح إليه ويأنس به . كانا يجلسان أحياناً على الأرض المفروشة بالسجاد . يمد الملك رجله المصابة في الركبة برصاصة نشأ عنها الروماتيزم ، ويمدّ إدي رجله المصابة في معركة أيضاً ، أو حادث .

وجاء بعد إدي ، المستر « جي . ريفز تشايلدز » وزيراً مفوضاً . وهو من العلماء بالدبلوماسية الأميركية ، وله فيها كتاب . وفي أواخر العام الأول من تسلمه العمل ، رُفعت درجة التمثيل بين الحكومتين إلى « سفارة » سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) فكان أول سفير أميركي في البلاد السعودية .

ونقل تشايلدز إلى الحبشة ، فخلفه المستر « هير » سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) بدرجة سفير . والعلاقات بين الدولتين قائمة على أرسخ الدعائم .

، ، ،

تنظيم العلاقات

قامت العلاقات بين العربية السعودية والولايات المتحدة ، على أساس « اتفاقية موقتة » عُقدت في لندن ١٠ رجب ١٣٥٢ (٧ نوفمبر ١٩٣٣) بين الوزير المفوض السعودي في العاصمة البريطانية ، والسفير الأميركي فيها[١] أهمّ ما اشتملت عليه :

١ — يتمتع الممثلون السياسيون لكلّ من الدولتين بالامتيازات والحصانات المستمدة من القانون الدولي . ويسمح للممثلين القنصليين ، لكلّ من الدولتين ، بعد اعتماد براءتهم القنصلية ، بالإقامة في ممتلكات الدولة الأخرى ، في الأماكن المسموح بالإقامة فيها للممثلين القنصليين ، بموجب القوانين المحلية . ويتمتعون بامتيازات الشرف والحصانة التي تمنح لأمثال هؤلاء الموظفين بحسب العُرف الدوليّ العامّ .

٢ — يُقبل رعايا المملكة العربية السعودية ويُعاملون في الولايات المتحدة الأميركية وممتلكاتها ومستعمراتها ، ويُقبل رعايا الولايات المتحدة الأميركية وممتلكاتها ومستعمراتها في المملكة العربية السعودية ويعاملون ، حسب مقتضيات القانون الدولي .

٣ — فيما يخصّ الضرائب على الواردات والصادرات وغير ذلك من الضرائب والرسوم التي لها مساس بالتجارة والملاحة ، وكذلك فيما يخصّ المرور والتخزين والتسهيلات الأخرى تُولي المملكة العربية السعودية ، الولايات المتحدة الأميركية وممتلكاتها ومستعمراتها ، وتُولي حكومة الولايات المتحدة الأميركية وممتلكاتها ومستعمراتها المملكة العربية السعودية بلا قيد ولا شرط ، معاملة الدولة الأوْلى بالرعاية .

---

(١) تجد نصها في « مجموعة المعاهدات »

٤ ــ إن شروط هذه الاتفاقية لا تتناول ما بين أميركا وكوبا ، وما بين أميركا ومنطقة قنال بناما أو ما بين ملحقات أميركا فيما بينها الخ .

وقد دام العمل بهذه الاتفاقية إلى أن عُدّلت بعد وفاة الملك عبد العزيز بنحو أربع سنوات .

، ، ،

وتلتها ، في حياة عبد العزيز ، الاتفاقيات الآتية :

١ ــ لإنشاء مطار عسكري في الظهران . في ١٣٥٤/٨/٢٧ (٦ / ٨ / ١٩٤٥)

٢ ــ لتعديل اتفاقية مطار الظهران . في ١٣٦٥/١/٢٩ (١٩٤٦/١/٢)

٣ ــ لتجديد الطيران المدني سنة كاملة . في ١٣٦٨/٦/١٧ (١٩٤٩/٤/١٥)

٤ ــ لتنظيم استعمال الطائرت العسكرية الأميركية لمطار الظهران . في ١٣٦٨/٧/٢٧ (١٩٤٩/٦/٢٣)

٥ ــ اتفاقية مطار الظهران (الأخيرة) في ١٣٧٠/٩/١٣ (١٩٥١/٦/١٨) [١]

---

(١) تجد نص هذه في جريدة أم القرى ٨ شوال ١٣٧٠هـ (١٣ يونيه ١٩٥١) كما تجد نصوص الاتفاقيات الأربع التي قبلها ، في أم القرى أيضاً ، في التواريخ المقاربة لتاريخ كل منها .

الملك عبد العزيز

والنفط في بلاده

في الثامن من ربيع الأول ١٣٥٨ (٢٨ إبريل ١٩٣٩) وصل الملك عبد العزيز بموكبه - بالسيارات - من مخيّمه في «رماح» إلى «الظهران»



عبد العزيز، على سفينة في رأس تنورة، سنة ١٣٥٨ ﻫ (١٩٣٩م)

وأمضى يومين في استعراض منشآت النفط بين الظهران وميناء « رأس تنورة » ملازماً في سيره خط الأنابيب البريّ ، متتبعاً مسيل الزيت فيهما ، من حين خروجه من البئر إلى مكان انصبابه في الباخرة .

وفي ١١ ربيع الأول (أول مايو) صعد الباخرة في رأس تنورة ، وافتتح مجرى انتقال الزيت إليها : فاندفع ما زنته عشرة آلاف طن ، هي الحمولة الأولى ، في أول باخرة شحنت بأوّل « تصدير » نفطيّ ، من بلاد المملكة العربية السعودية .

وعاد في ذلك اليوم عن طريق القطيف فالدمّام فالخُبَر . فزار جهة « أبي حدرية » واستراح قليلاً في « جبل القرين » وواصل السير إلى الظهران .

وللمرء أن يتساءل عما كان يدور في نفس الملك عبد العزيز ، وهو يزور مناطق « الأعمال » الصناعية و« الجيولوجية » في أراض كانت بالأمس القريب ، مناطق حروب صحراوية قلّما خلا مكان منها من معركة خاضها بنفسه ، أو أخاضها بعض رجاله .

، ، ،

وبينما كان في « الظهران » قبل الذهاب إلى رأس تنورة ، أقبل أمير البحرين (الشيخ حمد بن عيسى) يسلّم عليه ، ويدعوه إلى زيارة بلاده . فلما عاد إلى الظهران ركب وحاشيته « اللنشات » من « الخُبَر » إلى « المَنامة » دار الإمارة في البحرين . فكانت زيارة جددت ذكريات . ولم يدع أهل البحرين وسيلة لإدخال السرور على قلب عبد العزيز والمبالغة في تكريمه إلاّ عمدوا إليها .

وفي خلال إقامته أياماً في الظهران ، أمر بتوزيع خمسين ألف ريال ، على فقراء ناحيتها . ثم عاد إلى الرياض .

ذلك اليوم ، أعني يوم افتتاح الأنابيب لتصدير النفط ؛ كان له في تاريخ البلاد العربية السعودية ما بعده . وللنفط أكبر الأثر فيما شهدناه بعد ذلك من حركة في العمران ، بل في كل شيء .

ولا بدّ من أن نقف قليلاً أو طويلاً ، هنا ، لنستطلع خبر ذلك «النفط» وما وصل إليه أمره .

النفط في نظر السعوديين

النفط ، من وجهة النظر السعودية ، منحة من السماء ، حباها الله عبده المؤمن « عبد العزيز » وجعل فيها عوناً له على تنظيم ملكه وتوطيد عرشه وسدّ أرماق الملايين ممن لا عمل لهم يعيشون منه في بلاده .

تهيأ له فتح البلاد ، نجدها وحجازها وجنوبها وشمالها . ويسّر له الضرب على أيدي العابثين بالأمن ، فعمّ مملكته الواسعة الأطراف .

وكان أعظم موارد الرزق لسكان الصحارى ، غزو بعضهم بعضاً ، وقطع السابلة ، والتهام ما تطوله أيديهم أو أبصارهم . ألفوا ذلك منذ عُرفوا .

وجاء عبد العزيز يحمل راية السلام والأمن والاطمئنان ، في شبه الجزيرة ، ويأمر أهلها — والسيف مصلت في يمينه — بالرضى بما قسم الله لهم ، حلالاً من الرزق . وأين الحلال والصحراء قاحلة والجبال آهلة ؟..

، ، ،

ثلاثة أو أربعة ملايين ، انتشروا في التهائم والنجود وتحت كل كوكب ، هم سكان البوادي في المملكة السعودية ، لا عمل لهم يقتاتون من مزاولته ، ولا صناعة تأتيهم بمال ، ولا زراعة تسدّ منهم الأرماق . لهم الأرض وما عليها ، من جبال ورمال وحِرار ! والسعيد فيهم من كانت له ناقة يشرب لبنها . وقد يؤثر ضيفه على نفسه، فيبيت طاوياً . رهبوا صولة عبد العزيز ، في « التصبيح » وفي « الهَجاد » وقد « صبّح » قبيلة منهم أبت إلاّ أن

تركب رأسها ، عناداً وإخلالاً بالأمن ، فجعل خيامها قبورها ودماءها نهورها ، فكانت عبرة لغيرها ، وازدجر من ألقى السمع وهو شهيد .

على أن المشكلة لم تُحل .. فلا بدّ من باب للرزق .

أمرهم الملك ببناء « الهجَر » ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت في أرضه عين ماء فليهاجر من البداوة إلى الحضارة ، وليستبدل بناء الطين ببناء الوبر . ليهجر الخيمة والبعير ، ويستعض عنهما بالدار وبهيمة الحرث والزرع .

ولكن المياه قليلة في الجزيرة . لقد احتشد ألوف حول العيون والآبار ، وزرعوا وعاشوا ، وأما الآخرون وهم الأكثرون ؟ ..

ادّخر بعض هؤلآء ما أمكنهم ادخاره من ألبان مواشيهم ، فصدّروا سمناً وزبداً . وجزّوا شعور إبلهم وباعوها صوفاً . وعنوا بتربية أباعرهم فصدّروها للذبح . ولا يمكن أن تعيش الجزيرة كلها من صوف ولبن وبُعران .

وجاءت الطامّة ، بالحرب العامّة الثانية ، فسُدّت مسارب الإصدار ، وعمّ الضيق .

كل هذا كان يراه عبد العزيز ، ويعرف خفيّه وجليّه ، ويقول في كل مناسبة : إنما هؤلآء أبنائي وأنا ربّ البيت فيهم . فماذا هو فاعل ..

فاض الزيت . وإن شئت فقل النفط أو البترول . ووسّع الله الرزق بمنحة من السماء تخرج من باطن الأرض ؛ فدار دولاب الدولة وعمل عشرات الألوف من أهل البادية في مختلف أعمال الشركات والمشاريع ، ودعي الشبان إلى التجنّد ، وأقبل الكثيرون على المدن ، عمّالاً ومتكسبين ، وخصّت كل قبيلة بمقادير من « العيش » الذي تسميه الأقطار الأخرى بالأرزّ ، وأرسلت أطنان البُرّ لتوزّع على أهل البَرّ ، وعملت الأفران في المدن ، مدة الحرب الأخيرة ، أو التي نرجو أن تكون الأخيرة ؛ فكان عشرات الألوف في مكة وجدة والمدينة والرياض وغيرها ، من حضر وبادية ، ينتظر كلّ منهم

رغيفه ، ويأتيه .. وكفى الله الناس شرّ الجوع ..

والنفط من وجهة النظر العامّة

وأما النفط من وجهة النظر العامّة ، فهو آلة الحرب والسلم ، أداة القوة والتدمير والغلب ، ومعوان الحضارة والعمران . بل هو المادة التي برهنت الحرب العالمية الثانية على أن الظفر حليف من يملك « البرميل » الأخير منها .

ينقل صاحب كتاب « النفط مستعبد الشعوب » قول أمير البحر الإنكليزي اللورد فيشر : « الويل للشعب المحارب الذي لا يملك نفطاً » وقول هنري بيرانجيه ممثّل الحكومة الافرنسية في مؤتمر النفط : « ما كان الانتصار الذي نلناه ليتمّ لولا دم آخر ، هو دم الأرض الذي نسميه بالنفط .. » وقول اللورد كيرزون : « سيأتي يوم يقال فيه : إن الحلفاء طفوا إلى النصر على عباب من النفط ..

تعريف النفط وأوّليته

وفي تقرير محفوظ في أضابير وزارة المالية السعودية : أن « النفط » أو زيت الأرض ، سائل لزج قاتم اللون ، تكوّن في العصور الجيولوجية الماضية . إذ تراكمت على شواطىء البحار موادّ عضوية هائلة ، من حيوانية ونباتية ، مما هلك من الحيوانات واقتُلع من النباتات ، وهبط إلى قاع الشاطىء ، فاستقرت عليها الرواسب طبقات فوق طبقات. وبفعل « البكتريا » أولاً ثم تحت ثقل هذه الطبقات المرتفعة ، وما ولدته من حرارة وسببته من ضغط ، تحللت تلك المواد العضوية فأخرجت سائلاً غليظاً انساب بين مسامّ الصخور ، وجرى فيها إلى أن اعترضت طريقه صخور غير ذات مسامّ ؛ فاحتجزته أو احتفظت به تكوينات أرضية ذات أشكال خاصة تصلح لأن تختزنه . ثم اكتمل تحلُّل هذا السائل وبدا النفط . هذه الأماكن التي اختزنت السائل البدائي إلى أن اكتمل تحلّله ، تسمى « مصائد النفط » وفيها تقع حقول النفط .

بدأ استخراجه تجارياً عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) في رومانيا ، وعام

١٢٧٥ هـ (١٨٥٩ م) في الولايات المتحدة . وانتُزِحت من باطن الأرض كميات من هذا السائل المعدني تزيد على ٣٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ برميل (والبرميل ٤٢ جالوناً أميركياً) إلى عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) وكان مجموع إنتاج الولايات المتحدة منها إلى ذلك التاريخ ٢٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ أي ٦٤٪ تقريباً »

البحث عن الزيت

كان البريطانيون قد سبقوا الأميركيين إلى التنقيب عن النفط في غربي الخليج ، ولم تسفر بحوثهم عن نتيجة . فكتبوا إلى « السلطان » عبد العزيز يأسفون على ما أضاعوا من جهد ومال ، وانصرفوا ...

ولما كان وزير الخارجية « الأمير فيصل » يزور لندن على رأس بعثة سياسية ، سنة ١٣٥١ (١٩٣٢ م) تحدث مع الجهات البريطانية ، في احتمال وجود النفط على الشاطىء الغربي للخليج ، وأن فشل الشركة الأولى لا يجوز أن يكون باعثاً لليأس . وفي ذلك الوقت كان المستر تويتشل الأميركي ، يقول للملك عبد العزيز في « الهفوف » : ما من تباين جيولوجي بين البحرين وأراضي الأحساء . إلاّ أنه يرى ، للبتّ في الأمر ، انتظار نتيجة البئر الأولى في البحرين . وكان العمل ما يزال جارياً فيها . ولم يجد فيصل ابن عبد العزيز في الشركات البريطانية ، استعداداً لمجازفة ثانية ...

، ، ،

قال « فلبي »[1] ما خلاصته : مَنَح ابن سعود ، بتشجيع من پرسي كوكس ، شركة التنقيب الشرقية ، امتيازاً سنة ١٩٢٣ بالبحث عن البترول في جميع المناطق الشرقية ، بشروط سهلة أهمّها أن تدفع الشركة مقدماً ألفي جنيه ، ومثل هذا المبلغ سنوياً ، إلى أن تجد الزيت . وبعد أن دفعت له الشركة

---

(١) تاريخ نجد ٣٨٥

أربعة آلاف جنيه ، توقفت عن العمل،لإخفاق مجموعتين من علماء طبقات الأرض البلجيكيين في الوصول إلى نتيجة . وألغي الامتياز رسمياً سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) .

وقالت سيتون وليمز[١] : « وفي مايو ١٩٢٤ منح سلطان نجد وشيخ الكويت متفقين معاً ، امتياز استخراج البترول ، للشركة الشرقية العامة والمساهمة Eastern & General Syndicat Ltd, ومقرّها لندن ، على أن يكون هذا الامتياز خاصّاً بالمنطقة المحايدة بين الدولتين ؛ ولكن الامتياز سقط ، لأنه لم يُنفذ إطلاقاً .. »

وقالت مجلة العالم العربي (الفرنسية) Le Monde Arabe في مفتتح أول أعدادها : «بدأ نجم البريطانيين في المملكة العربية السعودية يخبو، عام ١٩٣١ م . فقد نقضوا في تلك السنة عقدهم الذي كانوا أبرموه مع الملك ابن سعود عام ١٩٢٥ م ، للبحث عن النفط في بلاده . ولم يكن تخليهم عن متابعة البحث ناشئاً عن غضب ، وإنما نشأ عن يأس من وجود شيء في تلك الأراضي بعد أن سبروها عدة أعوام .

«وفي العام التالي تسلّم الأميركيون الإرث البريطاني ، فاكتشفوا في خلال أربع سنين ، نفطاً في منطقة الأحساء ، من نوع نادر ودرجة عالية » .

ثم تقول المجلة : « والحق أن اشتهار الإنكليز بالصبر ، كان في أذهان العرب أمراً مبالغاً فيه . وقد فسحت شركة الزيوت ، الإنكليزية الإيرانية ، المجال لشركتي « تكساس وستاندارد أوف كاليفورنيا » اللتين أنشأتا معاً شركة « كاليفورنيا اريبيان ستاندرد » ثم سميت هذه بشركة « أرامكو »

وقال حافظ[٢] : فشلت جميع المساعي التي بذلت لدى الشركات البريطانية لمنحها امتيازاً للبترول في البلاد العربية السعودية ، لأنها كانت تعتقد

---

(١) في كتابها « بريطانيا والدول العربية » ٢١٦

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين ١٤١

أن لا زيت على الإطلاق في تلك البلاد .

يريد الماء ويأتيه البترول

كان الثريّ الأميركي المستر «كراين» المعروف برياسته لبعثة الرئيس «ولسن» في سورية وفلسطين ، عقب الحرب العامة الأولى ، واسمه الكامل شارلز ر . كرَين[١] وفي كتاب يقظة العرب أنه الملقب بهارون الرشيد . قد زار اليمن ، وعاد بعد رحلته إليها يقول : «إن سكان بلاد العرب أقرب الناس إلى الله لإيمانهم بأن رزقهم في السماء ، ومنها يهبط الماء ، فهم يكثرون التطلّع إليها كلما جفّت مراعيهم ، يسألون ربهم الغوث بالغيث»[٢] .

وأبدى المستر كراين رغبته بزيارة البلاد السعودية ، فرحب به الملك عبد العزيز . وجاءه سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) يصحبه ويترجم له «جورج أنطونيوس» مؤلف كتاب «يقظة العرب» وكان الملك قد عرف أنطونيوس يوم جاءه مع الجنرال كلايتون ، لعقد معاهدة «جدة» سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م)

وفي خلال الحديث بين الملك وكراين ، سأله كراين عما يمكنه أن يقوم به من مساعدة لبلاده . فحدّثه الملك بما تعانيه البلاد ، ولا سيما الصحراوية منها ، من الجفاف في أكثر السنين ، وودّ لو يحضر إليها خبير «جيولوجي» يبحث عن آبار «أرتوازية» تسقي الناس في طريق الحجّ ويستعمل أهل البادية ماءها للزراعة .

قال كراين : سأبعث إليكم بخبير ، أعتقد أنه يفيد بلادكم ، ولا تكلّف

---

(١) انظر كلمة عنه في كتاب «المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية لتويتشل ، ترجمة شكيب الأموي ، طبعة سنة ١٩٥٥

(٢) قال هذا في زيارة للمفوضية السعودية بالقاهرة ، وأمام من حدثني به ، وهو الشيخ فوزان السابق . وأضاف أن كراين قال أيضاً : إن هذه البلاد القريبة من الله ، التي خرج منها جميع الأنبياء ، قد طال عهدها بعصر النبوة ، فهي تتمخض عن ولادة «مبعوث إلهي» جديد في خلال مئات قليلة من السنين الآتية ....

حكومتكم أن تنفق عليه أكثر من تأمين إقامته وتنقلاته .

ووصل إلى جدة ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م) المهندس الجيولوجي الأمير كي « تويتشل » فقال : كنت في اليمن . ووهبت خدماتي ، بواسطة المستر كراين ، لمصلحة الإمام يحيى وبلاده . وبينما أنا منهمك في بناء الأسس لأحد الجسور ، تلقيت برقية من كراين — في ٣٠ مارس ١٩٣١ — يدعوني بها أن أتوجه إلى جدة في أقرب وقت ممكن ، لفحص الأراضي ، بحثاً عن الماء ، وعلى الأخص في مناطق طرق الحج [١]

وقامت الحكومة السعودية بتزويده بالنفقات والمساعدين والمعدات . فبدأ البحث .

ويقول في كتابه : « قطعت حوالي ١٥٠٠ ميل في الحجاز ، ولم أجد ما يبعث على الأمل في تدفق آبار أرتوازية ؛ فقدمت تقريراً لا يبشر بالخير عن وجود الماء .

ولكنه لاحظ مستنقعات زيتية جافة ، قديمة العهد ، في نواحي « ضُبا » و « المويلح » و « أمّ قريات » قرب الوجه ، وكلها في الشمال الغربي من الساحل الغربي للبلاد السعودية .

كان الملك يريد الماء . وقد يئس تويتشل من وجود الينابيع الكافية منه في أراضي الحجاز ، وتحوّل جهده إلى مقاطعة الأحساء ، في شرقي المملكة ؛ لعلّ هناك موارد مائية في جوف الرمال أو آباراً نفطية على شاطىء الخليج ..

وكان البحث عن النفط جارياً في البحرين . وتربتها الجيولوجية كتربة الأحساء . فلم ير الملك عبد العزيز بأساً في استقدام جيولوجيين للنفط وحافرين للآبار . ليبحثوا كما يبحث زملاؤهم في البحرين . إلا أنّ أعمال الاستكشاف والحفر والتنقيب تستنفد باهظ التكاليف ، ولا مال في خزانة عبد العزيز يقوم بهذا .

---

(١) انظر بحث « الزيت والتعدين » في كتاب تويتشل

وكلفت الحكومة السعودية المستر تويتشل أن يسعى للحصول على المال ، من بعض الشركات الأميركية . وسافر تويتشل ، فاصطدم أوّل الأمر بامتناع الشركات ، خوفاً من إخفاق المشروع ، وبُعد البلاد السعودية ، وصعوبة اقتحام الصحراء . إلا أنّ مسعاه خُتم أخيراً ، بالنجاح ، وقد وافق مدير شركة « ستاندارد أويل كومباني أوف كليفورنيا » على أن تتبنى شركته المشروع .

الاتفاقية الأولى للزيت

وفي ١٤ ربيع الأول ١٣٥٢ (١٩٣٣/٧/٧) صدر مرسوم ملكي بالموافقة على اتفاقية أمضاها وزير المالية العربية السعودية ، بالنيابة عن الحكومة ، والمستر ل . ن . هاملتون ، بالنيابة عن شركة « ستاندارد أويل أوف كليفورنيا » وكان توقيعهما لها في جدة ، يوم ٤ صفر ١٣٥٢ (١٩٣٣/٥/٢٩) وهذه خلاصة لأهمّ ما اشتملت عليه[١] :

— مدة الامتياز ستون عاماً (انظر التفصيل في المادة الأولى) ويسمى « الامتياز العربي السعودي » كما جاء في الاتفاقية الرئيسية الثانية .

— حدود منطقة الامتياز (أوضحت في المادة الثانية)

— للشركة حق الأفضلية في امتياز الزيوت بشرقي المملكة الخ (انظر المادة ٣)

— تدفع الشركة للحكومة ريعاً عن كل طن صاف ، من الزيت الخام ، أربعة شلنات ذهبية أو ما يعادلها (والتفصيل في المادتين ١٤ و ١٧)

— تدفع الشركة للحكومة الثُمن — بضم الثاء — من حاصلات المبيع من الغازات الطبيعية (انظر المادة ١٥)

— للحكومة الحق في أن تفتش وتدقق أعمال الشركة وحساباتها وكميات

---

(١) نشر نصها الكامل مع نص الاتفاقية الرئيسية الثانية والاتفاقية الملحقة ، في كتيب طبعته وزارة المالية السعودية سنة ١٣٥٩ وسمته « اتفاقيات شركة استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن».

الإنتاج ، بواسطة مندوبين تفوضهم الحكومة في ذلك (والتفصيل في المادة ١٦)

– بعد إنشاء معمل التكرير ، تقدم الشركة للحكومة سنوياً بدون مقابل ، مئتي ألف جالون أمريكي من البنزين ، غير معبأة ، ومئة ألف جالون من الغاز غير معبأة أيضاً (انظر المادة ١٩) وهذا لن يشمل البيع .

– تُعفى الشركة من جميع الضرائب الجمركية وغيرها . ولا يشمل الإعفاء ما تبيعه في داخل البلاد أو الاحتياجات الشخصية لموظفي الشركة (والتفصيل في المادة ٢١)

– للشركة أن تبني وتستعمل أحواضاً وخزانات وأن تنشىء مرافىء وأرصفة وخطوطاً للتحميل البحري الخ (انظر المادة ٢٢)

– يدير المشروع موظفون أمريكيون ، ويستخدمون بقدر الإمكان رعايا الحكومة السعودية . وما دام بإمكان الشركة إيجاد موظفين لائقين من السعوديين فإنها لا تستخدم رعايا أية حكومة أخرى . ومعاملة الشركة للعمال تكون خاضعة للنظم المعمول بها في البلاد الخ (المادة ٢٣)

– تحتفظ الحكومة لنفسها بحق التحري عن الموادّ أو المنتوجات الأخرى ، غير المنصوص عليها في الاتفاقية ، واستحصالها في داخل منطقة الامتياز ، إلا الأراضي التي تشغلها آبار الشركة أو إنشاآتها الخ (المادة ٢٤)

– للشركة أن تنهي الاتفاقية بعد ٣٠ يوماً من تقديمها إنذاراً خطياً للحكومة الخ (المادة ٢٨)

– لا يحق للشركة أن تنقل حقوقها وتعهداتها في هذه الاتفاقية إلى أيٍّ كان من دون موافقة الحكومة الخ (التفصيل في المادة ٣٢)

– لا يحق للشركة أو لأيّ شخص تابع لها ، أو منسوب إليها ، أن يتدخل في الشؤون الإدارية أو السياسية أو الدينية ، في المملكة العربية السعودية (المادة ٣٦)

نكتة الموسم

ومن طريف ما يذكر ، أن شركة النفط البريطانية الإيرانية ، لما علمت بما يدور بين الملك عبد العزيز والشركة الأميركية ، حول حصول الأميركيين على الامتياز بالتنقيب عن النفط سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) بادرت إلى الاتصال بعبد العزيز ؛ وأبرزت له صورة « رسالة » كانت قد تلقتها من طالب باشا النقيب ، يوم كان متصرفاً (عثمانياً) في الأحساء والقطيف سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) زاعمة أنها « حجّة » تخوّلها حق الامتياز ...

وضحك الملك عبد العزيز من رسالة النقيب ، وأبى أن يكون الحديث على أساسها ..

وكانت نكتة الموسم في القصر .

، ، ،

— وفي ١ ذي القعدة ١٣٥٢ (١٩٣٤/٢/١٥) أصدرت وزارة المالية السعودية ، بناءً على أمر ملكي رقم ٥٨٤٦ بياناً بموافقة الحكومة العربية السعودية على تحويل حقوق وتعهدات شركة استثمار البترول ، في شرق المملكة ، إلى شركة كليفورنيا العربية للزيوت (كاليفورنيا أريبيان ستندرد أُويل)

بدء العمل

بدأ التنقيب التمهيدي عن الزيوت ، في مساحة تبلغ ١٤٠ ألف ميل مربع من الأراضي السعودية ، في ٢٦ محرم ١٣٥٤ (١٩٣٥/٤/٣٠) بعد أن وصل المهندسون الفنيون مع مدير الشركة العام المستر آي . سكاينر ؛ إلى الظهران ، واستكملوا أدوات الحفر .

النجاح الأول

وكان النجاح الأول في حفر أول بئر منتجة في الظهران ، يوم ١١ محرم

١٣٥٧ (١٩٣٨/٣/١٢) وسميت « بئر الدمام رقم ١ » ثم اكتشفت الزيوت بكميات تجارية في بُقيق (على ٣٧ ميلاً ، جنوبي غرب الظهران) وأبو حدرية (على ٥٠ ميلاً في الشمال الغربي من الجبيل ، و ٩٥ ميلاً من الظهران)

ابتداء الإصدار

وكان أوّل ما صدّرته الشركة (استاندارد كليفورنيا) إلى الخارج ، نحو ٤٥٠ طناً ، أصدرتها من ميناء الخُبَر يوم الأحد ١٠ رجب ١٣٥٧ (١٩٣٨/٩/٤)

الاتفاقية الملحقة

وفي ١٢ ربيع الثاني ١٣٥٨ (١٩٣٩/٥/٣١) أمضى وزير المالية السعودية ، بالنيابة عن حكومته ؛ والمستر وليم ج . لينهان ، بالنيابة عن شركة كليفورنيا أريبيان ستندرد أويل ؛ اتفاقية ثانية في الرياض ، ألحقت بالاتفاقية الأولى . وصدر مرسوم ملكي في ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٨ (١٩٣٩/٧/٢) بإقرارها . وأهمّ ما اشتملت عليه :

— إضافة بعض الأماكن وتوسيع المنطقة التي مُنحت الشركة حقّ استثمار الزيت فيها (بيانه في المادة الخامسة ، وحساب ريعه في السادسة)

— يستمر العمل في الأماكن المضافة إلى منطقة الامتياز ، مدة ست سنوات بعد انتهاء الستين سنة المتعلقة بالأولى (انظر المادة ١٠)

— تعديل ما جاء في المادة ١٩ من الاتفاقية الأولى ، بشأن ما تقدمه الشركة للحكومة من البنزين والغاز ، من دون مقابل ؛ بحيث تصبح كميته بعد مرور سنة على عقد هذه الاتفاقية (الثانية) مليوناً وثلاثمئة ألف جالون أمريكي من البنزين (غير معبأة) ومئة ألف جالون من الغاز (غير معبأة أيضاً) وفي السنة التي تليها تقدم مليونين وثلاثمئة ألف جالون بنزيناً ، ومئة ألف جالون من الغاز (انظر المادة ٨)

— ألحق بهذه الاتفاقية « جدول » يبين حدود مناطق استثمار الزيت .

، ، ،

دول المحور

وأذيعت من « سان فرنسيسكو » في كليفورنيا ، برقية في الأسبوع الأول من أغسطس ١٩٣٩ تقول : إن ألمانيا وإيطاليا واليابان ، حاولوا كثيراً أن ينالوا هذا الامتياز الإضافي (وتبلغ مساحة الأرض التي سيجرى التنقيب فيها بمقتضاه ٨٩ ألف ميل مربع) ولكن الملك عبد العزيز لم يوافق على تلبية دول المحور ، مع أن ما عرضته شركات هذه الدول من المال ، قبل الشروع في التنقيب ، كان أكثر مما قدمته شركة « ستاندرد » الأميركية . وأضافت البرقية إلى ذلك : ويقال إن الامتياز أُعطي للأميركيين ، لأن أميركا ليست لها مقاصد سياسية في بلاد العرب ..

الاستبشار ببئر جديدة

كتبتُ من القاهرة ، للشيخ يوسف ياسين بجدة ، في أمر بعض البعثات السعودية ، فجاءني منه كتاب تاريخه ١٣٥٩/٢/٧ هـ (يوافق ١٩٤٠/٣/١٨ م) يَطيب لي أن أنقل هذه الفقرات منه بحروفها ، قال :

« مسألة بعثة الطيران والبعثات الأخرى ، سيسهل الله أمرها إذا أكثر علينا المال . وعلى ذكر المال يظهر أن الله يريد لحكمته أن يفتح لنا باباً بل أبواباً من الفرج . فقد ظهرَ ، قبل أسبوع ، ينبوع جديد من الزيت في منطقة تسمى أبو حدرية . وكانت الشركة قد حفرت فيها إلى أن يئست . ثم وجدت الزيت على عمق عشرة آلاف وثلاثمئة قدم . وذلك أعمق بئر في العالم القديم ، ولا يوجد أعمق منه إلا في العالم الجديد ، في جهات أميركا . وبعد اكتشاف هذا الينبوع قوي الأمل جداً في العثور على ينابيع عظيمة بقربه » .

، ، ،

شركة الزيت تروي قصتها

أوجزت شركة الزيت « العربية الأميركية » العاملة في المملكة ، قصتها في تقرير وضعته سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) بالخلاصة الآتية :

« كان عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) بداية عهد جديد في تاريخ البلاد العربية السعودية . وكانت الثروة التي جنتها الحكومة السعودية منه معواناً للملك عبد العزيز ، على إنشاء مشاريع عامة لتحضير البلاد وفائدة المملكة وشعبها .

« وقصة شركة الزيت العربية الأميركية ، في الأصل ، قصة مشروع تعاوني أمدته البلاد السعودية بالموادّ الخام والعدد الأكبر من الموظفين والأيدي العاملة والزيت ، بينما كان نصيب الشركة أنها ساهمت برأس المال وبالفنيين والأسواق .

« ففي عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) منح الملك عبد العزيز شركة الزيت العربية الأميركية اتفاقية امتياز الزيت ، ونزلت طليعة الجيولوجيين الموفدين للبحث عن الزيت في ميناء الجُبيل ، على الخليج ، في صيف عام ١٩٣٣ ثم تلاهم وصول أوائل الحفارين (المنقّبين) بعد مضيّ خمسة عشر شهراً .

« وفي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) ابتدأت البئر المعروفة بالحادية عشرة ، في تلال الدمّام . وفي عام (١٩٣٨ م) اكتشف الزيت بكميات يمكن بيعها . وكان هذا بداية جديدة في عمليات الزيت .

« وأنشئت خطوط الأنابيب ، من الحقول إلى الساحل . ثم كان لا بد من بناء خزانات للزيت ، ومرافىء لتسهيل نقله إلى السفن . واقتضت الحاجة زيادة عدد الموظفين من الخارج .

« ونمت الظهران ورأس تنورة بسرعة . ثم صارت بُقيق أخيراً حيّاً يموّن حقول الزيت الرئيسية . وفي مايو عام ١٩٣٩ (١٣٥٨ هـ) شُحنت أول سفينة من حاملات الزيت بحضور الملك ، في رأس تنورة .

« وفي خلال مدة النماء هذه ، عاونت الشركة الحكومة بإمدادها بخبراء

فنيين لإدخال وسائل الزراعة الحديثة ، وتنمية مشاريع الريّ ، وتمهيد الطرق وحفر آبار الماء . وبقدر ما كانت سرعة النموّ في توسع برنامج الشركة ، حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، كانت المدة ـ ما بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٥٠ م (١٣٦٥ ـ ١٣٦٩ هـ) ـ أكثر نماءً وتوسعاً .

« واستمرت الشركة في بناء تسهيلات جديدة ، وجلب معدّات ، وبناء مرافىء للسفن ، وإنشاء منازل ، وتنمية موارد إمدادات المياه ، وتأسيس مراكز للصحة والمواصلات ، وبناء الورش ووحدات آلات السيارات .

« وإن بياناً إحصائياً لما أمدّت به الشركة البلاد السعودية ، في خلال شهر واحد ، يدل على أنه جلب ١٩٩٠٠ طن من البضائع ، أفرغت من ١٦ حاملة بضائع ؛ و ٢٤ طناً وصلت عن طريق الجوّ . وقد استخدم لتفريغ ذلك ٢١ سفينة ساحبة و ٢٢ صندلاً و ٢٠ زورقاً استؤجرت محلياً .

« لقد تحقق التقدم الذي كان يؤمله الملك عبد العزيز . وفي عام ١٩٤٦ م (١٣٦٥ هـ) كانت مؤسسة كبيرة حديثة ، لصنع إنتاج الزيت ، تعمل في رأس تنورة . وفي عام ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) صارت البلاد العربية السعودية أكبر البلاد إنتاجاً للزيت ، ووُظف ألوف من العرب السعوديين توظيفاً مجدياً . وكان دخلهم سبباً في رفع مستوى المعيشة ، لأن موظفي الشركة يحظون بمستشفى حديث في خدمتهم وبوسائل الألعاب الرياضية وببرنامج رائع للتدريب ، وكنتينات ومطاعم ومساكن ثابتة من الحجر ، تشتمل على الوسائل الصحية أخذت تحلّ بسرعة محل الخيام . وذلك جزء من برنامج البناء » .

، ، ،

تقرير عن سنة ١٩٤٩م

وأمامنا « تقرير » عن سير الأعمال في شركة الزيت العربية الأميركية ، سنة ١٩٤٩ م (١٣٦٨ هـ) قدمته الشركة إلى الحكومة السعودية في ١٩٥٠/٤/١٥

(١٣٦٩ هـ) بعد مرور ١٦ عاماً على ابتداء عملها ، نقتبس منه الخلاصات التالية :

– مجموع ما أُنتج من الزيت في المملكة العربية السعودية ، عام ١٩٤٩ م ، بلغ ٧٨٣ ٨٢٠ ٢٢ طناً ؛ يقابلها ٢٧٠ ٧٥١ ١٨ طناً أُنتجت عام ١٩٤٨ م .

– وبلغ ما أنتجته الشركة من الغاز ، خلال عام ١٩٤٩ م ما بيع منه وما ادّخر ٠٠٠ ٤٣٠ ٢٠ قدم مكعب .

– اكتُشف سنة ١٩٤٩ حقلان جديدان للزيت ، أحدهما في « عين حرض » والآخر في « الفاضلي » كما تم حفر ٢٤ بئراً في مناطق بُقيق والدمام والقطيف وعين حرض وعين دار والفاضلي . وكان معظم عمليات الحفر في بقيق ؛ حيث حفر ١١ بئراً للزيت .

– اتسعت أعمال التنقيب عام ١٩٤٩ فعملت فرق المساحة على طول امتداد الساحل ، من منطقة الكويت المحايدة ، إلى رأس تنورة ، والإقليم الواقع جنوبيّ قَطَر . واستمر قيام الفرق الجيولوجية بدراسات واسعة في الطبقات الأرضية وإعداد الخرائط الاستطلاعية ، في المناطق المجاورة لوادي الدواسر ، على وجه عامّ ، وفي مناطق المجمعة وبريدة وحائل . ونشطت أعمال الاستطلاع في جنوبي سلوى والمناطق المحيطة بسبخة السلمية والاصبع . وفي خريف العام ، واصلت الفرق الجيولوجية عملها في منطقة البياض ، جنوبيّ الخرج ، وفي منطقة الجوف وسكاكة وما حولهما ، والإقليم الواقع بين تل الحبر وخور أم وعيل . وشرع في الاستطلاع بقرب يبرين ، إلى عبر الجافورة شرقاً ، ومنطقة الطرفاء . وامتد العمل في حفر الطبقات بإقليم أبو حدرية ومنيفة ، إلى الخليج حيث تعمل فرقة بحرية .

– أُدخلت على معامل التكرير برأس تنورة ، تحسينات زادت في إتقان العمليات . وكان مجموع ما دخل معمل التكرير من الزيت الخام ٦١٩ ٢٦٩ ٤٦ برميلاً في السنة أو ما يعادل ١٢٦٧٦٦ برميلاً في اليوم .

— كان مجموع المنتوجات المكررة ، المصنوعة في معمل التكرير برأس تنورة ، خلال عام ١٩٤٩ من البنزين ١٢٠ ٩١٥ ١٠ برميلاً ، ومن زيت الغاز ٨٧٨ ٥١٣ ٢ برميلاً ، ومن زيت الديزل ٥٩٧ ٩٤٠ ١١ برميلاً ، ومن زيت الوقود ١٩٢ ٤١٩ ١٨ برميلاً . والمجموع ٧٨٧ ٧٨٨ ٤٣ برميلاً .

— في منطقة الدمام ٤١ بئراً ، المنتج (بكسر التاء) منها ، في آخر عام ١٩٤٩ إحدى وثلاثون بئراً ، وفي بقيق٦٥ بئراً المنتج منها ٤٨ وفي عين دار ٨ آبار تمّت كلها . وبوشر حفر بئر جديدة فيها . وفي عين حرض ، تمّت وبدىء بحفر بئر جديدة . وفي القطيف ٢٠ المنتج منها ٥ وفي الفاضلي بئر واحدة استُنفدت . وفي أبو حدرية بئران استُنفدت الأولى وتوقف حفر الثانية .

— العاملون في الشركة ، حسب جنسياتهم ، في الشهر الأخير من سنة ١٩٤٩ : هم ١٠٠٢٦ سعودياً ، ٢٩٧١ أمريكياً و ٨٣٣ عدنياً ، و ٧٨٧ إيطالياً ، و ٥١٣ هندياً و ٤٥٩ سودانياً ، و ٣٣٨ باكستانياً و ١٥٧ من جنسيات أخرى .

— في شهر يوليو ، من العام نفسه ؛ بدأت الشركة بتوظيف اللاجئين الفلسطينيين في بيروت . وعند نهاية السنة كان هناك ١٠٢ عُيِّنوا وأُحضروا إلى المملكة السعودية .

— أُنشيء في نفس الوقت خط أنابيب إضافي ، بين الظهران والخبر ، إلى جانب خط الأنابيب الممتدّ بين المملكة العربية السعودية والبحرين ، لزيادة كمية الزيت المشحون .

— بلغ عدد السفن الواردة إلى ميناء رأس تنورة في ذلك العام ١٢٢٨ ناقلة زيت و ١١٣ باخرة نقل ، منها ٢٣ سفينة مزودة بالثلاجات .

— أتمت الشركة في تلك السنة ، بناء « دار الإمارة » في بقيق ، ليشغلها موظفو الحكومة العربية السعودية. كما أتمت بناية«المحكمة الشرعية» بالظهران ،

وثكنات للجند ، في عدة أماكن . وكادت بناية « مركز الشرطة » الجديدة ، في الظهران تتم عند نهاية السنة .

إنتاج الزيت

إحصاء رسمي لإنتاج الزيت ، من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٤٩ م (١٣٥٥ — ١٣٦٨ هـ)

سنة ١٩٣٦	١٩ ٧٧٧	برميلاً [١]
« ٣٧	٦٤ ٩٦٨	«
« ٣٨	٤٩٥ ١٣٥	«
« ٣٩	٣ ٩٣٣ ٩٠٤	«
« ٤٠	٥ ٠٧٤ ٨٣٨	«
« ٤١	٤ ٣١٠ ١١٢	«
« ٤٢	٤ ٥٣٠ ٤٩٢	«
« ٤٣	٤ ٨٦٨ ١٨٥	«
« ٤٤	٧ ٧٩٤ ٤١٩	«
« ٤٥	٢١ ٣١٠ ٩٦٦	«
« ٤٦	٥٩ ٩٤٢ ٧٦٦	«
« ٤٧	٨٩ ٨٥١ ٦٤٦	«
« ٤٨	١٣٠ ٩٤٧ ٢٤٧	«
« ٤٩ (إلى أكتوبر)	١٤٤ ٨٥٢ ٧٦٦	«

---

(١) الطن يساوي سبعة براميل تقريباً .

حقول الزيت حتى سنة ١٩٤٧م

اسم الحقل	تاريخ اكتشافه	آباره المنتجة	آبار الغاز	معدل العمق بالقدم
الدمّام	١٩٣٨	٣٥	١	٤٥٠٠
أبو حدْرية	١٩٤٠	١		١٠٠٠٠
بُقَيْق	١٩٤١	٥١		٦٨٠٠
القَطيف	١٩٤٥	٧		٧٣٠٠
عين دار		٧		
الفاضلي		١		
حرض		٤		

أسهم الشركة

في نشرة « الأمانة العامة للجامعة العربية » نقلاً عن « الأعمدة السبعة المنهارة » لجون كيمش ، ما يلي :

الشركة المتعاقدة مع الحكومة هي الشركة العربية الأميركية (أرامكو) مدة امتيازها ٦٦ سنة . بدأت في ١٥ يوليو ١٩٣٣

ومدة امتياز المنطقة الإضافية ٦٦ سنة . بدأت في ٢١ يوليو ١٩٣٩ ومنطقة نفوذها تمتدّ إلى ٤٤٠٠٠٠ ميل .

وهذه الشركة تملكها :

شركة ستاندر اويل (كليفورنيا) ٣٠ ٪

وشركة تكساس ٣٠ ٪

وشركة ستاندر أويل (نيو جرسي) ٣٠ ٪

وشركة سوكوني فاكوم ١٠ ٪

تحت الماء

وبينما أجهزة التنقيب عن النفط ، تعمل في البرّ ، جاء دور العمل في قاع البحر .

شوهدت فقاقيع تطفو على وجه الماء، في الخليج، دلّت على الزيت في باطنه. وتقدمت شركة تدعى « باسفيك وسترن كوربوريشن » فعرضت على حكومة الملك عبد العزيز ، مشروع البحث عن النفط تحت الماء . وأذن عبد العزيز بمنحها « الامتياز »[١] بالتنقيب فيما سُمي « المنطقة المحايدة » سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وخرجت السفن من الشاطىء السعودي « رأس المشعاب » فغاصت أيدي الفنّ في القاع .

وبُشّر عبد العزيز ، في أواخر سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) بانكشاف الآبار النفطية في حقل « السفّانية » على منتصف الطريق بحراً ، بين شواطىء المملكة وشاطىء الكويت .

وتم الاتفاق بين الحكومتين على اقتسام الفائض .

وتوفي عبد العزيز قبل أن يرى الأنابيب تنقل الزيت من قاع « السفانية » إلى « رأس المشعاب » ثم إلى الأسواق التجارية في أنحاء العالم .

اتفاق جديد

وفي ٢٠ ربيع الأول ١٣٧٠ (١٩٥٠/١٢/٣٠) أُمضي اتفاق جديد بين حكومة الملك عبد العزيز والشركة[٢] هذا أهمّ ما جاء فيه :

— تخضع أرامكو لضريبتي الدخل وغيرهما من الضرائب الحكومية ، في المملكة السعودية ؛ على أن لا يتعدى مجموع تلك الضرائب ، وما يضاف إليها من استحقاقات للحكومة ؛ خمسين في المئة من مجموع دخل أرامكو ، بعد حسم التشغيل والخسائر والاستهلاكات الخ .

---

(١) نشر نصه في جريدة أم القرى ١٨ شوال ١٣٦٨

(٢) نشر نصه في جريدة « أم القرى » ١٦ شوال ١٣٧٠ (٢٠ يوليه ١٩٥١)

— يزاد ما تقدمه الشركة للحكومة بغير مقابل ، من البنزين والكيروسين سنوياً ، إلى مليونين و ٦٥٠ ألفاً من الجالونات الأميركية ، من بنزين السيارات ، ومئتي ألف جالون أميركي من الكيروسين . ويُسلّم ذلك سائباً في رأس تنورة .

— تقدم الشركة للحكومة سنوياً ٧٥٠٠ طن من إسفلت رصف الطرق ، في براميل ؛ برأس تنورة .

— نفقات إنتاج ما يقدم للحكومة بغير مقابل ، من كميات الزيت الخام والبنزين والكيروسين والإسفلت ، تقيد في مصروفات العمليات .

— تدفع أرامكو للحكومة سنوياً ٧٠٠ ألف دولار ، لنفقات ممثلي الحكومة لدى الشركة وفي أعمالها ، من موظفين وشرطة وجند وحرس وأدلاّء مع مساكنهم الخ .

— يسري هذا الاتفاق من يوم التوقيع عليه إلى نهاية مدة الامتياز .

حصة المملكة من واردات النفط :

كانت حصة المملكة من دخل النفط في أيام الملك عبد العزيز كما يأتي :

١٦٦,٨٩٠	دولار	، سنة	١٣٥٨	(١٩٣٩)
١,٥٢٣,٦٤٩	«	، «	١٣٥٩	(١٩٤٠)
١,٠٧٠,٥٥٥	«	، «	١٣٦٠	(١٩٤١)
١,١٠٧,٣٠٢	«	، «	١٣٦١	(١٩٤٢)
١,١٤٤,٠٥٠	«	، «	١٣٦٢	(١٩٤٣)
١,٨٣٢,٠٠٠	«	، «	١٣٦٣	(١٩٤٤)
٤,٨٢٠,٠٠٠	«	، «	١٣٦٤	(١٩٤٥)
١٣,٥٠٠,٠٠٠	«	، «	١٣٦٥	(١٩٤٦)
٢٠,٣٨٠,٠٠٠	«	، «	١٣٦٦	(١٩٤٧)
٣٢,٠٠٠,٠٠٠	«	، «	١٣٦٧	(١٩٤٨)
٦٦,٠٠٠,٠٠٠	«	، «	١٣٦٨	(١٩٤٩)

١١٣,٠٠٠,٠٠٠	دولار ،	سنة	١٣٦٩	(١٩٥٠)
١٦٥,٠٠٠,٠٠٠	« ،	«	١٣٧٠	(١٩٥١)
٢١٢,٠٠٠,٠٠٠	« ،	«	١٣٧١	(١٩٥٢)
٢٢٦,٠٠٠,٠٠٠	« ،	«	١٣٧٢	(١٩٥٣)

الصحافة المصرية تتحدث عن الزيت السعودي

زار منطقة الظهران في رجب١٣٧٠ (أبريل ١٩٥١) وفد من رجال الصحافة المصرية،بدعوة من شركة « أرا مكو » وبعد عودته نشرت جريدة « المصري »[١] مقالا عنوانه « ثروة الصحراء » نقتبس منه ما يلي :

« بين شرق الولايات المتحدة الأميركية وشرق المملكة العربية السعودية مسافة بعيدة ، سبعة آلاف ميل أو أكثر في الجوّ ؛ تقطعها الطائرة في ثلاثة أيام وتسعة آلاف ميل أو أكثر في البحر تقطعها السفينة في أربعة أسابيع ، عابرةً المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ، وبحر العرب والخليج ؛ من نيويورك إلى الدمّام .

« ورغم ما بين حياة العرب في المملكة العربية السعودية وحياة الأمريكيين في بلادهم من اختلاف كبير في مناهج العيش ، فإن الاختلاف والبعد لم يحولا دون التفاهم والتعاون في تنمية مورد عظيم من موارد الثروة في أرض المملكة ، على وجه يكفل الرضا والنفع للفريقين جميعاً .

« ليس الانتفاع بالزيت(البترول) شيئاً جديداً في حياة الناس . والأدلة متوافرة على أن الشعوب القديمة كانت تنتفع به ، من الصينيين إلى المصريين والإيرانيين وغيرهم . كان يُستعمل في إقامة بعض الشعائر في إيران . وقد طُلي فُلك نوح بقار يُظن أنه من الزيت المتسرب إلى سطح الأرض في العراق . أما برج بابل ، ، فقد استعمل في بنائه « الملاط » وهو في أغلب الرأي زيت متجمد أو شيء مخلوط بالزيت . وقد روي أن الصينيين استعملوه

---

(١) في ١٩٥١/٥/٤

في الإضاءة ، وأن اليونانيين والرومانيين انتفعوا به في حيل الحرب ، وفي علاج علل الإنسان والحيوان . وقد وصفه العالم الروماني بلينيوس الكبير ، في حالات نزف الدم ، والجُذام ، وداء المفاصل ، وتقويم أهداب الجفون ، وما أشبه .

« ولكن الانتفاع به في العصر الحديث ، يرتدّ إلى اختراع المحرّك المعروف بمحرك الاحتراق الداخلي ؛ فهو القلب الذي يحرك السيارة والطائرة والبارجة والآلة التي تولد الطاقة الكهربائية للإضاءة والتحريك . فالصناعة والزراعة وأساليب الحياة في هذا العصر ، لا تستغني عن الزيت ومشتقاته . ولن تستغني حتى يتاح لها مصدر آخر ، من مصادر الطاقة القوية القليلة النفقة ، كالتوسع في استعمال الطاقة الذرية ، أو قنص طاقة الشمس ، على وجه يكفل الانتفاع بها .

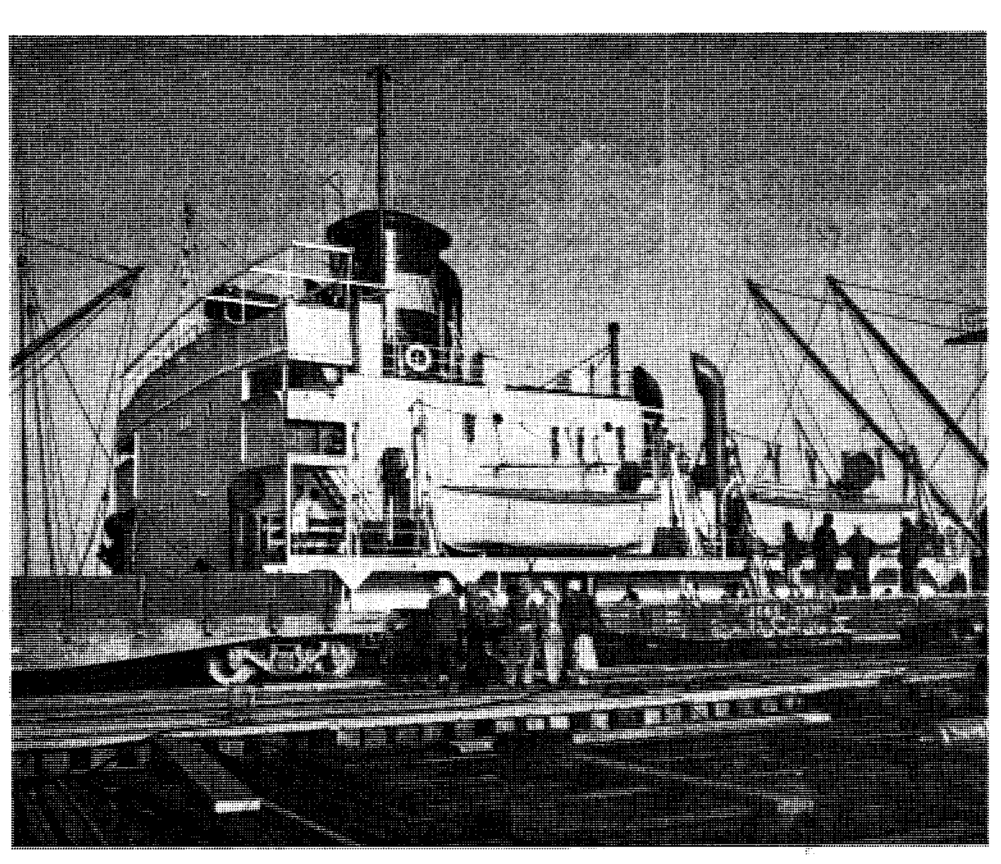
وقد أخذ رجال الصناعة والعلم ، يتفننون في استنباط موادّ شتى من هذا الزيت ، فهم يصنعون منه موادّ لتنظيف الملابس ، وأدهاناً لطلي ألواح الخشب والمعدن ، وموادّ طبية وأصباغاً ومطريات ، وعطوراً ومبيدات للحشرات وهكذا .

والزيت كثير في جوف الأرض . ولكن وجوده مقصور على أحوال جيولوجية خاصة. واستكشافه يكلف الناس مشقة وجهداً مضنياً . بيد أن رجال الزيت يمضون في البحث عنه مهما تكن المشاق، مستعينين بالمسح الجيولوجي ، وأمواج الصوت وأمواج الراديو ، ونبش الأرض وحفر الآبار إلى أعماق مختلفة ، يصاحبهم التوفيق حيناً وتلازمهم خيبة الأمل أحياناً .

والبحث عن الزيت في المملكة العربية السعودية لم يختلف عنه في سائر أقطار الدنيا. فقد وقع اتفاق البحث عن الزيت في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٣ وظلّ رجال أرامكو خمس سنوات يبذلون الجهد في صحراء بلقع . ولم يوفقوا إلى وجود الزيت في مقادير على أساس اقتصادي ، إلا سنة ١٩٣٨

لقد صارت المملكة العربية السعودية في المقام الخامس، بين البلاد التي تنتج الزيت ، في العالم . لا يفوقها في ذلك سوى الولايات المتحدة الأميركية ، وڤنزويلا ، وروسيا، وإيران . وكان إنتاجها سنة ١٩٣٩ نصف مليون طن أو أكثر قليلاً ، فبلغ في سنة ١٩٥٠ — ٢٧ مليون طن .

وأجدى هذا الإنتاج على أرامكو –شركة الزيت العربية الأميركية– ربحاً معقولا بالقياس إلى ما أنفقته ، وكان خمسة عشر مليون دولار قبل أن ينقل برميل واحد من الزيت من منبعه إلى سفينة النقل . وفي آخر سنة ١٩٥٠ قدر المبلغ الذي ثمّرته «أرامكو» و«تابلاين» في هذا العمل الكبير بنحو ٥٢٠ مليون دولار.



أول « سفينة شحن » تفرغ حمولتها على فرضة الدّمام

الملك عبد العزيز

والغاز الطبيعي في بلاده

في تقرير قُدّم إلى وزارة المالية ، أن « الغاز الطبيعي » الذي ينطلق من آبار النفط ، في المملكة السعودية ، ويُحرق للتخلص من آثاره الضارة ، لأنه سامّ جداً ؛ يمكن تحويله إلى موادّ مفيدة ، في مقدمتها « تصنيع بعض مكوناته ، وتحويلها إلى سماد كيمائي » .

وتقول وزارة المالية في مذكرة عن الموضوع سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) ما مؤداه :

« ينبعث من آبار النفط السعودي ما يزيد على ٤٠٠ مليون قدم مكعب ، من الغاز الطبيعي ، المعروف بـ « كبريتيد الهيدروجين » البالغ ٧ — ٢٥ ٪ من حجم الغاز . وهذه المادة الكبريتية ، يمكن استخلاصها من الغاز نفسه ، واستهلاكها في صناعات كبريتية مختلفة. كما أن من السهل تحويلها إلى حامض كبريتيك. ولهذا الحامض شأن كبير في الصناعات الكيمائية . وقد فُكّر في استثماره وقُدّر ما يحتاج إليه من المال لذلك ، بخمسين مليون دولار أمريكي .

« وبعث قسم المؤن والخامات ، في منظمة الأمم المتحدة ، أحد الأخصائيين « المستر هومر استوفر » لدرس المشروع . فكان مما أسفر عنه بحثه ، أن معضلة عالمية كبيرة يمكن حلّها بواسطة هذا الغاز وهي معضلة « أزمة الأسمدة

الأزوتية » وأن غاز النفط السعودي يأتي بنحو ٨٠٠ ألف طن متري ، من أفضل أنواع الأسمدة ، سنوياً (سماد كبريتات النشادر) ذلك السماد الذي تلحّ في طلبه الآن عشرون دولة ، في مقدمتها دول الشرقين الأوسط والأقصى .

« وقال المستر هومر استوفر ، في تقريره إلى قسم المؤن والخامات : إن مما يشجّع على المضيّ في العمل لتحقيق المشروع ، سهولة تموين الشرق ؛ من البلاد العربية السعودية ، لقرب المواصلات منها . وهو يقدّر أدنى حدّ للربح السنوي المنتظر من أول سنة يبدأ فيها إنتاج السماد ١٥ ٪

، ، ،

كان هذا قبل ثلاث سنوات من وفاة عبد العزيز .

الملك عبد العزيز

في كلمات للسياسيين وكبار الكتّاب الأجانب

« عبد العزيز ابن سعود ، أجدر ملوك المسلمين بالخلافة .. »

الامبراطور غليوم(١)

« هل بين ملوك الشرق الحاضرين من يصارع ابن سعود ؟ .. لا أذكر حاكماً قوياً وصل إلى مكانة هذا الملك ، الذي لا يعدله ملك في العالم الإسلامي . فهو الجندي البطل ، والمصلح الكبير ، والمخلص لدين الله ، والإنسان الظريف الكريم الصريح الثابت الذكيّ الشجاع المتواضع إلى حدّ بعيد . »

الكاتب الإنكليزي وليامز – يونيه ١٩٣٥

« قد يكون الملك ابن سعود ، الرجل العربي الوحيد الذي برز منذ ستة قرون في الجزيرة العربية »

الكاتب الألماني اميل سوايزار – يوليه ١٩٣٥

« إذا بحثنا عن يقظة الشعوب العربية ، وجب أن نبحث عن شخصية ابن سعود ، فهذا الرجل الذي ظهر في الجزيرة – مهبط الوحي – وأخذ ينشر دعوته بين العرب ، قد أثار في النفوس شيئاً من الحركة والنشاط أدركت

---

(١) أورده الأمير شكيب أرسلان ، في جريدة الجهاد المصرية ١٩٣٥/٣/٢٣

فيه الشعوب العربية أنها كانت في رقاد وأن في وسعها أن تستيقظ . وكل حركة تقوم في مصر وسورية وفلسطين ، يجب أن نبحث فيها عن صوت ابن سعود ، فصوته يدوّي في آذان الجميع »

الكاتب الاميركي إدوار بكنج — ديسمبر ١٩٣٥

« إن الإقليم الذي تنطبق عليه الصفة القومية الاستقلالية أعظم انطباق ، هو العربية السعودية التي يحكمها الملك ابن سعود ، أعظم عربي في الشرق الأوسط » الكاتب الاميركي جون جنتر ، من كتابه « في داخل آسيا » — ١٩٣٩

« الملك ابن سعود ، عبقريّ قويّ الإرادة ، شديد الذكاء ، يشعر الجالس معه بسموّ شخصيته المتجلية في قامته المديدة ووجهه الأسمر الذي ارتسمت على قسماته تجارب السنين ، وصوته المملوء بالثقة والقوة ، وعينيه الناطقتين بالذكاء ودلائل العزم . أثارت إعجابي إحاطته بالمسائل الدولية ، حتى لكأنه في وسط الجوّ الأوربي وفي محيط السياسة العالمية »

الوزير الأميركي المفوض برت فيش — مارس ١٩٤٠

« الملك عبد العزيز ، هو الدّماغ المفكّر الذي يحلم بتحقيق الجامعة العربية ، وهو يحكم الحجاز ونجداً اللذين يتقدّمان نحو المدنيّة ، بخطوات ثابتة . وهو حصيف الرأي جبّار ، يطمئنّ إليه كل مسلم . وشخصيته الجذّابة ، جعلته الشبح المخيف للدول العربية المصطنعة التي أوجدتها بريطانيا لحراسة أنابيب النفط وقد قام بأعمال مدهشة ، منها قلب الصحاري إلى جنات مخصبة ، والقضاء على عصابات قطّاع الطرق ، وعقد المحالفات والمعاهدات . وهو لا يدخّن ؛ ويأكل قليلاً ، وينام قليلاً » مجلة رفيو الإنكليزية — سبتمبر ١٩٣٦

« ابن سعود ، رجل ذو خلق قويّ وإرادة نافذة ، استطاع بهما أن

يؤسس الوحدة والنظام في ممتلكاته الواسعة التي لم يسبق لها أن عرفت السلام قط ، إلاّ في أيام حكمه . وهو أعظم شخصية في العالم العربي اليوم »

إيفننج وورلد أند إيفننج تيمس – يناير ١٩٣٨

« الملك ابن سعود ، مسلم ورع . تحلّى بصفات السياسيّ المحنّك ، واستطاع بدهائه العربي أن يصبح أبرز شخصية في العالم الشرقيّ »

ريفيو بلج – مارس ١٩٣٨

« الملك ابن سعود ، هو رجل الأقدار الحديدي في بلاد العرب ، وصاحب الأسلوب المختصر ، في معاملة الطامعين من السياسيين »

إيفننج نيوز – اكتوبر ١٩٣٦

« حادّ النظرات ، كثير الحذر في حديثه ، ينظر إلى محدّثه ويدرسه دراسة سريعة . هذا هو ملك الجزيرة العربية الذي قام بما يشبه المعجزات وأسس ملكه ، بين عشية وضحاها ، بغير وجل . وهو بعيد المطامح ، طويل التروّي ، لا يحب المجازفة ، ويعتقد أن الاستعداد للأمر ودراسته هما الوسيلتان للنجاح »

الكاتبة الفرنسية أندريه فيوليس – مارس ١٩٣٧

« ابن سعود ، حاكم مثقّف ، لم يقدّر للبلاد العربية أن تحظى بمثله في غير الشاذّ النادر من المرّات »

سان جون فلبي – ١٩٢٩

« من النادر أن تجد رجلاً تجمعت فيه المزايا التي تجمّعت في ابن سعود . فهو ، جندي موفق ظافر ، ومصلح مبدع مبتكر ، وتقيّ ورع صالح ، وإنساني لطيف مهذّب ، وجواد سخي سمح ، وراسخ وطيد متين ، وذكي حاذق لبيب ، وشجاع جريء مقتحم ، نبيل في تواضعه جليل في احتشامه »

الكاتب الإنكليزي : كنث وليمز

« الملك عبد العزيز ، أحكم وأقوى من عرفت من قادة البلاد العربية .

وإنه لرجل بعيد النظر ، نافذ العزيمة ، مستعدّ لقيادة شعبه إلى التمشي مع ركب التقدّم العالمي » الضابط الأميركي ميجر جنرال باتريك ج.هيرلي(١)

« الملك الذي جرّد السيف في سبيل دينه وعقيدته ، يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم . لا يقاتل الناس ولا يعتدي عليهم ، وإنما يحارب الجهل ، ويقاتل الجمود ، ويكافح التأخر . »

المستشرق المجري الدكتور جرمانوس – يونيه ١٩٣٥

« ليس ابن سعود بالرجل الهيّن الليّن الذي يسهل اتخاذه آلة لتنفيذ مآرب دولة أخرى » الكاتب الإنكليزي ن.ب. مكدونالد – مارس ١٩٣٧

« عبد العزيز خرّيج مدرستين : تمرّس في الربع الخالي بالشدائد ، وذاق شظف العيش ، وعرف قسوة الطبيعة ؛ وتعلم عند ابن صباح كيف يتقي شر الساسة وأحابيل السياسة » أنطوان زيشكا

« يُعدّ الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك الحجاز ونجد ، من أكبر أصدقاء بريطانيا ، وتعتز بريطانيا بصداقته » رونالد ستورز – ١٩٤١

«شهدت بنفسي عندما زرت المملكة العربية السعودية ، ماذا صنع الملك عبد العزيز لرفاهية شعبه .لقد استقرّ بفضله السلام والأمن في البلاد التيكانت من قبل تمزّقها المنازعات الداخلية . وأتيح لي أن أشهد كيف تمّ الاعتراف به ملكاً وزعيماً على شعبه الذي أضاء له حكمه الطريق إلى الارتقاء في جميع المناحي الاجتماعية والثقافية . » لورد أوف أثلون حاكم كندا (٢)

---

(١) كان مندوباً خاصاً عن الرئيس روزفلت ، وقابل الملك في الرياض .

(٢) من برقية أرسلها من لندن إلى الرياض ، في ١٩٤٣/١/٩

« كان أبرز ما ظهر من صفات ابن سعود بعد استيلائه على الرياض : القوة ، والشجاعة ، والحيوية البالغة ، والجاذبية الخلابة ، والشخصية المحبوبة ، وصواب الفكرة ، والاستقامة التامة ؛ مضافاً إليها خُلق المقدرة على العفو عن أعدائهمن جهة ، والشدة بل القسوة من جهة أخرى عند الاقتضاء » روي لبكيتشر(١) – يناير ١٩٥٠

« أوجد ابن سعود شعبه بقوة ذراعه وصائب رأيه » لبكيتشر (أيضاً)

« إن المدة التي قضاها ابن سعود ، في خلال تنقلاته الأولى ، مع أسرته ، بين أطراف الربع الخالي ، وقطر ، والبحرين ، والكويت ؛ قد جعلته يتذوق بساطة البدو ويفهمهم .. وكان ذلك من العناصر القيّمة في تكوين زعامته » لبكيتشر

« من عادة الملك ابن سعود أن يعالج الأمور بحنكته وسياسته السلمية ، فإذا اضطر إلى امتشاق الحسام لم يتردد .. » توتشل

« ابن سعود : عدوّ لا يعرف الرحمة ما دامت مقاومة الخصم مستمرة . أما في ساعة الظفر ، فهو من أكثر العرب إنسانية في التاريخ ...

« ومن الممكن أن يكون أفضل حاكم عرفته جزيرة العرب بعد الخلفاء الأربعة الأولين .

« وإذا ما حافظ على اتزانه ، بالرغم مما أحرز من نجاح ، فقد يقدم للجزيرة خيراً كثيراً .. » إلدون روتر – يوليو ١٩٢٥(٢)

---

(١) Roy Leb kicher كاتب أميركي .

(٢) في المجلد الأول من كتابه The Holy Cites of Arabia ص ١٧٣ و ٣٠١

« أصبحت نهضة الشعوب العربية حقيقة واقعة بعد أن كانت خطراً منتظراً . وإذا بحثنا عنها ، وجب أن نبحث عن شخصية ابن سعود ، فهذا الرجل الذي ظهر في الجزيرة العربية كما ظهر الأنبياء (كذا) وأخذ يقوم بدعوته بين الشعوب العربية ، قد أثار في النفوس شيئاً من الحركة والنشاط ، وأرغم شعوب العرب على الاعتقاد بأنها كانت راقدة وفي وسعها أن تستيقظ . وعلى هذا فإن كل حركة تقوم في مصر وسورية وفلسطين ، يجب أن نبحث فيها عن صوت ابن سعود في آذان الجميع . ففي كل الآذان العربية يدوّيَ صوت ابن سعود ، داعياً العرب إلى الاتحاد والتضامن والتحرّر من التسلط الأجنبي . وما دام صوت ابن سعود يدوي فيجب أن ننتظر بين يوم وآخر قيام الحركة العربية » ادوار بكنج (الأميركي) (١)

« أصبح ابن سعود سيّد الجزيرة العربية المطلق . فهو مسيطر على شواطىء البحر الأحمر ، كما أنه على أبواب سورية وفلسطين والموصل وبغداد وطريق الهند . وهو اليوم بالرغم من إلغاء الخلافة « بابا » المسلمين .

« لقد نامت البلاد العربية زمناً طويلاً ، وانصرفت إلى المعارك الداخلية والخلافات الحزبية ، فجاء ابن سعود وأيقظها . وخابت إنكلترة في تحقيق فكرة الإمبراطورية العربية ، فقام عبد العزيز لتحقيقها . وليس هناك ما يحول دون تنفيذ هذه الفكرة ، فالرجل مطاع في كل مكان ، ومتمتع بكثير من السلطة والنفوذ » جان بارو ا(٢)

« مصر والعراق مستقلتان حقوقياً . وقد يجد المرء ما يغريه بوضع قوسين

(١) مجلة آسيا ١٩٣٥

(٢) في « باري سوار » الفرنسية ١٩٣٦

حول لفظة الاستقلال ، واليمن شبه دولة . أما الإقليم الذي تنطبق عليه الصفة القومية الاستقلالية أعظم انطباق فهو العربية السعودية التي يحكمها الملك ابن سعود أعظم عربي في الشرق الأوسط » الكاتب الأميركي جون جنتر [١]

« ابن سعود ، ذكي مدرك للحقائق المادية . وهو في الوقت نفسه ذو نظر سياسي بعيد ؛ شديد التمسك باستقلاله ، مع تمسكه بصداقة إنجلترة . ومن الخطأ القول بأنه قد بيع لإنجلترة . والواقع أن هذا الملك العربي يقول في نفسه : « كيفما التفتّ أجد الإنجليز يحيطون بي ، لذلك يجب أن أعتبرهم أصدقاء أو أعداء ، وبما أنني لا أقدر أن أعاديهم فيجب أن أصادقهم »

فلبي [٢]

« لا يسع المرء إلاّ أن يعجب لشخصية الملك عبد العزيز آل سعود ، ويؤخذ بها أخذاً . والواقع أن المملكة العربية السعودية هي ابن السعود لا أكثر ولا أقلّ ، فقد أُوتي براعة سياسية لا يرقى الشكّ إلى مقدرته فيها ، وقدرة فائقة على إثارة مشاعر الرجال ، وفراسة في معرفة خافية النفوس واتجاه الحوادث . وقد اقترنت هذه المواهب جميعاً ، بصدق التعبير عن قضية العرب ، وإيمان بالغ بها . وليس من شك في أن اسم عبد العزيز آل سعود ، سيخلد في التاريخ ، بل خُلد فعلاً ، فإن من الطالع الحسن والبداية الموفقة أن يدرك العالم هذه الخلال فيعدّ لمملكته مقعداً في مؤتمر سان فرنسيسكو »

مجلة بريطانيا العظمى والشرق — ابريل ١٩٤٥

« استطاع عبد العزيز آل سعود ، أن يستردّ دولة أجداده ويعيد إلى بيته المهابة والشهرة ، بفضل ما أُوتي من المقدرة وقوة الخُلق .

الدكتور جورج رنس ١٩٥٢

---

(١) من كتابه « في داخل آسيا » سنة ١٩٣٩

(٢) في حديث له مع « ماري أديت دي بونويل » نشر في « لوجور » سنة ١٩٣٩

« جاهد عبد العزيز طويلاً حتى بلغ أهدافه . لم يهن له عزم ، وما انهارت إرادته مرة أمام العقبات . لقد عرف كيف يترقب الساعة الملائمة ، وكيف يصبر حين لا يستطيع القتال ، وكيف يبقى مترصداً أشهراً وسنين بانتظار اللحظة المناسبة للانقضاض على خصمه . »

بنوا ميشان

، ، ،

قال الكولونيل لورنس – الملقب بملك العرب غير المتوّج – : كنت في حضرة الملك حسين بجدة ، وجاء ذكر ابن سعود سلطان نجد ، فقال الملك : ومن يكون ابن سعود هذا ؟ . وفاه بكلمه في وصفه أعفّ عن ذكرها .

قال لورنس : فأجبته : إن حكومة بريطانيا لو أرادت قتال هذا الذي تصفه جلالتك ذلك الوصف لاضطرت إلى إلقاء خمسين ألفاً من جندها في صحارى قاحلة ، مدة عامين ، في حرب مجهولة العاقبة .. »

المَـلك عَبـد العَـزيـز

وعلاقة بلاده بالصحة الدولية

اشتركت حكومة الملك عبد العزيز في منظمة الصحة العالمية ، والمكتب الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط . وساهمت في المؤتمرات العالمية والتنفيذية والإقليمية وغيرها . وهي توفد مندوبيها في كل مناسبة لحضورها .

وأهم ما يعنيها مسألة « الحَجْر الصحي » على الحُجّاج . وهي قضية قديمة العهد ترجع إلى أيام الحكم العثماني ، استُند فيها إلى « اتفاقية روما » المنعقدة سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) وقد اشتركت في توقيعها ثلاث عشرة دولة ، وأنشىء بمقتضاها « مكتب دولي للصحة العامة » بباريس .

ولم يكن في وسع المملكة العربية السعودية ، بعد تكوّنها ، أن تقف بمعزل عن المعترك الصحي العالمي ، فوافقت على الانضمام إليها سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م)

ثم أصدرت بلاغاً رسمياً سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) بإلغاء الاتفاقية بناء على « بروتوكول » دولي صدر في العام نفسه بإلغائها وإلغاء مكتب باريس .

على أن اتفاقية ١٩٠٧ م ، لم تكن الأولى من نوعها ؛ فقد سبقتها اتفاقيات متعددة كان الحافز عليها ، في أواسط القرن التاسع عشر للميلاد ، الاتجاه الدولي إلى العناية بمكافحة الأمراض والأوبئة ، ومنع انتشارها وانتقالها . واعتبر الحجّ من وسائل الاختلاط ، ففرضت على الحجاج إجراآت شديدة

في قدومهم إلى الحجاز وإيابهم منه . وأنشئت إدارات لمراقبتهم في الحالين . وسلمت الحكومة العثمانية بالأمر الواقع . وعُقدت اتفاقية روما (١٩٠٧ م) ثم نُقحت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وأعيد النظر فيها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . وأوفدت « لجنة دولية » عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) إلى الشرق الأدنى ، لم تزر الحجاز ، على الرغم من دعوة الحكومة الهاشمية — يومئذ — لها . ووضعت تقريراً جاء فيه أن « الإدارة الصحية في الحجاز ما زالت ، وستظل إلى وقت طويل ، غير صالحة للاعتماد عليها في اتخاذ إجراآت صحية تمكّن الدول من رفع القيود التي وضعتها على الحجاج ، في القدوم والعودة . واقترحت ما خلاصته :

١ — إبقاء المراقبة الصحية ، خارجة عن سلطة الهيآت الصحية الحجازية .

٢ — إبقاء أماكن المراقبة ، في خارج البلاد الحجازية .

٣ — استمرار التدابير المفروضة من قبل ، على الحجاج .

٤ — اعتبار المجلس الدولي للصحة البحرية والكرنتينات ، في الإسكندرية مشرفاً على شؤون الصحة في الحجاز ، ومراقباً لها .

وحدث بعد ذلك بقليل ، أن تحوّل الحجاز إلى قطر من أقطار المملكة العربية السعودية ، فكان ما سبقت الإشارة إليه ، من دخول المملكة السعودية المعترك الصحي العالمي . وكان أول ما استرعى الأنظار في العالم الصحي إلى الوضع الجديد في « الحجاز » اشتراك هذه الحكومة في اجتماع « الهيأة الصحية الدولية » بباريس عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) ، وتوقيع ممثّلها — توقيعاً مبدئياً — على اتفاقية سُمّيت « اتفاقية سنة ١٩٢٦ » بعد أن سجّل اعتراضه رسمياً على ما جاء فيها من بنود خاصة بالحج . وصدر بلاغ رسمي من حكومة الملك عبد العزيز ، في ١٣٥٣/٦/٦ هـ (سبتمبر ١٩٣٤) بالموافقة على الاتفاقية ، وقبول إنفاذها في المملكة العربية السعودية ، عدا الموادّ ٧ و ٥٥ و ٧٥ و ١٢١ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٨ ، و ١٤٠ و ١٤٢

و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ المتعلّقة بالحجّ ، فإن الحكومة « تحتفظ بحقوقها ورأيها فيها » .

ونشط العمل الصحي في بلاد المملكة ، من ذلك الحين . فأنشئت « إدارة الصحة العامة » إنشاءً جديداً . وأُقيمت المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية ، وهُيئت الأماكن « للحجر الصحي » في الشواطىء لاستعمالها عند الاقتضاء ، في مداخل البلاد .

وعُدّلت اتفاقية ٢٦ باتفاقية ١٩٣٨ (١٣٥٧ هـ) فانتقلت اختصاصات « مجلس الصحة البحرية والكرنتينات » إلى السلطات المصرية . وكانت المادة ١٥١ من اتفاقية ٢٦ تقضي بقيام هذا المجلس بإحاطة الهيأة الصحية العالمية والسلطات الصحية في البلاد التي يعنيها الأمر ، بكل ما يتصل به من معلومات عن الحج والحجاج ، فأصبحت المملكة العربية السعودية بمقتضى اتفاقية ٣٨ تبعث إلى المكتب الصحي الدولي في جنيف ، مباشرة ، هي والمملكة المصرية وممالك الأقطار الحاجّة ، بما لديها من أخبار وإفادات عن حال الحجّاج الصحية في المناطق التي يمرون بها .

وأشار مندوب الحكومة السعودية ، في اجتماع « اللجنة الدائمة للمكتب الصحي الدولي » في ابريل ١٩٣٩ (١٣٥٨ هـ) إلى عدم حدوث أي وباء طيلة السنوات التي انتظمت فيها الأعمال الصحية في بلاد المملكة ، وطلب رفع الفصل الخاص بإجراآت الحج والحجر من اتفاقية ٢٦ وقد قررت اللجنة في ذلك الحين إعادة النظر في هذا الطلب ، وتنزيل مدة الحجر الصحي في كمران من ٤٨ ساعة إلى ٢٤ ساعة ، وتنزيل حجر البواخر التي تمرّ بقناة السويس ، لغير المصريين ، من ٧٢ ساعة إلى ٢٤ ساعة ، ودخول مصر لكل من يحمل تأشيرة ، والنظر في المساحة التي تخصص للحجاج ، ومعاملة الأوربيين وغير المسلمين كمعاملة المسلمين في الكرنتينات . ولما لم يكن في الاتفاقية الصحية الدوليّة نصّ على نظافة الحجّ ، فإن الحكومة العربيةالسعودية لها الحق الطبيعي في إعلان نظافة الحجّ في بلادها .

واشتركت حكومة المملكة في المؤتمر الصحي المنعقد في نيويورك سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) وفيه سمّيت المؤسسة الصحية الدولية باسم « المنظمة الصحية العالمية »

وأبرمت الحكومة السعودية « اتفاقية نيويورك » في السنة نفسها. وقدمت مذكرة توضح فيها النقاط التي اعترض عليها مندوبوها في الماضي، طالبة ادراجها في أعمال المنظمة.

وكذلك اشتركت الحكومة في المؤتمر الصحي الدولي المنعقد في باريس (ابريل ١٩٤٦ م / جمادى الأولى ١٣٦٥) وقد عرض فيه تقرير من مندوب مصر عن قرار جامعة الدول العربية، بشأن المحاجر الصحية، ووزعت نسخ منه على الأعضاء، وتقرّر تأجيل النظر فيه إلى اجتماع اكتوبر ١٩٤٦ وقدّم المندوب السعودي[1] بياناً، جاء فيه أن المجهودات الصحية الكبيرة التي قامت بها الحكومة السعودية في مدى العشرين عاماً الماضية أتت بنتائج ملموسة. وقد ثبت أن الحجاز لم يكن قط مركزاً لمرض من الأمراض الوبائية، وأن للمملكة السعودية الحق في إقامة الحجة على نظافة بلادها التي ظلّت مدة ربع قرن، سليمة من الأمراض الوبائية، حتى أيام الحرب المنهكة، وأن بقاء الحجر الصحي على الحجاج هو إقامة صعوبات في سبيل الحجّ، لا مبرر لها، بعد الاكتشافات الوقائية التي يمكن تطبيقها على الحجاج قبل مغادرة بلادهم. وأعلن موافقته على تقرير المندوب المصري رقم ٢٩٠ في ١٩٤٦/٤/٢٣ واعتبره معبراً في نفس الوقت عن رأي الحكومة السعودية. وتقرر ضم هذا البيان إلى تقرير المندوب المصري لدرسه في المؤتمر المقبل.

واشتركت الحكومة السعودية أيضاً في الدورة الأولى لمنظمة الصحة العالمية المنعقدة في جنيف من ٢٤ يونيو إلى ٢٤ يوليو ١٩٤٨ (١٣٦٧ هـ) حيث اجتمع مندوبو ٦٧ دولة، بينهم مندوبو دول الجامعة العربية؛ فتقدم المندوب السعودي بوجهة نظر حكومته، الرامي إلى إلغاء الباب الخاصّ بالحجّ، من

---

(١) المؤلف

الاتفاقات الصحية الدولية . وبين عدم الاحتياج إلى مثل هذه القيود في العصر الحاضر ، بعد تطور العلم الحديث من جهة وتقدم الصحة في البلاد السعودية من جهة أخرى . وقد تقرر في اجتماعات تلك الدورة :

١ — أن يكون المركز الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف .

٢ — أن تشكل خمسة مراكز إقليمية تابعة للمركز الرئيسي وهي :

آ — المركز الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط ، ويضم هذا المركز المملكة العربية سعودية ، ومصر ، والعراق ، وسورية ، وشرقي الأردن ، واليمن ، وفلسطين ، وإيران ، وتركيا ، وباكستان ، واليونان ، والحبشة ، وأريتريا ، وطرابلس الغرب ، وجزر الدوديكانيز ، والصومال الافرنسي ، وعدن .

ب — مركز المحيط الهادي الغربي

ج — جنوب شرق آسيا

د — أوربا .

ه — إفريقيا .

أما مركز شرق البحر الأبيض المتوسط الذي كان يعمل من قبل باسم « المكتب الإقليمي » بالإسكندرية ، فأدخل في المنظمة الصحية العالمية ، استناداً إلى المادّة ٥٤ من دستورها .

ووافقت الصحة العالمية على قرار أصدرته لجنة البرامج ، بحذف الباب الخاص بالحجّ ، من الاتفاقيات الصحية العالمية ، ودمج الاتفاقيات الصحية البحرية والجوية كلها ، في اتفاقية واحدة تفي بالاحتياجات الصحية لجميع المسافرين بغير تمييز . وأحيل الموضوع إلى لجنة خبراء الأوبئة والكرنتينات لوضع هيكل الاتفاقية الجديدة ، على ضوء التطورات العالمية الحديثة ، يشترك معها مندوب من المكتب الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط . وقد طلب

المندوب السعودي اشتراك مندوب عن الحكومة العربية السعودية عند درس هذا الموضوع ، لأن الأمر يهمها بصورة خاصة .

وأقرت الجمعية العمومية اعتبار المكتب الإقليمي بالإسكندرية مركزاً يمثل دول الشرق الأدنى ، وأن يُلحق رسمياً بمنظمة الصحة العالمية .

واشتركت الحكومة السعودية في الدورة الثالثة للمجلس التنفيذي للمنظمة الصحية العالمية في جنيف (من ٢١ فبراير — ٩ مارس ١٩٤٩ م ، ١٣٦٨/٤/٢٣ إلى ١٣٦٨/٥/١٠ هـ) وكان من مقترحاته مكافحة الأمراض المستوطنة ، كالسلّ والملاريا والأمراض الزهرية ، وحفظ صحة الأمومة والطفولة . ووُوفق على اقتراح المندوب السعودي بعدم الاستناد إلى أي تقرير صادر عن لجنة فرعية ، والاكتفاء بقرار الجمعية العمومية لمنظمة الصحة العالمية التي عقدت في جنيف عام ١٩٤٨ فيما يختص بالحج . وقد جاء في تقرير لجنة الخبراء الدولية للأوبئة والمحاجر الصحية ، ما يلي :

« إن اللجنة ، بالاستناد إلى تقرير اللجنة الفرعية الخاصة التابعة لمنظمة الصحة العالمية ، والمكلفة إعادة النظر في اتفاقية عام ٢٦ — ٤٤ المتعلقة بحج مكة ، والتي عقدت اجتماعها في الاسكندرية في ابريل ١٩٤٧ زارت البلاد السعودية في الشهر المذكور ؛ وبالاستناد إلى المقررات التي اتخذتها اللجنة الصحية لدول الجامعة العربية ، في اجتماعها بالإسكندرية في يناير ١٩٤٩ قد أُحيطت علماً بأن الجمعية العمومية لمنظمة الصحة العالمية قررت أن تدمج الاتفاقات الصحية الدولية القائمة ، في مجموعة واحدة ، تشمل جميع القيود الصحية المفروضة على المسافرين ، من دون أن تكون هناك أية قيود خاصة بشأن الحجاج . وبناء على ذلك قررت اللجنة توزيع المواد والفقرات المتعلقة بالحج ، الواردة في الاتفاقات الدولية السابقة ، على الفصول المختلفة في مشروع النظام الصحي العامّ بمنظمة الصحة العالمية . على أنه متى تمّ وضع المشروع في صيغته النهائية ، يصبح في وسع اللجنة أن تقرر ما إذا كانت التدابير المشار

إليها وافية بالغرض من الناحية الفنية والتطبيقية أم لا »

وجاء في تقرير قدمه المندوب الإفرنسي ، وأقرته اللجنة ، عن هذه الفقرة ما يلي :

« في حالة انتقال الجماعات البشرية ، كالحجّ مثلاً ، فإن لجنة الأوبئة الدولية ، ستسعى لاتباع الرغبة التي بينتها الجمعية ، بأن تدمج في الموادّ الأخرى من النظام ، القيود الضرورية للمراقبة الصحية ، أثناء انتقال هذه الجماعات ؛ وأن تأخذ بعين الاعتبار ، تقرير اللجنة الفرعية الخاص بالحج ، في جلساتها بالإسكندرية في إبريل سنة ١٩٤٧ »

واشتركت الحكومة السعودية أيضاً ، في اجتماع الجمعية العمومية الثانية لمنظمة الصحة العالمية الذي عقد في ١٧/٨ — ١٣٦٨/٩/٧ هـ (١٣ يونيو — ٢ يوليو ١٩٤٩) وحضره مندوبون عن جميع الدول الأعضاء في المنظمة، عدا روسيا ، وروسيا البيضاء ، وأوكرانيا . ومثلت فيه المملكة العربية السعودية ومصر ولبنان وسورية والعراق . وكان في جملة مقرراته إغاثة النازحين عن بلادهم ، في جميع أنحاء العالم ، وجعل يوم عالمي للصحة ، ابتداءً من عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) والموافقة على المبادىء الأساسية الواردة من لجنة خبراء الأوبئة والكرنتينات ومن الدكتور دوجاريك الافرنسي ، التي يرتكز عليها النظام الصحي العالمي المنوي وضعه ، ليقوم مقام الاتفاقات الصحية الدولية البحرية والبرية والجوية السابقة ؛ بحيث لا يحتوي على بند خاص بالحجّ إلى مكة . وقد بين السكرتير المختصّ بهذا الفرع ، أثناء عرض الموضوع على اللجنة ، أنه لا حاجة قطعياً إلى وضع قيود ينفرد بها حج مكة ، لأنه لا يختلف عن غيره من أنواع الحجّ في العالم ، وهي كثيرة ، كما أنه لا لزوم لذكر كلمة « حج » في النظام ، إذ يمكن الاستعاضة عنها بكلمة مجموعة بشرية . ووافق الأعضاء على ذلك .

وأرسلت الحكومة السعودية ، كتاباً بتاريخ ١٣٦٨/٩/٤ هـ (٦/٢٩/

١٩٤٩ م) بتحفظاتها ، طالبةً من مدير المنظمة العامّ إطلاع لجنة الخبراء بالأوبئة ، عليه. عند دراستها توحيد الأنظمة ، وتقديمه إلى اللجنة العمومية التي ستعقد في عام ١٩٥١

واشتركت الحكومة السعودية أيضاً ، في الموافقة على تشكيل المكتب الإقليمي العربي بالإسكندرية ، واعتباره مكتباً إقليمياً لدول الجامعة العربية ، تتبادل معه المعلومات والمنشورات الصحية ، كالمتّبع مع المكتب العامّ لمنظمة الصحة العالمية .

، ، ،

وتقول إدارة الصحة العامة « السعودية » في نهاية تقرير لها ، وضعته سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) أنها عاملة على توسيع أعمالها وخدماتها بإنشاء مستشفيات ومستوصفات جديدة في أكثر البلاد ، تنفيذاً للرغبة الملكية ، وتمشياً مع التطور الصحي ، وخدمةً للحجاج والمواطنين .

الملك عبد العزيز

في خطبة للرئيس روزفلت

في ١٩٤٣/٩/٣٠ (آخر رمضان ١٣٦٢) أُقيمت مأدبة عشاء في واشنطن لتكريم الأمير فيصل ، تكلم فيها الرئيس روزفلت فقال [١] :

يا صاحب السمو الملكي ! أظنّ أن كلاً منا هنا يدرك أن هذه العشيّة تاريخية مجيدة . ففي تاريخ بلادنا الطويل ، وفي تاريخ الجزيرة العربية الأطول ، لم تكن هناك مآدب مثل هذه المأدبة . لقد جئنا ليعرف كلّ منا الآخر . وأظن أن شعبينا العظيمين متفقان أنّ علينا أن ننشد في المستقبل المزيد من معرفة بعضنا بعضاً .

هناك قليل جداً من الأميركيين في جزيرة العرب ، يقابلهم نفر قليل من العرب في كل أميركا . وهكذا كلما كثر تلاقينا في الأيام المقبلة زادت صلات الصداقة بيننا. لا الصداقة السياسية فحسب، بل الصداقة الشخصية أيضاً.

إننا نشترك في كثير من الصفات ، فكلانا — أي كلا شعبينا — يحب الحرية ، وليس هنالك ما يمنع الأمتين كلتيهما من التمسك بالحرية .

---

(١) أخذت نص هذه الخطبة — مترجمة إلى العربية — من المستر أوليجر ، مدير شركة الزيت بالظهران . وقال انه حصل عليها من المستر جون سي . هنري ، محرر صحيفة الصنداي ستار التي تصدر في واشنطن بمركز كولمبيا ، وقد عمل المستر هنري خلال مدة الحرب مساعداً للميجر جنرال باتريك ج.هيرلي . وقال إنه اقتطف الخطبة من مذكرات الرئيس فرانكلين د.روزفلت .

ولدينا الكثير مما يجب أن نعرفه عن بعضنا . وإنني آمل أن نتمكن في الأيام القادمة من بحث أمورنا بروح الأصدقاء .

لقد أخبرت صاحب السمو الملكي ، في العشاء ، أنني أعرف أن إحدى المشاكل في الجزيرة العربية هيعدم وجود المياه الكافية في أماكن كثيرة من البلاد . وأيضاً عدم وجود أشجار كافية . ولقد أخبرته بما كنا نقوله في أيام صغرنا عن صحراء أميركا الكبرى . وهي القطعة الممتدة في بلادنا من الشمال إلى الجنوب ، حيث كان الماء يسيراً والشجر قليلاً .

وقد أخبرته أننا من بضع سنين أخذنا على عاتقنا تنفيذ مشروع يعرف بالسدّ الواقي . ومنذ نشوب الحرب كان العمل يسير في فترات متقطعة . ورغم ذلك لمس الناس هناك ما فعله هذا المشروع في كثير من الأقسام الغربية . وربما أخبرت مجلس الكونجرس أيضاً بأنني سأبعث هذا المشروع إذا امتد بي الأجل .

وإن شيئاً رائعاً كهذا ، خليق به أن يكون معروفاً وميداناً للتجارب والتطبيق في كثير من أنحاء العالم .

ذكرت هذا للتوضيح فقط ، لأن الجزيرة العربية بلاد غنية بالموارد العظيمة كالموارد الزراعية وموارد باطن الأرض وظاهرها . وأودّ أن أؤكد لصاحبي السموّ الملكي كليهما [١] أن الولايات المتحدة أمة لا تنشد استغلال أية أمة أخرى مهما كان قدرها .

وكم كنت أودّ لو استطاع والد هذين السيدين القدوم بنفسه . وآمل أن يشرفنا بزيارتنا هنا يوماً ما . كما آمل أن اذهب بنفسي ذات يوم لزيارته في الجزيرة العربية .

أظن أننا كلنا نعرف أن الملك شخص عظيم جداً . وقد كنت أقرأ في عصر هذا اليوم مجلة صغيرة كانت كلها عن الملك ، وكانت بها فقرة قصيرة في النهاية أُعجبت بها كثيراً إذ أن كل ما جاء فيها يتفق وفلسفتي الشخصية .

---

(١) كان مع الأمير فيصل في تلك الرحلة ، أخوه الأمير خالد .

« إن من أشد صفات ابن سعود، إيمانه السامي بعدالة الخالق الأبدية . ولذا لم يدهشه أن الله الذي أرسل الغيث إلى البلاد العربية قديماً ، قد فجّر فيها ينابيع الزيت حديثاً . لا ولن يدهشه كثيراً أن يأتي الله بنصر من عنده للعالم الشريف الخليق بذلكم النصر .

وأظن أننا لو عملنا جنباً إلى جنب ، بمثل هذه الفلسفة التي هي فلسفة عربية ، كما أنها فلسفة أميركية أيضاً ، لاستطعنا أن نساهم في إيجاد عالم أكثر هناء ، ودنيا أوفر شرفاً في السنين المقبلة .

وفي الختام أحيّي جلالة عاهل الجزيرة العربية ، وكم كنت أودّ لو كان معنا في هذه الليلة .

من صفاته

كان عبد العزيز سريع الانطباع من حيث لا يشعر ، يتأثر بما يحسه من مرئيات. وإذا تمكن من نفسه خاطر ،لهج به ،وتحدث عنه في مجالسه ،ومع نفسه.

وكان يُرى أحياناً يتحدث منفرداً ، بصوت مسموع . لا يكتفي بالتفكير ، بل يزيد عليه التعبير .

، ، ،

قل والله !

في اجتماع الملك عبد العزيز ، بالملك فيصل بن الحسين ، أراد فيصل تأكيد أمر ، فقال لعبد العزيز : وحياة راسك ! فنظر إليه عبد العزيز ، وقال : قل والله ..

، ، ،

يقولون شجاع

قال عبد العزيز ، في حديث له مع بعض خاصته :

في الناس من يصفني بالشجاعة ، وما الشجاعة ؟ كنت في بعض أسفاري مع اثنين من أصحابي ، أحدهما فيصل الدويش . وخرجت علينا خيل ، فهلع قلبي ! ولكنني تجلّدت مخافة العار . وما لبث صاحباي أن لويا عنان فرسيهما ، فتبعتهما منحاشاً [١] ولو فررت قبلهما لفضحاني بين العرب !

---

(١) يقول أهل نجد : انحاش عنه ، أي ابتعد.وفي القاموس : انحاش عنه :نفر وتقبض.

الملك عبد العزيز

في نظر فريق من كبراء العرب وكتّابهم

من أقدم ما كُتب عن عبد العزيز ، كلمة للأمير « ضاري بن فهيد » من آل رشيد .. أملاها سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م) [1] قال فيها :

« أما ابن سعود ، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ، فهو رجل شجاع صاحب سياسة في قومه ، وله تصرفات في الحرب ومكائد أكثرها ينجح .

« وهو مديد القامة ، حتى إنه لم يكن في نجد اليوم أطول منه ، وهو مع ذلك متناسب الأعضاء ، حسن الوجه أبيض ، وشعره أسود ، خفيف اللحية والعارضين . وهو جواد محبوب ، ذو رأفة بعشيرته ومماليكه .

، ، ،

وفي العام نفسه ١٣٣١هـ (١٩١٣م) كتب سليمان الدخيل [2] :

« صفا الجوّ لابن سعود ، وأخذ بتوسيع نطاق ملكه . وما زال على هذه النية إلى أن احتل الأحساء والقطيف ودارين ، في هذا السنة (سنة ١٣٣١) وهو اليوم مقيم في نجد ، ويلقب بالإمام . وهو أمير عادل كريم شجاع سياسي ذو رأي متين وفكر مصيب ، وعلى جانب رفيع من العزم والحزم والدهاء .

---

(١) نبذة تاريخية عن نجد . نشرتها دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٨٦ (١٩٦٦م)

(٢) لغة العرب البغدادية ٣ : ٢٩٨

ولهذا تراه ذا حظ وافر وتوفيق مجيد . ويؤمل العقلاء أن تكون النهضة العربية المنتظرة ، في أيامه الميمونة » .

، ، ،

ولما خرج الملك فيصل بن الحسين من دمشق سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) ، دار الحديث في حيفا ، بينه وبين الدكتور شهبندر وجميل مردم وسيدة إنكليزية فقال الملك فيصل :

« أنا ذاهب الآن إلى لندن ، فإذا نجحت في مهمتي واستطعت أن أُعيد للسوريين استقلالهم ، فبها ؛ وإلا فليس أمامنا جميعاً غير ابن سعود ، فهو الوحيد الذي يُنتظر منه توحيد البلاد العربية وتوطيد استقلالها [1]

، ، ،

« من نعم الله على الجزيرة ، أن يحكم فيها ملك عظيم الشأن ، كالملك عبد العزيز . عرفت جلالته وصحبته من خمسة وثلاثين عاماً ، قبل أن يلي الحكم ، وبعد أن وليه . فما غرّه الحُكم ولا فتنه التاج والسلطان ؛ وما برح الفارس الشجاع والقاضي العادل والسياسي المحنّك »   أحمد الجابر الصباح ١٩٣٦

، ، ،

« قلت ولا أزال أقول : إن هذا العربي العظيم ، ابن سعود ، أصبح أنفذ العرب اليوم ، وأسدهم رأياً ، وأبلغهم حكمة ، وأشدهم عزماً ، وأعدلهم حكماً ، وأكبرهم كرماً وحلماً . قلت ولا أزال أقول : إن هذه الأمة العربية لا تنهض إلا بمثل هذا الرجل ، وإن آمالها بالحياة الوطنية المجيدة ، لا تتحقق ، إلا بوحدة يكون هذا الرجل عينها الباصرة وروحها الساهرة وقلبها النابض وعقلها المفكر وسيفها البتّار .   أمين الريحاني ١٩٢٦

، ، ،

---

(١) نشر الحديث في جريدة الأيام بدمشق ، سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)

« إن عبد العزيز ، هو خير من يستطيع أن يحكم الجزيرة العربية » .
الملك علي بن الحسين (١)

، ، ،

« ابن سعود ، هو الذي مهّد للوحدة في شبه الجزيرة . وهو الذي لفت أنظار المسلمين في مختلف أنحاء العالم إلى البلاد العربية وأهلها ، ولم يكن يفكّر فيها أحد من قبلُ إلا مِن جهة أنها البلاد المقدّسة » . محمد حسين هيكل (٢)

، ، ،

« ابن سعود ، من أولئك الزعماء الذين يراهم المتفرسون المتوسمون فلا يحارون في أسباب زعامتهم ، ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا لماذا كان هؤلاء زعماء .. لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء لمنزلة الزعامة في أقوامهم ، أسهل كثيراً من الشكّ في ذلك الاستحقاق » عباس محمود العقاد (٣)

، ، ،


عزيز علي

« اهتمام ابن سعود بالأسلحة الحديثة وشجاعته وقدرته على تحمّل المشاقّ ، وبعده عن الترف ، وذكاؤه ، وصدق عزيمته ، وسخاؤه ، كل هذا يجيز لنا أن ننتظر منه العظائم ». القائد عزيز علي المصري (٤)

، ، ،

« لو خرج فتى في العشرين من عمره ، في مثل الظروف التي خرج فيها ابن سعود ، يتطلب الغاية التي تطلّبها عبد العزيز ، لقيل:

---

(١) جريدة الأهرام ، على أثر خروج الملك علي من الحجاز .
(٢) كتابه « في منزل الوحي »
(٣) في كتاب « صقر الجزيرة »
(٤) مذكرات أسعد داغر ١٩٧

مجنون مهووس ! أو مغامر مخاطر بحياته ، يسعى إلى حتفه عامداً . ولكن عبد العزيز لم يكن مجنوناً ولا مهووساً ؛ وإنما كان فتى أنضجته التجارب والنكبات ، وانضجت عقله الحوادث التي رآها صبياً .

« ليس ابن سعود من أعظم رجال القرن العشرين فحسب ، بل هو من أعظم رجال التاريخ كله .

« ولست أنا الذي أصدر هذا الحكم ، وإنما أصدره إنكليزي عرف عبد العزيز من زمان طويل ، وتتبع سيره منذ كان فتى شريداً طريداً إلى أن أصبح الملك المطلق في جزيرة العرب . محمود أبو الفتح ١٩٣٠

، ، ،

« شيئان هائلان في الجزيرة : الصحراء وابن سعود . ابن سعود عبارة عن عالم (بفتح اللام) في رجل . ملمّ كل الإلمام بدخائل ملكه ، مؤمن متدين إلى حد عظيم . قالوا : إن الذي يصغي إليه وهو يقرأ كتاب الله في الليل لا يملك نفسه عن البكاء » .

عوني عبد الهادي ١٩٣٦[1]

، ، ،

عوني

« الملك ابن سعود ، من الرجال الذين لا يجود الزمن بمثلهم بسهولة . وقد تنقضي خمسمائة عام كاملة من دون أن يأتي مثله » . جميل مردم ١٩٣٥ [2]

، ، ،

« يمتاز الملك عبد العزيز ، فوق خصال الشجاعة والكرم والعقل ، بتبسطه في الحديث ، وعدم التكلّف فيه ، والمؤانسة لزائره . وهو في جزيرة العرب

(١) توفي في القاهرة ، سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)
(٢) توفي في القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠م) ودفن بدمشق

ليس ملكاً فحسب ، بل رئيس أُسرة . ومن عجيب شأنه أن هذه الاسرة جمعت خصومه الأولين وأعداءه وأولياءه في ساحته . وكان مما يعجبني ، وقد تشرفت بأن كنت ضيفاً له مرتين ، أن أرى على مائدته أو في الصيد معه ، أولئك الذين قاتلهم أو قاتل آباءهم من قبل ، يعاملون معاملة الإخوة والأبناء »

عبد الرحمن عزام

، ، ،



« سيخلّد التاريخ ذكر الملك الحكيم عبد العزيز الفيصل »

إبراهيم عبد القادر المازني ١٩٣٦ (١)

، ، ،

« إن الذين عرفوا الملك عبد العزيز ، قبل الحرب الكبرى وبعدها ، يشهدون بأنه أبدى من الشجاعة والعبقرية السياسية ما أبلغه بحق إلى المقام الذي صار إليه . ولم يكسب هذا المقام بشجاعته ومقدرته العبقرية وحدهما ، بل أبدى من المقدرة الإدارية وتنظيم الأحكام ما مكّنه من تحقيق إصلاح كبير في بلاد حرمت أسباب الثروة والعلم ، واشتهرت بما يضطرم فيها من نيران الحقد والمنافسة . فعرف هذا الملك كيف يسوسها ، ويوفق بين نزعات أهلها ، ويلطّف من الطباع الجافية ، مع الحرص على فضائل أصحابها وشجاعتهم وتقشفهم وعدم استرسالهم في المسرات والملذات وقد رأى سوء فعلها في البلدان الأخرى »

خليل ثابت ، في المقطم ٧ يناير ١٩٣٧ (١)

، ، ،

« الملك عبد العزيز شديد الغيرة على توثيق عرى الصداقة بين الشعوب

---

(١) انظر ترجمته في الأعلام .

(٢) توفي في القاهرة سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م)

العربيةالتي يعدّها أعضاء في جسم واحد. ويرى أنلا عزة لتلك البلاد إلا إذا عمل بعضها مع بعض للخير المتبادل العامّ » . عوض البحراوي وزير مصر المفوض [١]

، ، ،


أسعد داغر [٢]

« كنت كلما تعمقت في درس شخصية ابن سعود ، أزداد تقديراً له . فالطريقة التي استردّ بها إمارة نجد ، والمشاقّ التي كابدها في حروبه مع ابن رشيد ، وطرده الترك من الحسا ، واستيلاؤه على الحجاز وعسير ، وحربه وصلحه مع اليمن ، وتدخله بعد ذلك في الشؤون العربية بالتدريج أكسبه عطف العرب جميعاً ، وضاعف إجلاله في العالم كله .

« الملك عبد العزيز ، هو أول من وضع لبنة في صرح بعث القومية العربية . وكان أول من نادى بالقيادة العربية المشتركة . وأول من وحد القيادة بين الجيشين الشقيقين السعودي والمصري ، كان ذلك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨

عبد الجواد علي ١٩٥٦

، ، ،

« كان الملك عبد العزيز ، خفيف الروح ، حلو النكتة ، لطيف التهكم . خاض أكثر من ١٥٠ معركة ، ولما مات وجد على جسمه ٤٣ ندبة وأثر جرح .

حمد الحقيل [٣]

، ، ،

« قالوا لي إنك سحّار يا عبد العزيز . صدقوا والله . أنت سحرتني بكرمك !

أعرابي

---

(١) توفي سنة ١٩٤٨ وانظر كلمة عنه في الأهرام ٣٠/٨/ ١٩٤٨

(٢) مذكراته ١٩٨

(٣) في كتابه « عبد العزيز في التاريخ » ١٥

إكباره للعلماء وأساليبه في الإقناع

كان لعلماء الدين المقام الأول عند الملك عبد العزيز . يقدّمهم على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه ، ويصغي إلى آرائهم ويبالغ في إكرامهم . وقلّ أن يجادلهم في أمر يرون فيه ما لا يرى قبل أن يفسح المجال لهم للمناقشة فيه فيما بينهم . فإن انفرد بعضهم أو أحدهم بما يوافق رأيه ، لم يعجل في الأخذ بما قال ، وتريث إلى أن يقنع الآخرون .

وعوّدهم إذا بدا لهم أمر ، ورأوا فيه « النصيحة » له ، أن يجتمعوا فيما بينهم ، ويكتبوا خطّاً (كتاباً) يذيلونه بتوقيعاتهم ، ثم يحضرون لمقابلته ، أو يكلفون واحداً منهم أن يعرضه عليه ، بالنيابة عنهم ، فيرى فيه رأيه . و « الشيوخ أبخص » كما يقول جمهور النجديين ، أي : الملك أدرى .

وكان لكبارهم هيبة في نفسه ، لا يصطنعها ولا يتعمّلها . ولا سيما آل الشيخ ، حفَدَة من قامت على دعوته دعائم المملكة في سابق عهدها . سُمع مرّةً يقول : ما لقيت الشيخ – يعني عبد الله بن عبد اللطيف – إلا تصبّب العرق من إبطي ...

ويقول الشيخ محمد نصيف ، وجيه جدّة وعالمها ، فيما نقله عنه أمين المميز : علماء المملكة صنفان ، صنف القَبَليين المنتسبين إلى إحدى القبائل المعروفة ، يستمدون قوتهم ونفوذهم من قبيلتهم ، وصنف الحَضَريين

غير المنتمين إلى إحدى القبائل ، وهؤلاء يستمدون نفوذهم من شخصيتهم ومن علمهم .

ويقول حافظ وهبة في « جزيرة العرب »: لقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجالد في سبيل التلفون والتلغراف اللاسلكي ، مرةً مع الإخوان وآونةً أخرى مع العلماء ، نحو عشر سنوات . وكان هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارث حفيظة « الإخوان »

ويبالغ الكُتّاب في وصف ما كان يبذله من الجهد في بدء نموّ الدولة ، لإقناع المشايخ ،ولا سيما «الإخوان» سكان « الهِجَر » بأنّ استخدام الآلات الحديثة كاللاسلكي والتلفون والسيارات ، لا حَرَج فيه من الدين . ومن أشدّ مواقفه في نقاشهم ، يوم اتفق جمع منهم على أن دخول الأميركيين (الكفَرة) إلى بلاد الأحساء وشواطىء الخليج (مناطق البترول) سيجرّ معه دخول المفاسد من خمر و « فونوغراف » وسواهما .

ويقول فلبي ، في « تاريخ نجد » : إن أول سيارة دخلت الحَوْطة (حوطة بني تميم) قد أُحرقت علناً، في السوق العامّ ، وكاد سائقها يلقى مصيرها أيضاً.

وتكررت في كتب العرب والإفرنج قصة « التلفون » وشيوع القول في نجد ، على الخصوص ، بأنه من عمل الشيطان . حتى اضطُرّ الملك عبد العزيز ، قبل دخول جدة ، إلى تأجيل مَدّ الأسْلاك التلفونية بين مكة ومقرّ إقامته في جبهة القتال ، بضعة أسابيع ، دفعاً للثورة النفسية والبلبلة في جنده وفي المتزمتين من أطراف رجاله . وظلّ يعمل في بث الدعوة بينهم ، بتلاوة آيات من القرآن أمام الهاتف ، وبالهاتف نفسه . ولا يشكّون في أن الشيطان يفرّ عند تلاوة القرآن ؛ إلى أن آمنوا بأن الهاتف من صنع الإنسان .

وكما حدث للهاتف ، حدث للتلغراف ، وللسيارة وللدرّاجة النارية (الموتور سايكل) وفيهم من سماها بعد ذلك القَعْقَعان ، لصوت حركتها . وجاء لفظ القعقعان في مقالة للمازني الكاتب المصري المعروف ، سمعه من أمير سعوديّ فاستطرفه .

على أن هنالك ما لا ينبغي إغفاله . وهو أن الملك عبد العزيز كان يعلم أن المرء عدوّ ما جهِل ، ويعلم أن أكثر من عارضوه في استخدام الآلات الحديثة ، إنما كانوا يَصْدرون عن نية حسنة . ويعلم أن هؤلاء ذوي النيّات الحسنة خاصة ، لم تكن معارضتهم ، لرغبة في الشغب ، أو لعرقلة تقدمه الاجتماعي والنظامي بالدولة . بل يعارضون ، لأن الواجب ديناً ، ولأن من مقتضيات الإخلاص للإمام ، أن ينصحوه فيما يعن لهم أنه انحرف فيه عن نهج السداد .

، ، ،

ولا شك في أنه بعد أن رسخت دعائم الدولة ، كان من اليسير عليه أن يقابل المتدخلين منهم فيما لا يعنيهم ، بالإعراض . ويتابع سيره فيما يعتقد صلاحه لبلاده ، ويأخذ متشدديهم بالزجر . ولكن عبد العزيز الحكيم المتأني ، الحريص على أن تلتفّ قلوب الناس حوله قبل جسومهم ، كان يُكبر — في دخيلة نفسه — جرأتهم ، ويُجلّ صراحتهم ، ويطيل التفكير في حلّ عقدهم النفسية ، ويلتمس العذر لمن عادى ما يجهل منهم ، ويُقدّم الإقناع على الإسراع فعمد إلى شتى الوسائل لإزالة ما علق في أذهان فريق منهم من أن الآلات الحديثة ضرب من السحر أو عبث من الشيطان ، فلما أدركت كثرتهم ، بُطلان ذلك مضى في سبيله يبني ويجدّد ويصلح .

ولم يخل الجوّ فيما بعد ، من « تصلّب » أفراد منهم ، كان يجاريهم فيما يهون عليه أن يجاريهم فيه ، من آراء وتدخلات . وأيسرها عنده ما يتعلق به شخصياً ، كموقفه يوم تقرر الاحتفال بعيد رسمي لمرور خمسين عاماً على فتح الرياض ٤ شوال ١٣٦٩هـ (٢١ يوليو ١٩٥٠) فقد أعدت الحكومة والجماهير الوسائل لإقامة المهرجانات في عامّة الحواضر ، وبدأت الصحف تشير إلى ذلك من يوم ١٥ رمضان ١٣٦٩ (١٩٥٠/٧/٢) إلا أن وزارة الخارجية في جدة ، ما عتمت أن أصدرت بياناً قالت فيه : « كانت الحكومة قد قررت الاحتفال بالذكرى الذهبية لدخول جلالة الملك إلى الرياض منذ ٥٠ سنة ، وقد استُفتي علماء الدين مؤخّراً في ذلك ، فأفتوا بأنه ليس من سنن المسلمين ، ولا يجوز أن يتخذ المسلمون عيداً إلا في عيدي الفطر والأضحى . ونزولاً

من جلالته على حكم الشريعة ، أمر بإلغاء المراسم والترتيبات »

وكتب لي يوسف ياسين ، من الرياض في (١٣٥٨/١٢/١٧) : « إن إلغاء لفظ العيد كان بأمر ملكي ، نزولاً على رأي علماء نجد ، لأنهم رأوا ابتداعاً في تسمية أيام بأيام العيد لم ينزل الله بها سلطاناً ، فافهم عافاك الله ... »

وسواء أكان الملك عبد العزيز قد استفتى العلماء ، كما يقول بيان الخارجية ، أم أن العلماء « تطوّعوا » لإفتائه ، كما فهمنا وفهم جميع الناس يومذاك ، فإن هذا لم يكن بالأمر الذي يعز عليه الاستسلام أمامه والموافقة عليه ، لعلاقته به ، وبيوم من أيام انتصاراته التي تتابعت بعده.أما إذا بلغ الأمر بأحدهم مبلغ المس من قريب أو بعيد ، بسياسة الدولة أو سير عجلة الإصلاح، فهنالك « الحَزْم » بعد استنفاد أساليب الإقناع ، خصوصاً عندما كانت الدولة في إبّان نشوئها .

ومثل هذا ما سبق أن حدث قبله بعشرين سنة،ورواه « كنث وليمز » بقوله : « قام علماء نجد والحجاز سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) يعترضون بأن حفلة التتويج التي تقام لجلالته ، بمناسبة اعتلائه عرش الحجاز ونجد ، في الثامن من يناير ١٩٢٦ لا مبرر لها ، وأنها عادة أوربية أكثر منها إسلامية أو عربية . فرحب الملك المتواضع بهؤلاء العلماء وسمع اعتراضهم واعترف بوجاهته .

هاتوا المقص !

ويُروى من تسامحه فيما يتعلق بشخصه ، أن أحد العلماء دخل عليه ، وهو يتمشى في قصره بالرياض ، وعليه ثوب طويل يمسّ الأرض ؛ فقال له : الله الله يا عبد العزيز ! لقد دخلك الكبر ، وصرت تجرّ ذيلك وراءك !.. والتفت عبد العزيز إلى الخدم في الحال ، قائلاً : هاتوا المقصّ ! فلما جاؤوا به أعطاه إلى الشيخ ، وقال : قصّ ما تراه مخالفاً للدين !

، ، ،

وكنت مساء يوم ، في مجلس الملك ، على سطح المربّع ، فجاءه بعض

المشايخ ، فعرضوا عليه رسالة مخطوطة في بضع صفحات ، يستأذنونه في نشرها ، موضوعها الردّ على الشيعة . وفيها كثير من المطاعن وإثارة الشحناء ، فوعدهم بالنظر فيها . ولما انصرفوا دفعها إلى أحد ثقاته ، وأمره أن يكتب (على أوراق أخرى) كل ما يبدو له من حذف وإصلاح ، ويعيدها إليه (نظيفة !) عند صلاة الفجر . وانكبّ بعد الصلاة ، في الصباح ، على إصلاح الرسالة بقلمه ، كما أصلحها الثقة .

ولما جلس للناس ، جلسته المعتادة في الضحى ، أقبل الجماعة ، فلاطفهم بأدبه المعروف مع أمثالهم ، وسلّمهم الرسالة ، مليئة بالحذف والإثبات ، بخطه وقلمه ، وقال لهم : إنكم أصحاب دين ، ولستم أصحاب سياسة ؛ فإذا أردتم نشر الرسالة فلتكن كما ترون !

، ، ،

ويقول حافظ وهبة : أخبرني جلالة الملك في شعبان ١٣٥١هـ (ديسمبر ١٩٣٢م) أثناء زيارتي للرياض ، أن المشايخ حضروا عنده سنة ١٣٣١ (قبل عشرين سنة) لما علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية ، في الرياض وبعض المدن الكبيرة في نجد ، فقالوا له : يا طويل العمر ، لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله إلى بلادنا . فقال الملك ؛ لقد أخطأتم فلم يغشّنا أحد . ثم قال : إخواني المشايخ ، أنتم الآن فوق رأسي ، تماسكوا بعضكم ببعض ، لا تدعوني أهزّ رأسي فيقع بعضكم أو أكثركم ! وأنتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مرة ثانية . مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد ، بعد أن ظهرت فائدتهما لي ولبلادي : اللاسلكي والسيارات . وما من دليل في كتاب أو سنّة يمنع من استعمالهما .

، ، ،

ثم كان الملك عبد العزيز في المدة الأخيرة من حياته ، إذا ذكر ما لقي من بعض المشايخ في إبّان وثبته ، أكثر من حمد الله على توفيقه له في أخذ النصحاء منهم بالرفق ، ونوّه بذكر السابقين منهم إلى الاقتناع ، وبما كان لمواقفهم في نصرته ، من الأثر في قمع المتشددين وهداية المستر شدين .

عَلِّمه التوحيد !

في إحدى زيارات الملك عبد العزيز لبلدة الخَرْج (يوم ٧ ذي الحجة ١٣٦٣) دخل عليه شاعر من أهل نجد ، وفي يده قصيدة استأذنه في إلقائها ، وابتدأ بمطلعها :

أنت آمالنا ، وفيك الرجاء !

فصاح الملك : تخسأ ! ولمح في المجلس الشيخ حَمَد الجاسر ، فقال : علمه التوحيد يا ابن جاسر .!

أمراء العرب

قال عبد العزيز لأمين الريحاني في حديث : تقول أمراء العرب ؟ أنا أعرفهم وقد خبرتهم . العرب لا يعرفون مصلحتهم ، فنعلمهم بها ونُكرههم عليها . قاسينا كثيراً في سبيلهم ، وكان بلاؤنا من أقرب الناس إلينا ..

شرف النسب

نقل أحمد رضوان ، في « طرائف العرب » أن الملك مازح أحد الأشراف مرةً ، فافتخر الشريف بنسبه . فقال له : لك الحق بنسبك ، لولا أنك خلعت ثوب جدك ولبسته أنا !

الملك عبد العزيز

خيوله ، وحديث له عن الخيل

كان عبد العزيز ، من بدء حياته ، وإلى ما بعد ظهور السيارات والطيارات ، كثير العناية بالخيول الأصيلة . وكانت إصطبلات خيوله الخاصة في الرياض ، كما وصفها خبير بالخيل[1] سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦ م) تحوي أشهر « المرابط » وقدر عددها يومئذ بنحو ألف فرس ، قال : إنها ترعى في أنحاء مختلفة من الصحراء ، منها ٢٠٠ اختصها الملك بالتفضيل على سواها ، لأن معظمها من خيول أجداده ، فوضعها في واحة « الخَرْج » حيث تجد كفايتها من البرسيم الحجازي ، وتشرب من المياه الجارية من ينابيع الخرج .

وكان من أجود خيله في حروبه الأولى ، فرس يفضلها لركوبه ، اسمها « مُنيفة » قتلت في إحدى المعارك ، واستعاض عنها بفرس أُخرى تسمى « الصُويتية » ذكرهما فؤاد حمزة في « قلب جزيرة العرب »

حديث الملك

ونقل الدكتور مبروك ، حديثاً للملك عبد العزيز ، عن « الخيل » جاء فيه قول الملك :

« كانت الخيول العربية ، ضرورية جداً للبدو ، قبل عشرين عاماً . حيث

---

(١) الدكتور أحمد مبروك ، رئيس قسم تربية الحيوانات بالجمعية الزراعية بمصر . وكان قد أوفدته الجمعية الزراعية سنة ١٩٣٦ في رحلة ، إلى البلاد العربية ، زار في خلالها الرياض ، وقابل الملك عبد العزيز ، ونشر كتاباً عن رحلته سماه « رحلة إلى بلاد العرب » .

كان الغزو قائماً بينهم على قدم وساق . فكان البدوي لا بدّ له من أن يقتني فرساً أو أكثر مهما يكلفه ذلك من غذاء وماء لها ، حتى حليب إبله ، فإنه يؤثر به أفراسه على أولاده ونفسه . وذلك ليستطيع الكرّ بها على أعدائه والفرّ عليها بما تصل إليه يده من غنيمة ، والنجاة بامتطاء ظهرها . أما الآن ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) وقد أصبح الغزو أثراً بعد عين ، والبلاد آمنة ، لا يخاف الإنسان فيها على نفسه أو ولده أو ماله ، قلّ أو كثر ، فليس هناك حاجة إلى رباط الخيل . لما يتطلبه ذلك من التكاليف الباهظة ، إذ لا يوجد ما يبررها » .

ومن هذا يتضح أن البدوي كان حبه للخيل، ناشئاً عن شدة احتياجه إليها . بل كانت حياته مرتبطة بحياة خيله ، وقد زهد فيها الآن .

ثم قال الملك :

« وكانت الخيل فيما مضى ، عدّة (من عدد الحرب) لصاحبها ، إذ كانت وسائل المقاتلة بالسيوف ، والحراب ، والبنادق القصيرة المدى . أما اليوم وقد صارت الحروب بالبنادق البعيدة المرمى ، فقد أصبحت حياة الخيول وركابها عرضة للخطر المحقق ؛ حيث يلحقها رصاص هذه البندقية السريعة الطلقات ، البعيدة المرمى . وسرعتها تفوق سرعة الخيل بمراحل .

وقال راوي الحديث عن الملك ، بعد ذلك :

وقد ذكر جلالته من قبيل « التدليل » على أن الخيل لا يمكنها الفرار من البنادق البعيدة المرمى ، أنه بعد معركة ، أمكنه أن يعدّ ٤٥٠ فرساً نافقة .

وقال : إن جلالته محبّ للخيل محبة عظيمة . ولكنه يأسف لأن تطورات الزمن ، جعلت الخيل في إدبار والحديد في إقبال ، ولأن انتشار وسائل النقل الآلية انتشاراً متزايداً جعل الناس لا يرون ضرورة لتربية الخيل .

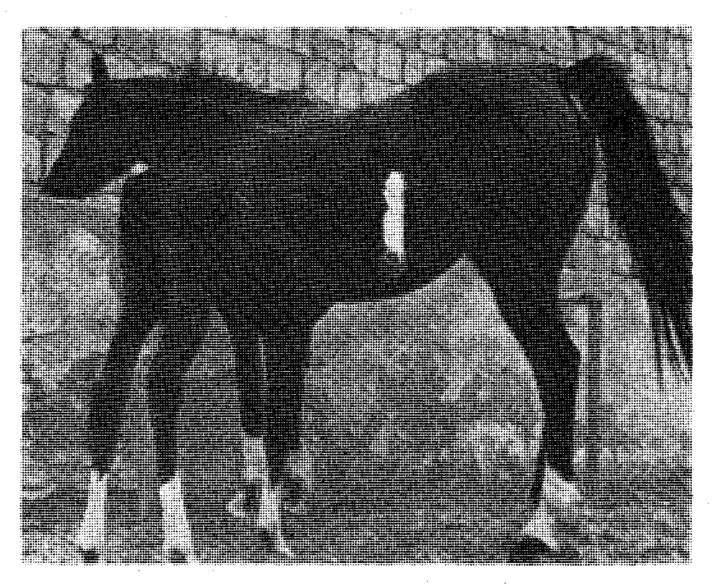
، ، ،

قال سليمان الدخيل [١] سنة ١٣٣٢هـ أواخر (١٩١٣م) : « وفي الرياض

---

(١) لغة العرب ٣ : ٣٥٢

من جياد الخيل ، ما لا ترى له أمثالاً في سائر ربوع العرب »



وقال الجيولوجي « تويتشل »[١] : « إن الملك – عبد العزيز – وأبناءه ، ومعظم البارزين من العرب السعوديين ، يلذّ لهم ركوب الخيول والسباق ، وكثيراً ما يشاهدون في المسابقات في الرياض والطائف ومراكز أخرى ، حيث يشترك الأمراء أحياناً فيها . ويملك الملك إصطبلاً كبيراً يشتمل على الخيول الأصيلة في اليمامة قرب الخرج »

ثم لاحظ أن الخيول الموجودة في إصطبلات الطائف واليمامة، قليلاً ما تروّض .

، ، ،

وفي الرياض ، عدا خيل الملك عبد العزيز ، خيول معروفة الأصول ، جمعت وزارة الزراعة السعودية ، بعد وفاته ، طائفة منها في إصطبلات على

(١) في كتابه « المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية » ص ٣٥

الطريقة الحديثة ، سمتها « مركز تربية الخيول العربية » كتب أحد زوّارها [١] أن فيها ٢٢٠ فرساً معظمها من الفصائل الأربع الأصيلة وهي : الكحيلة ، والحمدانية ، والعبية ، والصويتية . وأن في هذا المركز سجلاً خاصاً بالخيول وفصائلها ، يبين نسب كل فرس فيه . وأن الإشراف الطبي (البيطري) متوفر في المركز . وهناك صيدلية مجهزة بجميع ما يُحتاج إليه لعلاج الخيول . كما أن هناك مروّضين يبدأون بتدريب الفلوة ، على القفز والسباق من سنّ الثالثة حتى تصبح فرساً .

، ، ،

وتحدث ابن بليهد[٢] عن آبار تعرف اليوم باسم « الحمى » وهي أراض فسيحة ، قال : حماها الملك عبد العزيز ، لخيله . قلت : تقدم ذكرها بشيء من التوسع ، تحت عنوان « حِمَى عبد العزيز »

(١) إبراهيم شكري ، في مجلة قافلة الزيت : صفر ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)
(٢) صحيح الأخبار ١ : ١٧٦

الملك عبد العزيز

عنايته بالطيران والمطارات

كانت للملك عبد العزيز وثبات ، في كل خطوة من خطواته ، في التجديد والإصلاح والإنشاء . هي الأثر البارز في حياته .

ركب « الذلول » في أسفاره البعيدة ، فكان له في مراعي الرياض والبرّ ألوف من أطايب النياق والفحول . وألف « السيارة » فكانت قافلةُ الحجّ الملكي أكبر قافلة عرفتها الصحارى . ثم استعاض عن الذلول والسيارة بالطيارة. ومن المعروف عنه ، أنه إذا أحب شيئاً أكثر منه وحض عليه .

رأى في « الطيران » تقصيراً للمسافات ، وتقريباً للبلاد بعضها من بعض ، وتعجيلاً للبُرد ، وتعزيزاً للصلات بالدول المجاورة ، وإرهاباً وقوة ؛ فشمر عن ساعد الجدّ ودعا بالطائرات فاشتريت ، وبالطيارين فجيء بهم ، ليخلفهم فيما بعد شبان البلاد .

أُرسلت « بعثة » سعودية إلى إيطاليا عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) مؤلفة من عشرة شبان ، لتعلّم الطيران ، فتخرجوا وعادوا . وكانت حكومة الملك عبد العزيز قد اشترت سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) أربع طائرات من ذوات المحرك الواحد فعملوا عليها . وقاموا برحلات داخلية أول الأمر . وأمر بتقويتهم ، بزيادة في التمرين ، فأوفدوا إلى مصر ، وعادوا عند نشوب الحرب العالمية (الثانية) وزيدت طائراتهم قبل ذلك أربعاً أخرى ، منها ثلاث للتدريب ؛ ثم

زيدت ثلاثاً من ذوات المحركات الثلاثة ، فطائرة افرنسية صغيرة سريعة حديثة الصنع ، فطائرة أميركية بلغ بها العدد ثلاث عشرة طائرة في مدة وجيزة .

وأُنشئت للطيران « إدارة » خاصة أُلحقت بعد ذلك بوزارة الدفاع وُسميت « إدارة طائرات الخطوط السعودية » .

وقويت عنايته بالطيران ، في أواخر الحرب ، وبعد انتهائها ؛ فأوعز بشراء خمس طائرات أميركية من طراز « داكوتا » وأضيفت إليها ست من النوع نفسه ، فثلاث أخر ، فخمس من طراز « بريستول » فغيرها .

وأُنشىء خط طيران منظم ، بين المملكة العربية السعودية ، ومصر وسورية ولبنان ؛ لنقل البريد والركاب والبضائع .

وقامت طائرات الخطوط السعودية برحلات كثيرة لنقل الحجاج ، من جدة إلى البحرين والكويت وكراتشي وبومباى والبصرة وبغداد وطهران والخرطوم وكانو ولاغوس وجيبوتي وممبسّة وديريان وجوهانسبرغ وأديس أبابا وطرابلس الغرب وعدن ، كما قامت برحلات إلى أثينا وروما وباريس ولندن .

وأنشأت وزارة الدفاع « مدرسة » للطيران ، بالطائف ، أُرسل فوج من متخرجيها إلى انكلترة . وأكملوا دراساتهم فيها .

المطارات

وأول مطار أُنشىء في بلاد عبد العزيز « مطار جدة » في شماليها الشرقي وهو يُعدّ الآن من أصلح المطارات في الشرق الأوسط ، لنزول الطائرات الصغيرة والكبيرة ، على اختلاف أنواعها . موقعه في الخريطة على الدرجة ٢١ والدقيقة ٣١ شمالاً والدرجة ٣٩ والدقيقة ١١ شرقاً . وترتفع أرضه عن سطح البحر ٥٠ قدماً . ويمكن استعماله ليلاً ونهاراً .

كان فيه مدرجان مرصوفان ، طول أحدهما ٦٠٠٠ قدم ، والآخر ٦٣٥٠ قدماً ، يتسعان لعدد من الطائرات يتراوح بين ٤٠و٦٠ طائرة في الساعة ،

هبوطاً وصعوداً .

بلغت نفقات إنشائه ٤٠٤٥٠٠ دولار . وقد أعلنت جهات لها مكانتها أن « ميناء جدة الجوّي » من أحسن أمثاله في الشرق الأوسط .



(برج المراقبة في مطار جدة)

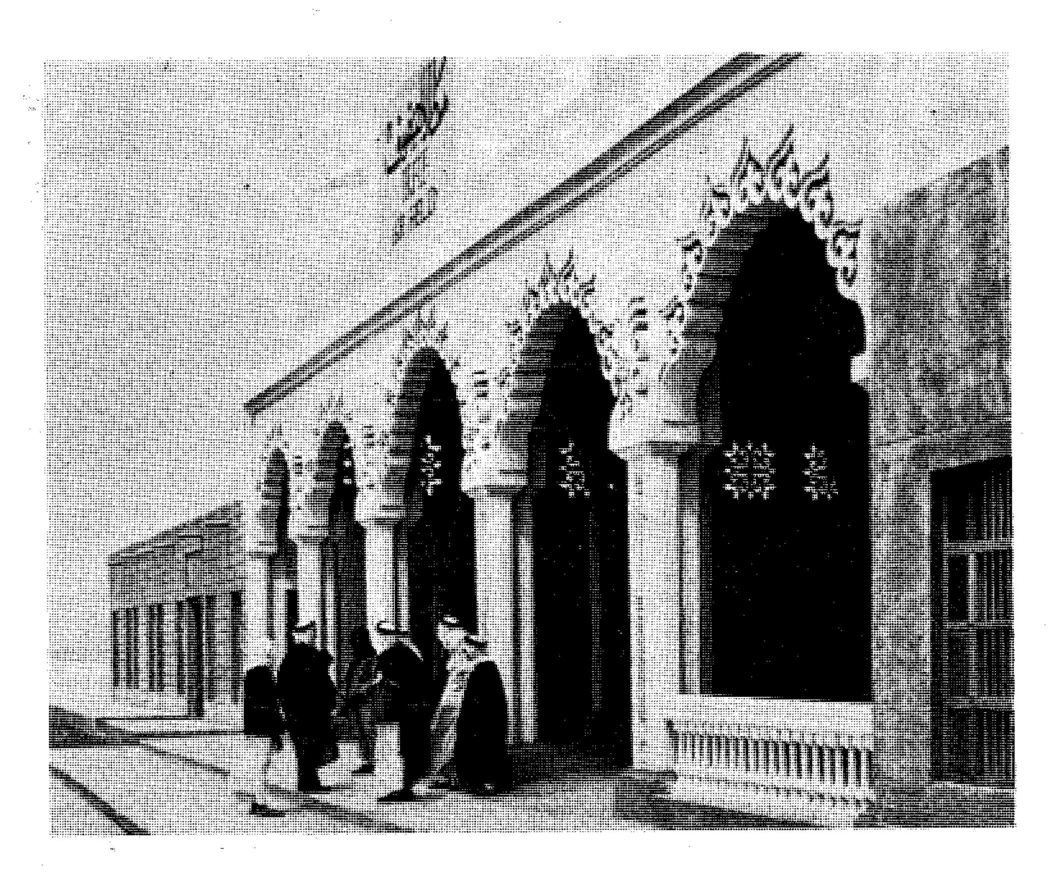
وكانت حركة الطائرات فيه ، في موسم الحجّ (١٣٦٩هـ) بمعدل ٣٠ طائرة كل ٢٤ ساعة .

وفي « مطار جدة » أقيمت « إدارة مصلحة الطيران المدني » للمملكة وهي القاعدة الأساسية لإدارة الخطوط الجوية السعودية ، وحظائرها وورشاتها ومعدّاتها .

مطار الحَوِية : على بعد ٢٨ كيلومتراً من الطائف . وقد أُصلح لنزول الطائرات الصغيرة والكبيرة . وكان يمرّ به البريد الجوي الداخلي ، ثلاث مرات

في الأسبوع . وقامت فيه مدرسة « تعليم الطيران » وهُيِّء ليكون قاعدة لطائرات البريستول ، بما تحتاج إليه من حظائر وورش .

مطار الرياض : يبعد عن الرياض حوالي ٧ أكيال (كيلومترات) وهو صالح لنزول الطائرات الكبيرة. أُحدث فيه أول الأمر ، مدرجان للطائرات تمّ تجهيزهما سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) طول الأول ٥٥٠٠ قدم، والثاني ٦٠٠٠ قدم . وعلى مقربة منهما عمارة حديثة لإدارة المطار ، وأجهزة كاملة للإضاءة ويمكن النزول فيه ليلاً . وكانت تمر به طائرة البريد ثلاث مرات في الأسبوع .



(مطار الهفوف)

مطار الخرج : هو مطار خاصّ . كان به مدرج واحد . يمكن الطائرات الصغيرة والمتوسطة الحجم النزول فيه . وكانت تمر به طائرة البريد مرة في الأسبوع .

مطار الأحساء : على بعد ثلاثة أكيال من بلدة الهفوف . كان به مدرجان وبناية لإدارة المطار واستقبال الركاب . وكانت تمرّ به طائرة البريد مرة في الأسبوع .

مطار الظَّهْران : يبعد عن بلدة الخُبَر نحو ثلاثة أكيال ويعد من أعظم المطارات في المملكة ، بل من أعظمها في الشرق الأوسط . وهو كامل المعدات والأقسام الفنية واللاسلكي والأرصاد الجوية.يتدرب فيه الطلبة السعوديون على إدارة المطارات ،بكل ما تحتاج إليه من دراسات فنية .وهو مستعدّ لاستقبال الطائرات الضخمة ليلاً ونهاراً . ومركزه هامّ ، لوقوعه في طريق المواصلات بين الشرق الأقصى ، والشرق الأدنى . موقعه في الخريطة على الدرجة ٢٦ والدقيقة ١٥شمالاً . والدرجة ٥٠ والدقيقة ٨ شرقاً . وارتفاعه عن سطح البحر ٧٩ قدماً . كانت تمر به طائرات الخطوط السعودية مرتين في الأسبوع ، كما تمرّ به طائرات الشركات العالمية في طريقها بين الشرق والغرب . وقد زُوّد بورشة كبيرة لإصلاح الطائرات بلغت تكاليفها ٢٢٤٠٠ دولار .

مطار رأس مشعاب : موقعه في الخريطة على الدرجة ٢٨ والدقيقة ٧٠ شمالاً والدرجة ٤٨ والدقيقة ٣٥ شرقاً . وارتفاعه عن سطح البحر ٢٠٠ قدم . والنزول فيه على ضوء النهار فقط .

مطار المدينة : يبعد عن المدينة المنورة نحو ١٣ كيلاً . كان قد أصلح لهبوط الطائرات المتوسطة الحجم . وكانت تمر به طائرات البريد في طريقها إلى سورية ولبنان ، مرة في الأسبوع ؛ وإلى مصر مرتين في الأسبوع . وتشتد فيه الحركة خلال موسم الحج للزيارة ، فيبلغ متوسط عدد الطائرات التي تهبط فيه حوالي ١٥ طائرة كل ٢٤ ساعة .

وهناك مطارات داخلية للرحلات الخاصة أصبحت الآن لرحلات عامة

منظمة كمطار حائل ، ومطارات بريدة وسكاكة وينبع والوجه وكثير غيرها .
والمطارات المركزية الآنف ذكرها ، مجهزة جميعاً بمحطات لاسلكية .

، ، ،

أول مرة يطير بها الملك

بين يديّ رسالة خاصة من الشيخ يوسف ياسين ، بتاريخ ٢٥ شول ١٣٦٤ (٤ اكتوبر ١٩٤٥) من جدة ، يقول فيها :

« عدت في هذه الساعة بالطائرة ، من مخيّم جلالة الملك بالحوية ، قرب الطائف .

« وربما يسرك أن تعلم أن جلالته ركب الطائرة من عفيف — بئر على الطريق — إلى الحوية . وكان مسروراً من ذلك »

أقول : كان الملك يومئذ ، قادماً من الرياض إلى الطائف . ثم كانت أسفاره كلها أو أكثرها ، بعد هذه الرحلة القصيرة ، بالطائرة .

الملك عبد العزيز

والشركات الوطنية في بلاده

بدت في عهد الملك عبد العزيز ، ظاهرة طيبة أولاها عنايته وقوّاها . هي روح العمل المشترك ، أو « العمل الجماعي » وكان بروزها طبيعياً بعد أن استقرت البلاد واطمأن الأهلون ، وسادت الثقة معاملاتهم . فتألفت عدة شركات وطنية أقبل الناس على المساهمة فيها ، وتولت الحكومة تذليل العقبات أمامها ، فنجح أكثرها . ونذكر فيما يلي موجز سير بعضها ، في أيامه :

١ ــ الشركة العربية للسيارات : اضطلعت بمهمة النقل في داخل البلاد ، ومُنحت « امتياز » نقل الحجاج . فبلغ رأس مالها اثني عشر مليون ريال سعودي ، أو ما يساوي مليون جنيه استرليني . وكانت تدفع للمساهمين فيها أرباحاً في السنوات الأخيرة ٢٥ ٪ !

٢ــ الشركة العربية للتوفير والاقتصاد : تألفت حوالي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) على أساس تعاوني فريد . إذ جُعل الاشتراك فيها يومياً بقرش واحد . فبدأت بقروش قليلة . وبلغ رأس مالها سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ٨٠٠ ألف ريال (نيفاً ومئة ألف جنيه استرليني)وكان عملها تجهيز الأكسية لرجال الشرطة والاستيراد التجاري ؛ فأنشأت مصنعين صغيرين للنسيج ، وابتاعت باخرتين صغيرتين للنقل في الموانىء القريبة ، حمولة الواحدة منهما أربعمئة طن . وقفزت في أرباحها أول الأمر ، ثم أصبح معدلها ١٥ ٪

٣ — الشركة الاقتصادية الوطنية ، لطحن الحبوب وإنتاج الثلج : تألفت بمكة من مطاحن ومثالج فردية ، فجدّدت آلاتها ، وجنت ربحاً طيباً . بلغ رأس مالها (سنة ١٣٦٩هـ) ٢٢٠ ألف ريال سعودي (نحو ٢٧٥٠٠ جنيه استرليني)

٤ — الشركة العربية للطبع والنشر : أنشأت مطبعة في مكة كانت تطبع عليها جريدة البلاد السعودية ومجلة المنهل ونشرت بعض الكتب المدرسية . أرباحها السنوية حوالي ١٠ ٪

٥ — شركة مصحف مكة المكرمة : ليست من نوع الشركات المتقدم ذكرها . وإنما هي ثمرة تضامن أفراد قلائل ، جمعوا منهم نحو ربع مليون ريال سعودي (نيف و ٣٠ ألف جنيه استرليني) وعهدوا إلى أبرع خطاط في مكة[١] بكتابة «مصحف» واستحضروا له مطبعة خاصة . وطبعوه بمكة .

وهدفهم في ذلك أن مكة أول بقعة نزل بها القرآن الكريم ، تتألف فيها الشركة ؛ وأن كاتباً مكيّاً يكتبه بيده ، في مكة . ثم يطبع فيها ، بأيدي مكيّين أيضاً . وهو أول عمل من نوعه . وقد نجحت فكرتهم بعد اشتغال عشرة أعوام .

وهناك شركات ليست من النوع الأول ، ولا الأخير ، بل هي تجارية محدودة لا يعنينا الحديث عنها هنا .

---

(١) طاهر كردي

المَلِك عَبْد العَزيز

والموازنة الماليـة لبلاده

في كتاب « البلاد العربية السعودية » أن المحاولة الأولى لوضع ميزانية ثابتة للدولة ، أجريت في مطلع عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) ولكن الميزانية تقررت عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) وقد فُصّلت فيها أبواب الواردات والنفقات العامة . واتبعت في وضعها طريقة تكليف الدوائر الرسمية أن تضع مشروعات مفصله لموازنتها ، تقدّم إلى وزارة المالية ، فتدرسها وتبدي ملاحظاتها عليها . ثم تحال إلى مجلس الشورى فيدققها ، ويحيلها إلى مجلس الوكلاء ، لرفعها واستصدار الموافقة الملكية عليها . وبلغت النفقات في تلك الموازنة حوالي ١٤ مليون ريال . وقدّرت الواردات بمثل ذلك .

، ، ،

وأمامنا موازنة أخرى لسنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) [1] بلغت بها النفقات ٢١٤٥٨٦٥٠٠ ريال . ومثلها تقدير الواردات ، أي تزيد على موازنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) بنيف وخمسة عشر ضعفاً .

ويمكن إيجاز هذه الموازنة ، للتعريف بأبواب دخل الدولة ونفقاتها ، يومئذ ؛ بالخلاصة الآتية :

---

(١) نشرت في أم القرى ٣٠ جمادى الأولى ١٣٦٧

الواردات ، بالريال العربي :

٣ ٤٨٢ ٠٠٠ ما يُجبى بغير واسطة . وهو : زكاة المواشي والحبوب والثمار ، وبدل الجهاد ، ورخص الإقامة ، والضريبة العقارية ، وضريبة المعامل الصناعية .

٤٨ ٣٧٧ ٥٠٠ ما يجبى بالواسطة . وهو : رسوم الجمارك ، والمرافىء ، والمحاجر الصحية ، وكتّاب العدل ، والخدمات القضائية ، وتسجيل الشركات ، وتحرير التركات ، وتصديق الصكوك الخارجية ، والطوابع ، ومصالح الحجّ ، والجوازات ، وسوق السيارات ، وترقيم السيارات ، وقيمة حفائظ النفوس ، ورسوم الأسواق .

٦ ٩٢٢ ٠٠٠ حاصلات الاستثمار الصناعي . وهي : حاصلات البرق والبريد والهاتف . وتقطير المياه،وواردات مطبعة الحكومة والجريدة ، ومصلحة الطيران .

١٤٠ ٥٥٠ ٠٠٠ استثمار المعادن . وهي : الزيت والذهب واللؤلؤ والملح .

١١ ١٩٥ ٠٠٠ حاصلات أملاك الدولة . وهي : بدل مبيع أملاك الدولة وإيجارها ، وحاصلات مزارع الدولة ، وإيراد مبيع الأشياء المنقولة ، وقيمة البترول المقرر على شركة الزيت .

٤ ٠٦٠ ٠٠٠ واردات مختلفة . وهي : إصدار النقود ، وصرفيات منفردة ، وقيمة أشياء مصادرة ، وواردات متنوعة ، وجزاآت نقدية ، وفرق عملة ، وأرباح الحكومة من الشركات ، وما يحسم على الموظفين لحساب التقاعد .

٢١٤ ٥٨٦ ٥٠٠ مجموع الوارد .

النفقات المعتمدة ، بالريال العربي :

١٦ ٢١٧ ٠١٥ القصر العالي ، وقصور الأمراء ، والديوان العالي .

٠٠ ٥٩٩ ٠٠٠	ديوان نائب الملك ، ومجلس الوكلاء .
٧٦٦ ٩٦٠	القضاء .
٦٤ ٤٣٣ ٦٧٩	وزارة الدفاع : الجيش النظامي ، وجيش القبائل .
٣ ١٧٨ ٨٩١	وزارة المالية .
٦ ٨٩٣ ٠٨٤	وزارة الخارجية ، والبعثات الخارجية ، واعتماد مبان ومنشآت لها .
٤ ٢٦٢ ٠٠٠	إمارات المقاطعات والملحقات .
١٦١ ٨٤٠	مجلس الشورى .
٧ ٠٢٢ ٢٢٤	مديرية المعارف العامة .
٥ ٠١٤ ٣٠٤	مديرية الصحة العامة .
٥٢٧ ٣٤٠	إدارة الحج .
٤ ٢٢٣ ٦٠٠	مديرية البرق والبريد والهاتف .
٥ ٦٠٨ ٥٠٨	إدارة الأمن العام .
١ ٤٤٣ ٠٠٠	الأشغال العامة .
١ ٥٠١ ٥٠٠	الجمارك .
٠٩٨ ٥٠٠	إدارة إحصاء النفوس .
١ ٢٨٣ ٥٢٠	مديرية خفر السواحل .
٢٢٨ ٣٠٠	مطبعة الحكومة .
٤٨ ٧٠٠	الجريدة (أم القرى) .
٢٩٤ ٨٤٠	إدارة تقطير المياه .
٧٦ ١٨٠	كتّاب العدل .
٥٩٦ ٤٦٠	هيئات الأمر بالمعروف .
١٥ ٥٢٠	المجلس التجاري .
١٠ ٥٦٨ ٦٤٠	إدارة النقليات العامة .

٩٤٦ ٨٦٠ ١٦	النفقات العمومية : نقليات عامة ، وضيافات ، وسفريات واصطياف الخ .
٧٤٣ ١٤٤ ٣	الصدقات .
٠٠٠ ١٤٣ ٦	مديرية الزراعة .
٨٩٠ ٦١٣ ١٠	قواعد العشائر والرواتب الشخصية .
٠٠٠ ٢٥٠	معاشات التقاعد وتعويض التنسيق .
٠٠٠ ٨٤٦ ٤	إعانات المؤسسات الخيرية .
٠٠٠ ٢٥٠ ٨	بدل غلاء المعيشة .
٣١٢ ٥٨٢ ٢	اللوازم العمومية .
٨١٢ ٣١٠ ٤	مصلحة الطيران .
٠٠٠ ٢٦١ ١٦	المشاريع العامة .
١٩٢ ٢٦٠ ٦	الدين العام .
٥٠٠ ٥٨٦ ٢١٤	مجموع النفقات المعتمدة .

وإذا اعتبرنا متوسط سعر الريال ، ثُمن الجنيه المصري ، في ذلك الحين ، فموازنة سنة ١٣٥٣هـ ، لا تزيد على مليون و ٧٥٠ ألف جنيه ، وموازنة سنة ١٣٦٧هـ ، تبلغ حوالي ٢٦ مليوناً و ٨٢٥ ألف جنيه .

وقد جيء ببعض الخبراء الماليين ، من سورية وغيرها ، لمراجعة فصول الموازنة وضبط حساباتها كل عام .

، ، ،

ولعلّ من المفيد ، للدلالة على نموّ دخل الدولة ، أن أشير إلى أن الموازنة الصادر بها مرسوم ملكي في رجب ١٣٨٦ (يناير ١٩٦٦) بلغت ٥,٠٢٥,٠٠٠,٠٠٠

خمسة آلاف وخمسة وعشرين مليون ريال . وهي تعادل ٦٢٨,١٢٥,٠٠٠ ستمائة وثمانية وعشرين مليوناً ومئة وخمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات على تلك النسبة أي اعتبار كل ثمانية ريالات بجنيه واحد . وتكون موازنة سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) قد زادت على الموازنة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ثلاثمئة وستين ضعفاً . وموازنة ١٣٨٦ (١٩٦٦م) زادت على موازنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) نيفاً وثلاثة وعشرين ضعفاً . ويقاس على هذه الزيادة ما كان في الأعوام التالية إلى الآن .



الملك عبد العزيز ، والشيخ حَمَد بن عيسى آل خليفة (١)

---

(١) انظر الصفحة ٥١٦

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

واصطناعه للرجال

كان من أعجب ما يراه الراوُون في مجالس الملك العامة ، في الرياض ، بعد استقرار المملكة ، أنها لا يكاد مجلس منها يخلو من عدد غير قليل من رجال « شمـّر » أمراءَ وشيوخاً وذوي بأس ، كانت لهم ولآباء بعضهم أو لإخوانهم ، مواقف عنيفة في قتال عبد العزيز ، أيام تسلط آل رشيد«الشمـّريين » على بلاد آل سعود . وقد تقدم أنه استصفى ديارهم وضمها إلى مملكته وانقضى سلطانهم على يده ، بعد حروب ووقائع لم تشهد جزيرة العرب مثلها من زمن طويل .

انجلت معاركه مع آل رشيد وأركان إمارتهم ومغاويرها ، عن استسلام من بقي منهم ، ودخولهم في طاعته . وليس هذا بالعجب ، فهو من شأن كل منتصر .. ولكن العجب أن يتحول « المَـوْتورون » منهم والأعداء الألداء بالأمس القريب ، إلى أعضاد له وأنصار ، ومحبين ، يلتفـّون حوله بصدق وإخلاص يبينان في وجوههم وحركاتهم وسكناتهم .

كان يجلس للناس ، ورجال آل سعود في جانب ، ورجال دولته في جانب ، ورجال شمـّر في جانب ...

وتوالدوا في الرياض ، ونشأ أبناؤهم على ما كانوا ولا يزالون عليه ، من ولاء وإخلاص . مكرّمين معززين .

ولم يقتصر الأمر على من ذكرنا من شمّر ، في تحول من ظفر بهم ، عن العداوة والبغضاء إلى الاخلاص والولاء ، بل كان هذا شأن أمثالهم ، وهم كثيرون .

زاره في الرياض نوري الشعلان (شيخ مشايخ « الرولة » من قبيلة عنزة ، في بادية الشام) وكان من قروم البادية ودهاتها ، يغزو ويسطو ويُرهب . وهو يوم زيارته هذه ، للملك عبد العزيز ، قد تجاوز الثمانين من عمره . وفي مجال الحديث ، قال له عبد العزيز : أتعرف هؤلاء يا ابن شعلان ؟ فقال : فيهم كرام من شمّر . قال عبد العزيز ، وأشار إلى أحدهم : هذا ابن فلان... قتلت أباه بيدي . وهذا فلان ألقيته جريحاً أمام فرسي . وهذا فلان جاءني يوم كذا من ورائي يريد قتلي . هم كلهم اليوم ، ولله الحمد ، من رجالي وإخواني !.

قال نوري : سيفك طويل ، يا طويل العمر . قال عبد العزيز : ما أردت اصطناعهم .. وإنما أحللتهم في المكانة التي كانت لهم أيام سلطانهم . إنهم بين آل سُعود ، كآل سعود ...

وليس هذا كل ما كان يحببه إليهم أو يربطهم به . بل هناك أمر أدقّ وأخطر . ذلك أن الملك عبد العزيز كان يعتقد في قرارة نفسه أن الإخلاص « طبع » أو خُلُق أو غريزة ، قلّما يتجرد منه صاحبه . فلما انصرف من القضاء على أكبر خصم له ، في قلب الجزيرة « ابن رشيد » استدعى نفراً من أصحابه ، بينهم « رُشَيد الناصر » وكيل ابن رشيد في دمشق والوسيط بين ابن رشيد والترك (العثمانيين) وكان يتسلم منهم السلاح والعتاد والمال ويبعث بها عوناً لابن رشيد في حربه مع ابن سعود . وقال له عبد العزيز : بماذا أعاقبك ؟ قال : بما تهوى ، وما أنا بنادم على ما فعلت . قال : لقد أخلصتَ في خدمة صاحبك ، وزال صاحبك ، وما يزال فيك حسّ « الإخلاص » فعُد إلى دمشق وأنت وكيلي بها . فكان ممثله في سورية وأخلص في عمله إلى نهاية حياته .


ابراهيم الطاسان

وكان أحد العرفاء في الجيش السعودي يتسلم الأسلحة من ضباط جيش الأشراف، بعد خروج الملك علي بن الحسين الهاشمي من جدة، يسجّل أسماءهم. وسأل أحدهم: ما أسمك؟ قال: إبراهيم الطاسان. وكان معروفاً بالشدة في قتال السعوديين، فنظر إليه العريف شزراً وقال: واللعنة! وأجابه إبراهيم بالمثل – وزاد – وعلت الضجة. ووصل الخبر إلى عبد العزيز، فقال: ائتوني به. فلما أُدخل عليه وعرف به «الإخلاص» في عمله، استخدمه، فكان بعد حين مديراً للطيران ومن أكبر ضباط الجيش السعودي[1].

ولما قام حفداء سعود (عمّ عبد العزيز) على عبد العزيز، أرسل أحدُهم (سلمانُ بن محمد بن سعود) وفداً إلى قَطَر وعُمان ومسقط والبحرين، يستنجد بشيوخها عليه؛ فجمع الوفد سلاحاً منهم ونقوداً، وعاد بها. وعلم بهم أمير القطيف عبد الرحمن بن سُويلم، فانتدب بعض رجاله لضربهم بين البحرين والعُقير، فقبضوا على ثلاثة منهم من آل حُبيش، من العجمان؛ وأرسلهم ابن سويلم، مقيدين إلى عبد العزيز. وقبل إدخالهم عليه أمر بفكّ قيودهم، وبأخذهم إلى المَضيف.

وبعد ثلاثة أيام جيء بهم إليه، وما منهم إلاّ موقن بالموت، فقال لهم: يا أولادي! نحن لا نقهر أحداً ولا نجبره على اتباعنا. من كان منكم يريد الجلوس عندنا، فمرحباً به، ومن أراد الذهاب إلى سلمان، فعليه به. فقال أحدهم (حفيظ بن فهد): نارك ولا جنة سلمان يا طويل العمر! فأمر له

---

(١) توفي سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م). و[illegible] هذا سمعته منه.

بكسوة وبندقية وإثبات اسمه في الديوان . وقال الآخران (محسن العليوي وسعد بن صاهود) : نريد الذهاب إلى سلمان ، نعتزّ معه أو نقتل ! فأمر لكل منهما بكسوة وذلول وشيء من النقود ، وأطلقهما ! فكان الأول من رجاله ، والآخران من دُعاة العودة إلى طاعته ..

وعفا عمّن ناوأه ، من رجالات الحجاز[١] فعادوا إلى بلادهم . وولّى بعضهم مناصب كانوا من المخلصين في عملهم بها ، بقية حياتهم ؛ كطاهر الدباغ ، وعبد الرؤوف الصبان ، وعبد القادر غزاوي ، وعبد الوهاب قزّاز ، وعبد الحميد الخطيب .

ودار بينه وبين هذا الأخير ، حديث[٢] خاطبه فيه عبد الحميد بما خلاصته : قاومناك فيما مضى ، لأنا كنا نعتقد أنك ستكون شرّاً على بلادنا . ولما أدركنا خطأنا انتهزنا فرصة عفوكم ، وجئناكم نطلب مسامحتكم ظاهراً وباطناً .

وأجابه الملك : لا تحاول يا بني أن تعتذر عن الماضي وتبرير موقفكم فيه ، فإني أقدر لكم على كل حال ثباتكم مع أمرائكم السابقين . ومن ينضمّ إلينا بسهولة لا يبعد أن يتخلى عنا بسهولة . ومن ثبت مع غيرنا يثبت معنا إلى النهاية . ولو لم أكن أعتقد بأنه لم يبق لديكم أدنى أمل في الهاشميين لما وثقت بكم ...

، ، ،

وتدور في ذاكرتي ، وأنا أكتب هذا الفصل ، أمثلة كثيرة من نوعه ، عرفت أخبارها من أصحابها أو رُويت لي عنهم . وليس الغرض إيراد الأسماء ، ولكنه الاستدلال على اتجاه عبد العزيز في طريقة استخلاصه الأشخاص ممن أولاهم ثقته ، وكانوا من أشد أعوان خصومه ، فأصبحوا بحسن اصطناعه لهم من خيرة رجاله .

---

(١) في ٧ شوال ١٣٥٣ (يناير ١٩٣٥م)

(٢) الإمام العادل ١ : ٢٣٥ – ٢٤٠

الملك عبد العزيز

سياسته في « تعليماته » السرية

[١]

« تعليمات شخصية من الملك عبد العزيز ، لابنه الأمير فيصل ، بصفته ممثلاً له ، في مؤتمر لندن ، للبحث في قضية فلسطين[١]

١ – قضيّة فلسطين :

« هذه القضية لا تحتاج إلى تعريف ولا بيان . فهي معروفة ومشكلتها غير مجهولة . فإن هناك بلاداً مقدسة احتلها الإنكليز وأعطوا اليهود وعداً بإقامة وطن قومي لهم فيها ، على شرط أن لا يضرّ ذلك بمصالح أهاليها العرب .

وكان من نتائج ذلك أن تزايد عدد اليهود في فلسطين وعظم أمرهم وخطرهم إلى أن حصلت الثورات المتتابعة في فلسطين . ومن تتبّع المذكرات التي سبق إرسالها منا للبريطانيين ، والأحاديث التي أُجريت معنا ؛ تعلمون وجهة نظرنا في القضية ، والمخاطر والمحاذير التي تتعرض لها الصداقة بين العرب وبريطانيا ، بسبب سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين . وأن العرب لا يمكن أن يؤمن جانبهم ، أو تصافيهم مع بريطانيا ، إذا لم تحلّ قضية فلسطين ، على وجه يؤمن العدل

(١) لم أظفر بتاريخ لهذه « التعليمات » ولكن من الواضح أنها كتبت قبل اجتماع رؤساء الوفود العربية الذي سبق انعقاد مؤتمر لندن ؛ أي كتبت حوالى شوال ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ١٩٣٨)

والإنصاف . فينبغي أن يكون مجراكم في أحاديثكم مع رجال الحكومةالبريطانية على أساس المذكرات والأحاديث التي سبق أن قدمت للحكومة البريطانية .

٢ – تمثيل أهل فلسطين :

« إن هذه القضية لم تحلّ إلى الآن . والمشكلة متأتية عن تعارض رغبة الإنكليز مع رغبة أهل فلسطين ، فالإنكليز يهمهم أن يكون ممثلو فلسطين من الموافقين لهم والمعارضين لهم . والمفتي وجماعته مصرّون على اعتبارهم وحدهم ممثلين لفلسطين. وفي كلا الحالين فإن المفتي وجماعته إلى الآن لم ينتخبوا ممثليهم. وسنكون حريصين جدّ الحرص على إنهاء هذه المشكلة ، بقدر الإمكان . فإذا حضر ممثلون عن المفتي وجماعته ، فسيكون ذلك مسهلاً للمهمة ، وإذا لم يحضروا فتكون هناك مصاعب في حل المشكلة . وأنتم يجب أن تكونوا حريصين في جميع أحاديثكم ، في مصر أو في أيّ مكان آخر ، على أنكم ترغبون كل الرغبة في أن يمثّل أهل فلسطين ، تمثيلاً صحيحاً ، وأن مهمتكم في لندن هي المطالبة بحقوق العرب ، وليست المطالبة بحقوق الأحزاب ! وأن مطالب فلسطين معروفة وحقوق العرب فيها معروفة .

« فإذا تمّ انتخاب أهل فلسطين على الوجه المطلوب ، فالخطة هي الموافقة على مطالب أهل فلسطين ، ومناصرتها . وإن لم ينتخب المفتي وجماعته أحداً فينبغي الاجتهاد ، مهما أمكن ، لمعرفة المطالب التي يطلبها الذين يمثلون مجاهدي فلسطين ، إذا تقدموا بها إلى بعض الحكومات العربية أو الحكومة البريطانية .

٣ – مؤتمر القاهرة :

« تعلمون أن الحكومة المصرية ، راغبة في أن يكون اجتماع المندوبين في القاهرة ، قبل سفرهم إلى لندن . فإذا تمّ الاتفاق على ذلك الاجتماع ، فستكون الأبحاث منحصرة في موضوعين (الأول) في تأمين تمثيل أهل فلسطين في المؤتمر ، و (الثاني) في المطالب التي تتفق الحكومات العربية على تقديمها

للحكومة البريطانية كأساس للمفاوضات .

« أما فيما يتعلق بتمثيل أهل فلسطين ، فينبغي أن يكون موقفكم كما ذكر أعلاه . وبذل كل ما تستطيعونه من الجهد والنفوذ ، لتأمين تمثيل أهل فلسطين ، على أكمل وجه . وجميع ما تتفقون عليه مع الجماعة في هذا الشأن امضوا فيه بدون حاجة لاستئذاننا . واجتهدوا أن تتصلوا بالسفير البريطاني بمصر لإقناعه بوجهة النظر فيما تتفقون عليه مع مندوبي الحكومات العربية .

« وأما النقطة الثانية ، فيمكن أن توضحوا لمندوبي الحكومات العربية بأنه ليس لنا غاية خاصة في الشكل المقترح للحل ، غير تأمين مطالب أهل فلسطين ، وأن تجعل تلك المطالب كأساس لتلك المفاوضات . وكل مشروع إجمالي يحوي (أولاً) تأمين منع الهجرة اليهودية (ثانياً) يمنع بيع الأراضي لليهود (ثالثاً) تأمين استقلال فلسطين ، فإن كل مشروع يُبنى على هذه الأساسات الإجمالية لا نرى بأساً من أن توافقوا عليه أول الأمر . وابذلوا كل جهد لمنع الدخول في التفاصيل والتفرعات ، قبل معرفة ما عند الإنكليز ، وما يراه ممثلو فلسطين ، في هذه الأساسات . .

٤ — في لندن :

« قد لا يكون من الممكن كتابة تعليمات عن الخطة التي تنهجونها في لندن . وينبغي ملاحظة ثلاثة أمور — ١ — علاقات الصداقة التي بيننا وبين الإنكليز — ٢ — المظهر العربي الصحيح لنا ، بشكل لا يجعل موقفكم دون موقف أية حكومة من الحكومات العربية في مناصرة فلسطين — ٣ — اتخاذ الخطة التي تعتقدون أنها تؤمن الغاية لوصول أهل فلسطين إلى مطالبهم .

« ولمعلوميتكم الخاصة : إن الذي يهمنا في الوقت الحاضر ، بصورة مباشرة ، هو إذا تمكنتم من الحصول على منع الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضي ،

فكل شيء وكل طريقة يمكن أن تحفظ فلسطين من الخطر المحدق بها . وستقابلون أحد أمرين بالنتيجة : إما أن يفشل المؤتمر ، أو ينجح ، فإن فشل فيكون موقفكم كموقف الحكومات الأخرى ، وإن نجح المؤتمر فهناك أمران لكل منهما علاقة بالآخر (الأول) شكل الحكومة في فلسطين (والثاني) الضمانة التي يطلبها الإنكليز لليهود الذين في فلسطين في الوقت الحاضر .

« أما شكل الحكومة في فلسطين فمن المصلحة أن تكون حكومة جمهورية. وهذه الطريقة ترضي الجميع ، ولا تجعل مجالاً للتخاصم والتسابق على النفوذ فيها.

« والثاني مسألة ضمانة اليهود المقيمين في فلسطين في الوقت الحاضر ، فإن الحكومة البريطانية صرحت في عدة مناسبات أنه لا يمكنها أن تسلّم اليهود لأيدي العرب . وللخروج من هذه المشكلة يمكن البحث في أنه إذا وافقت الحكومة البريطانية على منع الهجرة وعلى منع بيع الأراضي فيمكن أن تتعهد حكومات الحلف العربي (ومصر ، إذا أرادت الدخول مع هذه الحكومات) بضمان حقوق اليهود بصفتهم أقلية سيُنص عليها في المعاهدة ، بشرط أن لا يحدث اليهود أحداثاً لمناوأة العرب أو مقاومتهم .

« وعلى الإجمال ، فالشيء الذي لا يمكن أن توافقوا عليه هو أن يتقدم أيّ شخص أو أيّ حكومة على حكومتنا في أن يكون له أيّ مركز ممتاز في فلسطين. ونحن لا نطلب جرّ مغنم ، وإنما سعينا منحصر في دفع الضرر عنا .

« وبالنظر لأن أبحاث المؤتمر قد تكون على عجلة ، وقد لا يكون هناك مجال لاستشارتنا فيما يعرض لكم . والشيء الذي تخشون فوات المنفعة فيه أو دفع المضرّة ، فلا بأس في أن تمضوا فيه ، إذا كان مطابقاً لما ذكرناه لكم أعلاه . وإن كان بالإمكان استشارتنا ، فالأحسن أخذ موافقتنا قبل مبادرتكم بأيّ شيء » .

[٢]

تعليمات للأمير سعود ، في رحلته إلى أميركا :

في أوائل سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) تقرر أن يسافر الأمير سعود ، كبير أبناء الملك عبد العزيز ، في زيارة رسمية ، إلى الولايات المتحدة الأميركية . ورأى الملك أن يرسل معه وكيل خارجيته يومئذ « فؤاد حمزة » بوصفه « وزير دولة ، وسفيراً فوق العادة » وكانت الرحلة في صفر ١٣٦٦ (يناير ١٩٤٧)

وقبل السفر ، أملى الملك على بعض كتّابه ، وفؤاد حمزة في جملتهم ، توجيهات لولده المسافر ، وتعليمات سرية ، في سياسة الدولة وعلاقاتها الأميركية خاصة ، والخارجية بصفة عامة ، نسّقها فؤاد ، وسماها « إرشادات وإشارات » وأقرّها الملك ، بالنصّ الآتي :

أولاً — الزيارة : هي تلبية لدعوة الرئيس ترومان ، ذات طابع رسمي محض .

ثانياً — كتاب ملكي : قد كتبنا كتاباً منا للرئيس ترومان ليس فيه من المواضيع السياسية إلا إظهار الامتنان من توجيه الدعوة ، وحصول السرور من تلبيتها ، ووجود مصالح عديدة ، ومشاعر بأهداف عامة تربط بلادنا بروابط الصداقة والمنفعة مع الولايات المتحدة الأميركية . فهذا الكتاب ستقدمونه للرئيس إن شاء الله ، وتؤكدون له ولرجال حكومته تصميمنا على اتخاذ جميع التدابير التي تكفل حسن العلاقات وتنمية الصداقة والمصالح الاقتصادية والأدبية للجانبين .

ثالثاً — الصداقة الأميركية : أكدوا للرئيس ولرجال حكومته ولجميع من تقابلونهم ، وفي جميع المناسبات التي يتاح لكم البحث فيها ، محبتنا لأميركا

وتمسكنا بالمبادىء التي أعلنت وما تزال تعلن عنها ، ورغبتنا الصادقة في أن تظل علاقاتنا قوية . مصممون بحول الله على تقوية هذه العلاقات الودية ، في جميع مناحي السياسة والاقتصاد .

وأظهروا لهم أننا قد نظرنا بعين الرضاء والاطمئنان ، إلى ترك الولايات المتحدة سياسة العزلة والانقطاع التي كانت تسير عليها في الماضي ، وعلقنا الآمال الجسام على دخولها في معترك سياسة الشرقين الأدنى والأوسط . وأملنا في أن يصبح النهج العامّ للسياسة الأميركية ، ثابتاً بحيث يمكننا الاطمئنان إلى الاستقرار . أما ما يتعلق بنا ، بصورة خاصة ، فأكدوا لهم شديد رغبتنا ووطيد عزمنا على بذل المستطاع ، للتأثر مع أميركا بكل ما فيه استقرار السلام في ربوع الشرق الأوسط ،وعدم حصول ما يخل بالوضع الراهن في البلاد العربية ، واتباع المبادىء المقررة في صلك هيئة الأمم المتحدة .

ويمكننا الجزم بصورة قاطعة في الحال والاستقبال أننا لا نرى أيّ احتمال لقيام صعوبات سياسية بيننا وبين الولايات المتحدة ، ما دامت المبادىء المقررة للسياسة المتبعة هي نفسها ، ولا نعتقد أن الولايات المتحدة تفكر في الانحراف عن هذه السياسة التي تبنتها حتى الآن . اللهم إلاّ ما هو متعلق بموقفنا من القضية الصهيونية ، فهذه لها وجه سنتكلم عنه هنا قريباً .

رابعاً ــ نحن وبريطانيا : كلما سنحت لكم الفرصة أفهموا الرئيس ترومان ورجال حكومته أننا ، منذ نشأتنا ، كنا ولا نزال أصدقاء أوفياء لبريطانيا . والحق أنه بالرغم من حصول ظروف ومناسبات ، خلال سنوات طويلة ، اضطررنا فيها إلى مجابهة مشكلات ومتاعب عديدة ، فإن الخطوط الأساسية لسياسة الفريق الواحد تجاه الفريق الآخر ظلت ثابتة وطيدة. وقد خَبَرنا الإنكليز وهم خَبَرونا ، وعرفناهم وهم عرفونا . ولذلك أصبح العمل فيما بيننا سهلاً والتفاهم هيناً. ويعلم الجميع الموقف الودي الصادق الذي اتخذناه تجاه بريطانيا، أيام محنتها في الحرب الأخيرة ، وكيف أننا لم نتخلّ عن صداقتنا معها في الوقت

الذي تركها فيه أدنى الناس إليها . وهذا الموقف الرائع الذي وقفناه ، هو الذي أدى بالحكومة البريطانية إلى الاعتراف بأنها لن تنسى لنا موقفنا هذا في أيامها السوداء .

ذكرنا هذا لكي نقول : إننا أصدقاء أوفياء لبريطانيا . ولم نجد منها إجمالاً إلاّ الصداقة ، برغم وجود صعوبات من وقت لآخر ، وبرغم اتخاذها مواقف سلبية أو غير ودية في بعض الأحيان التي تتعارض فيها سياستنا مع سياسة الأشراف أو سواهم من أضدادنا السياسيين مثلاً .

خامساً ــ شعورنا بالتبدل : غير أن انتهاء الحرب ، ودخول السياسة الأميركية إلى الشرق الأوسط ، بشكل نشيط فعال ، قد أوجد لدينا شعور يبدو لنا الآن أنه ينطوي على بعض التحوّل في سياسة بريطانيا التقليدية تجاهنا . ولم يعد خافياً على أحد التزاحم والتنافس اللذان كان الموظفون البريطانيون يبدونهما ، إزاء نشاط الساسة ورجال الأعمال الأميركيين . ونحن لا ننكراً أن من مصلحة السياستين ، الأميركية والبريطانية ، التعاون في الشؤون العالمية ، وبشؤون هيئة الأمم المتحدة والسلام العالمي ، والسير جنباً إلى جنب في كل ما له ارتباط بسياستهما ، تجاه روسيا والكتلة السلافية . إلا أننا نرى أن كلاً من السياستين ، له أسلوب خاص في بعض المناطق . ولا شك في أن بريطانيا ، كانت حريصة على الاحتفاظ بمنطقة الشرق الأوسط ، ضمن دائرة النفوذ السياسي والاقتصادي البريطاني . غير أن دخول أميركا بنشاطها الملموس ، أثار مخاوف الإنكليز . ومن ثم بدأنا نشعر بانحرافهم عنا إلى خصومنا . ونستطيع أن نجزم بأنه لولا دخول أميركا في سياسة الشرق الأوسط ، ولو لم نكن في مقدمة البلدان التي ازدادت علاقتها السياسية والاقتصادية بها ، لما كان يدور في خلد بريطانيا أن تنحرف عن سياستها الودية التقليدية تجاهنا . وقد ظهرت بوادر هذا الانحراف ، في عدة أشكال . أهمها عدول بريطانيا عن سياسة التوازن بيننا وبين خصومنا ، وشروعها في تقويتهم بصورة مباشرة وغير مباشرة .

سادساً – ضرورة تفاهمنا مع أميركا : فنحن كما ذكرنا سابقاً نعتبر بريطانيا صديقتنا التقليدية . ولا نريد أن نتبع أية سياسة تتعارض معها .ولكنها إذا اضطرتها الظروف القاهرة إلى مناهضة سياستنا ، بسبب اتفاقنا مع أميركا ، وإذا كانت تريد أن تقوم بنصرة سوانا علينا ، فإننا في هذه الحالة نرى أنفسنا مضطرين إلى التفاهم ، بصراحة تامة وبدون مواربة ولا مخاتلة ، على ما تؤول إليه الحال وما تراه أميركا في ضرورة التفاهم والتحالف بيننا . فالتفاهم بيننا وبين أميركا ، أمر ضروري . وهو ما نرجو أن نعلم من الآن المدى الذي توافق أميركا على السير فيه .

سابعاً – موقفنا من روسيا : إن روسيا لا يمكن أن تهددنا مباشرة . ولا يصبح هذا التهديد واقعياً ، إلاّ إذا اشتبكت في نزاع علني مع بريطانيا وأميركا. وهذا أمر ، نطاقه أوسع جداً من أن يتأثر بالعلاقات بيننا وبين روسيا . هذه العلاقات غير الموجودة حالياً . ولكن الخطر الروسي الذي هو خطر غير مباشر ، ولكنه خطر عظيم ، ينشأ عن ثلاثة أمور جوهرية :

الأول : الشيوعية ودعاتها .

الثاني : الصهيونية التي نعتقد بوجود علاقات قوية بين زعمائها وزعماء الشيوعية .

الثالث : الكنيسة الأرثوذكسية وما يمكن أن تقوم به من دور في التحريض وفي نشر الدعاية الروسية . وموقفنا نحن من هذه القضايا الثلاث ، موقف صريح هو أننا نناهض الصهيونية والشيوعية ؛ ولا نرى أن تُتخذ الأرثوذكسية وسيلة للدعاية الروسية في البلاد العربية .

ثامناً – الصهيونية : نحن مسلمون عرب ، قبل كل شيء . واليهود أعداء ديننا منذ ظهور الإسلام . وبما أن الإسلام لا يُقرّ مبدأ العنصرية ، ولا يحثّ على التفريق بين الأجناس والأديان ، فإننا نحن لسنا عنصريين ولا من دعاة التفريق والتمييز بين الناس ، بسبب أنسابهم وعقائدهم . ولسنا نقاوم اليهود

لأنهم يهود، ولكنا نقاوم السياسة التي يدعو إليها بعض اليهود . أي الصهيونيون . السياسة الغاشمة . وأسباب مقاومتنا لها عديدة نذكر أهمها :

١) الصهيونية غاشمة ظالمة وتقوم على مبدأ جائر .

٢) إنها تتظاهر بأنها قائمة على أساس تخليص اليهود المضطهدين . وكيف يجوز معالجة اضطهاد باضطهاد آخر ؟ أو رفع الحيف بإيقاع حيف آخر أشدّ منه ؟

٣) لأنها مناقضة للمصالح السياسية القائمة في البلاد العربية .

٤) لأنها تهدد البلاد العربية من الوجهتين الحربية والاستراتيجية .

٥) لأنها ، برغم تظاهرها بالديموقراطية ، تنطوي في أساسها على دكتاتورية لا تخفى على أحد .

٦) لإنها إلحادية إباحية تشارك الشيوعية في مبادئها المتطرفة .

تاسعاً — موقف الرئيس : قد تبادلنا مع الرئيس مكاتبات عديدة بشأن فلسطين . ونحن نعتقد أن هنالك خطأ عظيماً في فهم حقيقة الموقف . فالمسألة الأولى التي نراها هي ضرورة تجرد السياسة الأميركية الخالصة عن التأثربالعوامل اليهودية المحلية وتحررها من سيطرة الدعاية الصهيونية البارعة . والمسألة الثانية نرى ضرورة الفصل بين قضية اللاجئين المضطهدين والصهيونية السياسية ، للأسباب الآتية :

١) أن فلسطين لا يمكنها استيعاب جميع اللاجئين من اليهود فهي إذن ليست بحل للموضوع .

٢) لا يجوز إرغام بلاد ما ، على قبول لاجئين إليها بدون إرادتها .

٣) ليس من العدل أن ترفض الولايات المتحدة قبول اللاجئين إليها ، بينما هي تصرّ على ضرورة فرضهم على فلسطين .

٤) ليس بالصحيح ما قررته لجنة التحقيق من عدم إمكان إدماج هؤلاء المضطهدين في البلاد التي اضطهدوا فيها . لأنه إن كان من الصعوبة إعادة

اندماجهم هنالك ، فانه أصعب بكثير أن يندمجوا في المحيط العربي المعادي لهم .

٥) إن قضية المائة ألف لاجىء ليست في الحقيقة مسألة إنسانية ، ولكنها ستار لتبرير إيجاد أكثرية يهودية في فلسطين .

٦) ليس من الحق ولا من العدل أو الإنصاف ، أن تسمح الحكومة الأميركية لرعاياها من اليهود بأن تكون لهم سياسة مزدوجة ، كأنهم رعايا دولتين منفصلتين . فيجب أن يكون إخلاصهم للولايات المتحدة فقط ، لا أن يكونوا مواطنين أميركيين وصهيونيين في نفس الوقت . والمهمّ أن الصهيونية السياسية ، وإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، فيه شر مستطير ، وهو أمر يهدد السلم تهديداً شديداً .

عاشراً – مشاريعنا الاقتصادية : لا بد لنا من استمرار الاعتماد على رؤوس الأموال الأميركية لترقية شؤون بلادنا . وقد منحونا قرضاً قدره عشرة ملايين ،ولكننا نريد إكماله إلى المبلغ الذي كانوا قد وعدونا به ،وهو ٢٥– ٣٠ مليوناً ، لكي نستطيع مدّ سكة الحديد من الخليج إلى الرياض .

ليس بيننا وبين أحد من الدول ، سياسة خاصة . بل سياستنا العامة هي : تحسين صلاتنا الودية مع سائر الدول ، وتبيان أغراضنا نحوهم . وانا لا نقصد العدوان على أحد ، واستعدادنا للمواصلات الاقتصادية والودية مع الجميع .

ولكن ، زيادةً على هذا ، يوجد بعض مسائل خاصة ، قد تكون مع بعض الدول أكثر من غيرها ، مثل علاقتنا مع الحكومة البريطانية والمسائل التي هي محل البحث بيننا وبين الحكومة البريطانية في الوقت الحاضر ، سنأمر فؤاد يخبركم بالأوامر التي أمرناه بشأنها .

أما المفاوضات فيها ، فلا نرى أن تكون بحضوركم بالذات . لأن فيها مسائل قد تقتضي المشادّة والزعل ؛ ولا نحبّ أن يكون ذلك منكم . وإنما يترك أمرها لفؤاد ، وفؤاد يطلعكم على كل ما يجري فيها في وقته ويخبرنا بها .

أما علاقتنا مع إيطاليا ، ففؤاد مطلع عليها . وقد أمرناه ببعض أحاديث

يكلمهم بها على حدة . ولا بد أنه سيعرضها عليكم . ومنها شراء سلاح منهم بالتقسيط إن أمكن . وأما الفرنساويون ، فليس بيننا وبينهم مسائل معلقة خاصة ، وإنما كان يجري بيننا وبينهم بعض أبحاث في مسائل اقتصادية . إذا وجدتم استعداداً منهم للمواصلة فيها ، فلا بأس من الدخول في البحث من دون البتّ في شيء من الأمور إلاّ بعد مراجعتنا .

أما ألمانيا : فلم نقرر بعد إن كنتم ستزورونها أم لا . وتركنا ذلك لتقديرك وتقدير فؤاد ، عند وصولكم لأوربا . فإن وجدتم لزوماً لذلك ، فلا بأس . وإن لم تجدوا لزوماً فاعدلوا عن زيارتها . راوزوا المصلحة في ذلك .

وأما دول الشرق ، فمصر : ستمرون في طريقكم بالسويس وبورسعيد ، فلا يسمعوا منكم إلاّ كل كلام طيب بحق الجميع .

وأما تركيا وإيران ، فاللهجة معهم لهجة الصداقة والمودة .

وأما العراق ، فإن بيننا وبينهم بحثاً في موضوع معاهدة صداقة ، لا بدّ تطلعون على تفاصيله من فؤاد .

وأما أسئلة أهل الصحف لكم عن اليمن ، فأجيبوهم بأن علاقتنا مع اليمن علاقات ودّ وصداقة ، وأن الحادث الذي وقع نعتقد أن ملك اليمن لا يرضى به ، وقد أغضبه كثيراً . وهو يحقق عن الأمر في بلاده . ونحن واثقون بأنه سيعمل كل ما يلزم في هذا الشأن ،ولا يمكن أن يكون إن شاء الله نقضاً لمعاهدة الطائف التي نحرص على تنفيذها . وإنّ جمع كلمة العرب واتحادهم هو أهمّ ما يهمنا . ونتمنى أن يسود الوئام بين سائر الحكومات العربية . وتكون اللهجة في سائر الأحاديث محبة العرب جميعاً ، وأنّا نضمر الحب والخير للعرب في ديارهم وبلدانهم [١]

(١) عن الأصل المحفوظ في الشعبة السياسية بالرياض .

[٣]

في مفاوضة مع البحرين :

من تعليماته ، لمندوبه في البحرين « ابن ماضي » برقياً :

الرقم ٢٩٩٦

التاريخ ١٣٦١/٣/١٩

ابن ماضي[١]

ج عدد ٢٣٥ من قبل الدعاوى التي بين رعايانا ورعايا البحرين في أراضينا ، فالعمل بشأنها كما يأتي :

أولاً — إذا كانت دعوى بين شخصين من رعايا البحرين ، وكان الاتفاق أو المكاتبة بشأنها في البحرين والمدعى عليه في البحرين ، فهذه لا تنظروا فيها . ومحل النظر فيها في البحرين .

ثانياً — إذا كان المدعي من رعايانا والمدعى فيه في البحرين ، والمدعى عليه من أهل البحرين وهو في البحرين ، فمحلّ مثل هذه القضية يكون في البحرين .

ثالثاً — إذا كانت الدعوى بين واحد من رعايانا ، وواحد من رعايا البحرين ، والمدعي من رعايانا والمدعى عليه من البحرين ، والمدعى فيه في أراضينا ، فمحلّ النظر في هذه القضية في محاكمنا . وإن كان المدعى عليه غائباً في البحرين ، فيرسل كتاب منكم للولد سعود بن جلوي ، وهو يرسل كتاباً

(١) محمد بن عبد العزيز بن جاسر من آل ماضي . تميمي من أمراء روضة سدير . وكان وقت إرسال هذه البرقية ، أمير الخبر ، قاعدة الظهران قديماً قبل الدمام .

إلى ابن خليفه، ليأمر بإخبار المدعى عليه بحضور الدعوى . ويُذكر في الإخبار أنه إذا لم يحضر تُنظر في غيابه. وإذا لم يحضر بعد ذلك، ينظر (نهائياً) في دعواه، وهو غائب .

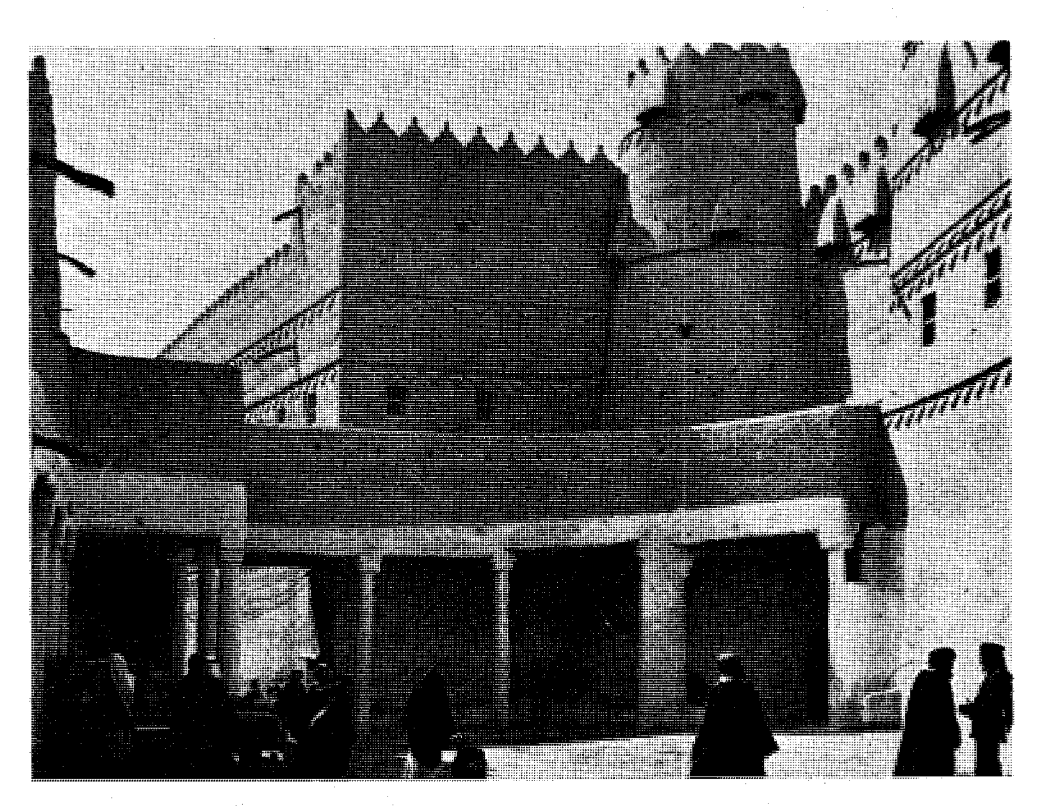
رابعاً — إذا كانت الدعوى بين واحد من رعايانا ، وواحد من رعايا البحرين . أحدهما مدعٍ ، والآخر مدعى عليه أو بالعكس ، والمدعى فيه في أراضينا ، فمحلّ الدعوى هو في أراضينا ، وفي محاكمنا . ويجري الأمر فيها على الطرفين ، طبقاً لحكم الشرع ، كما لو كان الاثنان من رعايانا .

خامساً — إذا كان المدعى عليه من رعايانا ، وهو مقيم في البحرين ، ويطلبون جلبه وإحضاره لحضور الدعوى ، وإلاّ فيحكم عليه غيابياً . فهذه تكتبون كتاباً للولد سعود بن جلوي بشأنها . وهو يكتب إلى شيخ البحرين ، ليأمر بتبليغ المدعى عليه من رعايانا ليحضر المحاكمة في دعواه . ويُذكر له بأنه إذا لم يحضر تُرى في غيابه .

سادساً — إذا صدر حكم من محاكمنا على أحد من رعايانا ، أو أحد من رعايا البحرين ، طبقاً للموادّ السابقة ، وكان المحكوم عليه غائباً في البحرين ، فاكتبوا كتاباً منكم تُرفق به صورة الحكم للولد سعود بن جلوي، والولد سعود يرسله بكتاب منه للشيخ ابن خليفة لأجل تبليغه للمحكوم عليه ، للتبليغ فقط ، وليس للتنفيذ . فأنتم امشوا على هذه الطريقة قف .

هذا في الأمور التي ذكرناها . وأما الاتفاقية التي في مسائل الغوص ، وما يحدث من ذلك ، فيبقى الأمر على ما هو عليه ، حسب ذلك الاتفاق .

عبد العزيز



القصر الذي كان يسكنه الملك عبد العزيز في الرياض ، مبنيّ باللَّبِن ،
قبل بناء القصور الحجرية الحديثة فيها

الملك عبد العزيز

مقتطفات من خطبه

في حفلة العلماء

من خطبة ارتجالية (كسائر خطبه التي يلقيها هو) نشرت في العدد الأول من جريدة « أم القرى » [1] :

« أشاع الترك[2] الشيء الكثير عن عقائدنا ، وشنّعوا عليها من قبل . وكذلك فعل من جاء بعدهم . وبلغني أنهم قالوا في جملة ما كذبوه عنا أننا لا نصلي على محمد واننا نعد الصلاة عليه شركاً بالله . نعوذ بالله من ذلك ! أوَليست الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ركناً من أركان الصلاة وأنها لا تتمّ بغيرها ؟ ..

« ويقولون اننا ننكر شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة . معاذ الله أن نقول هذا ! وإنما نطلب من الله أن يشفّع فينا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ونقول : اللهم شَفّع فينا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ﴿ من ذا الذي يَشفع عنده إلاّ بإذنه ؟ ﴾ وندعو الله أن يشفّع فينا الولد الصغير ، ونقول : اللهم اجعله فرطاً لأبويه . ولا نطلب الشفاعة من الطفل .

---

(١) بتاريخ ١٥ جمادى الأول ١٣٤٣هـ (١٥/١٢/١٩٢٤م)

(٢) كان يعني بالترك حكومة آل عثمان ، أيام حروبها معه ومع أسلافه ، في نجد وغيرها .

« وأما محبة الأولياء والصالحين ، فمن ذا الذي يُبغضهم منا ؟ ولكن محبتهم الحقيقية هي العمل بما عملوا به ، واتباع سننهم في التقوى . ومن هم أولئك الأولياء ؟ هم الذين قال الله فيهم : ﴿الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر﴾ . فهؤلاء هم الذين نحبهم ونقتفي آثارهم.ولكننا لا نرفعهم فوق المرتبة التي يريدونها لأنفهسم ولا يريدها لهم الله . هذا الذي نحن عليه ، وهذا الذي ندين الله به . فإن كان عندكم ما ينقضه في كتاب أو سنّة فأتونا به لنرجع عنه .

وفي الخطبة نفسها :

« إننا لم نطع ابن عبد الوهاب ولا غيره ، إلاّ بما أيدوه بقول من كتاب الله وسنّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . أما أحكامنا فنسير فيها طبق ما اجتهد فيه الإمام أحمد بن حنبل .

، ، ،

نحن والأجانب

ومن خطبة له في جُدّة (١) :

« إن هذا الوطن المقدس ، يوجب علينا الاجتهاد فيما يُصلح أحواله . وإننا جادّون في هذا السبيل قدر الطاقة، حتى تتم مقاصدنا في هذه الديار ، ويكمل للمسلمين جميعاً أمنهم وراحتهم ، وتتم لجميع الوافدين لمنازل الوحي المساواة في الحقوق والعدل .

« إن للدول الأجنبية المحترمة ، علينا حقوقاً ولنا عليها حقوق . لهم علينا أن نفي لهم بجميع ما يكون بيننا وبينهم من العهود ﴿إن العهد كان مسؤولا﴾ وإن المسلم العربي ليشين بدينه وشرفه أن يخفر عهداً أو ينقض وعداً . وإن الصدق أهم ما نحافظ عليه . إن علينا أن نحافظ على مصالح الأجانب ، ومصالح

(١) نشرتها أم القرى ، في ١٥ رجب ١٣٤٤هـ (يناير ١٩٢٦م)

رعاياهم المشروعة ، محافظتنا على أنفسنا ورعايانا ، بشرط أن لا تكون تلك المصالح ماسّة باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي . تلك حقوق يجب علينا مراعاتها واحترامها ، وسنحافظ عليها ما حيينا إن شاء الله تعالى .

« وأما حقوقنا على الدول . ففيما يتعلق بهذه الديار ، نطلب منهم أن يسهّلوا السبل إلى هذه الديار المقدسة ، للحجاج والزوار والتجار والوافدين . ثم إن لنا عليهم حقاً فوق هذا كله ، وهو أهم شيء يهمنا مراعاته ، وذلك أن لنا في الديار النائية والقصيّة إخواناً من المسلمين ومن العرب ، نطلب مراعاتهم وحفظ حقوقهم . فإن المسلم أخو المسلم ، يحنو عليه كما يحنو على نفسه ، في أي مكان كان ، وإني أؤكد لكم بأن المسلمين عموماً ، والعرب خصوصاً ، كالأرض الطيبة كلما نزل عليها المطر أنبتت نباتاً حسناً . وإن المطر الذي نطلبه هو الأفعال الجميلة من الحكومات التي لها علاقة بالبلاد التي يسكنها إخواننا ، من العرب ومن المسلمين . وإن الأرض الطيبة ، هم المسلمون عامة والعرب خاصة . ولي الأمل الوطيد في أن الحكومات المحترمة ذات العلاقة بالبلاد الإسلامية والعربية ، لا تدخر وسعاً في أداء ما للعرب والمسلمين من الحقوق المشروعة في بلادهم . أسأل الله أن يجعل أفعالنا أصدق من أقوالنا وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح .

، ، ،

الراعي والرعية

ومن خطبة له في المدينة المنورة[١] :

« إننا نبذل النفس والنفيس في سبيل راحة هذه البلاد ، وحمايتها من عبث العابثين . ولنا الفخر العظيم في ذلك .

« وإن خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها ، هي إقامة الشريعة السمحاء

---

(١) أم القرى ٢١ ذي القعدة ١٣٤٦

كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب ، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصافّ البلاد الناهضة ، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف .

« إنني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد ، وأوسطكم أخاً وصغيركم ابناً . فكونوا يداً واحدة ، وألفوا بين قلوبكم ، لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا .

« إنني خادم في هذه البلاد العربية ، لنصرة هذا الدين ، وخادم للرعية . إن الملك لله وحده ، وما نحن إلا خَدَم لرعايانا . فإذا لم ننصف ضعيفهم ، ونأخذ على يد ظالمهم ، وننصح لهم ، ونسهر على مصالحهم ، فنكون قد خنّا الأمانة المودعة إلينا .

« إننا لا تهمنا الأسماءولا الألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد ، والنظر في الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا .

« إن من حقكم علينا النصح لنا . فإذا رأيتم خطأ من موظف ، أو تجاوزاً من إنسان ، فعليكم برفع ذلك إلينا لننظر فيه ، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولاتكم .

، ، ،

في المعهد العلمي

ومن خطبة له في حفلة خريجي المعهد العلمي السعودي[١] :

« أيها الأبناء . إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه في المعهد . فاعرفوا قدر ما تلقيتموه فيه من العِلم . واعلموا أن العلم بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر . وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه ، يكون عوناً عليه . وليس من يعلم كمن لا يعلم . قليل من العلم يبارَك فيه ، خير من كثير لا يبارك فيه . والبركة في العمل .

« بُعث صفوة الخلق ، اللهم صلّ وسلم عليه ، من العرب . ونزل عليه

---

(١) أم القرى ١٧ صفر ١٣٥٠

أمين السماء ، في بلاد العرب ، بقرآن عربي غير ذي عوج . فلنعرف قدر ذلك ولنحتفظ بديننا ولغتنا وبلادنا ولنحبها حباً جماً .

« لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد ، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها . وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة ، وكان لغيرهم أيضاً ، وجاء الإسلام فأقرها .قال صفوة الخلق اللهم صلِّ وسلم عليه : « بُعثت لأتم مكارم الأخلاق » . وقال : « ولدت في زمن الملك العادل » .

« حافظوا على تعاليم دينكم . ولا شك أنكم قرأتم ولله الحمد والمنة شيئاً كثيراً منها . وأقول لكم : والله ثم والله ما حرّمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ، ولا أحلت شيئاً فيه ضرنا ، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك .

« واعلموا أن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أكفر رجل ، لما ضروا الله شيئاً.ولو كانوا على قلب أتقى رجل ، لما نفعوا الله شيئا . إن الله لغني عن العالمين !

« انظروا إلى نعم الله . هل فاضَل في أحكامه ، بين غني وفقير ، فأوجب على الثاني الصلاة مثلاً ، وترك الأول ؟ وهل أباح للأول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلا .. لا ، لا تفاضل إلاّ بالتقوى . إن أكرمكم عند الله أتقاكم لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب .

« سوّى بينكم وأكبر من شأنكم ، فأمر ألاّ تعبدوا إلاّ واحداً ، ولا تخافوا إلا واحداً ، ولا تسألوا إلا واحداً. ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لهم عند ملك من الملوك حاجة ، تحبّ أن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة ، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة . ولا شك في أن هذا ، عدم الوساطة ، تكريمٌ للإنسان .

« أبنائي من كان منكم من بيت رفيع فليحرص على ألاّ يكون سبباً في خفضه ، ومن كان من آخر فليبنِ لنفسه مجداً فقد منّ الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير . فاعملوا إنا لعملكم منتظرون والله وليّ التوفيق .

مسلم عربي مسالم مدافع

ومن خطبة له[1] :

« أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ، ولنشره بين الأقوام .

« أنا داعية لعقيدة السّلَف الصالح . وعقيدةُ السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين . أما ما كان غير موجود فيها ، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة ، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين .

« أنا مسلم وأحبّ جمع كلمة الإسلام والمسلمين . وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ، ولو على يد عبد حبشي . وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك .

« أنا عربي ، وأحبّ قومي والتآلف بينهم وتوحيد كلمتهم ؛ وأبذل في ذلك مجهوداتي . ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب ، وما يوحّد أشتاتهم ويجمع كلمتهم

« أنا مسالم ومدافع . أنا مسالم للناس وأحب النصيحة قبل كل شيء . لأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وأنا مدافع ، لأنني ما حاولت في وقت من الأوقات أن أعتدي على إخواني وأبناء قومي . وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إليّ منهم ، من إساءة أو خطيئة ، بصدر رحب ، على أمل أن يرجعوا إلى الصواب . ولكنني إذا رأيت تمادياً في الغيّ والإساءة ، أضطرّ حينئذ للدفاع .

، ، ،

عقيدتنا بين أيديكم !

من خطبة له بمكة :

« أنا بذمتكم ، وأنتم بذمتي . إن الدين النصيحة . أنا منكم وأنتم منّي .

---

(١) أم القرى ١١ ذي الحجة ١٣٥١

هذه عقيدتنا في الكتب ، بين أيديكم ، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فردّونا عنه . واسألونا عما يشكل عليكم فيها ، والحَكَم بيننا كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنّة .

، ، ،

عرب ومسلمون ..

من خطبة ارتجلها في مكة[1] :

« ما كنا عرباً إلاّ بعد ما كنا مسلمين . كنا عَبيداً للعجم ، ولكنّ الإسلام جعلنا سادة ، ليس لنا فضيلة إلاّ بالله وطاعته واتّباع محمد . ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعربيتنا ، ولا ننساهما .

« كل حرية باطلة ، إلاّ حرية الإسلام . والإنسان لا ينفع إلاّ بالدين . ونحن لا نبغي محاربة أوروبا ، وإنما نطلب حقوقنا باتحادنا فنعتصم بالله . والإسلام أكبر وسيلة وأكبر حصن . هو أكبر مزايا الحسب والنسب ، فيجب على المسلم محبة دينه وشعبه ووطنه .

، ، ،

مذهبنا ..

ومن خطبة له في مكة أيضاً :

« يسمونا بالوهابيين ، ويسمون مذهبنا بالوهابي ، باعتبار أنه مذهب خاصّ . وهذا خطأ فاحش ، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض .

« نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، أو عقيدة جديدة . ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد . فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح .

« نحن نحترم الأئمة الأربعة . ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي

---

(١) سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)

وأحمد وأبي حنيفة . كلهم محترمون في نظرنا .

، ، ،

في مقدمة خطبة[١] :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . فإذا أردتم أيها المسلمون النجاح والفلاح ، في دينكم ودنياكم ومعاشكم ، فكونوا مؤمنين غير منافقين ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا . وكونوا عباد الله إخوانا . واعلموا أن الله يعطي الدنيا للبارّ والفاجر . ولا يعطي الدين إلاّ للبار . فأدعوكم جميعاً إلى الإخلاص للدين أولاً ، وإلى التآخي والتناصح والجمع بين القلوب ثانياً .

« نحن معشر المسلمين ضعفاء بأنفسنا ، أقوياء بالإسلام ، فاتخذوا من اتحادكم قوة . وليس معنى قولي هذا أني أدعوكم لحرب أوروبا ! لأن هذا عمل لا يجدي نفعاً . ولكن إذا تمسكنا بديننا ، فإننا نعظم في عيون الخلق .

« وقد تحدث إليّ كثيرون من الأوربيين ، فعلمت منهم أن المتمسك بدينه محترم أينما كان .

« فالواجب على كل مسلم يتلخص في الإخلاص للدين ، والإخلاص للمسلمين ، والنية الخالصة لله تعالى .

---

(١) ارتجلها في «منى» يوم ١٠ ذي الحجة ١٣٥٩ (١٢/١/١٩٤١) .

المَـلك عَبـْد العَـزيـز

من كلامه

الحرب :

لست من المحبين للحرب وشرورها ، وليس أحبّ إليّ من السلم والتفرغ للإصلاح . (١٩ربيع الثاني ١٣٤٤)

المذهب :

لا يُسأل أحد عن مذهبه أو عقيدته . ولكن لا يصحّ أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير الفتنة . (٢٥ ذي الحجة ١٣٤٤)

النفعيون :

التباعد بين الراعي والرعية ، يدع مجالاً للنفعيين ، فيجعلون الحق باطلا يصورون الباطل حقا . (١٥ محرم ١٣٤٦)

والمملكة :

لقد أسستُ هذه المملكة من دون معين .. وكان الله القدير وحده معيني وسندي . وهو الذي أنجح أعمالي . (في مؤتمر الرياض ١٣٤٧ﻫ)

الجامعة العربية :

مستقبل الجامعة العربية مرهون بمشيئة الشعوب ، لأن الرؤساء والأمراء ينفعون الجامعة بتأييدهم إياها . ولكنهم لا يثابرون على تأييدهم إلاّ إذا عرفت

الشعوب مزاياها واتفقت على الرغبة فيها وحالت بهذه الرغبة القوية النّيرة دون تنافس الرؤساء وتنازع الأمراء . (نقلها عنه العقاد ١٣٦٥هـ)

ملك أو جندي :

لست ملكاً بمشيئة أجنبية ، بل أنا ملك بمشيئة الله ثم بمشيئة العرب الذين اختاروني وبايعوني . على أنها ألقاب وأسماء ! فما أنا إلا عبد العزيز ، قال العرب انني ملك، فرضيت قولهم وشكرت ثقتهم . وفي اليوم الذي لا يريدونني زعيماً لهم أعود إلى الصف وأحارب معهم بسيفي ، كأصغر واحد فيهم دون أن ينال نفسي شيء من الغضاضة .

« أنا بينهم الآن لأقيم حكم القرآن والسنة .

(نقلها عنها محمود عزمي ١٣٥٤هـ)

العراق ونجد :

لا فرق بين العراقيين والنجديين ، فهم من عنصر واحد وإخوان أصفياء . نتألم إذا تألموا ونُسرّ إذا سروا . يحزنون إذا حزنّا وتنشرح صدورهم إذا انشرحت صدورنا . (ذو الحجة ١٣٥٤)

الفضائل :

الإنسان يقوم على ثلاث فضائل : الدين والمروءة والشرف . وإذا ذهبت واحدة من هذه سلبته معنى الإنسانية . (شوال ١٣٥٥)

الواجبات :

كل أمة تريد أن تنهض ، لا بد لكل فرد فيها من أن يقوم بواجبات ثلاثة : أولها واجباته نحو الله والدين ، وثانيها واجباته في حفظ أمجاد أجداده وبلاده، وثالثها واجباته نحو شرفه الشخصي . (ذو الحجة ١٣٥٨)

الصدق :

تكلم معي كثيرون من الأوروبيين ، وقالوا : إن حكوماتنا تكرّم الرجل الصادق الذي يقوم بحق بلاده . فإذا صدقنا في أعمالنا وقمنا بحقوق بلادنا ، احترمنا القريب والبعيد . (ذو الحجة ١٣٠٩)

وحدة العرب :

إني على استعداد لأن أكون أنا وأسرتي كجندي بسيط أجاهد في سبيل العرب وتوحيد كلمة العرب ، وتأسيس الوحدة بين العرب . ولست أريد من وراء ذلك جزاءً ولا شكورا .

من جنود الله :

أنا وأسرتي وشعبي ، جند من جنود الله ، نسعى لخير المسلمين .

التعاضد :

إذا كان المسلمون والعرب في منعة من التعاضد والتكاتف ، فليست هناك قوة في مقدورها مهاجمتهم وإذلالهم .

الزهد :

والله ثم والله ! إني لأفضّل أن أكون على رأس جبل ، آكل من عشب الأرض وأعبد الله وحده ، من أن أكون ملكاً على سائر الدنيا ومن فيها .

الدعوة :

إنني أدعو المسلمين جميعاً إلى عبادة الله وحده ، والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح ، لأنه لا نجاة للمسلمين إلاّ بهذا .

الدسّ :

إنني أفخر بكل من يخدم الإسلام ويخدم المسلمين ، وأعتزّ بهم بل أخدمهم وأساعدهم وأؤيدهم . وإنني أمقت كل من يحاول الدسّ على الدين وعلى المسلمين ، ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة .

فرد منهم :

كل فرد من شعبي جندي وشرطي . وأنا أسير وإياهم كفرد واحد ، لا أفضل نفسي عليهم ، ولا أتبع في حكمهم غير ما هو صالح لهم .

الإسلام :

الإسلام عزيز عليّ ، ورهبته في قلوب أعدائه كبيرة . فواجب المسلم أن يقوم بالدعوة إلى عبادة الله ، عبادة خالصة ، وأن يسعى لإصلاح شؤون المسلمين إصلاحاً حقيقياً لا نظرياً .

الإيمان :

إذا أراد المسلمون والعرب قتال أعدائهم ، فإن أعدّوا آلة من آلات الحرب أعدّ أعداؤهم مئات وألوفاً ، ولكن قوة واحدة إذا أعدّها المسلمون لم يمكن أعداءهم أن يأتوا بمثلها ، هي إيمانهم بالله وثقتهم به .

الرئاسة والمُلك :

أنا عربي ، ومن خيار الأسر العربية . ولست متطفلاً على الرئاسة والمُلك. وإن آبائي وأجدادي معروفون منذ القدم بالرئاسة والمُلك . ولست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيام ، وإنما اتكالي على الله ، ثم على سواعدنا يتكيء الآخرون ، يستندون ، إن شاء الله .

الحقيقة العارية :

أنا ترعرعت في البادية فلا أعرف آداب الكلام وتزويقه . ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق .

دين مُحمَّد ﷺ :

دستوري وقانوني ونظامي وشعاري دين محمد صلى الله عليه وسلم . فإما حياة سعيدة على ذلك، وإما موتة سعيدة .

الزعماء :

إن المسلمين ينقصهم معرفة الزعماء والأشخاص ونفسياتهم . لأن هناك

أشخاصاً من المسلمين يتظاهرون بالغيرة والتضحية وهم في حقيقة الأمر على عكس ذلك . يتظاهرون بالغيرة ، ويسعون في الخفاء لتنفيذ مآربهم الشخصية والتجسس على حال إخوانهم . وهذا أمر يؤسف له ، لأن الأضرار التي لحقت بالمسلمين والعرب جاءت من هذه الطريقة .

العِقاب :

يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني . وكل شعرة منه يمسّها أذى تؤذيني . وكذلك الشعب ، فإنه يتألم إذا أصابني أيّ شيء . ولكن المصلحة العامة تضطرّني أن أقضي على من لا يُصغي للنصح والإرشاد ، وأن أتجرّع ألم ذلك حفظاً لسلامة المجموع .

العرب :

العرب اليوم، هم كالطفل الصغير يحتاجون إلى عناية شديدة. فمن الواجب على الذي يتولى أمرهم أن ينصحهم ويرشدهم إلى طريق الصواب .

العمل :

يجب أن تحرصوا على العمل . والعمل لا يكون إلاّ بالتساند والتعاضد .

القوة :

أنا قويّ بالله تعالى ، ثم بشعبي . وشعبي كلهم ، كتابُ الله في رقابهم ، وسيوفهم بأيديهم ، يناضلون ويكافحون في سبيل الله . ولست أدّعي أنهم أقوياء بعددهم أو عددهم ، ولكنهم أقوياء إن شاء الله ، بإيمانهم .

تقليد الأوربيين :

إن بعض المسلمين — مع الأسف — لم يجدوا طريقة للتقدم ، في نظرهم ، إلا تقليد الأوربيين . ولكنهم لم يقلدوهم فيما كان سبب قوتهم ومنعتهم . ومضت عشرات السنين على الذين يدعون الناس لتقليد الأوربيين ، ولكن

من منهم عمل إلى اليوم إبرة أو صنع طيارة أو اخترع بندقية أو مدفعاً ؟ ..
لقد قلدوهم فيما يخالف أمور دينهم ، واكتفوا من تقليد الأوربيين بذلك ..

عمليّ :

أنا لست من رجال القول الذين يرمون القول بغير حساب . فأنا رجل عمليّ إذا قلت فعلت .

اثنتان :

اثنتان ، أحمد الله على واحدة منهما وأشكره على الأخرى . أحمد الله على أني أكره أهل الضلال ، وعلى كراهة أهل الضلال لي ، وأشكره على محبة أهل الخير لي ومحبتي لهم .

كلمة :

ما جمعه الله لا يفرّقه الشيطان ..

حرب الصحراء :

ما أيسر الحرب على الملوك وقادة الجيوش في غير بلادنا . إنهم يضعون الخطط ويأمرون بالغارات وهم في منازلهم . أما حروبنا ، فإن لم يكن الملك أو القائد في طليعة الجند عند الزحف ، تفرق جنده وخسر المعركة .

قال أمراء العرب: لأمين الريحاني ، في حديث : تقول أمراء العرب؟ أنا أعرفهم وقد خبرتهم . العرب لا يعرفون مصلحتهم . فنعلّمهم بها وتُكْرههم عليها . غاسينا كثيراً في سبيلهم ، وكان بلاؤنا من أقرب الناس إلينا ..

الحُكم :

الحكم يحتاج إلى سيف ، و منسف ! (أي قوة وكرم) [١].

---

(١) المنسف، في كثير من البلاد العربية الآن : طبق كبير مستدير يوضع عليه الأرز واللحم.

الملك عبد العزيز

سياسته في بعض برقياته

[١]

قُبيل مؤتمر لندن

من الرياض ، في ١٩٣٨/١١/١٩ (٢٧ شوال ١٣٥٧)
إلى نجدية[١] — القاهرة (بالجفر)

« قابلوا محمد محمود باشا . وأخبروه بأننا نحبّ على الدوام أن نكون على اتفاق وتفاهم وتعاضد ، في كل ما له علاقة بالمصلحة الإسلامية عامة والمصلحة العربية خاصة ، ما دامت لمصلحة البلادين . وأهم المسائل التي تواجه الإسلام والعرب في الوقت الحاضر هي مشكلة فلسطين . وبالنظر للقرار باجتماع لندن ، فنحن نرغب بتوحيد المسعى لنجاح السعي .

« وسبق أمرناك أنت يا فوزان ، بمراجعتهم ، وأجابت الحكومة المصرية بأنها ما قررت شيئاً نهائياً في الأمر .

« والذي حدث أن قررت الحكومة المصرية الاشتراك في المؤتمر . فإن رأت توحيد المسعى لإنجاح اجتماع المؤتمر ، فنحن مستعدون للتعاون في ذلك .

(١) نجدية : العنوان البرقي للمفوضية أو السفارة أو القنصلية الممتازة ، في جميع الممثليات السعودية .

« وأهم مشكلة تواجه المشروع الآن ، هي كيفية تمثيل أهل فلسطين . وبالنظر للثورة القائمة ، في داخل فلسطين ؛ فمن العسير القيام بانتخابات عامة للحصول على النتيجة .

« ولذلك نرى أن نتداول الرأي مع الحكومة المصرية وحكومة العراق ، في نفس الوقت ، لانتخاب المندوبين الذين يمثلون فلسطين .

« ونرجو من الحكومة المصرية أن تبين لنا رأيها في كيفية ذلك الانتخاب ، لنتفق عليه ونسعى مع أهل فلسطين للاتفاق على خطة واحدة .

عبد العزيز

[٢]

الأمير فيصل في مصر

عن الرياض ، في ١٩٣٩/٤/١٥ (٢٤ صفر ١٣٥٨)

نجدية — القاهرة (بالجفر) .

« وردتنا من محمد محمود ، برقية يطلب بها بقاء الابن فيصل في مصر ، لمعالجة القضية الفلسطينية. وقد أجبناه بالموافقة .

« أنت قابل محمد محمود ، وبلغه سلامنا وتحياتنا . وأفهمه أن سبب إلحاحنا على الابن فيصل بسرعة التوجه لطرفنا ، هو أن إخوانه والعائلة كانوا في قلق عليه ، وشغلونا بالسؤال عنه ، وعن صحته . يظنون أن إقامته في مصر ، من انحراف في صحته هو أو أخيه (الأمير خالد) وطول إقامته للمعالجة .

« ولكن نظراً لما أبداه محمد محمود ، من الحاجة الماسّة لبقائه ، فإننا بلغناه ببقي لتتضافر جهود الابن فيصل مع جهود إخواننا المصريين وفقهم الله جميعاً — انتهى .

« إعرض هذه البرقية على الابن فيصل ، وتراجع معه فيها . إن كان

رأيتم أنها موافقة ، فقابل محمد محمود وبلغه كما ذكرنا . وإن كان ما هي موافقة فلا لزوم لها وأفيدونا .

عبد العزيز

[٣]

في مداولة مع النحاس

إجمال[*] لبرقيات وردت من الملك عبد العزيز ، سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) لإبلاغ مؤداها وبعض نصوصها إلى مصطفى النحاس « باشا » — رئيس الوزارة المصرية — والبحث معه على أساسها وذلك قبل إنشاء جامعة الدول العربية ؛ وجدته بين أوراقي عند تأليف هذا الكتاب :

١ — إن آراء جلالة الملك هي ما سبق أن أخبرنا رفعتكم به ، وأوضحنا غاياته ومراميه التي يشعر بها نحو البلاد العربية .

٢ — ذكرنا لرفعتكم ما يشعر به جلالته نحو البلاد الشامية جمعاء ، وما يتمناه لها من عزّ واستقلال .

٣ — ونزيد على ذلك أن جلالته يؤيد الحكم الجمهوري القائم في البلاد الشامية ، كل التأييد. وكل اتفاق يكون بين سورية ولبنان من البلاد الشامية ، لما فيه مصالحهما ، فذلك من شأنهما . ونحن نُسر بكلّ ما يجمع بينهما .

٤ — أما اتفاق فلسطين مع سورية ، في حكمهما الجمهوري ، فذلك متروك لأهل فلسطين . ولكن يرى جلالته أن من الخير لسورية وفلسطين ، بل من الخير للعرب أجمع ، أن يؤجل هذا الأمر إلى أن يُدفع الخطر اليهودي ، وينتهي الأمر بشكل يحفظ حقوق فلسطين العربية كاملة . وبعد ذلك يمكن للبلدين أن يعملا ما يريانه ، للاتفاق بينهما ضمن الحكم الجمهوري ، بشرط ملاحظة المصالح : لا ضرر ولا ضرار .

٥ — أما موضوع التعاون بين البلاد العربية في المسائل الاقتصادية

والثقافية أو أيّ تعاون ممكن ، فإن جلالته لا يمانع فيه ، عندما يكون ذلك في الإمكان ، ويكون الوقت ملائماً له .

٦ — أما اجتماع « لجنة » للبحث في هذه المسائل ، فعندما يحين وقت اجتماعها ، تكون المراجعة بيننا ، للاتفاق على وقت اجتماعها ومكانه .

فلسطين في لندن

عن الرياض ، في ١٩٤٥/٨/١٩ (٩ رمضان ١٣٦٤) بالجفر .

نجدية — مصر

هذه لخير الدين :

وردنا من مفوضيتنا بلندن برقية عن الموقف بالنسبة لقضية فلسطين . فأنت اتصل بالنقراشي باشا (رئيس الوزارة المصرية) وأخبره وتحدث معه عن الموقف في لندن بالنسبة لفلسطين والصهيونية ، وأنه يوجد في البرلمان البريطاني الجديد ٢٢ يهودياً من المشايعين للصهيونية ، وموقف اللجنة التنفيذية لحزب العمال بشأن مسألة فلسطين معروف . والحقيقة أن حزب العمال الذي هو حزب الحكومة ، وكذلك أعضاء البرلمان ينقصهم معرفة الحقائق ، خاصة عن فلسطين .

« ومع أن المفوضيات العربية والمكتب العربي يعملون جهدهم في هذا الصدد إلاّ أن عمل المفوضيات محدود ، بسبب مركزها الرسمي ، وعمل المكتب محدود أيضاً ، لأنه يحتاج إلى شخص مجرّب وذي مكانة باستطاعته الاتصال بالشخصيات البريطانية المعروفة .

« لهذه الأسباب أخبر النقراشي باشا بأنا نقترح بصفة خاصة أن توفد الجامعة رجلاً معروفاً يمثلها لتنوير رجال البرلمان ورجال الحكومة في لندن، ولو لمدة محدودة لا تقلّ عن ثلاثة أشهر . واسأله بلساننا عن رأيه في ذلك ، وعن الشخص الذي فيه الكفاية للاضطلاع بهذا العمل . وأخبره أيضاً بأن قضية فلسطين ،

هي في مقدمة القضايا التي تشغل بال المسلمين والعرب ، فمن اللازم علينا أن نبذل الجهود لمعالجة هذه القضية التي استعصت وأصبحت الشغل الشاغل للعرب .

« أخبره بذلك وأخبرنا بالنتيجة . ونحن نود أن يكون هذا الاقتراح على الجامعة صادراً عن إخواننا المصريين أنفسهم .

عبد العزيز

[٥]

يقترح إرسال عزام

عن الرياض ، في ١٩٤٥/٨/٢٠ (١٠ رمضان ١٣٦٤) بالجفر :

نجدية — القاهرة

هذه لخير الدين :

« لا بد سمعتم من الإذاعة تصريح ترومان ، فأنت حالاً تقابل مرة ثانية النقراشي وعبد الرحمن عزام ، وتقول : لا بد سمعتم تصريح الرئيس الأميركاني المستر ترومان ، عن مسألة فلسطين . وهذا التصريح ، أوله ما هو بطيب ، وآخره طيب . القسم الأول ، يبدي ما كان بينه وبين المستر تشرشل . والقسم الثاني أنه ما هو مستعد أن يصير له عسكر في فلسطين لحمايتها .

« وأنا أسمع دندنة عند العرب . قصدهم اجتماع هيئة الجامعة لأجل تبحث مسألة فلسطين. فأنا ، هذا ما هو من رأيي ، ولا منه فائدة ، لأنه ايش يُبحث في المؤتمر ؟ هل يعقد صلح أو يعلن حرب ؟ ولكن رأيي هو مثلما أخبرتهم سابق : أن ينتخبوا شخص يروح للندن ، وشخص يروح لأمريكا . ويكون أحد هذين الشخصين عبد الرحمن عزام . ويكتب معه النقراشي كتباً للخارجية هناك ، ويقول فيه إنه بالنيابة عن مصر والبلاد العربية . ويذكر الأمر اللائق والمناسب في الموضوع .

« وعندي أنا ، أن هذا العمل أحسن وألطف ، حتى يتضح الأمر ونعرفه

(م٥١)

ايش هو . ونرجوه أن يكون هذا بالسرعة حتى تحصل منه الفائدة المنشودة .

« فأما سورية ولبنان ، لا شك أنهم يبي يتبعوننا نحن ومصر ؛ وسيوافقون على هذا . فأما شرق الأردن والعراق ، لا بد أنهم يقنعون بفائدة هذا العمل . فأما من قِبل المصاريف لهذين الشخصين ، فهي تكون على الجميع ، داخلة من ضمن مصاريف الجامعة . إحرص على العجلة في ذلك ، وأخبرنا بالنتيجة سريعاً .

عبد العزيز

[٦]

في رحلة عزام ، للدعاية

أبرق الملك عبد العزيز ، من الرياض ، إلى يوسف ياسين في جدة (بالجفر)
يوسف — جدة ٢٢/٩/٦٤هـ (٢ سبتمبر ١٩٤٥)

ج : ما ذكرتم فهمناه .

« من طرف عزام ومراحه (ذهابه) فهذا طيب . ونحن ما عندنا غير ما ذكرناه لكم سابقاً ، وكلما يستعجل ويتوجه فهو أحسن : أولاً لمكافحة اليهود ، ثانياً ما زالت عطلة البرلمان ، حتى يستطيع أن يجتمع بأعضاء البرلمان وهم أحرار وعندهم وقت كافي ، قبل لا يجتمعون ويشتغلون بأعمالهم الرسمية ولا يفرغون له . ولا عندنا شيء غير ما سنقوله لكم أدناه .

« أما جواب الابن فيصل الذي يترقبونه ، فقد تكلم مع الخارجية البريطانية وبلغناكم ما جاءنا من حافظ عن كلام الخارجية . وهذا هو الذي سيكون عند الابن فيصل . وهو رأيهم والذي معتمدين عليه الإنكليز .

« وأما رأي عزام في بقاء السويدي رئيساً في اللجنة في غياب عزام ، فهذا ما يمكن . ولا نقبله . لأن السويدي لا شك أنه رجل طيب ومجتهد ، ولكن أهل العراق (نوري السعيد ومن على شاكلته) يؤثّرون عليه ويتغلبون عليه ،

وُدّه أو ما وُدّه (أي أراد أم لم يرد) . وأنا رأيي أن يكون في محل عزام واحد من أهل مصر ، لأن أهل مصر واثقين بالله ثم بهم في كل حال . وهم أحسن من غيرهم .

« فأما إن كان عزام يرغب أن يروح معه إلى لندن وأمريكا أحد ، فرأينا في الأشخاص الذين يروحون معه ،هم :أولاً السويدي ، والثاني جميل مردم . فهؤلاء الأشخاص أكفاء وسيكون منهم عمل إن شاء الله . فإن كان أنه يبي (يبغي) يستكفي بنفسه فهو أحسن . ولكن إن أراد يروح معه أحد فما غير ها لاثنين أحد . ولكن أنتم حضّوه على السفر بعجلة ، لأن التأخير ما فيه فائدة .

« أما تأسيس مكتب للصحافة ، وتعيين أسعد داغر ، فهذا نحن نوافق عليه . والحقيقة أنه من أحسن ما يصير . ولكن نرجوهم أن يتخذوا قاعدة يمشون عليها ، وهي قاعدة الاعتدال . ويكون لا يتحاملون على الإنكليز ولا على الأميركان ، ولكن يشوفون الحجج القائمة ، ويبدونها لهم . لأن ما هو خافيهم النفوس ، وكثرة الأعداء . والحقيقة لما يقابلونهم بالحجج ويمدحونهم بأنهم أهل عدالة وانصاف ، فستكون النتيجة أحسن إن شاء الله ، فيصير عملهم على الأساس، لا على الجدل والمكابرة أو التفريط في الكلام بسبّ أو ما شاكله .

« وأما ما ذكرت عن المكتوب ، فإذا وصلك اكسره (اكسر الشمع) فإن كان شفت فيه شيء مستعجل ، أخبرنا به برقياً . فإن كان ما فيه شيء مستعجل ولا يتعارض عن ما أخبرناك به ، فأرسله لنا .

« ثم إن ما تكلمت به مع الأميركاني عن حديث ترومان ، يُكتب لخير الدين ، يخبر عزام به ، وعزام يخبر به النقراشي ، وإذا شفت أن هذا موافق فهو أحسن ، اعملوا به .

« نحن اختصرنا لك الجواب ، لأجل كل ما في خاطرنا أنت تعرفه . فإن أشكل عليك شيء وتريد السؤال منا ، فعجّل .

« من المصلحة استعجالهم (أي عزام ومن سيكون معه) ما دامت عطلة البرلمان ، حتى يتمكنوا من الاتصال برجال البرلمان ورجال الحكومة ، ويبينون لهم المسألة .

« أما اجتماع الجامعة والبحث عن فلسطين ، فهذا ما نراه في الوقت الحاضر لأن حنا (نحن) اعتمدنا على الله ثم على الرجال الذين سيسافرون إلى لندن وأمريكا ، ولا يمكن قطع سياستهم بشيء من الأمور . الثاني إذا صار بحث عن فلسطين وجزمنا على علم (قرار) وصار علمنا ضعيف ، أخذوه علينا ، فإذا صار قوي صار صدمة على الذين راحوا من طرفنا . أما إذا يصير اجتماعات ومشاورات في أشياء ثانية غير فلسطين ما فيه باس . فإذا عزم عبد الرحمن عزام على السفر فأخبرنا حتى إذا كان عندنا نصائح اكتبها له .

عبد العزيز

[٧]

سورية في عهد الشيشكلي

وردت على الديوان الملكي في الرياض ، برقية جفرية ، من الوزير السعودي المفوض ببغداد ، تاريخها ١٩٥١/١٢/٥ (٦ ربيع الأول ١٣٧١) هذا حلّها :

« قابلت اليوم الثلاثاء وزير الخارجية بناء على طلبه ، فأبلغني بأنه يرغب في إطلاع جلالة الملك على موقف العراق من الأحداث الأخيرة في سورية ، حتى لا يلتبس الأمر على جلالته . ثم قال بأنهم تلقوا برقية من وزيرهم في دمشق يذكر فيها أنه اجتمع بزملائه ممثلي الدول العربية في دمشق ، لدرس وضعهم بالنسبة إلى الوضع الحاضر ، وأنهم اتفقوا على أن يتصلوا بحكوماتهم لطلب التعليمات منها عن موقفهم ، كما أنهم يرون توحيد موقف الحكومات العربية .

« ثم يقول وزير الخارجية إنه على أثر ورود هذه البرقية اجتمع مجلس الوزراء (العراقي) وقرر اعتبار الحركة الأخيرة غير شرعية ، وعدم الاعتراف

بالوضع القائم ، وبأن تنقطع صلة المفوضية بالسلطة الحاضرة ، فيما عدا تمشية الأمور الاعتيادية ، وبأن يتصل الوزير بزملائه ممثلي الدول العربية ، لطلب تأييد هذا الموقف من قبل حكوماتهم .

« ثم يضيف وزير الخارجية أنه أرسل برقية وزيرهم في دمشق عن ذلك ، وصورة منها إلى ممثلي العراق في الدول العربية والدول الثلاث الكبرى للمعلومية.

« ويرجو وزير الخارجية رفع ما تقدم إلى جلالة الملك . كما يرجو أن نرفع باسمه وباسم نوري السعيد رغبتهم في معرفة رأي جلالته في الحالة في سورية ، وما يشير به عليهم في هذا الموضوع . وبعد ذلك قرأ عليّ برقية وردتهم من وزيرهم في دمشق ، يذكر بأن جميع المفوضيات في دمشق تشكو من صعوبة الحصول على المعلومات في وقتها ، فيما عدا المفوضية الفرنسية ، وذلك لانحصار السلطة في يد الشيشكلي . والمقصود من هذه البرقية الأخيرة واضح وهو إظهار الصلة بين الشيشكلي والفرنسيين . وقبل خروجي من عنده أكد عليّ في أن أخبره بما يراه جلالة الملك وما يشير به عليهم تجاه الحالة في سورية » .

، ، ،

وأملى الملك عبد العزيز ، رداً على برقية وزيره المفوض في بغداد ، نصّ البرقية الآتي :

نجدية — بغداد . في ٧١/٣/٧هـ (١٩٥١/١٢/٦م)

ج — قابل وزير الخارجية العراقية . وأبلغه جواباً على حديثه معك بشأن الموقف الأخير في سورية : إن موقف الحكومة العربية السعودية ، تجاه سورية ، من قَبْل وفي الحاضر وفي المستقبل ، هو موقف واحد لم يتغير . وهو الحبّ لسورية ، والعطف عليها ، والعمل على استقلالها ، وترك أمورها الداخلية لأهل سورية أنفسهم . يتخذون الخطة التي يتفقون عليها بينهم . ونحن على يقين لو أن الحكومات العربية الأخرى اتخذت هذه الخطة ، إزاء سورية ،

لم يكن شيء من هذه الأحداث التي نراها مع الأسف تتمثل أمامنا في سورية من حين لآخر .

« وقد سبق للابن فيصل أن ذكر لتوفيق السويدي ، عندما كان رئيساً للوزارة العراقية ، حين اجتماعه به في مصر ، أن أحسن خدمة تقدّم لسورية في ظروفها الدقيقة ، هو أن تُمنع الدعايات من قبل الدول العربية تجاه سورية ، ويترك الأمر للسوريين أنفسهم ليتدبروا شؤونهم بنفسهم . وهذه أسلم سياسة ينبغي أن تتخذها الدول العربية بعضها إزاء بعض .

« ولو سمحت أية دولة عربية لنفسها في أن تتدخل في الشؤون الداخلية لدولة عربية أخرى ، عند حدوث أيّ أزمة من الأزمات في ذلك البلد ، لوقع من ذلك شرور كثيرة مآلها ما هو أمامنا في الوقت الحاضر في سورية .

« والذي ننصح به إخواننا العراقيين أنه يجب علينا وعليهم أن لا نزيد الأزمة في سورية تعقيداً ، بنصر فريق على فريق ، وأن ينصح الجميع بأن الأمر بينهم على الطريقة التي يرتضونها .

« والذي فهمناه من الرجال القابضين على الحكم اليوم أنه لم يحملهم على القيام بما قاموا به إلاّ شعورهم بأن هناك دعاية ، في بلد عربي ، تريد أن تغير الوضع في سورية بشكل آخر . وهذا ليس منه أيّ فائدة لسورية ولا لغيرها من البلدان العربية ، وإنما يحدث الشقاق ويزيد في الارتباك . والأفضل ترك الأمر لأهل سورية ، يتدبرونه بأنفسهم .

عبد العزيز

[٨]

إلى عبد الرحمن عزام

برقية بالجفر ، عن طريق المفوضية العربية السعودية بالقاهرة .

نجدية — مصر

هذه إلى عبد الرحمن عزام :

« تلقينا برقيتكم وأنا ممنون منكم ومتشكر . أما الرأي الذي عندي ، فأنت وقفت عليه تماماً . وأنت تعرف موقفي مع أهل سورية ، سابقاً ولاحقاً . وأهل سورية يعرفون ذلك تمام المعرفة . ومنذ صارت هذه الحادثة الأخيرة ، وأنا ملحّ على الفرنساويين وملحّ على الأميركيين والبريطانيين ، تارة في البرقيات وأخرى بواسطة وزرائهم .

« أما الفرنساويون ، فقد كان أتانا منهم مكتوب طيب . قبل هذه الحوادث الأخيرة ، مظهرين فيه لنا الصداقة ، وأنهم مستعدون أن يقبلوا نصائحنا . وبعد الحادثة ، كتبت لهم رسالة بينت فيها ما عندي . وذكرت لهم أن الأحسن هو أن يخلّصوا أمورهم مع سورية ولبنان ، بطريقة ودية تحفظ مصلحة أهل سورية ولبنان ومصالحهم . وأن عملهم هذا سيكون له أحسن الأثر في حقهم . القصد ، كتبت لهم كتابة مثل ما تقول العامة « سَوْط ولَهْس » [١] وأخبرتهم إن كان يريدون أن أتوسط في مسألتهم فنحن مستعدون . وإلى الآن لم يصلنا جوابهم .

« وأما البريطانيون والأميركان ، فكتبنا لهم مراراً في هذه المسألة . فأما البريطانيون ، فالحقيقة أنهم معذورون ، موجب الانتخابات الحاضرة في بلادهم وانشغالهم بها . وأما الأميركان فإنهم يؤملونا آمالاً طيبة ، مثل ما ظهر لكم .

« أما الدعاية في هذا الصدد ، ففيصل بأميركا ما قصّر ، هو وإخوانه عملوا كل مستطاع هناك . ونقول : إن شاء الله أنها تنجح . وذلك موجب تأكيدنا عليهم .

---

(١) أي عنف ولين . مأخوذ من أن راكب الراحلة ، يضربها بالسوط مرة ؛ ومرة يحكها بعقبه . أفادنيه الأستاذ حمد الجاسر .

« علاوة على ذلك ، أخبرنا الابن فيصل بأنه بعد ما تنتهي مسألة المؤتمر ، قصده يستقيم (يقيم) مدة لأجل الدعاية لسورية ولبنان وفلسطين . وأجبناه بأن مسألة الدعاية تهمّ الجميع . ولهذا يجب أن يتشاوروا مع البريطانيين والأميركان في هذا الأمر ، أحسن .

« أخي ، إن الكلام في هذه المسألة يطول ويعرض . أما كلام الدول ، وبالخاصة بريطانيا وأميركا ، فكل ما يتكلمون ، نحن نرى له نتائج طيبة . ولكن يحصل بعض الملاحظات التي لم تعرف الغاية منها . وهي ثلاثة أمور : الأول اشتغالهم في أوربا ما يخفاكم . وهم مرتبكون في أمورهم . والثاني حالتهم مع اليابان . كل هذا يشغلهم عن مسألتنا . وكلها خطرة عليهم . الثالث مسألة اختلاف الحكومات فيما بينها . إذ نرى ونشاهد اختلاف وجهات النظر فيما بينهم ، ولا نرى بينهم اتفاقاً . والرابع ، ما هو خافيكم مقاصد الحكومات وأهدافها البعيدة والقريبة . فهذه لا بد أن تضعوها أمام أعينكم . واعلموا جزماً بأنهم يقدمون مصالحهم على كل شيء . وإذا حدث شيء من المشاكل ، فإن مصالحهم مقدمة على كل حال .

« أما مسألة فلسطين ، فحالتها ليست خافية عليكم . تعرف أن الموقف فيها صعب من جميع الوجوه . نرجو الله أن يسهل الأمور .

« وأما سورية ولبنان، فلا أظن أن الحكومة البريطانية والحكومة الأميركية يرضون بضغط الفرنساويين على العرب . لأن هذا ما هو من مصلحتهم . ومصلحتُهم تقضي بأن لا يُطردوا من سورية بتاتاً . وفي الوقت نفسه لا يتمكنون فيها كلياً .

« ولكن حوادث العالم مشكلة ومعقّدة، ليس لأيّ حكومة ، في سياستها وتمشية أمورها ، حرية التصرف . وكل منهم يحتاج إلى صاحبه ، يدان فوقهما يدان .

« ونحن أمام ثلاثة احتمالات ، الأول : لا نعرف حقيقة بريطانيا وأمريكا في الوقائع التي تحدث في سورية ولبنان . وماذا يريدون ؟ هل يريدون أن يقوموا

قومة طيبة أو أنهم يريدون أن يخمدوا ؟ أما الظواهر التي ظهرت لنا لحدّ الآن ، فإنها إن شاء الله ستكون ناجحة . وهذا سيكون إن شاء الله . ولكن مصلحتهم الحاضرة ، كما ذكرنا أعلاه ، غير معلومة لدينا ، ولا حقيقة مرادهم . الثاني أننا نحبّ نصيح ونعمل كل شيء . وفوق الصياح . وقد كتبنا برقية موقوفة في جدة ، لترسل عند اللزوم ، وهي لفرنسا وأميركا وبريطانيا . لكن ما بانت لنا النتيجة منهم إلى الآن ، حتى نمشي على طريقة بينة .

« الجامعة العربية في أعضل المشكلات . إنّ ترك مسألة سورية ولبنان ، غير ممكن . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن تجازفت الحكومات في أمر ، وقالوه وهم غير قادرين على فعله ، فهذه مصيبة . ورأيي أنا أن يكتب لفرنسا وبريطانيا وأميركا كتابات تبين الحقوق التي لسورية ولبنان ، والشره عليهم (المأمول منهم) لأجل إثبات هذه الحقوق التي لسورية ولبنان . وتصير كتاباتنا حجة للعرب عليهم ، وإظهاراً للحقائق بلا تجازف . الثاني : كلما تقدرون تتقربون من الأمريكان والبريطانيين وتبدون لهم رأيكم وتأخذون آراءهم فهذا أوفق ومفيد ، لأنهم يعضدونكم عند حكوماتهم . هذا ما أراه ، وكما قيل :

وأحزم الناس من لم يرتكب عملاً   حتى يفكّر ما تجني عواقبه

« أما العذر عن سورية ولبنان . وهم في هذه الحالة ، فهذا مشكل علينا وملزوم نقوم بأمرهم . ولكن يكون المدخل واضح ، حتى يكون المخرج أيضاً واسع .

« كنا قبل هذه الحوادث تلقينا دعوة من فرنسا ، لأجل زيارة الابن فيصل باريز ، وكنا لبينا الدعوة مبدئياً . ولكن بعد وقوع هذه الحوادث الأخيرة ، في سورية ولبنان ، وعمل الفرنساويين ما عملوا ، وجهنا رسالة للجنرال ديجول ، ووزير فرنسا ، بينّا بها موقف العرب جميعاً من سورية ولبنان . وطلبنا فيها كلمة من فرنسا توضح بها موقفها حتى تكون الشعوب العربية على بينة . ونحن لا زلنا في انتظار الجواب .

« وإذا وردنا الجواب من ديجول ، وفيه ما يطمن الخاطر ، فنريد أن

نسمح للابن فيصل بالزيارة ، وإذا كان الجواب على خلاف ذلك ، فنريد أن نلغي تلك الزيارة ونفيدهم بأنه لا يمكن أن نسمح بزيارة ابننا إلى باريز بينما فرنسا تقوم بالأعمال العدائية إلى الشقيقات سورية ولبنان . وددنا إخباركم بهذا ، لتكونوا على معلومية .

عبد العزيز

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

في « برقيات » منه مختلفة

كان يُقرأ بين يدي عبد العزيز ، في أوقات متعددة من كل يوم ، ما يُرفع إليه من برقيات أو يَرِد عليه من رسائل (وهذه قد تختصر قبل أن تقرأ له) فإذا كان فيها ما يحتاج إلى مداولة ، تكلم قليلاً بشأنها ، ونظر إلى من حوله من المستشارين (الرّبع ، أو الجماعة) يَسمع ما عندهم فيها ، ثم يملي الإجابة بما يترجح له من الرأي . وقد سبقت الإشارة إلى هذا في مناسبة أخرى . أما أكثر ما يعرض عليه ، مما يراه بديهياً لا يستحق النقاش ، فإنه يملي على الكاتب ما يتراءى له فيه . وليس للكاتب أن يزيد على كلامه أو ينقص منه حرفاً .

فالبرقيات الصادرة عن ديوانه ، أكثرها من تفكيره وإملائه ، حتى « الأحكام » في بعض الوقائع الشرعية .

ومن المهمّ جداً ، أن أشير هنا ، إلى أن الملك عبد العزيز ، كان شديد الحرص على ألاّ يهمل أية برقية تأتيه ، من ملك أو تاجر أو صعلوك ، من دون أن يجيب عليها هو بإمضائه الصريح « عبد العزيز » في جميع المناسبات . وكذلك الرسائل .

ومن أمثلة ما كان يصدر عن ديوانه ، يمكن إيراد البرقيات الآتية :

الكويت لأهله

أبرق إليه من القاهرة ، في ٢ صفر ١٣٥٨ (١٩٣٩/٣/٢٣م) نقلاً عن

بعض الصحف ، أن « راديو » بغداد أذاع في ختام حديث ، أن الملك عبد العزيز يوافق على ضمّ الكويت إلى العراق ، فأملى في الحال ما نصه :

كذبوا ما نشرته الجرائد عن موافقتنا على إلحاق الكويت بالعراق ، فإنا ما وافقنا على هذا ، ولن نوافق عليه ، لأن الكويت لأهله ..

عبد العزيز

لباقة في التكذيب

ونشرت إحدى الصحف المصرية ، في ٢٥ مايو ١٩٣٩ (١٣٥٨هـ) برقية من لندن تقول : إن الملك عبد العزيز طلب من الحكومة التركية إرسال بعثة عسكرية لتنظيم جيشه وتدريبه .

وفي اليوم الثاني ، تلقت المفوضية السعودية ، في القاهرة ، برقية بالجفر ، هذا حلّها :

« انقضوا بصورة خصوصية ، كإنسان سأل بعض المراجع ، أنه ليس مستنكراً أن تطلب المملكة العربية السعودية بعثة عسكرية من تركيا ، على ما بين تركيا والمملكة السعودية من صداقة ، ولكن الحقيقة أن مثل ذلك لم يقع »

عبد العزيز

برقيتان

في جملة ما تلقاه من التهنئات في مفتتح عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) البرقية الآتية :

صاحب الجلالة — مكة

في مثل هذا اليوم بزغ نجم العروبة عند إقبال الزمان ، وأنت الآن محطّ أنظارها ومناط آمالها ، فلعل الله اختارك لتجديد شبابها ولإعادة مجدها . حياك الله وأحياك .

أحمد زكي باشا

وكان الجواب :

أحمد زكي باشا بمصر

نسأل الله أن يوفقنا للعمل بالمبادىء التي تأسست يوم بزوغ نجم العروبة لأن في ذلك السعادة والسؤدد كله . عبد العزيز

لا تفوته النكتة

وأبرق إليه أحد سفرائه في الخارج ، في ١٢ رجب ١٣٥٦هـ (١٨/٩/١٩٣٧م) : هل رُفع إلى جلالتكم قرار عصبة الأمم بشأن فلسطين أم نرفعه ؟ فكان الجواب بالجفر :

رُفع لنا من القدس . وسمعناه من ثلاثمائة راديو أيضاً ..

عبد العزيز

تهنئة بمولود

أُبرق إليه من القاهرة ، بأن القائم بالأعمال فيها « فوزان السابق » وقد تجاوز التسعين ، ولد له غلام ؛ فأبرق إليه بالجفر :

سبحان من يحيي العظام وهي رميم ! عبد العزيز

الوهابية

من مكة ٤ شوال ١٣٥٦هـ (٧/١٢/١٩٣٧م) بالجفر :

نجدية[١] — مصر

قابل النحاس وأخبره أن ما نشرته الجهاد والمصري طعناً على الوهابية ، في معرض الردّ على المراغي ، أساء إلى العلماء والرأي العامّ في المملكة العربية ، وأرادوا عمل ردود على ذلك ونظراً للعلاقات الحسنة السائدة بيننا وبين مصر ، منعنا الدخول في هذه المناقشات . ولذلك نرجو من حكمة النحاس باشا أن

(١) سبقت الإشارة إلى أن (نجدية) هي العنوان البرقي للمفوضية أو السفارة العربية السعودية .

يوعز للصحيفتين لتنشرا بياناً يصحح ما ذُكر عن « الوهابية » التي ليس لها مذهب غير مذهب السلف الصالح ، من أهل السنة والجماعة ، وأن تمتنعا عن نشر شيء من هذا القبيل في المستقبل ، منعاً لكل نزاع بين البلدين .

عبد العزيز

التهنئة بالبنات

وأبرق إليه معتمده في القاهرة ، بأن « فاروقاً » ولدت له ابنة ، وتلقى تهنئات من جميع الملوك إلاّ من جلالته . فتلقى المعتمد البرقية الآتية (بالجفر) :

نجدية — مصر ٨ شوال ١٣٥٧ (١٩٣٨/١١/٣٠م)

ج — لم يسبق أن هنينا أحد بولادة ابنة له ، ولم نسمع بمثل هذه العادة !

عبد العزيز

يعتذر عن الخطأ

وردت منه برقية تشتمل على تعليمات بشأن بيان يُراد نشره في الصحف المصرية . وقامت المفوضية بتنفيذ أمره . فجاءها منه أنها قد أخطأت .. واشتدّ في اللوم والتأنيب . فأبرقت إليه بنصّ ما ورد منه ، وبتفصيل ما فعلته .وبرهنت على أنها لم تخطىء ، فجاءها الردّ الآتي (بالجفر) من الرياض :

نجدية — مصر

ج — برقيتكم.. بارك الله فيكم . سأبين لكم المسألة .والحقيقة ما وُدّي بيانها لكم ، فتُلقونها حجة علينا . لأنها من جهة خطأ ، ومن جهة صواب . أما الصواب فكلامي الذي تكلمت به مع الجماعة ، هو الكلام الذي أخبرتكم به . وهو نشر البيان حال وصول البرقية لكم . وانتظار البريد في الأمر الثاني . وأما الخطأ ، فلما أعدنا النظر في البرقية المرسلة ، رأيناكم على صواب في عملكم . وقد عملتم اللازم . وكان الخطأ من فؤاد حمزة وبشير السعداوي ويوسف ياسين . لأنهم هم الذين أدمجوا المسائل بعضها في بعض . والكلّ مستعد

في الحق لكم، أنتم وخير الدين . ولكن هل تريدون حقكم من الجماعة أم تريدونه منا نحن ؟ والحقيقة لما رأيت مضمون البرقية المرسلة لكم ، تأسفت على ما كتبته لكم . ولكن لا بدّ ما يأتيكم منا خبر ثاني .

عبد العزيز

أما الخبر الثاني ، فكان هدية لطيفة ..

في مفاوضات مع الإنكليز

من الرياض ١٩٣٥/٧/١٢ (٩ ربيع الثاني ١٣٥٤) بالجفر :

الابن سعود — لندن

برقيتكم وصلتنا : من قِبَل ما نشرته جريدة التيمس ، فليس هو مقصد الإنكليز الحقيقي . ولو كان مقصدهم ذلك ما نشروه بحضوركم . وإنما أرادوا يظهرون عدم انتهاء الأمور ، ليُكبروا الأمر عليكم . فأنتم الزموا موقفكم بثبات تامّ ، لأن مالنا عن مطابنا مهرب ، والحاجة لهم ، وتمسككم بمطالبنا مشروع ، وحجتنا قوية ، وما وراءكم حسوفة .

عبد العزيز

في مقاطعة ألمانيا

اتجه رأي الحكومات العربية ، سنة ١٩٥٣ (١٣٧٢هـ) إلى إنذار ألمانيا ثم مقاطعتها سياسياً واقتصادياً إذا هي أبرمت اتفاقها مع حكومة إسرائيل ، على ما سُمي بالتعويضات .

وأبرقنا بهذا من القاهرة إلى الملك عبد العزيز ، فجاء جوابه من الرياض بالرقم ٢٤٨ تاريخ ٧٢/٧/٦هـ الموافق (١٩٥٣/١/٢٢م) بالنص الآتي :

ج ٤١١ — من جهة موقف الدول العربية مع الحكومة الألمانية بخصوص التعويض على إسرائيل . فالذي نراه هو بذل كل جهد ممكن لمنع التعويض ، لما فيه من تقوية لليهود وخطر على العرب . ولكن إذا تعذّر هذا الأمر ،

فالمعقول والمستحسن أن تحفظ العرب كرامتها بالوقوف موقفاً مشرفاً للعرب ، وغير مثير لحفيظة الشعب الألماني المغلوب على أمره ، وجلب عدائه للعرب بدون جدوى .

عبد العزيز

أحرق أوراقك !

أبرق إلى الملك عبد العزيز ، موظف جديد في مفوضيته ببغداد ، كان قائماً بالأعمال : سطا اللصوص على المفوضية وسرقوا منها سجادة .. وعُرضت البرقية على الملك فأملى :

ج : أحرق أوراق المفوضية ، وعد !

عبد العزيز



الملك عبد العزيز ، يتحدث إلى الدكتور محمد حسين هيكل

في مقال

كتب الدكتور محمد حسين هيكل « باشا »
مقالاً [1] عن الملك عبد العزيز جاء فيه :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدأت في البلاد العربية نهضة طامحة ، غرضها أن تتسنم من مراقي الحضارة الحديثة ما يؤهلها له ماضيها المجيد ، وملكات أبنائها المتوثبة إلى أسباب العزة والمجد .

فلما قامت الحرب العالمية الأولى ، ونادى المنادون فيها بأنهم يريدون للعالم الحرية والسلام ؛ زاد اندفاع شعوبها في سبيل نهضتها .

وتاريخ البلاد العربية بعد يقظتها جدير بالعناية ، والتأمل الطويل ، في تطور الحوادث ، تطوّراً صاغه الملك ابن سعود بحكمة وحزم ؛ وحسن سياسة كان لها أثرها في إقرار السلام في شبه الجزيرة وفي توجيه النهضة في تلك الأرجاء توجيهاً صالحاً يبشر بخير النتائج .

ولقد تغلّب « صقر الجزيرة » على ما كان بين اليمن والمملكة العربية السعودية من خصومات أدّت غير مرة إلى القتال ، ثم انتهت إلى إقرار حالة الإخاء والأمن بين الملكين وبين الدولتين .

كما استطاع أن يُقرّ علاقاته مع الدول الكبرى ، وفي مقدمتها بريطانيا وأمريكا ، على أساس من المودّة وحسن التفاهم ، من غير أن يضيع على بلاده حقاً أو يحقق لطامع مطمعاً .

---

(١) البلاد السعودية ٤/١٠/١٣٦٩

حِمى عبد العزيز

ورد ذكر « الحِمى » كثيراً في كتب المتقدمين . وكان للملك عبد العزيز « حمى » لخيله أيضاً . قال ابن بليهد [١] في كلام عن « مياه الجُلوُه » الواقعة – حسب تعريفه – بين كثيبي السرّ وقنيفذة : كانت الجُلُوه قد درست ، ثم ظهرت في صدر القرن الرابع عشر ، فإذا هي آبار منحوتة في الصفا ، طولها من ثلاثين باعاً إلى خمسة وعشرين باعاً كأنها من النحائت العادية . ماؤها عذب . وحدّها الجنوبي بئر يقال لها « سامودة » وتليها بئر تسمى « البديعة» وحدّها الشمالي آبار كثيرة يقال لها « البعائث » واقعة في روضة كبيرة . وهذه الآبار حماها الملك عبد العزيز ، لخيله . وهي الآن معروفة في تلك الناحية باسم « الحِمى » .

المناهِل لورادها

وكانت المناهل في صحارى الجزيرة « محتكرة » لبعض القبائل . ولما حكم عبد العزيز ، كفّ عنها أيدي « المحتكرين » وجعلها مشاعاً لمن يَرِدها . قال ابن بليهد[٢] عندما ذَكرَ « المُجزّل » : كان في صدر الإسلام لبني تميم ، وفي العهد الأخير يُعدّ من مناهل مطير . وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود ليس لأحد ملك ..

ما الصنم الذي هدم في عهده ؟

تحدث ابن بليهد[٣] عن قبيلة « دوس » وقال : إنها من أقرب القبائل اليمانية إلى الحجاز ، ومنازلها من العهد الجاهلي إلى هذا العهد ، في الحجاز الجنوبي ، في بلاد زهران . ثم قال : وكان عندهم « ذو الخلصة » الصنم الذي

(١) صحيح الأخبار ١ : ١٧٥–١٧٦
(٢) صحيح الأخبار ٥ : ٩٠
(٣) صحيح الأخبار ٣ : ١٨٦

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه ثم هدم في عهد الملك عبد العزيز آل سعود .

قلت : ذو الخلصة مختلَف فيه ، هل هو صنم أو بيت ؟ والأرجح أنه كان بيتاً قبل الإسلام يدعى « الكعبة اليمانية » انتدب النبيّ ﷺ جريراً البجلي لهدمه ، فهدمه (وفي رواية : أحرقه) سنة ١٠ للهجرة ، فهو ولا ريب غير الصنم الذي يذكر ابن بليهد أنه كان في قبيلة دوس وهُدم في عهد عبد العزيز . ولعلّ هذا شبه وثن قديم ، كان الأعراب يحسبونه ذا الخلصة ، فأمر عبد العزيز بهدمه .

في رحلاته

كان عبد العزيز ، أيام رحلاته في البادية ، قبل السيارة والطائرة ، ككلّ أعرابي أنيق : ينام على الفراش والسجادة في الليل ، ويضعهما تحته على الكور ، في سفره على الراحلة . ولا يحمل في جيبه شيئاً ، لا ساعة ولا قلماً ولا ذهباً ولا فضة . وقد لا يكون في ثيابه جيوب البتة .

إلا أنه يحمل ساعة في الخُرج عند السفر ، ويضعها تحت الوسادة عندما يقيم في مكان . وهي في صندوقها الذي جاءت فيه من المعمل .

ويحمل ناظوراً كبيراً لا غنى له عنه . فهو كثيراً ما يراقب من مجلسه حركات رجاله وخدامه وغيرهم [١] .

ويُبْرِق في تنقله

ثم كان من عادته — بعد السيارة والطيارة — إذا ترك الرياض ، أن يأمر بالإبراق إلى من لا يكون معه ، من كبار أبنائه ومستشاريه وسفاراته ، من أي مكان يستقرّ فيه . مثال هذا :

---

(١) ملوك العرب ٢ : ٥١

من مكة (في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٣)
الابن منصور — الإسكندرية
وصلنا مكة آخر نهار الخميس بالصحة والسلامة . صحتنا تسركم
عبد العزيز

وإذا كانت رحلته إلى الصيد والقنص ، صدرت البرقية عن « الشنطة » أي حقيبة اللاسلكي ، من البرّ .

يتوقف في الطريق

وكان من عادته بعد الانتهاء من اصطيافه في الحوية ، أو في الطائف ، وخروجه من مكة لركوب الطائرة إلى الرياض ، أن يجعل « أم السّلَم » محطة له ، قبل دخول جدة ،

ويَعْلم أعيان جدة وكبار الموظفين فيها بقيامه من مكة ، فيتسارعون إلى أم السلَم لاستقباله والتسليم عليه .

وقد يبطىء بعضهم فيتكتلون جماعات ، ويقفون في الطريق ، ويراهم هو قادم بموكبه ، فتتوقف سيارته ويجيئونه يسلمون عليه واحداً فآخر .

وفي « مفكرتي » بتاريخ ٧ محرم ١٣٧١هـ (٥١/١٠/٨) :

« تأخرت عن إدراك الملك ، قبل قيامه من أم السلم . وكنت أقود سيارتي . فرأيت الموكب قادماً . فترجلت . ووقفت منفرداً . ورآني فاستوقف سيارته . والملك كعادته جالس إلى جانب السائق . ومن خلفه أخوه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، ونجله النائب العام الأمير فيصل . وأسرعت فسلمت . وسألته عما يجب أن أعرفه ، ولا سيما مقابلة السلك السياسي له ، فأجاب ، وضرب لهم موعداً ضحى الغد وانحرفت ، فاستعرضت الموكب ، وهو في نحو ٢٠٠ سيارة »

ويشبه ما تقدم ، قول عبد الوهاب عزام :

خرجنا ضحى الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٣٦٧ (١٩٤٨/٣/٢٦) نؤمّ بعض البساتين ، في الرياض . وبينما نحن نسير على الطريق الذي يمر بالقصور الملكية توقف السائق قائلاً : الشيوخ ! . ورجع القهقرى . فعلمنا أن الملك عبد العزيز مجتاز . وانحاز السائق عن الطريق ، فنزلنا . ومرّ الملك فرآنا ، فسلم . وأمر فوقفت السيارة ، فأسرعت وسلمت عليه . فقال : من أين ؟ قلت من دار الضيافة إلى خارج البلد . فقال : اليوم الخميس وهو يوم العلماء وأنا ذاهب للقائهم . وقال : جولوا حول البلد ، هذا بلدكم ، وأمر من معنا أن يذهب بنا إلى بستان الأمير سعود وبساتين أخرى [١]

(١) رحلات عزام ٢٠٢

الملك عبد العزيز

يضع عن شعبه كثيراً من الضرائب

المملكة العربية السعودية من أقل ممالك العالم ضرائب ، فلا ضريبة هناك على رؤوس الأموال ، ولا مقاسمة للورثة ، وليس على العقارات التي يسكنها أصحابها شيء من الرسوم .

وكان جزء كبير من نفقات الحكومة في الحجاز وبعض بلدان المملكة ، تقوم به ضرائب الجمارك ، على أساس النظام العثماني القديم .. حتى أن أول بعثة علمية للدراسة في الخارج ، أُنفق عليها من ضريبة إضافية ، هي قرش واحد ، على كل طرد من البضائع يدخل البلاد .

ووضعت الحكومة « تعريفة » جمركية جديدة سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) لم تلبث أن تناولتها عوامل الرفق والإشفاق وتنشيط الصناعة والزراعة والبناء ، تخفيضاً وإعفاءً ، إلى أن اقتُصر بها على الكمالي من المستوردات .

خُفضت الضريبة الجمركية عن الأقوات، كالأرز والحنطة والدقيق والشعير والذرة والعدس والفول والسكر والتمر والسمن ، خمسين في المئة .

وأُعفيت موادّ البناء ، كالخشب والحديد والإسمنت ومشتقاتها ، من جميع الرسوم .

وأُعفيت من الرسوم موادّ بناء الفنادق ولوازمها كأسرّة النوم ومضخّات الماء وأدوات التنوير بالكهرباء ، وما يتبعها .

وأُعفيت آلات الزراعة والحرث وتفريخ البيض وحلب الأبقار ، تنشيطاً للزراعة ، من كل ضريبة .

وأُعفي من الضريبة الجمركية غزل النسيج الذي يرد للشركات والمناسج . كما أعفيت الكتب العلمية والدينية ودفاتر تلاميذ المدارس ، وصفائح تعبئة التمور في الأحساء ، وكل ما يرد من الأطعمة من اليمن إلى سكان المنطقة الجنوبية في المملكة ، والأطعمة التي ترد من العراق وسورية إلى المنطقة الشمالية الشرقية ، والأغنام وزيوت الطعام .

وخُفّضت للمزارعين رسوم البنزين ، والغاز الأبيض ، ووسخ الغاز (الديزل) فيما يستعملونه للمكينات الزراعية .

ذلك عدا ما أدخل في صلب التعريفة من الاعفاآت .

، ، ،

والضريبة التي يعرّفها علماء الاقتصاد بأنها « جباية إجبارية تفرض على الأفراد الذين يساهمون في الاستفادة من خدمات الدولة » قد عالجها الملك عبد العزيز معالجة « إنسانية » أبوية محضة ، بتحميل جانب من موارد الدولة عبء الجانب الآخر .

وذلك أن دخل البلاد من الجمرك والحجّ والرسوم العادية الصغيرة ، كان يعتبر « كافياً » إلى حدّ ما ، لقيام الهيكل الحكومي في ابتداء نشوء الدولة وتكوّنها . ولوحظ آنذاك أن الغالب على الجمهور الفقر ، فلم تكن هناك رؤوس أموال كبيرة تستثمر إلاّ في بيوت محددة العدد ، ولم يكن في العقارات ما يدرّ الريع المغري ؛ فاكتفى بفرض رسوم زهيدة عليها سُميت رسوم الإيجار.

ولم تعرف بلاد نجد ، وهي الجناح الأول من جناحي الدولة ، شيئاً اسمه الجمرك ، قبل ضمّ الأحساء إليها سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م)

زد على هذا أن مبدأ الحكم الذي قام عليه مُلك عبد العزيز ، هو تجنّب

إرهاق الفرد ، والعمل على التخفيف عن الجمهور ، فلم تكلف رعيته أيّ نوع مرهق من المساهمة المالية .

ودخلت البلاد في طور آخر بعد اكتشاف الثروات المعدنية في باطن الأرض فلما بدأ النفط والذهب يسدّان بعض جوانب النقص في الموازنة العامة للمملكة، جنح الملك إلى التخفيف التدريجي عن عاتق المستهلك . فبدىء أول الأمر بتخفيض نسبة معيّنة من الرسوم الجمركية ، المفروضة على الوارد إلى البلاد ، من مواد الغذاء . ثم لوحظت حاجة السكان إلى التوسّع في العمران ، فأعفيت موادّ البناء . وبدأت حركة الزراعة تنشط ، فأعفي ما يرد من أدواتها . وقس على هذا .

وكانت النتيجة ما رأيناه في موازنة المملكة السعودية من تحميل ريع « النفط » وهو أعظم مواردها ، عبء الضرائب الفردية التي اعتيد في الممالك الأخرى إجبار الرعايا على تأديتها ، لقاء مساهمتهم في الاستفادة من خدمات الدولة .

، ، ،

وفي البلاد السعودية باب ثابت من أبواب « الجباية » هو « الزكاة » سألت عنه وزارة المالية ، فأجابت بما أذكره على سبيل الاستطراد واستكمال الفائدة، قالت :

« من حين دخول جلالة الملك إلى الأراضي الحجازية ، أمر باستحصال الزكاة ، على المزارع والمواشي ، بموجب الأحكام الشرعية الخاصة بها .

« أما طريقة الاستحصال ، فتتلخص فيما يأتي :

١) تقرر المجالس الإدارية، في كل بلد، متوسط أسعار الحبوب والمواشي. وبعد درسها وظهور موافقتها لمصلحة الرعايا والخزينة يبلّغ الجباة ، باعتبارها أساساً لمن يرغب دفع بدل الزكاة المطلوبة منه نقداً ومن يرغب في دفعها عيناً يقبل منه . بمعنى أن الحكومة تترك حرية الاختيار للرعية في دفع الزكاة ، إما عيناً أو نقداً .

٢) الزكاة العينية تستحصل من متوسط النوع الواجبة فيه الزكاة ، اتباعاً للحديث الشريف : « اتقوا كرائم أموالهم » .

٣) في أغلب الأحيان ، توزع الزكاة على الفقراء التابعين للقرية أو القبيلة التي جبيت منها . وإذا كانت كمية الزكاة بسيطة ، فإن الحكومة تقوم بتوزيع نقود وكساوى على الفقراء كما هو مشاهد .

« والحقيقة أن الملك كان يرى في الزكاة شعيرة إسلامية يجب أن تؤدّى ، قبل أن يرى فيها مورداً من موارد الدولة . وسواء لديه أكان هذا المورد ضخماً أم كان ضئيلا ، أو انقلب إلى باب من أبواب الإنفاق »

، ، ،

هذا ما تفضلت وزارة المالية ببيانه . ويزاد عليه ، اعتماداً على سجلات الوزارة نفسها ، أن الزكاة المفروضة هي « اثنان ونصف في المئة » من قيمة ما يملك الفرد ، من عقار وتجارة ونقد وأسهم مالية وودائع في المصارف وما يشبه ذلك . ومن حق الدولة « الإسلامية » إذا اقتضت المصلحة العامة ، أن تتولى بوسائلها ، تحصيل الزكاة من المزكين في مواعيدها ، والتصرف في إنفاقها على وجوهها ، تنظيماً لما يتحصل ولما يصرف ، وإبراءً لذمة الفرد أمام ضميره في تأدية ما فرض عليه ربه .

إلاّ أن عبد العزيز رأى ، إرضاء للمزكّي في توزيع زكاته ، أن يجعل للدولة نصف الزكاة ، تتصرف في إنفاقه ، وللفرد التصرف في النصف الثاني.

« إن الزكاة الشرعية المفروضة على النقود ، وعروض التجارة ؛ هي رُبع العُشر (اثنان ونصف في المئة) فعلى بيت المال (وزارة المالية) أن يستوفي من رعايانا ثُمن العشر (واحداً وربعاً في المئة) ويترك ثُمن العشر الباقي (واحداً وربعاً في المئة) لرعايانا . ينفقونه بأنفسهم على المستحقين الذين فرض الله الزكاة لهم . وحسابهم على الله .. » [1] .

---

(١) المادة الأولى من المرسوم الملكي رقم ١٧/٢/٢٨/٨٧٩٩ في ٨ رمضان ١٣٧٠

وقبل هذا ، أوضحت وزارة المالية[١] بناء على مرسوم ملكي آخر[٢] موعد استحقاق تأدية الزكاة ، والأفراد الواجب عليهم دفعها بما نصه :

« تستحق الزكاة على جميع الأفراد والشركات الذين يحملون الرعوية السعودية على السواء ، ذكوراً وإناثاً ، بالغين وقاصرين أو محجوراً عليهم ، في ختام كل عام ؛ وفاقاً لأحكام الشريعة . ابتداء من غرة المحرم ١٣٧٠ ا هـ »

وهنا ، في بلاد عبد العزيز ، شركات أجنبية ، وأفراد غير سعوديين ، ليس في شريعتهم ما يشبه الزكاة ، فلهؤلاء نظام خاص مستخلص من نظم بلادهم مع العدل والرفق ، كضريبة الدّخل وما يشبهها .

وفي بلاد عبد العزيز أيضاً، مايسمى « إعانة الجهاد » يؤديها أهل الحواضر كسكان الأحساء والقطيف والقصيم ومدن الحجاز وعسير وجبل شمر ؛ ممن كان عليهم أن يشاركوا في خوض الحروب إلى جانب القبائل والبادية ، ولكنهم أُعفوا من الدعوة إليها . وكانت لها شعبة خاصة في الديوان .

، ، ،

ولسائل أن يسأل : هل تكفي إعانة الجهاد وموارد الجمارك ، مضافة إلى نصف الزكاة الذي هو واحد وربع في المئة من ثروة الفرد (أو ما يعترف به الفرد من ثروته) لتنظيم جهاز الدولة والإنفاق على موظفيها وعلى جندها وسلاحها وما إلى ذلك ؟ ونجيب : لا ، ولو كان منفّذ أحكام الشرع في بلاد عبد العزيز غير عبد العزيز ، لما استعصى عليه أن يجد منافذ إلى ثروات رعاياه ، بما يمكن سنّه من النظم إلى جانب الزكاة . ولكن عبد العزيز مَشُوق بطبعه إلى الرأفة بالناس ، ما استطاع الرأفة . وأمامه (النفط) فليكن من ريعه الإنفاق على مرافق الدولة ، ولا تضييق على عباد الله . ذلك « منطق » عبد العزيز ، رضيت وزارة ماليته أم أبت .

---

(١) في المادة الأولى من قرارها الوزاري رقم ٣٩٣

(٢) رقم ٨٣٣٤/٢٨/٢/١٧ في ٢٩ جمادى الثانية ١٣٧٠

طب البادية

كان لعبد العزيز إلمام بشيء من طب البادية ، أخذه عن أهلها في حياته بينهم. وكانت لأبيه الإمام عبد الرحمن معرفة أيضا في هذا النوع استفادها من قراءة كتب الطب القديم كتذكرة داود .

وأصيب طفل لعبد العزيز ، بحمّى طال أمدها ، فأرسله إلى القاهرة . وعالجه فيها كبار الأطباء ، على غير جدوى . وأبرقنا إلى الملك بذلك ، فجاءنا منه :

« إذا كان عندكم الكنا كينا فليعالج بها »

ولم يعرفوا الكنا كينا . وهي نوع من الكينا (Cuinine) كان يُجلب إلى جزيرة العرب من الهند . ويئس الاطباء ، ولم يبالوا ببرقية الملك ، فطلبوا منا أن نبرق إليه برأيهم في سفر الأمير إلى بلاده : وقال لي أحدهم . لأن يموت بين أهله أفضل من أن يموت هنا !

وأبرقنا ، فأرسل طبيبه الخاص (وهو يومئذ الدكتور رشاد فرعون) فأخذ الأمير إلى الرياض . وعالجه بالكنا كينا فشفي .

ثيابه

كانت ملابس عبد العزيز غاية في البساطة . فهي في الصيف ، ثوب من القماش القطني ، أو الكتان الأبيض ، تعلوه عباءة رهيفة . وفي الشتاء يلبس قميصا من الصوف ، تحت الثوب الخارجي ، وهو من الصوف أيضا . ولا يلبس الثياب المطرزة بالقصب ، بل يلبس الشال الكشمير أو السليمي . ويحتذي النعال في الصيف ، والكندرة (الحذاء) في الشتاء (١)

وكان من عادته أن يبدل ثيابه مرات في اليوم. ويندر أن يعود فيلبس رداء نزعه .

ونوه بعض المراسلين الصحفيين (٢) بمعمل خاص قال إنه أنشيء في دمشق ، لصنع ملابس الملك عبد العزيز وأنجاله وخاصته وبعض هداياه ، كان يشتغل فيه مئات من العمال. وقدر المراسل ما ينفق سنوياً على صنع هذه الملابس بثلاثة عشر ألف جنيه ذهباً .

(١) البلاد العربية السعودية

(٢) المقطم ٥ اكتوبر ١٩٣٥

الملك عبد العزيز

والوهّابية

الوهابية وَهْمٌ ، أو اسم اخترعته الدعاية المفترية في عهدي السلطانين سليم الثالث ومحمود الثاني ، من سلاطين آل عثمان ، أيام كانت البلاد العربية — مصر والشام والعراق والحجاز وأطراف نجد وأكثر اليمن — من الولايات الخاضعة للدولة العثمانية وسلاطينها ، ومن ينتدبونه لحكم هذه البلاد ، من ولاة ومتسلطين وقواد .

ففي عهد السلطان سليم الثالث ، وقبله ، كانت الإمارة في نجد لآل سعود ، استقلالاً وعاصمتهم الدرعية .. وكان الأمير منهم في بدء أيام السلطان محمود الثاني ، سعود بن عبد العزيز ، ثم عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، والبيعة : « على دين الله ورسوله والسمع والطاعة » .

وفي أيام السلطان مصطفى الثالث ، بدأ الناس يتحدثون بنبأ فقيه مسلم حنبلي ، من أهل « العُيينة » بنجد ، اسمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان. كان أبوه قاضياً ونشأ هو نشأة علمية صالحة ،وساءه أن يرى في قلب الجزيرة أباطيل وأضاليل ألصقها بالإسلام جهال ، لا حظّ لهم منه ، غير التسمي به والانتساب إليه؛ فقام يدعو إلى التوحيد الخالص وتطهير الدين مما علق به من أدران الجاهلية الأولى وبِدَع الجاهلية الثانية . وجهر بالزجر ، فقاومه بعض عشيرته ، فقوي عليهم بمناصرة آل سعود له .

وتناقل الناس في بادية نجد والعراق ، ثم في حواضر الحجاز والشام ومصر ، حديث « ابن عبد الوهاب » ونصرة آل سعود لدعوته ، وما كان لهم من فتوح وللدعوة من انتشار . ووصل النبأ إلى الآستانة ، وفيها وفي البلاد التابعة لها يومئذ ، من شيوخ الدّجَل مئات وألوف ، قامت حياتهم على الترهات والبدع والخروج بالإسلام عن حقيقته . والدولة العثمانية في إبان نشوتها ، بما بلغته من سيطرة وسلطان ، باسم « الدين » و « الخلافة » .

تحرك ساكن النقمة على آل سعود ، في عاصمة آل عثمان . وانتشرت الخشية من أن يشتد ساعد « قلب الجزيرة » فيستردّ أهلها عزّتهم ومنعتهم ؛ فعمد الترك ومن والاهم إلى سلاحين في وقت واحد : أحدهما سوق الجنود من قواهم المعسكرة في مصر والعراق والشام والحجاز وغيرها ، والثاني سياسة الافتئات والتنفير . وللدعاية أثرٌ في كل مكان وزمان .

، ، ،

كيف يشوهون حركة « الإصلاح الإسلامي » التي قام بها ابن عبد الوهاب وناصرها آل سعود ، وقبلتها جزيرة العرب ؟ فليقولوا إن عبد الوهاب مبتدع . ليحاربوه بسلاحه . وليزعموا أنه صاحب مذهب خامس .. ويسموا أتباعه « بالوهابية » .

وقالة السوء سريعة الانتقال . وفي أعداء آل سعود من تسره هذه النغمة . وها هو جيش « الباشبوزوق » يقوده والي الدولة بمصر ، وجيش العثمانيين يقوده والي الدولة ببغداد ، وجيش الآستانة يقوده يوسف ضيا باشا . إنهم زاحفون على بلاد العرب . وليس من اليسير عليهم ولا من مصلحة الدولة الاعتراف بأنهم يريدون إخضاع الجزيرة « الثائرة » فللثورة معناها ومغزاها ، ودولة آل عثمان في ذلك الزمان ، مجموعة عناصر ، تضم رقعتها العربي والتركي والشركسي والأرنؤدي والكردي وغيرهم وغيرهم ، فإذا شاع في هذه الخلائق أن « العرب » على غير ما يرضي الدولة ، انتقض غيرهم وثار ، والشعوب

يُعدي بعضها بعضاً في مثل هذه الأحداث ، خصوصاً من كان منها يشترك مع الآخر في بلواه ، ومن كان يتهيأ لسنوح فرصة ينتهزها .

ولم يكن للترك يومئذ مناص من ستر الغرض « السياسي » غرض القضاء على « الدولة الفتية الناشئة » في نجد والأحساء وعسير والحجاز ؛ بستار كثيف من « الدعاية » باسم الدين ، والدين بريء مما يعملون .

انبثّ الوعاظ والدجاجلة ، يفترون على « آل سعود » الأكاذيب ، بشتى الطرق والأساليب. وانخدعت العامة ، وأطرقت الخاصة ، واستفحلت الدعاية أمام الدعوة . وصدرت المراسيم « الشاهانية » بالزحف لحرب « الوهابية » ووصمها بالخروج عن الإسلام ، وما هناك إلاّ « الحنبلية » السُنّية والعقيدة السلفية .

ولم يكن لدولة « آل سعود » اتصال بالعالم الخارجي . وقد انقطع اتصالها بالعالم الداخلي ، من جيرتها وأبناء عروبتها في مصر والشام والعراق والمغرب ، بقيام آل عثمان لمحاربتها . ولم يكن لها من الأنصار ، على بعد الديار ، غير أفراد لم يفعل في نفوسهم سمّ الدعاية العثمانية ما فعله في نفوس الأكثرين . ظلّ هؤلاء الأفراد منقبضين عن الانغماس في الحمأة ، يهابون الجهر بالحق لما يعقبه من التعرض لنقمة السلطان وعقوبته . ولم ينج من تعرّض فريق من العامة والسذّج أُخذوا بالباطل فانطلقوا يصمون كل داع إلى « الإصلاح » بالوهابية ، حتى لقد بلغ بهم الأمر أن نعتوا بها بعض دعاة الإصلاح الاجتماعي ، من غير أهل الإسلام ، في بلاد الشام .

لقي ابن عبد الوهاب ربه ، راضياً مرضيا ، وبلغ « آل عثمان » من « آل سعود » مآربهم . وهدمت الدرعية ، وانقضى عهد السعودية الأولى . وانفردت بقية من آل سعود بالعمل لاستعادة مجد الآباء وسلطان الجدود . إلى أن وثب عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، فقضى على من كانت العثمانية التركية تغذّيهم وتمدهم وتقويهم : ظفر بآل رشيد في قلب نجد ، وأجلى الترك عن القصيم والأحساء ،واستعاد بلاد الحجاز فوحّد بينها وبين شقيقاتها العربيات

النقيات ، واتصل بالعالمين الخارجي والداخلي ، فأمنت السبل وظهرت طلائع الإصلاح في التعليم والتنظيم ، على السَّنن القويم . وتلفت الناس يتساءلون عن « الوهابية » أين هي ، فلا يجدونها .. وإنما يجدون إسلاماً صحيحاً ، ومذهباً حنبلياً ينتشر بين سائر مذاهب الإسلام .

بقيت كتب « الإفرنج » من افرنسية وإنكليزية وألمانية وغيرها ، وبقيت كتب « الترك » العثمانية وصحفهم ، وأثر الدعاية فيها وفي سائر ما كتب المنفّرون في القرن الماضي ، بارز في كل مكان وزال الأصل الذي كان قائماً على « دعاية التنفير » من نهضة آل سعود الإصلاحية ، في الدين والسياسة والاجتماع ، وبقي الاسم الذي هو « الوهابية » لاصقاً بتلك النهضة وعالقاً بأهلها .

الوهابية ، ليست وصمةً ، ولا هي سُبة . ولكن العامة نفرت منها زمناً ما ، بما غرسته الدعاية العثمانية التركية في النفوس من تشويه لها ولأهدافها ولسيرتها وتاريخها . والنسبة إلى ابن عبد الوهاب ، وهو من علماء الإسلام ، نسبة إلى دعوة الإصلاح الديني والاجتماعي التي قام بها ابن عبد الوهاب في جزيرة العرب .

ويطول نفس القول إذا أردنا الإلمام بما أحاط بالدعوة من أحداث ، وما اكتنفها من مصاعب . ولكن الذي نقف عنده هو أن دعوة آل سعود ، وعلى رأسها ابن عبد الوهاب ؛ نجحت وحالفها التوفيق ، فقامت الدولة العربية المنشودة ، وامتدت جذورها وثبتت قواعدها . وإذا سميناها أو سماها خصومها بالوهابية ، فلتكن التسمية من باب المجاراة لما اصطلح عليه مؤرخو العصر الماضي وتابَعهم فيه بعض مؤرخي عصرنا الحاضر ، ولا ضير . ولتكن التسمية تاريخية أو اصطلاحية . أما الإسلام ، فلا « وهابية » فيه مما كانوا يزعمون .

شبه الجزيرة

في عهد

الملك عبد العزيز

تأليف

خير الدين الزركلي



الطبعة الأولى ١٣٩٠ ﻫ (١٩٧٠ م) بيروت

المَلك عَبد العَزيز

أب ، قبل المُلك وبعده

الملك عبد العزيز لا يلقي القول جزافاً . وقد سُمع في مناسبات متعددة يقول إنه لا يرى نفسه أكثر من « أب » لأسرة كبيرة — هي شعبه — وإنه مسؤول عن هذه الأسرة أمام الله .

وإذا عرفنا من سيرته ، في الأيام العصيبة على الخصوص ، كالحربين العالميتين ، وأيام انحباس الغيث عن رعاياه ، أنه كان يبادر إلى ما في خزانته الخاصة وخزائن الدولة من مال ، فيأمر بالإنفاق منه على إطعام القبائل المجدبة أرضها ،وعلى الأفران تمون بالدقيق لتوزيع العيش (الخبز) على أهل المدن مجّاناً ، لم نشكّ في أنه يعني ما يقول من أنه « أب » لأسرة ..

وهو يعبّر عما في قرارة نفسه ، حين يكرّر في خطبه القول المألوف « الملك لله وحده » فيقف عند كل كلمة منها ،متجرّداً أمام ربه من صفة «المُلك» وقد أعقبها في إحدى خطبه ، بقوله : « وما نحن إلاّ خدم لرعايانا .. »

كان عبد العزيز يصغي إلى الكبير والصغير من شعبه . يستمع إلى أحاديثهم ويشارك المسرور منهم في سروره ، ويتوجّع لألم المحزون، فينسون أنهم بين يدي ملك « يتمتع بحقوق السيادة » ولا يشعرون إلاّ بأنهم بين يدي « أب »

طالما قال – وبرهن على القول بالفعل – : الكبير منكم أخ لي ، والصغير من أبنائي .

والذين كانوا يخاطبون الملك ، بلقبه الرسمي ، إنما هم الأقلون عدداً في رعيته . أما السواد الأعظم فكان يدعوه بأحب النعوت إليه : يا طويل العمر ! أو : يا أبا تركي ! وبعضهم يناديه باسمه مجرداً من النعوت والألقاب : يا عبد العزيز .. ويجيبهم ، مبتسماً أو مصغياً ، ولا يراهم قد خرجوا عن حدود الأدب معه . ذلك لأنه في طويته لم يكن يعبأ بالألقاب ، فضلاً عن كراهيته للملق والتكلّف واصطناع التأدب ..

فإذا قلنا إن الملك عبد العزيز كان « ديموقراطياً » في جبلّته التي فُطر عليها ، فكل خُلق فيه ، وكلّ خبرٍ عنه ، يؤيد هذا القول . لقد عاش وهو يرعى أفراد شعبه ، من خاصة وعامة ، رعاية الأب أبناءه ، ويراهم أسرته التي هو كبيرها وعليه أن يعولها ، قبل أن تبايعه بالمُلك ، وبعد البيعة .

المَلك عَبد العَزيز

في نظر كاتب إنكليزي

كتب المستر كنيث وليمز Kenneth Williams الكاتب الصحفي البريطاني ، مقالاً عن الملك عبد العزيز ، و « الصداقة » البريطانية العربية السعودية لمناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على استرداد الرياض ، هذه ترجمة القسم الأخير منه :

نشرتُ كتاباً في سنة ١٩٣٣ أي قبل اكتشاف الزيت في المملكة العربية السعودية . أو بعبارة أخرى قبل أن تتركز موارد الثروة في المملكة على أساس متين ، أشرت فيه إلى أن الملك عبد العزيز هو حدث فذ في التاريخ . وإني لا أدعي لنفسي أيّ فضل في هذا التنبؤ ، فقد كانت الدلائل كلها واضحة ، وليس فيها شك أو التباس ولكن من دواعي السرور دائماً أن يشعر الإنسان بأنه لم يكن من صف المخطئين ، كأستاذنا في أكسفورد الذي كان رغم مكانته في العلم ، يتوقع تغيراً سريعاً في مجرى الأمور .

إني أكتب اليوم ، كرجل إنكليزي ، ولا فخر في ذلك ، إلا أن كل أعمالي كانت ، منذ الحرب العالمية الأولى ، متعلقة بشؤون الشرق الأوسط ، وقاصرة عليه . وإن كان هذا لا يؤهلني ، بطبيعة الحال ، لأن أرى الأمور بالعين التي ينظر بها العرب إلى أنفسهم . ومع ذلك فإنني أؤكد ، من دون أيّ تحفظ ، أن نجاح الملك عبد العزيز المستمر ، ورزانته وحكمته وبعد نظره ،

هي أمور تقدر في بريطانيا كل التقدير .

وقد سفـّه جلالته آراء ناقديه ، كبارهم وصغارهم . وشاهد العالم أعماله ، في أوقات الرخاء وفي أوقات الشدة ، وعلى الأخص في السنوات الصعبة أثناء الحرب العالمية الثانية ؛ ورأى دأبه على الاحتفاظ بالتوازن والاستقرار . فلا سرّاء ولا ضرّاء ، ولا عسر ولا يسر ، صرف أفكار الملك عن الهدف العظيم الذي كان يرمي إليه ، من بناء ملك منظم حسن الإدارة جدّي الحكم .

فالملك ، كما لاحظ لأول وهلة كل من الرئيس روزفلت والمستر تشرتشل ، وكلاهما لا يستهان بحكمه ، هو من أبرز رجال هذا العصر ، وحصن من حصون العالم الحديث .

وكما قلت ، فإني أكتب هذا كرجل إنكليزي . والإنكليز هم الذين خطب ابن سعود ودهم ، أو بالأحرى انتزع منهم ذلك الودّ انتزاعاً في بدء حكمه وأول عهده .

وإني أذكر هنا أكثر من شخصيتين : السير پرسي كوكس الذي قال لي مرة : إن ابن سعود لم يرتكب خطأ قط ، وأيّ سياسي إنكليزي يمكن أن يقول عنه شخص إنكليزي مثل هذا القول ؟ ثم الكابتن شكسبير الذي قتل لسوء الحظ سنة ١٩١٥ والذي بنى أول دعامة بين بريطانيا والملك عبد العزيز ، بعد السير پرسي كوكس .

وإنه لمن دواعي الغبطة أن يذكر الإنسان كل ذلك . خصوصاً إذا ما أثبتت الحوادث فيما بعد صحة حكم هذين الرجلين ، بعد ازدياد الأصدقاء لابن سعود ، والمعجبين به في جميع أنحاء العالم .

ومنذ أن انتقل كوكس وشكسبير إلى ربهما ، حدثت أمور كثيرة ، في البلاد العربية ، دلت على أن العرب هم الذين يجدر بهم أن يكونوا أول المهتمين بإصلاح شؤونهم وترقية أحوالهم . وإني لآمل أن يوجد بين الإنكليز الآن وفي المستقبل ، من يقتفي أثر كوكس وشكسبير ، وأن تنمو الصداقة البريطانية العربية السعودية وتحيى إلى الأبد .

الملك عبد العزيز

وسكة الحديد ، وأعمال أُخرى

الملك عبد العزيز ، كما قلت في كلمة سابقة : سريع « الانطباع »

انطبع في مخيلته بعض ما رآه في زيارتيه لمصر . ولا سيما الزيارة الثانية . وأعجبه ركوب القطار ، لا قطار الإبل ، بل قطار البخار ، وما كاد يعود إلى بلاده ، حتى أخذ يردد الحديث عن سكك الحديد ، ولماذا لا يكون في السعودية منها ما هو في غيرها ؟

[١]

بين الرياض والدمام

اشتدّت حركة النقل والتنقل بين الرياض والدمام ، بعد ظهور الزيت وأصبح للدمام شأن في استقبال ما تحمل البواخر إلى ميناءه والطريق بينه وبين الرياض صعب السلوك على السيارة ، لكثرة ما فيه من « نفود » الرمال ، وعلى راكب البعير لقلة ما فيه من ماء .

والدمام ميناء على الخليج العربي ، في الساحل الشرقي من المملكة . تفصله عن الرياض مفاوز امتداد الصّمّان ، ورمال الدهناء . وكانت المسافة بينهما بطريق السيارات من الشرق الشمالي : الدمام ، الخُبَر ، الظّهران ، بُقيق ، الهَفوف ، عريعرة ، مفرق الكويت ، الدهناء ، رماح ، الرياض ٧٩٤

كيلومتراً [١] فلماذا لا يكون بين ميناء الدمام وعاصمة قلب الجزيرة قطار حديدي ؟ ...

وفي شهر شعبان ١٣٦٥ (يوليو ١٩٤٦) كان بين يدي عبد العزيز ، وهو يومئذ في متنزّه حَدّة — بين مكة وجدّة — بعض رؤساء العمل في شركة « بكتل » وأمرهم بدرس إنشاء « سكة حديدية » تجتاز تلك الصحاري ، من الثغر السعودي الشرقي إلى قلب الجزيرة : من الدمام إلى الرياض ، على أمل أن تربط المسافات الشاسعة في مملكته في المستقبل بشبكة من سكك الحديد ، تنقل الإنتاج ، وتساعد على الاستيطان ، وتقرّب بين البُلدان .

وتولى « المتخصصون » درس المشروع ، ووضعت الخطط ، وقدّرت النفقات ، وبدىء بالعمل ..

وبعد أربع سنوات قالت وزارة المالية السعودية في مذكرة سنة ١٣٦٩ ﻫ (١٩٥٠ م) :

« لقد وصل الخط الحديدي من الدمام إلى الظهران ، فبقيق ، فالهفوف ، (عاصمة الأحساء) . والعمل جار لإيصاله إلى الرياض عن طريق الخرج .

واتصل رصيف مدينة الدمام بالشاطىء ، في المياه العميقة ، بواسطة جسر فولاذي طوله ٢٨٧٠متراً ، وممر صخري طوله٧٨٣٠ متراً ، فالمسافة بين رأس الرصيف والشاطئ ١٠١٠٠ متر . وتكوّن المرفأ الرئيسي من ميناء يرتكز على أعمدة فولاذية . وبلغ طول الميناء ٧٤٢ قدماً ، وعرضه ٨٥ قدماً . وجهز المرفأ لرسوّ باخرة شحن كبيرة على كل من جانبيه . وقد تم إنشاء هذا المرفأ في أواخر جمادى الأولى ١٣٦٩ ﻫ (مارس ١٩٥٠ م)

وجاء في تقرير قدمته شركة الزيت العربية الأميركية (أرامكو) في السنة نفسها (١٩٥٠م) ما ترجمته :

« إن الاهتمام البالغ الذي يبديه جلالة الملك نحو نهضة البلاد السعودية

---

(١) أصبح الطريق الآن على الإسفلت ، بين الدمام والرياض ٤٦٠ كم ، وفي القطار ٥٥٦ كم.

وشعبها وتقدمهما ، قد تجلّى في السنوات الأخيرة فيما خطاه من خطوات ، في سبيل إنشاء خط حديدي ، من الخليج إلى مدينة الرياض . فقد بدأت الدراسات الأولية في عام (١٩٤٦م) ١٣٦٥هـ وشُرع في الإنشاء في النصف الثاني من عام (١٩٤٧ م) ١٣٦٦ هـ . ويموّل المشروع من ضرائب الريع التي تُحصّل من شركة الزيت العربية الأميركية .

« ويضم مشروع السكة الحديدية ، ميناءً عميق الغور ، يمتدّ في البحر نحو عشرة كيلو مترات ، من شاطىء الدمام . وعندما يكمل هذا الميناء سيكون ثغراً يخدم كلاً من الدمام والظهران وبقيق والهفوف والخرج والرياض .

« وقد تم جزء من الخط الحديدي ، وأصبح مستعملاً بالفعل . وفي فبراير (١٩٤٩م) ربيع الثاني ١٣٦٨ ، سار أول قطار بين الظهران وبقيق . وابتداء من مارس (١٩٤٩م) جمادى الأولى ١٣٦٨هـ تسير قطارات يومية بين الدمام والظهران ، وبين الدمام والهفوف . وتحمل هذه القطارات الركاب والبضائع على السواء . وفي ١٥ مارس عام ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ)رست أول سفينة شحن بميناء الدمام .

« ويعمل الآن (سنة ١٩٥٠م) في خطوط السكة الحديدية حوالى مئتي عربة سكة حديد وثماني قاطرات ديزل كهربائية .

« ويتولى الخبراء الأمريكيون الذين استُقدموا عن طريق شركة الزيت العربية الأميركية ، الإشراف على عمليات التصميم والإنشاء والإدارة بالميناء والسكة الحديدية . ومن أهداف المشروع تدريب رعايا جلالة الملك في كل نواحي العمل » .

وفي (سبتمبر ١٩٥١م) ذي الحجة ١٣٧٠ قالت مجلة Le Monde Arabe الباريسية :

« سينتهي العمل في الخط الحديدي الذي يصل الخليج بالرياض ، في شهر تشرين القادم (اكتوبر) على الرغم من المصاعب الفنية الكثيرة . ويجري العمل الآن في بناء « ورش » للتصليح بعد أن أقيمت لها المباني الكافية .وستكون إدارة

هذا الخط في أيدي سعوديين ما زالوا يواصلون تخصصهم الفني .

« ويقوم الآن بتدريب السائقين والمراقبين والعمال والميكانيكيين وعمال الراديو والتلغراف ، إخصائي أجنبي . ويشترك في العمل ١٤٠٠ عامل سعودي ، إلى جانب أربعمائة إخصائي غير سعودي ، قدم معظمهم من البلاد العربية المجاورة ، مع عدد محدّد جداً من الإخصائيين الأجانب .

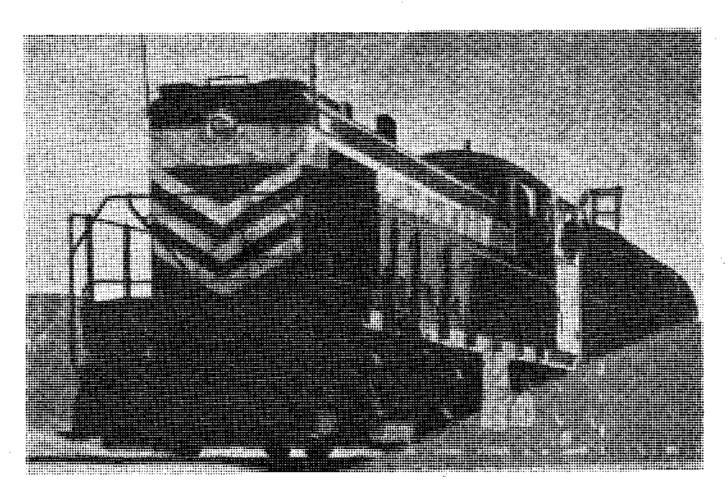
، ، ،

وفي صباح السبت ١٩ محرم ١٣٧١ (٢٠ اكتوبر ١٩٥١) هرع أهل «الرياض» وما حولها ، مشاة وركباناً ، إلى ساحة في ظاهر المدينة ، أُنشئت فيها بعد ذلك «محطة الرياض» وأُقيم سرادق كبير جلس فيه الملك وكبار الأمراء ، والوزراء وغيرهم ، وتليت آيات من الذكر الحكيم . ثم أقبلت القاطرة الأولى ، مارّة أمام الحفل ، وأخذ المذيع يشرح أن قوتها ألف حصان ، وأنها تسحب حمولة ١٠٥٠ طناً ، وتربط بها عربات الدرجتين الأولى والثانية ، فعربات النقل ، فحاملة زيت . وأقبلت قاطرة أخرى ، بقوة الأولى ، تجر عربات مزودة بالكهرباء وتكييف الهواء وفيها المطاعم والمثالج ، والمناعم والمباهج ..

ووُزع على كبراء من حضروا ذلك الحفل كتيّب سُمي « كتاب سكة حديد الحكومة السعودية » جاء فيه أن طول السكة ٥٥٦ كيلو متراً تخترق جزءاً شاسعاً من النصف الشرقي من البلاد السعودية . فهي تبدأ من ميناء الدمام ، على الخليج العربي ، متجهة إلى حقول الزيت في الجنوب والغرب . ثم تمتد إلى مدينة الهفوف التي تُعتبر من أكثر المدن السعودية ازدحاماً بالسكان . ومن الهفوف يسير الخط جنوباً إلى عين حرض ، وهي حقل آخر للزيت ومنطقة غنية بثروتها الزراعية الكامنة . ومن عين حرض يتغير الاتجاه إلى الغرب . وبعد اجتياز « رمال الدهناء » يصل إلى الخرج ، حيث يُزرع أكثر من ٣٠٠٠ فدان بالفواكه والخضروات والحبوب والعلف ، لاستهلاكها في الرياض . وأخيراً بعد أن يقطع الخط أرضاً وعرة تحيط بها صخور منحدرة ، يصل إلى الرياض

عاصمة البلاد .

أما تكاليف سكة الحديد هذه ، فكانت حوالى ٢٠٠ مليون ريال سعودي ، سدد منها نحو ٩ ملايين ريال من واردات أجور الركاب والشحن خلال إنشائها.



أول قاطرة لسكة الحديد ، تقوم من الرياض

الرغبة في إيصاله إلى جدة :

وكتب لي السيد رشدي ملحس ، في اليوم نفسه ، عند افتتاح الخط ، قائلاً : ونسأل الله أن يمد في عمر مولاي ، فيتم إيصاله إلى جدة .

وقالت جريدة أم القرى، في ٥ جمادى الأولى ١٣٧١ (١ فبراير ١٩٥٢): إن الملك ، بمناسبة افتتاح سكة حديد الدمام — الرياض قد أبدى الرغبة في استمرار العمل لإيصالها إلى جدة ، بحيث تصبح المملكة تربطها شبكة حديدية تبدأ من الدمام على ساحلها الشرقي وتنتهي بجدة على ساحلها الغربي ، في مسافة طولها نحو ألفي كيلومتر .

قلت : وفي أكتوبر ١٩٥٣ وضعت « شركة الهندسة الدولية » في سان فرانسسكو (كليفورنيا) تخطيطات هندسية ورسوماً وخرائط للسكة الحديدية بين الرياض وجدة ، في مجلد ضخم ، بالعربية والإنكليزية ، كتب القسم

العربي منه بخط اليد، والإنكليزي بالآلة الكاتبة، رأيت نسخة مصورة عنه، ولا أعلم ما تم في شأنه، غير أن الخط الإضافي أُهمل إنشاؤه بعد وفاة عبد العزيز.

[٢]
بين مكة وجدّة

وكان من أول ما فكر فيه الملك عبد العزيز من أعمال الإنشاء في بلاده، في عهد الاستقرار، وسارع إلى إنجازه، رصف الطريق بين مكة وجدة، وفرشه بالإسفلت. وكانت تعترض سالكيه بالسيارات عقبات الرمل في الشميسة وغيرها، فذُلّلت تلك العقبات وحُجز الرمل السافي عن الطغيان على الطريق، إلاّ في حالات استثنائية عالجتها الأيدي العاملة مدة طويلة.

وقد تم رصفه وفرشه بالإسفلت في أوائل الحرب العامة الثانية. ثم ألحق به طريق مكة — عرفات، فخفف عن المسافرين بين الثغر وأم القرى مصاعب كثيرة، وهوّن على الحجّاج سبيلهم من البحر إلى عرفات ومنى.

وطول الطريق بين مكة وجدة ٧٣ كيلو متراً، وبين مكة وعرفات ٢٠ كم.

[٣]
متحف في جدة

أخبرني المستر فلبي أنه أتى بمجموعة من التحف، التقطها في رحلاته إلى الجنوب والشمال، ووضعها في دار بجدّة، للعرض[١].

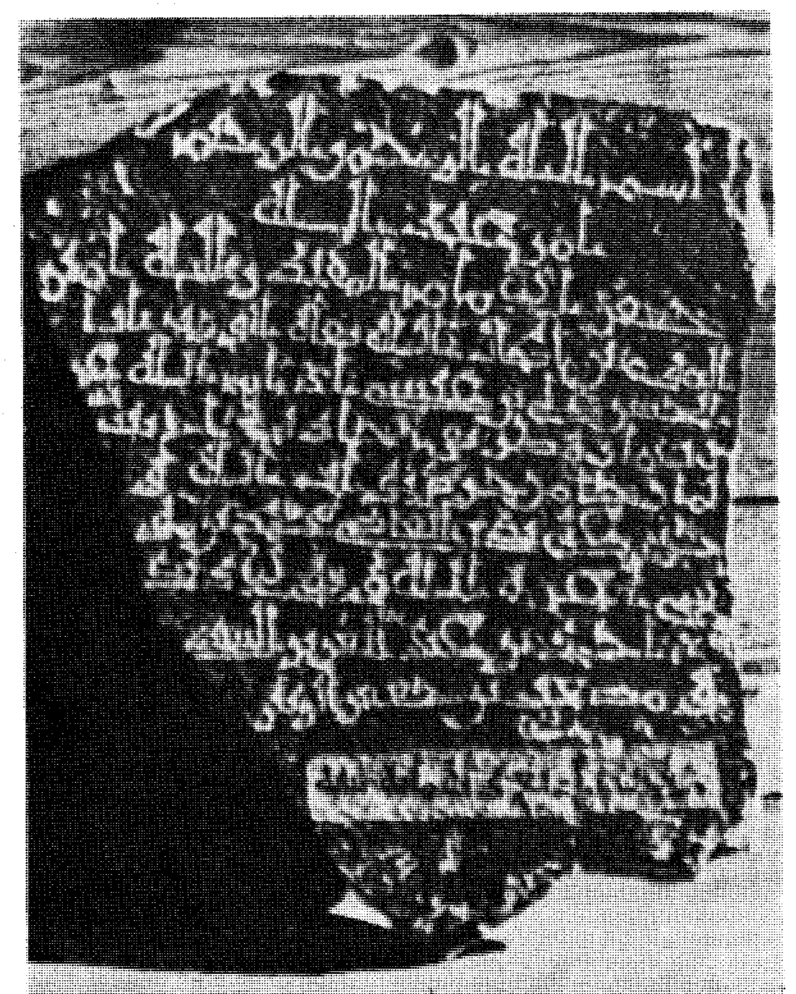
ثم علمت أن آثاراً أخرى وجدت في جدة نفسها وفي الطائف، وأودعت في هذه الدار، وسميت الدار «متحفاً».

ولم يُتح لي أن أزوره، وإنما قرأت أخيراً[٢] أن ما في هذا المتحف،

(١) عدا ما حمله من النقوش والطيور وسواها إلى متاحف لندن، وأشار إلى كثير منها في كتبه.

(٢) في كتاب «بين التاريخ والآثار» للأستاذ عبد القدوس الأنصاري. وانظر الصفحات ١٧٤—١٧٨ منه، ففيها حصر ما كان من التحف بمتحف جدة سنة ١٣٨٢هـ (١٩٦١م)

نُقل بعد وفاة الملك عبد العزيز ، بنحو ١٠ سنوات إلى « متحف » أُنشيء حديثاً في الرياض ، توحيداً لآثار المملكة وتوفيراً للعناية بها .



وعلى ذكر « متحف جدة » فقد تحدث المستر تويتشل[١] عن بعض الآثار في المملكة . ومنها هذه **اللوحة الحجرية**. وقال الاستاذ الانصاري[٢] إنها أمر من

(١) في كتابه « المملكة العربية السعودية » ٩٥ – ٩٩

(٢) انظر كتابه « بين التاريخ والآثار » ٥١ – ٥٦

الخليفة العباسي المقتدر ، إلى وزيره علي بن عيسى بن داود ، يقضي بعمارة طريق الجادة لحجاج بيت الله الحرام ، بين بغداد ومكة ، يرجع تاريخه إلى سنة ٣٠٤ هـ (٩١٦ م) وقال تويتشل :وُجدت االلوحة في « منجم الذهب » القديم . وقال الأنصاري : وُجدت بمقبرة في بلاد بني سُليم ونقلها إلى جدة تاجر معاصر يدعى مبارك عبد التواب السُّلمي .

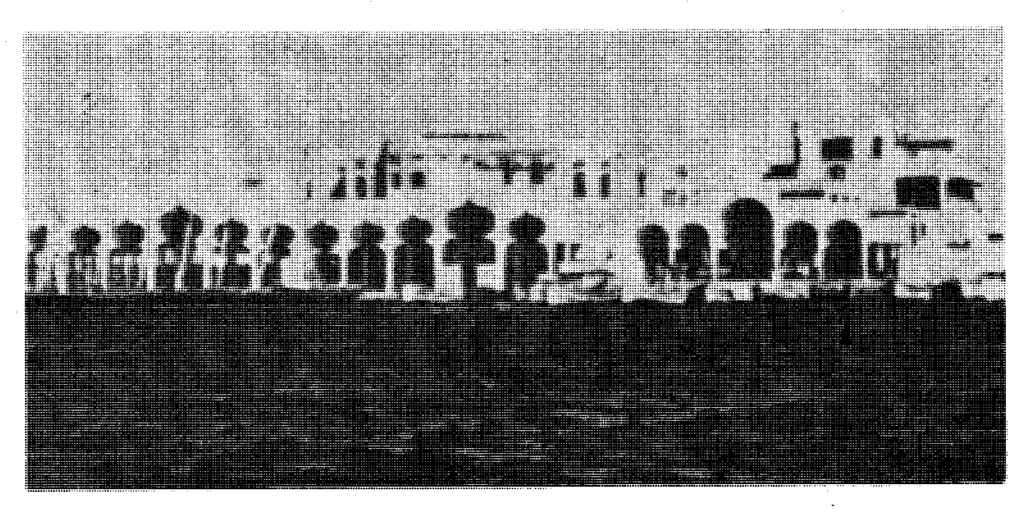
[٤]
إصلاح جدّة

هُدم سور جدّة الذي كان يشوّه منظرها، وفُرش الشارع المحيط بها بالإسفلت . وقامت فيها حركة عمرانية واسعة النطاق ستأتي كلمة ثانية عنها . ووُسّع ميناء خفر السواحل . وأُنشئت في جنوبيها محطة لاسلكية سهّلت الاتصال مباشرة بالأقطار والممالك البعيدة وأُنشئت على مقربة من المطار « ورشة » كبيرة لأعمال الطرق والمباني أنفقت عليها الحكومةالسعودية (١,١٠٥,٣٠٠) دولار .

[٥]
مرفأ جدّة

ظلّ مرفأ جدة (ثغر الحجاز) منذ خلق الله الأرض ومن عليها ، تكتنفه الشعاب ويعاني سالكوه الصعاب . وفرض الله الحجّ على الناس . وطريقهم البحري الأقرب إلى بيته الحرام « جُدّة » وظل قاصد جدة لا مناص له من إطالة الوقوف في عرض البحر ، انتظاراً لربّان خبير يقود سفينته أو يهديها سواء السبيل .

ذلك في عهد السفن الشراعية . أما في زمن البواخر ، فكان الخطب أشد . وقد شاهدنا كما شاهد غيرنا اضطرارها إلى إلقاء مراسيها ، بعيدة عن المدينة عدة من الأميال ، خشية الارتطام وتباعداً عما في قاع المرفأ من التلاع والآكام ورأينا عشرات الألوف من حجاج بيت الله — في كل عام — تحملهم السنابيك



الرصيف القديم للجمرك والميناء في جدة

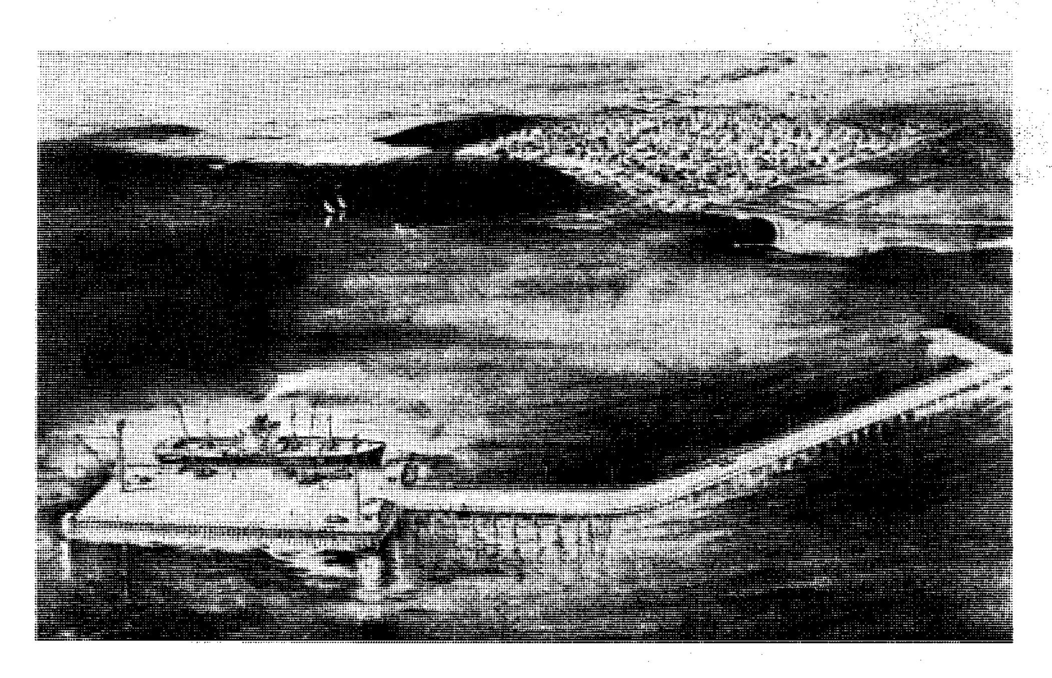
تحت أشعة الشمس المحرقة ، وتتلقف الأيدي والأكتاف أمتعتهم، وقد تشاركهم في حمل بعضها الأمواج ولكن إلى جوف البحر .

وتلك سفينة بخارية كانت قبل سنوات تحترق بمن عليها وبما فيها ، أمام جدّة ، ولا سبيل إلى نجاة ركابها . وهي لا تزال جاثمة على بعد أميال من الشاطىء ، تحمل ذكرى ذلك العهد . وكأنها تنطق بفضل ما هيّأ الله لعبد العزيز في عهد العمران الحديث .

اتجه إزماع الملك ، في محرم ١٣٦٦ (ديسمبر ١٩٤٦) وهو في جدّة ، إلى إنشاء مينائها . وأقبل المهندسون وأهل الصناعات يعملون جادّين ، وبين أيديهم أحدث ما أخرجته معامل الغرب ، من آلات رافعات وناقلات وممهدات تردم المياه ، وتصهر الحديد ، وتبسط الفولاذ ، وترفع العمدان . ومئات من أبناء البلاد بين عشرات من مختلف الأقطار، أميركيين وغير أميركيين ، يشيدون الصرح المنبسط ، ويقومون بأعظم عمل على الشاطىء السعودي ، هو الأول من نوعه فيه ، وفي ساحل البحر الأحمر .

وكانت التجربة الأولى لنجاح المشروع ، في جمادى الآخرة ١٣٦٩

(نهاية فبراير ١٩٥٠) يوم أرست على الميناء بواخر من « عابرات المحيط » فإذا هي متصلة بالرصيف ، والرصيف متصل بجدة . وكان للزوارق عهد ، وانقضى ..



أول « ميناء » بني لجدة، في عهد عبد العزيز

يقول الخبراء في وصف الرصيف والميناء ما مؤداه : « يمتدّ من الشاطىء ممرّ معبّد في اتجاه البحر ، مسافة خمسة آلاف قدم ، في عرض ٢٤ قدماً ، ثم يبدأ الجسر الفولاذي ، والبحر يزداد عمقاً ، فيستمر الجسر ١٢٨٥ قدماً ، إلى الامام . ويكون عمق المياه عند بلوغه رأس الرصيف البحري خمسين قدماً .

« طول رأس الرصيف ٥٦٠ قدماً ، وعرضه ١٠٠ قدم .

« تستطيع باخرتان للركاب أو للشحن أن ترسيا معاً على جانبيه ، بينما تستطيع باخرة ثالثة أن تلقي مراسيها في نهايته .

« أضيء الجسر بأنوار كهربائية مثبتة فيه ، على طراز إضاءة الشوارع . ووضعت على أبراج الرصيف أنوار كاشفة قوية .

« وأحيطت جوانب الرصيف – اتقاءً للإضرار بها أو بالبواخر – بشبكات معدنية على شكل « زنبلكي » وصينت الموادّ الفولاذية من أن تتأكل ، بطريقة « شحنات كهربائية » على رؤوس من « المغنيسيوم » تقيها ماء البحر وأثر أملاحه. ا ه

، ، ،

وارتفعت على الرصيف عمارات المكاتب والمخازن . وأُقيمت على سطحه مجار للمياه ، وإلى جانبها جهاز كامل لنقل البضائع . وأُضيفت إليه عربات حديدية ، حمولة كل منها عشرة أطنان ، وآلة رافعة ضخمة تستطيع أن تنقل مِن بواخر الميناء قطعاً زنة كلّ منها خمسون طناً .

وإلى جانب قاعدة الجسر ، أُنشئت قاعدة صخرية تجعل من الممكن إيجاد فراغ للرسوّ وتفريغ الشحنات ونزول الركاب .

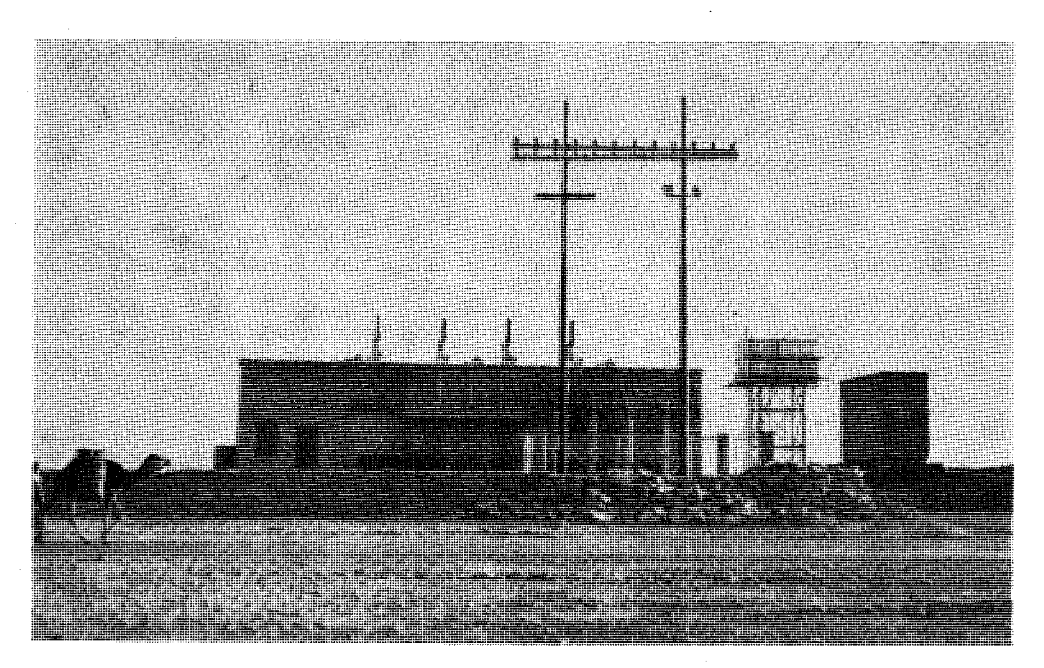
وعلى الممرّ ، في نحو منتصف المسافة ، بين الشاطىء وقاعدة الجسر الصخرية ، جزيرة اصطناعية من الصخر ، هُيئت لتكون مستودعاً جمركياً للبضائع ولتسهيل عبور الركاب القادمين والمسافرين .

[٦]
الكهرباء في الرياض

وهذه خطوة من خطوات الإصلاح ، في عهد عبد العزيز .

إن مدينة « الرياض » التي احتفل العالم السعودي ، سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) بمرور خمسين عاماً على افتتاحها ، بل استردادها من أيدي غاصبيها ، يجب أن تكون أول مدينة في الصحراء ترى « النور » .

أمر الملك بإضاءة الرياض بالكهرباء ، عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) ولم تمض شهور حتى كانت أربع سيارات شحن كبيرة تحمل من « رأس مشعاب » موتورات ومولدات تدار بالديزل ، واصلة من « سان فرنسسكو » من مسافة اثني عشر



مؤسسة « القوة الكهربائية » في الرياض

ألف ميل فكانت نواة محطة لتوليد الكهرباء ، في عاصمة نجد ، تُولّد ١٦٠٠ كيلو واط . وأضيف إليها سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) مكائن تعمل بالديزل أيضاً ، قوتها ١١٤٠ حصاناً ميكانيكياً ، موصولة بمولد ذي تيار متبادل ، لإضاءة البيوت والشوارع ،وللآبار ولأغراض أخرى . وقد أُنفق عليها ٦٢٧٠٠٠ دولار

[٧]
المباني في كُبريات المُدن

هذا عنوان اخترته ليسهل فهم المراد من موضوعه . وإن كان لا يؤدي معنى الواقع تأدية تامة .

في خريطة الدولة مدن كانت معروفة ؛ منها الرياض وجدة والطائف والمدينة . هذه المدن الأربع ، ليس من الصواب أن نقول إن عدداً ضخماً من

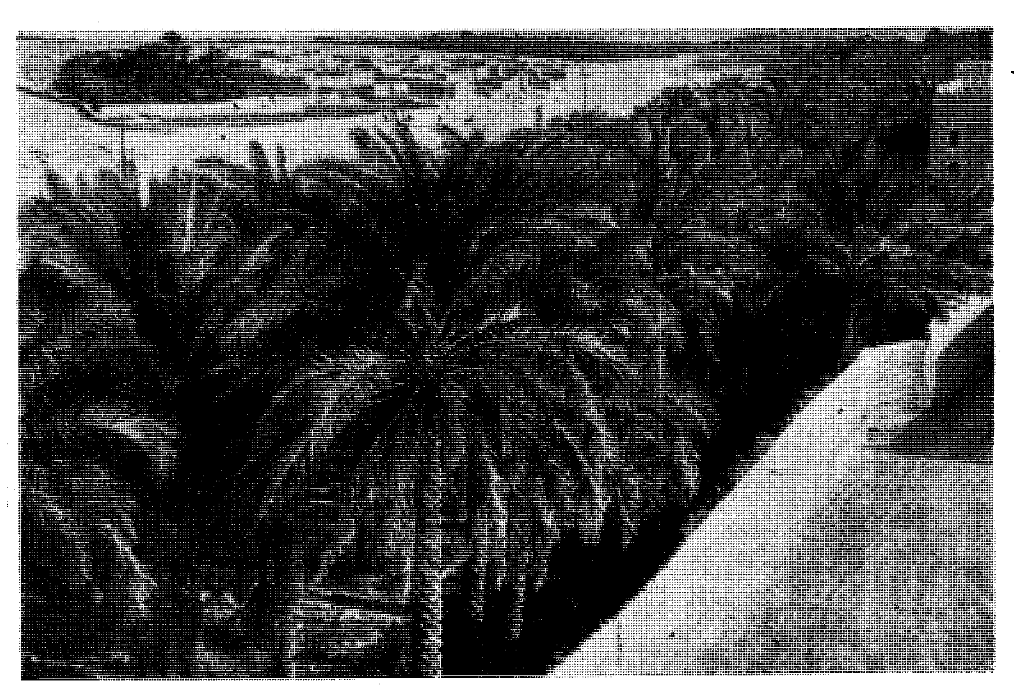
« المباني » أنشيء فيها ، بل الصواب أن نقول : إن « مدناً » جديدة أنشئت إلى جانب كل منها ، أو في داخلها وأطرافها . عدا ما أُنشيء من بلاد لم تكن على الخريطة .

لنبدأ بالرياض ، عروس الصحراء ، ولنتجوّل قليلاً حولها ، وفي داخلها.

كانت قبل عهد الملك عبد العزيز وفي السنين الأولى من حكمه ؛ قلعة منبسطة جمّة المنعطفات والتعاريج ، مبنيّة بالآجر النيء والطين . وفي أهلها من لا يزال يحدثنا أن الحروب القديمة علّمتهم أن قذائف المدافع — وإن شئت فقل : الأطواب ، كما يقول أهل الجزيرة — كانت إذا أصابت الجدار الحَجَري انقضّ عاليه على سافله ، وإن كان الجدار من « الطين » اخترقته القذيفة وظلّ قائماً ، كأن لم يُصَب . وقد يكون هذا الرأي من نتاج التجارب في الماضي ، حين كانت القذيفة كحجر المنجنيق . أما وقد تبدل السلاح ، بتغلب روح الشر في الحربين العالميتين الماضيتين ، وتفنن كلّ ذي فنّ باختراع وسائل للتدمير ، يستوي أمامها الحجر والمدر والنبات والشجر ؛ فقد أصبحت الوقاية منوطة بما نراه اليوم من عتاد وإعداد ، وقوة واستعداد ، وذهب عصر اللبن والطين وقام العُمران الحديث على دعائم الحديد والصخر والإسمنت ، فبدأت تظهر في الرياض على أواخر عهد عبد العزيز تباشير القصور والدور ، وأخذت « الرياض » الجديدة ، في مباعدة ما بينها وبين طرازها المعماري السالف ، إلا ما هو مألوف في أكثر البلاد الإسلامية ، من إقامة الجدران حول المنازل ، عالية كالأسوار ، تحجب من في الدار ، عن مسارح الأبصار ؛ وتزين مبانيها القريبة العهد بالإنشاء ، حدائق أُحسن تنسيقها ، في بعضها أحواض للسباحة وملاعب للرياضة .

وإذا انتقلنا من الرياض إلى « الطائف » مثلاً ، رأينا المَشيد الجديد ماثلاً ، قد تضاءل أمامه القديم حتى كاد لا يبين .

وأما « جُدّة » ولك أن تقول المستجدة ، فالإقبال على الإنشاء فيها منبعث



حديقة قصر البديعة تشرف على وادي حنيفة

من أسباب : أحدها أن البلدة أصبحت المقرّ السياسي للدولة ، فتوسعت حكومة الملك عبد العزيز في بناء الدواوين والدوائر ، وابتنى كبار رجالها وموظفيها ما يصلح لإيواء أسرهم وتوفير وسائل الراحة لها . والثاني تكاثر عدد الوافدين من الخارج ، وبينهم الممثلون السياسيون والقنصليون ، وأصحاب المشاريع والأعمال الحكومية والحرّة . والثالث ما كان يبذله الملك عبد العزيز من عناية خاصة بحجاج البيت الحرام . وقد أصبح الواردون منهم عن طريق البحر والجوّ ، أضعاف من كانوا يردون في الماضي القريب ؛ فلم يكن ثمّة بدّ من تجهيز المساكن الصالحة لنزولهم ، مُقبلين وعائدين .

يضاف إلى هذا نموّ الثروة العامة في البلاد ، وإقبال السكان على العمران . فجدّة كل يوم في مزيد .

[٨]

المدينة ، والطريق إليها ، والمسجد النبوي فيها

وكان من أمانيّ عبد العزيز ، أن يرى الطريق ممهدة بين جدة والمدينة ،



من ضواحي المدينة المنورة

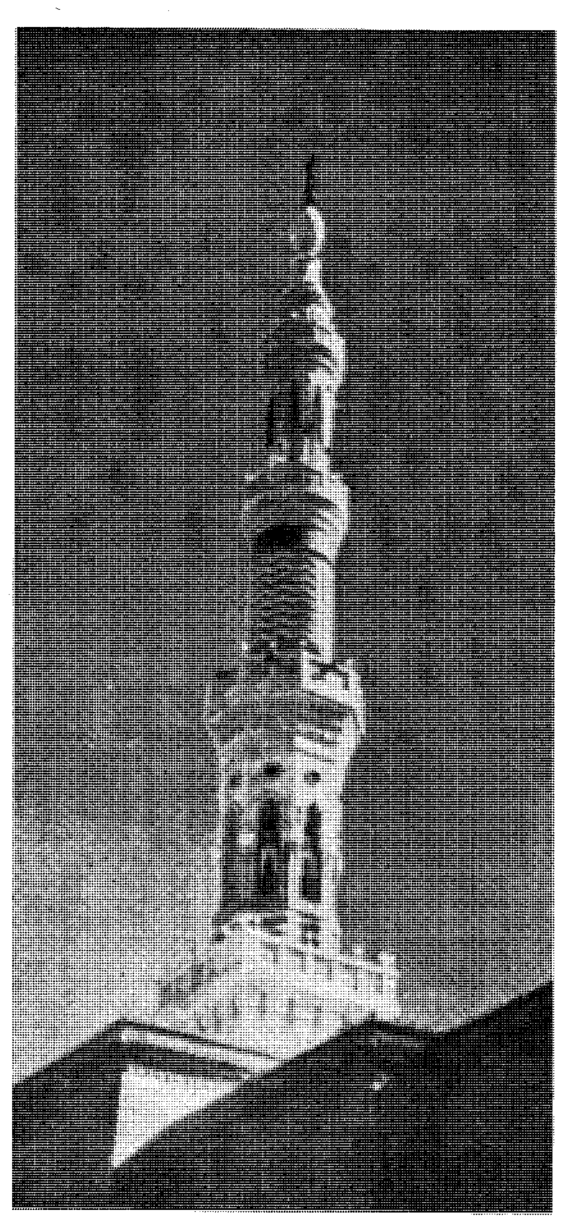
تخفيفاً لما يعانيه الحُجّاج وغيرهم ، من عقبات ما بين البلدين ، ولا سيما ما بين وادي الصفراء وذي الحُليفة المسمى بئر علي[1] وهَجِير تلك الأودية يلفح ، وزفيرها لا يكفّ ولا يصفح كما يقول البَلَوي في وصفها [2]

وأمر بإنشاء الطريق. واتفقت حكومته مع شركة « توماس وورد » البريطانية على تعبيده وفرشه بالإسفلت وتعهدت الشركة بإنجازه سنة١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) وتوفي الملك قبل هذا الموعد، فلم تقرّ عينه بسلوكه في خمس ساعات بسيارته.

(١) لهذه التسمية ، بعض القدم . وقد وردت في درر الفوائد للجزيري ، من أبناء القرن العاشر للهجرة .

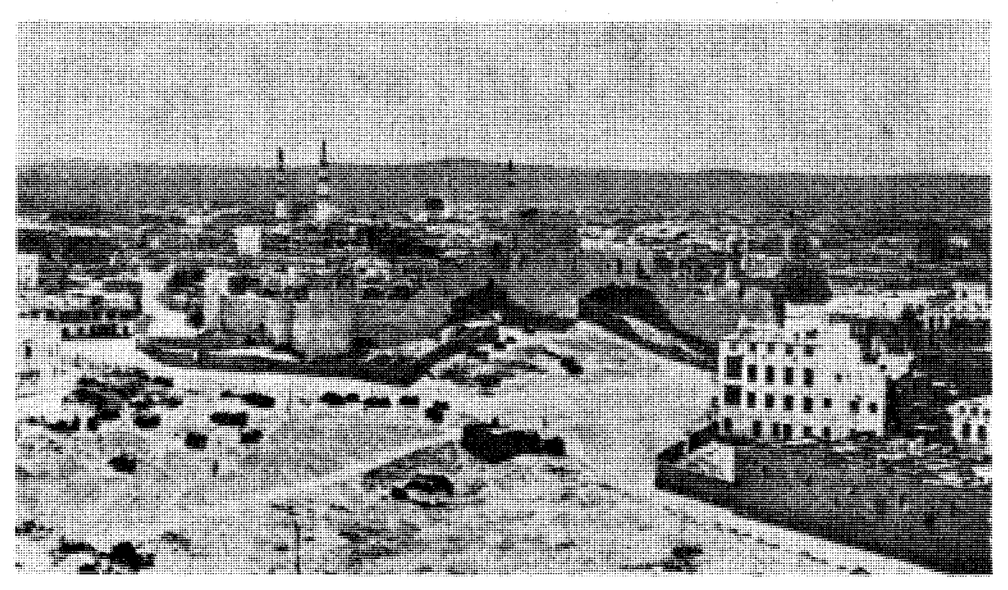
(٢) الرحلة الحجازية ، لخالد بن عيسى البلوي ، مخطوط

على أن العمل فيه لم يتمّ إلا سنة ١٣٧٥ﻫ (١٩٥٦م) وجاء طوله ٤٢٥ كيلاً ، في عرض ٦ أمتار مرصوفة . ولم يتقيد مهندسوه بسلوك الطريق الأول فابتعدوا عن شاطىء البحر ، تجنباً لرماله . وأنشئت فيه محطات ، منها ما هو لمراعاة مناسك الحج . مجموعها ١٢ محطة ، وهي للذاهب من جدة إلى المدينة : ذَهْبان ، وتُوَل ، والقَضيمة ، ورابغ ، ومستورة (واسمها القديم ودّان) وبدر ، وآبار ابن حَصَاني ، وشَفِيّة ، والمُسَيْجيد ، وبئر الراحة (بئر الروحاء ؟) والفُرَيْش ، وبئر علي (ذو الحُلَيْفة) .



إحدى مآذن « المسجد النبويّ » في المدينة

وكان من أعظم ما شرع فيه عبد العزيز ، في المدينة المنورة ، إصلاح المسجد النبوي وتوسيعه ، وفي الحديث النبوي الصحيح: «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحَرام (بمكة) ومسجدي هذا (في المدينة) والمسجد الأقصى (في القدس) .



منظر ،في المدينة المنورة ،تبدو في موؤخرته مآذن المسجد النبوي

ضاق المسجد ، في عهد عبد العزيز ، بازدحام عشرات الألوف من الوافدين عليه ، في موسم الحج وأيام الزيارة الرجبية وغيرها . فأعلن عزمه في ١٢ شعبان ١٣٦٨ (١٩٤٩/٦/١١) على توسعته [١] وأمر باستقدام المهندسين من مصر وباكستان فدرسوا المشروع ووضعوا الخرائط، وأشاروا بنزع ملكيات عدد كبير من الدور والحوانيت المجاورة والملاصقة والتي تفصلها عن المسجد طريق ضيقة [٢]

---

(١) ماذا في مدينة الرسول ١٢
(٢) الحجاز مهبط الوحي ٧٤–٧٥

ورُصدت الأموال سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) لشراء المقرّر هدمه ، مما حول المسجد ، أو التعويض على أصحابه . وبلغت مساحته ٢٢٩٥٥ متراً مسطحاً .

وبدأ أول مِعْول للهدم في احتفال عظيم ، يوم ٥ شوال ١٣٧٠ (١٠/ ١٩٥١/٧) وبلغت نفقات نزع الملكيات فقط ، حوالى ٣٦ مليون ريال (٢٥ مليون ليرة لبنانية) أُنفقت في أيام عبد العزيز وابنه الملك سعود .

وكان ما صُرف على البنيان ، مما قام به البنّاء العصامي محمد بن لادن ، في العهدين ، نحو ثلاثين مليون ريال ، وبدا المسجد النبوي كما نراه اليوم .

واتجه عبد العزيز إلى إحداث ميادين في مدينة الرسول ، قدرت مساحة أحدها بعشرة آلاف متر مسطح . وشُقت في أيامه طرق وفرشت شوارع بالإسفلت . وأُنشيء « المستشفى » المسمى باسمه ، كما أُنشئت دار للمحكمة الشرعية ، وبديء بإنشاء بناء للمكتبة العامة ، ومبان للجامعة الإسلامية بوشر بنيانها في أيامه . ومثلها المطار الحديث في الشمال الشرقي للمدينة وعدة منشآت أُخَر ، شُرع بها في أعوامه الأخيرة ، وأكملت بعد وفاته . وما زالت يد الإصلاح والإنشاء تعمل في المدينة إلى الآن .

[٩]

المدن الحديثة

وللزيت وهو عامل الثروة الأكبر في البلاد السعودية ، مبانيه ومنشآته ، بل « مُدُنه » الزاخرة بالعاملين في حقوله .

وإذا أغفلنا في هذا الباب ذكر « الهِجَر » اكتفاءً بما قدمناه عنها ، فإن مدينة « الظّهْران » وما جاورها من معالم العمران ، وقد سبق بعض الحديث عنها ؛ نشأت في بقاع من الأرض كانت مجاهل خالية ، وقامت فيها على الطراز الأميركي ، بلدة اقتضاها وجود ألفين أو ثلاثة آلاف من أبناء العالم

الحديد ، رجالاً ونساءً يتخللهم نحو خمسة عشر ألفاً من العمال والموظفين العرب السعوديين ، ووراء هؤلاء أسَرهم وذووهم ، والعدد غير القليل من عمال البلاد العربية المجاورة وصنّاعها . وقد أنشىء في الظهران « مستشفى » عربي يشتمل على خمسين سريراً ، وأنشىء « فندق » على الطراز الحديث أنفقت الحكومة على إنشائه ٢٩٢٠٠ دولار ، كما أنشئت « ورشة » صناعية بلغت نفقات إنشائها ٢١٧٠٠ دولار .



ميناء الدمام ، قبل تمام بنائه

وقامت على شاطىء الخليج مدينة صناعية في ميناء « رأس تنورة » بنيت فيها محطة ضخمة لتكرير الزيت ، تنتج ١١٥ ألف برميل في اليوم ، ومحطة أخرى لتوليد الكهرباء . وأنشيء رصيف في الميناء تُنقل عليه أطنان الزيت ليل نهار .

واتسعت بلدة « الدمّام » فأصبحت مدينة تجارية على الخليج .

، ، ،

كان كل هذا قبل عام ١٩٥٠م (١٣٦٩هـ) وازدادت بعده المقادير ، واتسعت المساحات ، وتضاعفت الأرقام .

الملك عبد العزيز

في كتاب « صقر الجزيرة » [1]

الملك عبد العزيز ، أروع ، طويل القامة ، ضخم الجثة ، ساطع الجبين ، متألّق العينين ، حسن الوجه متهلّله ، تزينه لحية خفيفة ، عريض المنكبين ، شثل الكفين ، كثير التطيّب ، نظيف الملابس ، يميل إلى البساطة في كل حياته .

يفاجأ بعض من يحضرون للسلام عليه ، بمهابته ، فما يستطيعون النطق ، فيبسم لهم ويستدرجهم إلى البوح بما في أنفسهم ، ويسألهم عن حالهم ، حتى يتكلموا ويشعروا كأنهم في محضر صديق أو أب .

والتواضع خليقة أصيلة فيه ، لم تفقده إياها السلطة ، وكذلك الرحمة . وكان يأسى أشد الأسى على القتلى من خصومه ، ويقف واجماً تصطرع في نفسه الخوالج والآلام ، وهو يرى أناساً قدّمهم إلى المجزرة ممن أبوا التقارب وحكّموا السيف ، فانتضاه ابن سعود دفاعاً لا اعتداءً . وهو لا يحب أن يبدأ أحداً بحرب ، ولو ناله بما يكره ، ما دام قادراً على المسالمة .

وابن سعود صريح جهير ، يكره النفاق والرياء والفرية ، ولا يقبلها من أحد . ولا يحب من أحد أن يعدّد مآثره أمامه .

جابه الحرب وما يشبه الحرب ، من يوم أن ولد . فصارع وركب الخيل وأطلق الرصاص حتى صار أعظم من يصيب الهدف ، فما أطلق رصاصة قط

---

(١) لأحمد عبد الغفور عطار . اختزلنا منه هذا الفصل بكثير من التصرف ، للإيجاز .

في حرب أو سلم إلاّ أصابت هدفاً . ويقول المتصلون به إنهم رأوا ظباء كان يصطادها ، فألفوها كلها مصابة من ناحية واحدة ..

وقوته الجسمية عظيمة طافحة . يقال : إنه اتكأ على باب سيارة جديدة فخلعه ، وإنّ الجواد الكريم الصبور ينوء بحمله . ويروى أنه لكز جملاً له في بعض غزواته – وهو في نحو العشرين من سنّه – فركض الجمل ووقع ابن سعود على الأرض في الزحام فوطئته جمال رجاله ، ولكنه استطاع أن يركب ويحارب في اليوم الثاني عدوّاً جباراً يفوقه أضعافاً في الرجال والعتاد .

اجتمع لابن سعود ، خير الخلال العربية ، فهو سريع النجدة والنخوة ، طيّب القلب ، مرهف الحسّ ، ليّن العريكة ، جريء على الباطل فيدحره وعلى الشر فيهزمه وعلى المنكر فيغيّره ، وعلى الدنيا وزخارفها فلا يباليها ولا يتهالك عليها ، حازم لا ينقض ما أبرم ولا يتردد إذا عزم ، ولا يتجمجم إذا أقدم .

وهو جواد سمح ، لا قيمة للمال عنده ، حتى إنه ليصطحب معه في سيارته بِدَراً من الريالات يوزعها على الفقراء في طريقه ، صباحاً حين يمضي إلى مقرّ عمله الرسمي ، ومساءً حين يخرج إلى متنزهه . وأعطى ذات مرة فقيراً صرّة ، فأخبره السائق أنها صرّة « الجنيهات » لا الريالات الفضية ، وبها ٣٠٠ جنيه ذهبي ، فنادى السائل فأقبل ، فقال له : « أردت أن أهبك ريالات وما نويت إلا هذا ، ولكن الله هو الذي وهبك هذا الذهب ، فاشكر الله وحده ، واشتر بما أخذت نخيلاً ، واعمل ولا تكسل .. »

ولابن سعود مضيفان ، أحدهما للبدو ، فيه الأرز المسلوق باللحم والسمن ، ويقدم فيه التمر طول النهار وشطراً من الليل ، والآخر للحَضَر والأجانب ، ولا يخلو كلاهما من الضيوف .

وحينما نشبت الحرب (الثانية) وقلّت واردات البلاد من الأرزاق ، خاف على رعيته جشع التجّار ، فأمر بافتتاح مراكز تموين حكومية وأبيح لكل امرىء أن يشتري ما يريد بدون تحديد للكمية ، حتى أصبح « الخزن »

عبثاً لا فائدة منه ، فما يراد معروض في السوق في كل وقت .

وما كرم ابن سعود بمغطّ حلمه وعفوه . فهنا أناس ائتمروا به فسجنهم ، ثم عفا عنهم ؛ وهنا قوم ملأوا عليه الدنيا صراخاً ونالوه بالأذى ، فلما ظفر بهم وهبهم ألسنتهم ودماءهم . وما زال كذلك مع خصومه الألداء ، حتى أطمع كل خارج عليه في برّه فجاءه مستغفراً نادماً ، فعفا عنه وحماه ووضعه في مكانه اللائق به . ولم يحاسبه بماضيه ، لأنه لا يحمل ذحلا ولا بغضاً لمن تاب وأصلح .

توفرت له كل صفات القائد الزعيم . فهو خطيب ، بيّن الكلمة ، واضح اللفظ ، حسن التعبير ، قويّ الصوت .

ولعبقريته شقان ، شق نما بالتلقي والمرانة ، وشق هو القوة الفياضة المتسربة في الملكات وفي الشعور. ففنّ الحكم أجاده بالمرانة ، كما أجاد الخطط العسكرية وأساليب القتال بالخبرة والتجربة ، وسار في تحضير مملكته ببطء لئلا يفاجىء المحافظين بالجديد الغريب . وأما عبقريته المبتكرة فأعانته على أساليب السياسة وفهم خداع الساسة .

واظهر ما في ابن سعود عبقريته السياسية ، فهي كفاء لعبقريته الإدارية والحربية . جالس دهاة الإنكليز وجبابرة السياسة ، فانتصر بالمنطق والحجة ، وانتزع إعجابهم وتقديرهم .

قلنا : إنه بلغ في القوة الجسمية مبلغاً جدّ عظيم . وهو في الحرب يزداد قوة . وقد ينتزع الفارس من فرسه ويلقيه بعيداً ، ويركل فرسه فإذا هو لقى على الأديم .

وشجاعته محاطة بأسيجة شتى من الرأي والعدل والرحمة . فالمرأة والطفل والشيخ الهرم بنجوة من الاعتداء ، والجريح يُعتبر في حكم من ألقى السلاح ، والمدينة المفتوحة أو المحاربة المغلوبة ، مستقبلة كرماً وصفحاً . وهو لا ينتقم ، لأن الانتقام عنده يناقض شرف الشجاعة .

وزاد شجاعته قوة وضراماً إيمانه الراسخ . فهو يؤمن أن الله خالقه ومميته ،

وأن له أجلاً لا يسبقه مهما يتكاتّ عليه الأعداء ، ولا يتأخر عنه مهما توارى عن ميادين الموت .

حدثني ابن عقيل ، أحد شيوخ نجد ، أنه كان مع ابن سعود في غزوة ، وما كاد ينتهي من المعركة منتصراً ، حتى دخل حجرة أعدّت له ، وأخذ يصلي وغرق في صلاته ، فأسرع إليه رجاله ، ليبايعه كبار المدينة المغلوبة ، فألفوه غارقاً في سبحاته .

وهو مع شجاعته كثير الأناة ، حتى قال له خالد ابن لؤيّ وسلطان بن بجاد في اجتماع عقد للتشاور في أمر « جدّة » أيام حصاره لها : ما هذه الجبانة؟ فأجابه : الرأي الرأي ! الأناة الأناة ..

وابن سعود من أشد الناس تذوقاً للجمال ، يتصبّاه ويفتنه ، سواء أكان في مشاهد الكون الرائعة ، أو في الصحراء المنبسطة ، أو في المرأة ، أو في كل شيء عليه سمات الحُسن؛ وله في روضة الخَفْس وغيرها من الرياض ، جولات إنسان منهوم الحسّ ، يخرج في بكرة الصباح يتملى جمال الأعشاب ويستمتع بالندى الرفاف ، ويستقبل ذكاء حينما تطل من خلف الروابي ، بلهفة وشوق ، فيمرح ويركض ، وينطلق خلف الظباء الشاردة يلهو بصيدها .

ويداعب ابن سعود أبناءه الصغار ، في قصره ، يحيطون به ويتواثبون إليه وهو يضمّ هذا ثم يتركه ليستقبل غيره ، ويضحك من سذاجتهم ووثابهم . ويبكي إذا مرض أحدهم ، ويزور بناته المتزوجات ، ويهديهنّ التحف والحليّ ليراهنّ مسرورات محبورات .

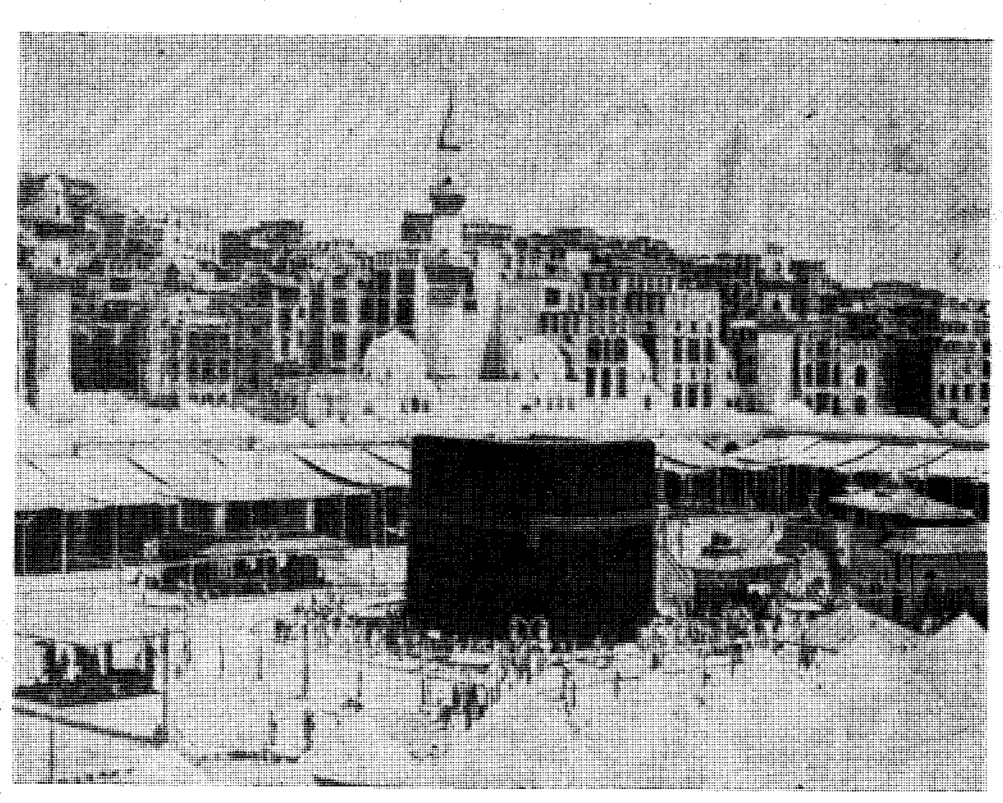
كنت في « المويه » أحد المنازل في الطريق بين نجد والحجاز — وإذا ببدويّ يحدثني أن ابن سعود كان جالساً حيث أجلس ، وأقبل عليه طفل من أطفال البادية ، فابتسم في وجهه وأجلسه في حجره ، وأخذ يداعبه حتى اطمأن إليه وأمسك بلحيته وابن سعود باسم حتى أطلقها من نفسه .

وأما إخوته ، فالعلاقة بهم كأوثق ما تكون العلاقة بين الإخوة . يستشيرهم دائماً ويتواضع لهم ويشعرهم بحبه . وقد شدّ عضده بأخويه محمد وسعد ،

في تأسيس المُلك ، ومات سعد بيد العجمان فبكاه ، ثم مات محمد فبرّحت به الفجيعة . وخلّفهما إخوته الآخرون سعود وعبد الله وأحمد ومساعد وسعد.

وليس في المملكة السعودية ، قبيلة حرمت عطف ابن سعود ورحمه ؛ فقد أصهر إلى القبائل كلها وليس معنى هذا أن بيته يتسع لأكثر من أربع حرائر ، ولكنه إذا عزم على الزواج طلّق واحدة منهن ليدخل بالجديدة .

وقد منحه الله ، للتخفيف من أعبائه الجسام ، نعمة الفكاهة والمَرح ليروّح عن نفسه . فهو يلتذ بالفكاهة والنكات والقصص ، ويُغرق في الضحك إذا ما استهوته فكاهة . ومن أجمل المناظر عنده هطول المطر واندفاق السيل ، حتى إنه لينزل إلى السيل يخوضه عاري القدمين ، وهو شاعر مطبوع يقول الشعر البدوي ، رشيق الأسلوب فيه ، قويّ الأداء .



الكعبة والمسجد الحرام بمكة

خلاصات عن بلاده

بعد أن تم للملك عبد العزيز ، توحيد الأقاليم الثلاثة : الحجاز وعسير ونجد ، وإطلاق اسم « المملكة العربية السعودية » عليها ، بلغت سعة بلاده ما يقارب أربعة أخماس شبه الجزيرة العربية .

شبه الجزيرة :

وشبه الجزيرة هذا ، لعله أكبر شبه جزيرة على وجه الأرض . تزيدمساحته على ١,١٥٠,٠٠٠ ميل مربع .

المملكة :

وتقدر مساحة المملكة العربية السعودية فيه ، بنحو ٩٢٧,٠٠٠ ميل مربع أي أكثر من أربعة أضعاف مساحة فرنسا ، وما يقارب عشرة أضعاف مساحة الجزر البريطانية .

السكان :

عدد السكان يتراوح بين خمسة وستة ملايين. وقد باشرت الحكومة وضع إحصاء لهم ؛ ولم يتمّ .

حدود المملكة وتخومها :

ويحدّ المملكة العربية السعودية : من جهة الشرق ، الخليج العربي وبلاد عُمان . ومن جهة الغرب ، البحر الأحمر (القلزم) . ويتاخمها في الشمال باديتا العراق والشام والأردنّ . وفي الجنوب ، اليمن وحضرموت .

عواصم المملكة :

وللمملكة ، عاصمتان ، تليهما جُدّة :

الأولى « مكة » وهي العاصمة الدينية ، حيث يجتمع الحجيج كل عام .

والثانية « الرياض » وهي العاصمة السياسية ، حيث إقامة الملك والأسرة السعودية وقد أصبحت بعد وفاة عبد العزيز مقرّ وزارات الدولة ومصالحها الرئيسية .

أما « جدة » فتلي في مكانتها مكة والرياض . ولا يزال يقيم فيها المبعوثون السياسيون من سفراء ووزراء مفوضين وقناصل ومندوبين رسميين . وفيها مقرّ وزارة الخارجية التي هي همزة الوصل بينهم وبين المراجع العليا في الرياض .

أهمّ أبعادها :

طول ساحلها الشرقي ، من رأس مشعاب إلى قطر ٣٥٠ ميلاً
وطول الساحل الغربي ، من العقبة إلى ميدي ، على البحر الأحمر ١٤٥٠ ميلا
وطول خط الحدود ، من العقبة إلى رأس مشعاب ٧٥٠ ميلاً
ومن ميدي إلى سلوى ، على الخليج العربي ٨٠٠ ميل
ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي ، في أضيق نطاق ٧٥٠ ميلاً
ومن العقبة إلى البريمي ١٣٠٠ ميل
ومن ميدي إلى البريمي ١١٠٠ ميل
ومن الشرق إلى الغرب ، بين البريمي وجدة ١٢٥٠ ميلاً
ومن الشمال إلى الجنوب ، بين ميدي وطريف ١٥٠٠ ميل

مرتفعاتهـــا

وأعلى مرتفعات المملكة ، جبال السَّراة، أطول الجبال في شبه الجزيرة . تبدأ في الجنوب ، من مدينة «الضالع » في شمالي عدن ؛ وتنتهي في الشمال، بجبل كرى ، وراء « عرفات » من غربيها ،وريعان العرجية، والمناقب وراء قرن المنازل،والسيل من الشرق . على مسافة طولها١٠٤٠كم ، منها٥٠٠كم ، في بلاد اليمن و ٣١٠ في عسير (السعودية) و ٢٣٠ في بلاد الحجاز .

يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ، بين ٥٠٠٠ و ١٢٠٠٠ قدم .

ومن مرتفعاتها ، كما أوردها رشدي ملحس[١] بالأقدام والأمتار :

	قدم	متر
جبل شعيب حَضُور (في سَراة اليمن)	١١٤٨٠	٣٥٠٠
أم سودة (السودة)(في بلاد عسير)	٩٤٥٧	٢٨٨٢
رأس وادي تَثْلِيث « «	٩٠٦٧	٢٧٩٠
صحن تَمَنّيَة « «	٩٠٠٠	٢٧٤٠
عَقَبة عِلْيَب « «	٨٧١٠	٢٦٨٠
عقبة غاية « «	٨٠٠٠	٢٤٢٤
عقبة سروى « «	٧١٥٠	٢١٦٥
وادي ضَلَع « «	٧١٤٠	٢١٧٠
أبها « «	٧١٢٠	٢١٦٠
عقبة السقي « «	٧١٠٠	٢١٣٠
عقبة شنار « «	٦٩٥٥	٢١٠٠
خَميس مشَيْط « «	٦٥٠٠	٢٠٠٠
المشروفة (في وادي طريب) من عسير	٦٠٧٧	١٨٧٠

(١) المنهل ٧ :٣٩٧–٤٠٠ وفيه أقوال بعض المتقدمين ، في السراة .

خيبر السراة	»	٥٦٦٠	١٧٤٠
كُتُنَه	»	٥٤٤٤	١٦٦٠
بئر ابن سرار	»	٤٧٧٠	١٤٧٠
أمواه	»	٤٧١٢	١٤٥٠
نَجْوان	»	٤٢٨٣	١٢٥٠
حَمْضة	»	٤٣٢٢	١٣٣٠
الحُصَيْنية	»	٣٩٣٢	١٢٢٠
عِتْوِد	»	١٢٥٠	٤١٠
جبل إبراهيم (في الحجاز)		٨٤٠٠	٢٥٩٨
جبل ذكا	»	٨٢٦٨	٢٥٤٤
جبال الشَّفا	»	٨١٦٤	٢٥١٢
جبل القُرَيْنيط	»	٨١٠٠	٢٥٠٠
جبل حيرة	»	٧٧٠٠	٢٣٦٣
جبل السُّرّة	»	٧٥٧٠	٢٣٢٦
جبل بَرَد	»	٧٥٠٠	٢٣٠٨
جبل كَرَى	»	٧٢٠٠	٢٢١٥
الطائف	»	٥٢٩٧	١٦٣٠
الحَوِيّة	»	٤٥٠٠	١٣٨٥

، ، ،

وأورد رشدي ملحس أيضاً[١] ارتفاعات ، بالقدم ، منها :

مكة	٨٥٠	المويه	٣٠٥٠
الشرائع	١٤٢٠	الدفينة	٣٠٥٠
الزيمة	١٧٥٠	عفيف	٣٤٥٠

---

(١) في مجلة المنهل ٦ : ٥٠٣–٥٠٦

السيل الكبير	٣٥٧٠	القاعية	٢٩٠٠
ريع العرجية	٤٠٠٠	الدوادمي	٣١٥٠
عشيرة	٣٥٠٠	خف	٢٦١٠
العويند	٢٠٠٠	مهد الذهب	٣١٥٠
الحسي	٢٣٢٠	الجريسية	٢٩٦٠
الجبيلة	٢٢٦٠	عقلة الصقور	٢٥٣٠
بئر ثمامة	١٩٥٠	الشفا	٣٥٠٠فمافوق
أم عقلة (مَعْقَلَة)	١٢٠٠	جبل صبحا (يذبل)	٥٠٠٠
الهفوف	٦٨٠٠	بطن السرّة	٣٨٠٠
بقيق	٣٥٠	رأس واديالرمة	٥٠٠٠
		الحليفة (في وادي الرمة)	٢٩٥٠

وسجّل تويتشل ، المرتفعات الآتية (بالقدم) :

السليل	٢٢١٠	بريدة	١٨٢٠
ليلى (في الأفلاج)	١٧٠٠	عنيزة	١٩١٠
الخرج	١٣٦٠	الرس	٢٠٠٠
الرياض	١٨٠٠	الفوارة	٢٣٥٠
رماح	١٧٦٠	سَمير	٢٧٠٠
مراة	٢١٩٠	حائل	٢٨٠٠
		فيد	٢٥٥٠

، ، ،

هَضْبة نَجْد

ومن أعلى هضاب المملكة ، هضبة نجد . متوسط الارتفاع في غربيها ٤٠٠٠ قدم ؛ وشرقاً ، في الدهناء ٢٠٠٠ قدم . تمتد شمالاً إلى جبلي أجَأ

وسَلْمى ، في بلاد شَمّر ، وارتفاع أجأ نحو ٥٠٠٠ قدم ، وسَلْمى (جنوبيّ أجأ) حوالي ٤٥٠٠ قدم

ومن أبرز المرتفعات في هضبة نجد ، سلسلة جبال « طُوَيْق » المعروف قديماً باسم « عارِض اليَمامة »

ويبلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب ٥٠٠ ميل . ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٢٨٠٠ قدم . وارتفاع بعض قممها ٣٥٠٠ قدم

تهامـة

وعلى الجانب الغربي من جبال السّراة ، تنبسط سهول تهامة ، متاخمة البحر الأحمر . فيبلغ عرضها قرب جيزان ٣٠ ميلاً ، وتضيق شمالاً إلى ما بين ٢٠ و ١٠ أميال في جهة الوَجْه ، وتنتهي عند خليج العقبة .

السُّهُول

وأوسع السهول في المملكة ، سهول نجد : تمتد ٩٠٠ ميل إلى الشمال داخل حائل ، وإلى حدود العراق وشرقي الأردن . وهذه السهول كانت تسمى « السّمَاوة » .

النفود

والنفود ، أرض الكُثبان الرملية المتنقلة . اسم قسمها الشمالي القديم : « عالِـج » أو « رملة عالج » و « رملة بُحْتُر » وهي الصحراء الشمالية الممتدة بين الدهناء وبادية العراق شرقاً ، وسكة حديد الحجاز غرباً ، وبين الجوف وسكاكة شمالا ، وجَبلي شمّر جنوباً . وتعد من هضاب نجد الرملية ،وامتداداً للدهناء . معدّل ارتفاعها عن سطح البحر ٢٠٠٠ قدم . مساحتها ٢٢,٠٠٠ ميل مربع .

الدهنـاء

والدهناء : حبال[1] من الرمال ، هي امتداد لهضبة نجد ، من الشرق . تبتدىء شمالاً قرب آبار لينة المعروفة بهذا الاسم إلى اليوم . وتمتد جنوباً إلى الربع الخالي . وفي شرقيها الصمّان ، فالأحساء ، فصحراء الجافورة . وعلى شرقها الشمالي بادية العراق . وغربيها بلاد نجد .

ويبلغ امتدادها طولاً ، من الشمال إلى الجنوب ، حوالي ٨٠٠ ميل . ويتراوح عرضها بين ٢٥ و ٦٠ ميلاً . ومعدّل ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٠٠ قدم ، وفي كثبانها ما يبلغ ٢٠٠٠ قدم .

وهي كالقنطرة بين البحرين الرمليين : النفود شمالاً ، والربع الخالي جنوباً . ويقول ياقوت : الدهناء سبعة أحبل من الرمال ، في عرضها ؛ بين كل حبلين شقيقة (والشقيقة : الفُرجة بين الحَبْلين من حبال الرمل ، تُنبت العشب وتمتدّ طولاً من حَزن يَنْسُوعة إلى رمل يَبْرين .

الرّبع الخالي :

والربع الخالي : اسم حديث للصحراء الكبرى في جنوبي شبه الجزيرة . وفي المتقدمين من سماه « صَيْهَد » تحيط به بلاد نجد واليمن وحضرموت وعُمان . وهو من أوسع الصحارى الرملية في العالم . كان جغرافيو العرب يسمون كل ناحية منه باسم ما يجاورها . تقدر مساحته بـ ٢٥٠ ألف ميل مربع .

قام عدد من الرحالين ، باجتيازه ، فكتب بِرْتْرام توماس أنه سلكه من الجنوب إلى الشمال الشرقي. وكتب فلبي عن اختراقه له من الشمال إلى الجنوب . وتوغل فيه ولفريد تيسيغر من الغرب إلى الشرق . ولكلّ منهم كتاب في الموضوع . وسيأتي بعض حديثهم عنه .

---

(١) الحبال والأحبل ، بالحاء : الرمال المستطيلة واحدها حبل . وردت في بعض الكتب بالجيم خطأ

مقاطعات المملكة

قسمت المملكة في أيام الملك عبد العزيز ، تقسيماً إدارياً ليس هنا مجال التوسع فيه ، فجعلت ثماني مقاطعات (أو أقاليم) يُدعى كل من يحكم إحداها بالأمير . وهو مَرجِع بلدان المقاطعة وقُراها . بل إن لقب « الأمير » يُطلق في المملكة على كل حاكم لبلد . واستثني من هذا حاكم جدة ، فإنه « قائم مقام » ينوب عن حاكم الإقليم الحجازي وكان يومئذ النائب العام للملك. وكانت المقاطعات — ولا يزال نظامها قائماً إلى الآن ، مع شيء من التعديل — هي : الحجاز ، ونجد ، والأحساء ، والشمال (شمالي الحجاز) والجنوب (تهائم جبال عسير) وعسير ، والقصيم ، والجبل (جبل شمر) وزيدت بعد ظهور النفط مقاطعة تاسعة هي الظهران .

١ — الحجاز

وهو القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة . مساحته التقريبية ١٧٥,٠٠٠ ميل مربع ، بتقديرطوله من الشمال إلى الجنوب ٧٠٠ ميل ، وعرضه من الشرق إلى الغرب ٢٥٠ ميلاً .

أشهر مدنه ، وأعظمها وأقدمها : مكة . ثم من حيث الشرف والقدم ، المدينة . وتليها في القدم الطائف . وأخيراً جُدة .

وفي الحجاز من البلاد الصغيرة ، والقرى والمعالم التاريخية ، والبقاع المقدسة ، والقبائل ، ما صُنف فيه الكثير من كتب أهل الرحلات وعلماءالبلدان وغيرهم .

إمارات الحجاز

أحصى فؤاد حمزة إمارات الحجاز في عهد الملك عبد العزيز ، بثماني عشرة إمارة أورد أسماءها في « قلب جزيرة العرب »[١] وزاد عليه تويتشل

---

(١) الصفحة ٧٢—٧٤ وليرجع إليه

إمارة « البِرك » وقال : تشمل إدارتها بني حسن .
ويقدر عدد السكان في بلاد الحجاز ، وباديته ، بمليونين .

٢ – نجـد

أوسع الأقاليم ، في شبه الجزيرة ، مساحة . يقال له « قلب الجزيرة » ويمتد من نهاية الرّبع الخالي والأحقاف جنوباً ، إلى ما فوق قريات الملح شمالاً ؛ ومن إمارات الخليج والأحساء والكويت شرقاً ، إلى حدود الحجاز وعسير غرباً.

ويقدر عدد السكان ، في هذه المقاطعة ، حضراً وبدواً ، بما يقرب من ثلاثة ملايين .

تتألف من أ – الرياض (مركز إدارتها) ومن توابعها الدرعية ،وضَرَمى والخَرج.ب – الحوطة والحريق . جـ – وادي الدواسر (قاعدته اللدَام) د – الأفلاج (قاعدتها لَيْلى) هـ – الوَشْم (مركزه شَقراء) ومن بلاده ثرمدا ومَرَاه . و – سُدير (مركزه المجمعة ، كمدرسة) ز – المِحْمَل (من قراها رَغْبة) حـ – الشعيب (قاعدتها حريملا) .

وتتبع مركزَ الرياض،إماراتُ البادية: أ – سبيع والسهول(بدو العارض) ب – عتيبة (ومن قراها الدّوادمي ، والشّعْرا ، وكثير من الهجر) جـ – قحطان (قحطان نجد) د – مُطير (ومركزها الأرطاوية) .

، ، ،

تحدّث محمودُ شكري الألوسي [١] المتوفى سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) عن نواحي نجد وقبائله ، فليُرجع إليه وإلى ما استدرك عليه سليمان بن سحمان المتوفى سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) .

---

(١) في كتابه « تاريخ نجد » الطبعة الثانية سنة ١٣٤٧ هـ

٣ ــ الأحساء

اتّسمت هذه المقاطعة بطابع خاصّ في بلدان الجزيرة : خصباً ، وموقعاً ، وأحداثاً .

عُرفت قديماً باسم « هَجَر » و « البحرين » و « وادي الحَسَاء» سنة ٦٢٩هـ (١٢٣٢م) ؛ و « الحَسَاء » زارها ابن بطوطة ، حوالى سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م) وقال : « هجر » وتسمى الآن بالحسا . أهلها عرب من عبد القيس ابن أفْصى .

وأشهر ما كان فيها من أحداث التاريخ قيام دولة « القرامطة » في العصر العباسي . عاشت حوالي مئة وتسعين عاماً(١) .

ويطلق اسم « الأحساء » اليوم ، على الإقليم الممتد على الشاطىء الغربي من الخليج ، ابتداءً من حدود قَطَر ومشيخات الساحل العُماني في جنوبي الخليج ، إلى حدود الكويت شمالاً . ويفصلها الصمّان غرباً عن صحراء الدهناء . وكان العثمانيون لما يئسوا من التسلط على نجد ، في أواخر عهدهم سموا الأحساء « متصرفية نجد » .

، ، ،

امتازت بوفرة مياهها وكثرة عيونها . وبين هذه العيون ما هو « معدني » حار . وتدفق النفط فيها ، أيام الملك عبد العزيز كما سيأتي .

قاعدتها ــ على عهد عبد العزيز ــ « الهَفُوف » ووردت في شعر بعض المتأخرين «الهُفْهوف » وهي أغنى البلاد العربية السعودية واحاتٍ وزراعةً

---

(١) كان ابتداء دولة القرامطة في هجر ، سنة ٢٧٨هـ (٨٩١م) ، على يد الحسن بن بهرام الجنابي المتوفى سنة ٣٠١هـ (٩١٤م) ، انظر ترجمته في الأعلام ٢ : ١٩٩ ونقل الأستاذ حمد الجاسر ، في مقدمة « تاريخ الأحساء » عن شراح « ديوان ابن المقرب » أن زوال القرامطة كان سنة ٤٦٩هـ (١٠٧٦م) ، على يد عبد الله بن علي العيوني .

وتمراً . يعلف أهلها دوابهم بالتمر . سمعت في إحدى زياراتي لها أن بعضهم قدّم لحميره شعيراً ، فأضربت الحمير عن الطعام !

وتتبع الهفوفَ ، مدن صغيرة وقرى كثيرة ، من أهمها : أ — المُبَرَّز : سميت بذلك لبروز حاج الأحساء إليها ، قديماً واجتماعهم فيها . ب — والعُقَير ويلفظونها العُجَير . كانت مرفأ الحسا ، وتبعد عنها مسافة ٨٥ كيلو متراً . قيل إنها هي « جرعاء » القديمة . ج — والقَطيف . يقال : إن القرامطة ، لما سرقوا الحَجَر الأسود ، وضعوه فيها . وهي الآن مركز إمارة تتبعها قرى كثيرة ، منها : جزيرة تارُوت ودارِين . ظهر النفط في القطيف ، واستُثمر سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)

ويتبعها من سكان البادية :

١ً — قبائل من بني « مرة » أكبر قبيلة في شرقي الجزيرة العربية[١] قال تيسيجر[٢] : تعيش قبائل مرة في مساحة تقارب مساحة فرنسا .

٢ً — كثير من قبائل « العُجمان » منازلهم بين الأحساء والكويت[٣] .

٣ً — بطون من « المَنَاصير » ونسبتهم إلى جدّ لهم يدعى « منصور ابن قيس » وهم من أوسع القبائل ثروة ، بما يملكون من إبل ومزارع[٤]

٤ً — العوازم : منازلهم بين الأحساء والكويت[٥] .

٥ً — بعض قبائل مطير .

٦ً — أكثر « بني هاجر » وهم قحطانيون كالمناصير ، منازلهم في جنوب العُجمان حتى بلاد قطر[٦] .

---

(١) انظر عرض حكومة المملكة العربية السعودية ١ : ٥٣–٥٨

(٢) رمال العرب ٢٥٢

(٣) انظر قبائل العرب ٢ : ٧٥٨

(٤) راجع عرض الحكومة ١ : ٥٩ — ٦٧

(٥) انظر البادية ، للراوي ١٧٧ وقلب جزيرة العرب ١٨٣

(٦) انظر قلب جزيرة العرب ٢٠٠ وقبائل العرب ٣ : ١١١٢

٧ً – كثير من « بني خالد » وجلّهم من عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر . دخل فيهم كثيرون من غير عُقيل . فأصبحوا قبائل شتى . منازلهم على ساحل الخليج ما بين وادي المُقَطّع في الشمال ومقاطعة البيّاض في الجنوب . ويتوغلون حتى نواحي الصمان في الغرب . كانوا أمراء بادية الأحساء ، قبل أن يستولي عليها الملك عبد العزيز[١] .

٨ً – الرشايدة : قبيلة ، منها أدلاّء اشتهروا بمعرفة قفار الدبْدِبة ومياهها[٢] .

وقامت في بلاد الأحساء ، بعد تدفق النفط ، حركة عُمرانية أنشئت فيها مدينة « الظهران » وجعلت مقاطعة ، كما سيأتي .

٤ – الظَّهْران والدَّمّام

الظهران ، مقاطعة حديثة الإنشاء . سُلخت عن « الأحساء » بعد ظهور النفط . أنشئت مدينتها على الطراز الأميركي . وكانت صحراء قاحلة مكفهرة تسمى « جبل الظهران » من قرى بني عامر بن عبد القيس .

، ، ،

وازدهرت على الشاطىء القريب منها مدينة « الدَّمّام » التي أصبح ميناؤها أعظم موانىء الخليج . وفيها الآن مقرّ الإمارة ، وابتداء السكة الحديدية التي تنتهي في الرياض .

وبنيت إلى جانبها مُدُن « الخُبَر » و « رأس تنورة » و « بُقَيق » وانتعش ميناء « جبيل » .

، ، ،

(١) انظر قلب جزيرة العرب ١٤٦ وقبائل العرب ١ : ٣٢٧ ومجلة العرب ٢ : ١٠٣٣
(٢) انظر قلب جزيرة العرب ١٥٢ وقبائل العرب ٢ : ٤٣٤

وفي الظهران كان اكتشاف أول بئر نفطي من آبار المملكة العربيةالسعودية سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) وفي رأس تنورة مصفاة للنفط أنشئت سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) ومیناؤها تنقل منه شركة النفط العربية الأميركية شحناتها . ويبعد رأس تنورة عن الظهران ٧٢ كيلو متراً ، والدمّام ١٨ والخُبَر ١٠ وبقيق ٦٧

٥ ــ الشّمال

والمراد بالشمال هنا ، ما هو في شمالي « الحجاز » .

كانت قاعدته قبل العهد الأخير من حياة الملك عبد العزيز ، مدينة«تبوك» وأهمّ المدن والقرى فيه : تبوك . والعَقَبة (عقبة أيْلَة) والجَوف (تتبعه سَكاكة) ويسمى « جوف آل عمرو » وهم منْ بني طيّء . واسمه الجغرافي القديم « دُومة الجَنْدل » ثم قُريات الملح ، وهي مركز وادي السِرحان الممتد إلى ما يقرب من الحدود الأردنية . ونبك القُريات . وعَرعَر . وطُرَيف . ولِينَة . وقرى صغيرة أخرى .

٦ ــ الجنوب

أُطلق على المناطق التهامية المنحدرة من جبال عَسير ، اسم « مقاطعة الجنوب » وجعلت قاعدتها مدينة « جيزان » أو « جازان »[١] وهي ميناء على البحر الأحمر ، يقابل جزائر فَرَسان ، ويحجزه من الداخل « جبل جيزان » وأكثر سكانه شوافع وأشراف ، وفيه قليل من الزّيود ، وبعض الحضارم ، ورجال القبائل[٢] تقدم وصف هذه المقاطعة في « تقرير » خالد القرقني[٣] ومن أشهر بلدانها :

---

(١) كلاها صحيح .

(٢) انظر المخلاف السليماني ١ : ٤-١٠ وجزيرة العرب للدباغ ١ : ٢٠٩-٢١١

(٣) الصفحة ٥٣٩ - ٥٥٦

« أبو عـَرِيش » كان لها شأن في أيام الشريف حمود المصنّف في سيرته كتاب « نفح العود ، في سيرة الشريف حمود » .

٧ ــ عَسِير (عسير السّراة)

قاعدتها مدينة « أبها » في متوسط الجزء الجنوبي من سراة عسير . مبنية من الحجر . بدأ ازدهارها سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) عندما تولى الحكم فيها علي بن مُجثّل[١] مرفأها « القُنْفُدة » على البحر الأحمر .

ومن أشهر المدن في مقاطعة عسير ، بعد أبها : خميس مشيط ، على ٢٣ كيلاً ، شرقي أبها . كان اسمها « الدّرْب » وتقام فيها سوق أسبوعية يوم الخميس . ونسبت قبل حوالي ١٢٠ عاماً إلى « مُشَيط » وهو رأس أسرة معروفة فيها . ارتفاعها عن سطح البحر ٧٣٠٠ قدم ، في سهل منبسط .

ومن بلدانها « بيشة » على الوادي المسمى باسمها . قال محمد أسد في كتابه الطريق إلى مكة : إذا عُني بوادي بيشة أمكن أن يموّن الحجاز كله بالحنطة . وفي الأمثال الدارجة : لو مع بيشة ، بيشة ، سابت العيشة ! (أي رخصت) وهذه البلدة على نحو ٢٤٠ ميلاً للجنوب الشرقي من مكة . وهي ملتقى الطرق بين اليمن وحضرموت وعُمان ونجد . وواديها من أكبر أودية عسير . يقدر طوله بـ ٤٥٠ كيلاً ، من سفوح جبال عسير إلى وادي الداوسر .

ومنها : « رِجَال ألْمَع » و « النّمَاص » و « بني شَهْر » و « تَثْلِيث » و « شَهْران » و « رُفَيدة » و « العَجاردة » و « ظَهْران اليمن » وقرى كثيرة لا مجال لاستيفائها .

٨ ــ القَصِيم

مقاطعة القصيم : أوسع بلاد نجد تجارة مع الخارج ، قبل ظهور النفط . ومن أغناها زراعة وازدهاراً .

---

(١) انظر تاريخ عسير في الماضي والحاضر ٦–١١

موقعها في شمالي الرياض الغربي ، على ٤٤٠ كيلاً (كيلومتراً) منها . تبعد عن حائل ٣٤٧ كيلاً . وفيها نحو مئتي قرية ؛ منها ما هو قديم عُرف في العصر الجاهلي ، ومنها ما هو حديث .

وهي تتألف من أربع إمارات :

١ — بُرَيْدة (مركز إمارة القصيم) في الجزء الشمالي من حافّة وادي الرُمّة الشرقية . قائمة على مرتفع رملي يعلو عن سطح البحر ١٨٢٠ قدماً . كانت من أشهر أسواق بيع الأبل .

٢ — عُنَيْزة : تبعد عن بريدة نحو ٣٠ كيلو متراً ، في جنوبيها . وترتفع عن سطح البحر ١٩١٠ أقدام . غزيرة المياه ، تمتد بساتينها نحو ٣ أكيال ، نخيلاً وفواكه وخضاراً . وهي كبريدة ، في تجارة الإبل .

٣ — الرَّسّ : على مسافة ٦٠ كيلاً ، للجنوب الغربي من عنيزة . فيها مياه وبساتين . وهي في أعلى القصيم . ترتفع ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر .

ويتبعها قصر ابن عُقَيّل ، وصُبيح ، والنّبهانية .

وهي غير « الرس » الوارد ذكرها في القرآن الكريم .

٤ — المِذنَب : في جنوبي عنيزة . يبعد عنها نحو ٦٠ كيلاً . يعمل أكثر سكانها في الزراعة . ويصدرون إلى الرياض والحجاز تموراً وقمحاً . اتسع عمرانها بعد أن نبع فيها الماء العذب . تتبعها عدة قرى . قال حمد الجاسر : إن زهير بن أبي سُلمى عاش عند أخوال له في عالية القصيم ؛ كما عاش عنترة وقبيلته في الجهة الغربية منه ، حيث لا يزال « الجَواء » المذكور في معلقته وجبل « قطن » من منازل عبس ، المعروفة في غربي القصيم إلى الآن .

٩ — مقاطعة الجبل (جبل شمّر)

وهي القسم الشمالي من نجد . كان يطلق عليها اسم جبلي طيّء : « أجأ وسَلْمى » يمتدان من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي . وبينهما سهل ،

تتخلله أودية عامرة بالمزارع والبساتين ، في نحو ٣٠ كيلاً تقوم فيها مدينة «حائل» مركز إمارة المقاطعة اليوم ، وعاصمة آل رشيد فيما سبق[1]

من أشهر قبائلها قبيلة « شَمَّر » وهي تسكن في جميع جهاتها ، ما عدا الجنوب .

وجبل « أجأ » يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر عند قمة الفُرع ٥٥٠٠ قدم (١٦٧٦ متراً) أما « سَلْمى » فأصغر من أجأ ، وارتفاعه نحو ١١٠٠ متر .

وتبعد حائل عن الرياض ، شمالاً إلى الغرب ٥٧١ كيلاً . وبينها وبين المدينة المنورة حوالى ٤٤٠ وتبعد عن دمشق ٤٧٨

وتتألف المقاطعة من ثلاث إمارات حضرية ، ومثلها بدوية . فالحضرية :

١ — إمارة حائل : وتتبعها « جُبّة » وهي بلدة عامرة في شمالي أجأ ، و « المستجدّة » — حتى « الشُقَيْق » .

وتقدر قرى إمارة حائل هذه ، بثمانين قرية ، من أهمها « قُفَار » إلى الجنوب الغربي من حائل، وهي على طريق « تَيْماء » . ومنها « فَيْد » على طريق بريدة الشرقي القديم .

٢ — إمارة تَيْماء : على طرف النفود الكبير . ورد ذكرها في الآثار الأشورية والبابلية . اتخذها آخر ملوك الكلدانيين مقراً إقليمياً له ، حوالى سنة ٥٤٥ قبل الميلاد . وفيها بقايا حصن « الأبلق » القديم . وفي خارجها نقوش على بعض الصخور . وفي متحف اللوفر بباريس « حَجَر تَيْماء »وعليه نقش من أعظم النقوش قيمة ، كتب باللغة الآرامية في القرن الخامس قبل الميلاد . وهي في وسط منخفض من الأرض ، كثير النخيل ، تحيط به التلال من جميع الجهات واقعة على مجمع خطوط للمواصلات : تبعد عن تبوك ٢٨٠ ك، ويصل إليها خط من العُلا (١٨٠ك) وخط من القريات (٥٥٠ك) وتبعد عن

---

(١) للكلام على حائل ، انظر الجزيرة العربية ١ :١٦٦–١٧٣ واليمامة في ١٣٧٩/٢/٢٦ وقلب جزيرة العرب ٦٨

المدينة المنورة ٤٥٠ك . وقال أحد زائريها[١] : رأيت في قصر ابن رَمّان ، وهو مقرّ الإمارة ، حجرين ، عليهما كتابات عربية قديمة لعلهما نُقلا من بعض المباني التي اندثرت . ويشرب النصف الغربي من تَيْماء وبساتينها من « بئر هَدّاج » وهي أشهر بئر في الشمال . كان عليها في الماضي ٨٠ غَرْباً (دلواً كبيراً) تقوم الإبل باستخراج الماء بها . يزيد اتساع فوهتها على خمسين قدماً ، ويبلغ عمقها ست قامات . وقد رُكّبت عليها أخيراً أربع مضخات ، لسحب الماء منها . وترتفع تيماء عن سطح البحر ٣٤٠٠ قدم .

و « ابن رَمان » صاحب القصر في تيماء ، هو : عبد الكريم بن علي بن رمان بن حطيم . حكم تيماء في شبه استقلال ، نحو نصف قرن . قال فلبي[٢] : كان ابن رمان ، على الرغم من طغيانه وظلمه ، يُعد من أبطال الصحراء كفيصل الدويش وفيصل بن حشر وخالد بن لؤي . قتله ابن عم له يدعى « فارس بن عبيد الله بن ثويني بن رمان » وهو خارج من صلاة الجمعة سنة ١٣٦٩ (١٩٥٠م) ووثب عَبيد عبد الكريم ، على فارس فمزقوه . وأرسل الملك عبد العزيز خالداً السديري ، أمير تبوك ، لتنظيم أمور تيماء وإقامة حاكم لها .

٣ — إمارة خيبر : واحة زراعية ، غزيرة المياه ، تتألف من عدة قرى ، في حَرّة واسعة تدعى « حرة خيبر » يتوافد الأعراب عليها أيام جني التمر ، لشراء محصولاتها . وهي على بعد ١٦٠ كيلاً إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة . تكرر ورود اسمها في التاريخ الإسلامي . أهم قراها « قرية البِشْر »

، ، ،

---

(١) عبد اللطيف المي ، في جريدة البلاد ١٣٨٠/١٠/١١ وانظر تاريخ العرب المطول ١ : ٤٩ و ٥٠ والجزيرة العربية ١ : ١٧٠-١٧٣

(٢) في كتاب « أرض الأنبياء » .

والإمارات البدوية التابعة لمقاطعة الجبل هي[١]: ١) إمارة حَرب. ٢) إمارة عَنَزة . ٣) إمارة شمّر . ٤) إمارة هُتَيْم .

، ، ،

وبعد ، فإن هذه الأقاليم أو المقاطعات ، كانت هي أساس التنظيم الإداري في المملكة ، على عهد الملك عبد العزيز ، ثم طرأ على بعض أوضاعها كثير من التغيير ليس من موضوع هذا الكتاب تتبعه أو تقصيه . وإنما الغاية إيراد ما يتصل ببلاد المملكة وعلاقة بعضها ببعض ، في أيامه ، وأحياناً قبله .

في الوجه و ينبع

وما دام الحديث عن بلدان المملكة وأصقاعها ، فلأنقل ما دونته في « مفكرتي » سنة ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) لعل فيه ما يفيد ..

— قمت برحلتي الثانية من مصر إلى الحجاز ، على الباخرة « الطائف » وحمولتها ٧٤٨ طناً ، وطولها ٢٤٧ قدماً ، وسرعتها ١٢ ميلاً في الساعة . بُنيت واستعملت في البحر الأحمر سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م)

— تجولت في ميناء الوجه . وسكانها نحو ٦٠٠ وفيها محجر صحي ، ومدرسة ابتدائية تضم ١٢٠ تلميذاً .

— أمير الوجه : صالح الدخيل . ولا صلةَ نَسَب بينه وبين آل الدخيل سكان بُريدة وهم من الدواسر . كان « خَوِياً » لمحمد كُردعلي في فراره من الشام إلى مصر أيام الترك .

— وفي البلدة أربعة مساجد ، وآلة لاسلكي .

— في أطراف الوجه ، قبائل الجواهرة ، والقُرعان ، والوابِصة ، والعَرّادات . وكلها من بَلي (كَعْني) .

وتنزل بأطرافها بطون من عَنزة .

— صادراتها : في الشتاء الفحم ، وفي الصيف السّمن والغنم .

---

(١) قلب جزيرة العرب ٦٨

– المسافات : من الوجه إلى العُلَى جنوباً ثلاثة أيام على الهجين ، ومن العلى شرقاً إلى حائل ، أربعة أيام . ومن الوجه شرقاً إلى ضُبى ثلاثة أيام ، ومن ضبي إلى تبوك أربعة أيام . ومن تبوك إلى تَيماء خمسة أيام .

، ، ،

وأرسينا في ينبع ضحى ٢٤ شعبان ٤٨ (في ١٩٣٠/١/٢٢) وأبحرنا منها بعد العصر .

– أمير ينبع عبد العزيز ابن معمر ، من نجد . وقائم مقامها مصطفى الخطيب من أهلها .

– سكانها نحو أربعة آلاف . وفيها مسجدان كبيران ، ومدرسة أميرية واحدة ، وكتاتيب أهلية .

– يشرب أهلها من ماء « الكنداسة » وقيمة الصفيحة إلى البيت قرشان من النقد السعودي . ومن ماء الصهاريج ثلاث صفايح بقرشين. بَلغت تكاليف « الكنداسة » ١٦ ألف جنيه .

– أُنشيء على شاطيء ينبع ، رصيف جديد كلف البلدية ١٦٠ جنيهاً .

– على ميلين من ينبع ، بحراً ، جزيرة العباسي . تقرر إنشاء محجر صحي فيها ، وبوشر بناوُه .

– إلى الجنوب الشرقي من ينبع ، على زهاء ١٠٠ كيل ، بلدة « بدر » وفيها مقبرة الشهداء .

– في ينبع ، مستوصف للأهالي والحجاج . طبيبه الدكتور إبراهيم حلمي الناعمة من دمشق . ومحجر ، طبيبه الدكتور إبراهيم أدهم ، وصيدلية للمحجر ، وصيدلية للمستوصف .

– العلاجات جميعها تُصرف مجاناً، للحجاج والأهالي، الأغنياء والفقراء

– من صادراتها : السمن ، والتمر ، والحِناء ، والصمغ ، والحَريد (وهو الاسم الفصيح للسمك المقدد) كما يسميه أهل ينبع ، ويسمى في مصر « البكلاه » .

– وأهم صادراتها : الفحم ، يحرقه البدو في أطراف ينبع .

بادية ينبع ، معظمها من جُهينة ، وأشهر بطون جهينة فيها : رِفاعة ، وعُروة ، ونَزّة ، وذِبْيان ، والسَرَحة ، وسنان ، وعَنَمة ، وبنو كلب ، وبنو إبراهيم .

– الطريق البرية المسلوكة : منها إلى المدينة ؛ ينبع ، بئر سعيد ، دِفْران، الحمراء ، بئر عباس ، المسيجيد (ويلفظون الجيم ياءً) الفُرَيش ، المدينة.

– والطريق غير المسلوكة إلاّ للهجّانة ، تسمى طريق بُوَاط . وهي : ينبع ، ينبع النخل ، ثم قرى متصلة قيل لي إنها ٢٧ قرية ، آخرها على خط المدينة الحديدي .

، ، ،

الجبال : جبال رَضوَى ، على يسار الذاهب إلى المدينة ، تَبين في أعاليها شِعاب كالرماح المغروسة ، متفاوتة الطول ، وقفت أتأملها ، ومرّ بخاطري قول الشاعر :

سقوني وقالوا: لا تغنّ! ولو سقوا شماريخ رضوى، ما سقوني لغنتِ

وما فهمت معنى « الشماريخ » قبل رؤيتها ..

وفي البيت روايات أخرى .

، ، ،

– بعد ينبع النخل إلى الشمال الشرقي ، جبل الأجرد ، فجبل بواط . وسكان هذين الجبلين من قبائل عُروة وذبيان ، وبني كلب ، والعوامرة ، والزوايدة . كلها من جهينة ، وأكبرها ذبيان . وتليها عُروة ، ثم كلب .

– وما بعد بُوَاط إلى المدينة : كلهم من قبائل حرب . وأكثرهم من « ولد محمد »

– والمسافة ، على الإبل من ثغر ينبع إلى المدينة ، مسيرة يومين .

– من حاصلات ينبع : الحِناء ، العَجْوة ، المَراوح ، الحُصر ، القُبَّى (الحشيش الناشف) الفحم ، الغنم ، الصدف ، الحَريد (البكلاه) .

– وممن عرفت في ينبع محمد العبيسي ، من أعضاء بلديتها . مولده وإقامته فيها . وفي ظنه أن العبيسيين من العباسيين .

– من أنواع السنابيك :

القَطِيرة : جمعها قطاير ، في ينبع والسويس .

الزَعِيمة : جمعها زعايم . في جُدة .

الساعية : جمعها سواعي : السنبوك الكبير ، في جدة .

الداو : جمعها داوات : سنبوك صغير

شذرات

اقتبست فقرات ، من مقال نشرته مجلة لبنانية رصينة ، فاتني قيد اسمها ، عن بلاد الملك عبد العزيز . وأعدت النظر بعد حين فيما اقتبست ، فحذفت ما لم يكن في زمن عبد العزيز ، وما سبق ذكره في الكتاب ، دفعاً للتكرار ، فجاءت كما يأتي :

الأسرة المالكة السعودية هي الأسرة الفريدة في التاريخ ، التي أُطلق اسمها على شعب البلاد الذي تحكمه ، فسُمي بالشعب « السعودي » ، وعُرف الفرد بأنه « سعودي » ، والمجموع بأنهم « سعوديون » ولم يحدث هذا قط في تاريخ البشرية .

، ، ،

المملكة العربية السعودية هي الدولة الفريدة في العالم الآن ، التي أسسها منشئها بحدّ السيف : فالسيف كان الثروة الوحِدة التي ملكتها يدا عبد العزيز آل سعود ، يوم وثب وثبته الأولى .

، ، ،

كان الناس ينادون الملك عبد العزيز آل سعود : « يا طويل العمر » وأصبحت بعده كاللقب لكل من يتولى العرش .

، ، ،

يَكْثر حَجَر المرجان في مياه جدة وعلى ساحلها .

، ، ،

تستخدم الحكومة السعودية كثيرين من رعايا الدول العربية الأخرى ، كالمصريين واللبنانيين والسوريين وغيرهم بل إنها أكثر الحكومات العربية استيراداً للخبراء العرب .

، ، ،

أثبتت الدراسات الجيولوجية ، أن أراضي المملكة العربية السعودية ، تحتوي على معادن أثمن من النفط ، منها الذهب والفضّة ، ولكنها تحتاج إلى مشاريع استثمار كثيرة التكاليف .

، ، ،

في الماضي – أي قبل اكتشاف آبار البترول – كان أهم صادرات المملكة هو : الإبل ، والأغنام . ولكن هذه الصادرات انخفضت بسبب قلة الأمطار ، فانقرضت كميات كبيرة من الحيوانات . والحكومة جادّة الآن في دراسة أهم الوسائل التي يمكن اتباعها لإحياء هذه المراعي وإعادتها سيرتها الإولى .

، ، ،

من أهم العوامل التي تحدّ من توسيع النشاط الزراعي في منطقة « عسير » – وهي من أغنى المناطق الزراعية – عدم توفر الطرق المعبّدة عبر جبال هذه المنطقة . وتوجه الحكومة اهتماماً كبيراً لهذه الناحية .

، ، ،

تُعدّ منطقة « الأحساء » وهي المنطقة البترولية ، من أغنى مناطق المملكة بالمياه العذبة الغزيرة ، حتى إن الناس يحفرون هناك عشرة أمتار في الأرض ،

فيجدون الماء ، وفي هذه المنطقة أكبر واحات للنخيل في الجزيرة العربية .

، ، ،

في البلدان العربية جاليات سعودية زاهرة ، أهمّها في مصر ولبنان ، حيث أنشأ السعوديون أعمالاً تجاريةً ، وابتاعوا أراضي وعقارات .

، ، ،

مشروب المملكة الوطني هو « القهوة » العربية ، وتُغلى في أوعيه تسمى « دِلال » بعد تحميص حبوبها وسحقها ، ويمزج معها البهار المسمى بـ « الهيل » أو غيره مثل القرنفل والزعفران . وعادة استعمال الكحل والعطور منتشرة في البوادي ، وأحب أنواع الطيوب : المسك ، وعود الندّ ، وماء الورد ، بالإضافة إلى أفخر أنواع الأطياب الحديثة التي أصبحت الآن معروفة لدى الكثيرين .

الحِــرار

الحِرار ، والحَرّات : جمع حَرّة . وهي كما يتناقل واصفوها ، وقد رأيت بعضها : أرض صخرية سوداء ، بركانية ، نَخِرة ، كأنما أحرقت بالنار.
وتسمى أيضاً « اللاّبة » و « اللُّوبة » من قولهم : إبلٌ لُوب ، أي عطاش بعيدة عن الماء .
وهي كثيرة في بلاد العرب . يُقتطع مما في جنوبي سورية منها ، حَجَر الرّحَى للطواحين. قيل : يزيد عددها على ٢٠٠ عدّ ياقوت منها ٢٩ حرّة .
ويلاحظ أن بعض أسمائها قد تبدل بمرور الزمن . خصوصاً ما اكتفى المتقدمون بذكره منسوباً إلى قبيلة أو موضع . والقبيلة قد لا تستقر طويلاً ،

والموضع في الصحراء عرضة للاندثار . وجاء من نزلوا بها أو بالديار القريبة منها، فاحتفظ بعضهم بأسمائها، وأطلق آخرون على بعضها أسماء لم يذكرها قدماء الجغرافيين أو استُحدثت بعدهم. فيُظن أن هذه غير تلك فيقع التكرار .

وهذا ابن بليهد يذكر « حَرّة ليلى » وينقل عن المتقدمين أشعاراً وأخباراً ورد فيها ذكرها ، وأنها في بلاد غطفان ، ثم يقول : ولا أعرف موضعاً باسم « حرة ليلى » في هذا العهد . وهي ولا شك باقية ، فماذا يُطلَق عليها من الأسماء اليوم ؟ وهو أيضاً يجزم بأن الحرة التي كانت تعرف باسم « حرة هلال بن عامر » هي اليوم المسماة « حَرّة البقوم » .

ولم أر فيما رجعت إليه اسم « حَرة العُوَيرض » وهي من أضخم الحِرار واقعة بين بلدتي تبوك والعُلا، غربي درب الحاجّ، محاذية لسكة الحديد الحجازية قال فؤاد حمزة : طولها أكثر من مئة ميل ، في عرض يقارب ذلك . ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر خمسة آلاف قدم وأعلى مواقعها جبل « عنازة » وارتفاعه عن سطح البحر سبعة آلاف قدم . فإذا لم يكن اسم « العويرض » قديماً فبماذا كانت تُعرف ؟ وهل هي عدة حرار أطلق عليها المتأخرون اسم « العويرض » ؟

وهناك حِرار ، يلوح أنها حديثة الأسماء كالحَرة التي يسميها فؤاد « حرة الخشب » ويصفها بأنها تمتد من عُشَيرة في أول سهل رُكْبة إلى أن تتصل بحرة بُسّ ؛ والحرة التي يسميها محمود أبو العلاء « حرة القشب » ويقول : تمتد إلى شرق حَرة خيبر . ولعل الاثنتين ، هما الحرة التي ذكرها رشدي ملحس باسمها الصحيح « حرة كشب » إلاّ أنه ضبطها خطأً ، بكسر الكاف ، والصواب الضم أو الفتح « كُشُب » أو « كَشْب »[1] وقال يصفها : في سهل رُكبة ، يحدها من الشمال هَضْب القَلِيب ، ومن الشرق

(١) انظر القاموس ، وكتاب « أبي علي الهجري» .

الدّفينة ، ومن الجنوب ركبة ، ومن الغرب وادي العقيق . مكونة من سلسلة حريرات .

أما « حرة بُسّ » الآنف ذكرها وبعضهم يسميها « البسّ » بالتعريف ، خطأً ؛ فهي في شمالي عُشيرة . لم يعدّها المتقدمون ، من الحرار ، وإنما قالوا : جبل قرب ذات عرق . وقال ابن بليهد : إذا رأيت آبار عشيرة وقصر البنزين ، وأنت متجه إلى نجد ؛ فالتفت على شمالك ، تر « بُسّ » حرّة سوداء ، تراها وأنت منحدر إلى الماء ، متجه إلى وادي العقيق . ولا تزال معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد . وأورد أبياتاً قديمة جاء فيها اسم « بس » غير معرّفة بأل .

على أن الحِرار ، لم تلق في القديم والحديث عناية بها من الباحثين لقلّة النفع منها . وإنما نظروا إليها من ناحيتي التخطيط الجغرافي ، ودراسة تكوينها الجيولوجي . وأكثر ما انصرف إليه اهتمام المتقدمين ، ما ورد اسمه منها في أقوال بعض الشعراء ، فضبطوا الاسم واشتقاقه . وأشاروا إلى موضعه إشارة عابرة . ولما جاء دور المنقبين عن الآثار والمكتشفين ، لم يروا في باطنها أو ظاهرها ما يستحق البحث ، فأهملوها . ومثلهم المنقّبون عن المعادن والماء والنفط .

ولعل رشدي ملحس ، كان أكثر من كتبوا عنها ، تتبعاً لمواضعها ، في خلال كتابته عن أماكن المعلّقات . وهو بهذا لم يشذّ عن علماء البلدان السابقين الذين كانوا يكثرون من السؤال عما يرون له ذكراً في بيت من الشعر أو في حادث تاريخي . ولكنه بكثرة تنقله مع الملك عبد العزيز واختلاطه بالوافدين عليه من أطراف الجزيرة ، وسؤالهم ، وتدوينه نتفاً مما يرى وما يسمع ، تسنّى له أن يجمع من أسمائها وأوصافها طائفة حسنة نشر منها في مجلة المنهل ما يصلح لأن يكون رسالة مستقلة .

وأشهر حِرار « التاريخ » حَرة واقِم ، بظاهر المدينة المنورة . أكثرَ الكتّابُ من الحديث عنها ، لحدوث « وقعة الحَرة » فيها . وكانت يوم ٣ ذي الحجة سنة ٦٣هـ(٣/٨/٦٨٣) قال الذهبي : خرج أهل المدينة على يزيد

لقلة دينة ، فجهّز لحربهم جيشاً ، عليه مسلم بن عُقبة فالتقوا بظاهر المدينة، فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ٣٠٦ أنفس ، وقتل عدد من الصحابة وغيرهم .

و « حَرة أوطاس » اشتهرت بحدوث « وقعة أوطاس » فيها . وكانت الوقعة في شوال سنة ٨هـ (٦٢٩م) بين النبي ﷺ وقبائل هوازن .

و « حَرة تَبُوك » عُرفت بغزو النبي ﷺ لموضعها المعروف إلى الآن، في رجب سنة ٩هـ (٦٣٠م)

ومن تبوك إلى قرب مكة ، حِرار متعددة مختلفة المساحات والأسماء .

ومن أيام العرب : « يوم حَرة حَقْل » ذكره ياقوت في المشترك .

وهناك ما كان ينسب إلى بعض رجال التاريخ ، كحَرة حَوض زِياد : بين المدينة والعقيق . وهو زياد بن أبي سفيان ، المعروف بزياد بن أبيه .

وفي ديار نجد ، حِرار معروفة بأسماء مواضعها ، كحرة رُمَاح ، من حرار الدهناء . وحرة عَسْعَس ، قرب ضَرِيّة . وحرة عبد الغنية : قال رشدي إنها في شمالي الأفلاج ، من أعمال العارض بنجد .

وكثير من الحرار ، كان ينسب إلى القبائل . كحرة بني سُليم : في عالية نجد . تنسب إلى بني سُليم بن منصور ، من قيس عيلان . وحرة عُذرة : القبيلة المعروفة بكثرة عشاقها . وتسمى « حرة كرتوم » كما في التاج والمشترك[1] وحرة هلال بن عامر : تقدم ذكرها . وحرة كنانة : في تهامة ، تمتد من شمال ميناء الشّقَيْق حتى ميناء البِرك ، على الشاطىء . وحرة بني فزارة : المعروفة بحرة خَيْبَر ، وما يتصل بها . وحرة بني عَبْس : شرقي الحجاز ، قرب خيبر .

وقد طال الحديث عن الحِرار ، وليس القصد هنا إلاّ الإشارة إليها .

---

(١) سماها الهجري « الكريتيم »

الرُّبـع الخـالي

كما يصفـه « برترام توماس »

قال في الفصل الرابع عشر ، من كتابه « العربية السعيدة »[١] تحت عنوان ملاحظات جغرافية على الربع الخالي ، ما خلاصته :

هو جميع المنطقة الواقعة جنوب شرقي الجزيرة العربية . والقبائل التي تعيش فيه ، ليس فيها من يفهم معنى كلمة « الربع الخالي » أو يسميه بذلك .

وهو صحاريّ ، يتكون ثلث مساحتها ، في الشرق والجنوب ، من منحدرات خالية من كل زرع . وبقيتها بحار من الرمال ، ممتدة إلى الشمال والغرب ، وللقبائل مناطق إقامة في المنحدرات والرمال ، لها أسماء معروفة عندهم . ومنها ما يسمى باسم القبيلة القاطنة فيه ، أو اسم الوادي الذي يخترق تلك الناحية .

وبين رمال الحدود (الشمالية) تقوم سلاسل من جبال الجِبْس ، على شكل حدوة الحصان ، تمتد قاعدتها إلى الحدود الوسطى الجنوبية ، في مناطق « أم غريب » و « خرخير » و « عروق الذاهبة » و « منيور » و « رجاآت » .

وفي حدوة الحصان هذه ، لا تجد إلاّ القبائل التي تسكن مناطق الرمال الكبرى وهي ١ً) آل مرة في الشمال الغربي ، و ٢ً) آل رشيد (غير أمراء حائل) في الوسط الجنوبي ، و ٣ً) العوامر والمناصير ، على نطاق أضيق من الأولين ، في الشمال الغربي .

أما في خارج حدوة الحصان ، بينها وبين المنحدَرات الآنف ذكرها ، فتظهر رمال الحدود . وبعض قبائل المنحدرات تستفيد منها موسمياً . ومن هذه القبائل ، في شرقيها أبو شمس ، والدروع ، والهراسيس ، وعقار . وفي الجنوب : بيت كثير ، والمناحل ، وسعر ، وكرب .

وترتفع الأراضي فجأة ، على جوانحها الثلاثة : ففي الشمال الشرقي تبدأ

---

(١) Arabia Felix نشر في لندن سنة ١٩٣٢

سلسلة هَجَر في عُمان . وفي الوسط الجنوبي سلسلة ظَفَار ، وفي الجنوب الغربي جبال حضرموت ونجران .

والنقطة ذات الأهمية الجغرافية ، هي وجود جبال رملية متحركة كثيرة . وهي تبدو كأنها صفحات من الملح الأبيض . ولا تظهر منها للمسافر المُتعَب أية دلالة على خباياها الخادعة . وقد هلك فيها كثيرون . ويقال : إنه لا يجرؤ على عبور ممراتها « السرية » إلاّ بعض بدو « الدروع » الذين يأتونها ، لجمع الملح في أطرافها . والمعروف أن بعض هذه الجبال الرملية المتحركة ، يوجد في « أم السمين » بين الرمل والمنحدرات إلى الشمال والشرق من بحشن (؟) وفي الجنوب والشرق من « إبري » [١] .

.. وكما يصفه فلبي

وطلب فؤاد حمزة من المستر فلبي ، أن يكتب له خلاصة من رحلته إلى الربع الخالي ، فكتب فصلاً ، جاء فيه :

الربع الخالي ، بقعة صحراوية مترامية الأطراف ، تقع بين نجد وحضرموت من جهة ، وبين اليمن وعُمان من جهة أخرى . يحدّها من الشمال ، خط يمتد من بلدة « سلوى » على خليج البحرين ، ماراً بواحة يبرين والأفلاج ووادي الدواسر ، إلى واحة نجران الكبرى الواقعة على الزاوية الشمالية من حدود اليمن .

ومن نجران ، يمتدّ الربع الخالي جنوباً ، في خط ، إلى حدود اليمن الشرقية ، ماراًّ في الجوف إلى مأرب . ومن ثم إلى الشرق ، محاذياً المناطق الجبلية في وادي حضرموت ، إلى مُهْرة ، وقارا ، فرملة مغشن (وهذه واحة فيها نخل وعيون) ثم ينثني إلى الشمال ، تاركاً جبال عُمان إلى الشرق ؛ إلى أن يبلغ سفح رأس « المسندم » في الخليج الفارسي .

---

(١) ورد ذكر « إبري » هذه ، في « إسعاف الأعيان ، في أنساب أهل عمان » ٢١ فهي غير « عبري » .

ويُقسم الربع الخالي على وجه التقريب ، إلى قسمين رئيسيين : الأول إلى شرق خط الطول ٥٠ والآخر ، إلى غربيه . والقسم الشرقي معظمه سلاسل متوازية طويلة من الرمال الكثيفة ، مع كميات وافرة من المياه الضاربة إلى الملوحة ، على أعماق ضئيلة مختلفة . وهذه الأراضي وافرة المرعى ، مما أدى إلى الاعتقاد بأنها الموطن الأصلي لأحسن أجناس الإبل العربية .

أما القسم الغربي الممتد إلى وادي الدواسر ونجران ، فهو مفاوز مقفرة جافة ، قلّما يصيبها المطر . ينبت في بعض أقسامها النبات الصحراوي القاسي (كالابال والعلقة والحض والبركان) ويعترض رماله ، في بعض الأماكن ،مساحات واسعة موحشةمنالحصباء المسطحة، كأبو بحر، وسحمة ورعلا ، والجليدة ، وجدة الفرشة .

وفي الجهات الشمالية الشرقية من هذه القفار ، بعض الآبار الهائلة العمق . ولذلك فهي تسمى الطِوال ، كالمغينمة التي يبلغ عمقها ١٧١ قدماً ، وبئر فاضل ١٢٥ قدماً ، ونميلة ، وطويرفة . وهاتان غُمرتا بالرمال حديثاً . وكثير غيرها على شاكلتها ، كبئر مُقرن وبئر المكسّر الخ . أما البدو ، فقد نسوا أسماء هذه الآبار من عهد بعيد . وقد قمنا بالحفر عن فوهاتها وتسميتها من جديد .

ومما ظهر لنا في رحلتنا ، أن على الحد بين القسم الشرقي والقسم الغربي من الربع الخالي ، مساحات كبيرة وجدنا بعض أصداف الماء العذب في كثير من مواقعها . وكان معها أيضاً كثير من الأسلحة الصوانية التي ترجع إلى العهد الحجري الحديث (١٠٠٠٠ عام — ٥٠٠٠ قبل المسيح) ثم بعض قطع من بيض النعام المتحجر وغيره من الآثار .

وتدل هذه الاكتشافات على أنه في وقت من الأزمنة البعيدة ، كانت البقاع الغربية من الربع الخالي ، بلاداً خصبة تجري إليها الأنهار من جبال اليمن .

ومرتفعات الحجاز ، وتصب في البحر الذي كان في العهد الميوسيني[١] ساتراً ما هو اليوم القسم الشرقي من الربع الخالي ، إلى خط يمتد من رملة مغشن إلى شنة ، فبئر زكرت ، ونيفا ، وعين سالا .

والذي أظنه أنه يمكن الآن تمييز أربعة مَجَار ، لأنها قديمة . ويكون مشروع البحث في ١ــ مجموعة أودية الأفلاج ٢ــ المجرى الحالي لوادي مُقْرِن ٣ــ وادي الدّواسر ثم ٤ــ وادي نَجْران . وإن صح هذا ، فإن الفيافي الجافة المقفرة الآن ، كانت حوالي سنة ٥٠٠٠ ق.م. مراعي خصبة ترتادها مواشي الإنسان الأول الذي لا شك في أنه كان يعيش على صيد الغزلان والأيائل والنعام ، وقام بوضع الأساس لصناعة تربية الجمال وإنتاجها .

كانت هذه الأنهار ، على ما يظهر ، تجري على خط طول ٥٠ أو ٥١ لكن عندما أخذ البحر ينحسر ، ترك وراءه بحيرات ومستنقعات جفت بالتغييرات الجوية ، واضطر الإنسان والحيوان إلى النزوح إلى الأقسام الشرقية ، ذات الرمال الرقيقة والآبار القليلة العمق . وتطلق العرب الآن على هذه البقاع اسم « الرمال » أو « الرملة » والخيران. بينما نراهم يحتفظون بكلمة الربع الخالي للقسم الغربي الجافّ .

يقطن الآن بعضَ جهات القسم الشرقي ، أو الرمال ، قبيلة « المناصير » وواحتها الرئيسية المركزية ، في منطقة « الجوا » نحو الحدود العُمانية . ويوجد أيضاً بعض قبائل مرة ، كالغُفران والجَرابعة والجابر . بينما يقطن الجهات الجنوبية مزيج من آل كثير والصعر والضروع والعوامر .

أما القسم الغربي ، ففي ملكية « الدمنان » من آل مرة . وهم نفر من الرعاة المشاغبين؛ قسم منهم يتعلق بنجران ، وقسم بالأحساء . وواحة جبرين[٢] الكبرى تخصّ « جبرين » وهم أيضاً من آل مرة ، بينما أن قسم « البحيح »

---

(١) العهد الميوسيني ، في عرف علماء طبقات الأرض : هو ما قبل ظهور الإنسان بزمن قليل وقد ظهر فيه القردة .

(٢) يبرين .

منهم ، يقطنون صحراء « الجافورة » وهي قسم من الربع الخالي ، يبرز إلى الشمال بين خليج « جيبان » وخليج الحسا .

وعلى جوانب هذين الخليجين ، يرى الإنسان شواهق الصخور التي كانت تضم سواعد البحر الميوسيني القديم . وقد وجدت على هذه الصخور كثيراً من متحجرات العصر الميوسيني .

وقد قمنا ببحث دقيق ، عن الأماكن التي وردت في أساطير البدو وزعموا أنها في الربع الخالي ، ووجدنا بعض الأسلحة الصوانية التي تثبت وجود الإنسان في وقت من الأوقات . لكن لا شك في أن هذا الإنسان سكن أراضي الربع الخالي قبل أن عرف فنّ البناء والحياة الاجتماعية في الأصقاع الأخرى . لكن ما وجدناه ، وهو ليس ببعيد العهد في التاريخ ، طريق قوافل واضحة الآثار ، ما بين مغينمة والأفلاج ، وأخرى ما بين مغينمة وبئر فاضل . وهذه الطرق على ما يظهر ، نشأت في أيام الجاهلية ؛ كطرق تجارة عُمان مع مكة ويثرب ومدائن صالح وسلع (البتراء) ولا شك في أن القوافل كانت تمر من هنا ، حاملة البهارات والعطور من جنوبي الجزيرة ، إلى شمالها . ولا بد أنها بعد ذلك أصبحت طريق الحجّ من عُمان إلى مكة المكرمة . لكنها على كل حال لم تكن تجتاز الربع الخالي ، بل كانت تحاذي حدّه الشمالي ، مارة بواحة « الجوا » إلى الأفلاج .

وليس في الربع الخالي أثر لأية مدينة ، لأن هذه الأصقاع جفت وصارت كما هي الآن ، قبل أن عرف الإنسان بناء القرى ، فكيف بالمدن ؛ والربع الخالي ، كان خالياً فارغاً من الحياة والمياه ، لما بدت طلائع التمدن الحميري والسبأي في الأودية والسهول حول حدوده الجبلية .

النفط في الربع الخالي

أُذيع من « الظهران » في المملكة العربية السعودية ، أن بعثة فنية غادرتها في منتصف الحجة ١٣٧٠ (١٧/٩/١٩٥١) للتنقيب عن النفط في الربع الخالي

مبتدئة بالزاوية الشمالية الشرقية منه ، ومتجهة إلى الجنوب والغرب .

وجاء في هذا النبأ الصحفي أن مساحة الربع الخالي تبلغ ٣٠٠ ألف ميل مربع

الرمال العازفة

قال ولفريد تيسيغر[١] بعد اجتيازه رملة « الربض » في الربع الخالي مشرّقاً إلى أطراف « عِبري » في بلاد عُمان:

« وبينما كنا نقود جمالنا ونحن نهبط المنحدر ، أحسست فجأة بطنين منخفض ،أخذت قوته تزداد ،حتى أصبح كصوت طائرة تطير فوق رؤوسنا.. اندفعت الجمال مذعورة متفرقة ، وهي تشدّ أرسانها ، وتنظر وراءها إلى المنحدر فوقنا . وتوقف الصوت عندما وصلنا إلى القاع . كان هذا « غناء الرمال » والأعراب يصفونه بالزئير ، وربما كانت هذه الكلمة أكثر تعبيراً . فقد سمعته ستّ مرات خلال السنوات الخمس التي قضيتها في هذه البقاع . وهو ناجم كما أعتقد عن انهيار طبقة من الرمال على وجه أخرى . وقد وقفت مرة على حافة جبل ،وابتدأ هذا الصوت عندما خطوت على الوجه المنحدِر . ووجدت في هذه المناسبة أن في وسعي أن أحول دون ازدياده أو أوقفه ، وذلك بأن أخطو فوق سطح المنحدَر » .

، ، ،

اقتبست هذه الجملة لأنها حديث من شاهد الرمل وسمع عزيفه . وكان ممن رأى هذه الظاهرة قبله ، في مواضع أخر ، شارلز « دوتي » البريطاني ، وبينهما نحو ستين عاماً ، وقال في وصفها : إنها كثبان من الرمل الهدّار ، تنهار طبقتها العليا تحت أقدام المارّة ، فتخرج منها أصوات يزداد ارتفاعها ، كالرنين الذي يحدثه قرع ناقوس ضخم .

---

(١) رمال العرب ١٧٢ وانظر خريطته على الصفحة ١٢١

وسمّى دوتي في كتابه « رحلات في بلاد العرب الصحراوية » أماكن لهذه الكثبان منها ما هو في صحراء النفود ، شماليّ شبه الجزيرة ، ومنها ما هو قرب مدائن صالح ، عند تلّ يسمى « الحوّارية » وأكثرها على مقربة من « مدائن صالح » .

وبين تيسيغر ودوتي ، بريطانيان آخران قاما باجتياز الرّبع الخالي ، وسمعا صوت الرمال العازفة ، أحدهما برترام توماس ، صاحب الرحلة المسماة « العربية السعيدة »وكان دخوله تلك القفار عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠–١٩٣١م) وشبّه ما سمعه (في تلال جديلة) بصوت صفارة الباخرة . والثاني أشهرهم جميعاً عندنا ، المستر ، أو الحاج « فلبي »كانت رحلته سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) ورأى تلك الظاهرة بالقرب من بئر « نايفة » في الربع الخالي فقال إن أحد رجاله صعد قمة كثيب رملي ، مرتفع نحو ٢٠٠ قدم ، فصدر عن الكثيب صوت غليظ كأزيز الطائرة أو نغمات أرغن كبير . ويذكر فلبي أن أول مرة سمع بها هدير الرمال ، كانت سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) في تلال « بدر » بين المدينة المنورة وينبع .

هذا حديث الرحالين الإنكليز ، الأربعة .

أما العرب المعاصرون ، فاشتهر من خبرائهم ببقاع شبه الجزيرة الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد . وهو نجدي ، كان في وقت من حياته دليلاً «محترفاً» وفي كتابه « صحيح الأخبار » ما يدل على خبرة في هذا الشأن[١] ولكن يظهر أنه لم يتوغل في الربع الخالي ، أو لم يحسن الكتابة عنه . وقد كتب عن « أبرق الحنّان » كتابة من رآه ، فقال : كثيب مرتكم ، إذا ارتكمت رماله وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح ، سُمع له حنين ، ولا يزال الناس يسمعون ذلك إلى هذا العهد ، ولا أشكّ في أن هذه الأصوات ناشئة عن نزول الرمل

(١) طبع كتابه في القاهرة سنة ١٩٥١–٥٣ ، في خمسة أجزاء .ولو جرده من النقول واقتصر فيه على ما عنده لكان من خيار المراجع الحديثة . وقد تعقب الأستاذ حمد الجاسر كثيراً من هفواته وما بقي من صحائحه غير قليل .

من أعلاه إلى أسفله[١] ونقل ما في معجم البلدان [٢] وهو : « أبرق الحنان ماء لبني فزارة . قالوا : سُمي بذلك لأنه يُسمع فيه الحنين ، فيقال : إن الجن فيه تحنّ إلى من قفل عنها » وعلق ابن بليهد على ذلك قائلاً : هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : إنا نبيت تحت هذا الكثيب ، ونسمع فيه الأصوات المزعجة ، المختلفة الجرْس ، ولا نشكّ في أنها أصوات الرمال إذا تهايل بعضها على بعض . ثم قال : ولا أعرف في نجد كثيباً له حنين وأصوات إلاّ هذا الكثيب . وعلق الأستاذ حمد الجاسر بأن أبرق الحنّان ، قرب بدر .

، ، ،

وعرف قدماء العرب مواضع في شبه الجزيرة ، من هذا النوع . أشهرها « العزّاف » قال الزمخشري[٣] : « العزّاف ، رمل لبني سعد ، وهو أبرق العزاف ، وفيه الجنّ يعزفون . وهو يسرة عن طريق الكوفة ، قريب من زرود . وقال ياقوت[٤] : أبْرَقُ العزَاف ؛ ماء لبني أسد بن خزيمة ، في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . قالوا : وإنما سمي العزاف لأنهم يسمعون فيه عزيف الجنّ . وأورد شعراً في ذلك . ومنها « رمل عازف » لم يذكروا موضعه وإنما ورد في قول ذي الرُمّة :

وعيناءَ مبهاج كأن إزارها على واضح الأعطاف من رمل عازف

وفي رسالة خاصة بعث بها فلبي من الرياض إلى صديقه « جاري أُوين » في أرامكو بالظهران ، تاريخها ذو الحجة ١٣٦٩ (١٩٥٠/٨/٢١م) يذكر

---

(١) صحيح الأخبار ٢ : ٧٠

(٢) طبعة بيروت ١ : ٦٧

(٣) الجبال والأمكنة والمياه ١١٢

(٤) معجم البلدان ١ : ٦٨ وانظر « المناسك وأماكن طرق الحج » ٣٢٩

أنه أرسل إليه نموذجاً من الرمل « المغرِّد » من « بدر » وأنه عرف بظاهرة من هذا النوع في « النايفة » من بقاع الربع الخالي ، وفي « أبا الدفوف » على بضعة أميال من « رنية » جنوباً . وهو يعتقد أن جبل « الناقوس » على سفح سيناء هو من هذا القبيل ؛ وقد ذكر ذلك اللورد كرزون في كتابه « قصص سياحة » .

ويقول فلبي : إن تل الرمال العازفة ، في بدر ، يعرف باسم « الدف » أو « العدوة الدنيا » ويرتفع إلى نحو ٥٠٠ قدم من قاعدته ، وطول قاعدته نحو نصف ميل من الشرق إلى الغرب ، وواجهتها الجنوبية منحدرة جداً (١ في٧٥) ومقعّرة قليلاً بينما الجهة الشمالية على شكل حدوة فرس . وهو من الرمل الخالص. والجهة التي يخرج منها الصوت ، هي الجنوبية من التلّ فقط. ويقول : والاعتقاد المَحَلي هو أن الصوت صوت الملائكة (أو الجنّ) تبكي شهداء بدر المدفونين هناك .

ثم يقول : ومن الثابت أن ظاهرة « الغناء » هذه ، كانت معروفة منذ ١٤ قرناً . وربما كان للتلّ الرملي نواة من حجر بركاني ، تشكلت كلوحة لترديد الصدى . وهو يعتقد أن سرّ « التغريد » ما زال في حاجة إلى البحث العلمي لمعرفته . اهـ.

ويظهر أن المتقدمين من العرب حاولوا كشف حقيقة هذا السرّ ، فنرى ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ (١٣١١م) ، يقول : العزف والعزيف صوت في الرمل لا يُدرى ما هو . وقيل : هو وقوع بعضه على بعض . ورمل عازف وعزّاف مصوّت[١] وفي شرح لديوان « جرير » : إذا تهدمت الرمال سُمع لها صوت . وهذا وما قبله هو ما يراه فلبي ودوتي وابن بليهد وتيسيغر جميعاً .

ولعل أصح ما يقال في تعليل هذه الظاهرة : أن الرمال إذا كانت خشنة وأكبر حجماً من حبوب الرمال المعتادة ، تخللها الريح ، فصدرت عنها أصوات كالصفير أو الزئير أو الحنين ، سمّاها العرب عزيفاً وحنيناً. وقد عالج باجنولد[٢]

---

(١) لسان العرب : مادة عزف .

(٢) قافلة الزيت . عن مجلة الجمعية الجغرافية ٨٥ : ٣٦٩ .

فحص تلك الرمال على هذا الأساس ، وصحّ عنده .

من مصايف المملكة

وفي المملكة عدد من الأمكنة ، اعتاد الكثيرون قضاء فصل الصيف فيها ؛ أشهرها :

١)– الطائف ، البلدة الموصوفة من زمن طويل بأنها « مصيف مكة » وقد سبق الحديث عنها . ارتفاعها عن سطح البحر نحو ١٦٠٠ متر .

٢)– أبها ، في وسط بلاد عسير . تقدم ذكرها . ترتفع نحو ٢٢٧٥ متراً .

٣)– مصايف قروية ، منها : (أ) الشعبَيْن ، في رجال ألمع . (ب)النماص في بني شِهْر . (ج) السودة ، من ضواحي أبها . وكلها في مقاطعة عسير .

٤)– الفُرع ، قرية في أحد جبال الطائف . ارتفاعها نحو ٢٥٠٠ متر . وصفها الأمير شكيب أرسلان[١] بأنها من أفضل مصايف الدنيا . وقال : لما صرت في الفرع تمنيت أن يكون لي هناك مصيف ، ورجّحته على أي مصيف آخر حتى على عين صوفر التي هي أنزه مصايف لبنان .

(١) في الارتسامات اللطاف ٢٦٣

المـلك عَبـد العـزيـز

موضوع خصيب للكتّاب والمؤلفين

قلّ أن تناول عدد من الكتّاب والمؤلفين ، من أمم مختلفة ، سيرة « رجل » في حياته ، يقارب عدد من تناولوا سيرة « عبد العزيز » بين دارس يُلِمّ ببعض خلاله ، ومؤرخ يدوّن أحداث عصره ، ومعجب يطري ويثني ، ورحالة يتتبّع ويستقصي .

أما « الكتب » المصنفة في « عبد العزيز » أو التي ملأت أخباره جانباً كبيراً منها . فإنها تؤلف مكتبة خاصة . وأما الفصول والمقالات فأكثر من الكثير .

وبين يديّ مجموعة من « التصانيف » في الموضوع ،قد يكون من المفيد أو الطريف ، ذكر أسمائها . وهناك ما لم يتيسر لي الاطلاع عليه مما صُنف في أيامه أو بعد وفاته .

من الكتب العربية :

١ — « تاريخ نجد الحديث وملحقاته » تأليف أمين الريحاني . طبع في بيروت (١٩٢٨م) صفحاته ٤٤٠

٢ — « ملوك العرب » تأليف أمين الريحاني أيضاً . جزآن ، خصّ منهما سيرة عبد العزيز بـ ١١٤ صفحة . طبع ببيروت (١٩٢٩)

٣ — « قلب جزيرة العرب » تأليف فؤاد حمزة . طبع في القاهرة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) صفحاته ٤٦٣

٤ — « جزيرة العرب في القرن العشرين » تأليف حافظ وهبة . طبع بالقاهرة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) صفحاته ٤٣٦ وأعيد طبعه .

٥ — « أحسن القَصَص ، أو سيرة الملك عبد العزيز آل سعود » . تأليف خالد بن محمد الفرج . طبع بالقاهرة . صفحاته ١٣٢ .

٦ — « صقر الجزيرة » تأليف أحمد عبد الغفور عطار . ثلاثة أجزاء ، طبع بالقاهرة . صفحاته ٧٨٠

٧ — « آل سعود في التاريخ » تأليف فريد مصطفى أبو عز الدين . طبع في دمشق ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) صفحاته ١٣٤ .

٨ — « البلاد العربية السعودية » تأليف فؤاد حمزة . طبع بمكة ١٣٥٥هـ صفحاته ٢٧٣

٩ — « الدولة السعودية » محاضرة للدكتور محمد عبد الله ماضي . طبعت بمصر في ٢٤ صفحة .

١٠ — « الملك ابن السعود » بقلم محمد صبيح . طبع بمصر ١٣٥٩ هـ صفحاته ١٦٠

١١ — « الرجل » في سيرة الملك عبد العزيز . تأليف نجيب نصار . الجزء الأول . طبع في حيفا (بفلسطين) سنة ١٩٣٨ صفحاته ٨٨

١٢ — « صفحات خالدة » لإبراهيم الشورى . الرسالة الأولى . طبعت بمصر . صفحاتها ٨٠

١٣ — « في الحجاز » لمحيي الدين رضا . طبع بالقاهرة ١٣٥٨هـ. صفحاته ١٣٠

١٤ — « ابن سعود سيد نجد وملك الحجاز » للرحالة الإنكليزي كنث وليمز . ترجمه إلى العربية كامل صموئيل مَسيحة . طبع ببيروت (١٩٣٤م) صفحاته ٢٤٠

١٥ — « الملك عبد العزيز آل سعود والمملكة العربية السعودية » بقلم عبد الله حسين . طبع بالقاهرة (١٩٤٧م) صفحاته ٢١٦

١٦ — « لمحة من سيرة الملك عبد العزيز » بقلم محيي الدين رضا . طبع بمصر (١٩٤٦م) صفحاته ٨٤

١٧ — « طويل العمر » لمحيي الدين رضا . طبع بمصر ١٣٦٩ﻫ (١٩٥٠م) صفحاته ١٣٢

١٨ — « ابن سعود » لمصطفى الحفناوي . طبع بمصر .

١٩ — « فرقة الإخوان الإسلامية بنجد » تأليف محمد مغيربي فتيح المدني. طبع في الآستانة ١٣٤٢ﻫ صفحاته ٥٦

٢٠ — « الثورة الوهابية » بقلم عبد الله علي القَصيمي . طبع بمصر ١٣٥٤ﻫ (١٩٣٦م) صفحاته ١٤٠

٢١ — « الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية » لسليمان بن سحمان النجدي . طبع بمصر ١٣٤٢ﻫ

٢٢ — « الحجاز في عام ١٣٥٦ﻫ » بقلم أحمد إبراهيم عيسى. طبع بمصر .

٢٣ — « سيّد الجزيرة العربية ابن سعود » تأليف عمر أبو النصر . طبع في بيروت ١٣٥٤ﻫ (١٩٣٥م) صفحاته ٢١٤ .

٢٤ — « الإمام العادل » تأليف عبد الحميد الخطيب . جزآن ، صفحاتهما نحو ٥٥٠ طبع بمصر ١٣٧٠ﻫ (١٩٥١م)

٢٥ — « تاريخ نجد » تأليف عبد الله فيلبي. ترجمه إلى العربية عمر الديراوي . طبع في بيروت .

٢٦ — « العربية السعودية » تأليف عبد الكريم أبا الخيل . طبع في بغداد سنة ١٣٧٢ﻫ (١٩٥٣م)

٢٧ — « منابع الثروة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية » بقلم رسول عبد الوهاب العسكر. رسالة . طبعت في بغداد سنة ١٣٧١ﻫ (١٩٥٢م)

٢٨ — « ليلة المصمك » بقلم يوسف إبراهيم يزبك . رسالة طبعت في

بيروت سنة ١٩٥٣م

٢٩ — « تاريخ أمة في حياة رجل ، أو الحجاز بين عهدين » تأليف فؤاد مصطفى السابق . طبع في اللاذقية سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)

٣٠ — « عبد العزيز » للمؤرخ الألماني داكوبرت فون ميكوش . نقله إلى العربية الدكتور أمين رويحة . طبع في بيروت .

٣١ — « ابن سعود ، حياته وتراثه الخالد للعروبة والإسلام » بقلم عبد الله حمدي . طبع في بيروت ١٩٥٣م

٣٢ — « الملك الراشد ، عبد العزيز آل سعود » تأليف عبد المنعم الغلامي طبع ببغداد ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)

٣٣ — « دليل الحج والسياحة » لأحمد بن محمد الهواري . رحلته إلى الحج . طبع في الرباط ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)

٣٤ — « عاهل الجزيرة » لعبد الرحمن نصر . طبع في القاهرة .

٣٥ — « الرحلة السعودية الحجازية النجدية » تأليف محمد سعيد العُوري طبع في القاهرة .

٣٦ — « في قلب نجد والحجاز » تأليف محمد شفيق مصطفى . طبع بمصر .

٣٧ — « ماذا في الحجاز » تأليف أحمد بن محمد جمال . طبع بمصر .

٣٨ — « مشاهداتي في بلاد الحجاز » تأليف عباس متولي حمادة . طبع بمصر .

٣٩ — « الوهابيون والحجاز » بقلم محمد رشيد رضا . طبع في القاهرة .

٤٠ — « الملكان عبد العزيز وفاروق » لمحمد السلاّح . طبع في حلب .

٤١ — « إنسان الجزيرة » تأليف الدكتور إبراهيم عبده . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٤م

٤٢ — « عبد العزيز آل سعود » تأليف بنوا ميشان . ترجمه إلى العربية عبد الفتاح ياسين . طبع في بيروت سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)

٤٣ — « معجزة فوق الرمال » بقلم أحمد عسّه . طبع في بيروت سنة (١٩٦٥م)

٤٤ — ملحمة الرياض ، لبولس سلامة .

٤٥ — « تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها » تأليف صلاح الدين المختار . مجلدان . طبع في بيروت سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٥م)

٤٦ — « بطل الجزيرة » بقلم فكتور ملحم البستاني . طبع في بيروت سنة (١٩٥٧م)

٤٧ — الرحلة الملكية عام ١٣٤٣هـ . بقلم يوسف ياسين . نشرت تباعاً في جريدة أمّ القُرى ، ثم طبعت في « كتاب » سنة ١٣٨٩هـ ، في ١٠٩ صفحات.

٤٨ — المملكة العربية السعودية . تأليف عبد الكريم موسى أبا الخيل المصلوخي . طبع سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م)

٤٩ — « تاريخ آل سعود » للأمير سعود بن هذلول آل سعود . طبع في الرياض ١٣٨٠هـ (١٩٦١م)

٥٠ — « آل سعود » تأليف أحمد علي (أسد الله) طبع بمكة سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م)

٥١ — « درب الانتصار » لعبد الوهاب الفتال .

٥٢ — « عنوان المجد والسعد » لعبد الرحمن بن ناصر ، من أهل المجمعة مخطوط عند الشيخ حمد الجاسر .

٥٣ — « تحفة المشتاق » لابن بسّام. مخطوط عند الشيخ حمد الجاسر .

٥٤ — « طوق الحمامة في تاريخ اليمامة » لمُقْبل بن عبد العزيز الذُكَير . مخطوط عند الشيخ حمد الجاسر .

٥٥ — مخطوطة خالد الفرج : ناقصة الورقة الأولى . لعلها كتاب « الخبر والعيان » من تصنيفه . عندي .

من الكتب الأجنبية :

١ — « عربين أديت » ومعناه « أمير العربية » باللغة التملية ، المتداولة في جنوب الهند . تأليف م.ر.م عبد الرحيم . طبع سنة ١٩٤٥م بمطبعة « شكتى » بمدراس . صفحاته ٢٤٨

٢ — L'Arabia Sa'udiana (العربية السعودية) باللغة الإيطالية . تأليف المستشرق الإيطالي كارلو ألفونسو نلّينو Carlo Alfonso Nallino طبع في روما سنة ١٩٣٩م . صفحاته ٣٠٣ وهو المجلد الأول من كتابه الكبير « مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة » عُنيت بنشره ابنته المستشرقة الآنسة ماريا نللينو .

٣ — Meet The Aarb (مقابلة العربي) باللغة الإنكليزية تأليف جون فان إسّ John van Ess طبع في نيويورك سنة ١٩٤٣ م . صفحاته ٢٢٩

٤ — Arabia (البلاد العربية) بالإنكليزية للمستشرق جون فلبي H. St. John B. Philby طبع في لندن سنة ١٩٣٠م. صفحاته ٣٨٧

٥ — Arabian Days (أيام عربية) باللغة الإنكليزية . للمستشرق جون فلبي H. St. John B. Philby طبع في لندن سنة ١٩٤٨ م . صفحاته ٣٣٦

٦ — Saudi Arabia (العربية السعودية) باللغة الإنكليزية . تأليف المستر تويتشل K. S, Twitchell طبع في مطبعة جامعة برنستون في نيو جرسي (الولايات المتحدة) سنة ١٩٤٧م. صفحاته ١٩٢ .

٧ — Ibn Séoud, Roi de l'arabie (ابن سعود ، ملك البلاد العربية) باللغة الإفرنسية . تأليف البروفسور أنطوان زيشكا Antoin Ziscka طبع في باريس سنة ١٩٣٤م . صفحاته ٢٤٨

٨ — a saudi arbian Note book (مذكرة سعودي عربي) باللغة

الإنكليزية . تأليف جيرالد ديجوري Gerald de Goury طبع في القاهرة سنة ١٩٤٣م

٩ — Le Pélerinage de la Mecque (حج مكة) باللغة الإفرنسية . تأليف الدكتور ديوجي Le Docteur Duguet طبع في باريس سنة ١٩٣٢م . صفحاته ٣٣٣

١٠ — The Holy Cities of arabia (البلاد المقدسة في جزيرة العرب) باللغة الإنكليزية . تأليف الدون روتّر Eldon Rutter طبع في لندن بمطبعة وستمنستر سنة ١٩٢٨ مجلدان

١١ — Ibn Saod of Arabia (ملك العربية السعودية) باللغة الإنكليزية ، لأمين الريحاني

١٢ — Ibn Saoud (ابن سعود) بالفرنسية . تأليف أرمسترونج armstrong

١٣ — Le Maitre de l'arabia (سيد البلاد العربية) بالفرنسية تأليف أرمسترونج armstrong

١٤ — Yemen et Saoudia (اليمن والبلاد السعودية) تأليف بريموند Bremend

١٥ — l'Empire Arabie d'Ibn Saoud (امبراطورية ابن سعود العربية) تأليف بروش Brouche

١٦ — La Question Arabe (القضية العربية) بالفرنسية . تأليف جوليس Gaulis طبع في باريس سنة ١٩٣٠

١٧ — Arabia of the Wahhabis (بلاد العرب الوهابية) بالإنكليزية . تأليف جون فلبي

١٨ — Origine des Wahhabis (أصل الوهابية) بالفرنسية تأليف ريمون Raymond

١٩ — Histoire des Wahhabis تاريخ الوهابية بالفرنسية تأليف كورانز.

٢٠ — Donkan (Ibn Saoud Weg und ziel)

٢١ — Gary (A Saoudi Arabian Note Book) مذكرة سعودي عربي (بالإنكليزية) تأليف غراي .

٢٢ — (Les Wahabys) الوهابيون (بالفرنسية) تأليف ريمون .

٢٣ — « ابن سعود » باللغة الأردوية . تأليف مقصود أحمد خان . المفتش في حكومة بنجاب. بأسلوب قصصي . أعلن عن ابتداء طبعه ولم أره .

٢٤ — « السلطان ابن سعود »باللغة الأردوية . تأليف غلام رسول الباكستاني أعلن عنه أيضاً . ولعله صدر .

وكتب أخرى لفلبي وغيره .

المَلك عَبْد العَزيز

وابن سليمان

لا يعني القارىء من أخبار وزراء الملك وخاصته ، إلاّ ما كان قويّ الصلة بأخبار الملك نفسه ، لإظهار بعض النواحي من أخلاقه وعاداته ، مما لا تتيسر دراسته إلا بالوقائع وبما له من علاقة بالآخرين .

لم يبلغ إنسان ، من رجال عبد العزيز ، ما بلغه عنده عبد الله بن سليمان الحمدان ، من ثقة ، ونفوذ كلمة ، وتمكّن .

كان ابن سليمان ، من مواليد عنيزة في القصيم . رأى النور فيها سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٧م) . وقصد الهند ، بعد أن تجاوز الطفولة . ثم تنقل بينها وبين البحرين وبعض بلاد الخليج ، في طلب الرزق . واستقر في الرياض ، حيث كان أخ له اسمه محمد، يعمل بها في « ديوان » السلطان عبد العزيز ، قبل أن يتم تنظيم الديوان .

ومرض محمد فناب عنه عبدالله . وذلك سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)

وتقدم عبد الله ، عند الملك بحسن خطه ، وبذكائه ونشاطه ؛ فسلمه عبد العزيز صندوق دراهمه ، ثم دنانيره ، ينفق منه على بيته وأضيافه . واتسعت الدائرة مع ضيق المورد . فكان لخمسة الآلاف من الجنيهات التي جعلتها الحكومة البريطانية « عربون صداقتها » لعبد العزيز ، على رأس كل عام ، تثبيتاً لمعاهدة القطيف (دارين) الملغاة ، بريق في صندوق ابن سليمان ، إلى

أن أعلنت قطع إعاناتها عن الدول العربية، في رجب ١٣٤٢هـ (آخر مارس ١٩٢٤م)

وما كان عبد العزيز يعرف كيف يدخل عليه المال ، ولا كيف يخرج . لقد كفاه ابن سليمان مؤنة التدبير والتفكير .

حتى في الأيام العصيبة ، يوم دخل مكة ، ومدة حصاره لجدة ، ثم في جدة نفسها ، وفي وقائعه مع ابن الدويش وصاحبيه . كان يخبره ابن سليمان أن الصندوق فرغ ، وأنه ملأ الفراغ .. وكيف يملأ الفراغ ولا مورد ثابت لهيكل « الدولة » في ذلك الحين ؟ إن لابن سليمان صداقات وعلاقات مع « التجار » يستدين منهم بغير فائدة ، لأن الفائدة من الربا . فهو يشتري من تاجر القماش — مثلاً — ألف ثوب . قيمة الثوب جنيه ونصف تدفع قيمتها بعد ستة أشهر ؛ وفي الحال يشتري منه التاجر البضاعة نفسها ، بجنيه وربع الجنيه للثوب ، عداً ونقداً . ويعود للتاجر ما له ، بعد الأجل بربح ٢٥ ٪ وإذا لم يتيسر الدفع ، تكررت عملية البيع والشراء وتضاعف الربح ..

كان همّ عبد العزيز أبعد من ملء الصندوق . كان عمله إخلاء الصندوق. وفي ابن سليمان مدير المالية ثم وزيرها ، البركة .

واستقرت الدولة ، وأقبلت أموال النفط . وتفرد ابن سليمان وحده بلقب « الوزير »[1] و « معالي الوزير » فكان إذا أُطلق أحد اللفظين ، عرف السامع بالبداهة أن المعنيّ هو ابن سليمان . وأثار هذا عليه حسد الكثيرين ..

، ، ،

وتكاثرت « رجاجيل » ابن سليمان ، فكانوا حول الأربعمئة ، من الأتباع والعبيد وأشباه الجند ، يمونهم ويكسوهم ويكفيهم .

واستمر ابن سليمان ، وهو الشخصية الأولى في الدولة ، بعد الملك وكبار الأمراء ، مدة وزارته الطويلة . ولم يقتصر عمله على « المالية » بل أضيفت إليه مهامّ خطيرة أخرى ، كالدفاع — قبل أن تتألف وزارة الدفاع — ووكالة الخارجية ، أحياناً ، وشؤون المعادن ، ومنها البترول ؛ وما يتصل بذلك من

(١) سمي وزيراً للمالية سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٩ م)

« اتفاقيات » ومداولات داخلية وخارجية .

وكانت عادته ، حين يجمعه بالملك بلد واحد ، في الرياض أو الحَوِية أو جدة أو البرّ ، أن يدخل على الملك في غرفة نومه ، بعد صلاة الفجر ، كل يوم ، فيعرض عليه ما يهمه ، ويخرج بالموافقة على جلّ ما يريد .

وكانت لا تخرج برقية من ديوان الملك ، في الرياض أو البادية — أيام القنص — أو سواهما ، بإحدى « الشفرات » الخاصة أو العامة ، في جميع شؤون الدولة ، إلاّ أرسلت بالبرق ثلاث نسخ منها : إلى وليّ العهد ، والنائب العامّ ، وابن سليمان .

ودار على ألسنة الخاصة ، أن ابن سليمان أصبح الملك الثاني ، أو الملك غير المتوج .

ووصل إلى جدة شاعر لبناني ، بعد وفاة الملك عبد العزيز ، بما يقرب من عام ، فمدح ابن سليمان بقصيدة على رويّ الدال ، جاء فيها بيت معناه : أنه صار مع الملك « كجعفر عند هارون الرشيد »..فقال من سمعه : البرامكة؟! وما مضى زمن ، حتى استقال ابن سليمان ، لأمر ما ، وقبلت الاستقالة ، ولم يكن يتوقع قبولها . وما كان لمصير جعفر أثر في مصير الوزير ابن سليمان ، لحسن الحظ ، وإنما تحوّل هذا إلى رجل من رجال الأعمال، بل من كبارهم، فأنشأ فنادق وشركات ، وتمتع بعزلة عن الدولة ، كريمة .

سُمي وزيراً للمالية سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٩م)

وخدم الملك قرابة ٣٥ عاماً .

واستقال في فاتح المحرم ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م)

ولقي وجه ربه بجدة ، سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)



حديقة « الشيخ عبد الله السليمان » في الطائف

الملك عبد العزيز

في ذكريات حفيده الأمير عبد الله الفيصل

أملى سمو الأمير عبد الله الفيصل على الأستاذ صاحب مجلة المنهل ، فصولاً في الحديث عن جدّه الملك عبد العزيز ، قال :



الحديث عن الملك عبدالعزيز من أصعب الأمور . والسبب في ذلك حيرة الكاتب أمام النواحي العديدة التي تتكوّن منها شخصيته . فلذلك ربما يلاحظ القارىء عدم الترتيب في سرد الحوادث فليعذرني في ذلك .

أجدني مضطراً للتمهيد لحديثي عن المغفور له ، إلى التحدث عن بعض نواحي عظمته رحمه الله .

للملك عبد العزيز مزايا خارقة ، يشترك معه فيها كثير من أبطال الإسلام. ولم يصلوا إلى ما وصل إليه . فما هو السرّ في ذلك ؟

(م٥٨)

إنني أعزو ذلك لعدة أسباب :

أولها ، الصلة بين العبد المؤمن الصادق في إيمانه وبين الخالق ، جلّ وعلا .

إن صلة عبد العزيز بالله ، لم تكن صلة مقرونة برغبة دنيوية . فعقيدته عقيدة خالصة لوجه الله ، وإيمانه مطلق ليس له حد . فلذلك نجد التوفيق حليفه في أعماله .

الركيزة الثانية ، هي : عدم اندفاع الملك عبد العزيز أمام مغريات الحياة . فتفكيره السليم كان يسبق رغباته . وهذه لها أثر كبير في عدم تورطه في أمور لا يعلم نهايتها إلا الله .

الركيزة الثالثة ، تطبيق ما يدعو إليه على نفسه ، وعلى الأقربين أولاً .

، ، ،

٢ ــ حارب الملك عبد العزيز فكرة تلقيبه بخليفة المسلمين . وهو أجدر بها من كثير ممن سعوا إليها . ولم يغره المال وبهارج الحياة ، ولم يستطع ما هيأه الله على يديه من خيرات الدنيا أن يغير ما في نفسه ؛ أو على الأقل أن يغير ملبسه أو مأكله ، من بدايته إلى أن قبض الله روحه .

الملك عبد العزيز ، لم يخلّف قصراً ولا مزرعة ولا ثروة ؛ ولم يرث أحد من أبنائه شيئاً .

، ، ،

٣ ــ المعروف عن أبطال التاريخ ، أو أكثرهم الذين كانت أهم ميزاتهم الشجاعة ؛ أن تكون رحمتهم وإنسانيتهم أقل من شجاعتهم ، إلا عبد العزيز .

ومن أهم ميزاته ، رحمه الله ، أنه كان يتجنب سفك الدماء إلى أبعد حدّ . ويدفع في سبيل تجنبها أي ثمن ، لدرجة أن المحيطين به بعض الأحيان ، يشكّون في شجاعته . ولكنه في نفس الوقت إذا رأى أن ليس من ذلك بدّ ، صمد . وخصوصاً في اللحظات التي تجد فيها أنه تساوى الشجاع والجبان في الهزيمة . وهذه كان لها فضل كبير في نجاحه وانتصاره في مواقف كانت الهزيمة فيها حتمية .

٤ ــ كان من عادته ، أن يجتمع عنده في الصباح الباكر ، كبار موظفي الدولة من وزراء ومستشارين ؛ لعرض ما لديهم من أمور ، لدراستها وتلقي توجيهاته ، قبل الذهاب إلى مكاتبهم . وفي أحد الأيام كان في غاية الانشراح . وفجأة وجم وبكى بحرقة . فقال له أحد الشخصيات الكبيرة : لماذا يا صاحب الجلالة ، وأنت ولله الحمد في وضع ، كل ما فيه يسرّك ، ولست بالعاجز عن شيء ؟ مُر بما تريد ، ينفذ حالاً . فقال بعد أن هدأ : يا فلان أنت لا تعلم ما يبكيني . إنني فكرت في حال هذه الأمة ومصيرها . والله إن أحبّ ما إليّ أن أُدفن مع أولادي وبقية أسرتي ، وأنا مطمئن على الأمة في دينها ودمائها وأعراضها وأموالها . لم يبكني غير ذلك .

، ، ،

٥ ــ كنت في الرياض (في شهر رمضان) وكانت عادته في رمضان ، لا تختلف عن بقية الأشهر ، من ناحية ترتيب مجالسه واستقبالاته للناس . وقد تشرفت بمصاحبته إذ ذاك ، من قصر الديرة ، إلى المربع ؛ في عودته من المجلس وكان هناك عمال يقومون ببعض الترميمات . فوقف وسأل عن رئيسهم ، فاستدعي له . فسأله عن مواعيد عملهم ؟ فقال : نبدأ العمل من الساعة الثانية صباحاً حتى الساعة الثامنة . فقال : يا لله العجب ! أنا لا أعمل بيدي ، وأستعمل السيارة في ذهابي لقصر الحكم وعودتي منه ؛ ولا أمكث هناك أكثر من أربع ساعات . وأشعر مع ذلك بالعطش . وأنتم تعملون معرضين للسّموم ست ساعات ، من الآن وصاعداً ، لا تعملوا (في رمضان) أكثر من أربع ساعات في أول النهار . ولكم أجركم كاملاً ...

، ، ،

٦ ــ أُحبّ أن أتحدث عن حادثة ، تكشف عن حياته الخاصة مع أهله ، ونظرته لحقوق الزوجية :

من المعروف عنه حبه للنظافة والطيب . وكان ذلك في أثناء النهار ، ليس موضع استغراب بالنسبة إليّ ، ولكني لاحظت في إحدى الليالي ، أنه قبل

أن يذهب إلى فراشه ، ذهب إلى الحمّام ، واستحم ، ولبس للنوم ملابس نظيفة ؛ ودعا بالبخور ، وتبخّر بالعود ، وتعطر بعطر الورد ودُهْن الورد الذي كان يحبه . فتجرأت بسؤاله عن هذا . وهو ذاهب إلى فراشه ؟ فقال : يا ابني إن زوجتي حرصت على أن أراها في أبهى منظر ، وأن أشم معها أحسن رائحة .. أليس لها نفس الحق في أن تراني في أبهى منظر ، وأن تشم معي أبهى رائحة ؟؟

فدار في خلدي تلك اللحظة : من منا فكر في حقوق الزوجية ، وأن من حق الزوجة أن ترى زوجها في أبهى منظر ، وخصوصاً وقت الراحة ؟ أظنه أقل من القليل .

، ، ،

٧ — من فراسته :

في إحدى السنين شحّ القطر على المملكة . وارتفع ثمن الأغنام والسمن ؛ فأمر رحمه الله بمنع تصدير السمن والأغنام ، إلى سورية والأردنّ وغيرهما . وكان في تبوك تاجر من أهل نجد ، يدعى « ابن عيسى » إن لم تخني الذاكرة . ففي أحد الأيام ، نقل من دكانه إلى منزله عشرين صفيحة من السمن ؛ فقبض عليها رجال الشرطة ، وصادرتها المالية . فأبرق للمرحوم يتظلم ، ويدعي أنه نقلها من دكانه إلى بيته ؛ وهذا غير ممنوع ؛ وأنّ مصادرة سمنه ظلم . ووصلت برقيته قبل أن ترفع إليه المالية شيئاً ، فأمر بالردّ عليه حالاً ، وقال بالحرف الواحد : « أنت ينطبق عليك المثل الذي يقول : الصاحب المزّاح إن شيف وإلاّ راح » . لم يقصد من إخراجه من دكانك إلى بيتك إلاّ التهريب في الليل . والمالية لم تعمل إلاّ واجبها .

فأتاه الرد ثاني يوم من التاجر ، يعترف بأن هذا هو الواقع ، ويطلب العفو . وقد أمر رحمه الله باعادة سمنه إليه ، على أن لا يعود ..

، ، ،

٨ – عمق سياسته :

وفي إحدى السنين ، كان المرحوم في روضة التنهاة . وزاره وفد من العراق على رأسه نوري السعيد . وكان في تلك المدة وزيراً للخارجية . ورئيس الحكومة رشيد عالي ؛ للبحث في بعض القضايا المعلقة ، وأهمها قضية الحدود . وكان جلالة الملك فيصل ، أدامه الله ، موجوداً ، ففي أول اجتماع ، قال لنوري السعيد : ماذا تريد يا نوري ؟ فشرح له نوري مهمته . فأمر الملك فيصلاً بإحضار دفتر وقلم . وأعطاهما لنوري . وقال له : اكتب كل ما تريده ، وفيصل يوقّع عليه .. وبعد أن انتهى نوري ، أعطى الدفتر لجلالة الملك فيصل ، وأمره بالتوقيع . فحاول قراءة ما كتب ، قبل التوقيع ، فقال: لا تقرأ ولا حرفاً . وقّع... فوقع الملك فيصل بصفته وزير خارجية . وأعطى نوري الوثيقة ، وقال له : أنا موافق عليها . هيّا سافر . وبعد خروج نوري ، قال رحمه الله : لاحظت أنك انزعجت يا فيصل ، لعدم إلمامك بما في الوثيقة . نوري لم يحضر وهو يقصد الاتفاق . بل أراد الخلاف . فلذلك كلفته كتابة ما يريده ، وأمرتك بالتوقيع عليه . وتساهلُنا معه ، هو الذي سيبعث في نفسه الريبة وينقض ما وافق عليه .. فاتركها تأتي منه .

وفعلاً ، بعد رجوع نوري إلى بغداد ، عارض في الاتفاقية ، وقال له رشيد عالي : ألم تكتبها بخطك وتوافق عليها ؟.. وكانت السبب في انقسام الوزارة وسقوطها . وطبعاً رُفضت الاتفاقية .

وهكذا أدرك ما وراء الستار ، وما سيكون من النتائج البعيدة المغزى ، بعقله العبقري اللمّاح .

، ، ،

٩ – نخوته :

كان العداء مستحكماً بينه وبين سعود ابن رشيد. فزحفت قبيلة « الرولة » على مدينة الجوف واحتلتها . فخرج سعود ابن رشيد من حائل مع جنده ،

ودخل الجوف وحوصر فيها . فأشار بعض الناس على الملك عبد العزيز ، بأن هذه فرصة للهجوم على حائل ، والقضاء على ابن رشيد . فرفض بشدّة . وقال : لو هاجم حائلاً أحد ، وابن رشيد في محنته ، لدافعت عنها . وأنا لست ممن يطعن من الخلف .

وهكذا بقيت حائل في يد آل رشيد ، إلى أن عاد سعود إليها .

، ، ،

١٠ ــ ثقته بنفسه :

بعد تسليم حائل مباشرة ، لم يتطرق إليه الشك في سكانها . وقد قبل دعواتهم وكان في اليوم الواحد يقبل دعوة حوالي خمسين شخصاً للقهوة . ويمشي بينهم ، بدون حذر أو اكتراث . وقد زار عوائل آل رشيد ، في مساكنهم ، ولم يرافقه إلاّ خادم واحد .

وهذا في نظري هو الفتح الثاني لحائل . لأنه فتح القلوب .

، ، ،

١١ ــ روحه وعزيمته بعد الهزيمة :

بعد وقعة جراب انهزم هزيمة نكراء . وقتل أكثر جنده . ونهب جيشه ومخيمه وحملته . فعاد يرافقه ١٥ خيالاً إلى بريدة . وفي أثناء سيره ، صادفه فيصل الحمود الرشيد ، وأخذ يبكي متأثراً بالهزيمة . فقال : يا فيصل ! لا تبلك فأنا والله بالأمس ، في حالة الخوف من أن يوكلني ربي على قوتي ، والآن في حال الرجاء أن ينصرني . وسوف استرد قوتي بحول الله قبل نهاية الشهر .

وفعلاً ، جهز نفسه من بُريدة ، ولمّ شعثه ، وأغار غارتين على قبيلة شمّر ، وطرد ابن رشيد الذي كان هازمه حتى أدخله حائلا ، فكان رحمه الله من القلائل الذين يستمدون من الضعف قوة .

، ، ،

١٢ — خزائن الأرض :

سمعت منه رحمه الله أنه في ابتداء أمره ، كان يسمع من بعض عجائز الرياض دعاءهنّ له بأن يفتح الله له خزائن الأرض . قال رحمه الله : إنني عندما أسمع دعواتهن كنت أضحك في نفسي ، لاعتقادي أنه لا يوجد مغفّل يدفن ماله في الأرض ، ويبقى إلى أن أعثر عليه أنا . ولكن بعد خروج البترول عرفت ما هي خزائن الأرض وأنّ الله استجاب دعواتهن .

وبهذه المناسبة أروي قصة سمعتها من المغفور له ، تصف شعوره عندما ملك أول « عشرة آلاف » ريال .

قال رحمه الله : هاجمت الأحساء على غفلة . واستوليت عليها بعد معركة فاصلة ، بيني وبين الأتراك . وبعد انتهاء المعركة ، وأنا على فرسي ؛ جاءني إبراهيم القصيبي رحمه الله برجل قدّمه لي ، وقال : إنه محمّد أفندي مدير مالية الحسا (وهو جدّ يوسف الطويل ومحمّد العبد الله السليمان ، من جهة الأم) .

فسلّم عليّ وقال : يا طويل العمر ! يوجد في القصر عشرة آلاف ريال . فقلت : لا يكون المهاجمون نهبوها ؟ فقال : لا . أنا مررت على القصر ووجدت الأقفال سليمة .

قال : فبعثت معه بعض رجالي ، وقلت : حافظوا عليها إذا وجدتموها . وبعد ذهابه نزلت عن فرسي ، وسجدت لله شكراً إذ ملّكني يوماً من الأيام عشرة آلاف ريال !

، ، ،

١٣ — وبهذه المناسبة ، قال له بعض الناس : إنك تعطي كثيراً ، فلو اقتصدت ؟ فقال : إن الله عودني عادة أن يتفضل عليّ ، وعودت عباده عادة أن أوسع عليهم . فأخاف أن أقطع عادتي ، فيقطع الله عادته عني . وأنا لن أبني بها قصراً ولن أشتري بها مزرعة . كلّ ما يرد أنفقه على المسلمين ، وهذا حق لهم .

١٤ — ما خلّفه يوم وفاته :

وحينما لقي ربه لم يجدوا عنده سوى (٣٠٠) جنيه ذهباً ، وُزعت صدقة عليه . ولم يرث أحد من أبنائه أو زوجاته شيئاً ؛ حتى ملابسه بيعت في السوق وأُدخلت بيت مال المسلمين .

، ، ،

١٥ — عطفه العائلي :

كان رحمه الله يخصص ما بين المغرب والعشاء من ليلة الجمعة لنساء الأسرة . كذلك يوم الجمعة ، في الظهر ، يكون غداؤهن عنده في القصر ، ولا يغيب منهن أحد . فيصادف بعض الأحيان أن يفتقد إحدى المسنّات في الأسرة فيسأل عنها فيعلم أنها مريضة ، فيأمر دكتوره الخاص بزيارتها ، مرتين في اليوم ، وإخباره عنها . ويتصل بها تلفونياً يومياً .

، ، ،

١٦ — وبهذه المناسبة أذكر أنه في أحد الأعوام تأخر جلالته عن الحجّ . وبعد الحج ؛ وبعدما طلعنا الطائف وصلتني منه برقية ، وكان مولاي جلالة الملك فيصل مسافراً ؛ هذا نصها :

« أنا ولهان على إخوانك وعيالك . أمرنا منصور أن يحضّر لهم طائرتنا ابعثوهم لنا في الرياض » .

وكان أكبرهم في سن العاشرة ..

جلست أفكر في الرجل الذي يحمل أعباء أمة ومشاكلها العظيمة .. لا يغفل عن حفَدائه ..

، ، ،

١٧ — قوته في الحق :

حدث حادث قتل من أحد أفراد قبيلة عتيبة ، لأحد أفراد القبيلة نفسها .

وقد هرب القاتل ودام البحث عنه سنتين . وفي أحد الأيام كان المرحوم في جدة ، وكنت عائداً من القصر إلى البيت في الظهر ، عندما كنت وكيل « نائب الملك » فوجدت رجلاً عند الباب سلّم عليّ ، ودخل الدار معي ، وقال : أنا فلان القاتل الذي تبحثون عنه . وأنا الآن لاجىء ، وبين محارمك وفي بيتك. فصُدمت لما أعلمه من اهتمام المرحوم بالبحث عنه . وقلت له : حسبي الله عليك ! ولا عاد اليوم الذي رأيتك فيه !.

وأخذته في السيارة ، وذهبت إلى القصر حالاً . فوجدت والدة الأمير طلال ، وسألتها عن المرحوم . فقالت إنه نائم . وكنت في حالة من القلق غير عادية ، فقلت : أريد أن أراه في أمر هامّ الآن . فدخلت عليه . وبعد خروجها قالت : تفضل . فدخلت فوجدته على فراشه . فبادرني بقوله : وايش فيها ؟ فقلت : أنا مبتلى ! وجئتك تزيل كربي . فقال : وما هو الأمر ؟ فقلت : فلان القاتل الذي تبحث عنه سنتين ، وجدته بين محارمي في بيتي ، وجئت لك به الآن . وهو معي في السيارة ، لتأمر فيه بما تراه. فقال لي بالحرف الواحد: (شف يا ولد . نحن ما أعزّنا الله إلاّ باقامة الحدود الشرعية . والشرع لو حكم على أي إنسان كبير ، ما تأخرت عن تنفيذ الحكم . ولكن أنت استدع أولياء المقتول ، وأعطهم من المال ، واطلبهم إلى أن يسقطوا حق القصاص . وإذا سقط حق القصاص عنه فأنا عاف عن الحق العام . وإذا لم يرضوا ، سلمه لهم يقتلوه .

وقد كان .. استدعيت أولياء المقتول وطلبتهم ، وقدروني جزاهم الله خيراً ، وعفوا عنه .

، ، ،

١٨ — يعتقد بعض الناس أن الملك عبد العزيز ، وصل إلى ما وصل إليه ، عن طريق الحظ والظروف . والواقع غير ذلك . فقد كانت حياته رحمه الله متاعب مريرة ، وآلاماً لا يمكن أن يحتملها الرجل العادي .

، ، ،

١٩ — شجاعته :

الشجعان في الأمة العربية كثيرون . ولكن شجاعة الملك عبد العزيز نسيج وحدها .كان رحمه الله في أكثر المعارك لا يشترك اشتراكاً مباشراً ، ما دامت المعركة في صالحه ، بل يتولى القيادة والتوجيه . ولكنه في الموقف الذي يتساوى فيه الشجاع والجبان ، يبرز ويواجه هول المعركة وحده .

مثال ذلك معركة « الحريق » .. الحريق واقعة في واد بين جبال . وقد هاجمها رحمه الله مع بطن الوادي . وكان أهل الحريق ممسكين جوانب الجبال . فعندما هاجمهم جند الملك عبد العزيز ، تلقوهم من رؤوس الجبال ، بوابل من الرصاص . فانكشف الجند . وهُزموا هزيمة لدرجة أن الأخ لا يلتفت لأخيه . وكان الملك عبد العزيز في المؤخرة ، يمشي على رجله ومعه سائسه يقود فرسه . وعندما قابله جيشه مهزومين أخذ يبثّ فيهم النخوة ، ويقول لهم : يا أهل العوجاء . والعوجاء هي نخوتنا . والمقصود بها كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله . وذلك عند خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعوته إلى لا إله إلا الله ، قال له ابن معمّر : هذه كلمة عوجاء . فكتب له جدي : نحن أهل العوجاء . ومن ذلك الوقت هي نخوتنا إذا تأزم الأمر (١)

ولكن المهزومين لم يلتفتوا إليه . فما كان منه إلاّ أن سلّ سيفه وضرب عضد فرسه وقطعه ، وقال : يا أهل العوجاء ... لا تقولوا ما رأينا عبد العزيز فالذي يريد أهله فهم أمامه ، والذي يريد طريقي فأنا هاجم وحدي . وهجم عليهم وحده . مخالفاً قومه . فتوقفوا وصاروا ينظرون إليه . ولما وجدوه سائراً وحده ، رُدّت إليهم روحهم المعنوية . وهجموا معه . ولم يتوقفوا إلاّ في داخل البلد ، وهم محتلوه (٢)

هذا مثال لاحدى الخطط التي تبرز فيها شجاعة عبد العزيز.

---

(١) تقدم ذكر العوجاء بغير هذا التفسير . فهما روايتان — المؤلف .
(٢) تقدم ذكر هذه المعركة ، في بحث « التوفيق » من رواية أخرى .

٢٠ ـ جروحه في المعارك :

وهذا بعض ما عاناه من الإصابات الجسمانية في خلال المعارك التي خاضها؛ فقد كان في جسمه رحمه الله كثير من الجراح .

في وقعة « كنزان » بينه وبين قبيلة العُجمان . هاجمهم في الليل . وقد انهزم جنده .. وانهزم هو مع الجند .. وفي أثناء سيره لحق به اثنان من خدم أخيه سعد ، كانا مرافقين لأخيه ، فسألهما عن سعد ، فقالا : قتل ! فقال : أنا أخو نورة .. سعد لم يقتل ... أصيب وتركتموه وانهزمتم .. وأنا يجب أن أن أرجع له . فقالوا له : يا عبد العزيز إن الأعداء كانوا قابضين على زمام فرسه وقتلوه ، ونحن ننظر إليه ...

ولكنه عاد . والعجمان لما عرفوا شخصية سعد ، قالوا : عبد العزيز لن يترك سعداً ، وسوف يعود إليه . فتركوه ملقى على أرض المعركة . وكمنوا حواليه ينتظرون قدوم عبد العزيز . فلما رأى الملك عبد العزيز بياض سعد في الليل ، نزل عن فرسه وحمله وصار يقبله . فأطلقوا النار عليه . فأصابت رصاصة حزامه ، وثارت فيه خمس رصاصات ، وفتحت جنبه من جهة الكلية . فأخذ غترته . ولم يعلم الخيالة المرافقون له بإصابته إلا في الصباح عندما رأوا الدم . فسألوه فقال : مخش بسيط في فخذي في الجلد .

فلما وصل لنخل القصيبي ، في ضواحي الحسا ، بعث خيالاً ليأتي له بملابس وقماش شاش . واستدعى سلطان الجَبْر وسعيد الماجد ، وكانا معه . ونزل في ساقية الماء . وقال لهما : سأريكما إصابتي ، ولكن لو علم أحد بها قتلتكما .

وقد سمعت من الاثنين أنه عندما فك « الغترة » وجدا أنه مفتوح في جنبه جرح حوالى ١٥ سنتيمتراً ، وكان الشحم على المصارين .. وكأنها حجر المرو . فأعاد المصارين والشحم ، وربط الشاش على الإصابة ، ولم يكن هناك أطباء . وغير ملابسه وركب فرسه ودخل الأحساء ، وجلس في القصر مباشرة . فكل من عاد من القوم المهزومين . وهو سامع بمقتل عبد العزيز ، أو إصابته ، وجده

جالساً . وكانت إجابته على أسئلتهم أن الإصابة بسيطة في جلد الفخذ ..

وقد خطب في تلك الليلة امرأة من الأحساء وتزوج ... ولم يكن ذلك رغبة منه في الزواج ، ولكن لإيهام أعوانه أن إصابته خفيفة .

وقد دامت معاركه مع العجمان حوالى ستة أشهر ، لم يترك الأحساء .

وقد مرت حادثة مماثلة ، في أثناء المعارك : ففي يوم من الأيام ، كان جالساً . وكان عنده فيصل الدويش وفيصل بن حَشْر وهبّاش بن هرشان ؛ فتسلق أحد أفراد العجمان نخلة ، وأطلق النار عليه.فلما أحسّوا بوقع الرصاصة بينهم ، قال الدويش — : أخو جوزا ! هل أنت سالم يا عبد العزيز ؟ قال : أنا سالم ! ولكن هل أنتم سالمون ؟ ولم يتزحزح عن محله .

وبعد لحظة ، قال للجند المحيطين به : ابتعدوا فإني أريد أن أختصر بالجماعة فلما ابتعد الجند ، قال لهم الملك عبد العزيز : الرصاصة أصابتي في فخذي ، ولكني إن شاء الله سليم .. فأنا سأستند عليكم ، بحجة أن رجلي تخدرت من الجلوس ، إلى أن أدخل الخيمة . وأنت يا هباش بن هرشان ، احمل المفرشة لئلا يرى الجند الدم فيها .

ودخل الخيمة وغير ملابسه . وكانت الرصاصة مخترقة الفخذ . وحشا موضع الإصابة بالصبر . وحزمها وغير ملابسه ، وخرج على الجند وقال : ما رأيكم في الذهاب لابن صباح نتقهوى عنده ؟ ومشى على رجليه . وشفي من إصابته ، ولم يعلم أحد من الجند بأنه مصاب .

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

وتعليم أبنائه

عرفنا من سيرة عبد العزيز أن جملة ما تلقاه من « العلم » إن صحت التسمية كان على مرحلتين :

الأولى ، عقب الطفولة : دراسة على بعض شيوخ الرياض ، قرأ بها القرآن وحفظ طائفة من سوره ، ولُقّن مبادىء من أحكام الدين ، لا غنى لأيّ مسلم عن معرفتها .

والثانية : إصغاؤه عشرات السنين ، إلى قارىء يتلو في مجلسه مساء كل يوم قطعة من التفسير وشيئاً من التاريخ يتخلله أدب وقليل من الشعر .

والمرحلتان معاً ، لا يصح أن يطلق على مجتازهما لفظ « متعلم » أو « مثقّف » .

ومن المألوف أن غير المتعلم من الخاصة أو العامة ، كثيراً ما يحدوه الشعور بالنقص إلى الحرص على أن يكون أبناؤه متعلمين مثقفين .

وعبد العزيز ، من هؤلاء الناس وان كان يعزّيه أنه إن لم يسوّده علمه فقد سوّده عمله .

وكان من المفترض فيه ؛ وهو يتلقف متعلمي الشباب ، من داخل البلاد وخارجها ، فيوليهم دقائق الأعمال في سياسته وماليته وإدارة شعبه ، أن يكون هواه في أن يرى أبناءه في مقدمه العاملين بين يديه . إلاّ أنه ، لأمر

ما ، لم يقدّم منهم سوى اثنين . أحدهما كبيرهم سنّاً وليّ العهد . أقامه إلى جانبه في الرياض لتمرينه على إدارة نجد والبادية . وما كان له أن يحلّ أو يعقد في المهامّ ، إلا بإذنه . والثاني نائبه العامّ في الحجاز ، ولاّه شؤون الخارجية بعد ابتداء تمرّسه في أمورها بما وجّهه فيه من رحلات إلى عواصم العالم . وكان البرق أو الهاتف بين مكة أوجدة أو الطائف (حيث يكون النائب العام) والرياض أو الخفس أو روضة التنهاة أو روضة خُريم (حيث يكون والده) لا يفتأ يحمل كل صغيرة وكبيرة من الابن إلى الأب ، استعلاماً أو استفتاءً أو إخباراً أو استئذاناً في إجابة على سؤال .

، ، ،

ما كاد عبد العزيز يصحو من خمار الغارات والكرّ والفرّ ، يسحق خصوماً ويُخضع عصاة ، ويؤلف قلوباً ، ويقيم عرشاً ؛ حتى كان يوماً على مقربة منه ، في غمار جُلاّسه الرجل الذي كان من دأبه أن يدخل فيما يعنيه وما لا يعنيه . سمعه هذا يتحدث بما يتصل بذكر الأبناء وتعليمهم ، ففهمهم وجمجم بكلام لا إفصاح فيه . وأصغى إليه عبد العزيز ، ففهم من كلامه أنه يريد أن يقول له : كل أب عليه أن يعلم بنيه إلاّ من كان في مثل ما أنت فيه ..

ودارت هذه الكلمات في روع «السلطان» وأظهر أنه لم يُعرها باله . ونهض لصلاة الظهر ، هو ومن كان في مجلسه ، إلاّ المستر فلبي ، فإنه انحرف متسللاً ، وقصد خيمته . وذلك قبل إسلامه . وعُقد المجلس بعد العصر ، والحضور قلائل ، بينهم فلبي ويوسف ياسين . قال عبد العزيز : فلبي لا يريد أن أعلّم أولادي ..

. . .

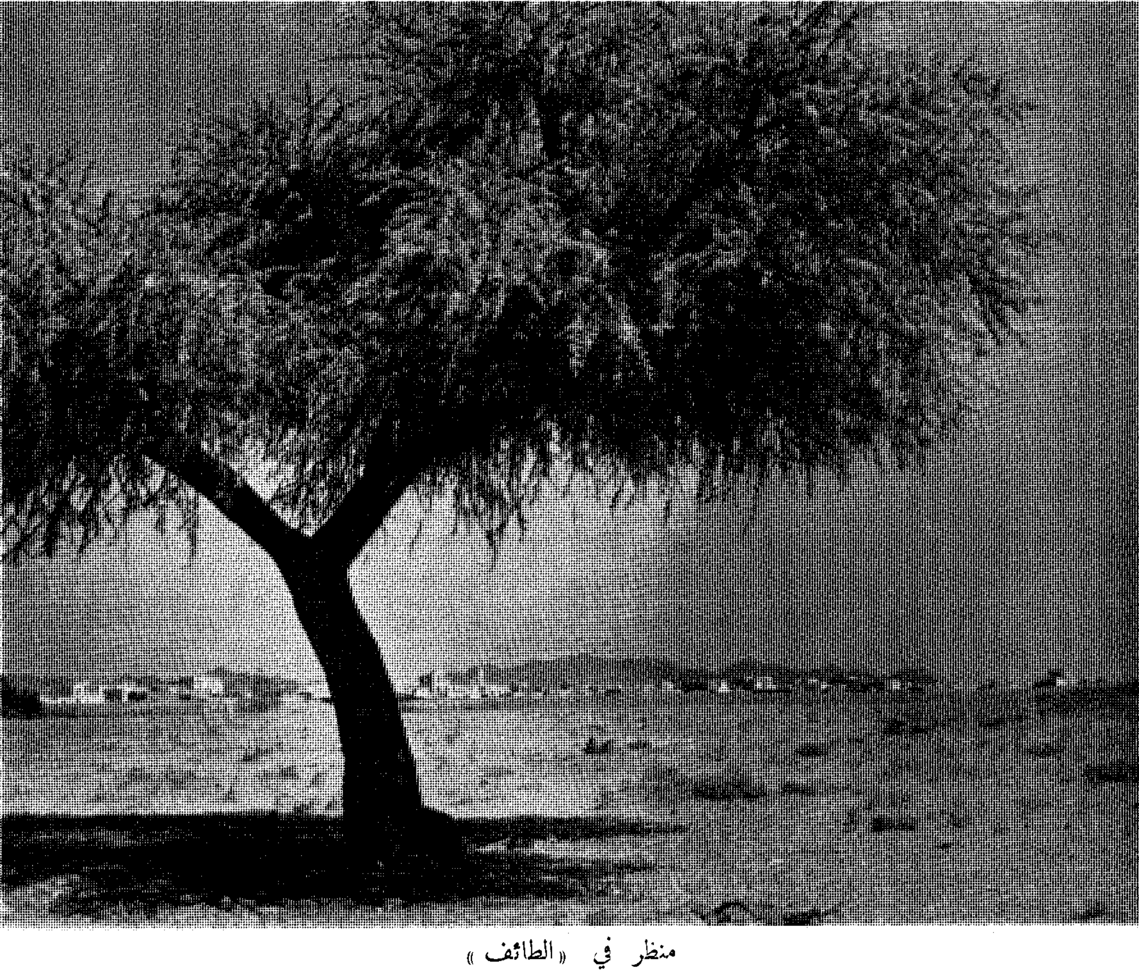
وأُنشئت على الأثر في غرفة واسعة من «المربع» قصر الإمارة الذي كان يسكنه عبد العزيز ، مدرسة خاصة تقدم ذكرها ، سميت مدرسة الأمراء .

وعرفت — بعد سنين كثيرة — أن من الأمراء من جاء ببعض المدرّسين

عقب مغادرته مدرسة القصر ، فحاول بالدراسة الخاصة أن يعوّض شيئاً مما فاته في « دراسته » الأولى . ومنهم من تعلم بهذه الطريقة إحدى اللغات الأجنبية. وتمارض أفراد منهم لقضاء بعض الوقت في الخارج من أجل الدراسة وغيرها .

، ، ،

هذا هو السرّ في أن أكثر أبناء عبد العزيز ، شقّوا طريقهم في الحياة ، بذكائهم الفطري ، وتجاربهم ، واختباراتهم الشخصية .



منظر في «الطائف»

الملك عبد العزيز

في دائرة المعارف البريطانية [1]

.. شرع ابن سعود ، بعد مقتل عدوه الأكبر ابن رشيد سنة ١٩٠٦ يقيم الأسس لبناء عظمته في المستقبل ، بوضع خطة جديرة بالإعجاب ، نمّت على جرأة وبراعة . فقد بسط يده بقوة على مكامن « الغلو » في نفوس رجاله ، ليستخرج منها عنصراً بعيداً عن عصبية « القبيلة » أو على أقل ما يمكن من تلك العصبية ؛ رامياً إلى إدماج الكتل العشائرية بعضها ببعض ، لتظهر بعدُ في مظهر « الشعب » المتجانس . وكان بناء « المستعمرة الأولى » للإخوان — الأرطاوية — عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) أول خطوة لتنفيذ برنامجه الحازم ، للقضاء على نظام العشيرة ، وتحويله إلى المصلحة القومية . وكان مثل هذا الهدف يُعتبر خروجاً عن حدود « السياسة العملية » قبل أن يضعه ابن سعود نصب عينيه.

وأصبحت الأرطاوية ، وقد بلغ سكانها عشرة آلاف ؛ نموذجاً لمئات من القرى انتشرت في بوادي نجد ،خلال خمسة عشر عاماً وحلّ فيها المزارعون محل الرعاة ، ونسخ الشرع — أو القانون الديني — القوانين العرفية ، في المجتمع البدوي . وتكونت من كل قرية فرقة من الجيش « الوهابي » الجديد الذي

---

(١) عن إحدى طبعاتها حوالى سنة ١٩٥٠ وعورض على طبعة ١٩٦٤ الجزء ١٢ الصفحة ٣٦ بإيجاز في ذكر بعض الحوادث ، اتقاء للتكرار .

كان أول اختبار له عام ١٣٣١ه (١٩١٣م) عندما وجه ابن سعود جهوده إلى الأتراك الذين كانوا في الأحساء منذ عام ١٢٩٢ه (١٨٧٥م) وبحفنة قليلة من الرجال ظهر فجأة أمام « الهفوف » واستسلمت له حاميتها . وتبعتها حاميتا العُقير والقَطيف . وجلا الترك عن شرقيّ الجزيرة .

وبعد انقضاء الحرب العامة الأولى ، وجد نفسه أمام عدوّين قويين : هما ابن رشيد ، والملك حسين. وفي مارس (١٩١٩م) جمادى الآخرة ١٣٣٧ قرر اللورد كيرزن Kurzon ممثل الحكومة البريطانية ، تأييد الملك حسين ، ومنحه سلطة احتلال « الخرمة » وطلب من ابن سعود التنحي عنها . ولكن هذا لم يعبأ بتحذير كرزن . وبعد شهرين ، فاجأ جيشه القوات الهاشمية وأفناها عند « تربة » .

واستولى على عسير سنة ١٣٣٨ه (١٩٢٠م) وعلى حائل ، في وسط الجزيرة في العام التالي ، وبيشة في الجنوب ، وخيبر وتيماء في الشمال ، ثم الجوف سنة ١٩٢٢ ودخل مكة ، للمرّة الأولى ، في ديسمبر ١٩٢٤ (جمادى الأولى ١٣٤٣) واستسلمت المدينة وجدة ، في أواخر ١٩٢٥ وفي عام ١٩٣٢ سمى بلاده بالمملكة العربية السعودية . وأقام فيها أمناً لم يكن لها عهد بمثله من قبل ؛ وجعل المواصلات الميكانيكية في خدمة الحُجاج ، فكفلت كثيراً من راحتهم . وقضى على جانب كبير من الفساد في جهاز «الخدمات العامة» إن لم يكن قد محا أثره.

وكان لثقته ببريطانيا ، حتى في أحلك أيام الحرب العالمية الثانية ، أكبر الأثر في اتجاه الحكومات العربية الأخرى .

واستفاد ، لأسباب سياسية وغير سياسية ، من مرونة الشريعة الإسلامية في شؤون الزواج والطلاق ، فاشتهر بأنه تزوج حوالى مئة وخمسين مرة[٢] في أثناء حكمه .

وكان من حسن حظ أبيه أن عاش إلى أن رآه في مكانة قد لا يضاهيه فيها أحد في تاريخ العرب ، من عهد الخلفاء الراشدين .

---

(١) كذا ، وهو رقم مبالغ فيه .

المَلك عَبْد العَزيز

قبيل الحرب العامة الثانية

بدأت رائحة البارود ، تملأ أنوف الساسة ، في الربع الأول من عام١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) منذرة بالحرب العالمية الثانية وويلاتها .

وكان عبد العزيز ، لا يفتأ يفكر في حال البلدين المحتلين سورية وفلسطين وما يجب انصراف قادة العرب إليه من حلّ مشكلتيهما المعقّدتين : الأولى مع الاستعمار الفرنسي ، والثانية مع الاستعمار البريطاني ، مزيداً عليه خطر الصهيونية المتفاقم يوماً بعد يوم .

وبينما كان ابنه (ونائبه العام ، ووزير خارجيته) الأمير فيصل ، في باريس ، لمعالجة بعض القضايا مع حكومتها ، قابل وزير الخارجية — في ذلك العهد — المسيو بونيه Bonnet وجرى بينهما حديث عن سورية و « الانتداب » الفرنسي ، أبرق به فيصل إلى والده . فزاد في مخاوفه على مصير سورية إلى جانب مخاوفه من سوء الحال في فلسطين .

ولم يكن عبد العزيز ، حسن الظنّ برئيس الوزارة العراقية — يومذاك — نوري باشا السعيد ، وقد بلغه عنه سعيٌ في الخفاء إلى انتهاج سياسة خاصة في القضيتين ، كان يعمل دائباً لها ؛ فكتب إلى وزيره المفوض في بغداد ، رسالة تاريخها ٤ صفر ١٣٥٨ (١٩٣٩/٣/٢٧) ورقمها الرسمي ٧/٥/٥ أهمّ ما فيها :

من عبد العزيز

حين وصول كتابنا هذا أطلع رئيس الوزارة العراقية ووزير خارجيتها

السيد نوري السعيد على ما يأتي :

سبق أن سألنا الحكومة العراقية عن رأيها في الموقف الحاضر من قضية فلسطين ، بعد فشل المؤتمر ؛ وعن قضية سورية بعد موقف الافرنسيين الأخير ؛ ولم يردنا منهم رأي باتّ لنعلم منه الخطة التي ينبغي اتباعها [١] .

ونظراً لأن الموقف حرج ، والأمر مُهمّ ، وعلى الأخص بالنسبة للظروف الدولية الحاضرة ، فإن المصلحة العربية العامّة والأخطار التي تستهدف لها الأمة العربية في الوقت الحاضر ، هي مقدّمة في نظرنا على كل اعتبار . كما نعتقد في نوري باشا وإخوانه أنهم يقدّمون هذا الاعتبار على أي اعتبار آخر في الوقت الحاضر .

إنه وإن كانت معاهدة الحلف تقضي علينا ، نحن والعراق ، أن لا يتخذ أحدنا سياسة في أي بلد من البلدان العربية ، بغير التشاور مع حليفه ، وإنه وإن كان العراق كثيراً ما ينحرف عن هذه الجادة ، بغير سابق حديث أو تفاهم ، فإننا نتغاضى عن كثير ، في كثير من المواقف ، محبةً في جمع الشمل ورغبةً في التباعد عن كل ما قد يُفسّر في الخارج بوجود اختلاف بيننا وبين العراق .

الموقف الحاضر ، ليس موقف أطماع للعراق في ضم سورية وفلسطين لها. كما أنه ليس هذا الوقت الذي يجوز أن نفكر فيه في مثل هذه الأطماع لأنفسنا ونحن كما تعلمون ، نحب أن نتباعد على الدوام عن مثل هذه الأطماع . لا ضعفاً في عزائمنا ، ولا جُبناً فينا عن تقحم مشاقّ الأمور لإدراك أسمى الغايات فقد كانت المغامرات بعد الله وتوفيقه ، هي أسباب انتصاراتنا ، وربّنا الذي عودنا الجميل من قبلُ هو الذي نتوكل عليه في سائر الأمور، ولا نبالي بعد ذلك بما قد يكون .

ونرى أن كل هذا في غير وقته ولا محله ، وأن الخطر المداهم لا يجيز بأيّ حال من الأحوال مثل هذا التسابق . فلسطين مهدّدة بالإبادة من اليهود ،

---

(١) كان التشاور بين الحكومتين ، بعد معاهدة الحلف السعودي العراقي ، سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) ، متصلا في الشؤون الخطيرة .

وسورية مهددة بخطر الافرنسيين والأتراك، كما أن العراق مهدد بخطر الترك والعجم .

إن هذا الموقف عندما نتصوره يُقضّ مضاجعنا ، ويحرمنا لذيذ الكرى . ونحن إذا لم نلتفت للأمر من الآن ، ونتفق اتفاقاً جدياً لاتخاذ خطة مشتركة ، نحن والعراق وسورية وفلسطين ، فإن الخطر محيق بالجميع .

إن الخطر الذي نتصوره . نحن آخر مَن تصيبنا مرارته . لأننا وراء الجميع. ولكن ما نحمله في قلوبنا من غيرة إسلامية وعربية ، يجعلنا نحرص على البلاد الإسلامية العربية كما نحرص على بلادنا .

وغير خاف على حكومة العراق ، بل على كل عربي عاقل ، أن المصادقة بين العرب والحكومة البريطانية ، من الضرورات اللازمة ، لمصلحة العرب وبريطانيا . وعلينا أن نتفق على سياسة حازمة لكبح جماح الشرّ الحاضر ، والسير بحزم وجدّ لإحلال السلام في البلاد العربية ، وللوصول إلى نتيجة تزيل النزاع الحاضر وتحفظ لسورية وفلسطين حقوقهما .

فإذا وافقت الحكومة العراقية على هذه الخطة ، فليخبرونا بما يرونه ، للتقدم في هذا الأمر بشكل يؤمّن الغاية المطلوبة .

ونحن نخبرهم الآن ، أنه أثناء مرور الابن فيصل في باريس ، قابل وزير الخارجية الافرنسية ، وتكلم معه طويلاً في لزوم حلّ القضية مع سورية وأبان له المخاطر التي تستهدف إليها فرنسا وبريطانيا في الخطط التي يسيران عليها ، في سورية وفلسطين . وأقنعه بلزوم الاتفاق مع سورية ووجوب إبرام المعاهدة السورية وقد كان« بونيه »مقتنعاً . بكل ما قاله له الابن فيصل ، ووعد بإنجاز الأمر بعد رجوع المندوب السامي . وحيث أن الابن فيصل لم يصل بعد من رحلته ، لنعلم منه آخر ما تم بينه وبين الافرنسيين ، فعند عودته سنعلم منه كل ما كان ، ونتراجع مع العراق في ذلك إذا كانت الحكومة العراقية توافق على اقتراحنا المشار إليه .

هذا ما نرى أن تُطْلِع عليه نوري باشا ، وأن تخبرنا سريعاً عن الخطة التي سيقررون اتخاذها في هذا الشأن . يكون معلوم والسلام .

، ، ،

وقرأ الوزير المفوض السعودي ببغداد ، رسالة الملك هذه ، على نوري باشا السعيد . وسلمه نسخة منها . وعاد ينتظر الجواب .

في جريدة الأهرام

اتصل نوري السعيد ، ببعض الزعماء السوريين ، وحدّثهم برسالة الملك عبد العزيز . ووصل الخبر مشوهاً ، إلى مندوب « الأهرام » في دمشق ، فبعث به كما سمعه ، إلى جريدته في القاهرة . وسيأتي ما كتبه ، بعد سطور .

وسارعت حكومة العراق ورئيس وزرائها ، إلى « تكذيب » ما نشره مراسل الأهرام .

بيان سعودي

واطّلع الملك عبد العزيز ، على « الخبر المشوّه » عن الرسالة ، ثم على « التكذيب » العراقي ، فلم يرتح إليهما ، وأشار إلى وزارة خارجيته في جُدة ، بأن تصحح الوضع ، فأبرقت هذه إلى المفوضية العربية السعودية في القاهرة ، بما يأتي :

عن مكة ، في ٧ جمادى الأولى ١٣٥٨ (١٩٣٩/٦/٢٥)

إلى نجدية — القاهرة

« انشروا البيان الآتي :

« نشرت جريدة الأهرام في عدد السبت ١٧ يونيه (١٩٣٩) ٢٨ ربيع الثاني ١٣٥٨ برقية لمراسلها في دمشق ، يشير فيها إلى أن إشاعات دارت في

الأوساط الوطنية ، على رسالة قيل إنها وردت على حكومة العراق من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، وأن فخامة نوري باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية قد أطلع عليها بعض مندوبي الأقطار العربية في حفلة تأبين المرحوم الملك غازي ، وأن تلك الرسالة تحوي تهديداً وإنذاراً لحكومة العراق ، في صدد مساعيها لمساعدة سورية وفلسطين ، وأنه كان لتلك الرسالة وقع سيء في جميع الأوساط العراقية ، ولا سيما دوائر الجيش، وكانت السبب لعدول العراق عن بعض مساعدات كان يُرجى الحصول عليها للقضيتين السورية والفلسطينية .

« وذكر المراسل ما كان لهذا الخبر من الأثر السيء في المجتمعات الإسلامية والعربية . ثم تساءل عن صحة الرسالة ، والأخبار الشائعة حولها .

« وقد أذاعت حكومة العراق بلاغاً رسمياً بشأنها ، قالت فيه : إن ما جاء في تلك البرقية ، لا ينطبق على الحقيقة .

« ولما كانت التهم التي أشار مراسل الأهرام الدمشقي إلى تناقل بعض الناس لها ، خطيرة جداً ، فقد يخطر في بال من يطلع عليها ويطلع على تكذيب العراق لها ، أن هناك شيئاً في الموضوع ، وربما يظن أن بيان حكومة العراق كان مجاملة للحكومة العربية السعودية تقتضيها الصلات التي بينهما .

« ولذلك فإن الحكومة العربية السعودية التي كانت ولن تزال تعد سعيها في سبيل الاتفاق مع الحكومات العربية والبلاد العربية، ورغبتها في توحيد مساعي الأمة العربية ، لمصلحة العرب جميعاً ، فوق أيّ اعتبار آخر ، ترى من المصلحة لإنارة الرأي العامّ العربي ، أن تذيع في هذا البيان أن المذكرة التي أشار إليها مراسل الأهرام الدمشقي ، قد أُرسلت فعلاً إلى حكومة العراق. وأن مذكرة مشابهة لها قد أُرسلت أيضاً إلى رجالات سورية وفلسطين لإطلاع الجميع على الموقف الحاضر ، ولدعوةالجميع إلى معالجته بالاتفاق والحكمة . وليس في المذكرة شيء من التهديد ، أو الإنذار ، لمنع حكومة العراق من مساعدة فلسطين وسورية ، بل بالعكس فإن المذكرة قائمة على الدعوة إلى

توحيد المساعي بالاتفاق والتفاهم . ومن الطبيعي أن حكومة العراق لم تُعلِم الحكومة العربية السعودية أنها قدمت أية مساعدة مشروعة أو مساعدات غير مشروعة ، لفلسطين أو سورية ، في محنتهما الحاضرة . كما أن الحكومة العربية السعودية لم يتصل بعلمها شيء من ذلك . ولهذا فلا معنى لاحتمال الإشارة بالتهديد أو الإنذار . ويلي ذلك أنّ ما عبرت به حكومة العراق في تكذيبها الإشاعات التي تساءل مراسل الأهرام عن حقيقتها ، كان في محله .

« وبناء على رغبة الحكومة العربية السعودية في أن يطّلع رجال العرب العاملون ،على نص المذكرة التي أُرسلت إلى حكومة العراق ، وعلى البيان الذي أُطلع عليه رجالات سورية وفلسطين ، فقد أُذن لمفوضيات جلالته في العراق والقاهرة ولندن ، ولقنصل جلالته في دمشق ؛ بأن يُطْلعوا عليهما من يراجعهم من رجال العرب ، ليتأكد من ذلك الشعبُ العربي عامةً ، والشعب العراقي خاصةً ، والجيش العراقي بصورة أخصّ ،لأنه هو الذي أشار مراسل الأهرام إلى استيائه مما نشر عن تهديد المملكة العربية السعودية .

« إن الحكومة العربية السعودية تود أن يطّلع هؤلاء على الحقيقة ، ليعلموا ولا سيما ذوي الشأن في العراق ، ورجال جيشه البواسل ، أن مساعينا كانت وستظل لمصلحة العرب على الدوام .

إلى رجالات سورية وفلسطين

أما البيان الذي أُشير إلى أن الملك عبد العزيز ، أرسله إلى القنصل السعودي في دمشق ، لإطلاع رجالات سورية وفلسطين عليه ، فقد كان بَعَث به عبد العزيز ، مؤرخاً في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٥٨ (١٩٣٩/٦/٥) ورقمه الرسمي في الديوان الملكي بالرياض ٥/٥/٥ وهذا نصه :

أخبر الجماعة[١] عندكم بما يأتي :

---

(١) يقصد بالجماعة : الأصدقاء من رجال الحركة الوطنية وزعماؤها .

« إننا نأسف لما وصل إليه الموقف في سورية . ونسأل الله أن يأخذ بيد الجميع لما فيه خلاص سورية وسائر البلاد العربية من محنتها الحاضرة .

« إنه وإن كانت التطورات التي حدثت في سورية لم تُعلم حقيقة أسبابها ، ولكن ذلك لم يمنعنا عن بذل ما نستطيع من النفوذ ، للتأثير في الحكومة الافرنسية ، لتسير في خطة مسالمة مع سورية ، وأن تكون مع سورية على اتفاق بعد هذا الخصام الذي يُسيء لسمعة فرنسا ويساعد أعداءها ولا يفيدها شيئاً .

« وقد حدّثنا في هذا الشأن ، وزيرُ فرنسا المفوض كلاماً طويلاً يوم قابلنا ، في طريقنا إلى الرياض ، مع قَدّور بن غبْريط ، وقد رفع ما ذكرناه له إلى الحكومة الافرنسية .

« وعند مرور الابن فيصل بباريس قابل المسيو جورج بونيه وزير الخارجية الافرنسية ، وأوضح له أن الموقف الدولي العام وتأثيره في الشرق وتعرض فرنسا وانجلترة وبلاد العرب لأحداث جسيمة ، تقضي على الجميع بالتعاون والتضافر لردّ الخطر المحدق بالجميع .

« ونظراً للصداقة التي تربط العرب بالدول الديمقراطية ، فإن العرب يرون من مصلحتهم ومصلحة فرنسا وانكلترة أن يكونوا على اتفاق ووئام . ومن الضروري إزالة أسباب الشكوى بين العرب وفرنسا وانكلترة ، في كل من سورية وفلسطين . وأنه وإن كان مؤتمر لندن قد فشل ، فإنه لا يزال هناك أمل في الاتفاق مع الإنكليز . وحلّ قضية سورية مع فرنسا أسهل من حل قضية فلسطين ، لأنه لا يوجد في قضية سورية سوى عنصرين فرنسا والعرب ، وهناك عنصر ثالث وهو اليهود .

« وإنه من المعلوم أن العرب يرغبون كل الرغبة أن يكونوا إلى جانب فرنسا وانكلترة إذا ضُمنت حقوقهم ، مع حفظ حقوق الدولتين ، وإن الحكومات العربية لا تستطيع أن تمنع شعوبها من التأثر بالحالة الخارجية ، نظراً للدعايات التي ينشرها أعداء فرنسا وانكلترة لإثارة المشكلات ، وإنه ما دام أن فرنسا ستضمن لها مصالحها فلماذا لا تفسح المجال للسوريين للعمل

حسبما تقضي به مصلحة الحكومتين ؟ولماذا لا تتخذ فرنسا السوريين أصدقاء لها ؟ يعاضدونها ويُمدونها بقواهم ، عوضاً عن أن تضطر فرنسا لوضع جيش افرنسي في سورية لحماية مصالح فرنسا في الوقت الذي يمكنها أن تستعيض عن ذلك الجيش بصداقة سورية ، التي تضمن مصالح فرنسا ومصالح سورية معاً . وإننا واثقون بأن العرب لا يكرهون فرنسا ، ولا يريدون إحراجها ، وهم مستعدون لضمان مصالحها . وفي نفس الوقت يحبون أن يعيشوا أحراراً في بلادهم . وإننا بصفتنا أصدقاء نعتقد أن من مصلحة فرنسا ومصلحة سورية والعرب ، أن تقوم فرنسا باتخاذ إجراءات سريعة لإصلاح الحالة في سورية ، فوراً وبدون تأخير ، وإنه ليس للحكومة العربية السعودية غاية خاصة أو مقصد شخصي ، ولكن ذلك رغبة في دفع الأخطار المشتركة والتعاون على ما فيه مصلحة الجميع .

« وقد كان « بونيه » مصغياً كل الإصغاء ، وأظهر اقتناعه التام بما ذكر له الابن فيصل ، وسأل عن الطريقة التي يراها للإصلاح . فقال فيصل : هي إبرام المعاهدة ، وإن الوزارة الفرنسية في الوقت الحاضر تملك من الصلاحية أكثر مما كانت تملكه من قبل ، بالنسبة للظروف الحاضرة . فأبدى بونيه أن البرلمان السوري لم يُقر المعاهدة ، فأجابه : إن المهم أن تقر فرنسا المعاهدة ، وبعد ذلك يمكن مخاطبة السوريين في الأمر . ولم يشأ الابن فيصل أن يدخل في تفاصيل مع الوزير ، لأن ذلك لا يفيد . وقد وعد بونيه أنه سيحل القضية بشكل مرضي بعد وصول المندوب السامي إلى فرنسا .

« هذه خلاصة ما كان بين الابن فيصل والحكومة الافرنسية . ونعتقد أن فيصل أطلع شكري القوتلي على تفصيل ما كان . أحببنا أن يطلع عليه الجماعة ونحب أن يكون هذا سرّاً مكتوماً عندهم . ولا نحب إذاعته لأن الغرض هو العمل الجدّي والتعاون عليه . ولا يهمنا الظواهر من هذه الأمور ، لأن هذا ليس وقتها ، بل الوقت حرج ودقيق وخطر ، يوجب أن نترك المظاهر جانباً ونسعى متعاضدين للوصول إلى المطلوب .

« إن هذا الموقف ، هو الذي دعانا لإعمال الفكر ومصارحة إخواننا ، وهم ولا شك يدركون ما يقضي به الموقف من وجوب العمل بحزم وتؤدة . ونحن نرى ، وقد كتبنا برأينا لحكومة العراق ، أن نتفق مع العراق ، بموافقة إخواننا في سورية وفلسطين ، وأن نستعمل نفوذنا لدى الحكومة البريطانية وفرنسا ، وأن نستعمل نفوذنا لدى إخواننا أهل سورية وفلسطين ، لحل مشكلة سورية بالتي هي أحسن ، وحل قضية فلسطين بشكل يحفظ فلسطين من خطر الدمار المحدق بها من اليهود ، وبشكل يُخرج سورية من محنتها الحاضرة . وأن يكون هذا التدبير بشكل هادىء وصامت . فإذا وافق إخواننا في سورية على ذلك نرجو أن يخبرونا بالخطة التي يرونها مُجدية في هذا السبيل ، لكي نسير عليها متفقين نحن وإياهم والعراق .

وفد من بغداد

وبعد أربعة أيام من صدور « البيان السعودي » الآنف ذكره ، وصل إلى الرياض وفد من بغداد ، يرأسه وزير الخارجية العراقية « علي جودت » ممثلاً وزارة نوري السعيد . ومن أعضائه « صلاح الدين الصباغ » ممثلاً وزارة الدفاع .

اجتمع الوفد بالملك عبد العزيز ، في ١١ جمادى الأولى ١٣٥٨ (٢٩/٦/١٩٣٩) فكان الحديث عاماً ، قال علي جودت[١] :

« كان جلالته يُظهر حبه وغيرته على العراق ، ويكرر قوله بأن العراق هو السدّ المنيع للملكة السعودية ، وأن من يتغدى بالعراق يتعشى بالسعودية . ولهذا فإنه يرجو للعراق كل خير وكل قوة وكل رفاه . هذا ما كان يذكره ويكرره من وقت لآخر »

وعرف الملك أن الوفد قادم للبحث فيما كان معلقاً بين الحكومتين السعودية والعراقية من قضايا الحدود ، ومنهوبات العشائر ، وواردات الأوقاف

---

(١) في كتابه « ذكريات » ٢٢٧

النبوية ، مع الرغبة في عقد اتفاق عسكري بين البلدين . فعهد إلى اثنين من خاصته ـ هما فؤاد حمزة ، ويوسف ياسين ـ أن يقوما بالمفاوضة .

وبعد أسبوع كامل ، عاد الوفد العراقي إلى بغداد ، ومعه « محضر » بما دار بينه وبين المندوبين السعوديين من أحاديث حول القضايا التي جاء من أجلها [١].

---

(١) نص المحضر ، في « ذكريات » علي جودت ٢٣٠–٢٣٤

الملك عبد العزيز

وعنايته بتوفير المياه للمملكة

ليس في المملكة العربية السعودية ، على اتساع رقعتها ، نهر جار باستمرار. وإنما هناك ينابيع على شيء من الغزارة ، في مواضع سيأتي ذكر بعضها ، وأودية في كثير من أنحاء المملكة ، تسيل أحياناً وتجفّ في أكثر فصول السنة ، وآبار هي المصدر الأول لسقيا الناس .

ومن أخصب بلاد المملكة وأغزرها هطول ماء ، بلاد عسير ، بما فيها من سهول وجبال شاهقات ، تسقيها مياه الأمطار وترويها . وما يفيض عن السقيا والريّ ، لم يكن يضبطه مجرى ولا يحفظه سدّ ، فينصبّ مندفعاً إلى شواطىء اليمّ ، أو الصحارى ، فيُبتلع .

وفي الأحساء والخرج والأفلاج والقصيم غزارة في مياه العيون والآبار تليها الواحات ، والهجر التي أنشأها عبد العزيز أو حضّ على إنشائها ، ففيها عيون ضعيفة وآبار ضئيلة لولاها لهلك الحرث والنسل، أو لما كان على أرضها حرث أو نسل !

وكان الحجاز ، ولا سيما مكة وجدة ، من أقل المواطن المعمورة في الجزيرة ماءً ، وأكثرها ازدحاماً ونماءً .

في مكة

دخل عبد العزيز الحجاز ، و« عين زبيدة » التي يستقي منها سكان مكة والحجيج

تسقي الناس من اثني عشر مورداً . وانصرفت العناية إليها ، فضوعفت مواردها

عين زبيدة

والمعروف من تاريخ هذه العين ، أن السيدة « زبيدة » زوج هارون الرشيد هي أول من أجرى ماءها إلى مكة . إلاّ أن « معاوية بن أبي سفيان » الخليفة الأمويّ الأول ، كان قد سبقها إلى هذه المأثرة . ففي إحدى زياراته لمكة حاجّاً ، أو لأخذ البيعة لابنه يزيد ؛ سمع شكوى أهلها من جفاف « الآبار » التي كانوا يستقون منها ، فأمر بالبحث عن « العيون » والينابيع في أعاليها ، فظفر بعشر عيون أجراها إلى جوار بيت الله الحرام ، فكان هذا مبدأ سقاية مكة بماء العيون . وجاءت « زبيدة » بعد نحو قرن ، فاشترت أراضي زراعية في حنين – المعروفة الآن بالشرائع – وساقت مياهها إلى مكة . وأجرت عين « وادي نعمان » في قناة محفورة إلى عرفة ، فمزدلفة ، فالبئر الكبيرة (بئر زبيدة) المعروف مكانها بحبس الجنّ ، على أربعة أكيال من مكة . وطول القناة ٢٨ كيلاً (كيلومتراً)قال ابن رسته(المتوفى نحو ٣٠٠هـ) : وشرب أهل مكة من القنوات التي حفرتها أمّ جعفر ، في خلافة الرشيد ، وأجرتها من موضع يقال له المُشَاش في قنوات رصاص[1] . ثم جاءت بعدها الحاجّة فاطمة هانم (أخت السلطان سليم العثماني) فبدأت بإجراء « بئر زبيدة » أو « ماء حبس الجنّ » إلى مكة سنة ٩٦٩هـ (١٥٦٢م) وكمل إجراؤه على يد السيدة مهروماه (بنت السلطان سليم) سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧٢م) إلى حيث يَرِد الناس اليوم « عين زبيدة » .

وفي سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) أُنشئت في مكة « هيأة عين زبيدة » وكان عملها ، ولا يزال ، تعهّد موارد الماء ومساربه ، بالإصلاح والبناء . تنفق الهيأة على ذلك من « صندوق » خاصّ بها ، له أملاك وأوقاف ، وتأتيه تبرعات وهبات .

---

(١) الأعلاق النفيسة ٣١٦

وغذّاها الملك عبد العزيز ، بعد دخوله الحجاز ، بالمال . وأمر بزيادة الموارد للجهات ، فزيدت عشرة أضعاف ، كبيرة متينة البنيان . واستعيض عن مجاريها القديمة — في داخل البلدة — بأنابيب ؛ وعُمّم الماء في عرفات ، فكثرت « الكبّاسات » في الشارع العامّ والشوارع الفرعية ، وفي طريق الحجيج . وتوفر في مزدلفة . واتّخذت الأسباب لتوفيره في منى .

وعلى بعد كيل واحد من عرفات ، يتفرع من مجرى عين زبيدة ، مجرى صغير ، يملأ « بركة الجاوي »وسعتها ٥٠٠ متر مكعب . وبعد كيل ونصف ، يتفرع مجرى لأحواض « المحمل الشامي » وسعتها تقارب بركة الجاوي . وفي أسفل « جبل الرحمة » حوض عامّ سعته ألف متر مكعب .

وفي منى ، عند الكيلو متر ٢٥ وُضعت آلة بخارية لرفع الماء من مجرى عين زبيدة إلى منى ، تملأ خزانات منى سنوياً قبل الحجّ بشهر . وهناك صهاريج يملأها أصحابها من عين زبيدة مباشرة ، وصهاريج يملأها المطر ، ولا تستعمل للشرب .

، ، ،

في جُـدّة

وكان الخطب في جدّة أشدّ ، والعمل أعظم .

كانت جدة إلى عهد غير بعيد ، تعاني الأهوال من قلة الماء . يشرب أهلها مما يتجمع من ماء « المطر » في « حفائر » و « صهاريج » أُنشئت بغير نظام ولا فنّ وإذا شحّ المطر وقلّ المدّخر ، ارتفعت أسعار الماء وظمىء الناس أو ارتحلوا . وعلى « الصحة » في كلا الحالين السلام ...

الوزيرية والكُنْداسة

وتداركت « الحكومة العثمانية » الأمر بعض التدارك ، في أواخر عهدها . فأتت بأنابيب رقيقة جلبت بها مياه عين تسمى « الوزيرية » على بعد ١٠ ك.م.

في شرقي جدة . واستوردت آلة لتقطير ماء البحر ونزع الأملاح منه ، يسميها أهل جدة كنداسة من الكلمة الفرنسية Condenser ولكن الوزيرية ما لبثت أن تضاءلت ، والكنداسة كانت كثيراً ما تتعطل ، لطارىء يحلّ ببعض أدواتها ، فيضجّ الناس ويقتتلون على « صفيحة » من الماء ، أو يلجأون إلى الحفائر والصهاريج ، إن كان فيها ما ينقع الغلة .

واستمرت الشدة في جدة ، حتى خففتها الحكومة السعودية ، تخفيفاً موقتاً بجلب « كنداسة » أخرى تساعد الأولى ، فكان متوسط إنتاج كل منهما ١٣٥ طناً في اليوم ، ونشبت الحرب العالمية (الثانية) فقلّت مادة الوقود ؛ وكانت تنفد أحياناً ، فتتوقف الآلتان عن عملهما ويشقى الناس ..

هديـــة ..

وما زلت أذكر يوماً في جدة ، اتصل بي فيه الوزير المفوض البريطاني ، هاتفياً ، وأخبرني أن بعض خدم المفوضية أرادوا ملء أوعيتهم بماء الكنداسة ، والازدحام عليها شديد ، فضربهم « صبيان » البيوت الأخرى ، ورجعوا خائبين . ثم قال : ليس لدينا قطرة ماء للشرب ، فماذا ترى ؟ قلت : أبشر . وبعثت إليه بصفيحة من الماء ، مما كان في الخارجية ، فكانت من أحبّ ما يُهدى ...

العَزيزية

تلك كانت حال جدة من فجر تاريخها ، إلى يوم الثلاثاء خامس المحرم ١٣٦٧ (٢٠ نوفمبر ١٩٤٧) ففي هذا اليوم – المبارك حقّاً – احتفلت جدة ، وشاركها بعض سَراة مكة ، مع رجال الحكومة ، بوصول أنابيب من الماء العذب النقيّ إلى البلدة الظامئة المحرومة .

أمر الملك عبد العزيز ، بعد عودته من زيارة مصر سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) بجلب الماء إلى جدة من عيون « مَرّ الظهران » المعروف اليوم بوادي فاطمة .

فاختير منها ثماني عيون ، هي عين الجموم ، وعين أبي شعيب ، وعين الهنية ، وعين الحسينية ، وعين أبي عروة ، وعين البرقة ، وعين الروضة . وعين الخَيْف . وأقربها إلى جدة عين أبي شعيب ، تبعد عنها مسافة ٦٥ كيلاً وأبعدها ٨٠ كيلاً . وأخذ من كل عين ثُمن مائها ، بحيث لا تختل مصلحة أصحابها الزراعية . وتعهدت الحكومة بصرف ٤٥ ألف ريال عربي لأصحاب كل عين ، تعويضاً لهم عما يؤخذ من ماء ينابيعهم . وجيء بالماء في أنابيب فنية ، قطرها ١٥ إنشاً ، مصنوعة من الإسبيست ، فبلغ ما يصل منه إلى جدة يومياً سنة ١٣٥٩هـ (١٩٥٠م) ٦٥٠ ألف جالون . وقد بلغت النفقات نحو ستة ملايين ريال ، وسُمي « عين العزيزية » نسبةً إلى الملك عبد العزيز .

وضوعف ، بعد هذا التاريخ ، حجم الأنابيب وعددها . وأُنشىء للماء خزان على بعد ١٥ كيلو متراً ، شرقي جدة ، يسع مليون جالون . وأُنشئت في داخل جدة ، مواسير لتوزيع المياه على الأحياء والمنازل والحدائق . وبلغت تكاليف المشروع ، كما جاء في تقرير اطلع عليه تويتشل ٢,١٣٧,٥٠٠ دولار . يزاد عليها ما أُنفق على آخر ما أُضيف إلى ماء الينابيع الآنف ذكرها ، وهو ماء « عين السلطان » وكانت في أرض يملكها الأمير عبد الله الفيصل ، فتبرع بها ، وارتوت جدة وأهلها بأكثر من أربعة ملايين جالون في اليوم .

ولم تقتصر فائدة « العزيزية » على جدة وأهلها ، بل شمل خيرها مسافة ٤٥ كيلو متراً ، من طريق مكة — جدة ، حيث تمرّ الأنابيب . إذ وُضعت « كبّاسات » على مسافات متقاربة ، تُمدّ الحجاج والمسافرين ، وغيرهم من أهل تلك البادية ، بالماء . ومن رأى الألوف من فقراء الحجاج يمشون على أقدامهم ، بين الثغر والعاصمة ، سالكين ذلك القفر الأجرد ، أيام اشتداد الحر ، وهم يتسابقون إلى الارتشاف من معين تلك « الكباسات » يملأون أجوافهم و « زمزمياتهم » ويغسلون وجوههم وأطرافهم؛ يرتوون ويبترِدون ،

مبتهجين مغتبطين ، أدرك عظم فضل الله الذي أجراه على يد عبد العزيز .

، ، ،

كان ذلك عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) وضوعفت كما قلنا ، فيما بعد ، مقادير المياه المستوردة من مَرّ الظهران (وادي فاطمة) إلى جدة ، فتحولت أطراف دورها القاحلة ، إلى حدائق ، وشقّ بعض شوارعها بالأزهار ، فعادت جدة اليوم ، غيرها بالأمس . والماء عنصر الحياة الأول .

وماء المدينة

هواي « طيبة » لا بيضاء عُطبولُ ومُنيتي عينها « الزرقاء » لا النيل[١]

وفي المدينة آبار وبساتين وحدائق . وشراب أهلها من « عين الزرقاء » ومنبع الزرقاء في « قباء » غربي المسجد ، في بستان يسمى « الجعفرية » ألحقت به في أزمنة مختلفة آبار ، منها « بئر أريس » و « بئر عِزق » و « بئر الرباط ».

وأول من أجرى ماء العين ، مروان بن الحكم الأموي . أمره بإجرائها معاوية بن أبي سفيان . وكان مروان والياً لمعاوية في المدينة المنورة ، من سنة ٤٢ إلى ٤٩هـ (٦٦٢-٦٦٩م) ثم قام بعمارتها وتعهدها بالإصلاح ، من بعده ، خلفاء وسلاطين وحكام كثيرون .

قال الجزيري : كان للمدينة أربعة أودية ، تجتمع مياهها في موضع يقال له « الغابة » وتخرج إلى وادي « إضَم »[٢] وقال ابن رسته : لما عمرت العين الزرقاء صار شرب أهل المدينة واستعمالهم منها[٣].

---

(١) مطلع قصيدة للشيخ يوسف النبهاني ، يعارض بها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفـد مكبول

وكان الأصمعي يرويه : لم يجز .

(٢) درر الفوائد ٦٢٠

(٣) الأعلاق النفيسة ٣١٢-٣١٣ وللأستاذ عبيد المدني ، بحث في العين الزرقاء نشرته جريدة المدينة المنورة في ١٣٧٩/١/٤ يرجع إليه .

وقد تمّ في عهد عبد العزيز تبليط مجرى العين ، من المنبع في قباء ، حتى « منهل خرز عيسى » في داخل البلدة ، إلاّ مواضع صخرية تركت كما هي ؛ لأنها في غنى عن التبليط .

وأحدثت في عهده عدة ممرات لماء العين في الأرض . وظهر الماء في أماكن صخرية في كهف طبيعي مساحته ستة عشر متراً مربعاً ، وارتفاعه سبعة أمتار . فضم إلى مجرى العين . ومستوى الماء فيه ينخفض في زمن الصيف عن مستوى مجرى العين ، فيرفع بمكينة . ويعرف هذا الكهف الآن بالبِدْع الجديد .

ولعين الزرقاء إدارة خاصة ، نيط بأعضائها تعهُّدها والتجديد فيها .

الرياض

وازدحمت مدينة الرياض بالسكان ، قبل انتشار عمرانها الحديث ، ولم يكن فيها إلاّ آبار في بيوتها يستقي منها أصحابها . في طعم أكثرها ملوحة . يزيد ماؤها وينقص ، تبعاً لأمطار الشتاء في كثرتها وقلتها . ووراء سور المدينة[١] نخيل يسمونه الشمسية . هو الذي كمن فيه رجال عبد العزيز يوم انتزع الرياض من أيدي رجال ابن رشيد . وبين النخيل ماء عذب تعمل في إخراجه الدوابّ ، جيأةً وذهاباً ، في سوان كالنواعير وليست بنواعير . كان يشرب منه بعض الموسرين من أهل الرياض ، يُحمل إليهم في قرب وفناطيس وكان نخيل الشمسية من أحسن المتنزهات لمن في الرياض ، أيام زيارتي الأولى لها سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) [٢].

ولما كانت سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) أمر الملك عبد العزيز بإجراء الماء إلى

---

(١) بنى الملك عبد العزيز هذا السور ، عقب استيلائه على الرياض ، سنة ١٣١٩ (١٩٠٢م) من الطين واللبن ، في خلال أربعين يوماً . وأزيل بعد اتساع المدينة وإقامة بعض المباني خارجه ، سنة ١٣٧٠ (١٩٥١م) انظر « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » ١٢٠، ١٢٢

(٢) وممن سكن الشمسية ، قبل هذا التاريخ ، الأستاذ أحمد علي . قال في بعض ذكرياته سنة ١٣٥٦ (١٩٣٧م(: إن أهل القصر الملكي كانوا يشربون من ماء يجلب لهم من بقعة اسمها « لبن » بوادي حنيفة وسميت بلبن لعذوبة مائها . وكان ينقل الماء في فناطيس كبيرة مثبتة على سيارات .

الرياض من « وادي الباطن » ومن « السويدي » وهما من ضواحيها . ثم من « الحائر » على نحو ٢٠ كيلو متراً منها[١] وزيدت آبارها بعدد غير قليل من الآبار الأرتوازية . ثم ظهر تحت أرض البلدة وأطرافها ماء مخزون من زمن طويل ، لعله لو بقي زماناً آخر لتحول إلى نفط .. ووضعت المضخات لهذا « المستودع » المائي ، بعد وفاة الملك عبد العزيز . وأخذ الفنّ يعمل ، لجعل مائه مما يصلح للشرب .

الأحساء

وأغنى بلاد المملكة بالماء ، الأحساء . ومن دخلها رأى العيون الجارية فيها ، تسقي جداولها الناس والمزارع ، ويسميها أهلها وبعض الكتّاب عنها ، أنهاراً .

ومن أشهر عيون الأحساء ، في جهاتها الجنوبية : عين الخدود (لعلها التي يسميها القاموس : خُدَد) يزيد عرض مجراها على ٢٠ متراً ، ويقدر ما تخرجه في الدقيقة بثلاثين ألف جالون . وعين الحقل ، تعطي في الدقيقة ٢٢,٥٠٠ جالون ، وعين غَصِيبة ، وعين التعاضيد ، وعين برابر . وفي جهات الأحساء الشمالية : العين الحارّة ، ماؤها حارّ عذب ، وعين الجوهرية ، وعين منصور ، وعين أمّ سبعة . سميت بذلك لأن ماءها يجري من منبعها في سبعة جداول ، دفنت الرمال واحداً منها وبقي ستة . وفي قرى الأحساء أكثر من خمسين عيناً جارية[٢]

ولست في معرض الحديث عن مياه شبه الجزيرة . ولو عمدت إلى هذا لاقتضاني أن أتوسع في الكلام على عسير والطائف ووادي فاطمة والأفلاج وينبع النخل والقصيم وحائل ، وغيرها من المواضع التي تكثر فيها الينابيع أو تسقيها الأودية وفروعها ، في مواسم هطول الأمطار .

ولا أنسى مواضع « السدود » القديمة في شمالي الطائف . وقد وقف مهندسنا « الأميركي » تويتشل ، يقرأ على صخرة في أحد تلك السدود كتابة

---

(١) مدينة الرياض ١٢٤

(٢) انظر جغرافية شبه جزيرة العرب ١٠٤ وتاريخ الأحساء ٤٦ –٥١

محفورة بالأحرف الكوفية ، بالنص الآتي :

هذا سدّ عبد الله بن معاوية أمير المؤمنين . بناه عبد الله إبراهيم ، بأمر الله . سنة ٥٨ (توافق ٦٨٧م) [١]

وعلّق تويتشل[٢] بما مؤداه : إن هذا السد الذي لم يُستعمل في بنائه الملاط (المؤنة) ولا الطين ، وقد مرّ عليه ١٢٦٦ سنة وهو لا يزال في حال ممتازة إلى الآن ، لمن حق مهندسه البارع عبد الله إبراهيم علينا ، أن نسدي إليه واجبات الشكر والتحية ..

عين نجم

وكان مما أُصلح أيام الملك عبد العزيز ، في جهات الأحساء منبع «عين نجم » وهو من المياه المعدنية الحارّة ، في شمالي الهفوف وغربي المبرّز . وُصف لعبد العزيز الاستحمام فيه ، لمعالجة الروماتيزم في إحدى ركبتيه ، فاستقدم طبيبين من مصر ، كان لأحدهما اختصاص في تحليل المياه ، ففحصاه ونصحا بالذهاب إليه . فأصلح وأمضى عبد العزيز أياماً هناك ، رأى فيها شيئاً من الفائدة .

الخَرْج

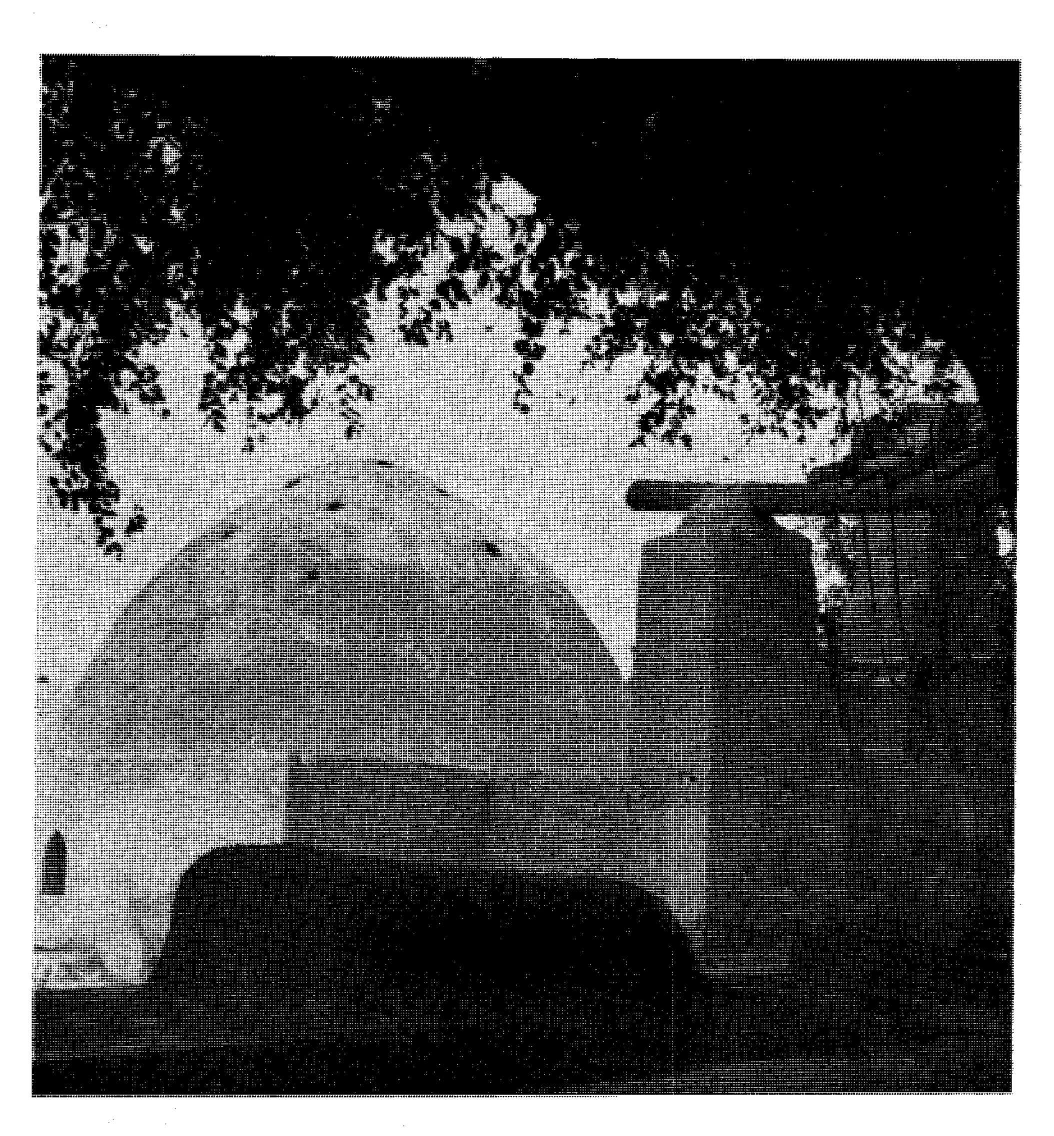
وفي جنوبي الرياض ، على نحو ٨٠ كيلاً منها ، واحة كبيرة ، من أخصب واحات المملكة ، هي ناحية « الخرج » تتصل من شماليها الغربي بوادي حنيفة . كثيرة العيون والآبار والبساتين . اتجه إليها جهد الملك عبد العزيز فطلب لإصلاحها بعثة من العراق ، عملت فيها مدة قصيرة . واختلف أعضاء البعثة فيما بينهم فتركوا العمل . واستُدعيت لها بعثة ثانية من مصر ، فشمرت عن ساعد الجدّ لتنسيق جداول الماء فيها واستثمارها ، إلاّ أن البعوض تكاثر

---

(١) لعل الصواب عبد الله ، معاوية ، إذ من عادة بعض الخلفاء وصف نفسه بأنه عبد الله ، وهذه الكتابة كانت في عهد معاوية .

(٢) في كتابه « المملكة العربية السعودية »

في مستنقعاتها ، فمرض أفراد من البعثة ، وعجز الآخرون عن مكافحة تلك الآفة ، فعادوا إلى بلادهم . وجيء بعد ذلك ببعض الفنيين من الأميركيين ،



عين نجم ، بالهفوف

فجففوا مصادر البعوض ، وأصلحوا مسارب الماء ونجحوا .

وأذكر أننا كنا نعجب في الرياض ، لما يُحمل إليها من ثمار الخَرْج . وتأمل أحد الأصدقاء في بطيخة كبيرة الحجم ، حمراء ، حلوة الطعم ، وقال : هذه الحبّة قد أُنفق عليها من الريالات بقدر حجمها .

واستقر أمر الزراعة في تلك المنطقة بعد انتهاء البعثة الأميركية من عملها . وأُنشئت فيها مدرسة زراعية . وهي إلى الآن من أخصب مزارع نجد . ترتفع عن سطح البحر ١٣٥٠ قدماً . ومساحتها نحو عشرة آلاف كيلو متر مربع . وفيها أخصب زراعات الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، من إخوة الملك عبد العزيز .

في البادية

ولا يغرنك وأنت تجتاز مفاوز الجزيرة ، قولُ أحد الأعراب : هاك الغدير .. فليس الغدير في عرفهم أو عرف أكثرهم إلاّ ضحضاح آسن من بقايا سحابة هطلت فتركت في إحدى الحفر قليلاً من مائها ، فتلوّث وبدت فيه جحافل الديدان . وإن أرغمك الظمأ على الشرب منه ، فلا مناص لك من وضع طرف من « غُترتك » على إناء تغترف به من ذلك الغدير ، وتغمض عينيك إن شئت ، ولا تبال بالطعم أو الرائحة . وهذا ما حمل أكثر « المدنيين » ممن يجوبون الفيافي ، على أن يعتادوا شرب « الشاهي » بغير سكّر ، فلا يشربون الماء — ماء الغدران — إلا غالياً معقماً .

الآبار الأرتوازية

وفي كثير من أنحاء هذه البادية الجرداء ، أعان الملك عبد العزيز على الإكثار من حفر الآبار الأرتوازية ، وجلب المكينات لها ، والإيعاز إلى رجال المالية ، بتقسيط أثمانها ، تيسيراً على المزارعين . وكان ذلك قبل ظهور النفط واتساع صناديق الدولة . فانتشرت الأرتوازيات في مدن نجد وقراها وصحرائها

وأول ما استبشرت به البلاد من تحقيق « الفكرة » الأرتوازية ، كان ما نشر في شوال ١٣٥٨هـ (أواخر نوفمبر ١٩٣٩) من نجاح التجربة في حفر بعض الآبار في جهتي الدمام والقطيف ، حيث تدفقت المياه من بئر في الأولى بمعدل ٦٤ ألف جالون في اليوم ، ثم من بئر في الثانية بمعدل ١٦٦ ألف جالون يومياً .

وأشار ابن بليهد[١] في حديثه عن الصَمّان ، إلى « الأرتوازيات »في صحرائها ولم يذكر تاريخ البدء في حفرها ، وإنما قال : إن هذه القطعة التي يطلق عليها عند عامة أهل نجد « الصمان »كانت مفاوز وموامي في أيام القيظ . لا يجوزها إلاّ الإبل التي تحمل الماء . وفي هذا العهد (عهد عبد العزيز) استنبطت المياه الكثيرة العذبة في جهتين منها ، بالآلات الحديثة : أولاً ماء في طريق الأحساء، في روضة « الحنَيّ » وهي في المنتصف بين الأحساء ومنهل أبي جفان ، في جبل العرمة ؛ في شرقيه من جهة الدهناء . ثانياً في روضة « الشملول » على طريق الكويت مما يلي روضة « معقلة »

، ، ،

عَمِل عبد العزيز ما استطاع ، لتوفير المياه في مملكته الصحراوية في أكثر أجزائها . وقد سبق القول في الحديث عن بدء اكتشاف البترول ، إنه كان يبحث عن الماء ، فخرج له ولبلاده النفط ..

(١) صحيح الأخبار ١ : ٢١٥

الملك عبد العزيز

والمرأة في حياته

سأترك لغيري أن يتحدث عن « العاطفة » والمرأة في حياة عبد العزيز . وأقتصر هنا على ما يتصل بالتاريخ والأنساب ، زواجاً ونسلاً ومصاهرةً وطلاقاً ورجعة ، وبنين وبنات . ولعلي أول من يكشف النقاب عن مخدرات بيت عبد العزيز ، لتاريخ عبد العزيز :

زوجته الأولى :

قضى ثلاثة أعوام في الكويت ، اكتملت فيها فتوته ، بين ابتداء السابعة عشرة وانقضاء التاسعة عشرة . واهتم أبواه لإحصانه بعشيرة شبابه ، فخطب له والده الإمام عبد الرحمن « أعرابية » حسناء ، طلبها له من البادية[1] وما كان لعبد الرحمن في بيته بالكويت إلاّ ثلاث حجرات ، عاشت بها الفتاة مع أسرته ، أربعين يوماً ، إلى أن هيأ الله لعبد الرحمن صديقاً ، هو يوسف آل ابراهيم[2] كان غائباً . وعاد ، فعرف أن عبد الرحمن في ضيق (وكان يعيش عيش الكفاف) فأمدّه بما أنفق على العرس . وتزوج عبد العزيز ، زواجه الأول

---

(١) البلاد العربية السعودية ٩

(٢) من أعيان الكويت . كانت أمورها في يده أيام محمد وجراح ابني الصباح انظر تاريخ الكويت ٢ : ٣٨ وفي مخطوطة خالد الفرج أن يوسف كان خال أبناء محمد وجراح اللذين قتلهما أخوهما مبارك سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥م)

سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) غير أن القدر لم يمهل الأعرابية ؛ فتوفيت بعد ستة أشهر من زفافها . ولم أهتد إلى معرفة اسمها أو اسم قبيلتها .

وَضْحاء :

وكانت زوجته الثانية « وضحاء » بنت محمد بن برغش بن عُقاب ، من آل عُريعر ، وهم شيوخ بني خالد ، وينتسبون إلى قحطان [1] . أنجبت لعبد العزيز : ١– إبنه البكر « تركي » وكان يُكنى به « أبو تركي » ٢– سعود (الملك السابق) ومولده سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) ٣– منيرة تزوجها خالد بن محمد بن عبد الرحمن وطلقها ، فتزوجها فهد بن سعد بن عبد الرحمن ، وتوفيت عنده . أما وضحاء ، فتوفيت سنة ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) بعد وفاة ابنها سعود .

طَرْفَة :

وزوجته الثالثة « طَرفة »بنت الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . أنجبت له « نورة » سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) وهي نورة الأولى . تزوجها خالد بن محمد بن عبد الرحمن ، وأنجب منها « فهداً » و « الجوهرة » . وتوفيت عنده .

وثاني من أنجبت طرفة «**فيصل**» – جلالة الملك – ولد سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) وتوفيت أمه عام ولادته ، وهو رضيع ، عمره بضعة أشهر .

الجَوْهَرة :

وتزوج عبد العزيز بالجوهرة بنت مساعَد بن جلوي بن تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود . وهي الزوجة الرابعة ، وأنجبت له : ١– محمداً و ٢– خالداً و٣– العنود .

---

(١) ونسبهم ابن مقرب الأحسائي إلى عقيل بن عامر من هوازن ، من مضر – لا من قحطان – فقال : ولا تنس جمع الخالدي فإنه قبائل شتى من عقيل بن عامر

وتزوجت العنود ، بسعود بن سعدبن عبد الرحمن . وطلقها ، فتزوجها أخوه فهد بن سعد بن عبد الرحمن . وما زالت عنده .

أما « الجوهرة » فتوفيت بالوافدة الإسبانيولية سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) وهي « الجوهرة الأولى » .

حِصّة :

وزوجته الخامسة « حصة » بنت أحمد السديري .

ولدت له « سعداً » وتوفي صغيراً . وطلقها عبد العزيز ، فتزوجها أخوه محمد بن عبد الرحمن ، فولدت له « عبد الله بن محمد » وطلقها ، فأرجعها عبد العزيز ، وأنجبت له : ١ــ فهد ، و ٢ــ سلطان ، و ٣ــ عبد الرحمن ، و ٤ــ تركي (الثاني) ، و ٥ــ نايف ، و ٦ــ سلمان ، و ٧ــ أحمد ، و٨ــ فلوة (توفيت صغيرة) و٩ ــ شعيّع (تصغير شعاع) توفيت صغيرة و ١٠ــ مُوضي (توفيت شابة) و ١١ــ لؤلؤة ، تزوجها فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود الفيصل ، و ١٢ــ لطيفة ، تزوجها عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن الفيصل ، وطلقها ، فتزوجها خالد بن تركي السديري (ابن خالها) و ١٣ــ الجوهوة ، تزوجها خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل ، و ١٤ــ جواهر ، تزوجها محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل . توفيت حصة في أواخر عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م)

الجَوْهَرة (الثانية) :

وتزوج بالسادسة وهي « الجوهرة » الثانية، بنت سعد السديري . وتوفيت عنده . وقد أنجبت له : ١ــ سعد (الثاني) و ٢ــ مساعد و ٣ــ عبد المحسن و ٤ــ البندري . وهذه تزوجها بندر بن محمد بن عبد الرحمن الفيصل .

الفَهْدَة :

وزوجته السابعة : « الفهدة » بنت العاصي بن شُريم ، من شمر .

ولدت له : ١- عبد الله ، و ٢- صيتة ، تزوجها عبد الله بن محمد بن سعود بن عبد العزيز بن سعود الفيصل ، و ٣- نوف ، تزوجها عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سعود الفيصل .

هَيَا :

وزوجته الثامنة : « هيا » بنت سعد السديري . وما زالت على قيد الحياة .

ولدت له : ١- بدر ، و ٢- عبد الإله ، و ٣- عبد المجيد ، و ٤- مشاعل ، تزوجها فهد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، وطلقها سنة ١٣٨٦هـ ، و ٥- نورة (الثانية) تزوجها يزيد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل .

نجعة :

وزوجته التاسعة « نجعة » بنت خالد بن حثلين . ولدت له : سارة . وتزوجها فيصل بن سعد بن عبد الرحمن الفيصل .

نَوْف :

وزوجته العاشرة « نوف » الشعلانية . عاشت إلى ما بعد وفاته . وولدت له : ١- ثامر ، و ٢- ممدوح ، و ٣- مشهور .

مصاهرة القبائل

وأكثر عبد العزيز من مصاهرة القبائل قالت جريدة « الديلي إكسبرس » الإنكليزية لما تزوج بالأميرة نوف الشعلانية[١] سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) : إن تزوجه بابنة الأمير الشعلاني ، قد عقد محالفة دبلوماسية ، لأن الشيخ يحكم قبيلة كبيرة ، ولصداقته شأن في سياسة الملك عبد العزيز في الصحراء .

وقال جون فانيس ، في كتابه « أقدم أصدقائي العرب » : كان الملك

(١) حفيدة الشيخ نوري الشعلان .

عبد العزيز يطلّق زوجة ليأخذ أخرى ، وغرضه مصاهرة القبائل .

وفي كتاب « صقر الجزيرة » للعطار : ليس في المملكة السعودية قبيلة حرمت من عطف عبد العزيز ورحمه ، فقد أصهر إلى القبائل كلها ..

الحرب والحبّ :

وكثيراً ما اختلطت أساليب الحرب في حياة عبد العزيز ، بالحب ! وقد تقدم ذكر « كنزان » ومعركته فيها مع العجمان حيث قتل أخوه « سعد » وأصيب هو بجرح بليغ في بطنه كاد يمزق أمعاءه ، وما شك خصومه في أنهم قتلوه . ولكن بينما هم يترقبون سماع نعيه ، فاجأهم صوت الأهازيج والعرضات في مخيمه ، وحديث الناس بأن عبد العزيز قد « أعرس » تلك الليلة بفتاة من أسرة معروفة في الأحساء .. وما فعل هذا إلاّ ليقتل فيهم حسّ الأمل بالنصر إذا جمع الصباح بينهم وبينه .

التعدّد والطلاق :

وتكاثرت زوجات عبد العزيز ، إلاّ أنه لم يجمع بين أكثر من أربع نسوة في وقت واحد . وهو العدد الذي أباحه الشرع الإسلامي . قال جون فانيس : اعترض أميركي عند ابن سعود على عادة تعدد الزوجات ، فأجابه : أنتم تحبسون من يتزوج بالثانية ولا تبالون بمن يستكثر من دون زواج !

الولد قبل الوالدة :

وعرف عنه ، في جميع مراحل حياته حبه للإكثار من الأولاد ، فكان أكثر من يطلق من نسائه ، من لم تأته بولد : يُمَتّعها ويُقرّ ما كان يجريه عليها ، ويسرّحها إلى أهلها بإحسان .

وقد يطلّق من لها ولد ، ولكنه يستبقيها في بيتها الذي أسكنها فيه ، لتُعنى بولدها ، ولها من الحقوق ما كان لها قبل طلاقها ، كسائر زوجاته .

قال فلبي (في كتاب عبد الله فلبي ، لحماد) : ظل عبد العزيز على غرامه بإنجاب الأطفال ، حتى اللحظة الأخيرة من حياته . وكان آخر أولاده قد ولد عام ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) أي عند بلوغه الثالثة والسبعين من العمر .

وربما طلّق إحدى زوجاته ، وتزوجت بغيره ثم أعادها إلى عصمته كما فعل بزوجته الخامسة .

قيل لي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) : إن أهل الرياض ، قلّما ينام أحدهم أكثر من خمس ساعات ، في الأربع والعشرين ساعة ، فسألت يوسف ياسين ، وقد أصبح واحداً منهم ، فقال : جُلّ أهل الرياض يقللون الطعام ويكثرون من القراءة والصلاة ، في الليل والنهار ؛ ولأهلهم أطول نصيب في معاشرتهم. وكذلك عبد العزيز ، قليل النوم والطعام ، كثير القراءة والصلاة ، طويل التهجد في الليل ، يمنح أهله أكبر نصيب من وقته .

واشتدت عند عبد العزيز ، في الربع الأخير من حياته ، فكرة الترغيب في الزواج . سألني مرةً : كم من زوجة لك يا خيري ؟ قلت : واحدة يا طويل العمر ! قال : وإذا شابت وهرمت ؟ قلت : أكون قد شبت مثلها وهرمت . فلم يعجبه ذلك . وكان لا يتردد في مساعدة من يلجأ إليه في طلب معونته على الزواج .

قال حافظ وهبه (في جزيرة العرب) : أحب الملك أن ييسر للناس الزواج ، وأن يكثر منه ، فحدد المهر في نجد بمئة ريال (٧٠ ليرة لبنانية) وللزوج إن كان غنياً أن يُهدي زوجته ما يشاء .

من هذه الخلاصة عن حياة الملك عبد العزيز والمرأة ، ومما كان يتحدث به إلى خاصة عشرائه ، ندرك أنه كان محباً للمرأة ككل إنسان ، ويمكننا القول: إنه لم يكن بالرجل النهم في علاقته بالمرأة كما يحسبه بعض الناس . نعم ، كان لا يملّ عشرة سيدة قصره ، أو سيداته ، في أوقات خصهن بها . يحب المرأة

ولا يحب أن يصبر عنها . سمعته يقول ما معناه : الحبّ ينمو بالحبّ ، والفتور فيه إضعاف له ..

كان لا يرى المرأة كل شيء ، ولا يبخسها حقها في شيء . يستشيرها فيما هو من خصائصها ، ولا يقبل رأيها حتى يزنه بموازينه .

وكانت دار خلوته بأهله وأطفاله ، دار بهجة ومرح ، لا تزمت فيها ولا تجهم ، يداعب الصغار ، وقد يركبون ظهره ويحبو بهم ، ويضحكون ، وتضحك أمهم ، ويضحك هو معهم .



بالرياض : قصور الأمراء في عهد عبد العزيز

الملك عبد العزيز

في الحرب العالمية الثانية

وقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) موقفه من الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) على تباين ما كان عليه وضع بلاده السياسي والجغرافي ، في الأولى والثانية .

لزم الحياد ، ليجنّب شعبه غوائل حرب لا مصلحة له في التعرض لها . وضحى في سبيل ذلك بفوائد مادية مما سُمّيّ « الإعارة والتأجير » وكانت حكومة الولايات المتحدة الأميركية ، تغدقه على حلفائها ، بغير حساب .

على أن في كتّاب أميركا ، التي حملت عبء تلك الحرب ، في عاميها الأخيرين ؛ من يُشيد بفضل الموقف الذي وقفه عبد العزيز ، ويبرهن على أنه كان عوناً لهم على الظفر .. وهذا أحدهم روي لبكيتشر[١] يقول ما ترجمته : « إن معونة ابن سعود لنا في كسب الحرب ، ما زال الكثيرون غير مدركين أنها كانت عظيمة وجوهرية . وهو وإن لم يقم بتقديم عون عسكري ، فقد قام بالمحافظة على الاستقرار في العالم العربي ، في وقت كان من الممكن أن تتسع حالة الاضطراب أو الميول الجامحة إلى المحور ؛ فتلقي بهذه المنطقة

---

(١) في الصفحة ٧٠ من كتابه
Roy Lebkicher Background of Arabia and the Middle East

الاستراتيجية الهامّة جداً ، في أيدي الأعداء . لقد نجا الجيش البريطاني بصعوبة من ثورة العراق الموحى بها من الألمان في ربيع ١٩٤١(١٣٦٠هـ) وتضاءل جيشاهم التاسع والعاشر ، في فلسطين وسورية والعراق ، إلى أن أصبحا هيكلين عظميّين ، بينما كان روميل يضغط جيشهم الثامن ، في صحراء شمالي إفريقية أعنف ضغط . ولو شاركت القبائل العربية في ثورة من خلفهم ، أو دخلت في مؤامرة مع الألمان ، لكان في ذلك الهلاك .

« وعلى الرغم من وجود مجندين للمحور آنذاك ، بين العرب ، فقد ظلّ ابن سعود وفياً للحلفاء ؛ لا يسمح ببادرة غدر تبدر ، في أي مكان امتدّ إليه نفوذه . ولولا يده المهدّئة ، لاضطرُ الحلفاء إلى استعمال جيوش لحفظ النظام في بلاد العرب تكبدهم من النفقات أكثر بكثير من تلك المعونة التي قدموها إليه ، لكي يتغلب بها على ضيق بلاده الاقتصادي » .

، ، ،

وعلى الرغم من كثرة عوامل الإغراء والتحذير ، من الفريقين المتحاربين ، ورجحان كفة أحدهما — الألمان وحلفائهم — على الثاني مدة طويلة اقتربت فيها جيوش المحور من أبواب مصر ، وهبّت لها عاصفة في العراق ، وعند الملك عبد العزيز من ينابيع النفط — وهو مصدر الثروة الأكبر المأمول يومئذ في مملكته — ما يغريه بمصانعة الكفة الراجحة ، فقد وقف ينظر إلى الميدان نظرة المترقب المستأني .

قد يعلل امتناع الملك عبد العزيز عن شراء « الأسهم » التي كان يبدو أنها الرابحة لا محالة ، بصداقتيه : القديمة للبريطانيين ، والحديثة للأميركيين ؛ وبأن خُلق الوفاء الفطريّ فيه لمن يعرفهم ، أبعده عن الالتفات إلى من لا يعرف وهذا تعليل صحيح ، ولكن إلى حدّ معيّن .

كان عبد العزيز وفياً . لا ريب في ذلك . وكان إذا ألف ، لم ينحرف . غير أنه وهو مسؤول عن حياة أمة ومصير بلاد ؛ كان لا بدّ له من تحكيم

العقل ، والأخذ بالحزم ، قبل السير وراء العاطفة . وهكذا فعل ، فلم يتسرع حين انساقت الشعوب إلى خوض المعمعة ، طمعاً أو هلعاً ؛ وتوقف غير منحاز إلى هذا أو ذاك ؛ كشأنه في الحرب العامة الأولى بين الإنكليز والألمان ، وانصرف إلى تسهيل « الحج » للمسلمين ، وتأمين سبله ، وإلى معالجة وسائل الإصلاح في مملكته الناشئة ، وحَمِد له الفريقان موقفه .

ولجأ إلى بلاده ٨٢٧ جندياً من « المحور » منهم ٢٧ ألمانياً و ٨٠٠ أيطالي ، قذف بهم البحر الأحمر إلى الشواطىء السعودية ، فأمر بأن يُعاملوا معاملة « الضيوف » فأخليت لهم جزيرة أبي سعد — بقرب جدة — وجيئوا بالطعام ، والشراب ، والكساء ، والغطاء ؛ إلى أن فتح طريق عودتهم إلى بلادهم بعد انتهاء الحرب ، فعادوا يلهجون بالثناء .

وحامت شكوك حول مفوضية لإحدى دول المحور في جدة (المفوضية الإيطالية) فقيل : إنها تجاوزت ما أُوفدت من أجله ، فأمر بإكرام وزيرها ، والتلطف في اشعاره بأن بلاد العرب السعودية لن تكون مجالاً لدعاية أو منبعاً لأخبار ؛ فاستأذن الوزير الإيطالي ، وانصرف إلى بلاده مُثْقَلاً بالهدايا ..

، ، ،

وجدير بالذكر أن الملك عبد العزيز ، من بداية الحرب إلى نهايتها ، حتى في أيام اختراق « رومل » حدود مصر ، كان لا يحب أن يداخله الشكّ في أن النصرة ستكون للحلفاء . ذلك لأنه عرف الإنكليز في بعض رجالهم ، كأصدقاء ؛ وعرف قليلاً من الأميركيين كعملاء ، وكان يرى في الأولين « أقوياء خطرين »وفي الآخرين « تجاراً أغنياء » على خلاف أمره مع المحوريين الذين لم تكن بينه وبينهم أيه صلة . وكثيراً ما كنا نراه يصيح بضيفه الدائم « المستر فيلبي » البريطاني ، عندما يندحر البريطانيون أمام الألمان : ويلكم ! إيش جرى لكم يالانكليز ؟ اهجموا ، اضربوا ، افعلوا .. يقولها متحمساً حماسة الساخط لا الشامت .

، ، ،

وفي خلال الحرب أُنشئت دار الأيتام بمكة ، ورُصف طريق مكة — جدة ، بالإسفلت ، وانشيء سدّ في أعلى مكة لحجز السيول عنها ، ونُظّمت جمعية الإسعاف الخيري ، ووُضع نظام الطرق ونظام جباية أموال الدولة . وقابل الملك عبد العزيز الرئيس روزفلت وقد أفردنا لهذه المقابلة فصلاً ضافياً . وأُشير في بعض الصحف المصرية إلى أن مؤتمراً سيعقد في مكة ؛ فنشرت جريدة أم القرى وهي شبه رسمية ، مقالاً عنوانه : « لا مؤتمرات في هذه البلاد المقدسة » !

وبينما العالم يعاني المجاعات ، كانت مبرات عبد العزيز تعم رعاياه ، والأفران تعمل ويوزّع خبزها مجاناً ، وحكومته تسقط ٢٥٪ من رسوم الجمارك وتقرض التجار من رعاياها ٢٥٪ من قيمة ما يستوردونه ، على أن يعيدوا ما اقترضوه بعد بيعهم ما استوردوه ، ونائبه العام « فيصل » يقول في خطبة الحج عام ١٣٥٩هـ (١٩٤١م) : « لا يجهل أحد ما فيه العالم اليوم من نكبات ومحن . حتى البلاد التي لم تشترك في الحرب ، لا تخلو من أزمات اقتصادية وغيرها . أما نحن فلله الحمد ، من أسعد الناس . وهذا ، لا شكّ ، من نعم الله التي تستوجب الشكر » .

، ، ،

وكان الهمّ الأكبر للملك عبد العزيز ، مدة الحرب ، حال بلاد العرب والمسلمين على العموم ، والعمل — على الخصوص — لإنقاذ بلاد الشام من الكابوس الفرنسي ، وإنقاذ فلسطين من البلاء الصهيوني . وقد جاء في خطبة له ارتجلها بمكة في حجيج السنة الآنف ذكرها :

« كل ما ندعو إليه ، هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ، ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم .

« والذي نشهد الله عليه ، ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العربية ، أننا ما ننام ليلة إلاّ وأمر جميع المسلمين همّنا .

« يهمنا أمر إخواننا السوريين ، وأمر إخواننا الفلسطينيين ، وأمر إخواننا العراقيين ، وإخواننا المصريين .

« تهمنّا حالهم ، ويهمنا أمرهم ، ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه ذلّ أو خذلان ؛ لأننا ما نرى إلا أنهم منا ونحن منهم ، كما تهمّنا جميع بلاد المسلمين .

« إنني أخاطب إخواننا في مصر ، والعراق ، وسورية ، وفلسطين ؛ فأقول لهم : إن المصلحة واحدة والنفوس واحدة .

، ، ،

وانتهت الحرب ، بما أذاعته محطات الراديو العالمية ، مساء ٢٥ جمادى الأولى ١٣٦٤ (٩ مايو ١٩٤٥) من أن الألمان استسلموا بلا قيد ولا شرط ..

، ، ،

ونشرت أم القرى في ١٦ شوال ١٣٧٠ (٢٠ يوليو ١٩٥١) البلاغ الرسمي رقم ١٤٨ وفيه : تعلن وزارة الخارجية إنهاء حالة الحرب التي كانت بين المملكة العربية السعودية وألمانيا .

عَلمه وشِعاره

العلم والشعار، في المملكة العربية السعودية، هما للملك وللدولة معاً.



ولون العلم أخضر — رمز الجهاد — وفي وسطه بِلَوْن أبيض، سيفان متقاطعان، فوقهما جملة « لا إله إلاّ الله محمد رسول الله » وقد يُكتفى تحت هذه الجملة، بسيف واحد مستطيل.

، ، ،

والشعار: سيفان متقاطعان، فوقهما على الوسط نخلة:



، ، ،

ولا يُنكَّس العلم السعودي في المناسبات الداخلية أو الدولية، لوجود اسم « الله تعالى » فيه.

الملك عبد العزيز

والمعادن في بلاده

الذهب :

تبدأ قصة البحث عن الذهب في المملكة ، في شتاء ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) خلال زيارة المستر شارلز كراين الأمريكي ، للبلاد السعودية ، وتكليف الملك عبد العزيز له — وقد قابله بجدة — أن يبعث إليه خبيراً فنياً يبحث عن المياه والمعادن ، وتحسين الزراعة ومعرفة دفائن الأرض ، فجاء المستر ك.س توتشل — كما تقدم في قصة اكتشاف البترول — وكان معروفاً مما كتبه المتقدمون أن في البلاد مناجم معدنية[1] فظفر المستر توتشل ، بعد دراسة ابتدائية ، بعلائم تدل على وجود الذهب وبعض المعادن الأخرى . ورُئي أن العمل يحتاج إلى أيد فنية ورأس مال كاف ، فسعى إلى تأليف شركة « عربية إنكليزية أميركية » عقدت اتفاقاً مع الحكومة السعودية ، وأمضاه وزير ماليتها . ووافق عليه الملك

(١) للسيد رشدي الصالح ملحس، كتاب في ١٤٤ صفحة من القطع الصغير ،سماه « بحث المعادن » جمع فيه كثيراً مما ذكره المؤلفون العرب عن الأماكن التي توجد فيها معادن ، في البلاد السعودية . طبعه بمكة سنة ١٣٤٩هـ . وفي تاريخ العرب للدكتور جواد علي ١ : ١١٠ بعض ما ذكره جغرافيو العرب من أسماء المواضع التي عرفت بوجود الذهب فيها ، كموضع « بيشة » وكان الناس يجمعون منه التبر ويستخلصون الذهب ، و « ضنكان » وكان به معدن غزير من التبر ، وفي المنطقة التي بين القنفدة ومرسى حلج ، ووادي تثليث ، على مقربة من « حمضة » على مسافة ١٨٣ ميلا من نجران ؛ آثار للتبر .

عبد العزيز ، بمرسوم سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) وسميت الشركة « نقابة التعدين العربية السعودية المحدودة »

وبعد سنتين من إبرام الاتفاق ، بدأ استثمار منجم « مهد الذهب » وهو على ٤٠٠ كيل في الشمال الشرقي من جدة ، و ٢٤٠ كيلاً جنوب ٥٣ درجة ، شرقي المدينة المنورة . وكان يسمى « معدن بني سُليم » وعملت الأدوات الحديثة في طحن المعادن وبقايا تراب التبر الذي تركه الأقدمون .

وقُدّر إنتاج « نقابة التعدين » ما بين عامي ١٣٥٨و١٣٦٢هـ (١٩٣٩ — ١٩٤٣م) بما يأتي :

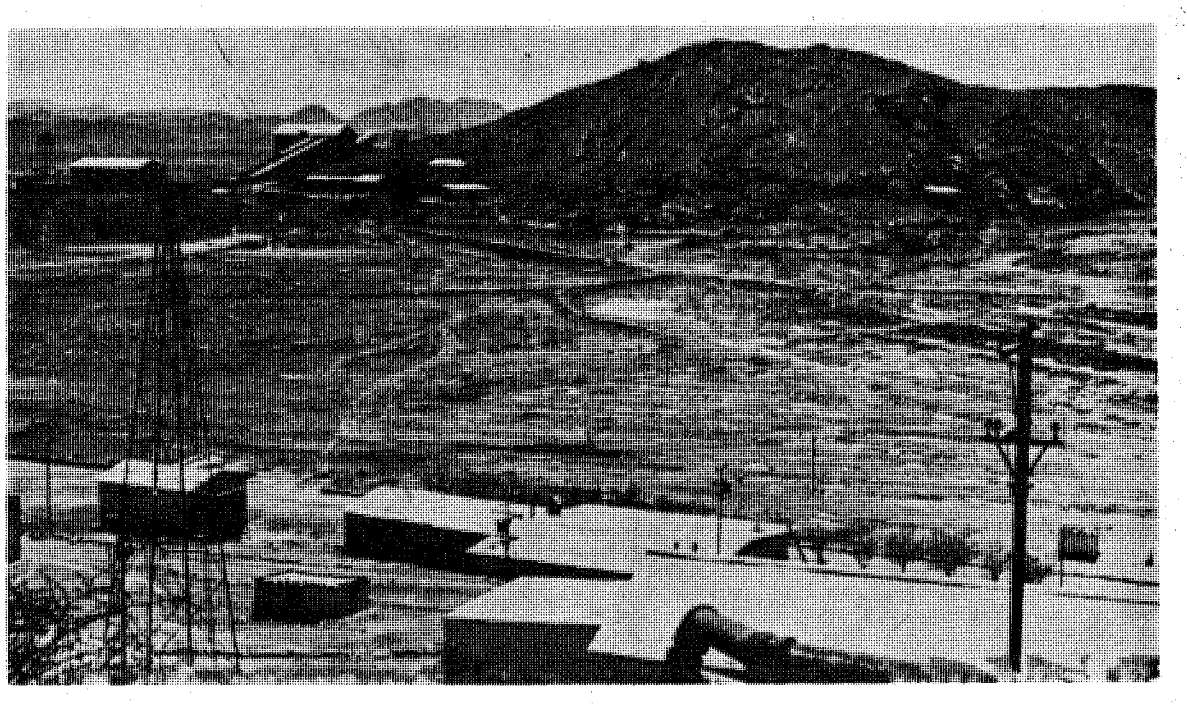
٢٨٠٨٢ أوقية من الذهب الخالص ، سنوياً
٣٥٠٨٠ أوقية من الفضة الخالصة ، سنوياً
وما بين عام ١٣٦٢و١٣٦٦هـ (١٩٤٣ — ١٩٤٧م) بما يأتي :
٣٧٧٢٠ أوقية من الذهب الخالص
٣٠٩٥٤ أوقية من الفضة الخالصة

وبلغ الإنتاج سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)
٦٨٦٩٧ أوقية من الذهب الخالص
٦٤٥٥١ أوقية من الفضة الخالصة

وفي تقدير آخر : بلغ مجموع الإنتاج من يناير ١٩٤٥ إلى يناير ١٩٥١ :
٣٤٥٨٣٥ أوقية من الذهب
٣٢١٩٥٦ أوقية من الفضة

توقف النقابة :

واستمرت نقابة التعدين في عملها ، إلى ما بعد وفاة الملك عبد العزيز . ثم توقفت عن العمل سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) . ولم يقم بعدها من يخلفها . وكان الربح الصافي للدولة منها ، حوالى عشرة ملايين دولار .



منظر عام لمنجم مهد الذهب ، تظهر فيه طرق العمل منذ ألف سنة ، كما تظهر الأدوات الحديثة – عن تويتشل

وقيل يوم توقفها : إن الذهب قد نفد . وليس بصحيح ، فما زال الخبراء يؤكدون وجوده بكثرة .

مناجم أخرى للذهب :

وهناك أماكن أخرى ، كانت وزارة المالية قد انفردت بالتنقيب فيها ، واستحضرت إخصائيين وآلات ، لفحصها واستثمارها ؛ وشرعت في بناء مختبر بجدة لتحليل المعادن .

وأهمّ ما عرف من تلك الأماكن حتى عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) :

١ — سيحان	على	١٣٠	كيلاً	شرقي المويه
٢ — ظلم	»	١٠٠	»	شرقي المويه
٣ — غي	»	٤٢٢	»	جنوب شرقي عفيف
٤ — النجادي (ظفر)	»	١٧٦	»	شمال شرقي مهد الذهب
٥ — الأحاسن	»	٣٧	»	شمال شرقي ظفر
٦ — الحبلى	»	٣٢	»	شمال ٧٠ـ٧٥ درجة شرقي صخيرة
٧ — صخيرة	»	٣٨	»	شمال ٣٥ـ٤٠ » » ماوان
٨ — ماوان	»	١٤	»	شمال شرقي بلغة
٩ — العميرة	»	٣	»	جنوب شرقي ماوان
١٠ — بلغة	»	٢٠٣	»	شمال شرقي مهد الذهب

المعادن الأخرى :

وكان معروفاً من تقرير وضعته إحدى البعثات الزراعية ، عن الطائف ، سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وجود مقادير كثيرة من الحديد ، فيها وفي ما يجاورها ، وقليل من النحاس وغيره .

ولما قام تويتشل بالتنقيب الجيولوجي على شاطىء البحر الأحمر من جدة إلى ينبع ، وضع تقريراً ضمّنه نماذج مما عثر به من أنواع المعادن .

فهناك « الفضة » في مناجم لها ، قديمة ، شرقيّ القنفدة ، وعلى منتصف الطريق بين وادي قَنَونَةَ ووادي يَبَةَ ، وفي مرتفعات القويعية والدوادمي والسمرة حيث ظهر منجم للفضة ، ومثله في السدرية . وكلاهما على مقربة من الدوادمي . وقد تقدم ذكر ما استخرجته نقابة التعدين ، من الفضة في خلال استخراجها الذهب .

ووُجد « الحديد » وافراً ، وهو صالح للاستثمار والتصدير ، في جملة مواضع ، منها بين جدة ومكة ، على أقل من ٥٠ كيلاً من شرقي جدة . وفي جنوب شرقي الوجه ، وفي شمالي بيشة . وقدر ما في بعض المناطق بعدة بليونات من الأطنان .

و « النحاس » في منطقة مهد الذهب ، وفي جنوب شرقي أملج ، وفي عقيق المدينة .

و « الكبريت » في وادي الكبريت ، على الساحل الشمالي للبحر الأحمر ، وفي جنوبي الوجه ، وفي مدينة ينبع ، وفي قريات الملح .

و « معدن الكروم » في شمالي وادي العيس ، على نحو ١٥٠ كم من ينبع .

ومعادن ، غير هذه ، اكتشفت ، كالرصاص ، والزنك ، والميكا ، والجبس ، والملح ، وسواها . وفي الباحثين من يرى أن ثروة البلاد السعودية من هذه المعادن ، إذا أحسن التنقيب عنها واستخراجها ، قد لا تقلّ عن ثروتها من النفط .

، ، ،

هذا ما وقفت عنده ، من الحديث عن المعادن ، سنة ١٣٦٩هـ.واطلعت بعد ذلك على بحث مستوفى فيها ، كتبه الأخ الشيخ حمد الجاسر ، في نيف ومئة صفحة من مجلته[١] نوّه فيه بكتُب في الموضوع ، أحدثُها«المناجم في القرون الوسطى ، وأماكن وجودها في البلاد العربية ، عند الجغرافيين والمؤرخين » باللغة الألمانية [٢]

---

(١) مجلة العرب : النصف الثاني من مجلد السنة الثانية .

(٢) وضعه الأستاذ محسن العابد التونسي سنة ١٩٦٦ ونال به إجازة « الدكتوراه »

وأشار إلى أن المديرية العامة للمعادن ، في المملكة العربية السعودية أصدرت « نشرات » باللغة الإنكليزية ، من أوفاها بالمقصود :

Minéral Resources of Sâudi Arabia-Bulletin N. 1 - 1965

ونقل عن هذه النشرة « بياناً » بمواقع الذهب القديمة ، والفضة ومناجم النحاس ، ورواسب الحديد ، ورواسب الكروم ، فصحّح أسماءها تصحيحاً علمياً . وأتى بكثير مما جاء في كتب المتقدمين ، عن مواضع المعادن وأنواعها في جزيرة العرب ، فدلّ على ما هو معروف الآن منها ، وأصلح ما جاء في بعضها من أوهام .

المَلك عَبد العَزيز

في « دائرة المعارف التركية »

في دائرة معارف إينونو (اين اونو أنسيكلوبيدياسي) التركية فصل عن الملك عبد العزيز نترجم عنها أهمّ ما فيه :

« ولد ملك المملكة العربية السعودية سنة ١٨٦٧م — كذا [١] — وهو من بيت آل سعود الذي بسط سيطرته في حقبة من الزمن ، على جميع شبه الجزيرة العربية . وقد ساءت حال الأسرة السعودية ، المستقلة في داخل نجد ، جداً ، أثناء طفولة الملك عبد العزيز وفي مستهلّ شبابه . وكان السلطان عبد الحميد الثاني يستخدم أسرة ابن رشيد الحاكمة في منطقة شمّر ، لتنفذ إلى داخل شبه الجزيرة العربية .

« وتولى الملك عبد العزيز رئاسة الحركة . وقد نزل له والده عنها سنة ١٩٠٠م فاستولى على مدينة الرياض ، عاصمة أسرته القديمة ، وفي سنة ١٩٠٤ هزم أبناء رشيد .

« وعلى أثر ذلك تخلى السلطان عبد الحميد عن حماية آل رشيد ، محاولاً كسب جانب عبد العزيز ، بالإنعام عليه بالباشوية .

« وبعد الكوارث الداخلية والخارجية (في الدولة العثمانية) عقب إعلان الدستور ، وخاصة على أثر الحرب البلقانية ؛ وقف الملك عبد العزيز من

---

(١) الصواب : مولده سنة ١٨٧٥ كما قدمنا .

الإمبراطورية العثمانية موقفاً معارضاً . فاستولى على مقاطعة نجد والأحساء التابعة لولاية البصرة ؛ تاركاً الإدارة العثمانية مقتصرة على بضعة موانىء من هذه المنطقة الشاسعة .

« وفي خلال الحرب العالمية الأولى ، بينما كان شريف مكة يثور على الإمبراطورية العثمانية ، معلناً نفسه ملكاً ، حرّض الإنكليز عبد العزيز ابن سعود على أن يقوم بمثل تلك الحركة ، ولكن ابن سعود رجّح التريث ، وارتقاب تطوّر الحوادث . ونودي به سلطاناً على نجد .

« وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، أخذ ينهج سياسة مستقلّة في جميع شبه الجزيرة العربية . وشنّ حرباً على ملك الحجاز ، فضمّ تلك المنطقة إلى حكمه عام ١٩٢٦ ونودي به ملكاً على الحجاز أيضاً .

« وفي سنة ١٩٣٢ أعلن ملكاً للمملكة العربية السعودية .

وفي عام ١٩٣٣ دخل الحرب مع اليمن ، وأضاف بنتيجتها أراضي جديدة إلى ملكه[١] .

ومع محافظة الملك عبد العزيز ، في شؤون العقوبات ، على قوانين الوهابية الشديدة[٢] فقد أوجد في مملكته كثيراً من آثار المدنية ، وحقّق في الأراضي الواقعة تحت إدارته ، نظاماً وأمناً قويّين . وقد أسس مع الجمهورية التركية علاقات ودية وزار أحد أنجاله سمو الأمير « فيصل » بلادنا تركية سنة ١٩٣٢

---

(١) كذا . وانظر « معاهدة الطائف » .

(٢) كذا . وليس للوهابية قوانين ، وإنما هم حنابلة ، وأحكامهم مستمدة من الكتاب والسنة.

الملك عبد العزيز

والوشاة

كان عبد العزيز يكره « الوشاية » وهي عنده ، والكذب ، صنوان .

عرف ذلك فيه ، المقربون منه ، كخاصته وحاشيته ورجال ديوانه .

يحدثه أحدهم بأمر يتعلق بزميل له ، فلا يلبث أن ينقل الملك حديثه إلى الشخص الآخر ويقول : أخبرني به فلان ! فكفّوا جميعاً ..

، ، ،

وكان من السوريين الذين أحبهم ، وفازوا بثقته ، شكري القوتلي[1] وقد أدى ثمن الثقة متاعب ، أذكر منها على سبيل الاستطراد :

مرض شكري في القاهرة ، سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) ، قبل رئاسته الجمهورية السورية بزمن طويل .

وبلغت حرارته التاسعة والثلاثين . وأمره الطبيب بملازمة سريره . وتركته في أول الليل . وجئته في الصباح ، فإذا هو جالس بملابسه ، والحمّى ظاهرة على وجهه . فقلت : لِمَ تركت سريرك ؟ قال : لا أريد أن أمرض ! زارني قبل منتصف الليل جورج أنطونيوس[2] وعلمت منه أنه سيسافر مع الجنرال

---

(١) توفي في بيروت ، سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م)

(٢) مؤلف كتاب « يقظة العرب » وكان هذا الحديث قبل تأليفه الكتاب . توفي في القدس ، سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م)

كلايتن إلى جدة ، كترجمان ، لعقد معاهدة مع ابن سعود . وتقوم اليوم الباخرة « تالودي » من السويس إلى جدة . وسأسافر عليها . قلت : وحُمَّاك؟ قال : ليكن ما يريد الله ! السفر واجب ..

وزار الحجاز . وسر عبد العزيز بوجوده بين رجاله ، حين صيغت «معاهدة جدة » أفضل معاهدة عقدها مع الإنكليز .

وكان أبناء الوطن الواحد في سورية ، عقب انهيار ثورتهم على الفرنسيين يتراشقون بالتهم . وسُوق الوشايات بينهم في رواج ، وإذا برسالة ليست من الملك ، ولكن معها منه « ملحق خير » موجّه إلى شكري ، يذكر فيه أنها مما حمله إليه البريد . وأنه لم يُتم قراءتها .

وكانت من « واش » أراد بها الوقيعة بين الملك وشكري ، لم يعبأ بها الملك ، وسخط على مرسلها ، وبعث بها إلى شكري ، للاطلاع !

، ، ،

واختصم الشيخ عبد الله السليمان (وزير المالية) والشيخ عبد العزيز بن باز (قاضي الخرج) والملكُ يومئذ في الخرج . فكتب ابن باز إلى الملك يشكو ابن سليمان ويعرّض بأمر عدّه الملك « وشاية » فغضب ! وأسرع ابن باز إلى ابن سليمان ، يسترضيه ، ليرضى الملك .

كان ذلك دأبه مع خاصته والمقربين منه . أما غيرهم فلهم ميزان آخر . قال حافظ وهبه[1] : كان عبد العزيز ، وفياً للمخلصين من رجاله ، لا تؤثر

(١) في كتابه « خمسون عاما »

فيه الوشايات بهم . وكثيراً ما كان ينهر الواشي ويؤنبه . طلبت منه مرة أن يحقق في أمر بعض الوشايات ، فإن كانت كاذبة عاقب المفتري ، وإن كانت صادقة عاقب المسيء ، فقال : إذا حققنا في هذه المسائل كفّ الناس عن الكتابة إلينا . ولكن لنا عقول نميز بها الصدق من الكذب ، والحق من الباطل . ونحن كثيراً ما نعرف الدافع لهذه الوشايات

، ، ،

حـــذر

قال فلبي[١] ما ترجمته : كان الحذر من أبرز خصال عبد العزيز . ومع أن المغامرات التي وصل بها إلى بعض النتائج الباهرة ، تبدو كأنها تكذّب هذا القول ، فإنه يمكن تأييد ذلك بقول أحد الثقات ذوي الخبرة ممن لا يُرتاب في صحة آرائهم[٢] : إن عبد العزيز لم يرتكب في جميع أدوار حياته خطأ واحداً ..

قال فلبي : وهذا مديح إطنابي ! إلا أنه ليس مما لا يقام له وزن .

قبل المعركة

قال كاتبٌ صَحِب عبد العزيز : من خصائصه أنه كان لا يُقدم على المعركة إلا وهو مضطر إليها[٣]

لا ينام على سرير

قال المـُميز[٤] : أطلعني الشيخ محمد نـَصِيف ، على كتاب أمين الريحاني

---

(١) Arabia 178 - 180

(٢) يريد السر برسي كوكس

(٣) أم القرى ٤ شوال ١٣٦٤

(٤) المملكة العربية السعودية كما عرفتها ٣٥٨

« تاريخ نجد الحديث » وفيه : أن إحدى زوجات عبد العزيز ، وهي من آل رشيد ، خبأت أحد أقاربها تحت سرير الملك ، لغرض اغتياله وهو نائم . فقال محمد نصيف : إن عبد العزيز لا ينام أصلاً على سرير . وإنما ينام على طرّاحات أو منادل ، فكيف يختفي رجل تحت المنادل ، ولا يشعر به الملك الذي لا ينام إلاّ وهو محاط بكل أنواع الأسلحة المعروفة في أيامه ؟

حمّـــامه

كان يُكثر من الاغتسال في الصيف والشتاء . فقد يغتسل ست مرات في أيام القيظ . ولا يقلّ استحمامه عن مرتين كل يوم ، في الشتاء ، إلا لسبب صحي[1] . قلت : وأخبرني ثقة من ملازميه أنه كان — أحياناً — إذا أراد الاستعداد للصلاة وهو في بعض حروبه في الصحراء ، وأهله معه ، يضنّ بماء الوضوء أن يذهب سدى ؛ فينسلّ من المعركة ويدخل خيمته ، ثم يخرج فيصبّ ماء وضوئه على جسمه لإسقاط الحدَثين معاً ، ويصلي .

نظـارتـه

وكان يضع النظارات على عينيه.إلاّ أنه يقرأ بلا نظارات . وفي نظره إلى البعيد خاصة ، حدة شديدة .

مقـاعده

وكان له في كل غرفة أعتاد دخولها ، من غرف ديوانه ، مقعد خاص (فوقيّ أو كنبة) لا يجلس عليه أحد غيره ، في حضوره أو غيابه . وهو لا يختلف عن سواه من مفروشات الغرفة . وقد يجلس عليه أحد الزوار الجدد ، فيشير إليه مدير المكتب بلطف أن هذا مقعد الملك ، فينتقل إلى غيره .

---

(١) البلاد العربية السعودية .

خاتمه

وكان يتختم بخاتم فضي ، له فص من العقيق ، عليه اسمه — بشكل طغراء — كما يأتي : « عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود » وفيه كسر قليل من جانبه . وله خاتم آخر ، إلا أنه قلما كان يستعمله .

وفي كتاب « آل سعود »[١] : لما مرض الملك مرضه الأخير ، أراد أطباؤه إجراء تخطيط كهربائي لقلبه ، فاضطروا إلى إبعاد كل جسم معدني عنه ، واستأذنوه في نزع خاتمه الفضي ، فابتسم وقال : « هذه أول مرة أنزع فيها هذا الخاتم من أصبعي » فتأثر الأطباء لهذه الكلمة تأثراً كبيراً [٢]

اصطيافه

كان يفضل الابتعاد عن الرياض ، في الصيف ، لشدة حرّها . ولا يطيق حرّ مكة . كتب إليّ يوسف ياسين في ٢٧ محرم ١٣٥٥ (١٩٣٦/٤/٢١) من جدة : سافر الملك اليوم إلى « عـُشـَيرة » وسيقيم فيها مدة شهر ، لأن مكة أصبح حرها لا يطاق . وهو لا يحب الطائف ، لأن هواءها لا يروق له .

أقول : وقد ألف الاصطياف ، بعد ذلك ، في « الحـَوِيـّة » على مقربة من الطائف . ويلاحظ أن مناخ الطائف شديد الجفاف ، والحوية ألطف جواًمنها

راية للقبيلة المستقلة

كان عبد العزيز يمنح القبيلة التي يأذن في انفصالها عن حكم قبيلة أخرى « راية » للاستقلال . جاء في حديث ابن بليهد[٣] عن قبيلة « العبابيد » أنها

---

(١) للأستاذ أحمد علي ، طبعة سنة ١٣٧٦هـ

(٢) الخبر منقول عن كتاب « عبد العزيز » الذي ترجمه عن الألمانية الدكتور أمين رويحة . وكان هذا ممن حضر وفاة الملك عبد العزيز ، فأورد كلامه عن الخاتم وقال : كانت عبارته هذه بمثابة طعنة أصابتني في قلبي ، لأنني اعتبرتها تنبؤاً بالنهاية المنتظرة ..

(٣) صحيح الأخبار ٥ : ١٧٧

من العَمْرية الذين يرأسهم العقيلي وابن مغيرق.وكانوا تابعين لرياسة أبي العلاء رئيس قبائل العصمة . وأرادوا الانفصال عنه ، فطلبوا من الملك عبد العزيز أن يخرجهم من رياسته، ويعطيهم «راية» قال ابن بليهد : ولكن الملك من سياسته الحكيمة أمرهم بالبقاء تابعين لرياسة أبي العلاء .

، ، ،

أسفاره إلى الخارج

لم يخرج من بلاد الجزيرة إلاّ مرتين ، في حياته : الأولى للاجتماع بالرئيس الأميركي روزفلت ، في البحيرات المرة ، بمصر ، سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) والثانية عندما زار مصر زيارة رسمية سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)

سَفُوف

قال حافظ ، في «جزيرة العرب» : كان للملك عبد العزيز «سفوف» من طب البادية ، يستعمله يومياً ، قبل طعام الصباح . وهو مزيج من خشب العود والمصطكا والصبر .

الملك عبد العزيز

في رسائل « يوسف ياسين » وأحاديثه

كان الشيخ يوسف ياسين ، ألصق الناس بالملك عبد العزيز وأعلمهم بحركاته وسكناته . قال لي أبو الوليد خالد القرقني : إن هذا « السفطة »[1] – يعني يوسف – لو كان في الصين ، وسألته : ماذا يصنع الملك الآن ؟ لنظر إلى الساعة ، وحوّلها إلى توقيت الرياض ، وأجابك : إنه يفعل كذا ، أو يفكر في كذا ..

وكان مما تسنى لي ، بمعرفتي القديمة ليوسف ، وبحكم رئاسته للشعبة السياسية ، أن أجده حين أكون في مصر ، وأحياناً حين أكون في جدة ، الوسيط في كثير من المخابرات بيني وبين الملك عبد العزيز . وكان لسانَهُ الصريح معي ومع سواي ، حتى مع بعض أبناء الملك ، ومع كبار الأجانب ، ممن ينتدبه الملك لمقابلتهم في جدة على الأكثر . وهو الثقة فيما ينقل عنه وإليه ، والأمين فيما يعمل . حتى لطالما قلت لبعض الإخوان : إن يوسف مع الملك ، قد بلغ درجة « الفناء » عند الصوفية .

وكان ، منذ وصل إلى نجد ، في أواخر ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) ملازماً للملك عبد العزيز ، في مجالسه الخاصة والعامة ، وبين يديه حيثما كان ، لا يفارقه إلا ليكون على اتصال به بكل وسيلة عاجلة ، من هاتف أو برق ، وقلّما

---

(١) السفطة : كلمة أظنها تركية ، يراد بها : المتفيقه المتعالم .

كان البريد .

وسأقتطف ، فيما يلي ، فقرات مما احتفظت به من رسائل يوسف الخاصة ، لي ، مما يتعلق بالملك :

[١]

وأول ذلك ، كان في رسالة بعث بها إليّ يوسف ، من الرياض إلى القدس ، مؤرخة في ١٣٥٢/١٠/٢هـ (وفاق ١٩ يناير ١٩٣٤) بعد أن دُعيت لأكون مستشاراً للوكالة السعودية في القاهرة . جاء فيها : « وقد كتب جلالته إلى سمو الأمير فيصل بتعيينك ، ويكتب لك الأمير بذلك . وأعتقد أنك في قبولك العمل معنا ، ستكون أعظم عضد لنا في إتمام ما نسير إلى إتمامه من برنامجنا في خدمة القضية العربية مع سيدها ، وأحقّ الناس بقيادتها . وأنت تعلم أني إذ أتكلم معك بهذا التعبير عن « الهمام » (١) لا أريد مدحه لك ، أو الثناء عليه ، وإنما هو اعتقاد تأصل في نفسي ، بنتيجة اختباري ودرسي . ومتى جاءت الفرص وحزبت الأمور رأيت منه ما لا يخطر على بال ..

[٢]

وجاء في رسالة منه في ١٣٥٣/١١/١٧ (١٩٣٤م) :

.. وصاحبنا ، إذا أراد أمراً سار إليه في وضح النهار .

[٣]

وفي رسالة بتاريخ ١٣٥٦/٨/١٥ (١٩٣٧م) :

— اكتبوا رأساً إلى شخص جلالته . وهو يحبّ الإطالة في دقائق الأخبار .

[٤]

وفي ١٣٦٢/٣/٢٨ (١٩٤٣م) :

.. وهو صاحب ذاكرة حاضرة للنكتة ، لا تفوته منها فائتة .

(١) كان لفظ « الهمام » اصطلاحا بيننا ، للكناية عن « الإمام » الملك عبد العزيز .

[٥]

وفي ١٣٦٤/٩/١٩ (١٩٤٥م) :

أبعث إليك بهذه الرسالة مع الطيارة الملكية. وقد كتب لي (فلان) أن عائلته ستقدم للحجاز ، فأرجو إرسال من يساعدهم على الركوب في الطائرة الأميركية أو البريطانية ، لأن جلالة الملك لم يأذن حتى الآن بإركاب « النساء » في طيارته .

[٦]

وفي ١٣٥٦/١٠/٢٤ (١٩٣٧م) :

إذا لاحظتم فيما يطلب منكم أن الطلب منبعث عن رأي منه ، فكونوا متأكدين أن كل رأي وما يترتب عليه من طرق إنفاذه ، هو ناتج عن أمره ورأيه . وما عليكم إلا تنفيذه حرفياً . وإن رُئي أن هناك محاذير ، فلا سبيل إلى تغيير شيء في الموضوع أو في الكيفية ، إلا بأخذ رأيه عن الطريق الذي صدر الأمر به ، لأنه ربما تخطر له ملاحظه يجبّ أن تكون .

الإيمان والثقة

قال يوسف ياسين :

سمعت الملك عبد العزيز يقول غير مرة : إذا أراد المسلمون والعرب قتال أعدائهم ، فإن أعدّ المسلمون والعرب آلة واحدة من آلات الحرب ، أعدّ لهم أعداؤهم مئات وأُلوفاً . ولكن قوة واحدة إذا أعدّها المسلمون والعرب ، لا يمكن أعداءهم أن يأتوهم بمثلها ، هي إيمانهم بالله ، وثقتهم به . هذه القوة لا قبل لأحد بها .

أمر حربي ..

وقال يوسف : سمعته ذات يوم ، يملي أمراً « حربياً » لقادة جنده في تهامة عسير ، يوم نقض الأدارسة عهدهم . فبعد أن رسم في أمره خطة الهجوم ، وأحكم تدبيره ، قال : عليكم أولاً أن تقدموا للقتال وأنتم موقنون بالنصر من ربكم ، وأن لا يخامركم شك في نصره وتأييده ..

عقد بينك وبين الله

وأخبرني يوسف أيضاً، قال : سمعت الملك يوماً يحدّث وليّ عهده ، قبل أخذ البيعة له بولاية العهد : يا سعود .. ربي أحبّ إليّ من نفسي ، وعليّ مراعاته . ولا تطمئنّ نفسي لتسليمك ولاية الأمر ، إلاّ بعد أن أرى أنك عقدت عقداً بينك وبين ربك . لاتكفيني منك المظاهر الدينية ، بل يهمني أن أراك حالفته في خلواتك ، وتضرعت إليه في لياليك ..

الضعف والقوة

وحدثني يوسف ، قال : سمعت الملك ذات يوم ، يقول ، متحدثاً بنعمة ربه : إن ربي لم يعطني ما أعطاني عن قوة،بل أعطاني ما أعطانيه عن ضعف مني وقوة منه . اعتدت أن أحزم أمري وأجمع ما أستطيع جمعه من قوة ، لمقابلة خصمي ؛ وقد أرى أو يرى من معي شيئاً من الزهو بما أعددنا من قوة ، وأحياناً يفوتنا النصر مع القوة الكبيرة . حتى إذا قلّ عددنا، وكاد اليأس يقرب من القلوب ، هدانا الله إلى الطريق التي نسلكها للنصر ، فيفتح لنا لنعلم أن النصر من عنده ، يؤتيه من يشاء .

المنّة لله

وقال : سمعته يخاطب بعض رؤساء قبائله أيام الفتن الداخلية : لا منّة لأحد عليّ في امتلاك هذا الملك ، إلا لله وحده ، فما منكم إلا وقد قاتلت آباءه وأجداده ، بحدّ هذا السيف . لم آت منكم أحداً غدراً أو خيانة . أقدم لكم معروفي وأقدم لكم السلام والأمن ،فتعاهدوني فإذا خنتم عهدكم أعانني الله عليكم .

ومن حديث ليوسف ياسين



الشيخ يوسف ياسين

وقال يوسف في حديث له عن عبد العزيز[١] :

« خاض عبد العزيز أكثر من مئة معركة ، ولما مات .. وجدوا على جسمه ثلاثاً وأربعين ندبة وأثر جرح. كان عملاقاً ، يتمثّل فيه قوى الصحراء كلها .

وحسب الإنسان أن يفكر في مغامرة الرياض، التي أتمها عبد العزيز بقبضة من الفرسان ،حتى تمتلىء نفسه إعجاباً ...

« كان الشجاعة نفسها .. ومع هذا كان يقول :

« أنا لست أشجع من غيري .. ولكن المعركة حين تصل إلى اللحظة الحاسمة أرى بنظرة خاطفة ما لا يراه غيري ، وأعمل ما ليس يعمله غيري » .

وكان يقول أيضاً :

« لما كنت على شيء من الضعف ، كنت أكثر ما أكون جرأة . وعرفت أنني أصبحت الأقوى ، لما شعرت .. أنني أكثر أناة وحكمة » ..

وقال مرة :

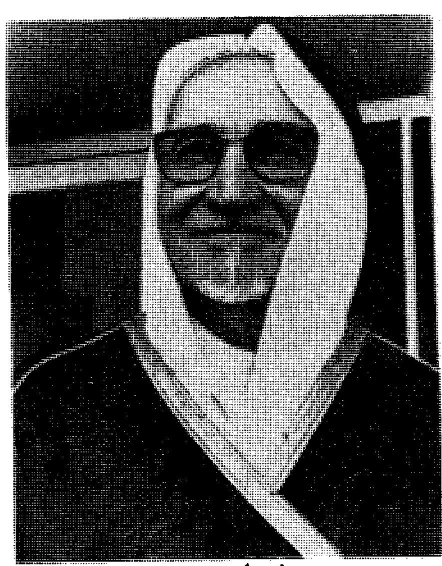
« إذا وفق الله أولادي ، كما وفقني .. فسوف يتولون مقدرات مئة مليون مسلم » .

---

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ١ : ٣٨

وفي ما يقصّه الدكتور رشاد فرعون [١]

الجلد العجيب



قال الدكتور رشاد فرعون :

« أردت أن أُخرج رصاصتين استقرتا في بطن جلالته أثناء إحدى المعارك ، فأتيت بالمخدر (البنج) لأحقنه به .. فقال لي : ما هذا :

قلت : البنج .

قال : لماذا ؟

قلت : للتسكين ، حتى لا تتألم .:

فضحك .. وقال : دعك من هذا. .. وبعد البنج ، ماذا تنوي أن تفعل ؟

قلت : بعد ذلك أشق بالمبضع جلد البطن في موضع الرصاص وأخرج الرصاص ثم أخيط الجلد ..

فطلب مني المبضع ، وتناوله بيده ، وشقّ موضع الرصاص ، وأخرج الرصاصتين. ثم قال لي : الآن تستطيع خياطة الجرح ، ولا تحتاج معي ، إلى البنج .. »

قال رشاد : لقد كان أقوى من الألم . رحمه الله .

نومه

قال فؤاد (في البلاد العربية السعودية) : كان الملك عبد العزيز ، قليل

---

(١) رشاد فرعون : من الرعيل الثاني في خدمة الملك عبد العزيز . كان طبيبه الخاص الى جانب طبيبه الأول مدحت شيخ الأرض . ورافقه في رحلات كثيرة . وبعد وفاتهعين سفيراً في باريس ثم وزيراً للصحة . وهو الآن مستشار لجلالة الملك فيصل . وهذه القصة وردت في « تاريخ البلاد العربية السعودية » ١ : ٤٠ .

النوم . قد لا ينام أكثر من ست ساعات في الأربع والعشرين ساعة . ويقسم أوقات نومه ثلاثة أقسام : ليلاً ، نحو أربع ساعات . وصَبُوحاً ، وهو المسمى بالصّفرة ، من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس . والقائلة ، قبيل الظهر . وإذا وضع رأسه على الوسادة فإنه سريع الإغفاء . وقد ينام في السيارة وعلى ظهر الذلول . ولا يستعمل السرير إلاّ نادراً ، ويفضل النوم على فراش ممدود على الأرض .

نصائح

من « ذكريات » الأستاذ أحمد علي [١] أنه تخرج بمعهد الطائف مع ٢٣ شخصاً . وهيأت لهم إدارة المعهد فرصة للسلام على الملك عبد العزيز ، فدخلوا عليه في قصره بالمعابدة (في مكة) يوم ٧ صفر ١٣٥٠ (يونيه ١١٩٣) وقدمهم إليه مدير المعهد [٢] بخطبة ارتجلها .



أحمد علي

قال أحمد علي : وشكره الملك وشكر القائمين بأمر المعهد ، ثم التفت إلينا ، وقال :

« أنتم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد . فاعرفوا قدر العلم واعملوا به ، لأن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر . لا يغرنكم ما تسمعونه من زخرف القول في الجرائد والمجلات بأن بعض الناس في الخارج قطعوا

---

(١) في مجلة المنهل ٢٠ : ٤٣٦

(٢) الشيخ محمد بهجة البيطار

شوطاً كبيراً في العلوم والاختراعات . لا يغرنكم هذا .. إنهم مع هذا أحزاب وفرق ، يضرب بعضهم بعضاً ، ولا نسمع منهم إلا أقوالاً وكلاماً لا يفيد ولا ينفع . لقد ابتعدوا عن الإسلام وبرعوا في تقليد الغرب في كل شيء .

« لقد بعث الله صفوة الخلق في هذه البلاد . ونزل عليه جبريل ، بقرآن عربي غير ذي عوج . فلنعرف قدر هذا ونحتفظ بديننا وعربيتنا . ويجب أن نحبهما حباً جماً . ولا مانع من أن نأخذ من هؤلاء الناس الأمور المفيدة ، فالحكمة ضالة المؤمن .

« حافظوا على دينكم . وقد قرأتم في هذا الباب شيئاً كثيراً . ووالله ثم والله ثم والله ؟ ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا . ولا أحلت أمراً فيه ضررنا .

ولاحظ الملك اختلاف أجناس الطلبة بوجوههم ، فقال :

« إن التفاضل لا يكون إلا بالتقوى . لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب . من كان منكم من بيت كبير ، فليحرص على أن يكون سبباً في حفظه ؛ ومن كان من آخر فليبن لنفسه ، فقد منّ الله عليكم بالعلم ، وأرشدكم إلى طريق الخير ، فاعملوا إنا لعملكم منتظرون .

وبعد هذا الاجتماع أمر القائمين بأمر المعارف أن يأخذوا رغبة كل واحد منا ، في التوظف في الجهة التي يريدها . ونفذت رغبات كل منا .

الملك عبد العزيز

ووزارة حربيته (الدفاع)

قالت جريدة « أم القرى » في ٤ شوال ١٣٦٩ (١٩٥٠م) ما خلاصته :
إن الجيش الذي كان يعتمد عليه الملك عبد العزيز ، في فجر حياته ، هو جيش الجهاد ، الذي كان مكوّناً من حاضرة أهل نجد . مضافاً إليه جيش « الإخوان » الذي كان مكوناً من القبائل البدوية الرحالة التي وضع لها نظام « الهِجَر » وأنزلها من البادية إلى الحاضرة ، وأصبحت هجرها كثكنات عسكرية . وظل هذا سائداً إلى عام ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) حين رأى الملك مجاراة تطور التسلّح ، فأمر بتكوين إدارة للأمور العسكرية ، فكان ذلك إيذاناً بغرس النواة للجيش النظامي .

وبُدىء بالعمل . فأثمرت النواة . وجرى في جدة أول استعراض للقوة العسكرية السعودية أمام الملك ، عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) وكانت مؤلفة من فوج من المدفعية ، وفوج من الرشاش ، وفوج من المشاة . وهكذا بدأت القوات النظامية تأخذ سبيلها وتنمو شيئاً فشيئاً ، إلى جانب جيش الجهاد ، وجيش الإخوان .

وفي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) بلغت القوات النظامية حدّاً اقتضى تشكيل

وكالة للدفاع ومديرية للأمور العسكرية . وأُلغيت تشكيلات الهجانة، والتشكيلات غير النظامية ، عدا جيش الجهاد . وجعلت القوات على ثلاثة صنوف : سلاح المشاة ، وسلاح المدفعية ، وسلاح الفرسان . ونُظّم الجيش على أساس كتائب وألوية . ووزع تبعاً لوضع الدولة الجغرافي ، على المناطق الآتية : المنطقة المركزية ، والمنطقة الجنوبية الغربية ، والمنطقة الجنوبية الشرقية ، والمنطقةالشرقية الشمالية ، والمنطقة الغربية الشمالية . وجعل مقر « وكالة الدفاع » بالطائف .

وفي عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) أُلغيت مديرية الأمور العسكرية . وأُقيم ما سمي « رياسة الأركان الحربية » بإدارتها وشُعَبها . وعيّن لها رئيس هيئة أركان حرب .

، ، ،

وفي أول ربيع الثاني ١٣٦٥هـ (٦ مارس ١٩٤٦م) أُنشئت « وزارة الدفاع » وعين أول وزير لها (الأمير منصور بن عبد العزيز) برتبة فريق أول . وبدأت النهضة العسكرية في الجيش بارسال البعثات المختلفة إلى الخارج، للدراسة .

وفي رجب ١٣٦٧هـ (١٤ مايو ١٩٤٨) اشتركت فرقة من هذا الجيش ، في الجهاد مع الجيش المصري ، لقتال اليهود في فلسطين ، كان قائدها العقيد سعيد الكردي . وقد أبلت هذه الفرقة بلاءً حسناً في القطاع الجنوبي من فلسطين . وعلى أثر عقد الهدنة ، في أواخر جمادى الثانية ١٣٦٨ (أواخر ابريل ١٩٤٩) تقرر إبقاء الفرقة ، بصفة موقتة ، في مصر . وادخل عدد من ضباطها وضباط الصف وجنودها ، مدارس الجيش المصري ، في مختلف فروع الأسلحة ، للتدرّب والتمرّن ، نظرياً وعملياً .

وأرسلت وزارة الدفاع بعثات إلى كلية ساند هرست ، في انكلترة ، وإلى كلية الطيران الملكي في لندن ، وإلى الكلية الحربية في مصر . وبعثات أخرى إلى أميركا للتخصص في الطيران، بمختلف فروعه، بالإضافة إلى أن



الأمير منصور بن عبد العزيز : بين الدكتور مدحت شيخ الأرض ، والمؤلف

الطيران يدرّس في الكلية الحربية في الطائف . واستمر الابتعاث إلى أوربا وأميركا متواصلاً في كل سنة ، من قبل وزارة الدفاع . وتدرّج الجيش ، متمشياً مع مقتضيات الزمن ، في أنظمته وتشكيلاته وأسلحته .

، ، ،

ونشرت جريدة « البلاد السعودية » مقالاً بقلم رئيس ديوان وزارة الدفاع « محمد شيخو » أقتطف منه الفقرات التالية ، استكمالاً للفائدة ، بشيء من التصرف :

« بعد استسلام آخر قوة من الجيش الهاشمي في جدّة ، أمر الملك عبد العزيز بإعلام جميع الضباط الذين كانوا في خدمة الحكومة الهاشمية ، أن من أراد منهم العمل في خدمة حكومته ، فليقدم طلبه . وتقدم عدد من الضباط

بطلباتهم ، فرُحّلوا إلى مكة ، وأمر الملك بضمهم إلى الشرطة موقتاً ، ولما بدىء بتنظيم التشكيلات العسكرية ، رُبطوا بالقائد عبد العزيز البغدادي ، فعينهم في أماكن مختلفة .

« وفي عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) استُقدم من سورية العقيد محمد مراد الاختيار ، وأُسندت إليه مديرية الأمن العام ، فوضع أُسس التشكيلات الإدارية والعسكرية .

« واستُدعي نبيه العظمة من سورية ، فاستمر في إدخال التحسينات الممكنة في فروع الجيش ، مدة ثلاث سنوات . وكان يساعده القائد فوزي القاوقجي . واشترك الجيش النظامي ، في خلال هذه المدة ، مع جيش « الجهاد » في إخماد حركات قامت في القسم الجنوبي من المملكة ، وأجريا أول استعراض عسكري أمام الملك عبد العزيز في جدة .

« وفي عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) أمر الملك بتعيين عبد الله السليمان الحمدان ، وزير المالية ، وكيلاً للدفاع أيضاً . وفي عهده أُنشئت « المدرسة العسكرية » على غرار المدارس العسكرية العراقية . ثم أُقفلت لبعض الأسباب .

« وفي عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) استُقدم الزعيم طارق الإفريقي ، وعين رئيساً لأركان الحرب . فوضع تشكيلات الفرقة المدرعة الأولى للجيش ، وألحقت بعد إتمام تدريبها بالحرس الملكي في الرياض . كما قام بتشكيل الفرقة الأولى للخيالة (الفرسان) ووحّد الزيّ العسكري ، والشارة العسكرية المميزة .

« وفي أواخر ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) أُسندت رئاسة أركان الحرب بالوكالة ، إلى المقدم جعفر الطيار ، قائد لواء المدفعية ؛ فبقي فيها حتى وفاته سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) وخلفه العقيد الشريف محسن الحارثي ، فافتتح عدة دورات عسكرية اشترك فيها كبار الضباط .

« وبدأت النهضة العسكرية الحديثة ، بتعيين الأمير « منصور بن عبد العزيز » وزيراً للدفاع ، ومفتشاً عاماً للجيش ، سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦) فوضع للوزارة موازنة ثابتة ، تضاعفت سنة بعد أخرى . وأرسل بعثات عسكرية إلى مصر

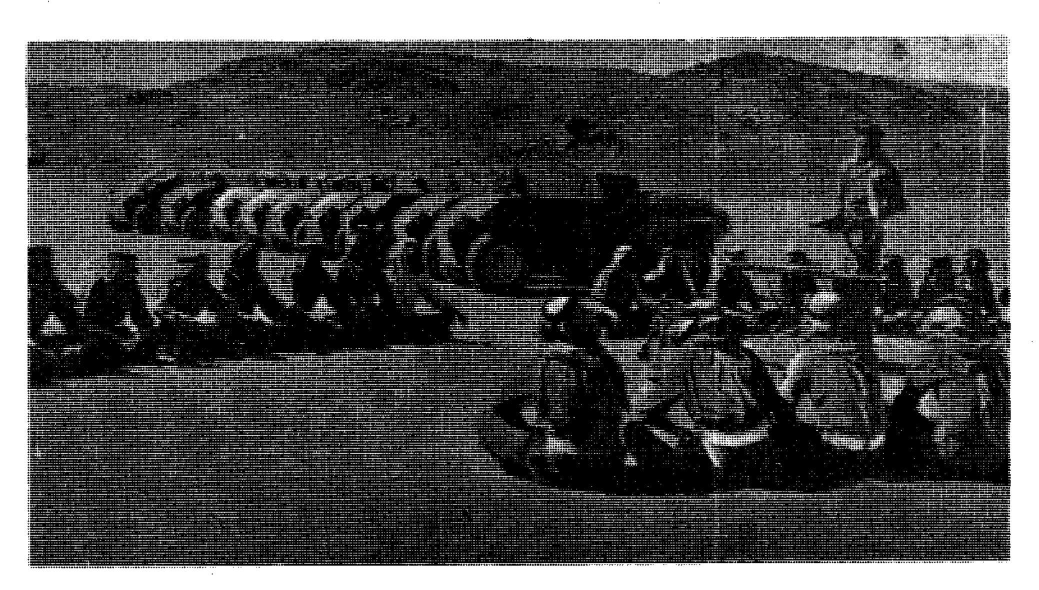
والسودان ، لدراسة ميكانيك السيارات ونظام القوافل الآلية . واستقدم بعثتين عسكريتين بريطانية وأميركية ، لتدريب الجيش على أنواع من الأسلحة ، وتدريب المشاة ورجال المدفعية الخفيفة .

« وفي عهده أُعيد فتح المدرسة العسكرية للضباط . وأُدخلت عليهاتحسينات مناسبة . وتخرج فيها إلى الآن (١٣٦٩هـ) حوالى مئة وخمسين ضابطاً .وافتتحت مدارس أُخرى للجيش ،. كمدرسة الإشارة واللاسلكي ، ومدرسة الصحة والإسعاف الأوّلي . وأُنشئت « ورش » عسكرية ، للسيارات والميكانيك والصيانة والنجارة . وأُقيم بناء « مستشفى عسكري » خارج مدينة الطائف ، يتسع لخمسمئة مريض .. وأُسس النادي العسكري للضباط ، مزوداً بمكتبة قيّمة ؛ والنادي الرياضي المسمى « أشبال المنصور » كما أنشئت مدرسة للطيران في الطائف ، أرسل بعض خريجيها إلى بريطانيا ، عدا الطلاب الذين أتموا دراستهم الأولية في الطيران ، في مطار الظهران ، وأُرسلوا إلى أميركا . ورجع عدد منهم بعد إتمام دراستهم ، فعملوا في مطار الظهران وغيره . وأُدخلت في عهده إصلاحات في إدارة المطارات ، كما عُبِّدت مدارج نزول الطائرات وصعودها ، ووضعت بها أجهزة اللاسلكي والرادار والأنوار الكاشفة.ورُبطت في عهده المدن السعودية الكبيرة بخط جوي منظم ، وأنشىء خط يربط البلاد السعودية بمصر وسورية ولبنان .

« وفي عهده نُظّمت تشكيلات وزارة الدفاع ، مؤلفة من :

أ — المكتب الخاصّ . ب— المكتب العامّ ، ج— الشعبة الأولى . د — الشعبة الثانية . هـ — شعبة المدخرات . و— المحاسبة العامة . ز — إدارة التموين . ح— شعبة النقل الميكانيكي والورش العسكرية . ط— شعبةالطيران . ي — ديوان المحاكمات العسكرية . ك — رئاسة أطباء الجيش .

، ، ،



(أمام السيارات المدرعة : جنود يصغون الى حديث مدربهم)

وبعدُ ، علّ في ما تقدم من بيانات « أم القرى » الشبيهة بالرسمية ، ومقال رئيس ديوان الوزارة ؛ ما يهيىء للقارىء أن يلمّ بشيء من سيرة وزارة الدفاع ، في خلال ربع قرن من الزمن .

وإن من الموجع ، أن تُفجع البلاد ، بعد سنين قلائل ، بفقد الأمير النشيط « منصور بن عبد العزيز » على أثر مرض رُئي أن يسافر للتداوي منه ، في بلاد الغرب ، فعاجلته منيته في العاصمة الفرنسية « باريس » سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م) ونقل على إحدى الطائرات إلى جدة . ودفن بمكة .

، ، ،

وخلفه في وزارة الدفاع ، أخوه الأمير مشعل بن عبد العزيز . وكان قد سبق له أن مارس العمل فيها أكثر من مرة نائباً عن أخيه الراحل .

، ، ،

واستقال الأمير مشعل (بعد وفاة أبيه) فتولاها الأمير فهد بن سعود ، ثم الأمير محمد بن سعود .



الأمير سلطان بن عبد العزيز



الأمير مشعل بن عبد العزيز

، ، ،

أما اليوم ، والكتاب مهيأ للطبع ،عام ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) فوزير الدفاع والطيران هو الأمير سلطان بن عبد العزيز ، منذ سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) وقد صدر مرسوم ملكي ، في ١٠ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ (٢٥ يوليه ١٩٦٩م) بتعيين الأمير تركي بن عبد العزيز ،نائباً لوزير الدفاع والطيران .

الإذاعـــة

افتتحت محطة الإذاعة للمملكة العربية السعودية بكلمة من الملك عبد العزيز ألقاها بالنيابة عنهسمو الأمير فيصل، يوم الوقفةبعرفات ٩ ذي الحجة ١٣٦٨ (أول أكتوبر ١٩٤٩) في الساعة الواحدة عربية (السابعة مساء) وهي من ذلك اليوم ، مثابرة على إذاعة برامجها في الساعة الخامسة بتوقيت جرينتش ، مساء كل يوم ، على موجة متوسطة طولها ٤١٣,٧٩ متراً بذبذبة قدرها ٧٢٥ كيلو سَيْكل في الثانية ، وعلى خمس موجات قصار .

وأضافت إلى برنامجها البدائي اليومي ، إذاعة صباحية .

ومركز المحطة بجدة . وكانت ادارتها مرتبطة بوزارة المالية .

، ، ،

وقد اطلعت على أسئلة وجّهتها موئسسة « اليونيسكو » إلى المحطة سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) وأجابت هذه بما نقتطف منه المعلومات العامة الآتية :

– تضع البرامج لجنة تجتمع مرة في الأسبوع ، موئلفة من مدير المحطات ومساعده والمراقب ورئيس المذيعين .

– ليس للمحطة موارد من إعلانات تجارية أو غيرها . وتنفق عليها وزارة المالية من مخصصات رصدت لها .

– تدفع الإذاعة مكافآت مالية ، لما يقدمه اليها كتاب خارجيون . بالإضافة إلى ما يقدمه موظفوها من أحاديث .

– للإذاعة مراسلون يوافونها بالأخبار يومياً ، في مكة والمدينة والرياض والأحساء وأبها وجازان وسائر المدن الكبيرة في المملكة .

– الموظفون فيها كلهم من المدنيين .

– سير المَوجات وفق الاتفاقات الدولية .

– آلات الإرسال في جدة تعمل على هيئة مروحة . وتعطي مصر وفلسطين

وسورية ولبنان والعراق وإيران والكويت والظهران وجميع أنحاء المملكة العربية السعودية . وهناك منطقة دائرية تستخدم فيها الموجة المتوسطة تشمل اليمن وبعض اجزاء السودان .

– تستخدم الموجات فوق العالية ، لالتقاط بعض الإذاعات الخارجية .

– الموجود من الإستديوهات : استديو متوسط في مكة ، وآخر مثله في جدة . ولكل استديو غرفة للمراقبة .

– تقوم الإدارة بعمل « أرشيف » للأفلام المسجلة لديها ، في كل من من استديو مكة واستديو جدة .

– مجموع ساعات الإذاعة في الأسبوع ٧– ١٤

– مصادر الأنباء التي تذاع : هي الدوائر الرسمية المحلية ؛ وفي مقدمتها وزارة الخارجية ، ووزارة المالية ووكالة الأنباء العربية وشركة رويتر ،وشركة الصحافة ، ووكالة الصحافة المتحدة .

– البرامج كلها تذاع باللغة العربية . اه

، ، ،

وأنشئت محطة ثانية للإذاعة ، في مكة المكرمة بجبل هندي (وادي ابراهيم) افتتحها الأمير فيصل أيضا ، في مساء رأس العام الهجري ، ليلة أول المحرم ١٣٧١ (٢ أكتوبر ١٩٥١)

وزارة

ونمت أعمال الإذاعة بعد هذا التاريخ ، نمواً اقتضته المصلحة ، ومجاراة التطور الإذاعي يوماً بعد يوم ؛ حتى أصبحت بعد عهد الملك عبد العزيز « وزارة » يتولاها الآن سنة ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) الشيخ جميل الحجيلان ، باسم « وزارة الإعلام » مقرها في الرياض ، ومعظم أعمالها في جدة .



الملك عبد العزيز ، يشير ..

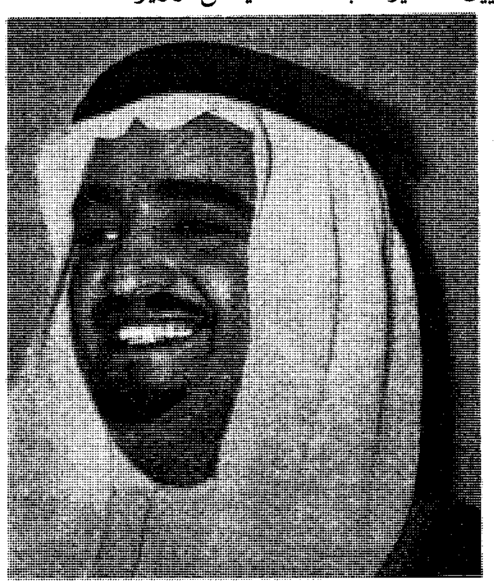
الملك عبد العزيز

ووزارتا الداخلية والصحة العامة

ظلت أعمال « الداخلية » في الحجاز والشمال وتهامة ؛ وأعمال « الصحة » العامة في معظم أنحاء المملكة ، مرتبطة بالنيابة العامة ، منذ ابتداء عهد الدولة بالتنظيم ، إلى أن صدر مرسوم ملكي بتاريخ ١٣٧٠/٩/٢ هـ (١٩٥١م) بجعلهما وزارتين مستقلتين ، وتعيين الأمير عبد الله الفيصل وزيراً لهما معاً .

واستقال الأمير عبد الله الفيصل ، فتداول وزارة الداخلية الأمير مساعد بن عبد الرحمن ، فالأمير عبد المحسن عبد العزيز ، فالأمير فيصل بن تركي .

أما الآن والكتاب ماثل للطبع عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩م) فوزير الداخلية هو الأمير فهد ابن عبد العزيز .



الأمير فهد بن عبد العزيز

وتولى وزارة الصحة ، الدكتور رشاد فرعون ، ثم الدكتور حسن

نصيف ، فالدكتور حامد هَرَساني ، فالدكتور يوسف الهاجري . وخلت بعده ؛ فتولى أعمالها (بالنيابة) وزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ .

أول مجلس للوزراء

وفي العام الأخير ، من حياة الملك عبد العزيز ، رأى أن يكون لوزرائه « مجلس » يعقدونه للتداول في المهام العامة للدولة . فافتتح أول مجلس للوزراء في عهده ، بالرياض ، يوم الأحد ٣ ذي الحجة ١٣٧٢ (١٩٥٣/٧/٢٠ م) ثم أصدر مرسوما بجعل المجلس تحت رئاسة وليّ العهد ، في ٣ صفر ١٣٧٣ (١٩٥٣/١٠/١١)

وزارات مستحدثة

ومما استحدث بعد وفاة الملك عبد العزيز : وزارة التجارة والصناعة ، يتولاها الشيخ عابد شيخ، ووزارة الإعلام المتقدم ذكرها ، ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية يتولاها الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل .

الملك عبد العزيز

في كتاب « عبد العزيز » [1]

نجح ابن سعود أيما نجاح في إيجاد الحلول لكل مشكلة . والتوفيق بلباقة بين المتناقضات ، هادفاً إلى إيجاد طريق وسط بين الرجعية المتعصبة والتقدمية العصرية ، بحيث تفيد بلاده من جميع المستحدثات العصرية دون مساس بالدين أو بالتقاليد أو العادات الموروثة . وهو أمر على جانب كبير من الأهمية ، بالنسبة للملكة العربية السعودية التي تضم مكة ، وفيها الكعبة قبلة المسلمين ؛ وعليها أن تكون أكثر الأمم الإسلامية تمسكاً بأحكام الدين والقرآن الكريم .

ومن كلام ابن سعود : « إن أجمل أيام حياتي كانت خلال سنوات النضال في الصحراء ، سنوات الجوع والظمأ والخطر . ولم تكن طويلة فقد امتدت بين عشرة أعوام واثني عشر عاماً ، ولكن كل يوم من أيامها كان يحمل في طياته الحبور والسرور .. سقى الله تلك الأيام ، وسقى رفاقها المخلصين »

وانقضى خمسون عاماً على اليوم الذي أصبح فيه عبد العزيز الشاب البالغ العشرين من العمر أميراً على الرياض . وإنها لحقبة طويلة ، تعتبر في كل مكان هبة سماوية قلما تتوفر لحاكم في الدنيا ، وخاصة في الشرق ، حيث يسود التنافس والحسد ويسري دم الشغب ، وحيث توالت الإضطرابات والإنقلابات ،

---

(١) للمؤرخ الألماني داكوبرت فون ميكوش . نقله إلى العربية الدكتور أمين رويحة . طبع في بيروت .

فتهاوى الكثير من التيجان ، وسقط العديد من رؤساء الدول والحكومات . ولكن هذه الموجة من الاضطرابات تكسرت عند صحراء الجزيرة العربية .

أنجب الملك السعودي ٤٥ غلاماً ذكراً ، ظلّ خمسة وثلاثون منهم أحياء ، وأصبح لأكثرهم أبناء تتفتح صدورهم للحياة .

وفي الوقت الذي بلغ فيه ابن سعود هذه المرحلة من العمر ، أصبحت حالته تشبه إلى حد بعيد ، الحالة التي كان فيها روزفلت . واستمر مع ذلك محتفظاً بجميع قواه الفكرية ، لحكم مملكته البالغ عدد سكانها ستة ملايين ، منتشرين في المدن والقرى والواحات والصحراء .

لم يصبح ابن سعود عظيماً بفضل الإرث . ولكنه استطاع ، بشخصيته الفذة التي ليس لها في التاريخ العربي مثيل . تأسيس مملكته وتوحيد الجزيرة العربية ، وتجديد تعاليم الإسلام ، وتوطيد الأمن الذي كان ولا شك من أهم ما أخذه ابن‌سعود على عاتقه من مهمات . وبقي أن يستمر الجهد بعد اكتشاف الزيت ، حتى ينال آخر بدوي نصيبه من ثروة البلاد ، ويستمر الجهد لإكمال العمل الذي بدأه ابن سعود خلال حكمه الطويل الأغر . ولئن مات ابن سعود فسيظل في التاريخ العربي حياً ، كرجل عظيم فريد من نوعه ، شقّ الطريق لشعبه وللأمة العربية نحو قمة المجد .

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

في الإذاعة الباكستانية

في سلسلة أحاديث عنوانها « أبطال التاريخ الإسلامي الحديث » للسيد كاظم الحيدري مراقب البرامج العربية في إذاعة « باكستان » حديث عن الملك عبد العزيز ، أذيع في مساء (٢٣ نوفمبر ١٩٥١) قال فيه :

خير تاج نتوج به هذه الأحاديث هو الحديث عن عاهل مسلم عظيم ، سارت شهرته في الآفاق ، وملأت اعمالهالباهرة صفحات التاريخ الحديث ، وسجلت مبراته سطوراً ذهبية لا في التاريخ الإسلامي السياسي فحسب ، بل في تاريخ الفكر الإسلامي والثقافة العربية أيضاً .

عرفه الغرب ، وعرفه العرب والمسلمون ، باسم « أسد الجزيرة العربية » وهو بحق أسدها وبطلها . ولد وشهد ملكاً سلب من آبائه وأجداده ، وترعرع وهو يرى الجزيرة نهباً للنزاع والخلاف والتناحر . وشبّ وهو يشهد في هذه البلاد حزازات عشائرية وخلافات قبلية ، وعراكاً دائماً تدعو إليه عصبية قديمة أو جهالة مقيمة . وأراد أن يعمل ولكنه كان وحيداً في قومه ، نائياً عن عشيرته ، ليس له غير الله تعالى ، وغير إيمان ثابت ، وعقيدة بالحق راسخة ، وعزم على إعلاء كلمة الله لا تنال منه شدائد الدنيا . لقد تحمل الاغتراب ، ولم يطرق الأبواب . وصمم على أن ينال الحق بيمينه ، لا بيمين غيره .

ولسنا في معرض الحديث عن تاريخ كفاح العاهل السعودي أو عن معالم

انتصاراته في ميادين السيف ، أو مفاخره في ميادين الكفاح لإعادة الحق إلى نصابه والعرش إلى أصحابه ؛ وإنما نحن نتحدث عنه كبطل من أبطال التاريخ الإسلامي ، فنقول : إن ابن سعود كانت دعوته دعوة الحق إلى طريق الله . لقد اراد أن يطهر الإسلام مما علق به من أدران ، وما شابه من دخيل العقائد وفاسد التقاليد . أراد أن يرجع بالإسلام إلى الكتاب والسنة والإجماع وحكم الشريعة السمحة ، فكان أول من بدأ التجربة التاريخية الكبرى في إنشاء دولة قوية عزيزة تقيم للدين أركانه ، وتعيد للإيمان بنيانه ، وترفع راية الإسلام وتظهر برهانه .

وفتح الله عليه بالنصر ، وفتح عليه بالفلاح ، فوحد الجزيرة بعد شتات ، وتقرب إلى الرؤساء والملوك بعد بعاد ، ووثق العلاقات بين الإخوة ، وقضى على الحزازات فخرج من كفاحه منصوراً طاهراً كما دخل معركته الأولى منصوراً ظافراً .

ورأى هذه البلاد التي يسرها الله تعالى لملكه ، و قيضه لحكمها ، تفيض بالخير العميم ،فراح يخرج الدر من الأرض ويُسيل التبر من التراب ،فيتوافر المال لديه ، ويشرف على شؤون الرعية قبل الراعي ، وعلى أمور الدولة قبل الحاكم ، وعلى صالح المملكة قبل الملك . بل إن هذا الخير عمّ ملأ المسلمين الذين يحجون إلى البلد الحرام ، بمئات الآلاف في كل عام .

وهذه هي الجزيرة العربية تُقبل على عهد ميمون من الخير والبركة . وهذه هي مدن الحجاز ونجد ، ترى الكهرباء والماء وكانت حُرِمتهما . وهذه خطوط السكك الحديدية تمتد فوق رمال الصحراء ، فتربط القاصي من المملكة بالداني ثم إن هناك نهضة مباركة رائعة في التعليم والصناعة والثقافة والصحة . وهناك عناية بالعلوم والفنون . وهناك التفات للدفاع ورعاية للدين . وكل هذا هو من مظاهر الحكم الصالح للملك الصالح .

من ذكريات الصّبان[١]

[١]

أمرني الملك عبد العزيز ، يوماً أن أكتب ما يمليه عليّ ، في بلاغ يختص ببعض الشؤون في المملكة ، فصرت أكتب ما يملي عليّ ، بلغة فصيحة . ولما أكمل الإملاء ، قال لي : اقرأ ما كتبت فقرأته عليه . فضحك وقال :



الشيخ محمد سرور الصبان

— إنني اعرف انك متعلم ، تحسن الكتابة بالعربية الفصحى ، ولكني أخاطب بهذه الكتابة أبناء البادية الذين يفهمونها .

فقلت : سمعاً وطاعة . وعدّلت جميع ما كتبت وقرأته عليه . فأعجبه ، وأمر بصدوره .

[٢]

وصل الملك يوماً من جدة إلى مكة . ووقفت سيارته على باب القصر . ولم

---

(١) محمد سرور الصبان : من كبار رجال المال والأعمال في عهد الملك عبد العزيز وبعده . ولد في القنفدة سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٩م) ، من أصل صومالي وانتقل إلى جدة صغيراً ثم إلى مكة . وتعلم فيهما. وتقدم بأدبه وذكائه ، إلى أن كان بعد وفاة الملك عبد العزيز ، وزيراً للمالية . وهو الآن – سنة ١٣٨٥هـ – الأمين العام للرابطة الإسلامية بمكة . نشر بعض « ذكرياته » عن الملك عبد العزيز ، في مجلة المنهل ٢٣ : ٧٢٠

تحضر « عربة اليد » التي كان يركبها من السيارة إلى الباب ، فنودي عليها ، وعلى « أمين العبد العزيز » ولا من يجيب . فتحامل الملك على نفسه ، ونزل من السيارة ومشى الهوينا ، وأهل جدة يمشون وراءه ، حتى وصل إلى باب البيت . وكنت واقفاً بجانب طريقه ، ورآني مبتسماً فقال لي : ما لك تضحك ؟ فقلت : لأنني مسرور .

قال : لماذا ؟

قلت : لأنني رأيت جلالتك تمشي على قدميك ورآك الناس ، وأدركوا أنك بخير ولله الحمد .

وظهر السرور على وجه الملك ، فأمسك بيدي ، وقال : اجلس عندي . وأمر أهل جدة بأن يدخلوا ويتعشوا . وجلست إلى جانبه ، فقال لي : إنني فكرت كيف تكون حالتي بعد ظهور عدم وجود العربه ؟ أيحملني الناس ؟ وهذا أمر لا يليق .. أم ماذا أفعل ؟ ومن ثم تحاملت على نفسي ومشيت بكلفة كما تراني ولكني متأثر .

[٣]

وفي ذات مرة ، بعد انتهاء حرب اليمن ، ناداني ، وقال لي :أحضروا السيارات في جدة ، وبمجرد وصول « الإخوان » والجيش من البحر ، انقلوهم في السيارات . ولا بأس من أن يعتمروا ، وإذا أدوا العمرة فعليهم أن يذهبوا حالاً إلى بلادهم ، لئلا يكون منهم على المدن بعض ما لا يحسن .

ثم همس في أذني وقال : إذا كان معهم شيء من الأموال (الأمتعة) التي تقتضي رسوماً فأعرضوا عنه .. المهم سرعة ترحيلهم .

من ذكريات أحمد علي[1] :

رسالة مع الفرّاش :

شاع اليوم ١٩ رمضان ١٣٥٦ بين رواد القصر الملكي أن الملك عبد العزيز يريد القيام برحلة . ودارت الهمسات بين (الحويا) بأنه ينوي الحجاز .

واجتمعنا في مسجد القصر بالشيخ يوسف يس فسألناه : هل يكون لنا نصيب في رحلة الحجاز إذا فرض أن جلالته يريد الإعتمار ؟

فقال : أما نحن ، أي أهل الشعبة السياسية ، فقد أمرنا بأن نستعد للسفر الى مكة . وكانت إجابته (ديبلوماسية) لم تكشف لنا شيئا من ناحيتنا .

واجتمعنا عند باب القصر بالاستاذ فؤاد حمزة ، فسألناه ، فقال : من المستحسن أن تسألوا الملك نفسه . وعملاً بإشارته ارسل الشيخ عبد الله خياط خطاًبا إلى جلالته ، مع فراش المدرسة ، فدخل الفراش على جلالته وهو في مجلسه بالقصر وقدم الخطاب بيده ..

وبعد برهة قليلة جاء رسول من الشيخ إبراهيم بن عيدان رئيس شعبة البادية بديوان جلالته ، وقال :

---

(١) الأستاذ أحمد علي أسد الله : كان من مدرسي « مدرسة الأنجال » في الرياض . ثم عميد كلية الشريعة بمكة ومفتشاً بوزارة المعارف . وكتابه « آل سعود » في تاريخهم القديم والحديث ، من أفضل المختصرات في الموضوع . نشر بعض ذكرياته في مجلة المنهل : المجلدات ٢٤و٢٥و٢٦

« يسلم عليكم جلالة الملك ويقول : « استعدوا » ..

ثم جاءنا مع رئيس الخاصة الملكية ، السيد الطبيشي ، أوراق « الذهاب » أي زاد السفر وما يتعلق به .

من مجالس الملك

وفي اليوم التالي ، صلينا التراويح . وبعدها حضرنا مجلس الملك الليلي ، وكان ينعقد في جانب من أسطحة القصر ، والحاضرون يجلسون على الكراسي الخشبية المستطيلة المبطنة بالقطن والقماش أي بلغة مكة « الكرويتات »

وكان قصدنا من الزيارة التأكد من موعد السفر .

وابتدأت الجلسة بقراءة الشيخ عبد الرحمن القويز صفحات من تاريخ ابن كثير ، ودرساً في تفسير ابن كثير ، ثم في كتاب عن فضائل رمضان .

وبعد أن انتهى الشيخ القويز من قراءته التفت الملك إلى الشيخ عبد الله خياط وقال : اقرأ علينا وطوّل ..

فقرأ الشيخ جزءاً من سورة الفتح .. وكنت ألاحظ الملك وهو يستمع للقرآن ، فرأيت علائم الفرح والسرور على وجهه عندما قرأ قوله تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ، محلقين رؤوسكم ومقصرين ، لا تخافون .. الآية »

سيارة

وبعد القراءة استأذنا وخرجنا ، وعند مخرج المجلس قدم لنا رئيس الخدم في القصر ورقة فيها الأمر بإعطائنا سيارة من سيارات النقل للسفر . وكان هذا الأمر شيئاً عظيماً ، لأن السيارات في تلك الأيام لم يكن يتحصل عليها إلا الأمراء . اما غيرهم فيعطون أوامر للركوب مع فلان والاشتراك مع فلان .

اقطعوا لهم اللحم :

وأُقيمت في القصر الملكي حفلة عشاء ، يوم ١٣٥٧/٤/٧ دعي إليها الموظفون وأعيان الرياض ، وفي مقدمتهم الأمراء ..

وجاء دخول المدرسين إلى قاعة الطعام متاخراً ، فرآنا الملك ونحن ندخل القاعة ، فلم يسمح لنا بالتقدم ، بل أجلسنا على مائدته وأخذ يقول للأمراء : إنهم يستحون فاقطعوا لهم اللحم ...

عطر المتعلمين :

قام الملك عبد العزيز بزيارة مفاجئة لمدرسة الأمراء في الرياض . ودخل إحدى غرف التدريس . واجتمع حوله التلاميذ ، من أطفال آل سعود . فلاحظ في ثوب أحدهم بقعة كبيرة من الحبر ، يحاول إخفاءها عن نظر أبيه . فقال له : لا تخفها ؛ هذا عطر المتعلمين .

سيارته في الزحام :

كان الوقت قبيل الغروب ، وحركة السير في الرياض على أشدها . قال أحمد علي : وكانت سيارتنا في خضمّ من البشر . وإذا بالسائق ينحرف الى جانب من الشارع . ومر موكب الملك عبد العزيز بسرعة . ولولا وقوف الحارسين على جانبي سيارته ما عرفنا أنها سيارة الملك ...

شرف الجوار

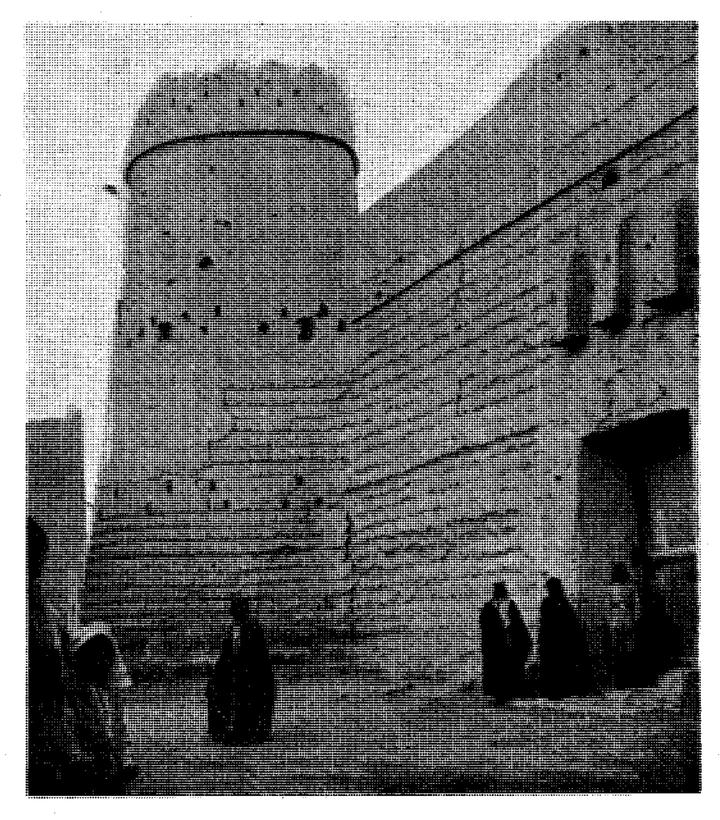
في كتاب « ليلة المصمك » [1]أن عبد العزيز بنى قصراً في الرياض ، سنة

---

١ – ليوسف إبراهيم يزبك . والمصمك – والصواب المسمك – من قصور الرياض . جاء في « عقد الدرر» ص ٤٨ : بناه الإمام عبد الله بن فيصل ، لسكناه .

١٩٣٦ واحتاج إلى أرض كانت في جواره ، يجعلها حديقة . وكان في تلك الأرض بيت حقير متهدّم أبى صاحبه أن يبيعه بأضعاف قيمته . واستغرب عبد العزيز عناد مالك البيت ، فطلبه وضاعف له المبلغ . فأصرّ المالك على الرفض وقال : يا طويل العمر ! من يصح له شرف جوارك ويبيعه ؟ وأُعجب عبد العزيز بالجواب ، فأمر بإبقاء البيت المتداعي « عورة » في الحديقة ، حتى مات صاحبه فاشتراه من أولاده .

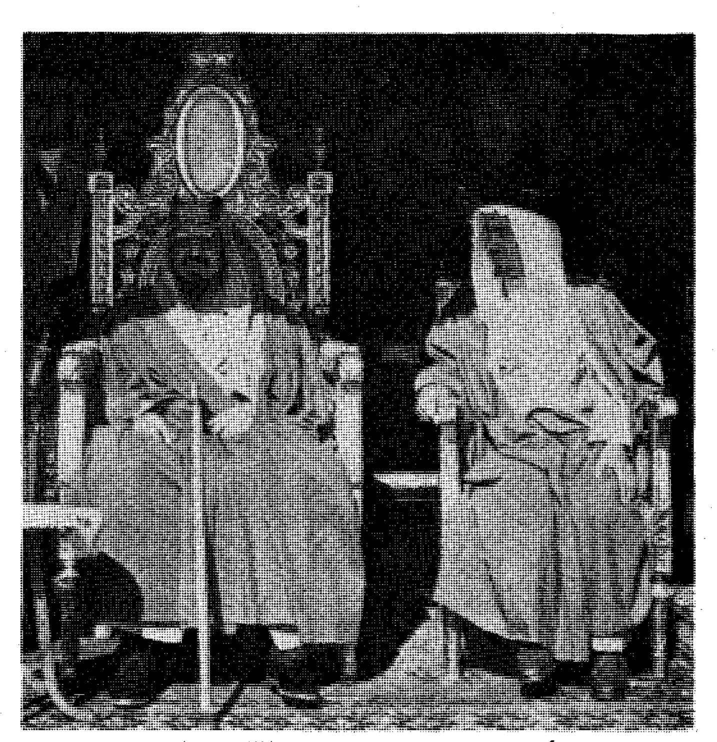
قال راوي الخبر : هذه قصة تشبه طاحونة Sans Souci ولكن عبد العزيز البدوي العربي بذّ فيها فريديريك الكبير ، بعدله وضميره وجميل تصرفه .



قلعة المُسْمَك في الرياض

الملك عبد العزيز

مستشاروه وسفراؤه ووزراؤه المفوضون[1]



الأمير عبد الله بن عبد الرحمن مع الملك عبد العزيز

تقدم ذكر بعضهم، أو أكثرهم ، متفرقين ؛ وهم :

(١) كتب هذا الفصل سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ثم أعيد النظر فيه .

الأمير عبد الله عبد الرحمن — مستشاره الدائم [١]

أحمد بن ثنيان — مستشار [٢]

الدكتور عبدالله الدملوجي — مستشار ، وأول وكيل للخارجية [٣]

يوسف ياسين — وزير دولة ، وسكرتير الملك الخاص — توفي في الدمام ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م) وورد ذكره كثيراً في هذا الكتاب .

فؤاد حمزة — وكيل الخارجية ، فوزير دولة ، فمستشار ، فوزير مفوض . توفي في بيروت ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م)

خالد أبو الوليد القرقني — مستشار. اعتزل العمل بعد مدة قصيرة من وفاة الملك عبد العزيز . ويقيم الآن في بلده طرابلس الغرب .

بشير السعداوي — مستشار . استقال وانصرف إلى قضية بلاده « ليبيا » وتوفي ببيروت ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م)

حافظ وهبة — وزير مفوض ، فسفير في لندن .أحيل إلى التقاعد مؤخراً وتوفي في روما ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧م)

فوزان السابق — وزير مفوض بمصر . أحيل إلى التقاعد . وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م)

---

(١) أخو الملك عبد العزيز .كان الملك يرجع إلى رأيه في جل مهام الدولة. واستمر على ذلك إلى آخر ساعة من حياة عبد العزيز . ولا يزال موضع الثقة والتقديم لدى خلفاء عبد العزيز .

(٢) تقدم ذكره . وكان يحسن اللغتين الإنكليزية والفرنسية إلى جانب العربية والتركية . وفي تاريخ نجد الحديث ٢٧٧ ما يستفاد منه أن آخر عمل قام به ابن ثنيان في خدمة الملك عبد العزيز ، هو حضوره مؤتمر المحمرة سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م)

(٣) انظر كلمة عنه في تاريخ نجد ، لفلبي ٣٤٤ وملوك العرب ٢ : ٣٩ وكتاب عبد الله فلبي لخيري حماد ٥٥ ويفهم من المصدر الأول أن الدكتور الدملوجي عمل في خدمة الملك عبد العزيز من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٤٠

خير الدين الزركلي (المؤلف) — وزير مفوض، ومندوب دائم لدى جامعة الدول العربية، فسفير في المغرب. فسفير في وزارة الخارجية.

أسعد الفقيه — وزير مفوض ببغداد، ثم بواشنطن. وأعفي.

عبد الله ابراهيم الفضل — وزير مفوض بمصر. توفي مستشفياً في لوزان سنة ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م)

عبد العزيز بن زيد — وزير مفوض بسورية ولبنان. من أهل حائل توفي ببيروت ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

ابراهيم بن معمَّر — وزير مفوض ببغداد. نقل منها قائم مقام لجدة، ونحي فأقام فيها إلى أن توفي.

يوسف الفوزان — قنصل عام في بومباي، وهو الآن السفير في طهران

محمد عيد الرواف — وزير مفوض ببغداد. أعفي من العمل.

عبد الله الخيال — وزير مفوض ببغداد، ثم بواشنطن. أحيل إلى التقاعد.

الدكتور مدحت شيخ الأرض — طبيب خاص للملك، فسفير في مدريد، فبرن، فباريس.

عبد العزيز الكحيمي — قنصل في القدس، فوزير مفوض بعمان، فسفير ببيروت، ثم ببغداد وتوفي بها.

توفيق حمزة — وزير مفوض في أنقرة. أحيل إلى التقاعد.

عبد الحميد الخطيب — وزير مفوض في باكستان. أعفي، وتوفي في دمشق.

حمزة غوث — وزير مفوض في إيران. أحيل إلى التقاعد.

فؤاد الخطيب — وزير مفوض في أفغانستان. توفي بكابل ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م)

الدكتور رشاد فرعون — طبيب خاص للملك . فوزير مفوض في مدريد فباريس ، فوزير للصحة ، فسفير في باريس . وهو الآن المستشار الملكي الخاص في الرياض .

موفق الألوسي — وزير مفوض في روما . أحيل إلى التقاعد .

فخري شيخ الأرض — قنصل في البصرة ، فوزير مفوض في أندونيسيا ، ثم في النمسا . وهو الآن السفير في المغرب .

محمد بن عبد الرحمن العبيكان — وزير مفوض بصنعاء . ثم في الخرطوم . وأحيل إلى التقاعد سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)

الملك عبد العزيز

والزراعة في عهده

لم يكن للزراعة ، في ابتداء تنظيم الدولة ، حظ كبير من عناية الملك عبد العزيز وحكومته . فالعاصمة (مكة) واد غير ذي زرع . وجدة لا ماء فيها لشرب أهلها ، فضلاً عن ري أرضها . والرياض (عاصمة الأسرة المالكة) يُسقى القليل من البساتين حولها ببضع آبار وعيون ، أو بالسيل يوم يفيض الوادي . وتهائم عسير ، الموصوفة بالخصب المنقطع النظير ، لا سبيل إلى الاتصال بها إلا بشق الأنفس . ومثلها ما في أطراف البوادي الشاسعة من واحات كانت الدولة الناشئة في شاغل عنها بما تعالجه في مطلع عهدها من إنشاء ، وإقامة دعائم .

وتفتحت الأعين يوماً بعد يوم ، على مياه الأحساء والخرج ووادي فاطمة والقطيف وحائل والطائف وبلدان أخرى وقرى منتشرات في طول البلاد وعرضها ، وما في تلك البلدان والقرى من مزارع وبساتين كلها في حاجة إلى التنظيم والتنمية والاستثمار .

وأمر عبد العزيز معتمديه ، في العراق ومصر وسورية ، باختيار عدد من المهندسين الزراعيين ومساعديهم ، للعمل في بلاده وجاءته « بعثات » منهم عملت في كثير من الجهات . ثم استقدم جيولوجيين أميركيين للتنقيب عن المياه في مظان وجودها ، وزراعيين أميركيين أيضاً تم تنظيم مياه « الخرج »



القناة الرئيسية في « الخرج » قبل الإصلاح الحديث

على أيديهم ، بعد أن اختصم افراد البعثة العراقية فيما بينهم وعادوا إلى بلادهم متفرقين ، وأنهك بعوض المياه المتجمعة في الخرج ، قوى البعثة المصرية . وما أنسى مهندساً للري من تلك البعثات ، كان يعدّ في بلده من أنشط الناس ؛ قابلته بمكة ، وقد مضى عليه في « العمل » أكثر من ستة أشهر ، وطالت لحيته فسألته عن حاله ، فأعرب عن سرور وابتهاج حسبتهما من نجاحه في مشروع

قام به ، ولكنه قال : أمس ، انقضى أربعون يوماً كنت فيها صائماً لا يدخل جوفي إلا الماء ، ومن فوائد هذا الصوم كيت وكيت ! ... فحملقت في عينيه لأرى ما طرأ عليه ، وقلت : أجئت تعمل أم تصوم ؟.. وكم كان لهذا من أشباه أبطأوا بسير مرافق الدولة ، صائمين أو نائمين ..



كيف كانوا يستخرجون المياه ، في وادي الرمّة

، ، ،

تقرير

ومن أوثق ما كان في متناول اليد ، من مصادر عن الزراعة في البلاد العربية السعودية « تقرير » وضع في أواسط سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) على أثر دراسات فنية في بعض أنحاء المملكة ، قامت بها بعثة أميركية استدعاها الملك عبد العزيز لهذه الغاية . أقتبس منه « الخلاصات » الآتية :

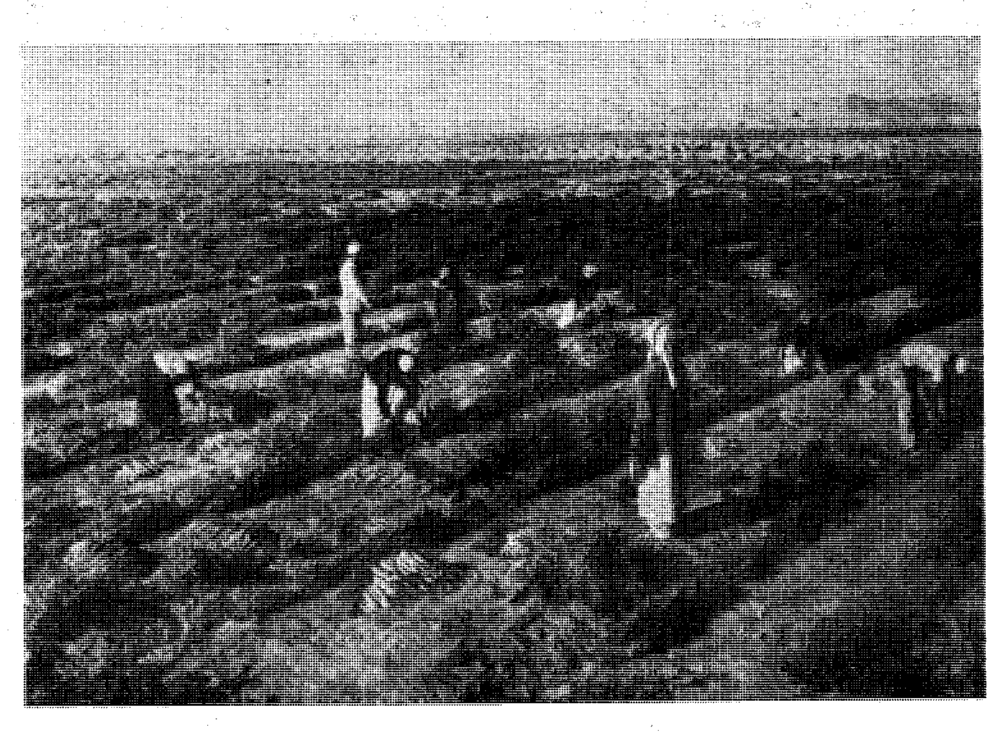
– في مقاطعة القطيف ، نحو ٩٠٠٠ فدان مزروعة تموراً وبرسيماً وخضاراً ؛ ونحو ٣٠٠٠ فدان يمكن إصلاحها للزراعة .

– وفي الهفوف (بالأحساء) نحو ٢٥٠٠٠ فدان مزروعة نخيلاً ، ونحو ٢٠٠٠ فدان تزرع خضاراً وبرسيماً وحبوباً وفواكه . وهناك منطقتان يمكن إصلاحهما لزراعة القمح والشعير والفواكه وغيرها ، مساحتهما نحو ١٥٠٠٠

فدان . وفي الهفوف ، مساحات تصلح لزراعة الأرزّ (زرعت أرزاً بعد ذلك) وتقدر المياه التي تفيض من عيون الهفوف ، بنحو ٤٢٢ متراً مكعباً في الدقيقة ؛ وتزيد كثيراً في الشتاء .

— وواحات يبرين ، التابعة للأحساء ، مساحتها نحو ٧٥٠٠ فدان . وهي على بعد ٢٦٠ كيلاً (كيلو متراً) من الهفوف جنوباً .

— ومزارع الخرج (في نجد) ترتفع عن سطح البحر ما متوسطه ١٣٦٠ قدماً (٤١٥ متراً) وهي ٢٥٠٠ فدان مزروعة . تنتج التمور والبرسيم والقمح والذرة ، وكثيراً من أنواع الفاكهة والخضار . (أضيف إليها نحو ألف فدان استُصلحت وزرعت بعد ذلك . وهي اليوم من أخصب مزارع المملكة) .



من مزارع « الخرج »

– وادي نَجْران (في عسير) طوله ٤٤ كيلاً ، المزروع منه مساحة طولها نحو ٢٠ ك . وعرضها يتراوح بين كيل واحد وخمسة أكيال . وارتفاعه عن سطح البحر يبلغ ٤٠٠٠ قدم (١٢٢٠ متراً) وفيه منطقة بقرب رجلة وذات الأخدود ، مساحتها نحو ٢٥٠٠ فدان ، هي أصلح ما تكون لزراعة قصب السكر . وفي الوادي عيون كثيرة غير جارية ، منها عين الحصن .

– وادي طَرِيب (في عسير) يرتفع عن سطح البحر ٥٧٠٠ قدم . زراعته التمور .

– خميس مشيط ، ووادي رفيدة ، وأبها ، وثربان ، وبدلة ، والسقي ، والفرحان (في عسير) يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر ، بين ٦٠٠٠و٨٠٠٠ قدم . وهي مزروعة قمحاً وشعيراً وعنباً .

– تهامة ، والدرب ، وبيش ، وصبيا ، وأبو عريش (في تهامة عسير) تنبت من محاصيل الذرة والدخان نباتاً يدعو إلى الدهشة . وهي تزرع وتسقى بمياه السيول فقط .

– حماة ، وصلب ، وعرق ، وحريقة (في عسير) واد على طول حدود اليمن . يرتفع عن سطح البحر نحو ٧٥٠ قدماً . ويبعد عن جازان ٩٣ كيلاً . فيه مزارع صغيرة ، وفيه منطقة مساحتها نحو ٢٥٠٠ فدان ، صالحة لزرع قصب السكر والذرة . وهناك مراع كبيرة للأبقار ،على طول الوادي[١].

إنشاء « مديرية » للزراعة

كان التعاقد مع أفراد البعثات ، والإشراف على عملها، منوطين بوزارة المالية مباشرة ، مدة ربع قرن .

وفي رجب ١٣٦٧ (ابريل ١٩٤٨) أُنشيء في جدة ، جهاز لهذه المصلحة على نطاق محدود من المواطنين الفنيين والإداريين ، سُمي « مديرية الزراعة »

(١) وفي كتاب « المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية » لتويتشل ، فصول في الزراعة والمناطق المزروعة والصالحة للزراعة في البلاد السعودية يمكن الرجوع إليها .

يتولاها محمد صالح القزاز ، ويرعاها وزير المالية عبد الله السليمان .

وفي رجب ١٣٦٨ (ابريل ١٩٤٩) قدم القزاز (المدير) إلى ابن سليمان تقريراً عن أعمال المديرية في عامها الأول ، طبع في ١٤ صفحة ، أهمّ ما فيه :

— جلبت مكائن لري بعض الأراضي الزراعية ، فوزعت ٦٣٤ مكينة باعتها للمزارعين ، بالتقسيط لآجال طويلة أقصاها خمس سنوات .

— درست إنشاء سدود في منطقة الطائف ، مبتدئة بسدّ « عكرمة » في وادي وجّ .

— جلبت حفارتين « أرتوازيتين » إحداهما لمنطقة الطائف ، والثانية لاستخدامها في تجاربها .

— استوردت نحو ٣٠,٠٠٠ شجرة كاليوكالبتس والكازورينا ، لصدّ الرياح لتشجير الطريق بين مكة وجدة ، ولمنطقة العاقول .

— استحضرت سبع جرارات (تراكتورات بلدوزر) للحرث ، ووزعتها في بعض الجهات لإصلاح الأراضي الزراعية وحرثها بأجور يسيرة . (وقد أقبل عليها أصحاب المزارع ، فجلبت في العام التالي عشرة أُخر ، من أحجام مختلفة) .

— وجهت اهتمامها إلى إدخال بعض الأنواع المرغوبة من الفاكهة ، فاستوردت ٦٢٥٢ من أشجار البرتقال واليوسفي والمانجو والعنب والخوخ والمشمش والتفاح وغير ذلك . ووزعتها على أصحاب المزارع مجاناً .

— جلبت كميات من البذور ، لأنواع الحبوب والخضار ، من أميركا وسورية ومصر ، لتجربتها .

— عُنيت بإنشاء بضع مزارع نموذجية ، لتكون مدارس عملية لمجاوريها من المزارع ، كمزرعة كيلو ١٠ من جدة (في طريق مكة) ومزرعة أمّ القرون على بئر أم القرون بقرب جدة ، وغيرهما .

— أنشأت في كل من الرياض ، والقصيم ، والمدينة « ورشة » ميكانيكية لإصلاح مضخات الماء والآلات الزراعية .

– أعلنت بأمر الملك عبد العزيز عرض الأراضي الحكومية « الغامرة » على الراغبين في استئجارها لقاء عُشْر نتاجها .

– قامت بتوزيع قروض على بعض المزارعين ، لشراء الآلات الحديثة وإصلاح قنوات الينابيع وأمثال ذلك . فبلغ ما اقرضته سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ١,١١٦,٠٠٠ ريال سعودي .

– مثلت المملكة العربية السعودية ، لأول مرة ، في مؤتمر التغذية والزراعة بالقاهرة .

– ميزانيتها : نيف و ٣٠ مليون ريال سعودي .

، ، ،

واتسعت « المديرية » شيئاً فشيئاً . ولم يتجاوز عدد موظفيها سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ، مئة وخمسين موظفاً ، بين إداريين – هم الكثرة – وخبراء زراعيين ومهندسين ميكانيكيين وأشباههم ، وُزّع معظمهم على فروع المديرية ، في الرياض والقصيم والقطيف والمدينة والطائف وتربة والخرمة وبيشة ورنية .

الوزارة

كان هذا سنة ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ، وهو اليوم أشبه بمذكرات للتاريخ . فقد تدرجت أعمال الزراعة في نهضتها ، كسائر مرافق البلاد ، وأصبحت لها ، بعد نحو شهر من وفاة الملك عبد العزيز « وزارة » ضوعفت فيها موازنة الدخل والخرج ، أضعافاً ما زالت تنمو إلى الآن .

وأول « وزير » عين للزراعة الأمير سلطان بن عبد العزيز ، في ١٨ ربيع الثاني ١٣٧٣ (٢٤ ديسمبر ١٩٥٣)

ولمّا ولي الأمير سلطان،وزارة الدفاع ، دعي أمير الإقليم الشمالي عبد العزيز بن أحمد السديري إلى تولي وزارة الزراعة ، فترك تبوك والجوف ووادي السرحان ، وانتقل إلى جدة . ولكنه ما كاد يتسلم أعمال الوزارة ، حتى وافته منيته بجدة ، بعد أسابيع من وصوله إليها ، سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) .

وتولاها بعده الشيخ خالد السديري ، ثم السيد عبد الله الدباغ ، فالشيخ عبد الرحمن بن سليمان من آل الشيخ ، فالشيخ إبراهيم السويل .

ويتولاها الآن سنة ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م) الشيخ حسن المشاري ،باسم « وزير الزراعة والمياه »

الملك عبد العزيز

والطباعة والصحافة في عهده

كان تقدم الطباعة والصحافة في عهد عبد العزيز ، بطيئاً ، لا يتناسب مع نواحي النشاط الأخرى في الدولة . أو هو بتعبير آخر ، لا يصح اعتباره من مقاييس التقدم العامّ فيها . ومن هذا أن الصناعتين ظلّتا إلى أواخر أيامه ، منزويتين على الشاطىء الغربي من شبه الجزيرة ، لم تتعدّياه إلى الشرق أوالجنوب أو الشمال .

الطباعة

كانت في مكة مطبعة حكومية هرمة ، من بقايا العهد العثماني . لعلها المطبعة التي كان ابن زيني دحلان ، أول من تولى نظارتها [1] وطبعت عليها جريدة « القبلة » في العهد الهاشمي . وجُدّد إنشاؤها في عهد الملك عبد العزيز ، بإضافة « مكينة » حديثة إليها .

وكان إلى جانبها — بمكة أيضاً — بضع مطابع أهلية صغيرة ، اشترتها الحكومة السعودية وضمّتها إلى الأولى ، وسمّتها جميعاً « مطبعة أم القرى »

---

(١) في معجم المطبوعات لسركيس ١ : ٩٩٠ في ترجمة أحمد بن زيني دحلان ، ما نصه : « وفي زمانه أنشئت في مكة أولى مطابعها ، فكان متولياً نظارتها » وتوفي دحلان سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٦ م

لأن جريدة « أم القرى » كانت تطبع عليها . ثم أفردتها بإدارة مستقلة عن الجريدة ، وسُمّيت « مطبعة الحكومة » وزادت عنايتها بها فجلبت لها خبيراً فنياً من سورية ، لتعليم بعض السعوديين فني « الحفر » على الزنك ، وعمل « الطوابع » وأُنشيء لهذين الفنّين أو الفرعين ، معمل خاص ، سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) واستمرت هذه المطبعة محوراً لحركة الطباعة وتموين الدوائر الحكومية بحسب طاقتها .

كذلك كانت إلى جانب مطبعة الحكومة بمكة ، مطبعة أنشأها الشيخ ماجد الكردي سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وزوّدها بآلات حسنة بالنسبة إلى ما كانت عليه حال الطباعة في ذلك الوقت . وقد ثبتت هذه المطبعة أمام الحوادث ، وتوفي منشئها رحمه الله ، وتولاّها أبناؤه .

وأُنشيء في عهد عبد العزيز ، بمكة ، ثلاث مطابع أخرى. إحداها استحضرها أحمد الفيض أبادي من ألمانيا سنة ١٣٥٧هـ(١٩٣٨م) والثانية أتت بها من أميركا « شركة مصحف مكة »سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨م) والثالثة جاء بها محمود حافظ سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩م) وكلها تدار باليد .

وفي جدة ثلاث مطابع ، هي المطبعة الشرقية ، ومطبعة الفتح ، ومطبعة الشركة العربية .

وفي المدينة المنورة مطبعة اشتّريت من مصر عام ١٣٥٥هـ(١٩٣٦م) ولم يكن في المدينة غيرها .

الصحافــة

لم تعرف بلاد نجد الصحافة ، إلاّ في أواخر أيام عبد العزيز . أما قبل ذلك ، فكان أحد مثقفيها سليمان بن صالح الدخيل ، من أهل بريدة في القصيم ، ينقل أخبار قلب الجزيرة إلى صحيفة له ، اسبوعية ، أنشأها في بغداد ، سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، وسمّاها « الرياض » استمرت إلى سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) فكانت سجلاً لغير القليل من أحداث شبه الجزيرة ، في تلك الفترة . كما أصدر مجلة باسم « الحياة » عاشت مدة في العهد التركي ، ببغداد .

وأما الحجاز فكان أول ما عرف فيه من الصحف ، جريدة « الحجاز » الرسمية ، صدرت في مكة سنة ١٣٢٦ هـ (أواخر سنة ١٩٠٨ [١] باللغتين التركية والعربية ، بأربع صفحات من القطع الصغير . وتوقفت عن الصدور ، على أثر الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) فخلفتها «شمس الحقيقة » بالعربية في السنة نفسها . وصدرت معها في هذه السنة ، جريدة « الإصلاح » في جدة واستمرت بضعة شهور . ثم « الصفا » بجدة أيضاً ، صدر منها عدد واحد ، مكتوباً باليد ، ومطبوعاً على « الجلاتين » .

وأول جريدة صدرت في المدينة المنورة ، جريدة « الرقيب » خطية مطبوعة على « الجلاتين » في أوائل سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) ثم جريدة « المدينة المنورة » في السنة نفسها [٢] ويظهر أنها لم تعمر طويلاً في ذلك العهد . وأصدرت الحكومة العثمانية ، في المدينة ، بعد قيام الشريف حسين بالثورة في مكة ، جريدة باسم « الحجاز » سنة ١٣٤٤هـ (١٩١٦م) تولى تحريرها محمد بدر الدين النعساني ، ثلاث مرات في الأسبوع ، وعاشت ستة أشهر .

، ، ،

وبعد انقضاء أيام العثمانيين ، صدرت بمكة في ابتداء العهد الهاشمي جريدة « القبلة » أسبوعية ، سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦م) فجريدة « الفلاح » بعد أربع سنوات و « المجلة الزراعية » ولم تطل أيام هذه .

وانتهى حكم الملك حسين بن علي في الحجاز . وخلفه ابنه عليّ ، في جدة . فصدرت فيها جريدة « بريد الحجاز » سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) وتوقفت في العام

---

(١) كان المعروف ، رواية عن الباحث المتتبع رشدي ملحس ، أنها صدرت سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م) إلا أن مؤرخ الصحافة العربية ، فيليب طرازي ، ذكر أن جريدة « حجاز » الرسمية ظهرت بمكة سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وزاد الأستاذ محمد سعيد العامودي ، في هامش كتابه « من تاريخنا» ص ١٨٨ أنه رأى العدد الأول منها ، مؤرخاً في ٨ شوال ١٣٢٦ هـ

(٢) طرازي ، في تاريخ الصحافة العربية

نفسه ، لنزوله عن العرش ؛ وهو آخر الهاشميين حكماً في الحجاز .

، ، ،

وأول ما أُنشيء ، في أيام الملك عبد العزيز ، بمكة ، جريدة « أم القرى » أسبوعية ، شبه رسمية ، في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ (ديسمبر ١٩٢٤م) ولا تزال محتفظة بطابعها الحكومي إلى الآن. وهي أوسع مرجع لبلاغات الحكومة ونظمها وتعليماتها وبياناتها . تداولتها أقلام الكتّاب زمناً ، ونُشرت فيها « رحلات » ستبقى مدونة للتاريخ ، و « خطب » مما كان يرتجله الملك عبد العزيز أو يُلقى باسمه في بعض المناسبات ، و « نصوص » لمعاهدات واتفاقات و « أبحاث » في الأدب وغيره . إلاّ أنها بدأت تنكمش[١] بعد الشطر الأول من عهد صدورها ، حتى اقتُصر فيها على قليل من الأخبار « المحلية » إلى جانب الأنباء الرسمية وفيض من الإعلانات .

وفي سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣٢م) صدرت في مكة جريدة « صوت الحجاز » أسبوعية . وعاشت سبعة أعوام .

وصدرت ، أو عادت إلى الصدور ، في المدينة، جريدة أسبوعية ، باسم « المدينة المنورة » أنشئت في أواخر عام ١٣٥٥هـ(١٩٣٧م) وغلبت عليها في بدء أمرها الصفة المحلية . ثم نمت وترعرعت ، إلى أن أصبحت من كبريات صحف المملكة .

وظهر إلى جانب هذه الجرائد الثلاث ، مجلّتان شهريتان ، تصدران في

---

(١) انكمش الثوب بعد الغسل : انقبض وقلص .


عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة المنهل

مكة بانتظام . إحداهما مجلة « المنهل » صدرت أعدادها الأولى في المدينة المنورة سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) واحتجبت مدة ، خلال الحرب العامة الثانية ، ثم عادت إلى الصدور بعدها ، بمكة . وهي سجلّ الحركة الأدبية ، في الحجاز على الخصوص إلى الآن .

والثانية مجلة « الحجّ » صدر أول عدد منها في مكة سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) وما زالت متوالية الصدور ، تعنى بنشر فصول في الدين والأدب والتاريخ .

كما ظهرت في مكة ، مجلة « الإصلاح » شهرية ، سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) ثم مرتين في الشهر وعاشت سنتين .

وصدرت في مكة أيضاً ، مجلة « النداء الإسلامي » سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) شهرية ، باللغتين العربية والملايوية .

وهناك مجلة شهرية خامسة ، صدرت في جدة ، سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م) باسم « الغرفة التجارية » ظهر منها عددان واحتجبت . وكان أولهما من خير ما يصدر في بابه .

ونشرت الحكومة في ٢٧ جمادى الثانية ١٣٦٠ (٢١ يوليو ١٩٤١) بلاغاً رسمياً (رقم ٦٢) بتوقيف جميع الصحف والمجلات عن الصدور ، ما عدا أم القرى . وذلك لنقص في الورق المخزون في البلاد ، إلى نهاية الأزمة . وكان هذا التاريخ ، نهاية أيام « صوت الحجاز » .

، ، ،

وبعد الحرب العامة الثانية ، برزت في مكة جريدة « البلاد السعودية » على أنقاض « صوت الحجاز » أسبوعية ، فنصف أسبوعية ، ثم كانت الذروة في صحافة البلاد العربية السعودية . امتازت بالاستكثار من الأنباء وحسن الإيجاز في إيرادها وتنويع المادة ، وأصبحت ، على صغر حجمها في ذلك الحين ، مسرح أقلام الكتّاب والأدباء ، من أبناء المملكة . وصدرت يومية سنة ١٣٧٣ ﻫ (١٩٥٣م) وهي أول ما عُرف من الصحف « اليومية » في بلاد المملكة العربية السعودية .

، ، ،

وأول ما صدر في بلاد نجد ، مجلة « اليمامة » في الرياض ، سنة ١٣٧٢ ﻫ (١٩٥٣م) أسبوعية ، تصدر موقتاً في أول كل شهر عربي . طلعت بأدب وبحث مرموقين ، وكانت في ذلك الإقليم من أقاليم المملكة ، أول الغيث . وصدرت على أثرها مجلة « قافلة الزيت » في الظهران ، سنة ١٣٧٢ ﻫ (١٩٥٣م) وهي من طراز ، عليه مسحة معجبة من جديد العاملين في الزيت . وما زالت تصدر .

، ، ،

هذا موجز سير الطباعة والصحافة ، منذ ميلادهما بمكة ، في العهد العثماني إلى أواخر أيام الملك عبد العزيز آل سعود . ولم يكن للصحافة في العهود الثلاثة — العثماني والهاشمي والسعودي ، إلى وفاة عبد العزيز — كبير شأن . ذلك لأنها في العهد الأول ما كانت أكثر من نشرات لما تريد الدولة إذاعته في البلد الذي ينشر فيه ما يُسمى مَجازاً بالجريدة . ولم يكن للرأي الحرّ مجال للنشر في العهد الثاني . وغالى عبد العزيز في انصرافه عن القول ، إلى العمل . فلم يأخذ بيد الصحافة ، وظلت في عهده تحبو ..

الملك عبد العزيز

ينشر بعض كتب السّلف والخلَف

وجّه عبد العزيز عناية خاصة إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة ، فأمر بطبع طائفة منها وتوزيعها مجّاناً .

وأمامي الآن نيف ومئة مجلّد من تلك الكتب هذا بيانها :

التفسير – تفسير القرآن الكريم ، للإمامين ابن كثير والبغوي ٩ مجلدات .

	أوضح البرهان في تفسير أم القرآن للمعصومي	١
التاريخ –	البداية والنهاية لابن كثير	١٤
	طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى	١
	روضة الأفكار (تاريخ ابن غنام)	٢ في مجلد
الفتاوى –	مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، لجماعة من علماء نجد	٤
	الدرر السنية في الأجوبة النجدية » » » »	٤
	مجموعة رسائل وفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية	١
	مختصر الفتاوى » » » »	١
	مجموعة رسائل وفتاوى ، لبعض علماء نجد	١
الفقه وأصوله –	المغني والشرح الكبير ، لموفق الدين وشمس الدين ، ابني قدامة	١٢
	الثلاثة الأصول والأربعة القواعد ، للشيخ ابن عبد الوهاب	١

	روضة الناظر ، لابن قدامة ، مع شرح لبدران	١
	مجموعة المتون في الفقه والتوحيد ، لبعض علماء نجد	١
الحديث —	كتاب السنّة ، لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل	١
	مجموعة الحديث النجدية ، لبعض علماء الحديث	١
	جامع الأصول ، لابن الأثير	١٢
	شرح تهذيب سنن أبي داود ، لابن القيم معالم السنن ، للخطّابي مختصر السنن ، للمنذري	٨
الأدب —	الآداب الشرعية ، لشمس الدين ابن مفلح	٣
	روضة المحبين ، لابن قيم الجوزية	١
	ديوان ابن سحمان	١
التوحيد —	التوحيد وإثبات صفات الربّ عز وجل ، لابن خزيمة	١
	مجموعة التوحيد ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين	١
	فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ، لعبد الرحمن بن حسن	١
	الهدية السنية ، لسليمان بن سحمان	١
	التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب	١
العقيدة —	شرح الطحاوية ، في العقيدة السلفية لأحد علماء الحنفية	١
الردود —	الصواعق المرسلة ، لابن قيّم الجوزية	٢
	تلخيص الاستغاثة ، لابن تيمية	١
	الرد على المنطقيين ، لابن تيمية	١
	كشف غياهب الظلام ، لسليمان بن سحمان	١
	الضياء الشارق « « «	١
	الصواعق الشهابية « « «	١
	تنبيه ذوي الألباب « « «	١
	مصباح الظلام ، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن	١

تأسيس التقديس ، للشيخ عبد الله بابُطَين	١
كشف الشبهات ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب	١
خطب — خطب الإمام محمد بن عبد الوهاب ، له ولبعض حفدته	١
مناسك — مناسك الحجّ على المذاهب الأربعة ، لابن حسن وابن مانع	١
تحفة الناسك في أحكام المناسك ، لسليمان بن عبد الله	١
وعظ — النفحة القدسية ، للشيخ أحمد الحفظي العسيري	١
موضوعات مختلفة — إرشاد الطالب ، لابن سحمان	١
إيقاظ هم أولي الأبصار	١
تحفة السلطان للمعصومي	١
تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية	١

وطبعت على نفقته كتب كثيرة في الهند ومصر لم يُذكر عليها اسمه إلاّ ما جاء على بعض مطبوعاته في الهند من أنها « طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب »

ويساعد ناشري الكتب

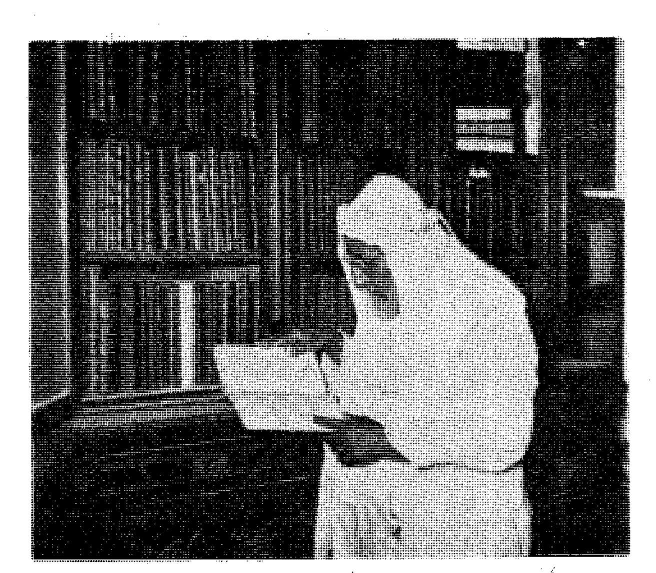
ولدينا « عشرات » من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب ، القديمة والحديثة ، أمر بشراء مجموعات منها ، كبيرةً وصغيرةً ، لتوزيعها مجاناً ، لا يعنينا استقصاؤها هنا . ونذكر بعضها على سبيل المثال :

التفسير — تفسير القرآن الحكيم ، للسيد محمد رشيد رضا ١٢ مجلداً
تفسير سورة الإخلاص ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ١

الحديث — الفتح الرباني ، في ترتيب مسند الإمام أحمد ، للساعاتي ١٢
السنن الكبرى ، للبيهقي ١٠
مسند الإمام أحمد . صدر منه ١٥
جامع الترمذي ، وشرحه تحفة الأحوذي ٤
المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ٤
فيض الباري على صحيح البخاري ، للكشميري ٤
نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، للزيلعي ٤
تذكرة الموضوعات ، لمحمد بن طاهر الهندي ١

التاريخ — أخبار مكة ، للأزرقي ٢
عنوان المجد في تاريخ نجد ، لابن بشر ٢
حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) للدكتور هيكل باشا ١

		مجلد
	قلب جزيرة العرب ، لفؤاد حمزة	١
	تاريخ الكعبة المعظمة ، للشيخ حسين با سلامة	١
	تاريخ عمارة المسجد الحرام ، للشيخ حسين با سلامة	١
	الفصول في سيرة الرسول ، لابن كثير	١
	سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأحمد العطار	١
	صقر الجزيرة « «	٣
الاجتماع —	حاضر العالم الإسلامي ، للأمير شكيب أرسلان	٢
	لماذا تأخر المسلمون ، للأمير شكيب أرسلان	١
	الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى الفراء	١
الفقه —	كشاف القناع ، للبهوتي	٦
	شرح منتهى الإرادات ، للبهوتي	٣
	زاد المستقنع ، لشرف الدين الحجاوي	١
	عمدة الفقه ، لموفق الدين ابن قدامة	١
مناقب —	مناقب الإمام أحمد ، لابن الجوزي	١
	العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية . لابن عبد الهادي	١
متفرقات —	الفروسية ، لابن قيم الجوزية	١
	عمدة الأخبار في مدينة المختار ، لأحمد بن عبد الحميد العباسي	١
	يسر الإسلام ، للسيد محمد رشيد رضا	١
	تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه ، لمحمد طاهر الكردي	١
	خديجة أم المؤمنين ، للسيد عبد الحميد الزهراوي	١



الشيخ محمد نصيف أمام جانب من مكتبته

الملك عبد العزيز

والمكتبات في أيامه

مكتبات مكة [1]

يرجع إنشاء معظم المكتبات الحديثة الموجودة الآن، هي أو بقاياها ، في مكة ، إلى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ففيه أمر السلطان عبد المجيد بإرسال خزانة كتب نفيسة تحتوي على ٣٦٥٣ كتاباً وضعت أول الأمر تحت قبة كانت في الساحة (الحَصْوة) الواقعة خلف بئر زمزم . وقد غرق كثير من الكتب التي فيها ، في ١٢٧٨/٥/٨هـ ، لأن شبابيكها قريبة من الأرض ، فدخل فيها السيل الذي حدث في ذلك الحين .

وأمر السلطان عبد المجيد ببناء مدرسة ومكتبة ، بجانب التكية المصرية . وتوفي قبل تنفيذ هذا الأمر .

وفي سنة ١٢٩٩هـ ، خُصصت القبة الواقعة فوق باب الدُرَيْبة التي كانت تتصل بشارع « سُويقة » وهو سوق البز الكبير ؛ لحفظ الكتب. فنقلت إليها بقية كتب السلطان عبد المجيد . ثم كتب وقفها الشريف عبد المطلب أمير مكة ، وكُتُب للشيخ صالح عِطِرجي أحد مدرسي الحرم السابقين ، وكثير مما كان متفرقاً في الأربطة والمساجد ، كرباط الحضارمة وغيره .

وفي سنة ١٣٣٦ ضُمت إليها مكتبة وقفها الشيخ عبد الحق الهندي ، العالم الشهير .

---

(١) المصادر عبد الله عبد الجبار ، في مجلة المنهل ٢٠ : ٤١١ - ٤١٤ والبلاد العربية السعودية ٢٢٣ وزيادات من مذكرات المؤلف .

وفي سنة ١٣٤٦ نُقلت مكتبة كان قد وقفها والي الحجاز محمد رشدي باشا الشرواني المتوفى سنة١٢٩٢هـ،وعدد كتبها ١٣٦٢ كتاباً،من المدرسة الواقعة عن يمين الخارج من باب أمّ هاني ؛ إلى « مكتبة الحرم » التي أصبحت معروفة بهذا الاسم منذ سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م)

وفي مكة مكتبة أخرى ، هي مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي المولود سنة١٢٨٦هـ والمتوفى سنة ١٣٥٥ هـ ، كانت في محلة الشّفا . تحتوي على ١٧١٤ كتاباً . ومن نفائس محتوياتها تواريخ مكة المخطوطة . وقد آلت نظارتها إلى الشيخ عبد الوهاب الدهلوي الذي ارتأى أن يودعها « مكتبة الحرم » حتى يعم الانتفاع بها ، فنقلت إليها سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)

ومن المكتبات التي تضمّ كتباً خطية نفيسة ، وأخرى مطبوعة نادرة ، مكتبة الشيخ حسن عبد الشكور أحد مشايخ الجاوى بباب القطبي . وفيها مجاميع لكثير من « البديعيات » ومن مخطوطاتها ديوان « السمرجي » الجداوي ، وديوان بدر الدين خوج أحد أجداد أسرة خوج المعروفة بمكة .

ومن المكتبات الخاصة بمكة ، مكتبة الشيخ عبد الوهاب الدهلوي الواقعة في بيته فوق جبل الصّفا . وفيها كثير من نوادر المخطوطات ، منها كتاب « نشر النور والزهر » للشيخ عبد الله أبي الخير مِرْداد ، المستشهد في معركة الطائف . وقد ترجم فيه لطائفة من الأعيان والعلماء والأدباء ، منذ القرن العاشر الهجري حتى القرن الرابع عشر . وهي بخط المؤلف .

ومن مكتبات مكة الخاصة ، المكتبة الماجدية . جمعها الشيخ ماجد ، (أو محمد ماجد) الكردي ، تشتمل على كثير من نوادر المطبوعات ، ولا سيما مطبوعات أوربا . ونفائس من المخطوطات ، قيل لي : إن بينها « معجم المشجرات » ؟ ووَضَع لها فهارس . ويقدر عددها بسبعة آلاف مجلد . وبعد وفاة الشيخ ماجد اتفق عباس القطان مع أبناء الكردي ، على أن يشتري منهم

المكتبة ، ويضعها في مبنى شيده في موضع يقال إن ولادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت فيه . وتوفي القطان سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) ونقلت المكتبة إلى المبنى ؛ وألحقت أخيراً بالمكتبات الموقوفة التابعة لوزارة الحج والأوقاف .

ومن مكتبات مكة الخاصة أيضاً ، مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد غازي مؤلف كتاب « إفادة الأنام » في تاريخ مكة ومشاعرها ، في أربعة مجلدات ضخام . ومكتبة المدرسة الصولتية . ومكتبة مدرسة الفلاح . ومكتبة سليمان ابن عبد الرحمن الصنيع[١] ومكتبة محمد سرور الصبان . ومكتبة أحمد إبراهيم الغزاوي . ومكتبة العامودي . ومكتبة إبراهيم فودة . ومكتبة أحمد عبد الغفور عطار . ومكتبة عبد القدوس الأنصاري .

مكتبات جدة

وفي جدة مكتبة الشيخ محمد نصيف، وهي من أضخم مكتبات الحجاز، وأحفلها بنوادر الكتب . وفيها كتب خطية قيمة . ومكتبة الشيخ حسونة المغربي، وكل ما فيها مطبوع . وأخيراً أنشئت في جدة مكتبة عامة ، في دار الإذاعة السعودية .

في الطائف

وفي الطائف مكتبة عامة، تحت القبة الواقعة عن يسار الداخل من الباب

---

(١) توفي في صفر ١٣٨٩هـ (١٩٦٩ م)

العام لمسجد ابن عباس . كانت تحوي كثيراً من الكتب النفيسة ، ولم يبق فيها الآن سوى القليل .

وفيها مكتبة خاصة ، غير كبيرة ، في منزل آل عُبيكان ، اطلعت على عدد من مخطوطاتها . وكثير منها من اليمن ، وقيدت في مذكراتي أسماء جملة منها ، في زياراتي لصديقي الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان .

وكانت في الطائف مكتبة خاصة أيضاً ، لقاضيها السابق الشيخ عبد الله كمال[١] المتوفى سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) اطلعت عنده على بعض مخطوطاتها . ولعلها بقيت لأبنائه فيها .

مكتبات المدينة المنورة

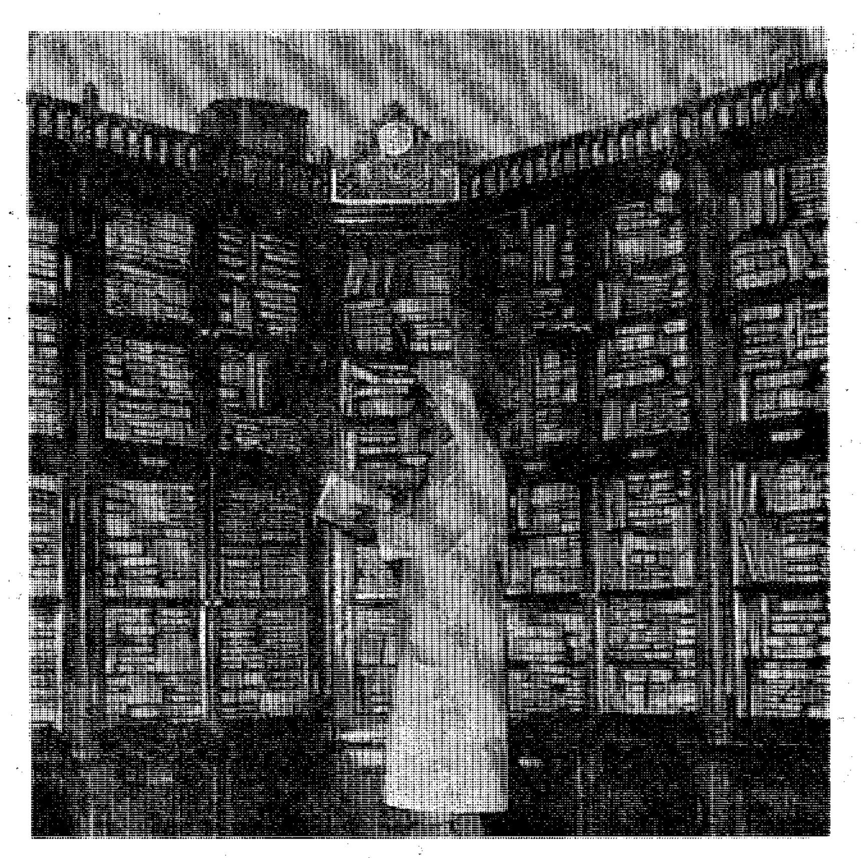
المدينة المنورة ، كانت ولا تزال أغنى بلاد المملكة العربية السعودية ، بمكتباتها. عدّ صاحب مرآة الحرمين فيها، بعد زيارات لها آخرها سنة ١٣٢٥هـ[٢] ثماني عشرة مكتبة ، تحتوي على ٢٠٧٧٤ مجلداً ، منها : في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ٥٤٠٤ وفي المكتبة المحمودية ٤٥٩٦ وفي مكتبة بشير آغا ٢٠٦٣ وفي مكتبة السلطان عبد الحميد الأول ١٦٥٩ كتاباً .

وعدّ الأمير شكيب أرسلان ، في زيارته لها سنة ١٣٣٢ هـ(١٩١٤م)[٣] سبع عشرة مكتبة ، أورد أسماءها كما يأتي : مكتبة عارف حكمت ، والمحمودية (نسبة إلى السلطان محمود) والحميدية (نسبة إلى عبد الحميد الأول) ومكتبة بشير آغا ، والصاقزلي ، والعرفانية ، ومكتبة أمين باشا (قال شكيب : من أبدع المكتبات وآنقها ترتيباً . تعدّ ثالثة المكتبتين العارفية والمحمودية) ثم مكتبة رباط سيدنا عثمان ، ومكتبة ناظر الكيلة ، ومكتبة مدرسة ثروت ، ومكتبات مدرسة الشفا ، ومدرسة قره باش ، ومدرسة حسين آغا (جوهرجي)

---

(١) ترجمته في الأعلام ٤ : ٢٠٢
(٢) الأعلام ١ : ٣٢
(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ٢٥ : ٤٩٤

ومدرسة إحسان ، والشيخ أحمد البسطي ، وحوش العريضية ، والشيخ مظهر .
وأشار محمد لبيب البتنوني[١] سنة ١٣٢٧هـ ، إلى مكتبة عارف حكمت ، فقال : إنها آية في نظافة مكانها وحسن تنسيقها وترتيب كتبها .



مكتبة « عارف حكمت » في المدينة

عن فصول من تاريخ المدينة المنورة

وزار المدينة شيخنا علامة الشام ، جمال الدين القاسمي ، سنة ١٣٢٧ هـ ، فأورد أسماء ٣٩ كتاباً ، اختارها من مكتبتي عارف حكمت والمحمودية[٢]

---

(١) في رحلته .
(٢) مجلة المقتبس ٤ : ٧١٨ — ٧٢٠

وقال بعد أن ذكر ما جاء في مرآة الحرمين : وبلغ ما في مكتبة فيض الله ١٢٤٦ ومكتبة عمر قره باش ١٢٦٩ وهناك مكتبات أخرى يتراوح عدد ما فيها بين المئة والألف .

وأورد إبراهيم حمدي الحربوطي[١] أسماء ١٤ كتاباً اختارها من مكتبة عارف حكمت ، و ٤٧ كتاباً من المحمودية .

وكتب محمد كرد علي ، في رحلته إلى المدينة[٢] أن أهم المكتبات فيها مكتبة السلطان محمود العثماني (المحمودية) ولكن مخطوطاتها ومطبوعاتها تافهة. وأحسن المكتبات وربما كانت خير مكتبة في البلاد العثمانية كلها بنظافتها وانتقاء أمهاتها ، مكتبة عارف حكمت ، وفيها نحو ١٠ آلاف مجلد .

وكتب عبد الله مخلص [٣] :أُسست مكتبة عارف حكمت سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣م) [٤] وقد وقف عليها من الكتب العربية والتركية والفارسية ٥١٣٥ مجلداً ، وورد إليها بعد تأسيسها إلى أوائل سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) ٤٠١ فيكون المجموع ٥٥٣٦ مجلداً وزهاء ألفي رسالة على هوامش هذه الكتب .

وكتب المستشرق الإيطالي « نلّينو » في كتابه « العربية السعودية[٥] » عن مكتبات المدينة المنوّرة ، فقدر ما كان في مكتبة عارف حكمت ، بسبعة عشر ألف مجلد ، ونقل عن الشيخ جمال الدين القاسمي عدد ما في المكتبة المحمودية ومكتبة بشير آغا ، ثم قال : ومكتبتا بشير آغا وعبد الحميد الأول ، قد اختفتا ، فقيل إنهما سرقتا وقيل أُتلفتا في الحرب مع الوهابية (كذا) .

---

(١) المقتبس ٧ : ٣٧٩
(٢) المقتبس ٧ : ٧٦٣
(٣) المقتبس ٨ : ٥٧ — ٦١
(٤) وقعت خطأ سنة ١٢٦٠هـ ، ثم صحح التاريخ على ما في سقف القاعة .
(٥) باللغة الإيطالية ، ولم يترجم إلى العربية حتى الآن .

وممن عدّ أسماء المكتبات في المدينة ، عبد الله عبد الجبار[١] قال : وأهم مكتبات المدينة ، مكتبة عارف حكمت والمحمودية ، والحرم النبوي . وهناك مكتبات أخرى أقل شأناً من هذه المكتبات الثلاث ، منها : مكتبة الكشميري ، والشفاء ، ومكتبة أمين أفندي بورسوي ، والموقتية ، والشونة ، ورباط السنود ، وخوشبيقي ، وازبك ، وأمير بخارى ، وأمان الله خوجه ، وطاهر ايشان ، والبساطي ، وكيلي ناظري ، ونور الدين باي ، وساقزلي ، والصافي ، وآل هاشم ، وآل مدني ، وحوش قره باش ، والقازانية ، ومحمد المنبهي « الوزير المغربي » ، والسنوسي ، والصادقية ، وطوسون باشا ، والحوقندية ، وأمين الفنايرجي ، ومدرسة ثروت .

ثم أشار إلى حريق حل بالمدينة سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) وأن فتناً وأحداثاً أضاعت ، مع الحريق ، كثيراً من ذخائر مكتباتها ونفائسها الخطية . وقال : كان بعض تجار المخطوطات ينقلونها من المدينة ، إلى بلدان آسيا وأوربا ، ويبيعونها هناك بأبخس الأثمان ، وقد نقل أمين بن حسن الحلواني مئات الكتب إلى أوربا ، في رحلة إليها سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣م) إذ حضر مؤتمر المستشرقين الذي عُقد في أمستردام . ثم حضر مرةً أخرى هذا المؤتمر سنة ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) واصطحب معه إليها مخطوطات نادرة اشترتها منه مكتبة بريل ، بليدن ، في هولندة .

وأشار حديثاً علي حافظ[٢] إلى أن المكتبة المحمودية أُنشئت سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦م) وزاد أن حكومة الملك عبد العزيز ، أقامت في المدينة « مكتبة الحرم النبوي » سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م) تشتمل على ٥٣٦٣ كتاباً ، منها ٤٨٠٩ كتب مطبوعة ، و ٤٥٤ كتاباً مخطوطاً . وأضاف أسماء مكتبات خاصة متفرقة في بيوت العلم والوجاهة ، فأحصى منها ٢٨ مكتبة ولم يتعرض لعدد ما اشتملت

---

(١) في مجلة المنهل ٢٠ : ٤١١

(٢) في كتابه « فصول من تاريخ المدينة المنورة » الصفحة ٢٤٢

عليه أو نوعه .

وأخبرني البحاثة الشيخ حمد الجاسر أن من مكتبات المدينة ، مكتبة محمد مظهر وتسمى « خانقاه مظهر » أنشئت في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة ، وفيها مخطوطات نفيسة من أندرها « تاريخ المدينة » لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢هـ ، قال : ولعلها النسخة الفريدة من هذا الكتاب .

، ، ،

قلت : ومما ينبغي ذكره ، في الحديث عن مكتبات المدينة ، أن خلافاً كان قد نشأ ، حوالي سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) بين حكومة الملك عبد العزيز والحكومة التركية ، حول ريع الأوقاف المرصودة في تركيا ، للإنفاق منها على بعض هذه المكتبات . وكانت وجهة النظر التركية أن يتولى ممثلو تركيا لدى المملكة السعودية محاسبة القيّمين على المكتبات . ورأت الحكومة السعودية أن في هذا تدخلاً « أجنبياً » في أمر داخلي محض ، فأصرّت على أن تكون هي الوسيطة في تسلم ريع الوقف وصرفه على مستحقيه . وامتنع الترك عن الدفع . واكتفت الحكومة السعودية بإنفاق شيء من المخصصات الموقتة ، من خزانتها الضعيفة في ذلك الحين ، ليعيش منها القيّمون . وأكد لي بعض فضلاء المدينة أن بين القيمين من لم يكن يكفيه المخصص الموقت . ونشأ عن ذلك إهمال نظافة المكتبات والعناية بما فيها . فضلاً عن تسرب عدد كبير من المخطوطات ، إلى الخارج ، سرقةً أو بيعاً ..

وكانت قد بدأت في أواخر عهد الملك عبد العزيز حركة ، ظهرت نشيطة أول الأمر لإقامة بناء ضخم في المدينة ، تُنقل إليه الكتب المتفرقة في مختلف مكتباتها ، ويُعنى فيه بإصلاحها وتنظيم فهارسها ، ثم ما لبثت الحركة أن أتت بمكتبة أخرى سُميت ، بعد وفاة الملك عبد العزيز « مكتبة المدينة المنورة » نُقلت إليها مكتبات سيدنا عثمان والشفاء وساقزلي والإحسانية والعرفانية والقازانية ، وكتب للشيخ عمر حمدان الونيسي المغربي ، ومجموعات من مكتبات أخرى ، فبلغ عدد ما فيها ١٤٧٤٨ كتاباً ، مطبوعات ومخطوطات .

مكتبات نجد[١]

كانت العادة في نجد ، إذا توفي أحد العلماء في بلد منها ، قام حاكم ذلك البلد بنقل كتب المتوفى ، إلى العاصمة (الرياض) ليطلع عليها العلماء ، ولأن أكثر طلبة العلم هم في العاصمة . وبذلك اجتمع لدى علمائها عدد كبير من المطبوعات والمخطوطات .

في الرياض

فكان من المكتبات الخاصة فيها ، مكتبة القصر الملكي ، مما جمعه آل سعود الأولون ، وما أضيف إليها في عهد عبد العزيز . ومكتبة الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ ، ومكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ . ومكتبة الشيخ حمد بن فارس ، ومكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ . ومكتبات أخرى ، من أغناها بالمطبوعات اليوم مكتبة الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل[٢] وفي أكثر المكتبات المتقدم ذكرها نفائس من المخطوط والمطبوع .

وبدأ عهد الرياض بالمكتبات « العامة » سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) حين أنشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن الفيصل ، أول مكتبة عامة فيها . جمع لها مجموعة طيبة من المطبوعات ، وخصص لها جانباً في بيته ، وعين فيها موظفاً، وأباح لكل زائر الانتفاع بها في المطالعة .

وفي أوائل سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) افتتحت في الرياض « المكتبة السعودية العامة » وقد بنيت لها دار أُثثت تأثيثاً حسناً . ونقل إليها بعض ما في المكتبات

---

(١) المصادر : كتاب « مدينة الرياض » للشيخ حمد الجاسر ١٣٠ ، ١٣١ ومجلة المنهل ٢٠ : ٤٨٦ – ٤٨٨ والبلاد العربية السعودية ٢٤٤ ومذكرات المؤلف .

(٢) بلغني أن فيها أجزاء من « تاريخ الإسلام » الكبير ، للذهبي ، تكمل مخطوطة دار الكتب المصرية وغيرها ، من خط الحافظ ابن حجر وخط الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب .

الخاصة . وظفرتُ ، فيما صورته عنها ، بخطوط عدد من المؤلفين النجديين وغيرهم .

وقبيل افتتاح هذه المكتبة ، عُرفت في الرياض مكتبات « خاصة » حديثة ، منها مكتبة الشيخ حمد الجاسر ، وفيها نفائس من المخطوطات والمصورات .

في عُنيزة

وأول ما أُنشيء من المكتبات في مدينة عنيزة (بالقصيم) مكتبةٌ أشرفَ على إنشائها وجمع كتبها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠م) تقريباً ، وتوفي السعدي سنة ١٣٧٧هـ(١٩٥٧م) وله مؤلفات دينية .

وفي بُريدة

وبريدة ، أخت عنيزة، في القصيم . أنشئت فيها سنة ١٣٦٤هـ(١٩٤٥م) مكتبة عامة كبيرة تضم عدداً من المخطوطات والمطبوعات[١] بينها مجموعة من الكتب أهداها إليها الشيخ فوزان السابق .

في المجمعة

وعُرفت في بلدة المجمعة مكتبة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري . وكانت خاصة . فيها مخطوطات في الفقه الحنبلي وغيره . قلّ الانتفاع بها بعد وفاة صاحبها سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)

مكتبات الأحساء

ولِمَا في بلاد الأحساء ، من نضارة قامت عليها حضارات في القديم والحديث ، فقد ظهرت فيها أسر علمية عُني بعض أفرادها بجمع الكتب واقتنائها . قال عبد الله بن عبد الجبار : وكانت الأحساء إلى عهد قريب مركزاً

---

(١) جريدة المدينة المنورة في ٨ جمادى الأولى ١٣٧٠هـ

من مراكز الثقافة الدينية في جزيرة العرب ؛ وكثير من علماء الجزيرة في عُمان والبحرين والكويت ، درسوا على علماء الأحساء .

أما المكتبات ، فمن أشهر ما عُرف في المبرّز مكتبة آل عبد القادر . وفيها مخطوطات نادرة ، من أنفسها نسخة من « السنن » لأبي داود ، نُقلت منها إلى الخزانة الملكية في الرياض . وكانت مما أخذتُ عنه خطوط بعض الأجلة من قدماء العلماء . وكان — ولعله لا يزال — من المكتبات الخاصة في الأحساء مجموعات في منازل آل مبارك وآل المُلاّ وآل عُمير وأمثالهم . أما مكتبة آل مبارك فكانت أوفر تلك المكتبات عدداً ولا تخلو من نفائس ، كغيرها .

في القَطِيف والدّمّام

وأُنشئت في القطيف والدمام ، مكتبتان عامّتان ، بدأتا ضئيلتين . وعسى أن تكون نفحة من نفحات أهل العلم والثراء ، نهضت بهما .

على أن في القطيف ، بيوت علم معروفة ، أشهرها بيت « الخُنَيزي » وبيت « الجِشّي » عُرف فيهما علماء يُعنون بجمع نفائس الكتب ، وفي مكتباتهما نوادر .

وفي عَسير

وما خلت عسير من كتب قديمة ، كانت على عهد الأدارسة . والمعروف الآن ، من بيوت العلم فيها بيت « آل حِفْظي » في بلدة « رجال ألما » تشتمل مكتبتهم على مجموعة حسنة من المخطوطات وغيرها .


العقيلي

وعُني الأستاذ محمد بن أحمد عيسى العَقِيلي ، في جازان ، بجمع المخطوطات النادرة ، فأصبح في « مكتبته » الخاصة ، قسم وافر منها .

، ، ،

هذا ما أمكن الوقوف عليه من أخبار المكتبات العامة والخاصة ، في عهد الملك عبد العزيز . وهناك ، ولا ريب ، كثير من الخزائن الخاصة ، يحرص عليها أهلها ، فلا يعلم بها إلا القِلة من الناس ، وتمتنع على الأكثرين الاستفادة منها ، إلى أن تأكلها الأرضة . .

الملك عبد العزيز

في كتاب «العرب والزيت والتاريخ»

كتاب العرب والزيت والتاريخ ، للكاتب الأميركي « كيرمت روزفلت » حفيد ثيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق ؛ من الكتب الممتعة عن الشرق الأوسط . لم يترجم إلى العربية .

خصّ فيه مؤلفه بلاد العرب : المملكة العربية السعودية ، ومصر ، والعراق ، وشرقي الأردن ، ولبنان ، وسورية ، وفلسطين ؛ بأوفى فصوله . واستطرد إلى ذكر إيران وتركيا وأفغانستان . وقال كلمته في ملوكها ورؤسائها وأمرائها جميعاً .

وكان حديثه عن تاريخ آل سعود ، والملك عبد العزيز حتّى استيلائه على الرياض ، ضافياً . قال فيه :

« يُعرف الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بين أتباعه بعبد العزيز .. بينما يسميه الأمريكيون ابن سعود .

« أقام عاصمته في صميم الصحراء . وكان من حسن حظي وحظ زوجتي أننا لبثنا في ضيافته ثلاثة أيام ، في صيف ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) بعد أن طرنا أميالاً كثيرة فوق ذلك الفراغ الموحش من الأرض وهبطنا ، في خارج هذا العالم .. لكي نجد قصوراً عامرة بنور الكهرباء والتليفونات والتهوية الاصطناعية وإلى جانبها « ملك » يستعصي تصوره على الخيال ، أكثر من عاصمته .

« ابن سعود ، رجل ضخم ، خصوصاً بالنسبة إلى حجم العربي ، ولا يزال طوله ستة أقدام وثلاثاً أو أربع بوصات . مع أنه يعتقد أن جسمه انكمش مع السنين .

« لقد كان من عظماء المحاربين . وفي جسمه حتى الآن آثار من جراح المعارك .

« ولا شكّ في أن سنّه قاربت السبعين . وهو ما زال يقف مزهوّاً منتصب القامـة .

« عملاق . ملتح . كسوته الثياب العربية الفضفاضة . على رأسه صمادة منقوشة باللون الأحمر ، وعقال مذهب . يُطلّ على العالم ، كمارد كبير في قصص ألف ليلة وليلة ..

« ليس سيّد الصحراء بأعظم تحفة فنية من حيث الصورة فقط ، بل هو أحد دهاة الملوك الألمعيّين أيضاً ، في عالم القنابل الذرية والفيتو ..

« ينتقل تفكيره بسرعة ، وبشكل حاسم ، كالغزوات التي كان يقوم بها .

« استولى على مدينة الرياض المسوّرة ، حين كان في ريعان شبابه ، بقوة لا تزيد على أربعة وثلاثين رجلاً ، بينما كانت حاميتها تعدّ بالمئات .

« وهو في بعض نواحيه « جيم فارلي »[١] العرب . ينادي كلّ شيخ من شيوخ الصحراء باسمه . ويعرف تاريخ عشيرته ونقاط القوّة والضعف فيه ، وكيف يستحوذ على ولائه ..

« أضف إلى هذا أن الملك عبد العزيز يعلم بأن الإحاطة بما يجري في صحراء الجزيرة ، لا يمكن أن يكتفي بها ملك في القرن العشرين يملك بلاداً غنية بالزيت ، وأن عليه أن يعرف ما استطاع ، أهداف الدول الكبرى . ولهذا فان تراجمته يصغون إلى إذاعات الراديو في كل أنحاء العالم ، ويتلون بين يديه — ثلاث

---

(١) في كتاب « روزفلت وهوبكنز » لشيروود — كان جيم فارلي Jim Farley أعظم معارضي روزفلت وأخطرهم في الولايات المتحدة وكان روزفلت يخشى مزاحمته له على الرئاسة سنة ١٩٤٠ ويتقي خطر آرائه في السياسة الخارجية .

مرات في اليوم — موجز الأخبار التي تذيعها العواصم العالمية .

« وهو يمتلك لبّ كل زائر يفد عليه من الخارج ، ويمنحه صبراً لا ينفد، وحباً للاستطلاع لا حدّ له . وله براعة نادرة في أن يجعلك تشعر أنك فرد من أسرته القريبة ، على الرغم من توسُّط الترجمان بينك وبينه فيما تتبادلانه من حديث .

« وفي ابن سعود عنصر يصلح للموضوعات الروائية . مثال ذلك ما حدث له في إحدى السنين الماضية ، وكان قد أصيب بجراح تكفي لتعطيل أي رجل عادي ، وثارت الشائعات حول صحته العامة وعلى الخصوص حيوية الرجولة فيه ، فما كان منه إلاّ أن نزل برجاله في القبيلة التي كانت أكثر تداولاً لتلك الإشاعة ، واختار عروساً من عذاراها ، لم يلبث أن عقد عليها وتم دخولهما بالزوجية في الصيوان الملكي ، في خلال ساعة من الزمن ، انقطعت بعدها الإشاعات ...

« ينحدر ابن سعود من سلالة عظيمة ، كان منها أحد جدوده « سعود » حاكماً شهيراً أيضاً ، في تاريخ العرب ؛ وصفه العالم المستشرق الألماني «بروكلمان» بما ينطبق على سليله الحالي ، فقال : إنه مثال الكمال للحاكم العربي ، يعامل شيوخ البادية على أسس المساواة التامة ، ويستطيع بما وهب من صفات أن يفرض نفسه عليهم .

وأبرز صفاته الفصاحة .وللفصاحة شأنها الكبير عند العرب حتى اليوم. وقد وَطّدت إدارته الأمن الذي لم تعرفه الجزيرة العربية من قرون، وأزال ما كان يسمّى حق القبيلة في حماية المجرم، والحيلولة دون إنزال العقاب به . وطبّق « القانون الجزائي » حسب تعاليم القرآن ، تطبيقاً كاملاً . وعلى الرغم من أن في تلك العقوبات ما قد يُعتبر قاسياً بالنسبة إلى مقاييسنا ، فقد جاءت بنتيجة باهرة، هي انعدام الجرائم الخطيرة في شبه الجزيرة انعداماً يكاد يكون تامّاً .

« وكان جدّ ابن سعود ، الأمير فيصل ، حاكماً على نجد أيضاً . غير أن

والد عبد العزيز وعمه أضاعا المملكة[١] . وخلت نجد من حكم آل سعود فترة من الزمن ، نهض على أثرها عبد العزيز سنة ١٩٠١ وهو في زهاء العشرين من عمره ، يحدوه الطموح إلى استعادة تراث آبائه . وبعد أن لقي الأهوال مدة خمسة وعشرين عاماً في معاركه مع خصومه ، لم يقف عند حدّ استرجاع نجد ، بل تمكن من المناداة بنفسه ملكاً على الحجاز أيضاً .

« وللملك عبد العزيز أن ينظر اليوم قليلاً إلى الوراء ، ليرى حياة حافلة بالإنتاج قلّ من وُهب مثلها في الرجال . وقد انفرد بمكانة في العالم العربي لا نظير لها في الحاضر وفي تاريخ العرب المقبل ، إذ لا شكّ في أنه سيقف في عداد العظماء الكبار ، من ملوك العرب وحكامهم الفاتحين اهـ .

(١) لم تكن للإمام عبد الرحمن يد في الخلاف الذي ضاعت المملكة يومئذ بسببه .

الملك عبد العزيز

والتدخين

ذهبت ، وأنا في مصر ، مع بعض الأصدقاء ، للسلام على طلعت حرب « باشا » بعد عودته من زيارته الأولى للمملكة ، سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) أو حولها. فكان من حديثه عن عبد العزيز أنه سأله عما يقال من تحريم شرب الدخان في المملكة ؟

فقال الملك : بكم يدخّن أفقر إنسان عندكم يومياً ؟

طلعت : بقرشين .

— كم عدد الذين يدخنون ، على أقل تقدير ؟

— خمسة في المئة .

— كم تخمّن عدد سكان بلادنا ؟

— حوالي خمسة ملايين .

— إذا لم ننظر إلى ناحية التحليل والتحريم ، وأُبيح التدخين ، فكم ينفق المدخنون عندنا على هذا القياس ؟

قال طلعت : فأخذت قلماً ، وعملت الحساب فوجدت أن عدد المدخنين سيكون ٢٥٠ ألفاً ، ينفقون خمسة آلاف جنيه في اليوم .

فقال الملك : ما عندنا دخان ، ولا ورق للدخان ولا شيء من آلاته .. كله يأتي من الخارج .. تريد أن نرسل ، مع فقرنا ، خمسة آلاف جنيه ، هدية إلى الخارج كل يوم ، مقابل ما ننفخه في الهواء ؟؟

قال طلعت ، وهو يحدثنا : في الناس من يقول إن لي شيئاً من العلم بالاقتصاد ووالله لقد كان صاحبكم أعلم به مني . وألجم لساني فما نطقت بحرف .

تبغ وغلايين :

قال فلبي[1] : كنت أنا ورفيقاي ندخن ذات ليلة (وكانا مثلي ضيفين في القصر) إذ دخل علينا « عبد » يعلمنا بقدوم الشيوخ . وكانت الغلايين وعلب التبغ مبعثرة على الديوان ، فخبأناها مسرعين وفتحنا الشبابيك كلها . إلاّ أنه عندما دخل السلطان كان الدخان لا يزال منتشراً في الغرفة . فجلس . وجاء أحد العبيد توّاً بالمجمرة ، وفيها الطيب ، فقدّمها إليه ، ودار بها علينا مراراً . ثم تركها على السجادة في وسط القاعة تطهيراً للهواء .

ومع أن دخان الغلايين كان أكره شيء لدى السلطان ، فقد تجاهل ما كان ، وظلّ ظريفاً على عادته . ولكنها كانت زيارته الأولى لضيوفه في منزلهم ، والأخيرة !

قلت : لم تكن هذه زيارته الأولى لأضيافه في منازلهم أو خيامهم ولا الأخيرة . فقد علمنا من كتب الريحاني أن عبد العزيز كان يزوره ، كما كان يزور غيره . ولكنه إذا علم أن المَزُور من المدخِّنين ، أرسل قبل ذهابه إليه ، من يحمل البخور لتطهير الحجرة أو الخيمة التي هو فيها .

مع الملك فيصل بن الحسين :

وعلى ذكر التدخين ، أخبرني ثقة ممن حضروا اجتماع الملكين عبد العزيز ، وفيصل بن الحسين ، في الطرادة « لوپن » أن فيصلاً تضايق من الامتناع عن التدخين ، في أثناء الحديث ، فأستأذن من عبد العزيز ، فأجابه : اصعد إلى فوق !

---

(١) في كتابه « قلب البلاد العربية »

الملك عبد العزيز

يُنشئ مؤسسة للنقد

لما اتسع الثراء في المملكة العربية السعودية ، إثر تدفق النفط في جناحها الشرقي ، وكثر التعامل بينها وبين المؤسسات المالية في الداخل والخارج ، رأى الخبراء فيها وجوب حماية الصندوق الحكومي والأسواق التجارية ، من تقلبات حركة النقد العالمية وأثرها في النقد السعودي ، فأمر الملك عبد العزيز بإنشاء مؤسسة « النقد العربي السعودي » وصدر بذلك مرسومان ملكيان ، في ٢٥ رجب ١٣٧١ (١٩٥٢/٤/٢١) هذا نص المرسوم الأول :

بعون الله تعالى : نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، ملك المملكة العربية السعودية .

« بناء على ما عرضه علينا وزير ماليتنا ، وبما أن تدابير الوسائل اللازمة لدعم النقد الرسمي للدولة ، وتوطيد قيمته المالية ، وتحديد هذه القيمة بالنسبة لقيم العملات الأجنبية ؛ هو من الأمور التي تدعو إليها مصلحة الدولة والشعب ، ويقتضيها الحرص على تجنيب الخزانة والأفراد الخسائر التي تنجم عن تقلبات أسعار النقد الأجنبي إذا لم يكن للنقد العربي السعودي سعر محدد ومستقر ، بالنسبة لعملات البلاد الأخرى .

« لذلك أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى — تأسست بموجب هذه الوثيقة ، وطبقاً لهذه التعليمات ،

مؤسسة اسمها « مؤسسة النقد العربي السعودي » مركز إدارتها الذي تباشر فيه عملياتها ، بمدينة جدة . وسيفتح لها فروع ووكالات في المدن والأماكن التي تدعو إليها الحاجة .

المادة الثانية — تكون وظائف هذه المؤسسة : أولاً ، دعم النقد الرسمي للدولة ، وتوطيد قيمته المالية وتحديد سعره بالنسبة لأسعار العملات الأجنبية . ثانياً ، معاونة وزارة المالية بتوحيد المركز الذي تسلم وتودع فيه إيرادات الحكومة ، وتصرف منه مدفوعاتها . ومراقبة ضبط هذه المدفوعات ، وفقاً لبنود الميزانية المعتمدة . ثالثاً ، لا تتقاضى المؤسسة ولا تدفع أية فائدة على ما تقبضه أو تصرفه ، ولا تباشر أي عمل يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية السمحة .

، ، ،

والمرسوم الثاني ، أمر باعتماد النظام الأساسي للمؤسسة . وهذا النظام مكوّن من ١٢ مادة [١] ويعبر عنه بالتعليمات الأساسية . ومن هذه التعليمات (أ) أن من أغراض المؤسسة معاونة وزارة المالية ، بإيجاد مركز واحد تسلم وتودع فيه ، واردات الحكومة وتصرف منه مدفوعاتها ، وفاقاً لبنود الميزانية (ب) رأس مال المؤسسة هو ما قيمته خمسمائة ألف جنيه ذهباً ، أي ما يعادل ستة ملايين دولار أميركي . (ج) من أعمال المؤسسة : تثبيت قيمة النقد السعودي . وحفظ الأموال الاحتياطية وتشغيلها . وشراء وبيع النقود والسبائك الذهبية والفضية . والإشارة على الحكومة في صك النقود واستيرادها وإصدارها ، وطرحها للتداول . ولا يكون إصدار النقود وطرحها للتداول ، إلاّ بواسطة المؤسسة. ومن أعمالها مراقبة المصارف التجاريةوالمشتغلين بالكامبيو والصيارفة ، ووضع النظم الخاصة بهم . وعليها أن تقدم للحكومة

---

(١) راجع نصوص المرسومين والنظام الأساسي ، في جريدة أم القرى، العدد ١٤١١ بتاريخ ٨ شعبان ١٣٧١ (٢ مايو ١٩٥٢)

تقريراً شهرياً عن أعمالها ، وتخضع للمراقبة الحسابية (د) تودع في المؤسسة إيرادات الدولة كلها . وتقوم المؤسسة ، بناء على أمر وزير المالية ، بدفع المبالغ المخصصة للاعتمادات . ولا يجوز للمؤسسة أن تفرض أرباحاً على الأموال التي تسلم إليها أو التي تصرفها ، ولا أن تأتي بأي عمل يتعارض مع قواعد الشرع (هـ) للمؤسسة مجلس إدارة مسؤول عن سير أعمالها . وله أن يضع ما ينبغي من النظم والتعليمات يتكون من رئيس ونائب رئيس ومحافظ وعضوين، يرشحهم وزير المالية ويعيّنون بأمر ملكي . (و) المؤسسة دائمة الاستمرار وغير محدودة المدة .

، ، ،

دَرْس !

في جريدة أمّ القرى[1] أن رئيساً من شيوخ القبائل ، وفد على عبد العزيز ، يظهر طاعته ، فوصله بكرمه ، على عادته.وبينما الرجل لا يزال في ضيافته ، وصل إلى الملك كتاب بخط الرجل نفسه ، أرسله إلى أحد خصوم الملك ، يذم فيه عبد العزيز ويُغري به خصمه . فاستدعاه إليه . فجاء ، فسأله : ألك شيء طلبته ولم يُقضَ ؟ فأجاب : أطال الله بقاك ! حصلت على كل ما طلبت.. فقال : وما حملك على كتابة هذا ؟ وألقى إليه الكتاب . فبهت الرجل ، وقال : يا عبد العزيز ما أقول لك إلاّ أن هذا من عمل الشيطان ، وإني أتوب إلى الله وأستغفره ! وظهر عليه الاضطراب . فقال له الملك : لا تخف ! قم إلى المكتب (الديوان) واكتب حاجاتك غير التي كتبتها من قبل ، ولا تعد بعد هذه إلى مثلها ، فالنفاق يزري بصاحبه ..

---

(١) ١١ شوال ١٣٤٧ (١٩٢٩ م)

دعاء عجيب ...

أخبرني أحد ضباط القصر الملكي ، قال :

رأيت الملك عبد العزيز ، في الهزيع الأخير من الليل ، عند صلاة الفجر ، يتمسك بأستار الكعبة ، ويدعو الله قائلاً :

« اللّهم إن كان في هذا المُلك خير لي وللمسلمين ، فأبقه لي ولأولادي . وإن كان فيه شرّ لي وللمسلمين ، فانزعه مني ومن أولادي ! »

الملك عبد العزيز

والأوقاف ، في عهده ، وبعده

للحرمين الشريفين ، بمكة والمدينة ، أوقاف في كثير من بلاد العالم الإسلامي خصّ واقفوها ريعها ، بأنواع من البرّ في خدمة الحرمين أو عمارتهما أو تعهّد المجاورين وطلبة العلم فيهما ، وعلى أُسَر من أهل البلدتين نيطت بها أعمال تتعلق بالحرمين . وفي إطار هذه الأنواع من البر أبواب لخزائن الكتب والقيمين عليها وإصلاحها ، وللمرضى والمنقطعين ، وأمثال ذلك مما تفنن فيه واقفوه .

وكان ، ولا يزال ، بعض الأقطار الإسلامية ، يرسل مع حجيج كل عام ، حصيلة ما يجتمع لديه من هذا النوع المؤتمن هو عليه .

وفي كلا البلدين ، مكة والمدينة ، وبعض بلدان الحجاز الأخرى ، أوقاف عامة للبرّ أو خاصة بنواح إنسانية معيّنة . منها ما اندرس ، ومنها ما هو قائم .

وأنشأ عبد العزيز ، إدارة للأوقاف الداخلية بمكة ، سنة ١٣٤٣هـ (أواخر ١٩٢٤م) ، قبيل ابتدائه حصار جدة .

وبعد تسلّمه المدينة المنورة وجدّة ، أقام في كل منهما إدارة كالأولى . ولم يكن بين الثلاث أيّ ارتباط .

وظل عمل الإدارات الثلاث محلّياً . وما يرد من الخارج تتسلمه «المالية»

على أن تصرفه في وجوهه. إلى أن صدر مرسوم ملكي في ٢٧ ذي الحجة ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م) ، بربط إدارات الأوقاف وفروعها ، بمدير عامّ ، مقرّه بمكة . يرتبط به مدير للأوقاف في المدينة ، ومثله في جدة . ويتبع المديرية العامة « مجلس إدارة » للحرم الملكي . كما يتبع مديرَ أوقاف المدينة ، مدير للحرم النبوي ، ومأمور في ينبع .

ووضع نظام خاص لتوزيع « الصدقات » تقوم بتنفيذه لجنة مركزية تابعة أيضاً لإدارة الأوقاف العامة .

ولكلّ من هذه الإدارات كتّابها وموظفوها .

، ، ،

تداول إدارة الأوقاف العامة ، في حياة عبد العزيز كلٌّ من :

١ — الشيخ محمد سعيد أبو الخير ، في ١٨ جمادى الأولى ١٣٤٣ (أواخر ١٩٢٤م)

٢ — الشيخ ماجد الكردي ، في ١٠ محرم ١٣٤٧

٣ — السيد محمد بن عقيل

٤ — السيد عبد الوهاب نائب الحرم ، في ٢٧ ذي الحجة ١٣٥٤

٥ — الشيخ عبد الرؤوف الصبّان .

٦ — الشيخ عبد الحميد الحديدي .

٧ — الشيخ عبد الله عراقي .

وتحولت الإدارة ، بعد عبد العزيز ، إلى وزارة للحج والأوقاف ، صدر بإنشائها مرسوم ملكي .

وأول وزير عُين لها ، هو الأستاذ محمد حسين عرب .

ويتولاها الآن بالنيابة، الأستاذ محمد عمر توفيق ، وزير المواصلات .

الملك عبد العزيز

والشعر

كان عبد العزيز يتذوق الشعر ويطرب للمعنى الدقيق ، ويتردد على لسانه بعض الأبيات في المناسبات . وهو في الشعر الملحون (النبطي) أعرف وأعمق.

أورد حمد الجاسر في معرض الكلام على عين من الماء ، يقال لها « الهيت » قريبة من الرياض ؛ أبياتاً من الملحون قال : إنها مما ينسب إلى الملك عبد العزيز[1].

ونقل مؤلف « عبد العزيز في التاريخ »[2] أبياتاً ، فيها فكاهة ، قال إنها لعبد العزيز .

وحدثني إبراهيم بن سليمان ، آل عقيل ، أن الملك عبد العزيز ، كان قد همّ بمهاجمة الأحساء في أوائل سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) وزحف إليها ، وامتنعت عليه ، فوقف أمامها ممتطياً صهوة جواده ، وهزّ رمحه بعنف ، فانكسر الرمح من جانبيه ؛ وأنشد :

يا هَجَر ، يا زين النبات   لا تحسبينا هاربينْ
إن طوّل الله بالحياة   حنّا إليك راجعينْ

وكان فتح الأحساء ، وإجلاء العثمانيين عنها ، في كرّته الثانية عليها . وقد تقدم خبرها .

وسمعت أبياتاً من الملحون، قيل : إن عبد العزيز أجاب بها أحد أبناء عمومته ، من حفدة سعود بن فيصل ، والبيت الثاني منها :

---

(١) « مدينة الرياض » ٢١ وفيه الأبيات مع شرحها .
(٢) محمد بن إبراهيم الحقيل ، ص ٨٣

خبر سعود وقل له مير[١] وش جابه
بيوم دنياه مــا تعرف عواقبهــا



وكان مما أخبرني به رُشدي مَلْحَس (نائب رئيس الشعبة السياسية) في الرياض، وقد طالت ملازمته للملك عبد العزيز؛ أنه يفكر في تدوين ما ينسبه إليه رفاق صباه، من أبيات يتناقلونها عنه، من الشعر «النبطي»

ولا أعلم إن كان قد بقي بعد وفاة رشدي، شيء من هذا، في أوراقه المخزونة بجدة؟

ورجعت في ذلك كله، إلى الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، أخي الملك عبد العزيز، أستفتيه، فقال: لم يكن، رحمه الله، يقول الشعر. ولكن ربما كان يجري على لسانه الشطر أو البيت، من

---

(١) لكن

الملحون ، فيردّده ، ولا يتعمد الزيادة ..

رأيه في بيت من الشعر

أخبرني يوسف ياسين ، قال : كنت مع الملك في رحلة بالبرّ (قبل أيام السيارات) وأظلم الليل ، فجال في خاطري أن أتمثل بقول الشاعر :

لمعت نارهم وقد عَسْعَس الليل —
وضلّ الهادي وحار الدليلُ !

فقال الملك : كفانا الله الشرّ ... العرب تتشاءم من هذا البيت يا يوسف !

مما يتمثل به

وكان كثيراً ما يردّد في المناسبات ، قول الأفوه الأودي (صُلاءة بن عمرو) :

تُهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... وإن تولّت فبالأشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى ، لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهّالهم سادوا !

وقول عليّ بن المقرّب الأحسائي :

تجافَ عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه ... فوا عجبا إن سالمتك الأباعد !

وسُمع يتمثّل بقول الفرزدق :

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكّهم ... إذا أثقل الأعناقَ حمل المغارمِ !

غنوا !

وكان يطرب لسماع الغناء بشعر البادية . حكى ابن بُليهد في كتابه صحيح الأخبار ، وهو من أهل بلدة « شقراء » أنه كان في صحبة الملك عبد العزيز ، في سنة الحَريق ، ونزلوا على بئر « الخُريزة » في وادي بِرْك (بجبل اليمامة الجنوبي) قال : فعرض علينا الملك ، وقال : غنوا يا أهل شقرا ! فتجاذبنا الأصوات بأبيات منها :

حِنّا رجعنا من الأفلاج كل اللوازم قضيناها
والهجن فوق الخُريزة داج ضامي وعطن على ماها

فوق ما فعلوا !

وذكر الريحاني أنه رأى على باب القصر الملكي بيتاً معروفاً من الشعر، وهو :

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل

فقال للملك : هذا مبدأ شريف يا مولاي ، ولكن البيت الثاني :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل مثل ما فعلوا

فقال الملك : نحن نبني يا أستاذ كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل (إن شاء الله) فوق ما فعلوا ..

الملك عبد العزيز

في كتاب « خمسون عاماً في جزيرة العرب »[1]

صدر الكتاب بعد وفاة الملك عبد العزيز . وفيه عدة فصول عنه ، يحسن التوقف عندها .

فمن فصل عنوانه الملك عبد العزيز : كان عبد العزيز محدّثاً بارعاً يخاطب كل جماعة بما يناسبها : لأهل الأمصار لغة ، ولأهل البادية لغة ، ولشيوخ العلم لغة . وكان يحفظ كثيراً من آيات القرآن وقسطاً وافراً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، يستشهد بها في أحاديثه .

ومن هذا الفصل : كان عبد العزيز يعمل لإسعاد شعبه ورضاء أسرته : يستدين لإسعاد الجميع . ولا يضيق صدره إلاّ حين يقلّ المال في يده ، فلا يستطيع إغاثة الملهوف ، وسدّ حاجة المحتاجين ، والطامعين في رفده ، من البادية والحاضرة .

، ، ،

ومن فصل عنوانه عبد العزيز القائد : كان عبد العزيز يدير معاركه بنفسه . وكان رائده في معاركه خالد بن الوليد . يقسم جيشه إلى جناحين : جناح أيمن ، وجناح أيسر ؛ ثم يحتفظ بقسم من جنده في المؤخرة ، ليباغت به عدوّه إذا اشتدّ القتال . وكان من عادته أن يصبّح العدوّ بعد صلاة الفجر أو قبلها .

ومنه : كانت عادته في السفر ، إذا حطّ الرحال للغداء أو للعشاء ، ألاّ

---

(١) للشيخ حافظ وهبة . طبع بمصر ، سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)

يبتدىء الطعام حتى يحضر جميع رفاقه، الذين اعتادوا حضور مائدته. فإذا تأخر أحدهم ، أرسل إحدى السيارات لإحضاره ، خشية أن يكون قد أصابه — أو أصاب سيارته — عارض في الطريق أخّره .

وكان من آيات عظمته ، اعترافه بالخطأ إذا أخطأ . ويقول دائماً : إني لم أتعلم في مدرسة ، بل علمتني التجارب ، وعلمني اختلاطي بالرجال ، سماعي الكثير من أخبار عظماء التاريخ .

الملك عبد العزيز

كما وصفه عبد الرحمن عزام[1]

نشأ مطارداً في أرض آبائه وأجداده ، فعلت همته على مصائب الدهر ، فصارع خصومه ، واعتمد على الله ، ثم على خلق قويم ونفس سمحة ، وعزة في دهاء، وشدة في حلم ورحمة، فجمع جزيرة العرب التي لم تجتمع إلاّ فترات قصيرة بعد ردتها أيام أبي بكر رضي الله عنه . وأمّنها وتربع فيها ، وليس في يده إلا سيفه وكتاب الله عدته . وقد عرفته منذ قرابة ثلاثين سنة : هو ، هو . الرجل الذي يملأ سمع الدنيا وبصرها .

كان متعدد الجوانب كامل الرجولة ، لا أعرف أن أحداً التقى به من خصومه أو مواليه إلاّ أثر فيه بشخصيته التي لم يَجِد التاريخ إلا شذوذاً بمثلها .

عرفته وهو لا يملك من المال لإدارة هذا الملك الواسع ، إلا الكفاف .

وعرفته والدنيا تفيض بين يديه خيراً وبركة ، فلم يكن إلا عبد العزيز ابن سعود .. ولد سيداً ومات سيداً ..

يعطي كل ما يملك من القليل ، ويعطي كل ما بيده من الكثير .

لا يعرف المنّ والأذى . كان رجلاً ، إذا أخذت الأمور على طبعائعها فإنه ليس إلا شيخاً كبيراً في قوم من البدو .

---

(١) من مقال له ، بعد وفاة الملك «عبد العزيز» نشر في جريدة المصري، بالقاهرة في ١٩٥٣/١١/١٢



الملك عبد العزيز يتحدث إلى « عبد الرحمن عزام » والواقف « الشيخ عبد الرحمن الطبيشي » ناظر الخاصة الملكية

بلاده ومن فيها تعيش في القرون الوسطى . ولكنه بشخصه وبما أودع فيه من مهابة واستقامة وروح شجاعة ، استطاع أن يلفت أنظار الدنيا كلها إلى شخصه ثم إلى وطنه ثم إلى العرب كافة .

لم يكن يملك جيشاً ولا مالاً ولا سلطاناً يساوي شيئاً مما كان لشخصه في النفوس ، في العالم الجديد والقديم . فهو بهذا الاعتبار ، عربي لم تعرف الجزيرة منذ أيام عمر رضي الله عنه ، له مثيلاً وسيبقى خالداً .

كانت قوته في إدراكه العميق للبّ المشاكل ، وإلهامه للصواب في حلها ، وتوفيقه في أن يعتمد على مشورة من يتفرس فيهم من الرجال أولي العزم والصدق فكان حسن الاختيار في أعوانه ، لا يطلب من هؤلاء الأعوان أن ينزلوا عن قدرهم إلا كما ينزل الولد المحب لأبيه . فكان أمره شورى لا أعرف أنه صدر في مشكلة برأي قبل أن يقلبها مع أُولي الرأي في قومه ، بل وكثيراً خارج بلاده وقومه ... فأوتي الحكمة في تصرفاته ، حتى ظنها الناس سعداً له وحظاً موفوراً . ولا أعرف رجلاً كعبد العزيز ، جندياً سال دمه مقاتلاً ، يمتلىء بالرحمة لأعدائه وقد انتصر عليهم . فتاريخه كله سلسلة من الفروسية والرحمة لخصومه .

كنت في سنة ١٩٣٨ ضيفاً له ، في شمال نجد ، وبقينا أياماً في البادية للقنص ، وكلما جلسنا إلى طعام وجدت حوله من قاتلوه .. أو قاتله آباؤهم ، يمرحون ويمزح معهم ويشاركهم في قُوته وماله ومتاعه ؛ وهو يتفكه بقصصهم وقصص آبائهم معه ، والهزائم التي ابتلي بها في قتالهم ، والنصر الذي آتاه الله عليهم ، ويُقسم أنه يراهم كما يرى أبناءه ، ولا يرضى فيهم إلا بما يرضى في أبنائه . وفعله معهم هذا ، أكبر دليل على صدقه، فقد عاش أمراء جزيرة العرب وشيوخها الذين استولى على ملكهم ، أعزاء في كنفه ، تحميهم كلمة التوحيد ، وتصون حقوقهم تلك الروح التي لم يجد الزمان بمثلها ، روح عبد العزيز السامية وعقله الكبير وحلمه وتواضعه وخوفه من الله سبحانه وتعالى .

كان روزفلت طاغية يصرّف الأمم ويملك كنوز الأرض . وقع فريسة

لليهودية العالمية ، سنين طويلة ، يتصرف في شؤون العرب وفلسطين وفق أهواء الصهيونية العالمية ، حتى التقى بابن سعود ، على باخرة في الإسماعيلية ، بقناة السويس ، فحدثه ثم شدّ يده وعاهده على ألاّ يعمل في حياته ضد المصلحة العربية ، وأنه لن يعمل عملاً قبل مشورة العرب . والتقيت معهِ بعد ذلك بيوم ، في أوبرج الفيوم ، فأخبرني بما كان بينه وبين روزفلت . وما ظننت أن روزفلت يصدق ، حتى تجلت لي الأمور في أميركا ، بعد ذلك بسنين ، وعلمت أن روزفلت خرج من لقائه لعبد العزيز ابن سعود وهو شخص آخر بالنسبة لشعوره وفكره نحو العرب . وقد يكون من سوء حظ العرب أن روزفلت لم يعش بعد الحرب ..

ولم يكن عبد العزيز ابن سعود وقتئذ يملك الجيوش ولا الأموال ، ولا فاض على بلاده زيت الجزيرة . ولكن شخصية عبد العزيز ، قبل كل شيء ، هي التي جعلت من مثل روزفلت وتشرشل وحتى هتلر ، قبل ذلك ، وموسوليني طلاّباً لوده فخورين بالصلات التي يقيمونها معه .

ولا أعرف أجنبياً في أوروبا ، أو أمريكا ، سياسياً ، أو عسكرياً أو تاجراً أو صحفياً قابل عبد العزيز ابن سعود ، ولم يترك في نفسه أثراً باقياً على ممر الأيام.

استلم ملكاً ضائعاً فجمعه ، وبلاداً خربة فعمرها ، وأمناً مباحاً فأقره ، وشعباً جائعاً ففاض بين يديه الرزق . فهو ليس رجلاً عظيماً فحسب ، ولكنه رجل مبارك كذلك ، فقد كان ما بينه وبين الله عامراً .

الملك عبد العزيز

توقيعه وخطه

كان توقيع الملك عبد العزيز بخطه، على الصور التي يهديها، هكذا:

« الواثق بالودود عبد العزيز السعود »

وأما خطه ، فأورد حافظ وهبة النموذج الآتي منه . (في الصفحة التالية) ويقرأ هكذا :

الشيخ حافظ ، ما عرّفت كان معلوم . القائمقام رجع هو وعبد الله الفضل اليوم من عند قنصل مصر ، وباركوا له . وأما الكتاب ما أشوف له محل، لأجل أمور تعرفها أنت . إلا ان كان سعود يكتب لملك مصر ، يبارك له ، فإنه جايز ما يخالف .

عبد العزيز

خط الملك عبد العزيز

[illegible]

الشيخ حافظ

[illegible]

الملك عبد العزيز

وقضية فلسطين

ظلّت قضية « فلسطين » شغل العالم العربي ، ثم العالم الإسلامي ، زهاء خمسة وأربعين عاماً ، ولا تزال .

ويمكن العود قليلاً إلى ما قبل ذلك ، إلى اليوم الذي أبرز فيه أحد رجالات العرب ،شكري العسلي الدمشقي« طابعاً صهيونياً للبريد »عرضه على مجلس النواب العثماني عام ١٩١٢ م محذراً من خطر « الصهيونية » وداعياً إلى مقاومتها .

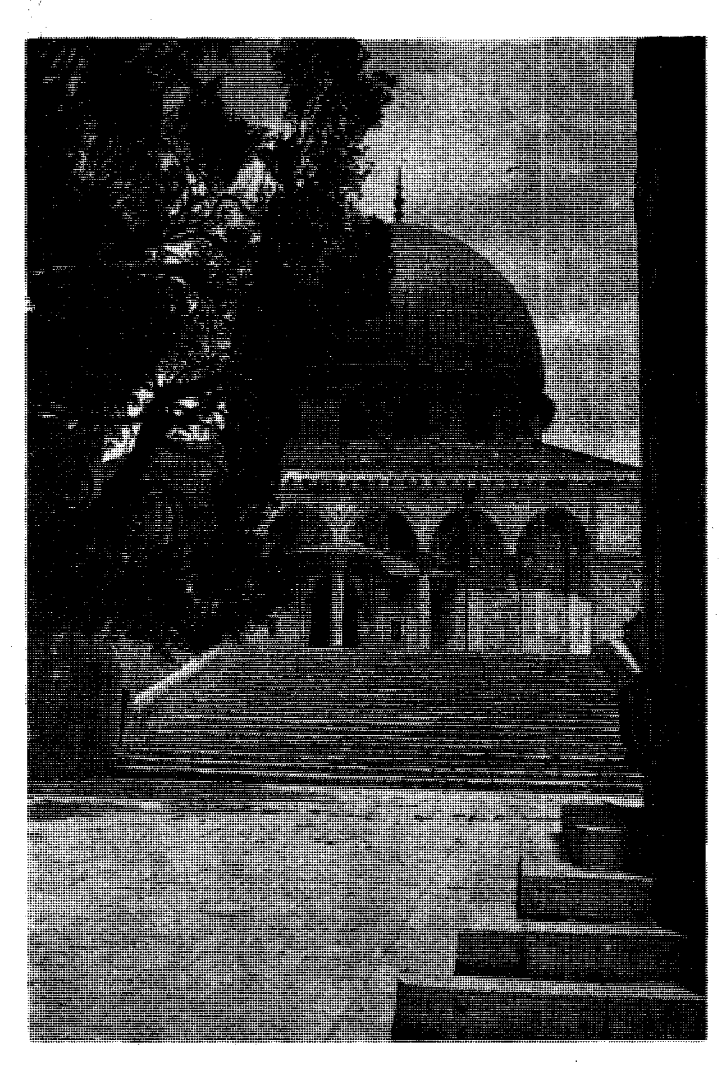
ومرّت بفلسطين أحداث . وقامت فيها بعد الحرب العامة الأولى ثورات ليس هنا مجال الإسهاب في تفصيلها .

ووقف العرب ، وجهاً لوجه ، أمام السياسة البريطانية ، وأمام وعد « بلفور » لليهود بإنشاء وطن قومي لهم ، في تلك البقعة المقدسة ، من بلاد العرب والإسلام . ودخلت أميركا في معترك السياسة الدولية بعد ذلك ، فكانت في قضية فلسطين ضغثاً على إبّاله ..

وكانت للملك عبد العزيز مواقف العربي المسلم ، الصحيح العروبة ، الصادق الإسلام . فساهم في قضية فلسطين ، بسعيه ، وماله ، ورجاله . كما ساهم في القضايا العربية الأخرى ، بما كان يرى حفظه في سجلّ الدواوين ولا يأذن في نشره ..

وألف الناس « الإعلان » عن أعمالهم ؛ وعبد العزيز لا يُعلن . وأدّى

ذلك في بعض الأحيان إلى قوارص من النقد وجهت إليه وإلى حكومته ، في بعض الصحف ، فكانت كلمته : نحن لا نعمل للناس ، نحن نعمل لمرضاة رب الناس !



قبة الصخرة في المسجد الأقصى ، بالقدس
صورت سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣م)

الملك والحكومة البريطانية

وكانت المجابهة الأولى بين الملك عبد العزيز والبريطانيين ، في قضية فلسطين ، يوم عرضوا في اجتماعات « وادي العقيق » في جمادى الأولى ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) – مشروع « اتفاقية » عرفت بعد ذلك باتفاقية جدة . وطلبوا وضع مادة خاصة للاعتراف بمركز خاصّ لبريطانيا في فلسطين .

أرادت الحكومة البريطانية انتهاز الفرصة حين كان عبد العزيز يطالب بإلغاء معاهدة ١٩١٥ التي فُرضت على نجد ؛ لتأخذ ثمن إلغائها اعترافاً منه بالمركز « الخاص » لها في فلسطين . واستمرت المباحثات نحو عشرين يوماً وكانت هذة « المادة » إلى جانب موّاد أخرى ، سبباً لوقف المفاوضات مدة من الزمن ، إلى أن نزلت بريطانيا عنها .

وجاء بعد ذلك نبأ اعتداء نفر من اليهود ، بإلقاء قنابل على المصلّين يوم الجمعة في المسجد الأقصى (ربيع الأول ١٣٤٨ / أغسطس ١٩٢٩) فكتب عبد العزيز كتاباً إلى ملك بريطانيا ، يعرب فيه عن سوء الأثر الذي أحدثه الاعتداء ، في نفسه ونفس شعبه ، ويناشده المحافظة على شعار الدين ، ومعاقبة الآثمين ، ومنع تكرار مثل ذلك الحادث . وأجابه العاهل الانكليزي في ١٠ ديسمبر ١٩٢٩ (رجب ١٣٤٨) مؤكداً اهتمام حكومته للأمر وأن حادث الاعتداء على المسجد ، لم يقع ..

وواصل الجهود مع الحكومة البريطانية ، بأحاديث مباشرة ، بينه وبين وزرائها المفوضين بجدة ، وبواسطة خارجيته ، وممثّل حكومته بلندن ، مبيناً في كل موقف أن السياسة التي انتهجها البريطانيون في ذلك البلد العربي المقدس ، تتنافى مع الصداقة التي تنشدها بريطانيا مع المسلمين والعرب ، وتخالف عهودها ومواثيقها ، ولا تتفق مع الحق والعدل .

ولما اشتدت ثورة فلسطين سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦م) رأى أن يقوم بمساع

مشتركة مع الحكومات العربية التي يمكن أن توافق على الاشتراك في ذلك . فأبرق إلى القائم بأعمال المفوضية السعودية ببغداد ، ليبلغ رئيس الوزارة العراقية (ياسين باشا الهاشمي) رأيه في الموقف . وقد تضمنت البرقية أولاً — وصف الحال التي صارت إليها قضية فلسطين (في ذلك الحين) وعظم أثرها في نفوس العرب والمسلمين . ثانياً — موقف الإنكليز وتصلبهم في القضية . ثالثاً — موقف العرب المدافعين عن أنفسهم . رابعاً — المصاعب التي ستواجه التدخل في الأمر أمام تشدّد البريطانيين واستماتة العرب . خامساً — أشار إلى أن هذه الصعوبات كلها ، لا يجوز أن تحول دون بذل المساعي . وأوضح في تلك البرقية ما دار من المباحثات بين وزيره المفوض في لندن والحكومة البريطانية ، وأن هذه لم تشأ أن ترتبط بأي وعد ، ولم تزد على القول بأنها تحبّ الإصلاح .. وأبان أن هذه فرصة ، لعمل الممكن لخدمة فلسطين ولمساعدة أهلها في موقفهم الحاضر الدقيق ، ولفسح المجال للعرب لنقل قضية فلسطين من قضية بين أهاليها وانكلترة واليهود ، إلى قضية عربية عامة .

واتصل بعدئذ برؤساء الحكومات الأخرى ، إلى أن تمّ وقف القتال .

تسلسل الحوادث

نشبت في فلسطين ثورة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) فسارع الملك عبد العزيز إلى تحويل العون المادي في ٢٥ ربيع الأول ١٣٥٥ — كما هو مدون في بعض المذكرات الرسمية — لتسليمه إلى منكوبيها. وأبرق في ١٣٥٥/٣/١٥هـ، إلى وزارتي الخارجية والمالية السعوديتين بجدّة ، لترسلا إليهم مساعدات من الأرزاق والمؤن ، وأن تهيئا للشعب السعودي سبل القيام بمثل هذه المساعدات .

وأبرق إلى وزيره المفوض في لندن (في الشهر نفسه) ليتصل بوزارة الخارجية البريطانية ، وينقل إليها شعوره الشديد وتأثره ، مما وصلت إليه الحال في فلسطين ، وأن يتداركوا الموقف بما يضمن للعرب حقوقهم .

وفي ١٣٥٥/٤/٩هـ أبرق إلى وزيره في لندن أيضاً ، ليسعى باسمه لدى المراجع البريطانية العليا ، للإفراج عن المعتقلين والمحكوم عليهم ، ووقف الهجرة ، تمهيداً للدخول في مباحثات لحل المشكل .

وأبرق إلى ملك اليمن ، وإلى ملك العراق ، وإلى أمير شرقي الأردن ، يقترح تعاون الممالك العربية في مفاتحة الإنكليز كتلة واحدة ، بشأن فلسطين ، ومجابهة الموقف متّحدين لتفريج الأزمة في تلك البقعة العربية المنكودة ، ومحاولة الوصول إلى حلّ للقضية بين أهلها والبريطانيين ، بواسطة ملوك العرب وأمرائهم .

وفي ٢٢ رجب ١٣٥٥ (أكتوبر ١٩٣٦) وجّه بالاشتراك مع ملكي العراق واليمن وأمير شرقي الأردن ، نداءً إلى أهالي فلسطين بواسطة اللجنة العربية العليا ، لوقف الاضطرابات حقناً للدماء ، معتمدين على رغبة الحكومة الإنكليزية في التعاون على تحقيق العدل ..

، ، ،

ولبى أهل فلسطين دعوة ملوك العرب ، فتوقف الاضطراب . وبعثت اللجنة العربية العليا في فلسطين ، ببرقية إلى الملك عبد العزيز وملكي العراق واليمن وأمير شرقي الأردن ، تنبئهم بذلك . فأبرق عبد العزيز إلى اللجنة ، في ٢٨ رجب ١٣٥٥ (أكتوبر ١٩٣٦) بما نصه :

« سرّنا إخلاد إخواننا عرب فلسطين للسكينة ، وإقبالهم على مزاولة أعمالهم ، حقناً للدماء وحباً للإصلاح . فنشكر لهم هذه العاطفة والشعور نحونا ، ولما أبدوا من حب السلام وإظهار نواياهم الحسنة ، وفي الطريقة التي نتمنى أن تكون موصلة إلى الغاية المنشودة . أما من جهتنا فكونوا واثقين من أننا لم ولن نقصر في السعي لمعاونة إخواننا في هذا السبيل . وندعو الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح » .

« عبد العزيز »

، ، ،

وأذاعت الحكومة البريطانية ، عزمها على إرسال « لجنة ملكية » بريطانية

للنظر في مطالب الفلسطينيين . وتردّد القول في فلسطين بمقاطعة اللجنة .

، ، ،

وفي منتصف شوال ١٣٥٥ (١٩٣٧م) حلّ في الرياض ، وفد[١] أرسلته اللجنة العربية العليا من القدس . كان من جملة ما زوده به الملك عبد العزيز ، من توصيات وآراء ، كتاب إلى اللجنة هذا نصه[٢] :

« وبعد فقد وصل إلينا وفد اللجنة العربية العليا ، وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والأسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية .

« وبعد استماعنا لكل ما أبداه الوفد الكريم ، من مبررات لموقف لجنتكم ؛ وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في إنصاف العرب ، فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والإدلاء إليها بمطالبكم العادلة. لأن ذلك أضمن لحقوقكم وأدعى لمساعدة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم . وقد أبدينا للوفد الكريم ما لدينا من الآراء في ذلك .

« ونحب أن تكونوا على ثقة بأننا لا نألو جهداً في سبيل مساعدتكم لإصلاح الحال ، بقدر إمكاننا . وإنا لنرجو من الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير للإسلام والعرب .

١٨ شوال ١٣٥٥ (١ كانون الثاني ١٩٣٧)

عبد العزيز

وكان من أثر هذا الكتاب ، وكتاب آخر في موضوعه من الملك غازي ملك العراق ، وما أبداه أركان الحكومة الوطنية في سورية ، من وجوب الاتصال باللجنة الملكية البريطانية وعدم إضاعة الفرصة ، أن أصدرت الهيأة العربية العليا في فلسطين ، بياناً في ١٩٣٧/١/٦م، جاء فيه :

« إن اللجنة استمعت إلى بيانات الوفد الذي عاد من رحلته . واطلعت

---

(١) مؤلف من الشيخ كامل القصاب وعوني عبد الهادي ، وعزة دروزة ، ومعين الماضي .

(٢) حول الحركة العربية الحديثة ، لعزة دروزة ٣ : ١٤٩

على كتابي صاحبي الجلالة ملك المملكة العربية السعودية وملك العراق ، فلم يسعها إلاّ أن تستجيب للطلب السامي ، فقررت الاتصال باللجنة الملكية وبسط القضية العربية لها » .

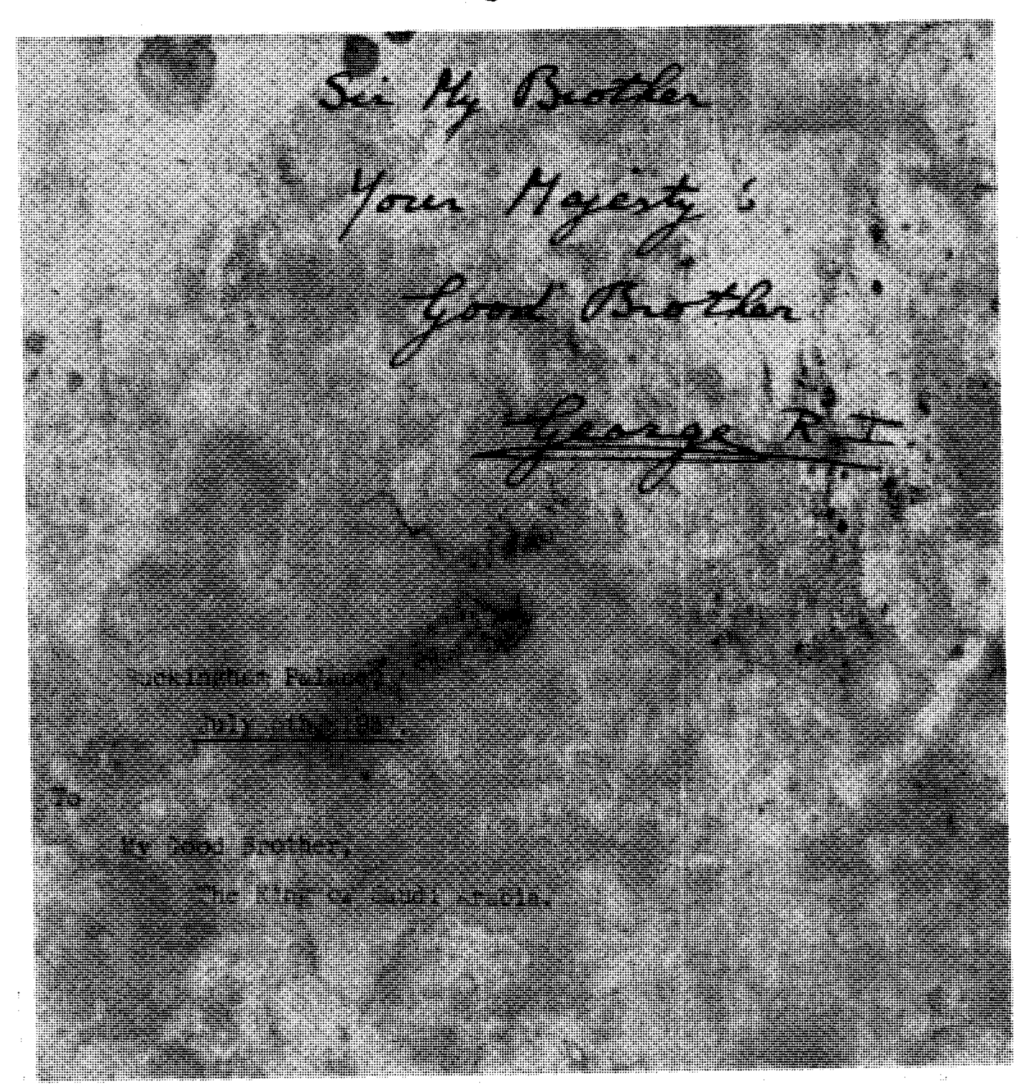
وفي ١١ محرم ١٣٥٦ (٢٥ مارس ١٩٣٧) قابل وكيل وزارة الخارجية السعودية بجدة ، الوزير البريطاني المفوض ، وأكد له ضرورة لجوء بريطانيا إلى معالجة القضية على أسس من فهم وجهة النظر العربية ، ومعاملة الفلسطينيين باللين . كما شكره على إبدال حكم الإعدام عن بعض المحكوم عليهم من العرب .

وفي ١٣٥٦/٦/٢٥ (اغسطس ١٩٣٧)على أثر قرار أصدرته اللجنة الملكية البريطانية بتقسيم فلسطين ؛ أصدر النائب العام للملك عبد العزيز ، إذناً بتأليف لجنة ، في كل بلد من البلاد السعودية ، لترفع صوت الشعب العربي السعودي في العالم ، ولتمدّ الحركة الوطنية في فلسطين بما يتبرع به السعوديون من عون ومساعدة .

وفي ١٣٥٦/١٠/١٠ (ديسمبر ١٩٣٧) كتب رئيس الشعبة السياسية ووكيل وزارة الخارجية ، إلى رئيس إحدى الحكومات العربية ، يبين رأي الحكومة السعودية في الخطة التي يحسن بالبلدين اتباعها ، لمساعدة فلسطين ؛ ورغبة الملك عبد العزيز بعمل المستطاع لذلك ، ويقول : « ويرى جلالته أن التظاهر الحالي من العمل المثمر ، يضرّ بالقضية ، وأن عدم إطلاع الخصم على حقيقة المساعي المبذولة يكون أبعد أثراً في إنجاحها » .

وفي ١٢ شوال ١٣٥٦ (١٥ ديسمبر ١٩٣٧) حضر السيد ريدر بولارد وزير بريطانيا المفوض بجدة ، لمقابلة الملك فيها ، فأفضى إليه الملك بأنه « لا يوجد عربي صادق يوافق على التقسيم ، وإذا قيل لكم إن أفراداً في بلد عربي ما ، يوافقون عليه ، فثقوا أن أغلبية ذلك البلد لن توافق » وحذّره من أن تقوم السلطات البريطانية بعمل يكون مضرّاً بعرب فلسطين ..

خط الملك جورج ، وتوقيعه



Sir My Brother

Your Majesty's

Good Brother

George R.I.

Buckingham Palace,

July [illegible] 1937.

To

My Good Brother,

The King of Saudi Arabia.

وفي الديوان الملكي ، بالرياض ، رسائل ودية من الملك جورج السادس إلى الملك عبد العزيز .وردت إحداها مذيلة بتعليق منه،بخطه وتوقيعه،في يوليو ١٩٣٧ (جمادى الأولى ١٣٥٦)

عبد العزيز يتحدث

وفي ٣ ذي القعدة ١٣٥٦ (٤ يناير ١٩٣٨) كان الوزير البريطاني المفوض، بين يدي الملك ، في « المُحْدَثة »[١] فشرح له الملك ما رأى أن الموقف في فلسطين قد وصل إليه ، ومدى امتعاضه من موقف البريطانيين فيها ، ومدى تأثير ذلك في مركز بريطانيا في العالمين العربي والإسلامي ، إلى أن قال: « إن الذي أُخبرك به بصراحة ، هو أن حكومة بريطانيا لم تمدر موقفي . وإنني على كل حال أني لديني وعربيتي قبل كل شيء ... والمحافظة على شرفي وعلى ديني وعربيتي تقضي عليّ بالكثير .. »

واسترسل في الحديث عما وصل إليه من أخبار الأعمال العسكرية البريطانية مع العرب في فلسطين . وكان (كما يفصّل ذلك محضر المقابلة المحفوظ) يصف مدى تأثير هذه المآسي في نفسه ، حتى غلب عليه التأثر ، وخنقته العبرة وهو يتكلم . وأثر الحديث في نفس ابنه الأمير فيصل ، وكان حاضراً، فانصرف من المجلس ليمسح دموعه .

بين الملك عبد العزيز والحكومة البريطانية

تبادل الملك عبد العزيز و الحكومة البريطانية ، في خلال هذه الأحداث بفلسطين ، كثيراً من الرسائل و « المذكرات » الرسمية ، وأورد هنا على سبيل المثال نص المذكرتين الآتيتين :

الأولى ، في ١٩ ذي القعدة ١٣٥٥ (١٩٣٧/١/١) مذكرة من الملك عبد العزيز (عن طريق وزارة خارجيته) إلى الحكومة البريطانية بواسطة مفوضيتها في جدة :

« لسنا في حاجة إلى أن نؤكد للحكومة البريطانية صداقتنا، وسعينا في تقوية هذه الصداقة ، وأن السياسة التقليدية التي سرنا عليها ، هي التي حملتنا

---

(١) المحدثة ، بضم الميم وسكون الحاء وفتح الدال : منهل في وادي العقيق ، شمالي منهل « عشيرة » المحطة الأولى للخارج من مكة إلى نجد .

على تبادل الرأي مع بريطانيا الصديقة في كل ما له صلة بالصالح العربي .

« إن كل ما نسعى إليه من قديم ، هو أن يسود السلام ، وتزداد الطمأنينة ، ويقوى التعاون بين العرب جميعاً ، وبين الحكومة البريطانية التي أثبتت الحوادث صداقتها للشعب العربي ، وسعيها للأخذ بناصره . والشعب العربي لم يشذ عن هذه القاعدة إلاّ في فلسطين ، لا لأن بريطانيا لها رأي آخر في الشعب العربي ، بل لشذوذ في وضع فلسطين ، بسبب تكاثر العناصر الغريبة من اليهود ، وطغيانها على سكان البلاد ، العرب الأصليين .

«إن هناك قلقاً من تكاثر اليهود في فلسطين ؛ لا في فلسطين وحدها بل في سائر البلاد العربية والإسلامية . ولقد عانينا الشيء الكثير في الضغط على رعايانا ، كيلا يظهر منهم أي أمر يزيد تعقيد المشكلة . وكثير مما عملناه لم نخبر الحكومة البريطانية به ، لعلمنا أن ذلك شيء تقضي به الصداقة .

«ولقد وردت إلينا كتب كثيرة ، تزيد في مخاوف المسلمين ، وهي أن اليهود ينوون احتلال المدينة وخيبر وهدم قبر النبي صلى الله عليه وسلم . ونحن وإن كنا نشكّ في صحة هذه النيات ، إلا أن ذلك يدل على مبلغ الدعايات التي يقوم بها أعداء بريطانيا ، ونشاطهم في كل مكان . وقد منعنا عقد المؤتمر الإسلامي في مكة ، خشية من أن تثار هذه القضية الخطيرة التي سيكون لها أسوأ الأثر في نفوس المسلمين والعرب على الأخص .

«إن قلق العرب والمسلمين ، أساسه هو تصريحات اليهود المتكررة ، من أن غرضهم هو إنشاء مملكة يهودية في فلسطين . وسيل الهجرة في السنوات الأخيرة ، جعل العرب والمسلمين يقلقون على مستقبل فلسطين ، كبلد عربي له قداسته الدينية . فقد كان اليهود أقلية ضئيلة ، ثم صاروا اليوم الثلث تقريباً . وإذا ظل باب الهجرة مفتوحاً فإنه ستصبح الأكثرية في فلسطين لليهود ، وتتحقق المخاوف التي تساور العرب في طردهم من بلادهم . إن بريطانيا العظمى تعلم أن بعض البلاد الأوربية التي تفوق فلسطين في سعة الأرض والتقدم الاجتماعي والاقتصادي ، قد ضاقت ذرعاً باليهود ، فهل يلام أهل فلسطين ومجاوروهم

من العرب ، إذا رأوا سيل اليهود يطغى على سكان البلاد ويهدد مستقبلهم ؟

«لا نرى من العدل أن نلوم بريطانيا على تصريحات صدرت من زعماء اليهود . وبريطانيا قد برهنت في موقفها من العراق ، على ما هو معهود فيها من حب العدل والإنصاف ، وما تنويه من الصداقة نحو الشعب العربي . ولكن القلاقل والفتن المتكررة في فلسطين ، وما ساور الشعب من المخاوف ؛ هو الذي جعلنا كأحد أصدقاء بريطانيا القدماء ، نلفت نظرها إلى هذا الأمر .

«وقبل بسط توصياتنا ، نريد أن نحيط الحكومة البريطانية علماً بأنه ما دفعنا إلى التدخل في قضية فلسطين ، إلا صداقتنا لها ، وحرصنا على إيجاد جو من السلام والتعاون بين العرب جميعاً وبين الحكومة البريطانية .

«إن حوادث الزمان ليس في مقدور أحد أن يمنعها. وأعداء بريطانيا ناشطون في كل الأقطار العربية . وإننا لا نريد إذا ما حدث حادث في أوربا إلا أن تعتمد بريطانيا على العرب جميعاً ، وتأمن جانب أهل فلسطين على الأخص. وإلا فإن اليهود أنفسهم في خطر من جراء الدعايات التي يبثونها ، هم وأعداء بريطانيا . ونخشى أن تتجدد القلاقل والفتن مرة أخرى ، فالأعداء الذين لا يخفى أمرهم على بريطانيا ينفثون سمومهم في فلسطين وغيرها من الأقطار الإسلامية العربية .

« وإننا نُجمل فيما يلي الاقتراحات والتوصيات التي وعدنا بتقديمها ، والتي وعدت الحكومة البريطانية بالنظر إليها بعين الاعتبار :

أولاً — نقترح على الحكومة البريطانية إعلان عفو عام عن سائر الجرائم التي ارتكبت أثناء الإضراب والاضطرابات ، وإطلاق سراح المسجونين . وهذا ليس بكثير على حلم الحكومة البريطانية وسعة صدرها ، لأن ذلك يساعد على إيجاد جوّ جديد من الثقة والطمأنينة يساعد على حل جميع المشاكل .

ثانياً — مسأله الهجرة اليهودية . إن هذه المسألة هي في الدرجة الأولى لدى أهل فلسطين ، بل لدى سائر العالم العربي والعالم الإسلامي . وهي في

الدرجة الأولى لدى كل من ينظر للقضايا القومية بعين العدل والإنصاف . فإن مكاثرة شعب آمن في وطنه وبلاده ، بشعب غريب أجنبي ، له مطامع قومية في وطنه ؛ مما لا يستطيع شعب في العالم ولا حكومة من حكومات الأرض قبوله راضية به . ولم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب والأمم . واليهود كما ذكرنا قد ملأوا الدنيا بدعاياتهم وغاياتهم ، وأن مقصدهم تشكيل حكومة يهودية في فلسطين ، ويضمرون مطامع وراء هذه ، تشغل بال العالم العربي والإسلامي في كل بلد وقطر . وحيث أن العدد الذي في فلسطين من اليهود قد أصبح عدداً وافراً ، ولا بد قد تُحقق اللجنة الملكية هذا الأمر ؛ فإذا رأت الحكومة البريطانية أن تعلن إيقاف هجرة اليهود ، فإن كل سماح بهجرة جديدة سيجدد المخاوف ويقضي على الطمأنينة التي سعينا لتثبيتها في قلوب من يثق بنا وبنصائحنا من عدل الحكومة البريطانية . وقد تحققنا هذه المخاوف بصورة أكيدة مما وصلنا من الرسائل ، ومن المعلومات التي وصلت إلينا من الذين درسوا القضية في فلسطين ، بكل إنصاف واعتدال . وإن رأت الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة ، مدة عشر سنوات ، على الأقل إلى أن ترى الموقف في المستقبل ، فلعل هذا يكون أقرب إلى حل المشكلة من الجهات الأخرى .

ثالثاً — إن مسألة بيع الأراضي ، نقترح فيها أن تسن الحكومة نظاماً لحماية الملكية الصغيرة ، كما فعل في مصر . حتى تصون أملاك الضعفاء الجهلاء من الضياع .

رابعاً — أما المسألة الرابعة والتي هي في نظر أهل فلسطين مهمة ، وهي شكل الحكومة . فنرى أن تحلّ الحكومة البريطانية هذه القضية بينها وبين أهل فلسطين . ونحن من جهتنا سنوصي أهل فلسطين بقدر إمكاننا واقتدارنا بالتزام السكون التام والتفاهم مع الحكومة البريطانية على هذا الأساس الذي نعتقد أنه وإن كان يهمهم ، فهو في الدرجة الثانية من الأهمية بنسبة الهجرة

اليهودية . هذا ولنا الأمل العظيم في صديقتنا بريطانيا وصديقة العرب جميعاً، أن تكون عند حسن ظن العرب بها ، فتحقق ما يتطلبه العدل لأهل فلسطين وتزيل ما ساور نفوسهم من الخوف على مستقبل بلادهم ومستقبلهم .

، ، ،

والمذكرة الثانية ، في رجب ١٣٥٦ (سبتمبر ١٩٣٧)

من الملك عبد العزيز (عن طريق وزارة خارجيته) إلى الحكومة البريطانية بواسطة مفوضيتها بجدة :

١)– لسنا في حاجة لأن نؤكد للحكومة البريطانية الصديقة ، رغبتناالشديدة في أن نسير في السياسة العامة التي لها علاقة بمصالحنا المشتركة ، على خطة موحدة متفق عليها فيما بيننا . وقد كانت هذه خطتنا التي سرنا وما نزال نسير عليها ، بالرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تقف في أكثر الأحيان ، موقفاً سلبياً من حيث عدم رغبتها في التقيد بسياسة معينة ثابتة يسار عليها في المستقبل . غير أن الظروف الحاضرة الناشئة عن القلق الدولي ، والمخاوف من المستقبل المجهول ، تضطرنا إلى مفاتحة صديقتنا بكل صراحة في موضوع من المواضيع الخطيرة ، سبق لنا معالجته معاً بروح الاعتدال والمودة والصداقة .

٢)– إن الموضوع الخطير المشار إليه هو موضوع فلسطين ، وما يمكن أن يجر إليه من التطورات ذات الخطر الأكيد ، في مستقبل الشرق الأدنى والبلاد العربية . وقد تحققت للحكومة البريطانية، من دون شك، رغبتنا الأكيدة في المساعدة على معالجة هذه القضية بروح النصفة والاعتدال ، حين اشتداد الاضطرابات بفلسطين في العام الماضي ، وحين تحقيقات اللجنة الملكية ، وبعد ذلك إلى الآن. وبنفس تلك الروح قد أبلغنا السر «ريدر بولارد» دهشتنا من تقرير اللجنة الملكية ، واعتبارنا له ضربة مؤلمة تصيبنا نحن خاصة ، فضلاً عن إصابتها لأماني العرب والمسلمين في الصميم . وقد أبلغناه ذلك قبل أن يُنشر التقرير

ويعلم الأثر البليغ الذي أحدثه بين العرب ، في فلسطين وسائر البلاد العربية . فلما رأينا صدى الرأي العام في فلسطين والبلاد العربية ، وبالأخص في بلادنا ، لم نجد بداً من لفت نظر الحكومة البريطانية الصديقة إلى الأخطار التي تنجم عن الخطأ في معالجتها ، وإلى الظروف المحيطة بها ، أو التي يمكن أن تؤثر فيها ، وبالتالي في علاقاتنا بل علاقات العرب إجمالاً ببريطانيا .

٣)– لا يخفى أن هناك أسباباً جوهرية جداً ، تحملنا على الاهتمام بقضية فلسطين ، واستعمال كل ما في وسعنا من قوة لكي نوضح للحكومة البريطانية ما عندنا ، ونلحّ عليها لإيجاد حل عادل دائم لها . وتلك الأسباب هي : أولاً – أن وعود بريطانيا للعرب بالاستقلال ، أُعطيت في الأساس باسم الحجاز الذي هو الآن قسم مهمّ من مملكتنا . ثانياً – أن عدم حل قضية فلسطين على وجه مقبول ، قد يؤدي إلى إيجاد هوة سحيقة وبرزخ لا يمكن اجتيازه بين العرب وبريطانيا . ولسنا في حاجة إلى التوسع في ذكر الأخطار التي تنجم عن ذلك ، مما نسعى جهدنا لعدم حصوله ، ولتجنب وقوعه . . ثالثاً – إن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية . ولا يمكن لأيّ بلاد عربية أو إسلامية ، أو لأيّ حاكم عربي مسلم ، أن يغفلها أو يهملها من دون أن يعرض نفسه للانتقاد والتخطئة . رابعاً – وأخيراً : المسؤولية الأدبية العظمى التي أخذناها على عاتقنا ، بموافقة صديقتنا بريطانيا ، حينما أصدرنا بالاشتراك مع ملوك العرب وأمرائهم ، البيانين اللذين كان لهما الأثر الفعال والمباشر في وقف الاضطرابات وتعاون العرب مع اللجنة الملكية .

٤) – إننا بالرغم مما مرّ ، وبالرغم من التشاور الواقع بين الحكومات العربية ، لتوحيد خطة العمل في معالجة قضية فلسطين ، لم نشأ أن نزيد في الصعوبات الكثيرة التي تواجهها الحكومة البريطانية ، بالاحتجاج على تقرير التقسيم أو بإعلان استهجاننا له وعدم موافقتنا عليه . وإنما اكتفينا بإبداء ملاحظاتنا وبيان رأينا لها رأساً ، وفيما بيننا ، لوثوقنا أنها تتلقى ما نوضحه لها بكل

صراحة وإخلاص ، وتعتبره دليلاً قوياً على وجود رغبة صادقة من جانبنا في اتباع خطة مشتركة من شأنها مواجهة الصعوبات وحلها على الوجه الموافق . غير أن مضيّ الحكومة البريطانية في خطتها ، برغم ما ظهر لها من هياج الرأي العام وظهور بوادر الخطر في هذه القضية ، يجعلنا نتقدم ببياننا هذا ، راجين منها أن تحمله على محمل الإخلاص للمصلحة المشتركة ، والرغبة في زيادة توثيق التعاون بيننا ، وتوحيد خطتنا نحو هدف واحد ، هو تأمين السلم وإقراره بشكل دائم في هذا القسم من العالم .

٥)— إننا نرى بوادر الخطر ظاهرة ، في التحفز والاستعداد ، في فلسطين وشرقي الأردنّ نفسها ، وفي البلاد العربية المجاورة . وقد تحقق لدينا أن العرب يعتبرون هذه القضية قضية موت أو حياة . ونخشى أن ينقلب هذا النزاع — وليس من المستبعد أن ينقلب — إلى نزاع عنصري بين العرب وبريطانيا ، وهذا أمر يجب أن نبذل جهدنا للحيلولة دونه . ولكن قوة الرأي العام ودافع الشعور يجعل الوقوف في سبيله ، فضلاً عن عدم مساعدته ، أمراً في حكم المستحيل . وهذه إحدى المشكلات التي علينا أن نواجهها إذا جدّ الجد .

٦)— فإذا أمعنت الحكومة البريطانية في كل ما ذكرناه ، نعتقد أنهاستعمل جهدها على تغيير قرارها بإجراء التقسيم . لأننا نعتقد أن الحكومة البريطانية قد برّت بوعدها بالنسبة لليهود ، بينما أن في التقسيم إجحافاً كبيراً بحقوق العرب . لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ ما أُطلق عليه « تبادل السكان » من المنطقة اليهودية إلى المنطقة العربية إنما هو في الحقيقة ، إجلاء للعرب لم يجر له مثيل من قبل . لأن المنطقة العربية ، ليس بها من اليهود عدد يذكر ، ووعد بلفور في أساسه لم ينصّ على إجلاء العرب من بلادهم ، بل بالعكس أوصى بعدم الإجحاف بحقوقهم . وسيكون من دواعي سرورنا أن نقترح عليها حلاً عادلاً يرضى به جميع من يهمهم الأمر ، ويحل القضية حلاً نهائياً دائمياً ، على الأسس الآتية : أولاً — تأسيس حكومة دستورية في فلسطين ، يشترك

بها سكان فلسطين الحاليون ، بنسبة عددهم في الوقت الحاضر ، على أسس يتفق عليها . وتوضع ضمانات كافية لحماية الأماكن المقدسة ، والوصول إليها للجميع ، وكفالة حقوق الأقليات ، وتوزيع العدالة ، وضمان مصالح بريطانيا العظمى . ثانياً — تحديد الهجرة اليهودية ، بنسة ثابتة ، هي النسبة الحالية بين سكان فلسطين . بحيث لا يجوز زيادتها عن ذلك مهما تقلبت الأحوال ثالثاً — وضع تدابير معينة لانتقال الأراضي بشكل يضمن عدم تجريد العرب من أراضيهم .

٧)— إننا نأمل أن تلاقي ملاحظاتنا هذه ، قبولاً عند الحكومة البريطانية الصديقة ، ونرجو أن توافينا بآرائها في ذلك ، قبل استفحال الخطر . وستجد منا دواماً ذلك الصديق الذي يهمه إدامة حسن التفاهم وتثبيت الصداقة ، بين العرب وبريطانيا ، مستعداً لبذل ما في وسعه لإيجاد أحسن الفرص والظروف لتفاهم دائمي وصداقة وطيدة .

مع السر بولارد

ضربت وزارة الخارجية السعودية موعداً للورد بلهافين وستنتون (الكولونيل هاملتون الذي كان معتمداً لبريطانيا في الكويت ، أيام الحرب العظمى) ليكون مع السر ريدر بولارد ، في مقابلة الملك عبد العزيز ، في الشميسة[١] مساء يوم السبت ١٤ ذي القعدة ١٣٥٦ (١٥ يناير ١٩٣٨)

---

(١) الشميسة : قرية صغيرة ومسجد ، على بعد ٢٠ كيلو متراً غربي مكة . اسمها التاريخي « الحديبية » يتوقف عندها غير المسلمين عن التقدم إلى مكة . وكان ابتداء ذلك سنة ٩هـ (٦٣٠م) على أثر فتح مكة الأول في عصر النبوة . وكان الملك عبد العزيز يقابل فيها زواره من الأجانب ، حينما يكون في مكة . وكانت تعرف في أيام الزبيدي صاحب « التاج » باسم « الشميسي » .

وبعد تناول العَشاء اختلى الملك بالسر ريدر بولارد . وكان الحديث عن فلسطين .

بدأ الملك بذكر صداقته للإنكليز ، وأن من مصلحة الطرفين ومصلحة الجميع ، أن يكون الحديث بصراحة وبإخلاص . وأشار إلى خطة الحكومة البريطانية في تقسيم فلسطين وإقطاع اليهود جزءاً منها ، ثم قال :

لا شك ، أن بريطانيا قوية وقادرة على أن ترغم الناس بالعنف والقوة على الرضوخ إلى رغبتها . ولكن هل يأمن عاقل للحوادث المقبلة ، وما يمكن أن يسنح من فرص ؟ كلا . لا شك أن قوة بريطانيا إذا استُعملت تمكّن أياً كان من القيام بأعباء الحكم ، ولو كان امرأة ! ولكن هل من المصلحة أن تنصب بريطانيا أشخاصاً على عروش ، وتنشىء حكومات لا تستطيع أن تقف بنفسها أو أن تؤمّن حياتها إلا بمعونة الإنكليز ؟ وما فائدة الإنكليز من هؤلاء الأشخاص وتلك الأشكال ؟.. إن مشروع تقسيم فلسطين يحسب بحق ، نكبة عظيمة على العرب والمسلمين . ولكنه نكبة مهددة لبريطانيا أيضاً . فلا تغتر الحكومة الإنكليزية ولا تَسِر على ضلال ، فإنه لا يوجد مسلم أو عربي يستطيع أن يُقنع عرب فلسطين ، فضلاً عن العرب في سائر الأقطار ، بالقبول بهذا . ولو ادعى أيّ زعيم أو ملك أن في استطاعته ذلك ، فإن ادعاءه كاذب . ومثّل الملك على ذلك ، بنفسه أنه مهما يكن نفوذه قوياً ومهما تبلغ صداقته للإنكليز ، فإنه إذا جدّت الأمور لا يتمكن من مقاومة تيار العواطف القوية في المسلمين والعرب ، ولا يقدر أن يقف مع الإنكليز في ذلك . أما اليهود ، فلو تركوا هم والعرب ، فإن أمرهم يسهل . ولكن المشكل هو أن العرب يشتبكون مع الإنكليز من أجل اليهود ، وهؤلاء بقوتهم ومالهم لا يؤمن لهم ، فإذا أسسوا دولة كانوا بأنفسهم خطراً على الإنكليز ، وبما لهم من قوة ومداخلة يمكنهم أن يتفقوا في أية ساعة ، متى تقوّوا مع أعداء بريطانيا . وقد يأتي وقت يجازف فيه العرب ويخاطرون ، فإما أن يقتلوا اليهود في غفلة من الإنكليز ، وإما أن يُضطر

الإنكليز للقضاء عليهم . وفي هذا من الضرر ما فيه ، على موقف بريطانيا في المستقبل . إنني مؤمن بوجوب صداقة العرب للبريطانيين . ولكن من يستطيع أن يضمن استمرار هذه الصداقة مع بقاء هذا الجرح الدامي في جسم العرب ، ما دام الإنكليز يجلبون أعداء العرب والمسلمين ليحلّوهم في بلادهم ؟. قد يقال : إن العداوة بين المسلمين والنصارى كانت موجودة وما تزال . ولكن حكم القرآن في النصارى ، هو خلاف حكمه في اليهود ، فعداوة النصارى سياسية ، وعداوة اليهود ضرورة دينية يجب على كل مسلم أن يؤمن بها ويعمل بمقتضاها . ولذلك فإن مشروع التقسيم يجب أن يصرف النظر عنه بتاتاً ؛ وأن يسار على خطة أخرى ، على أساس حفظ حقوق اليهود الموجودين بفلسطين ، وضمان مصالح بريطانيا ، والاعتراف بحقوق العرب .

قال مسجّل الحديث ، وكان يومئذ فؤاد حمزة ، بوصفه وكيلا للخارجية السعودية :

إن هذه المخاوف التي كانت تساور الملك ، وكذلك ما باح به من أنه لن يستطيع في وجه التيار العنيف الذي ينشأ عن الاستمرار على خطة التقسيم ، أن يساعد بريطانيا ، أو يقف إلى جانبها ؛ لأن العرب والمسلمين بل أهل بلاده الذين يفدونه بأرواحهم ، ويزجون بأنفسهم في البحار والنيران ، إكراماً له ، واطاعة لكلامه ، لا يمكن أن يصيخوا إلى نصائحه . فإن كانت بريطانيا حريصة على صداقته وصداقة العرب والإسلام ، يجب عليها أن تعطيه سلاحاً يستطيع به أن يدافع عنها وألاّ يكون لأعدائه وأعدائها ، باب يلجون منه ويجعلونه تجاه قضية واقعية لا يستطيع معها أن يساعد على إبقاء تلك الصداقة .

قال فؤاد : وظهر على بولارد التأثر من أقوال الملك ، وقال إنه يقدرها وسيرفعها بالدقة إلى حكومته . وحينما يتلقى جوابها يسره أن يبلغه إياه .

برقيـة وكتـاب

المخرج ــ القرعاء . العدد ١٢٦٤ التاريخ ١٣٥٧/٢/٣

الابن فيصل ــ مكة

يصلكم من طيه مذكرة برقية اكتبوها للبريطاني واكتبوا معها كتاباً منكم ، أخبروه فيه بأننا أمرناكم بإرسالها إلى الحكومة البريطانية .

عبد العزيز

، ، ،

المخرج ــ القرعاء . العدد ١٢٨٣ التاريخ ٣ صفر ١٣٥٧ (يوافق ٥/٤/١٩٣٨)

الابن فيصل ــ مكة

إلحاقاً ببرقيتنا رقم ١٢٦٤ تاريخ ٣ صفر ١٣٥٧ فيما يلي نص المذكرة المنوه عنها ، قف .

سبق لجلالة الملك أن أوضح للحكومة البريطانية في عدة مناسبات باسم الصداقة التي بينه وبين الحكومة البريطانية ، ما يرى ويشعر به ، بشأن قضية فلسطين . ورغم كل ما أوضحه ، لا يزال يرى أن الحالة في فلسطين تتحرج من سيء إلى أسوأ . ومن جهة ثانية ما زال يرى إصرار الحكومة البريطانية ، على خطتها في إنشاء دولة لليهود في فلسطين ، وبإيجاد حالة قد تجعل اليهود أكثرية فيها . إن جلالة الملك ، رغم كل ما يراه من هذه المؤثرات ، لا يزال يشعر بأن الشعب البريطاني والحكومة البريطانية نظراً لما هو معروف فيهما من حب الإنصاف والعدل ؛ لم ييأس اليأس كله من أن تعود الحكومة البريطانية للتفكير في موقفها ، بتغيير السياسة التي انتهجتها في هذا البلد العربي الإسلامي المقدس الذي لم يَجنِ أي جناية ضد بريطانيا .

لقد كان جلالة الملك ولا يزال ، هدفاً للتأثرات النفسية وهدفاً لانتقاد العرب والمسلمين ، من أجل صمته في قضية فلسطين . وهو يشعر بأن روح الصداقة الموجودة بينه وبين الحكومة البريطانية ، تجعله يصبر على تحمل تلك الانتقادات نظراً لما يراه من اقتضاء الصداقة ، ومن اقتضاء المصلحة ، في سيره على خطة الكتمان وعدم الإعلان عما بينه وبين بريطانيا بشأن قضية فلسطين . ولكن لا تزال هناك حركات قد تكون بنية حسنة وقد تكون غير ذلك ، بإحراج مركز جلالته أمام العالم الإسلامي والعالم العربي في هذه القضية .

إن جلالة الملك يحب بهذه المناسبة ، أن يناشد الحكومة البريطانية باسم الصداقة التي تربطها بالعرب ، وأن يناشدها باسم العدل والإنصاف الذي عرف بالشعب البريطاني ، أن تعطف النظر على قضية فلسطين ، بعين العدل والإنصاف ؛ وأن تضع نفسها موضع هؤلاء الضعفاء الذين يُراد تمزيق شملهم ، وتقسيم بلادهم ، وإحلال شعب أجنبي عنهم ، بالرغم منهم ، ليذلهم بأنفسهم ويهدد البلاد المجاورة لهم ، كما يهدد السلام في هذا الشرق العربي . وإن جلالته يبدي مرة أخرى أن الحل الذي يراد به تقسيم فلسطين ، وتقطيع أوصال أهلها ؛ لن يحل مشكلة اليهود العالمية . لأن فلسطين لن تستوعب اليهود المشتتين في العالم ، وان فلسطين ستكون بؤرة للقلاقل والفتن بما يتولد عن ذلك من خصومات بين العرب وبريطانيا لا تنتهي إلى الأبد .

إن حل قضية فلسطين العادل ، لا يكون إلا بمثل ما حُلت به قضية العراق وسورية ، على شكل يضمن أموراً ثلاثة (الأول) المحافظة على المصالح البريطانية (الثاني) المحافظة على صيانة الأماكن المقدسة (الثالث) المحافظة على حقوق اليهود الموجودين في الوقت الحاضر ومعاملتهم كأقلية في البلاد .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ، فإن حالة العنف والشدة التي يعامل بها أهالي فلسطين ، في الوقت الحاضر ، وهم ضعفاء ؛ يستنكرها الشعور والحس ، فإن جلالة الملك يلفت نظر بريطانيا لاستعمال الحلم والحكمة فيما هو واقع ،

ويأمل أن يكون لندائه هذا الأثر الحسن ، لدى الحكومة التي يثق جلالته بأنها تتقبل نصيحته بكل إخلاص وصداقة ومودة .

عبد العزيز

، ، ،

وفي ٢٠ صفر ١٣٥٧ (٢٠ ابريل ١٩٣٨) أرسل عبد العزيز مذكرة إلى الحكومة البريطانية ، سلّمتها وزارة الخارجية السعودية إلى المفوضيةالبريطانية بجدة ؛ شرح فيها ما صار إليه الوضع في فلسطين وإلى أي حد أصبح موقفه حرجاً بين صداقته لبريطانيا وواجبه كمسلم وعربي ؛ إلى أن قال : إنه لا يزال هدفاً لنفسه ، وهدفاً لانتقاد العرب والمسلمين ، من أجل صمته عن إعلان جهوده في قضية فلسطين ، نظراً لما نراه من اقتضاء المصلحة في سيرنا على خطة الكتمان ، وعدم الإعلان ، لما بيننا وبين بريطانيا بشأن هذه القضية . لكن هناك حركات قد تكون بنية حسنة ، وقد تكون غير ذلك ، لإحراج مركزي ، أمام العالم الإسلامي والعالم العربي ، في قضية فلسطين .

وشاية وردّها

من طريف ما في وثائق هذا الفصل ، اشتماله على رسالتين من إملاء الملك عبد العزيز ، حرفياً من دون أيّ تعديل أو تنميق . ومن يقرأهما كان كمن يسمع إلى عبد العزيز يتكلم .

وردت على الملك وهو في الرياض ، برقية من الخارجية في جدة ، بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٣٥٧ (١٩ مايو ١٩٣٨) الرقم ٥٨ هذا نصها :

تلقينا اليوم من الإنكليزي (أي الوزير المفوض البريطاني) الكتاب الآتي : أتشرف بأن أحيط سموكم علماً أنه حسب المعلومات التي وصلت إلى حكومة بريطانيا ، عن مرجع صحيح ، أن يوسف ياسين قد صرح بعبارة لأعضاء لجنة الدفاع الفلسطينية المجتمعين بدمشق ، عن سياسة جلالة الملك ، بما يختص بمسألة فلسطين ، فقال : إن يوسف أفضى بأن جلالة الملك كان قد أخبر حكومة بريطانيا ، بأنه يعلن انفضاض ارتباطه معها ، ما لم تذعن لمطالب العرب في فلسطين ، وأنه يقاطع البضائع البريطانية ، ويمد الثوار بالأموال والأسلحة .

وتعلم حكومة بريطانيا كيف أنه من السهل وقوع التحريف والمبالغة ، وأنه يوجد كثير من أشرار الناس ، لا يترددون في أن ينسبوا إلى موظف سعودي كبير ، عبارات لم يتفوه بها ؛ مؤملين بذلك إحداث الريبة والشك فيما بين الملك والحكومة الإنكليزية .

ومع ذلك ، فإن الحكومة الإنكليزية تعتبر أنه إذا كان ذلك الموظف يتردد على أشخاص يجدّون في العمل لتنظيم الإرهاب في فلسطين ، مثل عزة دروزة ونبيه العظمة والحاج أديب ، وعز الدين الشوّا ، فإنه يخاطر ، ليس بتعريض

نفسه لخطر الشبهة بل بتعريض حكومته أيضاً . وإن هيآت الدفاع عن فلسطين التي تشكلت في البلاد العربية السعودية ، هي شيء ، وهيئة الدفاع الفلسطينية بدمشق هي شيء آخر . وإنه في حين أن مثل تلك البلاغات ، لا يمكن أن تشوش على ما بين حكومة بريطانيا والحكومة العربية السعودية ، من الصداقة الثابتة القائمة على أساس راسخ متين ، من المصالح المشتركة ، والتعاون الخالص ، فإن حكومة بريطانيا قد شعرت بأن من واجبها ان تشعر الحكومة العربية السعودية بالعبارة المنسوبة إلى يوسف ياسين ، التي أوردتها في الفقرة الأولى من هذه المذكرة ؛ وإنها لتكون ممتنّة إذا كانت الحكومة العربية السعودية تخبرها في الحين ، بما عسى أن يكون قد قاله سعادته مما قد يُفسّر بمثل تلك الكيفية . قف .

نرجو أمر جلالتكم   الخارجية

، ، ،

الخارجية ـ العدد ٢٩١٦ تاريخ ١٩ ربيع الأول ١٣٥٧

ج ـ عدد ٥٨ ممنونين منهم بهذا التصريح . وهذا الواجب عليهم إذا سمعوا مثل هذا الكلام ، أما مسألة يوسف ، وكون أنه يقول هذا الكلام ، فهذا شيء بنظري أنه بعيد إلى آخر درجة . ولكن مقلّب القلوب هو الله . ومتكلم هذا الكلام ما هوب رجل[١] عاقل ولا صاحب مروءة لا لنفسه **ولا** لحكومته ولا حتى لأهل فلسطين . مع أننا نظن بأنه من المستحيل أن يتكلم يوسف بذلك . مع أنه من حين ما وصلنا جوابكم أبرقنا له نستفهم منه . ولا بد نخبرهم بما يصل من يوسف .

« ولكن الذي أقول لهم بالصراحة ، كصديق مخلص يعرف صديقه غايته ، إنه ما يذيع هذا الكلام سوى أنه[٢] يوسف أو مكذوب على يوسف ، إلا رجل

(١) أي : ما هو برجل .

(٢) سواء كان

خالي من العقل والمروءة وخالي من معرفة السياسة . لأنه أولاً ، أن في الكلام تجازف[١] ما يمكن يتكلم به رجل فيه لب عقل . الثاني أن هالكلام ضد مصالح فلسطين ، سواء أن بيننا وبينهم صلة في بعض المنافع والمخابرات أو أن ليس موجود من ذلك شيء . الثاني ، إذا كان يقصد المتكلم سوء التفاهم بين حكومة بريطانيا وحكومتنا ، فهذا لا عرّف حقيقة حكومة بريطانيا ، ولا عرف حقيقتنا. أما عدم معرفته بحكومة بريطانيا ، فإنها تتهم الكلام ، والخبر الذي يقال أو ينسب لمقام كمثلنا ، وأنها ما تصدق مثل هذا القول ، لأنه كلام غير معقول ، ومنافي لجميع الطبائع . الثالث ، أن حكومتنا ما هي خالية من بعض معرفة ، وهذا ما لا يقوله أو ينسبه واحد له معرفة ، ولا غاشّ لنا عاقل .

ولكن الحقيقة ، أنه ما تكلم به إلا أحد شخصين : إما شخص عدوّ ليوسف ، ويحب أن يوقع يوسف في شبهة من جهتنا . لأن يوسف إذا تكلم بهذا الكلام ، إن كان أنه حقيقة ، فيكون قد أفشى سر حكومته ، فهذه تعتبر منه خيانة كبرى . فإن كان الكلام ما له حقيقة ، فيكون ألبس حكومته ملبس خسيس ما يليق بها . وهذا يكون منه أعظم . وكلا الأمرين ما يتجازف[٢] يوسف بهما . أو يكون شخص من الأذناب الذي نعرفهم ، ولا يمكن أنهم يخنون على حكومة بريطانيا ، من الذين يذيعون الإذاعات الخبيثة ، وهي ما تدخل العقل ، تقصد بها أحد أمرين : إما لعله يدرك بعض الشبهة بيننا وبين حكومة بريطانيا ، أو أنه عدوّ لأهل فلسطين ، لأجل يذيع هذه الإذاعات لأجل أن بريطانيا تضر أهل فلسطين بأسبابنا . ومن جهتنا هذا الذي خطر على بالي ، وأظنه هو الحقيقة ، لأن الكلام بمثل ذلك أو العمل به من جهة أحد من طوارفنا[٣] العاقل الذي ينصح لحكومته ، فهذا نكله ونتركه لظن حكومة بريطانيا وما تعرفه عنا ، فتفسيره من قلوبهم وعنهم أحسن .

---

(١) مجازفة

(٢) ما يجازف

(٣) أطرافنا

وأما جواب يوسف ، حال وصوله نعرفهم به . وإذا أراد سعادته[١] أن يساعدنا في بعض الأمور ، أن يخبرنا ايش هو المقال الذي تكلم به ؟ وايش هو المحضر الذي تكلم به ؟ حتى ندقق البحث لنصل إلى الغاية . والحقيقة أن ما لنا حق في إلزامه بذلك ، ولكن بموجب الميانة[٢] الذي بيننا وبينهم ، يفيدونا ببعض الإيضاحات الذي تساعدنا .

عبد العزيز

ابن معمر — جدة

العدد ٢٩٨٦ تاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٧

تقابل مع الوزير البريطاني وأخبره بأننا قدمنا لهم ما نظنه في مسألة يوسف . وأخبرناه بأننا كتبنا ليوسف نسأله . وجانا منه جواب ، بأن هذا أمر ما صار ولا يصير . وقد نفاه نفياً باتاً قاطعاً . والحقيقة أن مسألة يوسف ما يمكن تصير ، ولا يتكلم بها لا سياسي ، ولا مهبول ، عن قطع العلاقات ومقاطعة الإنكليز . ولا أكبر منها ولا أصغر . لأن هذي مسألة تهمنا ، لأن مسلكنا وموقفنامعروف لدى الحكومة البريطانية . ولكن الذي يهمنا أمرين الأول تمادي الناس في هذه المواد ، وهي قال ابن سعود وقالوا وزراء ابن سعود . الثاني كدر حكومة بريطانيا من ذلك . فنحن نقول إن الأمر الذي ما يهمنا هو الأمر الذي ما عنا بهم به ، ولا يصدقونه ، بل يميزونه بموجب المقدمات التي عندهم من طرفنا في جميع الأمور . أما الأمر الذي يهمني فهو الأمر الذي يحصل معهم فيه شك وإشكال . وهذا مثل ما عرّفناهم : ما متكلم بهذا الكلام إلا ثلاثة رجال : إما شخص عدوّ للشخص الذي تكلم فيه . وأما الثاني فهو الذي يبي[٣] ينتصر

---

(١) أي الوزير المفوض .

(٢) الدالة : بتشديد اللام .

(٣) يبغي

باسمنا في مقاصده الذي هم يخبرون[١] سواء فلسطيني أو سوري أو غيره . الثالث فهو من الأذناب الذي يخبرونهم[٢] وهؤلاء هذه حالتهم من أول الزمان إلى آخره . ونحن نقترح : أولاً إذا كان الأمر ما يهمهم وأنهم عارفين الغاية ، فالحمد لله ، ونحن نعتبره كلام أوباش الناس ؛ ومثل ما قيل نبح الكلاب ما يضر السماء . ولكن الذي يهمنا ، الأمر الذي يهمهم هم ويستاؤون منه . ونرجوهم إذا كان مثل هذه المسألة أنهم يتحققون ، حتى يقفون على الحقيقة . فإذا كان الأمر منشور في الجرائد فيُردّ على الجرايد بما تستحق . فإن كان الأمر شفاهي ، فيحقق فيه ونُخبَر بالحقيقة ، حتى نقيم الحجة على الذي عندنا في نفي وإلاّ إثبات . وإلا تقوم الحجة على الذي نقل لهم . هذا الذي عندنا ، وهو الذي يريحنا ويريحهم عن الإشكالات فيما بعد . واليوم هنا ثلاث مسائل واقعة[٣] العداوة بين الأشخاص ، موجودة من وجوه كثيرة . وأقول لهم بالصراحة إنه بعد الحجّ هذه السنة ، موجب اجتهاد يوسف وفؤاد ، على عدم الاجتماعات والمناشير وغيرها بمَوجب أمرنا عليهم ، فأغلب أهل فلسطين وسورية صاروا أعداء لهم ، حتى انهم وصّوا لي أنا بنفسي ، بأن هذي خيانة منهم . الثاني أن هؤلاء المذكورين ، لما أيسوا منا ، وعرّفناهم بعدم التظاهر ، وأنا على مجرانا الأول معهم ، فلا بد ما يزوّرون بشيء مثل أمور ما تدخل العقل . فالمذكور في كلام يوسف ، عن مقاطعة الحكومة الإنكليزية وغيرها ؛ من الأمور التي ما تدخل العقل . الثاني الذي فيهم ريح من السابق ، يحركون بالأمور علينا بالأكاذيب والإشكالات ، يريدون الشقاق بيننا وبين حكومة بريطانيا .

عبد العزيز

، ، ،

---

(١) يعرفون
(٢) يعرفونهم
(٣) موقعة

من جدة ـ العدد ٨٨ تاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٣٥٧

جلالة الملك المعظم

إلحاقاً ببرقيتي عدد ٨٦و٢٣ منه ، وجواباً على برقية مولاي عدد ٢٩٨٦ تاريخ ٢٢ منه ، أرفع لجلالة مولاي ما أجاب به الوزير البريطاني ، بمذكرة شفوية بامضائه ، جواباً على برقية مولاي المشار إليها ، بشأن مسألة يوسف . وهو بنصه كما يلي :

إن وزير صاحب الجلالة البريطانية ، ممنون كثيراً من الإجابتين اللتين وصلتاه على خطابه بخصوص الادعاآت التي ادّعي بها ضد سعادة يوسف ، وإنه مرسلهما لحكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وسيبلغها أيضاً فحواهما تلغرافياً . ويمكن للحكومة العربية السعودية أن تطمئن بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، ما فتحت باباً للبحث في هذا الموضوع إلا بعد تفكير دقيق ؛ وأنها من جهة أخرى ، تعلم أن تلك البلاغات لا يمكن أن تزعزع الصداقة المتينة فيما بين الحكومتين .

خادمكم

ابن معمر

، ، ،

البريطاني يوالي الاحتجاج

وفي ١ يونيو ١٩٣٨ (١٢ ربيع الثاني ١٣٥٧) وردت على الخارجية السعودية في جدة ، مذكرة « سرية » من المفوضية البريطانية ، هذا نصها :

كان قد تشرف وزير صاحب الجلالة البريطانية ، بأن عرّف الحكومة السعودية ، في مخابرة بتاريخ ٢٨ ابريل ، عن بلاغات مؤداها : أن أسلحة وذخيرة كانت على وشك التهريب ، من الجوف إلى فلسطين . ويرجو الآن أن يبدي أن بلاغات أخرى قد وصلت إلى علم حكومة فلسطين ، من مصادر شتى ، بسورية والعراق ، تقول : إن الثوار بفلسطين ، كانوا منذ عهد قريب

يركنون بوثوق إلى وصول مساعدة عملية ، من جلالة الملك عبد العزيز ، بكيفيات عديدة ، بما في ذلك المساعدة المالية ، ومشترى الأسلحة والذخيرة من أوروبا ، برسم الإرسال إلى الحكومة العربية السعودية اسماً ، ولكنها لاستعمال الثوار الفلسطينيين حقيقة .

ولا يسع حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، أن تتجاهل هذه البلاغات المتكررة . وهي على أية حال ، مضطرة بالنسبة لصداقتها ، أن تحيط علم جلالة الملك بها ، في حالة ما إذا كان هؤلاء الأشخاص الذين لهم مآرب خفية ، ممن سبق أن أشار إليهم جلالته ، يسعون وراء الحطّ من كرامته أو توريطه في المسألة على غير علم منه .

الملك عبد العزيز يجيب

وفي ٢١ ربيع الثاني ١٣٥٧ (٢٠ يونيه ١٩٣٨) بعث الملك عبد العزيز ، من الرياض ، ببيان موجه إلى الحكومة البريطانية ، قام وكيل الخارجية السعودية بالنيابة ، يومئذ ، إبراهيم بن معمر ، بتسليمه — يداً بيد[1] — إلى الوزير البريطاني المفوض السر ريدر بولارد ، في جدة ، لإرساله إلى حكومته ، يقول :

اطلعنا على المذكرة التي سلمها السر ريدر بولارد ، لوكيل خارجيتنا بالنيابة ، بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٣٥٧ الموافق ٢٨ ابريل (١٩٣٨) عن الأخبار التي ذكرت الحكومة البريطانية أنها وصلتها من سورية والعراق ، عن مساعدات قيل إنها وعد بها الثوار في فلسطين . كما اطلعنا على اتهامات أخرى وجهت لبعض رجالنا ، بعد أنباء أعلمتنا الحكومة البريطانية أنها وصلتها عن نقل أسلحة للثوار من « حقل » و « الجوف » .

إننا نشكر للحكومة البريطانية ، إخبارها لنا بكل ما يصلها عنا . وعلى الأخصّ في مثل هذه الظروف والأحوال المقلقة في فلسطين ، التي تفضي بطبيعتها لكثير من القيل والقال ، مما يصدق منه ويكذب ، مما يشيعه أرباب

(١) حسب تعليمات الملك في مذكرة سرية رقم ٢١/١/٥ ربيع الثاني ١٣٥٧ .

الأهواء والأغراض وأهل المصالح . ونعتبر هذه المصارحة من الحكومة البريطانية وسيلة لفتح الباب ، لندلي لها بكل ما لدينا في هذه القضية من الأمور التي لم يكن هناك داع لإبدائها ، لولا هذه المناسبة . ونحن على يقين أن الصراحة في جميع ما أخبرتنا به الحكومة البريطانية ، سواء في المراسلات أو المحادثات التي جرت وتجري بيننا وبينها ، نعتقد أنها أعظم وأحسن وسيلة لتأييد الصداقة بيننا وبينها . وهي التي درجنا عليها منذ نشأتنا السياسية إلى اليوم .

وتذكر الحكومة البريطانية أنه ، في الأعمال السابقة التي وقعت في بلادنا ، ولم تكن موجهة لطرف من أطرافنا ، بل كانت موجهة لشخصنا مباشرة ، ولأساس ملكنا ؛ كنا نخبر الحكومة البريطانية بما يصلنا عنها من أخبار وأقوال ، سواء أيام حركات الدويش واجتماعاته ببعض الموظفين البريطانيين ، وسواء يوم خروج ابن رفادة من العقبة في رابعة النهار ، بين سمع الموظفين هناك وبصرهم . وقد كان أفضل شيء لمداواة مثل تلك الوقائع ، هو المصارحة والإخبار بما يصل لتجري معالجته .

وإننا حينما اطلعنا على مثل تلك الاتهامات التي نسبت إلينا ، لم يكن لها في نفسنا تأثير ذو أهمية . لأن الذي يعلم البراءة من نفسه لا يتشوش ذهنه حينما يسمع اتهامات تلقى حوله . أما الحقيقة الواقعة فإن أهل فلسطين ، بعد أن رأوا من الحكومة البريطانية إصرارها على تقسيم بلادهم ، ثم ما آلت إليه الحالة من جراء الإجراءات الأخيرة ؛ اعتقدوا أن الحكومة البريطانية تريد إفناءهم عن آخرهم ، لتُحلّ اليهود محلهم في بلادهم . وهم بعد هذا الاعتقاد لم يتركوا باباً للمقاومة إلا طرقوه ، ولا سبيلاً لنيل المساعدات إلا سلكوه . وفي جملة الذين توخوا أن يلقوا منهم مساعدات بالمال والسلاح والقوة ، نحن بصورة شخصية . كما توخوا ذلك من أهل بلادنا .

لقد سبق أن أخبرنا الحكومة البريطانية ، بالتأثير الحاصل في نفوس أهل بلادنا . وأن أثر ذلك في نفوس النساء والأطفال ، إن لم يكن بأكثر مما هو في نفوس الرجال المدركين للخطر الحاضر والمستقبل على العرب كافة ، من

اليهود ، فهو مثله على الأقل .

وإذا قلت لكم إنه يوجد في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود ، فإني غير صادق . ولو أن المقصود اليهود وحدهم فإني أفضّل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري ، ولا يتأسس ملك لليهود في فلسطين . ولكن القائم في القضية هو الحكومة البريطانية ؛ وليس اليهود وحدهم . وبيننا وبينها عهود صداقة مكتوبة ، وعهود مصالح متبادلة . وفي اعتقادنا اليقيني أن أفضل ما للعرب ، لمصالحهم الحاضرة والمستقبلة ، أن يكونوا مع بريطانيا أصدقاء على الدوام . ولو أطاعوني أهل فلسطين لاتّخذوا المطالبة بالطرق السلمية ، الوسيلة الوحيدة لمطالبهم مع بريطانيا . ونحب أن تتأكد الحكومة البريطانية أن محاولات وجهوداً كثيرة بُذلت لدينا ، لنوال مساعدات من أجل الثورة في فلسطين . ولكن لا يمكن إن شاء الله أن نعمل عملاً يخل بالتعهدات التي بيننا وبين بريطانيا . ولو عرضنا مثل هذه المساعدات على العقل ، لأدرك أنه من المستحيل على مثلنا ، بعد الذي خبرناه من أمور الدهر ، أن يُقدم على مثل ما يقال . فإن فلسطين ليست أمام اليهود ، وإنما هي أمام بريطانيا . وفلسطين بالنسبة لبريطانيا ليست إلا جزءاً قليلاً ، لا قِبَل لها بشيء من قوات بريطانيا . ولو فرضنا أن قوات العرب الذين حولهم اجتمعت معهم على قتال بريطانيا ، فهل يمكن لهذا المجموع كله أن يغلب بريطانيا ؟ فإذا كان هذا هو الواقع ، فهل يمكن أن يخطر لنا على بال أن نمدّ أهل فلسطين بشيء من السلاح لا يغني عنهم فتيلاً ونوقعهم في مشكلات مع بريطانيا تكون سبباً لذهابهم ؟

وأما أقوال الناس ، فنحن ما يمكن أن نؤخذ بما يتقوله المتقولون . وهم إما عدوّ يحب الإيقاع بيننا وبين بريطانيا ، وإما صاحب هوى أو غرض ، وإما من أهل فلسطين الذين يريدون تقوية معنويات الثوار بقولهم : إن ابن سعود سيساعدنا أو يعطينا ، إلى غير ذلك من الأقوال . فمطلوب أن يعرض ما يقال ، على العقل ؛ ويدقق في تاريخ علاقاتنا مع بريطانيا وآرائنا السياسية فيما نعتقد أنه المصلحة للعرب من صداقتها .

وليت الحكومة البريطانية اطلعت على ما يشاع عنا ، مقابل هذه الإشاعات. فلقد فسّر كثير من العرب سكوتنا في قضية فلسطين ، أنه تواطؤ منا مع بريطانيا مقابل مصالح خاصة ضمنتها لنا لقبولنا في التقسيم . فهذه التهم وُجهت لنا سراً وجهاراً ، حتى من أشد الناس وثوقاً بغيرتنا الإسلامية العربية . لقد قالوا ذلك حينما رأوا ذلك السكوت منا ، في الوقت الذي يجدون فيه الآخرين معالنين بما يجول ويتردد في النفوس الإسلامية العربية عن قضية فلسطين .

ومن أجل ذلك ، نحن نلخّص لها الموقف هنا بجلاء . لتكون بريطانيا على يقين من حقيقة ما يقال :

١ ـ إن أهل فلسطين وكثيراً من العرب ، موقنون الآن بأن الحكومة البريطانية مصممة على تقسيمهم ، وأنهم إن لم يرضوا بهذا التقسيم ، فستمحوهم عن بكرة أبيهم وتزيلهم من الوجود ، وتحل اليهود محلهم .

٢ ـ إن هذه العقيدة ، شملت أهل فلسطين ، واستيقنها غيرهم من العرب والمسلمين .

٣ ـ لقد وردت لنا رسائل عديدة من بعض الحكومات العربية ، ومن كثير من الجمعيات ، يستحثوننا لطلب المساعدة والنجدة .

٤ ـ إن أهل فلسطين ، يسعون بشتى الوسائل لإدراك أقصى ما يمكنهم من الذخيرة والقوة ، لمواصلة القتال ، من أي جهة كانت . لأن الذي يشعر أنه هالك ، لا يبالي بسلوك أي طريق قد يكون له أمل فيه .

٥ ـ إن الشعور العامّ في بلادنا ، متأثر من قضية فلسطين إلى أبعد مدى. ولولا خوفه من شخصي لأتى بأعمال تزيد الموقف حراجة .

٦ ـ أما نحن فإنا لا نزال ولن نزال على عهدنا الذي تعاهدنا مع بريطانيا عليه . ولا نزال نعتقد أنه لا بد لبريطانيا أن تنظر بعين الإنصاف للعرب ، وأنّه خير للعرب أن يكونوا على اتفاق مع بريطانيا في سائر الأوقات .

٧ ـ عملنا التحقيق الدقيق فيما ذكرته الحكومة البريطانية عن تهريب سلاح من « حقل » فلم نعثر على أثر لذلك . وظهر أن ما قيل لم يقع . وحققنا

في جهات « الجوف » بعد إخبار الحكومة البريطانية لنا ، فارتبنا بشخصين كانا قدما للتجارة ، فأخرجناهما .

٨ — حققنا فيما نسبته الحكومة البريطانية من تصريحات ، ليوسف ياسين ، فتحقق لدينا تحققاً يقينياً لا شبهة فيه أن يوسف لم يتلفظ بمثل ما نُقل عنه للحكومة البريطانية .

٩ — إن خطتنا التي نسير عليها في قضية فلسطين ، هي أن نصارح الحكومة البريطانية بنصائحنا وآرائنا فيها ، مصارحة الصديق لصديقه .

أما اعتقادنا ، فإن تأسيس دولة لليهود في فلسطين ، هو مناف لمصالح العرب ، ومهدد بمحو العرب ، ليس في فلسطين وحدها ، بل في سائر البلاد العربية . كما نعتقد أن ذلك ضد مصلحة بريطانيا . وإننا من أجل ذلك ، نواصل نصائحنا ورجاءنا للحكومة البريطانية ، لتعدل عن هذه الخطة ، كما نواصل نصائحنا الخاصة لأهل فلسطين بأن يتخذوا طريق التفاهم مع بريطانيا من أجل ذلك ، لأنه أسلم الطرق للوصول للمقصود .

ونحب أن تكون بريطانيا على يقين من أننا ما زلنا ولن نزال أصدقاءها ، ولم ينقطع أملنا في إنصافها .

عبد العزيز

الملك عبد العزيز

يكتب إلى الرئيس روزفلت

في ٧ شوال ١٣٥٧ (٢٩ نوفمبر ١٩٣٨)

يا صاحب الفخامة :

لقد اطلعنا على ما أذيع عن موقف حكومة الولايات المتحدة الأميركية ، في مناصرة اليهود بفلسطين . وبالنظر لما لنا من الثقة في محبتكم للعدل والإنصاف، وفي تمسك الأمة الأميركية الحرة بأعرق التقاليد الديموقراطية المؤسسة على تأييد الحق والعدل ونصرة الأمم المغلوبة ؛ ونظراً للصلات الودية التي بين مملكتنا وحكومة الولايات المتحدة ، فقد أردنا أن نلفت نظر فخامتكم إلى قضية العرب في فلسطين وبيان حقهم المشروع فيها . ولنا ملء الثقة أن بياننا هذا يوضح لكم وللشعب الأميركي ، قضية العرب العادلة في تلك البلاد المقدسة.

لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن موقف أميركا ، أن قضية فلسطين قد نُظر إليها من وجهة نظر واحدة ، هي وجهة نظر اليهود والصهيونية ، وأهملت وجهات نظر العرب . وقد رأينا من آثار الدعايات اليهودية الواسعة النطاق ، أن الشعب الأميركي الديموقراطي ، قد ضُلل تضليلاً عظيماً أدى إلى اعتبار مناصرة اليهود على سحق العرب في فلسطين ، عملاً إنسانياً .. في حين أن مثل ذلك ظلم فادح وُجه إلى شعب آمن مستوطن في بلاده ، كان ولا يزال يثق بعدالة الرأي العام الديموقراطي ، في العالم عامة وفي أميركا خاصة .

وإنا على ثقة بأنه إذا اتضح لفخامتكم وللشعب الأميركي حق العرب في فلسطين، فإنكم ستقومون بنصرته حق القيام .

إن الحجة التي يستند إليها اليهود، في ادعاءآتهم بفلسطين ، هي أنهم استوطنوها حقبة من الزمن القديم ، وأنهم مشتتون في بلاد العالم، وأنهم يريدون إيجاد مجتمع لهم يعيشون فيه أحراراً في فلسطين . ويستندون في عملهم إلى وعد تلقوه من الحكومة البريطانية سُمي بوعد بلفور .

أما دعوى اليهود التاريخية ، فإنه لا يوجد ما يبررها . في حين أن فلسطين كانت ولا تزال مشغولة بالعرب ، في جميع أدوار التاريخ المتقدمة ، وكان السلطان فيها لهم . وإذا استثنينا الفترة التي أقامها اليهود فيها ، والمدة الثانية التي سيطرت فيها الإمبراطورية الرومانية عليها ، فإن سلطان العرب كان منذ الزمن الأقدم ، على فلسطين ، إلى زماننا هذا . وقد كان العرب في سائر أدوار حياتهم محافظين على الأماكن المقدسة ، معظمين لمقامها ، محترمين لقدسيتها ، قائمين بشؤونها بكل أمانة وإخلاص . ولما امتد الحكم العثماني على فلسطين ، كان النفوذ العربي هو المسيطر ، ولم يكن العرب يشعرون بأن الترك دولة مستعمرة لبلادهم . وذلك :

١ — لوحدة الجامعة الدينية .
٢ — لشعور العرب أنهم شركاء الترك في الحكم .
٣ — لكون الإدارة المحلية للحكم ، بيد أبناء البلاد أنفسهم .

فمما ذُكر يرى أن دعوى اليهود بحقهم في فلسطين ، استناداً إلى التاريخ لا حقيقة لها . فإن كان اليهود قد استوطنوا فلسطين مدة معينة ، بصورة استيلاء، فإن العرب قد استوطنوها مدة أطول بكثير من ذلك . ولا يمكن أن يُعتبر احتلال أمة لبلد من البلدان حقاً طبيعياً يبرر مطالبتها به . ولو اعتبر هذا المبدأ في العصر الحاضر ، لحق لكل أمة أن تطالب بالبلدان التي سبق لها إشغالها بالقوة حقبة من الزمن ، وتسبب عن ذلك تغيير خريطة العالم بشكل من أعجب الأشكال مما لا يتلاءم مع العدل ولا مع الحق والإنصاف .

أما دعوى اليهود التي يستثيرون بها عطف العالم ، أنهم مشتتون في البلدان ومضطهدون فيها ، وأنهم يريدون إيجاد مكان يأوون إليه ، ليأمنوا على أنفسهم من العدوان الذي يقع عليهم في كثير من الممالك . فالمهمّ في هذه القضية هو التفريق بين القضية اليهودية العالمية أو اللاسامية ، وبين قضية الصهيونيةالسياسية.

فإن كل المقصود ، هو العطف على اليهود المشتتين ، فإن فلسطين الضيقة قد استوعبت منهم الآن مقداراً عظيماً لا يوجد ما يماثله في أي بلد من بلدان العالم . وذلك بالنسبة لضيق أرض فلسطين ، وبالنسبة لأراضي العالم التي يقيم اليهود فيها . وليس في استطاعة رقعة ضيقة كفلسطين . أن تتسع لجميع يهود العالم ، حتى لو فرض أنها أُخليت من سكانها العرب (كما قال المستر ملكولم ماكدونالد في خطاب ألقاه في مجلس النواب البريطاني مؤخراً) فإذا قبل مبدأ بقاء اليهود الموجودين في فلسطين ، في الوقت الحاضر ، فتكون هذه البلاد الصغيرة قد قامت بأعظم قسط إنساني لم يقم بمثله غيرها . ويرى فخامة الرئيس أنه ليس من العدل أن تسد حكومات العالم — وفي جملتها الولايات المتحدة — أبوابها بوجه مهاجري اليهود ، وتكلف فلسطين البلد العربي الصغير لتحملهم .

وأما إذا نظرنا إلى القضية ، من وجهة الصهيونية السياسية ، فإن هذه الوجهة تمثل ناحية ظالمة غاشمة ، سداها القضاء على شعب آمن مطمئن وطرده من بلاده بشتى الوسائل ؛ ولحمتها النهم السياسي والطمع الشخصي لبعض أفراد الصهيونية .

وأما استناد اليهود إلى تصريح بلفور ، فإن التصريح بحدّ ذاته جاء جوراً وظلماً على بلاد آمنة مطمئنة . وقد أُعطي من قبل حكومة لم تكن تملك يوم إعطائه حق فرضه على فلسطين ، كما أن عرب فلسطين لم يؤخذ رأيهم فيه ، ولا في نظام الانتداب الذي فرض عليهم ، كما صرح بذلك ملكولم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية أيضاً . وذلك برغم الوعود التي بذلها الحلفاء ، وبينهم أميركا ، لهم ، بحق تقرير المصير . ومن المهم أن نذكر أن وعد بلفور

كان مسبوقاً بوعد آخر من الحكومة البريطانية ، بمعرفة الحلفاء ، بحق العرب في فلسطين وفي غيرها من بلاد العرب .

ومن هذا يتبين لفخامتكم أن حجة اليهود التاريخية باطلة ، ولا يمكن اعتبارها . وحجتهم من الوجهة الإنسانية ، قد قامت فيها فلسطين بما لم يقم به بلد آخر . ووعد بلفور الذي يستندون إليه ، مخالف للحق والعدل ومخالف لمبدأ تقرير المصير . والمطامع الصهيونية تجعل العرب في جميع الأقطار يوجسون منها خيفة وتدعوهم لمقاومتها .

أما حقوق العرب في فلسطين ، فإنها لا تقبل المجادلة . لأن فلسطين بلادهم ، منذ أقدم الأزمنة . وهم لم يخرجوا منها . كما أن غيرهم لم يخرجهم منها . وقد كانت من الأماكن التي ازدهرت فيها المدنية العربية ازدهاراً يدعو إلى الإعجاب . ولذلك فهي عربية عرفاً ولساناً وموقعاً وثقافة ، وليس في ذلك أي شبهة أو غموض . وتاريخ العرب في تلك البلاد ، مملوء بأحكام العدل والأعمال النافعة .

ولما جاءت الحرب العامة ، انضمّ العرب إلى صفّ الحلفاء ، أملاً في الحصول على استقلالهم . وقد كانوا على ثقة تامة من أنهم سينالونه ، بعد الحرب العامة ، للأسباب الآتية :

١ – لأنهم اشتركوا بالفعل في الحرب ، وضحوا فيها بأموالهم وأنفسهم .

٣ – لأنهم وُعدوا بذلك من قبل الحكومة البريطانية في المراسلات التي دارت بين ممثلها السر هنري مكماهون وبين الشريف حسين .

٣ – لأن سلفكم العظيم الرئيس ولسون ، قرر دخول دخول الولايات المتحدة الأميركية في الحرب إلى جانب الحلفاء ، نصرةً للمبادىء الإنسانية السامية التي كان من أهمها حق تقرير المصير .

٤ – لأن الحلفاء صرحوا في نوفمبر سنة ١٩١٨ عقب احتلالهم البلاد ، أنهم إنما دخلوها لتحريرها وإعطاء أهلها حريتهم واستقلالهم .

وإذا رجعتم فخامتكم إلى التقرير الذي قدمته لجنة التحقيق التي أرسلها

سلفكم الرئيس ولسون عام ١٩١٩ إلى الشرق الأدنى ، علمتم المطالب التي طلبها العرب في فلسطين وفي سورية ، حينما سُئلوا عن المصير الذي يطلبونه لأنفسهم .

ولكن العرب لسوء الحظ ، وجدوا أنفسهم بعد الحرب أنهم قد خُذلوا وأن الأماني التي وُعدوا بها لم تحقق . وقد جزئت بلادهم ، وقسمت تقسيماً جائراً . وأوجدت لهذه الأقسام حدود مصطنعة لا تبررها عوامل جغرافية ، ولا جنسية ، ولا دينية . وعلاوة على ذلك وجدوا أنفسهم أمام خطر أعظم ، هو خطر غزو الصهيونية لهم واستملاكها لبقعة من أهم بقاعهم .

لقد احتجّ العرب بشدة ، عندما علموا بتصريح بلفور ، واحتجوا على نظام الانتداب ، وأعلنوا رفضهم له ، وعدم قبولهم به منذ اليوم الأول . وقد كان تدفق مهاجري اليهود ، من الآفاق المختلفة ، إلى فلسطين ؛ مدعاة لتخوف العرب على مصيرهم وعلى حياتهم ، فحدثت في فلسطين ثورات وفتن متعددة سنة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ وكان أهم تلك الثورات ثورة عام ١٩٣٦ التي لا تزال نارها مستعرة حتى هذه الساعة .

إن عرب فلسطين يا فخامة الرئيس ، ومن ورائهم سائر العرب ، وسائر العالم الإسلامي ، يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم ضد دخلاء عنهم وعنها. ومن المستحيل إقرار السلام في فلسطين إذا لم ينل العرب حقوقهم ويتأكدوا أن بلادهم لن تعطى إلى شعب غريب أفاق ، تختلف مبادئه وأغراضه وأخلاقه عنهم ، كل الاختلاف . ولذلك فإنّا نهيب بفخامتكم ، ونناشدكم باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهرت بها الأمة الأميركية النبيلة ، أن تتكرموا بالنظر في قضية عرب فلسطين ، وأن تكونوا نصراء للآمن المطمئن الهادىء المعتدَى عليه من قِبَل تلك الجماعات المشردة من سائر أنحاء العالم . لأنه ليس من العدل أن يُطرد اليهود من جميع أنحاء العالم المتمدن ، وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته . ولا نشك في أن المبادىء

السامية التي يتحلى بها الشعب الأميركي ستجعله يذعن للحق ويقدم لنصرة العدل والإنصاف .

حُرِّر في قصرنا بالرياض ، في اليوم السابع من شهر شوال سنة سبعة وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجرية ، الموافق تسعة وعشرين نوفمبر سنة ثمان وثلاثين بعد التسعماية والألف ميلادية .

، ، ،

التعليق على هذه الرسالة :

أذن الملك عبد العزيز ، بنشر رسالته هذه إلى الرئيس الأميركي ، في الصحف الإنكليزية وغيرها . ونشرتها الصحف العربية في (٥ يناير ١٩٣٩) بنصها الكامل . وتناولتها صحف العالم بالتعليق . وأعجبني ، في اليوم الثاني من نشرها ، تعليق لخليل ثابت[١] رئيس تحرير المقطم ، وكبير المعلّقين السياسيين في مصر ، تحت عنوان « كتاب تاريخي من ملك عربي » قال فيه :

« سيظل الكتاب الملكي الذي أرسله الملك عبد العزيز ، إلى المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة ، صفحة مجيدة في سفر تاريخ النهضة العربية في هذا العصر . ويبقى دليلاً على سمو مستوى التفكير السياسي في أقطار الشرق . فلقد أجاد الملك إلى أقصى حدود الإجادة وصف قضية فلسطين ، على نور هذه المبادىء السامية التي تزعم حضارة الغرب أنها تدافع عنها تارة باسم المدنية وأخرى باسم الديموقراطية ، وعلى ضوء القواعد التي وضعها سلف روزفلت فإنه نقش على صخور التاريخ أربع عشرة قاعدة لا يمكن أن ينساها البشر ، مهما أمعنوا في خوض بحر المادية .

« ولقد قلنا قبل اليوم إن الصحراء ما برحت في جميع عصور التاريخ مصدراً عظيماً من مصادر الوحي والإلهام . وقد أثبت الملك عبد العزيز ،

(١) توفي سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) .

بكتابه التاريخي ، أنها لا تزال كذلك ، وأن الروح الذي حرك أنبياء الله في صحاري الجزيرة وسورية الجنوبية ، فانطلقت منها أنوار الأديان المنزلة ، لا يزال يرفرف على تلك القفار ، في جوّ صاف لم تفسده رياح المطامع ومنافسات الأقوام .

« وقد يستخف أنصار المادية بهذا الكتاب ، لصدوره من ملك بلاد لا تملك من القوة المسلحة ما يحمل دول الغرب على العناية برأيها ، ولكن في التاريخ دروساً وعبراً . فقد خرج من الصحراء قوى تغلغلت في أوربا نفسها ، شرقاً وغرباً ، حتى كادت تغشى تلك القارة كلها . ومهما احترمنا القوة فلا سبيل إلى إنكار الحق .

« لقد نصب الملك العربي الكريم علماً من أعلام الحقّ في الطريق الدولي ، يراه كل عابر وسائر ، فلا يستطيع بعد اليوم سياسي أوربي أو أميركي أن يدعي أنه لم ير هذا العلم . وسيدرك بعيدو النظر منهم ، أن وراء العلم قوى نفسية لا تستطيع القوة المسلحة أن تتغلب عليها أو تظفر بها .

، ، ،

من روزفلت إلى عبد العزيز

البيت الأبيض

واشنجتون — (٩ يناير ١٩٣٩) يوافق ١٦ القعدة ١٣٥٧ .

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية .

يا صاحب الجلالة :

لقد سرني كثيراً استلامي كتاب جلالتكم المؤرخ في ٢٩ نوفمبر (١٩٣٨) الذي سلمه القائم بأعمال المفوضية العربية السعودية بالقاهرة في ٦ ديسمبر ، إلى القائم بأعمال المفوضية الأمريكية هناك ، بخصوص مسألة العرب في فلسطين .

ولا يخفى على جلالتكم أن الحالة في فلسطين ، استرعت طويلاً اهتمام الشعب الأميركي . ولذلك فإني قد طالعت كتاب جلالتكم الذي كرستموه لهذا الموضوع باهتمام خاص .

إن اهتمام الشعب الأميركي بفلسطين ، يرتكز على عدة اعتبارات ، منها ما هو ذو صبغة روحية ، ومنها ما هو ناشيء عن الحقوق التي نالتها الولايات المتحدة في فلسطين من الاتفاقية الأميركية البريطانية الخاصة بالانتداب في فلسطين ، المؤرخة في (٣ ديسمبر ١٩٢٤) .

وقد تبين موقف الولايات المتحدة بشأن فلسطين ، في « بيان عامّ » أصدرته وزارة الخارجية في (١٤ اكتوبر ١٩٣٨) يسرني أن أبعث لجلالتكم بصورة منه .

ويمكنني أن أضيف إلى ذلك ، أن هذه الحكومة لم تتخذ مطلقاً أيّ موقف مخالف لما تمسكت به منذ البداية في هذا الموضوع .

صديقك الحميم
توقيع / فرانكلين روزفلت

البيان الأميركي

وزارة الخارجية

للصحافة

١٤ اكتوبر ١٩٣٨ (رقم ٤٩٩)

قد تسلمت الحكومة في خلال الأيام القليلة الأخيرة ، عدداً كبيراً من الرسائل البرقية والخطابات ، صادرة من أفراد وهيئات في الولايات المتحدة ، بشأن الحالة في فلسطين . وتشير إشارة خاصة لما يشاع من احتمال تطبيق الحكومة البريطانية لسياسة جديدة إزاء هذه البلاد . وواضح أنه من المتعذر الإجابة على حدة ، على الرسائل العديدة التي وصلتنا . ولهذا ، فهذا البيان صادر بديلاً عن الردود الفردية .

وكما هو معروف حق المعرفة ، فالشعب الأميركي قد اهتم اهتماماً وثيقاً عدة سنين ، برقي الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكل رئيس ، ابتداءً من الرئيس ولسون ، قد عبّر عن اهتمامه الخاص ّ في مناسبة واحدة أو مناسبات عدة ، بفكرة وطن قومي . وأبدى سروره بالتقدم الذي وصل إليه إنشاء هذا الوطن . وفوق ذلك ، فقد عبر عن عطف الأميركيين على الوطن اليهودي اليهودي في فلسطين ، وبالقرار المشترك الذي اتخذه المجلس النيابي الأميركي (الكونكرس) والذي أمضاه الرئيس في (٢١ سبتمبر ١٩٣٢) مسجّلاً خطة الولايات المتحدة الودية ، نحو هذا الوطن القومي . وقد أبدت لجنة الشؤون الخارجية في هذا المجلس ، عند تقديم القرار رأيها . أي أنه يعبر عن اهتمامنا

الأدني وخطتنا الودية نحو إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وهو لا يربطنا بأي ارتباط خارجي أو يزجّ بنا في أيّ اشتباك .

وإنه في ضوء هذا الاهتمام ، قد راقبت الحكومة الأميركية وشعبها بأشد العطف ، تدرج الوطن القومي في فلسطين . وهو مشروع لعب فيه الذهب ورأس المال الأميركي دوراً رئيسياً .

وفي مناسبات عدة قد عرضت هذه الحكومة آراءها ، بخصوص حقوق الولايات المتحدة ومواطنيها في فلسطين ، على أنظار الحكومة البريطانية . وإذا رجعنا قليلاً إلى عام ١٩٣٧ فقد تبودلت رسائل رسمية . والفقرة الآتية الغنية عن كل بيان ، مقتبسة من المذكرة النهائية المؤرخة ٤ أغسطس ١٩٣٧ التي بعث بها سفير أميركا في لندن لوزارة الخارجية البريطانية . وهي :

« إزاء التعبير عن ارتياحنا وتقديرنا للتوكيدات المقدمة من حكومة صاحب الجلالة ، عن رغبتها في إحاطة حكومة الولايات المتحدة إحاطة تامة ، بأية مقترحات قد تعرضها على مجلس عصبة الأمم لتعديل الانتداب في فلسطين ، فإني مكلف بالرجاء لتقديم هذه المقترحات لحكومتي قبل وقت كاف يسمح لها بتوجيه أية ملاحظات قد ترغب في إبدائها إن كان هناك محل للملاحظة بخصوص حفظ الحقوق الأميركية في فلسطين » .

ولذلك فمن المأمول ، أن تتاح الفرصة لهذه الحكومة لتقديم آرائها للحكومة البريطانية ، بخصوص أي تغييرات تمسّ الحقوق الأميركية ، مما قد يقترح في الانتداب على فلسطين . وهذه الحقوق التي حددتها اتفاقية الانتداب بين أميركا وبريطانيا ، أو معاهدة (٣ ديسمبر ١٩٢٤) تشمل معاهدة عدم التمييز في مسائل التجارة ،وعدم المساس بالحقوق الملكية الأميركية المكتسبة ،والترخيص للرعايا الأميركيين بإنشاء وإدارة المعاهد التعليمية والخيرية والدينية في فلسطين ، والضمانات الخاصة بالنظام القضائي . وعلى العموم المعاملة على قدر المساواة مع كافة الرعايا الأجانب .

وحقوق الولايات المتحدة ، بخصوص أي تغييرات تطرأ على الانتداب

في فلسطين ، مبينة في المادة –٧– من المعاهدة السالفة الذكر . وهاك نصها :

« لا يمسّ أي شيء تشمله الاتفاقية الحاضرة ، من جراء أي تعديل قد يطرأ على شروط الانتداب ، كما هو مبين من قبل ، إلا إذا وافقت على هذا التعديل الولايات المتحدة » .

وهذه المادة في مجموعها ، مشابهة لما يماثلها من المواد الموجودة في ثمانية اتفاقات أخرى ، عقدتها الحكومة بخصوص الأقاليم تحت الإنتداب ؛ وهي : سورية ، ولبنان ، والجزر الألمانية سابقاً في شمال المحيط الهادي ، والكمرون الفرنسية ، وتوجو لند الفرنسية ، وشرقي إفريقيا البلجيكي ، والكمرون البريطاني ، وشرق إفريقيا البريطاني ،وتوجولند البريطانية . ولا تخوّل أية مادة من هذه الموادّ حكومة الولايات المتحدة أن تمنع تعديل أية مادة من مواد إحدى هذه الانتدابات ، إلاّ أنه بمقتضاها تستطيع هذه الحكومة أن ترفض الاعتراف بمشروعية تطبيق أيّ تعديل يطرأ على الانتدابات في ما يختص بتطبيقه على المصالح الأميركية ، إلا إذا كان هذا التطبيق قد وافقت عليه حكومة الولايات المتحدة .

وترى هذه الوزارة (وزارة الخارجية) أن لجنة تقسيم فلسطين التي عينت من بضعة شهور خلت ، لتشير على الحكومة في ما تراه بخصوص التقسيم ، أنها ستقدم تقريرها للحكومة البريطانية في نهاية هذا الشهر ، وأن هذه الحكومة لن تصل إلى قرار ما في هذا الموضوع إلا بعد إتاحة الفرصة لها لبحث هذا التقرير .

وإجابة على سؤال قدم في مجلس العموم في (٦ اكتوبر ١٩٣٨) نقل إلينا أن المستر ماكدونلد وزير المستعمرات البريطاني ، قد صرّح بأن مجلس العموم قد لا يكون في مركز يخوله التصديق على أيّ قرار يكون قد اتخذ فعلاً ووضع موضع التنفيذ أو رفضه . ولكن تتاح للمجلس الفرصة في بحث أية سياسة قبل التصديق عليها ووضعها موضع التنفيذ من قبل الحكومة البر يطانية .

وبالطبع ، ستستمر وزارة الخارجية الأميركية في متابعة الحالة عن كثب ، وستتخذ كل الخطوات الضرورية ، لحماية الحقوق والمصالح الأميركية في فلسطين .

عود إلى تسلسل الحوادث

مقدمات مؤتمر لندن
وحديث للملك عبد العزيز مع السر ريدر بولارد

في صباح ١٧ رمضان ١٣٥٧ (١١ اكتوبر ١٩٣٨) وصل إلى الرياض السر بولارد ومعه أوراقه طلب عرضها على الملك تشتمل على – ١ – بيان من الحكومة البريطانية بعدولها عن مشروع التقسيم –٢– قرار بدعوة عرب فلسطين ، ومندوبين عن الحكومات العربية المجاورة ، ومندوبين عن الوكالة اليهودية ، للبحث في حلّ المشكلة –٣– خلاصة تقرير لجنة « ودهد » بالعربية والإنكليزية .

واستقبله الملك ، قبل ظهر اليوم نفسه . وجرى بينهما الحديث الآتي :

بولارد – سأل الملك عما إذا كان قد اطلع على الأوراق ؟

الملك : تصفحتها . وآمل أن يكون الخير من وراء المؤتمر الذي ستدعو إليه الحكومة البريطانية . ثم أسهب الملك في الكلام عما يعتقده من ضرورة اتفاق العرب وبريطانيا ، لاقتضاء مصلحة الطرفين . وأن حوادث فلسطين مؤلمة للعرب ومؤلمة للبريطانيين أنفسهم ، وأن الحكومة البريطانية بما أوتيت من العقل والحكمة قد حلت أكبر المشكلات الدولية العالمية ، وقبلت بالتساهل في بعض حقوقها في المسائل العظيمة ، فكيف تعجز عن حل مسألة بسيطة كمسألة فلسطين ؟ وأن حل هذه القضية مما يؤمن الصداقة بين بريطانيا والعرب ، ويمنع تقولات المتقولين . وأشار إلى كلام هتلر الذي ألقاه البارحة حيث ندد بالحكومات الديموقراطية ، وأنه قال : هل من الديموقواطية هذه المظالم في فلسطين ؟ وأن العرب لا يقبلون الهضم على بريطانيا ، ويريدون تأمين مصالحها.

وأن ذلك من العرب محبة لأنفسهم وليس محبة لبريطانيا نفسها . لأن سيرة بريطانيا سيرة إنصاف وراحة وسكون ، بخلاف البلاد الأخرى .

پولارد – أجاب شاكراً حسن ظن الملك ببريطانيا ، وقال : إن ما يعتقده جلالة الملك في بريطانيا من الرغبة في العدل والإنصاف ، والآلام التي تتحملها في قضية فلسطين ، هو عين الواقع ، وإن كان بعض الناس الذين هم في الهند أو غيرها يشكون من حالتهم .

الملك : الإنسان قد يشكو من أهله . ولكن المهم أن يعرف الإنسان الغاية . ونحن على كل حال ، آمالنا كانت ولا تزال معقودة فيما نعلمه عن حكمة بريطانيا وانتظار اليوم الذي تعمل فيه للأخذ بناصر العرب والعطف عليهم . وإن بريطانيا ما دامت عازمة على هذا الاجتماع ، فلا شك في أن العرب سيلقون منها من العطف على مصالحهم ما يؤمن سير القضية بالعقل والعدل .

پولارد – أشار إلى أنه ينتظر أن تذيع الحكومة البريطانية الليلة بياناً عن سياسة فلسطين . وهو لا يختلف عن البيان الذي قدمه إلى الملك . ولربما أنهم سيشيرون إلى أن الهجرة سيبحث بها في المؤتمر .

الملك : إن موضوع الهجرة هو النقطة الأساسية . وسواء ذكرت في البيان أو لم تذكر فإنها ينبغي أن تكون موضوع البحث في المؤتمر .

پولارد – أشار إلى ما جاء في البيان ، من أن الحكومة البريطانية احتفظت لنفسها بشأن الأشخاص الذين ينتخبون عن فلسطين ، وأنها لا تقبل أن يكون أحد منهم من المسؤولين عن الثورة .

الملك : المهم في الموضوع اختيار الأشخاص المحنكين الذين يحسنون الفهم والكلام . وإن حضور الأشخاص الذين لا يقدرون الأمور ولا تكون لهم المنزلة الكاملة ، ولو كانوا أصدقاء ، لا يمكن أن يفيدوا فلسطين ولا بريطانيا . ونحن على كل حال ما نقبل الأشخاص الذين يريدون أن يأخذوا الأمور بغير تعقل .

بولارد – أشار بصورة خاصة إلى « المفتي » وأنه لا يمكن أن يكون عضواً في المؤتمر .

الملك : المفتي هو من الأشخاص المعروفين في فلسطين ، ويمكن أن يرى بعض أشخاص آخرين يقومون باللازم .

بو لارد – ذكر أن من أغراضه التي قدم من أجلها ، هو أن يبلغ جلالة الملك دعوة الحكومة البريطانية لحضور المؤتمر .

الملك – أجاب بأنه يقبل الدعوة بكل ترحيب ، لأنها تساعد على حل المشكلة .

بولارد – كرر شكره للملك .

التمهيد لعقد المؤتمر ، وسفر الوفد السعودي

وتمهيداً لعقد « مؤتمر لندن » قام الملك عبد العزيز بالاتصال بملوك العرب وأمرائهم ، من جهة ، وبالحكومة البريطانية من جهة أخرى ؛ فأبرق إلى ممثل حكومته بمصر في ١٣٥٧/١٠/٢٧ الموافق (٢٠ ديسمبر ١٩٣٨) يقول : «قابلوا محمد محمود باشا رئيس الوزارة ، وأخبروه بأننا نحب على الدوام أن نكون على اتفاق وتفاهم وتعاضد ، في كل أمر له علاقة بالمصلحة الإسلامية عامة ، والعربية خاصة » .

وأبرق إلى ممثليه لدى الحكومات العربية الأخرى ، يدعوها إلى مثل ذلك.

وأبرق إلى خارجيته بجدة في ١٣٥٧/١٠/١٢ لتبعث إلى المفوضية البريطانية فيها بمذكرة ، بشأن الممثلين الفلسطينيين الذين سيذهبون إلى المؤتمر ؛ تبين حرصه على أن لا تقدم الحكومة البريطانية على اختيار أشخاص من عندها ، أو تفرض على الهيئات الوطنية أشخاصاً آخرين .

وأبرق في ١٣٥٧/١١/٣ إلى وكيل خارجيته بجدة ، أن يقابل الوزير البريطاني ويكلفه أن ينقل إلى حكومته ، أنه يرى وجوب إطلاق معتقلي سيشل الفلسطينيين ، ورفع الحجز والضغط عن أهل فلسطين للتنقّل والتداول فيما بينهم بشأن المؤتمر .

ولما سافر نائبه العام ووزير خارجيته الأمير فيصل ، إلى لندن ، على رأس الوفد العربي السعودي ، لحضور المؤتمر ؛ حمل معه من والده رسالة إلى المستر نيفل تشمبرلن رئيس الحكومة البريطانية أوضح فيها أن ما بينه وبين بريطانيا من علاقات وصداقة ، تحتم عليه وعلى بريطانيا « أن يأخذ بعين الاعتبار ، تجنب كل ما يضر بمصلحة الفريقين » وأشار إلى مواقفه مع بريطانيا في أشد ساعات الخطر ، غير متأثر بما كان أعداؤها يغرونه به ، ولا مصغ إلى محاولاتهم الإيقاع بينه وبينها . وتخلص إلى ما يترتب على بريطانيا القيام به لحلّ القضية الفلسطينية حلاّ عادلاً « يضمن الحق وصداقة الأمة العربية » ثم أهاب با لوزير البريطاني الأول ، أن يظهر سياسة بريطانيا بوضوح ، وألاّ يكون فيها ما يؤدي إلى هدم صلات الودّ بينها وبين العرب جميعاً ...

مـــذكـرة

وفي ١٣٥٨/٥/١٣ (١٩٣٩/٧/١) سلمت وزارة الخارجية السعودية ، الوزير البريطاني المفوض بجدة ، مذكرة أعربت فيها عن رغبة االملك القوية ، في أن يرى الحكومة البريطانية تخطو إلى إقامة هدنة ، بينها وبين عرب فلسطين ، على أسس تضمن حقوقهم ومصلحة بريطانيا . وقد أُشير في المذكرة إلى موقف بريطانيا الحرج ، وما قد تسبّبه دعاية أعدائها من مشكلات لها

، ، ،

بعد ثورة فلسطين

بيان بريطاني ، وملاحظات للملك

تلا المستر وول[١] بين يدي الملك عبد العزيز ، في مساء ٢ شوال ١٣٥٨ (١٦ نوفمبر ١٩٣٩) بياناً رسمياً خاصاً ، عن لسان حكومته ، هذه ترجمته :

لقد نظرت الحكومة البريطانية باهتمام شديد ، في الآراء التي أبديتموها جلالتكم للسير ريدر بولارد[٢] خلال زيارته للرياض ، بشأن فلسطين . ولكنها لا ترى أنها تستطيع أن تجري الآن أي تعديل مهم في سياستها التي تعتقد أنها كريمة ، بقدر ما تسمح الظروف . ولكنها بالرغم من ذلك واحتراماً لآراء جلالتكم ، قد قررت إصدار إعلان يلفت النظر للفرص التي تقدمها سياستها الحالية للأشخاص الذين يرغبون العودة إلى فلسطين ، وفي التصالح مع السلطات الفلسطينية . أما الشكل النهائي الذي سيتخذه هذا الإعلان فهو قيد الدرس وسيبلغ لجلالتكم قبل أن ينشر .

أما السياسة التي تنتهجها الحكومة البريطانية الآن ، فهي سياسة تصالح . وعرب فلسطين العديدون المهاجرون ، ممن لا ذنب لهم في أعمال العنف أو المخالفات الجنائية ، فلهم الحرية في العودة إلى فلسطين ، حيث يستطيعون أن يعيشوا مطمئنين ، من دون أن يعترض عليهم أحد ، ما داموا يحافظون على الأمن ويستعدون للتعاون مع الحكومة . أما الأشخاص المعتقلون بموجب القوانين الاستثنائية ، فيتسع العمل بإطلاق سراحهم ، بقدر ما تسمح بذلك مقتضيات مصلحة الأمن العام .وتدرس الحكومة مسألة عودة المبعدين أو الأشخاص الذين منعوا من دخول فلسطين بصفة خاصة ، ما عدا المفتي وبضعة أشخاص آخرين . ولقد عاد حتى الآن عدد كبير من المهاجرين .

، ، ،

(١) القائم بأعمال المفوضية البريطانية يومئذ .

(٢) الوزير البريطاني المفوض .

وأجابه الملك عبد العزيز ، شاكراً للحكومة البريطانية اهتمامها . ورجا أن يكون العفو ، مهما يكن الأمر ، واسع النطاق . وأبدى رغبته في أن يشير البيان الذي ستصدره الحكومة البريطانية قريباً ، إلى موضوع الهدنة ، ووقف الحركات ، لعل ذلك يساعد على حل القضية بصورة تدريجية ، ثم قال : « ليس المهم في نظرنا التظاهر بالقيام بعمل في هذا الموضوع ، وإنما المهم الوصول إلى النتيجة المطلوبة . وتقدم الحكومة البريطانية في إعلان العفو من دون طلب أحد ، نراه من أحسن ما يكون ، فإذا أُعلن العفو ، فيكون الوصول للهدنة بعدها ، إن شاءت الحكومة البريطانية بإعلان خاص أو عام ، وإن شاءت بإشارة من دون إعلان . »

ثم أعرب عن أسفه لتعجيل مصر والعراق في إعلان بعض ما تدور المباحثات عليه . وأبدى أنه حذّر العراق وأهل فلسطين بأنه إذا أُعلن شيء عن المفاوضات فإنه ينسحب منها .

من عبد العزيز الى روزفلت

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ؛ إلى فخامة الرئيس فرانكلين روزفلت ، رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأميركية .

يا صاحب الفخامة .

في هذا المعترك العالمي العظيم الذي قامت فيه الأمم تهدر دماءها ، وتبذل ثرواتها ، دفاعاً عن حرياتها واستقلالها . في هذا المعترك الذي أعلنت فيه المبادىء السامية التي يكافح عنها الحلفاء ، في ميثاق الاطلأنطيك . في هذا الصراع الذي أهاب فيه زعماء كل بلد بشعوبهم وبحلفائهم وأصدقائهم أن يكونوا عوناً لهم في النزاع الحياتي. راعني وراع المسلمين والعرب ، ما شاع من انتهاز فئة من اليهود الصهيونيين ، هذه الأزمة الخانقة ، وقيامهم بدعاية واسعة النطاق أرادوا بها السعي لتضليل الرأي العام الأميركي من جهة ، والضغط على دول الحلفاء في موقفهم الحرج من جهة ثانية ، ليحملوا بذلك دول الحلفاء على الخروج على مبادىء الحق والعدل والإنصاف التي أعلنوها وقاتلوا من أجلها ؛ وهي حريات الشعوب واستقلالها . يريدون بعملهم هذا أن يحملوا الحلفاء على مساعدتهم في القضاء على الشعب العربي الآمن المطمئن ، في فلسطين ، من من آلاف السنين . يريدون إخراج هذا الشعب الكريم من موطنه ، وأن يحل اليهود المشردون من كل الآفاق ، في هذا الموطن الإسلامي العربي المقدس .

وأيّ ظلم فادح فاضح ، لا قدّر الله ، أن يكون من نتائج هذا الصراع العالمي أن يأتي الحلفاء في آخره ليكللوا ظفرهم المقبل . بهذا الجور ، من إخراج الشعب العربي من موطنه في فلسطين ، وأن ينزلوا مكانه شذاذ آفاق من اليهود ، لا تربطهم بهذا الموطن أية رابطة غير دعوى خيالية لا أصل لها في نظر الحق والعدل ، إلا ما يحيكونه بوجوه مملوءة بالخداع والغش ؛ منتهزين بذلك هذه الفرصة الحرجة للحلفاء ، ومنتهزين فرصة جهل الشعب الأميركي بحقيقة قضية العرب عامة ، وقضيتهم في فلسطين خاصة .

لقد سبق أن كتبت لفخامتكم بتاريخ ٧ شوال ١٣٥٧ الموافق (١٩ نوفمبر ١٩٣٨) كتاباً أوضحت فيه حقيقة الأمر بين العرب واليهود في فلسطين . ولا بدّ أن فخامتكم إذا رجعتم إلى ذلك الكتاب ، ستجدون فيه أنه لا يوجد أيّ حق لليهود في مطالبتهم بفلسطين ، وأن كل ما يطلبونه فيها ، ليس إلا اعتداء وعدواناً لم يسجل التاريخ له مثيلاً في تاريخ البشرية . ففلسطين عربية منذ التاريخ الأقدم ، وموقعها في وسط البلاد العربية . لم يسكنها اليهود إلا حقبة من الزمن كان أكثر مدة تاريخهم فيها ، مملوءاً بالمجازر والمآسي ، ثم أُجلوا عنها ، وجلوا منها منذ حقب من الزمن . هؤلاء القوم يراد اليوم أن يعيدوا سيرتهم الأولى ، فيُعتدى بذلك على الآمنين المطمئنين .

تكاد السماوات يتفطرن وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً ؛ من كل ما يدعيه اليهود في فلسطين ، ديناً ودنيا .

وكنت بعد كتابي المشار إليه لفخامتكم أعتقد ، ولا أزال أعتقد أن حق العرب في فلسطين ، أصبح واضحاً لدى فخامتكم . لأني لم ألاحظ في جوابكم لي بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٣٩ أن فخامتكم لاحظتم أية ملاحظة على الحقائق التي ذكرتها في ذلك الكتاب .

وكنت أرغب ألاّ أشغل فخامتكم ورجال دولتكم ، في هذا الظرف العصيب ، بهذه القضية . ولكن ما تواترت به الأنباء عن عدم تورع هذه الفئة من الصهيونيين في إثارة هذه القضية الظالمة الخاطئة ، هو الذي جعلني أذكّر

فخامتكم بحقوق المسلمين والعرب ، في ذلك البلد المقدس ؛ لتعملوا على منع هذا الظلم ، وليكون بياننا لفخامتكم مساعداً على إيضاح حق العرب في فلسطين ، للشعب الأميركي بأسره ، ليعلم الشعب الأميركي الذي يراد تضليله من طرف الصهيونية اليهودية ، بما لها من وسائل الدعاية الواسعة ، الحقيقة الواقعة ، فيعمل في نصرة العرب المظلومين ويكلل جهاده الحاضر بإقامة قسطاس الحق والعدل في سائر المواطن من العالم .

إننا لو تركنا جانباً العداوة الدينية القائمة بين المسلمين واليهود ، من أول نشأة الإسلام ، بأسباب ما كاده اليهود للإسلام والمسلمين ونبيّهم ، من أول يوم ؛ لو تركنا ذلك جانباً ، ونظرنا إلى قضية اليهود من الوجهة الإنسانية البحتة ، لوجدنا الأمر كما ذكرته لفخامتكم في كتابي السابق ، من أن فلسطين باعتراف سائر من عرف فلسطين من أبناء البشر ، لا تستطيع أن تحل قضية اليهود العالمية . ولو فرضنا أن أحكام الظلم ، طُبقت على فلسطين بكل معانيها ، بمعنى أنه لو فرضنا أن قتل أبناء فلسطين العرب عن بكرة أبيهم ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وأُخذت أراضيهم ، وسلمت كلها لليهود ؛ فإن ذلك لا يمكن أن يحل المشكلة اليهودية ، ولا يمكن أن يؤمن أرضاً كافية يسكنها اليهود. فلماذا يراد القيام بهذا الظلم الفرد الفذ في تاريخ البشرية ، بدون وصول إلى نتيجة ترضي الساعين في هذا القتل أنفسهم ونعني بهم اليهود ؟

لقد ذكرت لفخامتكم في كتابي السابق ، أنه إذا نظر إلى الموضوع من وجهته الإنسانية ، فإن فلسطين ، البلد الصغير ، قد زُجّ فيها من اليهود ، إلى ما قبل الحرب العالمية الحاضرة ، ما يقرب من أربعمئة ألف ، فصارت نسبتهم فيها بعدما كانت في آخر الحرب العالمية الماضية سبعة في المئة ، صارت قبل الحرب العامة الحاضرة تسعة وعشرين في المئة . وهذه الزيادة لا تزال مستمرة ولا ندري إلى أيّ حد ستنتهي . وأصبح ما يملكونه إلى ما قبل الحرب العامة الحاضرة مليوناً وثلاثمئة واثنين وثلاثين دونماً من أصل سبعة ملايين دونم وهو كل ما هو قابل للزراعة في فلسطين جميعها .

إننا لا نريد محو اليهود ، ولا نطالب بذلك ، ولكننا نطالب بألاّ يُمحى العرب من أرض فلسطين ، من أجل إسكان اليهود فيها . إن أرض العالم لن تضيق على اليهود . فإذا تحمل كل بلد من بلدان الحلفاء الآن ، في الوقت الحاضر ، عُشر ما تحملته فلسطين ، أمكن حل قضية اليهود ، وأمكن حل قضية إسكانهم . وكل ما نرجوه في هذا الموقف الحاضر ، هو مساعدة فخامتكم لإيقاف سيل هذه الهجرة ، إيقافاً تاماً بإيجاد أماكن لليهود في غير فلسطين ، يأوون إليها ؛ ومنع بيع الأراضي لليهود في فلسطين منعاً باتاً ، ثمّ ينظر فيما بعد بين العرب والحلفاء لتأمين حياة من يمكن أن تتحمله فلسطين من اليهود المقيمين فيها الآن .

إني أكتب هذا الرجاء لفخامتكم وأنا على يقين بأنكم ستتقبلون هذا الرجاء ، من صديق ، يشعر بتقديركم للصداقة ، كما يشعر بتقديركم للحق والعدل والإنصاف ، وكما أشعر بأن الشعب الأميركي من أقصى أمانيه أن يخرج من هذا المعترك ظافراً بنصر المبادىء التي يحارب من أجلها ، وهي حرية الشعوب وإعطاء كل شعب حقه ، لأنه – لا سمح الله – لو أُعطي اليهود بغيتهم في فلسطين ، لظلت فلسطين مقراً لفتن دائمة ، كما حصل في الماضي ، تسبّب المتاعب للحلفاء عامة ولحكومة بريطانيا الصديقة خاصة . واليهود بما أُوتوا من قوة في المال والعلم ، قادرون على إيقاع الشقاق بين العرب والحلفاء ، في كل وقت ، كما كانوا سبباً لكثير من المشاكل التي وقعت من قبل .

وكل ما نحرص عليه ، هو أن يسود العدل والحق سائر الحلول التي ستُحل بها قضايا الشعوب والأمم بعد هذه الحرب ، وأن تكون علاقات العرب على الدوام مع الحلفاء على أحسن حال وأقواه وأمتنه .

وفي الختام أرجو أن تتقبلوا فائق تحياتي .

حُرر في مخيمنا ، بروضة خريم ، في اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وستين بعد الثلاثمائة والألف ، الموافق لليوم الثلاثين من شهر ابريل سنة ثلاث وأربعين بعد التسعمائة والألف ميلادية .

عبد العزيز

من روزفلت إلى عبد العزيز

في١٥ يوليو ١٩٤٣ (يوافق ١٩ رجب ١٣٦٢)

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية — الرياض —

أيها الصديق العظيم

قد تلقيت رسالة جلالتكم المؤرخة في ٣٠ أبريل ١٩٤٣ المتعلقة بالشؤون التي تمس فلسطين. وإني أقدر روح الصداقة التي أبديتموها في إعرابكم لي عن هذه الآراء. ولقد أحطت علماً، بكل دقة، بالتصريحات الواردة في هذه الرسالة، كما أني أحطت علماً بما جاء في كتاب جلالتكم المؤرخ في ١٩ نوفمبر ١٩٣٨ والرسالة الشفوية التي بلّغ بها المستر كيرك الوزير الأميركي في نهاية زيارته الأخيرة إلى الرياض. ولا شك أن جلالتكم قد تلقيتم رسالتي التي بلّغها المستر موس لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل. وكما ذكرت في تلك الرسالة يظهر لي من المرغوب فيه للغاية، أن العرب واليهود ممن تهمهم المسألة يتفاهمون تفاهماً ودياً، فيما يتعلق بفلسطين. وذلك بمساعيهم الخاصة، قبل انتهاء الحرب. ويسرني أن تتاح لي هذه الفرصة لأكرر تأكيدي بأن رأي حكومة الولايات المتحدة هو أنه في كل حال، يجب أن لا يتخذ أي قرار يغير وضعية فلسطين الأساسية، من دون التشاور الكامل مع كلا العرب واليهود.

وفي الختام أكرر التعبير عن خير التمنيات لدوام صحة جلالتكم والرفاه لشعبكم.

صديقكم المخلص

فرنكلين دي روزفلت

مجلة لايف الأمير كية

تتحدث عـن عبـد العزيـز

نشرت مجلة« لايف Life » مقالاً بقلم نويل ف. بوش Noel E. Busch أتت مجلة الريدرز دايجست Reader's Digest في عدد أكتوبر ١٩٤٣ على خلاصة وافية عنه ، تحت عنوان « ملك العرب العصامي » هذه ترجمتها :

، ، ،

كان الملك عبد العزيز ابن سعود في طريقه إلى مكة لأداء فريضة الحج على عادته كل سنة ، وفجأة انفجرت إحدى عجلات سيارته « البكار » فجلس على الرمال ريثما يتم إصلاحها.ومر به راع يركب جملاً ،وسأله عما إذا كان الملك قد مرّ أمامه . فقال الملك : ولماذا تريده ؟ قال سمعت أنه في طريقه إلى مكة ، فقلت لعله يمنحني شيئاً من النقود ، أستطيع أنا كذلك أن أحج بها. ففتح الملك حقيبة الجنيهات الذهبية التي يحتفظ بها دائماً إلى جواره ، وملأ يده بقطع منها وقدمها إلى الراعي . فذهل الأخير وحدّق في الجنيهات الذهبية ، ثم في الملك ، وقال : شكراً لك يا عبد العزيز .. لم أميز وجهك ، ولكني عرفتك من كرمك .

وليست هذه المقابلة بالشيء الجديد على الملك ولا على رعيته .. فإن بادية الجزيرة العربية لما كانت خلواً من المطابع والسينما ، فقد ظلّ وجه ابن سعود غير معروف عند عامة الشعب . ومع أن الأعرابي دعا الملك باسمه الأول ، فإنه لم يتعدّ في ذلك التقاليد . فابن سعود ليس في حاجة إلى مظاهر التشريفات والرسميات التي تتبع في بعض الممالك الدستورية ، حيث تخفى السيطرة

الحقيقية . لأنه ، وهو العاهل الكبير ، يجمع بين العمل ، كرئيس وحاكم عامّ ، ورئيس وزراء ووزير مالية ، ورئيس ديني ، وقائد عامّ .

وهو يسمح للجميع بمقابلته ، فيستقبل كل يوم عدداً كبيراً من أتباعه في قصره بالرياض ، حيث يجلس ، وعلى المنضدة بالقرب منه مسرّة وجرس كهربائي ، وإلى يمينه مقاعد يجلس عليها خاصته ، وأحياناً بعض كبار أنجاله . ويكون الجالس في هذا المكان بعيداً عن مسمع الحاضرين إذا تحدث إلى الملك .

ويمشي ابن سعود ، وهو الآن في الثالثة والستين من عمره ، في تؤدة ودون استعجال. وبعض ذلك يرجع إلى أصابات قديمة من السيوف والرصاص ومع هذا فهو يبدو أصغر من سنّه .

وينهج منهاج الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي كان يخضع له أعظم جزء من الجزيرة العربية قبل ١٣٠٠ سنة مضت .

ويُعتبر ابن سعود أكبر شخصية في البلاد العربية ، في هذا الوقت.وحيازته للبلدتين المقدّستين — مكة والمدينة — جعلته الرجل الأول في ٣٠ مليون عربي في الشرق الأدنى . وهو علاوة على ذلك ، الرجل الأول في ٢٢٠ مليون مسلم منتشرين في أنحاء العالم .

وبلاده — العربية السعودية — تُشرف على ممرّين من الممرات الثلاثة الموصلة إلى الشرق الأدنى . ولهذا شأنه في نظر الأمم المتحدة من حيث الاتصال بروسيا والهند والشرق الأدنى . أضف إليه أن جزيرة البحرين ، في الخليج العربي ، ومنطقة الظهران ، تعتبران نقطتين هامتين لملء الزيوت ، لقوات الأمم المتحدة.

وقد لزم ابن سعود الحياد في الحرب العالمية الثانية . وكذلك في الأولى التي سبقت احتلاله المدن المقدسة . وكان ذلك من حسن الحظ لبريطانيا ، فلو أنه كان قبل الحرب قد وقع في شبكة المحور الذي لم يترك وسيلة إلاّ استدرجه بها إليه ، لكان من الصعب بل من المستحيل ، طرد الإيطاليين من أثيوبيا والأريتريا . ولو تردد ابن سعود قليلاً ، قبل عام واحد ، لاختلفت نتائج

ثورة المحور في العراق ، تلك الثورة التي كانت فيما بعد سبباً لدخول العراق الحرب إلى جانب الأمم المتحدة .

وقد ظهر إيمان ابن سعود بمعاونة الأمم المتحدة ، كما ظهر بُعد نظره عندما كان رومل في ضواحي الإسكندرية منذ عام مضى .

وبلاد العرب التي يحكمها ابن سعود لم تبلغ رفاهية المدن الأخرى ، ولم تتأثر إلى الآن بالسعادة المادية ، كالطائرة مثلاً (لاحظ تاريخ المقالة) ومنذ عهد غير بعيد نزلت إحدى الطائرات أمام مضخات الغاز ، في الصحراء لتتموّن بالوقود ، وقال البدوي الذي ملأ حوضها : إن إحدى « السيارات » التي وقفت في هذا اليوم سارت عالياً في الهواء بدلاً من أن تدرج على الأرض .

والملك ابن سعود ، عصامي كل العصامية . ففي عام ١٨٨٠ عندما ولد ، كانت بلاد العرب تعتبر قطعة من الإمبراطورية العثمانية ؛ ولكن تلك الصحراء العظيمة كانت في الواقع منفصلة عن العالم أجمع . وكان أهل الجهاد فيها ، مرابطين في السر ، للدفاع عنها وعن مدائنها المسوّرة ، وسلاحهم السيوف والرماح (كذا) ولم تكن أوربا قد سمعت صرخات القتال — العربية — منذ عهدها بالحروب الصليبية . وفي بعض معاركهم استولى أحد جدود ابن سعود على معظم شبه الجزيرة . وهبطت ممتلكات آل سعود سنة ١٨٨٠ إلى لا شيء ، على يد عشيرة اسمها آل رشيد .

وقبل أن يبلغ ابن سعود العاشرة ، لاحظ أن أسرته قد سيقت إلى المنفى المقفر . وهنا نشأ ابن سعود ، موقناً بأنه سيسترجع المساحة التي كانت في أيدي أجداده ، عاجلاً أو آجلاً . وقد قام بخطوته الأولى ، وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فقاد عشرة رجال أشداء ظلّ محتفظاً بهم مدة ١٥ عاماً ، لمعاونته على آل رشيد .

وانتهى حكم آل رشيد ، وكانوا قد انحازوا إلى صفوف الأتراك في خلال الحرب العامة الأولى ، وأُسر من بقي منهم ، عام ١٩٢١ وكان حريصاً على الإفراط في إكرام العدوّ المنهزم — كعادة العرب دائماً — فنقلهم إلى عاصمته

(الرياض) حيث يعيشون إلى يومنا هذا . ويذهب أمراء آل رشيد إلى المدرسة التي يذهب إليها أنجال ابن سعود . كما تتسابق خيل الأمراء من آل رشيد مع خيل الأمراء السعوديين . وفي استطاعة السعوديين أن يتزوجوا من بنات الرشيد، بينما لا يُسمح للرشيديين أن يتزوجوا من فتيات سعوديات النسب .

وتشتمل المملكة السعودية على ثلاث مقاطعات عظيمة . فانتصار ابن سعود على آل رشيد جعل في يده قيادة قلب الجزيرة ، نجد . وكان عليه أن يسترد الأحساء في الساحل الشرقي من أيدي الأتراك ، فاستولى عليها عام **١٩١٣** كما أخذ الحجاز ، على الساحل الغربي ، سنة ١٩٢٦ وباستيلائه على الحجاز — بلاد الإسلام المقدسة — أتمّ استرجاع المملكة السعودية السابقة .

ولما نودي به ملكاً على المملكة السعودية (أو قبل ذلك بقليل) دخل مكة بهيأة متواضعة ، إذ كان مرتدياً ملابس الإحرام المؤلفة من زوج من المناشف .

وأول اختراع غربي أدخله ابن سعود إلى بلاده هو السيارات . وبينما نجد الشعب السعودي الذي لم يقم أحد بإحصائه حتى اليوم ، وعدده يزيد على أربعة ملايين شخص ، لا يملك أكثر من بضع مئات من السيارات ، نجد الملك يملك ما يزيد على الألف . وعندما يقصد مكة ، يسافر في ركبه حوالي ٥٠٠ مركبة ، منها عربات للنقل وعربات للخدم والحرس والطهاة وضاربي الخيام والميكانيكيين وبعض قطع الغيار ،وقطيع من الأغنام والدواجن التي ستستهلك في الطريق .

وتعتبر إضافة ما يقرب من ٢٥٠ ألف حاجّ مسلم في مكة ، كل عام ، من أعمال المملكة الهامّة . كما أنها من مصادر الربح لها . وكان الحجاج فيما مضى يعانون الكثير من قطّاع الطرق ، إلى درجة أنه لم يكن في استطاعة الحاج، أن يجتاز المسافة ما بين جدة ومكة ، بغير قوة مسلّحة من الحرس . وكان من الأمور المعتادة عند العرب ، أن ينهب الفقير مال الغني . غير أن الملك أعاد للحجّ هيبته ، بأن ضرب بيد من حديد على أيدي قطاع الطرق ، وطبّق

العقوبات المذكورة في القرآن في حالتي السرقة والقتل ، وهما البتر وضرب العنق .

ولما كان الغذاء الشعبي في بلاد العرب هو الأرز ، والشراب القهوة ، وكلاهما يستورد من الخارج ، فقد أصبحت زيادة المصادر الزراعية الأهلية من أهم المسائل في الوقت الحاضر . وقد أرسل أحد أقسام الولايات المتحدة في الشتاء الماضي ، أفضل خبرائه للقيام بجولة مساحتها ١٠ آلاف ميل في المملكة السعودية ، للتنقيب . ويقوم وزير المالية في هذه الأثناء بدرس شامل لمشروع إصلاحي غير بعيد عن الرياض حيث توجد ينابيع تيسّر ريّ ما يقرب من ٢٥٠٠ فدان خصبة تزرع شعيراً وخضاراً .

وساعدت وسائل الاتصال في داخل المملكة على نشر الإصلاحات. فبواسطة الراديو والتلفون يعلم الملك عن طريق رجاله ، بكل ما يدور في داخل بلاده ، إلى حدّ لا يكاد يصدقه العقل . فبينما يسرح البدو بقطعانهم في كل مكان ، نجد بعض المسافرين في حاجة إلى موافقة الملك على دخول بلاده ، ثم يحاط علماً بسيرهم خطوة خطوة .

ويقضي الملك معظم أوقاته في تصريف شؤون المملكة .

فهو ، بعد تلاوة ما تيسر من القرآن ، مدة ساعة قبل الفجر ، ينهض للصلاة ثم يستحم ويتعطر بعطر الورد – المفضّل عنده وعند كبار العرب – ويتناول الشاي والقهوة ، ويذهب بعد الإفطار إلى البلاط حيث يتقدم وزراؤه واحداً بعد واحد ، لإحاطته علماً بما حدث منذ اليوم السابق . وتحوي هذه المحادثات كل كبيرة وصغيرة ، فمن ثورة في القبائل الشمالية ، إلى سيارة غرّزت في الرمال في طريقها إلى الرياض ، إلى غير ذلك .

وفي البلاط الآن ثلاثة تراجمة يتلقون الأنباء الخارجية ، ويترجمونها للملك في أوقات منظّمة . فهو بخبرته في الشؤون الحربية وحنكته ، يعرف عن سير الحرب أكثر مما يعرف معظم موظفي واشنطن . وينتظر أن تنتهي الحرب القائمة ويتنبأ بأنها ستكون لمصلحة الحلفاء .

ويبدأ « اليوم » عند العرب من الشروق ، بينما هو عندنا يبدأ من منتصف الليـل .

وينتهي الملك من الأعمال الحكومية . ويستعدّ لتناول جرعة أخرى من الشاي والقهوة ، حوالي الساعة الثالثة . أي بعد أن يستيقظ بأربع ساعات ثم يتهيأ البلاط للاستقبال . ويقصد الضيوف الملك طلباً لبعض المصالح ، فيحضر كل منهم مذكرة يدوّن فيها مطالبه ، ويرتبها رجاله حسب أهميتها ، فتقدّم إلى الملك بعد الغداء ، ويأمر بما يراه في كل واحدة منها . وعندما ينفضّ الاجتماع يتقدم زواره شاكرين له فضله أو طالبين المزيد . ويحرص الملك على ألاّ يسافر زائر من الرياض ، قبل أن يحظى بهدية مناسبة ، فتُقدم الساعات والعباءات والقطع الذهبية للشخصيات الأجنبية الرفيعة ، وللشيوخ المقربين . أما الفقراء فيحظون بغذاء فخم في أي وقت يطلبونه .

وأعظم صفة خلابة في الملك عبد العزيز ، اعتقاده الوثيق بالعدل الإلهي . وهو لهذا لم يُدهش كثيراً عندما أمدّ الله البلاد العربية بالزيوت ، كما أمدها بالأمطار فيما مضى . ولن يدهشه كثيراً أن يمد الله العالم بالسلام وما يتبعه من رخاء .

حديث لعبد العزيز

وفي تاريخ سابق لهذا العدد من مجلة « لايف » نشر كاتب المقال المتقدم « المستر بوش » حديثاً له مع الملك عبد العزيز ، في الرياض ، يوم ١٣ ربيع الأول ١٣٦٢ (٢١ مارس ١٩٤٣) قال فيه : سألت الملك عبد العزيز ، عن رأيه في قضية فلسطين ، فكان مما أجاب به :

أولاً — إنني لا أعلم أن لليهود أمراً يبرر مطالبتهم بفلسطين . لأن فلسطين كانت ، من قبل البعثة المحمدية ، للعرب . سكنها بنو إسرائيل حقبة من الزمن ، وتسلط عليهم الرومان في ذلك الوقت ، وقتلوهم وشتتوا شملهم ، ولم يبق أثر لحكمهم فيها . والعرب قد استولوا عليها وافتكّوها من الرومان ، منذ

ألف وثلاثمائة سنة وزيادة . وهي من ذلك الوقت بيد المسلمين . ومن هذا يظهر أن ليس لليهود حق في دعواهم هذه، لأن جميع بلدان العالم تقلبت عليها شعوب تملكتها ، وصارت الآن وطناً لهم لا منازع فيه . فلو أردنا تعقيب نظرية اليهود ، لوجب على كثير من شعوب العالم المستقر ، أن يرحل من بلاده . وفلسطين من ضمن هذه البلاد .

ثانياً — إنني لا أخشى من اليهود ، ومن أن تكون لهم دولة أو سلطة ، لا في بلاد العرب ولا في غيرها ، بموجب ما أخبرنا به المولى سبحانه وتعالى على لسان رسوله في كتابه الكريم . فأرى أن تشبث اليهود في هذه البلاد من الخطأ .. لأنه أولاً : ظلم للعرب والمسلمين عموماً ؛ ثانياً : أنه يورث الفتن والقلاقل بين المسلمين وأصدقائهم الحلفاء . ثم بعد ذلك إذا كان اليهودمضطرين إلى محل يسكنونه ، فبلاد أوروبا وأميركا وغيرها من البلدان ، أوسع وأخصب من هذه البلاد ، وأتم لمصالحهم . وهذا هو الإنصاف .

س — ما هو فكر جلالتكم في اتحاد العرب ؟

ج — إن العرب ليس بينهم خلاف . وأظن أنه بعد الحرب ، يحصل بينهم اتحاد بمساعدة الحلفاء .

، ، ،

وفي مجلة بلجيكية

ونشرت المجلة البلجيكية « ريفيو بلج » سلسلة مقالات[١] تحت عنوان « سيد جزيرة العرب » قالت في إحداها :

« الملك عبد العزيز ، مسلم ورع ، اتصل عن طريق الزواج بجميع الأسر النبيلة ، وربط أواصر صداقته مع القبائل ؛ وأصبحت لديه وسائل ميكانيكية نظامية مزودة بمدافع لويس الرشاشة وبمدافع الميدان . ولديه قوة جوية ومحطات

(١) نقلتها إلى العربية جريدة الدفاع الفلسطينية ، في أواخر محرم ١٣٥٧ (١٩٣٨م)

نقالة للراديو . وهو يتحلى بصفات السياسي المحنك . استطاع بدهائه العربي أن يتغلب حتى على بريطانيا ، وأن يصبح الآن أبرز شخصية من شخصيات العالم الشرقي ، وأصبح محط أنظار العالم الإسلامي وموضع مجاملة الدول الغربية .

محاولة خبيثة

اشتعلت الحرب العامة الثانية ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) وقضية العرب واليهود في إبان غليانها .

وأمضى « فلبي » البريطاني المعروف ، مدة في بلاده ، تغدّى في خلالها يوم (٢٨ سبتمبر ١٩٣٩) مع الدكتور حاييم وايزمن زعيم الصهيونية العالمية ، وتحدثا عن فلسطين .

ويحدثنا فلبي نفسه ، في كتابه « اليوبيل العربي »[1] بأنه بعد دراسات واتصالات ، تكشف له حل القضية الفلسطينية ، في ثلاث جمل يقول إنها « بسيطة ، صريحة ، شاملة .. » وهي ، والترجمة حرفية :

« أن تعطى فلسطين لليهود .. وأن يُجلى العرب منها ويوطّنوا في مكان آخر ، ويكون توطينهم على حساب اليهود .. وعلى اليهود أن يضعوا عشرين مليون جنيهاسترليني ،تحت تصرف الملك ابن‌سعود لهذهالغاية » أي‌لعملية توطينهم. وزاد على ذلك : « ويجب أن يُعترف بالاستقلال التامّ لجميع البلدان العربية الآسيوية ، ما عدا عدن » وقال : « وينبغي أن تقدم بريطانيا وأميركا هذه المقترحات إلى الملك ابن سعود باعتباره الحاكم العربي الأول . ويجب أن تضمن له هاتان الدولتان معاً ، تنفيذها ، في حال قبوله لها ، بالنيابة عن العرب » ثم قال : « ويجب أن يلاحظ أنه ، فيما يتعلق بي ، لم يكن يدور في خلدي تقديم رشوة إلى ابن سعود ، لضمان موافقته على المشروع . إذ من الواضح أن المبلغ المقترح ليس بشيء ، إذا قيس بالنفقات التي ستحتاج إليها عمليات إغاثة اللاجئين وتوطينهم »

---

(1) H. St. J. B. Philby, Arabian Jubilee Robert Hale Limited, London 1952

ثم يذكر فلبي أنه في اجتماعه بوايزمن ، عرض عليه « مقترحاته » هذه ، وأن وايزمن رحّب بها . وأنه اقتسم العمل معه ، على : أن يسعى وايزمن لحمل الحكومتين البريطانية والأميركية على أن تتبنيا « تنفيذ » المشروع . ويقوم فلبي بالسعي لدى الملك عبد العزيز ، للحصول على موافقته مقدّماً ، قبل أن تبدأ الحكومتان المذكورتان بالعمل .. في الوقت المناسب » .

هذه رواية« فلبي »أما« وايزمن » فيذكر في كتابه Trial and Error الطبعة الرابعة ، الصفحة ٥٢٥ أنه عندما أراد الذهاب إلى أميركا ، باستدعاء من الرئيس روزفلت ، ليعمل في الشؤون الكيماوية ، قابل المستر تشرشل يودعه. ثم يقول ما ترجمته : « فتمنى لي — يعني تشرشل — حظاً سعيداً . ثم قال لي تشرشل ، من دون أن أسأله : أودّ ان تعلم أن لديّ مشروعاً لا يمكن تحقيقه طبعاً ، إلا عندما تنتهي الحرب . أنا أرغب أن أرى ابن سعود سيّداً للشرق الأوسط ، رئيساً للرؤساء فيه ، على شرط أن يسوّي الأمور معكم . وسيكون من شأنكم أن تحرزوا خير ما يمكن من شروط . ونحن بطبيعة الحال سنساعدكم. احتفظ بهذا الأمر سرّاً ، إلا أنك تستطيع أن تتحدث به إلى روزفلت ، حين تبلغ أمريكا ؛ فلا شيء يعجزنا أنا وإياه ، حين نتوجه بعزيمتنا إلى أمر من الأمور »

قال وايزمن : « ذلك كل ما قاله تشرشل ، ولكنه كان شيئاً كثيراً ، حتى لكأنما بهرني . والحقّ أني لم أكن لآخذ كلامه حرفياً ، لولا حادث عجيب فذّ حيّرني بعض الوقت ، ولم يلح لي فيه معنى إلا تلك الساعة ، فقد لقيت قبل بضعة أشهر ، سنت جون فلبي الرحالة المشهور في بلاد العرب ، وموضع ثقة ابن سعود ، وتحدثنا يومئذ عن فلسطين والعلاقات العربية ، فقال فلبي قولة دوّنتها ، وبدت غير مفهومة لديّ ، وقد صدرت عنه . قال لي فلبي : أعتقد أنكم ربما كنتم في حاجة إلى مطلبين لحلّ مشكلتكم في فلسطين : أن يقوم المستر تشرشل والرئيس روزفلت بإخبار ابن سعود أنهما يرغبان في أن يريا برنامجكم منوطاً بالتحقيق والتنفيذ. هذا هو المطلب الأول . أما الثاني ،

فهو أن يساندا سيادته على الأقطار العربية ، ويقدما له قرضاً يمكنه من تطوير بلاده . قال وايزمن : وفي تلك الساعة ربطت بين « عرض » سنت جون فلبي و « خطة » المستر تشرشل .

، ، ،

نفهم من هاتين الروايتين : أن فلبي اقترح « المشروع » على وايزمن ، وأن تشرشل كان على علم به . ولا يهمنا إن كان فلبي هو المبتكر له وقد رفعه في أحد « تقاريره » إلى رئيسه البريطاني ، أم كان تشرشل هو الموعز به إلى فلبي . والمهمّ أن الفكرة كانت بريطانية ، لحماً ودماً .

، ، ،

وغادر فلبي لندن ، فأقبل على الرياض وهو ممتلىء يقيناً بأن اليهود سيكون لهم « وطن » في فلسطين . ذلك ، لأن بريطانيا وعدتهم .. وفي مقدرتها — كما لا يمكن أن يشك فلبي — أن تقيم لهم هذا الوطن ، ولو على جماجم الآمنين ..

، ، ،

ودخل فلبي على الملك عبد العزيز ، في جملة المهنئين بالذكرى الرابعة عشرة لجلوسه على العرش في (٨ يناير ١٩٤٠) ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٨ ولم يكن من العسير على أحد ، ممن يعرفهم عبد العزيز ، أن يتحدث معه على انفراد . فانتهز فلبي فرصة للكلام ، فحدث الملك بما سماه « مشروعاً لحل قضية العرب واليهود »

ولئن كان من المتعذر عليّ وعلى سواي ، معرفة الكلمات التي أسرّها فلبي — على لكنته وعجمته — للملك عبد العزيز ، فإن « وثيقة رسمية » رأيتها في إحدى أضابير الشعبة السياسية ، في الرياض[١] تنير لنا السبيل في الموضوع ، على قلة سطورها ، وهذا نصها :

---

(١) اطلعت عليها سنة ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠م

« نقل أوربي إلى جلالة الملك ، رسالة عن لسان وايزمن ، يعرض فيها عليه عشرين مليون جنيه ، لقاء وقوفه على الحياد في قضية فلسطين . وأن رئيس الولايات المتحدة الأميركية يكفل وايزمن في تحقيق هذا الوعد » .

أما فلبي فنقل عن لسان الملك أنه أمره بطيّ الحديث عن الموضوع . وظنّ أنه ربما أراد أن يختبر صدقه !. وعلّق حافظ وهبه بأن الملك خاف على فلبي من بطش الناس به [1] !

ويجب أن أذكر هنا ، أن فلبي لم تكن له صفة « المستشار » أو « الثقة » ولا أية صفة « رسمية » أو شبه رسمية ، لدى الملك عبد العزيز .

لا أريد من هذا انتقاص فلبي ، وسيأتي الحديث عنه في مجال آخر . وإنما أوردته لأنفي كونه « موضع ثقة ابن سعود » كما توهم وايزمن،ولأقول: إن فلبي بعد أن تحدث في كتابه عن « مشروعه » أسهب في الكلام عن « حيرته » من موقف روزفلت وتشرشل من المشروع ، وقال : « لقد كنت أتجاوز ما لديّ من تعليمات – كذا – لو أنني أخبرت الدكتور وايزمن بأنه قد يكون من الممكن الحصول على نتائج إيجابية لو تمت المبادرة على النحو الذي رسمناه من البداية ، من ناحية أميركا وأنكلترة » .

ويقول بعد هذا – حرفياً – : « إن وايزمن يؤكد أنه لم يبحث المشروع مع الرئيس روزفلت ، في خلال زيارته لأميركا . ففي هذا القول ما يدل على أن وايزمن أخفى عن فلبي سعيه لدى روزفلت ، ليتوسط له في زيارة «الرياض» ومقابلة عبد العزيز شخصياً ، كما سيأتي بعد صفحة واحدة من هذا الكتاب .

وما لنا ولفلبي ؟ لنقرأ ما دار من الحديث الرسمي « المسجّل » بين الملك عبد العزيز ومبعوث روزفلت ، والنصّ الرسمي لرسالة عبد العزيز إلى روزفلت لنعلم بإخفاق وايزمن في محاولته الاجتماع بالملك عبد العزيز ، أو بمن ينوب عنه ، ونرى كيف ثارت حفيظة عبد العزيز ونقمته على وايزمن حين سنحت

---

(١) خمسون عاماً : ١٧٩

الفرصة للرد على « رسالته » الشفوية التي حملها فلبي بسذاجة أو بكثير من التبالـه ، إلى الملك . وأُحب أن يعلم قارىء هذه الكلمة أنني ما تعمدت فيها قط « الدفاع » عن موقف عبد العزيز ؛ لأنه في غير حاجة إلى الدفاع عنه ، والحكم للوثائق ..

مبعوث روزفلت

في رجب ١٣٦٢ (يوليو ١٩٤٣) وصل إلى الرياض المستر هاري هوسكنز مندوب الرئيس روزفلت الشخصي ، يحمل للملك عبد العزيز رسالة من الرئيس الأميركي ، هذه ترجمتها الحرفية :

واشنطن — البيت الأبيض .

٧ يوليو ١٩٤٣

جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية

صديقي العزيز العظيم

لقد كلفت اللفتننت كولونيل هارولد هوسكنز ، بجيش الولايات المتحدة ، واضعاً فيه ثقتي الكاملة ، أن يطلب مقابلة جلالتكم ليبحث باسمي ، بعض المسائل الخاصة ذات المصلحة المشتركة .

وإني أنتهز هذه الفرصة لأعبر لجلالتكم عن أحسن تمنياتي بالصحة الطيبة لشخصكم والسعادة والرخاء لشعبكم الكريم .

صديقك المخلص

فرانكلن . د . روزفلت

حديث هوسكنز

قال هوسكنز :

« تعلمون جلالتكم أن الرئيس روزفلت تلقى كتبكم حول قضية فلسطين. وسبق أن قدم إلى جلالتكم شكره على ما تفضلتم به من إبلاغه رأيكم ورأي العرب عامة ، في هذه المشكلة . وهي كما تقدرون جلالتكم ، مشكلة متعقدة . وقد زادت أهميتها في الأشهر الأخيرة ، عند الرئيس ، وعند المستر هلّ وزير الخارجية ، والمستر ولز نائب وزير الخارجية ، فازداد اهتمامهم بها .

« ولا يخفى على جلالتكم أنه قد أصبح من سياسة حكومة أميركا المقررة، وفيما أعتقد من سياسة حكومة بريطانيا أيضاً ، أن تؤجل بقدر الإمكان إلى ما بعد انهزام المحور ، الأبحاث في المشاكل الإقليمية ومشاكل الحدود الكثيرة الكائنة في مختلف أنحاء العالم . لأن غايتنا الأولى التي نحن في أشد الحاجة إلى إدراكها ، هي النصر على أعدائنا .

« غير أنه في الوقت ذاته سيكون المستر تشرشل والرئيس روزفلت ، مقصّرين في واجباتهما لو أهملا أية وسيلة يمكن أن تؤدي حتى قبل انتهاء الحرب ، إلى حل قضية فلسطين ، حلاً ودياً سلمياً . على شرط أن يكون الوصول إلى هذا الحلّ بطريق الاتفاق والتراضي بين الجهات المختصة المهمة .

« لقد فهم الرئيس روزفلت من كتب جلالتكم اهتمامكم الخاصّ بمشكلة فلسطين . ومع أنه يقدر تلك الكتب الثمينة ، حق قدرها ؛ إنما يعتقد أنه لا يمكن دراسة هذه القضية ولا البحث عن الوسائل لحلها من دون أن يطلع على آراء جلالتكم اطّلاعاً واسعاً شاملاً ، يزيد عما يمكن تدوينه في الكتب الرسمية. لأن قضية دقيقة وصعبة مثل قضية فلسطين ، لا يتضح كل ما تنطوي عليه إلا في المحادثات الطويلة . ولهذا السبب أرسلني الرئيس روزفلت لأتشرف بمواجهة

جلالتكم ، وآخذ رأيكم مباشرة . ثم عند ما أعود إلى واشنطن ، أستطيع أن أبلغ الرئيس ، رأساً وشخصياً ، ما تبدونه جلالتكم .

«وقد أمرني الرئيس بصفة خاصة أن ألتمس من جلالتكم الإجابة على السؤال الآتي :

« هل ترون جلالتكم أنه مما يُرغب فيه ، ومما يفيد في الوقت الحاضر ، أن تستقبلوا هنا ، في الرياض ، أو في أي مكان آخر ، الدكتور حاييم وايزمن زعيم الصهيونيين ، لكي تتحدثوا معه وتبحثوا معاً عن حل لمشكلة فلسطين يرضى به كل من العرب واليهود ؟

« هذا هو سؤال الرئيس روزفلت . ولكن إذا استصعبتم هذا الأمر ورأيتم أنه لا يمكن اجتماعكم والدكتور وايزمن ، فيسأل الرئيس : هل ترون جلالتكم أنه مما يرغب فيه ، ومما يفيد في الوقت الحاضر ، أن يُعقد اجتماع بين شخص تعيّنونه لينوب عن جلالتكم ، وبين الدكتور وايزمن أو شخص آخر معيّن من قبل الوكالة اليهودية ، ويكون هذا الاجتماع إذا وافقتم عليه في مكان غير الرياض .

« وبهذه المناسبة يمكنني أن أحيط جلالتكم علماً ، بأن الرئيس روزفلت قد أخبر المستر تشرشل والمستر إيدن ، برغبته في إرسالي إلى الرياض ، لمقابلة جلالتكم في هذا الشأن ، فعبّرا عن موافقتهما على ذلك .

« وأكون شاكراً لجلالتكم إذا تفضلتم بالنظر في هذا السؤال ، وتكرمتم بعد التفكير فيه ، بإخباري عما إذا رأيتم أن اجتماعاً يعقد بين جلالتكم والدكتور وايزمن يكون من المرغوب فيه ومن المفيد .

« وقد أُمرت ، بعد أن أتشرف بتلقي إجابة جلالتكم ، أن أعود إلى واشنطن وأبلغ الرئيس روزفلت شخصياً بقراركم .

الملك عبد العزيز

يجيب هوسكنز

« أبلغتموني سعادتكم تفضّل فخامة الرئيس روزفلت بسؤاله عن رأينا ورأي العرب ، في مشكلة فلسطين التي زادت أهميتها في الأشهر الأخيرة .

« ونحن إذ نشكر لفخامته هذا الاعتناء المهم ، وإيفاده مندوباً لبقاً مثل سعادتكم ، للاستفسار عن رأينا في قضية فلسطين ؛ نذكر لفخامته أن رأينا في هذه القضية لم يتغيّر . وقد ذكرناه لفخامته ، بكل وضوح ، في كتابينا اللذين أرسلناهما إلى فخامته بتاريخ ١٩ نوفمبر (١٩٣٨) وتاريخ ٣٠ ابريل ١٩٤٣وكلما نريد في الأمر هو أن لا يهضم حق العرب الصريح الذي هو مثل الشمس ، بمغالطات تاريخية ونظريات اجتماعية واقتصادية من قبل اليهود الصهيونيين .

« ثم إننا نؤيد كل ما أتينا به في كتابينا المشار إليهما . ونرجو كذلك ألاّ تقترن أعمال من يريد العدل ونصرة الإنسانية — التي لا نشكّ بأن أميركا لم تدخل هذه الحرب الضروس إلا لتأييدها — بعمل غير إنساني ، يقضي على حقوق العرب في فلسطين ؛ لعدم الوقوف على الحقيقة . فتكون بذلك مأساة وضربة للعرب لم يأت التاريخ بمثلها . ونحن إذ تسرنا الوعود الكريمة بالنظر في هذه القضية ، بوجه الحق والإنصاف ، بعد اندحار المحور ، فيمكننا أن نرجو من فخامته تطبيق أحكام الكتاب الأبيض على الأقلّ في مدة هذه الحرب. لأن في عدم تطبيق أحكامه ، وعدم وقف الهجرة التي تجاوزت الحدّ المعين ،

خرقاً كبيراً لحرمة العهود والمواثيق . وإن ذلك في صالح اليهود على طول الخط ، وضد العرب بصورة لا تقبل الشكّ والتأويل .

« أما دخولي في مذاكرات لحلّ قضية فلسطين بصورة عملية ، غير إبداء الرأي والنصائح ، فذلك غير ممكن ، ولا أستطيع أن أعمل أي عمل إلا بعد استطلاع أفكار ذوي العلاقة ، الذين في أيديهم الحل والعقد في هذه القضية . وبذلك يمكن توجيه الآراء لحل المشكلات ، على ضوء هذه الأفكار . فإذا رأى فخامته أن نقوم بمراجعة العرب ، للاستفسار عن آرائهم ، فنحن نقوم بذلك إن شاء الله .

« وأما ما ذكر فخامته ، من جهة مقابلتي للدكتور حاييم وايزمن ، فأحب أن يعلم فخامة الرئيس بأننا نقابل كل من يأتي إلينا ، من جميع الأديان ، بكل ترحاب . مع القيام بالواجب لهم حسبما يقتضيه مقامهم من الإكرام . أما اليهود بصورة خاصة فلا يخفى على الرئيس ما بيننا وبينهم من عداوة سابقة ولاحقة . وهي معلومة ومذكورة في كتبنا التي بين أيدينا ، ومتأصلة من أول الزمان . فمن هذا يظهر جلياً أننا لا نأمن غدر اليهود ، ولا يمكننا البحث معهم أو الوثوق بوعودهم ، أولاً : لأننا نعرف نواياهم نحو العرب والمسلمين ، وثانياً : لأننا لم نتصل بالعرب لنعرف رأيهم . وكما ذكرنا فيما تقدم إذا رغب فخامته أن نقوم باستمزاجهم واستطلاع رأيهم ، فنحن نقوم بتحقيق تلك الرغبة حينئذ .

« أما الشخص الذي هو الدكتور وايزمن . فهذا الشخص ، بيني وبينه عداوة خاصة . وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة بتوجيهه إليّ ، من دون جميع العرب والإسلام ، تكليفاً دنيئاً ، لأكون خائناً لديني وبلادي ، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه . وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من هذه الحرب . إذ أرسل إليّ شخصاً أوربياً معروفاً يكلفني أن أترك مسألة فلسطين وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ، ويسلّم إليّ عشرين

مليون جنيه مقابل ذلك . وأن يكون هذا المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس روزفلت نفسه . فهل من جرأة أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ويجعل فخامة الرئيس كفيلاً لمثل هذا العمل الوضيع .

« إني لا أشك بأن فخامة الرئيس روزفلت لا يقبل هذا ، لا في حقي ولا في حقه . فهذه من جملة الأسباب التي أريد أن تعرضوها على فخامة الرئيس ، حتى يرى إلى أيّ حدّ يتجرأ اليهود للوصول إلى غاياتهم الباطلة ، وينظر برأيه السديد في هذه الأعمال التي يغني بيانها عن وصفها .

، ، ،

ويجيب على رسالة الرئيس الأميركي

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية
إلى صاحب الفخامة الرئيس فرانكلن روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأميركية

يا صاحب الفخامة

« تلقيت ببالغ السرور كتاب فخامتكم الصادر عن البيت الأبيض بتاريخ ٧ يوليو ١٩٤٣ الذي حمله إليّ مندوب فخامتكم اللفتننت كولونيل هارولد هوسكنز . وقد كان من دواعي اغتباطي أنني اجتمعت بالمندوب المشار إليه ، وأطلعني على آراء فخامتكم الخاصة ببعض الشؤون والمسائل ذات المصلحة المشتركة ؛ وبحثت معه في هذه المواضيع على ضوء المصالح المذكورة . وهو سينقل بدوره ولا شك لفخامتكم آرائي وأفكاري .

« هذا وقد تلقيت بالحبور تحيات فخامتكم التي حملها إليّ المندوب المشار إليه والذي قام بما عهد إليه من المهمة بما تقتضيه فطنته ولباقته اللامعة . وإني اغتنم فرصة عودته إلى الولايات المتحدة ، فأبعث لفخامتكم بشكري الخالص على نبل غايتكم بانتداب سعادته مما دلّ على متانة الصداقة التي تربط بلادينا ، كما أبعث بتحياتي الخالصة وتحيات حكومتي وشعبي وتمنياتنا الطيبة لفخامتكم وللشعب الأميركي الكريم .

صديقكم : عبد العزيز

في « الكونجرس » الأميركي

وأبرق الملك عبد العزيز إلى خارجيته في جدة ، بتاريخ ١٣٦٣/٢/٣ (آخر يناير ١٩٤٤) أن تتصل بوزير الولايات المتحدة المفوض ، وتنقل إليه أنه تلقى خبراً مفاده أن بعض أعضاء « الكونجرس » الأميركي ، قدموا مشروع قرار بتأييد « تهويد فلسطين » وأن تؤكد للوزير الأميركي شدّة انزعاجه . لينقل ذلك إلى الرئيس روزفلت مع الاستيضاح عن جلية الأمر .

، ، ،

وفي ١٣٦٣/٣/٢٤ (١٩٤٤/٣/٢٠) قدم الوزير الأميركي المفوض بجدة، مذكرة للخارجية السعودية – بناء على جواب حكومته بشأن مشروع القرار المتقدم ذكره – يشكر فيها الرئيس روزفلت الملك عبد العزيز على بيانه ، ويؤكد له أن مثل هذا الأمر لا يغير الموقف الأساسي لسياسة الحكومة الأميركية تجاه فلسطين .

وفي ١٣٦٣/٣/٢٨ (١٩٤٤/٣/٢٤) نقل الوزير الأميركي إلى الخارجية السعودية ، إلحاقاً بما تقدم ، أن رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأميركي ، صرّح بأن السلطات التي تسيّر دفة الحرب ، رأت سحب هذا الاقتراح من جدول أعمال المجلس (وسُحبَ) وفي اليوم التالي تكلم الرئيس روزفلت ، فأيد موقف السلطات الحربية في ذلك .

قال عبد العزيز

« على أميركا وبريطانيا أن تختارا بين أرض عربية ، يسودها السلام والهدوء وأرض يهودية غارقة بالدم ... »

هذه الكلمة التقطها الكولونيل وليم إدي ، سفير الولايات المتحدة لدى المملكة العربية السعودية ، من كلام الملك عبد العزيز ، أمام عدد من ممثلي الدول الأجنبية ، في ربيع الأول ١٣٦٤ (فبراير ١٩٤٥) وبعث بها إلى حكومته ، يومئذ ، في تقرير ظلّ مكتوماً إلى أن أذنت وزارة الخارجية الأميركية في ١٨/٥/١٩٦٩ بإخراجه من السرّ إلى العلن .

، ، ،

وفي تقرير آخر ، قبل هذا ، بعث به السفير وليم إدي ، إلى وزير الخارجية بواشنطن ، جيمس بيرنز ، مؤرخ في ٥/١/١٩٤٥ (محرم ١٣٦٤) جاء فيه أن الملك عبد العزيز قال له :

« شَرَفٌ لي أن أموت شهيداً في ساحة القتال ، دِفاعاً عن فلسطين في معركتها مع اليهود ! »

ونقل عنه قوله في التاريخ نفسه : « لن يقبل العرب أبداً بقيام دولة يهودية في بلادهم ! » (١)

---

(١) برقية من واشنطن ، في ١٩/٥/١٩٦٩ نشرتها الصحف العربية في اليوم التالي .

الملك عبد العزيز

واقتراحات لنوري السعيد

أبرقت المفوضية العربية السعودية بالقاهرة ، في ٢١ رجب ١٣٦٢ (٢٤ / ١٩٤٣/٧) بما يأتي :

جلالة الملك — الرياض (بالجفر)

زارنا نوري باشا السعيد ، وكلفنا أن نرفع إلى جلالتكم البرقية الآتية:

من نوري إلى الملك

«أثناء مروري بسورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن ، اتصلت برجال هذه الأقطار ووجدت الوضع كما يأتي: إن الرغبة العامة تتجه إلى تكوين دولة سورية موحدة من هذه الأقطار كلها ، تنطبق على قرار المؤتمر السوري المؤرخ في تموز سنة ١٩١٩ ، أما المشاكل التي تعترض في سبيل تحقيق هذه الرغبة العامة ، فهي تنحصر في كل قطر بالشكل الآتي : في سورية يسيطر الموظفون الافرنسيون على المالية وقوات الأمن ، ونخشى أن تقع بينهم وبين الحكومة الوطنية التي ستتألف بعد انتخاب المجلس النيابي مشاكل ليس في الإمكان تقدير مداها الآن . ولكن رأيت الوطنيين وعلى رأسهم القوتلي ، والسلطات البريطانية والأميركية الموجودة هناك ، مقدرين هذه الصعوبات ومتعاونين على تحقيق سيطرة الوطنيين وحلّ مشاكلهم مع الافرنسيين ، بقدر ما تسمح الظروف . أما في لبنان ، فنظراً لتكوينه بالقوة الافرنسية ، لا برغبة السكان ،

فالاختلاف بين المارونيين وبقية الطوائف مهمّ . والموارنة لا يقبلون إلاّ بتعاون محدود مع السوريين ، بينما بقية الطوائف ترغب بتحقيق الوحدة والارتباط التامّ مع سورية . والممثلون البريطانيون والأميركيون ، يشدون أزر الطوائف الإسلامية والمسيحية غير الموارنة . ولا بد من حدوث مشاكل خطيرة في هذه المنطقة ، نتيجة هذا التفاوت الموجود في الآراء .

« أما في فلسطين ، فمن بقي من رجال اللجنة التنفيذية،وهم أكثرية ، متفقون على فكرة الوحدة السورية ، ويميلون إلى حلّ مشكلة اليهود ، على أساس الكتاب الأبيض البريطاني الأخير ، وأن يجعلوا اليهود في موقف أقلية تحتفظ بحقوق الأقليات ، تحت ضمانات دولية .

«وأما شرقي الأردنّ فسموّ الأمير عبد الله يميل إلى تكوين الوحدة السورية. والذين قابلتهم كتبوا إلى النحّاس باشا آراءهم الخصوصية ، وأرسلوا كتاباتهم إليه معي . أما رأيي الشخصي ، فيجب أن تقسم مساعينا إلى قسمين : قسم سياسي ،والثاني اقتصادي وثقافي الخ . أما السياسي فيجب أن نبدأ به ، ونحصره في تأييد تحقيق وحدة سورية ، وجعل هذا المبدأ مقبولاً لدى الدول ، ولا سيما بريطانيا . لأن الوحدة العربية لا يمكن تحقيقها ما لم تتحقق الوحدة السورية . ونترك لأبناء الأقطار السورية أنفسهم البحث في نظام هذه الوحدة وتشكيلاتها وكونها جمهورية أو ملكية . ثم نعقب ذلك بمباحث أوسع تتناول علاقات الأقطار العربية السياسية ومستقبلها وسيرها بشكل موحد .

«هذا رأيي وإذا كان لديكم رأي آخر ، أرجو أن تطلعوني عليه. وإن كان هذا الرأي مقبولاً ، أرجو إعلامي بموافقتكم . وعندما تأتيكم الدعوة من النحاس ، بصورة خصوصية ، أرجو أن يكون ممثلكم مزوداً بالتعليمات المتفقة مع هذا الرأي والله يحفظكم .

نوري السعيد

من الملك إلى نوري

وتلقت المفوضية العربية السعودية في القاهرة ، جواب الملك عبد العزيز ، من الرياض ، على برقية نوري السعيد ، وهو يومئذ في مصر .

برقية (بالجفر) في ٢٧ رجب ١٣٦٢ (١٩٤٣/٧/٣٠) هذا حلّها :

نجدية — القاهرة

أخبروا نوري باشا (شفوياً) أننا نشكره على ما أبداه من بيانات وآراء في موضوع سورية وفلسطين والوحدة العربية . وكما قيل : « حَولَها نُدَنْدِن » والوضعية التي ذكرها في سورية وفلسطين ، نعرفها كما ذكرها فخامته ، ونقدرها كل التقدير . وعلى عادتنا التي يعلمها فخامته من الصراحة في كل ما نعالج من القضايا ، نبدي آراءنا بكل وضوح :

١ — إن الوضع في سورية كما يصفه الباشا . ولكننا لم نترك الموضوع في لحظة ما ، وقد عملنا كل ما يمكن أن يُعمل من أجل سورية واستقلالها . ونحن متأكدون كل التأكد ، وواثقون كل الثقة ، بأن الحكومتين الصديقتين الإنكليزية والأميركية ، عاملتان بكل ما في وسعهما لتأمين استقلال سورية . وقد أيدتم فخامتكم ذلك بما ذكرتم ، وهو ما تبديه بريطانيا وأميركا من معاضدة الوطنيين لتشكيل حكومة وطنية في سورية . وعندما نذكر سورية نريد بها سورية بأجمعها .

٢ — أما فلسطين ، فآراؤنا فيها معروفة ، وآراء العرب فيها معروفة ، ولا غموض في موقف العرب في شأن فلسطين . والمهمّ انتهاز الفرص في مخاطبة الحلفاء بشأن الاتفاق معهم على إنصاف فلسطين . وقد عملنا ولا نزال نعمل في هذا السبيل كل ما نستطيع .

٣ — إن أهل سورية قد اختاروا الحكم الجمهوري لبلادهم . ونحن نرى أن هذا الأمر لهم ، وهم أحق ببلادهم من أي شخص آخر . وإنا نؤيد

الجمهورية في سورية ، ويجب أن نعضد أهل سورية عليها ، ما دام أنهم اختاروها لأنفسهم . وفتح باب من جديد لموضوع اختيار أهل سورية بين الجمهورية والملكية لم نعلم الغرض منه ، ما دام أهل سورية جعلوا الحكم الجمهوري أساساً في دستورهم .

٤ ــ إننا لا نحب أن نُحدث أي مشاكل في وجه الحلفاء في الظروف الحاضرة ، وهم في صراعهم الحاضر . بل يجب علينا أن ننتهز الفرص المناسبة التي لا تعرقل أعمالهم ، لبيان الطرق التي تفيد العرب ، حتى نتفق معهم على الطريقة المثلى . لأن كل مسعى لا يكون ، بعد توفيق الله ، بالاتفاق معهم ، مقضيّ عليه بالفشل .

٥ ــ أما سياستنا التي نستهدفها في البلاد العربية ، فهي أن تكون مستقلة ، ومحافظةُ كلٍّ من البلدان العربية على مكانتها ومنزلتها ، لا يعتدي بعضها على بعض ، حفظاً لكيان كل بلد منها ، وحفظاً للتوازن ، ومنعاً للشحناء والبغضاء بينها .

فإن كان المقصد من كلام فخامته وبحثه ، أن الأمر على ظاهره ، هو لمصلحة سورية وفلسطين ، وراحة إخواننا فيها ، فقد بينّا فيما تقدم رأينا بتلك البلاد ، وإن كان هناك غايات أُخرى مستترة ، لم يُصرّح بها فخامته ، فمن الصعب علينا ، وليس من عادتنا ، أن ندخل في شيء لا نعرف المدخل والمخرج منه ، لأن ذلك ليس من مصلحتنا ، ولا من مصلحة العراق نفسه ، ولا من مصلحة أحد من العرب . فسعينا على الدوام هو لتأمين مصلحة العرب ، والمحافظة على التوازن ، وعدم التخالف مع الحلفاء . وإن مساعينا مبذولة في هذا السبيل ، آناء الليل وأطراف النهار ، لا مطمع لنا في شيء إلاّ المحافظة على ما بأيدينا وتأمين راحة الآخرين ونسأل الله التوفيق .

عبد العزيز

الملك عبد العزيز

في سَفْح رَضْوى

في سهل منبسط ، بين « شَرْم ينبع » و « جبل رضوى » يوم ١٠ صفر ١٣٦٤ (١٩٤٥/١/٢٥م) أقيمت في خلال ثلاثة أيام ،مدينة كاملة ،من الخيام ، بسرادقات الجلوس والنوم ، والفُرش الوثيرة والمقاعد الضخمة الفخمة ، تتلألأ الأضواء في كل جانب منها . نُقل كل ذلك إلى هذا السهل الأجرد ، محمولاً من بلدان بعيدة ، يصحبه جيش من العمّال ،وعدد من المهندسين والإخصائيين بالاضاءة وتوزيع المياه وتنظيم الحُجر وتنسيق المفارش . حيث قابل الملك عبد العزيز ضيفه « فاروقاً » آخر من حكم مصر من أُسرة محمد علي .

وكان من أهم بواعث الزيارة ، شعور الملكين بشدة الحاجة إلى وضع حدّ لمخلّفات الماضي القريب ، وإقامة سياسة ثابتة بين الدولتين على أسس من التعاون والتفاهم . وكان من « مظاهر » الزيارة أنّ أمر « الجامعة العربية » ظلّ إلى ذلك الحين ، بين المدّ والجزر . لعبد العزيز رأيٌ ، وللآخرين من زعماء العرب آراء . وتفاهم عبد العزيز وضيفه ، على أمور كان من جملتها البتّ في إنشاء الجامعة .

وصدرت في خلال الاجتماع أربعة بلاغات رسمية ، عن الديوان الملكي السعودي . الأول في ١٢ صفر ١٣٦٤ يشير إلى أن التقاءهما كان في صباح الأربعاء ١٣٦٤/٢/١٠ (١٩٤٥/١/٢٥) والثاني في اليوم نفسه ، بتبادل الأحاديث

بينهما ، في المخيم الملكي ، وأن فاروقاً يتوجه بعد ظهر ذلك اليوم إلى المدينة المنورة . والبلاغ الثالث، في ١٣٦٤/٢/١٤هـ (١٩٤٥/١/٢٩م) يذكر عودة فاروق من المدينة ، إلى مخيمه في سفح رضوى، يوم ١٣٦٤/٢/١٣هـ ، وأن المحادثات استمرت في سرادق الملك عبد العزيز إلى منتصف الليل . والبلاغ الرابع ، في ١٣٦٤/٢/١٩هـ (١٩٤٥/٢/٢م) يذكر تبادل الهدايا والأوسمة، وتبادل العلَمين السعودي والمصري ، باحتفال عسكري اشتركت فيه ثلّتان من الجيش السعودي وجيش البحرية المصرية ، رمزاً للصداقة بين البلدين . ثم يشير إلى انتهاء الزيارة ، وأن فاروقاً أبحر في الساعة العاشرة والنصف عربية من مساء ذلك اليوم ، عائداً إلى مصر . وليس في هذا كله ما يشفّ عن روح الأحاديث .

وتبودلت في عشية اليوم نفسه ، برقيتان بين الملكين . الأولى من يخت فاروق ، والثانية من سفح رضوى ، بالتحيات والتمنيات .

ماذا تمّ في المقابلة ؟

وفي مساء اليوم الذي وصل فيه فاروق إلى القاهرة ١٧ صفر ١٣٦٤ (٢ فبراير ١٩٤٥) وزعت وزارة الخارجية المصرية ، على الصحف ، بياناً عن الرحلة ، شبه رسميّ ، جاء فيه :

كانت الزيارة شخصية ، ولم تكن للبحث في موضوعات معينة . ولكنها في الواقع كانت أعظم من أية زيارة رسمية أو سياسية يقصد بها حلّ مشكلة معينة . لأنها دعمت ما تم من اتفاقات ، وفتحت الطريق أمام اتفاقات جديدة ، وحلت أموراً ، ومكّنت صداقة ، وأوجدت محبة ، وجعلت اتحاد العرب أمراً ملموساً .

من أصداء اللقاء

وكان للّقاء صدى بعيد ، في كبريات الصحف العالمية . أذكر على سبيل المثال ، فقرات منها :

قالت جريدة « صنداي أوبزرڤر » اللندنية :

« إن اجتماع الملكين ، علامة متواضعة على أن هناك رغبة شديدة ، في توحيد البلدان العربية ، في الشرق الأوسط . وهي علامة لم تكن منتظرة لأن العلاقات بين مصر والأسرة الوهابية (كذا) كانت على أضعف حالاتها منذ الحرب التي نشبت بين محمد علي الكبير ورأس الأسرة الوهابية في القرن الماضي . فإذا كان سليلا هذين البيتين قد اتفقا على ما تقتضيه الضرورة في القرن العشرين ، ونسيا المنازعات القديمة ، فإنهما يستطيعان تغيير الموقف السياسي في الشرق الأوسط ، تغييراً تاماً .

وقالت « التيمس » :

« إن اجتماع الملكين ، كان نتيجة عظيمة لمؤتمر الاتحاد العربي التمهيدي الذي عقد في مصر في آخر العام الماضي . والمعروف أنهما يشعران بضرورة توثيق العلاقات بين الدول العربية . ولكن يلوح أن ملك المملكة العربيةالسعودية تناول هذا المشروع بشيء من الحذر . على أن موافقته عملياً على البروتوكول ، تدل على أنه يقدر تماماً الأهداف التي يرمي إليها القائمون بحركة الاتحاد العربي . وقد ترتب على ما له من نفوذ عظيم في جميع أنحاء العالم العربي ، أن أصبح انضمامه إلى البروتوكول بمثابة ضمان لإنشاء الجامعة نهائياً . وقد لا يكون من الأمور الهامة أن تكون زيارة الملك فاروق لغرض سياسي مقصود ، ولكن من المحقق أن زيارة ملك مصر — مع ما له من علاقات متينة بالعالم الغربي — للملك عبد العزيز ابن سعود — وله المركز القوي في قاعدة العظمة العربية ، ستعود بأنفع النتائج .

وقالت « النيويورك تيمس » الأميركية :

« إن اجتماع الملكين له أهمية سياسية كبيرة في شؤون العالم العربي. ولا خلاف في أنه خطوة كبيرة لتحقيق آمال العرب بالوحدة . وله أهمية دولية عظيمة ، لأن مشاكل الشرق الأوسط تتناول العالم بأسره ، بما في ذلك قضايا

فلسطين ، والنفط ، والطيران المدني ، والمنافسات في تلك البلاد المترامية الأطراف .

وقالت « البورص إيجبسيان » المصرية :

« ان المشاورات العربية التي قامت بها حكومة الوفد قد أصبحت بعد اتفاق الملكين مهمة من مهام الدولة . وكل الخلافات في وجهات النظر ، التي عجز رؤساء الوزارات عن التغلب عليها ، قد ذللها الملكان . فيمكننا أن نقول اليوم إن الوحدة العربية على وشك أن تصبح حقيقة رسمية حيّة فعالة » .

ثم تقول : «وسيكون اتفاق الملك فاروق مع الملك ابن سعود فاتحة لاتفاق أمير شرقي الأردن ووصي العراق ، ورئيسي جمهوريتي سورية ولبنان » .

وفي « الجورنال ديجيبت » :

« إن زيارة الملك فاروق للملك عبد العزيز ، قد فتحت الطريق أمام الحكومات العربية ، للقيام بعمل سريع منتج ، يتناول جميع نواحي حياتها العامة . ويؤكد الملك عبد العزيز أن المبدأ الأساسي الذي يجب أن تقوم عليه الوحدة العربية ، هو الاستقلال الكامل لكل دولة ، والاحترام المطلق لحدودها ، وعدم اندماج دول في أية وحدة سياسية . ولكنها وحدة روحية ، وتعاون في كل النواحي ، وتضامن في سبيل الدفاع عن كل من هذه الدول إذا هُددت »

وفي مجلة « تايم » الأميركية :

« لم يكن هذا الاجتماع مجرّد رمز لاتحاد الطرفين ؛ وإنما يبشر بالجامعة العربية نفسها . وقد كان تحقيق إنشاء هذه الجامعة من دون اشتراك المملكة العربية السعودية فيها ، كالسراب في الصحراء . وما كان ذلك لمعارضة الملك ابن سعود لهذه الفكرة ، ولكن لأنه يعتقد أن الله قد عهد إليه بمهمة توحيد صفوف العرب جميعاً وجعلهم أمة واحدة .. »

يقابل الرئيس الأميركي روزفلت

ما زال الحديث الذي دار بين الملك عبد العزيز والرئيس الأميركي فرانكلن روزفلت ، مدة أربع ساعات متواليات ، على ظهر الطرّاد « كونيري » في « البحيرات المرة » في قناة السويس ؛ غير معروض للنشر . ولكنني سأحاول ألاّ تخلو هذه الصفحات من جديد عن ذلك الاجتماع على قاعدة : ما لا يُدرك كله أو جلّه ، لا يترك أقلّه .

الدعوة إلى الاجتماع :

في مدوّنات وزارة الخارجية العربية السعودية ، أن الوزير المفوض الأميركي بجدة (الكولونيل وليم إدي) اتصل بوزير الخارجية السعودية بالنيابة (الشيخ يوسف ياسين) في أحد أيام يناير ١٩٤٥ (١٣٦٤هـ) وطلب منه رفع رسالة « سرية » إلى الملك عبد العزيز ، بأن « الرئيس روزفلت يرغب في الاجتماع به ، في مياه الإسماعيلية ، عند عودته من مؤتمر يالطه » وأن الملك أجاب فوراً بالموافقة ، وقال : هذه مصلحة ننتهزها لمساعدة فلسطين وسورية ولبنان .

ما يقوله هوپكنز :

هوپكنز ، الرفيق الملازم لروزفلت . صحبه إلى مؤتمر يالطه ، وكان معه

في مقابلاته لملوك الشرق وغيرهم ، ودوّن أكثر أخباره في مذكرات[١] جاء فيها تحت عنوان « الصداع الأكبر .. » ما نقتبس منه :

« في الليلة الأخيرة ، بعد انفضاض مؤتمر يالطه ، فاجأ الرئيس روزفلت ، المستر تشرشل ، بعزمه على الطيران إلى مصر .. وأخبره بأنه سيقابل ملكها ، والملك عبد العزيز ابن سعود ، وهيلاسلاسي ، في خلال ثلاثة أيام ، على ظهر طرّاد أميركي في مكان يسمى البحيرات المرة.وكان إلى جانب روزفلت وتشرشل ، أشخاص آخرون ؛ فأخفى تشرشل عجبه من كتمان الخبر عنه إلى الآن . ولم تكن الفرصة ملائمة ليسأل روزفلت عن أسباب هذه الزيارة .

قال هوپكنز : وفي آخر الليل بحث عني تشرشل ، وهو منزعج ، ليعرف ما يرمي إليه الرئيس من مقابلة هؤلاء الحكام الثلاثة . وكان من حسن حظي أن أجبته بأني لا أعرف شيئاً عن الموضوع ، وأني سألت الرئيس هذا السؤال ولم أظفر بجواب .

« على أنني كنت عالماً أن غرض الرئيس أن يتحدث مع عبد العزيز عن فلسطين .

« ولكن إجابتي لتشرشل لم تقنعه . ولعله ظنّ أن هناك مؤامرة بعيدة المدى لنسف الإمبراطورية البريطانية في تلك الجهات .

« وفي اليوم التالي ذكر تشرشل للرئيس ، أنه ذاهب أيضاً إلى مصر ، بعد زيارة قصيرة لليونان ، وسيقابل كلاً من أولئك الحكام الثلاثة ، وأنه أرسل إليهم يطلب بقاءهم بمصر ، ليجتمع بهم على أثر ارتحال الرئيس .اهـ .

وسنعود بعد قليل إلى كلام هوپكنز .

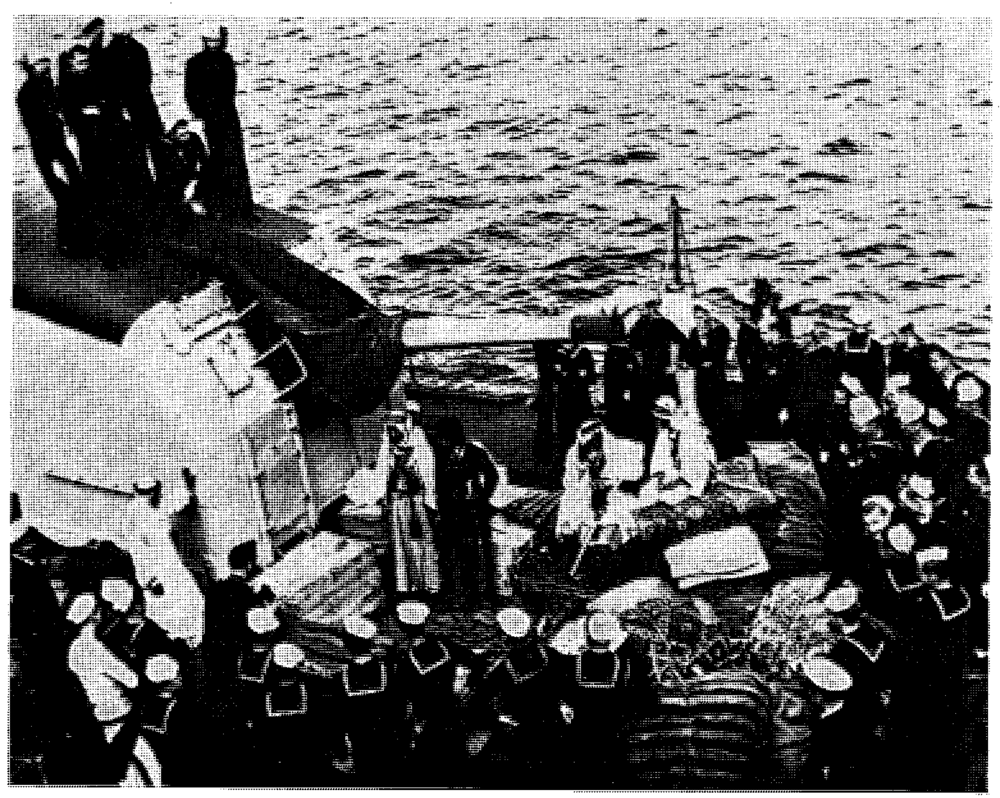
---

(١) جمعها « روبرت شيروود ، في كتاب سماه « روزفلت وهوبكنز في تاريخهما الودي» طبع في نيويورك سنة ١٩٤٨ .

« Roosevelt and Hopkins , An Intimate History »
by Robert E. Sherwood . (34) p 872 .
Harper and Brothers . Publisher. New York 1948

في البحـر

أقبل الملك عبد العزيز من الرياض — بالسيارات — وكان أحد الطرّادات الأميركية ينتظره في جدة ، فركبه ومعه ٤٨ رجلاً ، في مقدمتهم أخوه الأمير عبد الله ، وابناه الأمير محمد والأمير منصور ، ووزير المالية عبد الله السليمان الحمدان ، ووزير الخارجية بالنيابة يوسف ياسين ، والوزير المفوض بلندن حافظ وهبة ، والوزير الأميركي المفوض بجدة إدي . وكانت حكومة واشنطن قد بالغت في إلحاحها بالرجاء من الملك أن يكتم خبر رحلته ووجهته وغايته ، خوفاً من أن يتسرب نبأ رحلة الرئيس روزفلت إلى بعض مراكز الاستخبارات الألمانية السرية ، فتملأ الأجواء بالطيارات المقاتلة والأرصاد .



الطراد الأميركي الذي حمل عبد العزيز وحاشيته من جدة الى البحيرات المرة في قناة السويس ، لمقابلة روزفلت سنة ١٣٦٤ ﻫ (١٩٤٥ م)

وخرج أعيان الحجاز وكبار الموظفين إلى ميناء جدة ، يحيطون بالملك عبد العزيز ، وهم يحسبونه سيقوم بزيارة للطرّاد الأميركي . وغاب الطرّاد عن الأنظار بعد أن وصل إليه الملك ورجاله . وسرت في الجموع — بجدة — روح الذعر والتساؤل : أين ذهب الطرّاد بالملك ..؟ على أن شخصين اثنين كانا ، من دون سائر الناس ، عالمين بالرحلة والغرض منها . هما الأمير سعود والأمير فيصل ، رآهما المتسائلون مطمئنين ، فخفّ ما بهم .

في الطرّاد كونيري

ووصل الملك عبد العزيز إلى قناة السويس ، ثم إلى البحيرات المرّة حيث كان الرئيس روزفلت ينتظره على سطح الطرّاد « كونيري »

ومُدّ بين الطرّادين جسر مشى عليه الملك وبعض من معه ، فكان الاجتماع قبيل ظهر الخميس ٢ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥)

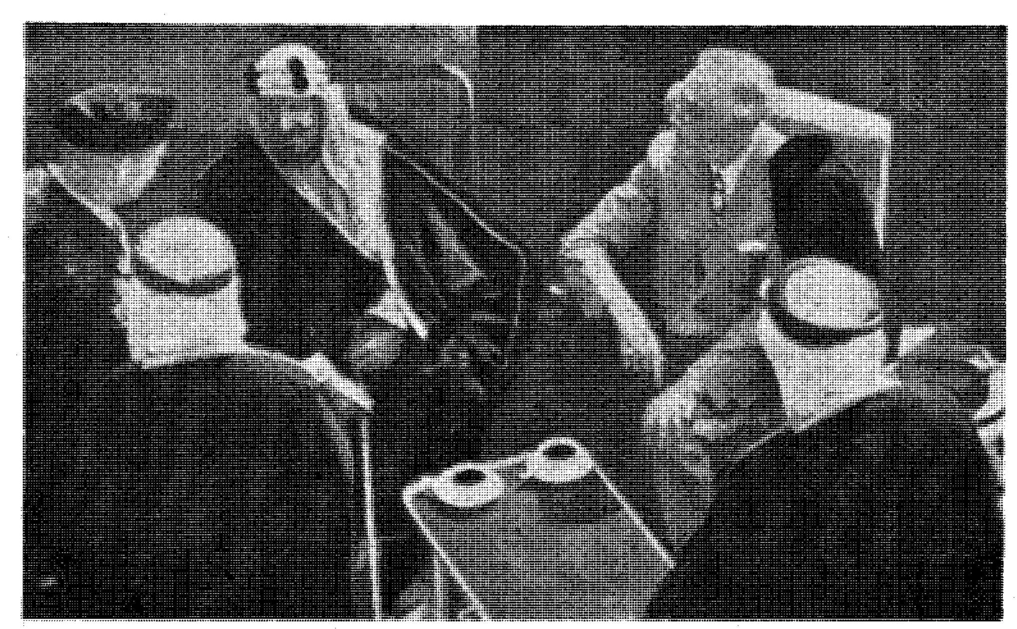
الحديث بين الملك والرئيس

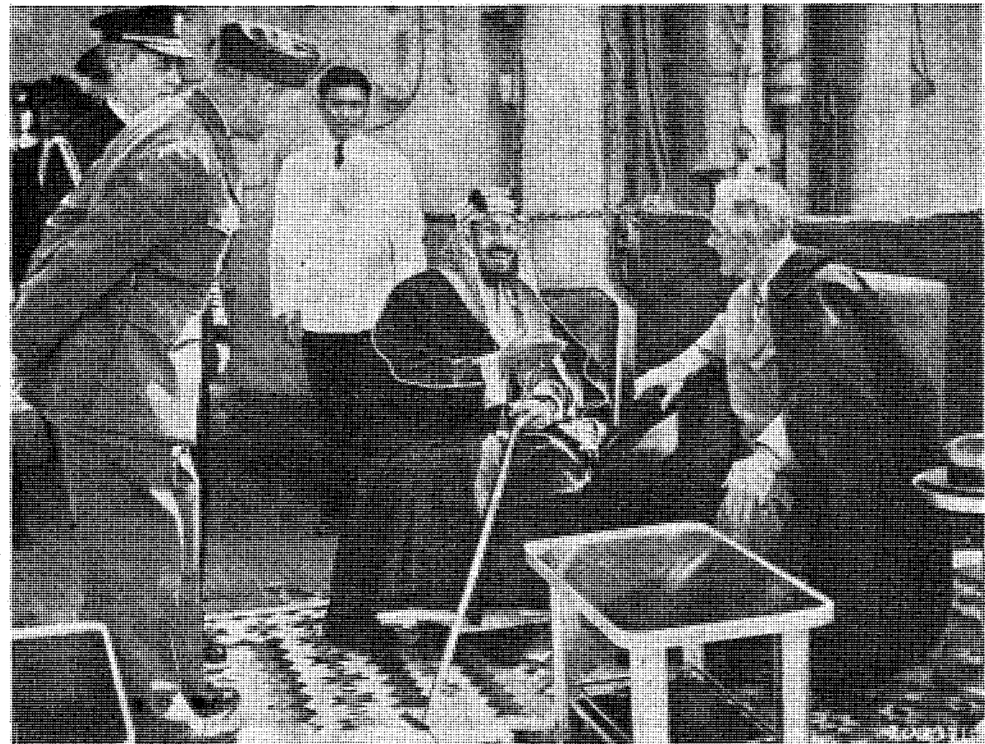
رحّب الرئيس بالملك . وكان يترجم بينهما الكولونيل إدي ، وإلى جانبه بعض العارفين بالإنكليزية من رجال الملك . واستمر الحديث نحو أربع ساعات ، تناول المجتمعون في خلالها طعام الغداء .

وكان الرئيس قد كتب للملك عبد العزيز ، كتاباً شخصياً ، قبل ثلاث سنين في ربيع الآخر ١٣٦١ (ابريل ١٩٤٢) حمله إليه أول وزير مفوض أميركي في البلاد السعودية « المستر كيرك » يعرب فيه الرئيس للملك عن رغبته في أن يتاح لأحدهما أن يزور الآخر ، وأجابه الملك بكتاب شخصي أيضاً ، يبادله تلك الرغبة ويأمل أن تتحقق .

ولم يكتم الرئيس روزفلت إعجابه بالملك عبد العزيز ، حين تلاقيا . كما لم يكتم الملك سروره لسنوح هذه الفرصة التي يبث فيها « صديقه » ما في نفسه .

وقال الرئيس : إن على رؤساء العالم أن يتحينوا الفرص ، ليتحدث بعضهم





عبد العزيز يتكلم ، وروزفلت يسمع ، وإدي (الواقف منحنياً) يترجم

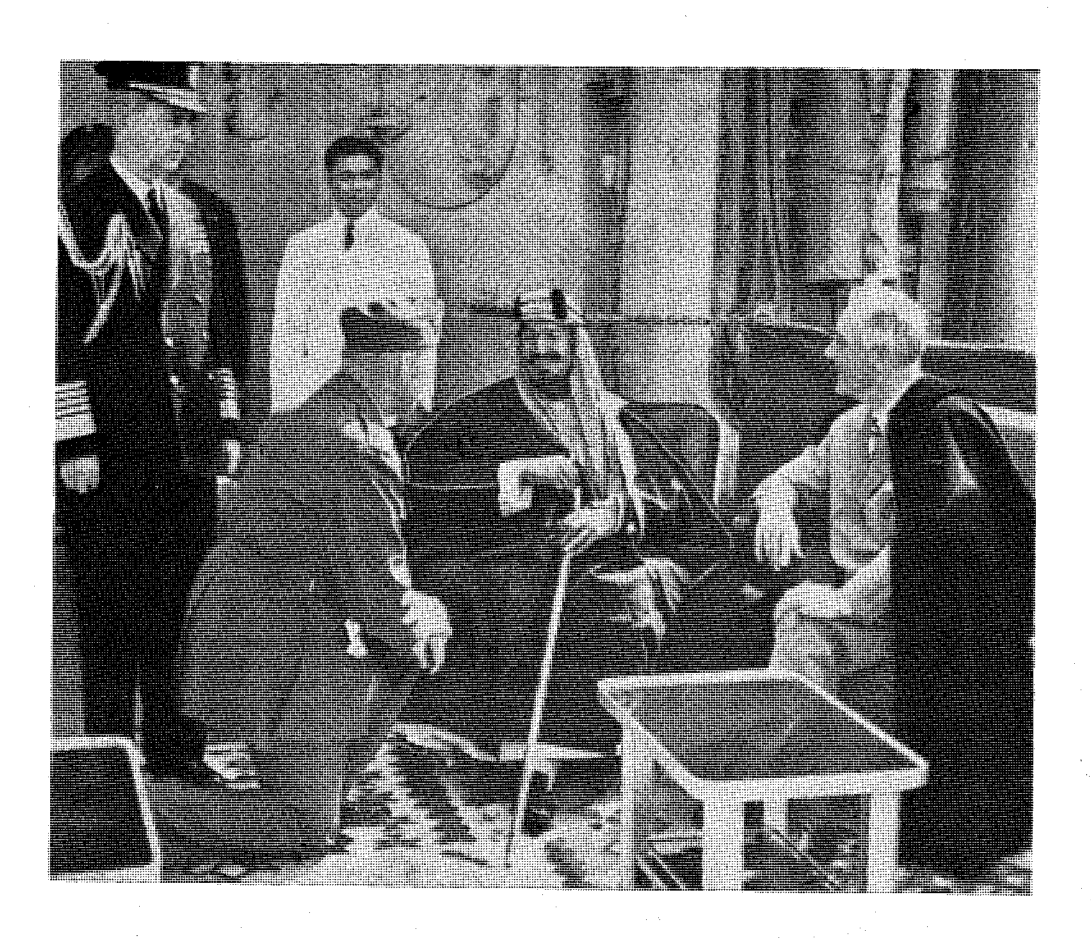
إلى بعض ، ويتفاهموا ، ويتعاونوا على حلّ ما استعصى عليهم من أمورهم .

وأفاض الملك في بيان ما تعانيه سورية ولبنان من وطأة « الانتداب »الإفرنسي وما يعتقده من جدارتهما بالاستقلال فالتحرر . وأجابه الرئيس ، بأن لديه كتاباً من الجنرال « ديجول » باستقلال سورية ولبنان . وقال الرئيس : إنه مستعد لبذل كل مجهود في سبيل استقلالهما ، إلاّ الحرب !

وأوضح الملك عبد العزيز حق العرب في فلسطين ، بايجاز ، وحماسة . وأجابه الرئيس ، بأنه قد اقتنع بوجهة نظره ، وأنه موافق على كل ما ذكره .

وقرأت في تلخيص شبه رسمي للاجتماع أنه « كان المهمّ في نظر الملك عبد العزيز ، أن يكون الرئيس روزفلت بجانب الحق والعدل ، ولم يكلفه أن





يستعمل نفوذ الولايات المتحدة الأميركية في الضغط على بريطانيا ، لكيلا يرغمها على العمل ضد العرب لمصلحة اليهود » وأن الرئيس روزفلت « وعد الملك بذلك ، وأبدى أنه لم يستعمل قط الضغط على بريطانيا في هذا الأمر » كما قرأت في التلخيص الجملة الآتية : « لقد بحث الرئيس روزفلت قضية اليهود ، بصفتها قضية إنسانية تتعلق بإيواء المشردين ، لا بصفتها قضية تتعلق بفلسطين. وسأل الملك عن رأيه في المكان الذي يمكن أن يأوي إليه هؤلاء المشردون .. فأجابه الملك : من أين شُردوا ..؟

ونقلت لي بالنص الآتي :

روزفلت : وهؤلاء اليهود ، ماذا نصنع بهم ؟

عبد العزيز : من أين أتوا ؟ يعود كلّ إلى بلده .

وسكت الرئيس قليلاً ، وقال : هذه فكرة تستحق البحث. ثم قال الرئيس روزفلت : إنه سمع من ستالين أن الألمان قتلوا أربعة ملايين من اليهود في بولونيا فقال الملك : لماذا لا يرجع اليهود إلى هذه الأماكن التي شرّدوا منها ؟.



ودون احد من حضروا الاجتماع ، من رجال الملك عبد العزيز[1] في أوراق لديه أطلعني عليها ، ما نصه : « أكد الرئيس روزفلت لجلالة الملك أنه لن يعمل شيئاً يساعد به اليهود ضد العرب ، وأنه لن يقوم بأية حركة عدائية

(١) يوسف ياسين

للعرب . وذكر لجلالة الملك أنه من المستحيل عليه أن يمنع الكلام ، أو إبداء الآراء في البرلمان الأميركي ، أو في الصحافة الأميركية ، فيما يتعلق بأي موضوع وأن تأكيداته هنا تعبر عن سياسته المقبلة كسلطة تنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الأميركية »

وكان من جملة ما قاله الملك للرئيس : « لا أريد كتابات بل أريد أن تعطى الكلمة من عبد العزيز لروزفلت ، ومن روزفلت لعبد العزيز »

عودة إلى مذكرات هوپكنز

وقال « هوپكنز » (بعد ما سبق أن ترجمناه عن مذكراته :)

« لقد كتب شيء كثير عن المظهر العامّ لاجتماعات الرئيس، بالثلاثة : الملك عبد العزيز ، والملك فاروق ، وملك الحبشة . ولكن الأمر الجدير حقيقة بالاهتمام من تلك الاجتماعات ، أو المؤتمرات ؛ هو المناقشة التي دارت بين الرئيس وابن سعود بشأن فلسطين ، فلقد كانت قصيرة وحاسمة .

« وإني على يقين من أن الرئيس لم يكن يتوقع أن يرى في ابن سعود ، الذي طلب مقابلته ، ما رآه فيه . فهو رجل ذو مهابة خارقة ، وقوة عظيمة ، ولد جندياً وقضى حياته كلها ، في خوض المعارك التي تلذّ له ولكل أتباعه الكارهين لليهود . وهو عربي من أوله إلى آخره ، وفي كل وقت .

« وعندما طلب الرئيس من ابن سعود السماح بدخول عدد آخر من اليهود إلى فلسطين ، مبيّناً له أن عددهم ضئيل بالنسبة إلى مجموع سكان الأقطار العربية ، صُدم صدمة عنيفة بإجابة ابن سعود له وقد علا وجهه العبوس ، قائلاً : لا . ثم أبان أنه بنى رفضه على أساس الحقيقة التالية : وهي أن اليهود لم ينجحوا في العمل على ازدهار المنطقة التي يسكنونها ، إلاّ بفضل رؤوس الأموال الأميركية والإنكليزية التي تدفقت عليهم بملايين الدولارات . وقال : لو أن هذه الملايين أعطيت للعرب لأمكنهم أن يعملوا مثل عملهم .

« وذكر عبد العزيز لروزفلت : أن هناك جيشاً إسرائيلياً في فلسطين ، كامل التسليح ، يريدون به فيما يعتقد محاربة العرب ، لا محاربة الألمان .

« وأوضح ببساطة ، أن العالم العربي لن يسمح لليهود بأيّ توسّع آخر في فلسطين ، للتوطن في المستقبل .

« وأكد بوضوح ، أن العرب سيحملون السلاح قبل أن يوافقوا على هذا الأمر ، وأن دينه يوجب عليه العمل معهم في فلسطين وحولها .

قال هوپكنز : ويظهر أن الرئيس لم يفهم ، كل الفهم ، ما كان يقوله ابن سعود ، فقد أعاد عليه السؤال مرّتين ، أو ثلاث مرات ، وكان ابن سعود في كل مرة أشدّ تصميماً مما قبلها ، في إجابته .

« ولا شك في أن ابن سعود ترك أثراً كبيراً في نفس الرئيس ، بأن العرب ينوون العمل لا مجرّد القول .

وختم هوپكنز فصل « الصداع الأكبر » من مذكراته ، بتعليق من عنده حاول فيه الغمز . ولم يستطع إنكار الحقيقة التي هي « أن الرئيس قد تأثر جداً بما قاله ابن سعود » وقد كرر هذه العبارة ، ثم قال : « ومع ذلك فلا يمكنني أن أستسيغ تصريح الرئيس في مؤتمر صحفي عقب ذلك ، بأن ما عرفه من ابن سعود عن فلسطين في خمس دقائق أكثر مما عرفه في حياته كلها » وقال : « إن ابن سعود ذكر للرئيس بصراحة ما كان قد قاله للإنكليز في هذا الشأن »

تصريح روزفلت في الكونجرس

بعد أن عاد الرئيس روزفلت إلى واشنطن ، أدلى بتصريح رسمي يوم أول مارس ١٩٤٥ في مجلس الكونجرس ، عن رحلته إلى الشرق ، هذه ترجمته :

« في طريق عودتي من بلاد القِرم ، آتخذت التدابير لأقوم بمقابلة شخصية للملك فاروق ملك مصر ، وهيلاسلاسي امبراطور أثيوبيا ، والملك ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية . وقد تناول حديثنا من المسائل ما يتصل بالمصلحة المشتركة . وسيكونون ذوي نفع مشترك ، لأنهم منحوني كما منحوا كثيراً منا

فرصة مقابلتهم ، والتحدث إليهم وجهاً لوجه ، ومبادلتهم الرأي في أحاديث خاصة بدلاً من الوسائل الرسمية .

« فقد وعيت مثلاً عن مسألة الجزيرة العربية ، تلك المشكلة بحذافيرها ، مشكلة المسلمين ومشكلة اليهود . وعيت عنها ، في حديث دام خمس دقائق ، مع ابن سعود ، أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة »اهـ.

مـفـكرة

وتحت عنوان « مفكرة » رأيت في إضبارة ، بوزارة الخارجية بجدة، في موضوع المقابلة ، ما نصه حرفياً :

« سأل فخامة الرئيس روزفلت ، جلالة الملك ، عن نصيحته فيما يراه بخصوص قضية هجرة اليهود الذين أُجلوا من أوطانهم في أوربا . فردّ جلالته على فخامته بقوله : من رأيي أن يعود اليهود المقصون عن بلادهم ، ليعيشوا في البلدان التي أُخرجوا منها . أما اليهود الذين دمرت أوطانهم تدميراً تاماً ، والذين لا تواتيهم الفرص لأن يعودوا للعيش في أحضانها ، فيجب أن يعطوا أماكن يعيشون بها ، في أراضي دول المحور التي اضطهدتهم .

« وقد لاحظ فخامة الرئيس أن پولندا يمكن أن تعتبر مثالاً في هذا الصدد، إذ يبدو أن الألمان قتلوا من سكانها ثلاثة ملايين يهودي پولندي . وهذا معناه وجوب إيجاد أماكن لكثير من هؤلاء اليهود الذين أصبحوا بلا مأوى .

« وحينئذ عبر جلالة الملك عن وضع العرب وحقوقهم الشرعية في بلدانهم، ثم صرح بأن العرب واليهود لا يمكن أن يتعاون بعضهم مع بعض ، لا في فلسطين ولا في أي بلد آخر . واسترعى جلالته الانتباه إلى تهديد حياة العرب ، وتفاقم الأزمة الناتجة عن استمرار الهجرة اليهودية ، وشراء اليهود الأراضي العربية . وزاد على ما تقدم أن العرب يختارون الموت على أن يسلموا بلادهم لليهود . وأن أمل العرب مبني على كلمة الشرف التي قالها الحلفاء ، وعلى الحقيقة المشهورة لدى الجميع من حب الولايات المتحدة الأميركية للعدل ، وعلى ما

أناط العرب من الرجاء والأمل في الولايات المتحدة الأميركية لمعونتهم ومساعدتهم.

« وقد ردّ فخامة الرئيس على ذلك بأنه يودّ أن يؤكد لجلالته أنه لن يعمل أيّ شيء يساعد به اليهود ضد العرب ، وأنه لن يعمل أية حركة عدائية نحو العرب. وذكر لجلالة الملك أنه من المستحيل أن يمنع الكلام أو إبداء الآراء في البرلمان الأميركي أو في الصحافة الأميركية فيما يتعلق بأيّ موضوع . وأن تأكيداته تعتبر نفس سياسته المقبلة كسلطة تنفيذية لحكومة الولايات المتحدة الأميركية .

« وقد شكر جلالة الملك الرئيس على هذه التأكيدات . وذكر لفخامته المشروع الرامي إلى إرسال وفد عربي إلى كل من أميركا وبريطانيا ، لتوضيح قضية العرب بفلسطين . فقال فخامته بأنه يرى أنها فكرة جيدة جداً ، لأنه يعتقد أن كثيراً من الناس في أميركا وانكلترا يجهلون ذلك . فقال جلالة الملك : إن إرسال وفد عربي لتنوير الرأي العام عن قضية العرب في أميركا وانكلترا هو فكرة صائبة ومفيدة ، ولكن الأهمّ من كل ذلك عنده ، هو ما صرّح به فخامته الآن لجلالته فيما يتعلق بسياسته الطيبة تجاه العرب .

« وتكلم الرئيس عن حبه الشديد للزراعة ، وأنه نفسه كان مزارعاً . ولاحظ الحاجة إلى إيجاد المياه الكافية لزيادة الأراضي التي يمكن زراعتها وريها بالآلات لتقوم بريّ البلاد. وعبر عن رغبته الخاصة في الريّ وتشجير الأرض، وقوة المياه ، التي يؤمل أن تنتشر بعد الحرب في كثير من البلدان ، ومن بينها بلاد العرب الذين يحبهم . وشكر جلالة الملك فخامته على تشجيعه الخاص للزراعة ولكنه قال انه شخصياً لا يرى الارتباط بشيء بشأن الزراعة ، إذا كانت النتيجة ستكون بتغلب اليهود في بلاد العرب .

(٢ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥)

تعليق مجلة أميركية :

علّقت مجلة « تايم » الأميركية على مقابلة الملك عبد العزيز للرئيس روزفلت بما ترجمته :

« لعل الكثيرين دهشوا لاجتماع هاتين الشخصيتين المختلفتي النشأة والتربية. ولكن الواقع أن مقابلة الرئيس الأميركي الذي نشأ في هايد بارك ، ودرس في جامعتي جرتون وهارفارد ؛ وعاهل بلاد العرب الذي لم يدرس غير القرآن ، ولم ير إلا الصحراء المحيطة به من كل جانب ؛ هذه المقابلة كانت ناجحة إلى حدّ بعيد ، وقد استمرت المحادثات بينهما فترة طويلة ظهر خلالها بوضوح مقدار ما يكنّه كلّ منهما للآخر من صداقة وتقدير »

هدية عبد العزيز :

وفي كتاب « تأملات في ماضي روزفلت » لجون كانتر[١] ما ترجمته : « ... وبعد وفاة روزفلت ، وجد في مخلفاته التي كان يعتز بها ، سيفان مرصعان أهداهما إليه الملك ابن سعود ملك العرب ، قيل : إن أحدهما يقدر بمبلغ ١٠٠ ألف دولار »

وهدايا أخرى :

والمدوّن في أوراقي عن الهدية ، أن السيفين كان أحدهما « مجوهراً » والثاني « ذهباً » وكانت معهما كسوة مكونة من بشت وغترة وعقال ، وثلاث كساوي يحتوي كل منها على بشت وعقال وغترة وخنجر ذهب . ثم أربع كساوي ، يشتمل كل منها على بشت وغترة وعقال وساعة جيب ذهبية . وهذه الكساوي أُرسلت إلى الرئيس روزفلت على طائرة قامت من القاهرة

---

(١) Roosevelt in Retrospect by John Guntter p. 114.
Hamish Hamilton - Landon 1950

ضحى الاثنين ٦ ربيع الأول ١٣٦٤ أي بعد مغادرة الرئيس للبحيرات المرة بثلاثة أيام . وذلك عدا صُوّرتين كبيرتين أُعطيتا لمن كان معه عند المقابلة .

من وثائق الرحلة

كتبت الفصل المتقدم ، عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) مستوفياً فيه ما استطعت الحصول عليه من حديث هذه المقابلة . ثم قرأت مقالاً نفيساً للكولونيل وليم إدي ، الوزير الأميركي المفوض في ذلك الحين ، لدى المملكة العربية السعودية ، نشره سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) قال [١] :

« في شباط ١٩٤٤ تلقيت إشعاراً يفيد أن الرئيس روزفلت يرغب في أن يقابل ، في طريق عودته من مؤتمر يالطة ، الملك عبد العزيز . وترك لي أمر تدبير ترتيبات هذه المقابلة ، لتتم تحت طي الكتمان الشديد ، حرصاً على سلامة الرئيس روزفلت .

كنا لا نزال في حرب مع ألمانيا ، وكانت الطائرات الالمانية لا تزال تقصف القاهرة وقناة السويس بين الفينة والأخرى ، بقنابلها . ولعله لن يكون هناك هدف أكثر استهواءً لقاذفات القنابل الألمانية ، من طراد يرسو في البحيرة المرة في قناة السويس ، وعلى ظهره الرئيس روزفلت والملك ابن سعود .

من أجل ذلك كتمنا أمر الاجتماع ، ولم يعرف عنه سوى خمسة أشخاص في المملكة العربية السعودية ، هم العاهل السعودي ووزير خارجيته بالنيابة الشيخ يوسف ياسين ، وكاتب الشيفرة في المفوضية الأميركية بجدة ، وأنا وزوجتي .

وعلى هذا النمط سارت الترتيبات في جو من الكتمان . فقبل أيام من المقابلة جاء العاهل السعودي وحاشيته إلى جدة في زيارة تقليدية لاستقبال أعيان الحجاز وتوزيع الصدقات على الفقراء .

وقبيل أسبوع من موعد سفر العاهل ، أعلنا أن المدمرة الأميركية « مورفي »

---

(١) جريدة الحياة ١٩٥٣/١١/١٥

ستزور جدة ، زيارة ودية ، أثناء مرورها بالبحر الأحمر . وقد أثار هذا الإعلان بعض التعليقات ، لأن السفن الأميركية الحربية ما اعتادت زيارة جدة قبل ذلك الحين . ومع ذلك لم يتسرب الشك إلى أحد في الغاية .

وفي صبيحة اليوم الذي سبق رحيل العاهل السعودي ، أي في ١١ فبراير ١٩٤٥ ، نزل قائد المدمرة الكومودور كتيمنغ إلى البر ليقدم فروض الاحترام مع مساعده الكابتن سميث إلى الملك ، دون أن يثير ذلك أية شائعة في بلد كجدة ، تسرى في أسواقه الشائعات والأخبار سريان الكهرباء .

وكان ذلك دليلاً ملحوظاً على نجاحنا في المحافظة على سر الاجتماع . ولعل كون العاهل السعودي لم يغادر بلاده ولا مرة ، حتى لزيارة ملوك الأقطار المجاورة ، قد جعل الناس يستبعدون التفكير في إمكان خروجه من بلاده .

ثم إن روزفلت قد ساعدنا على تعمية « الأنتلجنس سرفيس » لما كتم عن المستر تشرشل في « يالطة » رغبته في مقابلة ثلاثة ملوك من ملوك الشرق الأوسط : الملك ابن سعود ، والملك فاروق ، وهيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة . غير أن تشرشل ما لبث أن شعر بشيء من الخطة ، لما رسا الطراد « كونيري » الذي يحمل الرئيس روزفلت في قناة السويس . فدل ذلك على أن الرئيس لن يذهب رأساً إلى الولايات المتحدة .

ثم علم البريطانيون ، بواسطة أعوانهم في قصر فاروق ، بحقيقة ما يجري ، فما بلغ ذلك تشرشل حتى أرغى وأزبد ، وأمطر بالبرقيات مبعوثيه الديبلوماسيين في الشرق الأوسط ، مهدداً متوعداً إذا لم يدبروا له مقابلات مماثلة مع الملوك الذين سيقابلهم روزفلت . وقد استشاط غيظاً لما علم أن الأميركيين يسجلون على البريطانيين سبقاً ، في الاتصال مباشرة بملوك منطقة يعتبرها البريطانيون وقفاً عليهم .

ومما زاد في غضب تشرشل أن المستر روزفلت لم يدع أيّ ممثل بريطاني لحضور مقابلاته مع الملوك ؛ لذلك صمم على أن يرى بنفسه الملوك الثلاثة ،

إثر اجتماعهم إلى روزفلت ، حفاظاً منه على مركز بريطانيا ونفوذها . وقد نجح في ذلك ، وإن لم ينجح في بلوغ أغراضه من هذه المقابلات . والواقع أنه لم يكن في مقدور تشرشل أن يقول شيئاً خليقاً بأن ينزع من قلب فاروق كراهيته للبريطانيين الذين فرضوا عليه مصطفى النحاس .

أما الملك ابن سعود فلم يرد على دعوة تشرشل له إلاّ بعد أن قابل روزفلت وسأله عن رأيه في إجابتها فلم يعترض الرئيس على ذلك .

أما موقف الامبراطور هيلاسيلاسي ، فقد كان مزيجاً من الكبرياء والحذر ، فبعد أن قابل تشرشل إثر مقابلته للرئيس روزفلت ، قيل له إنه سيعاد إلى عاصمة ملكه على متن طائرة بريطانية ، فأضرب عن العودة وقال لمضيفيه البريطانيين :

لقد بعتموني ومملكتي في عصبة الأمم ، وليلعنّي الله إذا رضيت أن أعود إلى عاصمتي بطائرة بريطانية أنتم خليقون بإسقاطها فوق قمة جبل ناء » .

أمام هذا الجواب اضطر البريطانيون للجوء إلى الجنرال بنيامين جايلز قائد السلاح الجوي الأميركي في الشرق الأوسط ، طالبين طيارة أميركية لتقل الإمبراطور إلى أديس أبابا .

« وفي اليوم الثاني عشر من فبراير ١٩٤٥ أمر الملك السعودي أعوانه ، بطيّ مخيّمه ، والعودة إلى مكة ، بينما أبرق بالشيفرة إلى وليّ عهده الأمير سعود المقيم في الرياض ، طالباً إليه أن يحكم البلاد باسمه حتى إشعار آخر .

ثم استدعى نجله الثاني الأمير فيصل وأنبأه بسفره وأسبابه ، وأمره بأن يتولى أمور الحجاز ، وأن يتخذ كل التدابير الضرورية للمحافظة على الأمن في جدة ومكة وأيّ مكان .

وبعد ذلك أعلن أسماء مرافقيه في رحلته ، وتوجه بسيارته إلى الميناء حيث استقل معهم زورقاً بخارياً حمله إلى ظهر المدمرة « مورفي » في الساعة الرابعة والنصف . وأثار هذا الرحيل المفاجىء صواعق الشائعات في جدة ، فدهش سكانها . وزعم أعداء العاهل السعودي أنه هرب من بلاده . وادعى آخرون أن الأميركيين اختطفوا الملك . وارتدت نساء الملك ملابس الحداد وشققن

الأثواب ، ونثرن الرماد على رؤوسهن ، ونزلن من مقرهن في مظاهرة صاخبة إلى مقر الأمير فيصل ، دامعات باكيات على هجران سيدهن لهن .

« وكانت التعليمات تقضي بألاّ تتضمن حاشية الملك أكثر من ١٢ شخصاً ، ولكنها كانت تعليمات مستحيلة التنفيذ ، وهكذا استقل العاهل السعودي المدمرة مورفي مع ٤٨ رجلاً ، في مقدمتهم شقيق الملك الأمير عبد الله ، وابنه الثالث الأمير محمد ، وابنه السادس الأمير منصور وزير الدفاع ، ووزير الخارجية بالنيابة يوسف ياسين ، ووزير المال عبد الله السليمان ، والوزير المفوض حافظ وهبة ، والدكتور فرعون طبيب الملك الخاص ، وبشير السعداوي مستشاره الخاص ، ورئيس الحجّاب عبد الرحمن الطبيشي ، وأحد أتباع الملك ماجد ابن خثيلة .

في الساعة العاشرة من صباح ١٤ فبراير ١٩٤٥ تم اللقاء التاريخي بين الرئيس روزفلت والملك عبد العزيز ابن سعود على ظهر الطرّاد « كونيري » في البحيرات المرة ، في قناة السويس .

وقد انتقل العاهل السعودي مع أخيه ونجليه ووزرائه الثلاثة ، من المدمرة « مورفي » التي استقلوها من جدة ؛ إلى الطراد « كونيري » حيث كان الرئيس روزفلت ينتظرهم ، جالساً على كرسيه السيار .

وبعد التحيات المعتادة سأل العاهل السعودي الرئيس الأميركي رأيه في قبول دعوة تشرشل لمقابلته في ما بعد ، على اعتبار أن القبول قد يسيء إلى الرئيس روزفلت ، فأجابه الرئيس : ولم لا ؟ إني أُسر دائماً برؤية المستر تشرشل وأنا واثق بأنك ستحبه كذلك .

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف ، أعلن أن الغداء قد أعد ، فقال لي الأميرال ليهي : رافق الملك في المصعد الأول إلى صالون الرئيس ، أما أنا فأرافق الرئيس في المصعد الثاني :

ورافقت الملك إلى جناح الرئيس الخاص ، حيث وجد الوقت الكافي لغسل يده وللاستراحة بضع دقائق ، قبل أن يصل الرئيس على كرسيه المتحرك .

وأخبرني الأميرال ليهي بعد ذلك ، بأن الرئيس أوقف المصعد في منتصف الطريق ، ليدخّن سيكارتين ، إذ ضغط على نفسه ولم يدخن في حضور الملك عبد العزيز ، مجاملة للعادات السعودية .

« وبعد أن انتهى الحديث بين العاهل السعودي والرئيس الأميركي ، عكفت ليلاً أنا والشيخ يوسف ياسين ، بمساعدة أحد كتاب المفوضية الأميركية في جدة ، على تدوين السجلّ الرسمي لما دار من أحاديث واتفاقات بينهما .

وقضينا شطراً من الليل حتّى انتهينا من وضع الصيغة النهائية للوثيقة باللغتين العربية والإنكليزية . وقد وقع العاهل السعودي الوثيقة العربية قبل أن يأوى إلى فراشه .

وكان الرئيس قد سافر على ظهر طراده متجهاً إلى الإسكندرية ، ليتوقف يوماً واحداً هناك .

لذلك ركبت طائرة في صباح ١٥ فبراير إلى الإسكندرية، لأرفع إلى الرئيس سجلّ المحادثات .

وقرأ الرئيس محتويات السجل ، وقال : حسناً ، إنه يحتوي كل شيء . ثم وقعه دون أن يغير منه حرفاً . ولم ينشر يومئذ شيء عن المباحثات السياسية التي دارت بين الرجلين الكبيرين ، فقد التزم الذين حضروها الصمت . وها أنا أرفع النقاب عنها،أول مرة،ذاكراً لهذه المناسبة أن العاهل السعودي كان يرفض إطلاع أحد على النسخة الرسمية للحديث الذي دار بينه وبين روزفلت، ولم يرض يوماً بأن يستشهد بما جاء فيها على لسان روزفلت ، قائلاً إن الصداقة التي تربطه بالرئيس الأميركي ، تعتمد في كليتها على النوايا والطوية الحسنة .

وإذا كانت هذه قد ماتت بموت روزفلت ، ولم يجددها خلفه ، فإنها لا يمكن أن تُبعث حية بقطعة من الورق .

« كان الملك ضيفاً على الرئيس ، لذلك تمسك بالعادات العربية ، ولم يبادىء الرئيس الحديث ، بل ترك له ذكر تحديد المواضيع التي ستطرح على بساط البحث بينهما . وقبل أن أذكرها ، يهمني أن اسجل أن ابن سعود لم يلمّح

طيلة المقابلة مجرد تلميح ، إلى رغبته في الحصول على معونة اقتصادية أو مالية لبلاده ؛ فقد جاء يقابل روزفلت بدافع الصداقة البريئة ، في وقت لم يكن هناك ما يدل على أن البترول السعودي سيستخرج بكميات هائلة .

وها أنذا أنقل إلى القراء خلاصة الحديث ، من الوثيقة الرسمية التي دوناها يومئـذ

« بعد أن ناقش الرئيس روزفلت مع ضيفه تطور الحرب ، وأعرب عن ثقته بقرب هزيمة ألمانيا ، قال للعاهل : إن في باله أمراً بالغاً يشغله ، ولهذا فهو راغب في استشارة العاهل السعودي وفي عونه .

أما هذا الأمر فهو قضية إنقاذ بقايا اليهود في أوربا ، وإعادة توطينهم بعد أن عانوا العذاب على يد النازيين الذين شردوهم وخربوا بيوتهم وقتلوهم بالجملـة .

وقال إنه يشعر بمسؤولية شخصية حيالهم ، وانه مصمم على أن يبذل العون لحل مشكلتهم ، فما رأي الملك السعودي في ذلك ؟

وكان جواب ابن سعود مقتضباً وسريعاً :

أعطوهم وأحفادهم أحسن بيوت وأراضي الألمان الذين اضطهدوهم .

فأجابه الرئيس روزفلت بأن للناجين من اليهود رغبة عاطفية في سكنى فلسطين ، وأنهم يخشون ، عن حق ، الإقامة في المانيا ، حيث قد ينالهم العذاب ثانية ...

ورد عليه الملك السعودي قائلاً : إنه لا يشك في أن لليهود أسباباً قوية تمنعهم من الثقة بالألمان ، إلا أنه لا يشك أيضاً في أن الحلفاء سيدمرون قوة النازيين إلى الأبد ، وسيكون نصرهم عزيزاً بحيث يبسط جناح الحماية على ضحايا النازية .

وإذا كان الحلفاء لا ينوون أن يشرفوا بحزم على سياسة ألمانيا في المستقبل ، فلماذا يخوضون مثل هذه الحرب الفادحة الثمن ؟

وقال : إني شخصياً لا أتصور أن أترك عدوي في مركز يسمح له بأن يردّ الضربة بعد هزيمته ، ولا أستطيع أن أترك له قائمة تقوم .

وعاد الرئيس روزفلت إلى اتخاذ موقف المُبادىء قائلاً : إنه يعتمد على الكرم العربي ، وعلى معونة العاهل السعودي في حل المشكلة الصهيونية ، فأجابه ابن سعود قائلاً :

دع العدوّ الظالم يدفع الثمن . فعلى هذا الأساس نخوض الحرب نحن العرب ، فالمجرم هو الذي يجب أن يؤدي الغرامة وليس المتفرج البريء .

وتساءل العاهل السعودي قائلاً : أيّ شر ألحقه العرب بيهود أوروبا ؟ إنهم المسيحيون الألمان الذين سلبوهم أموالهم وأرواحهم ؛ إذن فليدفع الألمان الثمن.

وعاد الرئيس روزفلت يطرق الموضوع ، ليشكو من أن العاهل السعودي لم يُمده بمعونته لحل هذه المشكلة .

ويبدو أن صبر العاهل السعودي قد نفد بعض الشيء ، فقال بشيء من الحدة إنه كبدويّ غير متعلم ، لا يفهم مقصد الرئيس من عدم إلزام الألمان بالتعويض على اليهود .

وأنهى العاهل السعودي حديثه قائلاً : إن من تقاليد العرب توزيع الضحايا الناجين من المعركة ، على العشائر المنتصرة ، وفقاً لعدد كل عشيرة ، وبمقدار ما سمحت به من ماء وطعام في تموين المحاربين . وقال انّ في المعسكر الحليف ٥٠ بلداً ، أصغرها وأفقرها فلسطين التي عُهد إليها بأكثر مما تطيق من اللاجئين الأوربيين .

وتحدث العاهل بعد ذلك عن مشاعره ، فطلب من الرئيس صداقته ومعونته. ولم يكن يبدو عليه أنه يفرق بين روزفلت كشخص وروزفلت كرئيس للولايات المتحدة .

وقال العاهل السعودي : إن بلاده لم تخضع لاحتلال أجنبي ، أو حماية أجنبية كغيرها من الدول العربية ، وإنه لولا هذا الاستقلال لما قدر أن يسعى إلى صداقة شريفة نزيهة . لأن الصداقة لا تقوم إلا بين طرفين على قدم المساواة في الكرامة والعزة .

وقال : إنه راغب بعد ذلك في صداقة الرئيس روزفلت ، لاشتهاره بأنه

بطل الحريات الأربع ، ولأنه تحقق من أن الولايات المتحدة لم تستعمر أو تستعبد بلداً آخر .

ورد عليه الرئيس روزفلت ، مؤكداً صداقته المزدوجة التي رددها في خطاب بعث به إلى العاهل السعودي في ٥ إبريل ١٩٤٥ قبل وفاته باسبوع .

فقد أكد له روزفلت أنه ، بصفته رئيساً للولايات المتحدة ، لن يفعل شيئاً من شأنه أن يكون عدائياً للعرب ، وإن حكومة الولايات المتحدة لن تغير من سياستها الأساسية حيال فلسطين ، دون مشاورات مسبقة وكاملة مع كل من العرب واليهود .

وقد اعتبر ابن سعود هذه التأكيدات الشفوية بمثابة حلف مكتوب بينه وبين الرئيس ؛ ولم يخطر في باله أن الموت سيخطف الرئيس قبل أن يبرّ بوعده.

طرائف يذكرها الكولونيل إدي

وختم الكولونيل وليم إدي، مقاله هذا عن الرحلة ، بالطرائف التالية :

بدأت الرحلة الملكية من جدة ، بأزمة طريفة . فقد جاء إلى المدمرة الشيخ عبد الله السليمان وزير المال ، مع قوارب تحمل أطناناً من الخضار والبرغل والرز ، بالإضافة إلى مئة خروف ، وطلب إلى ربان المدمرة نقل هذه المؤن إلى المدمرة بأمر الملك .

وأبلغني الربان الحادث ، فقابلت الملك وقلت له : إن المدمرة تحمل من المؤن ما يكفي لستين يوماً . فأجابني جلالته بأن ذلك لا يهمه ، ولكنه يحب أن يأكل ضيوفه الأميركيون من مائدته خرافاً مذبوحة في يومها .

فقلت له : إن البحارة معرضون للعقاب ، إذا أكلوا من غير الطعام المخصص لهم . وعندئذ نزل عند طلبي ، وانتهت الأزمة بنقل سبعة أكباش فقط إلى المدمرة

، ، ،

نشأت على ظهر المدمرة أواصر الصداقة بين البحارة الأميركيين ، وبين

مرافقي العاهل الذين تعجبوا من وجود بعض البحارة الزنوج الأميركيين العاملين في مطعم المدمرة ، فظنوا أنهم من العرب ، وأصروا على محادثتهم باللغة العربية. وأخيراً اقتنعوا بأنهم أميركيون ، وليسوا رقيقاً يباع ويشرى .

وفي صباح اليوم الأول جاء بحار زنجي يُدعى « هوايت » إلى الملك ابن سعود بفطور مؤلف من الفاكهة والقهوة والبيض . ثم عاد حاملاً طبقاً من القطائف اللذيذة الشهية . فابتسم الملك واعتذر قائلاً : إنه قد اكتفى .

وكان الشيخ يوسف ياسين جالساً إلى جانب الملك ، فأخذ يتطلع إلى القطائف بنظرات نهمة ، لاحظها الملك فقال :

أنت رجل بدين يا يوسف ، وبحاجة إلى المزيد من الطعام ، فلماذا لا تأكل هذه القطائف ؟

وبالطبع لم يفهم البحار الزنجي هذا الكلام لأنه قيل بالعربية ، فسحب طبق القطائف عندما مد الشيخ يوسف ياسين يده إليه ، وقال له :

صُنعت هذه القطائف للملك وحده ، ولا يستطيع غيره أن يأكل منها .

، ، ،

وفي أثناء الرحلة عُرض على الملك فيلم تعليمي ، عن حاملة طائرات أميركية وعن دورها في الحرب ، فأعجب جلالته به ، ولكنه علق عليه قائلاً :

إني أشك في إمكان السماح لشعبي برؤية مثل هذه الأفلام المدهشة . لأنها قد تقوي فيهم الميل إلى اللهو ، وقد تصرفهم عن ذكر الله وعن واجباتهم الدينية .

تتمة الحديث مع روزفلت

ينقل هذه التتمة المؤرخ الفرنسي بنوا ميشان[١] قال :

لما يئس الرئيس روزفلت من زحزحة الملك عن موقفه حيال قضية فلسطين ،

(١) في كتابه « عبد العزيز آل سعود ، سيرة بطل ومولد مملكة » ترجمة السيد عبد الفتاح ياسين . طبع في بيروت سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)

انتقل إلى موضوع آخر ، فعرض رغبات القيادة الأميركية في الخليج (العربي) وساحل الأحساء وموانئه .

ودارت المناقشات هنا في جوّ صاف فالبحث يدور حول قضايا تخص العربية السعودية دون سواها . وأظهر ابن سعود استعداداً للتفاهم ، فوافق مبدئياً على رغبات روزفلت ، ولكنه اشترط أن تتعهد الولايات المتحدة بما يلي :

١ ــ ألاّ تتعرض العربية السعودية ، بأي حال من الأحوال ، لاحتلال عسكري على غرار ما حدث في سورية والعراق وإيران .

٢ ــ ألاّ يُقتطع أي جزء من أرض الوطن . والأماكن التي سوف يستخدمها الجيش الأميركي ، تكون على سبيل الإيجار لمدة خمس سنين . ومتى انقضت السنوات الخمس تعود للدولة السعودية بكل ما عليها من أبنية ومنشآت .

٣ ــ تكون للمملكة العربية السعودية الأفضلية في الحصول على المعدات الحربية المودعة في « كرمنشاه » لاستخدامها في تطوير تسليح « الاخوان » ويتعهد ابن سعود ، مقابل ذلك ، بألاّ يهاجم الحلفاء وبأن يصد أي اعتداء تقوم به قوات المحور .

٤ ــ تؤيد الولايات المتحدة ، وفقاً للحريات الأربع ، المنصوص عليها في ميثاق الأطلسي ، كل المبادرات التي تتخذها الدولة السعودية إسهاماً في تحرير الشعوب العربية الرازحة تحت نير الاحتلال الأجنبي .

لقد ضمن ابن سعود في البند الأول ، من هذه الشروط ، استقلال الجزيرة العربية ، بينما أكد في البند الرابع حرصه على التمسك باستقلال البلاد العربية .

قال روزفلت بشأن البند الأول : لن أسمح بأية بادرة عدائية من جانب الولايات المتحدة ضد الشعوب العربية . وأما البند الرابع فليس موضع بحث ، لأنه داخل في صلب سياستي ، فإن عهد الاستعمار قد ولى وكذلك عصر الامبراطوريات . وإن من بين مكاسب هذه الحرب توجيه الضربة القاضية للاستعمار .

وضرب روزفلت بسورية ولبنان مثلاً على ذلك ، فقال ان لديه تعهداً خطياً من لجنة الجزائر بمنح هذين البلدين استقلالهما الكامل ، وإن بوسعه أن يكتب في أي وقت إلى الحكومة الافرنسية مطالباً بالمحافظة على وعدها .

وأضاف إلى ذلك أنه سيساند السوريين واللبنانيين بجميع ما لديه من وسائل باستثناء القوة المسلحة ، ويأمل في أن يفعل بالمِثْل ، مع بقية الأقطار العربية عندما تطالب باستقلالها .

أما فيما يتعلق بالبندين الثاني والثالث ، ولا سيما حيال مدة إيجار الأراضي السعودية للجيش الأميركي ؛ فقد حاول روزفلت الحصول على شروط أفضل، ولكن دون جدوى إذ أصرّ الملك على موقفه ، حتى اقتنع الرئيس الأميركي بوجهة نظره . غير أنه أبدى تحفظاً واحداً يعود إلى توضيح بعض التفاصيل بواسطة لجنة من الخبراء .

ثم استبق الرئيس الأميركي الزمن وأثار قضية النفط . فطلب إلى الملك منح الولايات المتحدة حق استثمار نفط المملكة العربية السعودية . واحتدمت المناقشة هنا مرة أخرى ، إلى أن توصل رئيسا الدولتين إلى اتفاق يرتكز على الأسس التالية :

١ — لا يتخلى ابن سعود عن أي جزء من أراضيه ، بل تكون الشركات المستثمرة مستأجرة للأراضي .

٢ — مدة الاستثمار ستون عاماً . أي أنها تنتهي في العام ٢٠٠٥ وتعود بعدها الآبار ومنشآت البترول كلها إلى الدولة السعودية .

٣ — يرفع الرسم المدفوع للملك عن كل برميل من البترول المصدر من ١٨ إلى ٢١ بنساً أميركياً .

٤ — توسع المنطقة التي تستثمرها شركة « أرامكو » إلى مساحة تبلغ مليوناً و ٥٠٠ ألف كيلو متر مربع .

وعرض روزفلت بعد ذلك مشروع إنشاء خط من الأنابيب ، بطول ١٧٥٠ كيلو متراً يصل بين الأحساء وأحد مرافىء شرقي البحر الأبيض المتوسط — حيفا أو صيدا — ولم يكن مكان المصبّ قد حدد بعد . فأجاب الملك بأن هذا المشروع ينسجم مع أهدافه ، وأنه سيفعل كل ما في وسعه لتسهيل تحقيقه . ولكنه أبدى رغبته في أن يتم المشروع بواسطة شركة خاصة ، لا بإشراف الحكومة الأميركية ، كما كانت — على ما يظهر — رغبة الرئيس الأميركي .

قال ميشان : ومع أن جوّ المحادثات بين الرجلين لم يكن في البداية صافياً ، فقد افترق الملك والرئيس الأميركي ، وكل منهما مسرور بالآخر ، ولديه انطباع بأنه حقق عملية رائعة . وأهدى الرئيس الأميركي كرسيّه الخاصّ الذي كان جالساً عليه للملك السعودي ، تعبيراً عن امتنانه .

أما الإنكليز فكانوا أقل سروراً ، حين بلغهم خبر ما دفع من ثمن ، لقاء حياد الملك عبد العزيز . ولم يسعهم إلاّ الرضى بالأمر الواقع .

ففي الخفاء ، ومن دون أن يبدو أيّ شيء يلفت انتباه الرأي العام العالمي ، وُجهت إلى السيطرة البريطانية في الشرق ضربة أليمة ، وتخلصت بواسطتها العربية السعودية من دائرة النفوذ البريطاني .

قال : وهكذا ... في يوم واحد ، تم لعبد العزيز أن يثأر لحقبة طويلة دامت عشرين عاماً .



عبد العزيز ، وتشرشل ، في الفيوم

الملك عبد العزيز

بين البحيرات والفيوم والإسماعيلية

بعد انتهاء الملك عبد العزيز من مقابلة الرئيس روزفلت على الطرّاد « كونيري » تحوّل إلى الطراد الذي كان عليه . وقد جاء دور المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية . وما زال موعد الاجتماع به ، ومكانه ، مجهولين .

وكنت في ضحى ذلك اليوم ٢ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٥ فبراير ١٩٤٥) في مقر وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة ، أحضر اجتماعاً لمجلس جامعة الدول العربية . وكلمني متحدث بالهاتف يقول إنه من السفارة البريطانية ، وان في السفارة « شخصاً » يودّ أن يستقبلني بها في أقرب فرصة . ولم أهتمّ للأمر ، ووعدت المتكلم بأن أزور السفارة بعد انقضاء الجلسة .. وذهبت إليها بعد الظهر . فكان النبأ أخطر مما يمكن أن أتوقع . علمت من ذلك الشخص ، أن الملك عبد العزيز يصل في هذا الصباح ، وقد وصل ، إلى قرب مياه الإسماعيلية ، وأنه أمر بذهابي لمقابلته في الطرّاد الذي هو عليه ، وألاّ يعلم بهذا أحد قط ..

ومضيت في الحال . وبلغت الإسماعيلية ، وقد أظلم الليل . وطال بحثي عن مكان الطرّاد . وبعد لأي ، اهتديت إليه ، وصعدته فسلمت على الملك ، واستبشرت بأن رأيت أمارات الارتياح بادية على وجهه .

ولبثت بعض الوقت ، أصغي إلى ما كان يتحدث به ، ثم ما أخذ يوجّهه إليّ خاصة . وقد قرر المبيت تلك الليلة ٢ — ٣ ربيع الأول في منطقة البحيرات

المرة ، على الطرّاد ؛ وعليّ أن أرجع ، ثم أعود إليه في الصباح بما يبني عليه خطته.

وبعد ساعة من وصولي ، نهضت مسرعاً إلى القاهرة ، أحمل منه رسالتين سرّيتين شفويتين : إحداهما إلى الوزير البريطاني المفوض بجدة (المستر جوردن) وكان تلك الليلة في القاهرة . والثانية إلى الملك فاروق .

وبلغت القاهرة بعد الساعة الثانية من منتصف الليل . وقابلت جوردن فأبلغته عن لسان الملك عبد العزيز . ما أبيح لنفسي ذكره الآن ، وقد أصبح للتاريخ :

« أنا اخبرتك يا جوردن أن تقول للأميركيين إذا كان المستر تشرشل لا يستطيع أن يحضر معي الاجتماع بالرئيس روزفلت ، فيمكنني الاعتذار عن الاجتماع كله .

« الثاني : هم بينوا مسألتهم للسفير الأميركي ، في كتاب أرسله السفير إليّ عن طريق الرئيس روزفلت ، ليطّلع عليه . واليوم تسلمته من الرئيس . وبهذا لم يبق الأمر سرّاً .

« أما قدومي إلى القاهرة ، فهذا لا يرضاه المستر تشرشل ، ولا هو بحقي ولا بحقهم . إن وصلت بصورة علنية ، ليس طيب بحق أهل مصر . وإن جاء هو خفية ، فما هو طيب بحقي .

« لذلك أرجو أن تكون المقابلة في أي محل خلاف القاهرة . هو بطيارة وأنا بطيارة ، في أحد المعسكرات .

« وهؤلاء الجماعة حريصون على أن تذهب باخرتهم — الطرّاد — وان يحضروا طيارات للرجوع بها . والأفضل ، باخرة من عندهم ننتقل إليها .

وتحدثنا حول هذا الموضوع ، فعلمت منه أنهم هيأوا كل شيء ، وأن مندوباً بريطانياً سيحمل البرنامج لعرضه على الملك هذا الصباح ، في الطرّاد .

ونهضت لإبلاغ الرسالة الثانية إلى الملك فاروق الساعة الثالثة ، بعد نصف الليل فإذا هو قد خرج بعد انقضاء حفلة ساهرة أقيمت في قصره تلك الليلة ،

للترحيب برئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي ، وكان قد حلّ بمصر منذ يومين .

ولم يسعني إلاّ أن أترك لفاروق – في القصر – رسالة يقرأها عند العودة من سهرته ، أخبرته فيها بأن « الملك عبد العزيز في المياه المصرية . ويودّ أن يراه في فرصة قريبة . وليكن هذا سرّاً ما دام الرئيس الأميركي في مياه البحر الأبيض المتوسط » .

أرحت نفسي من عبء الرسالتين ، وعدت بما يهمّ الملك أن يعلم به ، وإلى البحيرات ..

بلغت الطرّاد بعد شروق الشمس ، وعبد العزيز جالس . وحدثته بما كان : لقد هيأ البريطانيون كل شيء ، ليكون الاجتماع بين جلالتكم وتشرشل سرّاً ، في فندق الفيوم ، وهم يرسلون من يُشرف على إبعاد كل عين عنكما إلى أن يكون روزفلت قد بلغ مأمنه .

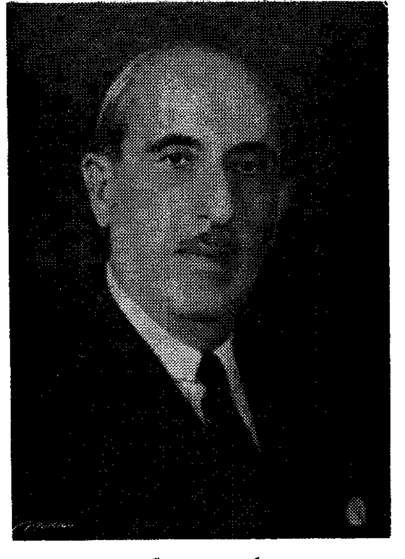
ووصل المندوب البريطاني الذي أخبرت الملك بأنه سيعرض البرنامج .

وتحرّك الطراد ، عند أذان الظهر (الجمعة ٣ ربيع الأول) متجهاً إلى الإسماعيلية ، فبلغها في أقلّ من ساعة . ونزل الملك ومن معه في مينائها ، وقد أخلي الميناء من كل إنسان ، إلاّ من ينقلون الأمتعة ، ولا أدري من أي نوع من رجال البوليس السري كانوا . وكلهم مصريون .

واصطفّ على مقربة من الشاطىء ، رتل من السيارات الرملية اللون ، أعدته القيادة العسكرية البريطانية لركوب الملك وحاشيته .

وحول الساعة الثانية بعد الظهر (الثامنة عربية) ، انطلقت السيارات على مهل ودخلنا القاهرة ليلاً ، فاخترقنا شوارعها إلى طريق الفيوم الصحراوي ، ولا يعلم أحد بمن عليها .

وكان النزول والمبيت في فندق « الأوبرج » على بحيرة قارون ، وليس فيه إلاّ مديره والموظفون والخدم ، فقد أُخلي من نزلائه في صباح ذلك اليوم . وأحيط بحرس من رجال البوليس .



شكري القوّتلي

فاروق والقوتلي :

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر (حول العاشرة عربية) من يوم السبت ٤ ربيع الأول ١٣٦٤ (١٦ فبراير ١٩٤٥) أقبلت على الفندق بضع سيارات تقلّ أُولاها فاروقاً والقوتلي. وتلقاهما الملك عبد العزيز ، معانقاً. واستمر اجتماع الثلاثة قرابة خمس ساعات .

تشرشل وإيدن :

وفي ضحى الأحد (٥ ربيع الأول) وصل إلى الفندق المستر ونستن تشرشل رئيس الوزارة البريطانية ، يصحبه المستر أنطوني إيدن وزير الخارجية، وآخرون من كبار السياسيين والقواد العسكريين . فاستقبلهم الملك عبد العزيز . وانفرد بتشرشل نحو ساعة . وتناول الجميع طعام الغداء على مائدة الملك .

العودة الى المملكة

ونهضنا صباح الاثنين ، فقال من اتصل بنا : إن الرئيس الأميركي روزفلت قد اجتاز منطقة « الخطر » في عودته إلى بلاده . ورفع حجاب الكتمان عن وجود الملك عبد العزيز في الديار المصرية ، وأصبح في الإمكان أن يستمتع أياماً بروئية وادي النيل . غير أنه آثر الإسراع في العودة إلى بلاده ، لتهدئة النفوس المضطربة قلقاً عليه .

Hôtel "Auberge du Lac"
Samedi 17 Février 1945

توقيعات تشرشل وإيدن وآخرين
على مائدة عبد العزيز في الفيوم

في شوارع القاهرة

وغادرت السيارات فندق الأوبرج بالفيوم ، صباح الاثنين (٦ ربيع الأول)

تقلّ عبد العزيز وحاشيته . ومرّ بالأهرام ، فجيزة الفسطاط ، فميدان عابدين. وهنا توقف الركب قليلاً ، وبعث الملك أحد مستشاريه (خالداً القرقني) برسالة شخصية إلى الملك فاروق ، يشكره بها ويودّعه ، ويعده بزيارة خاصة له ولمصر.

الإسماعيلية فجدة

وتابع الركب سيره بالسيارات إلى الإسماعيلية ، حيث كان الطرّاد الأميركي قد عاد من رحلته ، وأقبل ينتظر . وأبحر في اليوم نفسه إلى جدة .

من طرائف الرحلة

تحت المخدة :

عندما عدت من مقابلة الملك عبد العزيز في البحيرات ، كنت آمل أن أصل إلى قصر عابدين في القاهرة ، قبل انقضاء السهرة ، ولكن عاق سيارتي في « طريق المعاهدة » ضباب أخرّني عن الوصول . ولما أردت أن أدخل قصر عابدين ، وقد انفضت الحفلة ، لم أجد منفذاً إلى « فاروق » فقصدت أمين سره الخاص « القائم مقام[1] » « حلمي » في منزله ، فأيقظته وقلت : معي رسالة شفهية عاجلة للملك فاروق . فقال : انقضت السهرة قبل ساعة وخرج الملك إلى بعض سهراته الصباحية ! قلت ؛ وما العمل ؟ قال : من عادته حين يرجع لينام أن يُدخل يده تحت مخدة سريره ، فإن وجد ورقة قرأها . قلت : هات ورقة وظرفاً . وكتبت للملك فاروق ما سبقت الإشارة إليه ، وختمت الظرف ووضعه حلمي تحت المخدة الملكية ..

حقيبة العلاج :

وصل الركب الملكي إلى الفيوم ، كما سبق القول ، وأخذت مع وزير المالية نعمل في إحلال رجال الحاشية في غرفهم . وفيهم من يرضى ومن

(١) تركيب عامي ، استعملته لشيوعه . وصوابه « قائم المقام » ويقولون في جمعه « القائم مقامون » وصوابه « قائمو المقام » — المؤلف .

يأبى ، إلى أن بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، فتناولنا قليلاً من الطعام وذهب كل منا إلى غرفته للنوم ، ولم يكن قد أغمض لي جفن في الليلة السابقة . ولكن لم يكد الكرى يأخذ بمعقد جفنيّ ، حتى نهضت مذعوراً ، على قرع عنيف لباب غرفتي . وكان على الباب عبد الله السليمان ويوسف ياسين. وقبل أن أسألهما بادراني قائلين : يريدك . وأردت أن أضع شيئاً على رأسي ، فقالا : كما أنت . وذهبت مسرعاً إلى غرفة الملك ، وهو في سريره فلما رآني قال : تكفى يا خيري !. قلت : سمعاً . قال : حقيبة أدويتي . نسيها المهبول أمين ، في المركب . ولا أعرف الراحة بدونها . قلت : أبشر . قال : لا يستطيع غيرك أن يعود إلى القاهرة ما دمنا في كتمان سيرنا . قابل الأميركي (الكولونيل إدي) واحضر اجتماع مجلس الجامعة . قلت : سأذهب حالاً . وخرجت فقابلني طبيبه الدكتور رشاد فرعون . وقال : بينما تعاد الحقيبة ، ائتنا بهذه الأنواع من العلاج في طريقك . وركبت سيارة عسكرية يقودها جندي بريطاني ، وقلت : إلى القاهرة . وقبل طلوع الفجر أيقظت الأميركي (وليم إدي) فقال : إن الطرّاد الذي كان عليه الملك في البحيرات المرة ، قد أبحر . وسأبرق إلى أول شاطىء يمر به ، فتقوم بالحقيبة إلينا طائرة عسكرية قبل سفر الملك . وكان ذلك.. ووسائل « الحرب » تأتي بما يشبه المعجزات .

في مجلس الجامعة :

أما جامعة الدول العربية ، فافتتح مجلسها عند الضحى ، وحضرت الاجتماع كما أراد الملك عبد العزيز ، دفعاً لتساؤل الصحافة عن غيابي أنا ويوسف ياسين معاً . وكان كل شيء فيها هادئاً ، إلاّ نظرات نوري السعيد (رئيس وفد العراق) إليّ ، وقوله لي : العباءة جديدة ، مباركة . ولم تكن العباءة بالجديدة ولكنه أراد أن يعلمني بأن الإنكليز لم يكتموا عنه خبر الملك ..

سؤال :

وفي أثناء مرورنا بأهرام الجيزة وأبي الهول ، في طريقنا من الفيوم إلى

القاهرة ، قال لي الملك عبد العزيز ، وكنت معه في سيارته : ترى ما كان رأي الصحابة الذين دخلوا مصر ورأوا هذه الآثار؟ قلت: كان أكثرها مغموراً بالرمال، ولا سيما أبا الهول. وكان يظهر منها هرمان ينسب بناؤهما إلى النبي إدريس. قال: ومتى ظهر أنها قبور؟ قلت : من عهد قريب يا طويل العمر .فزال عجبه.

إسراف !

وقبل أن نصل إلى « الأهرام » صعد إلى إفريز السيارة الملكية ، أحد تراجمة السياح ، يشرح للملك شيئاً عن الأهرام وأبي الهول. وأشار إليّ الملك أن أكرمه بعشرين جنيهاً . فمددت يدي بها إليه . فامتنع عن قبولها ونزل . وكان على جانبي الطريق بعض رجال الأمن ، والسيارة ماضية في سيرها . فألقيت العشرين جنيهاً إلى الرجل ، وسقطت على الأرض فأسرع بعض من كان هناك إلى التقاطها . وما كدنا نجتاز القاهرة حتى كان أناس يقولون : الجنيهات ينثرها الملك عبد العزيز على جانبي الطريق من الفيوم إلى قصر عابدين .. يا له من اسراف ..

على رافعة الأثقال :

لم يتسع وقت الطرّاد لإقامة ممرّ ثابت متين ، بينه وبين الميناء ، في الإسماعيلية فكنا نقفز على خشبات وُضعت لا يمكن أن تحمل عبد العزيز ، ولا يمكن أن يسير عليها . فما العمل ؟

جيء برافعة أثقال ، وجلس عبد العزيز في شيء أشبه بصندوق كبير ، فكانت أعيننا وقلوبنا معه، في صعود الرافعة ونزولها، إلى أن استقرّت على الطرّاد.

من عبد العزيز ، الى تشرشل

بسم الله الرحمن الرحيم

(في ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٤ = ١٠ مارس ١٩٤٥)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية .

يا صاحب الفخامة

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها لأشاطركم السرور في انتصار المبادىء التي أُعلنت الحرب من أجل نصرتها ، ولأذكّر الشخصيات العظيمة التي بيدها — بعد الله — تصريف مقاليد نظام العالم، بحق صريح قائم منذ عرف التاريخ ، ويراد الآن القضاء على هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلاً ولا نظيراً . ذلك هو حق العرب في فلسطين ، الذي يريد دعاة الصهيونية غمطه وإزالته بشتى وسائلهم التي اخترعوها وبيتوها ، وعملوا لها في أنحاء العالم ، بالدعايات الكاذبة ، وعملوا في فلسطين من المظالم ، وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوا ، مما علم بعضه الناس ، وبقي الكثير منه تحت طيّ الخفاء . وهم يُعدون العدة ، لخلق شكل نازي فاشيستي ، بين سمع الديمقراطية وبصرها ، في وسط بلاد العرب ، بل في قلب بلاد العرب ، وفي قلب الشرق الذي أخلص العمل لقضية الحلفاء في هذه الظروف الحرجة .

إن حق الحياة لكل شعب ، في موطنه الذي يعيش فيه ، حق طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية وأقرته المبادىء الإنسانية التي أعلنها الحلفاء في ميثاق الأطلانطيق وفي مناسبات متعددة .

والحق الطبيعي للعرب في فلسطين ، لا يحتاج إلى بيّنات . فقد ذكرت غير مرة لفخامتكم وللحكومة الأميركية ، في عدة مناسبات ، أن العرب هم سكان فلسطين من أقدم عصور التاريخ ؛ وكانوا سادتها والأكثرية الساحقة فيها ، في كل العصور . وإننا نشير إشارة موجزة إلى هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين ، حتى اليوم ؛ ليتبين أن دعوى الصهيونية في فلسطين ، لا تقوم على أساس تاريخي صحيح .

يبتدئ تاريخ فلسطين المعروف من سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد . وأول من توطن فيها الكنعانيون . وهم قبيلة عربية ، نزحت من جزيرة العرب . وكانت مساكنهم الأولى في منخفضات الأرض ، ولذلك سموا كنعانيين . وفي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (أور الكلدانيين)بقيادة النبي إبراهيم ، فريق من اليهود أقاموا في فلسطين ، ثم هاجروا إلى مصر ، بسبب المجاعات ، حيث استعبدهم الفراعنة . وقد ظل اليهود مشردين فيها إلى ان أنقذهم النبي موسى من غربتهم ، وعاد بهم إلى أرض كنعان ، عن طريق الجنوب الشرقي ، في زمن رمسيس الثاني سنة ١٢٥٠ — أو ابنه منفتاح سنة ١٢٢٥ — قبل الميلاد

وإذا سلمنا بنص التوراة ، نجد أن قائد اليهود الذي فتح فلسطين ، كان يشوع بن نون ، وهو الذي عبر بجيشه واحتل مدينة أريحا من الكنعانيين ، بقوة شديدة ، ووحشية يدل عليها قوله لجيشه « حرّقوا كل ما في المدينة ، واقتلوا كل رجل وامرأة ، وكل طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم ، بحد السيف . وأحرقوا المدينة بالنار ، مع كل ما فيها » يشوع ٦—٢١—٢٤ ، وقد انقسم اليهود بعد ذلك إلى مملكتين : مملكة إسرائيل ، وقصبتها السامرة (في نابلس) وقد دامت ٢٥٠ سنة ، ثم سقطت في يد شلمناصر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسبى شعبها إلى مملكته . ثم مملكة يهوذا ، وقصبتها أورشليم (القدس) وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة إسرائيل ؛ ثم أُبيدت ، على يد نبوخذ نصّر ملك بابل ، الذي أحرق المدينة والهيكل بالنار وسبى الشعب إلى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد .

ودام السبي البابلي مدة ٧٠ سنة. ثم رجع اليهود إلى فلسطين بأمر قورش ملك الفرس . وتلا ذلك الفتح اليوناني ، بقيادة إسكندر المقدوني ، سنة ٣٣٢ ق.م . ودام حكمه في فلسطين مدة ٢٧٢ سنة . وجاء بعده الفتح الروماني سنة ٦٣ ق.م ، بقيادة بومبي ، ودام حكم الرومان في فلسطين ٧٠٠ سنة . وفي سنة ٦٣٧ ميلادية ، احتل العرب فلسطين . ودام حكمهم فيها ٨٨٠ سنة متواصلة . وكانت وصية الخليفة للفاتح كما يأتي : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ، ولا تعقروا نخلا أو تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً . وسوف تمرون بأناس قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له اه » وقد ذكر هذا ابن الأثير المؤرخ المشهور .

ثم انتقل الحكم في فلسطين إلى الأتراك سنة ١٥١٧ ميلادية في زمن السلطان سليم الأول . وظلت فلسطين في حوزتهم ٤٠٠ سنة . وكان العرب سكانها . وكانوا شركاء مع الأتراك في حكمها وإدارتها . وفي سنة ١٩١٨م، احتلها البريطانيون ولا يزالون فيها إلى الآن .

ذلك تاريخ فلسطين العربية . يدل على أن العرب أول سكانها ، سكنوها منذ ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة قبل الميلاد ، واستمر سكنهم فيها بعد الميلاد إلى اليوم . وحكموها وحدهم ومع الأتراك ألفاً وثلاثمئة سنة تقريباً . أما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المتقطع فيها ٣٨٠ سنة ، وكلها إقامات متفرقة مشوشة. ومن سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، لم يكن لليهود في فلسطين أي نفوذ أو حكم إلى أن دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٨ ومعنى ذلك أن اليهود منذ ٢٢٠٠ سنة لم يكن لهم في فلسطين عدد ولا نفوذ . ولما دخل البريطانيون في فلسطين ، لم يكن عدد اليهود فيها يزيد على ٨٠ ألفاً ، كانوا يعيشون في رغد وهناء ورخاء مع سكان البلاد الأصليين من العرب . ولذلك فاليهود لم يكونوا إلا دخلاء على فلسطين في حقبة من الزمن ثم أخرجوا منها منذ أكثر من ألفي سنة .

أما الحقوق الثابتة للعرب في فلسطين ، فتستند :

١ — إلى حق الاستيطان الذي استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، ولم يخرجوا منها في يوم من الأيام .

٢ — إلى الحق الطبيعي في الحياة .

٣ — لوجود بلادهم المقدسة فيها .

٤ — ليس العرب دخلاء على فلسطين ، ولا يراد جلب أحد منهم من أطراف المعمورة لإسكانهم فيها .

أما اليهود ، فإن دعواهم التاريخية إنما هي مغالطة . وحكمهم القصير في فترات متقطعة ، كما ذكرنا ، لا يعطيهم أي حق في ادعائهم أنهم أصحاب البلاد ، لأن احتلال بلد ما ثم الخروج منه ، لا يخوّل أي شعب ادعاء ملكية ذلك البلد والمطالبة به . وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال .

إن حل قضية اليهود المضطهدين في العالم ، يختلف عن قضية الصهيونية الجائرة . فإن إيجاد أماكن لليهود المشتتين ، يمكن أن يتعاون عليه جميع العالم ؛ وفلسطين قد تحملت قسطاً فوق طاقتها . وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها والقضاء على أهلها الأصليين ، فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري .

وإنا نوضح بصراحة ، أن مساعدة الصهيونية في فلسطين ، ليست خطراً يهدد فلسطين فحسب ، بل هي خطر يهدد سائر البلاد العربية . وقد أقام الصهيونيون الحجة على ما ينوونه في فلسطين وفي سائر البلاد المجاورة؛ فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ؛ ومن الخطأ أن يقال إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وأن ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيآتهم . وإنا نقول إن أعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها ، صادرة عن برنامج متفق عليه ، ومرضيّ عنه من سائر اليهودية الصهيونية. وقد بدأ هؤلاءأعمالهم المنكرة في الإساءة إلى الحكومة التي أحسنت إليهم وآوتهم ، وهي الحكومة البريطانية ؛ فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا ، وأسست لذلك تشكيلات

عسكرية خطيرة ، تملك في فلسطين في الوقت الحاضر ، كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية . ثم قام أفرادها بشتى الاعتداآت . وكان من أفظعها الاعتداء على الرجل الفذ الذي كان ممتلئاً بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من أشد من يعطف على اليهودية المضطهدة ، وهو اللورد موين . ومما يدل على أن فعلتهم المنكرة ، كانت مؤيدة من جميع اليهود ، المظاهر والمساعي التي قام بها رجال الصهيونية في كل مكان ، في طلب تخفيف العقوبة عن المجرمين ، ليجرّئوا غيرهم على أمثالها .

فهذه أفعالهم مع الحكومة التي أحسنت إليهم كل الإحسان ، فكيف يكون الحال لو مُكنوا من أغراضهم ، وأصبحت فلسطين بلدة خالصة لهم ، يفعلون فيها وفي جوارها ، ما يريدون ؟

ولو ترك الأمر ، بين العرب وهؤلاء المعتدين ، ربما هان الأمر ، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب . فاليهودية الصهيونية ، لم تراع حرمة هذه الحماية بل قامت بتدبير حبائل من الشرور ، بدأتها ببريطانيا . وأنذرت العرب بعد بريطانيا ، بمثلها وأشد منها . فإذا كانت الحكومات المتحالفة التي تُشعر العرب بصداقتها ، تريد أن تشعل نار الحرب والدماء ، بين العرب واليهودية ؛ فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلى هذه النتائج . وإن أخشى ما أخشاه هو :

١ ــ أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب .

٢ ــ ستكون اليهودية الصهيونية ، من أكبر العوامل في إفساد ما بين العرب والحلفاء . وأقرب دليل على ذلك ، قضية اليهوديين في مقتل اللورد موين ، في مصر . فقد قدر اليهود أن يخفى فاعلو الجريمة ، فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر .

٣ ــ أن مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها ؛ فإن ما أعدوا من العدة يدل على أنهم ينوون العدوان ، على ما جاورها من البلدان العربية .

٤ ــ لو تصورنا استقلال اليهود ، في مكان ما ، في فلسطين ؛ فما الذي

يمنعهم من الاتفاق مع أية جهة قد تكون معادية للحلفاء ، ومعادية للعرب ، وهم قد بدأوا بعدوانهم على بريطانيا بينما هم تحت حمايتها ورحمتها .

لا شك في أن هذه أمور ينبغي أخذها بعين الاعتبار ، في إقرار السلم في العالم ، عندما ينظر في قضية فلسطين . ففضلاً عن أن حشد اليهود في فلسطين لا يستند إلى حجة تاريخية ، ولا إلى حق طبيعي ، وأنه ظلم مطلق ؛ فهو في نفس الوقت يشكّل خطراً على السلم وعلى العرب وعلى الشرق الأوسط .

وصفوة القول ، إن تكوين دولة يهودية بفلسطين ، سيكون ضربة قاضية لكيان العرب ، ومهدداً للسلم باستمرار ، لأنه لا بد وأن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب . فإذا نفد صبر العرب يوماً من الأيام ، ويئسوا من مستقبلهم فإنهم يُضطرون للدفاع عن أنفسهم وعن أجيالهم المقبلة ، إزاء هذا العدوان . وهذا بلا شك ، لم يخطر على بال الحلفاء العاملين على سيادة السلم واحترام الحقوق . ولا نشك بأنهم لا يرضون بهذه الحال المقلقة المهددة لسلام الشرق الأوسط .

ما كنت أريد في هذا المعترك العظيم ، أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين في هذه الحرب العظيمة ، بهذا الموضوع ؛ وكنت أفضل — وأنا واثق من إنصاف العرب من قبل دول الحلفاء — أن يستمر سكوت العرب إلى نهاية الحرب ، لولا ما نراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية ، بكل عمل مثير مزعج ؛ غير مقدرين الظروف الحربية ومشاغل الحلفاء حق قدرها ؛ عاملين للتأثير على الحلفاء بكل أنواع الضغط ، ليحملوهم على اتخاذ خطة ضد العرب ، تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادىء الحق والعدل .

لذلك أردت بيان حق العرب في فلسطين ، على حقيقته ؛ لدحض الحجج الواهية التي تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية ، دفعاً لعدوانهم ، وبياناً للحقائق ، حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب في بلادهم ، وبلاد آبائهم وأجدادهم ، فلا يسمح لليهود أن ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم

في عدم التشويش على الحلفاء ، في الظروف الحاضرة ، فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه .

وكل ما نرجوه ، هو أن يكون الحلفاء على علم بحق العرب ، ليمنع ذلك تقدم اليهود في أي أمر جديد يُعتبر خطراً على العرب وعلى مستقبلهم ، في سائر أوطانهم ، ويكون العرب مطمئنين إلى العدل والإنصاف في أوطانهم .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي

(عبد العزيز آل سعود)

من عبد العزيز ، الى روزفلت

بسم الله الرحمن الرحيم

(في ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٤ = ١٠ مارس ١٩٤٥)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدةالأميركية

يا صاحب الفخامة .

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها ، لأشاطركم السرور في انتصار المبادىء التي أُعلنت الحرب من أجل نصرتها الخ (وهي نسخة حرفية للرسالة السابقة المرسلة إلى رئيس الوزارة البريطانية المستر تشرشل)

، ، ،

من روزفلت إلى عبد العزيز

البيت الأبيض — واشنطن

٥ إبريل ١٩٤٥

صديقي الطيب العظيم

لقد تسلمت رسالة جلالتكم التي بعثتم بها إليّ ، بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥ والتي أشرتم فيها إلى قضية فلسطين ، وإلى المصالح الدائمة للعرب ، في استمرار كل ما يؤثر في رقيّ وتحسين تلك البلاد .

وإني لممتنّ لجلالتكم ، لانتهازكم هذه الفرصة ، للفت نظري إلى هذه القضية . وكنت حريصاً جداً على الانتباه إلى ما أدرجتموه في كتابكم ، من

آراء وبيانات . وإني أيضاً لمليء الخاطر بتلك المحادثات التي لا تنسى ، والتي جرت بيننا منذ أمد غير بعيد ، فكانت مناسبة ذات تأثير حيّ أدركت به عواطف جلالتكم الطيبة نحو هذه القضية .

وتذكرون جلالتكم أنني في مناسبات سابقة ، أخبرتكم بموقف الحكومة الأميركية تجاه فلسطين ، وأوضحت رغبتنا في أنه لن يُتخذ أيّ قرار يختص بالوضع الأساسي ، في تلك البلاد ، من دون التشاور مع كل من العرب واليهود. ولا شك أن جلالتكم تذكرون أيضاً أنني في خلال محادثاتنا الأخيرة ، أكدت لكم أنني لن أعمل شيئاً — بصفتي رئيساً للسلطة التنفيذية في هذه الحكومة — يمكن أن يضرّ العرب .

وإنه ليسرني أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التي سبق أن تلقيتموها جلالتكم بشأن موقف حكومتي ، وموقفي شخصياً ، كرئيس للسلطة التنفيذية ، فيما يتعلق بقضية فلسطين ، وأن أؤكد لكم أن سياسة هذه الحكومة في هذا الأمر ، لن تتغير . وأود في هذه الفرصة أن أبعث بأحسن تمنياتي بدوام صحة جلالتكم ورفاه شعبكم .

صديقكم الطيب (الحميم)

فرانكلين د. روزفلت

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

ملك المملكة العربية السعودية — الرياض



يوسف ياسين ، والمؤلف
في حفلة توقيع ميثاق الجامعة العربية

الملك عبد العزيز

والجامعة العربية

عرفنا من سيرة الملك عبد العزيز ، في بدء الحرب العامة الأولى (١٩١٤م) أنه عندما علم بخبر نشوبها ، أسرع إلى إنفاذ ثلاثة من رجاله . يحملون كتباً إلى أقرب أمراء العرب منه ، وأبرزهم في الجزيرة ذلك الحين : ابن صباح في الكويت ، وابن رشيد في حائل ، والشريف حسين في مكة ، يقترح الاجتماع بهم للمذاكرة فيما قد يؤدي إلى « اتفاق » ينقذ العرب من أهوال الحرب[١] .

وقرأنا كتابه [٢] الذي بعث به قبل الحرب إلى والي البصرة التركي (العثماني) يقترح فيه على الحكومة العثمانية « أن تدعو رؤساء العرب إلى مؤتمر يُعقد في بلد لا سيادة لها فيه ولا نفوذ، ليقرروا أحد أمرين: إما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة ، أو ولايات مرتبطاً بعضها ببعض فيما هو عامّ ومشترك من المصالح »

وبين أيدينا نص « معاهدة أخوّة عربية وتحالف »[٣] عقدت بعد ذلك بين المملكة العربية السعودية والعراق في محرم ١٣٥٥ (ابريل ١٩٣٦) وانضمت إليها المملكة اليمانية في جمادى الآخرة ١٣٥٦ (أغسطس ١٩٣٧) وقد جاء

---

(١) انظر الصفحة ٢١٥

(٢) انظر الصفحة ١٩٧

(٣) انظر مجموعة المعاهدات ٢٤٢ و ٢٧٠

فيها : « يجوز لأية دولةعربية أخرىمستقلة أن تطلبالانضمام إلىهذهالمعاهدة » وأن الفرقاء الثلاثة المتعاقدين « سيتشاورون فيما بينهم لتنفيذ الأغراض المختصة بالشؤون الإسلامية والقومية العربية » وأن الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين لكل منهم « يجوز أن يقوموا بتمثيل مصالح الفريق الآخر عندما يرغب الخ »

وسائر بنود المعاهدة قائمة علىأساس التعاون . فما كتبه الملك عبد العزيز إلى العثمانيين ، قبل الحرب الأولى ، وما كتبه إلى الأمراء المجاورين له ، في بدء نشوبها ، وما عقده بعد ذلك مع ملك العراق ثم مع ملك اليمن ؛ يدل على أنه كان في طليعة الداعين والساعين إلى جمع كلمة العرب وتوحيد خططهم فيما يصون مصالحهم .

⁎ ⁎ ⁎

حديث الوحدة قبل الجامعة

لا يمكن أن يبدأ الحديث عن قيام فكرة الوحدة العربية ، قبل التعرض لدعوتين أطلقهما وزير الخارجية البريطانية ، مستر إيدن ، فتح بهما الطريق أمام العرب ، لتتفق حكوماتهم على « وحدة » يختارون نوعها : الأولى سنة ١٩٤١ والحرب العامة في إبانها ، وبريطانيا وحلفاؤها ينادون بالويل والثبور . ولم يأبه للدعوة أحد . والثانية ، بعد أن مالت كفة أميركا وبريطانيا إلى الرجحان. وقد سئل إيدن في مجلس النواب البريطاني ، يوم ١٩ صفر ١٣٦٢ (٢٦ فبراير ١٩٤٣) : هل تُتخذ الآن تدابير لزيادة التعاون السياسي والاقتصادي بين البلدان العربية في الشرق الأوسط لإنشاء حلف عربي في النهاية ؟ فقال :

« إن الحكومة البريطانية ، كما أوضحت من قبل ، تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ، لتعزيز الوحدة الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية بينهم. ولكن من الجلي أن الخطوة الأولى لتحقيق أي مشروع ، يجب أن تأتي من جانب العرب أنفسهم . والذي أعرفه أنه لم يوضع حتى الآن مثل هذا المشروع الذي سينال استحساناً عاماً »

⁎ ⁎ ⁎

وتناولت أقلام الكتّاب ، في القاهرة وبغداد والشام ، تصريح إيدن هذا ، بالتشريح والدعم . وأصدر أمير شرقي الأردن بيانين متناقضين ، قال في الأول ٢٦/٢/١٣٦٢هـ (٣/٣/١٩٤٣م): يجب أن يكون العرب هم البادئون بمشروع كهذا ، ولا يمكن أن تتم الوحدة إلا بعد وضع الحرب أوزارها . وقال في الثاني (بعد اسبوعين) : يجب علينا إزاء تصريح المستر إيدن ، أن نبادر إلى إقامة الدليل على استعدادنا للعمل . وأملي الوحيد أن أرى تحقيق وحدة العرب .

ورأت حكومة مصر أن باب الحديث وتشعب الآراء في الصحف المصرية ، قد اتسع ، فأشارت إلى « الرقابة » بإغلاقه ، فأوصد فجأة !

وأرسلت حكومة العراق ، رئيسها السابق ، جميلاً المدفعي ، إلى سورية وفلسطين ولبنان وشرقي الأردن ، ثم مصر . وفي هذه انضم إليه تحسين العسكري (وزير داخلية العراق) فقابلا رئيس الوزارة المصرية ، مصطفى النحاس ، وأدلى جميل بتصريح قال فيه : لمست في أحاديثي مع كثيرين من قادة الرأي العربي ، لهفة إلى تحقيق فكرة الاتحاد ؛ وبقي التنفيذ الذي لا بد أن يسبقه ما نحن جادّون فيه الآن من إجراء محادثات تمهيدية ، مع قادة العرب وزعمائهم ، في مختلف الأقطار والدول .

وخرجت مصر (الرسمية) عن صمتها ، بعد ٣٥ يوماً من تصريح إيدن . فتُلي في مجلس الشيوخ المصري ٢٤ ربيع الأول ١٣٦٢ (أول إبريل ١٩٤٣) تصريح بعث به مصطفى النحاس ، رئيس الوزراء ، جاء فيه : منذ أعلن المستر إيدن تصريحه ، فكرت طويلاً . ورأيت أن الطريقة المثلى هي أن تتناول الحكومات العربية الرسمية هذا الموضوع . ويحسن بالحكومة المصرية أن تبدأ باستطلاع رأي الحكومات العربية ، كل على حدتها . ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقريب بين الآراء ، وندعوهم بعد ذلك إلى اجتماع ودي في مصر ، لهذا الغرض ؛ حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية .

وأشار إلى اجتماعه بجميل المدفعي وتحسين العسكري ، وأنه دعا إلى مصر

رئيس حكومة العراق (نوري السعيد) وسيدعو بعده مندوبين عن الحكومات العربية الأخرى ، ليستقصي منهم ما عندهم في الموضوع .

ولبّى نوري السعيد الدعوة ، فتداول مع النحاس ما عندهما . وتحدث النحاس بأنه سيدعو الآخرين .

كل هذا ، والملك عبد العزيز في الرياض ، يُنقل إليه ما يحدث في العواصم العربية ، وما يقال . ويزن الأمور بموازينه ، يستعرض المبادىء والخواتيم : الإنكليز يقولون للعرب اتحدوا .. نوري السعيد ، ينشر الدعوة في الشام .. النحاس مريض .. أهل مصر يريدون عقد مؤتمر .. البريطاني (السفير) يقول لي : يمكن الأحسن أن يكون للعرب سياسة واحدة .. ما وراء هذا كله ؟!...

يتحدث مع نفسه ، ومع خاصته ، ولا يأذن بكلمة تُروى عن لسانه في هذا الشأن .

وأوجز ما يمكن أن أستعرض به ما دار بينه وبين الحكومة المصرية وغيرها ، قبيل قيام الجامعة العربية ، حديث « رسمي » أفضى به الشيخ يوسف ياسين إلى محمود فهمي النقراشي ، أقتطفه من « مذكراتي » الخاصة هذا نصه :

يوم الأربعاء ٢٢ ذي القعدة ١٣٦٣ الموافق (٧ نوفمبر ١٩٤٤)

ذهبت والشيخ يوسف ياسين لمقابلة محمود فهمي النقراشي بوزارة الخارجية المصرية . وجلسنا معه نحو ساعة ونصف دار فيها الحديث الآتية خلاصته :

الشيخ يوسف : أول ما عرفناه في موضوع الوحدة العربية أن النحاس باشا ألقى بياناً ، قال فيه انه اجتمع بنوري السعيد وتكلما عن شؤون البلاد العربية ، وان النحاس باشا سيدعو مندوبين من جميع الحكومات على انفراد لمعرفة آرائهم في موضوع الوحدة . ثم جاءتنا دعوة من النحاس فكتب له الملك عبد العزيز بأنه لا يرغب في الدخول بمباحثات لم يكن له اطلاع على الباعث عليها . وألحّ النحاس باشا ثم أرسل عبد الحميد منير القائم بأعمال المفوضية

المصرية بجدة ، مع كمال حبيشة بك ، إلى الرياض في رسالة إلى جلالة الملك ملتمساً إجابة رغبته في إرسال مندوب عنه . فلم ير الملك أن يقال إن بين مصر وبلاد المملكة العربية اختلافاً ، فأمرني بالحضور ، فحضرت واجتمعت بالنحاس باشا وأبنت له أن جلالة الملك لا يميل إلى العمل في جوّ تشتمّ منه رائحة الدسائس.

« وسألني النحاس باشا عن رأي جلالته في بعض الأمور ، فأبنتها له . ثم افترقنا على وفاق .

« وجاءتني برقية من جلالة الملك يأمرني بها أن أذهب أنا والشيخ حافظ وهبة لمقابلة النحاس باشا . وأن نظهر له رأي جلالته في أنه لا يرى إمكان القيام بأي عمل ما دامت الظروف الحاضرة قائمة . فتحدثنا مع النحاس باشا في ذلك ، فكان على وفاق معنا ، وعدت إلى الحجاز .

« وبعد مدة قصيرة جاءتنا برقية من مفوضيتنا بدمشق تقول : إن الحكومة السورية تلقت دعوة من النحاس باشا لحضور اللجنة التحضيرية في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ فقلنا : يظهر أن النحاس باشا قرّ رأيه على العمل ، ولم يشأ أن يشركنا فيه ، لعلمه برأي جلالة الملك . وكنا قريري الأعين بذلك .

« ولكن بعد عشرة أيام أخبرني القائم بأعمال المفوضية المصرية بالنيابة ، أنه تلقى كتاباً من النحاس باشا لتقديمه إلى جلالة الملك ، وانه يريد السفر به إلى الرياض . فاستأذنت له ، وذهب . ثم علمت أن الكتاب يشتمل على الدعوة نفسها التي وصلت إلى سورية ، فأرسل جلالة الملك إليه كتاباً يجيب به على الدعوة ، بأنه ما زال على رأيه الأول وأنه إذا أصر النحاس باشا على فكرة عقد اللجنة ، فنحن سنرفض الاشتراك فيها .

« ووصل هذا الكتاب إلى النحاس باشا ، فحفظه عنده ، ولم يردّ عليه بكلمة

« واتفق بعد ذلك حضوري إلى مصر ، لشؤون تتعلق بالحج ، فقابلت النحاس باشا ، وكان الأخ خير الدين حاضراً ، وتحدثنا طويلاً في أنه لم يؤن الأوان لاجتماع اللجنة ، فقال : إنها ستكون تحضيرية . ويمكننا ألاّ نبرم بها شيئاً جوهرياً ، ثم نعلق الموضوع على اجتماع المؤتمر ، ونؤجل المؤتمر

إلى الفرصة المواتية التي توافقون بها على العمل معنا فيها . فناقشته في هذا إلى أن اقتنع بوجهة نظرنا وطلب منا أن نساعده في وضع صيغة يكتبها للذين وجّه إليهم الدعوة للحضور ، يكون بها المخرج من الموقف . فاتفقنا على ان نفكّر في الصيغة المناسبة ، نحن وهو ، ثم نتقابل بعد ثلاثة أيام ، فنقرر ما يتفق عليه الرأي

« وخرجنا معتقدين أن المشروع سيؤجل إلى ان يتيسر العمل في جوّ حرّ . ثم عدنا بعد ثلاثة أيام فإذا هو يقرأ علينا نص كتاب وضعه ليرفعه إلى جلالة مولاي الملك ، وفيه مناقشات وغمزات وإلحاح بالرجاء في أن يوافق جلالته على الاشتراك في اللجنة ، وأن يرسل مندوبيه في الموعد المعين .. وطلب مني أن أتسلم الكتاب لأرفعه إلى جلالة الملك . فلم يسعني إلا السكوت والاكتفاء بأخذ الكتاب ورفعه إلى جلالة الملك بالبريد الجوّي .

« ثم سافرت إلى سورية ولبنان ، واجتمعت بسعد الله بك (الجابري) ورياض بك (الصلح) فرأيتهما يميلان إلى الاشتراك ويحرصان عليه ، فعدت إلى الحجاز .

« وعند حلول الموعد أبرق النحاس باشا إلى جلالته بأن رؤساء الوفود اتفقوا على أن يرفعوا إليه برقية مشتركة يلتمسون بها اشتراكه . ويرجو الموافقة. وأرسلت البرقية فعلاً . ولاحظ جلالته أن خصوم العرب قد يؤولون الامتناع إلى النهاية تأويلاً يفسّر بأن هنا خلافاً بيننا وبين البلاد العربية الأخرى ، ولا سيما مصر ، فوافق جلالته على الاشتراك وأمرني بالحضور ، أنا والأخ خير الدين . ودارت المحادثات على أنها ستبقى سرية إلى أن ينعقد المؤتمر ، وتعرض عليه . ولكن في الجلسة الأخيرة فوجئنا بأن الرغبة متجهة إلى إعلان البروتوكول والبيان ، فقلنا لهم إنكم إن أعلنتم هذا فجلالة الملك سيأبى الاشتراك فيه . وامتنعنا فعلاً عن إمضائه ، فقالوا : ننفرد به ، وتبقون أنتما ومندوب اليمن (وكانت خطته متفقة مع خطتنا) إلى أن تستأذنوا وتأتي الموافقة ، فتضمّوا رأييكم إلى آرائنا . وأذيع البيان .

« ورفعنا كل هذا إلى جلالة الملك ، فتلقيت أوامره وأنا في المستشفى

بعدم الرغبة في الاشتراك ، وأن أوضح لكم رأي جلالته مع بيان ما وقع ، لتكونوا على علم به .

« وأضيف إلى هذا أنه إذا كان الباعث لبعض الحكومات العربية ، أو أفراد منها ، على السير في هذا المشروع ، هو الدعاية واستمالة الرأي العام ، فسياسة جلالة الملك هي العمل ، بدون كلام ولا دعاية ولا نشر أو إعلان . وهذه حوادث سورية ولبنان وفلسطين لقد عمل فيها جلالة الملك ، وكان لعمله أكبر الأثر ،ولم يأذن في نشر شيء . وليس في بلاد المملكة العربية رأي غير ما يراه جلالته ويأمر به ، بعد التروي والتفكير . ثم إن بيننا وبين العراق معاهدة حلف عربي ، لا تعد مقررات اللجنة التحضيرية شيئاً بجانبها . فنحن لا نريد أن نحد من مفعول تلك المعاهدة ، وقد انضم اليمن إلى جزء منها . كما أن بيننا وبين جميع الحكومات العربية معاهدات ، لا يزال العمل جارياً بها ، وإن كان بعضها كمعاهدة الحلف مع العراق لم ينفذ لأسباب وقتية أو شخصية لسنا المسؤولين عنها . فهذه في نظرنا أقوى من قرارات اللجنة التي ليس في أكثرها شيء عملي . وقد وافق جلالته على العملي منها ، وهو الاشتراك في لجنة للدعاية يكون لها مكتب في لندن ومكتب في واشنطن . وسيكون الأخ خير الدين عضواً فيها ، وستعقد اجتماعها الأول الآن في هذا المكان . أما الأمور التي لا يمكن تنفيذها فيرى جلالته أن من إضاعة الوقت الاشتغال فيها . خذ مثلاً التموين فقد كنت اتفقت مع فؤاد باشا سراج الدين على أن تبيعنا الحكومة المصرية ١٠ آلاف طن من الأرز والسكر والذرة لقاء اعتبار الجنيه المصري بعشرة ريالات سعودية في رسوم الحج . ووافق النحاس باشا على هذا الاتفاق ، وأجلنا تبادل الكتابة بشأنه يومين . ثم أردت الاجتماع بفؤاد باشا ، فإذا به يحيلني على بدوي خليفة بك وكيل وزارة الداخلية ، وهذا يبلغني اعتذار فؤاد باشا بعدم إمكان العمل بما اتفقنا عليه ، ويقول : إن السلطة البريطانية منعتهم من بيعنا شيئاً . وخذ مثلاً آخر : كيف يمكن التعاون الجمركي وغيره ، وأكثر البلاد العربية لا تملك زمامها الآن . إذاً ليس في الاستطاعة السير عملياً

بما قررته اللجنة التحضيرية في الوقت الحاضر ؛ ولا بد من انتظار فرصة بعد انتهاء الحرب تكون ملائمة للعمل . وإن جلالة الملك لم يوافق على الاشتراك في المشاورات أولاً ثم في اللجنة التحضيرية ثانياً ، إلا اتقاءً لما يمكن ان يقال من أنه على خلاف مع مصر ، فجلالته أشد الناس حرصاً على حسن العلاقات وتمام الودّ معها .

، ، ،

وأجاب النقراشي « باشا » قائلاً :

« أشكركم جداً على هذا الإيضاح الذي أفادني كثيراً في معرفة الموقف . فما كنت أعلم غير ما تحتوي عليه محاضر الجلسات . وإنما كنت أقرأ بين السطور أن جلالة الملك عبد العزيز غير ميّال إلى السير في المشروع . ولم أعرف السبب الحقيقي الجلي ، قبل الآن . وإني بدوري أذكر لكم أننا لا نرى أن نتقدم إلى أي عمل في هذا ، قبل الوثوق من أن جلالة الملك عبد العزيز راض عنه ، وموافق عليه . وقد جاءني عبد الحميد منير ، قبل أيام ، يسألني عما أريد أن يحمله عني إلى جلالة الملك فقلت له : إنك تعرف كل شيء ولا أريد أن تحمل غير كلمة موجزة تشتمل على كل ما في نفسي ونفوس إخواني ، وهي أننا نرجو أن يعتبرنا جلالة الملك من أولاده .

، ، ،

وفي الاستشارات أيضاً

وجاء دور سورية ولبنان ، في استشارات مصطفى النحاس ، حول الوحدة العربية .

وقبل أن يصل رياض الصلح إلى القاهرة ، ليعرب عن رأي لبنان ، تلقيت من الملك عبد العزيز برقية (بالجفر) صادرة عن الرياض ، هذا حلها :

القاهرة ـ نجدية

« يصل رياض الصلح لمصر للبحث في موضوع المشاورات . وقد أخبر ابنَ زيد بأنه ينتظر معلومات منا ، لتكون خطتهم معنا واحدة .

« عند وصول رياض ، أخبره بأننا ممنونون منه ولا نعدّه إلاّ واحداً منا .

« والشيء الذي تم أخيراً مع النحاس، أنت يا خير الدين تعرفه . أخبره به .

« والذي يهمنا هو أمر سورية ولبنان ، أن يكونا مستقلين ، وبعيدين عن الأهواء والأغراض . وأي اتفاق يكون بين سورية ولبنان على أساس حكمهما الجمهوري ، نحن ممنونين منه ، ونساعد عليه ونؤيده .

« وأي اتفاق بين العرب ، قبل انتهاء قضية فلسطين ، على شكل واضح مبعد للخطر عنها ، يكون باطلاً وغير مفيد .

« وموقفنا الذي وقفناه في الموضوع ما تغير .

« هذا الذي عندنا وإن جدّ شيء خبرونا به ، لأنه من الصعب التقدم وراء هذه الخطوات قبل أن نعرف ما يمكن أن نعمله إزاء المصاعب الحاضرة .

« وهذا هو الذي تم بيننا وبين إخواننا أهل سورية » .

« عبد العزيز »

بروتوكول الإسكندرية

ووضع بروتوكول الإسكندرية في ٢٠ شوال ١٣٦٣ (٧ أكتوبر ١٩٤٤) وتناولته حكومة الملك عبد العزيز ، كما فعلت الحكومات العربية الأخرى . فلما حمل المندوب السعودي (يوسف ياسين) موافقة الحكومة السعودية عليه، كان يحمل أيضاً رسالة خاصة من الملك إلى رئيس اللجنة التحضيرية (وكان رئيس وزارة مصر) مؤرخة في ١٩ المحرم ١٣٦٤ (يناير ١٩٤٥) يبيّن فيها رأي الحكومة العربية السعودية ، في أن يقوم اجتماع كلمة العرب على أسس قوية ؛ ومن هذه الأسس : أن « يعقد بين الدول العربية حلف يرمي إلى تكافلها

وتعاونها ، لسلامة كل منها ، وسلامة مجموعتها ؛ ويضمن حسن الجوار بينهم » وأن « تكون الحرب محرّمة بين الدول العربية » و « كل خلاف يُحل بالتوسط أو بالتحكيم » — « وإذا امتنع أحد الطرفين عن قبول التحكيم أو عن الإذعان لما حكم به ، فللدول العربية نصيحته » — « فإن بغى واعتدى ، فلها بعد التشاور أن تقرر ما تراه لوقف الاعتداء » — « واجتناباً للمشاكل بين الدول العربية يجب أن يكون مفهوماً من البداية أن نظام سورية ولبنان كجمهوريتين ، سيستمرّ . كما هو مفهوم أن استقلالهما التام متفق عليه » — « وتتعاون الدول العربية على تسهيل معاملاتها وتجارتها وتقوية اقتصادياتها ، باعتبارها أمة واحدة ذات مصلحة مشتركة . على ألاّ يحرم هذا التعاون أحداً منها من حريته في إدارته المالية والاقتصادية لبلاده ، بكامل سلطته » — « أما توحيد الثقافة وتوحيد التشريع بين الدول العربية فالحكومة العربية السعودية تراه عملاً مشكوراً ، غير أن ظروفها ووجود البلاد المقدسة فيها ، يجعل لها وضعاً خاصاً ، فهي ستمتنع عن تنفيذ أيّ مبدأ في التعليم أو التشريع يخالف قواعد الدين الإسلامي وأصوله » .

، ، ،

وأعقب ذلك اجتماع « رضوى » وما دار فيه بين عاهلي السعودية ومصر ، فأزمع الملك عبد العزيز السير بالجامعة وتقويتها إلى أبعد مدى .

، ، ،

وفي الثامن من ربيع الثاني ١٣٦٤ (٢٢ مارس ١٩٤٥) احتفل في قصر الزعفران (في القاهرة) بتوقيع « ميثاق جامعة الدول العربية » وأمضاه بالنيابة عن الحكومة العربية السعودية ممثلاها يوسف ياسين ومؤلف هذا الكتاب .

وأصبح من سياسة الحكومة العربية السعودية بعد ذلك ، إحكام صلتها بالجامعة ، والسير في سياستها الخارجية على المنهج الذي تختطه الجامعة ، فيما هو من اختصاصها . ولم تبرم حكومة عبد العزيز طوال حياته أمراً ذا بال ، له علاقة بالدول العربية أو إحداها ، قبل الرجوع إلى رأي جامعتها فيه . ذلك لأن عبد العزيز كان إذا مضى في أمر ، استمرّ ولم يتلفت .



يوسف ياسين يتكلم في الجامعة

الملك عبد العزيز

حكومته وهيأة الأمم المتحدة

في ١٥ ربيع الأول ١٣٦٤ (أول مارس (آذار) ١٩٤٥) كان الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وزير خارجية المملكة العربية السعودية ، قد تلقى من والده ، في الرياض ، تعليمات أبرق على ضوئها من جدة ، إلى المستر جوزيف جرو نائب وزير الخارجية الأميركية في واشنطن ، بما ترجمته :

« للدلالة على رغبة المملكة العربية السعودية في تضامنها وتعاونها مع الأمم المتحدة ، فقد أعلنت اليوم ، أول مارس ، أنها أصبحت في حالة حرب مع حكومتي ألمانيا واليابان ، وقررت في الوقت نفسه الاشتراك في تصريح الأمم المتحدة ، الصادر في أول يناير ١٩٤٢ وذلك ما يخولها أن تعتبر نفسها منضمة إلى هذا التصريح » .

، ، ،

وفي ٧ مارس ١٩٤٥ (٢١ ربيع الأول ١٣٦٤) أعلنت وزارة الخارجية الأميركية في واشنطن ، أن المستر جوزيف جرو نائب وزير الخارجية الأميركية ، أبرق إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وزير خارجية المملكة العربية السعودية ، في جدة ، بالإجابة البرقية التالية :

« تلقيت برقية سموكم ، المؤرخة في أول مارس ، وقد أعربتم بها عن أن المملكة العربية السعودية ، رغبة منها في تأكيد تضامنها وتعاونها مع الأمم المتحدة ، قد أعلنت في ذلك اليوم أنها في حالة حرب مع ألمانيا واليابان ، وقررت

الانضمام إلى تصريح الأمم المتحدة ، واعتبرت نفسها بذلك منضمة إلى هذا التصريح ؛ فإن قرار المملكة العربية السعودية هذا ، قد جعل عدد أعضاء الأمم المتحدة ٤٥ عضواً اشتركوا جميعاً في تصريح الأمم المتحدة ، المنطوي على زماع هذه الأمم الوقوف معاً جبهة واحدة في سبيل كسب الحرب وبناء صرح السلم .

وإن الولايات المتحدة بوصفها أمينة على هذا التصريح ، يسرّها أن ترحب بانضمام المملكة العربية السعودية إلى صفوف الأمم المتحدة » .

، ، ،

وتلقت حكومة الملك عبد العزيز ، سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) دعوة من حكومات أميركا وانكلترة وروسيا والصين ، لحضور مؤتمر « الأمم المتحدة » في سان فرانسيسكو . وأجابت بقبول الدعوة .

كلمة فيصل

وكان موعد المؤتمر (٢٥ ابريل ١٩٤٥) ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٤ فحضره الأمير فيصل ، على رأس وفد . ولما تقدم للتوقيع على « تصريح الأمم المتحدة » ألقى كلمة أعرب فيها عن سروره بتمثيل بلاده ، ثم قال :

« إن الحكومة العربية السعودية ، لتنضم إلى الأمم المتحدة في تصريحها القائل بأن مبادىء السلم والعدالة والحق يجب أن تسود أنحاء العالم ، وأن العلاقات الدولية يجب أن تقوم على هذه المبادىء .

« وإن من دواعي اغتباطي العظيم ، أن أقول : إن هذه المبادىء تطابق تعاليم الدين الإسلامي الذي يعتنقه ٤٠٠ مليون في العالم ؛ وهي التعاليم التي اتخذت الحكومة السعودية منها دستوراً تسير على هديه . ولا غرو فإن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والإخاء » .

المَـلك عَبـد العَـزيـز

والتجاء رشيد عالي الكيلاني ، إليه

وصلت إليّ ، وأنا في القاهرة ، برقية هذا نصها الحرفي :

بواسطة شركة إسترن التلغرافية . في ٢ أكتوبر ١٩٤٥(٢٦ شوال ١٣٦٤)

الشنطة الطائف ٣٢٢/٣٢١ مستعجل فوراً ، يحرص عليها ، لا تسحب غلط ، لأنها مهمة جداً ــ نجدية خير الدين الزركلي . القاهرة . هذه بشفرتك الخاصة :

حلّ البرقية :

أوصل الرسالة الآتية إلى الملك فاروق بأسرع ما يمكن ، وبدون أن يطلع أحد على ذلك :

حضرة صاحب الجلالة الأخ العزيز جلالة الملك فاروق حفظه الله .

أخي إني على يقين بأن الذي يزعجني يزعج جلالتكم وتأتي الأمور بالحوادث بغير اختيار ولا رغبة .

فقد حدث عند خروج أخيكم من بلدكم الرياض ، أن وفد إلينا وفد ، ادعوا أنهم سوريون . فلما وصلوا إلينا ظهر أن أحد رجال الوفد ، رشيد عالي الكيلاني . وتعلمون جلالتكم أننا لم نكن مؤيدين له ، بل كارهين لما كان منه في وقته . ولكن بما أن الرجل حلّ وسط المحارم والعيلات التي هي محارمكم

وبلادكم ، فما وسع أخاكم إلاّ أن يسعى فيما يؤمنه ، كما تقضي به الشمائل الدينية والشيم العربية .

وفي الحال أبرقنا لسموّ الأمير عبد الإله ، رجوناه العفو عنه .

فأرجو من جلالة الأخ العزيز ، أن يساعد أخاه في هذه المهمة ، فيتفضل بالكتابة لسمو الأمير عبد الإله للعفو عنه ، حتى يلتجيء إليه ويعيش تحت ظله .

وإن رأى جلالتكم أن تكون الكتابة لعبد الإله : بأنه بلغكم التجاء رشيد عالي إلى أخيكم ولذلك تطلبون استصدار العفو عنه ، بالأسلوب الذي أنتم أعلم به منا .

وأرجو من جلالة الأخ أن يبقي هذا الموضوع في دائرة السرية والكتمان ، حتى لا تتداوله الألسن بالنشر والتعليق ؛ لأن ذلك أرجى في النجاح .

حفظكم الله وأبقاكم

عبد العزيز

وبعد مراجعة مع قصر عابدين ، أبرقتُ بما يأتي :

٢٦ شوال ١٣٦٤ (٢ أكتوبر ١٩٤٥)

جلالة الملك — الطائف

ج : الملك فاروق في الصيد ، جنوبي البحر الأحمر . طلبت مقابلته ومنتظر جوابه الليلة أو غداً ، لأذهب إليه بالطائرة وأسلمه الرسالة .

خير الدين

ثم أبرقت في ٢٩ شوال ١٣٦٤ (٥ أكتوبر ١٩٤٥) بما نصه :

جلالة الملك — الطائف

توجهت صباح اليوم الجمعة لمقابلة الملك فاروق في الغردقة .

خير الدين

ووصلت إلى « الغردقة » على شاطىء البحر الأحمر ، بطائرة مصرية من طائرات الخاصة الملكية ، يصحبني اثنان من أمناء الملك فاروق ، أحدهما عبد العزيز بدر . وبين مطاري القاهرة والغردقة مسافة ٥٠٠ كيلومتر .

وعند وصول الطائرة ، جاءنا بعض الضباط ، وقالوا : « مولانا ينتظركم » فنزلنا مسرعين ، وتوجهنا إلى الميناء . وكان فاروق في يخته « المحروسة » وقد وصل قبلنا بساعة .

حديث فاروق

وصعدنا « اليخت » فقابلني منفرداً . وهو بملابس الصيد : قميص نصفيّ الكمّين ، وبنطلون رملي لا يستر الركبة . وأول ما بادرني به : أنا الآن صياد ! .. فقلت : ومثل جلالتكم من يصيد الفرص لنجدة إخوانه . ولم يكن يعلم شيئاً عن الموضوع . فقال : عندما جاءني الخبر من مصر كنا في عرض البحر ، فلم أتمكن من تعيين المكان . هات ما عندك . فحدثته عن البرقية وقدمتها إليه .

قرأ الرسالة بإمعان وتروّ . ثم قال بالفرنسية Formidable (عجيب !) هل عرفتم كيف وصل ، ومن أيّ طريق جاء ؟ قلت لا علم لي بشيء عن هذا . قال : وما ظنك ؟ قلت ربما يكون عن طريق تركيا وسورية فهذا أقرب الطرق وأيسرها فيما أظن . قال : ولكنه معروف في هذه البلاد ويصعب أن يختفي . بالله إذا عرفت تفصيل هذا فأخبرني به . فوعدته . قال : ومن هم الذين معه ربما يكونون سوريين ؟ قلت : ربما ولا أدري . فقال : على كل حال ، هذه مشكلة وأملي في النجاح بها ضعيف ، فأنا أقول لك بصفة خصوصية ولا يمكن أن أكتب هذا ويمكنك أن ترفعه أنت عن لساني إلى جلالة الملك ، فتقول له بأنني أعتقد أن الأمير عبد الإله لا يعمل شيئاً في هذا الموضوع إلاّ برأي الإنكليز وموافقتهم وأنا أرجح أن الإنكليز لا يوافقون على العفو عن رشيد . فهذا هو الإشكال الذي يجب أن نفكر في حله . وأنا من جهتي سأعمل كل ما يمكنني ، أو ما يلزم عمله . فقلت : سأرفع ذلك إلى جلالته في الحال .

وانتقل إلى الحديث عن رحلته ، فقال : أمضينا أياماً لذيذة جداً في صيد السمك . ماذا يقولون عن غيابي ؟ فقلت : أمس ذكر لي وزير العراق المفوض أن جلالتكم زرتم الحديدة . فضحك وقال : لا ، ما زرنا الحديدة ولكن وصلنا

إلى مخا .ورأينا من أميرها مقابلة غير حسنة فعدنا أدراجنا «على طول »فاستوضحت منه عما حصل من أمير مخا . فقال: ليس مهماً.ولكن نحن وصلنا إلى مينائها الساعة ٩ صباحاً (أي في الضحى) ورفعنا العلم اليماني إلى جانب العلم المصري وأجرينا المراسم البحرية المعتادة ، وأرسلنا أحد ضباطنا إلى الميناء ليخبر محافظ البلدة أن جماعة من المصريين يريدون زيارتها . فرجع إلينا الضابط يقول : إن أمير مخا يطلب أن تنتظروا إلى ما بعد الظهر ثم يأتيكم الإذن بالنزول . فأمرت البحارة بأن يُقلعوا . ومشينا . وفي الحقيقة أن أمير مخا لا يعرف من نحن ولا يدري أن ملك مصر في اليخت ، ولكن هو يختي على كل حال . وكان يجب أن يقابل الزوّار بالكرم العربي كما رأينا في ينبع وغيرها من الموانىء السعودية . فإنهم كانوا يقابلوننا بكل إكرام وهم لا يعرفون من نحن .

ثم قال : لا تخبر مفوض العراق ولا غيره بهذا . فأنا لا أريد أن يساء إلى أمير مخا . ربما يكون معذوراً . ولكن يمكن لحكومة اليمن أن تنقله فقط .

وقال : وأنا سمعت أيضاً إشاعة في مصر ، بأني زرت المدينة . وجماعتكم يقولون إن المصريين يحبون زيارة المدينة أكثر من مكة . هذا في الواقع لا يخلو من الصحة . وأنا سأحجّ هذا العام إن شاء الله . فرحّبت . فقال : وأنت تتغدى في اليخت ، وتستريح .

وودعته وخرجت . فعلمت من رجال اليخت أن رحلتهم انتهت في باب المندب . وأنه نزل في جزيرة قمران وعرفه أهلها فأكرموه . وقيل لي : إنهم مروا بجزيرة صغيرة ، ولم يحضر أحد من سكانها ، فنزلها بعض جماعته فوجدوها خالية إلاّ من أسراب عظيمة من الغزلان ، دخلوا بينها فلم تنفر منهم ، فصادوا عدداً منها .

في متحف الأسماك :

وكان الملك قد أوصى بأن أزور متحف أسماك البحر الأحمر ، قبل قيامي من الغردقة . فلما خرجت من اليخت زرت المتحف . وقمت مع مؤسسه

الدكتور جوهر بجولة بحرية على زورقه ، وهو زورق خاصّ ، أرضه من الزجاج المقرِّب للأبعاد ، فكنا فيه نرى قاع البحر ، وكأننا نسير فوق شعابه وأسماكه . وفي هذا المتحف رأيت « عروس البحر » في قامة تقرب من قامة الفتاة الصغيرة . رأسها أقرب إلى الاستدارة ، قال الدكتور جوهر انه بحث عنها سبع سنوات حتى ظنها خرافة ، ثم ظفر باثنتين منها . وقال : إنها الفريدة بين الأسماك في كونها ذات ثدي ترضع منه صغارها .

العودة إلى القاهرة :

وعدت بالطائرة ، بعد الغداء ، إلى القاهرة ، فأبرقت للملك عبد العزيز بنص الحديث .

صدى الحديث في الرياض :

وجاءني بريد الرياض ، بعد اسبوع ، وفيه رسالة خاصة ، من الديوان الملكي ، تقول :

« كنا ننتظر أن نجد من فاروق تحمساً أكثر مما أظهره . وقد أجابنا الوصي (عبد الإله) على طلب العفو ، بجواب قانوني . ونحن لا يمكن أن يتغير موقفنا لأن تسليم الرجل إلى المشنقة فيه عار الأبد . وسنستنفد سائر الوسائل السياسية والعاطفية والعربية .

* * *

تصريح

قالت جريدة المصري (القاهرية) ما موجزه :

أثارت جريدة الساعة الصادرة في بغداد في عدد ٣١ يناير ١٩٤٦ قضية رشيد عالي الكيلاني والتجائه إلى المملكة العربية السعودية ، فرأينا أن نرجع

في الموضوع إلى مصدر سعودي مسؤول في القاهرة[١] فصرّح لنا بما يأتي :

إن المنشورات التي تحمل كثيراً من الخيال ، لا يجوز اتخاذ ما تطلع به على قرائها قضايا مسلمة تتأثر بها العلاقات بين بلدين شقيقين كالمملكة العربية السعودية والعراق .

لقد كثر الأخذ والرد في قضية رشيد عالي الكيلاني ولم يعد خافياً موقف الملك عبد العزيز وحكومته فيها . وهي ذات وجهتين صريحتين : وجهة عاطفية ووجهة حقوقية . وكلتاهما لا تخرج عن العرف أو العادات والتقاليد .

لم يفكر الملك عبد العزيز في وقت ما بأن يأتي أمراً يخالف العهود والمواثيق التي ارتبطت بها حكومته وحكومة العراق الشقيق . ويمكنني أن أقول إن جلالته حينما اتصل بأولياء الأمور في الأقطار الشقيقة ، لطلب العفو عن رشيد عالي لم يخالجه أي شك في أن المعاهدة السعودية العراقية لا تفرض عليه تسليمه للعراق. وإنما أراد بعمله أن يرجع الفضل في العفو عن رشيد عالي إلى العراق نفسه ، كيلا يُساء التعبير أو يُمسّ شعور العراق .

حاول الملك عبد العزيز جهد طاقته،أن يصل إلى هذه الغاية ، فأشرك في ذلك جميع ملوك العرب وأمرائهم . ولكن المساعي من هذه الناحية لم يقدر لها النجاح مع مزيد الأسف .

هذا من الوجهة العاطفية . أما الوجهة الحقوقية التي جاء دورها بعد ذلك فإن القضية عولجت على أساسها ، بأن قدمت حكومة العراق إلى الحكومة العربية السعودية طلبها الرسمي ، بواسطة مرجعها المختص ، وساقت ما تستند إليه من أدلة ونظريات ، وأمر الملك عبد العزيز بالإجابة عمّا ورد منها، حسبما تقتضيه نصوص المعاهدة بين الدولتين الشقيقتين . وكان ذلك في ٣ صفر ١٣٦٥ (الموافق ٧ يناير ١٩٤٦) بواسطة المفوضية العراقية بجدة .

وفي اعتقادي أن هذه الصفحة انطوت على أحسن حال . ولا يمكن أن

---

(١) المؤلف .

تترك أيّ أثر في العلاقات السائدة بين البلدين العربيين الأخوين ، خصوصاً في هذه الحقبة التي يحتاج فيها العرب إلى تضافر جهودهم ، للدفاع عن حقوقهم ، وصون كيانهم .

، ، ،

رشيد عالي

ولد رشيد في بغداد سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢م) وتعلم بها.واحترف المحاماة ودرّس في كلية الحقوق العراقية . وعُين وزيراً للعدل سنة ١٩٢٤ واستقال . واشترك مع ياسين الهاشمي ، في تأليف حزب الإخاء الوطني سنة ١٩٢٨وانتخب نائباً في البرلمان (١٩٣٠) وتولى رئاسة الوزارة العراقية أربع مرات ، أولها سنة ١٩٣٠ وفي خلال الحرب العالمية الثانية ، قام أربعة من ضباط الجيش العراقي ، على أوضاع الدولة ؛ بالاتفاق معه . وأقاموه « رئيساً لحكومة الدفاع الوطني » فأرسل وفداً إلى الملك عبد العزيز في الرياض ، برئاسة ناجي شوكت. فلم يرتح عبد العزيز إلى حركتهم في مثل ذلك الوقت العصيب . وأنذرت الطائرات العراقية الجيش البريطاني يوم ١٩٤١/٥/٢ ثم هاجمته . قال عليجودت (في ذكرياته) ما خلاصته : « لم يكن العراق في وضع يمكنه من محاربةالإنكليز فكانت النتيجة أن أصابه من الأضرار المادية والمعنوية ما لا ينكره المنصف مهما يكن حريصاً على سمعة بلاده وشرف قواته الدفاعية » .

واستعان الإنكليز بجيش من شرقي الأردن . وحلت الكارثة . وفرّ رشيد إلى ألمانيا . فلما انقضت الحرب سنة ١٩٤٥ قصد فرنسا متخفياً . وساعده شابان دمشقيان ، على السفر بجواز مزوّر ، إلى بيروت فدمشق فالرياض . ودخل على الملك عبد العزيز ، في أحد مساجدها ، وهو يصلي الصبح ، استعداداً للسفر إلى الحجاز . وعرّفه بنفسه ، فاستعاذ الملك بالله . وأبقاه في رعاية وليّ العهد الأمير سعود . وقام بالطائرة إلى مصيفه في جوار الطائف ، حيث أبرق إلى الأمير عبد الإله ، الوصي على عرش العراق ، وإلى الملك فاروق وآخرين.

واصطدم عبد العزيز بإصرار البريطانيين على إبعاد رشيد، أو تسليمه إلى حكومة العراق . ودون هذا خرط القتاد .. وكانت حجتهم الأولى أنه « مجرم حرب » ثم نزلوا عن هذه الحجة ، وقالوا : إنه محكوم عليه بالإعدام ، في العراق . ودارت محاورات بشأنه بين الحكومتين السعودية والعراقية ، لم يتحول فيها عبد العزيز عن موقفه في حماية ضيفه . واستمر رشيد في زمرة المستشارين الملكيين ، إلى أن توفي عبد العزيز (سنة ١٩٥٣) فغادر البلاد السعودية إلى القاهرة .



رشيد عالي الكيلاني ، بين الأمير (جلالة الملك) فيصل ، والأمير عبد الله بن عبد الرحمن

ولما علم باستقرار حكم الثورة الأولى (ثورة عبد الكريم قاسم) في بغداد ، توجه إليها (سنة ١٩٥٨) فاعتقله قاسم ، وأراد إعدامه . ثم تردد ، فأبقاه سجيناً يرتقب الموت ، ثلاث سنوات . وأُطلق ، فنقل اسرته من القاهرة إلى لبنان ، وتوفي في بيروت سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)

ترومان ومستقبل فلسطين

(رسالة ملكية سُلمت إلى القائم بأعمال مفوضية الولايات المتحدة الأميركية)

، ، ،

جدة ، في ١٦ رمضان ١٣٦٤ (٢٣ أغسطس ١٩٤٥)

سمعنا في الإذاعة أقوالاً نُسبت للرئيس « ترومان » عن مستقبل فلسطين واليهود فيها . وهذه التصريحات ضد مصلحة الأمة العربية جميعها ، وضد مصلحتنا نحن ، في المملكة العربية السعودية ، أصدقاء حكومة الولايات المتحدة.

ونخشى أن تكون أقوال الرئيس ترومان وصلتنا محرفة ، وعلى غير حقيقتها . لأنه من غير المتوقع أن تنهج حكومة الولايات المتحدة سياسة ، هي :

أولاً ، تسيء إلى جميع المسلمين في العالم .

ثانياً ، تضر الأمة العربية جميعاً .

ثالثاً ، تناقض تأكيدات الحلفاء في عدم الإضرار بحقوق العرب ، كما تناقض الوعود التي أُعطيت إلى عرب فلسطين وإلى العرب باسم فلسطين ، في عدم المساس بحقوقهم .

رابعاً ، تتناقض مع التأكيدات التي أكدها الرئيس روزفلت شفوياً للملك عبد العزيز ، في ١٥ إبريل ١٩٤٥

لذلك فإن الحكومة العربية السعودية ، ترجو معرفة الحقيقة في سياسة الولايات المتحدة ، التي تثق الحكومة العربية السعودية بأنها لن تكون ضد سائر المسلمين والعرب في العالم ، كما أنها لن تنقض الوعود والتصريحات التي سبقت مما أشير إليه أعلاه .

، ، ،

من الملك عبد العزيز الى ترومان

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٠ محرم ١٣٦٥ (٤ يناير ١٩٤٦)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة .

لقد كان من دواعي سروري أن أنتهز فرصة سفر سعادة الكولونيل إدي الوزير المفوض للولايات المتحدة الأميركية ، إلى واشنطن ، فأبعث لفخامتكم بهذه الرسالة ، أجدّد فيها صلات المودة بيني وبين فخامتكم وحكومة الولايات المتحدة وشعبها .

إن الرجوع إلى الماضي القريب ، ونظرة في الموقف ، تدعوني وأعتقد أنها تدعو فخامتكم لروح الغبطة والسرور ، ولروح الصداقة والتعاون التي يشعر بها كل منا نحو الآخر . فالتعاون الذي كان بين بلدينا ، في أثناء الحرب ساعد على تقوية العلاقات . وقد رأينا أن كل فريق منا كان في حاجة إلى معونة الطرف الآخر .

وإني أرى كما ترون فخامتكم ، أن العلاقات بين الولايات المتحدة وهذه البلاد العربية السعودية ، قد تكون أقوى من أيّ علاقات للولايات المتحدة مع أيّ بلد من بلدان الشرق الأوسط .

إن الشعور بهذه الروح من الصداقة والعلاقات الودية ، يجعلني لا أجد في نفسي أي حرج في أن أكرر على فخامتكم آرائي التي طالما أوضحتها لفخامتكم ولسلفكم صديقي العظيم ، فيما تستهدف له البلاد العربية جمعاء من المخاطر ؛

ومن الظلم الذي يصيب فلسطين من جراء استرسال الدعاية الصهيونية، وأعمالها البشعة في فلسطين .

لقد أوضحت ، وأوضح سائر العرب والمسلمين ، حقهم والظلم الذي يصيبهم والخطر الذي يهددهم من جراء البرنامج الصهيوني المبيّت لفلسطين ولسائر البلاد العربية . ولا أريد في كتابي هذا أن أزيد على ما سبق وأُوضح من قبل .

ولكني أحب أن أبدي لفخامتكم اندهاشي من القرارات التي نُسبت إلى مجلس الكونجرس الأميركي ، وإلى مجلس النواب الأميركي ، في تأييد الهجرة الصهيونية لفلسطين .

لقد اعتاد الصهيونيون بما لهم من وسائل الدعاية أن يحرفوا سائر الأقوال ، كما تقتضيه أهواؤهم ، وسبق أن حرفوا كلام فخامتكم . وليس كثيراً أن يحرفوا أقوال مجلس الكونجرس الأميركي ومجلس النواب الأميركي . ولكن إن صح ما نُسب للمجلسين ، فإنه يكون مجالاً للدهشة والاستغراب . لأن ذلك يدل على أن رجال المجلسين قد ضللوا ضلالاً كبيراً ، بتأثير الدعايات الصهيونية الكاذبة التي جعلت المجلسين يُصدران حكماً في إدخال أمة جائرة ظالمة ، على بلاد آمنة ، مما لم يعمله المجلسان تجاه أي بلد في الدنيا ، ولم يعمله مجلس له صفة النيابة في بلاده ، تجاه بلاد أجنبية عنه .

إنني أعلم أن سلامة البلاد العربية السعودية ، تهم حكومة الولايات المتحدة، ومن أجل ذلك طبق عليها نظام الإعارة والتأجير أيام الحرب العامة . وأحب أن يتأكد فخامتكم ويتأكد الشعب الأميركي ، أن برنامج الصهيونية ، والاستعدادات التي للصهيونية في فلسطين ، لا تعتبرها الحكومة العربية السعودية موجهة لفلسطين وحدها ، بل هي في نفس الوقت ، تعتبر خطراً مهدداً للمملكة العربية السعودية. وقد أوضحت هذا بكل جلاء لسلفكم الراحل العظيم الرئيس روزفلت .

فاستناداً للصداقة التي أشعر بقوتها ، المتبادلة بيننا ، أحب أن يتأكد لفخامتكم ولحكومتكم ، وللذين يمثلون قيادة الأمة الأميركية في مجالسها النيابية ، أن

قضية الصهيونية نراها مهددة للأمن في الشرق الأوسط ، ونعتبرها مهددة لأمن مملكتنا ، وهو الذي نعتقد أن حكومة الولايات المتحدة لا يمكن أن تساعد على السماح به ، إذا تأكد ذلك لديها .

وأرجو أن يكون هذا البيان مساعداً على تفهم خطورة الموقف ، زيادة على البيانات السابقة التي اطلعت عليها حكومة الولايات المتحدة ، من الرأي في مناسبات مختلفة .

وأرجو أن تقبلوا تحياتي

عبد العزيز آل سعود

في زيارته الثانية لمصر

ألقى الملك عبد العزيز نظرة خاطفة على ديار وادي النيل ، عقب اجتماعه في « البحيرات المرة » بالرئيس الأميركي روزفلت سنة ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) ولم يشأ أن يجعل تلك الزيارة رداً لزيارة فاروق يوم جاءه في سفوح « رضوى » فخصّه بالثانية لتكون خالصة للديار المصرية .

واستعدت مصر للقاء ضيفها استعداداً منقطع النظير .

ووصلت إلى ميناء جدة ثلاث سفن مصرية ، مزدانة بالأعلام والشارات ، تحمل إحداها بعثة شرف أُوفدت لمرافقته في قدومه إلى السويس .

ونزلت بعثة الشرف بجدة ، فصحبت عبد العزيز إلى اليخت « محروسة »

وتحرك اليخت ، عصر الاثنين ٤ صفر ١٣٦٥ (٦ يناير ١٩٤٦) فمرّ صباح الخميس ٧ صفر أمام فنار « زينوبيا » حيث كانت في انتظاره زوارق البوليس المصري ومصلحة خفر السواحل ، فأحاطت به للحراسة . وعلى مقربة من « پور توفيق » بالسويس ، حلّق فوق اليخت سرب من طائرات سلاح الطيران ، وأطلقت قلعة السويس ٢١ مدفعاً ، ورسا اليخت بميناء بور توفيق ، ضحى الخميس ، وصعد ملك مصر لمعانقة العاهل السعودي . وقدّم الضيفُ إلى المضيف من كان معه من الأمراء والوزراء وكبار الحاشية . كما قدم المضيف رئيسي وزرائه وديوانه ووزير خارجيته وبعض كبار موظفيه .

وامتطى الملكان « القطار الخاص » في السويس ، إلى القاهرة . وفي محطة القاهرة كان كبار الدولة في الاستقبال. وقدّمهم المضيف إلى ضيفه بأسمائهم .

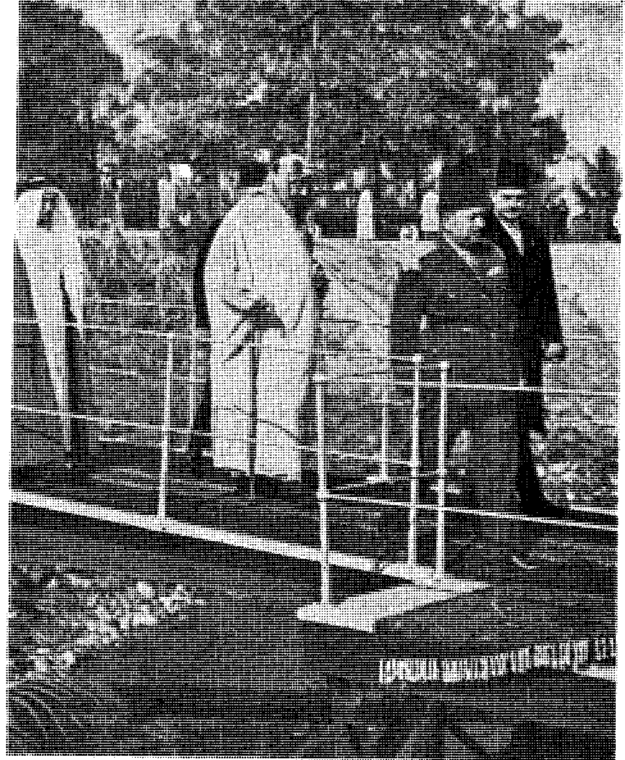
ومضى الركب إلى قصر عابدين ، بيت المضيف، ثم ركب الملكان إلى قصر « الزعفران » المعدّ لإقامة عبد العزيز ومن معه .



وتتابعت في الأيام التالية الولائم والرحلات والحفاوات . وكان مما زاره الضيف : الجامعة المصرية ، وسباق الخيل ، والقناطر الخيرية ، والبرلمان ، والمتحف الزراعي، وحديقة الحيوانات ، ومصانع الغزل والنسيج في « المحلة الكبرى » ومزرعة أنشاص، ومعالم الإسكندرية ، وبات بها في قصر « رأس التين » واختتمت الزيارة بمأدبة غداء في قصر عابدين ، يوم الإثنين ١٨ صفر (٢١ يناير)











وداع مصر

وكان الوداع من محطة مصر ، يوم الثلاثاء ١٩ صفر (٢٢ يناير) والإبحار من ميناء بور توفيق ، في أصيل اليوم نفسه ، على اليخت « محروسة » والوصول إلى جدة في صباح الجمعة ٢٢ صفر ١٣٦٥ (٢٥ يناير ١٩٤٦)

يخاطب الشعب السعودي

وما كاد الملك عبد العزيز يبلغ ميناء جدة، حتى أذاع في شعبه كلمة أشار بها إلى اجتماع « رضوى » وما أسفر عنه من وفاق ، وإلى ما قدمت بلاد النيل من حفاوة به وإكرام ، ثم قال :

« شعبي العزيز !

« من فضل الله علينا جميعاً أن كانت كلمتنا في هذه الزيارة والتي قبلها مجتمعة ، على مواصلة جهودنا في تأييد جامعة الدول العربية ، وبذل كل مرتخص وغال في تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة ، بالقلب والروح ، لما فيه خير دول الجامعة بل لما فيه الخير لسائر البلاد الإسلامية والعربية . وسنستمر على هذه السياسة بمشيئة الله ما حيينا ، وسنورثها بنينا حتى يظل العربي يشعر في كل موطن يمر به من بلاد العرب بأنه يسير في موطنه ويعتز في كل موطن من تلك المواطن بما يعتز به في وطنه وبلاده .

« شعبي العزيز !

« ليس البيان بمسعف في وصف ما لاقيت . ولكن اعتزازي أني كنت أشعر بأن جيش مصر العربي هو جيشكم ، وجيشكم هو جيش مصر ، وحضارة مصر هي حضارتكم ، وحضارتكم هي حضارة مصر ، والجيشان والحضارتان جند للعرب .

في خلال الرحلة

أمضى الملك عبد العزيز اثني عشر يوماً في وادي النيل ، وما رُئي وجهه يطفح بالبشر ، كما كان في أيامه هذه بمصر .

، ، ،

زار وادي النيل ، وفي الوادي أحزاب ، فتلقاه شعبها « حزباً واحداً »

، ، ،

وكانت الأقلام على أشد ما تكون اعتراكاً في صحافة مصر ، فلماحلّ بها عبد العزيز تهادنت على غير موعد ، وتناست كل حديث إلاّ ما يسرّ الضيف.

، ، ،

حان موعد حفلة للعشاء في قصر عابدين ، وقد وصلت أوسمة من التشريفات الملكية للجميع ما عدا أصغر أنجال الملك عبد العزيز ؛ وعلى بطاقات الدعوة كلمة « بالأوسمة » فعزّ على الملك أن يتخلف أحد أبنائه أو يذهب ولا وسام على صدره ، فأطال الجلوس .. وتدارك الأمر أحد « باشوات » القصر ، فانزوى بحيث لا يراه أحد وانتزع وسامه وأقبل به على الأمير ، وهو يقول : قد وجدنا الوسام .. ونهض الملك ...



ولوحظ في اليوم الثاني وجود ثلاثة أوسمة ، مكسّرات ، وملقاة في ردهة القصر .. ذلك لأن بعض أتباع الحاشية رأوا أنها دون ما يستحقون ..

، ، ،

وكان الملك عبد العزيز يجلس للمسلّمين عليه ، مجلساً عاماً في قصر الزعفران . وجاء وفد من المتعممين ، فسألوه عن قضية فقهية انفرد بها مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فأشار الملك إلى أخيه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، وقال : هذا أخي ، هذا فقيه آل سعود وعالمهم ، اضربوا معه موعداً للحديث ، إنه أعلم مني بما تذكرون . وصمت السائلون .

الملك يتحدث ، والعقّاد يروي

كان الأستاذ « عباس محمود العقاد » من أعضاء وفد الشرف الذي حضر من مصر إلى الحجاز ، لمرافقة الملك عبد العزيز في زيارته هذه لبلاد وادي النيل .



عباس محمود العقاد

ويذكر العقاد [١] أن حديثاً دار في مجلس الملك عبد العزيز ، وهم متجهون من جدة إلى السويس ، على « يخت المحروسة » . وكان الحديث عن « الجامعة العربية » فقال الملك : إنها منار لنا ، لأنها تصدر في أعمالها عن بحوث مشتركة بين ذوي الرأي والبصيرة ، يرون في جملتهم ما لا يراه أهل كل بلد على انفراد . وإنها دريئة للدول العربية ، لأن حجة الدولة التي تحتج بقرار الجامعة

---

(١) في مقال له بعنوان « مع عاهل الجزيرة العربية » نشر في مجلة « الكتاب » بتاريخ صفر ١٣٦٥ (فبراير ١٩٤٦) .

قائمة ، وعذرها فيما ترضاه أو تأباه مقبول .

قال العقاد : وشفع جلالته هذا البيان بمثل بليغ ، كعادته في توضيح آرائه بالمواعظ والأمثال ، فقال :

كان في مملكة من الممالك منار مغناطيس ، يكشف البحار من حولها ، وينتزع الحديد من السفن التي تغير عليها ، فلا يقدر أحد على فتحها . واشتدت شوكة هذه المملكة ، فحسدها جيرانها وأخذوا في تدبير المكايد لهدم منارها ، فدسوا عليها جاسوساً من جواسيسهم يتزيا بزيّ النساك الصالحين ، ثم تركوه يقيم فيها ردحاً من الزمن حتى يستجمع الثقة والمودة من أبنائها . وطفق هذا الجاسوس يصنع لهم الكرامات ويدلهم على مخابىء الكنوز ويمخرق عليهم بالعجائب حتى أنسوا به واطمأنوا إليه ، فلما عرف مكانته عندهم ، جاءهم في بعض الأيام برؤيا يزعم أنه رآها ، ويزعم لهم أنه يخاف عقباها . وسألوه عما يخافه فأحجم ثم أحجم وهو يغريهم بالإلحاح عليه كلما اصطنع لهم الإحجام وتردد في الجواب ، فلما شوّقهم غاية التشويق إلى استطلاع الخبر قال لهم : إني مطلعكم عليه والعهدة عليكم ، وإن تحت هذا المنار كنزاً من الذهب والجوهر يغنيكم عما في الأرض وما رحبت من النفائس والخيرات ، ولا تنالونه إلا بهدم المنار ، ولكن حذار حذار من الإقدام على هدم المنار .

وكان الرجل كاذباً في نية التحذير صادقاً في نية الإغراء ، فما هو إلا أن سمعوا منه إغراءه بالنفائس والخيرات حتى دكوا المنار دكاً ، فعرفوا غفلتهم واستبيحت حوزتهم ، وفقدوا الدريئة وفقدوا النور ، فتمكن منهم من كان يتقيهم من الجيران والأعداء .

قال جلالته : « وكل عربي يمس هذا المنار طمعاً في المال والحطام إنما يصيب قومه بمثل ما أصاب أولئك الغافلين .

ومن حديث للملك مع بعض السوريين

في الرسالة المسماة « ليلة في المصمك » أنه لما كان الملك عبد العزيز في زيارة مصر (في الشهر الأول من سنتي ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) استقبل وفداً من أعيان السوريين فيها ، وصحفييهم . وكان مما قال لهم :

« لقد سمعت كثيراً أن السوريين ، يتكلمون ولا يتفقون على رأي . وأغضيت عن هذا لعلمي بأن دمشق مبعث الحركة العربية .

« شعرت بمثل ما أنتم فيه الآن ، أيام حروبي مع ابن رشيد . ابتعد عني كثير من أبناء عشيرتي لما كنت ضعيفاً . والتفّ حولي كثيرون من أعدائي يوم ارتفعت رايتي .

« عشت ٢٥ سنة في البراري . وتحملت وقاسيت وأصابني من ضربات السيوف ما جعل الحياة في نظري لا تساوي شيئاً أمام إعلاء كلمة الحق .

« نحن الملوك والرؤساء لسنا كل شيء في شعوبنا . نحن نعمل وعلى البلاد أن تعمل أيضاً .

« تأكدوا بأنني لا مطمع لي في سورية وإنما أريدها مستقلة حرة . ووصيّتي لكم أن تتعاونوا . أنا لجميع العرب وخاصة لسورية ..

الحديث نفسه ، في رواية من سمعه

وبعد إثبات الخلاصة المتقدمة ، من حديث الملك مع بعض السوريين في مصر ، قرأت في كتاب « العرب في طريق الاتحاد [1] » تحت عنوان « عاهل الجزيرة العربية » ما يأتي :

كنت مع من كان من زملائي الصحفيين ، نستمع إلى حديث الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد تفضل بالحديث التالي ، قال :

---

(١) لمحمد شاكر الخردجي ، المجلد الأول المطبوع في دمشق سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)

« العرب بمثابة جسد واحد ، والجسد الواحد يعني الاتحاد . وعلينا أن ننهض متكاتفين متضامنين ، فالإنسان بمفرده لا يستطيع أن يحتلّ مكانه في هذا العالم القلق ، إلاّ بمعونة إخوانه . ونحن لا نستطيع أن نسير إلاّ بمساعدة إخواننا العرب ، ونتكاتف معهم . فالاجتهاد والسعي واجبان على كل إنسان . ونسأل الله عز وجل أن يهيىء للعرب والمسلمين من أمرهم رَشدا . ولا يمكن لأي شخص تسري في دمه روح العروبة ، أن يتقاعس عن الاجتهاد لما فيه خير بلاده . هذا هو الصحيح . هذا هو الصحيح .

« يجب علينا التأني والتروي في الأمور ، لأن الدنيا لا تُبنى في يوم واحد . إن العرب يحتاجون إلى التضامن ، وخصوصاً في هذا الوقت . قال الله سبحانه : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » إذا حصل منا الاعتصام الواجب ، وقمنا بالواجب علينا ، ففي هذا كل الخير ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

« ثم إنني أقول لكم أن لا تعتمدوا كل الاعتماد علينا ، نحن الملوك والأمراء ورؤساء الحكومات ، بل العمدة عليكم أنتم . ويجب أن تكونوا صفاً واحداً . ويجب أن تساعدوا الذين يترأسون عليكم بإطاعتكم ، لأن المخالفة والتفرقة مضرتان ولا تتفقان ومصلحة الوطن . وهذا واجب على كافة أفراد الأمة .

« ولكن الذين يعملون على التفرقة ، إذا تنبهنا إليهم ، فيكون نصيبهم الخسران . وذلك بأن نلجأ إلى الاتحاد ، فالاتحاد دعامة القوة . وأطيعوا رؤساءكم ففي الطاعة نصر لكم . ولكم في عمل خالد بن الوليد ، وهو أعظم وأنجب شخص ظهر في العرب ، فقد جاءه الأمر بالعزل من عمله وهو في عنفوان قوته ، ومع ذلك لم يلبث إلاّ ريثما أتم المعركة ، ثم ترك القيادة لغيره ، ونزل منزلة الأسير . ولكنه أطاع ، فكانت طاعته نصراً عظيماً ومثلاً عالياً في حسن الخلق وعظيم الأسوة .

« وأنتم الخَلَف ، سيروا على منهاجهم . أنتم الذين تريدون التأثر بتاريخهم أخشى عليكم من الشيطان .

« يجب على رؤسائكم مراعاة شؤونكم ، والاهتمام بأموركم . قال الله

تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ». ثم إن الدين هو أعز من النفس . ونحن العرب والحمد لله مشهورون بالعفاف والنجابة .

وهنا تكلم عما أصاب آل سعود من تفكك عراهم وفقدان ملكهم . وأنه لما انتصر ، اصطدم بالترك . ولكن الله أظفره . وخشي من انتشار الفوضى بين قومه لتعدد الرئاسة وتفرق الكلمة ، إلى أن قال : « ولما استولينا على نجد ، طلبت من والدي الإمام عبد الرحمن ، أن يتولى الأمر في الأمة ، وأنا أظل مجاهداً على رأس الجيش ، فأبى رحمه الله أن يحرم الظافر من ثمار ظفره .

وعاد جلالته إلى القول : « ان التفرق لا ينبغي أن يكون بين العرب . فيجب علينا الاتحاد والتضامن وإزالة الفوارق بيننا . ويجب أن نعدل ونحكم بالعدل . يقتضي أن نترك الأهواء ، ولا نهتم بالكراسي . الكراسي أذهبتكم أيها الناس . فما معنى الحرص على الكرسي وهو مزعزع ؟

« اسألوا هذا الرجل – وأشار بيده إلى جميل مردم – أنا كنت أول من اعترف بسورية دولة مستقلة . وأثار هذا الاعتراف عتب بعض رجالكم . وإن اعترافي باستقلال سورية هو ذخيرة لها تنتفع بها عند اللزوم . وها هي قد انتفعت به والحمد لله .

« لا تؤخذوا بمدنية أوربا الزائفة ، وتتركوا فضائلكم . فعدوّ البلاد لا يعمل لما فيه خيرها . ونصيحتي لكم أن تعملوا ما عملنا نحن ، وما عمله أسلافكم الأطهار ، فالذي يصبر يظفر . وقد آثرنا مصلحة البلاد العربية على مصالحنا الخاصة . ملكنا بالسيف بعدما حاربنا حروباً متواصلة . وها هو جسمي (وكشف عن جانب من جسده) يشهد بما فيه من جراح لا تزال آثارها شاهدة على ما كابدنا وعانينا من المصاعب في سبيل استرجاع ملكنا والمحافظة عليه .

واستطرد قائلاً : « إن السوريين وقعت على كواهلهم معظم مصائب الحرب والجهاد ، في سبيل العرب والعروبة . وعندما وقعت أنا في بعض المصاعب ، وجدت منهم العون والمساعدة .. فأنا أحبهم ، ويسرني القول إن جُلّ رجالي هم من السوريين . فإن وجدتم في البلاد مصلحاً فالتفوا حوله ،

ما دام يحب العدل ويعمل له . عليكم بالتضامن . هذه نصيحتي وهذا رأيي أوجهه للعرب عامة ولكم يا أهل سورية خاصة .

« أحبّ إليّ أن تكون سورية مستقلة ، تحكم نفسها بنفسها ، ويرى أمورها رجالها . وليس لي مقصد بأن أحكم بلادكم بنفسي ، أو بأحد أبنائي . بل أقول لكم : اعتمدوا على أنفسكم ، فخير لكم أن تتولوا أموركم بأنفسكم . لكم الآن صديق ، هو أنا . واعتصموا بحبل الله ويدكم واحدة . هذه نصيحتي وأنا لكم ومعكم .

« لقد قابلت روزفلت ، وتكلمت معه بشأن سورية ، ولبنان ، وفلسطين. وفاتحني هو بشأن إصلاح بلادي ، بما تحتاج إليه من تحسين الزراعة ونشر المعارف وإصلاح حال الجيش ، فقلت له : إنني أحب العمل للبلاد العربية كافة ، ليس لبلادي خاصة . وليس لي مطالب من الأميركيين ، سوى سورية ولبنان وفلسطين . فوعدني بمساعدة العرب . ثم قال روزفلت : إن الصهيونية لا تؤثر فيّ ولا في انتخابات بلادي ، لأن مليون صوت يهودي لا يؤثر في عشرات وعشرات الملايين من الناخبين الأميركيين .

وختم جلالته الحديث قائلاً : « نحن جنود لخدمة الوطن العربي في كل بقعة من بقاعه . نشأنا على هذا ، وسنظل على ذلك ، حتى ينال العرب استقلالهم جميعاً . أنا لا يهمني ترَف الحياة ، فطالما تركت الغذاء أياماً ، وأنا أجاهد . والآن لا أزال مستعداً أن آكل يوماً وأجوع يوماً ، لتعيش بلاد العرب جميعاً .

الملك عبد العزيز

والمياه الإقليمية في بلاده

في أول شعبان ١٣٦٨ الموافق (٢٨ مايو ١٩٤٩) صدر « مرسوم ملكي » بتحديد المياه الإقليمية للمملكة ، أُثبت نصه فيما يلي ، لما اشتمل عليه من التفصيل الدقيق :

« نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

« بعد الاعتماد على المولى تعالى ، وبالنظر إلى رغبتنا في تحديد المياه الإقليمية للمملكة ، رسمنا بما هو آت :

المادة الأولى — لأغراض هذا المرسوم — أ — يقصد باصطلاح « الميل البحري » ١٨٥٢ متراً — ب — يقصد باصطلاح « خليج » أيّ خور أو دوحة أو شرم أو لسان من البحر — ج — يقصد باصطلاح « جزيرة » أي جزيرة أو شعب أو صخرة أو قطعة أو فشت أو قصار أو بناء صناعي دائم لا تغمرها المياه في أدنى مستوى يصل إليه الجَزْر المنخفض . — د — يقصد باصطلاح « ضحضاح » منطقة مغطاة بماء ضحل يبقى منها جزء غير مغمور بالمياه في أدنى مستوى يصل إليه الجزر المنخفض . — ه — يقصد باصطلاح « ساحل »

سواحل البحر الأحمر وخليج العقبة والخليج الفارسي .

المادة الثانية — إن المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية ، وكذا الفضاء الجوي الذي فوقها ، والأرض التي تحتها ، وما تحتها من باطن الأرض ، خاضعة لسيادة المملكة مع احترام أحكام القانونالدولي الخاصة بالمرور السلمي لمراكب الأمم الأخرى في البحر الساحلي .

المادة الثالثة — تضم المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية ، كلاً من المياه الداخلة في المملكة وبحر المملكة الساحلي .

المادة الرابعة — تشمل المياه الداخلة في المملكة — أ — مياه الخلجان الواقعة على طول سواحل البلاد العربية السعودية — ب — المياه التي فوق وتجاه البر من أي ضحضاح لا يبعد أكثر من ١٢ ميلاً بحرياً عن البر ، أو عن أية جزيرة عربية سعودية — ج — المياه التي بين البر وبين أية جزيرة عربية سعودية لا تبعد عن البر أكثر من ١٢ ميلاً بحرياً — د — المياه التي بين الجزر العربيةالسعودية التي لا تبعد إحداها عن الأخرى أكثر من ١٢ ميلاً بحرياً .

المادة الخامسة — يقع البحر الساحلي للمملكة العربية السعودية فيما يلي المياه الداخلية في المملكة . ويمتد في اتجاه البحر إلى مسافة ستة أميال بحرية .

المادة السادسة — خطوط القاعدة التي يقاس منها البحر الساحلي للمملكة العربية السعودية ، تكون كالآتي — أ — أدنى حد لانحصار الماء على الساحل إذا كان البر أو شاطىء جزيرة ما مكشوفاً بأكمله للبحر . — ب — في حالة مواجهة للبحر المفتوح ، خطوط ترسم من أحد طرفي الأرض من مدخل الخليج إلى الطرف الآخر . — ج — ضحضاح لا يبعد أكثر من ١٢ ميلاً بحرياً عن البر ، أو من جزيرة عربية سعودية ، خطوط ترسم من اليابس أو من الجزيرة على طول الحافّة الخارجية للضحضاح . — د — في حالة ميناء أو مرفأ في مواجهة

البحر المفتوح ، خطوط ترسم على طول الجانب المواجه للبحر من المنشآت الأكثر بروزاً من منشآت الميناء أو المرفأ ، وخطوط ترسم كذلك فيما بين أطراف تلك المنشآت . — هـ — في حالة جزيرة لا تبعد عن البر أكثر من ١٢ ميلاً بحرياً ، خطوط ترسم من البر على الشواطىء الخارجية للجزيرة . — و — في حالة مجموعة جزر يمكن وصلها ببعضها بخطوط لا يزيد طول الواحد منها على ١٢ ميلاً بحرياً ولا تبعد أقرب جزيرة منها عن البر أكثر من ١٢ ميلاً بحرياً ، خطوط ترسم من البر ثم على طول الشواطىء الخارجية لجميع جزر المجموعة ، إذا كانت الجزر على هيأة سلسلة ، أو ترسم على طول الشواطىء الخارجية الأكثر بروزاً من المجموعة إذا لم تكن الجزر على هيأة سلسلة . — ز — في حالة مجموعة من الجزر يمكن وصلها ببعضها بخطوط لا يزيد طول الواحد منها على ١٢ ميلاً بحرياً ، خطوط ترسم على طول الشواطىء الخارجية لجميع جزر المجموعة إذا كانت الجزر على هيأة سلسلة أو ترسم على طول الشواطىء الخارجية للجزر الأكثر بروزاً من المجموعة إذا لم تكن الجزر على هيأة سلسلة .

المادة السابعة — إذا ترتب على قياس المياه الإقليمية ، عملاً بأحكام هذا المرسوم ، ان تخلف حيّز مما يعتبر من مياه أعالي البحر ، تحيط به المياه الإقليمية من جميع الجهات ، ولا يتجاوز امتداده في أي اتجاه ١٢ ميلاً بحرياً ، فإن ذلك الحيز يكون جزءاً من المياه الإقليمية . وينطبق الحكم نفسه على أي جيب متميز بوضوح من البحر العالي يمكن تمام إحاطته برسم خط مستقيم واحد لا يزيد طوله على ١٢ ميلاً بحرياً .

المادة الثامنة — إذا حدث أن تداخلت مياه دولة أخرى بالمياه الداخلة المبيّنة في المادة الرابعة من هذا المرسوم أو بالبحر الساحلي المقيس من خطوط القاعدة

المحدودة في المادة ٦ من هذا المرسوم ، تُعَيِّن حكومتنا الحدود بالاتفاق مع الدولة صاحبة الشأن طبقاً لمبادىء العدل .

المادة التاسعة — لتنفيذ قوانين المملكة بشأن الأمن والملاحة والأغراض المالية ، يتناول الإشراف البحري منطقة ملاصقة تلي البحر الساحلي وخارجة عنه ، تمتد إلى مسافة ٦ أميال بحرية تضاف إلى الستة الأولى المقيسة من خطوط القاعدة للبحر الساحلي ، حسب أحكام المادة ٦ من هذا المرسوم . ومع ذلك فلا شيء في هذه المادة التاسعة يعتبر سارياً على حقوق المملكة بشأن الصيد .

المادة العاشرة — على وزيري خارجيتنا وماليتنا ، تنفيذ هذا المرسوم .

المادة الحادية عشرة — يعمل بهذا المرسوم اعتباراً من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية[١] صدر في قصرنا بالرياض في اليوم الأول من شهر شعبان سنة ١٣٦٨ هجرية ، الموافق للثامن والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٤٩ .

، ، ،

وصدر في اليوم نفسه « نطق ملكي » عن سياسة المملكة العربية السعودية فيما يختص بما تحت البحر وقاعه ، في مناطق الخليج المتاخمة لسواحل المملكة العربية السعودية ، هذا نصه ، بعد مقدمة مسهبة :

« إن ما تحت البحر وقاعه في تلك المناطق من الخليج[٢] ابتداءً من البحر الساحلي لمملكتنا نحو البحر ، بيد أنه متاخم لسواحل المملكة ، قد صار الإعلان عنه بأنه يتعلق بالمملكة العربية السعودية ، ويخضع لولايتها ورقابتها ، وتُعين

(١) نشر مع النطق الملكي التالي في ملحق لجريدة أم القرى بمكة في ٢ شعبان ١٣٦٨ ٢٩ مايو ١٩٤٩

(٢) أي المتاخمة لسواحل المملكة العربية السعودية .

حدود تلك المناطق بمعرفة حكومتنا ، وفقاً لمبادىء العدالة ، في اتفاقيات تبرمها مع الدول الأخرى التي تكون لها الولاية والرقابة على ما تحت البحر وقاعه ، في المناطق المجاورة .

« ولا يخلّ ذلك بأيّ حال، بوصف مياه تلك المناطق، من حيث كونها من أعالي البحار ، ولا بالحق في حرية الملاحة بغير عائق ، في تلك المياه ، وفي الحيز الجوي فوقها ، ولا بحقوق الصيد فيها ، ولا بالحرية التقليدية لأهالي الخليج في صيد اللآلىء » .

انطفاء عين

قلت في مكان آخر : إن إحدى عيني الملك عبد العزيز ، ضعفت حتى انطفأت . وقرأت فيما كتب عنه حافظ وهبة : أنه أصيب برمد حادّ ، وبعد أن طال علاجه ، على يد الطبيب ، اقتنع بالعلاج المحلي ، فكانت العاقبة ظهور قرحة في العين . وجاءه طبيب من القاهرة أصلح ما أفسد العلاج المحلي ، وعاد للعين شيء من قوتها ونورها .

ويقول المستشرق « محمد أسد » في كتابه « الطريق إلى مكة » : إن إحدى زوجات الملك عبد العزيز ، وهي من آل رشيد[1] قدمت للملك طعاماً ، شمّ منه رائحة السم ، فتناول الصحن من يدها وألقاه بعيداً عنه ، وأصابت الأبخرة المسمومة إحدى عينيه فأعمتها ، واكتفى الملك بطلاقها وإعادتها إلى أهلها .

وتعددت الروايات. وقد لاحظت أن العين المعطوبة كانت لا تكاد تظهر ، فسألت الأمير عبد الله بن عبد الرحمن : متى مرضت العين ؟ وكيف أصيبت ؟

فقال : مرضت عينه بعد وقعة حائل . وعوجلت بغير علم ، فضاع بصرها. وجاء طبيب من القاهرة ، فوشمها . فما كانت تظهر .

قلت : يضاف إلى هذا أن الزوجة كانت شمّرية من آل سبهان ، تزوج بها عبد العزيز بعد استسلام آل رشيد. وكان أهلها ممن استقروا في ضيافته بالرياض. واتفق أنها حملت إليه بخوراً ، فتبخّر كعادته ، إلاّ أن عينه اليُسرى دخلها بعض دخان البخور فتأثرت ، ورمدت ، فقيل : إن البخور كان مسموماً . وطلقها ، وردّها إلى أهلها . وذلك حوالي سنة ١٣٤١هـ (١٩٣٣م)

---

(١) كذا . والصواب أنها من آل سبهان

سرعته في القراءة

ويظهر أن الضعف ثم الانطفاء الذي أصاب يسرى عينيه ، أدّى إلى تقوية العين اليمنى ، فكان إذا أمسك بالورقة لم يقرأها تلاوةً ، وإنما يعرضها على بصره عرضاً سريعاً فيلمّ بكل ما فيها . ويستعرض التقرير المؤلف من عشر صفحات — مثلاً — في نحو عشر دقائق . وتعي ذاكرته ما فيه .



من أيامه في القاهرة

الملك عبد العزيز

في مقال لباحث نجدي [1]

الملك عبد العزيز أول من سُمي من آل سعود « ملكاً » بالمعنى القانوني المعروف . وكان آباؤه من قبل يسمون بالأئمة ، ويرون أن هذه التسمية أكثر انطباقاً عليهم ؛ لأنهم إنما يقومون بوظيفة الأئمة ، من الإصلاح الديني ومن محاربة الفساد والباطل المحسوب ديناً .. وإلى اليوم لا يزال الكثيرون من أبناء المملكة العربية ، يفضلون دعوة مليكهم بالإمام ، لهذا القصد .

وهو أول ملك أخرجته البلاد النجدية . وأول من وحّد هذه المملكة الواسعة المترامية الأطراف ، المكونة من الحجاز ونجد وعسير والأحساء والقطيف وتوابع ذلك . وأول من عمل على استخراج الثروة الطبيعية المخبوءة في أرجاء المملكة. وأول من أعطى الشركات الامتيازات لاستنباط النفط والذهب وغيرهما. وأول من أدخل الأساليب الزراعية الحديثة في بلاده ، للقيام باستغلال المناطق الخصبة . وأول من أوجد كياناً دولياً قانونياً اعترفت به ن الدول الكبرى والصغرى .

نرجع إلى الوراء أربعة وأربعين عاماً ، لنجده في الكويت لم يتخطّ العشرين ، من حياته ، يتهيأ لغزو « الرياض » فكان من أفعال العبقرية التي لا يعرف المنطق

---

(١) مقتطفات من مقال كتبه عبد الله القصيمي النجدي ، في مجلة الكتاب : صفر ١٣٦٥ فبراير ١٩٤٦ بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز للديار المصرية .

لها تعليلاً ، أنه لم يحاول أن يحيط خروجه بالكتمان ، كما هي العادة المتبعة ؛ بل برز قبل انفصاله من الكويت بيوم واحد ، إلى أكبر ميدان في المدينة ، وركز رايته الصغيرة المتواضعة فيه ، وأمر منادياً من أتباعه أن ينادي : إن الأمير عبد العزيز ،سيخرج غداً من أجل كيت وكيت؛ فليعلم ذلك القاصي والداني !

وفي الموعد المحدد خرج يتحدّى كل قوة . ثم كانت « المغامرة » وسلمت له الرياض . ووضعت قواعد الدولة العربية الحديثة .

يظن كثير من الناس أن هذا الملك يحكم بلاده وشعبه ، حكماً مطلقاً . ولكن لا يجب الذهاب مع هذا الظن ، فإنه قيد نفسه بقانون ، رضيه هو وآمن به ، ورضيه شعبه وآمن به . وهذا القانون هو الشريعة الإسلامية . وهو لا يتدخل فيه ، وإنما يعمل على حمايته . وإذا كان يسمّى ملكاً دستورياً من كان مقيداً بدستور وضعه الناس ، لهم أن يغيروه أو يبدّلوه أو يبطلوه ، فماذا يسمّى من قيد نفسه بدستور وضعه الله ، لا يصح أن يُبدل ولا أن يغير ولا أن يبطل ؟

إننا أمام أحد رجال التاريخ الحقيقيين الذين سيظل التاريخ يذكرهم ، كلما ذكر الأعمال الخالدة والرجال الخالدين . وإننا لا نحتاج أن نرجع إلى الوراء لننقّب في زوايا تاريخنا عن العظمة الحقة ، في رجالنا ؛ وما علينا إلاّ أن نلتفت إلى هذه العظمة المعاصرة ، لنقول : إننا رأيناها بأبصارنا .

نهاية الجزء الثالث

طبع سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م

مطابع دار القلم . في بيروت

شبه الجزيرة

في عهد

الملك عبد العزيز

تأليف

خير الدين الزركلي

الجزء الرابع

الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) بيروت

الملك عبد العزيز

ولجنة التحقيق

في ١٣٦٥/٤/١٦ (٩ مارس ١٩٤٦) قابل الملك عبد العزيز ، في قصره بالرياض ، لجنة التحقيق البريطانية الأميركية ، المؤلفة من السير جون سنجلتون رئيساً ، والميجر واننجهام بولر ، والمستر باكستون ، عضوين .

وقال رئيس اللجنة :

« إن اللجنة كما يعلم جلالة الملك قد أوفدتها الحكومتان البريطانية والأميركية للتحقيق في الوصول إلى حلّ مرض لمشكلة فلسطين الحاضرة . وبعد انتهائها من زيارة مختلف البلدان العربية وغيرها ، ستقدم ما يتجمع لديها من معلومات وتقارير إلى الحكومتين البريطانية والأميركية . وتنحصر مهمتها في معرفة ما لدى الجميع لتقدم تقريرها إلى الحكومتين المذكورتين . وليس لها أن تتعدى ذلك ، كما أنه ليس من اختصاصها أن تؤيد فريقاً دون آخر ، أو أن تفصل في القضية بحكم في مصلحة قوم دون آخرين. وقال: إنهم يشكرون الملك عبد العزيز على قبوله لهم ليسمعوا آراء جلالته الشخصية في الموضوع .

وأبان الملك أن أمر فلسطين يهمه كثيراً . ذلك لأنه عربي ومسلم قبل كل شيء ، والعربي للعربي والمسلم للمسلم .

وقال: إنه وجميع العرب أصدقاء للحلفاء . ومن رأيه أن من مصلحة العرب مسلميهم ومسيحييهم دوام الصداقة والاتفاق مع الحلفاء ، وأن هذه الصداقة

وهذا الاتفاق هما من مصلحة الحلفاء أيضاً .

وذكر أنه سعى في أثناء الحرب ، بالنصح للعرب والمسلمين خاصة ، ولا سيما مسلمي الهند ، بأن يكونوا على اتفاق مع بريطانيا لأن ذلك من مصلحتهم

واستمر في حديثه قائلاً : إن قضية الصهيونية في فلسطين ، تهم المسلمين والعرب بصورة عامة ، وتهمني بصورة خاصة . وإن العداوة التي بين اليهود والمسلمين ليست وليدة عهد جديد ، وإنما هي نتيجة عداء قديم يرجع إلى آلاف السنين . وقد ذكرها الله في كتابه ، حيث قال : « لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ».

وذكر أن ما جاء في هذه الآية الكريمة ، هو عماد سياسته وسياسة المسلمين الدينية . قال : أما الذي يهمني بصورة خاصة في هذه القضية ، زيادة عما يهم غيري ، من المسلمين والعرب ؛ فهو أنني من العرب وللعرب ، والمسلمون يعرفون دیانتي وتمسكي بأحكام الإسلام . وما أقوله عنهم يقبلونه مني ، لحسن ظنهم بي ولما يعرفونه من صدق نيتي وتمسكي بعقيدتي .

ثم قال : اليهود أعداؤنا في كل مكان . وهم في كل بقعة يأتون إليها يفسدون ويعملون ضد مصلحتنا . وإني لعلى يقين — أولاً — من أن اليهود الصهيونيين لا يدخرون وسعاً في إحداث الاختلافات بين العرب وصديقتيهم بريطانيا وأميركا . وهذا يتجنبه العرب ولا يريدونه . وثانياً : أن هجرة اليهود إذا استمرت على ما هي عليه وتوسعت أملاكهم في فلسطين ، فسيكونون خطراً على العرب كافة . لأن لديهم جميع الوسائل لإمدادهم بالأسلحة والنقود وغيرها . وسيستعملون هذا ضد العرب . وفيه ، في نفس الوقت ، إشكال على البريطانيين . والدليل على هذا ما رأته اللجنة عند زيارتها لفلسطين . هل رأت اللجنة حال العرب وحال اليهود ؟ هل رأت اليهود في ترفهم ومساكنهم وسلاحهم وأموالهم وقوتهم ، ورأت العرب أصحاب البلاد الشرعيين ، وما هم عليه من الفقر والعوز ؟ ألم يصرح اليهود للجنة بأنهم أصحاب زراعات وأملاك ؟

وأنهم يعملون ويصلحون على نقيض ما يفعله هؤلاء الأشقياء ؟ ويعنون بذلك العرب . إذا أرادت اللجنة أن تسأل عن أسباب ذلك فإني أخبرها بالأسباب التي أوصلت الفريقين إلى ما هم فيه .

فتكلم رئيس اللجنة راجياً من الملك أن يذكر الأسباب ، وما يراه لمعالجة الحالة في فلسطين .

فأجاب الملك عبد العزيز ، موضحاً الأسباب في حال العرب الحاضرة بأنها تتلخص في جملة واحدة ، هي « أن العرب نهضوا للدفاع عن بلادهم والمطالبة بحقوقهم واستعادة ما سلب منهم » ثم قال :

« كيف يتسنى للعرب أن يباروا اليهود ، وهم ما بين مصلوب على أعواد المشانق وسجين وشريد ومغرّب ؟ كيف يتسنى لهم أن يتقدموا وهذه العقبات أمامهم ؟ بينما اليهود تسهل لهم جميع الوسائل . وكلما تكلم العرب مطالبين بحقوقهم لم يجدوا من يعينهم على أمرهم أو يسمع شكواهم .

« أما اليهود فإنهم على مرأى ومسمع منكم أيها الإنكليز ، يقتلون عساكركم وكبراءكم ، ويحاربونكم بشتى الأشكال ،وأنتم لا تجيبونهم إلا بإطلاق الرصاص في الهواء كأن لم يكن بينكم وبينهم حساب .

وهنا قال رئيس اللجنة : إن الإنكليز متساهلون كثيراً ، وهذا ما يجعل الناس يطمعون فيهم .

فقال الملك : ليس الخبر كالعيان ، إن التساهل في بعض الأحوال يجعل الخطر أعظم والبلية أعم . وأضرب لكم مثلاً بإنسان تُحلِّق فوق رأسه الطائرات ويده مغلولة وخالية من السلاح وإنسان آخر عنده سلاح ويده طليقة ، فهل يتساوى الشخصان ؟ تلك هي حال العرب واليهود في فلسطين .

وأشار إلى الاعتداءات التي كانت من اليهود ، وفي جملتها الاعتداء على اللورد موين . فأبدى رئيس اللجنة أسفه على مقتل اللورد موين وقال : إن وفاته كانت خسارة فادحة على العالم ، لأنه كان صديقاً للعالم أجمع . وعاد الملك إلى متابعة حديثه فقال :

« إنني منذ أن أوجدني الله ، وصرت أسعى لاستعادة ملك آبائي وأجدادي ؛ ما عرفت من الدول غير بريطانيا — وكانت صديقتي — رأيت منها ما سرني ورأت مني ما سرها . ولما نشبت الحرب أيدت سياستها وسياسة حلفائها وثوقاً مني بأن ذلك في مصلحتي ومصلحة العرب جميعاً .

« لهذا السبب كانت الحكومة البريطانية ، ولا تزال ، ترغب إليّ أن أسعى للتوفيق بينها وبين العرب ، منذ أيام الحرب وبعد انتهائها ؛ اتقاءً لحدوث المشاكل بينها وبينهم. وكنت أعمل ما في وسعي مع إخواني العرب ، وأنصحهم بألاّ يجعلوا سبيلاً لحدوث اختلاف بينهم وبين بريطانيا . لأن أعداء الحلفاء هم أعداء العرب ويجب علينا الصبر والتروي . وذلك لاعتقادي بأنه من مصلحة العرب .

« ولقد بلغ مني الأمر ، أن تكلمت أمام جمع من المسلمين في مكة المكرمة ونصحتهم بأن يكونوا إلى جانب بريطانيا وحلفائها ، لأنها صديقتهم وتدافع في حربها عن حقوقهم ومصالحهم ، وألاّ يدعوها في حرج من أمرها . تكلمت بهذا في وقت كان يجب به عليّ أن أكتفي بالدعوة إلى كلمة الله ، والتمسك بكتابه وبشريعة نبيّه . والناس جميعاً يعلمون أن برنامجي الذي تسير عليه حكومتي هو برنامج ديني خالص ، لا مطمع لي في مال أو زيادة ملك . أنا وحكومتي ندعو إلى عبادة الله . والمسلمون عالمون بالأمن والسكينة والراحة في مملكتنا . وكل هذا من فضل الله ثم ببركة الدين .

« وعلى أثر ذلك تلقى علماؤنا كتباً من العلماء في بلاد المسلمين ، تنتقد موقفي . ففاتحوني بما جاءهم ، وأبدوا لي أنهم لا يتعرضون للمسائل السياسية ، ولكنهم يعجبون من معاضدتي لبريطانيا في الوقت الذي تؤوي فيه اليهود ، وتوليهم على فلسطين . فأوضحت لهم الأخطار التي تستهدف لها أوطاننا ، إذا انتصر أعداء بريطانيا عليها . فقالوا : هل تضمن أن بريطانيا إذا انتصرت ، لا تؤيد اليهود ولا تؤويهم في بلادنا ؟ وأنها تعامل العرب في فلسطين بالعدل ؟ فأجبتهم: إني لا أضمن لكم أن تفعل بريطانيا هذا أو ذاك، ولكن ما أعرفه

عن بريطانيا ووعودها التي قطعتها على نفسها ، هو أنه إذا لم يقم العرب بأعمال ضدها ، فإنها ستعاملهم بالإنصاف .

ثم وجه الملك كلامه إلى اللجنة قائلاً :

« وأذكر لكم أمراً واقعاً ، وهو أن الوزير البريطاني المفوض بجدة ، زارني بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة ، وقال لي : إن حكومتي ترى أن حركات اليهود الحاضرة ، ربما تكون من حظ العرب ، لأنه كلما ازدادت حركاتهم كلما انكشفت نياتهم . ورجاني أن أبذل جهدي لدى العرب لالتزام الهدوء . وأقنعني بأن هذا هو خير لمصلحتهم . فلم أدخر وسعاً في هذا السبيل إلى أن وصلنا للموقف الذي نحن فيه .

« لقد وقعت الآن في مشكل خطير أمام شعبي وجماعتي ، وأمام العرب والمسلمين . فإذا كانت بريطانيا تريد أن تعدل عن الحقّ الواضح ، وأنتذهب مواعيدها أدراج الرياح ؛ فليس أمامي إلا أن أقول للمسلمين : دونكم ونفسي . اقتلوني .. أو أنزلوني عن الملك .. لأني مستحق لذلك .. وأنا الذي جنيت عليكم وثبطت عزمكم .

« هذه هي حقيقة موقفي شرحتها لكم بوضوح .

« تسألون عن رأيي في بقاء اليهود في فلسطين ، وأنا أقول لكم : نحن ما تعدينا على اليهود ، ولم نأخذ أملاكهم وبلادهم ، وإنما أخذنا فلسطين من الرومان . والعرب حكام فيها منذ ألف وثلاثمئة سنة وأكثر . لا نعرف اليهود ولا هم يعرفوننا ، والبلاد بلادنا بحق الفتح . ونحن الذين فرحنا بنصر الحلفاء ، نحب أن نتمتع بلذة النصر ، فهل يراد أن يتمتع غيرنا ببلادنا نتيجة لهذا النصر ؟ اليهود قوّتهم بالدينار ، ونحن حجتنا بحقنا في فلسطين حجة شرعية . بلادنا أخذناها من الرومان بالسيف . قاتلنا دونها وملكناها بعد أن سفكت دماؤنا فكيف يأتيها تاجر ويأخذها بالفلوس ؟ ليس هذا من الإنصاف في شيء .

« ولي كلمة أخرى ، أريد أن أقولها لكم . يزعم اليهود أن من المستحيل

على العرب أن يحاربوا من أجل فلسطين . وأنا أقول : إن الحرب لو كانت بين العرب واليهود لما تأخر العرب دقيقة واحدة عن خوضها ؛ ولكن دفاع بريطانيا عن اليهود ، يجعل الحرب بين العرب وبريطانيا .. والعرب لا يحبون محاربة بريطانيا . وأعتقد أن حكومة بريطانيا رشيدة عاقلة ، تدرك حقائق الأمور ، وتعلم أنه ليس من مصلحتها محاربة العرب أيضاً . كما أنه ليس من مصلحتها أن توجد لها أعداء من جميع المسلمين والمسيحيين يضمرون لها الشر في قلوبهم . والدنيا ليست على حال واحدة ، فقد يأتي يوم تقوى فيه شوكة اليهود ، فيكونون أول من يحاربها مع أعدائها ، كما يحاربونها اليوم .

« لماذا تعمل بريطانيا ، بمساعدتها للصهيونية ، على تأليف مجموعة ضدها من كل مسلم يوحّد الله في الشرق والغرب ؟ وليس هذا من مصلحتها .

فقال رئيس اللجنة : إن بريطانيا دخلت حربين في ربع قرن ، لأجل السلام والحرية . وبريطانيا يهمها كثيراً ألاّ تضيع صداقة العرب ، في الوقت الذي تدعو فيه إلى سلم عالمي . فردّ عليه الملك قائلاً :

« نحن يهمنا وجود السلام العالمي . ونريد أن نعيش في هذا العالم بسلام . ولكن ما دام اليهود يؤتى بهم لبلادنا ، وعددهم يزيد في فلسطين يوماً بعد يوم ، فمن المستحيل أن يستريح لنا بال أو يصلح لنا حال . وقد كنت ذكرت للرئيس روزفلت ، عندما اجتمعت به في العام الفائت ، مطامع اليهود ومقاصدهم وأشار لي في أثناء حديثه إلى أنه يرغب بتزويدنا بمكائن وآلات زراعية حتى تنتج بلادنا ثمراتها . فأجبته : ما دام اليهود في بلادنا ، فلا نريد زراعة ، ونفضل الموت على الزراعة .

ثم أشار جلالته إلى اللجنة قائلاً :

« أسألكم عن رأيكم أنتم ، وأرضاكم حكماً ، هل ترضون بأن يتعدى أحد من العرب على امرأة إنكليزية أو أميركية ويهينها ؟ إن اليهود يأتون إلى بلاد العرب ويأخذون أملاكهم ويطردونهم ويؤذونهم ، فأي عقل أو دين

أو سياسة تحمل العرب على قبول مثل هذا ؟

« أنا لا أريد أن أجرح عواطفكم . والذي يحملني على هذا القول هـو صداقتي لكم . وإن من حق الصديق على صديقه أن يصارحه بالواقع .

« هذا ما عندي وإن أردتم أن تستوضحوا عن شيء فأنا مستعد لإجابتكم . وهذا كلامي الشخصي وستقدّم إليكم مذكرة خاصة ، من مستشاريّ توضح آرائي .

، ، ،

وبعد أن أتم الملك عبد العزيز حديثه ، سأله رئيس اللجنة عما إذا كان قد تحدث مع المستر تشرشل والرئيس روزفلت في هذه القضية . فأجاب :

تحدثت مع الرئيس روزفلت حديثاً طويلاً في قضية فلسطين ، سُجلت خلاصته بمحضر خاص . وقد كان من الذين حضروا حديثي مع الرئيس روزفلت ، الوزير الأميركي المفوض في جدة[1] . وقد أطلعت المستر تشرشل على حديثي مع روزفلت ، وعلى الوعد الذي وعدني به ، فوعد المستر تشرشل بأن يقوم بالواجب من قبله ، في مساعدة العرب ، وعدم الإجحاف بحقوقهم. ولقد كان الرئيس روزفلت يسعى لإيجاد مكان لإيواء اليهود ، وكان مقتنعاً بأن فلسطين لا تصلح أن تكون مأوى لهم ، وأن في بلاد أوربا متسعاً لهم إذ يمكنهم الإقامة في الأماكن التي خلت بما أبيد من اليهود بسبب الحرب . ولقد كان عجيباً ما روي عن الرئيس ترومان ، إذ قيل إنه طلب إيواء مائة ألف يهودي في فلسطين ، بينما لم يسمح بإيواء أكثر من تسعة وثلاثين ألف يهودي في الولايات المتحدة ، كما بلغنا .

فسأله رئيس اللجنة عما إذا كان يوافق على هجرة عدد من الأطفال والعجزة واليتامى اليهود الأوربيين إلى فلسطين ، على أن يكفلهم يهود فلسطين .

فأجاب : العرب متفقون على رفض الهجرة ، والطفل اليوم سيكون رجلاً بعد بضع سنوات ، فأنا لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال بالقبول .

---

(١) الكولونيل إدي .

ثم استأذن رئيس اللجنة بسؤال قد يكون فيه بعض الإزعاج . فأبدى الملك سروره لسماع أي سؤال ، وأنه صريح ويحب الصراحة . فأشار الرئيس إلى قرار اللجنة البريطانية بتقسيم فلسطين إلى قسمين .

فأجاب الملك بأنه واحد من العرب ، ورأيه هو ما يجمع عليه العرب . وقد أجمعوا على رفض التقسيم ، وهو واحد منهم ، ليس له رأي خاص يخالف ما أجمعوا عليه .

فسأل الرئيس عما إذا كان الملك يمانع في مواصلة الهجرة اليهودية، بمعدل ألف وخمسمائة شخص في الشهر؟ فأجاب جلالته : الموت خير لنا من قبول الهجرة . وكل جهادنا ، هو لئلا يهاجر اليهود إلى فلسطين ، ولا يمتلكوا أرضها.

وأشار الرئيس إلى بدء حديث جلالته ، عن العداوة الدينية القديمة ، بين العرب واليهود ؛ وسأل عن رأي الملك فيما إذا امتنعت الهجرة اليهودية إلى فلسطين هل تستمر هذه العداوة بين العرب واليهود ؟

فأجاب : إذا أرادت بريطانيا أن تحافظ على صلاتها الحسنة مع العرب ، فلتوقف الهجرة في الحال ، ولتمنع بيع الأراضي ، لأن هذين الأمرين هما أساس المشكلات ومنبع الاضطرابات ، وتعقد مؤتمراً من رؤساء العرب والبريطانيين والأميركيين يتفق على الطريقة التي تؤمن الراحة والطمأنينة في فلسطين ، ويزال ما هنالك من خلاف ويحل السلام . فإذا منعت الهجرة منعاً باتاً ، وأوقف بيع الأراضي ، أمكن الوصول إلى حل جميع المشاكل المعترضة.

فسأل عضو اللجنة البريطاني الميجر بانتجهام بولر جلالة الملك : هل الحديث الذي تفضلتم بأنه كان بين جلالتكم والرئيس روزفلت ، هو كل ما جرى بينكما من حديث ؟ فقال الملك : إنني طلبت من الرئيس روزفلت أن أتحدث معه كرجل مسلم عربي اسمه عبد العزيز ، يتكلم مع رجل هو رئيس الولايات المتحدة اسمه روزفلت ، فقبل الحديث معي بهذا الاعتبار ، فقلت له : لماذا تعين على هجرة اليهود إلى فلسطين وتمكنهم من الاستيلاء عليها بغير حق ؟

فأجابني بصراحة وحزم وبكل تأكيد : إنني ما أمرت بهجرة اليهود إلى فلسطين ، ولا عملت أي ضغط من أجلها ، ولا يمكن أن أعمل أي عمل ضد العرب في فلسطين ، ولن أعمل ذلك في المستقبل . وقد أكد لي حديثه هذا لا بصفته المستر روزفلت فقط ، بل بصفته رئيس الهيئة التنفيذية للولايات المتحدة .

، ، ،

وانتهى الملك من حديثه ، فشكره رئيس اللجنة وأعضاؤها ، كل بمفرده ، على ما زودهم به من معلومات قالوا إنهم فخورون بها لصدورها عن أكبر رجل في العالم العربي .

المذكرة بعد الحديث

أشار الملك عبد العزيز في حديثه المتقدم ، مع لجنة التحقيق ، إلى أن ما جاء فيه ، هو « كلامه الشخصي » وقال لرئيس اللجنة وعضويها : « وستقدم إليكم مذكرة خاصة من مستشاريّ توضح آرائي »

وفيما يلي نص المذكرة :

١ — إن كل ما لديّ من معلومات وآراء في قضية فلسطين ، أبديته للحكومة البريطانية في مذكرات وأحاديث متعددة . كما أبديته للحكومة الأميركية برسائل ثلاث ، بعثتها لصديقي الراحل العظيم المستر روزفلت . وأوضحت له في اجتماعي به في مياه الإسماعيلية ، حقيقة ما عندي وما عند العرب والمسلمين ، في هذه القضية . فما كان منها عندكم فأنتم مطلعون عليه ، وما ليس عندكم فهو موجود في ديواني يمكنكم الاطلاع عليه .

٢ — بشأن الموقف الحاضر في فلسطين ، قدمت لكم جامعة الدول العربية الآراء التي تعبر عن رأي حكومتي وآراء سائر الحكومات العربية ، وقد أيد ذلك سائر مندوبي دول الجامعة .

٣ — إن الذي يدعو للحيرة في الموقف ، هو الاعتداء المجسم الصريح على حقوق العرب في بلادهم فلسطين ، تلك الحقوق الطبيعية التي جاءت بريطانيا ومن ورائها اليوم أميركا لتأييد العدوان الصهيوني عليها ، برغم كل الوعود الصريحة التي قُطعت في شتى المناسبات .

أ) انظروا تصريح الحكومة البريطانية ، في يونيو ١٩١٨ للسبعة من العرب في القاهرة ، الذي عرف بتصريح السبعة .

ب) والتصريح البريطاني — الفرنسي ، الصادر بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١٨ ففيهما الوعود القاطعة للعرب .

ج) وانظروا الفقرة الأخيرةمن كتاب الرئيس روزفلت، بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٤٥ حيث يقول لي : (وجلالتكم تذكرون أيضاً بدون شك ، أنني أثناء محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أني لن أقوم بأي عمل بصفتي رئيساً للسلطةالتنفيذية في هذه الحكومة يمكن أن يضر العرب) وهذه كلها صدرت بعد وعد بلفور فضلاً عن الوعود التي كانت للعرب قبله .

٤ — علمت أن الصهيونيين أطلعوكم على بعض المزارع والمصانع التي أوجدوها في فلسطين ، ليلفتوا أنظاركم إلى مقدار ما يمكن أن يخدموا به البلاد، وبينوا لكم أنهم عمروا البلاد التي عجز العرب عن إعمارها .

فهؤلاء الصهيونيون أخذوا تأييداً من بريطانيا وأميركا ، بشكل لم يسبق له مثيل ، إزاء أية أمة أخرى . فتحت لهم الحكومة البريطانية سائر الطرق ، حتى يتمكنوا من تطبيق برنامجهم ، فجمعوا لذلك الأموال الطائلة من البلاد التي يقيمون فيها ، واشتروا الأرض التي تساوي خمسة ، بخمسين . وأخذوا ينفقون عليها بغير حساب ، من منابع خاصة ، لأغراضهم الخاصة ، وهي احتلال فلسطين وإخراج أهلها منها . فشرّدوا العرب وطردوهم بقوة الحكومة، إذ كل قرية يشترونها يُخرجون أهلها العرب ، ثم يمحون آثار القرية ويغيرون اسمها ومعالمها . و بذلك شُغل الأهلون بفقرهم ، وبدفاعهم عن أنفسهم والنظر في حالتهم عن أيّ عمران .

لقد ملأت الحكومة البريطانية السجون والمعتقلات بالعرب . ونصبت لهم المشانق ، وبلغ بها من الشدة أن دلالة الكلاب على بيت من بيوت العرب ، كافية لإدانة العربي . وكل ذلك وهم صامدون صابرون لنيل حقوقهم الطبيعية . والصهيونيون يقومون بأعمال من الإرهاب، بل من الأعمال الحربية، ضد القوات البريطانية ولم نسمع أن أحداً قد أُعدم . بل علمنا انالقوات البريطانية عندما توجه لها أعمال الاعتداء من الصهيونيين ، تقابلها بإطلاق

الرصاص في الهواء والعرب ليسوا أقل من غيرهم في الأعمال الزراعية ، فقد مررتم بالقطر المصري ووجدتم تقدمه الزراعي . كذلك في سورية والعراق . وهذه بوادر التقدم في أراضينا الزراعية .

أما أن يُغدق المال بغير حساب ، على الصهيونيين ، ويُغفر لهم جميع إجرامهم ، ثم يعامل العرب في فلسطين بأقسى أنواع المعاملات إلى الآن، ويقال إن الصهيونيين أهل تعمير والعرب متأخرون ، فهذا منطق معكوس ولا يقوله إلا من يريد إقامة حجة لإنفاذ الظلم .

٥ — وإذا كان منطق الأشياء يطبق على العموم ، ولا يكال الكيل بمكيالين والوزن بميزانين ، فالحق والإنصاف واضحان لذي عينين . نرى رئيس الولايات المتحدة المستر ترومان ، يعلن — والكل يعلم ما هو تأثير المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة في هذا الصراع التاريخي — ويطلب دخول مائة ألف يهودي إلى فلسطين الضيقة ، باسم الإنسانية والرحمة ، على حساب العرب الضعفاء . نقول يطلب دخولهم ، إلى تلك البلاد التي سيكون لكل أربعة وأربعين نسمة فيها ميل مربع واحد ، بينما نفس المستر ترومان ، في الوقت ذاته ، لا يقبل في بلاد أميركا الواسعة الغنية إلا بدخول تسعة وثلاثين ألف نسمة ، بحيث يكون للرجل النازح إليها خمسة وتسعون ميلاً مربعاً .

إن القيام بعمل كهذا، والمناداة به من طرف أنصار الحق والقائمين على الظلم والاعتساف ، لمن دواعي الأسف الشديد . وإنها لمغالطة أمام الحق والإنصاف نترك لضمير الإنسانية والتاريخ القول الفصل فيها . ولا يمكننا أن نسكت ، ونحن في معرض القول عن الأراضي الواسعة الخالية في هذه الكرة الأرضية مثل أستراليا ونيوزيلندا والأميركتين وغيرها من المستعمرات والممتلكات التي يمكنها أن تؤوي وتسعد أضعاف أضعاف يهود العالم . ولكن لكون مالكي هذه الأراضي أقوياء ويسندهم حق القوة، لا يكلفون أن يؤووهم . ولا يلامون — إذا كلفوا — على رفضهم لمثل هذا الطلب الإنساني .

٦ — أنا صديق لبريطانيا ، وصديق لأميركا ، وسياستي قائمة على تحسين سياستي مع هاتين الدولتين ، بل مع سائر دول العالم . وقائمة على تحسين السياسة بين العرب وهاتين الدولتين أيضاً . ولا أريد أن تضطرني الأيام بالرغم منا ، وبغير إرادتنا ، إلى أن نتعادى مع بريطانيا وأميركا ؛ لدفع هذا الضرر المميت لنا جميعاً . وأحب أن تكونوا على يقين بأنه إذا استمرت هذه السياسة ، في استمرار الهجرة ، وبيع الأراضي ، ومنع العرب من حقوقهم الطبيعية التي وعدوا بالمحافظة عليها . فإن الحكومتين البريطانية والأميركية لا تستهدفان لنقمة العرب وحدهم بل إنهما ستستهدفان لنقمة كل من يقول لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، من عرب وعجم ، وهند ، وسند ، وصين ، وكل مسلم على وجه الكرة الأرضية في مشرق الأرض ومغربها وشمالها وجنوبها . وهذا لا مصلحة لأحد منه ؛ وفيه الضرر كل الضرر على المسلمين والعرب وعلى بريطانيا وأميركا . والصهيونيون لا تهمهم مصلحة بريطانيا ، ولا أميركا ، ولا العرب ، ولا يهمهم إلا مصلحة أنفسهم . ولو تقوّى اليهود في هذا المكان الدقيق ، وصارت لهم دولة ، لا سمح الله ، فمن السهل عليهم أن يكونوا في جانب أية قوة تعادي بريطانيا ، واميركا ؛ لأن الذين يقاتلون البريطانيين الذين أحسنوا إليهم وآووهم ، ويقومون في وجوههم أيام الحرب ؛ من السهل أن يقوموا عليهم في أحرج من هذه الأوقات .

بعد توصيات اللجنة

وظهرت بعد ذلك توصيات اللجنة ، فكانت مجحفة بالعرب ، فأصدر الملك عبد العزيز تعليماته إلى وزيريه المفوّضين ، في لندن وواشنطن ، بالسعي والتعاون حالاً مع وزراء الدول العربية الأخرى ، لإظهار سخط العرب ، وتقديم احتجاج شديد اللهجة إلى الحكومتين البريطانية والأميركية ، معبّر عن عزم العرب على رفض التوصيات . وأمر خارجيته بجدة في ١٣٦٥/٦/٥ الموافق (١٩٤٦/٥/٦) أن تقدم احتجاجاً بهذا المعنى إلى مفوضيتي أميركا وبريطانيا ،

لنقله إلى حكومتيهما . وأمر وكيل خارجيته — وكان يومئذ في القاهرة — بأن يعمل على اجتماع ممثلي دول الجامعة العربية ، في أقرب وقت ، لبحث الموقف.

وكان من نتيجة ذلك أن تسلّمت خارجيته — بجدة — مذكرة من الوزير البريطاني المفوض ، يؤكد فيها بتاريخ ١٣٦٥/٦/٢١هـ (١٦ مايو ١٩٤٦م) أن حكومته لن تقدم على تنفيذ شيء من توصيات اللجنة ، قبل التشاور مع العرب واليهود . وكذلك فعلت الحكومة الأميركية .

المَلك عَبد العَزيز

يكتب إلى المستر ترومان

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٣ جمادى الآخرة ١٣٦٥ / ٢٤ مايو ١٩٤٦)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، إلى صاحب الفخامة الرئيس هاري ترومان ، رئيس الولايات الأميركية المتحدة .

يا صاحب الفخامة

تلقت حكومتنا منذ أيام قليلة ، مذكرة من الحكومة الأميركية ، مرفقاً بها تقرير « اللجنة البريطانية — الأميركية » بشأن قضية فلسطين . وقد أجابت حكومتنا باستلامها المذكرة ، وأبدت مطالعاتها بصورة عامة ، ووعدت بإعطاء الجواب المفصل خلال المدة المقترحة بعد الاجتماع الذي يعقد في مصر من ملوك وأمراء ورؤساء الدول العربية ، واجتماع مجلس جامعة الدول العربية. وليس موضوع هذه المذكرة هو الذي قصدنا أن نتكلم عنه إلى فخامتكم ؛ وإنما قصدنا أن نوجه إليكم خطابنا هذا على أثر ما سمعناه عن تصريح وزير خارجيتكم ، بشأن القواعد السياسية التي ما زالت حكومتكم الموقرة تستلهمها في موضوع

تقرير لجنة فلسطين .

نحب أن نؤكد لكم ، يا صاحب الفخامة ، أن البلاد العربية والإسلامية ، تعلق أكبر الآمال على الحكومة الأميركية ، بصفتها حاملة مشعل الحرية ، والمناضلة عن الحق والعدل في جميع أنحاء العالم ، من دون تفريق بين العناصر والألوان والمذاهب . ونحن نعلم أن من بين الدوافع الرئيسية التي تحملها على مناصرة قضية الصهيونيين ، إنما هو الدافع الناشيء عن اعتقادها انها تخدم قضية العدالة والحق والإنسانية .

ولكننا يا صاحب الفخامة، نربأ بالحرية الأميركية أن تعالج الظلم بارتكاب ظلم أفدح منه ، وأن تسعى لإغاثة شعب بائس على حساب بؤس شعب آخر ، وأن تطالب بحرية شعب مضطهد مشتت ، بينما أن ذلك يؤدي إلى استعباد شعب آخر واضطهاده .

إننا لا نخاطبكم باسم المصلحة أو العاطفة فحسب ، وإنما نخاطبكم بصفتنا أصدقاء نعمل معاً على ما فيه خير بلادينا وشعبينا خاصة والعالم عامة . ونناشدكم باسم الإنصاف والعدل من حيث هما إنصاف وعدل .

إن قضية إيجاد ملجأ لضحايا الظلم النازي والفاشيستي ، لقضية إنسانية تحتمها مبادىء العدل والإنصاف والحرية . ولكن فلسطين لا يمكن أن تحل قضية هؤلاء اليهود الذين انتهى الآن وقت اضطهادهم ، بزوال قوات الظلم والطغيان وقد أوضحت اللجنة المشتركة هذا الأمر في توصيتها الأولى . والصهيونيون يتخذون أمر هؤلاء اللاجئين وسيلة لنوال أغراضهم السياسية في فلسطين . وإننا نربأ بالحكومة التي يترأسها فخامتكم ، أن تكون مؤيدة لهذا العمل الذي ينظر إليه كل عربي بأنه ظلم فادح لا مثيل له في التاريخ .

أصبح العرب يا صاحب الفخامة ينظرون إلى قضية فلسطين ، كأنها قضية حياة أو موت . وهي إن لم تعالج بالحكمة ، وعلى أساس احترام حقوق العرب ، فإنها قد تجر إلى متاعب ومشكلات لا يعلم نتائجها إلا الله . والمهم أن يطمئن العرب إلى أن الأسس التي أعلنتها الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ لن تتغير .

وإن العرب ليأملون أن يجدوا في فخامتكم ، وفي الحكومة الأميركية والشعب الأميركي نصراء لقضيتهم العادلة ، مدافعين عن حقوقهم الطبيعية وحرياتهم الأصلية التي حاربت بلادكم مرتين من أجل نصرتها . إن ايجاد ملجأ لضحايا الاضطهاد والظلم ، أمر ضروري ، ولكنه يجب أن يكون منفصلاً عن قضية الصهيونية السياسية وعن مطامعها ومبادئها العرقية المستمدة من التعاليم النازية والفاشستية . هذا هو الذي نرجوه ونؤمله من فخامتكم ،وهو الأمر الذي حملنا على الكتابة إليكم في هذا الوقت الذي تدرسون فيه الحلول المختلفة لقضية فلسطين .

وتفضلوا بقبول تحياتنا .

(عبد العزيز آل سعود)

من ترومان الى عبد العزيز

البيت الأبيض (واشنطن)

٨ يوليو ١٩٤٦ — (يوافق ٨ شعبان ١٣٦٥)

حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز ابن سعود ، ملك المملكة العربيةالسعودية

يا صاحب الجلالة

إنه لمن دواعي سروري العظيم ، استلام خطاب جلالتكم المؤرخ ٢٤ مايو ١٩٤٦ المحتوي على آرائكم الأولية عن تقرير اللجنة الإنكليزية الأميركية ، للبحث في موضوع فلسطين . ذلك الخطاب الذي أحضره لي في نفس يوم وصوله إلى واشنطن صديقي العزيز الوزير لدى بلاط جلالتكم ، الكولونيل وليم إدي .

إني أود أن أؤكد لجلالتكم أنه سيكون مساعداً حقيقياً لي أن أستفيد من آراء جلالتكم السديدة في هذا الموضوع الصعب .

إني لممتنّ جداً لعلاقات الصداقة الأكيدة التي توطدت بين حكومتينا ،

وبين الأميركيين والعرب السعوديين على وجه العموم . ومع أن الموضوعات التي هي موضوع البحث بيننا ، ليست خالية من الصعوبات ؛ إلا أنني على ثقة كبيرة من أن علاقاتنا هذه ستبقى على أساس من الصداقة المتينة في المستقبل .

لقد سررت جداً من إدراك جلالتكم للأسباب الإنسانية التي أوجبت على هذه الحكومة التدخل في مشكلة فلسطين . إن المصالح الأميركية في هذا الموضوع يرجع عهدها إلى زمن طويل . وقد أثارها وأوجب التعجيل بها ، حاجة أولئك الضحايا للاضطهاد النازي . وبالنظر لإدراكي أهمية وجهة نظر العرب أجمعين وصلتهم بفلسطين ، فقد رحبت بفكرة زيارة لجنة فرعية للرياض من لجنة التحقيق الإنكليزية الأميركية .

إن تقرير اللجنة أوضح الإشكال في حالة فلسطين ، وإن توصياتها التي وضعت بعد دراسة وعناية طويلة ، أعتقد أنكم توافقون معي على أنها تتطلب عناية من الجميع .

وإني أعتقد مخلصاً أن السماح لمائة ألف يهودي بدخول فلسطين ، لن يُعدّ تعدياً على حقوق العرب وامتيازاتهم الآن ، في فلسطين ؛ ولا يؤدي إلى تبديل في الوضع الحالي . وإني لمقتنع بأن فلسطين يمكنها أن تستوعب المائة ألف ساكن إضافي ، بأحوالها الاقتصادية الموجودة بها ، من دون أن يؤثر في بقية السكان الحاليين .

وإني قد عينت ثلاثة أعضاء من وزارتي ، لضمان النظر بدقة في هذا التقرير من ناحيتنا ، وإشعاري بما يرون فيه . وسيتصلون في مباحثاتهم ، بالحكومة الإنكليزية .

وإني لأرجو أن توضح الحالة بطريق الاستشارة مع العرب واليهود ، وأن يبقى الاتصال وثيقاً بيننا وبين كل الجهات المهتمة بهذه الأمور .

مع أعز تمنياتي باستمرار صحة وسعادة جلالتكم ورخاء شعبكم .

لي الشرف أن أبقى صديقكم المخلص لكم ـــهاري. اس. ترومان

من عبد العزيز إلى ترومان

بسم الله الرحمن الرحيم

في ١٣٦٥/١١/١٨ (١٩٤٦/٩/١٥)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

إلى حضرة صاحب الفخامة مستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة

يا صاحب الفخامة

إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التي تأسست بيني وبين الرئيس الراحل روزفلت ، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم ، تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها ، والعمل على تقويتها ، بكل الوسائل الممكنة . ولذلك تجدونني فخامتكم ألحّ وأكرّر في كل مناسبة أشعر فيها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية ، لكي أزيل ما يمكن أن يعكر هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم ، عن حقيقة الموقف في فلسطين ، والحق الطبيعي للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين ، وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية ، اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عنوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان ، مما ليس بخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيّتونها ، ليس لفلسطين وحدها ، بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن في بلادنا المقدسة .

لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين ، وتأييد هجرتهم إليها ، بما يوثر في الوضع الحاضر ، خلافاً للتعهدات السابقة .

ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً إلى فخامتكم ، يتناقض

مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأميركية في جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر في جريدة « أم القرى » باسم بيان أدلى به البيت الأبيض في ١٦ أغسطس ١٩٤٦ وذلك البيان صريح في أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقيد بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين . وأظهرتم أملكم بحلّها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية ووزراء خارجية الدول العربية ، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث . واظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة ، لإيواء المشردين وفي جملتهم اليهود . ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلاعي على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم ، مما جعلني أشك في صحة نسبته إليكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ اغسطس ١٩٤٦ من البيت الأبيض . وإني لعلى يقين من أن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله ، في مقاومة العدوان الغاشم ، لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق ، لم يقترف ذنباً غير إيمانه بمبادىء العدل والإنصاف ، التي قاتلت من أجلها الأمم المتحدة ، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم ، بعد سلفكم العظيم ، المجهود العظيم في هذا السبيل .

ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة ، أوضحت لفخامتكم ، بهذا البيان ، الظلم الذي يمكن أن يحيق بالعرب ، إذا بذلت أية مساعدات لهذا العدوان الصهيوني . ويقيني أن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة ، لا يمكن أن يقبل بأن يدعو للحق والعدل والإنصاف ، ويحارب من أجل ذلك ليقره في سائر أنحاء العالم ، ثم يمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة .

واقبلوا فائق تحياتي . عبد العزيز آل سعود

، ، ،

من ترومان إلى عبد العزيز

البيت الأبيض — واشنطن

٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ (١٣٦٥/١١/٢٨)

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية .

يا صاحب الجلالة

استلمت الآن الكتاب الخاص بفلسطين ، الذي تفضلتم جلالتكم بإرساله إليّ بواسطة المفوضية العربية السعودية ، بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٤٦ . وقد اهتممت للآراء التي احتواها ذلك الكتاب ، وإني أقدر حق التقدير الصراحة التي أعربتم عنها في كتابكم ، و إن صراحتكم لتتفق تمام الاتفاق مع العلاقات الطيبة التي لها زمن طويل بين بلادينا . وتتفق أيضاً مع الصداقة الشخصية التي بين جلالتكم وبين المرحوم سلفي ، تلك الصداقة التي آمل أن تبقى وتزداد قوة . وإن العلاقات الطيبة بين بلدينا ، وموقف جلالتكم الودي ، ليشجعني على أن ألفت نظر جلالتكم إلى بعض الاعتبارات التي حدت بحكومتي لاتخاذ الوجهة التي اتخذتها ، بالنسبة لفلسطين واليهود المشردين في أوربا .

وإني لمتأكد من أن جلالتكم ستوافقون على أن حالة بقايا ضحايا الاضطهاد النازي في أوربا ، تخلق مسألة عويصة لا يمكن أن يتجاهلها أناس لديهم شيء من الإنسانية . وهذه المسألة مسألة عالمية ، ويلوح لي أننا جميعاً علينا مسؤولية عامة لإيجاد حلّ يسمح لهؤلاء التعساء الذين يجب أن يتركوا أوربا لإيجاد وطن جديد ، حيث يستطيعون المعيشة في سلام وطمأنينة . وبين هؤلاء الذين بقوا على قيد الحياة مشتتين في أوربا ، يوجد عدد من اليهود الذين يرثى لحالهم ، فإنهم يمثلون بقايا ملايين قرر النازيون استئصالهم . وكثير من هؤلاء الأشخاص يتطلعون إلى فلسطين ويعتبرونها جنة ، حيث يأملون أن يجدوا ملجأ بين ملّتهم ، فيستأنفوا

حياة هادئة نافعة ، ويساعدون على استثمار الوطن اليهودي القومي .

إن الحكومة والأمة الأميركية ، قد أيدوا منذ البداية مشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، التي كان من نتائجها تحرير مساحات واسعة في الشرق الأدنى ، ومن ضمنها فلسطين ،وتأسيس عدة حكومات مستقلة أصبحت اليوم أعضاء في منظمة الأمم المتحدة.والولايات المتحدة التي بذلت دماءها ومواردها في سبيل كسب الحرب ، لا يمكن أن تخلي نفسها من المسوٴولية تجاه بعض الولايات التي تحررت ، ولا مصير الأهالي الذين أصبحوا أحراراً في ذلك الوقت . وقد رسمت لنفسها طريقاً ما زالت تسلكه إلى الآن ، وهو أن هوٴلاء الأهالي يجب أن يهيأوا لأن تكون لهم حكومة ذاتية ، وأن يوٴسس وطن قومي لليهود في فلسطين .

وإني لسعيد بأن أقول : إن أغلب الأهالي المحررين أصبحوا الآن مواطنين في ممالك مستقلة . وعلى كل حال فإن الوطن القومي اليهودي ، لم يستكمل صفته بعد . وإنه لطبيعي ، بناءً على ذلك ، أن حكومتي توٴيد في هذا الوقت إدخال عدد كبير من اليهود الذين ليس لهم مأوى في أوربا إلى فلسطين ، لا ليجدوا مأوى فيها فحسب ، بل ليساهموا بنشاطهم وذكائهم ، في بناء الوطن القومي اليهودي . وتمشّياً مع السياسة التقليدية لهذه الحكومة ، فإنني بدأت منذ أكثر من عام ، أتبادل الرسائل مع رئيس وزراء بريطانيا العظمى ، محاولاً أن أعمل على التعجيل بحل سريع لقضية اليهود الباقين في المعتقلات . وذلك لنقل عدد كبير منهم إلى فلسطين . وكان اعتقادي الذي ما زلت أتمسك به ، والذي يشاركني فيه عدد كبير من أهالي هذه البلاد ، أن لا شيء يخفف من آلام هوٴلاء اليهود أكثر من التصريح العاجل بإدخال مئة ألف على الأقلّ إلى فلسطين . ولم يكن من المستطاع الوصول إلى قرار بالنسبة لهذا الاقتراح . ولكن حكومتي لا تزال توٴمل مواصلة السير ، على النهج الذي بينته لرئيس الوزراء . وفي الوقت نفسه لا بد بالطبع من بذل جهود أخرى لفتح أبواب بلاد أخرى ، بما فيها الولايات المتحدة ، لهوٴلاء التعساء الذين يواجهون الشتاء للسنة الثانية ،

بدون مأوى ، منذ وقوف رحى القتال . وأنا من جانبي قد أعلنت بأني مستعد لأن أطلب من الكونجرس ، الذي لا بد من موافقته حسب قانوننا الدستوري ، لإصدار تشريع خاص يسمح لهذه البلاد بقبول عدد من هؤلاء الأشخاص زيادة عما يسمح به قانون الهجرة .

وزيادة على ذلك ، فإن حكومتي كانت مهتمة مع بعض الحكومات الأخرى ، لإمكان تأسيس مستعمرات في بلاد مختلفة ، خارج أوربا ، لهؤلاء المشردين المضطرين للهجرة من أوربا . وبهذه المناسبة ، كان مما أثلج صدورنا ، أننا لاحظنا أن كثيراً من زعماء العرب ، أظهروا رغبة بلادهم بأن يساهموا في هذا المشروع الإنساني ، بقبول عدد معين من هؤلاء الأشخاص في بلادهم .

وإني أعتقد مخلصاً ، أنه من الممكن الوصول إلى حل مرضيّ لمسألة استيطان هؤلاء اللاجئين ، على النحو الذي ذكرته آنفاً . وفيما يختص باحتمال استعمال اليهود القوة والعنف ضد جيرانهم العرب ، حسب ما جاء في كتابكم ، فإنه يمكنني أن أؤكد لكم أن هذه الحكومة تقف ضد كل اعتداء من أي نوع من استعمال الإرهاب ، لأسباب سياسية . وفوق هذا يمكنني أن أضيف بأنني مقتنع أن زعماء اليهود المسؤولين ، لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين .

ولا يمكنني أن أتفق مع جلالتكم بأن تصريحي في ٤ اكتوبر ، غير متفق بأي حال مع تصريحي الذي نشر في ١٦ اغسطس . وفي التصريح الأخير كان الأمل أن نتيجة المحادثات المقترحة بين الحكومة البريطانية ، وممثلي اليهود والعرب . تؤدي إلى حل معتدل لمسألة فلسطين ، وتتخذ الخطوات مباشرة ، لتخفيف حالة اليهود في أوربا . ومن المؤسف أن هذه الآمال لم تتحقق .

إن المحادثات فيما بين الحكومة البريطانية والممثلين العرب ، قد أرجئت ، كما فهمت ، حتى ديسمبر ، من دون إيجاد حل لموضوع فلسطين ومن دون اتخاذ أية إجراءآت لتلطيف حالة اليهود المشردين في أوربا .

وفي هذه الحالة ، يظهر أن من الواجب عليّ أن أقرر ، بقدر ما يمكن

من الصراحة ، الاستعجال في الأمر ، وإبداء نظرياتي ، وكلاهما للتوجيه ، لإيجاد حل يُتوصل إليه ، على أساس معقول ، مع رغبة طيبة في أمر الإجراءآت الحالية التي لا بد من اتخاذها . هذا هو ما أدليت به في بياني بتاريخ ٤ أكتوبر . ولم أستطع أن أفهم لماذا يشعر جلالتكم بأن هذا البيان قد كان مخالفاً للوعود السابقة والبيانات التي أدلت بها هذه الحكومة ؟

وسيكون من المستحسن أن يُتذكر بأن هذه الحكومة ، عندما أوضحت موقفها في الماضي عن موضوع فلسطين . قد أعطت تأكيداتها بأنها لن تقوم بأي عمل يبرهن على عداء للعرب. كما أنه ، بحسب نظرها ، لن يكون هناك أي قرار فيما يتعلق بالحالة الأساسية لفلسطين من دون سابق استشارة مع العرب واليهود . وإني لا أعتبر بأنه ، حتى لقبول عدد معلوم من اليهود المشردين في فلسطين ، أو أن بياناتي فيما يختص بحل موضوع فلسطين ، هما بأيّ حال يمثّلان عملاً عدائياً للعرب . لقد كان ، ولا يزال ، شعوري نحو العرب عندما أدليت بهذه البيانات ، شعور صداقة تامة .

إني آسف لأي نوع من النزاع فيما بين العرب واليهود . وإني لمقتنع بأن كلا الشعبين ، لو اقتربا لحل مشاكلهما بروح الوفاق والاعتدال ، فإنه يمكنهما حل المشكلات بطريقة تكون لهما فيها الفائدة الدائمة .

وإني بالإضافة إلى ذلك ، لا أشعر بأن بياناتي تمثل ، بأية طريقة كانت ، إخفاق هذه الحكومة في الوقوف دون تأكيداتها ، إذ أنه ، بحسب نظرها ، سوف لا يُتخذ أي قرار فيما يختص بالوضعية الأساسية في فلسطين من دون استشارة مع العرب واليهود .

ولا يغرب عن البال مقدار الأهمية العظمى التي لبلادكم وبلادي في حل المشاكل المتعددة التي أوضحتها فيما تقدم . وإني انتهز هذه الفرصة لأعرب عن عظيم أملي ، في أن جلالتكم الذي يتمتع بشهرة ذائعة في العالم الغربي ، سيستعمل نفوذه ليساعد على إيجاد حل عادل دائم في المستقبل العاجل . وإني

مستعد لأن أبذل كل ما يمكن للمساعدة في الموضوع . ويمكنني أن أؤكد لجلالتكم بأن حكومة الولايات المتحدة وشعبها ، سيكونان مهتمين لمصالح العرب وسعادتهم ، مقدرين بذلك قيمة صداقتهم التاريخية .

وأنتهز الفرصة لأرفع لجلالتكم تحياتي الشخصية الحارة وأطيب تمنياتي لدوام صحتكم ولرفاه جلالتكم وسعادة شعبكم . المخلص

هاري . اس . ترومان

من عبد العزيز إلى ترومان

بسم الله الرحمن الرحيم

في ١٣٦٥/١٢/٧ (أول نوفمبر ١٩٤٦)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة

يا صاحب الفخامة

لقد تلقيت بتقدير فائق ، رسالة فخامتكم التي بعثتموها إليّ بواسطة مفوضية الولايات المتحدة الأميركية ، بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٤٦ ، وإني أقدر صداقة فخامتكم وشعب الولايات المتحدة لي شخصياً ولبلادي ولسائر البلاد العربية .

وتقديراً للغيرة الإنسانية التي أظهرتموها ، فإنني لم أعترض على أية مساعدة إنسانية تسدونها فخامتكم أو تسديها الولايات المتحدة للمشردين من اليهود ، إذا كانت تلك المساعدة الإنسانية لايراد منها القضاء على شعب آمن في موطنه . ولكن اليهود الصهيونيين جعلوا من هذه الدعوة الإنسانية ، منفذاً لأغراضهم الخاصة في الاعتداء على فلسطين ، للتغلب فيها بأكثريتهم ، وصيرورتها يهودية ، ليؤسسوا لهم دولة فيها ، ويطردوا سكانها العرب ، ويجعلوا منها قاعدة للتعدي على البلدان العربية المجاورة ، وتنفيذ برنامجهم الجائر .

إن مبادىء الإنسانية ، ومبادىء الديموقراطية ، التي قامت عليها دعائم الحياة في الولايات المتحدة ، تتنافى مع إكراه شعب آمن في وطنه بإدخال عناصر أجنبية عنه ، لتتغلب عليه وتخرجه من بلاده ، مستعملة في ذلك تضليل الرأي العالمي ، باسم الرحمة بالإنسانية ، ووضعوا من وراء ذلك الحديد والنار .

لقد قامت الحرب العالمية الماضية ، ولم يكن في فلسطين من اليهود أكثر من خمسين ألف يهودي . وقام العرب مع بريطانيا وحليفتها الولايات المتحدة وحلفائهما ، فقاتلوا في سبيل قضية الحلفاء ، انتصاراً لحقوقهم ، وانتصاراً للمبادىء التي أعلنها الرئيس ولسن ، ومن جملتها تقرير المصير . فما كان من نتيجة ذلك إلاّ أن أعلنت الحكومة البريطانية وعد بلفور ، وأخذت تدخل اليهود إلى فلسطين بالقوة والجبروت ، خلافاً للمبادىء الديموقراطية ،وخلافاً لأي مبدأ إنساني.وقد قام العرب باحتجاجات وثورات للدفاع عن حقوقهم ، ولكنهم كانوا يجابهون بأقصى ما يمكن من الشدة والقسوة ، حتى أُجبروا على غير ما يريدون .

ولما قامت الحرب العامة الأخيرة ، وتألبت القوات على بريطانيا من كل جهة ، وثبتت بريطانيا وحدها ، وأظهرت من الثبات والجلد ما حاز إعجاب العالم . وأدى ثباتها إلى انتشال العالم من الخطر المحدق به . في تلك الأيامالحالكة المظلمة ؛ قام أعداؤها يبذلون الوعود للعرب بالقضاء على الصهيونية ، وكنت في ذلك الوقت أقدر حراجة الموقف حق قدرها ، فوقفت حينئذ بجانب بريطانيا ، ونصحت العرب أجمعين بوجوب الإخلاد إلى السكينة ، وأكدت للعرب أن بريطانيا وحلفاءها ، لن يخالفوا المبادىء الإنسانية الديموقراطية التي دخلوا الحرب لنصرتها . فقبل العرب نصائحي ، وساعدوا بريطانيا وحلفاءها ، بكل ما يستطيعون ، حتى خرج الحلفاء من الحرب ظافرين . والآن يراد باسم الإنسانية أن تُكره الأكثرية العربية في فلسطين ، على إدخال شعب بغيض لهم ، ليصبح أكثرية ، ويصبح الأكثرون الأقلّين . وأعتقد أن فخامتكم توافقون معي ، على أنه لا يوجد شعب في العالم ، يمكن أن يقبل بأن يدخل عليه في بلاده شعب أجنبي عنه ، حتى تكون له الأكثرية ، ويتحكم فيها بما يشاء . وهذه الولايات المتحدة لم تسمح حتى الآن ، بإدخال العدد المقترح إدخاله لفلسطين ، لكي يدخل بلاد الولايات المتحدة ، لأن ذلك يختلف مع نظمها الموضوعة لحمايتها وحماية مصالحها .

ذكرتم فخامتكم في كتابكم ، أنه يمكنكم أن تؤكدوا أن حكومة الولايات المتحدة ، تقف ضد كل اعتداء أو أيّ نوع من أسباب الإرهاب لأسباب سياسية إذا نفذ اقتراحكم بشأن اليهود . وذكرتم أنكم مقتنعون بأن زعماء اليهود المسؤولين ، لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين . وبهذه المناسبة أحب أن أذكر فخامتكم ، بأن الحكومة البريطانية ، هي التي أعطت وعد بلفور ، وهي التي نقلت المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، تحت حماية حرابها ، وهي التي آوتهم وآوت زعماءهم ولا تزال توليهم من شفقتها ورحمتها بهم ؛ ورغم ذلك فإن الجيش البريطاني ، يكتوي بنار اليهود الصهيونية ، كل صباح ومساء . ولم يتمكن هؤلاء الزعماء ، أن يمنعوا العدوان من أنفسهم عمن آواهم ونصرهم . فإذا كان اليهود ، وهم في حالتهم الحاضرة لم تتمكن الحكومة البريطانية المحسنة إليهم ، من منع شرورهم ، وهي التي تملك من وسائل القوة ما لا يملكه العرب ، فكيف يستطيع العرب ان يأمنوا من اليهود ، في الحال والاستقبال ؟. أعتقد بأن فخامتكم توافقون معي ، بعد استعراض هذا الموقف ، على أن العرب الذين هم اليوم أكثرية في بلادهم ، لا يمكنهم أن يطمئنوا لدخول اليهود بينهم ، ولا يمكنهم أن يطمئنوا لمستقبل البلاد المجاورة لهم .

ذكرتم فخامتكم أنكم لا تستطيعون أن تفهموا لماذا شعرت بأن بيانكم الأخير ، كان مخالفاً للوعود السابقة ، والبيانات التي أدلت بها حكومة الولايات المتحدة . وذكرتم فخامتكم أن التأكيدات التي بذلت لي بأن لا تقوم الولايات المتحدة بأي عمل يبرهن على أنه عداء للعرب ، وأنه لا يمكن أن يتخذ أيّ قرار يغير الحالة الأساسية لفلسطين بدون استشارة الفريقين .

وإني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون نقض عهد قطعتموه ، ولا تريدون اعتداء على العرب . ومن أجل ذلك أستميح فخامتكم أن أبدي بصراحة أن التغيير الأساسي لفلسطين يكون بأن تصبح الأكثرية العربية أقلية ، وهذا هو الركن الأساسي . والمبادىء الديموقراطية تقضي بأنه متى وجدت أكثرية في

بلد ، فالحكومة تكون للأكثرية لا للأقلية . فإذا فقد العرب نسبتهم العددية الحاضرة ، فقدوا كل ميزات الحكم في بلادهم . وأيّ تغيير أساسي أعظم من هذا التغيير ؟ وهل يرضى شعب الولايات المتحدة أن يُدخل في بلاده عدداً أجنبياً يتغلب عليه بأكثريته؟وهل يمكن ان يعتبر مثل هذا عملاً إنسانياًديموقراطياً ؟

إني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون معاداة العرب ، بل تتمنون الخير لهم . وأعتقد بأن شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يرضى بمخالفة المبادىء الإنسانية والديموقراطية ، وقد أوضحت هذا لفخامتكم اعتماداً على الصراحة التي اعتدت عليها والتي أعتقد أن فخامتكم وشعب الولايات المتحدة يرغبان فيها . وإني على استعداد لبذل كل ما من شأنه أن يزيل سوء التفاهم ، وأن يجلو الحقائق ويوضحها ، لتأمين الحق والعدالة ولتوطيد الصداقة بيني وبين فخامتكم ، وبين شعب الولايات المتحدة . وأحب أن تثقوا فخامتكم بأن رغبتي في الدفاع عن العرب ومصالحهم ، لا تقلّ عن رغبتي في الدفاع عن سمعة الولايات المتحدة في البلاد الإسلامية والعربية وفي العالم أجمع . ولذلك تجدونني حريصاً كل الحرص على أن أواصل مساعيّ لإقناع فخامتكم وشعب الولايات المتحدة بالحقوق الإنسانية والديموقراطية التي تستهدفها الأمم المتحدة ويستهدفها فخامتكم وشعب الولايات المتحدة .

ولذلك أتوقع أن تعيدوا فخامتكم النظر في هذا الموقف ، لإيجاد حل عادل لهؤلاء المشردين ، يحفظ لهم حياتهم في البلاد الواسعة ، بدون اعتداء على شعب آمن مطمئن في بلاده .

وتقبلوا تحياتنا　　　　　　　　　　عبد العزيز آل سعود

من ترومان الى عبد العزيز

البيت الأبيض — واشنطن

١٣ يناير ١٩٤٧ — (يوافق ٢٠ صفر ١٣٦٦)

« سري »

حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية — الرياض

يا صاحب الجلالة

آسف جداً لتأخير الإجابة على كتاب جلالتكم الخاص بفلسطين، والمرسل لي في ٢ نوفمبر ١٩٤٦ بواسطة المفوضية العربية السعودية في واشنطن . إن التأخير هو نتيجة لرغبتي في أن تُدرس النقاط التي أبداها جلالتكم في الكتاب، بعناية تامة .

إنني مقدر جداً ، لأسلوب الصراحة ، وللصراحة التي أبديتموها في إجابتكم على رسالتي المؤرخة في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٦ وإني لمقتنع بأن هذه الإجابة هي من إلهام اهتمامكم ، لا برفاهية السكان العرب بفلسطين فحسب ، ولكنها رغبتكم الخاصة أيضاً في تقوية أواصر الصداقة بين الولايات المتحدة والبلاد العربية السعودية ، وفي أن تتبع الولايات المتحدة في موضوع فلسطين سياسة ترفع من سمعتها في العالمين العربي والإسلامي .

أما من جهتي ، فإني أحب أن أؤكد مرة ثانية ، رغبتي في أن تستمر وتنمو قويةً تلك الصداقة التي بين الولايات المتحدة والبلاد العربية السعودية ، والتي تقدرها هذه البلاد حق قدرها . وأملي الخالص ، هو ان يستمر نموّ الصداقة

والتعاون بين الولايات المتحدة والعالم العربي بل وكل العالم الإسلامي . إذ أنه أصبح من المفهوم بصفة عامة ، بين الأميركيين والعرب والمسلمين ، بأنهم يكافحون من أجل هدف عامّ وهو عالم السلام والرفاه المشيد على مبادىء العدل والإنصاف .

ومما لا شك فيه أن مشكلة فلسطين ، هي أصعب مشكلة يواجهها العالم في الوقت الحاضر . وترغب الولايات المتحدة بأن تحل هذه المشكلة بالطريقة التي يتحقق لدى العالم منها أنها عادلة ومنصفة . وكما قد ذكرت لكم في رسالتي بتاريخ ٢٥ أكتوبر أن الولايات المتحدة والقوات الأخرى الظافرة في الحرب العالمية الأولى ، قد تحملت مسؤولية معينة بشأن مستقبل فلسطين . وقد أخذت موقفها بعد انتهاء تلك الحرب بأنه يجب أن تكون فلسطين موضعاً للوطن القومي اليهودي . وقد كان في هذه البلاد شعور قوي بأن الشعب اليهودي الذي قدم للعالم خدمات شهيرة ، له الحق في وطن قومي خاص . ولقد ظهر أنه من المناسب أن يكون تأسيس هذا الوطن القومي ، في أرض كانت في نظر اليهود وطنهم الروحي منذ آلاف السنين .

ولتأييد إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، لم يكن لدى الولايات المتحدة في الماضي ، وليس لها الآن ، فكرة في مباشرة سياسة ستكون مجحفة بمصالح السكان الوطنيين بفلسطين . وترغب حكومة وشعب هذه البلاد الصيانة التامة لحقوق العرب واليهود ، من سكان فلسطين . وأن يحيا العرب واليهود في فلسطين ، حياة يسر مجردة من أي نوع من العسف السياسي أو الاقتصادي . إننا سنعارض بشدة أيّ حل لمشكلة فلسطين يسمح بتمييز لأغلبية السكان ضد الأقلية ، من الوجهة الدينية والجنسية أو أي بواعث أخرى . واعتقادنا بأن تحل هذه المشكلة ، بطريقة تعطي الجماعات المختلفة في الجنسية والدين، الفرص والحريات المماثلة ، بصرف النظر عن أن يكون لأية جماعة أغلبية عددية في أيّ وقت كان .

زد على ذلك أني مقتنع بأن الجماعات اليهودية ، ورؤساءها المهتمين بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ليس لهم مأرب ، لا في الوقت الحاضر ولا فيما بعد ، في إقصاء السكان الوطنيين بتلك البلاد ، أو في استعمال فلسطين كقاعدة للعدوان ضد الحكومات العربية المجاورة . لا يوجد هناك شعب تألم خلال السنوات القريبة ، من العدوان وعدم التسامح ، أكثر من اليهود . ولا يوجد شعب يقف وهو في حاجة إلى عطف العالم وتأييده في الوقت الحاضر أكثر من اليهود .

ولذا فإن ما لا يدركه العقل ، أن تفكر الجماعات اليهودية ورؤساؤها المسؤولون ، في العمل على عدم التسامح ، والعدوان ضد العرب ، في فلسطين أو في أيّ مكان آخر . إذ أن من المؤكد أن مثل هذا العمل سيثير الرأي العام ويستفزّ سخط العالم . كما أني مقتنع أيضاً بأن الأعمال الإرهابية التي تقوم بها في فلسطين بعض الجماعات اليهودية غير المسؤولة ، تدل قطعاً على مزاج اليهود بوجه عام ، في العالم كله ، أو هي رمز للتلهف اليهودي فيما يختص بفلسطين. وفي الواقع أن القسم الأعظم من اليهود الذين يقدرون بأن الالتجاء إلى الارهاب ، يضفي على مشكلة فلسطين من الصعوبات ما يحول دون حلها ، غير راضين عنه.

إنني أنتهز هذه المناسبة ، مرة ثانية ، لأوضح لكم بأني لا أعتبر تلك البيانات المتعددة التي صرحت بها ، بما فيها البيانات التي حرصت فيها على أن يسمح على الأقل لـ ١٠٠٠٠٠ من اليهود اللاجئين من أوربا بالدخول إلى فلسطين مناقضة للبيانات أو التأكيدات السابقة التي قطعتها حكومة الولايات المتحدة على نفسها . لقد أوضحت هذه الحكومة مراراً بأن وجهة نظرها هي أنه لن يكون هناك تغيير في الوضع الأساسي بفلسطين ، من دون استشارة العرب واليهود كليهما . ولقد حدث فعلاً خلال السنة الماضية إجراء عدة مشاورات مع العرب واليهود . ولكن لسوء الحظ لم تفض هذه المشاورات إلى حل متفق عليه للمشكلة الفلسطينية . وإنما أكدت ضرورة الإسراع في معالجة هذه المشكلة ولزوم إيجاد حل لها ، من دون تأخير أطول مما سبق .

وإني واثق من أن جلالتكم توافقون معي على أنه إلى أن يتوصل إلى قرارات بشأن مستقبل فلسطين ، فإن الالتباسات (عدم التثبت) التي هي ، في الوقت الحاضر على الأقل ، مسؤولة إلى حد ما عن الأحوال غير المستتبة في تلك البلاد ، ستستمر في بثّ تأثير مزعج في فلسطين والمناطق المجاورة .

إني أحب أن أكرر تقديري للصراحة التي أبديتموها في كتابكم المؤرخ في ٢ نوفمبر ١٩٤٦ تلك الصراحة التي تدل دلالة واضحة ، لا على صداقتكم فحسب ، بل وصداقة الشعب العربي السعودي مع الولايات المتحدة . ويمكنني أن أؤكد لكم بأن شعب الولايات المتحدة يرغب في أن يحافظ ويسعى لتقوية شعورنا بالصداقة نحو جلالتكم والشعب العربي السعودي وحكام البلاد العربية وشعوبها جمعاء .

مخلصكم

هاري . اس . ترومان

مقدمات مؤتمر لندن

وفي ١٣٦٥/٨/٢٥ (١٩٤٦/٧/٢٥) تسلمت وزارة الخارجية السعودية مذكرة من المفوضية البريطانية بجدة ، تشتمل على دعوة من الحكومة البريطانية للحكومة العربية السعودية ، لإرسال مندوبين عنها إلى لندن لحضور مؤتمر فيها لبحث قضية فلسطين .

وأصدر البيت الأبيض بواشنطن في ١٣٦٥/٩/١٧ (١٩٤٦/٨/١٦) بياناً صحفياً عبّر فيه عن الأمل في أن يأتي مؤتمر لندن بخير النتائج .. وقال : « مع العلم بأن حلّ مشكلة فلسطين بحد ذاتها لا يحلّ المشكلة الكبرى للمئات والآلاف المشردين في أوربا . فإن رئيس الولايات المتحدة يأمل أن يتمكن من الشروع في ترتيبات تستطيع بواسطتها الأقطار المختلفة ، وفي جملتها الولايات المتحدة ، أن تقبل كثيراً من هؤلاء الأشخاص ، ليكونوا فيها سكاناً دائمين » .

حول التقسيم

وفي ١٣٦٦/١١/١٢ (١٩٤٧/٩/٢٧) أرسلت وزارة الخارجية العربية السعودية بناءً على أمر الملك عبد العزيز، مذكرتين: إحداهما إلى المفوضية البريطانية، والثانية إلى المفوضية الأميركية بجدة؛ بشأن توصيات لجنة التحقيق الدولية بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها.

وفي المذكرتين إيضاح لأخطار هذا القرار وما فيه من منافاة لحقوق العرب، وما قد يحدث من ردّ الفعل في العالم العربي، ثم تقول الخارجية: «وهي بهذه المناسبة تناشد المسؤولين من رجال الحكومتين — البريطانية والأميركية — ملاحظة ما قد ذكرته حكومة جلالة الملك مراراً وتكراراً، وما نصحت به من عدم تأييد الصهيونيين الذين سيكونون وبالاً على الشرق الأوسط، وعلى الإنسانية جمعاء، بما سيقترفونه من آثام. وإن حكومة جلالته لتعتقد بأن التمادي في هذه السياسة، سيكون من الأسباب القوية لإثارة حرب عالمية ثالثة تكوى بها البشرية. لهذا ولما قدّمته المملكة العربية السعودية في مراجعاتها السابقة، فإنها تبعث باحتجاجها الصارخ على ما يقرر ضد مصلحة العرب في فلسطين. وهي ترجو أن تنظر الحكومة (البريطانية، والأميركية) لهذه القضية على ضوء الحق والعدالة»

، ، ،

خطورة الموقف في الشرق الأوسط

وفي ١٣٦٧/٣/١ (١٩٤٨/١/١٢) سلّمت وزارة الخارجية بجدة، وزير الولايات المتحدة المفوض، رسالة من الملك عبد العزيز لينقلها إلى حكومته. بين فيها خطورة الموقف في الشرق الأوسط، والدماء التي تهرق في فلسطين، ومدى خطر ذلك. وحرصه على ألاّ تزداد الحالة والعلاقات سوءاً بين العرب والولايات المتحدة. وأنه يود أن يُعلم الولايات المتحدة بأن العرب مجمعون

على القتال إلى آخر ولد يلد منهم ، وليس ذلك عن رغبة منهم بالحرب والاشتباك بأحد ، وإنما هو بدافع الدفاع عن النفس والوطن والشرف »

ثم يقول : « هذا الذي عرفته عن العرب ، وأنا واحد منهم ، وهذا الذي يحملني على أن أصارح حكومة الولايات المتحدة الأميركية بهذه الحقيقة ، وأني رأيت من العقلاء استنكاراً لما قامت به الولايات المتحدة الأميركية من حمل الممكن حمله من أعضاء هيأة الأمم المتحدة على قبول تقسيم فلسطين العربية ، وإقامة دولة يهودية في بلد عربي لا حقّ لليهود في كثير منه ولا قليل » .

، ، ،

يهود اليمن

وفي ١٣٦٧/٤/٤ (١٩٤٨/٢/١٦) أبرق عبد العزيز إلى إمام اليمن (يحيى حميد الدين) يشير إلى برقية سابقة — قبل عام — بشأن اليهود اليمانيين الذين يهاجرون إلى فلسطين وشرورهم هناك . ولفت انتباهه إلى أنهم ما زالوا إلى الآن يهاجرون ويقومون بأعنف الأعمال الإرهابية والتجسس على العرب ، راجياً منعهم .

وأجابه الإمام يحيى مؤكداً المنع الذي أصدره قبل عام ، وطالباً معاونة قوات الحدود السعودية على تنفيذه .

، ، ،

أميركا تتخلى عن مشروع التقسيم

وفي ١٣٦٧/٥/١٠ (١٩٤٨/٣/١٨) أعلنت حكومة الولايات المتحدة تخليها عن تأييد مشروع التقسيم . فأرسل الملك عبد العزيز في اليوم التالي برقية نقلت مضمونها وزارة الخارجية السعودية إلى وزير أميركا المفوض بجدة تعبّر عن سرور الملك لموقف أميركا الأخير ، وأمله في أن تكون هذه خطوة لحلّ القضية حلاً عادلاً .

، ، ،

عرب فلسطين مهدّدون

وفي ١٣٦٧/٦/٢٦ (١٩٤٨/٥/٦) أمر خارجيته بجدة أن تقدم إلى المفوضية البريطانية فيها ، مذكرة تبين حرص الدول العربية على حفظ النظام في فلسطين وحماية أرواح العرب . وتلفت نظر الحكومة البريطانية إلى موقفها في ترك فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ وإلى ما لدى اليهود من استعدادات عسكرية ، لتهديد كيان العرب والإقدام على أعمال لا تخفى عليهم ، وأن هذه الحال تجعل العرب ملزمين باتخاذ كل ما يمكن لحفظ حياتهم وحياة إخوانهم في فلسطين فإذا كانت الحكومة البريطانية تتعهد بوقف العدوان اليهودي قبل ١٥ مايو أو بعده ، فنحن مستعدون للسعي مع الدول العربية للتعاون على إحلال السلام ، وإذا ظل اليهود على اعتداءاتهم فلا يوجد حام لأرواح أهل فلسطين العرب . و « إذا كانت الحكومة البريطانية ستتخلى عن مسؤوليتها ، ويبقى العرب العزّل أمام اليهودية المجرمة المسلحة ، ففي هذه الحالة سيكون من الواجب على الدول العربية أن تأخذ للأمر عدته من الآن لتقوم بالواجب عليها في حماية أرواح العرب الذين لن يكون لهم بعد ١٥ مايو ما يقيهم من عدوان اليهود »

، ، ،

من يمنع الخطر ؟

وفي ١٣٦٧/٦/٢٩ (١٩٤٨/٥/٩) وردت على الملك عبد العزيز برقية من المستر أرنست بيفن (وزير خارجية بريطانيا) يرجو فيها النظر بعين الجدّ إلى مقترحات تضمن السلم في فلسطين ، وتحول دون ازدياد تدهور الحالة ، وأن يقدر العرب الموقف حق قدره قبل أن يصلوا إلى قرار نهائي .

وأجاب الملك على البرقية ، بواسطة المفوضية البريطانية بجدة : « مع تقديرنا لوجهة نظر الوزير البريطاني والشعور النبيل الذي دفعه إلى ذلك ، فإننا لا نرى أن أحداً يستطيع أن يقوم بالواجب في هذه المسألة ، لمصلحته الشخصية

ومصلحة أصدقائه ، ويستطيع أن يمنع الخطر إلاّ حكومة بريطانيا » .

وجاء في جواب الملك أيضاً ، أنه مع تقديره لوجاهة آراء المستر بيفن « لا ينفع في الخائف أن يقال له لا خطر عليك ! » وأنه « لم يبق لتلافي الأمر إلاّ طريقتان : إما أن تقوم الحكومة البريطانية بنفسها بالواجب وتتحمل المسؤولية أو تترك الحبل على الغارب وحينذاك لا يستطيع أحد أن يعرف ما تصير إليه الأمور » و « يقيني أنهم إذا لم يحملوا هذه المسؤولية فإن الخطر سيكون كبيراً يتأسفون لنتائجه كما يتأسف العرب عليه » .

، ، ،

وفد سوري لبنـاني

وفي ١٣٦٧/٧/٢ (مايو ١٩٤٨) صدر بلاغ رسمي في الرياض عن حضور جميل مردم ورياض الصلح على رأس وفدين (سوري ولبناني) وأنهما عرضا



رياض الصلح



جميل مردم

على الملك خلاصة الموقف في فلسطين ، وأنه أيد كل ما اتخذ للدفاع عن عروبة فلسطين والحيلولة دون قيام دولة يهودية فيها ، وقرر اشتراك المملكة العربية

السعودية في الدفاع عسكرياً عن فلسطين ، متضامناً مع الدول العربية إلى أن تظفر فلسطين بحقها وعروبتها » .

، ، ،

وفي ١٤ رمضان ١٣٦٧ (٢٠ يوليو ١٩٤٨) أمر بالاقتراح على الحكومتين البريطانية والأميركية ، بواسطة وزيريهما المفوضين بجدة ، أن تختار كلّ منهما شخصين من رجالها وتقوم هذه اللجنة بمسعى جديد للوساطة، في حل المشكل بعد التعقد الذي صار إليه ، وأن هذا رأيه الخاص ، ولم يفاتح به أحداً بعد ، حتى يرى موقف الحكومتين منه . وكان جواب الحكومتين الاعتذار ولم يعمل بالاقتراح .

إنذار أميركي

وفي ١٦ ربيع الثاني ١٣٦٧ (٢٦ فبراير ١٩٤٨) تسلّمت الخارجيةالسعودية من الوزير الأميركي المفوض ، نسخة عن خطاب ممثل أميركا في مجلس الأمن ، عن الموقف في فلسطين ، وأن الأمن مهدّد من قبل الدول المجاورة .. وضرورة تطبيق الميثاق . وقال الوزير الأميركي : إن حكومته تود أن تحيط الحكومات العربية ، بأن أية محاولة بالعنف أو القتال أو التدخل العسكري ، في مسألة فلسطين من جانب إحدى الدول العربية المجاورة ، لن يكون في مصلحة تلك الدولة . .

المشاركة بالمال والرجال

وبينما السياسة تسير في مجراها ، مدّاً وجزراً ، أصدر عبد العزيز ، في أوائل ١٣٦٧ (أواخر ١٩٤٧) أمراً عاماً إلى حكام نجد وشيوخ قبائلها ، بتسجيل « المتطوعين » من سنّ العشرين إلى الخمسين . وجعل مقرّ الاحتشاد في الجوف وفي الوقت نفسه أمر بجمع التبرعات لإسعاف المجاهدين في فلسطين . وابتدأ التبرع بخمسة آلاف جنيه من سيدات القصر في الرياض . وتبرع تاجران

من أهل جدة ، كلّ منهما ، بخمسة وعشرين ألف جنيه وتاجر ثالث بعشرة آلاف . وعملت الأريحيّات عملها في سائر أقاليم المملكة .

ذكرى مؤلمة

وما زلت أذكر بكل ألم وحسرة ، قبيل نشوب القتال بين العرب واليهود (سنة ١٩٤٨) مقابلتي للسفير البريطاني بجدة ، حوالى الساعة العاشرة ليلاً ، وكنت آنئذ أقوم بشؤون الخارجية . وقد أبلغني رسالة شفهية عن لسان الملك عبد الله ، ملك الأردنّ ، مؤداها أن عبد الله علم بنبأ التجمعات على حدود المملكة الأردنية ، وأنه إذا كان القصد زحفها إلى فلسطين عن طريق بلاده ، فسوف يترك قتال اليهود ويقاتلها ..

لهذا لم يظهر لتلك الحشود أثر يوم المعركة ، واضطرت حكومة عبد العزيز إلى الاكتفاء بطابور من جندها النظامي ، أبحر من جدة إلى السويس وانضمّ إلى القوات المصرية . وكانت له ، في صفوف الجيش المصري ، مواقف أضخم من عدده .

بريطانيا تتبنى رأي الملك عبد الله

وفي ٢٦ جمادى الأولى ١٣٦٧ (٥ إبريل ١٩٤٨) قدّم السفير البريطاني بجدة ، مذكرة إلى وزير الخارجية السعودية ، يذكر فيها مسؤولية الحكومة البريطانية عن الأمن في فلسطين حتى نهاية الانتداب ، وأن « تشكيلات غير عسكرية منظمة تجري على الحدود ، وتعبر الحدود في بعض الأحيان ، وينتج عنها اشتباكات مع قوات الأمن التابعة لسلطة الانتداب البريطانية .. » ويأمل أن تحول حكومة جلالة الملك دون قيام مثل هذه الأمور من جانب أراضيها ..

والخارجية تجيب

وأجابت وزارة الخارجية السعودية ، في ٦ جمادى الثانية ١٣٦٧ (١٥

إبريل ١٩٤٨) باهتمام الحكومة لعدم حدوث ما يُسيء إلى القوات البريطانية في فلسطين « غير أن الأعمال الوحشية التي قام بها اليهود تجاه العرب وخصوصاً غير المحاربين منهم ، ستجعل من العسير ، بل من الخطر على سمعة أي فرد ، أن يدعو أحداً للامتناع عن نجدة إخوانهم العرب ، الذين يقتّلون أفظع أنواع التقتيل ، بأيدي هذه الفئة المجرمة من اليهود » وأنه « ليس هناك من علاج للموقف إلا منع هذه الفئة من إجرامها » وأنه « لو اتخذت قوات الأمن البريطانية إجراءها ضد هؤلاء المجرمين ، فإن ذلك سيسهل تقليل تلك الجرائم أكثر مما يسهّله منع دخول المتطوعين ، الذين لم يحملهم على القدوم إلا حماية أرواح الأبرياء من العرب ، إزاء العدوان اليهودي المزوّد بأخطر أنواع الأسلحة وأشدها »

من عبد العزيز إلى الحكومة الأميركية

وفي ١٢ رجب ١٣٦٧ (٢١ مايو ١٩٤٨) بعث الملك عبد العزيز إلى الحكومة الأميركية بواسطة وزيرها المفوض بجدة ، يطلب إليها أن تتبصر في الموقف بفلسطين جيداً ، فإنه يزداد خطورة ، ويقول : « كنت من قبل أشير على العرب بالتأني ، ولكن بعد وقوع ما وقع من سفك دماء النساء والأطفال ونهب الأموال ، لم أجد بداً من أن يقوم العرب بواجبهم » ثم يقول : « إن كان قصد الولايات المتحدة الأميركية تحدّي العرب ، وقد تعمّدت ذلك ، فإن العرب يفضلون الموت على الحياة ، وإن كان ما بدر من الخطأ مظنة الإصلاح فنأمل التبصر في الأمر »

المعركـــة

قال المؤرخ الألماني فون ميكوش[١] :

انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين في الرابع عشر من أيار (مايو) ١٩٤٨) = رجب سنة ١٣٦٧ فأعلن اليهود في الليلة نفسها قيام دولتهم المستقلة. وتحركت الجيوش العربية في فجر اليوم التالي للقضاء على هذه الدولة الجديدة . وكان الاستعداد للمعركة الفاصلة قد بدأ من كلا الجانبين ، قبل ذلك بعدة أشهر ، وما خضع العرب ولا اليهود لقرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم البلاد . وكانت المدن والقرى الفلسطينية في خلال ذلك مسرحاً للقتال الدامي . وقد هيأ اليهود ٦٠ ألف مقاتل في منظمات مدربة « الارغون والشتيرن والهاگاناه »، وأخذوا يحتلون كل بقعة يجلو عنها الإنكليز . ثم انتشرت أعمالهم الإرهابية في كل مكان . وكان من مقررات الجامعة العربية في البداية ، ترك الكفاح لأهالي فلسطين العرب ، والاكتفاء بمساعدتهم بالسلاح والمال . ولم تفكر الحكومات العربية بتدخّل جيوشها النظامية إلاّ بعدما أحرز اليهود عدة انتصارات في أواخر أيام الانتداب البريطاني . وقد أخذوا يشنون حملات إبادة لإرهاب السكان العرب الذين لم يلجأوا إلى الفرار ، ونظموا عدة مذابح أخصها مذبحة « دير ياسين » قرب القدس ، حيث فتكوا بجميع سكانها بما في ذلك النساء والأطفال والعجز ، فاستولى الذعر على سكان فلسطين العرب ، وبادروا إلى الفرار عبر الحدود السورية واللبنانية والأردنية .

وإذا كانت الجيوش العربية قد مُنيت بالهزيمة رغم تفوقها العددي ، فمردّ ذلك إلى افتقارها لقيادة موحدة .. في حين كان اليهود يحاربون بشكل جنوني لبناء دولتهم . كما لعبت المنافسات والمنازعات وعوامل الحسد والانقسام وبعثرة

---

(١) في كتابه « عبد العزيز » نقله إلى العربية الدكتور أمين رويحة .

الصفوف دورها على المسرح العربي . وأدى الملك عبد الله دوراً بارزاً في هذا المجال . يضاف إلى ذلك أن أفواجاً عربية عديدة ، كانت تحارب بأسلحة مفتقرة إلى الذخيرة . كما كانت الجيوش العربية مفتقرة إلى سيارات النقل ، والسيارات المصفحة ، وجرارات المدافع ووسائل التموين المنظمة . وأما الجيش المصري أقوى الجيوش العربية ، فقد كانت أسلحته فاسدة ، نتيجة صفقات دبرتها عناصر خائنة في البلاد .

حول مشروع برنادوت

وفي ١٣٦٧/١١/٣٠ (١٩٤٨/١٠/٣٠) قابل السفير البريطاني بجدة، الملك عبد العزيز وعرض عليه «رأي الحكومة البريطانية بأن الوضع العسكري في فلسطين ليس من مصلحة العرب . ومن رأي حكومته أن يقبل العرب مشروع برنادوت » فكان مما أجابه : « هل قال لكم العرب إننا ضعفاء ، أم أنتم الذين أجبرتم العرب على وقف الحرب ، فماذا يفعل العرب ؟.. مساعدة لم تساعدوهم وإنصاف لم تنصفوهم ، وضمان لم تضمنوهم ، فماذا تطلبون مني أن أقول للعرب ؟.. هل أقول سلّموا ..؟ » فقال السفير إن حكومته بينها وبين العراق وشرقي الأردن ومصر معاهدات دفاعية ، وإذا اعتدى اليهود على إحداها فحكومته مجبرة على الدفاع عنها .. فقال الملك: « انتهينا ! الآن هؤلاء حلفاؤكم اتفقوا معهم وألزموهم بالقبول أو عدم القبول . وأنا لا دخل لي في الأمر . كنت من قبل أحيل المسائل إلى الجامعة ، والآن أنا أحيلها إلى حلفائكم ، فإن قبلوا فأنا معهم وإن لم يقبلوا فأنا معهم . ولا يمكن أن أعرض عليهم شيئاً .

، ، ،

تصريحه للجنة التوفيق

وفي ١٣٦٨/٤/١٩ (١٩٤٩/٢/١٧) استقبل الملك أعضاء « لجنة التوفيق الدولية الفلسطينية » وشرح لهم مدى الظلم القائم في فلسطين ، ومخالفة اليهود

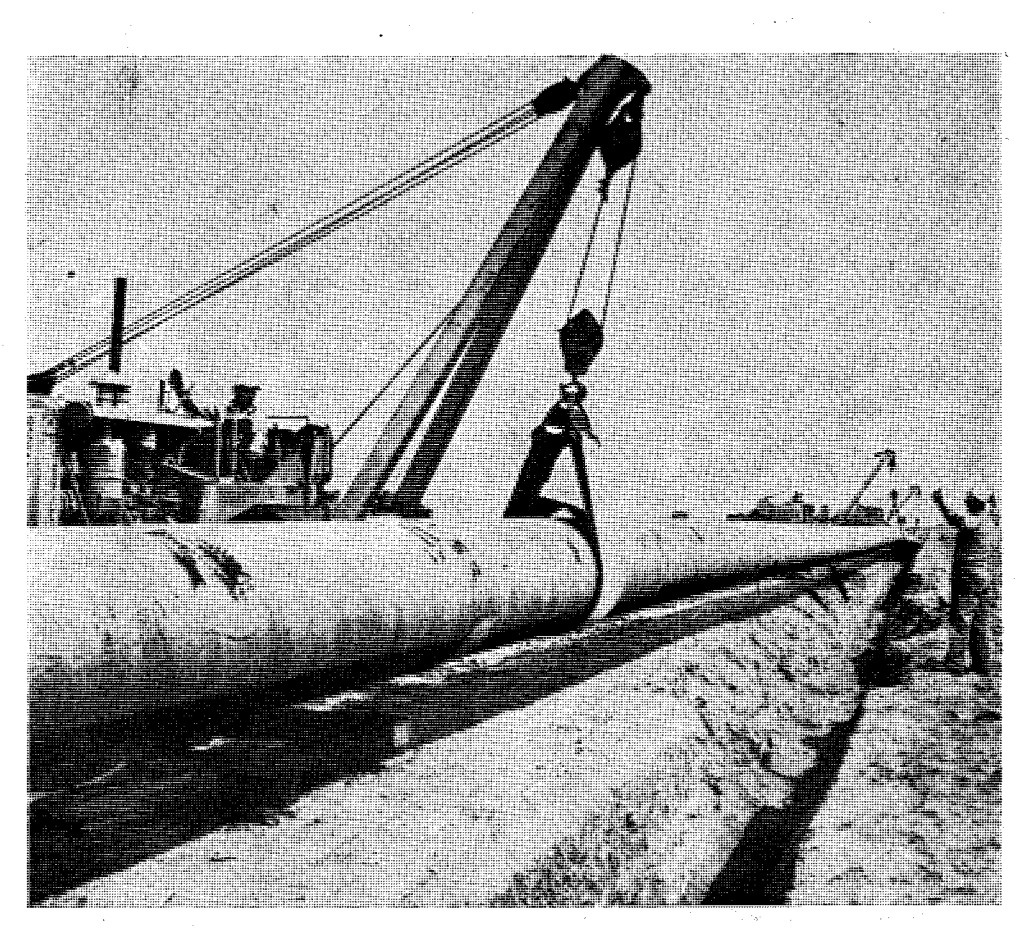
لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وأن العرب راغبون في السلام « لكن لا بد قبل كل بحث جدي في موضوع إقرار السلام بفلسطين ، من اتخاذ إجراآت دولية لا يمكن بدونها أن يحصل الاستقرار ولا الطمأنينة » وبعد أن فصّل لهم ضرورة هذه الضمانات وكيف يجب أن تكون قال : « وقبل أن يتمّ ذلك ، وقبل أن يفهم اليهود أن الدول عدلت عن تدليلهم والإغضاء عن اعتداآتهم والاستمرار على إمدادهم بالأسلحة التي تمكّنهم من العدوان والطغيان فإننا لا نرى إمكانا لأي تفاهم » .

، ، ،

ختام البحث

أقف هنا ، بعد إيراد ما استطعت ادخاره ، من « وثائق » و « رسائل » لم يهيأ لها النشر ، على كثرة ما كتب في الموضوع ، قبل اليوم ، أثبتّها في خلال تسلسل الحوادث ، بنصوصها الرسمية ، وحفظت لها طابعها الديواني ، ولا سيما المترجم منها ، مما تعذّر عليّ الرجوع إلى أصوله المترجم عنها .

وما كان هدفي ، كما هو واضح ، أن أؤرخ لقضية فلسطين أو لجانب من جوانبها ، في معرض الحديث عن واضع أسس الدولة السعودية الحديثة ، وإنما أردت بها أن أعرض صفحة قائمة على الأرقام والتواريخ والنصوص ، من صفحات ما بذله عبد العزيز من مجهود في هذه الناحية . وقصاراي أن أكون قد نقلت إلى القارىء صورة صحيحة عن شعوري بأن عبد العزيز لم يترك سبيلاً اهتدى إليه ، إلاّ سلكه ، لدفع الكارثة عن تلك البقعة العزيزة الغالية من بقاع العرب والإسلام : بذل المال والرجال ، وقابل الأقطاب ممن بأيديهم زمام السياسة العالمية ، وكاتبهم ، ومتّ إليهم بصداقات وعلاقات ، وجال معهم في كل ميدان ، وللسياسة أُذن صماء ولا يفلّ الحديد إلاّ الحديد ..



الأنابيب تنقل النفط

الملك عبد العزيز

وخط الأنابيب

في ٢٢ شعبان ١٣٦٦ (١١ يوليو ١٩٤٧) وضعت « اتفاقية » بين الحكومة السعودية (يمثّلها عبد الله السليمان وزير المالية) وشركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية السعودية (يمثّلها وليم ج. لنهان) في ٢٩ مادة[١] خلاصتها : منح الشركة امتيازاً بإنشاء خط أو خطوط من الأنابيب ، لنقل النفط ومنتجاته ، من من البلاد العربية السعودية إلى مرفأ نهائي على ساحل البحر الأبيض المتوسط . ومدة الامتياز هي المدة الباقية من امتياز شركة الزيت العربية الأميركية، أو أية مدة أخرى يمد إليها هذا الامتياز . ويعفى الزيت الذي يمرّ بها ومشتقاته من رسوم التصدير والتوريد والمرور إلاّ ما يعرض للبيع ، لاستهلاكه في البلاد العربية السعودية . كما يعفى ما تستورده الشركة من الأدوات ولوازم المنشآت إلاّ ما قد تبيعه ليُستعمل في البلاد السعودية ، أو ما تستورده لاستعمال موظفيها. وللحكومة الحق المطلق — محافظةً على الأمن أو لأسباب سياسية أو دينية — أن تمنع أي شخص تستخدمه الشركة من الدخول إلى البلاد ، أو الإقامة فيها . ويكون استخدام عمالها في البلاد العربية السعودية خاضعاً لتشريع البلاد العربية السعودية . وتدفع الشركة ما تنفقه الحكومة لتدابير الأمن في المحافظة على المشروع

---

(١) نصها الكامل في أم القرى ٤ صفر ١٣٦٩ (٢٥ نوفمبر ١٩٤٩) ونشرت على حدة ، مع نص المرسوم بإنفاذها رقم ٤٥٨٩

ونفقات إنشاء المساكن ووسائل النقل لقوات الأمن الخ .

، ، ،

وتقول وزارة المالية سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) في «بحث» لها عن الخط وإنشائه: إن نفط المملكة العربية السعودية، سيسيل من منابع استخراجه في شرق المملكة ، من نقطة تقرب من حفر الباطن ، ممتداً في اتجاه الشمال الغربي إلى تل الحبر بالقرب من حدود المملكة الأردنية ، ثم يمرّ في المملكة الأردنية وسورية في نفس الاتجاه إلى أن يبلغ مدينة صيدا ، على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، في لبنان. وتبلغ سعة الأنابيب عبر البلاد العربية ما لم تبلغه سعة أي قطر لخط أنابيب للزيت الخام في العالم . فهو أعظم مشروع من نوعه وأول خط أنشىء في ضخامته حتى الآن .

وقد جعل قياس خط الأنابيب لنصف الكمية ٣١ بوصة والنصف الآخر ٣٠ بوصة بحيث يمكن وضع الثانية في داخل الأولى . وفي ذلك ما يوفر نصف مسافات الشحن مع تسهيل النقل . وجعل « رأس المشعاب » ميناءً خاصاً لعمليات خط الأنابيب ، على بعد خمسة أميال جنوبي المنطقة المحايدة الواقعة بين المملكة والكويت . وقد جهز هناك مركز مزود بالآلات اللازمة لتفريغ شحنات الأنابيب من البواخر ونقلها بخط ذي سلك جويّ .

وسيكون في الإمكان إسالة (٣٠٠٠٠٠) برميل من الزيت الخام يومياً عن هذا الطريق ، بواسطة أربع مضخات عظيمة في المراكز الآتية : حفر الباطن ، رفحة ، وادي بَدَنَة ، تلّ الحبر .

وقد أنشأت الشركة (أرامكو) قواعد في رأس تنورة على الخليج ، ينقل منها الزيت على حاملاته البحرية ، ليوزع في أنحاء العالم . وكانت أوربا ولا تزال في طليعة مستهلكي النفط العربي السعودي ، فكان لا بدّ لحاملات الزيت من أن تقطع مسافة ٣٦٠٠ ميل عبر البحار قبل أن تصل إلى مياه البحر الأبيض المتوسط عبر قناة السويس . وقيست المسافة بين منطقة استخراج النفط (الظهران

و « القطيف » وبين ميناء متوسط على الساحل الشرقي من البحر الأبيض ، فإذا هي لا تزيد على ١٠٧٠ ميلاً . وحسبت كمية الحديد اللازمة لصنع أنابيب ضخمة ، قطرها ٣٠ بوصة ، تمتد مسافة ١٠٧٠ ميلاً (بين الظهران وصيدا) فبلغت ١٣٥ ألف طن يمكن أن يسيل فيها ٣٠٠ ألف برميل يومياً .

وقدرت كمية الحديد اللازمة لصنع حاملات نقل بحرية يمكنها أن تنقل ما معدله ٣٠٠ ألف برميل يومياً من ميناء رأس تنورة إلى صيدا ، فوجد يزيد على حاجة الأنابيب منه عند تصنيعها .

وبعد دراسات فنية واقتصادية مختلفة للمشروع تقرر تنفيذه على أن ينتهي العمل منه في خلال عام ١٩٥٠م

والمعتقد أن العالم سيصبح عما قريب في حاجة إلى أكثر من مليار برميل من النفط ومشتقاته يومياً ، لأن حاجة أوربا إلى ذلك ستزداد حتماً ، كما يرى الخبراء ، خلال السنين المقبلة . ويرون فوق هذا أن النفط العربي السعودي بعد مدّ هذه الأنابيب سيصبح من أقرب مصادر النفط إلى أوروبا .

وهناك ما يدلّ على أن مقدرة الشرق الأوسط على تصدير النفط ، ستصل إلى (١,٦٠٠,٠٠٠) برميل يومياً ، وأن أوربا وحدها سوف تستهلك نصف هذه الكمية . لأن حالة النفط في أميركا ووسائل نقله لن تسمح بسدّ حاجة أوربا منه ، فضلاً عن احتياج أميركا نفسها إلى نفطها .

تقرير شركة الزيت

وتقول شركة الزيت العربية الأميركية في تقرير عن تاريخ خط الأنابيب :

« إن خط أنابيب الزيت العظيم ، الذي سيربط البلاد العربية السعودية بالبحر الأبيض المتوسط . ما كان القيام به ليتحقق ، لولا المعاونة الصادقة التي بذلها الملك عبد العزيز .

وعندما يكمل هذا المشروع ، سيمر الزيت ، بالقيسومة ورفح ، وبدنة ، وطُرَيْف

من البلاد السعودية . ثم يعبر الحدود خلال الأردن ّ وسورية ولبنان ، إلى ميناء الزيت جنوبي صيدا .

« بدأت الدراسات والمفاوضات ، حول حقوق المرور ، عبر البلدان التي يمر بها الخط في نوفمبر ١٩٤٤ . وفي ديسمبر ١٩٤٦ تمت الخطط لتنفيذ المشروع . ثم اتخذت التدابير لجلب قطع الأنابيب من الولايات المتحدة . ووصلت الشحنة الأولى من الأنابيب إلى البلاد العربية السعودية ، في ديسمبر ١٩٤٧

« ولتسهيل مهمة استلام الأنابيب ، وبدء نقلها إلى البر وتوزيعها ، أُنشيء ميناء خاص ومركز لعمليات الإنشاء في بلدة رأس مشعاب ، على خمسة أميال في جنوب منطقة الكويت المحايدة ، على ساحل الخليج .

« ومن المنشآت التي شيدت في منطقة التفريغ برأس مشعاب ، جزيرة صناعية أقيمت على البحر واتصلت بالساحل على طريق من الأسلاك المعلقة . فكلما وصلت شحنة إلى هذه الجزيرة ، نقلتها الروافع والعربات إلى البر مسافة ميلين ونصف ميل عبر المياه الضحلة . وكل عربة يديرها رجل واحد . وهي تسير فوق طريق الأسلاك المعلقة .

« وخط الأنابيب المارّ بالبلاد العربية ، أوسع ما أنشيء لخطوط الزيت الخام حتى الآن . ولكي نضرب مثلاً للعدد الضخم من المعدّات الميكانيكية المشتركة في إنشاء هذا الخط ، يكفي أن نقول : إن أكثر من ٦٠٠ سيارة ولوري وأكثر من ١١٠ جرارات (طراز كاتربلر) و ١٨٠ عربة مقطورة و ١٠٠ مكينة لحام كانت تستعمل في هذا المشروع .

بعد اكتمال الخط

كانت نهاية الخط في ميناء « الزهراني » على ثمانية كيلو مترات من مدينة صيدا ، جنوباً ، في الشاطيء اللبناني ، حيث تشحن البواخر بنفط المملكة العربية السعودية ، مجلوباً إليها بالأنابيب من بُقيق ، على الخليج العربي ، غرباً

إلى حدود المملكة الأردنية (٨٥٣ ميلاً) فحدود الجمهورية السورية (١١١ ميلاً) فحدود الجمهورية اللبنانية (٧٩ ميلاً) فميناء الزهراني ، جنوبيّ صيدا (٢٦ ميلاً) حيث يمتدّ الخط تحت الماء مسافة ميل واحد ، ليصبّ النفط في ناقلاته .

وبهذا يكون طول الخط ، من بُقيق إلى الزّهراني (١,٠٧٠) ميلاً ، أي (١,٧٢١) كيلو متراً .

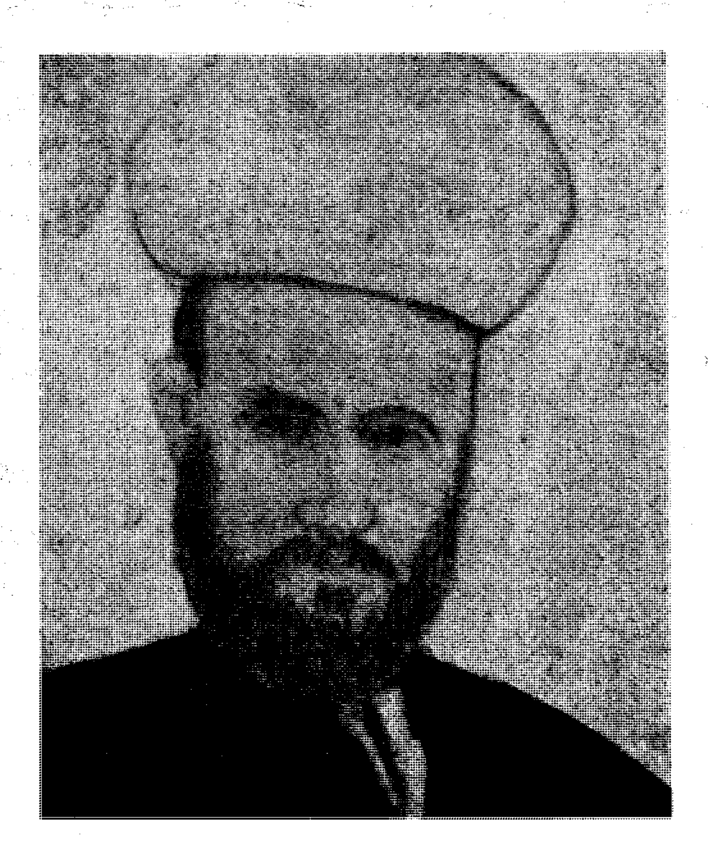
وسمي الخط بالتبلاين ، اختصاراً لكلمات Trans arabian Pipe Line وترجمتها : خطّ الأنابيب في البلاد العربية .

وهو أطول خط من نوعه في العالم . أُنفق على إنشائه ٢٤٠ مليون دولار .

وأول ناقلة للنفط من مصبّ الأنابيب في الزهراني ، عُبئت في ٢١ صفر ١٣٧٠ (٢ ديسمبر ١٩٥٠)

وكان معدّل ما تستطيع الأنابيب أن تصبه في ابتداء عملها ٣٠٠,٠٠٠ برميل يومياً . ثم سرعان ما بلغ ٤٥٠,٠٠٠ برميل في اليوم . أي حوالي ١٩,٠٠٠ برميل في الساعة ، ليلاً ونهاراً .

ابن الوزير



عبد الله بن أحمد ، ابن الوزير

الملك عبد العزيز

وموقفه من ثورة ابن الوزير[1]

لست هنا في معرض الإفاضة ، في بواعث ثورة « ابن الوزير » في اليمن ونتائجها ، فذلك من شأن من يؤرخ لليمن في قديمه وحديثه .

ولكن المتعلق بهذا الكتاب من تلك الثورة ، هو موقف الملك عبد العزيز منها ومن القائمين بها .

وأصدق ما يمكن الركون إليه من أسانيد التاريخ في مثل هذا الحادث «برقيات » تبودلت بين ابن الوزير ، والملك عبد العزيز ، لا تزال أصولها محفوظة في متناول اليد ، و « برقيات » تبودلت في خلال ذلك ، بين الملك عبد العزيز وبعض ثقاته ، و « برقيات » أخرى تدخل في لب الموضوع . وهذه نصوص تلك البرقيات ، ناطقة بالحوادث ومتسلسلة بحسب تواريخها :

(١)

المخرج : صنعاء — التاريخ ١٣٦٧/٤/٨

مستعجل . صاحب الجلالة الملك عبد العزيز — الرياض

توفي إلى رحمة الله جلالة الإمام يحيى بن محمد . وقد اجتمع من بيده الحل

---

(١) ابن الوزير : هو عبد الله بن أحمد ابن الوزير : صاحب « الثورة » المعروفة باسمه في اليمن وزعيم المؤامرة لقتل الإمام يحيى بن محمد حميد الدين بصنعاء . كان من ثقات الإمام يحيى ومن مقدمي وزرائه . وهو من بيت كبير في اليمن ، تولى بعض أسلافه الإمامة . وقد انتدبه الإمام =

والعقد من زعماء الأمة . وبعد إلحاح شديد ، قبلتُ مسؤولية العرش اليمني ، إماماً شرعياً ، وملكاً دستورياً ؛ مستعيناً بالله في أداء الواجب وتنفيذ إرادة الأمة ، معتمداً على معاضدتكم ، مطبقاً للميثاق الوطني لتكوين حكومة شرعية دستورية ، لها وزارة مسؤولة ، ومجلس شورى يمثل الأمة اليمنية . ومنذ اللحظة سيكون اليمن عضواً فعّالاً في الجامعة العربية ، والدفاع عن فلسطين ، والبلاد العربية الأخرى ؛ على أتم الوجوه قف .

أرجو باسم اليمن المستقلة الحرة منكم ، معاضدتي في مهمتي على جهة الاحتياط ،للحيلولة دون الأطماع الخارجية وإرسال كل دولة منكم ما تستطيع من مساعدة شعبنا ، بعدد من الطائرات على سبيل الإعارة والإجارة ، لمدة قصيرة ؛ لتهدأ الحالة التي ربما يثيرها بعض الأجانب . والمطار جاهز في صنعاء. وقد أوعزت لحكومتي أن تتصل بحكوماتكم . ولكم باسم الشعب اليمني أسمى آيات الشكر »

عبد الله الوزير

(٢)

المخرج : صنعاء . التاريخ ١٣٦٧/٤/٨

مستعجل . رئيس وزراء المملكة العربية السعودية — الرياض .

باسم حكومتي الشرعية الدستورية ، أرفع إليكم نبأ وفاة جلالة الإمام يحيى ومبايعة جلالة الملك الإمام عبد الله بن أحمد الوزير ، وتشكيل حكومة مسؤولة ومجلس شورى . أرجو التفضل بالاعتماد على هذا الإشعار مبدئياً . وأن تتفضلوا بإرسال من تثقون به لمعرفة الحال عن كثب وتقديم ما نحتاج إليه من رأي أو مشورة . بالنيابة عن رئيس الوزارة

حسين الكبسي
وزير الخارجية

يحيى لعقد « معاهدة الطائف » مع الملك عبد العزيز . ولما وقع اعتداء « المطاف » من الجنود اليمنيين على عبد العزيز ، كان ابن الوزير على رأس الحجيج اليماني في مكة .

(٣)

المخرج : الرياض . التاريخ ١٣٦٧/٤/٨
الرقم ٣١٢١

حضرة صاحب السعادة الأخ السيد عبد الله بن أحمد الوزير — صنعاء

ج — تلقينا برقية سعادتكم المتضمنة نبأ وفاة جلالة الإمام الملك يحيى ، وقيام أهل الحل والعقد بمبايعتكم إماماً شرعياً وملكاً دستورياً . ونحن إذ نسأل الله ان يتغمد الفقيد برحمته ، نرجو الخير والفلاح لليمن ، كما نرجو له العز والتوفيق ، قوياً مستقلاً . ونبادر إلى إعلام سيادتكم بأننا في موضوع طلبكم والطلب الذي تقدم به السيد الكبسي رئيس الوزراء ، فإننا قد راجعنا الجامعة العربية ، وطلبنا منها أن تدرس القضية ، وتقرر فيها ما تراه ، ونحن بحول الله سنكون مع الجامعة العربية على كل ما فيه خير اليمن وحفظ استقلاله . ونزيد على ذلك بقولنا إن معاهدتنا ومحالفتنا مع اليمن ، ما زالت قائمة . ونحن بحول الله وقوته ثابتون عليها ، معتمدون على التمسك بها ، بإذن الله . ونرجو من سيادة الأخ دوام المواصلة كما أننا نسأل الله جل شأنه أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه .

عبد العزيز

(٤)

المخرج : الرياض — التاريخ ١٣٦٧/٤/٨
يوسف ياسين / القاهرة — مستعجل للغاية

تلقينا اليوم برقية من صنعاء بإمضاء عبد الله ابن الوزير ، يخبرنا فيها بأن الإمام يحيى توفي ، وأن أهل العقد والحل قرروا إسناد الإمامة والملكية إليه . وأنه نزل عند إلحاحهم ، ووافق على أن يكون إماماً شرعياً وملكاً دستورياً لليمن . ويطلب منا المساعدة على وجه الاحتياط ، للحيلولة دون المطامع الأجنبية وإرسال بعض الطائرات على سبيل الإعارة والايجار قف .

ونحن قد أجبنا ابن الوزير ، من دون أن نعترف بملكيته أو إمامته ، بأننا فيما يتعلق بطلبه سنراجع الجامعة العربية لتبحث في ذلك . وما تقرره الجامعة نوافق عليه . وأما بالنسبة لعلاقاتنا مع اليمن فإن بيننا وبينه معاهدة ومحالفة ونحن بحول الله ثابتون عليهما .

ويهمنا أن تبحثوا الأمر في الجامعة بصورة مستعجلة وتخبرونا بما يراه الجماعة في الأمر .

نخبركم سراً أن إدارة اللاسلكي عندنا التقطت إفادة سرية خاصة من صنعاء ، بأن الإمام يحيى قد قتل قتلاً ، مع رئيس حكومته عبد الله العمري ، وأن الحالة هناك فيها شيء من الفوضى والشغب .

والتقطت إدارة اللاسلكي برقية أخرى مرسلة من ابن الوزير إلى والي عدن يخبره فيها بوفاة الإمام يحيى ، وقيامه هو بالأمر ، ويطلب منه إرسال طيارات إلى صنعاء وبوارج حربية إلى الحديدة ، بشكل مظاهرة ، لمدة قصيرة .

وكل هذه الأحوال لا تدل على خير . ولذلك فنحن نرى التريث في أي عمل حتى نرى ما تنتهي إليه الحال .

عبد العزيز

(٥)

المخرج : صنعاء التاريخ ١٣٦٧/٤/٩

جلالة الملك الأخ عبد العزيز آل سعود حفظه الله

ج — تلقيت برقيتكم الجوابية.وإني لأشكر ما تفضلتم به من بيان ما أنتم عليه نحونا.وذلك هو المؤمل من جلالتكم.وأؤكد لكم حيث طلبتم أن الأحوال بغاية الصلاح والهدوء ، والناس بكامل الاطمئنان والارتياح ، والحمد لله رب العالمين . ولا نشك في أن وصول طائرات عربية سعودية مع بعض رجالكم الأعزاء تتشرف اليمن الشقيقة بضيافتهم ، والاستفادة من نصائحهم ، سيكون

له أعظم وقع في نفوس إخوانكم اليمانيين . والنظر لجلالتكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

أخوكم المخلص

ملك اليمن الإمام عبد الله الوزير

(٦)

المخرج : القاهرة التاريخ ١٣٦٧/٤/٩

جلالة الملك المعظم — الرياض . مستعجل

ج — أطلعت رؤساء الوفود على ما أمرتم به بشأن ما حدث في اليمن . وكانوا من قبل بين مصدق ومكذب للخبر ، حتى وردت برقية جلالتكم . وقد شكروا لجلالتكم هذا الموقف الحكيم ، ويعتقدون أن الموقف بالنسبة للجميع غامض في اليمن وأن الحالة خطيرة ، وينبغي بذل ما يمكن لمنع الفتنة في اليمن . وذلك لا يمكن إلا بمعرفة الحقيقة . ويرون للاتصال باليمن أن يرسل شخصان من قبل الجامعة ، لمعرفة الحالة ، ثم يرسل وفد من مندوبي الدول العربية ؛ وقد يكون معهم أمين الجامعة ، لعلهم يتمكنون من إيقاف الفتنة في اليمن . والذي تقرر مستعجلاً أنهم يرجون إصدار توجيه من جلالتكم في هذا الموضوع وسنبحث القضية بعد الظهر إن شاء الله ..

يوسف

(٧)

المخرج : القاهرة التاريخ ١٣٦٧/٤/١٠

جلالة الملك المعظم — الرياض

قرر رؤساء الوفود إرسال شخصين مصريين ، كان أحدهما في صنعاء منذ خمسة أيام . وسيرسلونهما في طيارة مصرية أو سورية . فيرجون السماح لها بالنزول في جدة وتموينها بالبنزين اللازم . وقد يحتاجون أن توصلهم إحدى طياراتنا إلى صنعاء . ويسألون هل ذلك ممكن أم لا ؟

يوسف

(٨)

المخرج : الرياض التاريخ ١٣٦٧/٤/١٠

يوسف ياسين – القاهرة

نوافق على ما ذكرتم من إرسال بعثة إلى اليمن للوقوف على الحقيقة . وهذا أحسن ما يكون ، فأبلغوا الجماعة .

عبد العزيز

(٩)

المخرج : الرياض ١٣٦٧/٤/١٠

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد ابن الوزير – حفظه الله صنعاء .

يسرنا أن نفيد أخوتكم أن مجلس الجامعة العربية قرر إيفاد شخصين معتمدين من قبله إلى صنعاء ، لأجل المراجعة معكم ، ولتعرف ما أنتم عليه . وسيكون وصولهما بطائرة خاصة قريباً . وسنعرف سيادة الأخ عن وقت سفر الطائرة من بعد وصولها من مصر إلى جدة ..

عبد العزيز

(١٠)

المخرج : صنعاء . التاريخ ١٣٦٧/٤/١٩

مهم ومستعجل جداً – إلى حضرة صاحب الجلالة الأخ الكريم عبد العزيز آل سعود حفظه الله / الرياض

بعد تقديم التحيات الإسلامية لجلالتكم ونتمنى الصحة والعافية لكم ، وصلت برقياتكم وكنا نعتقد أن تكون عنايتكم بشقيقتكم اليمن فوق ذلك ، ولا سيما في مثل هذه الظروف الدقيقة ، وفي هذا العهد الذي يريد أن يعزز كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح ، خالياً عن كل حقد وتحريف ، فلقد أبلغنا جلالتكم في أول وقت ، والمؤمن محمول على الصدق ، فضلاً عن

خواص المؤمنين . أبلغناكم أن عقلاء الشعب اليماني على اختلاف طبقاتهم ، أجمعوا على بيعتنا ، وأجروها فعلاً تحت نظام إسلامي شوري أقسم الجميع على احترامه . وأشرنا في تبليغنا إلى ما تنطوي عليه طباع البدو الذين قال الله في مثلهم : الأعراب أشد كفراً ونفاقاً . من ميل إلى النهب والفوضى .وجلالتكم أعرف بطباعهم . والبدو لا تخاف إلا الطائرات القاذفة والدبابات المصفحة . وطلبنا منكم ذلك في حينه ولأهميته أدرج في الميثاق الوطني . ويعتقد البدو أن العاصمة مليئة بالأموال ، فشرهم كلهم موجه إليها وإلى ضواحيها . وما عدا ذلك من أنحاء القطر ، فهو في غاية الهدوء والسكينة. لكن نخشى أن تسري إليه العدوى ، ونخشى أن يكون ذلك فرصة للأجانب . فنؤكد لجلالتكم أن ليس في اليمن تقاتل على الحكم البتة ، كما تأكده بنفسه وفد الجامعة العربية . ولكن فيه اضطرابات لقطاع الطرق الذين قال الله فيهم : ويسعون في الأرض فساداً . وأنتم أعرف بجزائهم في القرآن . والآن نعود مرة أخرى ، فنطلب إلى جلالتكم أن تنجدونا بطائفة من قاذفات القنابل ، معها طائفة من الدبابات ، في أول وقت ، لأن كل دقيقة تمر دون تأديب مهيب ، تشجع على الفوضى .

ونحن نطلب إليكم ذلك في سرعة وإلحاح وليس باسم الملك والحكم. إن شئتم باسم المحافظة على الأمن فقط . ولكم الحكم والعدل بعد تأديب اللصوص ولمس الحقائق ، كما ترون أنتم والجامعة . ويسعدنا أن تشرفوا جلالتكم بنفسكم ، لتحكموا على الحقيقة عن مشاهدة . وأرسلوا من تثقون به .

نطلب إلى جلالتكم هذا ، كما طلبناه من وفد الجامعة الذي عاد خصيصاً لتحقيقه . وأملنا عظيم أن يصلنا المطلوب في الدقائق الأولى . وإلاّ ، لا سمح الله ، فإننا سنضطر مرغمين مقهورين ، عملاً بقاعدة بعض الشرّ أهون من بعض إلى الالتجاء إلى بعض الوسائل التي نكره الالتجاء إليها جميعاً . هذا الكلام تدرك مرارته . ولكن من الإنصاف أن نسجل للتاريخ أن المسؤول عن ذلك وحده ، هو اكتفاء الإخوان بالتفرج من بعيد ، وعدم أخذهم بالحزم والنجدة العملية التي تفرضها الأخوة والمواثيق والمصلحة المتبادلة .

ونأمل أن يصلنا الرد اليوم مفصلاً وتفضلوا جلالتكم بقبول عظيم إجلالنا واحترامنا والسلام عليكم » أخوكم ملك اليمن

الإمام عبد الله الوزير

(١١)

المخرج : الرياض التاريخ ١٣٦٧/٤/١٩

الرقم ٣٥٧٢

حضرة صاحب السيادة الأخ السيد عبد الله الوزير حفظه الله / صنعاء تلقينا الآن الساعة الرابعة مساءً يوم الأحد برقيتي سيادتكم بتاريخ اليوم . ونحن في غاية الألم والحزن مما حصل ويحصل في اليمن الشقيق . وأنتم أعلم الناس بعواطفنا تجاه اليمن وأهله ، ورغبتنا الصادقة في تجنيبه الويلات . وكل ما يؤلم اليمن يؤلمنا ، وكل ما يكدره يكدرنا . أما طلب سيادة الأخ لطائرات قذف القنابل ، فإننا نريد أن نوضح لسيادة الأخ أن الطائرات التي عندنا هي طائرات مدنية للركاب . ويؤسفنا جداً أن تكون الأمور تأزمت قبل وصول وفد الجامعة . وقد أوضحنا لسيادتكم أننا لا نحب أن نعمل عملاً منفرداً عن الجامعة ، فكل الأمور التي تصلنا من اليمن ، نحيلها بكاملها إلى الجامعة ، لدراستها واتخاذ القرارات بشأنها . ومع ذلك إننا نرغب من جوانحنا أن لا تبلغ الأمور إلى الدرجة الخطيرة التي أوضحتموها . فإننا سننتظر وصول وفد الجامعة صباح يوم الثلاثاء إن شاء الله ، وسوف تجري المراجعة معه بسرعة ، في سائر الأمور ، وسنعرف سيادتكم في حينه عما يتقرر في ذلك . وعلى كل حال فإننا نرجو الأخ بكل إلحاح أننا ننصحه نصيحة أخوية صادقة أنه لا موجب لصدور أي عمل مما أشار إليه الأخ في آخر إحدى البرقيتين ، من الالتجاء إلى بعض الوسائل التي يكره الالتجاء إليها . إننا نعلم أنكم كتبتم ذلك ، وأنتم تعلمون مرارته . كما نعلم عن يقين أن الالتجاء المذكور لا يثمر ، لما علمناه وتحققناه عن ذلك . هذا فضلاً عن أن إجراءه يشين سمعتكم ، ويضر بمصلحتكم

ونحن ندرك الموقف ونقدره ، ولن ندخر ما في وسعنا لتسريع حلّ الأمور ، والعمل على تجنيب اليمن زيادة التضحية ، والتعرض للمخاطر . وسيصلكم منا بحول الله ما يقرره وفد الجامعة والسلام عليكم .

عبد العزيز

المخرج : صنعاء ــ التاريخ ١٣٦٧/٥/٢

مستعجل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ــ الرياض

جلالة الملك فاروق الأول ــ القاهرة

جلالة الملك عبد الله بن الحسين ــ عمان

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله ــ بغداد

صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي ــ دمشق

صاحب الفخامة السيد بشارة الخوري ــ بيروت

صاحب السعادة عبد الرحمن عزام باشا ــ جدة

لقد حكّمنا الجامعة العربية ، فصارت مسؤولة عن الحالة في اليمن . ونحن الآن لا نطلب من الجامعة ، ولا من الحكومات العربية مساعدتنا ، أو تأييدنا ، بعد التحكيم ؛ ولكننا نطلب إنقاذ عشرات الآلاف من سكان صنعاء ، من هجومات القبائل المتوحشة ؛ بإرسال طائرات تفرق شملهم ، حتى يستطيع القائمون بالأمر في صنعاء ، المحافظة على النفوذ والأموال والذخائر ، إلى أن يصل وفد الجامعة ، ويقرر مصير اليمن . ولا يستطيع أحد من المسؤولين إيقاف هذه العصابات المتلصصة ، لأن مبدأها النهب والسلب . والدليل على هذا أنهم قد نهبوا قصور الإمام الراحل ، في الروضة ، خارج صنعاء ، بعد أن صدرت أوامر المحكمين إليها . فلم يبق إلا أن توقفوا أنتم بأنفسكم هجمات القبائل ، حتى يجري التحكيم في جوّ هادىء .

عبد الله بن الوزير . محمد بن السيف أحمد .
إبراهيم بن الإمام . حسين بن عبد القادر . علي
ابن الوزير . الرئيس جمال جميل . حسين الكبسي

(١٣)

المخرج : صنعاء . النمرة –١٥– التاريخ ١٣٦٧/٥/٤

وزارة الخارجية للحكومة العربية السعودية – جدة

يسرنا أن نخبركم بانتهاء حكومة الوزير الذي ثار ، وأصبحت البلا د اليمنية بأجمعها تحت رعاية الملك الناصر أمير المؤمنين أحمد ابن أمير المؤمنين . وبهذه المناسبة نقدم لكم أجمل الاحترام .

التوقيع – وزير الخارجية

(١٤)

المخرج : الرياض التاريخ ١٣٦٧/٥/٨ الرقم ٤٠٣٢

مستعجل جداً – حضرة صاحب الجلالة الإمام الأخ الملك أحمد . حَجّة بواسطة صنعاء –

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد كان أخوكم ينتظر دخول جلالتكم إلى صنعاء حتى يبرق لكم رسمياً بالاعتراف بملكية جلالتكم على اليمن ، والتهنئة بما منّ الله سبحانه وتعالى عليكم من التوفيق في إخماد الفتنة وحقن الدماء البريئة في القطر اليماني العزيز . وقد جرى بالفعل أننا أمرنا وزارة خارجيتنا بالإبراق إلى حكومة جلالتكم بالتهنئة بالعهد الجديد، كما بلغكم ولا شك . ولكننا حينما علمنا من جلالتكم أنكم قد تتأخرون أياماً أخرى في حَجّة ، قبل دخولكم إلى العاصمة ؛ وجدنا أنه لا بد من توجيه برقيتنا هذه للتبريك لجلالتكم بالإمامة والملك والاعتراف بكم ، ملكاً وإماماً على اليمن . وقد كان فرح أخيكم واغتباطه بحصول هذه النتيجة عظيمين .

وفي هذه المناسبة يود أخوكم أن يرجو من جلالتكم أمرين: الأول منهما هو مجازاة المجرمين المفسدين الذين قتلوا جلالة الإمام المرحوم والدكم وانجاله . وجميع العرب والمسلمين يطالبونكم بهذا ولا يسرون إلاّ بتنفيذ حكم الشرع والعدل فيهم . والثاني أن تبذلوا جلالتكم الجهد لجمع الكلمة والعفو عن الذين غُرر بهم من رجال القبائل والأفراد ،من رعيتكم . فإن هذا أدعى لاستجلاب

قلوب الرعية ، وعطف العالم أجمع . وأما بشأن الأمور الأخرى ، فإننا بسبب ما بيننا من صلات ودية وحقيقية ، قد نجيز لأنفسنا أن نخاطبكم فيها بما نراه جامعاً للشمل ، والله نسأل أن يوفق جلالتكم وأن يأخذ بناصيتكم . وأن يجعلكم وعهدكم عهد رخاء ورفاه وسعادة والسلام عليكم ..

عبد العزيز

(١٥)

المخرج : حَجّه . النمرة ١٣ التاريخ ١٣٦٧/٥/١٥

من ملك اليمن الإمام أحمد ، إلى حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك عبد العزيز آل سعود المعظم حفظه الله — الرياض —

تلقيت برقية جلالتكم التي ملأتموها عطفاً ونصحاً . وإني إذ أشكر لجلالتكم تهنئتكم الكريمة ، أحيطكم علماً بأننا سنأخذ بعين الحكمة كلمات جلالتكم . ولقد بدأت الأمور تنجلي وتتضح . ولن نألو جهداً فيما يجب علينا ، عدلاً وسياسةً وإصلاحاً . مستمدين من الله سبحانه الإعانة والتوفيق . ودمتم ذخراً والسلام عليكم ...

، ، ،

هذا أهم ما تبودل بين ابن الوزير والملك عبد العزيز ، من برقيات ارتسمت في كل منها صورة واضحة لا غبار عليها من شك أو غموض ، يستطيع القارىء أن يعلم من مجموعها :

— أن ابن الوزير أبرق إلى الملك عبد العزيز بأن الإمام يحيى قد « توفي » وأنه (أي ابن الوزير) بويع بعده بالإمامة والمُلك .

٢ — أن عبد العزيز اكتشف ، يوم ورود البرقية عليه ، أن يحيى مات « مقتولاً » فأجاب عن البرقية بالتسويف ، لتحري حقيقة ما وقع .

٣ — أن ابن الوزير لم يستطع ضبط القبائل أو صدها عن صنعاء، فدخلتها تسلب وتنهب ، فاستنجد بالملك عبد العزيز وغيره ، وكلهم في شك من أمره ،

فلم ينجده أحد ، حتى حكومة عدن البريطانية ...

٤ — أن سيف الإسلام « أحمد » كبير أبناء الإمام يحيى ، وولي عهده ، عاد إلى تولي الإمامة والمُلك في اليمن ، خلفاً لأبيه .

، ، ،

وهذا هو المعروف عند كل الناس ، في نهاية هذه الفترة من أحداث اليمن الأخيرة . ولا بدّ من تعليق يشار فيه إلى موقف الملك عبد العزيز ، لاختتام ما تقدم من نصوص :

كان سيف الإسلام أحمد بن يحيى ، يوم مقتل أبيه وقيام الثورة ، بعيداً عن صنعاء ، غائباً في مدينة « حجّة » وبعث إليه الثائر ابن الوزير ، يطلب منه البيعة له ، كما بايع الناس ، وإلاّ حلّ به ما حلّ بأبيه .

وجزع أحمد ، وغلبه اليأس ، فأسرع إلى الاتصال بمن أوصل إلى عبد العزيز التماسه السماحَ له بأن يلجأ إلى إحدى الجهات السعودية القريبة من حَجّة.

وكان عبد العزيز لا يرى في عمل ابن الوزير إلاّ جريمة وفتنة . فأجاب أحمد بن يحيى بما استثار فيه روح الاستبسال ، وأمده بما قوّاه . وهاجت على الأثر حاشد وبكيل ، من قبائل اليمن ، فدخلت صنعاء ونهبتها . وأرسل أحمد من قبض فيها على ابن الوزير وكبار أنصاره . وسيقوا إلى حجة ، فقتلوا رمياً بالرصاص ، على مشهد من الناس ؛ واستعاد عرش أبيه .

وطرب عبد العزيز لفوز أحمد ، متناسياً أن أحمد هذا هو الذي كان أول من حامت حوله التهمة في تدبير « حادث المطاف »[1] لاغتياله ، في الحرم المكّي.. وأن أحمد — نفسه — كان قائد الجيش اليماني ، في الحرب بين السعودية واليمن عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤م) ولكن من مزايا عبد العزيز أنه كان لا يحقد .

---

(١) انظر الصفحة ٦٢١ من هذا الكتاب

المَلك عَبد العَزيز

في كتاب « معجزة فوق الرمال » [1]

قبل أن يحرر عبد العزيز الحجاز ، كان هو وحده كلّ شيء في نظامه السياسي الذي أقامه في نجد ، فلم يكن يستعين بأيّ وزير ، لأن تسمية الوزراء مظهر متقدم نسبياً ، من مظاهر الدولة وتنظيمها . ولم تكن نواة الدولة التي أنشأها عبد العزيز في نجد أولاً ، قد بلغت من التطور والتعقيد ما يضيق عنه وقت سلطانها أو يعجز إدراكه وتوجيهه . فلما أصبح ملكاً على الحجاز ، واجه حاجات مجتمع أكثر تطوراً ، فبدأ حالاً يفكر في إقامة جهاز أولي للدولة ، ويستعين على إقامة هذا الجهاز بمن وفدوا عليه من بقية البلاد العربية . وكان بينهم نخبة من طلائع الحركات الوطنية الاستقلالية في بلادهم ، فاستعان بهم كما كان خلفاء المسلمين ، في التاريخ الإسلامي ، يستعينون بمن يفد عليهم من بقية البلاد العربية والإسلامية ، وفي بعض الأحيان يستوزرونهم ، وإن لم يكونوا من أصل البلد الذي يتولى فيه الخليفة الملك .

وهكذا أفاد عبد العزيز في تنظيم أول جهاز حكومي أقامه وهو في الحجاز ، من جهود النخبة من أهل الحجاز ونجد ، بالإضافة إلى جهود كل من الدكتور

---

(١) بقلم أحمد عسه . وهو من الكتب التي صدرت بعد وفاة الملك عبد العزيز . طبع في بيروت سنة ١٩٦٥

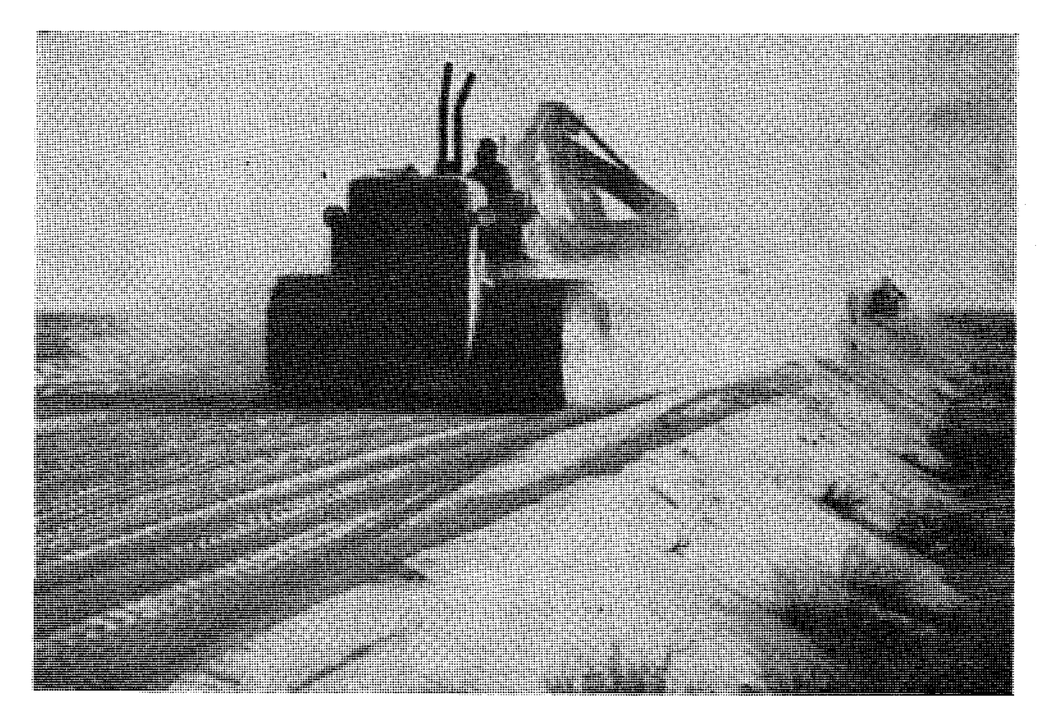
عبد الله الدملوجي الذي وفد عليه من العراق ، والشيخ يوسف ياسين ، والمهندس خالد الحكيم ، والدكتور محمود حمدي حمودة ، والدكتور مدحت شيخ الأرض ، والدكتور رشاد فرعون ، والأستاذ خير الدين الزركلي ، الذين وفدوا عليه تباعاً من سورية ؛ كما أفاد من جهود الشيخ فؤاد حمزة الذي وفد عليه من لبنان ، وجهود الشيخ حافظ وهبة الذي وفد عليه من مصر ، وجهود السيدين خالد القرقني وبشير السعداوي اللذين وفدا عليه من ليبيا .

وإذا كانت المهمات التي اضطلع بها كل واحد من هؤلاء الأوائل ، تتفاوت بتفاوت مواهبه واختصاصه وقدرته على التكيف مع مستلزمات مجتمعه الجديد ؛ فإن الأثر الذي طبعه أي واحد منهم على جبين الدولة السعودية الناشئة ، لا يعدل الأثر الذي طبعه ابن نجد ، الشيخ عبد الله السليمان ، أول وزير استعان به الملك عبد العزيز وسلّمه شؤون المال لفترة بلغت عشرين سنة ، بل شؤون كل ما ربط بوزارة المالية من مديريات ووكالات ومؤسسات مختلفة ، باستثناء الشؤون الخارجية التي عهد بها منذ البداية لابنه الأمير فيصل ، الملك الحالي للمملكة العربية السعودية ، وممثله الدائم في كلّ المهام السياسية الكبرى .

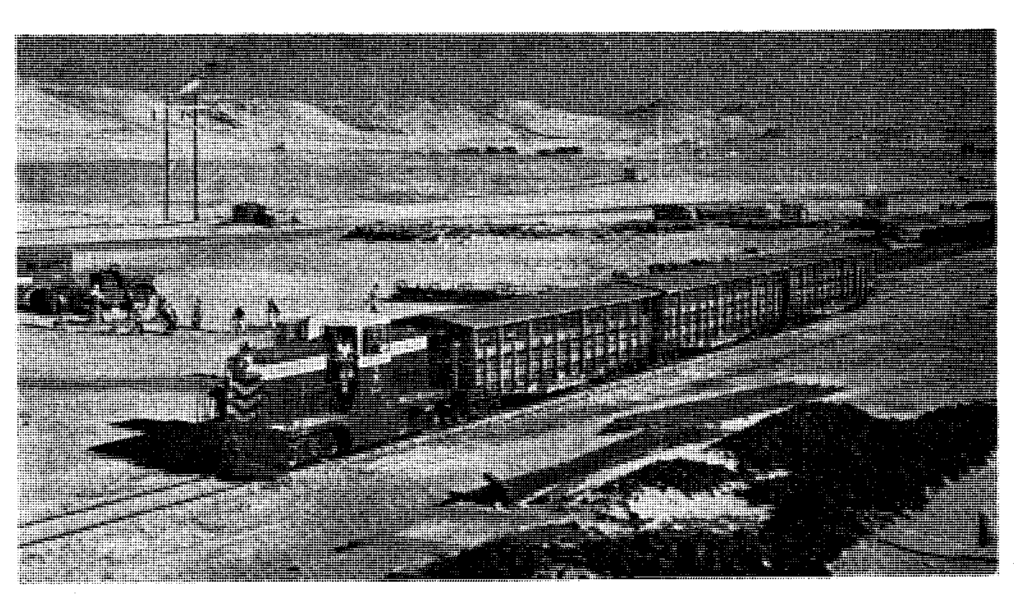
، ، ،

استطاع عبد العزيز أن يوجد دولة ، من دون أن تكون لهذه الدولة موارد تساعدها على القيام في أول عهدها . ومع ذلك فقد تغلب على هذه العقبة الكأداء ، لفترة امتدت زهاء أربعين عاماً ، لأن بترول المملكة لم يبدأ بدرّ الخيرات على الدولة إلاّ عام ١٣٦٤هـ (١٩٤٤م) ومع هذا فلم تكن موارده السنوية تتعدى بضعة ملايين من الجنيهات كل عام ، ولم ترتفع إلى ٢٥ مليون جنيه إلا في عام (١٩٥٠م) ١٣٧٠هـ أي قبل ثلاث سنوات من وفاة مؤسس الدولة . ورغم ذلك وضع عبد العزيز قبل وفاته نواة لتعليم الشعب مجاناً ، وتطبيبه مجاناً ، وتأمين الدواء له مجاناً ؛ كما أوجد نواة للجهاز المالي الذي يصون موارد الدولة وينظم إنفاقها ، وفق ميزانية سنوية .

لم يشأ عبد العزيز أن يترك خلفه نظاماً لولاية العهد، أسوة بالممالك الحديثة. لكي يترك للإرادة العامة غير قليل من الحرية في اختيار الأصلح للملك؛ وفق أنظمة الشريعة الإسلامية وسننها. ولكنه ترك لمملكته، قبل وفاته بحوالي عشرين عاماً وليّاً للعهد. لكي يؤمّن استمرار الدولة من بعده. وحرص قبل أن يأخذ البيعة له، أن تكون هذه البيعة مشروطة، وفق أسس مكتوبة؛ كما حرص على أن يكون ابنه الثاني فيصل، وفي حياته، ولياً للعهد لابنه الأكبر، لئلاّ يترك أي مجال بعد وفاته، لتعريض مملكته إلى هزة تجربة يمكن أن تجر الشقاق إلى صفوف العائلة، ويكون لها من النتائج المدمرة ما لقيته الدولة السعودية الأولى، يوم ظهر الشقاق بين أمرائها.



الحديد يصارع الرمال



قاطرة ديزل وثلاث عربات ، لنقل الموظفين بين الدمّام والظهران

الملك عبد العزيز

من سيرته في الكتب الأجنبية [1]

من أواخر ما كُتب عن الملك عبد العزيز ، وبلاده ، وحياته ، كتاب « البلاد العربية السعودية » تأليف « كي . اس . تويتشل » متعاوناً مع « إدورد ج.جورجي » طبع في نيو جرسي ، سنة ١٩٤٧م [2]

والمستر « تويتشل » من أكثر المستشرقين الأميركيين اختباراً للمملكةالعربية السعودية ، ومساهمةً في مشروعاتها الإصلاحية الحديثة .

قسّم كتابه إلى ثلاثة أقسام . تحدّث في أولها عن « مميزات البلاد السعودية » وفي الثاني عن « التطور الاجتماعي والسياسي » وفي الثالث عن « مركز البلاد السعودية في الاقتصاد العالمي » .

وشرح في القسم الأول جغرافية البلاد والنواحي « الجيولوجية » فيها ، والمظاهر الطبيعية ، والزراعة ، وثروة المراعي ، والموارد الاقتصادية الثانوية ، ثم موارد المياه في مختلف المناطق ، وخصوصاً الأجزاء الشرقية من المملكة ، فالمواصلات . وذكر أن البعير ما زال (قبل سنة ١٩٤٦م) من أهم وسائل

---

(١) يلاحظ ان هذا الفصل كتب سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠م) كأكثر فصول الكتاب .

(٢) ثم أضاف إليه مؤلفه زيادات ، وأعاد طبعه بالإنكليزية سنة ١٩٥٣ وترجمه إلى العربية السيد شكيب الأموي وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٥

النقل . وأشار إلى فن البناء في البلاد السعودية من الناحية التاريخية .

وبدأ القسم الثاني ببيان « من هم العرب السعوديون » فقال : إن عددهم في غالب الظن حول أربعة ملايين ونصف ، مع عدم وجود إحصاء دقيق . ولا فرق بين الأسود والأبيض فيها . مع أن اللون الأصلي هو الأبيض المصطلي بالشمس . وقال عن الحكومة : إنها وإن كانت في الظاهر « أوتوقراطية » من عدة نواحي ، فإن الجهاز الحكومي للشعب العربي السعودي ، وَضْعــه « أبويّ » تظهر فيه خصال ديموقراطية عديدة ، وإن الملك يجعل الوصول إلى مجلسه في ساعات معينة من النهار ، ممكناً للجميع . وبصفته « محكمة عليا » للاستئناف ، فإنه يسمع الشكاوي التي يقدمها إليه الناس ، حتى أوضعهم مقاماً في الهيأة الاجتماعية . وبهذا يستطيع بدوي بسيط أن يقف أمام سيد البلاد العظيم (وفي الأصل الجبار) ويطلب منه إحقاق الحق في قضيته .

ثم بيّـن أن القرآن هو مصدر التشريع والقانون في تلك البلاد .

ووصف الملك بقوله : « وهو في العادة إنساني ومتساهل ، ويكون في بعض الظروف شديداً قاسياً . ويعتبر ابن سعود ، باتفاق آراء الناس ، رجلاً ذا حكمة واستقامة . وقد زادت في شهرته وشعبيته صفات العدل والكرم وحسن الضيافة »

ووصف بعض عادات العرب ، كإكرامهم للضيف ، وقال : إن يوم الجمعة هو يوم الراحة في البلاد السعودية ، وإن العرب رياضيون بطبعهم ، ويُعتبر ركوب الخيل والجمال وأمثالها ، جزءاً من حياتهم ؛ وعلى هذا ينشئون أولادهم وإن رياضة الملك المحبّبة هي الصيد .

وتكلم في الفصل الثاني من هذا القسم ، على تاريخ « آل سعود » بما ترجمته :

« يقف ابن سعود في مقدمة رجالات هذا الجيل . وهو معروف لدى أكثر العرب بـ « ابن سعود » فقط ، وكان والده عبد الرحمن ، سلطان نجد

الشرعي ، وأمه سارة بنت أحمد السديري ، من قبيلة الدواسر التي تسكن في الجنوب على مقربة من الربع الخالي . وجدّه الأسبق « سعود الكبير » تزعّم القوات العسكرية الشديدة المراس التي اجتاحت شبه الجزيرة العربية ، معلنةً العقيدة الإسلامية « التقشفية » التي دعا إليها المصلح الكبير محمد بن عبد الوهاب. ويرفع آل سعود نسبهم ، حسب عادة العرب ، في الأنساب ، إلى بكر بن وائل من عدنان . ومع ما في أنساب العرب من الغموض ، وقد تكون خيالية في بعض الأحيان ، فإنها لا تخلو من دلالة هامّة . فالعرب يرجعون إلى أصلين « قحطان ، وعدنان » والمفروض أن أبناء الأول سكنوا الجنوب ، وكانت لهم المدنية القديمة في اليمن وحضرموت ، وأبناء الثاني سكان الشمال ، ومنهم تسلسل آل سعود . ولد الملك عبد العزيز في نوفمبر ١٨٨٠ في قصر بالرياض ، ونما جسمه بسرعة وتعلم مبادىء الدين والعقيدة واستعمال البندقية في سنّ مبكّرة . وكان في صباه عصبياً سريع الغضب. وامتاز بالكرم وقوة الإنتاج ، ومنحه الله ذاكرة واعية قوية ، ووفاءً لاصدقائه يستحق الإعجاب . وحمل في ريعان شبابه عبء الشؤون الخطيرة ، فقام بأعمال باهرة أفادت في إعادة تأسيس بيت سعود الخ .

وأوجز في فصل آخر ، تحت عنوان « قيام الدولة السعودية » المراحل التي مرّ بها حكم الملك منذ سنة ١٩٠٨ إلى أن استتب له الأمر نهائياً ، بعد القضاء على ثورة الدويش . فبيّن كيف استولى على الأحساء وكيف حافظ على حياده في الحرب العالمية الأولى ، ثم الكفاح بينه وبين الشريف ، وموقف بريطانيا المؤيد للشريف في أول الأمر ، وتخليها عنه فيما بعد الخ ..

وفي فصل آخر ، تحت عنوان « البلاد العربية السعودية في العالم الحديث » شرح مدى تمسّك الملك عبد العزيز بصداقة الحلفاء ، وأنه لو أراد لجعل مصير انتصارهم ، في الميزان ، بما له من نفوذ بين المسلمين في الشرق الأوسط والهند. وضرب مثلاً امتناعه عن التأييد لثورة رشيد عالي . وتكلم عن اهتمامه لقضية

فلسطين « التي رأى فيها المعكّر الوحيد لعلاقاته مع بريطانيا » .

، ، ،

٢ – كتاب جون فان إس :

وهذا الكتاب ، صدر قبل الأول ، عنوانه « ملاقاة العربي » نشر في نيويورك سنة ١٩٤٣ [١] .

أقام كاتبه (جون فان إس) مدة طويلة في العراق ، ووضع كتابه هذا للتعريف بالعرب بصفة عامة . وأفرد للملك عبد العزيز فصلاً خاصّاً ، تحت عنوان « ملك الجزيرة العربية » قال فيه :

« إذا كان لديك عشرة آلاف دولار ، في صندوق خشبي لا قفل له ، وهو مربوط بحبل فقط ، وأرسلته في سيارة مع سائق غير مسلح ، ليسافر مسافة ألف ميل في اتجاه معين هنا ، في الولايات المتحدة ، وإذا كان – بالإضافة إلى ذلك – لم يحفظ أمر هذه الرحلة سراً ، فكم هي المسافة التي تظن أن السائق والنقود يجتازانها ؟.. أما في لحزيرة العربية ، فيقطعان المسافة كلها ، في أمن تام ، ومن دون أية معارضة من أي شخص . وينبغي أن تتذكر أيضاً أن الجزيرة العربية التي أتحدث عنها ، سكانها ثلاثة ملايين (كذا) ومساحتها ثمانمئة ألف ميل مربع ، وأنك في مسافة مئات الأميال قد لا تجد قرية ، وإنما تجد بدواً رحّلاً يندر أن يتمكن أحدهم من القراءة والكتابة .. هذا يوجز ما صنعه الملك عبد العزيز ابن سعود للجزيرة العربية . وهو معروف على الأكثر بابن سعود ، ويُعدّ من أبرز رجالات عصرنا » .

وأتى الكاتب على خلاصة من تاريخ الدولة السعودية الأولى ، إلى تغلّب آل رشيد ، والتجاء الإمام عبد الرحمن إلى الكويت . ووصف نشأة عبد العزيز

---

(١) وبعد كتابه هذا الفصل ، اطلعت على ترجمة للكتاب ، قام بها « الاستاذ جليل القس عمسو » وسماه « أقدم أصدقائي العرب .» وعرف مؤلفه بالمستشرق الأمير كي الدكتور جون فانيس. طبع في بغداد سنة ١٩٤٩

فقال ما ترجمته بتصرف :

« كان عبد العزيز ، اليافع في ذلك الوقت ، شاباً قوياً ، طوله ستة أقدام وأربع بوصات . تعلم من شيخ الكويت أساليب العالم الخارجي ، فعرف شيئاً عن الإنكليز وشيئاً عن القيصر الألماني ، وأشياء عن غيرهما ، وحفظ كل ذلك في عقله الواسع »

وتكلم عن « الإخوان » فقدر عدد سكان الهِجَر ، بمئة ألف نسمة ، وقال : إنهم كانوا « العمود الفقري » لسلطان ابن سعود في البلاد .

، ، ،

٣ — من كتاب « بروكلمان » :

كان بروكلمان المستشرق الألماني ، غزير العلم بتأريخ العرب وأدبهم ، حجة في بعض ذلك . من كتبه « تاريخ الشعوب الإسلامية »[١] أوجز في فصوله الأخيرة ما كان من الأحداث في شبه جزيرة العرب ، وختم بحثه بفصل عنوانه « سياسة ابن سعود الداخلية » جاء فيه :

« كان ملك نجد والحجاز ، ولا يزال ، معنياً بالعمل على تثبيت سلطانه أكثر من عنايته بالعمل على توسيعه . وعلى الرغم من أنه اضطُر في بعض الأحيان إلى أن يقمع ، بقوة السلاح ، ثورات بعض القبائل البدوية ؛ فقد كان يؤثر أن يدعم سلطانه بالإكثار من مصاهرة القبائل وشيوخها — يساعده على ذلك نظام تعدد الزوجات في الإسلام . وكان ديدنه تعريف بلاده بثمرات الحضارة الحديثة . وقد أشرنا فيما سبق إلى إنزاله « الإخوان » في مستعمرات زراعية[٢] اتجه اهتمامه بعدها إلى تيسير المواصلات « وما كان لهذا من أثر كبير أعان على تقصير المسافات البعيدة . وكما عمل الفرنسيون والإنكليز ، في سورية

---

(١) نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس والأستاذ منير البعلبكي ، وطبع في بيروت ، سنة ١٩٤٨—١٩٥٠م

(٢) يعني الهجر .

والعراق ، على إحلال السيارات ، محل قوافل الجمال ، هذه القوافل التي عادت على العرب بربح طائل خلال الحرب العالمية الأولى ، فإن ابن سعود أدخل السيارة أيضاً إلى شبه الجزيرة ؛ حتى لقد انتهت مواصلات الحج إلى أن تكون كلها « آلية » . وطفق يسعى مؤخراً ، بعد أن لمس حسنات الطب الأوربي ، إلى أن يجعل منافع علمي الصحة والطب الحديثين ، في متناول جميع رعاياه . كذلك التعليم — الذي كان مهملاً حتى ذلك الحين في شبه الجزيرة ، باستثناء مكة والمدينة ، إهمالاً تاماً ، فإنه لقي اهتماماً وعناية من جانب العاهل السعودي » .

، ، ،

٤ — جزيرة العرب الوهابية [١]:

من كتب هـ.س.ج.ب.فلبي [٢] طبع في لندن سنة ١٩٢٨ بالإنكليزية . ولم يترجم إلى العربية .

صنفه فلبي أيام كان لا يزال موظفاً « رسمياً » لدى حكومته البريطانية ، في العراق . وجعله ٢٧ فصلاً ، وبدأ فصوله الأولى بقصة وصوله إلى الرياض في أواخر رمضان ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) واجتماعه بالملك عبد العزيز . ثم رحلته إلى الشمال ، ماراً بوادي حنيفة ، إلى الوشم ، فعنيزة وبريدة (في القصيم) وسفره إلى الكويت . متحدثاً في خلال ذلك عن حروب عبد العزيز مع الترك وآل رشيد ، واهتمامه من أول عهده لإسكان البدو الرّحل .

وتكلم في الفصلين العاشر والحادي عشر ، عن الخلاف بين عبد العزيز والشريف حسين بن علي ، ووقعة تربة .

وقال في الفصل الثاني عشر ، تحت عنوان « سيد قلب الجزيرة أخيراً » : إن عبد العزيز ، على الرغم من تأييد الحكومة البريطانية لأعدائه ، لم يألُ

---

(١) Arabia of the Wahhabis

(٢) هاري سنت جون بريدجر ، فلبي .

جهداً في إحكام أواصر الصداقة بينه وبينها . وقد أرسل ابنه فيصلاً إلى بريطانيا سنة ١٩١٩ في زيارة ودية .

وشرح في الفصول ١٣ و ١٤ و ١٥ ما كان بين عبد العزيز وجيرانه من الخلاف على الحدود ، بعد أن ضم عسيراً وحائلاً إلى ممتلكاته ، وبعد أن أصبح مطوقاً بالأشراف من الحجاز وشرقي الأردنّ والعراق .

وأتى في الفصل ١٦ على مبايعة أهل الحجاز لعبد العزيز (السلطان) بالمُلك وأنه عاهدهم على اتباع الكتاب والسنة في أحكامه . قال فلبي : وأصبح الملك عبد العزيز ، من ناحية أخرى ، في خضمّ السياسة الدولية ، وأرسلت إليه الحكومة البريطانية السير جلبرت كلايتن ، فعقد معه معاهدة « حَدّة » — بين مكة وجدة — سنة ١٩٢٥ وفيها الاعتراف للملك عبد العزيز بضم قبائل شمّر إليه ، وإعادة « قريات الملح » إلى نجد ، وكانت قد أُلحقت بشرقي الأردن .

وتحدث في الفصول ١٧—٢٠ عن تنظيم الإدارة في مكة وجدة وسواهما والاتصال بالخارج ، واعتراف الدول الكبرى به . وأفاض في حوادث الحدود ، بين نجد والعراق ، وقال ما مؤداه بإيجاز : أقام العراق « مخافر » في داخل حدوده لاتقاء الغزو ؛ وعدّ الملك عبد العزيز ذلك مخالفاً لبروتوكول العُقير الموقّع سنة ١٩٢٢ وهاج الرأي العامّ في نجد . وقامت الغزوات على حدود العراق والكويت . وفتكت الطائرات (البريطانية) ببعض المغيرين على الحدود . وأراد الملك معالجة القضية بالمفاوضات السلمية ، فعصاه غلاة « الإخوان » وتابعوا غزواتهم . وقام في البلاد ما يشبه الحرب الأهلية ، إلى أن تمكن عبد العزيز من قمع الثورة ، بعد معارك استتب له الأمر في نهايتها .

وقال تحت عنوان « العلم في الصحراء » : إن الملك عبد العزيز أدرك قيمة المخترعات العلمية الحديثة في الغرب ، فعمد إلى اقتناء المفيد منها ، واشترى أربع طائرات ، سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) ولم يستطع التوسع ، لضيق موارده المالية ، أيام كان اعتماده على دخل الحجّ المحدود وغير الثابت ؛ قبل اكتشاف النفط في نجد ، وبعض المعادن في الحجاز .

وتحدث في الفصلين ٢٤ و ٢٥ عن بساطة الملك في عاداته الشخصية ولباسه وطعامه ، وكراهيته المظاهر الكاذبة والأبهة الفارغة ، وأنه إذا أراد بدويّ أن يخاطبه ، فما عليه إلاّ أن يقول : يا عبد العزيز . وقال عن كرمه : ليست له حدود . وقال : ليس العُبوس في نظر عبد العزيز ، دليلاً على الوقار ، كما يحسبه بعض متقشفي أوربا ، أو بعض سكان الرياض نفسها ؛ وبداهته سريعة ولطيفة . ومن صفاته الجذابة جداً ، حبه لأقاربه الأحياء منهم والأموات. وقال : هو جندي ناجح ، ومصلح أصيل ، تقيّ كل التقى ، إنساني ، صريح ، حازم ، ذكي ، متواضع . ولا أعلم أن في العالم حاكماً غيره تتحدث معه رعيته بمثل الحرية التي تتحدث بها رعية عبد العزيز معه . وذلك إلى جانب ما تكنّ له من إكبار وإخلاص عظيمين . وقال : إن جميع الأوربيين الذين قابلوا الملك عبد العزيز ، مقتنعون بمقدرته العجيبة على تكييف الرأي العامّ في الجزيرة العربية .

ثم ذكر أن الحركة القومية العربية ، مدينة كثيراً في نشأتها ، للحركة الأولى أيام محمد بن عبد الوهاب ، كما أنها في هذه الأيام تستمد حيوية إضافية من حركة الملك عبد العزيز .

وعالج في الفصل الأخير من كتابه ما سماه «مصير المملكة بعد انقضاء أجل الملك» فقال : إن الملك حريص على إقامة دعائم الدولة على أُسس ثابتة لا تتزعزع بعد انطفاء شعلته .

وأشار إلى ضعف موارد البلاد في ذلك العهد (قبل ظهور النفط) وقال : إذا كان هناك رجل يستطيع أن يجلب لبلاده الجافة القاحلة مصدراً من مصادر الثروة ، بعد أن مهّد بالأمن الدائم ، فهو الملك عبد العزيز .

الملك عبد العزيز

في سيرته مع أبيه

يتبادلان الزيارة

كان عبد العزيز ، بعد أن تولى الإدارة[1] يزور أباه الإمام عبد الرحمن في قصره ، بالرياض ، صباح كل يوم .

أما والده فيزوره بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع . وعندما يصل ، يقفز عبد العزيز من مكانه فيستقبله ، ويقدمه إلى صدر المجلس (مقعد الإمارة) ويجلس هو بين يديه مع « الخُويّا » أو بين الزوّار .

وكان حين يخاطب أباه ، يجعل لنفسه صفة المملوك . ويجلس بين يديه صامتاً ، ينتظر ما يأمره به .

من أدبه معه :

قال متحدث[2] : أذكر يوماً عدنا فيه من مكة إلى الرياض ، في ركاب الملك عبد العزيز ، وكان الإمام عبد الرحمن حياً ، فوصلنا إلى « مراة » فبعث يستأذن أباه في دخول المدينة ، وعيّن الوقت الذي يمكن أن يصل فيه إلى الرياض . وفي صباح اليوم التالي مشى حتى بلغ أسوار المدينة قبل الميعاد الذي

---

(١) انظر الصفحة ١٢٩

(٢) في أم القرى ٤ شوال ١٣٦٩

حدده بخمس وأربعين دقيقة . ولم يشأ أن يدخل المدينة حتى بعث يستأذنه مرة أخرى . وقصد بيت أبيه ، فجلس في فناء الدار ما يقرب من ١٠ دقائق . ثم جاء الخادم ، وأخبره بإذن والده بالدخول عليه . فدخل ، وقبّل رأس أبيه وجلس على الأرض ، ووالده على أريكة ، ويد عبد العزيز على ركبة أبيه . قال المتحدث : لم يكن عبد العزيز في ذلك الموقف ملكاً ، وإنما كان في مظهر المتأدب المخلص المطيع . شأنه معه في سائر المواقف ، طاعةً وحباً .

استشارة واستئذان :

وكان يرجع إلى أبيه في كل ما يهم من أمور الدولة . وقلما يعقد أمراً ذا بال إلاّ بعد استشارته واستئذانه . وكلما وردت على عبد العزيز رسالة ، لها أهمية خاصة ، أرسلها إلى والده ليطلع عليها [١] أو ليبدي فيها رأيه .

حرصه على رضائه :

أراد عبد العزيز السفر من الرياض إلى الحجاز (في أواخر سنة ١٣٤٦هـ) فدخل على أبيه يودّعه . وكان يخشى أن يكون هذا هو الوداع الأخير ، فكان يقبّل يديه ويسأله : هل أنت راض عني ؟.. فيجيبه الإمام ، وهو جلد صبور : لا شك . فيعود إلى يديه يقبّلهما ، ويعيد السؤال : والدي هل أنت راض عني ؟.. فيجيبه : لا شك في ذلك .. وما زال يكرر السؤال ، ووالده يجيبه من داخل صدره برضاه ؛ حتى شفى نفسه .

وكان ذلك آخر اجتماع له بأبيه ، وصوت رضاه الأبوي يرنّ في أذنه حتى هذه الساعة » [٢]

كلمة لأبيه فيه :

اعتاد عبد العزيز ، أن يُطلع أباه على كل ما يريد توجيهه إلى حكام العرب ، أو الأجانب ؛ من الرسائل ، لمعرفة رأيه ولإحاطته علماً بما فيها .

---

(١)،(٢) يوسف ياسين ، في أم القرى ١٨ محرم ١٣٤٧

ولكن أباه كان يردّها مع الرسول ، كما هي .

قال حافظ[١] : لاحظت ذلك في إحدى زياراتي للإمام عبد الرحمن ، فقلت له : إن عبد العزيز أرسلها إليكم ، لترشدوه برأيكم إذا رأيتم فيها خطأ. فقال : عبد العزيز موفق . خالفناه في آرائه كثيراً ، ولكن ظهر لنا بعد ذلك أنه هو المصيب ونحن المخطئون . إن نيته مع ربه طيبة ،لا يريد إلا الخير للبلاد وأهلها ، فالله يوفقه ويأخذ بيده ، و « إن تنصروا الله ينصركم »

ينزوي ، في مجلس أبيه :

تحدّث فلبي عن أول مرة رأى فيها الملك عبد العزيز سنة١٣٣٣هـ(١٩١٥م) فقال ما خلاصته :

دخلت الرياض ، يصحبني الكولونيل كانليف أوين ، وجندي يخدمنا ؛ وقد ارتدينا الملابس العربية . وكان في استقبالنا إبراهيم بن جميعة ، فدخل بنا القصر ، إلى غرفة كان فيها شيخ ضئيل الجسم ، في نحو السبعين من عمره . سلمنا عليه ، ودعانا إلى الجلوس . وجيء بالقهوة ، وهو يسأل عن أحوالنا ويلاطفنا .

قال فلبي : وبينما كنت أقول في نفسي : من هذا ؟ وأين ابن سعود ؟ إذا بالشيخ ينهض متمهّلاً ، ويقول : مرحباً بكم . حديثكم مع الابن عبد العزيز .. وما كاد يتوارى ، حتى انتصب من زاوية المجلس عملاق أقبل علينا فعرفنا أنه سيد الجزيرة . وكان منطوياً على نفسه تأدباً ، في حضور أبيه ، فكأن عيني لم تقع عليه ..

يحمل أباه :

قال صاحب « الحجاز مهبط الوحي »[٢] : حدّثني شيخ كبير من علماء

---

(١) خمسون عاماً ٣٢

(٢) كتاب رحلة في أواخر أيام الملك عبد العزيز ، بقلم أحمد حمدي الطاهر . طبع في عمان سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)

مكة ، قال :

لما استقرت الأمور للملك عبد العزيز في الحجاز ، حضر والده الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من الرياض ، ليؤدي فريضة الحج ، فدخل المسجد الحرام يطوف بالبيت العتيق ، ومعه ابنه الملك عبد العزيز . فطاف الوالد والولد . ولكن الأب كان قد جاوز المئة (؟) من العمر ، ضعيفاً لا يقوى على المشي والتعب . فأدركه الإعياء فهبط على الأرض بعد ثلاثة أشواط من الطواف . فما كان من ابنه الملك عبد العزيز — الذي يمكنه أن يصدر الأوامر إلى خدمه وعبيده بأن يحملوه على أكفّ الراحة — ما كان منه إلاّ أن حمل والده على مرأى من الناس جميعاً ! وأتمّ بقية الأشواط .

بعد وفاة أبيه :

وكان عبد العزيز بعد وفاة أبيه ، لا يذكر اسمه إلاّ ترحم عليه ، وطلب له الغفران . ولا تكاد تعرض مناسبة ، إلاّ أشاد بما كان لوالده ووالدته من فضل في تربيته وتوجيهه .

زيارة قبره :

وكان يكثر من زيارة قبر أبيه ، الزيارة الشرعية ، حينما يكون في الرياض.

بره بأسرته

وإلى جانب بره بأبيه ، كان عظيم البرّ بأسرته ، يسأل يومياً عن الجميع . ومن لم يتيسر له أن يزوره منهم ، يحدثه بالهاتف . وله مجالس خاصة بالأسرة لا يحضرها إلاّ أفرادها .

المَـلك عَبـد العَـزيـز

حديث له وعنـه

أوفدت الصحافة المصرية مندوبين عنها ، للاشتراك في افتتاح « خط جوّي » أنشأته شركة مصر للطيران ، بين القاهرة وجدة . وأتيح لمندوب مجلة «المصور» أن يزور الرياض ، ويقابل الملك . ونشر مقالاً (في ٢٨ ابريل ١٩٥٠) تحت عنوان « أسد الجزيرة قال لي .. » جاء فيه :

أشرفنا على الرياض ، ورأينا القصر الملكي ومن حوله قصور الأمراء . إنها تشبه حصون العصور الوسطى . وقد تخللها النخل الباسق . ولفت نظري قصر عال حديث البناء بجانب قصر الملك فلما سألت صاحبي عنه قال : إنه شيد في ٢٠ يوماً .. ولاحظ دهشتي فقال : لقد أمر ببنائه على عجل ، ليقيم فيه ملك الأفغان .. وجاء الضيف فإذا بالقصر مستعد لاستقباله . والفضل للآلات الحديثة التي تستخدمها الدولة في جميع أعمال الإنشاء والتعمير .

في الحضرة الملكية : وذهبت إلى « قصر المربّع » الملكي ، فدخلت قاعة الاستقبال واستقبلني جلالته واقفاً [١] وهو يبتسم ابتسامة مشجعة وقال : مرحباً ، مرحباً . ولما جلست قال : ليس هناك فارق بين مصر والمملكة السعودية . أنتم هنا في بلادكم ، ونحن عندكم في بلادنا .

---

(١) كانت عادة عبد العزيز أن يقف لكل زائر يتقدم للسلام عليه باليد . المؤلف

(م٨٤)

ثم سألني : ماذا رأيت في بلادنا ؟. فقلت : كل خير .. نهضة واسعة في جميع المرافق . ومشروعات جديدة في جدة ومكة فقال :

إننا نسير بالتدريج . بدأنا بالماء لنوفر للشعب الماء النقي الصالح للشرب ، فأنشأنا عملية المياه في جدة ، وكانت في أول الأمر تمد المدينة بمليون جالون من وادي فاطمة . ثم رأينا أن هذا القدر لا يكفي ، لا سيما في موسم الحج ، فأخذنا في تنفيذ مشروع آخر لإضافة مليون ثان . وسيتم في العام المقبل إن شاء الله . وأنشأنا في مكة عملية مياه ضخمة تتيح لسكانها أن يحصلوا على الماء للشرب ولزرع الحدائق أيضاً . ثم قال :

وعُنينا بإنشاء الميناء الجديد في جدة ، لترسو البواخر على رصيفه بدلاً من وقوفها في عرض البحر . وأنشأنا ميناء آخر في « الدمّام » على ساحل الخليج ، ومددنا بينه وبين الرياض طريقاً حديدياً للقطارات . وقد انفقت الحكومة في إنشائهما ٤٥ مليوناً من الدولارات . وحرصنا على أن يكون طريق القطارات في أراض زراعية عامرة بالماء ، لتوسيع العمران . وفي بلادنا الآن نهضة زراعية مباركة .. والحكومة تعاون الزراع في الحصول على أحدث آلات الريّ والزراعة ، تشتريها وتبيعهم إياها بالقسط المناسب .

وتكلم عن الجامعة العربية ، فقال :

علينا نحن الشعوب العربية أن نعمل على تدعيم الجامعة العربية . ففي دوام تضامننا واتحادنا تتجلى قوتنا . واختلاف دولة من دول الجامعة مع زميلة لها في الرأي ، لا يدل على أن الجامعة فشلت في أداء رسالتها . وليس من الصعب إزالة الخلاف في الرأي ، والتوفيق بين الآراء مهما تباينت . وواجبنا أن نسعى دائماً لتثبيت بناء الجامعة ، لأن مصالح الشعوب العربية جميعها واحدة وسبيلنا إلى تحقيقها هو التعاون .

مصر تهمني : واستأذنت جلالته في الانصراف ، فربت على يدي وقال :

مصر تهمني ، كما تهمني بلادي ، وأسرّ لخيرها سروري لخير بلادي .

قال مدون الحديث : وسمعت أهل الرياض يتحدثون عن ملكهم حديثاً صادقاً يفيض بالحب العميق . إنهم يفخرون بأنه يؤثر الرياض بإقامته ، ويفضل طعام البادية ويحرص على الالتفاف بالشال النجدي الأحمر .

الملك عبد العزيز

في محاضرة باحث مصري[1]

نستطيع أن نجعل الحديث عن تاريخ الدولة السعودية الحديثة، على فترات ثلاث: الأولى، من فتح الرياض سنة ١٩٠٢م، إلى سنة ١٩١٥ وهي السنة التي عقدت فيها معاهدة القطيف مع الحكومة الإنكليزية. والثانية من ١٩١٥ إلى ١٩٢٦ حيث نودي بعاهل الجزيرة ملكاً على الحجاز. والثالثة من ذلك الوقت إلى الآن ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م)

وتعتبر الفترة الأولى، فترة تأسيس. فإن الملك عبد العزيز بعد فتح الرياض شرع يستولي على المقاطعات النجدية تباعاً. والتقى في صيف ١٩٠٤ في منطقة القصيم، بأكبر جيش لخصومه، مؤلف من جيش آل رشيد، ومن جيش نظامي تركي؛ فقضى على هذه الجيوش المتجمعة، في الموقعة المعروفة بموقعة الشنانة. وبعد هذا لم يسع الحكومة التركية إلاّ أن تسعى لعقد صلح معه. فعقد هذا الصلح واعترفت الحكومة التركية به، حاكماً وزعيماً لكل المقاطعات التي استولى عليها. وسحبت جيوشها من نجد في سنة ١٩٠٦ وسنحت الفرصة لعبد العزيز، بعد ذلك، ليقضي على الثورات الداخلية التي أثارها في نجد

---

(١) الدكتور محمد عبد الله ماضي، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين – بمصر – ألقى محاضرة في دار جمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة، في ١٣ صفر ١٣٦٥ (١٧ يناير ١٩٤٦) عنوانها «الدولة السعودية» ونشرها في رسالة اقتطفت منها هذه الخلاصة.

بعض المنافسين وذوي الأطماع . وأصبح في نهاية ١٩٠٩ سيد الموقف في كل نجد ، جنوباً وشمالاً . ما عدا منطقة حائل في الشمال الغربي من نجد التي كانت لا تزال في ذلك الحين مقراً لآل رشيد .

لم يقنع الرجل البعيد النظر عبد العزيز آل سعود بهذا . ولم يشغله عن التفكير في وسيلة يستطيع بها أن يقيم حكومة مركزية ، مسيطرة مطاعة . ففكر في القضاء على أسباب الخلاف بين البدو والحضر ، من سكان نجد . وكان كل من الفريقين يبغض الآخر ويحتقره ، ولا يتورع عن الاعتداء عليه في نفسه وماله . ثم نظر فوجد غالبية شعبه تتألف من البدو ، وهؤلاء كانوا قد سيطرت عليهم أخلاق الجاهلية ، فألفوا الفوضى وعدم القرار في مكان . وهم بهذه الحال لا يمكن الاعتماد عليهم في تأسيس ملك دائم ، ولا يوثق بهم لا في الشدة ولا في الرخاء . فقد كانوا في السلم عالة ، وفي الحرب أتباعاً لمن غلب ، متقلبين في عقيدتهم ومعاشهم ، وصداقتهم وعدائهم . فرأى أن يعالج نفوسهم بنشر تعاليم الدين بينهم ، وأن يحبب إليهم الاستقرار ، ويرغبهم في العمل ، ويساعدهم عليه وعلى التوطن ، فعمد في سنة ١٩١٠ إلى القيام بحملة إصلاحية قوامها العلماء الدينيون الذين انبثوا ، بإرشاده وتوجيهه ، في سائر أنحاء نجد بين البدو ، وأخذوا ينشرون فيها تعاليم الدين الصحيحة ، ويدعونهم إلى اعتناقها ، ويطلبون إليهم القيام بالواجب الديني نحو الخالق ، ونحو إخوانهم من بني الإنسان ، ويحببون إليهم العمل والقرار في مكان .

وبعد جهد صادق مشكور ، أفلح الدعاة في دعوتهم ، وأخذ البدو يسكنون في القرى التي بنيت لهم ؛ وسميت بالهجر ، لأنهم هاجروا باعتناقهم مبادىء الإسلام الصحيحة وسكناهم فيها ، من الفوضى إلى النظام ، ومن حال تشبه الجاهلية الأولى ، إلى حال الإسلام .

وبهذه الطريقة الناجحة ، وبعبقرية ابن سعود الفذة ، استطاع أن يغير من نفسية البدو . وألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً ، ولهذا تسموا بالإخوان .

وعلى هذا النحو ، أثمرت مبادىء الإسلام ثمرتها في الإصلاح ، وأفلح الزعيم السعودي في بناء دولته على أسس متينة ، فصلحت حال الرعية ، وأصبح بدو الصحراء النجدية ، جيش ابن سعود الذي لا يُقهر ، وعدته التي يعتمد عليها ؛ وصارت الهجر معسكرات حربية منتشرة في جميع أنحاء نجد . كما غدت هذه الهجر ، مدارس يتعلمون فيها الدين ، ويحيون فيها حياة الفضيلة والإيمان ، ومستعمرات زراعية،ومناطق للعمل . وبهذا — أيضاً — غيّر ابن سعود من طبيعة الصحراء ، بمثل ما غير من طبائع السكان .

وبعد أن نجح في وضع الأساس السليم لبناء دولته الفتية ، تطلع إلى أن يضم إلى ملكه مقاطعة الأحساء الواقعة على الخليج ، وكانت لا تزال تابعة للأتراك . فاستولى عليها سنة ١٩١٣ وبفتح الأحساء فكّ الحصار الذي كان يحيط بنجد، فوجد منفذاً إلى البحر ، واتصل مباشرة بالسياسة الإنجليزية ، وأصبح يشترك اشتراكاً فعلياً في توجيه السياسة في دائرة الخليج .

ثم لم تلبث الحرب الكبرى الأولى أن قامت ، فتحتم على ابن سعود أن يختار لنفسه وأن يحدد موقفه بعد أن طلب إليه الإنجليز الانضمام إلى صفوفهم ، في الحرب ضد الأتراك . فرأى أن يقف موقف الحياد ، وأن يحتفظ بقواه ليستخدمها عند سنوح الفرصة ، لحسابه الخاص . فقبل الإنجليز منه ذلك؛ ولكنهم رأوا أن يرتبطوا به بمعاهدة تنظم علاقتهم معه . فعقدوا معه معاهدة القطيف (ديسمبر ١٩١٥) واعترفوا به حاكماً لنجد والأحساء وتوابعها ، فأصبح ابن سعود صديقاً للأنجليز ، ملزماً برعاية مصالحهم ، وبقيت هذه المعاهدة أساساً للمعاملة بين الطرفين حتى تغيرت الظروف والأحوال واستبدلت بها معاهدة ١٩٢٧

وبعد أن تقرر وضع نجد السياسي ، ابتدأ مرحلة جديدة في تاريخ حياته ، كانت في مبدئها مرحلة استجمام وانتظار ، حتى انتهت الحرب في سنة ١٩١٨ ثم تحولت إلى مرحلة تمكين النفوذ وبسط السلطان على المناطق المجاورة ، لحماية الأملاك السعودية وتوسيع رقعتها . فاستولى على حائل شمالي نجد سنة

١٩٢١ وضمّ عسيراً الشرقية إلى أملاكه سنة ١٩٢٢ كما ابتدأ في ضم الأجزاء الأخرى من عسير الغربية الواقعة على البحر الأحمر ، ودخل الحجاز في سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٥

واستأنف الملك عبد العزيز مرحلة أخرى ، بعد أن أصبح سيد الجزيرة ، وبعد أن شعر بقوة مركزه وخطورته ، في نظر المسلمين ونظر الدول جميعها . فشرع يقرر مركزه الدولي . وطلب إلى الحكومة الإنجليزية تسوية ما بينهما من علاقات على أساس التكافؤ والاستقلال ؛ فألغيت معاهدة ١٩١٥ وعقدت معاهدة جدة في مايو ١٩٢٧ واعترف الإنجليز في المادة الأولى منها ، اعترافاً صريحاً ، بالاستقلال التام المطلق لمملكة عبد العزيز آل سعود . وتتالت بعد ذلك اعترافات الدول . وعقدت معاهدات الصداقة بينه وبين الدول الأخرى .

ثم عمد إلى تنظيم الحكم في مملكته ، وأخذ يسعى جهده في الإصلاح . وهو ديموقراطي بطبعه وسليقته ، يحب شعبه ويعطف عليه ، ويعرف له قدره ويحفظ عليه كرامته . ولا عجب في هذا فالشعب كل شيء « ومن يعتمد على الشعب لا يضعف أبدا » هذا هو دستور عاهل الجزيرة ، كما صرح بذلك عند زيارته لدار البرلمان المصري ، في زيارته الأخيرة .

والحجّ في عهده

بذل عبد العزيز ، في سبيل « الحج » وتأمين سبله ، كل ما كان يملك من جهد .

ولما كان قائماً على حصار جدة سنة ١٣٤٣ﻫ (١٩٢٤—٢٥م) أذن لجنوده في الانسحاب من جبهة القتال أيام الحج ، فلم يبق هناك — في رواية الريحاني — غير قوة صغيرة من الخيالة والهجانة .

وكان أكبر همّه في تلك السنة ، أن يستولي على بعض الثغور الحجازية كينبع والقنفدة ، تيسيراً لدخول الحجاج من البحر ؛ وهو يعلم أن مصير تلك الثغور مرتبط بمصير جدة .

وقبل أن تنشب المعركة بينه وبين الإمام يحيى ملك اليمن ، تعمّد عبد العزيز التسويف فيها والتمهّل ، إلى أن انصرف الناس من حجهم .

شؤون الحج

وكانت لشؤون الحج « إدارة » مرتبطة بوزارة المالية . بلغت ميزانيتها السنوية (عام ١٣٦٩ﻫ) ٣٧٨٥٧٠ ريالاً سعودياً (نحو ٤٧ ألف جنيه استرليني)

أعمال الإدارة

من أعمال هذه الإدارة أن موظفيها يستقبلون الحجاج عند وصولهم إلى البلاد من البر أو البحر أو الجوّ ، لتيسير الإجراآت لهم ، ويهيئون أماكن

نزولهم ، ويعنون بحركة تنقلاتهم وتنظيم أمورهم ، حتى في تأدية المناسك ؛ إلى أن يغادروا البلاد . وتقوم الإدارة بمساعدة إدارات الصحة والإسعاف والشرطة والبلديات ، في ترتيب الرحلات بين مكة والمدينة . وقد أنشأت مشارب للماء في أماكن متعددة ، ومراكز ثابتة ومتنقلة ، لمفتشين من قبلها مسؤولين عن راحة الحجاج على طول طريق المدينة .

وأقامت « مخيمات » في المحطات الرئيسية ، لاستراحة الحجاج والنظر في برامج أسفارهم ومواعيدها . و « مظلاّت » في ساحة « المناخة » بالمدينة . وبنت نحو عشرين حماماً بذي الحليفة (آبار علي) وهي ميقات القادم للمدينة ، وستة حمامات وتوابعها في المخيم الحكومي ، في الشمال الشرقي خارج جدة ، حيث يأوي فقراء الحجاج عقب أداء الفريضة .

وأنشأت محطة إذاعة خاصة ، بمركز الإدارة في عرفات ، لإذاعة النشرات الحكومية عن الحج والحجاج ، ولإرشاد التائهين عن خيامهم وإعلان أسمائهم وأسماء مطوفيهم .

كما أنشأت مخيماً خاصاً بالتائهين ، في عرفات ومنى ، لإيوائهم وإطعامهم وإرشاد كل منهم إلى مقرّه ، وترحيل الباقين إلى مزدلفة من عرفات ، ومنها إلى منى ، ثم إلى مكة .

وكانت تصدر نشرات موسمية يومية بترتيب أفواج الحجاج حسب قدومهم وتنظيم مواعيد سفرهم إلى المدينة للزيارة بعد الحج ، وإلى جدة للعودة إلى بلادهم .

ولا تزال إدارة الحج العامّة حتى بعد نموها وجعلها وزارة ، تصدر مجلة شهرية باسم « الحج » من المجلات المفيدة في موضوعها .

الحُجّاج في ٢٣ عاماً

عدد الحجاج في عام	١٣٤٥هـ (١٩٢٧م)	(بحراً وبراً)	١٩٠٦٦٢
« « «	٤٦	« «	٩٦٢١٢
« « «	٤٧	« «	٩٠٧٦٤
« « «	٤٨	« «	٨١٦٦٦
« « «	٤٩	« «	٣٩٠٤٥
« « «	٥٠	« «	٢٩٠٦٥
« « «	٥١	« «	٢٠١٨١
« « «	٥٢	« «	٢٥٢٩١
« « «	٥٣	« «	٣٣٨٩٨
« « «	٥٤	« «	٣٣٨٣٠
« « «	٥٥	«	٤٩٥٩٧
« « «	٥٦	« «	٦٧٢٢٤
« « «	٥٧	« «	٥٩٥٧٧
« « «	٥٨	«	٣٢١٥٢
« « «	٥٩	«	٩٠٢٤
« « «	٦٠	«	٢٣٨٦٣
« « «	٦١	«	٢٤٧٤٣
« « «	٦٢	«	٦٢٥٩٠
« « «	٦٣	«	٣٧٨٥٧
« « «	٦٤	«	٣٧٦٣٠
« « «	٦٥	«	٦١٣٨٦
« « «	٦٦	« «	٥٥٢٤٤
« « «	٦٧	« « وجواً	٧٥٦١٤
« « «	٦٨	« « «	٩٥٠٣٣

إحصاآت ومعلومات عن الحجاج

استقبلت مدينة جدة من الحجاج في يومي ٤ و ٥ ذي الحجة ١٣٦٨ فقط، حوالي خمسة عشر ألف حاج .

تراوح عدد القادمين جوّاً في موسم عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) بين ٧٠٠ و ٧٥١ حاجاً يومياً . فبلغ عددهم حوالي أحد عشر ألفاً وخمسمئة .

وكانت شركة السيارات تنقل من جدة إلى مكة ، في اليوم الواحد من أيام الموسم ، ما لا يقل عن ستة آلاف حاج ، ومن مكة إلى المدينة نحو أربعة آلاف حـــاج .

بلغ عدد المرحّلين من الحجاج ، من مكة إلى عرفات ، في يومي ٧و٨ ذي الحجة سنة ١٣٦٧ حوالي خمسة وأربعين ألفاً . يقابلها في يومي ٧ و ٨ ذي الحجة ١٣٦٨ حوالي ستين ألفاً .

وقامت الطائرات السعودية وحدها ، يومياً ، في موسم سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩م) بنقل ما بين ٢٠٠و٢٥٠ حاجاً من جدة إلى المدينة .

ورست في ميناء جدة في اليوم الرابع من ذي الحجة ١٣٦٨ ثماني بواخر أنزلت بجدة حوالي عشرة آلاف حاج .

وفي ١٥ ذي الحجة ١٣٦٨ كان راسياً في ميناء جدة لنقل الحجاج نحو عشرين باخرة .

الحجاج عام ١٣٧٠ هـ

وفيما يلي بيان لمجموع الحجاج الواردين بحراً وجواً في موسم عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م) عدا من ورد منهم عن طريق البر من أنحاء المملكة والجزيرة :

٢٢٩١٦	مصريين	٦١	أريتريا ــ صومال	١٩٣	كويت
٢٣٧٩	سوريين	١٨٥٦	أندونيسيون	٦	صينيون
٥٧٨	لبنانيين	٥٧٦٧	ملايو	٢	كنديان

١٣٠	فلسطينيون	١٢٧٠	سيام	١٨٥٨	عراقيون
٥٢٨٤	مغاربة	١١٨٣١	الهند	٦٩٥	إيرانيون
٣٢٨	بخاريه	٣١٣٣٩	باكستان	٢٧٠	زنجبار
٦٤٩	اتراك			١١٥	البحرين
١٨	يمنيون	١٠٠	كبنون	٢١	الهندالصينية
١٣٩	أردنيون	٤٤٣	نيجيريا – ليگوس	١٣	برمه
٧٨٧	حضارمة	٥	مصوع	١١٦	دبي والشارقة
١٢١	عدنيون	٢٢٧٧	فلبين	١٦	ممباسة
١٧١٥	تكارنة	١	ألمان	٤	مدغشقر
٦٣	شناقطة	٣٢٠	أثيوبيا–أحباش	٣	مسقط
٥٥٣٥	سودانيون			١٠	قطر
٧٥٠	سنغال	٧١	مقديشو	١٤٠	عُمان
					وأهالي بيجان
٦٤٩	أفغان	١٤١	أوغنده	١٠٠٥٨٧	المجموع

الحجّ كما يصفه المستشرق فلبي[١]

ليس الحج السنوي إلى مكة حديث العهد ، فهو من أقدم المرا سم الدينية المعروفة في التاريخ . وتقول التقاليد الإسلامية إن النبي إبراهيم هو الذي وضع مبدأ الحج ، تأييداً لدعوة الآله الواحد التي كان إبراهيم الخليل أول من بشر بها في عهد الجاهلية .

ثم جاء الإسلام ، فثبّت فريضة الحج في الدين . وما زالت مراسمه إلى اليوم شبيهة بما كان يجري في عهد إبراهيم ، وتعكس بصورة عامة صوراً من حياته ومذهبه .

كان الحج في العهد الجاهلي مظاهرة عربية ، لا يشترك فيها سوى القبائل العربية . أما اليوم فقد تحول إلى مظاهرة إسلامية تعبر عن عقيدة ثلاثمئة مليون مسلم ، منتشرين في مختلف أنحاء العالم [٢].

ويتوافد كل سنة على مكة من الخارج ، عدد من الحجاج يتراوح بين ٥٠ ألف و ١٠٠ ألف نسمة يضاف إليهم مثل ذلك من الجزيرة نفسها [٣] . ومنذ وصول الحاج إلى الأراضي المقدسة يخلع ملابسه ويرتدي ملابس الإحرام وهي مؤلفة من قطعتين من القماش الأبيض . ويظل مرتدياً هذا الثوب البسيط طيلة أيام الحج . ولعل الغاية الأساسية من ذلك هي إظهار الجميع بمظهر المساواة لا فرق بين غني وفقير ، وأمير وصعلوك .

وعند الوصول إلى مكة ، يزور الحاج المسجد الكبير (الحرَم) ثم يطوف

---

(١) من « مقال » نشرته له جريدة الحياة البيروتية في ١٠ ذي الحجة ١٣٦٩ (٢٢/٩/١٩٥٠م)

(٢) يقدر المسلمون اليوم بخمسمائة مليون .

(٣) كان ذلك يوم كتب المقال ، وزاد العدد كثيراً بعده .

حول الكعبة سبع مرات ، ويقوم بالمراسم التقليدية الأخرى ، كالسعي سبع مرات بين تلال الصفا والمروه .

وتقوم حول الكعبة أقدس المؤسسات الإسلامية . ففي الكعبة كان إبراهيم يؤدي صلاته ، وعلى مقربة منها بئر زمزم الذي اكتشفته هاجر بينما كانت تبحث عن الماء لتروي ظمأ طفلها إسماعيل . وهناك أيضاً بيت إسماعيل[١] والمنبر الحجري الذي تتلى عليه خطبة الجمعة .

وتعرف الكعبة ببيت الله الحرام . وفي كل سنة ، قبيل موسم الحج ، يتولى الملك ابن سعود تنظيفها بنفسه ، بمساعدة أنجاله وممثلي الدول الإسلامية . وهم يستعملون لهذه الغاية مكانس من ورق النخيل ويغسلون أرضها بماء الورد والعطور .

وفي يوم الوقفة أي قبل يوم العيد (١٠ ذي الحجة) يقضي الحجاج يومهم بين مكة وسهل عرفات الواقع على بعد ٢٠ كيلو متراً منها ، ويقضون الليل في المضارب هناك . ومنذ الساعة الثانية بعد الظهر يبدأون في الصعود إلى جبل عرفات ، ويظلون عليه إلى ما قبل غروب الشمس ، وهم يبتهلون إلى الله بالدعاء والصلاة .

ولن أنسى ما حييت مرأى ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ألف حاج ، حاسري الرؤوس محتشدين حول « جبل الرحمة » في وسط سهل عرفات . إنه أعظم مشهد يدل على المساواة الإنسانية في حياة هذا الكون .

وعند مغيب الشمس يتبدل المشهد فجأة إذ يتفرق الحجاج ويسرعون إلى منى حيث يقضون أيام العيد الثلاثة . وإنك لترى الألوف يهرعون في واد عرضه ميل واحد فيبدون بملابسهم البيضاء وسط الصخور البركانية السوداء كالأشباح الهائمة تحت ضوء الغسق الدّكِن .

وفي الطريق إلى منى ، يتوقف كل حاج في وادي مزدلفة فيجمع ٩

(١) يريد « حجر إسماعيل » بكسر الحاء وسكون الجيم

حصاة صغيرة ، ليستعملها في رجم الشيطان أثناء أيام العيد . وتقوم في منى ثلاثة أعمدة من الحجر الخشن تشير إلى الشيطان فيقذفها الحجاج بالحصى . وهذا التقليد هو من بقايا العهد الجاهلي . والمفروض في هذه الأعمدة أنها تدل على المكان الذي ظهر فيه الشيطان أمام إبراهيم الخليل ، وحاول أن يغريه برفض أوامر العزة الإلهية بتضحية ولده .

وعلى مقربة من العمود الأول ، في اتجاه مكة ، يقوم مقام صغير في المكان الذي وجد فيه إبراهيم الكبش ، وضحّاه فديةً عن ولده . والمفروض في كل حاج أن يضحي بكبش في أثناء العيد ويوزع لحمه على الفقراء .

وفي نهاية الحج يعود الحجاج إلى زيارة الكعبة للوداع . ويسافر كثيرون منهم إلى المدينة لزيارة قبر الرسول ، القائم تحت القبة الخضراء في المسجد الكبير الذي أعيد بناؤه عدة مرات . وهو يقوم وسط بستان النخيل الذي ضرب فيه الرسول وصحبه مضاربهم حين هجروا مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢م وقد دمرت النيران هذا المسجد مراراً في التاريخ . ثم أعيد بناؤه في عهد السلطان عبد الحميد[١] وما زال هذا البناء قائماً إلى اليوم[٢] .

وفي المدينة آثار دينية عديدة . ففيها قبر فاطمة بنت الرسول ، وفيها مدافن الخليفة أبي بكر ، والخليفة عمر وسواهما . وعلى بعد بضعة أميال إلى جنوب المدينة ، ما تزال آثار أول مسجد بني في الإسلام ماثلة للعيان . وإلى شمال المدينة في « الرمة » توجد بقايا مسجد صغير يتجه محرابه نحو بيت المقدس وهي جهة الصلاة الأولى في الأسلام ، قبل تحويلها إلى مكة .

وعلى مقربة من المدينة ، يرى الحجاج السهول التي دارت فيها المعارك التاريخية في عهد الإسلام الأول . كما يرى الخندق الذي جرى حفره أثناء معركة الخندق لحماية المدينة من الكفار .

---

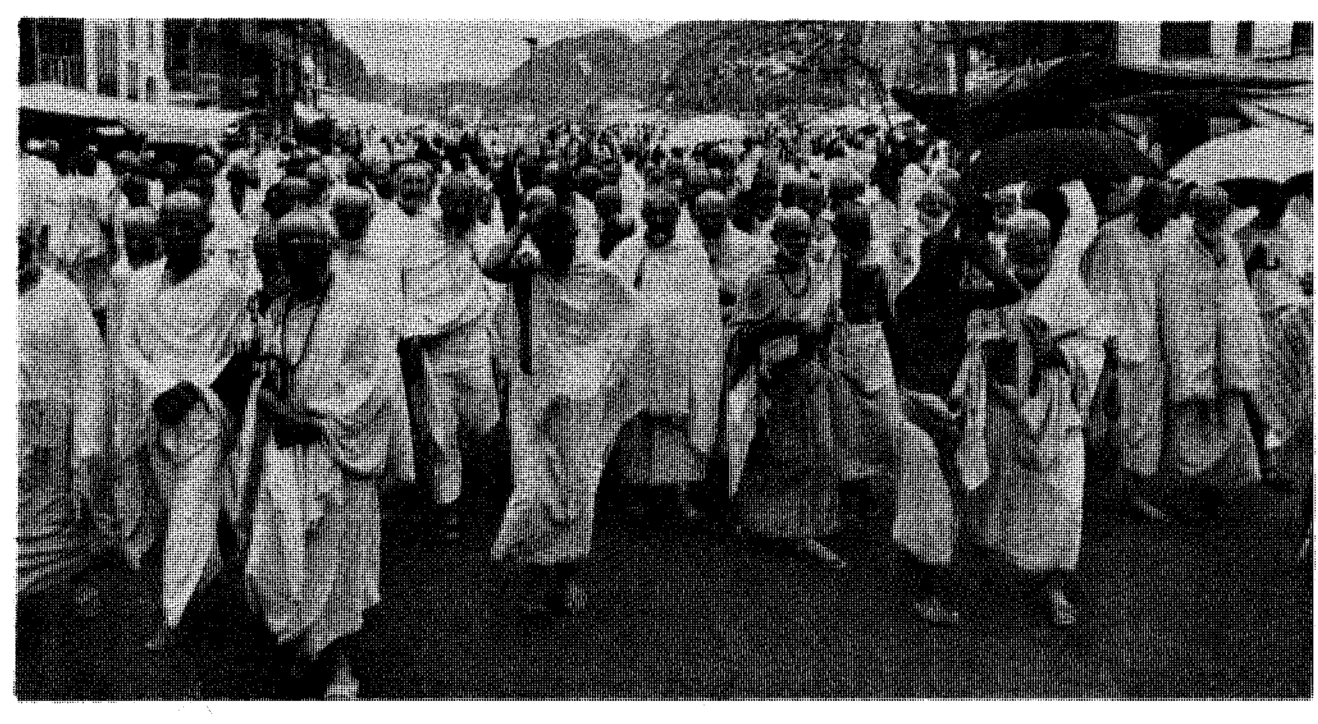
(١) كذا . والصواب « عبد المجيد » .

(٢) وزيدت فيه زيادات عظيمة .

ومن أطرف ما يرى في المدينة خرائب الحي اليهودي في « يثرب » التي استعمرها يهود جاؤوا من القدس يوم شرّدهم الامبراطور تيتس في السنة ٧١ قبل المسيح .

هذه نظرة عامة إلى الحج ، أو بالأحرى إلى مواسم الحج . على أن هذه المواسم لا قيمة لها بالنسبة إلى القيم المعنوية التي ينطوي عليها مبدأ الحج .فليست الغاية الأساسية من الحج الطواف حول الكعبة أو تقبيل الحجر الأسود أو رجم الشيطاد بالحصى ، بل الغاية جمع شمل المسلمين من جميع أقطار الدنيا ، وتعزيز شعور الأخوة فيما بينهم ، على قدم المساواة لا فرق بين الغني والفقير ، والأسود والأبيض .

هذا هو أساس الإسلام الذي بعُد المسلمون عنه كثيراً ، وكادوا ينسونه تماماً لولا أن الحج يذكرهم به وبعبره ، سنة بعد سنة .



الحُجّاج في مِنى

الملك عبد العزيز

في حفلة الحج السنوية

سأترك القول في هذه الصفحة لفاضل من أهل المغرب الأقصى[1] حجّ سنة ١٣٥٢–١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) ونشر عن رحلته مقالات متسلسلة افتتح بها نحو ٢٥ عدداً من جريدة «السعادة» التي كانت تصدر في «الرباط» قال في إحداها (تاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٣٤) ما خلاصته، بتصرف:

«من الأبنية الفاخرة في مكة، قصر الملك عبد العزيز. وهو في طريق المعابدة خارج المدينة. يقيم فيه جلالته كل سنة، بمناسبة موسم الحج، وليمة تدعى إليها نخبة من أعيان كل قطر من الأقطار الإسلامية الموجودين في أم القرى.

«ولما كان موعد الحفلة وصلنا إلى القصر، فوجدنا واجهته الخارجية لا تختلف كثيراً عن واجهات القصور الملكية الأخرى. وقد فتحت أبوابه فتخللتها عقود من فوانيس الأضواء الكهربائية كأنها من لؤلؤ ومرجان. وانتشرت بمختلف ألوانها بين السواري والأقواس، حتى ليخيّل للناظرين أنهم أمام بناية من أجمل بنايات العواصم الغربية، خصوصاً لما اصطفت السيارات في فسحة واسعة هناك ولمعت ألوانها بين الأضواء المنبعثة من بعضها على بعض. ودخل المدعوّون من أحد أبواب القصر إلى حديقة غنّاء في وسطه. ومنها

---

(١) الحاج أحمد الهواري، القاضي بالمحكمة العليا في الرباط

صعدوا إلى الطابق الأول المشرف على الحديقة ، وأدخلهم المكلّفون إلى ردهة الانتظار ، فوجدناها ردهة واسعة مفروشة بزرابي جميلة وكراسي مذهبة ، وقد تدلت من أسقفها اللامعة ثريات مضيئة وآلات كهربائية مبرّدة وأثثت بالمساند الحريرية والمرايا البلورية . وبعد هنيهة دعوا إلى ردهة أخرى اكتمل بها عقد اجتماعهم ، وكانت أجمل من الأولى وأوفى زخرفة وبهاءً وفراشاً . وقد أعدّت في صدرها أريكة خاصة لجلوس الملك وحاشيته ، في مواجهة مقاعد المدعوين التي كانت صفوفاً صفوفاً ، يزيد عددها على الستمائة .

« ولما نادى مؤذّن المغرب إلى الصلاة طلع الجميع إلى سطح الدار الواقع في الطابق الثالث ، وله منظر جميل يمتد إلى قمم الجبال المجاورة المشرفة عليه ، والمنبعث منها هواء طيب ربما كان من خصائص ذلك القصر المنيف . وهناك فرشت الزرابي والسجادات وتوضأ الناس في بنائق الوضوء الخصوصية . ثم صلى بهم الإمام ، وفي ضمنهم بالصفّ الأول جلالة الملك ، يحرسه من قريب نفران من العبيد السود من حرسه الخاص ، وفي أيديهما السيوف المهنّدة ، أخذاً بالاحتياط . وبعد الصلاة عاد الكلّ إلى الردهة الثانية .

« وما إن استقر بهم الجلوس حتى دخل عليهم الملك يتقدمه وزراؤه وحارسان أيضاً بملابسهما الحمراء . وهو طويل القامة ، ضخم الجثة ، واسع الفم ، ذو وجه مدوّر لوّحته الشمس ، أسمر البشرة ، قلّ أن يوجد من يدانيه في الطول ، ذو لحية صغيرة وبإحدى أصابعه شلل . وقد ارتدى فوق قميصه الأبيض عباءة سوداء من نسيج الصوف الرقيق . يميل في ذلك إلى البساطة التامة ، كما هو شأنه في كل شيء ، حتى لم نر من يفضله من رجاله . فحيّى الناس بتحية الإسلام وحيوه بمثلها . وهتفوا هتافاً حارّاً بالدعاء له بالحياة والنصر والتأييد لحماية الدين .

« وبعد تبادل بعض العبارات ، دعاهم بنفسه إلى تناول العشاء معه . وتقدمهم إلى قاعات أخرى نصبت فيها الموائد العديدة على النمط الشرقي ، ومدت عليها أنواع الأطعمة الفاخرة والفواكه والحلويات والمبردات ، مما يُتعجب من إتقانه

ووجوده هناك . ولكنهم الملوك ، وعن الملوك فلا تسل .

« تصدر الملك المائدة الأولى ، وجلس عن يمينه وشماله كبار القوم . كما تصدر نجله الأمير فيصل حاكم مكة ، المائدة الثانية . والأميران محمد وخالد بقية الموائد الأخرى . وقد رأينا لجلالته أيضاً على مائدة الطعام البساطة التامة ، بحيث أنه يحادث الناس بدون كلفة ، ويعاملهم معاملة الأخ المسلم لأخيه مع المجاملة والهشّ في الوجوه دون الخروج عن دائرة الجدّ والآداب .

« وبعد الطعام انتقل وضيوفه إلى المجلس الكبير في الطابق العلوي ، فتصدر المجلس ، وجلس حوله كبار رجال دولته ، ونخبة من العلماء كما جلس بالقرب منه سلطان مسقط . وأُديرت على الجميع أكواب القهوة العربية .

« ثم أخذ وهو جالس على أريكته — حسب عادته — ينثر على الأسماع خطبته الطويلة التي ارتجلها ، وأتى فيها بما أثلج الصدور وأثر في النفوس .

« تكلم نحو الساعة ، بلسان بين ، لا تلجلج فيه ولا توقف ولا تقيد بأساليب البلغاء أو قواعد اللغة ، بل بمطلق لهجة أهل نجد ، مع الركون في الغالب إلى المسحة الدينية ، وإيراد الأحاديث والآيات الكثيرة .

« بدأ فيها بالإعراب عن سروره ، وشكره لله الذي جمع عنده هذا الجمع الحفيل من جميع الأقطار . ثم رحب بضيوفه ، وعرّج بعد ذلك على بيان مبدئه وماله من التمسك بحبل الله المتين من اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

« كما أتى في الختام على شرح موقفه إزاء الإمام يحيى ، وبيان أصل سوء التفاهم بينهما ، وما يسعى فيه هو من جهته لإصلاح ذات البين من غير إهراق دماء ولا ضياع حق لأحد .

« ولقد كانت تصريحاته في هذا الموضوع تشعر بما له من اليقين في انتصاره لأسباب معقولة أبداها .

« وما كاد ينتهي من كلامه حتى قام أحد علماء الهند وكان يلتقط الكلام

بطريق الاختزال ،فترجمه لأبناء جنسه إلى اللغة الأردوية ، فتأثروا لها أيما تأثر ، وقابلوها بالتصفيق المتواصل .

« ثم ألقى بعض الخطباء والشعراء ما يناسب المقام ، فكان الموقف مظهراً من مظاهر ملوك الإسلام ، ومجلساً من مجالسهم الحافلة بالعلم والآداب ، على نهج ما رواه لنا تاريخ جزيرة الأندلس وغيرها ..وانتهت الحفلة فخرجنا بين مظاهر الحفاوة والسرور .

المَـلك عَبْـد العَـزيـز

والعُمّال في بلاده

نشر الدكتور عزيز المراغي (وكيل مصلحة العمل ، بمصر) سلسلة مقالات ، قال في إحداها [1] :

« .. أما المملكة العربية السعودية ، فقد صدر فيها الأمر الخاص بنظام « العمل والعمّال » بتاريخ ١٣٦٦/١١/١٥ هجرية . وقد جاء هذا القانون محققاً للعدالة الاجتماعية ، ويعتبر بلا شك مفخرة كبيرة لعاهل الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود .

وتنطبق أحكام هذا القانون على جميع المشاريع الصناعية والتجارية والزراعية ولا يستثنى من أحكامه إلا المشاريع التي يستخدم فيها أعضاء أسرة صاحب المشروع فقط ، والأعمال الطفيفة التي لا يستمر العمل فيها أكثر من اسبوع .

وينصّ القانون على أنه لا يجوز تشغيل العمّال تشغيلاً فعلياً أكثر من ثماني ساعات في اليوم ، ويجب أن تتخلل ساعات العمل اليومي فترة أو أكثر للصلاة في أوقاتها وللراحة ، لا تقلّ في مجموعها عن ساعة ونصف . ويجب منح العمال يوماً للراحة في الأسبوع بأجرة كاملة .

ولا يجوز استخدام عمال دون العاشرة من العمر بصفة عامة . ويجوز رفع هذه السن في بعض المناطق . ولا توجد في القانون نصوص خاصة بعمل النساء ،

---

(١) جريدة المصري ١ سبتمبر ١٩٥٠

لأن تشغيل النساء غير مألوف هناك .

وللعامل الذي يشتغل في مشروع صناعي يستخدم فيه أكثر من عشرة عمال مدة سنة بصورة مستمرة ، أن يتمتع بإجازة اعتيادية بأجرته الكاملة ، عن كل سنة خمسة عشر يوماً . وعلاوة على ذلك تعتبر أيام الأعياد الرسمية أيام عطلة . ويجب أن يدفع صاحب العمل أجوراً كاملة لعمّاله عنها .

وللحكومة بناء على هذا القانون أن تأمر أصحاب المشاريع الصناعية ، بما يأتي :

١ — تأسيس حوانيت لتأمين لوازم عمالهم من أنواع الأطعمة والثياب الجيدة وغيرها بأسعار معتدلة .

٢ — إنشاء نواد وحدائق ومكتبات للعمال ومدارس لأولادهم .

٣ — إجراء كل ما يلزم للمحافظة على صحة العمال وعائلاتهم وراحتهم وتحسين حالهم .

كذلك يجب على صاحب العمل أن يعدّ لعماله مساكن صحية تتوافر فيها أسباب الراحة الكاملة . ويشترط على أصحاب المشاريع الصناعية ألاّ يسكنوا أكثر من عاملين اثنين من العمال العزاب في غرفة مساحتها ١٢ في ١٥ قدماً . ويجب على أصحاب المشاريع الصناعية أيضاً أن يعدوا للعمال أماكن للطعام والطهي والاستحمام والغسل ، على أن تعرض تصميمات هذه الأماكن على الحكومة للموافقة عليها قبل الشروع في إنشائها .

وعلى كل صاحب عمل يستخدم خمسين عاملاً فأكثر ، أن يضع الأنظمة الآتية :

١ — لائحة تنظيم العمل .

٢ — لائحة للجزاآت تعتمدها الحكومة .

٣ — نظام للإسعاف في المصنع أو محل العمل ، مع تخصيص طبيب لعيادة العمال وعلاجهم مجاناً وإعداد وسائل لصرف الأدوية بدون مقابل سواء أكان ذلك في وقت العمل أم غيره .

٤ ــ نظام للتوفير والادخار للعمال تعتمده وزارة المالية .

وإذا قام صاحب العمل بفسخ عقد العمل وجب عليه أن يدفع للعامل مكافأة عن مدة خدمته لا تقلّ عما يأتي :

١ ــ بالنسبة لعمال اليومية وللعمال ذوي الأجور الاسبوعية ، والعمال الذين تحدد أعمالهم بالقطعة ، أجر خمسة عشر يوماً عن كل سنة من سني الخدمة على أساس الأجر الأخير .

٢ ــ بالنسبة للعمال المعينين بأجور شهرية ، أجر نصف شهر عن كل سنة من السنوات الست الأولى ، وأجر شهر عن كل سنة من السنوات الباقية على أساس الأجر الأخير .

وينتهي عقد العمل بوفاة العامل أو بعجزه عن تأدية عمله عجزاً كاملاً ، بعد إثبات ذلك بشهادة طبية أو بمرضه مرضاً أدى إلى انقطاعه عن العمل مدة لا تقل عن شهرين متتاليين ، أو مدداً تزيد في جملتها على ثلاثة شهور في خلال سنة واحدة .

وإذا أصيب العامل إصابة ناشئة من العمل أقعدته عن عمله ، يدفع له ٧٥ ٪ من أجرته . وذلك بعد مضيّ سبعة أيام من تاريخ الإصابة . ويستمر دفع الـ ٧٥ ٪ إلى حين شفاء المصاب أو انتهاء مدة العجز الموقت ، فإذا مضت تلك المدة ، وتقرر طبياً عدم احتمال شفاء المصاب ، يدفع له تعويض عن الإصابة . ويتراوح مبلغ التعويض في حالة العجز الكلي ، بين سبعة وعشرين ألف ريال ، واثني عشر ألف ريال ، بحسب الأحوال . ويدفع للعامل في حالة العجز الجزئي الدائم ، مبلغ يتناسب مع جسامة الإصابة . وفي حالة الوفاة يدفع التعويض لورثته بحسب طريقة المواريث الشرعية .

ويجب على صاحب العمل مداواة المصابين ونقلهم إلى المستشفيات ، على نفقته مهما يكن نوع الإصابة ولو لم تحدث لهم أثناء العمل .

وينصّ القانون على أنه فيما يتعلق بمنازعات العمل يجوز للعامل أو لصاحب العمل ، أن يطلب إجراء التحكيم إذا قام نزاع بينهما . وذلك بتقديم طلب إلى

الحكومة . وتتولى التحكيم هيأة مؤلفة من عضوين يعين أحدهما صاحب العمل والآخر الحكومة . فإذا اختلف العضوان عين وزير المالية حكماً ثالثاً للفصل في النزاع »

، ، ،

نصّ النظام :

وقد يكون من المفيد ، بعد إيراد الخلاصة العلمية السابقة من « نظام العمل والعمال » الصادر سنة ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ذكر النظام بحذافيره . وهو الآتي :

العامل : كل شخص يُستخدم بأجرة بموجب اتفاق خاص أو عام ، شفهي أو تحريري .

درجات العامل : الدرجة الأولى كل شخص يعمل على أساس المشاهرة أو يؤدي عملاً فنياً خاصاً يتقاضى عليه راتباً شهرياً أو أجرة يومية .

والدرجة الثانية : كل شخص يزاول أعمالاً ليست فنية ، ويتقاضى عليها أجوراً يومية .

والدرجة الثالثة : كل شخص يكون تحت التمرين بدون أجر معين .

الآجِر : كل شخص أو هيئة أو شركة تستعين بخدمات عمال مباشرة أو غير مباشرة .

سير العمل : لا يجوز استخدام عمال دون العاشرة من العمر .

أيام وساعات العمل : ستة أيام من كل أسبوع . وساعات العمل اليومي لا تزيد عن ثماني ساعات . ويجب أن تتخللها فترة أو أكثر ، للصلاة في أوقاتها ، وللراحة ، لا تقل في مجموعها عن ساعة ونصف . ولا يجوز أن يشتغل العامل أكثر من خمس ساعات متوالية .

أجر العامل وآجاله : يجب دفع أجر العامل وكل مبلغ مستحق له ، في البلاد السعودية ، بالعملة السعودية . وتدفع لمن كان مؤجراً باليوم في نهايته ، ولمن كان بالمشاهرة في نهاية الشهر ، وفي نهاية الأسبوع لمن كان مؤجراً بالاسبوع

التزامات الآجر : أ ـ أن يعيد العامل على نفقته إلى الجهة التي أبرم فيها العقد ، أو أخذ أو رحل منها ، إذا طلب العامل ذلك في خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ انتهاء العقد، أو لمرضه مرضاً يثبت طبياً أنه موجب لانقطاعه عن العمل مدة لا تقل عن ثلاثين يوماً . ب ـ ألاّ ينقل العامل ذا الأجر الشهري أو الأسبوعي ، إلى عمل باليومية ، من دون ان يحصل على موافقة كتابية من العامل بذلك ، ودون أن يخل ذلك بالحقوق التي اكتسبها العامل بسبب خدمته في المدة التي قضاها بالأجر الشهري . ج ـ أن ينفذ أحكام الاتفاق الذي يعقده مع العامل . ولا يجوز للآجر أن يكلف العامل عملاً غير ما اتفقا عليه .

واجبات الآجر نحو العامل : على كل آجر يستخدم ٥٠ عاملاً فأكثر أن يضع الأنظمة الآتية : أ ـ لائحة للجزاءآت بشرط أن تعتمد لائحة التنظيم والجزاآت من قبل الحكومة . ب ـ نظاماً للإسعاف في المصنع أو محل العمل، مع تخصيص طبيب لعيادة العمال وعلاجهم مجاناً ، وإعداد وسائل بصرف العلاج والأدوية من دون مقابل سواء أكان في وقت العمل أم غيره . جـ نظاماً للتوفير والادخار للعمال تعتمده وزارة المالية . وعند استخدام ما دون الـ ٥٠ عاملاً ، يجب أن يكون في كل مشروع صناعي صندوق للإسعافات الطبية ، يحفظ بحال صالحة ويحتوي على الأربطة والأدوية والمطهرات التي تعينها مديرية الصحة العامة بالاتفاق مع الحكومة . وذلك لإسعاف المصابين إسعافاً أولياً .

كما أنه يجب على الآجر ما يأتي : أ ـ أن يوفر بقدر الإمكان أسباب الأمن والسلامة في العمل. ب ـ أن يتحقق دائماً سلامة وصلاح جميع المعدات والأدوات التي تحت إدارته ، والمستعملة في العمل الذي يقوم به . جـ ـ أن ينشر دائماً ما يلزم من تعليمات ، لتنبيه العامل إلى جميع أخطار العمل ووسائل اتقائها . د ـ أن يعد لعماله مساكن صحية متوفرة فيها أسباب الراحة الكاملة . وعلى أصحاب المشاريع الصناعية ألاّ يسكنوا أكثر من عاملين اثنين من العمال العزّب في غرفة مساحتها (١٢ـ١٥) قدماً . كما أن عليهم أن يعدوا للعمال أماكن للطعام والطهي والاستحمام والغسيل .

وللحكومة ، أن تأمر أصحاب المشاريع الصناعية بما يأتي : أ — إنشاء نوادي وحدائق ومكتبات للعمال ومدارس لأولادهم . ب — تأسيس حوانيت لتأمين لوازم عمالهم من أنواع الأطعمة والألبسة الجيدة وغيرها ، بأسعار معتدلة. ج — إجراء كل ما يلزم للمحافظة على صحة العمال وعوائلهم وراحتهم وتحسين حالهم .

طريقة استخدام العامل : أ — لا يسمح لأي عامل بالاشتغال في مشروع صناعي ما لم يكن حائزاً على استمارة العمل (الرخصة الدائمية) التي تصدرها الحكومة . ب — العمال الذين تستخدمهم الشركات المصرح لها باستثمار بعض المواد في البلاد ، يجري تأمينهم عن طريق أشخاص يتقاولون مع الشركة عن طريق الحكومة ، ويكون المقاول وعماله خاضعين لاستحصال رخصة العمل . ج — لا يحق للآجر في أي مشروع صناعي أو استثماري وغيره ، الاتفاق على استخدام أي عامل أجنبي أو سعودي ، عن طريق المقاولة أو غير ذلك ، إلا إذا كان الشخص المتفق معه يحمل رخصة العمل الرسمية .

الأتلاف وتعويضها : إذا تسبب عامل في إتلاف مهمات أو منتجات مما يملكه الآجر ويكون في عهدته ، بسبب إهماله أو عدم احتياطه أو تفريطه ، كان للآجر أن يقتطع المبلغ اللازم من أجر العامل ، بشرط ألاّ يزيد ما يقتطع لهذا الغرض عن أجر خمسة أيام من أجر العامل في الشهر الواحد ، وعلى شرط أن يكون كل ذلك في حالة عجز العامل عن إثبات أن ما وقع كان نتيجة قضاء وقدر ، ولا يجوز أن يقتطع من العامل أكثر من عشر أجره الشهري ، لسداد ما يكون أقرضه إياه الآجر .

العقد المحدد وغير المحدد : إذا كان العقد مبرماً لمدة محدودة ، وانتهت المدة دون أن تنقطع خدمة العامل لدى الآجر ، اعتبر العقد مجدداً لمدة غير محدودة . وإذا كانت مدة العقد غير محدودة كان لكلٍ من الطرفين الحق في فسخه وإعلان الطرف الآخر بذلك . على أن يكون الإعلان سابقاً للفسخ بالمدة الآتية : أ — بمدة ثلاثة أيام لعمال اليومية . ب — بمدة أسبوع للعمال ذوي

الأجور الأسبوعية . ج ــ بمدة شهر للعمال المعينين بأجور شهرية .

فسخ العقد من الآجر : يجوز للآجر أن يفسخ العقد دون مكافأة ودون سابق إعلان في الحالات الآتية : أ ــ إذا ثبت أن العامل لجأ إلى التزوير ليحصل على العمل . ب ــ إذا وقع من العامل عمداً أي فعل أو تقصير يقصد به إلحاق خسارة مادية بالآجر . ج ــ إذا ثبت أن العامل رغم إنذاره كتابةً باتباع التعليمات التي ينشرها الآجر في مكان ظاهر ، لسلامة العمل والعمال ، قد استمر في مخالفة هذه التعليمات . د ــ إذا تغيب العامل دون سبب مشروع أكثر من ١٥ يوماً في خلال السنة الواحدة أو أكثر من ٧ أيام متوالية . هـ ــ إذا ثبت أن العامل أفشى الأسرار الصناعية أو التجارية الخاصة بالعمل الذي يعمل به . و ــ إذا ثبت أن العامل قد ارتكب عملاً مخلاً بالشرف أو الأخلاق أو الآداب . ــ إذا وقع من العامل اعتداء على الآجر أو على أحد رؤسائه في العمل أثناء العمل أو بسببه

فسخ العقد من العامل : يجوز للعامل أن يترك العمل قبل نهاية العقد أو بدون سبق إعلان في الحالات الآتية : أ ــ إذا كان صاحب العمل أو من يمثله قد أدخل الغش وقت التعاقد ، فيما يتعلق بشروط العمل . بشرط أن يتمسك بهذا السبب قبل مضيّ شهر من تاريخ دخوله الخدمة . ب ــ إذا لم يقم الآجر بالتزاماته . ج ــ إذا ثبت ارتكاب الآجر لأمر مخل بالشرف والأخلاق نحو العامل ، أو أحد أفراد أسرته ، د ــ إذا وقع من الآجر اعتداء على العامل أو أحد أفراد اسرته . هـ ــ إذا كان هناك خطر جسيم يهدد سلامة العامل أو صحته . بشرط أن يكون الآجر قد علم بوجود ذلك الخطر ولم يعمل على إزالته.

أجرة العامل أثناء المرض : على صاحب العمل أن يدفع للعامل الذي يثبت مرضه ، أثناء العمل ، نصف أجر أيامه مدة انقطاعه .

تعويضات العامل بإصابة أقعدته عن عمله : يدفع له آجره ٧٥ في المائة من أجرته . وذلك بعد مضي سبعة أيام من تاريخ الإصابة التي يجب أن يستوفي فيها أجره كاملاً . ويستمر دفع الـ ٧٥ في المائة إلى حين شفاء المصاب أو انتهاء

مدة الإقعاد الموقت. وعلى الآجر أن يقدم لعماله المعالجة الطبية حتى في الأوقات التي تمنعهم إصاباتهم الجراحية عن مواصلة العمل فيها .

يجب على الآجر ان يحفظ سجلاً يدرج فيه أعمال العمال والموظفين ، بموجب أرقام وتواريخ متسلسلة ، وسجلا آخر بأجور ورواتب أولئك العمال والموظفين ، وسجلا ثالثاً تسجل فيه الإصابات التي قد تحصل لبعض العمال والموظفين الآخرين .

توزيع مكافآت وتعويضات العمال المتوفين : تتبع في توزيع تعويضات العمال أو مكافآتهم لمعولي المتوفين ، طريقة المواريث الشرعية وتدفع المبالغ من قبل الشركات تحت إشراف الحكومة لمستحقيها بمقتضى الأنظمة المحلية القائمة.

التحكيم والمحاكم : يجوز للعامل أو الآجر أن يطلب إجراء التحكيم إذا قام نزاع بينهما .

المخالفات التي تقع بين العمال ، والتجاوزات الشخصية التي تقع من شخص أجنبي على شخص تابع للحكومة العربية السعودية ، باليد أو اللسان ، أو على سبيل التهكم ، أو بأي نوع من أنواع التجاوز والازدراء أو الإهانة : تتخذ الاجراءات الأصولية نحو محاكمة المتهم بشيء من ذلك ، وتوقيع العقوبة المستحقة مع ضمان الحق الشخصي علاوة على إبعاده عن المملكة إذا اقتضى الأمر ذلك .

المحاكم المحلية والهيئات التي تؤلف خصيصاً لذلك : هي المرجع المختص لحل عموم القضايا المتنازع عليها .

التفتيش : لوزارة المالية أن تطلب من كل آجر أن يثبت مقدرته المالية على القيام بتنفيذ الاقتراحات المفروضة . ولها أن تطلب من الآجر تقديم الضمانات الكافية لذلك . وللموظفين الذين تنتدبهم وزارة المالية حق التفتيش على محالّ العمال المختلفة .

إجازات العامل : للعامل الذي يشتغل في مشروع صناعي يستخدم فيه أكثر من عشرة عمال ، مدة سنة بصورة مستمرة ، أن يتمتع بإجازة اعتيادية

بأجرته الكاملة عن كل سنة عشرة أيام ، على أن تعين مواعيدها بموافقة صاحب المشروع ، وإجازة مرضية بأجرته الكاملة ، عن كل سنة خمسة عشر يوماً على أن تكون هذه الإجازة المرضية مستندة إلى تقرير مصدق من مرجع صحي رسمي .

أيام الأعياد الرسمية هي أيام عطلة . ويجب أن يدفع المستخدِم اجوراً كاملة لعماله عنها . انتهى .

استطراد

كان يتولى النظر في شؤون العمل والعمال ، في المملكة ، أيام الملك عبد العزيز ، « مكتب المعادن والأشغال العامة » وتحول فيما بعد إلى « مكتب العمل والعمال » وربط بامارة المنطقة الشرقية . ثم ألحق المكتب بمجلس الوزراء وسمي « مصلحة العمل والعمال » وكانت هذه « المصلحة » نواة لوزارة«العمل والشؤون الاجتماعية » التي أُنشئت بعد وفاة الملك عبد العزيز بسبع سنوات[١] ويتولاها الآن سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨) الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل . وقد أصدر كتاباً عن أعمالها ، سماه « لمحات عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية » يرجع إليه .

---

(١) انظر « لمحات عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية » المطبوع سنة ١٣٨٤هـ الصفحة ٩٩ و ١٠٠

فلبي في خدمة الملك عبد العزيز

قلت في فصل سابق : لاحظت أكثر من مرة، في مجالس الملك عبد العزيز ، العامة أو شبه الخاصة ، مما كان فلبي يغشاه في جملة الناس ، أن الملك يكون مسترسلاً في الكلام ، ويلمح عن بُعد « غُتْرة » فلبي ، داخلاً ، فلا يلبث أن يحوّل موضوع الحديث ، بلباقة من دون تردد أو تلعثم أو صمت ، إلى موضوع آخر مما يجوز أن يستمع إليه فلبي !

وكان فلبي نفسه ، يعلم « منزلته » هذه عند الملك ، ويقنع بها وبما دونها ، من مباسطات وإكرام وجدَل ، ونقاش يتسع له صدر عبد العزيز ، وهمْسٍ في بعض الأحيان ، وقضاء حاجات ..

، ، ،

وأصدق من يعرف فلبي ، ويرسم حدود علاقته بالملك ، هو الملك عبد العزيز نفسه .

وبين يديّ برقية ، وردت (بالجفر) من الرياض ، في ١٥ جمادى الأولى ١٣٥٦ (٢٣ يوليو ١٩٣٧) الرقم ٧٥/٢٣/١١٤٠ هذا نصها :

« نجدية — مصر

« نخشى أن يحسب بعض الناس ، أن كلام فلبي وخطبه ومقالاته ، تعبر عن رأينا في قضية فلسطين . وحيث أننا لم نكلفه بيان أي رأي أو اقتراح باسمنا ، فإننا نرغب أن توعزوا إلى بعض الصحف لتنشر أن فلبي صديق شخصي ، وعلاقته بنا علاقة شخصية ، ولمعاملات تجارية وما شاكلها . أما آراؤه السياسية فهي له ، ولا تعبر عن فكرنا مطلقاً » .

« عبد العزيز »

لم تُنشر هذه البرقية بصفة « رسمية » يومئذ ، مراعاة لشعور فلبي المنعوت

بالصديق الشخصي للملك . ولا أذكر الآن بأية صيغة نشرت ، إلاّ أن المفوضية العربية السعودية ، في لندن ، تلقت ما هو أوضح مما ورد علينا في القاهرة ، فنشرت في صحف لندن، يوم ١١ جمادى الآخرة ١٣٥٦ (١٨ أغسطس ١٩٣٧) بياناً نقله البرق ، ونشرته الصحف المصرية في اليوم التالي . هذا نصه :

« نظراً لحصول بعض الارتباك في الرأي العام ، من جهة علاقة المستر فلبي بالعرب ، وَجّه مسلمون كثيرون من بلاد العرب وغيرها ، أسئلة إلى الحكومة العربية السعودية عن الآراء التي أبداها عن فلسطين ، في مقالاته المنشورة في الصحف البريطانية ، وخطابه الأخير . وبناءً على ذلك ، كلفت الحكومة العربية السعودية ، هذة المفوضية ، أن تعلن أن ليس للمستر فلبي من علاقة سياسية بجلالة الملك عبد العزيز ، أو حكومته . وكل علاقات المستر فلبي ببلاد العرب تجارية صرف . ولهذا تكون آراوه في حل مشكلة فلسطين ، شخصية تماماً ، ولا تمثل على الإطلاق رأي الحكومة العربية السعودية »

وفلبي يُقِرّ ذلك :

وجاء دور فلبي ، وكان في لندن ، فنشر في « التيمس » بعد أسبوع من نشر البيان ، ما سماه تعليقاً على بيان المفوضية العربية ، جاء فيه :

« أودّ أن اصرّح بأني موافق على كل ما ورد في بيان المفوضية العربية ، بشأني . وأزيد على هذا أنه لم يسبق لي أن أبديت في يوم ما ، غير رأيي الخاصّ في كل ما يتعلق بالمشاكل العربية ، منذ عشرين عاماً . وقد سرني أن أُتيحت لي هذه الفرصة لأوكد أنني ليست لي الآن ، ولم تكن لي من قبل ، أية علاقة رسمية أو شبيهة بالرسمية ، كائنة ما كانت ، بجلالة ملك العربية السعودية أو بمملكته . أما صداقتي لجلالته وإعجابي بشخصه ، فذلك أمر آخر » .

، ، ،

وما دمنا في معرض الحديث عن الحاج عبد الله ، سان جون فلبي ، فأول معرفتي به كانت في عمّان (عاصمة شرقي الأردن) سنة ١٩٢١–١٩٢٣م . كان رئيساً للمعتمدين البريطانيين . وهم موظفون بثتهم الحكومة البريطانية قبل إمارة الشريف عبد الله بن الحسين ، في جهات متعددة من شرقي الأردن. واستمروا في أعمالهم بعد قيامها ، وزيد فلبي لرئاستهم . وكنت آنئذ أرأس ديوان الحكومة . فكان فلبي على صلة بي ، في بعض الشؤون . وهو همزة الوصل باستمرار بين الأمير عبد الله في عمان والمندوب السامي البريطاني في القدس . وقلما كانت وزارة عبد الله في عمان تشعر بوجود فلبي ، لملازمته مجلس الأمير ، واتصاله المباشر به ، في كل أموره .

، ، ،

وأذكر أنه كان « يتظرف » بمعرفته اللغة العربية . وجاءني يوماً لأحكم بينه وبين مظهر الرسلان ، هل كلمة « موسيقى » عربية ؟ فقلت : أما أصلها فلا ، ولكنها وردت في كتب العرب من ألف عام . فقال : ما أبخلك يا مظهر ! كلمة تعيش عندكم ألف عام ولا تزالون تعدونها « دخيلة » ..

وسبق أن ذكرت ، في كلمة عن الإمام عبد الرحمن ، أن أول مرة رأى فلبي فيها الملك عبد العزيز ، كانت في الرياض سنة ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) . وزار البلاد العربية بعد ذلك عدة مرات في مهمات كانت حكومته تنتدبه لها . ورافق بتكليف من حكومته ، وفداً برئاسة الأمير فيصل بن عبد العزيز ، لزيارة لندن وباريس سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩م).

ويقول : إن خلافاً نشأ بينه وبين حكومته ، بعد خروجه من شرقي الأردن (سنة ١٩٢٤) فاستقال من العمل الرسمي . وفي سنة ١٩٢٦ بدأ إقامته في «جدة» تاجراً . وأنشأ شركة لاستيراد السيارات ، ظل يعمل فيها إلى سنة ١٩٥٥ .

وكنت أول من نشر خبر إسلامه ، سنة ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م) وقد وصلت إليّ رسالة (من الطائف إلى القاهرة) من يوسف ياسين ، يقول فيها : « قبل

ساعة من كتابة هذه الرسالة ، أعلن فلبي ، بجدة ، اعتناقه الإسلام .

وما تركت الرسالة من يدي ، حتى اتصلت هاتفياً برئيس تحرير المقطم (خليل ثابت) وحدثته بالخبر . ويظهر أنه خشي الخطأ ، فنشره هكذا : أخبرنا الأستاذ خير الدين الزركلي أن المستر فلبي أعلن اعتناقه الإسلام ، في جدة الخ[١].

، ، ،

وأصبح فلبي من ذلك اليوم ، يرافق الركب الملكي في الحج وأكثر الأسفار. وتزوج بنجد ، من إيرانية عاد بها إلى مكة . وولدت له ولدين ، هما خالد وفارس.

وكان الملك عبد العزيز ، على شيء من اليقين بأن فلبي إنما استقال من خدمة حكومته حين كان في عمان ، لإعراضها عن الأخذ برأيه في السياسة العربية ومناصرة عبد العزيز . ويروي فلبي[١] أنه لما زار الملك في الطائف ، زيارته الأولى بعد دخوله في الإسلام ، قال الملك عبد العزيز لمن في مجلسه : « لقد عمل فلبي كثيراً من أجلي ومن أجل قضية نجد ، وضحّى بالكثير في سبيلنا ، واختلف مع سياسة حكومته بسببنا ، وتخلى تبعاً لذلك عن مناصبه الرسمية ، من أجلنا » وهذا ما يعلل به الكثيرون استمرار عطف الملك عبد العزيز عليه .

، ، ،

ما كان فلبي يتقاضى راتباً من حكومة الملك عبد العزيز ، ولا يتلقى « شرهات » منه كغيره . وكان يعتزّ بأن حكومة عبد العزيز تدفع أجرة المنزل الذي تقيم فيه أسرته بمكة ، وتصرف له ولأسرته الصغيرة مخصصات للمعيشة ، وكل أسفاره في الطائرة داخل المملكة ، ومنها ، وإليها ، هو على حساب الحكومة ، وهو معفى من ضريبة الدخل ، وسيارته غير خاضعة للتسجيل[٣] .

---

(١) اقرأ ما كتبه فلبي عن إسلامه ، في كتاب عبد الله فلبي ، لخيري حماد ٢٥٥-٢٥٦

(٢) المصدر نفسه ٢٥٩

(٣) المميز ٢٧٩ عن لسان فلبي

وأرادت حكومة الملك عبد العزيز ، شراء مقدار من الخيام ، فرأيت فلبي يدخل عليه ، ويحدثه بأنه على استعداد لجلب الخيام من الهند . ووافق الملك ، وأسلفته الحكومة ما هو في حاجة إليه من النقد ، ورحل . ثم سلمها الخيام ، وأضاف إلى قيمتها الربح الذي فرضه . وهذا نموذج من تجارته التي جمع منها ثروة بالغ فيها الناس ، ولم يظهر لضخامتها أثر بعد موته .

، ، ،

استعان بالملك عبد العزيز ، على رحلات طاف بها أكثر أنحاء الجزيرة ، ولم يمنع عنه عبد العزيز عونه بالرجال والإبل والنفقات .

ولما قام عبد العزيز بزيارة مصر ، الزيارة الرسمية العلنية ، في أوائل سنة ١٣٦٥هـ (١٩٤٦م) ، كان فلبي في جملة المسافرين معه من جدة ، على اليخت « محروسة » إلا أن اسمه لم يذكر رسمياً في عداد الحاشية الملكية ، ولم يظهر هو في أي حفل أو مجتمع رسمي .

وكما كان الملك يأنس بخالد الحكيم ، لمناقشته له ، واشتداده في الجدل معه إلى حد الغضب والإغضاب ، فقد كان فلبي يصل أحياناً إلى العُنف في المناقشة ، قال في أحد كتبه : شبـّه الملك مرة ، مجلسه الخاص ، بالبرلمان البريطاني وقال : « ألا ترون أننا نناقش الأمور هنا بحرية ديموقراطية كاملة ، وعندنا دائماً جبهة رسمية للمعارضة ، يمثلها فلبي » ؟

إلا أن في الخاصة الملكية من يعزو عنف فلبي إلى لكنته في العربية وسوء فهمه لبعض ما يقال له ، فيضطرب ، ويحسب من يراه أنه يحتدم . وكان لا يخلو من حدة تقرب من الحماقة .

كان مولعاً بالتحدث عن عبد العزيز ، في خطبه بإنكلترة ، ومقالاته في الصحف البريطانية ، وكتبه . لأن الحديث عن عبد العزيز مادة لا تنضب ، ولأن فلبي كان في الحقيقة من أعرف الناس به ، للصوقه وانتباهه لكل حركة أو كلمة تصدر عنه ؛ يقيـّد ذلك في الحال ، في دفتر صغير لم يكن يفارقه .

ولعل قطرات الدمع التي انحدرت من عينيه على باب مجلس عبد العزيز في الطائف ، لما علم بأن عبد العزيز أمر بالانسحاب من الأراضي اليمانية ، كانت دموعاً صادقة ، لأن الرجل لم يتعود أن يرى فاتحاً يعفّ عن ثمرات فتوحه.

واشتدّ فلبي ، في بعض كتبه ، على رجال من ثقات الملك ، همزاً ولمزاً . وفيهم أبرياء مما وصمهم به .



فلـــبي

قال لي السفير الأميركي المستر تشايلدز ، بعد أن قرأ كتاب فلبي Arabian Days أيام في البلاد العربية : إن صح ما يقوله فلبي عن نفسه ، فهو الشخص الوحيد الذي لم يخطىء له رأي طول حياته !

وتردّد عنه حبه لأن ينعت بالمستشار غير الرسمي للملك عبد العزيز ، ولكن عبد العزيز لم يقرّ هذا . وحسبه صداقته .

وكان فلبي عالماً ، بحاثاً ، أثرياً ، يخطىء ويصيب ككل متصدّ لما تصدى هو له . كتب كثيراً عن بلاد العرب وصنف كتباً لها قيمة علمية . وانجرف إلى هوة في قضية فلسطين ، تقدم حديثها ، قضت على سمعته السياسية عند العرب خاصة .

وليس هذا كل ما يقال عن فلبي ، فالحديث عنه يطول .

الملك عبد العزيز

في دائرة المعارف الأميركية الحديثة[١]

وصفت دائرة المعارف الأميركية الحديثة ، شبه جزيرة العرب ، وصفاً موجزاً ، جاء فيه أن أهاليها ، عرب هاجروا من قديم الزمن من إفريقيا[٢] وهم ساميون أقحاح . دينهم الإسلام . وكانت في شبه الجزيرة مدنية قبل سنة ١٠٠٠ق.م[٣] ولكن المعلومات عنها قليلة . وفي سنة ١٠٠ ق.م، حاولت روما فتحها فأخفقت . وافتتحها الفرس سنة ٥٧٥م[٤] .

وجاء فيها أخيراً أن الحكومة البريطانية اعترفت سياسياً بالملك عبد العزيز ابن سعود سنة ١٩٢٧م وهو يحكم الجزيرة العربية حكماً مطلقاً ، غير مقيد بأي نوع من أنواع الحكم الغربي[٥] ويساعده رؤساء عشائر[٦] يُسمون الشيوخ أو الأمراء ، أو بتعبير دينيّ « الأئمة »[٧] .

---

(١) The New American Encyclopedia New York 1945

(٢) وهو رأي ذهب إليه بعض المستشرقين حديثاً ، كبلغريف وجيرلند ، ولكن المحققين منهم نفوه – راجع تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ، المجلد الأول ، ص ١٥٤ وما بعدها .

(٣) مدنية العرب أقدم عهداً من هذا التاريخ .

(٤) ليس في التاريخ ما يدل على أن الفرس توغلوا في شبه الجزيرة . وإنما خضع لسلطانهم . بعض الإمارات العربية المجاورة لهم . وما عدا ذلك خطأ .

(٥) ولكنه مقيد بأحكام الشرع الإسلامي .

(٦) كان ذلك قبل تنظيم المملكة العربية السعودية واصطباغها بالصبغة الدولية .

(٧) ليس في البلاد العربية السعودية من يطلق عليه لفظ « الإمام » بالمعنى الديني غير الملك .



الملكان عبد العزيز وعبدالله

الملك عبد العزيز

والأمير (ثم الملك) عبد الله بن الحسين

عبد الله بن الحسين ، منشىء إمارة شرقي الأردن التي سميت بعد ذلك « المملكة الأردنية الهاشمية » كانت له ليلة مع رجال عبد العزيز ، لم ينسها طوال حياته . أعني معركة « تربة » . وغارة « الإخوان » فيها عليه ، وعلى جيشه ، في حلك الليل ، مما تقدم ذكره ، بشيء من الإيضاح[١] .

وتتالت الأحداث بعد تلك « الليلة » فخرج والده « الحسين » من مكة ، ثم أخوه « علي » من جدة . وركب الأب باخرة حملته إلى العقبة ، ليحلّ « ضيفاً » على ابنه « عبد الله » في إمارته بالأردن . فما لبث أن أقبل عليه الأمير عبد الله في معان يفرك يديه ويحدثه بأن الإنكليز حذروه ، من أن بقاءه عنده ، سيتخذه عبد العزيز سبباً لاكتساح جنوبيّ الأردن ونصحه في أن يرحل من جواره في « معان » إلى منفاه في « قبرص » .

وانبعثت حوادث « ابن رفادة » ولعبد الله اليد الأولى فيها . ومُحي ابن رفادة ومن كان معه ، في يوم واحد ، ودمهم في عنق مثيرهم ، عفا الله عنه وعنهم .

---

(١) انظر الصفحة ٣٢٠–٣٢٣ .

وقبل حوادث ابن رفادة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) وبعدها ، كانت الأحداث تتوالى على حدود شرقي الأردنّ ، والبلبلة تشغل عمّان . قال مصنفا « تاريخ الأردن في القرن العشرين »[1]: وفي ١٣ آذار (١٩٢٨) رمضان ١٣٤٦ أذاعت حكومة شرقي الأردن بلاغاً رسمياً طلبت فيه من الأهلين ألاّ يصدّقوا الإشاعات الرائجة عن غزوات « الوهابيين » المحتملة وهددت كل من يذيع أخباراً كاذبة بالعقاب الصارم ..

وتوسط بين الملك عبد العزيز والأمير عبد الله ، الملك فيصل بن الحسين والحكومة البريطانية ، فاعترف كل منهما بالآخر ، آخر الحجة ١٣٥١ (آذار ١٩٣٣) وتبادلا كتابين هذا نصهما :

١ — من عبد الله :

« قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية في سبيل اعتراف متبادل بين جلالتكم وبيني وبين حكومتينا . وإني أغتنم هذه الفرصة كي أقدم تحياتي لجلالتكم ، ولأعرب عن أملي بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادينا » .

٢ — من عبد العزيز :

« قد علمت مع السرور بانتهاء المخابرات الرسمية في سبيل إقرار اعتراف متبادل بين سموكم وبيني وبين حكومتينا . وإني أغتنم هذه الفرصة كي أقدم تحياتي لسموكم ، ولأعرب عن أملي بأن هذه الخطوة ستعد أساساً متيناً للعلاقات الودية والتعاون بين بلادينا » .

، ، ،

وأرسل الأمير عبد الله وفداً ، يصحبه الكابتن كلوب الملقب يومئذ في عمّان ، بقائد قوة البادية ؛ للمفاوضة مع حكومة الملك عبد العزيز ، فوصل إلى جدة يوم ٩ محرم ١٣٥٢ (١٩٣٣/٥/٥) ولم تأت المباحثات بنتيجة ، فعقد

---

(١) الصفحة ٣٤٤

اجتماع آخر في القدس وقّع فيه مندوبو الحكومتين معاهدة صداقة وحسن جوار ، تم إبرامها في القاهرة يوم ٢٨ رجب ١٣٥٢ (١٩٣٣/١٢/٢١)

أما تبادل التمثيل السياسي بين جدة وعمان ، فكان في شوال ١٣٦٧ هـ (أغسطس ١٩٤٨)

ولما كانت الحرب العالمية الثانية ، كتب عبد الله من عمّان إلى عبد العزيز في الرياض ، يرجو أن يقبل منه أن يضيفه أو يستضيفه . وأجابه عبد العزيز بأن الأحوال الحاضرة لا تسمح بضيافة أحدهما للآخر . وتحدث عبد الله بهذا ، يلوم عليه عبد العزيز ، في اجتماع بالقاهرة ، حضره بعض المشتغلين في الشؤون العربية ، في شوال ١٣٥٩ (نوفمبر ١٩٤٠) .

وأثار الأمير طلال (شفاه الله) يوم كان وليّ عهد شرقي الأردن ، قضية الخلاف بين أبيه والملك عبد العزيز ، على العقبة ومعان : هل هما حجازيتان أم أردنيّتان ؟ فتحدث إلى وكالة الأنباء العربية ، في ٩ ربيع الأول ١٣٦٥ (١٩٤٦/٢/١٢م) قائلاً [١] :

إن « معاناً » كانت عاصمة شرقيّ الأردن عندما قدم إليها والدي (عبدالله) من الحجاز ، وإن حدود الحجاز في العهد العثماني كانت من مدائن صالح

وتصدّى « خبير » من الكتّاب ، لنقض هذا « التصريح » فأثبت تاريخياً [٢] أنه لم يكن ، يوم قدوم الأمير عبد الله إلى معان ، شيء اسمه شرقي الأردن ، وأن كل شيء في العقبة ومعان كان حجازياً ، وأن الحكومة البريطانية استعلمت من الملك حسين ، وهو في مكة ، عن زيارة قام بها ابنه عبد الله لمنطقة معان والعقبة ، فأجاب الحسين بأنه يقوم عنه برحلة تفتيشية إدارية في تلك المنطقة الحجازية .

وأثبت الكاتب أن الأمير عبد الله كان يتلقى مخصصات الموظفين في العقبة ومعان من أبيه ، من مكة ، بعد أن نزل له « شخصياً » عن معان ، كإقطاع

---

(١) الصحف ، ومنها جريدة البلاغ المصرية ١٩٤٦/٢/١٣

(٢) في البلاغ ١٩٤٦/٢/١٨

يتولاه بنفسه ويستغله .. ولا يزال معروفاً في العاصمة الأردنية (عمّان) خبر الاحتفال البهيج الذي أقيم بها في صفر ١٣٤٠ (أكتوبر ١٩٢١) على أثر برقية تلقاها الأمير عبد الله بن الحسين من أبيه ، ينزل له فيها عن بلدة معان ، وقد جعلها له « منحة شخصية » يديرها بمعرفته ، ويبقى حق ملكيتها للحجاز[1] .

وراح المترددون على مجالس « عبد الله » في « عمّان » يكثرون من نقل أحاديثه إلى عبد العزيز ، وكلها نفثات ضغن ، وفي بعضها « نعوت » غير كريمة .

وكان عبد العزيز ، إذا ذكر له بعض ما ينطلق به لسان عبد الله فيه ، يقول : ليس في نفسي والله شيء عليه ، ما الذي أساء به إليّ عبد الله ؟ إنه قد أهدى إلينا في إبّان احتياجنا وضيق ذات اليد ، أكواماً من أنواع السلاح الحديث ، والعتاد ، والمؤن .. وعديداً من الخيل والجيش « الإبل » .. تركها لنا كلها ، ليلة « تربة » .

وكان يُنقل هذا إلى عبد الله أيضاً .

هذا « التراشق بالألفاظ » بينهما ، وأمثاله من التصريحات ، ما كان شيء منها ليعوق سير المجاملات الدبلوماسية ، ولا ليترك أيّ أثر في حسن التعامل القائم بين بلديهما ، بل ما كان له أن يخفف شيئاً من حرارة عناقهما يوم قام عبد الله بزيارة عبد العزيز في الرياض ٢١ شعبان ١٣٦٧ (٢٩ يونيو ١٩٤٨) واستقبله عبد العزيز في مطارها .

وكان من أخلاق عبد العزيز ، كما علمنا من سيرته فيما تقدم ، أنه : لا يحمل حقداً ، ولا يقتحم مجالاً للخلاف إلاّ بعد أن يستنفد كل وسائل المصافاة . وأعظم ما يدخل السرور عليه أن يكسب صديقاً جديداً ممن لا يعرف أو على الأخص ممن كان يعاديه .

بهذه الروح « الرياضية » الطيبة ، استقبل الملك عبد العزيز ، الملك عبد الله ، وأذاع بياناً في الصحافة قال فيه : « إنني شديد الاغتباط بزيارة أخي ، صاحب الجلالة ، الملك عبد الله ، وإني أحسب هذا اليوم الذي شرّف فيه

---

(١) انظر الصفحة ٢٤٨ من كتاب « تاريخ الأردن في القرن العشرين » .

مدينة الرياض ، يوماً سعيداً مخلداً ، وأعتبره عهداً مباركاً في تاريخ العرب الحديث »

وصرح عبد الله ، فيما أدلى به للصحافة في الرياض ، بقوله : « لقد سرني أن أرى الرياض ويحصل لي شرف التعرف بجلالة الملك عبد العزيز شخصياً ، وإن كنت أعرفه عن بعد .. »

وقبل أن يغادر عبد الله الرياض أصدر الملكان « بياناً » مشتركاً جاء فيه :

« كان الباعث الأول على اجتماعنا ، رغبتنا الصادقة في توثيق عرى الأخوة وتشييد بناء الصداقة والوداد بين شخصينا وشعبينا ، ما دام الشعب وما دام البيتان إن شاء الله تعالى ، وملاحظتنا الظروف الحاضرة وما تقتضيه من اتحاد واتفاق ، واضعين نصب أعيننا مبدأين أساسيين : أولهما تقوى الله ، وثانيهما التفاني في حفظ البيضة والذب عن الكيان . وقد وجدنا أن في اجتماعنا هذا ، كل الخير والبركة . وتحققنا من وجود اتفاق تام في وجهات نظرنا إلى الشؤون الخاصة والعامة ، واتحاد تامّ في الأهداف والمرامي الوطنية والقومية »

« ولذلك فإننا نعلن ، نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، وعبد الله بن الحسين بن علي ، بأننا متفقان في أفكارنا وأهدافنا في هذا الباب ، وبأننا متفقان بصورة خاصة في تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنفيه ، مما هو داخل في ميثاق جامعة الدول العربية وفي حدود مسؤولياتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين التي نحن باذلون كل ما في وسعنا من جهد للوصول إلى ما يضمن للعرب استقلالهم التام وسلطانهم المطلق فيها . ونعلن ثقتنا التامة بالجامعة العربية ولجنتها السياسية . واعتقادنا بأنها ستقوم بتمحيص الموقف الحاضر حق التمحيص وتنصح فيما تراه موافقاً لمصلحة العرب ضامناً لها ، وإن ثقتنا بالله العظيم كبيرة في أن النتائج ستكون موفقة إن شاء الله . لا سيما وأننا على مثل اليقين بأن الجامعة العربية لا تستهدف إلا إقرار السلام في الشرق الأوسط ، ذلك السلام الذي لا يمكن ان يتم إلا بحفظ حقوق العرب وصيانة استقلال

بلادهم وإنها إذا اضطرت إلى الدفاع فإنما تدافع عن مصلحة العرب الأساسية وعن الشرف والحوزة . والسلام »

وتحولت « المجاملات » بين الرجلين فيما بعد ، إلى شيء مما يصح أن أسميه « الثقة » فتناقل الخاصة من رجالهما أن عبد الله ، قبل مغادرته الرياض ، في زيارته هذه « أوصى » عبد العزيز بأبنائه خيراً ، وقال : هم وديعتي لديك يا طويل العمر !

ولم يهمل الملك عبد العزيز أمر الرعاية لأبناء الملك عبد الله بعد مقتله .

، ، ،

مناسبة طيبة

وفي خلال ما دار من الحديث بين الملك عبد العزيز والملك عبد الله بن الحسين ، ودّ كلاهما لو أن اجتماعهما ضم الوصي على عرش العراق ، الأمير عبد الإله بن علي .وكان هذا في ذلك الحين كل شيء في العراق . وأشار الملك عبد العزيز إلى أنه لن يترك المناسبة تفوت .. فلم تكد الطائرة السعودية تقوم بعبد الله ، حتى تبادل مع عبد الإله الرسالتين البرقيتين التاليتين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياض ٢٤ شعبان ١٣٦٧

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب السمو الأخ الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فإنني أغتنم فرصة انتهاء الزيارة الكريمة التي شرف بها حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك عبد الله بلده الرياض ، لكي أبعث لسموكم الملكي بهذه الرسالة ، معرباً فيها عما خامر النفس والشعور

من الفرح والابتهاج والغبطة باجتماعي بحضرة صاحب الجلالة الأخ الملك عبد الله وعن الأثر العظيم الذي أحدثته هذه الزيارة الكريمة في بلادنا خاصة وفي جميع البلاد العربية بصورة أعمّ . ولقد كان من حسن الطالع وبشير اليُمن أن حصل هذا الاجتماع في وقت يشعر العرب فيه إجمالاً ، بسبب ظروف بلادهم الدولية الدقيقة بالحاجة إلى الألفة والتفاهم وجمع الصفوف وتوحيد الكلمة . وقد وفق الله سبحانه وتعالى إلى ذلك ، فكان أن تبادلت أنا وجلالة الأخ الآراء في جميع قضايانا العربية الهامة . وإنني لآمل أن يكون من وراء ذلك الخير كل الخير لنا .

« وإني إذ أعرب لسموكم عن شعوري العميق بالامتنان لجلالة الأخ الملك عبد الله ، وتقديري لعاطفته الكريمة وإجلالي لعمله النبيل ، أكون قد أعربت عن حقيقة ملموسة وشرحت واقع ما أنا عليه . وأحب أن أؤكد لسمو الأخ أنه ليس أحب لديّ ولا أشهى على نفسي من أن تكون زيارته الكريمة هذه فاتحة لعهد جديد في تاريخ العرب الحديث ، وبارقة لزيادة التقارب والتآخي بينهم . والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه وأن يأخذ بنواصينا ويسدد خطواتنا . والله تعالى يحفظ سموكم الملكي والسلام .

عبد العزيز

من عبد الإله بن علي ، الوصيّ على عرش العراق ، و وليّ العهد ، إلى حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك المعظم عبد العزيز الفيصل آل سعود رعاه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فقد تلقيت بمزيد من الابتهاج ، رسالة جلالتكم التي كانت تعبر عن شعور جلالتكم النبيل ، فكان لها في نفسي أطيب الأثر وأعمقه . وما زاد في حسن وقع رسالتكم الرقيقة تلك العبارات التي وصفتم بها زيارة عمنا صاحب الجلالة الملك عبد الله لجلالتكم والأثر الذي تركته في جميع البلاد العربية .

لقد كان العرب وما زالوا ، في حاجة ماسة إلى اتفاق كلمة قادتهم واجتماع رأيهم على الأخذ برأي شعوبهم ، صعوداً في مدارج العزة والرقي . وقد ازدادت هذه الحاجة في الظروف الدقيقة التي تجابه الأمة العربية في الوقت الحاضر ، وهذا ما ألبس الاجتماع التاريخي بين جلالتكم وجلالة الملك عبد الله ، معنى رفيعاً له قيمته الخاصة في نفوس العرب . لأنها فتحت في تاريخهم الحديث صفحة مجيدة مباركة .

فأرجو في الختام أن يتقبل جلالتكم وافر شكري وصادق دعائي لله عز وعلا ، بأن يسدّد خطواتنا ويكلل مساعينا جميعاً لخير العرب ويحفظ جلالتكم ويرعاكم والسلام .

« عبد الإله »

، ، ،

والملك طلال

ولما اغتيل الملك عبد الله في ١٦ شوال ١٣٧٠ (٢٠ يوليو ١٩٥٠) وصار عرش الأردن إلى ابنه طلال ؛ عرض هذا على الملك عبد العزيز رغبته بزيارة المملكة ، فجاءته طائرة سعودية حملته إلى جدة ، حيث اعتمر بمكة ، وتابع رحلته بالطائرة إلى الرياض ، واستقبله الملك عبد العزيز . وظل في ضيافته إلى أن قصد المدينة المنورة ، وعاد منها إلى عاصمته عمان ، في صفر ١٣٧١ نوفمبر ١٩٥١ ، وكأنه أحد أبناء عبد العزيز .

وليت عبد العزيز أدرك حسين بن طلال ، ملك الأردنّ اليوم ، إذاً لقرّت عينه .

المَـلك عَبـد العَـزيـز

في بعض المصنّفات العربية

تقدمت فيما سبق ، نُبذ مما تحدّث به عن عبد العزيز ، كتّاب من العرب والفرنج . وهذه طائفة من نوعها ، مرتبة حسب سني طبعها ، روعي فيها اتقاء التكرار في ذكر الحوادث كوقائعه مع آل رشيد وغيرهم ، والاحتفاظ بالجديد من الخبر والرأي ، على قدر الإمكان .

في « مذكرات الريحاني » :

قال أمين الريحاني ، في مقابلاته الأولى لعبد العزيز ، سنة ١٣٤١هـ(١٩٢٢): كتبت في مذكراتي بضع صفحات ، أنقل منها ما يلي[١] :

ها قد قابلت أمراء العرب كلهم ، فما وجدت فيهم أكبر من هذا الرجل. ولست مجازفاً أو مبالغاً في ما أقول . فهو حقاً كبير . كبير في مصافحته ، وفي ابتسامته ، وفي كلامه ، وفي نظراته ، وفي ضربه الأرض بعصاه . يفُصح

(١) ملوك العرب ٢ : ٤١

في أول جلسة عن فكره ، ولا يخشى أحداً من الناس . بل يُفشي سره ، وما أشرف السرّ ، سر رجل يعرف نفسه ، ويثق بعد الله بنفسه : « حنّا العرب » ! إن الرجل فيه أكبر من السلطان . وقد ساد قومه ولا شك بالمكارم ، لا بالألقاب . غريب عجيب !

جئت ابن سعود والقلب فارغ من البغض ومن الحب ، كما قلت له . فلا رأي الإنكليز ، ولا رأي الحجاز . لا الثناء ، ولا المطاعن أثرت بي . وها قد ملأه حباً في أول جلسة جلسناها . على أن الحب لا يكون مقروناً دائماً بالإعجاب . سنرى .. قد عاهدته على أن أكلمه بصراحة وحرية . وسأكون في ما أكتب كذلك ، حراً صريحاً . ولكني أُحسن شيئاً من الفراسة . وصرت أركن إلى ما تشعر به النفس في المقابلة الأولى . فضلاً عما عندي الآن من الملوك ، للمقابلة والتفضيل . إني سعيد ، لأني زرت ابن سعود بعد أن زرتهم كلهم . هو حقاً مسك الختام .

، ، ،

وكتب أيضاً :

مهما قيل في ابن سعود ، فهو رجل قبل كل شيء . رجل كبير القلب والنفس والوجدان ، عربي تجسمت فيه فضائل العرب إلى حدّ يندر في غير الملوك الذين زينت آثارهم شعرنا وتاريخنا . وتجسم فيه كذلك من آفاتهم ما لا يحاول أن يخفيه .

رجل صافي الذهن والوجدان ، خلو من الادّعاء والتصلف ، خلو من التظاهر الكاذب . قصّ علينا قصة حرب من حروبه وبيت الرشيد ، وختم قصته العجيبة بهذه الكلمات : لا أخذناهم في تلك الوقعة ولا كسرونا . ترى الصحيح . نحتسي اللي لنا[1] واللي علينا ! ونفخ بعد ذلك في يده ، وقد رفعها

(١) نحكي الذي لنا والذي علينا . عرب العراق والشام يلفظون الكاف تش . وعرب نجد يخففونها تس . نحتسي — نحكي .

في شكل بوق إلى فمه ، كأنه يقول : ننثرها كالهواء لمن يريدها ، ولا نخاف غير الله .

، ، ،

وفي كتاب « في الحجاز »[١] :

لما استقر الأمر للملك عبد العزيز ، سار في بلاده سيرة الحزم ، وشرع يعمل لتوطيد أركان عرشه ، والسير بأمته ، في مضمار النهوض والرقي . ومن أظهر ما عمله تحضير قبائل نجد ، ونقلها من حياة الجهل والخصومات ، إلى حياة العلم والتدين ، مما جعلهم يقسمون طرفي حياتهم إلى حياة « الجاهلية » وحياة « الإيمان » .

وحسب القارىء أن يعلم أن البدوي النجدي ، كان يفتخر بالسطو على القوافل . ولما ذاق نور الهداية التي بثها فيه الملك عبد العزيز ، بلغ فيه الأمر أن أحدهم وجد في أثناء معركة حربية ، كيساً من نقود الأعداء ، فجاء يستشير « شيخه » في أمر هذا الكيس ، فقال له : هذا ليس من حقك كله ، والواجب عليك أن تعطيه إلى ولي الأمر ، ليُقسم على المحاربين ، وينالك قسم منه ، حسب الشريعة .. فانظر كيف انقلب ذلك العربي الذي كان يستحل قتل المارة ، والسطو على مالهم ، إلى رجل أمين ، لا يستحل مالاً وجده في معركة . وكيف ينزل على حكم الشرع ، فيسلمه إلى ولي الأمر ليناله قسم منه هو أقل من القليل ..

ومن جليل فضل الله على الملك عبد العزيز ، أن الله جعل النصر حليفه ، في كل عمل نهض به ، منذ ما تحرك لاسترجاع ملكه . فقد فتح الرياض في ١٥ يناير ١٩٠٢ وضم الخرج والمحمل والشعيب والوشم ، في سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٣ وانتصر على آل رشيد والترك في استخلاص القصيم سنة ١٩٠٣—١٩٠٦

(١) لمحيي الدين رضا . طبع بالقاهرة .

وقضى على الثورات الأهلية سنة ١٩٠٩ وفتح الأحساء سنة ١٩١٣ ووسّع مملكته إلى تُرَبَة والخُرمة سنة ١٩١٩ وضم عسيراً وفتح حائلاً والجوف في سنة ١٩٢١ ودخل الحجاز في ١٩٢٤–١٩٢٥ وأنشأ العلاقات السياسية مع الدول الأجنبية ، وبسط حمايته على تهامة سنة ١٩٢٦ وأعلن توحيد الممالك الخاضعة له ، باسم المملكة العربية السعودية في ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢

وحسبه فخراً أنه أمّن البلاد ، لدرجة صارت فيها الغادة الحسناء، تستطيع أن تسير من أقصى مملكته الواسعة إلى أقصاها ، وهي متحلية بحليها ، فلا تخشى سطو ساط أو نهب ناهب . والكل يعتقد كأنما عليه رقيب روحي لا يراه ، يبلغ الملك عنه ، فينزل به حكم الشريعة إذا هو ارتكب إثماً أو جريمة .

، ، ،

وفي « الدولة السعودية »[1] :

وَحّد الملك عبد العزيز عرب الجزيرة ، وجمع شتاتها وعشائرها ، توحيداً تاماً . لأنه طهّر جسمها من الأمراض ، وجعلها شعباً واحداً قابلاً للنهوض والتقدم ، والسير مع الأمم الحية . وجعل لها كياناً سياسياً . وشيد دولة عربية حديثة اعترفت بها دول الأرض .

وإني أعتقد اعتقاداً جازماً ، والتاريخ يشهد لي ، بأنه لم يأت إلى جزيرة العرب رجل ، بعد محمد صلوات الله عليه ، وخلفائه الراشدين ، مثل الملك عبد العزيز .

أقام عبد العزيز حكماً صالحاً في الجزيرة ، على أساس الشريعة الغراء ، ونشر فيها العدل والأمن ، بعد أن كانت مسرحاً للفوضى والسلب والنهب . ولم تعرف الجزيرة في جميع أدوار تاريخها عدلاً وأمناً مثل أيامه . وقد رأيت بعينيّ أثناء تفتيشاتي العسكرية ، قوافل تترك حمولتها في الصحاري ، من دون

---

(١) الدولة السعودية في الجزيرة العربية . بقلم القائد محمد طارق الإفريقي النجيري « رئيس أركان حرب الجيش العربي السعودي سابقاً » رسالة ، طبعت في دمشق سنة ١٩٤٤ م

أية حراسة ، وتعود إليها بعد أيام عديدة، فتجدها كما تركتها . ويجوب الحُجاج في طول البلاد وعرضها ، ليلاً ونهاراً ، مع أموالهم وأولادهم ؛ بكل طمأنينة، لا يمسهم سوء ، بعد أن كانوا يُقتلون ويُسلبون وهم تحت حراسة الجيوش والجنـود .

، ، ،

وفي كتاب « طرائف العرب » [١] :

من مميزات الرجل العظيم أنه لا يتكلف التواضع والنبل . ذلك لأنهما من سجاياه الفطرية . فالملك عبد العزيز آل سعود من أعظم ملوك العرب المعاصرين الذين يمتازون بالصلاح والتقوى، والتواضع والحلم ، والجودوالشهامة والوداعة والمرونة ، والوفاء والإباء ؛ وهذه مميزات السياسي الشريف الذي يغلب خصومه بقوة الإيمان وصدق العزيمة ومكارم الأخلاق .

ويجمع إلى جانب هذه الصفات النادرة ، الحزمَ والشدة عند الحاجة . فهو يعرف أين يضع السيف ، كما يعرف أين يضع الندى . وتلك صفات الموفق في عمله ، الخبير بشؤون مملكته ، الحكيم في تصرفاته . ويرجع إلى هذه السياسة الفضل في استتباب الأمن ، في جزيرة العرب التي مضت عليها حقبة من الزمن والأمن غير مستتب فيها . حتى أتاح الله لها هذا البطل الفاتح والمسلم الغيور ، فأبدلها من خوفها أمناً ، ومن جوعها شبعاً ، ومن عطشها رياً .

هذا ، ولا يخفى أن أهل جزيرة العرب الذين اشتهروا بالجرأة في كل شيء ، لا تصلح معهم إلا هذه السياسة التي تجمع بين اللين والشدة وبين الرغبة والرهبة .

وتذكرني هذه السياسة الحكيمة ، بسياسة « معاوية » داهية العرب ، التي يلخصها بقوله : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث

---

(١) لأحمد محمد رضوان . طبع في دار إحياء الكتب العربية ، بمصر سنة ١٩٤٥م

يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، إن شدّوا أرخيت وإن أرخوا شددت » .

وما من ريب في أن الملك ابن سعود ، استطاع أن يوطد الأمن والسلام ، ويقيم العدل والمساواة في بلاده ، بأمر واحد ؛ هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير التواء أو مواربة ، وبدون لين أو محاباة ، عملاً بقوله تعالى : « ولا يَجْرِمَنَّكم شَنَآن قوم على ألاّ تعدِلوا. اعدِلوا هو أقرب للتقوى — الآية » .

وفي « قوافل العروبة ومواكبها » [(١)]:

يُعتبر الملك عبد العزيز ، عاهل المملكة العربية السعودية ، فخر هذه السلالة . خصوصاً وأنه أعرب عن وعيه القومي ، منذ خروجه على آل عثمان. فقد حاول في أوائل الحرب العظمى الأولى ، أن يجمع أمراء عرب الجزيرة ، للتفاهم على قضيتهم المشتركة ، ولكنهم لم يستجيبوا له ، فمضى معتمداً على نفسه . وأدرك بذلك استقلالاً رافقه الحظ والثروة .

ويتحدث المتحدثون عن الأمن الذي انتشر في هذه المملكة الواسعة ، بفضل حزمه وهيبته . على أن الأمن ، وان كان يُعتبر الشرط الأساسي الأول للعُمران ، فإن عناية الملك عبد العزيز لم تقتصر عليه وحده ، بل تعدته إلى سائر الشؤون العامة ، على قدر ما كانت تسمح له خزينة المملكة وتقاليد البلاد .

وقد سجل عام ١٩٣٨ نشاطاً محسوساً في المملكة ، من حيث العمران والإصلاح ، فكان اهتمامه بإنشاء خطوط النقل وإصلاح طرقات الحجاز .

وقد أنشأ مرفأ عصرياً في جدة ، وانصرفت جهوده إلى تعمير مكة ، وتجديدها والعناية بالشؤون الصحية فيها . وأنشأ فيها ميتماً كبيراً . واهتمت حكومته بتجهيز المملكة بالأجهزة التلفونية ، وحفر الآبار الأرتوازية ، في الرياض

---

(١) تأليف محمد جميل بيهم . جزآن . طبع في بيروت سنة ١٩٤٨ ، اقتطفت منه هذه الفقرات عن الجزء الثاني ، الصفحة ١٢ ، و ٢٠٨–٢١٢

وغيرها ، كما عنيت بمكافحة العادات القديمة في حفلات الزواج والمآتم . أضف إلى هذا أنه وجه عناية خاصة ، منذ تبوأ عرش الحجاز ، إلى إعـداد الجيش ، وتجهيزه بالمعدات . وقد بلغت قوات هذا الجيش (سنة ١٩٣٨) عشرين ألف جندي وخمسين ألف احتياطي من الإخوان .

، ، ،

وفي كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » [١]



الشيخ حافظ وهبه

.. الملك عبد العزيز ، مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أية قيمة للدرهم إلاّ أنه وسيلة لبناء المجد أو حسن الذكرى . فقلما يردّ سائلاً يطلب معونته ، أو محتاجاً يقصد بابه . وهو يُشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم ، لأنه يعرفهم حق المعرفة ، وقلّما يعتمد على أحد آخر في ذلك. على أن هذه العطايا قد تكون لها مرام سياسية بعيدة يرمي إليها . وديوانه مفتوح للقادمين ، يقابل زائريه مهما يصغر مقامهم ، بوجه باش ويأخذ ألبابهم بابتسامته التي لا تكاد تفارقه . ومجلسه لا يخلو من « خطبة » صغيرة يراعي فيها نفسية السامعين .

وهو وفيّ لأصدقائه ، محافظ على ودهم ؛ لا يحب أن يبدأ أحداً بالعداء ويميل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم مهما يكلفه ذلك . ولكن إذا تيقن أن ليس هنالك من سبيل للصداقة فإنه يعادي ، ويعادي بشدة . وقلما يهاجم خصمه ، فإذا هاجمه خصمه يبذل كل ما يمكنه بذله ، للقضاء عليه . وهو

(١) للشيخ حافظ وهبه ، بتصرف .

في هذه الحال يأخذ بسياسة « الغاية تبرر الواسطة » .

طيب القلب ، لا يكاد يضمر حقداً . وإذا غضب — وغضبه قليل — فإنك ترى أسداً يزأر ، أو جملاً يهدر . وتكاد عينك تكذّب أن هذا الغضبان هو عبد العزيز الرضيّ الخلق ، الوسيم الوجه . وكثيراً ما يعتذر من تصرفات تصدر عنه في حال الغضب . كما أنه كثيراً ما يغمر خدامه الذين يصيبهم شرر غضبه ، فينسيهم ألم ما أصابهم .

متواضع ، طيب العشرة ، رقيق السّمر ، له جاذبية لمن يعرفه تشبه السحر . كثير الشبه بمعاوية بن أبي سفيان ، في حلمه وبعد نظره وحسن حيلته في تصريف الأمور . يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية أو ما يمس مركز حكومته — فإنه لا يتساهل فيه . وقد يعاد المعزول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العزل تصرفاً يرضي الملك . لقد عزل أمير الطائف سنة ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ) لشدته فلما حضر إلى مكة ، قال له الملك : إننا لم نعزلك من منصبك لنقص في دينك أو شبهة في أمانتك ، ولكننا نحّيناك لشدتك ، ونحن نريد اللين مع الناس . فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاّك الله على المسلمين وأنت أعلم بمصالحهم ، ولئن حُرمت المنصب فإني أتمتع برؤيتكم صباحاً ومساءً وهذا لا يعادله شيء في الدنيا . فسرّ الملك لهذا الجواب اللطيف ، ولم تمض بضعة أشهر حتى عينه أميراً للمدينة .

ولا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية ، المتصلون بها ، الخابرون لشؤونها . إن الذي يعرف بلاد العرب قبل ثلاثين سنة أو يقرأ كتب الجوّابين من الإنكليز ، يعرف ما لهذا الرجل من فضل في استتباب الأمن والضرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل . والذي يعرف ما كانت عليه بلاد العرب من تشاحن بين أمرائها وحروب مستمرة بين حكامها ، يقدر مجهود هذا الرجل في قطع دابر الخصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة .

والملك عبد العزيز في طريقه الإصلاحي يفضّل التؤدة والتأني ، واستعداد

الشعب لما يريد من الإصلاح . ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها تحضير البادية وإقطاع أهلها الأراضي للسكنى والزراعة ، وتعليمهم المبادىء الدينية ومكارم الأخلاق . وقد شغل هذا المشروع قسماً من التاريخ النجدي الحديث .

، ، ،

وفي كتاب « مملكة في الميزان » [١] :

عبد العزيز منشىء هذه المملكة .. أرسى أساسها مكيناً على الصخر . وأدى رسالته على صورة عجيبة وفّق فيها بين ما أراده هو ، وما أراده العصر . عبد العزيز صنع تاريخ الجزيرة ، وأسس المملكة السعودية . ودخل التاريخ الإنساني .

، ، ،

وفي كتاب «الزراعة الحديثة في المملكة السعودية » [٢] :

وَحّد الملك عبد العزيز ، عرب الجزيرة ، وجمع شتاتها وعشائرها ، توحيداً تاماً ، بعد تطهير جسمها من الأدران ، وجعلها شعباً واحداً قابلا للنهوض والتقدم ، والسير مع ركب الحضارة . وجعل لها كياناً سياسياً ، وشيد دولة عربية حديثة اعترفت بها جميع دول الأرض وأممها بمعاهدات .

أقام الملك حكماً صالحاً في الجزيرة ، على أسس الشريعة الغراء . ونشر فيها العدل والأمن ، بعد أن كانت مسرحاً للفوضى والسلب والنهب . ولم تعرف الجزيرة في جميع أدوار تاريخها عدلاً وأمناً مثل اليوم ، إذ أن كل ما فيها يعيش آمناً على نفسه ، مطمئناً على ماله .وقد رأينا بأنفسنا ، أثناء تنقلاتنا

---

(١) بقلم محمد السوادي . طبع في القاهرة ، سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م)

(٢) تأليف حسين محمد بدوي وكيل مفتش وزارة الزراعة المصرية والمنتدب خبيراً زراعياً بالمملكة العربية السعودية . الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠

داخل المملكة العربية السعودية ، قوافل تترك حمولتها في الصحاري ، من دون أية حراسة ، وتعود إليها بعد أيام عديدة ، فتجدها كما تركتها . وكنا نقطع ألفين من الكيلو مترات ، بين مكة المكرمة والأحساء ، والخليج ؛ لا نجد ما يخل بالأمن ، والكل يسير في طريقه آمناً مطمئناً على ماله ونفسه وولده .

، ، ،

وفي كتاب « العربية السعودية » (١) :

من الأمور التي دعت ابن سعود إلى اقتحامه الحجاز ، هو إعلان الحسين ابن علي شريف مكة ، ملكاً على العرب ، وإعلان ابنه فيصل ملكاً على العراق ، وابنه الآخر عبد الله أميراً على شرقي الأردن . ثم اجتماع الشونة (في شرقي الأردن) الذي نُصب فيه الحسين خليفة للمسلمين .

وأثار ابنَ سعود أيضاً منع النجديين من أداء فريضة الحج في الأعوام الأخيرة.

وعبد العزيز رجل حكيم ، يأتي الأمور من أبوابها ، ويتقدم إليها خطوة خطوة ، لتكون قدمه أرسخ وخطواته أثبت . وكان من أهون الأمور عليه أمر المناداة به ملكاً على نجد ، من أول يوم تغلب فيه على الرياض . ولكنه لم يفعل ، لأنه كان قاصراً همه على استخلاص نجد من خصومه آل رشيد . وقصارى ما فعله هو السماح لرؤساء نجد وشيوخها بالمناداة به أميراً ، ثم إماماً . وبعد هذا التاريخ بسنوات ، نودي به سلطاناً على نجد وملحقاتها . وكان ذلك بعد استخلاص نجد بكاملها ، والقضاء على آل رشيد ، وبعد أن غزا عسيراً

---

(١) تأليف عبد الكريم موسى أبا الخيل المصلوخي – نسبة إلى المصاليخ من عنزة – طبع في بغداد سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) بعد أن نشر كتاباً قبله سماه « المملكة العربية السعودية » طبع في بغداد سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م) ويكاد هذا يكون طبعة ثانية للأول ، مع زيادات ونواقص .

وألحقها بنجد . أما بعد فتح الحجاز سنة ١٩٢٦ فسمح بالمناداة به ملكاً .

إنها خطوات حكيمة ، صادرة عن تصميم وتخطيط ، موضوعين في كثير من التفكير والأناة والتدبير .

، ، ،

وفي « منابع الثروة الاقتصادية »[١] :

استعرض الكاتب بعض مظاهر النهضة الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية ، في عهد الملك عبد العزيز ، فأشار إلى المستشفيات ، وأنابيب المياه ، وميناءي جدة والدمام ، والسكة الحديدية ، والمدن المنشأة في المنطقة الشرقية ، وحركة التعليم ، والزراعة ، ومنطقة الخرج والمواصلات والنفط ، والمطارات ، والكهرباء ، وأمثال ذلك ثم قال :

وإذا ما دققنا النظر جدياً ، نجد أن جميع الإنجازات الشاملة ، إن هي إلاّ رغبات ابن سعود التي عمل بمفرده على إنجازها . محتملاً مرارة الصبر لمشاهدة نتائج أفكاره تؤتي ثمرها وأكلها اليانعين .

ولم يترك ابن سعود كبيرة ولا صغيرة ، دون أن يناقشها ويعطيها حقها اللائق بها من اهتمامه وعزمه وقوة إرادته واحتماله الحديدي .

ليس أتاتورك كابن سعود ، ولا هتلر ، ولا موسوليني ، ولا رضا شاه ؛ فقد جاء هؤلاء جميعاً على أكتاف الملايين من البشر ، إلى دست الحكم ، بحكم

---

(١) رسالة عنوانها الكامل «منابع الثروة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية وأثرها في تطوير الحياة الاجتماعية العامة » بقلم رسول عبد الوهاب العسكر. طبعت ببغداد ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) .

مسؤولياتهم الخطيرة التي كانوا يحملون أعباءها .

ولكن ابن سعود ، جاء إلى الحكم ، بعزمه وبإرادة الله ، يعاونه نفر مخلص ، فنصرهم الله .

، ، ،

وفي كتاب « عبد العزيز آل سعود » [١] :

الملك عبد العزيز : من غريب أمره أنه كان أكثر أملاً وأظهر سروراً ، عند اليأس والفشل ، منه عند الانتصار والنجاح .

كان كبير النفس كبير الوجدان، متواضعاً، نذر نفسه وأولاده لتوحيد العربية ، وإعادة مجد الإسلام . بسيطاً في مأكله ومشربه وملبسه ، بعيداً عن ألوان الرفاهية ، مكثراً من شرب القهوة والشاي (؟) قليل النوم ، كثير التيقظ ، عظيم الانتباه . يعمل بسرعة ، ويصدر قراراته فيما يستقر عليه رأيه ، بمثل ذلك ، فإذا أراد كتابة شيء أملى ما يريده على أحد أعوانه . وقد يملي على اثنين ، موضوعين مختلفين في وقت واحد .

كان كريماً إلى حد الإسراف . قَصّ أحد رجاله أنه لا يعرف شكل العملة ، ولا يفرّق بين قطعها وألوانها . وقد عتب عليه أحد رجاله يوماً ، وسأله أن يفكر بالاقتصاد قليلاً ، فقال له : وهل أغنت عن عبد الحميد ملايينه؟ إن أجدادي لم يحملوا في خزائنهم فلساً ، وأنا أسير سيرتهم .

أما غضبه فعظيم مخيف . ويعرف رجاله فيه ذلك فلا يجرؤ أحد على التحدث إليه حين يكون ثائراً غاضباً . ولكنه غضب سريع الزوال . وإذا كان مخطئاً

---

(١) بقلم عمر أبو النصر . طبع في بيروت سنة ١٩٥٣

اعترف بخطأه ؛ حلو الحديث جميل المخالطة ، راغباً في المعرفة . طالباً للعلم ، مجلاً لأهل الفضل والأدب . وهو أرغب ما يكون في الاجتماع مع الغرباء ، يسمع منهم أخبار بلدانهم ، وما يتصل بها من أخبار السياسة وأحداث الزمن .

، ، ،

وفي ملحمة عيد الرياض[1] :

تتجلى إنسانية ابن سعود ، في سخاء يؤيد ما تناقلته الرواة عن حاتم ومعن وآل برمك ؛ وذكاء فطري يلمح في دورة خاطر ، ما يستعصي على أعلام العلماء في أيام ؛ وعدل هو استواء الشمس في الظهيرة ، إذ تتخذ مكاناً نَصَفاً ، وحلم ينفد البحر قبل نفاده ؛ ووفاء للذين ألفوه في المنزل الخشن ، كأعلى ما يكون الوفاء ، واتضاع وخفض جناح ، للضعفى والمساكين ، ذوي المتربة. ورقة كرقة الشاعر الرهيف الحسّ ،وتقوى يصحح فيها قول القرآن المجيد: « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون » حَبّبت إليّ ابن سعود فوق ما حبّبه إليّ حسامه ، على أنه أشرف سيف عرفته جزيرة العرب منذ قرون .

، ، ،

ويأتي صاحب الملحمة ، بعد مقدمة من هذا الطراز ، على ملحمته ، في سيرة عبد العزيز وبعض أسلافه ، شعراً تاريخياً « قصصياً » رصينا .

---

(١) للشاعر بولس سلامة . طبع في بيروت سنة ١٩٥٥

وفي دليل سورية والبلاد العربية [١] :

لم يكن أحد يدري ، يوم ولد للإمام عبد الرحمن في الرياض طفل سماه عبد العزيز ، أن هذا الطفل ، سيكتب بعزيمته ومواهبه الفذة ، تاريخاً عربياً ضخماً ، في الجزيرة العربية ، ويسجل من آيات البطولة والإيمان بالله ، ما يجعله قِبْلة العالم ومحطّ إجلاله وتعظيمه .

إن تاريخ نشوء المملكة ، هو تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود . وعلينا أن نسجل ما حققه الملك عبد العزيز في وقت قصير ، كان يحسب الكثيرون أنه يحتاج إلى قرون وأزمان طويلة . ولكن ذكاءه وعزيمته الصادقة ، ومروءته ، وكرمه الغادق ، جعلت الأمور تجري في نصابها واستطاع أن يرضي خالقه وشعبه بما حققه من خير .

أمضى الملك عبد العزيز حياته ، جهاداً لنصرة الدين ؛ وإصراراً على توحيد كلمة العرب ، حتى لقي وجه ربه راضياً عن عمله ، والشعب راضٍ عنه.

، ، ،

وفي «نضال القومية العربية» [٢] :

اتسع نفوذ عبد العزيز آل سعود بعد دخول الحجاز ، واتجهت إليه الأنظار ، وعرف كيف يستغل إعجاب العالم . وعُني بابراز شخصيته ، كرجل من أعلام التاريخ . وقد زاد في قوته ما اكتُشف من ينابيع النفط الغزيرة في دائرة ملكه ، فعقد مع الشركات الأميركية اتفاقات لاستثمارها ، وتدفقت الأموال وهرع الطامعون إلى الثروة ، واغتنى أكثرهم من مشاريع الإعمار التي انتشرت في أنحاء المملكة الجديدة ، وفي الرياض وجدة بصورة خاصة . وأبرز ما في حكم السعوديين استتباب الأمن . وكان ذلك ما تفتقده الجزيرة العربية ،ومنطقة

---

(١) أصدرته المؤسسات الصحفية في دمشق ، سنة ١٩٥٧ وهذه الفقرات مقتبسة بشيء من التصرف ، من فصل عن المملكة العربية السعودية ص ٢٠٨–٢١٠

(٢) كتبه عبد السلام الأدهمي . وطبع في دمشق سنة ١٩٥٩

الحجاز على الخصوص .

وبين البريطانيين والسعوديين مشكلة أثارها البريطانيون هي مشكلة « واحة البريمي » فهذه المنطقة التي كانت مهجورة من قبل ، بدا للباحثين والمنقبين أن في جوف صحرائها مقادير كبيرة من النفط . وسال لعاب البريطانيين ، بعد أن اقتنصت الشركات الأميركية منابع النفط الغزيرة في المملكة السعودية ، وأبعدتهم عنها. فأرسلوا جنودهم ، فاحتلوها. وما تزال المشكلة قائمة بين الطرفين.

، ، ،

وفي كتاب « الخليج العربي »[1] :

كان للملك عبد العزيز دور بارز على مسرح السياسة العربية ، وتوجيه فعال في القضايا الوطنية التي مدّ لها العون والمؤازرة في كل بلد عربي . وعرفت الأوساط الدولية مدى أثره وخطره ، فتسابقت الدول الغربية إلى كسب صداقته أما علاقته ببريطانية ، فكانت قائمة على سياسة الوفاق معهم ، والاستقلال عنهم . ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ، كان ابن سعود في ذروة مجده السياسي .

يقول موريس جورنو ، في كتابه « تحقيق حول ابن سعود » : إذا كان ابن سعود قد نجح في لمّ شعب الجزيرة العربية تحت لوائه ، وإذا كان قد جعل من بلد مضطرب آهل بالعصابات ، البلد الأكثر أمناً في العالم ، فمردّ ذلك ليس القوة والسيف فحسب ، بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عوامل التراصّ والتماسك ، أي التقيّد الشديد بأحكام القرآن .. فالجرائم التي ترتكب حالياً في العربية السعودية ، خلال عام كامل أقل مما يُرتكب في باريس خلال يوم واحد »

---

(١) تأليف قدري القلعجي . طبع في بيروت سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م)

وفي كتاب «التحدي الكبير » [١] :

لا يستطيع المؤرخ إلاّ أن يقف طويلاً عند شخص الملك عبد العزيز . فقد بدأ حملته عام ١٩٠١ بأربعين رجلاً ، وإذا هو بعد قليل ملك الجزيرة العربية ، والرجل الأقوى والأعظم فيها .

فما الذي حقق لعبد العزيز معجزته تلك ؟

من مطالعة تاريخ عبد العزيز بالتفصيل ، وقراءة ما كتبه عنه الذين عرفوه – ومن المؤسف أن ليس بينهم مؤرخ عالم بالمعنى الحديث – يتضح أن عبد العزيز كان رجلاً مؤمناً ، وكان طموحه مقيداً بعقله ، محدوداً بإمكاناته .

لم يكن عبد العزيز رجل مغامرات ، بالرغم من أن تاريخه – وبخاصة الاستيلاء على الرياض – يشبه أن يكون مغامرة تاريخية كبرى . كان رجلاً ذكياً ، متزناً ، يعرف الممكن ، ويقيد طموحه به .

ولا شك ، في أنه ، منذ البداية ، كان يتوق إلى أن يرى دولة عريضة متسعة ، يسودها الأمن والنظام وشريعة الدين . ولكنه ظل ملتزماً بحدود الواقع ، فلم يسمح لطموحه أن يتقدم أوسع مما سمحت له ظروفه .. وذلك سرّ نجاح عبد العزيز المستمر وانتصاره الذي لم يتوقف .

وكان على شدته مرناً .. وعلى عُنفه وقوته طيباً ، نبيل النفس ، شهماً . عفّ في انتصاره عن ألدّ خصومه ، وأعطاهم فوق ما طمعوا به ، لم يستبدّ به حقد ، ولا أعماه مطمع ، ولا أذن لهواه أن يقوده .

وهو لم يحقق هدفه الكبير بضربة واحدة . بل سلك إليه طريق الزمن ، والصبر والأناة . وحقق وحدة معظم الجزيرة السياسية ، على مراحل تقاربت أو تباعدت ، بحسب ما رأى وقدر من ظروفها . ولو أسعفته أحوالها لحقق وحدتها الكاملة ، ما بين صحرائها وساحلها ؛ ولأنجز أضخم ما أنجزه حاكم عربي في تاريخ العرب .

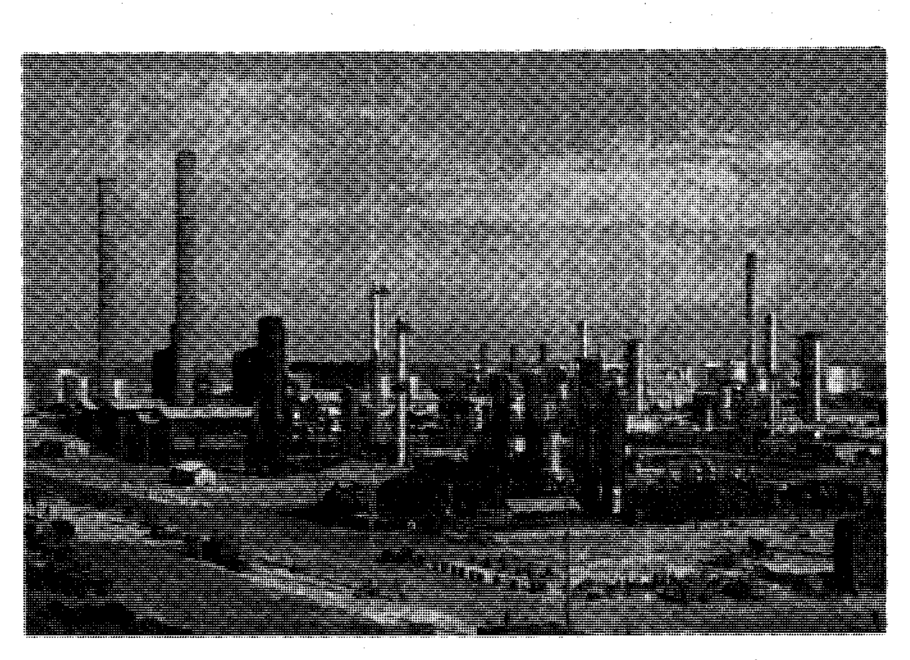
---

(١) لنهاد الغادري . طبع في بيروت سنة ١٩٦٥

وكان عبد العزيز يقيس قدرته ، بدقة . لم يكن يمتلك ثقافة عصرية ، ولكنه كان يمتلك ما لا تغني الثقافة عنه : الحسّ السليم والتقدير الصحيح . وكان إلى هذا ، مخلصاً فيما يرى ، صادقاً مع نفسه ومع الآخرين .

يكفي أن نعرف بأن عبد العزيز بدأ من الصفر في الكويت . وخلف وراءه مملكة متسعة تبلغ في مساحتها مساحة مصر والعراق وسورية مجتمعة . وأن هذا الرجل النادر ، قد كان أول من أدخل النظم الصحية الحديثة في السعودية ، وأنشأ المستشفيات المتنقلة . وفي عهده اكتشف النفط ، ولأول مرة في تاريخ الجزيرة العربية مُدت خطوط الهاتف واللاسلكي . ودخلت السيارة لتحل محل الجمل في الصحراء .

توفي عبد العزيز رحمه الله ، مخلفاً دولة ليس ينقصها ، بعد أن استتب أمرها وأمنها ، سوى أن تنفتح أكثر على الحضارة وروح العصر .



في أيام عبد العزيز : معمل التكرير في رأس تنورة سنة ١٩٥٢ م

الملك عبد العزيز

ومحاولة البريطانيين اقتطاع « البريمي » من بلاده [1]

البُرَيْمي ، واحة في الجنوب الشرقي للمملكة العربية السعودية ، تابعة للأحساء ، تتألف من تسع قرى . مساحتها حوالي ألفي كيلو متر مربع . وهي ملتقى لكثير من الطرق في شرقي شبه الجزيرة . وتعتبر نقطة اتصال بين صحاري الجنوب وصحاري الشمال . كانت في تاريخها القديم تتأرجح بين حكومتي نجد وعُمان . واستقرت في أيام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، تابعة لحكومته ؛ يمثله فيها أمير من قبله يُدعى إبراهيم بن سليمان بن عفيصان . نزل بها ، متولياً إمارتها ، باسم آل سعود ، سنة ١٢١٠هـ (١٧٩٥م) واستمرت تؤدي « الزكاة » للحكومة السعودية كسائر البلدان التابعة لهذه الحكومة ، على مدى ١٥٥ عاماً ، لم تنقطع فيها عن الاستجابة للجباة مرة قط ، ولم ينقطع الجباة ، إلاّ في فترة الانحلال بين عهدي الدولة السعودية الأول والثاني .

وامتدت أنوف المنقبين عن النفط ، تشمّ رائحته في بعض أراضي البريمي . ولم ير الملك عبد العزيز بأساً في أن يقوم بعض مهندسي شركة الزيت العربية الأميركية بالتنقيب ، فبدأوا .

---

(١) اعتمدت في تسلسل الحوادث والأرقام على مجموعة « عرض المملكة العربية السعودية » المطبوع سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) في ثلاثة مجلدات ، ومثلها بالإنكليزية .

وعلى مقربة من البريمي ، يقع « أبو ظبي » وهو تحت الحماية البريطانية ، وسلسلة جبال تسمى « جبال الحجر » بين البريمي وسلطنة « مسقط » وهذه تحت الحماية البريطانية أيضاً . وباسم محمية « أبي ظبي » ثم باسم سلطنة مسقط . تقدمت الحكومة البريطانية فمنعت المنقبين من رجال الشركة عن عملهم في الأراضي التابعة للبريمي ، بدعوى أنها « من الأراضي غير المتفق على تابعيتها » وقالت : إن استمرار العمل « قد يدعو إلى حدوث أية حادثة ممكنة بين السعوديين ورعايا أبي ظبي .. كذا » .

كان هذا في عام ١٣٦٨ه (١٩٤٩م) ووافق الملك عبد العزيز ، حسماً للنزاع مع الإنكليز ، على انسحاب المنقبين عن النفط في تلك الأراضي ، وتأجيل العمل إلى أن يتم الاتفاق على ما سُمي « تسوية الحدود » . وحمل منقبو الشركة العربية الأميركية معاولهم ، وعادوا ينتظرون التسوية ..

وانفسح المجال لتبادل المذكرات بين السلطات السعودية وممثلي السلطات البريطانية في أمر الحدود . فأدلى كل من الفريقين بما لديه من حجج أو ادعاآت وكاد الأمر ينتهي إلى إنشاء لجنة فنية مشتركة تحسم الخلاف .

وبينما الملك عبد العزيز ، يترقب صدى تسامحه في الموافقة على سحب شركة الزيت العربية الأميركية ، موظفيها وعمالها ، وتسامحه في قبول النقاش والجدل في أرض هي ومن عليها من بلاد مملكته ، إذا به يعلم في أواخر سنة ١٣٦٩ه (١٩٥٠م) أن البريطانيين نسفوا أنصاباً أقامتها حكومته في بعض الجزر المواجهة للشاطىء ، متجاهلين صفتها السعودية . وزادوا ما هو أهم من الأنصاب فأرسلوا عمالاً تابعين لشركة النفط « البريطانية » يقومون بالحفر والتنقيب في نفس الأراضي التي قالوا بالأمس إنها « غير متفق على تابعيتها » والمفاوضات جارية بشأنها ..

واحتجت حكومة الملك عبد العزيز في ٤ شعبان ١٣٦٩ (٢١ مايو ١٩٥٠) وأجاب السفير البريطاني في جدة بتاريخ ٢٠ ذي الحجة (٣ اكتوبر) بأن المملكة المتحدة تعتبر ادعاء الحكومة العربية السعودية بتلك المنطقة ليس له ما

يبرره – كذا . وأنها لا يمكنها أن توافق على وقف عمليات النفط هناك .

وتجدد الكلام على اللجنة المشتركة . ولم تنعقد . ووردت على الأمير فيصل (بوصفه وزيراً للخارجية) دعوة رسمية من الحكومة البريطانية في ربيع سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) لزيارة لندن في خلال الصيف ، للبحث مع وزارة الخارجية البريطانية في الخلافات القائمة بين الحكومتين . ووافق عبد العزيز على سفر فيصل.

وانعقد في لندن (٨–٢٤ أغسطس ١٩٥١م) ١٣٧٠هـ، مؤتمر للوفدين السعودي برئاسة الأمير فيصل، والبريطاني برئاسة المستر هربرت موريسون وزير الخارجية.

وانتهى المؤتمر بالموافقة على اقتراح قدمه الأمير فيصل ، وأدخل عليه البريطانيون إضافات وتعديلات ، فجاء ما خلاصته :

(١) عقد مؤتمر يحضره حاكم قطر وحاكم أبي ظبي وحكام المقاطعات الأخرى الذين يعنيهم الأمر ، تحت رئاسة مندوب بريطاني، ومندوبون من قبل الملك عبد العزيز ، للاتفاق على تحديد الحدود ، طبقاً لما كان للملك عبد العزيز ولآبائه وأجداده ، ولما كان لأولئك الأمراء وآبائهم وأجدادهم .

(٢) إلى نهاية المؤتمر القادم فإن حركات وتنقلات شركات الزيت من الطرفين ، وأيضاً حركات وتنقلات قوات عُمان ، ستحدد خارج المنطقة التي سيدور البحث حولها في المؤتمر . وهذا قد قبله الفريقان بغير مساس في حقوقهما بالمناطق التي ستكون موضع البحث .

واتفق على عقد المؤتمر في مدينة «الدمّام» .

وانعقد مؤتمر الدمام (في ٢٨ يناير ١٩٥٢) غرة جمادى الأولى ١٣٧١ فاستمر ثمانية أيام . وتأجل بسبب وفاة الملك جورج السادس ، بناءً على طلب الوفد البريطاني. ثم عاد إلى الانعقاد في ١٤ فبراير ١٩٥٢ واتفق في نفس اليوم، على تأجيله لمدة شهر . كما ووفق على الاحتفاظ بالقيود المفروضة على أعمال شركات الزيت وقوات ساحل عُمان ، وفاقاً لما تقرر في لندن . على أساس أن المؤتمر قد تأجل فقط ، ولم ينفضّ .

وكان هذا آخر اجتماع للمؤتمر ، فلم ينعقد بعده . وظلت الحكومة العربية

السعودية تعتبر قيود مؤتمر لندن سارية المفعول. ومضى الربيع والصيف من هذه السنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢) والبريطانيون وعملاؤهم يتوغلون في التدخل بشؤون المنطقة المتنازع عليها . وقد سئلت الحكومة البريطانية رسمياً عن دخول ضابط سياسي للبريمي ، فأجابت بأن زيارته كانت لتأدية مهامّ إدارية مما تسمح اتفاقية لندن باستمراره في المناطق المتنازع عليها . وا ضطر الملك عبد العزيز ، صوناً لبلاده ورعاياه ، ومقابلةً لما يقوم به الآخرون ، إلى الإبراق لأمير الأحساء باختيار هيأة « مدنية » تتولى النظر في شؤون البريمي . ورشح أمير الأحساء أحد موظفي الإدارة المدنية لديه « تركي بن عطيشان » لإمارة تلك المنطقة . ووافق الملك عبد العزيز على انتدابه ، فانتقل إليها على رأس عدد من الكتاب والفنيين والشرطة والخدم ، لا يبلغ مجموعهم أربعين شخصاً ، وليس فيهم أحد من العسكريين . واستقر في البريمي ، جاعلاً مكتب عمله في « حماسا » من قراها . وكان وصوله في اليوم الأول من عيد الأضحى ١٣٧١ (أول سبتمبر ١٩٥٢)

، ، ،

وما كاد يعرف خبر ابن عطيشان ، حتى قدم من الشارقة (إحدى محميات الخليج) إلى أراضي البريمي ، ضابط سياسي بريطاني آخر ، على رأس قوة مسلحة . ونزل على نحو أربعة كيلو مترات في ظاهر البلدة . وبدأت على الأثر طائرات حربية بريطانية تحلق يومياً على ارتفاع منخفض فوق قرية « حماسا » وما يجاورها .

وأدرك ابن عطيشان أن الغرض من حركة الطائرات هو الاستثارة والاستفزاز فواصل تحذيره لمن معه ، من التعرض لها . وطلب من سكان المنطقة أن ينظروا إلى الطائرات بأعين هادئة ، وحذار من إطلاق النار .. ولم يقع أيّ حادث من هذا النوع يتخذه الجانب البريطاني سبباً للعدوان .

وفي الوقت نفسه (في سبتمبر ١٩٥٢) احتجّ البريطانيون ، بمذكرة رسمية ،

على نزول ابن عطيشان بالبريمي . وطلبوا إبعاده . وإلا « فإن حكومة جلالتها – ملكة الإنكليز – ستكون مضطرة لاتخاذ الإجراء الذي قد تراه ضرورياً لحماية موقفها .. » وطلب القائم بأعمال السفارة البريطانية ، مقابلة الملك عبد العزيز . فكانت المقابلة (في ١٥ سبتمبر) وثار ألم عبد العزيز ، فقال للبريطاني : « إن تشرشل يدعوني راعي الليالي السود ! ويجيء الآن ليطالب بأراضيّ ! ارجع إلى تاريخي معكم منذ الأيام الأولى ، وانظر كيف تعاملت مع الحكومة البريطانية ومع جميع العرب والمسلمين . حتى إنني تكلمت علناً في مكة ، أمام جموع المسلمين ، في أيام الحرب ، مناشداً الناس الوقوف إلى جانب بريطانيا . وتكون النتيجة أن تأتي بريطانيا لتطلب مني أرضي وأرض أجدادي؟ أين هي الصداقة .. إنني لست مستعداً للتخلي عن شبر من أراضيّ . هل تفضلون الصدق والعدل ، تعالوا نبحث القضية كأصدقاء فنحل المشكلة في ساعة واحدة على أساس ما كان ملكاً لآبائي وأجدادي وما هو الآن ملك لي » .

وازداد الموقف خطورة في البريمي ، بوصول قوات عسكرية جديدة ، عُززت بها الفصيلة البريطانية الأولى ، وأخذت بتطويق « ابن عطيشان » ومن معه فأمر الملك عبد العزيز سفارته في لندن بتاريخ **٢٩** ذي الحجة **١٣٧١** (**١٩** سبتمبر **١٩٥٢**) أن تنقل رسالة شخصية منه إلى وزير الخارجية البريطانية ، يقول فيها : لا يوجد شيء آلم لنفسي من أن تتأزم الحالة بيننا وبين الحكومة البريطانية ، لدرجة تهديدنا بالطائرات ، من حكومة يرأسها صديقنا المستر تشرشل ، ونائب الرئيس ووزير الخارجية صديقنا المستر إيدن . ونحن في بلادنا ، لم نعتدِ على أحد من البريطانيين أو على بلاد بريطانية ، فالبلاد بلادنا . وإن قدوم هذه الطائرات إلى البريمي يُعتبر عملاً عدائياً ضدنا . ويهمنا أن تحل كل المشاكل التي بيننا وبين بريطانيا . وليس من مصلحة الطرفين أن يذاع وينشر عند العرب وعند المسلمين أن هناك خلافاً وصل إلى درجة المقاومة بالسلاح بيننا وبين الحكومة البريطانية . وقد منعنا عمل أي شيء ضد الطائرات القادمة . فإذا كان المستر إيدن يرى الإبقاء على الصداقة بيننا وبينهم ،

فلتكفّ الحكومة البريطانية عن السماح لموظفيها في الخليج بالقيام بهذا العمل العدواني ، وإلا فسنضطر إلى إعلان ما حدث ، وإلى رفع شكوانا إلى مجلس الأمن ، والدفاع عن حقوقنا بكل ما نستطيع . ولا نقدم على هذا إلا مكرهين. ولا يزال لنا الأمل في المستر إيدن ليتدارك الموقف .

وكان جواب المستر إيدن في ١٩ محرم ١٣٧٢ (٩ أكتوبر ١٩٥٢) يؤكد استمرار صداقة الحكومة البريطانية للملك عبد العزيز وللحكومة العربيةالسعودية. ويقول : إن طائرات السلاح الجوي ، قد أوقفت عن الطيران ، وإنه صادق الرغبة في حل الخلاف بصورة عادلة وودية . ومستعد لسحب القوات من البريمي في الوقت الذي ينسحب فيه تركي بن عطيشان ..

، ، ،

وأبى الملك عبد العزيز سحب ابن عطيشان . ذلك « لأن البريمي أرض سعودية ، ولا يمكن أن يُترك سكانها للتشفي والتعذيب اللذين لا بد من أن يقعا بعد رحيل ابن عطيشان عنها » .

، ، ،

وعاد تبادل المذكرات . واقترح السفير الأميركي في جدة في ١٨ محرم ١٣٧٢ (١٠ اكتوبر ١٩٥٢) اتفاق الحكومتين على :

(١) أن يمتنع كل من الجانبين عن أعمال الإثارة .

(٢) يظل الجانبان في البريمي ، في الوقت الراهن ، مع الاحتفاظ بوضعهما القائم .

(٣) استئناف المفاوضات المباشرة .

وقبل الفريقان هذا الاقتراح ، كأساس لاتفاقية سُميت بعد ذلك اتفاقية « التوقف » أمضاها الأمير فيصل والسفير البريطاني في جدة . في ٦ صفر ١٣٧٢ (٢٦ اكتوبر ١٩٥٢) واقترح الملك عبد العزيز إجراء استفتاء في المنطقة ، فلم يوافق البريطانيون .

وكل ذلك لم يمنع القوات التي حشدها الضابط البريطاني في البريمي ، من التضييق على قرية حماسا (مقرّ ابن عطيشان) ومحاصرتها منعاً للاتصال بها أو بتموينها ، من جميع جهاتها .

وعادت شركات النفط البريطانية ، بحجة أن الحكومة البريطانية قد تخلت في ابريل ١٩٥٣ عن قيود امتناع الفريقين عن العمل التي وضعت في مؤتمر لندن . وظلت حكومة الملك عبد العزيز مستمرة في منع الإذن لمؤسسات الزيت فيها بالعمل ، خشية أن يزداد الموقف تأزماً وحدة .

، ، ،

وتوفي الملك عبد العزيز في ٢ ربيع الأول ١٣٧٣ (٩ نوفمبر ١٩٥٣) والوضع قائم على هذه الحال : ابن عطيشان محصور ، والشركات البريطانية تعمل منفردة في التنقيب عن النفط ، وجيش المرتزقة من المسقطيين والعمانيين وغيرهم يصول ، تحت القيادة البريطانية ، ويجول . والصداقة تتبخر على مجامر المصالح والأغراض ..

، ، ،

وتطورت قضية البريمي ، بعد وفاة الملك عبد العزيز ، فكان التحكيم . وانسلّ منه ممثل الجانب البريطاني ، فلم يتمّ . واكفهرّ الجوّ . وانتهى الأمر بقطع العلاقات بين المملكتين ، إثر الاعتداء الثلاثي على مصر ، سنة ١٩٥٦ م . ثم تجددت العلاقات السعودية ـ البريطانية. ولا تزال مشكلة البريمي تنتظر الحـــل . . .

، ، ،

وفي كتاب « إسعاف الأعيان »[١] : البريمي ، نسبة إلى بُرَيم ، أحد تجارها وكان اسمها في الأصل « توأم » .

---

(١) الصفحة ٨٦



فيصـــل

إخوته ، وبنوه ، ومن يليهم

(تقدمت صور فريق منهم ، فلم أكررها هنا . ووضعت الصور التي استطعت العثور بها.ولم أتمكن من الظفر بصورهم جميعاً . وأهل نجد يسمون الصورة « عكساً » والجمع عكوس)

كان لعبد العزيز ، في أواخر أعوامه ، جمهور ضخم ، من نسله ونسل إخوته ، يمكن أن تتألف منه قبيلة كاملة ، كما كانت تنمو القبائل في قديم العصور.

رأى حفدته وأبناء حفدته . ورأى من بعض بناته حفداء الأسباط ، أي الجيل الرابع .

وكان الأحياء من أبنائه لصلبه ، يوم توفي ، أربعة وثلاثين ولداً . وأحصي أولاده وحفداؤه الذكور والإناث — عدا أبناء بناته — فبلغوا مئة وستين . وأضيف إليهم أبناء بناته فتجاوزوا الثلاثمئة .

وسأخص هذا الفصل ، بذكر إخوته ثم أبنائه ، فمن يليهم . مقتصراً في الأغلب على من عرفت منهم ، من الذكور وأبناء الذكور . ولم أتعرض للبنات ، لتعذّر استقصاء أخبارهنّ . وفيهنّ من يبارين الرجال ، أو يفقن بعضهم حصافة وعمق أثر في الأسرة .

إخوة الملك عبد العزيز

١) فيصل بن عبد الرحمن : أكبر إخوة عبد العزيز . توفي أيام قيام أبيه الإمام عبد الرحمن على سالم السبهان ، وحبسه له في الرياض ، في ذي الحجة ١٣١٧ (١٨٩٠م)

٢) محمد بن عبد الرحمن : من أبطال آل سعود . ولد في الرياض ، بعد ولادة أخيه عبد العزيز بنحو ستة أشهر . وترعرع معه ، ورافقه في تنقلاته أيام النكبة . وخاض معه غمار المعارك ، إلى أن استقرت الأمور . فاختار العزلة . قالت جريدة أم القرى : كان له ولع خاص بالزراعة ، وأنشأ عدة حدائق في ضواحي الرياض . وقالت جريدة التيمس : ظل طول حياته الساعد الأيمن للملك عبد العزيز ، وكثيراً ما كان يتولى القيادة نيابة عن أخيه في المعارك. ولما دخل الملك الحجاز ، عينه محافظاً لمكة إلى أن تم الاستيلاء على جدة . وكان يميل إلى حياة البداوة ، وظل يعيش في الخيام معظم أيام السنة . وكان يهوى الصيد والرماية . توفي بالرياض في ٢٣ رجب ١٣٦٢ (٢٦ يوليو ١٩٤٣)

، ، ،

٣) سعود بن عبد الرحمن : شارك أخاه في كثير من الوقائع . وتوفي سنة ١٣٨٥ (١٩٦٥م)

، ، ،

٤) عبد الله بن عبد الرحمن : عالم آل سعود اليوم ، وأديبهم . كان كبير مستشاري أخيه عبد العزيز[١] تكرر ورود ذكره في هذا الكتاب .

، ، ،

٥) سعد بن عبد الرحمن : ورد ذكره في الحديث عن الحسين بن علي . وقتل في معركة « كنزان » مع العجمان سنة ١٣٣٣هـ(١٩١٥م) . أمه سارة

---

(١) وهو الآن ، فوق منزلة المستشار الأول لجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز .

السديرية .

٦) سعد (الثاني) بن عبد الرحمن : سمي على اسم أخيه سعد (الأول) وتوفي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م)

، ، ،

٧) أحمد بن عبد الرحمن : كان يقيم في الرياض . ومقره الآن في جدة .

، ، ،

٨) مساعَد بن عبد الرحمن : أديب عالم بالشؤون المالية . ولد سنة ١٣٣٢ (١٩١٤م) وتولى « ديوان المظالم » في أواخر عهد أخيه عبد العزيز . وهو أول من أنشأ مكتبة عامة في مدينة الرياض سنة ١٣٦٣ (١٩٤٣م) ومن أوائل الداعين إلى الإصلاح الاجتماعي كتعليم البنات وتنظيم التعليم وتعميمه وإنشاء أندية ثقافية ورياضية[١] .

، ، ،

٩) عبد المحسن بن عبد الرحمن .

أبناء الملك عبد العزيز

على ترتيب أعمارهم : الأكبر فمن يليه

١) تركي بن عبد العزيز : بكر أولاد عبد العزيز . وبه كان يكنى أبوه « أبو تركي » . أمه وضحاء بنت محمد بن برغش بن عقاب بن عريعر ، من بني خالد. وهو شقيق المرحوم الملك سعود ، ومنيرة . توفي مع ولدين آخرين من إخوانه بالوافدة الاسبانيولية ، شتاء سنة ١٣٣٧ (١٩١٩م) ويسميها أهل نجد « سنة الرحمة » .

، ، ،

٢) سعود بن عبد العزيز : شقيق تركي ومنيرة . ولد في الكويت سنة ١٣١٩ (١٩٠٢م) وتولى إدارة نجد سنة ١٣٤٣ (١٩٢٤م) مدة غياب أبيه في

(١) وبعد وفاة أخيه ، تولى وزارة « الداخلية » ثم « وزارة المالية والاقتصاد الوطني » ولا يزال على هذا إلى الآن .

الحجاز . وزار مصر مستشفياً من ألم في عينيه ، سنة ١٣٤٥ (١٩٢٦م) وشهد كثيراً من المعارك مع أبيه . وكان في جبال اليمن أيام الحرب السعودية– اليمنية ١٣٥٣هـ(١٩٣٤م) وظفر في وقعة « حرض » وتوغل حتى اقترب من غمدان . وكان أخوه فيصل قد استصفى الشاطىء اليماني ، كما سيأتي . وبويع سعود



بولاية العهد سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣م) وقام برحلتين إلى أوربا سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) و ١٣٥٧ (١٩٣٨م) وزار بغداد سنة ١٣٥٦ (١٩٣٧م) وزار الهند سنة ١٣٥٩ (١٩٤٩م) وأميركا ١٣٦٦ (١٩٤٧م) وتولى الملك بعد وفاة أبيه في ٥ ربيع الأول ١٣٧٣ (١٩٥٣/١١/١٢م) وخلع في جمادى الثانية ١٣٨٤ (١٩٦٤/١١/١م)فرحل إلى أثينا حيث أقام. وزار بعض البلدان العربية. وتوفي في أثينا سنة ١٣٨٨ (١٩٦٩م) وحمل جثمانه بالطائرة إلى مكة حيث صلى عليه أخوه الملك فيصل مع جمع من الأمراء والمسلمين صلاة الجنازة ، ثم نقل إلى مدفنه في الرياض .

٣) فيصل بن عبد العزيز

عاهل المملكة العربية السعودية . ودماغ جزيرة العرب المفكر . ولد في الرياض ، ١٤ صفر ١٣٢٤ (٩ ابريل ١٩٠٦) ، ووالدته طرفة بنت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ، من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب . عرف من أول نشأته بالروية وبعد النظر ، فوجّهه والده توجيهاً سياسياً . فأوفده في أواخر ١٣٣٧ (١٩١٩م) إلى انكلترة وفرنسا وبلجيكا وغيرها . حيث أمضى قرابة ستة أشهر . وقاد سنة ١٣٤٠ (١٩٢٢م) جيشاً لإخضاع بلاد عسير . وأقامه والده في جمادى الثانية ١٣٤٤ (١٩٢٦م) رئيساً للحكومة بمكة ، ثم نائباً عاماً عنه ، في الحجاز . وأوفده سنة ١٣٤٥ (١٩٢٦م) على رأس بعثة سياسية إلى بريطانيا وفرنسا وهولندة ، لتثبيت العلاقات السياسية معها . وأضيفت إليه رئاسة مجلس الشورى ١٣٤٥ (١٩٢٧م) ثم وزارة الخارجية ١٣٤٩ (١٩٣٠م) وقام برحلة ثالثة على رأس بعثة إلى أوربا ١٣٥٠ (١٩٣٢م) فزار إيطاليا وفرنسا وبريطانية وهولندة وألمانيا وسويسرة وبولونيا وروسيا . وعاد عن طريق تركية فإيران فالعراق فالكويت .

وقاد الجيش السعودي في تهامة أثناء حرب اليمن ١٣٥٣ (١٩٣٤م) فاحتل « ميدي » و « الحديدة » وسواهما ، وأقر النظام في الجنوب . ولما عقدت معاهدة الطائف ، عاد إلى مكة بعد غيبة لم تتجاوز أحد عشر اسبوعاً .

وانتدبه والده لحضور مؤتمر فلسطين ، في لندن ، أواخر ١٣٥٧ (١٩٣٩م) وزار الولايات المتحدة ١٣٦٢ (١٩٤٣م) إجابةً لدعوة من رئيسها « فرانكلين روزفلت » وفي عودته ، مر بلندن وزار ملك بريطانية .

وفي ١٣٦٤ (١٩٤٥م) قام بتمثيل الحكومة السعودية في مؤتمر الأمم المتحدة بسان فرانسيسكو .

وزار سورية سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) ، وفداً من قِبَل أبيه ، ومعه أخوه منصور ، للمشاركة في احتفالاتها بالذكرى الأولى لجلاء الفرنسيين عنها .

ورأس الوفد السعودي في اجتماعات هيأة الأمم المتحدة ، سنة ١٣٦٦ (١٩٤٧م) و ١٣٦٧ (١٩٤٨م) وفي اجتماع هيأة الأمم المتحدة المنعقد بباريس ١٣٦٧ (١٩٤٨م) وفي مؤتمر عقد بلندن من أحل قضية « البريمي » سنة ١٣٧٠ (١٩٥١م) .

وبويع بولاية العهد ، إثر وفاة أبيه الملك عبد العزيز ، وولاية أخيه سعود ، سنة ١٣٧٣ (١٩٥٣م) فرأس وفد بلاده في مؤتمر « باندونغ » ١٣٧٤ (١٩٥٥م) وفي مؤتمر « بلغراد » لرؤساء الدول غير المنحازة ١٣٨١ (١٩٦١م) وترأس مؤتمر القمة العربي الثاني ، في الإسكندرية ١٣٨٤ (١٩٦٤م) وهو خطيب مرتجل كثيراً ما يتمثل بفصيح الشعر في خطبه .

تولى عرش المملكة العربية السعودية في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٨٤ (نوفمبر ١٩٦٤) أمده الله بالتأييد والتوفيق ، وجعل على يديه الخير لبلاده وللعرب والمسلمين .

، ، ،

٤) محمد بن عبد العزيز : ولد في الرياض ١٣٣٠ (١٩١٢م) ودخل المدينة المنورة عند انتهاء الحرب الحجازية ، فمنحه والده لقب « أمير المدينة المنورة » وتولاها وكلاءُ عنه . وشارك في وقعة « السبلة » ومطاردة فلول ثورة الدويش ١٣٤٨ (١٩٣٠م) أمه الجوهرة بنت الأمير مساعد بن جلوي ابن تركي بن عبد الله بن سعود . وهو شقيق الأمير خالد والأميرة العنود .

، ، ،

٥) خالد بن عبد العزيز : ولد في الرياض ١٣٣١ (١٩١٣م) وصحب أخاه فيصلاً ، في بعض رحلاته الرسمية ، إلى الولايات المتحدة الأميركية . وانقطع مدةً لأعماله الزراعية التي يحبها كثيراً . ثم تولى نيابة رئاسة الوزراء . وبعد تولي الملك فيصل عرش المملكة صدر مرسوم ملكي بجعله « ولياً للعهد » وهو الأخ الشقيق للأمير محمد . آثره محمد ، على نفسه بولاية العهد .



الأمير خالد بن عبد العزيز

٦) ناصر بن عبد العزيز : أول من تولى إمارة الرياض ، بعد دخول الحجاز . مولده ١٣٣٧ (١٩١٩م)[١]

٧) سعد بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٣٧ (١٩١٩م)[٢]

---

(١) ويقيم الآن في الرياض .

(٢) ويقيم الآن في الرياض .

٨) فهد بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠م) وتولى وزارةالمعارف في أواخر أيام أبيه . واستمر بعد وفاته . ورأس عدة وفود سعودية لحضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية في المغرب ولبنان . ثم ولي وزارة الداخلية وهي في عهدته إلى الآن . وضمت إليه نيابة رئيس مجلس الوزراء . أمه حِصّة بنت أحمد السديرية . (تقدمت صورته)

، ، ،

٩) منصور بن عبد العزيز : ولد في الرياض ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) وتولى إدارة القصر الملكي فيها . ثم كان أول وزير للدفاع . وتقدم في الحديث عن وزارة الدفاع ،شيء من سيرته مع صورته . توفي مستشفياً في باريس ١٣٧٠ (١٩٥١م) ودفن بمكة .

، ، ،



الأمير عبدالله بن عبد العزيز

١٠) عبد الله بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤٠ (١٩٢١ م) وهو الآن رئيس الحرس الوطني في الرياض .

، ، ،

١١) بندر بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤١ (١٩٢٢م)

، ، ،

١٢) ساطان بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤١ (١٩٢٢م) وتولى في عهد أبيه رئاسة الحرس الملكي في الرياض . ثم اختير وزيراً للزراعة . وقام برحلة إلى أوربا سنة ١٣٧٢ (١٩٥٣م) وتولى وزارة الدفاع والطيران ، في عهد الملك فيصل . ولا يزال إلى الآن . وهو الأخ الشقيق للأمير فهد . (تقدمت صورته)

، ، ،

١٣) مشعل بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤٤ (١٩٢٥ م) وناب عن أخيه الأمير منصور في وزارة الدفاع. ثم وليها بعد وفاة منصور ١٣٧٠ (١٩٥١م) وقام برحلة إلى فرنسا وأميركا ١٣٧١ (١٩٥٢م) وهو الآن أمير منطقة مكة المكرمة . (تقدمت صورته)

، ، ،

١٤) مساعد بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤٤ (١٩٢٦م) له ميل إلى الأدب وقرض الشعر .

، ، ،

١٥) عبد المحسن بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤٥ (١٩٢٧ م) وهو الآن أمير المدينة المنورة .

، ، ،

١٦) مشاري بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٤٩ (١٩٣٠م)

، ، ،



الأمير متعب بن عبد العزيز



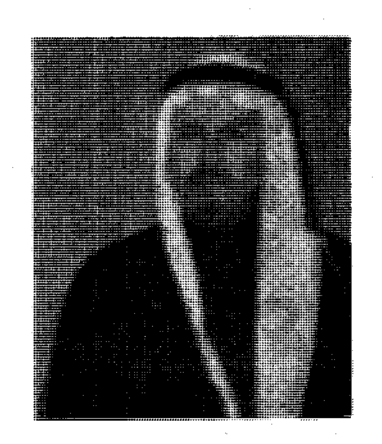
الأمير طلال بن عبد العزيز

(م٨٩)

١٧) متعب بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٠ (١٩٣١م) وناب عن أخيه الأمير مشعل في إدارة وزارة الدفاع سنة ١٣٧١ (١٩٥٢م)

١٨) طلال بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٠ (١٩٣١م) وعين سفيراً في باريس ، فوزيراً للمالية ، فترة من الوقت ، في عهد الملك سعود[١]

١٩) عبد الرحمن بن عبدالعزيز : ولد سنة ١٣٥٠ (١٩٣١م)



الأمير بدر بن عبد العزيز



الأمير نواف بن عبد العزيز

٢٠) بدر بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥١ (١٩٣٢م) وهو الآن نائب رئيس الحرس الوطني ، بالرياض .

٢١) تركي بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥١ (١٩٣٢م)

، ، ،

٢٢) نواف بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣م) وأقام مدة في الولايات المتحدة للدراسة . وتولى رئاسة الديوان الملكي فترة قصيرة في عهد أخيه سعود . وأعيد إليها في عهد الملك فيصل . وهو الآن سنة ١٣٨٩ (١٩٦٩م) المستشار الخاص لجلالة الملك فيصل .

---

(١) وهو الآن ، منقطع لمصالحه الخاصة ، في الرياض .



الأمير نايف بن عبد العزيز

٢٣) نايف بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣ م) وتولى إمارة الرياض حقبة من الزمن . وهو الآن أمير المدينة المنورة .

٢٤) فواز بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٢ (١٩٣٤ م) وتولى إمارة الرياض في عهد الملك سعود . وهو الآن ١٣٨٩هـ، وكيل الإمارة لمنطقة مكة المكرمة .

، ، ،



الأمير سلمان بن عبد العزيز

٢٥) سلمان بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦ م) وهو الآن أمير منطقة الرياض .

٢٦) ماجد بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦م)

٢٧) عبد الإله بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٧ (١٩٣٨م)

٢٨) أحمد بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٨ (١٩٣٩ م) [١]

---

(١) أحرز شهادة البكالويوس في العلوم السياسية من كلية رد لاند بجامعة كليفورنيا سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) .

٢٩) سطّام بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٩ (١٩٤٠م) (وهو الآن وكيل إمارة الرياض)

٣٠) ثامر بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٥٩ (١٩٤٠م) وتوفي بحادث في أميركا ، سنة ١٣٧٨ (١٩٥٨م)

٣١) ممدوح بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٦٠ (١٩٤١م)

٣٢) مشهور بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٦٠ (١٩٤١م)

٣٣) هُذلول بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٦٠ (١٩٤١م)

٣٤) عبدالمجيد بن عبدالعزيز : ولد سنة ١٣٦١ (١٩٤٢م)

٣٥) مقرن بن عبد العزيز : ولد سنة ١٣٦١ (١٩٤٢م)

٣٦) حمود بن عبد العزيز :

بعض حفداء الملك عبد العزيز ، المولودين في أيامه ، على ترتيب آبائهم

١) فيصل بن تركي بن عبد العزيز ، توفي بالرياض في رمضان ١٣٨٩ (١٩٦٩م)

٢) فهد بن سعود بن عبد العزيز : تولى وزارة الدفاع في عهد أبيه .

٣) عبد الله بن سعود بن عبد العزيز : تولى إمارة مكة فترة في عهد والده.

٤) محمد بن سعود بن عبد العزيز : تولى وزارة الدفاع بعد أخيه فهد، في عهد أبيهما .

٥) خالد بن سعود بن عبد العزيز : تولى رئاسة الديوان الملكي في عهد والده

٦) منصور بن سعود بن عبد العزيز : تولى الحرس الملكي أيام أبيه .

، ، ،

٧) عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز : كان في عهد جده ، معاوناً لوالده (النائب العامّ) ثم عُين وزيراً للداخلية والصحة وأدار الوزارتين مدة قصيرة. ورأى أن يريح نفسه من أعباء العمل ، فاستقال . وقبلت استقالته . وانقطع

للمطالعة والعناية بالأعمال التجارية .واشتهر بمناصرته للرياضة . له « ديوان محروم » مطبوع . وهو الآن مقيم بمكة . (تقدمت صورته)

، ، ،

٨) محمد بن فيصل بن عبد العزيز : ولد بالطائف سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦م) وتخرج بجامعة منلو ، في كليفورنيا فتخصص في الاقتصاد . وهو الآن ، المدير العام لإدارة تحلية المياه ، في وزارة الزراعة .

٩) سعود بن فيصل بن عبد العزيز .

١٠) سعد بن فيصل بن عبد العزيز .

١١) خالد بن فيصل بن عبد العزيز : المدير العام للشباب والرياضة .

١٢) فهد بن محمد بن عبد العزيز .

١٣) بندر بن محمد بن عبد العزيز .

١٤) نواف بن محمد بن عبد العزيز .

١٥) بندر بن خالد بن عبد العزيز .

١٦) سعود بن ناصر بن عبد العزيز .

١٧) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد العزيز .

١٨) سعد بن فهد بن عبد العزيز .

١٩) فهد بن سلطان بن عبد العزيز .

٢٠) خالد بن سلطان بن عبد العزيز .

٢١) سعود بن مساعد بن عبد العزيز .

٢٢) بدر بن عبد المحسن بن عبد العزيز .

٢٣) محمد بن مشاري بن عبد العزيز ..

٢٤) محمد بن سعد بن عبد العزيز .

٢٥) خالد بن سعد بن عبد العزيز .

٢٦) منصور بن متعب بن عبد العزيز .

من أبناء إخوة الملك عبد العزيز

١) خالد بن محمد بن عبد الرحمن : ولد سنة ١٣٢١ (١٩٠٣م) وتوفى سنة ١٣٥٧ (١٩٣٨م) قال فلبي في جريدة الإجبشن غزيت ٣٨/٤/٧ في رسالة بعث بها من جدة في ١٩٣٨/٣/٢٩ توفى أمس الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمن نجل أكبر إخوة الملك ، متأثراً من جراح أصابته عندما كان يصطاد الظباء بالسيارة منذ بضعة أيام، وقد قذفته من السيارة هزة مفاجئة. وكان شجاعاً شهماً كثير البشاشة لطيف المعشر . وبلغ من العمر ٣٦ عاماً . وظهرت بسالته في زحفه إلى صعدة سنة ١٩٣٤ في أراض شديدة الوعورة وانتهت الحرب بعد أسابيع قليلة ، بعقد معاهدة الطائف في مايو ١٩٣٤ وكان الملك عبد العزيز يعامله كأحد أنجاله .

٢) فهد بن محمد بن عبد الرحمن .

٣) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن .

٤) عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن .

٥) فيصل بن سعد بن عبد الرحمن : عرفت مشاركته وشجاعته في حرب اليمن .

٦) فهد بن سعد بن عبد الرحمن .

٧) سعود بن سعد بن عبد الرحمن .

٨) فيصل بن عبد الله بن عبد الرحمن .

٩) يزيد بن عبد الله بن عبد الرحمن .

١٠) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن .

١١) محمد بن سعود بن عبد الرحمن .

١٢) فيصل بن سعود بن عبد الرحمن .

من حفدة إخوة الملك عبد العزيز في حياته

١) سعد بن فهد بن سعد بن عبد الرحمن .

٢) عبد الله بن فهد بن سعد بن عبد الرحمن .

٣) فهد بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن .

٤) خالد بن فهد بن محمد بن عبد الرحمن .

من أبناء حفدة الملك عبد العزيز في حياته

١) طلال بن عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز : توفي في ريعان شبابه سنة ١٣٨٠ (١٩٦٠م)

٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز .

٣) خالد بن عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز .

٤) سعود بن عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز .

٥) محمد بن عبد الله بن فيصل بن عبد العزيز .

رسوم الحج

كانت رسوم الحجّ باهظة إلى سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وفي هذه السنة سُمع الملك عبد العزيز يقول : أمنيّتي في حياتي أن أُسقط عن المسلمين رسوم الحجّ .

قال يوسف ياسين : وما لبث الملك أن قال لي : أبرق إلي ابن سليمان بإعفاء الحجاج من الرسوم . وأبرقت فجاءه ابن سليمان يقول : يا طويل العمر ، ثلاثون مليون ريال ، من أين أعوّضها للميزانية ؟ فأجابه : دبّر نفسك ! وكان الإعفاء ..

، ، ،

الدهنـاء

يقول أهل نجد : فلان كالدهناء ، قريب ثراها بعيد ماها !

، ، ،

إبطـال عـادة

كان من عادة أهل مكة : إذا كانت ليلة زفاف الفتاة ، لبست عقداً من التفّاح الصغير ، يصنعه رجل اختص بادّخاره وبيعه في جميع فصول السنة ، وكثيراً ما كان يبلغ ثمنه ثلاثة جنيهات . فلما دخل عبد العزيز الحجاز سمع بهذه العادة فأمر بإبطالها .

، ، ،

الملك عبد العزيز

وبعض أخباره في « الكَرَم »

الكرم ، من سجايا العرب المحمودة قديماً وحديثاً . وعبد العزيز اشتهر بالجود في عهدي ضيق ذات يده ، وهو العهد الأطول ، وإقبال دنيا « النفط » على خزائنه في أعوامه الأخيرة . كان يعطي ، ويتلذذ بالعطاء . وأخباره في هذا كثيرة تناقلها أهل البوادي والحواضر .

أنشأ الدولة ، ودوّخ أعداءه ومنافسيه ، ورفع ذكر بلاده في المحافل الدولية ، وأدخل في بلاده أنواع الإصلاح وأدوات المدنية الحديثة . واشتهر بما انفرد به من الكرم ، وذلك كله قبل أن يدرّ النفط فيضه ، وقبل أن يكون له ولمملكته من الثروة ما ينهض به وبأعماله . ولما تدفق النفط أكمل ما بدأ ، وزخرف ما بنى ..

العطايا للجهات وللوفود :

يسمي ابن بليهد ، الجغرافي النجدي المعاصر ، هبات عبد العزيز «زكاة» فيقول[1] :

.. « أما الملك عبد العزيز ، فإنه يفرق الشيء الكثير من الزكاة على الفقراء، ثم يبعث السيارات تحمل النقود والأرزاق والحلل ، فتفرّق على جميع الجهات

---

(١) صحيح الأخبار ١ : ٢٠

في رعيته . يفرّقها أمناء وكتّاب ، على أهل كل جهة . يأتيهم المقرر لهم وهم في أماكنهم بغير طلب منهم ولا تكلف . ثم تأتيه الوفود ، وتتتابع إلى تلك العاصمة (الرياض) زرافات ووحداناً . يأتيه من أعراب الرافدين وأعراب جلّق (أعراب بادية الشام) وأعراب نجران وأعراب اليمن ، ومن «مختلف الجهات ما لا يحصيه إلاّ الله . تأتي فتمتاح ، كأنها تمتاح من دجلة أو الفرات . ويمتد هذا ستة أشهر . فلو أن رمل عالج ، كان نقداً لنفد . ولكن البركة واصلة فيما تحوي تلك الكف المباركة » .

معرِض العطاء :

ويُحسن الريحاني وصف « قصر السلطان » في الرياض ، قبل انضمام الحجاز ، وقبل المناداة بعبد العزيز ملكاً للعربية السعودية ، وقبل ظهور آبار النفط ، فيقول [١] :

« لقد شاهدت معرض العطاء في الرياض ، بل كنت أشاهده كل يوم مدة إقامتي هناك ، وأعجب جداً لا لكرم هذا الرجل بل لإيمانه وثقته بالله مصدر الخير وولي ّ النعم التي لا تزول . وإلاّ فكيف يؤمل بدوام حال تمكنه من العطاء في بلاد لا ثروة لها ثابتة دائمة . هناك حكومة فردية أتوقراطية وديموقراطية معاً ، تبرأ من قواعد الإدارة والنظام كلها ، وبلاد ثلاثة أرباع مساحتها بادية قفراء ليس فيها من موارد الثروة غير الأنعام ؛ ورعيةٌ ثلثاها من البدو ، وأكثرهم حتى اليوم لا يحسنون صناعة ما ؛ وإقليم قيظه يحرق ويبيد ، وشتاؤه لا يصدق ولا يحسن الوفاء فتجيء السنون المجدبة فتعقم المغاني ويعمّ البلاء ؟

— هذه يا طويل العمر « جريدة » بمن نوّخوا اليوم .

يقدمها إبراهيم (ابن جميعة) رئيس التشريفات ، فيقرأها السلطان ويكتب إلى جانب كل اسم ما يجب أن يُعطى صاحبه يوم ارتحاله .

---

(١) ملوك العرب ٢ : ٨٤ — ٨٨

قال الريحاني : أذن لي بالاطلاع على إحدى تلك « الجرائد » وفيها أكثر من مئة اسم ، فأنقل من رأسها ووسطها وآخرها ثلاثة اسماء ليطلع القارىء على أحوال ابن سعود كلها :

بخط رئيس التشريفات : حمود بنَ صويط معه فرسان وذلول .

بخط السلطان : ألفان روبية ، وبشت وبر معلّم (أي عباءة مقصبة) وزبون (قنباز) جوخ ، وسيف مذهب .

بخط رئيس التشريفات : سليمان بن علي من أهل حايل .

بخط السلطان : أربعمئة روبية ، وبشت ، وزبون .

بخط رئيس التشريفات : هذاع بن سلطان بن زايد ، راعي (حاكم) عُمان . معه عشرة ركائب (نوق) عُمانيات (هدية) ورجاله ٢٥

بخط السلطان : ثمانية آلاف ربية . وسبعون ليرة . وعشرون بندقية وفَرَسان . ثم إلى رجاله الخمسة والعشرين ، كل واحد كسوة وكيس فيه من المئة إلى الخمسمئة روبية حسب مقامه .

هؤلاء ثلاثة من المئات الذين ينحرون الرياض ، مستعطين ولي النعم فيها ، ومنهم من يعود إلى أهله ومعه فوق الكسوة والمال حمل أو حملان من التمر والسمن والتمّن — الأرز — والسكر والبن .

فقراء الرياض ونزلاؤها

ويصف بعض مشاهداته في الرياض سنة ١٣٤١هـ(١٩٢٢م) ، فيقول : ليس من ينيخون في باب السلطان كل يوم ، الشاهد الوحيد على جوده .

ففي الرياض نفسها جيش من « السباهلة » والفقراء ، يتراوح عددهم بين الألف والألفين ، يأكلون في القصر مرتين كل يوم ، الظهر والمساء . وفيها أيضاً مئة أسرة أو ما يزيد ، منها أُسر بيت الرشيد ، لا يكلفهم الله ، على ما يظهر ، أقلّ سعي في سبيل رزقهم ، فالبيوت والخيل والإبل والثياب والمؤنة والجواري والعبيد ، كلها من الشيوخ ، من السلطان : إدفع يا شلهوب . وزع يا شلهوب ..

وشلهوب ، هو محمد بن صالح الشلهوب ، كان في ذلك العهد وزير التموين والمال ، تشمل مهماته الكبيرة والصغيرة ، من المدفع إلى عود الكبريت كما يقول الريحاني . يوزع الحطب،ويوزع الثياب ، ويوزع السلاح ، ويوزع المال . طريقتهفي الإدارة بدوية أولية ، وحساباته قروية [١]

عشرة آلاف ضيف :

ويقول حافظ وهبه[٢] : ربما كان عدد ضيوفه الدائمين لا يقلّ عن ٥٠٠ كل يوم . وقد يبلغ ضيوفه نحو عشرة آلاف ، تمتلىء بهم بيوت الرياض وبطحاؤها (تأتيهم الذبائح من القصر حيثما كانوا)

١٤٠٠ ميل ، للحصول على الهبة :

وتململ الرحالة ثيسيغر[٣] وهو في بادية الجزيرة ، منزيارة الأعراب له وطلبهم منه « الشرهة » ثم قال : وتذكرت أن بعض آل رُشَيد[٤] ، على الساحل الجنوبي ، يجتازون ألفاً وأربعمئة ميل إلى الرياض ، كي يحصلوا على هبة من الملك ابن سعود .

المنحة تصبح « حقا » :

ويجدر بالذكر ، أن نعلم أنّ أيّ أعرابي يمنحه عبد العزيز منحة ، كبيرة أو صغيرة ، نقداً أو كسوة أو موئنة ، تصبح في نظر هذا الأعرابي « حقاً » له واجباً كل عام . فيعيد الكرّة والمنحة نصب عينيه . فإذا نقص النقد ريالاً أو الكسوة غترة أو الموئنة بعض الشيء ، طالب به وألحّ . وإذا منعت عنهالمنحة

---

(١) تقدمت كلمة عنه

(٢) جزيرة العرب ١١٠-١١٣

(٣) رحلته « في رمال العرب » ٢٦٨

(٤) آل رشيد هؤلاء ، غير آل رشيد بحائل

غضب . وربما انحاز إلى خصوم عبد العزيز ، يقاتله معهم ، من أجلها ..

ميزانية الدولة عقب التنظيم :

وقد تكرر القول بأن جلّ ما تقدم من أخبار عطاياه ، كان قبل اتساع « دنياه » :

الزحوف ، والحشود ، والوفود ؛ كان الإنفاق عليها من « حقائب » يتولاها ابن شلهوب ثم ابن سليمان ، إلى أن أذن الله بالتنظيم . وماذا كان دخل الدولة بعد أربعة عشر عاماً من التنظيم ؟

في وزارة الخارجية المصرية تقرير[١] من مفوضيتها في جدة سنة ١٣٥٨ (١٩٣٩م) يتحدث عن أن المملكة العربية السعودية تستورد من الخارج معظم ما تحتاج إليه ، وأن طبيعة البلاد صحراوية ، وأن الصناعة معدومة فيها . وجاء فيه : إن موارد حكومتها تتلخص في الحج ، والبترول ، والذهب ، والدوابّ . وهي : من الأول نحو نصف مليون جنيه ، ومن الثاني نحو ٣٠٠ ألف جنيه ، ومن الثالث نحو ٢٠٠ ألف ، ومن الرابع مبلغ ضئيل . وتكلم عن ميزانية الحكومة فقدرها بمليونين من الجنيهات المصرية .

فإذا عرفنا أن هذه موارد عبد العزيز وميزانية بلاده بعد انقضاء ثلاثة عشر عاماً على دخوله الحجاز وتوحيده المملكة ، لم يصعب أن نعرف كيف كان الأمر قبلها ..

الضائقة أيام حصار جدة :

ولا نذهب بعيداً ، ففي مكة ، أيام حصار عبد العزيز لجدة ، صدرت جريدة « أم القرى » ولولا وجود الورق والحبر في المطبعة من أيام الحسين ،

---

(١) نشر جزء منه في ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ في « نشرة » رسمية كانت تصدرها وزارة التجارة والصناعة في القاهرة .

لم يصدر عدد منها . لأن خزينة مال عبد العزيز ، في ذلك الحين ، لم يكن فيها فائض لشراء الورق أو الحبر .

وما تعرضت لهذا ، إلاّ لأقول : إن عبد العزيز كان في بعض تلك الأيام، يقتسم مع يوسف ياسين (محرر جريدة أم القرى ومديرها) قيمة ما يباع في أسواق مكة ، من الجريدة (وهي أسبوعية) فيدفع له يوسف نصف ما تجمع لديه من « الهللات » [١] لينفق منها .. ويحتفظ يوسف بالنصف الآخر ، ليأكل به هو وعمال المطبعة والجريدة .. حدّثني بهذا يوسف ، وأنا واثق من صحة ما يقول .

لازمت هذه الضائقة عبد العزيز مدة ، لعلها غير طويلة . وربما لازمه مثلها في أوقات وحالات أخرى ، وهو على عادته وسجيته : الكريم السخيّ المعطاء . والكرم طبع في المرء لا يخضع لقانوني الغنى والفقر .

لا يعترف بأنه كريم :

ومن العجب أن عبد العزيز كان لا يؤمن بأنه كريم . قال يوماً لبعض جلسائه : يقول الناس انني كريم ، وما أنا بكريم .. إنني أعطي حين يجب العطاء وأمنع حين يجب المنع ..

وهو بهذه الكلمة ، يضيف إلى الكرم ، العقل ووضع الشيء في موضعه . وإن كان لم يذهب قصداً إلى هذا المعنى حين وصف نفسه .

، ، ، ،

وبعد الحديث عن كرم عبد العزيز بالجملة ، وأقوال عارفيه فيه ، لا بدّ من ذكر أحاديث عنه يمكن وصفها بأنها « فردية » أو تتعلق بأفراد . وإن كانت لا تنقص في دلالتها عما يتعلق بالجماعات . وفي كثير منها ما يصحّ القياس عليه.

---

(١) جمع « هللة » بوزن « سمكة » وهي من أصغر أنواع النقد الحجازي يومئذ .

يكرم كل زائر ووافد :

ما وفد على عبد العزيز قاصد ولا زاره إنسان . من أبناء الصحراء إلى أصحاب الرئاسات والعروش ، من الرجال والنساء ، إلاّ حباه منحة أو أهدى إليه هدية تتناسب مع صفته في المجتمع ،ومع حظوته لديه.وأكثر ما تكون المنحة نقداً من المال ،وكثيراً ما تكون« بقجة » تحتوي على كسوة كاملة تتألف عادة من عباءة — أو أكثر — وعقال مقصّب ، و« زبون » من الجوخ ، وغترة من شال كشمير ، وساعة ذهبية . وقد يضاف إليها خنجر . وللكبراء سيف مرصّع مع كسوة أو عدة كساوى . وللسيدات كسوة نسائية وعقد من اللؤلؤ أو سواه من الحلي والمجوهرات . وهو يسمي العطية « الشرهة » وما يهدي إلى النساء « الصَّوغَة » وبقجة الملابس « الكِسْوة » يسرّه أن تقبل منحته أو هديته ، ويسوؤه أن يعتذر عن قبولها ، ويغضبه أن تردّ .

زوجة سفير :

وعلى ذكر السيدات : حضرت حفلة بالقاهرة أقامها السفير البريطاني للأمير عبد الإله الوصيّ على عرش العراق ، في ١٩٤٥/٥/٢٤ وكان من حديث زوجة السفير معي ، أنها كانت في لندن حينما عاد المستر تشرشل من زيارته للملك عبد العزيز ، في الفيوم . وأن تشرشل أراد أن يلبس الغترة والعقال فساعدته على ذلك ، لأنها متمرنة في تلبيس ابنها الملابس العربية أحياناً بمصر . وأخيراً قالت إنها أدركتها الغيرة حينما رأت بنت تشرشل تلبس الملابس العربية التي أحضرها لها أبوها في جملة هدايا الملك عبد العزيز . ولما رجعت إلى مصر كان أول سؤال ألقته على زوجها : هل حفظت لي من هدايا الملك يوم كنت في زيارته مع المستر تشرشل ، مثلما حمل هذا إلى ابنته ؟ فأجاب بالنفي . قالت زوجة السفير : واشتد أسفي لأني لم أكن في مصر أيام استراحة الملك عبد العزيز فيها بعد مقابلته للرئيس روزفلت .

وواسيتها على أسفها . ولم أر أن مثل هذا الحديث يرفع إلى الملك ، فكتبته إلى أحد أصدقائي في الرياض ، على سبيل الفكاهة ، مستكتماً .

ولكن ما عاد البريد إلى القاهرة ، إلاّ وفيه « ملحق خير » لي وليوسف ياسين ، من الملك ، يقول : تذاكروا في الموضوع ، وشوفوا ما هو الشيء المناسب للصوغة التي تقدم لزوجة السفير ، وأخبرونا .

وكانت لها بعد حين ، صوغتها ..

شاب يمنع عنه إحسانه :

وكنت ممن يصحبه أحياناً في نزهاته المسائية خارج الرياض . ومن عادته أن يخرج من قصره فيها ، قبل الغروب بنحو نصف ساعة ، إلى بستان لابنه الأمير محمد ، في ضاحية تسمى « عليشة » على ثلاثة كيلو مترات من قصر المربع . ويجلس — دائماً — إلى جانب سائق السيارة . ويعرف البدو والفلاحون والفقراء صوت نفير سيارته ، فإذا سمعوه — وهم يترقبون مروره — أقبلوا من كل جانب ، من السهل والجبل ، يتصايحون : الله يطوّل عمرك يا عبد العزيز . الله يحسن إليك يا عبد العزيز . وهو يأخذ ، من كيس إلى جانبه ، قبضات من الأريل (جمع ريال) فيلقيها إلى هذا وذاك .. وأقبل صائح : الله يرحم عبد الرحمن يا عبد العزيز ، الله يديم حياتك يا عبد العزيز . والتفت إليه الملك فإذا هو شابّ حسن البزة . فقال ممن أنت ؟ قال : من فلان (وذكر قبيلته) فاستوقف الملك السائق ، وسأله : فيك مرض ؟ قال : لا . قال ألا تستحي أن تشحذ ؟ قال : الشحذة منك ما هي بعار . قال : أنت شديد وشاب ، اذهب من توّك إلى منصور ، وادخل في الجيش ، ولا أراك هنا بعد اليوم .. وانقبضت يد عبد العزيز ومضى السائق .

وكان يعاقب من « يشوّه » وجه كرمه ، أو يقف في سبيله . قال حافظ ما خلاصته : في صيف سنة ١٣٤٤ (١٩٢٥م) كان الملك جالساً كعادته على شُرفة ، في قصره بالمعابدة (بمكة) يشرف على الطريق من نافذة كبيرة ،

فرأى رجلاً أراد أن يكلم آخر فانتهره هذا ، فقال الرجل : عساي لم أخطىء يا محفوظ . لقد بتّ من غير عشاء . وسمعه الملك فناداه : ما بالك يا رجل ؟ أدخلوه . فقصّ على الملك أنه وصل إلى مكة بعد الغروب بساعتين وطلب شيئاً يأكله فلم يسعفه أحد . فدعا الملك إبراهيم بن جميعة وابن إدريس وكانا القائمين بأمر المضيف ، وتناولهما بالضرب حتى كادا يهلكان ..

وقال : في شتاء ١٣٥١ (١٩٣٢م) كان الملك في الصيد . وراعنا زئيره وهو يأمر بضرب الطبّاخ ابن نصّار ، والشويعر المشرف على المضيف . وكان بعض الضيوف قد شكا من أن الأرزّ قليل السمن واللحم . فسألت : ماذا يضرّ هؤلاء لو أكثروا اللحم والسمن . والخير كثير ؟ فقيل لي : جرت العادة على أن ما يبقى من الزاد بعد انتهاء الصيد يكون من نصيب هذين ، فمن مصلحتهما التقتير على الضيوف ..

، ، ،

ومن الأخبار الشائعة عنه القصة الآتية : أراد أن يكرم وافداً عليه ، بثلاثمائة ريال ، وأخذ قلماً ، فكتب ٣٠٠٠ بزيادة صفر . فتردد المختص بالصرف ، وراجعه ، فلما نظر إلى الورقة قال : إنها شطحة قلم ، ولا بأس . يعطى ثلاثة آلاف ولا يكن قلم عبد العزيز أكرم من عبد العزيز .

، ، ،

ومثلها انه كان يجعل إلى جانبه في أسفاره البعيدة ، حيث يتنقل بين القبائل ، كيسين . أحدهما للنقود الفضية ، والثاني للنقود الذهبية . وأقبل على سيارته أعرابي هرم ، فمدّ الملك يده ، يريد كيس الفضة ، وأخرج منه قبضة ، فكانت من كيس الذهب . وبعد طرفة عين من التردد ، دفعها إليه .. ولاحظ أنه أعمى ، فقال له : ترى اللي أخذته ذهب .. لا يضحكوا علـَيك .. والتفت إلى من كان خلفه في السيارة ، وقال : سبحان الله . أردت أن أعطيه بعض

الأريل ودخلت يدي في كيس الذهب فلما أخذت منه راودتني نفسي أن أردّه وآخذ من كيس الفضة ، ولكنني قلت : هل تكون يدي أكرم مني ؟؟

يحسدون من يناله غَضَبُه :

وكانت لعبد العزيز أحياناً ، غضبات على بعض رجاله وكبار موظفيه . يخطىء الموظف أو يسبق إلى ذهن الملك أنه أخطأ . فتكون اللطمة ويتبعها اللكم والشتم . ولا يكون ذلك إلا لطبقتين : هما الخدم ومن في مستواهم ، وخاصة الخاصة من ثقاته الملازمين له .

والمحسود من الطبقتين من يلكمه عبد العزيز أو يشتمه، فإنه سرعان ما تهدأ عاصفته ويرقّ قلبه ، فيعطيه ما ينسيه الألم ..

كُسوة الموظفين :

وكانت العادة السنوية أن يكسو الملك جميع رجاله وحاشيته وموظفيه ليلة العيد ، كل على حسب درجته . ولما تكاثر عدد الموظفين اقتصر الكساء على كبارهم .

وكانت هذه الكسوة تعني العباءة والثوب والغترة والعقال . ثم أدرك الملك أن تكرار هذا النوع من الكساء ، يزيد على حاجة المكسوّ ، فأمر بإرسال قطع من « الجوخ » توزع سنوياً على كبار الموظفين وعدد ممن دونهم . ثم حوّل ذلك إلى « نقد » سنوي بما يساوي قيمة الكسوة أو يزيد عليها ، واستمر هذا إلى آخر أيامه .

يلقّن أبناءه :

وبينما هو في إحدى نزهاته بالرياض ، ومن خلفه في السيارة : أخوه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن والسيد حمزة غوث ، وأنا . ومعنا أحد صغار أبنائه « عبد المجيد » وسنّه يومئذ حول الخامسة . أعطاه عبد العزيز قبضة من الأريل . وارتقب ماذا سيفعل بها . وبدأ عبد المجيد يلعب بالأريل ... فقال له : أعط إخوانك يا عبد المجيد . فوزعها علينا . ونحن بدورنا دفعناهـا للعبدين الواقفين على رفرفي السيارة من الجانبين . وادخر السيد حمزة بعض ما أخذ فدسّه في جيبه . وبعد هنيهة التفت عبد العزيز سائلاً : أين الأريل يا عبد المجيد ؟ فمد هذا يديه فارغتين . فقال : انفقت ما معك ؟ قال : أي . قال : لا تخف ، يعوضك الله عنها . وأعطاه غيرها . وما زال يعطيه وعبد المجيد يوزع ، حتى أدركنا أن الأب يلقّن الابن درساً عملياً في الكرم ،ويُشعره من الطفولة بأن الجود لا يفقر ...

مبراته الرسمية ، غير الشخصية

كان في الميزانية العامة للدولة السعودية « باب » خاصّ بأعطيات الملك ومبراته ، مقسم إلى خمسة أنواع : إعانة المؤسسات الخيرية وأُعطيات ملكية مقررة ، وأعطيات ملكية غير مقررة ، وبدل كساوي ، وصدقات .

وفيما يلي « نموذج » من هذا الباب ، وأنواعه الخمسة ، مما صرف في خلال ثلاث سنوات ، هي ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ (١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩م) وذلك بالقرش السعودي . وكل ١٠٠ قرش سعودي تعادل دولاراً واحداً ، تقريباً :

السنة	المؤسسات الخيرية	أعطيات مقررة	بدل كساوي	أعطيات غير مقررة	صدقات	المجموع
١٣٦٦	٢٨٩٤٩٠٦	١٨٤٧٧٥٦٩	٣٨٧٣٣١٥	٣٢٧٤٢١١٥	٢٢١٤٥٦٠٢	٨٠١٣٣٥٠٧
١٣٦٧	٢٤٣٧٧١٩	٤٠٧٨١٦٣٥	١٧٤٣٨٣٦	١٧٢٥١٢٥٣	٥٦٦٨٦٣٥	٦٧٨٨٣٠٧٨
١٣٦٨	٢٥٨٤٩٠٦	٩١٥٤٥٣٢٤	١٠٥٠٢١٠	٢٢٠٣١٦٢٣	٥٦٥٤٥٦٣	١٢٢٨٦٦٦٢٦
	٧٩١٧٥٣١	١٥٠٨٠٤٥٢٨	٦٦٦٧٣٦١	٧٢٠٢٤٩٩١	٣٣٤٦٨٨٠٠	٢٧٠٨٨٣٢١١

مبرّة خفيّة :

وهذه مبرة خفية ، وقع نظري عليها وأنا أقلّب صفحات كتاب ، طبع حديثاً [(١)] قدّم لها مصنف الكتاب بما خلاصته أنه كان في سنة **١٩٢٦** سكرتيراً عاماً لجمعية أعانة المنكوبين في البلاد السورية . وسافر مع وفد ، إلى الحجّ ، لجمع ما يتبرع به حجاج بيت الله الحرام . ثم يقول ما نصه [(٢)] :

وفي الوقت المعين (**١٣** حزيران – يونيو **١٩٢٦**) تشرفنا بزيارة الملك عبد العزيز آل سعود ونقلنا لجلالته ما حل بالبلاد السورية من النكبات ، فرد علينا بكلمات ملؤها العطف والتأثر . وحبذ حصر التبرع بجلالته وبالمقيمين في مكة المكرمة من السوريين وغيرهم من المحسنين ، دون الحجاج ، ثم قال : « أنا رهين رغبتكم في ذلك ، وأنا ألبس ما تفصّلون ، ولو شئت أن أستشير أحداً لما وجدت من هو أفضل منكم . وأنا مستعد لكل ما تريدون » فشكرناه وضاعفنا الثناء على لطفه . وأجبناه : إن الأمر يعود لجلالتكم ، وسنكون من الشاكرين قلّ ما تجودون به أو كثر . ولما لم يعفنا من أن نقترح ، راعينا ظروفه وكانت صعبة ، وذلك لأن جلالته لم يستول على الحجاز إلا منذ سنتين فقط ، وان النفقات التي يتكبدها في الظرف الحاضر غير قليلة ، فوفود المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة ضيوف على جلالته ، ومثلهم الصحفيون العديدون الذين وفدوا لحضور المؤتمر ، وأن أهله وذويه الذين قدموا إلى مكة لأداء فريضة الحج يبلغون مع أُسر ابن رشيد وابن عايض الذين كان قد استولى على بلادهم يبلغون ألفي نسمة ، حتى إن الإبل التي كانت تنقل النساء تزيد على الأربعمئة وكل ذلك على حساب جلالته . ولهذا رأينا ألاّ نثقل عليه بأكثر من ألف ليرة عثمانية ذهباً ، ولكن كم أكبرنا روح جلالته عندما قال : طيب ! هذاباسمي وأما باسم نجد ؟ فسررنا لهذا العطف بمثل هذا اللطف وأجبناه : وكذلك نجد .

---

(١) كتاب « مذكراتي » للسيد حسن الحكيم « رئيس وزراء سورية سابقاً » طبع في مجلدين سنة ١٩٦٥ و ١٩٦٦

(٢) الجزء الأول ، ص ٣٧٩

فقال : الحقيقة أن هذا قليل ، وهذا قليل . فليكن المبلغ ألفين وألفين . ولو كان الظرف مساعداً لما اكتفيت بذلك . ثم أردف يقول : وعلى كل حال ، من المستحسن أن يشار إلى أن هذا المبلغ جمع من المحسنين عن يد الشيخ عبدالله الفضل – وكان حاضراً – وأمره بدفع المبلغ .

، ، ، ،

هذه نتف من أخباره في الكرم ، شهدت بعضها . أما عطاياه للوافدين عليه ولبعض خاصته في المناسبات ، فلو كان من المفيد جمعها لجاءت أخبارها في كتاب .. وناهيك بما كان يكرم به زعماء القبائل وشيوخها ، من مال وميرة وأكسية ، لهم ولأفراد قبائلهم . وما من أحد منهم دخل قصر عبد العزيز أو أدى له خدمة أو أكل على مائدته إلا انتظر « الشرهة » وهي في لغـــة البادية « العطية » .

، ، ،

تحدث أعرابي مع بريطاني يتكلم العربية ، فسأله عن ملك بريطانيا : هل يقطع الرأس ؟ فقال : لا . قال : وهل « يُشرّه » كما يفعل عبد العزيز ؟ قال : لا . فقال : ما هو بملك !...

نهوضه لزواره

يقول الرحالة إلدون روتر[١] في وصف زيارته للملك عبد العزيز (في يوليو ١٩٢٥م) ١٣٤٣هـ

« إن هذا الأسد الذي خاض كثيراً من المعارك الصحراوية ، والسيّد الأعلى لأكثر من نصف سكان الجزيرة العربية ، يتكرر نهوضه واقفاً لزواره حين يتقدمون للسلام عليه ، سواء أكانوا أمراء أم دراويش .

— أيضاً —

وقال مصنف « الملك العادل » في سيرة عبد العزيز ، ما مؤداه :

من عادة الملك أن يقف لزائريه ، مبالغة في تكريمهم . إلاّ أنه أصبح في أعوامه الأخيرة لا يستطيع ذلك . لألم في ركبته اضطره إلى ترك المشي على قدميه ، إلاّ قليلاً . وعملت الترتيبات لوصول سيارته إلى الطابق العلوي في قصره . وأُعدّ له كرسي فخم ، له عجل ، يجلس عليه ثم يدفعه من الخلف خادم خاص يتجوّل به أنى أراد في غرف القصر .

قلت : تقدم أن هذا الكرسي ، أهداه إليه الرئيس الأميركي روزفلت ، يوم لقائهما .

ويرى أطباء الملك عبد العزيز أنه بعد أن تعود الراحة على هذا الكرسي ، حُرم فائدة المشي ، وازدادت في مساء كل يوم آلام ركبته المصابة . وما كان لها من علاج إلاّ الدلك قبل النوم .

(١) Eldon Rutter — في كتابه the Haly cities of Arabia الفصل الثالث عشر ، ص١٧٣

الخِبَّة والعُقْلة

تقدم ذكر « العقلة » في بلدان الهـجـَر[1] وفاتني أن أذكر فيها « الخبة »
قال الشيخ حمد الجاسر ، إملاءً :

الخِبة والعقلة كلمتان مترادفتان تؤديان معنى واحداً ، هو الموقع المنخفض الذي تحيط به الرمال من جميع جهاته . ولكنه يكون متسعاً وأرضه منخفضة قابلة لاستنباط الماء منها على مسافة قريبة .

ففي وسط نجد يعبرون عنها باسم العقلة . وهناك أمكنة كثيرة يطلق عليها هذا الاسم ، وخاصة بقرب بلدة الزلفي التي تحيط بها الرمال من جهتيها الشرقية والشمالية ، حيث يوجد عشرات القرى باسم « العقلة » مضافة إلى ما يميزها .

وفي القصيم ، بقرب مدينة بريك ، قرى كثيرة يذكّرون فيها الخبة فيقولون الخَبّ . ويميزونه بالإضافة ، بحيث يطلق على عدد كبير من قرى بريدة الواقعة بين أكثبة الرمال .

وفي غربي نجد كإقليم السرّ مثلا ، يسمونها « الخِبة » مؤنثة . وكذا في رمال عالج المعروفة قديماً بهذا الاسم ، الواقعة بين إقليمي جبل شمر وبلاد الجوف (جوف آل عمرو)

وفي هذه الرمال ، أمكنة كثيرة وُجد الماء في أوساطها . تدعى كل واحدة منها باسم خـُبة. ومن ذلك خـُبة ابن هربيد والخبة الجديدة. وهما قريتان تابعتان لحايل .

---

(١) الصفحة ٢٦٧

الملك عبد العزيز

في أواخر أيامه ، ووفاته

كان عبد العزيز يحب الحياة . ويحب أن يتمتع بكل ما يستطيع المتعة به ، من مظاهر القوة وانبساط السلطان والحكم ، إلى جانب ما تطيب به نفسه من مألوف عاداته في الأريحية وكسب القلوب وإدخال السرور على الناس ، وما أحل الله له ولسواه من ملذات في الخلوات ، يتخللها الكثير مما أصبح من لذائذه في قيام الليل تهجداً وضراعة .

كان يتألم من القيام إذا جلس ومن الجلوس إذا نهض ، لرصاصة أصابت إحدى ركبتيه أيام حروبه الأولى . ولم يأبه لها ، فتجمد دم الركبة . وظل عشرات من السنين لا ينام إلا إذا دلكت ركبته تدليكاً عنيفاً مدة ساعة أو أكثر . وكان يحتمل آلام المشي على مضض، إلى أن اجتمع بالرئيس الأميركي روزفلت في مياه البحيرات المرة ، بمصر . وكان هذا مُقعداً يمشي على كرسي ذي عجلات . فأهدى إلى الملك كرسياً مما يستعمله ، فوجد فيه الملك راحة ، فلم يتركه حتى في قصره بالرياض وحيثما حلّ . وكان إذا أراد الانتقال من مكانه

---

(١) هذا ما كان يقوله دائماً . ويقول الدكتور أمين رويحة – في نهاية كتاب « عبد العزيز » ص ٢٧٩ – كان مصاباً في ركبته بمرض اسمه « التهاب مفصلي مشوه » وهو يحدث نتوءات في عظام المفاصل تجعل الحركة مؤلمة ، ويتفاقم على مر السنين إلى أن يشل الحركة تماماً .

قال : هاتوا الحصان .. فيجيء به أحد الخدم يدفعه من خلف . واستمر على ذلك من سنة ١٣٦٤ هـ(١٩٤٥م) إلى أن فارق الحياة .

ولوحظ أن استغناءه بالكرسي عن السير على قدميه ، وإن أراحه ، فقد أضاع عليه فرصة الرياضة التي كان يقوم بها على غير قصد ، في التمشي والتنقل. وزاد في وزنه حتى ظهر الترهل على جسمه .

ومرض بتصلب الشرايين ، في الدماغ والقلب . فلم يترك شيئاً من عاداته في أعماله المنظمة مواعيدها .

وانتقل من الرياض بالطائرة إلى الحجاز ، في ٢٨ ذي القعدة ١٣٧٢ (٨/ ٨/١٩٥٣) فنزل في الحَوِية (مصيفه المعتاد) وتوجه بالسيارة إلى الطائف ، متجلداً ، ليسلم عليه الناس ويروه . ولما أقبلت عليه ، رأيته جامد البصر ، لم يعرفني ولم يعرف أحداً من مقبّلي يده أو جبهته ، وفيهم بعض أخصائه والمقربين منه ، فارتعدت فريصتاي ، وحزنت !

ولم يتمكن من ترؤس الحج ، ذلك العام ، فناب عنه وليّ عهده .

وأمضى زهاء ثلاثة أشهر ، بين الحوية والطائف ، أكثرها في الأولى ، وقد اشتد عليه المرض فيها ، إلى أن ابتدأت سكرات الموت .

وممن كان إلى جانبه في حال النزع ، ولداه سعود وفيصل ، فكان لا يرفع بصره عن أحدهما حتى يرمق به الآخر ،ولم ينقطع عن ترداد حضهما على التعاون والعمل معاً . وآخر ما سُمع منه : فيصل .. أخوك سعود .. سعود ! أخوك فيصل . وكرر جملة « لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، الحمد لله ، أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله » وأسلم الروح . وكانت وفاته ضحى الاثنين ٢ ربيع الأول ١٣٧٣ (٩/١١/١٩٥٣) وصُلي عليه في الحوية . ونُقل في الحال بالطائرة إلى الرياض . فدفن في مقبرة أسلافه من آل سعود .

فهارس الكتاب



عبد العزيز ، يتأمل ...

١] ـ الأشخاص

خ

د

ذ

ر

س

ش

ص

ن

هـ

و

ي

٢] – القبـــائل والبطون

٣] ـ الأماكن والبلدان

٤] – الموضوعات

آخر الجزء الرابع ، وبه نهاية الكتاب ، والحمد لله